

14



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله المتوحد بالاعجاز في النظام المتفرد بالازلية وقدم الكلام المقدس عن التشبيه
في الاساليب والاحكام المنزه عن الشريك في الاحكام انزل على عبده كتابا محكما
اياته من لدن حكيم خبير ونزل منجما لكفار الحوادث انه بعباده لخبير بصير غرقت في بحار
اساليبه بنو قحطان وبكمت عما يدانيه زعماء معد وعدنان تعالى عن معارضة البشر
كلام مبدع الاشياء ومنشي القدر والصلوة على صفوة قصي ومضر سيد الرسل افضل
اهل المدر والوبر وعلى اله وصحبه الاخيار سيما الذين هاجروا والذين تبوؤا الدار
وبعد فان من صرف نقد عمره في درك المعارف وسهر غاليا على فرايد العوارف
حاز قصب السبق في مضمار السعادة وفاز بالرقيب والمعلى يوم الوفادة والعلم باسرار
كلام الله من بينها نار على علم بل شمس طالعة من افق الحكم نعم هو الكاشف عن جمال
مراد الله الشامخ الرافع عن كنوز فرايده ختامه من عد من حزبه واعوانه وجال في حلبة
رهانه وميدانه لا ريب انه في اسعد طالع مولود وفي ام الكتاب اسمه محمود الكلام في اطرائه
ليس له امد ولذا كانت التفاسير بلا عدد خاض بحار حقايقه ذووا الجد من الاوايل
وغاص في لجة اولوا الجد من الاواخر فزانوا جيد الدهر بالدرر الفرايد وناطوا على جبينه
غرر الفوايد فاحببت ان اكون من اسرتهم واحشر في زمرتهم وان لم اكن من عدتهم
وسعدوا من جملتهم فوجهت ركاب العزم نحوه ولك الطلب لا زبد عسى ان
اتى بكتاب عزيز اميط عن جماله ما اعتراه من غبش الظلام ممن زاغ عن منهج
الحق لتضليل الانام اتى بالحق وهو ابتهج ابلج واذهب بالباطل وهو نادم لجلج
اذكر لاستيفاء معانيه السبع المتواترة واحذف منها الشواذ والنافرة وسميته خاضعا لله

غاية

٢

غاية الاماني في تفسير الكلام الرباني وهو بعناية الله طبق المسمى كذلك ان نقاب
تنزل من السماء واذا برز كالبدر في التمام والقى عن وجهه اللثام يهدى الى بحر
المعارف ومعدن العوارف الذوارف من نصب لاهل الفضل ميزان الفضايل
ليجازي طبقها جزل الفواضل الاسد الكرار والمزن المدرار ابي الفتح فاتح القسطنطينية
ناصر دين الله الناصر من الدوحة العثمانية السلطان بن السلطان محمد خان بن مراد
خان بن عثمان ملكه الله بسيط الارض ومهد له من الطول الى العرض والله تعالى
اسأل ان يجعله خالصا لوجهه الكريم ونجاة لي من عذابه الاليم انه جواد كريم

سورة الفاتحة مكية وقيل مدنية وقيل نزلت مرة بمكة ومرة بالمدينة [illegible] تسمى الوافية
والكافية والشافية وسورة الشفاء والدعاء والحمد والشكر والوجه في الكل واضح وام
القران لاشتمالها على اصول ما فصل في القران وسورة الكنز لذلك وسورة
الصلوة اذ بها تكون مجزئة او فاضلة والمثاني لانها تثنى في كل ركعة او لنزولها
مرتين سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد صراط الذين انعمت عليهم اية
دون البسملة ومنهم من عكس بسم الله الرحمن الرحيم اختلف في كونها من القران
في اوايل السور فذهب ابن مسعود ومالك رضي الله عنهما وهو المشهور من مذهب
ابي حنيفة رحمه الله تعالى وان لم يوجد له نص الى انها ليست من القران وعليه
قراء المدينة والشام والبصرة وذهب الزهري وسعيد بن جبير والشافعي وابن كثير
من مكة وعاصم والكسائي من كوفة رحمهم الله الى انها اية من كل سورة والدليل عليه
كتبها في المصاحف بلا مخالف مع انها جردت عن الشكل والنقط لئلا يكون
ما بين دفتي المصحف سوى القران على ما نقل عن محمد بن الحسن حين سئل عنها
فقال ما بين دفتي المصحف قران ولتواتر كونها قرانا عند ابن كثير وعاصم والكسائي
ولقول ابن عباس رضي الله عنه من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة اية ومن
لم يثبتها قرانا فانما يكتبها تيمنا لقوله عليه السلام كل امر ذي بال لم يبدأ ببسم الله فهو ابتر
ولما كان وضع الحروف الجارة لايصال معاني الافعال الى الاسماء فلا بد للباء من فعل
يتعلق به ثم ذلك المطلق تعينه القراين كالفعل المبدو به مثل القراءة هنا وكذلك
كل فعل شرع فيه كالاكل والشرب والعمل بموجب الخبر حاصل لوجود معنى الابتداء في ضمن
تلك الخاصة وهو غرض الشارع اذ لا نتعبد بلفظ الابتداء والباء آلة ووسيلة فالابتداء
باسمه تعالى واقحام الاسم ليتناول المضاف ساير اسمائه صريحا وان دل عليها الاسم
الجامع التزاما وللفرق بين اليمين والتيمن اذ الاول بالمعنى والثاني باللفظ والاولى
تقدير ما يقدر مؤخرا لافادة الحصر لانه رد على المشرك باسم اللات والعزى كما في اياك نعبد
وانما قدم في اقرأ باسم ربك لكونها اول سورة فالامر بالقراءة اهم ولكون المخاطب
من لا يتوهم في حقه الاشراك ثم هذا انما يتاتى اذا لم يكن السورة مصدرة بالبسملة نزولا ولا

فالكلام فيه كسائر السور كانه قيل باسم الله اقرا ثم قال باسم ربك الذي خلق اقرا اما تكريرا
للتقرير لانه اول تعليم او باسم ربك اقرا كيفما قرات ابتداء او انشاء ولذلك شرعت في الاجزاء
والابعاض والباء للاستعانة او للمصاحبة كانه قيل مستعينا باسم الله اقرا وقيل للالة لان
اعتقاد الموحدين ان الفعل بدونه لا ياتي بل يكون خداجا كما ان الكتابة لا يكون بدون
القلم والاول ادخل في كلام العرب واحسن تحاشيا عن اطلاق لفظ الالة على اسمه تعالى والاية
لا معنى لكون اسمه الة الا الاستعانة ثم هذا ونظايره مقول على السنة العباد تعليما وارشادا
والاصل في بناء حروف المعاني السكون كقد وبل ثم الفتح لانه اخو السكون خفة واوثر الكسر
في الباء للقلة وهي تناسب العدم وليكون المؤثر على وفق الاثر والاسم احد الاسماء العشرة
التي بنت العرب اوايلها على السكون استعمالا وان كانت متحركة تقديرا لقولهم اصل اسم
سمو والحكمة في وضعها كذلك طلب الخفة والتفنن واجتلاب الهمزة ليس لان الابتداء بالساكن
محال بل لان فيه لكنة وبشاعة ولان الحرف الاول كالاس للبناء فاريد احكامه وعكسه
الوقف لان اخر الكلمة محل الاطلاق والراحة واختصاص الهمزة لانه حرف شديد من اقصى الحلق
اجدر بالجبران ومنهم من حرك الساكن كسرا او ضما على الاصل وليدل على الواو المحذوفة
وجاء مقصورا كهدى قال شعر الله اسماك سمى مباركا اثرك الله به تباركا وهو ناقص واوي
حذف منه الواو كما حذف اللام في يد ودم ودل عليه تصاريفه كاسماء وسمي وسميت ومعناه
الرفعة لانه تنويه بالمسمى واشادة لذكره وقيل من الوسم وهي العلامة وحذفت الالف منه في الكتابة
لكثرة الدور والقياس ثبوتها لان وضع الكلمة على حكم الابتداء ولذلك ثبتت في اقرا باسم
ربك مع انهم طولوا الباء ليكون كالعوض والله اصله الاله ثم ادغم اعتباطا دل عليه
وجوب الادغام والتعويض ولذلك قطع همزته في النداء وقيل قياسا ووجوب الادغام
والتعويض من خواصه وهو من الاعلام الغالبة بعد الادغام تقديرا او قبله تحقيقا عرفا خلافا
للبلخي جامد عند سيبويه واحد قولي الخليل واليه ذهب الشافعي في طايفة وجزم المتاخرون
باشتقاقه من اله الرجل فزع اليه فعال بمعنى مفعول او من وله اجيه ابدلت الواو همزة او من
لاه احتجب ولما تاهت البرية في كنه ذاته كذلك في اسمه لئلا يشبهه شي ذاتا وصفة واسما
تعالى وتقدس وتفخيم لامه اذا لم يكن قبله كسرة سنة العرب كابرا عن كابر لكونه ادل على تعظيم
الاسم وهو الاسم الاعظم عند المحققين ولكن شرط الاستغراق في بحر الاخلاص ورقق مكسورا
ليروق على السامع والرحمن الرحيم صفتان مشبهتان من رحم بعد نقله الى فعل بضم العين
لان الصفة المشبهة لا تشتق الا من فعل لازم وهذا مطرد في باب المدح مثل رفيع الدرجات
وبديع السموات وفي الرحمن من المبالغة ليس في الرحيم لان زيادة المباني لزيادة المعاني
وهي اما في الكم كقوله يا رحمن الدنيا ورحيم الاخرة او الكيف كما في رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما
واشتقاقهما من الرحمة بمعنى الرقة والعطف وهي من الاجسام اريد لازمها وهو الانعام وارادته
وهذا مطرد في كثير من صفاته تعالى ومنه قيل اذا لم تصح البدايات فعليك بالنهايات واختصاصه به تعالى

حرم وجدان مؤنثه فيرجع الى اخواته في منع الصرف وهي كل فعلان من فعل بكسر العين فان قلت
قد جاء رحمن اليمامة لمسيلمة الكذاب قال شاعرهم وانت غيث الورى لا زلت رحمانا قلت
خروج عن اللغة تعنتا في الكفر ولم يسلك به سنن الترقي كما في شجاع باسل وجواد فياض
ايثار الطريقة التتميم لانها اقضى لحق المقام وافضى الى المرام اذ الملحوظ في مقام الكبرياء جلايل
النعم ثم اشير بالرحيم الى ان الكل منه وان عنايته شاملة لذرات الوجود منه ينال الجليل
والحقير كما روي انه تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ارفع الي كل حاجة حتى الملح الذي تجعله
في عجينك الحمد لله هو الثناء والنداء على الجميل الاختياري والمدح على الجميل مطلقا وقيل
بترادفهما والشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لسانا او جنانا او اركانا قال افادتكم النعماء مني
ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا واللسان اشيع شعبة لاعرابه عن الخفايا والخبايا وعدم
احتمال الغير كما في اداب الجوارح واليه اشار بقوله الحمد راس الشكر لم يشكر الله من لم يحمده
وهو من المصادر التي حذف ناصبها سماعا اذ استعمل باللام والعدول الى الرفع لقصد دوام
الثبوت بمعونة المقام كما في ساير الجمل الاسمية ولا ياتي ذلك مع النصب لانه بتقدير
الفعل الدال على الحدوث ولذلك عدل الخليل الى سلام في جواب قالوا سلاما ليكون
احسن تحية واللام فيه للاشارة الى الماهية كما في ارسلها العراك وهذه الاشارة هي الفارقة
بينها وبين النكرة والمعنى ان هذا الجنس مختص به تعالى لا يتجاوزه فان قلت اختصاص
الجنس اوجب انحصار الافراد فما بالهم ينكرون الاستغراق اشد انكار قلت انكار الاستغراق
انكار ان يكون معنى اللام وضعا الا يرى الى اطباقهم عليه في ان الانسان لفي خسر
الا الذين امنوا فان قلت فقد صح في المقام الاستغراق ايضا فلم اوثر الجنس قلت الحصر
في الجنس مستفاد من جوهر اللفظ على طريقة البرهان من غير معونة المقام بخلاف المثال
المشتمل على الاستثناء المقتضي لشمول الافراد صريحا وهذا كالبسملة مقول على السنة العباد
رب العالمين الرب مصدر وصف به او صفة بعد تنزيل فعله منزلة اللازم والتربية
ايصال الشي الى كماله والله تعالى هو الرؤف الموصل الى كل كمال فلذلك لا يطلق
على غيره الا مضافا والعالم ما يعلم به الشي كالخاتم غلب فيما يعلم به الصانع وجمع لئلا
يتبادر العالم المشاهد او افراد نوع او جنس او القدر المشترك وبالواو وبالنون للتغليب
وقيل المراد الثقلان والملائكة وقيل افراد الانسان اذ في كل فرد ما تفرق في العالمين
مع بدايع اخرى قال وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر الرحمن الرحيم
سبق الكلام فيهما مالك يوم الدين يا سارق الليلة اهل الدار اضيف اسم الفاعل
الى الظرف اتساعا والمعنى مالك الامور في يوم الدين وانما وقع صفة للمعرفة لان
الاضافة فيه حقيقية اما لقصد الاستمرار اذ بيده الامور في الازمان او لتنزيل ما سيكون
منزلة الكاين لتحقق وقوعه لا محالة كقوله ونادى اصحاب الجنة وقرا الحرميان وابن
عامر وابو عمرو وحمزة ملك مقصورا وهو الاخص لكونه للثبوت وللاضافة الى يوم الدين

والجوار شاني الملوك ولعموم ما تحت حيطته والكلام في اللغة ولا يقدح الاختصاص والشرعي
وللاتفاق على ملك الناس موافق الفاتحة ولان اهل الحرمين اعلى سندا وافصح
لغة وعليه الرسم وكثرة الثواب بزيادة الحروف معارض بقوة المعنى والدين الجزاء
كما تدين تدان او الطاعة او الشريعة فيقدر مضاف والصفات المذكورة جارية
مدحا وآلة على علية انحصار المحامد مع الوعد والوعيد في الاول صريحا وفي الثاني رمزا
اشارة الى سبق رحمته غضبه ليكون العبد بين الخوف والرجاء راجيا جانبه وقد استوفى
فيها ما يتعلق بالمبدإ والمعاد فتأمل اياك نعبد واياك نستعين ايا هو الضمير واللواحق
كالكاف والهاء والياء لبيان المراد به وعن الزجاج ان ايا اسم مضاف والمضمر
ما بعده لقولهم اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب ورد بان المثال شاذ
لا يقول عليه وعن الخليل ان ايا ضمير اضيف الى اللواحق ولم يوافقه احد لان الضمير
لا يضاف والمثال المذكور فيه ما فيه لا يتم دليلا والكوفية على ان المجموع ضمير ورد بان
الاختلاف باللواحق غير معهود في الضماير والعبادة اقصى غاية الخضوع ولذلك
اختصت بمن هو في اعلى مراتب العلو ومنه طريق معبد اي مذلل وقدمت على الاستعانة
لان الوسايل امام المطالب واطلقت الاستعانة ليتناول كل مستعان فيه
والاوفق ان يكون الاستعانة في العبادة لان اياك نعبد بيان للحمد وقوله اهدنا
الصراط المستقيم بيان اياك نستعين كانه قيل كيف اعينكم قالوا اهدنا الصراط
فيتسق النظام غاية الاتساق فان قلت كيف يستقيم ان يكون اياك نعبد
بيانا للحمد وشرط البيان مساواته للمبين قلت الاعتراف باللسان لما كان
ابلغ من ساير انواع العبادات ولذلك جعله الشارع راس الشكر جعل عين العبادة
التي هي اقصى غاية الخضوع او اريد بالحمد صرف العبد ما انعم الله عليه الى ما خلق
لاجله على ما هو اللايق بالمقام وما اشير اليه بيان المعنى اللغوي وقدم المفعول
للتخصيص ولما كان الحصر المستفاد منه بطريق الفحوى دون الاستدلال اشتمل على
القوام واخراج الكلام من الغيبة الى الخطاب تفنن فان الكلام اذا نقل من اسلوب الى
اخر كان انشط للسامع وادعى الى الاصغاء ولذلك اكثر منه البلغاء في اشعارهم وخطبهم
وكما يباهون في قرى الاشباح بالجمع بين لون ولون فهم في قرى الارواح
ادعى في الاتيان بفن وفن هذا وقد تختص موقعه بنكتة شريفة كما في اياك نعبد
وذلك انه لما ذكر الحمد بطريق الحصر لمستحقه الحقيقي الدال عليه الاسم الاعظم توجهت
النفس اليه توجها تاما فلما اجريت عليه تلك الصفات الدالة على استحقاقه مفصلة
ازداد المحرك شيئا فشيئا الى ان قال مالك يوم الدين بيده ازمة الامور لم تتمالك
ان اقبلت اليه بغاية الخضوع ونهاية الاستكانة واستغرقت في المقام الذي اشار اليه
بقوله صلى الله عليه وسلم اعبد الله كانك تراه وهو اخر مقام السالكين اهدنا الصراط

المستقيم

المستقيم الهدى متعد ولازم ويتعدى الى الثاني بنفسه وبالى وباللام الاولى لغة
الحجاز وليس من قبيل واختار موسى قومه وهدايته تعالى نوعان الدلالة الى الموصل
وخلق الاهتداء واليهما اشار بقوله والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء
وتفسيرها بافاضة القوى تسامح ثم من حصر المحامد فيه تعالى وعرفه بتلك الصفات
التي اجراها عليه مهتد بلا ريب فطلب الهداية منه طلب للزيادة او الثبات وصيغة
افعل دعاء مع الخضوع وامر مع الاستعلاء التماس مع التساوي والصراط المستقيم هو
الاسلام لانه الموصل الى السعادة الابدية بلا اعوجاج ولا انحراف واصله السين من
سرط الطعام اذا ابتلعه لانها تبلغ السابلة او العكس كما حكيت لقما لذلك وبه قراءة
ابن كثير في رواية قنبل والجمهور بالصاد مبدلا من السين لمناسبة الطاء في الاستعلاء
والاطباق والانتقال من السين الى الطاء انتقال من السفل الى العلو وهي لغة قريش
وعليه رسم المصحف وحمزة اشم الصاد زايا حيث وقع في القرآن في رواية خلف ووافقه
الطلا في الاول هنا ومعنى اشمام الحرف باخر مزجه به شيوعا ليكون حرفا بين حرفين
وفي ذلك رعاية الجانبين صراط الذين انعمت عليهم بدل من الاول بدل الكل
وفايدته التوكيد لانه ذكر الشيء مرتين مع تكرير العامل وبه يمتاز عن التوكيد وعطف
البيان وفيه ايضاح بعد الاجمال وشهادة على طريق المسلمين بالاستقامة على اكد وجه
والنعمة فعلة من النعومة وهي اللين والمراد بها المنعم به وهو الاسلام والمنعم عليهم المؤمنون
كافة وقيل الانبياء وعن ابن عباس رضي الله عنه قوم موسى قبل التبديل وقيل الذين
اشير اليهم بقوله اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين ولا خلاف في المنعم به ولذلك اطلق ولان من فاز بها لم تعد نعمة وقراءة
حمزة عليهم بضم الهاء وكذا اليهم ولديهم حيث وقع وهي لغة الحجاز وهي الاصل قبل الاتصال
وكسرها الباقون لمجانسة الياء وضم الميم موصولا بالواو ابن كثير وقالون في وجه
حيث وقع رعاية للاصل لان اصله هموا واسكنه الباقون تخفيفا وعليه رسم المصحف
والضمير المجرور في محل النصب على المفعولية غير المغضوب عليهم بدل من الذين انعمت
عليهم او صفة لان الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه مثله ولقد امر على اللئيم يسبني
او لان غير تعرف بالاضافة الى ماله ضد معين كما في عليك بالحركة غير السكون
والمجرور في محل الرفع لقيامه مقام الفاعل وكل من بات كافرا ضال مغضوب عليه
وقيل المغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى لقوله في حق اليهود
غضب الله عليهم وفي حق النصارى ضلوا واضلوا والوجه هو الاول لظهور العموم
ولجى هذا الوعيد لغير الطائفتين ولو صح رفعه الى رسول الله لكان منه اشارة الى
رسوخ هؤلاء في الغضب واولئك في الضلال لا الانحصار وقيل يتجه ان يقال
المغضوب عليهم هم العصاة لقوله في حق القاتل وغضب الله عليه قلت دعوى كون

كل عاص مغضوبا عليه باطله لان الغضب منه تعالى اما انتقام او ارادته وهي مغضبة اليه
وكون كل من عصى كذلك ممنوع والاستدلال بالغضب في آية القتل غير تام لصرفه لانه مصروف
عن ظاهره في مقام الترهيب كالخلود المقرون به اتفاقا ولئن اجرى على ظاهره لم يلحق به
كل ما يوجب العصيان لظهور الفارق ولا الضالين الضلال عدم الاهتداء وسلوك
غير الطريق ولا هذه مذكرة لتفيد استقلال نفي فادخلت عليه مبالغة كما في قوله لا بارد ولا كريم
ودفع وهم كون المنفي هو المجموع وتكون بعد واو تقدمه نفي صريح او غير صريح كغير والدليل على
ان غير في معنى لا جواز قولك انا زيدا غير ضارب كقولك انا زيدا لا ضارب ولا يجوز
انا زيدا مثل ضارب لان معمول المضاف اليه لا يتقدم المضاف آمين ليس من
القرآن اتفاقا وانما ختم السورة به لانها دعاء وسن ختم الدعاء به لما روى ابو داود ان
آمين يحفظ الدعاء من الخيبة كما يحفظ الختم الكتاب عن اطلاع الغير عليه وعنه صلى الله عليه
وسلم ان جبرائيل عليه السلام علمني آمين عند ختم الفاتحة وهو اسم استجب وما يرادفه وعن
الزجاج اسم المصدر كالاستجابة ويشكل عليه بناؤه وفيه لغتان المد والقصر وتشديده خطأ
يجهر به الامام والمأموم عند الشافعي في الجهرية لكونه تابعا للقراءة ولما روى انه كان يجهر به
ومن خلفه حتى ان المسجد للجه وعن ابي حنيفة رحمه الله يخفيها الامام والمأموم لانه دعاء وما
روي من الجهر محمول على التعليم روى البخاري عن ابي سعيد بن المعلى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لاعلمنك اعظم سورة في القرآن فاتحة الكتاب هي السبع المثاني والقرآن
العظيم الذي اوتيته وروى مسلم والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان جالسا وعنده جبرائيل اذ سمع نقيضا فوقه ورفع جبرائيل رأسه وبصره
الى السماء وقال هذا باب فتح لم يفتح قط فنزل منه ملك لم ينزل قط فاتى رسول الله وقال
ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة لن تقرأ حرفا الا اوتيته
وعن حذيفة بن اليمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يبعث العذاب على قوم
حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيرفع عنهم العذاب
اربعين سنة سورة البقرة مدنية وهي مائتان وثمانون وسبع بسم الله الرحمن الرحيم الم
حروف الهجاء اسماء البسائط في مباني الكلم وذلك لان دلالة الالف على اوسط حروف قال
وكان كدلالة الاسد على الحيوان المعروف بلا تفاوت فيما يرجع الى نفس الدلالة ولاعتوار
خواص الاسم من الاضافة والتعريف وغيرهما عليه وقد نص عليه امام اهل العربية خليل
بن احمد وما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة
والحسنة بعشر امثالها ولا اقول الم حرف بل الف حرف ولام حرف وميم حرف لم يرد
مصطلح النحو فانه عرف حادث ولما كانت مركبة راعوا في وضعها لطيفة بان جعلوا المسمى
صدر الاسم ليكون اول ما يقرع الاسماع الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها
لئلا يقع الابتداء بالساكن وسكون آخرها وقف كسائر الاسماء اذا عددت نحو ثوب بساط

فاذا

فاذا وليها العامل ظهر الاعراب لان قابلية المحل تحتاج الى المؤثر والدليل على ان سكون
اعجازها وقف وليس بسكون بناء الجمع فيها بين الساكنين والاكتفاء بها حذو كيف
واين وكونها مقصورة حالة الهجاء فاذا ادركها الاعراب مدت كقوله لولا التشهد لم تسمع
له لاء فان حالة الهجاء خليقة بالاخف لكثرة الدور وهي في اوائل السور اعلام منقولة لها
نص عليه سيبويه وهي على نوعين نوع لا يتأتى فيه الا الحكاية نحو الم وكهيعص وآخر يتأتى فيه
الاعراب والحكاية وهذا اما ان يكون اسما فردا كصاد وقاف ونون او عدة اسماء على
زنة المفرد كحم وتس فانها على وزن قابيل وكذا طس ميم لو فتح النون وضم اليه الميم
كان مثل دار ابجرد والحكاية لخفته ولا بانه عن الاصل المنقول منه اكثر وقد اعرب العنسي في
قوله تذكرني حميم والرمح شاجر ومنعه الصرف للعلمية والتأنيث والحكاية نقل القول محفوظا
صورته الاولى كقولك قرأت الحمد لله وسورة انزلناها قال وجدنا في كتاب بني تميم احق
الخيل بالركض المعار وفي الاتيان بها محكية اشارة الى ان مسمياتها وهي السور مركبة من
مدلولاتها ففيه نوع ايقاظ ولذلك لو سمي رجل بها لم تصح الحكاية لفوات الاشارة المذكورة
وانما كتبت على صور مسمياتها والقياس صورها مثل صاد ونون لان خط المصحف خارج
عن القياس قال درستويه خطان لا يقاسان خط المصحف وخط العروض فان قلت
خط العروض اذا خالف القياس له وجه وهو ان الداخل في الاوزان الحروف الملفوظة
دون المكتوبة فكتبوا ما يدخل في الوزن على صورته كالتنوين على صورة النون والاشباع
بعد الضمة واوا والكسرة ياء فما وجه مخالفة خط المصحف والعدول لا بد له من حكمة لا سيما
وقد وقع ذلك باتفاق خير القرون قلت كل كلمة خالفوا فيها القياس لها فائدة ذكرت في علم
الرسم واعظم الفوائد اجمالا ان يكون محجوبا عن العدو كاهل الكتاب وليكون طريق اخذ القرآن
السماع من افواه الرجال كما كان في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا وقيل كتبت كذلك
اختصارا لعدم اللبس اذ لا طائل في التلفظ بها غير متهجاة والنظم الى ذلك جرى العادة
بالتلفظ بالاسم وكتابة المسمى والقرآن المجيد بلا يمة الاختصار وقد قرأ صاد وقاف بالاعراب
فتحا وكسرا اما الفتح فعلى انه النصب باذكر وعدم التنوين لامتناع الصرف ومجرورة باضمار
حرف القسم كقولك الله لافعلن وهذا وجه قول ابن عباس رضي الله عنه اقسم الله تعالى
بهذه الحروف واما نصبها بحذف الجار واعمال القسم فلا لان ما بعدها مجرور وهو القرآن والقلم
وهما معطوفان فان قلت نجعل الواو للقسم دون العطف قلت نص الخليل على كونه
مستكرها لاستلزامه الجمع بين قسمين على مقسم عليه واحد واما الكسر فللجد في الهرب عن التقاء الساكنين
وهي حروف مقطعة على نمط التعديد في اوائل السور سرده ايقاظا لمن تحدى بالقرآن
وذلك ان كلام العرب مؤلف من هذه الحروف كانه قيل هذه الحروف مواد كلامكم
في الاشعار والخطب والمحاورات فان لم يكن ما اتى به محمد من عند الله فهلا تأتون بمثله ولو كان
بمقدار ثلث آيات وقيل كانت العرب في التلفظ بمسميات الحروف لوقعه في مباني الكلمات

متساوية الاقدام واما التلفظ بحروف الهجاء على نمط التعديد كان مخصوصا بمن قرا
وخط وخالط الكتاب قال تعالى وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
اذا لارتاب المبطلون فكان تصدير السور بها ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا
بنوع اعراب تقدمه لاعجاز وطليعة له بهذا وقد روعي في وقوعها على الوجه الواقع في اوايل
السور ومن ذكر الحروف المخصوصة دون الجميع او ما عداها وما لوحظ في ذلك مما يتعلق
بمخارج الحروف وصفاتها ما يدهش الفطن المتبحر وتنقسم الى ثنائي وثلاثي والثلاثي
الى ساكن الوسط ومتحركه فالاول مثل رواحا لا مد فيه زايدا على مقدار الالف
والثاني ما كان فيه بعد حرف المد ساكن نحو ميم وسين وصاد وقاف يمد للسبعة
زايدا على حرف المتحركة حاجزة بين الساكنين ولذلك يسمى مد الحجز والعدل وليس
في الفواتح حرف اللين سوى العين ولهم فيه وجهان المد لما ذكر في حرف المد والقصر
لقصور حرف اللين لعدم مجانسة حركة ما قبله واذا كانت على نمط التعديد او كانت اسماء
السور اخبارا حذف المبتدا منها او منصوبة باذكر او قسما محذوف الجواب فالوقف
عليها تام لاستقلالها ومن شرط في التام استقلال ما بعده ايضا يلزمه ان لا يكون
الوقف على اواخر السور تاما واما اعرابها فان كانت مقطعات على نمط التعديد فلا
يتصور الاعراب واما اذا جعلت اسماء السور فهي مرفوعة على الابتداء ان صح ان
يكون ما بعدها خبرا او على الخبرية عن مبتدا محذوف او منصوبة باذكر او مجرورة باضمار
حرف القسم كما تقدم ذلك الكتاب المشار اليه ما دل عليه الم وهي السورة او القران
فالاشارة اليه بذلك الموضوع للبعيد لان الكلام بعد التكلم به في حكم المتباعد قال الله
تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حكم
المتباعد فان قلت قبل وصوله ذلك على حاله قلت لما كان مقطوعا بوصوله جعل كانه
واصل وكثيرا ما يولف المتكلم كلاما يلاحظ فيه حين تاليفه وصوله الى المخاطب به وقيل
ذلك اشارة الى الكتاب الموعود في التورية والانجيل او الى الموعود بقوله انا سنلقي عليك
قولا ثقيلا فان قلت فعلى الاول المشار اليه مونث فما وجه تذكير المشار به قلت ان كان
ما بعده خبرا اجرى حكمه على المبتدا في التذكير لكونهما متحدين ذاتا كما اجرى عليه في التانيث
في قوله من كانت امك وان كان وصفا فلكون الاشارة اليه صريحا كقولك هند
ذلك الانسان قال النابغة نبئت نعمى على الهجران عاتبة سقيا ورعيا لذاك العاتب
الزاري والكتاب لغة الجمع مصدر كتب وشرعا هو المنزل للاعجاز بسورة منه يطلق
على الكل والبعض وهو المراد لا اخبار به فلا وجه لما قيل اطلق على المنظوم قبل ان يكتب
لانه مما يكتب ويرادفه القران وان كان اشهر منه وكل منهما يطلق على القديم ايضا
وفي تاليف ذلك الكتاب او جعل اسم السورة وجوه ان يكون الم مبتدا ثانيا والكتاب
خبره والجملة خبر المبتدا الاول والمعنى ان هذا هو الكتاب الكامل كقولك زيد هو الرجل قال هم

وذلك مبتدء

القوم

القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون ذلك خبرا والكتاب صفته ومعناه الم هو
ذلك الكتاب الموعود على ان اللام للعهد اذ لا فايدة في الاخبار عن السورة بصدق جنس الكتاب
عليها ويجوز ان يكون ذلك بدلا وان يكون الم خبر مبتدا اي هذه الم وان جعلت حروف
التعديد فذلك مبتدا وما بعده خبره او خبر مبتدا محذوف اي المولف من هذه الحروف ذلك
الكتاب او مبتدا والكتاب صفته لا ريب فيه هو الخبر والريب لغة القلق والاضطراب ومنه
ريب الدهر لنوايبه مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة اطلق على الشك اطلاق المسبب لان
الشك مما يقلق النفس ويزعجها ونفى جنس الريب عنه وكم مرتاب شقي فيه لانه لسطوع برهانه
بحيث لا يتصور فيه الريب وان يتشبث بذيله غبار منه فالمنفي هو كونه بتلك الصفة وكونه مظنة
له كقولك لمن يكابر بعد ظهور الحق من غير امكان شبهة هذا مما لا شك فيه وان كان
المخاطب منكرا فضلا عن الشك وهذا التقدير حسنه امتناع الشك فيه وانما اجرى الكلام على
ظاهره ولم يقدم الظرف كما في لا فيها غول لان الحصر هناك مقصود لانها في مقابلة خمور
الدنيا ولو قدم هنا لدل ان في كتاب اخر ريبا والقران يذكر في مقابلة الكتب السماوية وفساد
لايخ مع انه لو خلا عن هذا فليس بغرض بل الغرض انه ليس بمحل الريب وقيل معناه لا ريب فيه
للمتقين على ان هدى حال من الضمير المجرور والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفي وضعفه
لايخ لفوات المبالغة المقصودة في مقام نفي الريب هدى للمتقين هدى مصدر كالسرى
وزنه فعل لان الزنة على الاصول وكونه هدى للمتقين والمتقي لا يكون الا مهتديا يراد به التثبيت
او الزيادة وكلاهما هدى او اريد بهم المشارفون للتقوى عبر عنهم بالمتقين لانه اختصر وليكون
صدرا اولى الزهراوين اسم خواص اوليائه تعالى وكونه هدى لا يقتضي ان يكون جميع ابعاضه
كذلك لكونه معجزا وعربيا ودعوى ذلك والقول بان المجمل والمتشابه لم ينفك عن بيان
تعيين المراد منه غير ظاهر لا سيما عند من يقول بوجوب الوقف على الا الله والمتقي شرعا
من اتى بالفرايض واجتنب الكباير ولم يصر على الصغاير من الوقاية وهي فرط الصيانة ولها
ثلث مراتب الاولى التقوى من الشرك والثاني ما اشير اليه انفا والثالث ربط السر على الله
والتبرؤ عن كل شيء سواه وقد اشار اليها في قوله ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات
جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وامنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا ومحل
هدى للمتقين الرفع على خبرية محذوف وخبر اخر لذلك او مبتدا والظرف المتقدم خبره
ويجوز نصبه على الحال والعامل فيه الظرف او معنى الاشارة والذي هو اشد توغلا في
البلاغة وارسخ قدما ان يكتفي بروابط عقلية من الجملة المذكورة فقال الم جملة مستقلة حذف
منها المبتدا او طايفة من حروف الهجاء وفيها تنبيه على انه الكلام المتحدى به اما على الثاني
فظاهر واما على الاول فلان العلمية لا تنافي لمح المعاني الاصلية وذلك الكتاب جملة ثانية
تدل على ان المتحدى به هو الكتاب الكامل وفيه تقرير لجهة التحدي وشد من اعضاده
ولا ريب فيه جملة ثالثة تشهد بكماله اذ لا كمال فوق حق اليقين قيل لبعض العلماء فيم لذتك

قال في حجة تتنحى اتضاحا وشبهة تتضا اك افتضاحا او تاكيد لذلك الكتاب لانه اخبر عنه
بانه الكتاب الكامل كان مظنة ان يتوهم انه مبالغة في مقام المدح وليس الامر محمولا على
الحقيقة ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فتقرر انه يقين لا يحوم حوله شك وحق لا ياتيه الباطل
من بين يديه ولا من خلفه الذين يؤمنون بالغيب موصول بالمتقين صفة مجرورة
او نصب او رفع على المدح فهو في حكم التابع لاتصاله معنى او مقطوع مبتدا خبره اولئك على هدى
فعلى الاول الوقف على المتقين حسن غير تام ثم ان جعلت صفة فاما كاشفة وقد اشار بذكر الايمان
والصلوة والزكاة الى فعل جميع الطاعات وترك ساير المعاصي بالطف وجه وذلك ان الايمان
اس لا يقوم شيء بدونه والصلوة عماد الدين التي تنهى عن الفحشاء والمنكر والصدقة بذل
شقيق الروح وسماها الشارع برهانا وقنطرة الاسلام فذكر الثلثة ينطوي على ذكر ساير العبادات
وترك السيات كما هو اللايق ببلاغة القران ورموزه مع ما في ذلك من الاشارة الى مرتبة
الصلوة والزكاة بين ساير الفروع وهذا ما يقال ان الثلثة كناية عن فعل الطاعات وترك
السيات او مادحة كصفات الله الجارية عليه اجلالا له او مقيدة ومناط الفرق ان المتقي
ان حمل على المعنى الشرعي فالوصف كاشف ان كان المخاطب لم يعرف مفهوم الموصوف مفصلا
والا فمادحة وان حمل على من اجتنب الكباير فالوصف مخصص والايمان افعال من الامن
يقال امنته وامنته غيري فاستعمل في التصديق اما مجازا لان مصدق الشخص امنه التكذيب
او حقيقة فيه ايضا وهذا هو الظاهر واستعماله بالباء لتضمين معنى الاعتراف والاقرار وقد
يعدى باللام لتضمينه معنى الاذعان وقد تكون همزته للصيرورة كما يحكى عن ابي زيد ما امنت ان
اجد صحابة ويجوز ان يكون الجار والمجرور في محل النصب حالا اي غايبين عن المؤمن به فالغيبة
على هذا بمعنى الخفاء وعلى الاول بمعنى الغايب اما تسمية بالمصدر كرجل عدل واما فيعل
كقيل مخفف والمراد منه ما لا يستقل فيه ابتداء الا علم علام الغيوب والانبياء والمؤمنون انما
يعلمون منه ما اعلمهم ونصب لهم عليه دليلا عقليا او سمعيا كالصانع وصفاته والنبوات
وقيل المراد بالغيب القلب اي يؤمنون بقلوبهم تعريضا بالمنافقين الذين يقولون
بالسنتهم ما ليس في قلوبهم فالباء آلة كما في كتبت بالقلم فان قلت ما الايمان المنجي عند الله
قلت هو التصديق بما علم مجيء الرسول به ضرورة وزادت الحنفية الاقرار ركنا زايدا يسقط
بالاكراه والخوارج والمعتزلة الاعمال وان كان بين معتقد الفريقين فرق واما المحدثون
فهم برآء من مذهب هؤلاء وانما اعتبروا الاعمال في كمال الايمان كيف لا وهم الذين
يروون من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق ويخرج من النار من كان
في قلبه مثقال ذرة من الايمان وابدل ورش عن نافع والسوسي عن ابي عمرو الهمزة واوا
حيث وقع في القران وكذا حمزة في الوقف ويقيمون الصلوة القيام لغة الانتصاب
والاقامة افعال منه يقال اقمت العود اذا سويته وازلت اعوجاجه فاستعيرت لتعديل
اركانها وحفظها عن الخلل في سننها وآدابها بعد ما صارت حقيقة في تعديل الاجسام وقيل

حقيقة

حقيقة في الاعيان والمعاني ايضا لغة او بديمونها من قام السوق اذا نفق لانها
اذا دووم عليها كانت كالشيء المرغوب النافق الذي يتنافس فيه المحصلون ويجلون
شانها بتحصيل ما يتوقف عليه من القوام وهو ما يقوم به الشيء يقال فلان قوام اهله
اي قايم بامرهم يصلح شانهم او يتشمرون لادائها بلا فتور من قام بالامر اذا تشمر له
ومنه قامت الحرب على الساق وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد والصلوة فعلة من صلى
اذا دعا قال الاعشى وقابلها الريح في دنها وصلى على دنها وارتسم والمراد بها الاركان
المخصوصة سميت بها لاشتمالها على الدعا كما سميت سبحة لاشتمالها على التسبيح ووضع
موضع المصدر يقال صلى صلوة وليس لمصدره استعمال وقيل من الصلا لان المصلي
يحرك صلويه والصلوان المرتفعان في جانبي منبت الذنب ثم قيل صلى اذا دعا تشبيها له
بالمصلي في تخشعه وليس بوجه لان الاشتقاق مما ليس بحدث قليل ولان الصلوة في
اشعار الجاهلية بمعنى الدعا شايعة ولم يكن لهم علم بالاركان المخصوصة فان لهم التجوز
بها لا علم لهم به وانما كتبت بالواو للاشعار بالاصل كهدى وسرى بالياء وقيل كتبت
بالواو على لفظ المفخم وليس بشيء اذ لم يقرا به احد فكيف يوضع الرسم باتفاق الصحابة
على شيء لا وجود له واما تغليظ ورش لامه ليس لامالة الالف نحو مخرج الواو بل لان الصاد
من الحروف المستعلية فغلظ اللام لتقارب الصاد كما فخمه في ظلموا وطال ومما رزقناهم
ينفقون الرزق لغة كل ما ينتفع به الحيوان حراما كان او حلالا لقوله قل ارايتم ما انزل الله
لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا ولقوله وما من دابة في الارض الا على الله رزقها
وما في الاية يراد به الحلال بقرينة المدح على انفاقه والمراد منه الزكوة المفروضة لكونه قرين
الصلوة او ما يعمها وساير الانفاقات في سبيل الله كقوله الذين ينفقون اموالهم في
سبيل الله سرا وعلانية وهذا اوفق بمقام المدح والتقديم للاهتمام وقيل للتخصيص اي
يخصون بعض ما رزقناهم دون الكل تحاشيا عن رذيلة الاسراف قلت لا شرف
في الخير كما لا شرف في الشر ويدل عليه قوله ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
في مقام المدح وقوله والذين لا يجدون الا جهدهم وفي الحديث افضل الصدقة جهد المقل
وقضية الصديق في البذل وايثار الكل متواترة فان قلت فما فايدة من اذا قلت فايدتها
ان انفاق البعض كاف في نيل رتبة المنفقين ويدل دلالة ظاهرة على ان انفاق الكل
نور على نور والاولى حمله على ما يشمل المعارف ايضا كانه قيل من كل ما منحوه يبذلون
وفي الحديث ان علما لا يقال به ككنز لا ينفق منه والذين يؤمنون بما انزل اليك
وما انزل من قبلك هم اهل الكتاب الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به
كعبد الله بن سلام واضرابه عطف على الذين يؤمنون بالغيب فيشملهم صفة التقوى ان
لم يكن الموصول الاول مقطوعا او هم الاولون والعطف باعتبار تغاير الصفات كقوله
الى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم والايمان بالغيب ان شمل الايمان

بالكتب المنزلة الا انه افرد اشعارا بمكانه ولذلك اعيد الموصول ولم يكتف بذكر الصلة
مبالغة كان الموصوف بها مغاير للموصوف بما تقدم وهذا الوجه اوجه لان الايمان
بالكل مشترك بين الكل ولا دلالة في الافراد بالذكر على الايمان به منفردا كافٍ شاهدا قوله
قولوا آمنا بالله ثم قال وما اوتي موسى وعيسى ولان الصفات السابقة شاملة للفريقين
فلا وجه لتخصيصها بطائفة ولان ما يأتي في بنا يوقنون على هم انما يحسن موقعهم على هذا الوجه
والا لاوهم خروج الاولين وفي ما انزل تغليب للموجود على المترقب لان الايمان بالكل
واجب والانزال نقل الشيء من علو الى سفل وهو على الاعراض محال فهو وصف بنعت
حامله ومبلغه واذا التقى حرف المد الهمزة بعده يزاد في مده للسبعة اذا كانتا في كلمة لجاور وشاء
لان الهمزة حرف قوي وحرف المد ضعيف يزاد في مده ليقاوم القوي ويجانس المجاور واذا
كانتا في كلمتين فلهم فيه خلاف لعروض الاتصال وبالآخرة هم يوقنون تانيث الآخر
اسم فاعل من آخر بمعنى تأخر من الصفات الغالبة على تلك الدار كالدنيا على هذه ثم
جرتا مجرى الاسما حتى ترك ذكر موصوفهما والايقان واليقين اتقان العلم بانتفاء الشك
والشبهة عنه فلا يوصف به العلم القديم ولا الضروري فلا يقال ايقنت ان الواحد نصف
الاثنين كذا قيل ويشكل بقوله لترونها عين اليقين قال المشاهدة اعلى مراتب اليقين
وفي بناء يوقنون على الضمير اشارة الى ان ما عليه اهل الكتاب جهل محض لكان معتقدهم
خيال باطل وكذا في تقديم بالآخرة ونقل ورش حركة الهمزة الى اللام وكذا كل همزة قطع
ينقل حركتها الى الساكن قبلها وحمزة في الوقف ورجحان النقل وعدمه وجه النقل ارادة
التخفيف لان سكون ما قبلها يمنع التسهيل ولا يجوز الحذف راسا والعدم ما يدل عليه
اولئك على هدى من ربهم خبر الذين يؤمنون بالغيب وما عطف ان كان
مستانفا جوابا لمن يقول ما للمتقين اختصوا بالهدى بين الانام فدل بالاوصاف
المذكورة على انهم احقاء بذلك الاختصاص وان جعل موصولا والذين يؤمنون بما انزل
اليك كلاما مستانفا خبره معطوف على الموصول الاول ولا على المتقين فاولئك على هدى
خبر عنه وان جعل موصولا بالمتقين لفظا او معنى وعطف عليه والذين يؤمنون بما
انزل اليك فالاستيناف واقع على اولئك وليس بوجه لانه بعد ذكر اختصاص المتقين
بالهدى واجراء الصفات التي اهلتهم لذلك لا وجه للسؤال عن موجبه الا على تقدير غفلة
السائل فاشير باولئك الى تلك الصفات التي لو تاملها اغنته عن السؤال وضم الى الهدى
نتيجتها وهي الفلاح تحاشيا عن وصمة التكرار فان قلت صفة التقوى كافية في علية
الاختصاص فما اورده على الثاني وارد على الاول قلت ليس المجمل كالمفصل فاذا فصلت
صفات المتقين وفخمت لم يبق للسؤال مجال واعلم ان الموصول الثاني اذا جعل
مستانفا ولم يجر على المتقين انما يحسن اذا قصد به التعريض باهل الكتاب الذين يزعمون
انهم على هدى وليسوا منه في شيء اذ لو لم يقصد ذلك فحق الموصول الثاني ان يكون جاريا

على

على ما جرى عليه الاول لعدم فائدة العدول مع اتحادهما ذاتا فان قلت فاجعل الثاني
مخالفا للاول ذاتا وقد استقام الكلام بلا تعريض قلت اذا كان مغايرا للاول ذاتا
فالوجه عطفه على الاول ليشملهما صفة التقوى وان جعل مستانفا فالوجه قصد التعريض
ايضا لئلا يوهم انتفاء الحكم عن الموصول الاول وانما عدل عن الضمير الى اسم الاشارة دلالة
على ان ما يرد بعده فالمشار اليهم احقاء به لتلك الصفات السابقة وفي اسم الاشارة
يلاحظ المشار اليه مع الصفات المميزة له دون الضمير فان قلت قد ذكروا في اياك نعبد
ان العدول من الغيبة الى الخطاب لكونه ادل على التميز الذي لا يحق العبادة بدونه فقد
دل على ان الصفات المميزة يعتبر في الضماير ايضا قلت المراد كمال التمايز الا ترى انهم يقولون
جعل المسند اليه اسم الاشارة ليفيد اكمل تمييز ولذلك يؤثره البلغاء قال حاتم الطائي لما
استوفى تاثر محمد وهو فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه والاستعارة في على تشبيه تمكنهم
من الهدى من غير مانع ولا مزاحم من الشبه والشكوك باعتلاء الراكب مركوبه فجرت الاستعارة
اولا في مطلق الاعتلاء ثم في معنى على تبعا وذلك لان معنى الحروف غير مستقل بالمفهومية
فلا تصلح ان تكون مشبها او مشبها بها اصالة وكذلك الافعال لاشتمال معانيها على النسب
فيقع التشبيه في المصادر ثم يسري الى الافعال تبعا والتنكير في هدى للتعظيم اي هدى
واي هدى واتفق السبعة على ادغام النون الساكنة في الراء واللام بلا غنة اما الادغام
فلتلاحق المخرج واما عدم الغنة فللمبالغة في التخفيف ونقلها عن ابن عامر وعاصم سهو
واولئك هم المفلحون كرر اسم الاشارة دلالة على انهم مستبدون بكل من الهدى والفلاح
على حيالها وادخل العاطف لاختلاف الجملتين مفهوما وقصدا لان الغرض في الاول
اثبات الهدى لمن اشير اليه في الدنيا لتلك الصفات والغرض من الثاني الفوز في الآخرة
من اجل الهدى بخلاف قوله اولئك هم الغافلون بعد قوله اولئك كالانعام فانهما
وان اختلفا ذاتا ومفهوما فقد اتحدا غرضا وقصدا لان الغرض من تشبيه الكفرة
بالانعام ليس الا الحكم عليهم بالغفلة المتناهية فالثانية مؤكدة او بيان فلا مجال للعاطف
ومن قال هما متحدان مفهوما فقد التبس عليه وفائدة ضمير الفصل تاكيد الحصر المستفاد من
تعريف الخبر وتمييزه اياه عن الصفة وقد يقال انه مبتدا وما بعده خبره ومعنى التعريف
في المفلحون اما العهد وذلك انك احطت علما بان طائفة من الناس يفلحون فكانه
قيل ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم مفلحون كما اذا بلغك ان انسانا من
اهل بلدك قد تاب فقلت من التائب قيل زيد التائب على ما اختاره سيبويه في من ابوك
من كونه مبتدا والمعنى ازيد ابوك ام عمرو وكانه قيل المتقون هم المفلحون ام غيرهم فالمطلوب
الحكم بالمفلحين على احدى تلك الخصوصيات واما الجنس على معنى ان صفة الفلاح اذا حصلت
وقامت بطائفة فالمتقون هم لا يعدونهم وهذا المعنى من فروع الجنس وابلغ شعبة لدعوى
الاتحاد بخلاف الحصر لانتفاء هذه الدعوى فيه ولدقة مسلكه يحتاج الى تامل وافراد الفلاح الشق

ولذلك سمي الحارث فلاحا والمراد به الفوز لان من فاز ببغيته كانه انفتح في وجهه كل باب
خير وكل ما فاؤه في الفاء والعين دال على معناه كفلق وفلذ وفلد وقد شيد شان المتقين بالا
مزيد عليه من طرق شتى ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل ترغيبا
للسامع في انتهاج منهجهم لينال ما نالوا وفقنا الله لذلك بفضله وكرمه ان الذين كفروا
سنة الله تعالى في كتابه العزيز ارداف قصة الابرار بالكفار وبالعكس واتباع الوعد بالوعيد
اذ يفيد ها تبيين الاشياء ولم تعطف الثانية على الاولى لتباينهما غرضا واسلوبا لان الاولى
مسوقة لوصف الكتاب بكمال الهداية وانه الموعود المتحدى باعجازه والثانية لبيان حال الكفرة
واصرارهم بحيث لا يجدي فيهم الايات والنذر والحكم في الاولى على الكتاب وفي الثانية على الكفار
ولا يتفاوت هذا باجراء الموصول على المتقين واستينافه لان الكلام المبني على السوال الناشي
من الاول متصل به معنى ولا يكون الموصول الثاني مبتدا المخبر عنه باولئك لان ذلك الوجه
انما يحسن اذا قصد به التعريض بمن لم يومن بالقران من اهل الكتاب وزعمهم انهم مومنون
عند الله ولا مدخل لقصة الكفار في ذلك الغرض والموصول كاللام في العهدية والجنس وفرعهم
يجوز ان يراد به ناس معدودون معروفون بالنفاق كعبد الله بن ابي واضرابه والجنس
شامل لهم ولغيرهم والاخبار بالاصرار يخصصه بالبعض والكفر لغة الستر وشرعا انكار شيء اعتبر
وجوده في الايمان وشد الزنار والقاء المصحف في القاذورات انما عد كفرا لكونه دليلا على
خبث الباطن والنزاع بين اهل الحق والاعتزال انما هو في اثبات الكلام القديم القائم
بذاته تعالى مع الاتفاق على حدوث اللفظ فلا وجه للرد عليهم بان ذلك يقتضي التعلق
وهو لا يستلزم حدوث الكلام سواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم السواء لغة العدل
وعدم رجحان احد الطرفين قال تعالى فانبذ اليهم على سواء اسم للمصدر يوصف به كقوله
في اربعة ايام سواء وما في الاية اما خبر عما بعده مقدم عليه وعدم التثنية لكونه مصدرا او خبر
عما قبله مسند الى ما بعده اي يستوي عليهم انذارك وعدمه والاول هو الوجه لان الغرض
من الوصف بالمصادر المبالغة في شان محالها كانها صارت عين ما قام بها وانما صح
وقوع الفعل مخبرا عنه لان الجملة في معنى المصدر المضاف الى الفاعل ميلا الى جانب المعنى
كما في لا تاكل السمك وتشرب اللبن وام والهمزة جردتا عن الاستفهام لمطلق الاستواء
لان اللفظ الحامل لمعنيين قد يجرد لاحدهما قال سيبويه جرى على حرف الاستفهام ما جرى
على حرف النداء في قولهم اللهم اغفر لنا ايتها العصابة لانه جرد عن قصد الاقبال الى الاختصاص
فان قلت اذا جردتا لمعنى الاستواء يؤول المعنى الى ان المستويين سواء قلت لا ضير
اذ المعنى المتساويين وقوعا سواء في عدم النفع وانما قال سواء عليهم دون عليك
كما في قوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون لان الانذار واجب عليه نال به المثوبة
العظمى فلا تساوي بالنسبة اليه والانذار الابلاغ مع التخويف واقتصر عليه لانه الاهم سهل
نافع وابن كثير وابو عمرو الهمزة الثانية بين بين هنا وحيث وقع همزتا القطع متلاصقتين

وافقهم

ووافقهم ابن عامر في رواية هشام في المفتوحة وابدلها ورش في رواية المصريين
عنه الفا وما للتخفيف لان همزة القطع في غاية الشدة وفي بين بين قطع الحركة
قال قطرب هي لغة قريش وان لم يكن قياسية لكنها كثرت حتى اطردت والعجب
ممن زعم انه ناقل القراآت ثم يطعن في المتواتر بما يخيله لا يؤمنون خبر ان ان
قدر سواء خبرا مقدما ليكون الجملة اعتراضا وان جعل اسم فاعل ما بعده فاعله تعين
ان يكون لا يؤمنون بيانا او تاكيدا وهذا اوجه لان الاخبار بتساوي الانذار
وعدمه اقوى في افادة الغرض المسوق له الكلام وهو بيان تمرديهم في الكفر فالشان
ان يجعل عمدة لان الاعتراض في صورة المستغنى عنه ومنه ظهر ان الابدال ساقط
لان المبدل اوفى بالمقصود والشرط عكسه واما جعله خبرا بعد خبر او حالا مؤكدة مما
لا يخفى سماجته وما علم الله تعالى عدم وقوعه او اخبر به ليس التكليف به محالا بل
النزاع فيما لا يكون متعلق القدرة الحادثة وان كان ممكنا واما المحال لذاته لم يقل
به احد وان جاز عقلا عند من لم يوجب لفعله غرضا ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم
وعلى ابصارهم غشاوة استيناف دال على علية استواء الانذار وعدمه الختم والكتم اخوان
ولا ختم ولا تغشية حقيقة بل المعنى على تشبيه احداث هيئة في القلوب والاسماع
مانعة من خلوص الحق وقبوله بضرب الخاتم على الاواني استعارة محسوس لمعقول
بجامع عقلي هو الاشتمال على منع القابل عما من شانه ان يقبله فسرت الاستعارة
في الفعل تبعا او تشبيه صورة منتزعة من القلب والحالة الحادثة فيه المانعة من الانتفاع
بالامور الدينية بصورة منتزعة من الشيء والختم الوارد عليه المانع من الانتفاع بما فيه
والالفاظ المنوية في التمثيل كافية وان لم يستقم تقديرها وقس حال الابصار مع الغطاء
على القلوب والاسماع مع الختم وهذه الاشياء ونظايرها كانه بخلق الله وارادته اذ
لا قبح لصنعه يخلق ما يشاء ويحكم ما يريد ومن لم يجوز ذلك اول في مثلها تاويلات الاول
جعل اسناد الختم اليه تعالى كناية عن رسوخ هيئة القلوب والاسماع وفرط التمكن حتى
كانه امر خلقي الثاني تمثيل قلوبهم بقلوب ختم الله عليها كقلوب البهائم او قلوب مقدرة
ختم عليها فالاسناد حقيقي وان كان الختم مجازا والتمثيل في المجموع كما في قولك اراك
ايها المعنى تقدم رجلا وتوخر اخرى الثالث ان هذه الاشياء من الشيطان والكافر واسناده
اليه تعالى اسناد الى السبب لانه باقداره والمسند الضامن مجاز كقوله اذا رد عافي القدر
من يستعيرها الرابع ان الختم مستعار لترك القسر والالجاء لانه لازمه وفيه اشارة الى تمادي
طغيانهم وانه لا سبيل الى ايمانهم الا القسر لولا ابتناء التكليف على الاختيار الخامس ان
هذا حكاية ما كانوا يقولون قلوبنا في اكنة وفي اذاننا وقر ردا عليهم زعمهم الباطل وانما
ادخل السمع تحت الختم دون الغشاوة لقوله ختم على سمعه وقلبه ولان ادراك كل
منهما لا يختص بجهة والختم يمنع الوصول من الجهات والقلب هو العضو الصنوبري ويطلق

على العقل كقوله لمن كان له قلب والسمع والبصر الجارحتان المعروفتان ويطلقان
على الادراك بهما وعلى نفس القوة الدراكة وافراد السمع لانه مصدر في الاصل واعادة
الجار للدلالة على الاستقلال مبالغة وتنكير غشاوة للتنويع اي نوع غير ما يتعارفه الناس
وهو غطاء التعامي عن آيات الله او التعظيم وارتفاعها على الابتداء عند سيبويه والفاعلية عند
الاخفش ويؤيده العطف على الفعلية ولم يمنع ابا عمرو والكسائي امالة الف ابصارهم الصاد والطاء
المستعلية لان في الراء من صفات القوة ما يقاوم ذلك وقيل لما في الراء من التكرير وليس بشي
لان قولهم الراء حرف مكرر ليس معناه ان حين التلفظ يقع مكررا بل معناه ان اللافظ يلصق
لسانه بالحنك الاعلى لئلا يقع لحن بارتعاد اللسان فتحدث راآن كذا عن امام النحو خليل بن احمد
ولهم عذاب عظيم العذاب كالنكال وزنا ومعنى ومنه اعذب عن الشي نكل عنه وفي حديث
علي لما ارسل سرية اعذبوا عن ذكر النساء ومنه وصف الشراب بالعذوبة لانه يقمع العطش كما سمي
فراتا لانه يرفته اي يكسره والعظيم بالاحاطة به يستعمل في الجثث والمعاني وكما ان الحقير دون
الصغير يكون العظيم فوق الكبير بحكم العادة لان الاشرف يقابل بالاخس والحديث الالهي
الكبرياء ردائي والعظمة ازاري يدل على خلافه لان الرداء اشرف حالا من الازار ومن الناس
من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر هم المنافقون اهل الدرك الاسفل وهم اقبح الكفرة ولذلك
عطف قصتهم على قصة الماحضين وفصل صفاتهم الذميمة في ثلثة عشرة آية وعطف القصة على
القصة بكيفية التناسب في الغرض ومن لم يهتد اليه اشكل عليه مواضع من التنزيل واصل ناس
اناس لانهم يونسون اي يبصرون كما سموا بشرا لذلك يدل عليه انسان واناسي حذفت همزته
تخفيفا وقيل من النوس هو الاضطراب بدليل نويس والجواب انه من تغيير النسب كانسيان
وزنه فعال لان الزنة في المحذوف والمبدل على الاصول ليتدرج به الى معرفة حصول الصيغة وبعكس
في القلب دلالة على اصله ولذلك يقال اصل ايس عقل واللام فيه للجنس وفايدة الاخبار بان
من يقول كذا من الناس التعجب من شانه وان تلك الصفات تنافي الانسانية ويجوز
ان يكون مضمون الجار والمجرور مبتدا كقول الحماسي فمنهم ليوث لا ترام وبعضهم مما قمشت
وضم حبل الحاطب وللعهدي ومن المصرين طائفة كذا ولا ينافي ما ذكر من تثنية الكلام بالماحضين
لان المنافقين لما افردوا باحوال واحكام كان المقصود من ذلك الحكم المشترك بيان حال
الماحضين ثم على الاول من موصوفة لان الجنس لا توقيت فيه فكذا في ابعاضه وعلى الثاني
موصولة وبالوجهين ورد التنزيل من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ومنهم الذين
يؤذون النبي واليوم الآخر هو الابد الذي لا امد له او من وقت الحشور الى ان يدخل فريق
في الجنة وفريق في السعير لانه آخر الاوقات المحدودة وذكره مع الله تعالى للدلالة على انهم آمنوا
بالمبدا والمعاد واحاطوا بقطريه واماله ابو عمرو الف الناس لكثرة الدور وما هم بمؤمنين رد
لدعواهم على ابلغ وجه لان كونهم في عداد المؤمنين من لوازم ايمانهم فاخراجهم عن زمرتهم
نفي لايمانهم على طريقة البرهان ولذلك زيدت الباء وقد دلت الآية على ان الايمان ليس

مجرد

مجرد القول مع ابطان الكفر وفيه ابطال مذهب الكرامية يخادعون الله والذين آمنوا
الخدع ان توهم غيرك خلاف ما تريد به لتوقعه في المكروه من حيث لا يدري ومنه ضب
خادع اذا اقبل الى الحارث ثم خرج من نافقائه وفي الحديث يكون في آخر الزمان سنون
خداعة اي يكون ذات امطار بلا ريع ومعنى مخادعة المنافقين علام الغيوب ومخادعته
اياهم ان من الجانبين معاملة شبيهة بالخداع لان اظهارهم الايمان مع ابطان الكفر
واجراء الله تعالى عليهم احكام المؤمنين وهم اهل الدرك الاسفل وكذلك امتثال الرسول
والمؤمنين باجراء الاحكام عليهم صورته صورة الخداع ففي يخادعون استعارة تبعية وجهلهم
بالله وبصفاته اعتقدوا جواز ذلك فهو ترجمة معتقدهم او ذكر الله توطئة تنبيها على قوة اختصاص
المؤمنين به وقربهم منه حتى ان الفعل المتعلق بهم يصح تعلقه به كقولك اعجبني زيد وكرمه
ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه او نسب اليه تعالى ما هو لرسوله على نمط المجاز العقلي لانه
الناطق عنه ومبلغ احكامه او يخادعون بمعنى يخدعون اخرج الى زنة المفاعلة مبالغة لان
الفاعل اذا قابله مقاوم توفرت دواعيه شوقا الى الغلبة وكان لهم في الخداع اغراض منها
سلامتهم من القتل والاسر ونيل ما يناله المؤمنون من المغانم واطلاعهم على عورات المؤمنين
واذاعة اسرارهم والقاء الاكاذيب المرجفة ولذلك سماهم المرجفين في المدينة وما يخدعون
الا انفسهم لان ضرر خداعهم لا يتعداها ولا يحيق المكر السيء الا باهله او يخادعون انفسهم
باباطيل الاماني وتمنيهم هي ايضا امثالها فيخدع كل منهما الآخر ويحمله على ارتكاب اسبابها
فان قلت النفس ذات الشيء وحقيقته وحقيقة الخداع تقتضي فاعلين متغايرين قلت يكفي
في تصويره ذلك التغاير اعتبارا ولو توهما او فاعل بمعنى فعل والاخراج الى المفاعلة لتلك
المبالغة ويؤيده قراءة الكوفيين وابن عامر يخدعون مقصورا وعليه الرسم ويطلق النفس
على الروح وعلى القلب والدم والماء وما يشعرون ان ضرر الخداع لا يتخطاهم والشعور
علم يكتسب بالمشاعر والحواس الظاهرة وفيه اشارة الى انهم اضل سبيلا من الانعام
في قلوبهم مرض مستانف لبيان موجب خداعهم وما هم فيه من النفاق ويجوز ان
يكون تقريرا لعدم شعورهم والاول اولى لان لا يشعرون سبيله الاعتراض والمرض
حقيقة فيما يعرض البدن ويخرجه عن الاعتدال وكان همهم الرياسة وفوات اكل الرشى
امرض قلوبهم او اريد به الاعراض النفسانية كالغل والحسد وساير الاخلاق المتولدة من الكفر
وسوء العقيدة فانها آفة في الادراك فزادهم الله مرضا بنصر رسوله وتبسط في البلاد وكثرة
الفتوح او بانزال الآيات والسور فانهم ازدادوا كفرا بزيادة ما كفروا به كما ازداد به المؤمنون
ايمانا واسناده الى السورة في قوله فزادتهم رجسا اسناد الى السبب وعطف الفعلية على الاسمية
للدلالة على ان ذلك المرض لم يزل غضا طريا وانه يتسبب لازدياد مرضهم المحقق لولا تدنس
الفطرة لازدادوا بزيادة امداد الاسلام ونزول الآيات شفاء وقد ظهر ان حمله على الاخبار
دون الدعاء هو الوجه ولهم عذاب اليم هو لم يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع وصف به العذاب

مبالغة كقوله تحية بينهم ضرب وجيع وكقولك الم اليم ووجع وجيع بما كانوا يكذبون بسبب
كذبهم وافخم كان للدلالة على الاستمرار فى الماضى والكذب هو الاخبار عن الشىء
بخلاف ما هو عليه وقبحه لعينه ذاتيا فيحسن اذا كان فيه نجاة مظلوم وخص بالذكر
من بين جهات استحقاقهم تخييلا للحوق العذاب لاجله تنفيرا عنه وقرا غير الكوفيين
مشددا اى يكذبون الرسول ولم يؤمنوا به ويجوز ان يكون مبالغة فى الكذب كصدق
فى صدق او كثرة الفاعل كموتت الابل فيرجع الى قراة التخفيف سوى ما يفيده من المبالغة
او من كذب الوحشى اذا جرى شوطا ثم نظر وراءه كانه يكذب رايه لان المنافق حاير
متردد قال الله تعالى مذبذبين بين ذلك والمختار هو التشديد على كل وجه واذا قيل لهم
لا تفسدوا فى الارض عطف على يكذبون او يقول امنا والاول اوجه لقربه ولافادته
تسبب الفساد للعذاب ولخلوه عن تخلل البيان والاستيناف بين اجزاء الصلة والصفة
وان لم يكن اجنبيا وقد يؤيد الثانى بكون الايات على نمط التعديد قصدا الى [illegible]
بكل منها استقلالا ولئلا يفوت المبالغة فى التنفير عن الكذب بمشاركة غيره فى التسبب
للعذاب واما عطفه على ومن الناس يستلزم خروج هذه الصفة وما بعدها من قصة المنافقين
اذ على ذلك التقدير لا يحسن عود الضمير اليهم والافساد جعل الشىء فاسدا اى خارجا عن
اعتداله وانما جعلوا مفسدين ما فى الارض لانهم كانوا يمالئون الكفار ويمالئونهم
على المسلمين ويحرفون الكلم من بعد مواضعها وذلك مما يهيج الحروب والفتن وفيه
فساد الدنيا والدين او جعل ما كانوا فيه عين الفساد كانه قيل لا تاتوا بالفساد والقائل
رسول الله او المؤمنون او لم يقع له معهم كلام ابتداء قالوا انما نحن مصلحون اى حالنا
مقصور على الاصلاح لا يشوبه شىء من الافساد وانما ادعاهم ان اصلاحهم بين
لمكشوف الا انهم هم المفسدون الا حرف تنبيه ينبه على تحقق ما بعده وقيل مركب من
همزة الانكار ولا النافية فهى من مقدمات اليمين وطلايعه كان واللام يتلقى بهما
القسم ردود عويهم ابلغ رد بان حصر حالهم فى الافساد لا حظ لهم فى الاصلاح قلبا لدعواهم
ووسط ضمير الفصل تاكيدا للحصر المستفاد من تعريف الخبر والاوجه حمل اللام على الاتحاد والضمير
لتاكيد نسبة الاتحاد كما فى هم المفلحون ولكن لا يشعرون سبق تحقيقه واذا قيل لهم امنوا
كما امن الناس سلكوا معهم سلوك المرشد مع الطالب المسترشد نهوهم عن الفساد
وارتكاب الرذايل ثم امروهم بالاتصاف بالايمان الذى هو اساس الحسنات تحلية
بعد التخلية اللام للعهد والناس رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضى الله عنهم لانهم
يقابلوهم فى الايمان او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم مع ذلك لمقابلة غايظون
لهم بالايمان حاضرون فى الاذهان او الجنس اى الكاملون فى الانسانية كان من عداهم
ليس بانسان كما فى ذلك الكتاب وقوله اذ الناس ناس والزمان زمان واسناد الفعل
الى الجملة فى قوله واذا قيل لهم لا تفسدوا وقوله واذا قيل لهم امنوا والاسناد من خواص الاسم

لان

لان اقسام الكلمة متساوية الاقدام فى الاسناد الى لفظها وما اختص به الاسم هو الاسناد الى
معناه نحو قام زيد فالمسند اليه من اللفظ باعتبار المعنى وانما لم يتعرض النحاة لبيان هذا القسم
من الاسناد لانه يعلم حاله بالمقايسة او لان ماله ذلك لان قولك ضرب فعل ماض واذا
قيل لهم لا تفسدوا اى هذا القول قالوا انؤمن كما امن السفهاء السفه الخفة فى الراى واللام
للعهد اشير به الى الناس لسبق ذكرهم او للجنس ويدخل فيهم الجارى ذكرهم لانهم اعرف الناس
فى السفه عندهم اما لتدنس فطرتهم يرون الحسن قبيحا كالمريض المختل ذايقته يجد الحلو مرا او
قالوه تجلدا وعدم مبالاة بمن فارقهم من شيعتهم وما فى الموضعين مصدرية او كافة الا انهم
هم السفهاء ولكن لا يعلمون لاعتقادهم الباطل حقا مع جلاء برهانه وانما فصل الاولى بنفى
الشعور وهذه بنفى العلم لان امر الديانة يحتاج الى تامل فى تمييز الحق عن الباطل ولا كذلك
الافساد فى الارض واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا ليس من التكرار فى شىء لان قوله
ومن الناس من يقول امنا لبيان معتقدهم وادعائهم حيازة الايمان من الجهات وما هم
منه فى شىء وهذا البيان سلوكهم مع المؤمنين ولو لم يكن الغرض ذلك لم يلزم التكرار ايضا
لان المعنى ومن الناس من يتلفظ بالايمان نفاقا للخداع ثم اشار الى ان ذلك عند لقاء
المؤمنين للمحاجة استهزاء واذا خلوا الى شياطينهم من خلوت بفلان واليه اذا انفردت
به ومنه خلاك الذم اى مضى وانفرد او من خلوت به اذا سخرت منه وعدى بالى لتضمين
معنى الانهاء وشياطينهم شطارهم الذين ماثلوا الشياطين فى التمرد والشيطان فعلان
من شطن اى بعد لبعده عن الخير والصلاح او من شاط اى بطل فالنون زايدة قالوا
انا معكم قلبا واعتقادا اثروا فى مخاطبة اخوانهم الاسمية مؤكدة بان لانهم فى ذلك على صدق
رغبة ونشاط وكمال اريحية وهو رايج منهم ومع المؤمنين الفعلية لانهم لم يكونوا سابقا
موسومين بذلك فلم يرج منهم لو ادعوا غير احداث الايمان ولم يكن ايضا صادرا
عن اريحية كما ترى من يتكلم بكلام تكلف انما نحن مستهزؤن تاكيدا لانا معكم
لان الاستهزاء بالاسلام دفع له على ابلغ وجه ورفع نقيض الشىء تاكيد لثباته وازالة
ما عسى يتوهم من تجوز وقيل انا معكم فلو بايلزمه ان قولنا امنا عند لقاء المؤمنين
ليس على حقيقته فقولهم انما نحن مستهزؤن تاكيد لذلك اللازم والاول اوجه لان
التاكيد يكون للكلام لا للوازمه او بدل لانه اوفى بالمقصود وهو التصلب فى الباطل
او استيناف لظهور ورود السؤال كانه قيل كيف تكونون معنا مع قولكم للمؤمنين
امنا والاستهزاء الاستخفاف من الهزء وهو القتل سريعا الله يستهزئ بهم
الاستهزاء من باب السخرية والعبث ولا يليق ذلك بالحكيم فالمراد منه انزال الهوان
وتحقير شانهم لان ذلك غاية فعل المستهزئ وغرضه الذى يرميه والعلاقة الشبه
الصورى والعدول عن الحقيقة للاشارة الى ان مداهنتهم حقيق بان يسخر منها
الساخرون وانما لم يعطف لان ما حكى عنهم من شناعة ما ارتكبوه مما يحرك كل سامع

ان يقول من هذا شانه ما مصير امره وصدر باسم الله للدلالة على ان المؤمنين عنده
بمكان وهو الذي يتولى مجازاة اعدائهم مع الاشارة الى ان استهزاء المنافقين مضمحل
في جنب استهزائه لصدوره عمن يضمحل كل شيء تحت قدرته ومن قال سمى جزاء الاستهزاء
استهزاء لكونه مماثلا له في القدر ثم قال لانه باستهزائهم في مقابلة ما يفعل الله بهم فقد
ناقض كلامه واثار المضارع للدلالة على تجدد الفعل واستمراره وكذا كانت نكايات الله
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم ويمدهم في طغيانهم
يعمهون مد الجيش وامده اذا زاده وليس من المد في العمر لانه لا يتعدى باللام والحذف
والايصال خلاف الاصل وما روي عن ابن كثير يمدهم بضم الباء يدل عليه والطغيان
مصدر طغى تجاوز عن الحد واضافه اليهم كاضافة الحسن الى زيد في قولك اعجبني حسن زيد
فلا يدل على انه ليس بخلق الله وارادته وايثار طريق الابهام والتفسير للدلالة على اضافة كثرة
الاسباب والعمه في البصيرة كالعمى في البصر اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى
تعليل لاستحقاقهم الاستهزاء الابلغ والمد في الطغيان او اعتراض مقرر لمدهم في الطغيان
ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى استبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه
اعطاء بدل واخذ آخر ومنه قوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا والمراد بالهدى تمكنهم منه اول
التكليف وتيسر الاسباب والفطرة التي فطروا عليها لانها اساس الهدى والضلال
الجور عن القصد استعير للذهاب عن الصواب في الدين فما ربحت تجارتهم اي خسروا
في ذلك الاستبدال لان رأس مالهم الذي هو الهدى استبدلوا به ما يضاده وهو
الضلال والضال خاسر وان ولو نال ما نال ولان من لم يسلم له رأس ماله لا يوصف
بالربح ولما استعار الاشتراء للاستبدال رشحه بذكر الربح تزيينا للاستعارة لان مبناها
على تناسي التشبيه وذكر روادف المشبه به وتوابعه يشد من اعضاده الا ترى الى قوله
ولما رأيت النسر عز ابن داية وعشش في وكريه جاش له صدري لما استعار لفظ
النسر للشيب وابن داية للشباب كيف رشحه بذكر التعشيش والوكر فان قلت نفي
الربح عن التجارة حقيقة الا ترى انك لو قلت ما ربحت التجارة بل التاجر لم يكن هناك
مجاز وكذا قولك ما صام النهار فما وجه قول من يقول ان الاسناد فيه مجاز قلت جعل
عدم الربح كناية عن الخسران وان كان اعم منه تصريحا بانتفاء مقصود التجارة وهو
الربح مع حصول ضده بخلاف ما لو قيل خسرت تجارتهم وكذا كل فعل نفي عن غير فاعله
كقولك ما صام النهار وما نام الليل ان اجري على ظاهره كان حقيقة وان اول
بفعل آخر ثابت للفاعل كافطر وسهر كان مجازا وما كانوا مهتدين ليس المراد منه
عدم الاهتداء في الدين ليكون تكرارا بل تقرير للترشيح وتشييد لاركانه بان هؤلاء
الذين خسروا في التجارة لم يكونوا داخلين في زمرة البصراء بالامور ويجوز عطفه على اولئك
الذين اشتروا الضلالة بالهدى من تمام التعليل مثلهم كمثل الذي استوقد نارا المثل

في الاصل

في الاصل بمعنى النظير نقل الى قول شبه مضربه بمورده ولا يضرب مثلا الا ما فيه غرابة ثم استعير
لكل شان فيه غرابة والامثال في كشف الحقائق واظهار الخفايا شان لا راءته
المعقول فما صورة المحسوس والمتخيل متحققا ولذلك كثر في كلام الله وكلام الحكماء والبلغاء
والجملة مقررة لقوله اولئك الذين اشتروا الضلالة او لجملة قصة المنافقين والذي
وضع موضع الذين لكثرة وقوعه لكونه وصلة الى وصف كل معرفة واستطالته بالصلة
ولان الذين ليس جمعا له حقيقة بل بدليا والنون للدلالة على الزيادة الا ترى الى
وجودها في الرفع او قصد جنس المستوقد وبعد الفوج ونحوه على ان التشبيه ليس للذوات
حتى يشكل واشتقاق النار من نار ينور اذا تحرك واضطرب وهو هذا الجسم اللطيف المعروف
والنور ضوؤها فلما اضاءت ما حوله عطف على استوقد والاضاءة فرط الانارة متعد
وما الموصولة مفعوله او لازم مسند اليها والتانيث لان ما حوله اماكن او مسند الى ضمير النار
وما مزيدة وحوله ظرف لغو او موصولة مع صلتها مفعول فيه والاول اوجه لان الثاني يقتضي
ذكر في لان حذفه عن لفظ مكان لكثرته ولا كثرة في الموصول فان قلت اذا كان الفعل
لازما مسندا الى ضمير النار يلزم وجود النار حول المستوقد حتى تتصور اضاءتها فيها قلت النار
وان لم توجد فقد وجد ضوؤها فالاسناد الى النار اسناد الى السبب كما في بنى الامير المدينة وتاليف
الحول للدوران والاطافة ومنه الحول للعام وحال الشيء واستحال وحال الانسان لعوارضه
ذهب الله بنورهم جواب لما جمع الضمير مع توحيده في استوقد وحوله بالنظر الى اللفظ والمعنى
والغرض تصوير حال المنافق فلا وجه لما يقال ان المستوقد لم يفعل ما يستحق به اذهاب
نوره وقيل مستانف اجيب به اعتراض سائل يقول ما بالهم اشبهت حالهم حال المستوقد
والجواب محذوف اي خمدت نارهم او طفئت حذفت ايجازا ومبالغة في سوء حال المستوقد
بالابهام ولكونه مستطالا بصلته لو ذكر الجواب والضمير للمنافقين في هذا الوجه والاول
اوجه لان ذهاب النور شديد لملايمته مع الاستيقاد ولان المبالغة في المشبه به يستلزم
المبالغة في المشبه ضمنا ولان كونه من تتمة التمثيل الاول يوجب مطابقته للتمثيل
الثاني لاشتماله على مبالغات مع ان الاستيناف لا وجه له لان سبب تماثل حالهم
قد علم مما سبق وقيل بدل من جملة التمثيل على وجه البيان اشارة الى ان المبدل منه في
حكم السقوط وفيه فوات المبالغة في حذف الجواب لاستدعائه ان يكون اوفى من المبدل
منه وانما وصف النار بالاضاءة اولا ثم تقرر ان الباطل له صولة ثم يضمحل كنار الفرح و
يحتمل ان يراد النار المجازية كالفتنة وعداوة الاسلام لو وصف بالاضاءة ترشيح للمجاز واثر
الباء على الهمزة لدلالتها على المصاحبة واللصوق وما يمسكه الله فلا مرسل له وتركهم في ظلمات
ترك الشيء طرحه يتعدى الى مفعول واحد وقد تضمن معنى التصيير فالى مفعولين كقول عنترة
العبس فتركه جزر السباع ينشنه ومنه ما في الآية لان اصله هم في ظلمات والظلمة عدم النور
وقيل عرض بضاده واصله المنع من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك لانها تسد البصر

ويمنع وهذا ما يعتقده الجمهور فلا يرد ان العدم لا يكون ما نعا وظلمة تهم ظلمة الكفر وظلمة النفاق
وظلمة يوم القيمة او ظلمة الضلال وظلمة سخط الله وظلمة العقاب او ظلمة شديدة كانها ظلمات
كما فى الحديث الظلم ظلمات يوم القيمة وان عاد الضمير الى المستوقد فالظلمات ظلمة الليل
منضما الى ظلمة الغمام وتطبيقه لا يبصرون اى ليس لهم ابصار راسا فلا يقدر له مفعول
لفوات المبالغة واعلم ان الاية يجوز ان يكون تمثيلا وتشبيها مفرقا وذلك ان المستوقد
سعى فى ايقاد النار وكدح فى احيائها وتحلى بطرف من الاضاءة المطلوبة ثم انطفأت
وزالت بالكلية سريعا فبقى حائرا فى ظلمات كالاعمى وكذلك المنافق اظهر كلمة الايمان
وحصل بها منافع الامن والامان فقهره الله بالموت وصيره الى ظلمات منزلة
فان لوحظ فى كل واحد من الجانبين هيأة وحدانية ملتئمة من تلك المعانى تشارك الاخرى
فى هيأة منتزعة منهما لحصول تباشير المقصود وقوة الرجاء والوقوع فى حيرة الحرمان
والخيبة كان تمثيلا وان قصد تشبيه كل واحد من تلك المعانى بما يناظره كان تشبيها
مفرقا والاول اوجه لما فى تشبيه الهيأت من جزالة المعنى والخلو عن التكلف فى تطلب
وجه الشبه فى كل متناظرين لا سيما اذا كان ذكر المشبهات مطويا ولان لفظ المثل مبادر
منه القصة العزيبة كالمثل السائر وهى الهيأة المركبة دون كل واحد صم بكم عمى ترقى فى بيان
حال المنافق من التمثيل المذكور اى بالابيان فوقه فى الحزى اعطاء للمقام حقه وسواء جعل
ذهب الله بنورهم جواب لما اولا فالمبتدأ المقدر ضمير المنافقين كانت حواسهم سليمة ولكن
حيث لم يصغوا الى الحق ولم ينطقوا به ولم ينظروا فى الافاق والانفس كانهم فاقدوها وتقديم
الصمم على البكم بين لان تلقى الايات من الشارع مقدم على ذكرها والنطق بها واما تاخير
العمى فلانه شامل لعمى القلب وهو معقول طرف فاستحق التاخر الا يرى الى قوله ونحشرهم يوم
القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما لما اريد به روية البصر كيف قدم دلالة على ان المحشور اشد ما
عليه فقد البصر ثم البكم للاستحير ببغيث وهو من التشبيه البليغ الذى حمل فيه المشبه به على المشبه مع
حذف الادات ووجه الشبه وليس من الاستعارة فى شئ لان شرطها كون الكلام خاليا عن
ذكر المستعار له لفظا وتقديرا ونيته بحيث يجوز ان يراد بالمشبه به معناه الحقيقى لولا القرينة وذلك
لان مبنى الاستعارة على تناسى التشبيه ولاجل ذلك كانت المرشحة اقوى اقسام الاستعارة
فان قلت قد ذكروا فى قول الشاعر قد زر ازراره على القمر من الاستعارة مع ان الضمير المجرور عايد
الى المشبه قلت المراد من طى المشبه ان لا يذكر على وجه الحمل فلا ينافى ذكره على وجه آخر لانه لا يقدح
فى التناسى المطلوب فهم لا يرجعون نتيجة قوله صم بكم عمى وذلك لان فاقد الحواس لا يتصور منه
رجوع او كصيب من السماء او فى الاصل للتساوى فى الشك ثم اتسع فيه فاطلق للتساوى
من غير شك نحو جالس الحسن او ابن سيرين وهو عطف على كمثل الذى استوقد نارا اى كمثل
ذوى صيب لقوله يجعلون اصابعهم فى اذانهم والمعنى قصة المنافقين شبيهة بهاتين
القصتين بايتهما شبهت فقد اصبت وكذا ان جمعت والصيب فيعل من صاب المطر نزل

وقيل

وقيل هو السحاب قال الشماخ واسحم دان صادق الوعد صيب ولما بالغ فيه مادة وبناء
وتنكيرا دال على التهويل كتنكير النار فى التمثيل الاول ايده بتعريف السماء الدال على العموم
وشمول الافاق لان كل افق يسمى سماء قال ومن بعد ارض بيننا وسماء اى قطعة ارض
وقطعة سماء اذ لا يتصور ان يكون بينه وبين الحبيبة بعد جميع الارض والسماء وان اريد
السحاب فالمراد انه مطبق اخذ بافاق السماء فيه ظلمات اى فى الصيب فان اريد
المطر فالظلمات ظلمة تكاثفه وتتابع قطره واظلال غمامه وظلمة الليل او السحاب فظلمة
سحمته وتطبيقه وظلمة الليل وارتفاعه بالظرف لاعتماده على الموصوف ورعد وبرق الرعد
صوت شديد يحصل من اصطكاك اجرام السحاب يتولد منها باذن الله نار لامعة هى البرق
لبريقه ووقوع المطر ظرفا لهما لوجود الملابسة لكونهما فى اعلاه ومصبه كقولك زيد فى البلد
وان كان فى طرف وسحق منه لان الظرفية الحقيقة وهى كون الشئ مكانا لاخر غير
مراده وان كان الظرف سحابا لانهما عرضان والتمكن من خواص الاجسام وانما
لم يجمعا لانهما مصدران فى الاصل وجاءت منكرات على قياس تنكير النار والصيب
اى ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف يجعلون اصابعهم فى اذانهم من الصواعق
كلام مستانف كانه قيل كيف حالهم مع ذلك الرعد والبرق فقال يجعلون اصابعهم
فى اذانهم والمجعول فى الاذان وان كان رؤس الاصابع الا ان فى اطلاق الكل
وارادة الجزء من المبالغة الدالة على انهم لو قدروا على ادخالها بكمالها لفعلوا والصاعقة
قطعة نار فى غاية الحدة تنفصل من السحاب اذا اصطكت اجرامه لا تمر بشئ الا احرقته ولذلك
اشتق لها هذا الاسم من الصعقة وهو الهلاك كقوله وخر موسى صعقا ومن فيه ابتدائية فيها
معنى العلية حذر الموت علة للجعل المعلل وكلاهما باعث غير غرض والموت عرض
يضاد الحيوة لقوله خلق الموت والحيوة وقيل عدم الموت والخلق بمعنى التقدير على ان
اعدام الملكات مجعولة عند المحققين والله محيط بالكافرين اعتراض دال على ان الحذر
غير نافع ووضع الكافرين موضع الضمير ليظهر استحقاقهم شدة الامر على طريقة قوله اصابت
حرث قوم ظلموا والمراد بالكافرين المنافقون وانما وسطت حالهم بين احوال المشبه به
والقياس تقديمها او تاخيرها اشارة الى شدة الاتصال بين المشبه والمشبه به ودلالة
على فرط الاهتمام بشان المشبه والاحاطة مجاز عن شمول قدرته وعدم الفوات على
نمط الاستعارة التبعية او شبه حالهم معه بحال المحيط على انها تمثيلية ولا يتصور اجتماعهما
لتنافى اللوازم ولاستلزام التبعية البساطة والتمثيل التركيب يكاد البرق يخطف ابصارهم
استيناف ثان كانه قيل ما حالهم مع الرعد وصواعقه فما حالهم مع البرق والخطف
الاخذ بالسرعة كلما اضاء لهم مشوا فيه استيناف ثالث جواب لمن يقول كيف يصنعون
فى تارتى خفوق البرق وخفيته وفيه بيان شدة الحال على المنافقين وتمامى حيرتهم بطريق
التشبيه فاذا خفق البرق مشوا خطوات يسيرة مع خوف خطف الابصار واذا اظلم عليهم قاموا

واذا خفي وفتر لمعانه وقفوا اي اثر كلما مع الاضاءة واذا مع الاظلام لان الاضاءة مطلوب
لهم وهممهم معقودة بها ولا كذلك الاظلام والمشي يقابله الوقوف وانما قابله بالقيام للدلالة
على انهم حالة فتور البرق قيام منتظرون الخفوق واظلم جاء متعديا ولازما نقله الليث
واللزوم اكثر استعمالا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم عطف على مجموع الجمل الاستينافية
لان المعنى لو شاء الله ان يذهب اسماعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وكلمة
لو لمجرد ربط الجزاء بالشرط من غير دلالة على انتفاء احدهما لانتفاء الاخر فهي بمنزلة ان ويجوز
ان يكون على اصلها دالة على ان الرعد والبرق بلغا مبلغا لم يحتاجا في ازالة الحواس
الا على مجرد تعلق المشية ومفعول المشية كثر حذفه لدلالة الجواب عليه الا اذا كان مستغربا
غير مالوف كقوله ولو شئت ان ابكي دما لبكيته فلم يكتف بالقرينة لاحتمال ضد المقصود
واعلم ان هذا التشبيه ابلغ من الاول لانه ادل على فرط الحيرة ونهاية شدة الامر ولذلك اخره
تدرجا وهو كالاول يحتمل التفريق بان يشبه دين الاسلام الذي به الحيوة الابدية بالصيب
ولما كان على وجه الخداع اوجب الهلاك كما اوجب الصيب وان كان رحمة هلاكا لاهل
المستحقين وشبه الكفار بالظلمات لان الظلمة سبب حيرة ذوي الصيب كما ان شبهة اهل
النفاق سبب حيرتهم وزيادة ضلالهم وكل واحد من الرعد والبرق شبه به وعد المومنين
ووعيد المنافقين وما يصيب الكفار من الافزاع والبلايا من جهة اهل الاسلام بالصواعق
ونفاقهم حذرا من نكايات المومنين واطلاعهم عليهم بجعل الاصابع في الاذان من الصواعق
حذر الموت من حيث انه لا يرد من قدر الله شيئا واما قوله يكاد البرق يخطف ابصارهم وما بعده
من متممات الرعد والبرق زيادة في تصويرهما واطنابا في شرح الوعيد لان الكلام بالاجمال
فيه هذا والقول الحق المذهب الجزل كما اشير اليه سابقا جعله من التشبيه المركب فانك اذا تصورت
حال من اخذته السماء في ليلة تكاثف ظلمتها بتراكم السحب وانتساج قطراتها وتواتر فيها
الرعود الهائلة والبروق الخاطفة والصواعق المخيفة وهم في ذلك تزاولون غمرات الموت
حصل في نفسك حالة تعرفك حال المنافقين على وجه تتقاصر عنه تشبيه تلك المفردات
بمقابلاتها بحيث لا يبقى لك مجال الريب ان الله على كل شيء قدير دليل على ان لو شاء
لذهب بسمعهم لانه شيء من الاشياء داخل تحت هذا العموم والشيء وما يرادفه اعم وجودا
من كل اعم كما ان لفظ الله اشد خصوصا من كل خاص والمعدوم ليس بشيء بمعنى انه
لا تقرر له ولا ثبوت بدون الوجود والمعتزلة قالوا به في المعدوم الممكن ولغة يطلق على
كل ما امكن ان يخبر عنه ويتصور حتى المحال وهذا هو المناسب للمقام ويخرج عنه المحال
بقرينة العقل كخروج الواجب عن قوله والله خالق كل شيء ولا حاجة الى ان يقال كل ما شاء
فهو موجود في الجملة لانه قبل تعلق القدرة والمشية وحين التعلق ليس بموجود ولا شيء وبعده
لا تعلق والقدرة صفة حقيقية تقتضي التمكن من الايجاد وليست نفس التمكن ولا نفي
العجز عنه والقادر هو الذي ان شاء فعل وان لم يشا لم يفعل والقدير كامل القدرة البالغ

لغاية

نهاية القوة ولذلك لم يوصف به غير الله يا ايها الناس اعبدوا ربكم لما ذكر الفرق
وعقايدهم ونتايج اعمالهم ورغب ورهب بما لا مزيد عليه اقبل عليهم مخاطبا لينزل مرارة
التكليف بلذة الخطاب كما هو داب السيد الرؤف ويا حرف ينادى به البعيد ونداء الله
به عباده وهو اقرب من حبل الوريد لاظهار الكبرياء وبعد مقام الربوبية ونداء العبد به
مولاه لاستقصار نفسه عن مقام القرب واي اسم مبهم جعل وصلة الى نداء ذي اللام
لعدم جواز اجتماع اداتي التعريف واقحم الهاء عوضا عن المضاف اليه لكون اي لازم
الاضافة ونداء الله رسله وساير عباده بهذا لان اوامره ونواهيه امور عظام من حقها
ان يقبل عليها المنادي بشراشره والنداء على هذا الوجه مستقل باوجه من التاكيد تكرر الذكر
والايضاح بعد الابهام وكون اللفظ موضوعا للبعيد واقحام حرف التنبيه والناس اسم
جمع والجموع واسماؤها المحلاة للعموم حيث لا عهد علم ذلك من موارد الاستعمال فيعم
الموجود وقت النزول بشرايط التكليف ومن سيوجد لبقاء شرعه الى اخر الدهر وعموم مقتضى
خطابه وما روي عن علقمة والحسن ان يا ايها الناس مكي لم يصح نقله مع الاتفاق على
ان السورة مدنية ولو صح لم يقدح في عمومه والعبادة المامور بها اعم من فعل القلب والجوارح
فتعين بحسب المخاطب كما تقول لجماعة احدهم لا يصلي والاخر لا يصوم والثالث لا يحج اعبدوا
الله وان حصلت بفعل الجوارح فالمومن مامور بزيادتها والكافر بايقاع الشرط اولا ثم
بالمشروط ثانيا لان الامر بالشيء امر بما لا يتم الا به كالمامور بالصلوة فانه مامور بالوضوء واختيار
الرب بين اسمائه الحسنى للدلالة على ان الامر بالعبادة تربية وايصال الى الكمال وان كان
شاقا على النفس وقيل لان الموجب للعبادة هي التربية الذي خلقكم صفة مادحة لانه الرب
المتفق على الوهيته بين الفريقين وكذا ان خص الخطاب بالمشركين لانه رب الارباب
ويجوز ان يكون مخصصة لاطلاقهم الرب على الهتهم والخلق هو الايجاد على تقدير واستواء
يقال خلق النعل اذا قدرها والذين من قبلكم من الامم فيه تغليب لانه موضوع لجمع الذكور
فلا يتناول غير الانسان فضلا عما يتقدمه بالذات او بالزمان ولو جعل متناولا لغير العقلاء
ايضا تغليبا فلا معنى للتقدم ذاتا وقرا زيد بن علي من قبلكم على ان من موصولة فيكون
تاكيدا بالمرادف او موصوفة خبر مبتدا والجملة صلة الذين لعلكم تتقون موضوع لانشاء
توقع مرغوب ويسمى ترجيا او مرهوب ويسمى اشفاقا وكل منهما اما راجع الى المتكلم وهو الاصل
لان المعاني قايمة به او المخاطب لانه متلبس بالكلام تلبسا تاما وقد يرجع الى غيرهما كمن الاول
لعل زيدا اكرم مني ومن الثاني فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ومن الثالث قوله
فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك اي بلغت من الحرص على ايمانهم مبلغا يرجون ان
تترك بعض ما يوحى اليك وقد جاءت في كلامه تعالى للاطماع على داب الملوك في المواعيد
المقطوع بايجازها من الاقتصار على لعل وعسى دلالة على انه لا فرق بين الجزم وغيره في كلامهم
مع الايماء الى انه لا ينبغي الاتكال بل على العباد الاجتهاد وما في الاية ليست من تلك المعاني

في شئ لان الرجاء من علام الغيوب المطلع على عواقب الامور محال وكذا من المخاطبين
لان حال خلقهم لا شعور لهم بالتقوى ولا مجال للاشفاق وكذا للاطماع لان التقوى
من افعالهم شاقة عليهم فهي مجاز عن الطلب لانه لا يستلزم حصول المطلوب او عن ترتب
الغاية على ما هي ثمرة له لان تعليل افعاله بالحكم والمصالح بمعنى انها نهاية كمالية افضى
اليها فعل الحكيم تعالى هو الحق الذي لا مرية فيه وانما المنفي عن فعله هو الغرض الباعث
الذي لولاه لم يقدم على الفعل على ان طائفة من الاصحاب رضي الله عنهم قد جوزت
ذلك فان قلت هلا تحمله على ترجي العباد متعلقا باعبدوا اي اعبدوه راجين وصولكم
الى التقوى التي هي اعلى مراتب العبادة او بخلقكم على انه حال مقدرة اي خلقكم مقدرا رجاءكم
للتقوى كما في قوله وبشرناه باسحق نبيا اي مقدرا نبوته قلت لان تعلقه باعبدوا يستلزم
توسط الحال من فاعله بين وصفي مفعوله فان الذي جعل لكم الارض فراشا صفة لربكم
معنى وان رفع او نصب على المدح واما تقدير الرجاء حين الخلق ففيه ان المقدر اذ ذاك هو التقوى
لقوله وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولان كثيرا من الناس لا يخطرون التقوى بالبال
فضلا عن رجائها فكيف يقيد الخلق بتقدير الرجاء والآية دلت على ان الطريق الى معرفته تعالى
هو النظر في الانفس والآفاق وان العبد وان بلغ نهاية الامر وهي التقوى لا يستحق اجرا على مولاه
لان النعم السابقة تفوق عمله فهو عاجز عن شكر بعضها بل التوفيق للشكر نعمة اخرى تقتضي
شكرا اخر وهلم جرا اذ كان شكري نعمة الله نعمة مجددة كيف السبيل الى الشكر الذي جعل لكم الارض
فراشا اشار الى بعض اصول النعم وقدم الارض لان وجود المتمكن بدون المكان بديهي
الاحالة وجعل يكون بمعنى صار وبمعنى خلق نحو جعل الظلمات والنور وبمعنى صير كما في الآية
ومعنى الفراش كونها لينة مبسوطة تصلح للقعود والنوم عليها وكريتها ان ثبتت لا تنافي الفراش
لانها لعظم جرمها الجوانب البارزة لا يخرجها عن الكرية والسماء بناء قبة مضروبة عليكم السماء جنس
يقع على الواحد والمتعدد وقيل جمع سماءة والبناء مصدر سمي به المبني قبة او بيتا او خباء ومنه
بنى على امرأته لانهم كانوا اذا اعرسوا بنوا عليها قبة وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم ايجاد الاشياء بقدرته تعالى لكن جرت عادته بربط بعض الاشياء باسبابها
من ذلك جعل الماء سببا لما يخرج من الارض من الثمار والحبوب وساير انواع النبات كقوله
فاخرجنا به ازواجا من نبات شتى بان اودع في الماء قوة فاعلة وفي الارض قوة قابلة وله
تعالى في ذلك الجعل ونقل الاشياء في الاطوار مدرجا لها من حال الى حال حكم وعبر للنظار بعين
الاعتبار والاستبصار ومن تبعيضية لشهادة النظاير فاخرجنا به من كل الثمرات فاخرجنا به
ثمرات ولان المكتنفين به منكران وهما الماء والرزق ولانه الواقع اذ لم يخرج بالماء المنزل
كل الثمرات وكم من ثمرة بعد في حيز الامكان وكذا المنزل بعض الماء فالمعنى اخرج لكم شيئا
من الثمرات لاجل ان يرزقكم فرزقا مفعول له او مفعول مطلق لاخرج لانه بمعنى رزق
ولكم ظرف لغو ويجوز ان يكون بمعنى المرزوق نصبا على الحال او ان يكون بيانا فرزقا مفعول

لاخرج

لاخرج على ان المراد به العين ولكم ظرف مستقر صفة ومن الثمرات بيان له مقدم فصار حالا
اي اخرج مرزوقا لكم هو الثمرات ولا فرق بين جمع القلة والكثرة اذا عرفا في مقام الاستغراق على
انهما يتعارضان كما في كم تركوا من جنات وثلاثة قروء لا سيما والثمرة اريد بها الكثرة لا الوحدة
كقولك ادركت ثمرة بستان فلان فيكون ابلغ ولا اقل من المساواة فلا تجعلوا لله اندادا
متعلق باعبدوا لان العبادة شاملة للتوحيد كانه قال امركم بالعبادة فلا تشركوا به شيئا لان
اصل العبادة واساسها هو التوحيد وقيل نهي معطوف على الامر عليه وفيه ان الاولى الواو بدل
الفاء كقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وقيل نصب بتقدير ان وليس بشيء لان شرطه
كون الاول سببا للثاني والعبادة لا تكون سببا للتوحيد الذي هو اساسها او نصب
بلعل انتصاب اطلع به في قوله لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى
وانما يصح باعتبار صورة لعل لانه مجاز عن الطلب كما صح نظيره في ليت بدون التمني كقولك
لن تمكث ثمة ليتك تحدثني فنفرح بهمي وهذا معنى حسن لاشتماله على التنبيه على تقصيرهم وان
المطلوب منهم في صورة المرجو او بالذي جعل اذا رفعته خبر مبتدأ كانه قيل هو الذي حفظكم
بدلايل التوحيد فلا تشركوا به واما اذا نصبته على الاختصاص فلا اذ لا معنى لقولك اعني الذي
جعل كذا وكذا فلا تشركوا به وكذا ان جعل وصفا والند هو المثل المخالف المنادي من ند البعير
اذا شرد فهو كالضد لفظا ومعنى والمشركون لم يدعوا في الاوثان الاستقلال بالالوهية بل
كان زعمهم انها شفعاؤهم عند الله ولكن لما سموها آلهة وعظموها بالتقرب اليها وتعفير الجباه
لها واثبتوا لها الضر والنفع اشبهت حالهم حال من يعتقد انها ذوات واجبة بالذات
لها خواص الالوهية فتهكم بهم وشنع عليهم بانهم اثبتوا لمن لا ند له اندادا وفي ذلك قال موحد
الجاهلية زيد بن عمرو بن نفيل اربا واحدا ام الف رب ادين اذا تقسمت الامور تركت
اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل البصير وانتم تعلمون حال من فاعل فلا تجعلوا
والمفعول متروك نسيا اي والحال انكم من اهل العلم والمعرفة لا يشق غباركم او محذوف
اي وانتم تعلمون ان هذه الجمادات لا تماثله ولا تصلح للالوهية والاول ابلغ وما دل على الوجهين
الغرض منه التوبيخ لا تقييد الحكم فان العالم والجاهل سواء في توجه التكليف هذا وفي تفصيل تفصيل
آيات الآفاق اشارة الى ما اجمل من خلق الانسان في خلقكم فان الارض مثال للبدن
والسماء للنفس والماء للعقل والثمرات للفضايل النظرية والعملية الحاصلة من استعمال
العقل الحواس وازدواج القوى النفسانية والبدنية ولما قرر ادلة الصانع والتوحيد بآيات
الآفاق والانفس على وجه دلت على ثبوت صفات الكمال ونعوت الجلال افاض الى
تقرير اثبات نبوة رسوله ومبلغ احكامه الداعي الى توحيده بقوله وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة معجزاته وان فاتها الاحصاء اكثرها الا ان القران اعظم
معجزاته لكونه باقيا على وجه الدهر الى آخر الزمان مع انبائه عما كان وما يكون وهو ادفع
للريب وادحض للشبهة لانه لسان من تحدى به فارشدهم الى كيفية تعرفهم حاله هو من عند الله

كما يدعيه ام من عند نفسه كما يزعمون بان يجربوا انفسهم في الاتيان بمقدار اقصر سورة منه
لانهم اهل جلدته المتكلمون بلغته فاذا عجزوا عن آخرهم ظهر انهم كابروا وخالفوا مقتضى العقل
كما جحدوا التوحيد هوى وعنادا وانما اثر التنزيل على الانزال لانه مناط قدحهم ومحل ارتيابهم
حيث جاء على نمط خطبهم ورسايلهم واشعارهم وقالوا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة
فقيل لهم ان ارتبتم فأتوا باقل نجم منه فانه ايسر عليكم فالذي اتخذوه ريبة قادحة جعل ذريعة
الى كونه حقا لا نجوم حول حماه شك وفيه غاية الالزام والتبكيت والسورة طايفة من القرآن
ملقبة باسم خاص هو علم لها كسورة الفاتحة والاخلاص لا يراد آية الكرسي والمداينة
لانه مجرد اضافة لم يبلغ حد العلمية مأخوذة من سور البلد لانها طايفة محوزة على حيالها كالبلد
المسور او من السورة بمعنى الرتبة كما في قول النابغة ولرهط حراب وقد سورة في المجد ليس
غرابها بمطار فانها منازل ومراتب للقاري او لانها في نفسها منازل ومراتب في الطول
والقصر والاحكام بعضها فوق بعض ان رتبة قل هو الله من تبت ونظايرها وقيل من السور
مهموزا وهو بقية الشيء وليس بقوي لفظا اذ لم يقرأ به ولان فضلة الشيء وبقيته تنبي
عن القلة والحقارة وهو بالاكثر ولا ذهاب منه الشيء ما والحكمة في تفصيل القرآن سورا افراد الانواع
وتلاحق الاشكال وتنشيط القاري والترغيب فيه وتسهيل الحفظ فانه اذا ختم سورة نفس
لذلك كالمسافر اذا قطع مرحلة او ميلا او فرسخا الى غير ذلك من الفوايد من مثله صفة
سورة والضمير لما نزلنا ومن بيانية لان السورة المفروضة التي بها تعلق الامر التعجيزي مثل المنزل
في حسن النظم وغرابة البيان وقيل تبعيضية وفيها ايهام ان للمنزل مثلا عجزوا عن الاتيان
ببعضه ولعبدنا فمن ابتدائية لان السورة المفروضة مبتداة ناشية من مثل العبد وعلى هذا
يجوز ان يكون الجار متعلقا بفأتوا والعبد مثلا في البشرية والعربية والامية فيجوز قصد
التعجيز باعتبار المأتي به وهي السورة من مثله الموجود واما اذا عاد الضمير الى المنزل تبادر منه
ان له مثلا محققا والعجز انما هو عن الاتيان بشيء منه هذا والاوجه رد الضمير الى المنزل لموافقة
النظاير فأتوا بسورة مثله فأتوا بعشر سور مثله ولانه الذي سيق له الكلام واقتضى المقام لغرض
الارتياب فيه وذكر العبد رافع بالعرض ولان في عود الضمير الى العبد ترك التصريح بان السورة
المأتي بها يجب ان يكون مماثلة للمنزل نظما واسلوبا ولان الجم الغفير اذا خوطبوا بالاتيان
بمقدار اقصر سورة كان ابلغ في التحدي من ان يقال لهم ليأت واحد منكم بنحو ما اتى به هذا الواحد
وهو الذي يلايم قوله وادعوا شهداءكم من دون الله دون ظرف مكان مثل عند وفيه
معنى القرب والدنو لتوافقهما في الحروف الاصول فمعنى دون زيد اي في مكان منه فاستعير
لتفاوت الرتب ثم اتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد والجار متعلق بادعوا او بشهداءكم
فان تعلق بالثاني فالمراد بالشهداء الاصنام اي ادعوا الاصنام التي اتخذتموها آلهة
تشهد لكم يوم القيمة او ادعوا التي تشهد لكم يوم القيمة بين يدي الله بانكم على الحق كقول
الاعشى تريك القذى من دونها وهي دونه اي قدامها ومن في الاول ابتدائية فان الحا

ابتدا

ابتداء من التجاوز والمجرور في محل النصب على الحال وفي الثاني تبعيضية لان الفعل واقع في
بعض جهة القدام كقولك جلست من حلفك والظرف لغو وعلى الوجهين تهكم بهم حيث امروا
بان يستظهروا في معارضة القرآن الذي اخرس كل منطيق بالجماد او شهداءكم من دون الله
من دون اولياء المؤمنين وهم رؤساؤكم ووجوه المشاهد وفرسان البلاغة بديدان
امر الاعجاز في الظهور بلغ مبلغا لا يرضى هؤلاء المعروفون بالمحامات والذب عنكم في المهمات
لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد واستقامة المحال الجلي احالته فالجار والمجرور في محل الحال ومن
ابتدائية ايضا وان تعلق بالدعاء فالمعنى ادعوا اولياءكم وهم زعماء القوم متجاوزين اولياءه
فانهم يشهدون عليكم لا لكم ومن للابتداء والظرف مستقر او ادعوا شهداءكم من الناس في
تصحيح دعواكم كما هو المتعارف في اثبات الحقوق عند الحكام ولا تقصروا على قولكم الله يعلم
يشهد انا الصادقون كما هو ديدن المبطل في الدعاوي قيل لرجل من العرب كيف نسبك
قال علوي الحمد لله فقيل له قولك الحمد لله ريبة في نسبك او ادعوا من حضركم من الانس والجن
ليأتوا بمثله متجاوزين الله فانه مم حضركم لا يستعينوا به فانه المنفرد بالقدرة على الاتيان بمثله
وهذا ارجح الوجوه الذي يشهد له قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ومن في هذين الوجهين ايضا ابتدائية
والظرف مستقر وقد يقال من في الوجوه كلها بمعنى في كما في ساير الظروف اللازمة التي يكون
منصوبة على الظرفية ابدا ولا يجر الا بمن ان كنتم صادقين في انه كلام البشر وجوابه محذوف دل
عليه ما قبله والصدق الاخبار عن الشيء على ما هو عليه فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار
التي وقودها الناس والحجارة اي ان جربتم قواكم واستبان لكم العجز فاتركوا العناد فعبر عن
الاتيان بالفعل تعبيرا عن الملزوم باللازم على طريقة الكناية ايثارا للايجاز الذي هو حلية
القرآن كما اذا عدد عليك صاحبك جملة من الافعال مستكثرة تقول في جوابه نعم ما فعلت
وكذا عن ترك العناد باتقاء النار لان من اتقى النار ترك العناد فهو من لوازمه وروادفه
وكان الظاهر اذا انه كلام الله ابتداء وعدم الاتيان مقطوع به وانما آثر ان اما سوقا للكلام
على حسب حسبانهم قبل التأمل واغترارهم بما كانوا فيه من الفصاحة والبلاغة او على طريقة التهكم
كما يقول المدل بقوته لمن دونه ان غلبتك ماذا تقول ولن كلمة مقتضية لنفي المستقبل مع
التأكيد وعن الخليل ان اصلها لا ان وعن الفراء لا ابدلت الالف نونا والواو اعتراضية
والجملة الاعتراضية لا محل لها من الاعراب لعدم وقوعها موقعا يستحق الاعراب وهو
موقع المفرد وفي الآية دليلان لاثبات النبوة ظهور كون المتحدى به معجزا والاخبار بالغيب
اذ لو عارضوه لنقل لتوفر الدواعي واذا عجز الذين قالوا لو نشاء لقلنا مثل هذا فمن
بعدهم اعجز والمخاطب شرطا ان يكون عالما بمضمون الصلة والصفة ولذلك اشتهر
ان الصفات قبل العلم بها اخبار كما ان الاخبار بعد العلم بها اوصاف فالمخاطب بهذه
النار المشركون وقد سمعوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم او اهل الكتاب نارا موصوفة

او من آية التحريم ان تقدم نزولها والمخاطب باية التحريم المؤمنون وقد علموا الوصف بالسماع
من رسول الله صلى الله عليه وسلم والتنكير تارة والتعريف اخرى تفنن فلا وجه للقول بان آية
التحريم مكية لاتفاق الثقات على انها مدنية من غير استثناء شيء منها والوقود ما يوقد به ولما
قرن بين الناس والحجارة جمعا بين العابد والمعبود لقوله انكم وما تعبدون من دون الله
حصب جهنم زيادة في تحسرهم لانهم كانوا يعبدونها لدفع العذاب اعدت للكافرين
هيئت وجعلت لهم عدة صلة بعد صلة بلا عاطف على قياس الاخبار والصفات او حال من
النار بتقدير قد او استيناف وفيه دلالة على ان النار مخلوقة وانها بالاصالة للكفار
وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار عقب
ذكر الاشقياء وما اعد لهم بذكر السعداء وما لهم من النعم والالاء كما اشير اليه سابقا من جريان
سنة الله تعالى بالمقارنة بين الاضداد والمقابلات تنشيطا لاكتساب ما يزلف وتثبيطا
عن الاقدام على ما يتلف وهو من عطف القصة على القصة فالتناسب في الغرضين بالضدية
وهما عقاب الكفار وثواب المؤمنين كاف في حسنه وقيل عطف على فاتقوا النار وفيه
ان التقدير اذا فان لم تفعلوا انتم ايها الكفار فبشر انت يا فلان ولا ارتباط بينهما لان
عطف الامر لمخاطب على الامر لمخاطب آخر انما يحسن اذا صرح فيه بالنداء وقيل عطف على
قل مقدرا قبل يا ايها الناس اي قل كذا وكذا وبشر وفيه ان قوله وان كنتم في ريب مما
نزلنا على عبدنا لا يصلح ان يكون مقولا للعبد الا باجرائه على طريقة كلام الامر وفيه تكلف
وقيل عطف على مقدر بعد اعدت اي فانذر الذين كفروا بتلك النار وبشر الذين آمنوا
والاول هو الوجه والبشارة هو الخبر السار لانه تظهر به السرور على البشرة ولذلك لو قال من
بشرني من عبيدي بقدوم زيد فهو حر فبشروه مرسلا لم يعتق دون الاول بخلاف ما اذا قال
من اخبرني فانهم يعتقون والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والعالم في كل عصر ولكل
من يتأتى منه البشارة وهذا ابلغ وعطف الصالحات على الايمان دل على عدم دخولها فيه
واما ترتب الثواب عليهما فللترغيب في الاعمال الصالحة الا ترى كيف رتب على مجرد الايمان
في قوله وبشر الذين آمنوا ان لهم قدم صدق وقوله وبشر المؤمنين واستغراق الجمع كالمفرد
في تناول كل فرد فرد ولا يلزم منه ان يأتي كل احد بكل العبادات بل يختلف باختلاف
احوال المكلفين من الغنا والفقر والاقامة والسفر وفيه شائبة توزيع والعمل الصالح ما ورد الثناء
عليه من الشارع فخرج المباح وان كان حسنا شرعا والجنة اسم لدار الثواب سميت بذلك
لاستتار ارضها بالاشجار او لاستتار ما فيها من النعيم وهي اسم للقدر المشترك لها مراتب
متفاوتة بقدر الاستحقاقات فلكل طبقة من العاملين جنات واقعة في مرتبة واحدة فالتنكير
للتنويع واعلى المراتب الفردوس في الحديث اذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فانه اوسط
الجنة نسأل الله ان يجعلنا من سكانه بفضله واحسانه ومعنى جري الانهار تحتها جريها
تحت اشجارها النابتة على شطوطها كما هو المتعارف في بساتين الدنيا والنهر بسكون الهاء

والفتح

والفتح اكثر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر واسناد الجري اليه مجاز واللام
فيه للجنس من غير نظر الى عموم او خصوص كما في اهلك الناس الدينار والدرهم او بدل الاضافة
او للعهد تقديرا او تحقيقا ان سبق نزول قوله وانهار من ماء غير آسن وهذا احسن لانه الاصل
لا سيما اذا لم يقصد الاستغراق كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا صفة ثانية لجنات بدون العاطف
او استيناف لانه لما ذكر ان لهم جنات لم يخل خلد السامع من ان يقع فيه التردد في حال
تلك الثمار وهل تشبه ثمار الدنيا ام لا وهذا هو الوجه لما علم من فوائد الاستيناف والاستقلال
بالفائدة ولان الاعتراض في قوله واتوا به متشابها على هذا اوقع لانه يؤكد ما سبق له الكلام بخلاف
ما اذا كان صفة تابعا ومن في الموضعين للابتداء والمعنى ان الفعل المطلق وهو الرزق جعل
مبتدئا من الجنات وبعد تقييده بالابتداء منها جعل مبتدئا من الثمرة والمراد بها النوع لا الفرد
اذ لا معنى لابتداء الرزق من البستان من تفاحة واحدة لانه يوجب ان يكون المرزوق
قطعة منها ليكون من الابتداء وكلا الظرفين لغو ويجوز ان يكون من ثمرة بيانا فالظرف الاول
لغو والثاني مستقر وقع حالا من رزقا فانه مفعول ثان لرزقوا في الوجهين وعلى هذا يجوز حمل الثمرة
على النوع والفرد لان كل فرد مرزوق قالوا هذا الذي رزقنا من قبل اي في الدنيا وجعل
اداة التشبيه لاستحكام الشبه كقولك زيد اسد ويجوز ان يكون اشارة الى النوع دون الحاضر كقولك
مشيرا الى الماء الجاري هذا الماء لا ينقطع واتوا به متشابها معترضة ان جوز الاعتراض في آخر
الكلام والا فتذييل والتشابه يقتضي التعدد فالضمير راجع الى جنس المرزوق الشامل للنوعين كانه
قيل اتوا به متشابها نوعاه النوع الذي في الدنيا والنوع الذي في الاخرة ولا يلزم ان يكون الاتيان
بهما في الاخرة بل الاتيان بالاخير كاف في ذلك نظرا الى ان تمام الاتيان به ويجوز ان يكون
الضمير للرزق والمعنى اتوا المرزوق الجنة متشابه الافراد والاول هو الوجه الملايم لاعجاز التنزيل
لاشتماله على بدايع نكت بقاء الكلمة على عمومه اذ في الوجه الثاني يختص بما عدا المرة الاولى وبقاء الكل
على اطلاقه ولان الابتهاج والاغتباط انما يحصل اذا كان التشابه بين ثمار الدنيا وثمار الجنة
ولان التشابه في الحقايق مع اختلاف الصفات اتم في باب التشابه ولان عدم الاستيناف
متعين في الوجه الثاني فتفوت تلك الفوائد وهذه عدة فوائد يكفي كل واحدة عدة لاولوية الاول
ولهم فيها ازواج مطهرة الزوج قرين الشيء من جنسه ليشمل الذكر والانثى والتطهير يشمل الانجاس
والادناس الطبيعية بحسب العرف بل هو في تطهر الاخلاق عن الرذايل اشهر وايثاره على الطاهرة
لدلالته على ان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله ففيه من الفخامة ما ترى وهم فيها خالدون
هذا رأس النعم ونهاية السعادة لا طيب للعيش ما دامت منغصة لذاته بادكار الموت والهرم والخلد
هو البقاء مع الدوام وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وتقديم الظرف للاختصاص والتقييد بالابد
في موافقة تأكيد كساير التأكيدات واستبعاد بقاء البدن مؤيدا قصور والله على كل شيء قدير مع ان
احوال تلك الدار غير قياسية ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة لما ذكر الكتاب ومن
انتفع به ومن لم ينتفع اردفه باثبات وجود الصانع وحقية الكتاب ونبوة من اتى به لئلا يكون الكلام

خطابيا ورتب عليه وعد المنكر ووعد المقر ازاح عن طريق المسترشد ما عسى ان يعتريه من شبه
المنكرين وساقه مساق امر واضح البطلان عند كل ذي بصيرة في صورة من الصور ليكون
منادا له ومعيا بسائر الشبه وفيه تحقيق لما تقدم من انه هدى للمتقين دون غيرهم
وانما قطع عما قبله لانه باب براسه وكانت شبهة هولاء السفهاء انهم قالوا كيف يكون
كلام الله وفيه ذكر الذباب والعنكبوت اين مقام الربوبية عن حقارة هذه الاشياء
وعميت بصيرتهم عن ان الضارب للمثل غرضه الذي يرميه ايضاح القصة المشبهة وارائة
المعقول في صورة المحسوس كشفا عن حقيقة الحال فهو ينسج على منوال ذلك الغرض ولا عليه
من كون الممثل به جليلا او حقيرا ولما كانت الجمادات التي يتخذونها اندادا من دون الله
لا يتوهم منها اصابة نفع ولا دفع ضر فهل يوجد في الاذهان بشيء يضرب المثل به في شانها
احرى واولى من بيت العنكبوت في الوهن والضعف وعدم مقاومة الذباب والحياء
امر وجداني غني عن التعريف من حيث الماهية كسائر الوجدانيات وقد نبه عليه بانه
تغير وانكسار يعتري الانسان خوف اللوم لئلا يلتبس ببعض الوجدانيات فلا يرد
انه قد يكون لاحتشام من يستحيي منه ولما كان محالا على الله اريد به لازمه وهو الترك او جاء
على طريقة التمثيل كما تقدم في الرحمة والغضب وما في الآية من قبيل لا تاخذه سنة ولا نوم
ولم يلد ولم يولد فلا يحتاج الى تاويل وانما يحتاج اليه ما في الحديث ان الله حيي كريم يستحيي
اذا رفع العبد اليه يديه ان يردهما صفرا وان يضرب اما مجرور المحل باضمار من او منصوب بافضاء
الفعل والضرب لغة هو الاعتماد المولم وضرب المثل اعتماده من ضرب اللبن ومن الله تعالى
صنعه وايجاده وما ابهامية تفيد توكيدها افادة تنكير ما قبلها كانه قيل مثلا اي مثل كان
في الحقارة او صلة للتاكيد نفسه لا للشيوع كما في فبما نقضهم وفبما رحمة كانه قيل ان الله
لا يستحيي ان يضرب مثلا البتة وانتصاب مثلا وبعوضة على المفعولية لما في الضرب من
معنى الجعل والتصيير وقدم الثاني على الاول اهتماما واشتقاق البعوض من البعض وهو
القطع كالبضع لانها تقطع الجلد فما فوقها اي في الحقارة والعلة وقد ضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم جناحها مثلا للدنيا او في العظم والجرم كالذباب والعنكبوت لانهما سبب
النزول والاول هو الوجه لان المعنى الذي سيق له الكلام المفيد للمبالغة في الرد في احتمال
المعنيين حديث عائشة الذي رواه مسلم ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتب له بها
درجة ومحيت عنه بها خطيئة فاما الذين آمنوا اما حرف وضع للتفصيل فقد يكون لمجمل سابق
كقولك جاء القوم اما العلماء فكذا واما الزهاد فكذا وقد لا يذكر القسم ويكتفى بما يقوم مقامه
اشارة الى ان ما دخلت عليه هو المقصود الذي سيق له الكلام كقوله تعالى فاما الذين في قلوبهم
زيغ مع قوله والراسخون لان الغرض ذم الزايغين وقد يكون تفصيلا لما في الذهن مع
سبق ما يدل عليه بوجه كما في الآية فان قوله ان الله لا يستحيي دل على ان ثمة من داخله
شبهة وبدونه كما في صدر الكتب والرسائل وفائدتها التوكيد لما في التفصيل بعد الاجمال من الدلالة

على الاعتناء بشان المذكور بعدها ولما دلت على ان المذكور بعدها هو المختار والمقصود من
بين الاشياء لا محالة كيف كان ولم يكن للشرط معنى غير ربط امر بآخر قيل انه حرف فيه
معنى الشرط ولما لزمت طريقة واحدة التزم حذف الفعل كما التزم حذف متعلق الظرف
في نحو زيد في الدار وقدم جزء مما في حيزها تعويضا عن المحذوف وتنبيها على انه النوع المراد تفصيله
جنسه من مصدر او ظرف او ذات او غير ذلك وقول سيبويه اما زيد فمنطلق مهما يكن من شيء
ايضاح لمعنى التفصيل واشارة الى وجه كونها حرفا فيه معنى الشرط فلا يتوهم منه كونها اسما
عنده ليحتاج الى التمحلات فيعلمون انه الحق من ربهم اي الثابت الذي لا يجوز انكاره لما علم
من فوايده والضمير للمثل او لان يضرب واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد الله بهذا مثلا
كان الظاهر فلا يعلمون ليطابق قرينه والعدول الى المنزل ايثار للكناية ليكون برهانا على
جهلهم ولما في ماذا من التعجب في هذا من الاسترذال كما في قول عائشة رضي الله عنها عجبا
لابن عمرو هذا حين افتى بنقض الضفاير للنساء في الغسل وفي ماذا وجهان الاول ان يكون ما
استفهامية وذا بمعنى الذي وما بعده صلة والمجموع خبر ما والثاني ان يكون ما مع ذا اسما واحدا بمعنى
اي شيء منصوب المحل على المفعولية والاحسن في الجواب على الاول الرفع وعلى الثاني النصب
وجوز العكس اذا اتفق السائل والمجيب في الفعل وكان السوال في المتعلق ففي مثل قوله
ماذا انزل ربكم قالوا اساطير الاولين متعين الرفع وهذا الجنب لاصل لان ما في الآية ليس
على معنى الاستفهام وارادة الله تعالى صفة حقيقية ترجح احد طرفي المقدور وتخصصه بوجه وتفسيرها
بالترجيح تسامح ثم الترجيح ان كان مع ميل الى التفصيل يسمى اختيارا ومثلا منصوب على التمييز او الحال كقوله
ناقة الله لكم آية يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا استيناف جار مجرى الاعتراض تتميما للبيان
او عطف بيان يقرر ان كلا من الفريقين موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا هدى
كما ان الجهل بحسن موقعه ضلال وقيل جواب ماذا والعدول الى الفعل للدلالة على التجدد
والحدوث وفيه ان الاستفهام ليس على اصله ليقتضي الجواب وكثرة المومنين بالذات وفي
انفسهم وان قلوا في مقابلة الضالين فان كلا من القلة والكثرة تعتبر بالذات وبالاضافة
او وان قلوا كما فهم كثيرون كيفا فلم ار امثال الرجال تفاوتت لدى المجد حتى عد الف
بواحد والاستدلال على قلتهم بقوله وقليل من عبادي الشكور غير سديد لان المراد به البالغ
في الشكر غايته وما في الآية مجرد الايمان بما انزل لقوله فاما الذين آمنوا وما يضل به الا الفاسقين
الخارجين عن الايمان لانصراف المطلق الى الكامل بقرينة المقام والفسق لغة الخروج
ومن ارتكب كبيرة مجمعا عليها فهو فاسق يقطع بدخوله الجنة لقوله يخرج من النار من كان
في قلبه وزن ذرة من ايمان ومن قال مرتكب الكبيرة كافر او خارج عن الايمان غير داخل
في الكفر فقد ضل سواء السبيل بقدحه فيما تواتر عن خاتم الرسل وخرق اجماع خير القرون
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل الذين ينقضون عهد الله صفة الفاسقين والنقض
فك التركيب وتحليل اجزائه واكثر ما يستعمل في طاقات الحبل واستعماله في العهد على طريقة الاستعارة

بان شبه العهد الذي هو سبب الوصلة بين المتعاهدين بالحبل الذي هو سبب الوصلة بين الجسمين
واوقع النقض الذي من روادف الحبل عليه فالاستعارة في العهد مكنية وفي النقض تصريحية
تحقيقية لانه شبه ابطال العهد بابطال تاليف الجسم واطلق اسم المشبه به على المشبه وهي قرينة
استعارة الحبل للعهد وبه ظهر ان قرينة المكنية لا تلزم ان تكون تخييلية كما في اظفار المنية ويد الشمال
ولله مع عباده ثلثة عهود الاول عهده في عالم الذر على كافة الخلق حيث اشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى والثاني على الانبياء ان يبلغوا انباءه الى عباده واذ اخذنا من النبيين
ميثاقهم والثالث على العلماء الذين هم ورثة الانبياء واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب
لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقد يطلق على الامان واليمين والذمة والحفاظ وما في الاية هو الاول و
او الثالث والناقض احبار اهل الكتاب حيث كتموا نعت محمد وحرفوا الكلم من بعد مواضعها
وكذا من زاغ في اتباع المتشابه من غير تاويل دون الثاني لان النقض من الانبياء محال
من بعد ميثاقه مفعال بمعنى ما يوثق به من الوثاقة وهي الابرام والاحكام اما من الله
بالايات والكتب او منهم بالالتزام والقبول ويجوز ان يكون مصدرا والضمير على الوجهين
للعهد ومن ابتدائية وقد يستعمل بمعنى العهد كقوله وينقضون الميثاق واذ اخذ الله ميثاق
النبيين ويقطعون ما امر الله به ان يوصل يشمل كل قطيعة لا يرضاها الله تعالى من قطع
الارحام وموالاة المؤمنين والتفرقة بين الانبياء ولا تكرار لان الاول في العقايد وهذا في
الافعال والفروع والامر هو القول الجازم ويجمع على الاوامر وصيغته من نحو افعل حقيقة في طلب
الفعل استعلاء وقد يطلق على المامور به تسمية للمفعول به باسم المصدر فانه مما يومر به وشانا
لانه شئون اي مقصود ويفسدون في الارض بالمكنهم لاستبعادهم المسترشدين عن الايمان
اولئك هم الخاسرون لاستبدالهم الضلال بالهدى والنقض بالوفاء والفساد بالصلاح
والعذاب بالمغفرة واتبعهم في ذلك ضعفاؤهم فاولئك الذين خسروا انفسهم واهليهم
يوم القيمة كيف تكفرون بالله كيف يطلق في السؤال عن الاحوال كلها ولما كان الاستفهام
الانكار والتعجب والمقام مقام مبالغة افاد العموم كانه قال لا يجوز ان يكون لكفركم
حال ما توجد فيه وانكار احوال الشيء كلها انكار له بطريق البرهان اذ لا يعقل وجوده الا على حال
من الاحوال وكنتم امواتا ترابا ونطفا في اصلاب الاباء وعلقا ومضغا في ارحام الامهات
والموت لا يقتضي سبق الحيوة بل هو عدم الحيوة مطلقا لقوله فسقناه الى بلد ميت وكنتم كالاموات
في عدم الروح والاحساس فاحياكم عطفه بالفاء لعدم التراخي بين الموت واعطاء الحيوة
بخلاف الاماتة بعده والاحياء بعد تلك الاماتة ثم يميتكم ثم يحييكم في القبر او وقت النشور او اعم
منهما فان الفعل لا يدل على العموم وضعا ولا على المرة والقبر اول منازل الاخرة فيتبين الاحياء
من شدة ارتباطه والواقع حالا ليس الحمل على حدتها حتى يقال كيف صح وقوع الماضي
حالا ولا القصة من حيث هي حتى يقال بعضها ماض وبعضها مستقبل بل العلم بمضمون القصة
كانه قيل كيف يتصور منكم الكفر وانتم عالمون باول هذه القصة واخرها والاحياء ثانيا وان لم يعرف به

بعضهم

بعضهم جعلوا عالمين به للدلايل القاطعة ثم اليه ترجعون للجزاء وما عدد عليهم من الايات
مع كونها دلايل وايات وجود الصانع من اوايل النعم واعظمها فهي صارف قوي عن
الكفر من الوجهين والحيوة صفة يتبعها الحس والارادة ولا يشترط فيها وجود البنية وحيوة الله
صفة حقيقية توجب صحة العلم والقدرة وتفسيرها بصحة الاتصاف تسامح وانما التفت الى
الخطاب لانه ابلغ في التقريع وحمله على خطاب المؤمنين خاصة بعيد عن المقام وكيف يلائم
هذه المبالغة مع من مدح انفا بقوله فاما الذين امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم بعد تصدير
السورة باوصافهم الكاملة والحكم المترتب عليها وهو كونهم على هدى من ربهم واولئك
هم المفلحون وليس المساق للامتنان حتى يكون تعديد تلك الالاء امتنانا هو الذي
خلق لكم ما في الارض جميعا اي انواع ما تحتاجون اليه من اجزاء الارض من المعادن وما
عليها من الموجودات قبل وجودكم وهي مع كونها نعما دنيوية يحصل من النظر فيها معرفة
المبدا والمعاد وما فيهما من الانس واللذة يذكر بنعيم الاخرة وما فيهما من الهموم والوحشة
واسبابها لكانها انموذج عذاب الاخرة ثم استوى الى السماء الاستواء مشتق من السواء
وهو وسط الشيء حاقه والمراد انه بعد تمام خلق الارض وما فيها قصد ايجاد السموات من غير
ان يحدث شيئا اخر يقال استوى الى كذا كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا لا يلوي
الى غيره وثم على اصلها من التراخي زمانا لقوله في سورة السجدة خلق الارض في يومين
وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام ثم استوى الى
السماء فقضيهن سبع سموات في يومين ومن غفل عن هذا التفصيل جعل ثم للتراخي
رتبة لقوله والارض بعد ذلك دحاها وقيل الدحو متاخر عن خلق السماء لا عن التسوية وليس
بسديد لان قوله بعد ذلك دحاها اشارة الى السابق وهو رفع السمك والتسوية فان قلت
فما وجه قوله والارض بعد ذلك دحاها قلت وجه النصب بنحو تدبر او تذكر او اذكر الارض بعد ذلك
ثم شرع في تفصيل احوالها استينافا بقوله دحاها اخرج منها ماءها ومرعيها والجبال ارسيها متاعا لكم
ولانعامكم وفيه اشارة الى ان ايات الارض قاصر عن عجايب ملكوت السموات وما يروى
من ايجاد الجوهرة النورية والنظر بعين الجلال المبطن بالرحمة والجمال وذوبها وامتياز لطيفها
عن كثيفها وصعود المادة الدخانية وبقاء الكثيف ان صح فكل ذلك سابق على الايام
الستة فسويهن سبع سموات خلقهن سويات لا عوج فيها ولا فطور والضمير للسماء لانه
جنس وقيل جمع سماءة او مبهم وسبع سموات تفسيره وهذا اوجه لما فيه من الابهام والتفسير
كقولك ربه رجلا وبالمطابقة على ان الجمعية لم تثبت في عود ضمير جمع المؤنث الى الجنس
تكلف وهو بكل شيء عليم اعتراض او تذييل يقرر ما سبق اي لاجل كونه عالما بالاشياء
كلها دبر امر الكاينات من الارض والسموات على احسن نظام ومن كان علمه وقدرته
بهذا الكمال استبعاد الاعادة منه غاية الجهل ونهاية الضلال واسكن ابو عمرو وقالون
والكسائي ها هو وهي بعد الواو والفاء واللام لتنزلها منزلة الجزء بواسطة الاتصال فصار [illegible]

كعضد والمونث ككتف واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة ذكرهم
باجل ما انعم عليهم وهو تكريم آدم باسجاده سكان ملكوته له من الملا الاعلى والكروبيين
فان شرف الآبا سار في الذرية ولذلك لم يكن العلوية كفوا لغيرها واذ اسم بمعنى الوقت
الماضي يضاف الى الجملة بعدها ولذلك بني وانتصابه باذكر كانه قال اشكر النعم السابقة
واذكر وقت هذه التي لا نعمة فوقها لتعرف قدر ما انعم الله عليك والغرض الحث على
القيام بشكرها ومن جعله لازم الظرفية قدر الحادث كانه قيل اذكر الحادث في ذلك الوقت
ويجوز انتصابه بقالوا ويتعين ان يكون عطفه قصة على قصة مبتدأة من قوله كيف تكفرون
او من قوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا والملائكة جمع ملأك كالشمائل جمع شمأل
قال ولست بانسي ولكن لملأك تنزل من جو السماء يصوب وهو من الالوكة وهي
الرسالة لكونهم رسل الله الى البشر في تنفيذ اوامره وفي الفاء والعين قلب مكاني والميم
زائدة على انه موضع الرسالة او مصدر بمعنى المفعول وقيل لاك لغة اصلية فان ثبت
فهو اولى لسلامته من القلب وقيل من ملك والهمزة زائدة لدوران م ل ك مع القوة
والشدة كالملك والمالك وملك الطريق بالحركات الثلث معظمه والمعنى ظاهر
في الملائكة كلهم وكفاك كونهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون وكونهم وسائط في عجائب
ما يظهر في العالم السفلي والتا لتاكيد معنى الجمعية كالصيافلة وجاعل من جعل الذي
يتعدى الى المفعولين وهما في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والتا للمبالغة والمراد
ذرية آدم لقوله هو الذي جعلكم خلائف الارض ولانه لو اريد هو لم يكن لقول الملائكة اتجعل
فيها من يفسد فيها وجه وانما افرد باعتباره لانه الاصل الجامع كما يستغنى بذكر ابي القبيلة
كهاشم ومضر والمراد الخلافة في الحكم والانبيا خلفا الله على عباده يا داود انا جعلناك
خليفة في الارض ومن يسير سيرهم في اممهم فهم خلفا الرسل قالوا اتجعل فيها من يفسد
فيها ويسفك الدما عرفوا ذلك من الطبيعة البشرية لانه اخبرهم مفصلا كيفية خلقه من
تراب ثم من طين منتن ثم يصير كالفخار فيجتمع فيه العناصر الاربعة المتنافرة الطباع
او من اللوح او قاسوهم على من سكن قبلهم من الجن او من لفظ الخليفة ان اريد الخليفة
في الحكم لاقتضائه تقدم الظلم والتعدي والسفك والسفح اخوان وهو الصب بكثرة ونحن
نسبح بحمدك ونقدس لك الواو للحال والبا لاستدامة الصحبة والمعية والتسبيح تبعيد الله
عن كل ما لا يليق بجلاله والجمع بينه وبين التقديس للمبالغة وقيل التسبيح في الاعمال والطاعات
والتقديس في المعارف والاعتقادات وقيل لوحظ في الاول حال العارف لان
اصله من سبح الفرس اذا ابعد في الجري وفي الثاني حال المعروف لان التقديس هو التطهير
ولاح منه ان الثاني ابلغ لان متعلقه الذات ولما قابلوا بنهاية الافساد وهو السفك
بنهاية الاصلاح وهو التقديس نشأ منهم التعجب الذي بعثهم على السؤال عن الحكمة الخفية
قال اني اعلم ما لا تعلمون من المصلحة الراجحة وسيفصل بعضها وانما شاورهم ليكون المشاورة

سنة بين عباده لكونها فعل علام الغيوب ولئلا يعتريهم الشبهة وليعلموا ان الحكمة تقتضي
ايجاد ما يغلب خيره فان ترك الخير الكثير للشر القليل خارج عن الحكمة وقد استبان ان
سؤالهم كان سؤال الاستعلام لا غيبة وحسد واعجاب منهم لانهم معصومون عن الذنب
راسا لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وعلم آدم الاسماء كلها آدم كآزر
ونظائره اسما عجمية واشتقاقه من الادمة بمعنى اشتقاق العجمي من المصدر العربي غير بعيد وعلى
جواز الاشتقاق في سائر اللغات او توافق اللغتين بعيدة والتعليم كان بعد السجود
لقوله فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين وانما قدم لشدة ارتباطه
برد دعوى الملائكة وعدم علمهم بما احاط به علما والمعنى علمه اسما المسميات وحقايقها
ومنافعها وخواصها اذ الافضل يعتد به في العلم بمجرد الالفاظ واللغات ولذلك قدر بعضهم
حذف المضاف اي علمه مسميات الالفاظ وفيه ان التعليم والانبا لا يتعلق الا بالاسما
ولا يتوجه على الاول لان تلك الاحوال والخواص لها اسما ثم عرضهم على الملائكة اي
المسميات تغليب العقلا فقال انبئوني باسما هؤلا امر تعجيز ان كنتم صادقين
ان هذه الطائفة وجه الحكمة في خلقهم غير جلي اي من كان يزعم ان القيام بمعرفة الله
وطاعته على الكمال الاحوال من الجهات كلها من شانه وبه غنية عن غيره ينبغي ان لا يخفى
عليه مثل هذه الاشيا فحين خفي عليكم ذلك وعلمه آدم تبين لكم انه لم يكن مقصورا
على الافسا كما ظننتم بل كان مشرفا بشرف العلم محيطا باسما الاشيا ومسمياتها وخواصها
ومنافعها التي عليها مدار امر الخلافة واساس بنا العدل والحكم بين الناس فقد ظهرت
الحكمة في استخلافه واستحقاقه وقيل ان كنتم صادقين في زعمكم انكم احقا بالخلافة لعصمتكم
وان خلقهم واستخلافهم وهذه صفتهم لا يليق بالحكيم ويرد عليه ان الملائكة لم تزعم ولم
يعتقد ذلك وغاية الامر انهم استشكلوا القضية وارادوا الاطلاع على خصوص الحكمة وان
علموا انه تعالى شانه لا يخلو فعله عن حكمة بل حكم وكيف يخفى مثله على الكروبيين بل على
سيدهم وامام الملا الاعلى جبرائيل عليه السلام وهو الذي علم سيد الانام فان قلت
اذا كان السؤال عن الحكمة ولم يكن منهم زعم الاولوية فلم هذا التوبيخ والتعجيز وهلا
اخبرهم بالحكمة اذ سالوا عنها قلت لما قال لهم اني جاعل في الارض خليفة كان حال
قربهم منه وعلمهم بغوامض دقايق حكمه يقتضي ان يقولوا لك الشان الاعلى وما تعلقت
به ارادتك هو الصواب وعين الكمال ولما لم يسلكوا ذلك المسلك بل اجابوه بافادة الاستغراب
والاستعجاب اجراهم مجرى الزاعم لبعد مقامهم عن مثل هذا الجواب الا ترى ان النبي المار
على قرية وهي خاوية على عروشها لما قال انى يحيي هذه الله بعد موتها متعجبا كيف اماته الله
مائة عام ثم بعثه لبعد حاله عن مقام التعجب ولولا ذلك التعجب لاراه الله احيا واحد من
تلك الاموات كما اراه ابراهيم عليه السلام حيث قال رب ارني كيف تحيي الموتى قالوا
سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا اعتراف بالعجز ودليل لما قلنا ان ذلك لم يكن اعتراضا

بل استعلا ما صدروا الكلام بسبحان الذي هو من مفاتيح التوبة وطلايعها كقول موسى
عليه السلام سبحانك تبت اليك وقول يونس عليه السلام سبحانك اني كنت من
الظالمين ودلالة على ان ما كان منهم من عدم التفويض ذنب يحتاج الى التوبة على ما
هو طريق المقربين من عد حسنات الابرار سيئة وسبحان علم التسبيح البليغ وقيل ذا كان في
غير حال الاضافة والحق انها لا تنافي العلمية كحاتم طي وعنترة عبس انك انت العليم
الكامل العلم الشامله والتاكيد بان وانت وقع لما سبق منهم من مخايل الريب الحكيم
المتقن في صنعه الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة وان خفيت على اللبيب الالمعي قال يا آدم انبئهم
باسمائهم اي اعلمهم فلما انباهم باسمائهم اعاد المظهر لتوقع عليه لفظ الانباء صريحا
قال الم اقل لكم اني اعلم غيب السموات والارض ما خفي عليكم من امورها استحضار لقوله
اعلم ما لا تعلمون الا انه ابسط واشرح وان كان ما لا تعلمون اشمل لشموله جميع معلوماته فليس
الثاني دليلا على الاول واعلم ما تبدون ما ابديتم من قولكم اتجعل فيها من يفسد فيها
واثار المضارع لاستحضار صورة فعلهم حال المعاتبة وما كنتم تكتمون قبل المشاورة ظانين
ان الله لا يخلق افضل منكم خلقا وذلك لما زاد افسادا سكان الارض قبل آدم على ما روي ابن
عباس رضي الله عنه ان اول من سكن الارض الجن فافسدوا فيها ويسفكوا الدماء فارسل
الله عليهم ابليس مع طايفة من الملائكة فقتلوا منهم وطردوا البقية الى الجزاير واطراف
الجبال وقيل ما اظهروا وما ابطن ابليس من عدمها وقد تبين ان شرف الانسان
انما هو بالعلم وحيث عنه الحق بالبهايم بل هو ادنى واضل وان ساير الكمالات والاعمال
بدونه في حيز العدم الا يرى ان الهدهد مع اجرامه واستحقاقه العقوبة وهو طير ضعيف
لا عوان له ولا ظهير كيف استظهر بمسئلة جزئية وقال احطت بما لم تحط به يخاطب به سليمان
الذي علم به منطق الطير واوتي العلم من كل شي ودل ظاهر الاية على ما قاله الاشعري ان
اللغات توقيفية وتاويل التعليم بالاقدار والتمكين خلاف الظاهر وعلى ان علم الملائكة
يقبل الزيادة وليس في الاية ما يدل على قصور الملائكة عن رتبة الخلافة وان التركيب
يفيد ما لا يفيده الاحاد كالاحاطة بالجزئيات واستنباط الصناعات واستخراج منافع
الكاينات كيف ولله تعالى ان يوجد في الجزء الذي لا يتجزى الحيوة وما يتبعها من الكمالات
على ان الملائكة اجسام نورانية لطيفة قابلة للتشكل باي شكل ارادت ومن سير جبرائيل
عليه السلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعليم الحروب والارشاد في الجزئيات لا سيما
تعليمه لنوح في اختراعه السفينة لم يرتب في ذلك وما كان الله ليعجزه من شي وما يمسك
تعليمهم الاسماء من آدم لا انباءهم فان قلت اذا كانت الملائكة بهذه المثابة فما وجه
تفضيل الانسان عليهم كما فصل في موضعه قلت وجه ذلك ان امانة القوى الشهوانية
والغضبية التي هي حزب الشيطان وكبح عنان النفس عن اتباع الهوى الذي هو
مقتضاها جبلة بتسخيرها وتهذيبها بحيث تصير مطاوعة لجند الرحمن وهي القوة العقلية

من خواص

من خواص الانسان فاذا انضم الى شرف العلم كان نورا على نور يهدي الله لنوره
من يشاء واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم السجود لغة الخضوع والانحطاط قال ترى
الاكم فيها سجدا للحوافر واسجد اي طاطا قال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا وهو المراد في
الاية وتخصيصه بوضع الجبهة عرف حادث ويجوز ان يكون مرادا واختلاف الاحوال باختلاف
الاوقات والشرايع في امثاله لا يلزم اتفاقها وعليه يحمل سجدة اخوة يوسف عليه السلام
ان صح انه كان بوضع الجبهة او المسجود له حقيقة هو الله تعالى وآدم جعله قبلة كالبيت
تشريفا له ولما كان حسن الاشياء شرعا فالاوجه كلها حسنة وقد سبق ان السجود
كان سابقا على التعليم واللام فيه كاللام في اقم الصلوة لدلوك الشمس والقول بان الانسان
نسخة لما في العالم الروحاني والجسماني يتوقف على وجود المجردات ولم يقل به اكثر اهل الحق
فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر امتنع عن الطاعة وطلب العلو وتعدى عن قدره
وقد صرح بالعلة في قوله انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والاستثناء متصل
والمانع وهو عدم دخوله في الملائكة مرتفع بالتغليب ويدل عليه قوله ما منعك الا تسجد
اذ امرتك ولو لم يكن مامورا به لم يكن لذكر الاباء والاستكبار وفيه دلالة على ان المامور
جميع الملائكة كما دل على ذلك تعريف الجمع ونص عليه كلهم اجمعون وكان من الكافرين
في علم الله اشارة الى انه لا يمكن تغير معلومه ولا يستلزم تكليف المحال لوجود الاختيار او صار
من الكافرين لاستقباحه ما استحسنه الله تعالى لان ترك المامور به لا يوجب الكفر ثم ترتب
قوله ففسق على قوله كان من الجن صريح في انه لم يكن ملكا وانما كان جنيا مغمورا بينهم
وليس من الملائكة وان اطلق عليهم لفظ الجن لاستتارهم قال تعالى وجعلوا بينه وبين
الجنة نسبا كيف والملائكة عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون لا يعصون الله
ما امرهم فالقول بان الجن ايضا كانوا مامورين بالسجود وان من الملائكة من ليس بمعصوم
وتجوز ان لا تخالف الملائكة بالذات الشياطين وان خالفوهم بالعوارض والصفات
مخالف للنصوص وما هو مركوز في الفطرة السليمة ونسبته الى ابن عباس رضي الله عنه اعظم واطم
بل المروي عنه والله اعلم ان طايفة من الملائكة يقال لهم الجن وابليس كان منهم رواه
ابن جرير وفي الاية دليل على ان الامر للوجوب والفورية علمت من فاء فقعوا وان
السعيد من سعد في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه وايمان الموافاة على ما نقل
عن الاشعري تابع لتلك السعادة السابقة وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة
السكنى من السكون بمعنى اتخاذ المسكن لاستلزامه اللبث لا بمعنى ترك الحركة ولذلك ذكر
بدون في واكد المستكن بانت لئلا يلزم العطف على المستكن بلا فصل وانما استقام
امر الغايب بصيغة افعل تغليبا واشاره على اسكنا مع اختصاره اشعار بالاصالة والتبعية
والزوج قرين الشي من جنسه يشمل الذكر والانثى وقد يلحق به التاء والجنة دار الثواب وقد
تواترت بذلك الاخبار وصرح موسى في مناظرته بذلك حيث قال اهبطت الناس من الجنة

لخطيئتك وفي حديث الشفاعة قال آدم كيف ترجون الشفاعة ممن كان سبب اخراجكم
من الجنة وفي لفظة الهبوط ايضا دلالة صريحة والقول بانها كانت بستانا في ارض فلسطين
او بين فارس وكرمان من موضوعات القدرية لنا فخن لخلق الجنة وكلا منها رغدا
الكلا واسعا حيث شئتما في اي مكان ولا تقربا هذه الشجرة هي الحنطة وقيل الكرمة وقيل
التينة او شجرة غير معروفة من اكل منها احدث والاول هو المشهور والتاء للوحدة نوعا
او شخصا وهذا اولى مبالغة في ازاحة العلة وعلى التقديرين اللام للجنس لان الجاري على
المبهم هو اسم الجنس المعرف تعريفه البتة وقد بالغ في النهي عن الاكل باقحام لفظ القرب لان
من رعى حول الحمى يوشك ان يواقعه فتكونا من الظالمين انفسكما بالاخراج من النعيم
المقيم وتعريضها للافات عطف على النهي او نصب على الجواب وعلى الوجهين الفاء للسببية
فازلهما الشيطان عنها اصدر الشيطان زلتهما عن الشجرة كقوله وما فعلته عن امري اي
صادرا عنه والحاصل حملهما على الزلة بسببها او عن الجنة بمعنى اذهبهما او بعدهما عنها من زل
رجله اذا زالت عن مكانها فاخرجهما مما كانا فيه من النعيم لا من الجنة لان الازلال اخراج
مع الابعاد فلا يعطف عليه مطلقه بالفاء وعلى الاول جاز الوجهان وقرا حمزة فازالهما
من الازالة والاول ابلغ لدلالته على المزاولة والاحتيال وعليه الرسم قيل توسل الى اغوائهما
بعد خروجه بان ناداهما من وراء الباب وقيل دخل في فم الحية فدخلت به وقيل لم يكن
ممنوعا من الدخول للوسوسة بل تكرمة قلت كل هذا رجم بالغيب ولا دليل عليه والايات
دلت على انه كان قبل خروجه وهي قوله الا ابليس ابى فقلنا يا ادم ان هذا عدو لك ولزوجك
فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فوسوس اليه الشيطان فان الفاء الاولى دلت على عدم تراخي
الوسوسة عن القول وكذا لفظ هذا يدل على حضوره حين هذا القول لهما وقوله انظرني الى
يوم يبعثون اذ لو كان الامر بالخروج قبل الاغواء لم يكن لهذا القول وجه لان في الجنة
لا موت ولا بعث واظهر منه قوله لازينن لهم في الارض وقلنا اهبطوا خطاب لادم
وحوا والجمع بادخال الذرية لانهما الاصل فكانهما الجنس كله والدليل عليه قوله في سورة طه
اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو لان القصة واحدة والتعادي بين الذرية لا بينهما
وبين ابليس وكذا قوله فمن تبع هداي الى اخره فانه بيان لجزاء الفريقين ولا ذكر لابليس
ولكم في الارض مستقر مكان استقرار او استقرار ومتاع منفعة وتمتع يقال متع النهار
اذا طال وقد اشتهر استعماله في نفع يشارف الزوال كمتاع المسافر ولذلك استعمل في
معرض التحقير الى حين الى يوم القيمة والموت ابتداؤه لان من مات فقد مات قيامته
او لا دخال مقدمة الشيء فيه او لاتفاعه بالقبر لانه مسكنه فتلقى ادم من ربه كلمات
استقبلها والتلقي التعرض للقاء فاطلق على الاستقبال لدلالته على انه تلقاها بالاجلال
والاكرام كما يتلقى الاعزة وقرا ابن كثير بدفع كلمات اي وصلت اليه والاول هو الاصل
واحسن والجار والمجرور حال من كلمات في الوجهين والكلمات ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا

القول عن الاباء والثانية على
عدم تراخي
صح

وترحمنا لنكونن من الخاسرين وعن ابن مسعود رضي الله عنه احب الكلام الى الله تعالى
ما قال ابونا آدم سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك
فتاب عليه ترك ذكر حوا لانها تبع كما يطوى ذكر النساء في اكثر الاحكام وقد روى
الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه ان آدم لما اصاب الخطيئة قال يا رب الم تخلقني
بيدك قال بلى قال وكتبت هذا علي قال بلى قال ان تبت هل انت راجعي الى الجنة
قال بلى وبالفاء دل على ان التلقي كان توبة من آدم والتوبة من العبد الرجوع الى
الطاعة بالاقلاع عن المعصية والعزم على ان لا يعود ويلزمه الندم على الماضي ومن الله تعالى
الرجوع اليه بالغفران ومحو الذنب عن ديوان الحفظة انه هو التواب الرحيم شديد العناية
بقبول توبة العبد لو استغرق في المعاصي دهرا ثم اقلع قبل ان يغرغر ولو بلمحة كان
كيوم ولدته امه ولذا اكده بوجوه الرحيم حيث لم يقتصر على التجاوز بل تحد ايجابا وجعل
مكان سيئاته حسنات قلنا اهبطوا منها جميعا ليس فيه تكرار لان الاول لبيان حال
ادم ولذلك فرع عليه حديث التلقي وقبول التوبة وذكر الذرية بالتبع وفي الثاني بالعكس
ولذلك اكده بقوله جميعا وفصل بعده حال الفريقين واستانف له الكلام ولم يربطه بالاول
وقيل كرر تاكيدا وقيل الاول من الجنة الى السماء والثاني منه الى الارض والوجه هو الاول
ونصب جميعا على الحال ولا دلالة فيه على الاجتماع في الزمان فاما ياتينكم مني هدى فمن
تبع هداي الشرط الثاني مع جوابه جواب للاول كقولك ان اكرمتني فان قدرت
على المجازاة فعلت والاتيان بحرف الشك واتيان الرسل كائن لا محالة لانه قدره ووعده
ووعده لا يخلف للايذان بان الانزال والارسال تفضل منه وللتنبيه على ان ما اوتي
ادم من الهدى وعلم الاسماء كاف لذريته فان اتى بشيء اخر فذاك والا فقد كفى
ذلك مع انه جبر ما فات بما ونون التاكيد واضافة الهدى ثانيا للتشريف فهو عين الاول
لانها نكرة اعيدت معرفة وقيل الثاني اعم فيشمل ما اقتضاه العقل فان اراد به اقتضاء
العقل استقلالا من دون ارسال وانزال فلم يقل به وان اراد ما يرجع اليه فلا عموم اذ لا حكم
قبل البعثة فلا خوف عليهم فضلا عن ان يحل بهم مكروها ولا هم يحزنون على فوات
محبوب والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون
عطف على من تبع اي ومن لم يتبع والعدول الى المنزل للتنفير عن الكفر والتكذيب
والآيات الاحكام المنزلة ومفهوم الاية ان من لم يكذب بايات الله لا يخلد فان قلت
ما وقع من ادم لم يكن الا نسيانا في الفروع والنسيان مغتفر فكيف سمي عصيانا وغواية
قلت عوتب على ترك التحفظ وفرط الاحتياط والاغترار بقول العدو مع قرب العهد
بالتحذير منه والتصريح بعداوته والانبياء والرسل يواخذون بالذرات وادم اول الناس
وقدوتهم فشدد عليه ترهيبا لاولاده ولطفا بهم ولله مع عباده لا سيما مع رسله شان
ليس لغيره فلا يجترئ احد على ان يقول عصى آدم فتاب الله عليه اذ غوى او اذنب فان

وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا صح

اذ طبت فلي فيه اسوة فان هذه جرية عظيمة يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم
خصهم من بين المخاطبين لانهم اهل العلم واولى بان يكونوا اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم
شكر النعمة اللاحقة السابقة على اسلافهم من الانجاء واغراق العدو والعفو وقبول التوبة
فان النعمة على الآباء واصلة بالابناء واسرائيل لقب يعقوب معناه بالعبرية صفوة الله
او عبد الله وكونه عبد الله تشريف له والذكر اعم من اللسان لان المراد منه الشكر واوفوا
بعهدي اوف بعهدكم العهد هو الذمة والحفاظ ولا يكون الا بين اثنين فالمعنى اوفوا
بما عاهدتموني عليه من الايمان والطاعة او اتباع محمد اوف بما عاهدتكم عليه من الثواب
ورفع الآصار والاغلال اشار الى الاول بقوله ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وعدد
عليهم الايمان والاعمال ثم قال لاكفرن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات والى الثاني
بقوله الذين يتبعون الرسول النبي وعدد عليهم امورا ثم قال ويضع عنهم اصرهم والاغلال
فالعهد مضاف الى المفعول في الاول والثاني او لا معنى لقولك اوف بعهد عمرك ولما
كان المعاهد عليه جمله فالقيام بكلها هي الاستقامة المامور بها في قوله واستقم كما امرت
وادناها التصديق بالقلب فالتصديق باللسان واياي فارهبون هو آكد من اياك
نعبد في الاختصاص لان الاختصاص نفي واثبات فاذا تكرر الاثبات تاكد الاختصاص
على ان الاثبات اللاحق يمكن اعتباره على وجه الاختصاص لكونه مفسرا لما فيه لا اختصاص
لا سيما اذا قدر الشرط العام اي مهما يكن من شيء فاياي ارهبوا فارهبون هذا اوكد
من وجه آخر الواو للعطف والفاء الجزائية اخرت الى المفسر بعد حذف المفسر ولا يمنع عمل
الفعل المشغول بالضمير فيما قبله كقوله وربك فكبر وبل الله فاعبد وآمنوا بما انزلت مصدقا
لما معكم اذ لا وجه للكفر به والحال انه مصدق لشرعكم والمراد به التصديق في كونه من عند الله
فلا يقدح في ذلك نسخ بعض فروعه واليه يشير حديث رواه مسلم الانبياء بنو العلات الاب
واحد والامهات شتى ولا تكونوا اول كافر به اول افعل تفضيل مهمل اولى واولين اصله
اوأل ابدلت الهمزة واوا ثم ادغمت فاذا اضيف الى نكرة يجب مطابقة موصوفه لما اضيف
اليه فالتقدير اول فوج او فريق او كل واحد والكلام تعريض باهل الكتاب بانهم كانوا احقاء
بان يكونوا اول مؤمن به لما عندهم من اسباب الاولية من كمال معرفتهم به يعرفونه كما
يعرفون ابناءهم وكانوا يستفتحون به على الذين كفروا فلا يرد ان المشركين اول كافر به
ولا ان الكفر مطلقا منهي كيف ما كان فما وجه التقييد بالاولية وقيل اريد الاولية مع العلم
او اول كافر من اهل الكتاب ومثل اول كافر او اول كافر بالتورية على ان الضمير في به
لما معكم فان الكفر بالقرآن كفر بها كالعكس ايضا لوجوب الايمان بكل الكتب
وقد دل اعجازه على انه كلام الله وهم يعلمون ولذلك وبخهم بقوله وانتم تعلمون فلا وجه
لما يقال انما يلزم من الكفر بالقرآن الكفر بما معهم ان لو كان كفرهم به انه كذب كله
واما اذا كفروا بكونه كلام الله واعتقدوا ان فيه الصادق والكاذب فلا ولا تشتروا

بآياتي ثمنا قليلا لا تستبدلوا بالايمان الرياسة والرشاء عبر عن المشتري بلفظ
الثمن الذي هو المشترى به تقريعا لهم وتجهيلا حيث جعلوا ما حقه ان يكون وسيلة
مبذولة في نيل المطالب مطلوبا حتى بذلوا فيه الاعز الاشرف واياي فاتقون
بامتثال الاوامر واجتناب المناهي فصل الاولى بالرهبة وهذه بالتقوى لان الاتقاء
هو التحفظ وفرط الصيانة ولا ريب في كونه مسبوقا بالرهبة ولذلك عقب الاول ذكر النعمة
والوفاء والثاني الايمان بالمنزل لان التقوى نتيجته وغايته وقيل لان الاولى تعم
العالم والمقلد والثانية تخص اهل العلم فامروا بالتقوى الذي هو منتهى السلوك وفيه
ان المخاطب واحد في الانشائيات والا تتفكك الضماير ولا تلبسوا الحق بالباطل
اي لا تخلطوه به بان يكتبوا في التورية ما ليس منه او لا تجعلوا الحق ملتبسا على الناس بسبب
الباطل فالباء على الاول صلة وعلى الثاني للاستعانة والاول اظهر لان الصلة من
تمام الفعل واكثر ولان مآل الثاني الى الاول لوجود الخلط لا محالة وتكتموا الحق جزم
داخل تحت حكم النهي ومعنى كتمان الحق محوه عن التورية او تحريف الكلم عن مواضعها
كما في التوراة نعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ربعة ابيض بدلوه بقصير اشقر
او منصوب باضمار ان والواو للجمع اي لا تجمعوا بين اللبس والكتمان لا على معنى ان
المذموم هو الجمع بل نعيا عليهم الجمع بين امرين كل منهما مستقل بالقبح والشناعة ولذلك
اعاد الحق وانتم تعلمون زيادة للتقبيح لان الجاهل ربما يعذر واقيموا الصلوة
وآتوا الزكوة صلوة المسلمين وزكوتهم اللام للعهد او الجنس على ان ما عدا صلوة المسلمين
وزكوتهم ليس بصلاة وزكاة واركعوا مع الراكعين لان صلوة اليهود لا ركوع لها او
صلوا مع المصلين جماعة فانها تفضل صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة ولا دليل فيه على
وجوبها لانه نهي عما كانوا معتادين به من الانفراد فيكفي كونها سنة مؤكدة وفي الآية
دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وقيل الركوع الانقياد والخضوع فيكون تتميما
اتأمرون الناس بالبر الهمزة للتقرير مع الانكار والتعجب ومعنى التقرير الالجاء الى
الاقرار لان الامر بلغ في الانكشاف مبلغا لا يمكن المخاطب انكاره وقد يجتمع مع التحقيق
كما في الآية ويوجد كل منهما بدون الآخر والبر الخير الواسع من البر وهو الفضاء ومنه قول
المجيب صدقت وبررت اي اتيت بخير واسع في صدقك حيث دعوت كل سامع الى
الفلاح وتنسون انفسكم تتركونها عن البر كالشيء المنسي وعن ابن عباس رضي الله عنه
كان احبار اليهود يامرون من نصحوه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كانوا
يامرون بالصدقة ولا يتصدقون وفي معناه قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون روى
البخاري ومسلم عن ابي وائل رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يجاء
بالرجل يوم القيمة فيلقى في النار فيدور فيها كما يدور الحمار برحاه فيطيف به اهل النار
فيقولون يا فلان الم تكن تامرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر فيقول كنت آمركم ولا افعل

وانهاكم وافعل ولقد احسن من قال ما اقبح التزهيد من عالم يزهد الناس ولا يزهد
لوكان في تزهيده صادقا اضحى وامسى بيته المسجد وانتم تتلون الكتاب تبكيت
لهم افلا تعقلون ماتتلونه فيعرفوا وخامة عاقبة ما انتم فيه واستعينوا بالصبر والصلوة
لما كلفوا بترك ما الفوه من الرياسة ودين الآباء وكان شاقا عليهم ارشدهم الى ما يسهل
عليهم ذلك وهو الصبر على تكاليف الصلوة والقيام بها على الوجه الاكمل مراعى فيها الاركان
والشرائط والسنن والآداب فان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر او استعينوا على النوائب
بالصبر والصلوة بالجمع بينهما وعن حذيفة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كان اذا
حزبه امر فزع الى الصلوة وقيل الصوم والصلوة لان في الصوم حبس النفس عن المفطرات
وهذا اوجه لان في الصوم جلاء النفس وقطع الشهوات التي هي جنود الشيطان و
في الصلوة مناجاة الحق وفيضان الانوار وهي جامعة لانواع العبادات البدنية جنانا
ولسانا واركانا ولذلك كانت عماد الدين وانها لكبيرة الا على الخاشعين الضمير
للصلوة ان قيد الصبر بالصبر عليها لانها المقصود والمذكور لفظا وان فسر بمعنى آخر
فالضمير للاستعانة ليكون اشمل والخشوع الانقياد واصله الانحطاط يقال مكان خاشع
ولذلك يوصف به الجوارح كما يوصف القلب بالخضوع ويقاربهما الذين يظنون
انهم ملاقوا ربهم اللقاء مجاز عن الرؤية او الثواب والظن على اصله من الطمع والتوقع
او لا قطع بذلك او عن مطلق الجزاء فالظن بمعنى اليقين لانه مقطوع به يؤيده قوله
وانهم اليه راجعون الا ان يقدر له عامل اى ويعلمون وهو خلاف الظاهر والظن بمعنى
اليقين كثير قال فقلت لهم ظنوا بالفي مدجج سراتهم في الفارسي المسرد وراى المجرمون
النار فظنوا انهم مواقعوها وانما خفت عليهم لعلمهم بما ادخر الله لهم وفي المثل من ايقن بالخلف
جاد بالعطية ومن عرف ما طلب هان عليه ما بذل ومن ذلك قال قدوة المتقين
جعلت قرة عيني في الصلوة وارحنا يا بلال بها يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت
عليكم اخذ في تقرير النعمة وتفصيل اصنافها ولذلك اعاد النداء واني فضلتكم على العالمين
على عالمي زمانهم حملا على الموجود بالفعل كانوا اشرف القبائل كالعلوية في زماننا او على
الجم الغفير يقال اذا رأيت فلانا فقد رأيت العالم قال لو زرته لرأيت الناس في رجل
فلا دلالة فيه على تفضيلهم على الملائكة ولا على امة اخرى فضلا عن خير الامم واتقوا يوما
اى ما فيه من الحساب والعذاب لا تجزي نفس عن نفس شيئا لا تقضي ومنه الجزية وحديث
جذعة بن نيار ولا تجزي عن احد بعدك والتنكير في الاسماء الثلثة في سياق النفي للعموم
اى نفس ما عن اى نفس كانت شيئا ما او في جزاء على انه مصدر والجملة صفة يوما حذف
منه العائد اما مع الجار ابتداء على اثره سيبويه او تدرجا بحذف الجار اولا والضمير ثانيا بعد
ايصاله كما ذهب اليه المبرد والكسائي والشائع حذف العائد من الصلة ثم من الصفة ثم
من الخبر ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل اى فداء واصله المساواة اطلق

على الفداء لانه يساوي المفدى به بالفتح من غير الجنس وبالكسر منه والضمير للنفس الثانية
او الاولى ويؤيد الاول ولا هم ينصرون فان ضمير هم للنفوس المجزية عنها والتذكير باعتبار
الاشخاص لقوله ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة الشافعين سد عليهم طرق
دفع العذاب لانه اما ان يكون مجانا او بعض او بشفاعة او بقهر ناصر ولا دلالة فيه
على عدم الشفاعة لاهل الكبائر لانه عام خص بالآيات والاحاديث او مقيد بموطن
او بما قبل الاذن وقرأ ابو عمرو وابن كثير تقبل بتاء التانيث والتذكير احسن لوجود
الفاصل واذ نجيناكم من آل فرعون من قبل عطف جبريل وميكائيل على الملائكة
واصل آل اهل بدليل تصغيره على اهيل واختص بالاناسي دون الاماكن وذوي الاخطار
منهم دينا كآل هرون او دنيا كآل فرعون وعن الكسائي اصله اول ونقل عن اعرابي
فصيح اويل في تصغيره وقيل الآل القرابة تابعها والاهل اعم ولذلك اثر في الصلوة الآل
وفرعون لقب من ملك مصر كقيصر لملك الروم وتبع لمن ملك اليمن وكان اسمه
مصعب بن ريان او وليد بن مصعب يسومونكم سوء العذاب يكلفونكم من سام
المشتري السلعة اذا طلبها والسوء مصدر ساءه واصله العذاب السوء ثم قدم واضيف
والمعنى اسوء العذاب لان العذاب كله سيء والجملة حال من الضمير او من آل فرعون
او منهما لوجود ضمير كل يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان ليسومونكم او استيناف
وعطفه في سورة ابرهيم لكونه اشد العذاب فامتاز امتياز جبرئيل وميكائيل وكان سبب
ذبح الابناء قول الكهنة سيولد من بني اسرائيل مولود يكون زوال ملكه على يديه وقد
عمي قلبه لان قول الكهنة ان كان حقا فلا بد من وقوعه وان كان باطلا فلا اى شئ
بقتل الاطفال وفي ذلكم بلاء محنة والاشارة الى صنيعهم او نعمة والاشارة الى الانجاء ولابتلاء
بالشر للصبر وبالخير للشكر وهذا اليق بقوله من ربكم واوفق لمقام تعداد النعم عظيم
صفة بلاء واذ فرقنا بكم البحر فلقناه لاجل انجائكم الباء للسببية او ملتبسا بكم فالباء للمصاحبة
كقول ابي الطيب تدوس بنا الجماجم والتريبا فانجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون
تشاهدون ذلك لا تشكون فيه ملتذون مسرورون وسنأتي القصة مستوفاة واذ
واعدنا موسى اربعين ليلة لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب
وعد الله موسى ان يؤتيه كتابا وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذي الحجة وذكر الليالي لانها
غرر الشهور حين بدء الهلال وانتصاب اربعين على الظرفية اما على قول ابن عباس رضي الله
عنه كلمه في اربعين يوما وليلة فواضح ومن خص بالاول وبالآخر فكذا لانه من باب رأيته
سنة كذا يكفي فيه وقوع الفعل في جزء ومن قال بعده فلا اتصال وعدم التراخي والمفعول
محذوف وهو المشترك بين الطرفين اى واعدنا موسى الوحي وواعدنا المجئ والاولى ان
يجري اربعين مجرى المفعول به وفيه مبالغة بجعل ميقات الوعد موعودا وقرأ ابو عمرو وعدنا
بغير الف وعليه الرسم والمعنى ظاهر ويمكن ان يحمل قراءة الجمهور عليه وايثار المفاعلة للمبالغة

ثم اتخذتم العجل من بعده اي الهاً من بعد ذهاب موسى وانتم ظالمون باتخاذ
العجل الهاً ثم عفونا عنكم من بعد ذلك الامر العظيم العفو محو من عفى الشيء عفا ودرس
وهلك ابلغ من الغفران وافراد الخطاب باعتبار كل واحد لعلكم تشكرون لكي تشكروا
او ليكونوا في صورة من يرجى منه الشكر واذ اتينا موسى الكتاب والفرقان اي الكتاب
الجامع بين كونه كتابا منزلا وبين كونه فرقانا كقوله ولقد اتينا موسى وهرون الفرقان
وضياء وذكرا والتعريف فيه دون ضياء وذكرا لكونه معهودا كالاعلام دونهما او البرهان
الفارق بين الحق والباطل من ساير معجزاته او الشرع الفارق بين المعروف والمنكر
او النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يوم التقى الجمعان ليوم بدر لعلكم تهتدون
بالتامل في الكتاب والتفكر في آيات الله واذ قال موسى لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم
العجل فان قلت اليس قد تقدم ذكر اتخاذ العجل وان الله تعالى عفى عنهم قلت اعاده مفصلا
حثا للموجودين على اتباع النبي الامي الذي وضع عنهم تلك الاصار التي كانت على آبائهم كتب
في التورية بالندم فتوبوا الى بارئكم اي اذ قد ظلمتم فتوبوا الى الله التوبة وايثار البارئ دون
ساير الاسماء الحسنى للتنبيه على عبادتهم حيث آثروا على خالق الاشياء بريئة من الخلل والتنافر
العجل الذي هو ابلد الحيوانات فاقتلوا انفسكم بايديكم وهو البخع او من لم يعبد العجل عابده والتعبير
بالانفس لما بينهما من التعلق في القرابة والاتحاد في الاعتقاد وتفسير القتل بقطع الشهوات
كما قيل من لم تقتل النفس لم تحيها غير مستقيم لكون القتل مرادا قطعا عن ابن عباس رضي الله
عنه احتبى الذين عبدوا العجل بافنية دورهم وقام الذين لم يعبدوا واخذوا الخناجر في ايديهم
وكان الوالد يرى ولده وذو القرابة قريبه فيشق عليه فالقى الله عليهم ظلة شديدة قد تما
موسى وهرون فانكشفت عن سبعين الف قتيل ذلكم خير لكم عند بارئكم لكونه وصلة
الى الحيوة الابدية ووسيلة الى رضوان الله واسكن ابو عمرو همزة بارئكم لثقل توالي ثلث
حركات وفي رواية قلب الهمزة ياء وبالتخفيف وروى عنه الدوري الاختلاس
وعن السكون فتاب عليكم متعلق بمحذوف ان جعلته من كلام موسى جواب شرط محذوف اي ان فعلتم فقد تاب
عليكم او من كلامه تعالى عطف على محذوف اي ففعلتم فتاب عليكم ففيه التفات من الغيبة
وهو لفظ القوم الى الخطاب ومن التكلم الى الغيبة في فتاب انه هو التواب الذي يكثر توفيق
التوبة او قبولها الرحيم الذي يبدل مكان السيئة الحسنة واذ قلتم يا موسى لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة في ايثار لن دلالة على مراجعات بينه وبينهم لانه لا تقع
جوابا ابتداؤه ابتداء والجهر مستعار للرؤية عيانا لانه من خواص الصوت وليس فيه دلالة
على عدم جواز الرؤية ولان كفرهم كان بسبب طلبها الا يرى ان موسى قد سألها وانما
كفروا بتعنتهم وعدم الاعتداد بساير معجزاته وهذا ظاهر لمن كان له قلب او القى السمع
فاخذتكم الصاعقة الرجفة وكان فيها موتكم او نار فيها وانتم تنظرون ما اصابكم او
اثره لا تشكون فيه ثم بعثناكم من بعد موتكم يوما وليلة لعلكم تشكرون نعمة البعث او ما

كفرتموه

كفرتموه سابقا هؤلاء هم السبعون الذين اختارهم موسى لميقات ربه فلما سمعوا كلامه
طلبوا الرؤية عيانا وهذه القصص قد بسطت في ساير السور واشير اليها ههنا موجزا لان
سوقها لتعداد النعم على المخاطبين وابائهم وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن
والسلوى لما ذكر ما دفعه عنهم من النقم شرع يفصل ما اولاهم من النعم والغمام السحاب
الابيض سمي به لانه يغم السماء ويواريه والمن الترنجبين كان ينزل عليهم على صفة
الثلج بين الطلوعين والسلوى السمان وهو نوع من الطير دون الحمام جثة وكانوا
مامورين بان ياخذوا قدر كفايتهم ولا يدخروا فادخروه وجبوه فنتن روى البخاري
انه قال صلى الله عليه وسلم لولا بني اسرائيل لم يخنز اللحم كلوا من طيبات ما رزقناكم
على ارادة القول وما ظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بتعريضها للسخط واذ
قلنا ادخلوا هذه القرية هي بيت المقدس وقيل اريحا والاول هو الصواب فكلوا منها
حيث شئتم رغدا واسعا صفة مصدر او في موضع الحال من الواو وادخلوا الباب
اي باب المسجد الاقصى وهو المسمى الآن باب حطة سجدا على هيئات الراكعين تواضعا
لله وشكرا على نجاتهم من التيه وقهر عدوهم وهم الجبارون الذين قاتلهم يوشع بعد
موت موسى وقولوا حطة اي مسئلتنا او امرك حطة فعلة كالجلسة والركبة والمراد حطة
الاوزار لقوله نغفر لكم خطاياكم جزم على الجواب وقرا نافع بالياء وابن عامر بالتاء التانيث
على بناء المفعول والمختار قراءة الباقين بالنون للاصالة وفخامة المعنى ولقوله وسنزيد
المحسنين على غفران الخطايا بانواع المزايا واخرجه عن الجواب الى الاخبار للدلالة على
الوقوع لا محالة فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم قالوا مكان حطة حطة حمراء
في شعيرة فان قلت لم يحك تبديل الفعل فانه روى انهم دخلوا زحفا على استاههم
مقنعي رؤسهم قلت اكتفى بالقول فانه اظهر في المخالفة ولانه ربما يتوهم ان الدخول على
ذلك الوجه كان لعذر فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء عذابا وهو الطاعون
مات منهم في ساعة سبعون الفا بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن طاعة الله تعالى
وهذه الآية ابلغ من آية الاعراف من وجوه اخراج سنزيد عن الجواب وتكرير الظلم والجمع
بينه وبين الفسق وتبديل الانزال بالارسال وذلك لان هذه خطاب معهم وتلك
اخبار عنهم ولان هذه نزلت بعد تلك فلا بد من زيادة فايدة واذ استسقى موسى
لقومه لما عطشوا في التيه فقلنا اضرب بعصاك الحجر اللام فيه للعهد لانه كان حجرا معهودا
على هيئة راس الانسان او راس ثور نزل به آدم مع العصا من الجنة فتوارثته الانبياء
فدفعه اليه شعيب عليه السلام مع العصا او للجنس اي اي حجر كان وهذا ابلغ في الاعجاز
فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا اي فان ضربت او فضرب والفاء على الوجهين فصيحة
لانها تنبئ عن محذوف اشارة الى ان السبب الاصيل في ذلك هو امر الله وارادته لا فعل
موسى والوجه هو الثاني لقلة التقدير ولان الفاء الجزائية لا تصح بدون قد واضماره ضعيف

قد علم كل اناس مشربهم اى كل سبط عرف العين المختصه به لئلا يقع تنازع كلوا واشربوا
على ارادة القول من رزق الله المن والسلوى والماء واضافه الرزق اليه لكونه
حاصلا من غير كد منهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين لا تعتدوا حال كونكم مفسدين
وانما قيده به لانه ربما كان على وجه الجواز كمقابلة المتعدى بمثل فعله وقيل الحال مؤكدة
ومن عرف الله بصفات الكمال لا يستغرب امثال هذه الامور هذا ونبوع الماء من بين
اصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم اغرب وابدع من الحجر لانه متعارف فى الاحجار
وصخور الجبال واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد ارادوا المن والسلوى ووحدته
باعتبار عدم تبدله كما يقال مائدة الامير طعام واحد يريدون على نمط وان اشتملت على
الوان فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض الاسناد مجاز من بقلها الخضر
والمراد اطايبه وقثائها وفومها وعدسها وبصلها من قبيل عطف جبرئيل على الملائكة
وقيل الفوم الحنطة لقول العرب فوموا لنا اى اخبزوا والاول اوفق بالبصل ويؤيده قراءة ابن
مسعود رضى الله عنه بالثاء وشعر حسان رضى الله عنه وانتم اناس لئوم الاصول طعامكم
الفوم والحوقل اراد الثوم والبصل كانوا فلاحة الكارين مالت نفوسهم الى مألوفهم قال
اتستبدلون الذى هو ادنى بالذى هو خير يريد به المن والسلوى الباء داخلة على المبدل
المتروك اهبطوا مصرا اى البلدة المعروفة والصرف لسكون الوسط او باعتبار البلد
والمكان وان كان اصله مصرائيم عجميا فلعدم التانيث او عدم الاعتداد بالعجمة
لوجود التعريب المتصرف والاولى ان يراد مصر من الامصار لان ما طلبوه ليس منحصرا
فى تلك البلدة والتيه مشرف على ساير البلاد فيكون منه الهبوط اليها كلها فان لكم
ما سألتم اى ذلك الادنى وضربت عليهم الذلة والمسكنة جعلت محيطة بهم احاطة
القبة بداخلها او الصقت بهم الصاق الطين بالحائط وعلى الوجهين استعارة مكنية
ولا ينافى كون الكلام كناية عن كونهم اذلاء صاغرين ولا ترى اليهود الا اذلاء مساكين
اما حقيقة او تكلفا خيفة ان يضاعف الجزية وفى المثل فلان اذل من اليهودى وباؤا بغضب
من الله اى رجعوا من سفرهم الذى كان للجهاد مصاحبين لغضب الله او صاروا
احقاء من قولك باء فلان بفلان اذا ساواه ذلك اشارة الى جميع ما حل بهم
بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين بغير الحق اللام للجنس والمعنى انه
باطل عندهم ايضا كما فى الواقع فهو كقوله بغير حق فى آل عمران والاولى ان يكون للعهد
وهو ما يعتقدونه ويدينون به وتنكيره فى آل عمران للعموم وايثار المضارع لاستحضار
تلك الصورة الشنيعة والاشارة الى انهم ساعون فى قتل محمد عليه السلام وقرا نافع بالنبيين
بالهمز ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كرر الاشارة دلالة على ان لهم غير الكفر بايات الله
وقتل الانبياء معاصى اخر واعتداء فى الحدود وتكفى حالية للذلة وبواء الغضب فكيف
والاجتماع كما بين واشار الى الكفر والقتل بما نالسبب وهو التمرن على العصيان والاعتداء

ويجوز

ويجوز ان يكون الباء بمعنى مع فيكون كالاول اى ذلك الكفر والقتل مع
العصيان والاعتداء والاول سبب كامل فكيف وقد انضم اليه الثانى والاشارة الى
الاشياء بلفظ المفرد شايع بتاويل المذكور ان الذين امنوا بالسنتهم دون قلوبهم
والذين هادوا دخلوا فى اليهودية سموا بذلك اما لانهم هادوا اى تابوا من عبادة
العجل او لقولهم انا هدنا اليك او معرب يهودا اكبر اولاد يعقوب تسمية باسم ابى القبيلة
والنصارى جمع نصران كندامى فى ندمان والياء فى نصرانى للمبالغة كما فى اسودى
ودوارى سموا بذلك لنصرهم المسيح او لانهم كانوا معه فى قرية تسمى نصران او ناصرة
سموا بها او اخذ اسمهم من اسمها والصابئين قوم من النصارى مالوا عن دينهم
الى عبادة الملائكة من صبا مهموزا اذا مال وقرا نافع بالياء وترك الهمز اجتزاء بدلالة
الكسرة قبل الياء عليه وقيل صبا يصبو لغة والهمز هى الفصحى من امن بالله واليوم
الآخر وعمل صالحا اى منهم فلهم اجرهم عند ربهم خبر ان جعل مبتدأ والجملة خبر
ان وان جعل من بدلا من الذين فخبر ان ودخول الفاء لتضمن الموصول معنى الشرط
وفيه الزام سيبويه حيث منع دخول الفاء بعد دخول ان ولا خوف عليهم من تلافى
ما سلف ولا هم يحزنون على فايت بل ينالون اجرا كاملا والكلام من حديث
ضرب الذلة الى هنا مستطرد لبيان انهم لما آثروا الامتهان باستبدال الذى
هو ادنى بالذى هو خير كان ذلك اول ذلة اصابتهم ثم بين ان من كان جبلته
فى تلك الرتبة غير بديع منه الكفر بايات الله وقتل الانبياء ثم اليهم اضرابهم ممن
تمرن على الكفر وان من اخلص فى ايمانه فاز بما فاز به المخلص وباء بالرضوان
بدل بواء الغضب ترغيبا فى الايمان واذ اخذنا ميثاقكم باتباع موسى عليه السلام
والعمل بما فى التوراة ورفعنا فوقكم الطور حين عصيتم روى ان موسى لما جاءهم
بالتوراة شق عليهم ما فيه من التكاليف فابوا قبولها فقلع جبرئيل الطور ودفعه
فوقهم كانه ظلة وقربه اليهم شيئا فشيئا حتى دفع احد جانبى رأسهم الى الارض وهم
ينظرون باحدى العينين الى الجبل فلما سجدوا رفع الله عنهم فهم الى الآن يسجدون
على حرف الرأس لانها سجدة رفع الله تعالى به العذاب خذوا ما آتيناكم بقوة
باجتهاد وجد واذكروا ما فيه احفظوا احكامه او ادرسوه فيشمل ذكر القلب واللسان
لعلكم تتقون لكى تتقوا او تكونون فى صورة من يرجى منه التقوى ثم توليتم من
بعد ذلك اعرضتم بعد ذلك الميثاق فلولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق
اسلافكم للتوبة لان المخاطبين لم يؤمنوا لقوله افتطمعون ان يؤمنوا لكم لكنتم
من الخاسرين بعض الكاملين فى الخسران ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى
السبت اللام موطئة والسبت الراحة والقطع ومنه سبت اليهود لكفهم عن الاعمال
او لقطعهم ذلك اليوم عن غيره بالحكم وهو حرمة الصيد فيه كان اهل ايلة على شاطئ

البحر فابتلاهم الله بحرمة الصيد في يوم السبت فكانت الحيتان تاتيهم يوم سبتهم
شرعا مخرجة خراطيمها ويوم لا يسبتون لا يرون منها واحدا فاحتالوا في صيدها بان
اتخذوا على الشاطئ حياضا وشرعوا اليها الجداول ليدخلها الحيتان يوم السبت
فيصطادوها يوم الاحد فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين اذلاء من الخسئ وهو
الصغار والامر للتسخير والمراد سرعة التكون اذ لا قدرة لهم على الصيرورة قيل صار
شيوخهم خنازير وشبابهم قردة وعن مجاهد رحمه الله مسخت قلوبهم دون صورهم
وهو خلاف الاجماع مع انه لا يلايم مقام الترهيب فجعلناها اي المسخة نكالا
زجرا لما بين يديها وما خلفها من الامم وكان امر المسخة في كتب الاولين فاعتبروا بها
ودخول الفاء باعتبار الفريق اللاحق او من قرب من اهل عصر المسخة ومن بعد
لا باء اليد عن قرب من اضيف اليه واللام على الوجهين صلة وايثار ما على من تحقيرا
لشانهم لصدور الكلام عن مقام الكبرياء واظهار السخط او لما تقدم من ذنوبهم
وما تاخر والنكال بمعنى العقوبة واللام للتعليل فان قلت بعد المسخة لم يبقوا مكلفين
حتى يتصور منهم ذنب قلت يحمل على ما سنوه من الصيد وساير المعاصي كما في قوله
ونكتب ما قدموا واثارهم وقوله بما قدم واخر وموعظة للمتقين لكل متق حضرها
او سمع واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة اول القصة واذ قتلتم
نفسا وانما قدمت هذه الآية لتتصل نظم مساويهم من نسبة النبي الى الهزو وترك
الامتثال سريعا والاشتغال بما لا يعني من الاستقصاء في السؤال كان شيخ موسر في
بني اسرائيل وله ابن فقتله بنو اعمامه ليرثوا الشيخ وقيل كان الشيخ عقيما وله بنو اخ فقتلوه
مستعجلين اخذ ماله وطرحوه على باب المدينة ثم جاؤا يطالبون بدمه فرفعوا القصة
الى موسى عليه السلام فامرهم ان تذبحوا البقرة ويضربوا الميت ببعضها ليحيى الميت
ويخبر بالقاتل قالوا اتتخذنا هزوا مكان هزو او نفس الهزو لبعد حيوة الميت
من لحم بقر ميت وقرا حمزة بسكون الزاء وهي لغة تميم واسد وابدل حفص الهمزة واوا
او استثقالا للهمزة بعد الضمتين وكذا حمزة وقفا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين
لان الهزء في مقام الارشاد لا سيما من الرسل بتبليغ الاحكام سفه ولذلك استعاذ
بالله قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ما صفتها المميزة ليكون حقيقتها معلومة
كقولك ما زيد فيجاب بفاضل ونحوه وقيل اقيمت ما مقام كيف واي ايماء الى ان
هذه البقرة كانها نوع خارج عن حقيقة البقر قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر
لا مسنة ولا فتية الفارض من الفرض وهو القطع لانها قطعت العمر وبلغت اخره
وتركيب البكر الاولية ومنه الباكورة لاول الثمر عوان بين ذلك بين ما ذكر من الفارض
والبكر ولذلك اضيف اليه بين وايثارها لقصد الاختصار كما جعلوا افعل نائبا عن افعال
جمة والذي حسنه ان اسماء الاشارة والموصولات ليست على قانون ساير الاسماء

في التثنية والجمع والتانيث بل وضعت صيغا مخصوصة فلذلك سهل الامر فيها وقد يقع مثله
في الضمير ايضا كقول رؤبة فيها خطوط من سواد وبلق كانه في الجلد توليع البهق حيث
لم يقل كانها عن ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا لما شددوا شدد الله عليهم ولو ذبحوا
ادنى بقرة اجزاتهم وايم الله لو لم يستثنوا ما بينت لهم اخر الابد وقيل بل كانت معينة
وتاخير البيان عن وقت الخطاب جاير وفيه انه تاخير عن وقت الحاجة لا الخطاب
فافعلوا ما تؤمرون اي تؤمرونه كقولك امرتك الخير فان حذف الجار قد شاع
فيه حتى لحق بالمتعدي قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها
بقرة صفراء فاقع لونها الفقوع شدة الصفرة كالحلوك للسواد والقنوء للحمرة يوصف
به اللون حقيقة والملون بسببه مثله حسن الوجه ومؤدب الغلام وعن الحسن
سوداء شديدة السواد على ان الفقوع ترشيح والسواد الخالص جالب للسرور كسواد
الحدق تسر الناظرين السرور لذة القلب عند حصول مرغوب او توقعه وعن
علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان
تكرير للسؤال الاول ومزيد استكشاف ان البقر تشابه علينا اعتذار عن التكرير
وتعليل الاستكشاف فان البقرة بتلك الصفة كثيرة عن عمر بن عبد العزيز انه قال
لبعض عماله اذا كتبت اليك ان اعط فلانا شاة فلا تراجعني اضائن ام ماعز واذا
قلت لك ضائن قلت اذكر ام انثى واذا قلت ذكر قلت اسود ام ابيض وانا ان شاء الله
لمهتدون الى المطلوب قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث
الذلول ضد الصعب من الذل بكسر الذال صفة بقرة ولا الثانية موكدة الاولى
والمعنى بقرة غير مذللة بالحراث والسقي مسلمة سلمها الله من العيوب كلها او اهلها
من العمل لا شية فيها لا لون فيها يخالف صفرتها حتى القرن والظلف يقال
وشاه وشيا اذا خلط لونه لونا اخر قالوا الآن جئت بالحق بالوصف المطلوب
فذبحوها الفاء فصيحة اي فحصلوها فذبحوها وما كادوا يفعلون في هذه الحالة ايضا
لكثرة تعنتهم وتثاقلهم او لخوف الفضيحة او لغلاء الثمن روي انهم طلبوها اربعين سنة
فلم يجدوها ثم ظفروا بها عند ارملة لها يتيم وكان ابوه من الصالحين فلما دناه الموت
كانت عجلة فذهب بها الى غيضة وسيبها وقال يا رب هذه امانة عندك لهذا اليتيم
فرباها الله تعالى احسن تربية وادى الامانة في وقتها حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا
وكان ثمن البقرة ثلثة دراهم واذ قتلتم نفسا نسب القتل الى الكل لوجوده بينهم
فادارأتم فيها مجاز عن الاختصام او كناية عنه لانه من روادفه حقيقة والمعنى
دفع بعضكم قتلها الى بعض او دفع كل منكم الآخر من البراءة الى التهمة والله مخرج ما كنتم
تكتمون لا محالة ولذلك اوثر الاسمية وانما عمل مخرج لانه حكاية المستقبل بالماضي
كما عمل باسط ذراعيه لكونه حكاية حال ماضية والجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه

فقلنا اضربوه ببعضها الضمير للنفس والتذكير باعتبار الشخص والمراد اي بعض كان
قيل ضربوه باللسان وقيل بالاذن وقيل بالفخذ اليمنى وقيل غير ذلك والله اعلم
والمعنى فضربوه فحيي فحذف المعطوف والمعطوف عليه لدلالة قوله كذلك يحيي الله
الموتى عليه مع الاشارة الى ان الاحياء كان بمحض قدرته وارادته تعالى من
دون تاثير للضرب ويريكم اياته لعلكم تعقلون خطاب لمن حضر القتيل او لمنكري
البعث في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا اوجه لعدم احتياجه الى
تقدير القول ولانهم الذين عدلوا عن مقتضى العقل فيقع لعلكم تعقلون في حاق
موقعه ولان ارادة الاحياء لهم قد وجد ابلغ من هذا القول ثم بعثناكم من بعد
موتكم وافراد الخطاب في ذلك ايماء الى ان الاحياء امر عظيم يخاطب به كل من
يتاتى له الخطاب وكان الله قادرا على الاحياء ابتداء وانما اجرى الامر على النمط المحكي
لما في ذلك من بدايع الحكم تركه بر الوالدين وحسن اثر التوكل وان من وقع
في شدة ينبغي ان يتقرب الى الله ويوثر الاحسن ويغالي في الثمن روي ان عمر بن
الخطاب رضي الله عنه قرب بدنة بثلثمائة دينار ومن لطايف اشاراته ان من
اراد الحيوة الحقيقية يجب عليه ان يقتل نفسه الجاهلة الطالبة للماء والعلف الشبيهة
بالبقرة حين تجاوزت حد الصبي ولم يلحقها ضعف الكبر فهي حينئذ كاملة القوى معجبة
بجمالها ليحيي بعد ذلك حيوة طيبة ثم قست قلوبكم من بعد ذلك اشارة الى جميع
ما عدد من الايات وثم لاستبعاد القسوة بعدها لوجود الاسباب المرجحة لها كقوله
ثم انتم تمترون والقسوة الغلظ مع الصلابة مثل بها حال القلوب في عدم الاعتبار
والاتعاظ ولذلك رتب عليه قوله فهي كالحجارة لان هذا التشبيه متفرع على ان
حالها او اشد قسوة عطف على الكاف اما بتقدير مضاف اي مثل اشد من
الحجارة كالحديد مثلا او بدونه على معنى انها كالحجارة او هي اشد منها والمعنى ان من
عرف حالها فهو مخير في احد التشبيهين او احد الامرين ولا شك من المتكلم ولا من
السامع وانما اوثر اشد قسوة وان صح بناء اسم التفضيل من القسوة وهو احصر لدلالة
اشد على الزيادة جوهرا وهيئة اعتناء بشان الزيادة او لم يرد تفضيل القلوب في
القسوة على الحجارة بل اشتراك القسوتين في الشدة ثم تفضيل قسوة القلوب في الشدة
ولا تفاوت في الحاصل لان قولك فلان اكثر علما من فلان التفضيل راجع الى العلم
الا ان لفظ اشد اشهر استعمالا في التوصل وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار
وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله عطف
على جملة فهي كالحجارة وتعليل للتفضيل وتقرير له معنى والتفجر التفتح والجري بكثرة والخشية
محمولة على الحقيقة لان المزاج ليس شرطا في الحيوة وتسليم الحجر حديث مشهور وقيل مجاز
عن الانقياد اطلاقا لاسم الملزوم على لازمه وهي متعلقة بالافعال السابقة كلها

وما الله بغافل عما كانوا تعملون قرا ابن كثير بالياء الغيبة والخطاب اشد وعيدا
افتطمعون ان يؤمنوا لكم الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والهمزة
للانكار واستبعاد الايمان منهم وقد كان فريق منهم اي من اليهود يسمعون
كلام الله اي التوراة ثم يحرفونه كتحريفهم نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم واية الرجم
وفي لفظ السماع اشارة الى عدم حظهم من معناه من بعد ما عقلوه فهموا مراد الله
منه وهم يعلمون ان التحريف كفر وضلال واذا كان علماؤهم كذلك فما ظنك
بالجهال السفلة منهم وقيل هؤلاء السبعون المختارون لما سمعوا كلام الله لموسى عليه
السلام بالامر والنهي قالوا لقومهم سمعنا يقول في اخر كلامه ان استطعتم فافعلوا
وان شئتم فلا تفعلوا واذا لقوا الذين امنوا اي منافقوهم حذف المضاف
لوجود القرينة قالوا امنا احدثنا الايمان واذا خلا بعضهم بعض اليهود الى بعض
متحدثا اليه قالوا اي غير المنافقين لهم على وجه العتاب اتحدثونهم اي المؤمنين
بما فتح الله عليكم بينه لكم يقال فتحته على كذا اذا وقفته عليه ويجوز ان يكون فاعل
قالوا المنافقون اظهارا للتصلب وانكارا عليهم ان يصدر منهم في المستقبل فهم
مع المؤمنين منافقون حقا ومع اخوانهم في صورتهم ليحاجوكم به اي بما في كتابكم
عند ربكم جعلوا محاجتهم بما في كتابه محاجة عند الله لان حاصل قولهم في كتاب الله
كذا عند الله كذا لان المراد حكمه ومبنى الكلام على الاحتجاج في الدنيا لانهم يعلمون انهم
يوم القيمة محجوبون سواء ابدوا ام اخفوا فلا تعقلون من تمام كلامهم واحتمال
كونه كلام الله تعالى مع المؤمنين منفصلا بقوله افتطمعون بعيد لكون رسول الله عليه السلام
مخاطبا به اولا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ولا يخفى عليه خافية والضمير للقائل
والمقول له ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني جمع امنية من منى التمني قدره
والمعنى جهلة لا يعلمون شيئا من الكتاب لكن يقدرون من عند انفسهم ان الله
يغفر لهم وان اباءهم الانبياء تشفع وان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وغير ذلك
من الاكاذيب والاستثناء منقطع لان تلك الاباطيل والمخرفة الذي تلقفوه من علمائهم
ليس من الكتاب والعلم في شيء وان هم الا يظنون في امر دينهم الظن لا يطلق بازاء
العلم على كل راي وان كان جازما كاعتقاد المقلد سوى بين العالم والمقلد في الضلال
ثم اشار الى ان العالم لكونه قدوة في الاضلال له مزيد العذاب بقوله فويل للذين يكتبون
الكتاب بايديهم الويل الهلاك مصدر وان لم يستعمل وقيل واد او جبل في جهنم وصح
الابتداء به لكونه دعاء مثل سلام وذكر اليد للتاكيد ودفع المجاز كقولك رايته بعيني
ثم يقولون هذا من عند الله ثم للتراخي رتبة لان القول اشد جرما من الكتبة ليشتروا
به ثمنا قليلا عوضا يسيرا او مؤلفا للرياسة واكل الرشى فويل لهم مما كتبت ايديهم
فويل لهم مما يكسبون اي لكتبتهم وكسبهم او للذي كتبوه ويكسبونه والاول احسن لفظا

ومعنى كرر الويل بازاء كل فعل مبالغة وانما المضارع في الكسب لكونه ممتدا دون
الكتبة وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة نوع اخر من اكاذيبهم اي اياما قليلة
قيل سبعة مقدار بقاء الدنيا سبعة الاف سنة بزعمهم في مقابلة كل الف يوم وقيل
اربعين ايام عبادة العجل قل اتخذتم عند الله عهدا وعدا او موثقا فلن يخلف الله
عهده لامحالة لاستحالة الخلف في وعده والفاء جواب شرط مقدر اي ان اتخذتم
وقرا ابن كثير وحفص بالاظهار على الاصل والباقون بالادغام لقرب الدال من التاء
ام تقولون على الله ما لا تعلمون ام معادلة للهمزة ومعنى الاستفهام التقرير لعلم المستفهم
وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم بوقوع الشق الاخر وهو الافتراء ففي الكلام تهكم بهم او
منقطعة والاستفهام في اتخذتم للانكار وفي ام للتحقيق او الحمل على الاقرار والتقريع
بلى اثبات لما نفوه من العذاب الدائم من كسب سيئة الكسب تحصيل الشيء باختيار
فان كان فيه زيادة تعمل تسمى اكتسابا واحاطت به خطيئته بحيث لم يوجد له حسنة قط
او معها الاحاطة والخطيئة اسم للذنب من خطئ بالكسر خطأ وخطاء سواء كان بالقصد
او بالعرض لقوله ان قتلهم كان خطأ كبيرا وقرا نافع خطيئاته بالجمع والافراد اولى لان
المحيط هو الكفر حقيقة فاولئك اصحاب النار الملازمون لها هم فيها خالدون لا غيرهم
من اصحاب الكبائر وتفسير الخلود باللبث الطويل غير واف بالمقصود مع الابهام المخل
والذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون جرت سنته
تعالى في كتابه بان يشفع الوعد بالوعيد ترغيبا وترهيبا ليرجى ثوابه ويخشى عقابه
وبضدها تتبين الاشياء واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله لما طال
الخطاب عدل الى الغيبة تفننا وتذكيرا بان الخطاب مع بني اسرائيل ولا تعبدون اخبار
في معنى النهي بدليل قوله وقولوا وهذا ابلغ من صريح النهي كان سارع الى الامتثال وانتهى
تخبر عنه ولا بد من تقدير القول اي قائلين او قولنا على انه بدل من الميثاق او جواب
لاخذنا ميثاقهم لان القول الجازم المثبوت جار مجرى القسم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل
في الكتاب لتفسدن في الارض ويجوز ان يكون في تاويل المصدر بان محذوفة كقولهم
تسمع بالمعيدي وقوله الا ايها الزاجري احضر الوغى وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي لا يعبدون
بياء الغيبة وبالوالدين احسانا تحسنون او احسنوا جزاء التربية وذي القربى واليتامى
والمساكين اليتيم لغة الانفراد وتخصيصه بالصغر عرف الشرع والمسكين من السكون
كان الفقر اسكنه وقولوا للناس حسنا وقرا حمزة والكسائي حسنا بفتح الحاء والسين
والاول ابلغ لكونه وصفا بالمصدر والقول الحسن اظهار نعته صلى الله عليه وسلم وعن الثوري
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واقيموا الصلوة واتوا الزكوة ما كان عليهم في
شرع موسى ثم توليتم التفات من الغيبة سواء خوطب الحاضرون او غلبوا ان بني
اسرائيل طريق الغيبة الا قليلا منكم هم الذين اقاموا اليهودية ومن اسلم منهم بعد النسخ

وانتم معرضون جملة معترضة اي وانتم قوم عادتكم الاعراض وهما مترادفان وقيل
التولي ان يرجع عودا على بدءه والاعراض ان ياخذ عن المنهج في العرض فهو اسوا حالا
من التولي في الجمع غاية الذم واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم من
دياركم نزل قتل الغير واخراجه منزلة قتل نفسه واخراجه لاتصال دينا ونسبا او لانه يوجب
القصاص عليه واشراك العار والصغار بين المخرج والمخرج ثم اقررتم وانتم تشهدون اي
اقر اسلافكم وشهدوا على انفسهم والاسناد الى الحاضرين لكونهم على طريقتهم او انتم
ايها المخاطبون مقرون بذلك على اسلافكم وانما ذكرت الشهادة بعد الاقرار مبالغة
كما في قولك فلان مقر بكذا شاهد على نفسه او وانتم مستمرون بعد الاقرار ثم انتم هؤلاء
استبعاد لما ارتكبوه بعد اخذ الميثاق والمعنى ثم انتم الموصوفون بنقض تلك الصفة
وبهذا الاعتبار صح الحمل كما تقول فلان غير الذي كنت تعرفه وقيل هؤلاء اسم موصول
تقتلون انفسكم اشارة الى نقض لا تسفكون وتخرجون فريقا منكم من ديارهم
اشارة الى نقض لا تخرجون انفسكم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان تتعاونون
من الظهر لانه مناط القوة وقرا الكوفيون بحذف تاء المضارعة تخفيفا وفي ذكر العدوان
بعد الاثم رمز لانه ظلم الغير وان ياتوكم اسارى تفادوهم كان بين الاوس
والخزرج محاربات وكانت قريظة من اليهود حلفاء الاوس والنضير حلفاء الخزرج
وقيل بنو قينقاع كانوا حلفاء الاوس وقريظة والنضير للخزرج فكان اذا اسر منهم
احد فادوه وجمعوا له من اليهود كلهم وكان الله قد اخذ عليهم في التورية الميثاق بفداء
الاسرى وترك القتل والاخراج والمظاهرة فاعرضوا عن الكل الا الفداء وقرا حمزة اسرى
وهو قياس جمع فعيل كقتلى وجرحى والباقون اسارى على انه جمع الجمع او جمع الاخر كقدامى
في جمع قديم وعن ابي عمرو اسرى عند الاخذ واسارى بعد الاستمرار وقرا ابن كثير وابن
عامر وابو عمرو وحمزة تفدوهم وهو الاصل لان الفادي معطي الفداء وعليه الرسم فيحمل قراءة
المد عليه وقيل فداه اذا خلصه بالمال وفاداه خلصه بالاسير وهو محرم عليكم اخراجهم الضمير
للشان او مبهم يفسره اخراجهم او راجع الى ما دل عليه تخرجون من المصدر والمذكور بيان
له ولم يتعرض للقتل للعلم به من حال الاخراج افتؤمنون ببعض الكتاب بالفداء
وتكفرون ببعض ما عداه من القتل والاخراج فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي
في الحيوة الدنيا الخزي ذل يستحيى منه كالقتل والاسر وضرب الجزية ويوم القيمة يردون
الى اشد العذاب اي اشد انواع عذاب الاخرة وما الله بغافل عما تعملون توكيد
للوعيد وقرا نافع وابن كثير وابو بكر بياء الغيبة والخطاب ابلغ ترهيبا اولئك الذين
اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة اثروها على الاخرة حين استبدلوا بها فلا يخفف عنهم
العذاب في الدنيا والاخرة ولا هم ينصرون بدفع وقهر من احد ولقد اتينا موسى الكتاب
التورية بعد اغراق فرعون وقفينا من بعده بالرسل اي ارسلنا على اثره رسلا كثيرة

لقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى سبعين الفا وقيل اربعة آلاف يقال قفيت فلانا
اذا اتبعته وقفيته بفلان اتبعته اياه فالباء داخل على التابع مأخوذ من القفا
كذنب من الذنب وآتينا عيسى ابن مريم البينات افرده بالذكر وان كان
من بني اسرائيل لانه صاحب شرع لفظ سرياني اصله ايشوع وكذا مريم معناه الخادم
وقيل العابد والتي تحب مجالسة الرجال وكانه من قبيل المفارة للمهلك والسليم
للديغ وقيل عربي وزنه مفعل اذ فعيل ليس من اوزانه والبينات معجزاته الواضحة
كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وايدناه بروح القدس جبرائيل او روحه
اي الروح المقدسة من اضافة الموصوف الى ما اشتق منه الوصف مبالغة في
ثبوته له كقولهم حاتم الجود وقرأ ابن كثير باسكان دال القدس حيث وقع افكلما
جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم بما لا تحبه يقال هوي بالكسر اذا احب وبالفتح
سقط والهمزة للتوبيخ والتعجب من ترتب هذا الفعل على ما سبق والفاء عاطفة
للشرطية على الفعلية قبلها اعني ولقد آتينا موسى ويجوز ان يكون عطفا على مقدر كانه قال
ولقد آتينا موسى الكتاب وارسلنا بعده رسلا كراما فجحدتم وعصيتم افعلتم ذلك افكلما
جاءكم رسول استكبرتم عن الايمان به ففريقا كذبتم كموسى وعيسى عليهما السلام
وفريقا تقتلون كزكريا ويحيى عليهما السلام وايثار المضارع اما لاستحضار تلك
الصورة القطيعة او للدلالة على انهم كانوا ساعين في قتل محمد صلى الله عليه وسلم ولذلك
سحروه وسموه يوم خيبر وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في مرضه الذي توفي فيه لا زالت الكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري
وقالوا قلوبنا غلف ذات غلاف لا يصل اليها ما يقول محمد عليه السلام مستعار من
الاغلف الذي لم يختتن او هو مخفف غلف جمع غلاف كفرش في فراش اي اوعية
للعلوم فلا حاجة لنا بعلم محمد عليه السلام بل لعنهم الله بكفرهم طردهم من رحمته بسبب
صرفهم القدرة والارادة من الطاعة الى ايثار الكفر فافسدوا الفطرة او هم جبلة ملعونون
من اين لهم الاستغناء عنك فقليلا ما يؤمنون ما مزيدة لتاكيد معنى القلة وهو ايمانهم
ببعض ما في التورية ولا مجال للمصدرية ويجوز ان يكون القلة بمعنى العدم لعدم الاعتداد
بذلك الايمان وقليلا من صفات الاحيان ولما جاءهم كتاب من عند الله اي
القران مصدقا لما معهم من الكتاب ولا يخالفه في الاصول وكانوا من قبل يستفتحون
على الذين كفروا يستنصرون به على المشركين ويقولون انصرنا بالنبي المبعوث في — اللهم
اخر الزمان ويقولون للمشركين قد اظل زمان من نجد نعته فاذا خرج نقتلكم معه
قتل عاد وارم وقيل كانوا يفتحون على المشركين ويعرفونهم قرب زمانه والسين للمبالغة
كما في استعجب او سأل بعضهم بعضا وانما صح وقوع الجملة حالا عما قبله لما بين الكتاب
والنبي من الاتصال وجواب لما محذوف لدلالة جواب الثاني عليه او الثاني تكرير الاول

والفاء

والفاء للدلالة على ان مجيئه كان عقيب الاستفتاح به فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به حسدا
فلعنة الله على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة
انما لحقتهم لكفرهم فاللام للعهد او للجنس ويدخلون فيه دخولا اوليا بئسما اشتروا
انفسهم ما نكرة موصوفة تمييز فاعل بئس والمخصوص ان يكفروا بما انزل الله والتعبير
بالمضارع استحضار للصورة كما في نظائره واشتروا معناه باعوا او اشتروا بظنهم خلاصها
لكونهم موقنين هلاكها لا يشكون فضلا عن الظن بوقوع النقيض بغيا علة اشتروا
الا ان يكفروا لان المعنى المسوق له الكلام ذمهم على اختيار الكفر على الايمان معللا
بالحسد لا ذم الكفر المعلل والفصل ليس باجنبي لان المخصوص فاعل معنى فالصفة
والموصوف شيء واحد ان ينزل الله اي حسدوه على ان ينزل الله من فضله الذي
هو الوحي على من يشاء من عباده واقتضت حكمته ارساله وقرأ ابن كثير وابو عمرو
ان ينزل الله مخففا فباءوا بغضب عطف على اشتروا والجار والمجرور في محل النصب
على الحال على غضب اي فصاروا احقاء بترادف الغضب للكفر والحسد او لكفرهم
بعيسى ومحمد عليهما السلام وللكافرين عذاب مهين لاستكبارهم عن اتباع الحق
وقيل العذاب المهين للكافر لان عذاب المؤمن طهره لذنوبه قلت لا ينافي لقوله
انك من تدخل النار فقد اخزيته واذا قيل لهم آمنوا بما انزل الله كله قالوا نؤمن
بما انزل علينا وحده ويكفرون بما وراءه عطف على قالوا والعدول اما للتصوير او للدلالة
على استمرار كفرهم الى زمان الاخبار او حال ان جوز كون المضارع المثبت حالا مع الواو
والوراء مصدر في الاصل مشترك بين الخلف والقدام لان التواري يقع بكل منهما
وهو الحق الضمير لما مصدقا لما معهم حال مؤكدة رد لمقالتهم لان الكفر بما جاء الكتب
كفر بما عداه فهم كافرون بالتورية قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين
بالتورية اذ ليس فيها جواز قتل مؤمن فضلا عن نبي والحاضرون وان لم يقتلوا الا
انهم على دين آبائهم معتقدون صواب افعالهم اسند فعلهم اليهم ولقد جاءكم موسى
بالبينات المعجزات الظاهرة هي آياته التسع ثم اتخذتم العجل الها من بعده وانتم
ظالمون اي وانتم قوم دأبكم الظلم فلا يبعد منكم عبادة العجل اعتراض او حال والغرض
منه التوبيخ او عبادة العجل لا يكون الا ظلما واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور
خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا كرر رفع الطور لما نيط به الزيادة اولان الاول تذكر
النعمة وهذا احتجاج عليهم في رد دعوى الايمان قالوا سمعنا وعصينا تفصيل لما اجمله
هناك من قوله ثم توليتم وانتم معرضون واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم يقال
سيف اشرب سما ولون مشرب حمرة والمعنى جعلوا شاربين حب العجل نافذا في
اعماقهم نفوذ الماء فيما يتغلغل وذكر القلب لبيان المحل بعد الاسناد الى الجملة كقوله
انما ياكلون في بطونهم نارا وفي الابهام والتفسير والتمكن المستفاد من الظرف وجعل العجل

هو الشرب دون حبه ما لا يخفى من المبالغة قل بئسما يأمركم به إيمانكم بالتورية لأنه ليس
في التورية عبادة العجل وفي إسناد الأمر إلى إيمانهم وإضافته إليهم تهكم استرذال ودلالة
على أن إيمانا يدعو إلى عبادة العجل إنما يليق بهم إن كنتم مؤمنين فرضا وتقديرا
قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله كما تزعمون لن يدخل الجنة إلا من كان هودا
خالصة نصب على الحال وإن لم يجز الحال عن اسم كان فعن المستكن في لكم
من دون الناس كلهم فتمنوا الموت إن كنتم صادقين في دعواكم لأن من أيقن
أن الجنة له ما توقفه في دار البلايا والآفات ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم من
الكفر والمعاصي عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لو تمنوا الموت لشرق كل يهودي
بريقه ولم يبق على وجه الأرض يهودي وإنما أسند فعل الجملة إلى اليد لأنها جاح
الإنسان ومحل آثار قدرته وبها أكثر أعماله والله عليم بالظالمين أي بهم وصفا لهم
بالظلم في الافتراء على الله ودعوى ما ليس لهم عنده ولتجدنهم أحرص الناس على
حيوة أي حيوة متطاولة ولذلك نكرة فأنى لهم تمني الموت ومن الذين أشركوا
عطف على أحرص الناس معنى لأن تقديره أحرص من الناس وإنما أفرد المشركين
بالذكر لأنهم لا يقولون بالمعاد فهم في غاية الحرص على الحيوة فإذا زاد حرص اليهود
والذين يزعمون أن لهم الجنة من دون الناس فقد ظهر أنهم كاذبون في ذلك
الزعم أحقاء بأعظم التوبيخ ويجوز أن يكون ومن الذين أشركوا كلاما مبتدأ على أن
المراد بهم اليهود لقولهم عزير ابن الله والمعنى ومن هؤلاء اليهود أناس يود أحدهم
وعلى الأول استئناف لبيان زيادة حرصهم لو يعمر ألف سنة لو مصدرية مفعول
يود أو للتمني حكاية لودادتهم وكان القياس لو أعمر وإنما عدل عنه لئلا يلتبس
في شكل وزيد لو أفعل يتمنى فعل الحاكي وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر الضمير
لأحدهم وأن يعمر فاعل بمزحزحه وما أحد بمزحزحه من العذاب تعميره أو لما دل عليه
أن يعمر من مصدره وأن يعمر بدل منه أو مبهم فسر بأن يعمر والزحزحة التبعيد والله
بصير بما يعملون وعيد لهم قل من كان عدوا لجبريل كانت اليهود تزعم أن جبرئيل عدوهم
لأنه ملك العذاب أهلك الأمم السالفة وأن ميكائيل صديقهم لأنه موكل بالأمطار
والخصب روى الشعبي أن عمر بن الخطاب كان كثير الدخول مدارس اليهود ويستمع
إلى التورية فترى اليهود أن دخوله لميله إلى اليهودية فقالوا يوما قد طعنا فيك يا ابن
الخطاب فقال والله ما ازددت بدخولي عليكم إلا بصيرة في أمر محمد ثم سألوه عن الملك
الذي يجيء بالوحي على محمد فقال جبرئيل فقالوا ذاك عدونا ولو كان ميكائيل لآمنا به
فقال عمر كيف منزلتهما عند الله قالوا جبرئيل عن يمينه وميكائيل عن يساره وبينهما
عداوة فقال عمر رضي الله عنه إن كان الأمر كما تقولون فهما ليسا بعدوين ولأنتم أكفر
من الحمير ومن كان عدوا لأحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله

فجاء عمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سبقه جبرئيل بالوحي قرأ حمزة والكسائي جبرئيل
كسلسبيل وابن كثير كذلك إلا أنه حذف الهمزة وأبو بكر كذلك إلا أنه حذف الياء ودون
الهمزة والباقون بكسر الجيم والراء وحذف الهمزة على وزن قنديل وهو المختار لأنه لغة (الحجازيه)
فإنه نزله على قلبك الضمير للقرآن وإن لم يسبق له ذكر كأنه علم لفرط شهرته لا يذهب الوهم
إلى غيره جعل تفهيم جبرئيل إياه تنزيلا على قلبه مجازا وفي على دلالة على أن المنزل أخذ
بمجامع قلبه بإذن الله بإرادته وتيسيره مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين
أحوال من المفعول وجزاء الشرط محذوف مسبب عن المذكور أي من كان عدوا لجبرئيل
فلا وجه لعداوته لأنه الذي نزل القرآن المصدق لكتابه فهو حقيق بأن يصادق ولا يعادى
أو من كان عدوا له فلعداوته وجه لأنه أتى بما يكرهه ويزيل رياسته وقيل التقدير من كان
عدوا لجبرئيل فليمت كمدا فإنه نزل القرآن على قلبك من كان عدوا لله وملائكته
ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين أي لهم والإظهار للدلالة على علة المعاداة
وإفراد الملكين لمزيتهما كأنهما غير داخلين في الملائكة وفي الكلام دلالة على أن عداوة
كل واحد مما ذكر كفر لارتباط الجزاء به لا بالمجموع وقرأ أبو عمرو وحفص ميكال بحذف الهمزة
والياء ونافع بحذف الياء والباقون بإثباتهما والكل لغات ولقد أنزلنا إليك آيات
بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون نزل في ابن صوريا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم
ما جئتنا بآية نعرفها واللام في الفاسقون للجنس أي الكاملون في الفسق والأولى
أن يكون للعهد مشارا بها إلى اليهود وليقع الحصر موقعه لأن الكلام في عد كفراتهم
المتناهية أولا وآخرا الوصف بالتمرد أليق بحالهم أو كلما عاهدوا عهدا الواو للعطف
على محذوف أي أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا إذ لا مجال للعطف على الكلام
السابق نبذه فريق منهم نقضه والنبذ طرح الشيء من غير مبالاة وقيده بفريق لأن بعضهم
لم ينقضه ودل بكلما على وقوعه منهم كثيرا آخرها نقض قريظة عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم الأحزاب بل أكثرهم لا يؤمنون بالتورية ولا يعدون نقض العهد ذنبا وفيه دلالة
على أن الموفين بالعهد هم الأقلون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم
كعيسى ومحمد عليهما السلام نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم
كناية عن الازوراء به وعدم الاعتداد بأحكامه عن الثوري أدرجوه في الحرير وحلوه بالذهب
ولم يحلوا حلاله ولا حرموا حرامه وقيل كتاب الله تعالى هو القرآن والنبذ يقتضي سابقة الأخذ
فالمراد الإعراض عنه بعد إلزامه إياهم ولزومهم القبول كأنهم لا يعلمون لا يشكون في
كونه كتاب الله ولكن تشبهوا بمن لا يعلم لسلوكهم منهج من يجهل أو كأنهم لا يعلمون
أنهم عالمون من غير شك وهذا أدل على رصانة علمهم المستفاد من الذين أوتوا الكتاب
واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان عطف على نبذ أي نبذوا كتاب الله
وراء ظهورهم واتبعوا كتب السحر التي كانت الشياطين تقرؤها على عهد سليمان وذلك

ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ويضمون الى ما سمعوا كذبات ويلقونها الى الكهنة
فدونوها فى الكتب وفشا ذلك فى زمن سليمان فنسبوه اليه وقالوا انما سخر الجن بهذا
قال ابن عباس رضى الله عنه فجمع سليمان تلك الكتب ودفنها تحت كرسيه وكان
الامر على ذلك حتى مات سليمان والعلماء العارفون حال سليمان فتمثل شيطان فى صورة
انسان واتى اليهود فقال هل ادلكم على كنز علم سليمان فاتى موضع الكرسى وقال احفروا
هذا الموضع فحفروا فوجدوا اصندوقا فاخرجوه واعتقدوا انه علم سليمان وفشى فيهم ان
سليمان كان ساحرا فرد الله عليهم بقوله وما كفر سليمان بعمل السحر وانما يكفر الساحر
اذا اعتقد تاثيره استقلالا او انضم اليه ما هو كفر كعبادة الكوكب والا فهو من اكبر الكباير
واما تعلمه فكذلك الا اذا دعت اليه حاجة بان فشى فى ناحية واريد تبيين فساده ورد
الخلق الى الحق كتعلم الفلسفة للذب عن الدين ودفع الشبه ولكن الشياطين كفروا
باعتقاد السحر وعمله للاغواء والسحر لغة الصرف حكاه الازهرى عن الفراء ويونس ولا يظهر
الا على يد فاسق شرير لزواله قولا وفعلا محرما كما ان الكرامة لا تظهر الا على يد مؤمن متق
وقرا ابن عامر وحمزة والكسائى ولكن مخففا والمعنى واحد يعلمون الناس السحر
اغواء واضلالا وما انزل على الملكين عطف على السحر كانه نوع اقوى وقيل ما نافية عطف
على ما كفر تكذيب لليهود فى هذه القصة والملكان جبرئيل وميكائيل وعلى هذا هاروت وماروت
بدل بعض من الشياطين ويرده قوله انما نحن فتنة فلا تكفر اذ مثله لا يقوله الشيطان
المغوى ببابل ظرف او حال هاروت وماروت بدل او عطف بيان مما ملكان
انزلا ابتلاء للناس كما ابتلا قوم طالوت بالنهر وما يعلمان من احد حتى يقولا
انما نحن فتنة ابتلاء واختبار فلا تكفر بتعلمه واعتقاد حقيته فيتعلمون منهما الضمير لما دل
عليه من احد ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من احد الا باذن الله
بارادته وتيسيره والسحر سبب من الاسباب ويتعلمون ما يضرهم لان علمه يجر الى العمل
لان مجرد علمه لا يترتب عليه فايدة ولا ينفعهم بوجه وما كان ضررا محضا لا يقربه عاقل ولقد
علموا اى اليهود لمن اشتراه استبدل السحر بكتاب الله ما له فى الآخرة من خلاق من
نصيب من الخلافة وهى الملابسة يقال للمراة الرتقاء الخلقاء اللام الاولى جواب القسم
والثانية ابتدائية تعلق العلم عن العمل ولبئس ما شروا به انفسهم عطف على جملة القسم
وجوابه او على الجواب وعطف الانشاء على الاخبار شايع كثير لو كانوا يعلمون اثبت لهم
اولا العلم على طريق التوكيد ثم نفاه عنهم لعدم جريهم على موجب العلم ومقتضاه ودلالة
على ان من لم يعمل بعلمه كمن لا يعلم فان العلم بالقبح للارتداع عن القبيح فحيث لا ارتداع
لا نفع وما لا نفع فيه كالمعدوم وقيل المثبت اولا العقل الغريزى او العلم الاجمالى بقبح الفعل
وفيه ان الكلام مع علماء اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون
مع رصانة علمهم بما فيه لو انهم آمنوا بمحمد عليه السلام وما انزل عليه واتقوا التحريف واتبع

السحر لمثوبة من عند الله خير اى لاثابهم الله مثوبة والعدول الى المنزل للدلالة على ثبات
المثوبة لهم واستقرارها على تقدير الايمان والتقوى وفى ذكر من عند الله خير تحقير لهم ترغيب
لغيرهم فى الايمان والتقوى لو كانوا يعلمون تقدم تحقيقه ويجوز حمل لو على التمنى فى الموضعين
والمعنى انهم على حال يتلهف الناظر فيها عليهم يا ايها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا
انظرنا نوع آخر من كفر اليهود وخداعهم وذلك ان المؤمنين كانوا فى مجلس التخاطب
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون راعنا يا رسول الله حتى نفهم ما تقوله وكان
راعنا كلمة سبة بالسريانية فشرعوا يخاطبون به رسول الله صلى الله عليه وسلم فامر المسلمون
ان يقولوا ما يؤدى معناه وهو انظرنا من النظرة بمعنى الانتظار وروى ان سعد بن
معاذ قال لهم عليكم لعنة الله لئن سمعتها من احد منكم لاضربن عنقه فقالوا الستم تقولونها
فنزلت واسمعوا كلامه باذان واعية حتى لا تحتاجوا الى تلك الكلمة او بدلها او سماع
طاعة على انه تعريض باليهود او اسمعوا ما نهيتم عنه او امرتم به بجد حتى لا تعودوا الى مثله
فهو تاكيد للاول والاول املأ فايدة وللكافرين عذاب اليم ما يود الذين كفروا
من اهل الكتاب ولا المشركين الود حب الشئ مع التمنى ان ينزل عليكم من خير
من ربكم من وحى من الاولى بيان والثانية لتاكيد الاستغراق والثالثة للابتداء
والله يختص برحمته بوحيه ونبوته من يشاء اختصاصه واقتضت حكمته والله ذو الفضل
العظيم حيث يخص فردا من البشر من بنى نوعه بالرسالة التى لا رتبة فوقها بعد
الالوهية ولذلك خاطب سيد الرسل تارة بقوله وكان فضل الله عليك كبيرا واخرى
بقوله وكان فضل الله عليك عظيما ما ننسخ من آية او ننسها من مطاعن اليهود ايضا
القدح فى رسالته بالنسخ كانوا يقولون يامر اليوم بحكم وغدا بما يناقضه والنسخ لغة
الازالة والنقل يقال نسخت الشمس الظل ونسخت الكتاب ومنه التناسخ ومناسخات
المواريث وفى الشرع بيان انتهاء حكم شرعى باخر يعارضه وقيل رفع حكم شرعى والمراد
رفع تعلقه والمآل واحد والنسخ قد يكون للفظ والحكم وهو كثير وكذا نسخ الحكم وحده
واما نسخ اللفظ دون المعنى فقليل ومنه الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما جزاء بما كسبا
نكالا من الله قال عمر لولا ان يقول الناس زاد عمر فى كتاب الله لاثبتها فى المصحف
لئلا يقول احد انا لم نجده فى كتاب الله الا انا قد قراناها ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم
والانساء التاخير فى الانزال او الاذهاب عن القلوب وقرا الكوفيون ونافع وابن عامر
بضم النون وكسر السين من الانساء وهو الاذهاب عن القلب والامر بترك قراءتها
نات بخير منها للمكلف اما فى الدنيا ان كان البدل اخف ويدخل فيه النسخ لا الى بدل
او فى الاخرى ان كان اثقل او مثلها اما فى الثقل او فى الثواب ويشمل النسخ بالوحى
المتلو وغيره ويعم النسخ والانساء او لا امتناع فى الاتيان بعد الانساء بحكم بما يكون اخف
او اكثر ثوابا وقيل الخير فى النسخ والمثل فى النسى على طريقة اللف الم تعلم ان الله على كل شئ قدير

فهو يقدر على النسخ والاتيان بالبدل الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض توضيح
للاول او جار مجرى تعليله وما لكم من دون الله من ولى يتولى اموركم ولا نصير يدفع عنكم
اذا اراد بكم سوء وفيه دلالة على انه المؤثر فى الكائنات من غير واسطة ام تريدون ان تسألوا
رسولكم كما سئل موسى من قبل ام متصلة لان قوله الم تعلم الى آخره حمل على الثقة معادلة كأنه
قيل اتثقون به بعد العلم بما يوجب الوثوق ام لا وتقترحون كما اقترحت اسلاف اليهود
وفيه حمل على الوثوق على ابلغ كقوله فهل انتم منتهون بعد بيان مفاسد الخمر ويجوز ان يكون
منقطعة بان نزلهم منزلة من تريد السؤال بعد بيان الصارف عنه فانكر عليهم والظاهر
ان المخاطب هم المؤمنون كما فى قوله يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ولذلك ذيله
بقوله ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل دلالة على ان اقتراح الآيات
من شيم الكفار مبالغة فى المنع فلا يحوم حول خواطرهم وقيل نزلت فى اهل الكتاب
حين سألوه ان ينزل عليهم كتابا من السماء وقيل فى المشركين حين قالوا لن نؤمن
لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم
كفارا نوع آخر من قبائح اليهود بعد وقعة احد دعا احبار اليهود عمارا وحذيفة الى دينهم
حملهم على ذلك ما وقع فى المسلمين من بعض الانكسار حسدا من عند انفسهم اى
كائنا منبعثا من اصل نفوسهم ويجوز ان يكون متعلقا بود على معنى انهم ودوا ذلك
من قبل انفسهم لا ميلا مع الحق والاول هو الوجه لانه اقرب ولان مآل الثانى اليه
ولان قوله من بعد ما تبين لهم الحق مغن عنه فاعفوا اتجاوزوا من عفا الرسم
اذا ذهب اثره واصفحوا اعرضوا ولا تثربوا من صفح الوجه وهو جانبه لان المعرض يبدى
الجانب فهو ابلغ من العفو حتى يأتى الله بامره هو قتل قريظة واجلاء النضير ان الله
على كل شىء قدير فهو قادر على الانتقام منهم ولكن اقتضت حكمته التأخير واقيموا
الصلوة وآتوا الزكوة عطف على فاعفوا امرهم بالتقرب اليه ليكون وسيلة الى دفع
مكايدهم وما تقدموا لانفسكم من خير اى خير كان تعميم بعد التخصيص تجدوه عند الله
اى ثوابه ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه شىء وقالوا لن يدخل الجنة الا من
كان هودا او نصارى اى قالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان يهوديا وقالت
النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصرانيا وانما لف بين القولين ثقة بان
السامع يرد الى كل قائل قوله لامن الالباس لان كل فرقة تضلل الاخرى وافراد
الاسم وجمع الخبر باعتبار لفظ من ومعناه تلك امانيهم اشارة الى جميع ما تقدم من
قوله ما يود الذين كفروا الى ما فى الآية قل هاتوا برهانكم على ما تدعون متصل بقوله
لن يدخل الجنة وما بينهما اعتراض وهات اسم فعل معناه احضر ان كنتم صادقين
فى جعل الصدق بمنزلة الملزوم لاقامة البرهان دلالة على ان ما لا دليل عليه لا ثبوت له
فان قلت الدليل ملزوم وانتفاؤه لا يوجب انتفاء المدلول لجواز وجود ملزوم آخر قلت

مبنى الكلام على انتفاء الملزومات كلها وعدم جواز التقليد فى العقايد بلى اثبات لما نفوه
ثم ابتدأ بقوله من اسلم وجهه لله اى ذاته وهو محسن مخلص فى ايمانه اى من اتصف
بهذه الاوصاف كائنا من كان على طريق كلام المنصف فله اجره عند ربه كاملا من غير
نقص ويجوز ان يكون من اسلم جواب سؤال كأنه قيل من يدخلها فقيل من اسلم وقوله
فله اجره تتميم زيادة على دخول الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون من وقوع مكروه او فوات
مطلوب وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود
على شىء اى شىء يعتد به فى امر الدين لما فرغ من قدحهم فى الاسلام شرع فى قدحهم
فيما بينهم والظاهر ان المراد نقل مقالتهم وقيل تناظروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما قدم وفد نجران وهم يتلون الكتاب الواو للحال والمراد جنس الكتاب كذلك قال
الذين لا يعلمون الجهلة من المشركين والمعطلة مثل قولهم صفة مصدر اى قولا مثل
قولهم والكاف فى كذلك فى محل الحال اى قالت الجهلة مثل ما سمعت من هولاء على
ذلك النمط فلفظ المثل دل على التماثل فى المودى والكاف على التوافق فى الصفات
ويجوز ان يكون الكاف منحة فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بان
يكذبهم ويدخلهم النار ويوفيهم ما يستحقونه من العذاب فان الحكم بين الخصمين
لا يقتضى ان يكون احدهما محقا ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه
اى لا اظلم وان يذكر ثانى مفعولى منع او مفعول له اى كراهة ان يذكر وحذف ثانى
مفعولى منع ليشيع فى الدخول والعمارة ونحوهما فان قلت كم من ذنب اعظم من المنع
المذكور لا سيما الشرك بالله قلت اذا كان الباعث على المنع كراهة الذكر يكون المانع
كافرا لا محالة والآية واردة لبيان زيادة شناعة حال اهل الكتاب بانهم مع كونهم نافين
لساير الاديان مانعون المساجد عن ذكر الله فهم مستغرقون فى الضلال قولا وفعلا
واعتقادا نزلت فى الروم خربوا المسجد الاقصى واحرقوا التورية وقيل فى المشركين لما
صدوا رسول الله عليه السلام عام الحديبية وسعى فى خرابها تعطيلها عن الذكر او تخريب
بنيانها وانما اثر الجمع والمنع من احد المسجدين لاستواء ساير المساجد فى ذلك الحكم لان
السبب لا يخصص اولئك ما كان لهم ان يدخلوها الا خائفين اى ما كان اللائق
بحالهم ان يدخلوا المساجد الا خائفين من المؤمنين ان يبطشوا بهم لا لظلمهم وعتوهم
او ما كان لهم فى حكم الله المسطور فى اللوح الا ذلك ففيه وعد للمسلمين بالنصر وقد
وقع ذلك بحمد الله نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم بعد نزول قوله انما المشركون
نجس لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان واستخلص الفاروق
بيت المقدس من ايدى الروم اولا وصلاح الدين يوسف ثانيا فى خلافة الناصر
لدين الله واختلفت الائمة فى جواز دخول الكافر المسجد جوزه ابو حنيفة رحمه الله ومنعه
مالك رحمه الله وفرق الشافعى رحمه الله بين المسجد الحرام وغيره لهم فى الدنيا خزى بالقتل

والسبي وضرب الجزية ولهم في الاخرة عذاب عظيم لا يحيط بكنهه علم البشر ولله المشرق
والمغرب خلقا وملكا مستطرد عند ذكر المساجد وتمهيد لنفي الولد لان مكون الجهات مقدس
عنها والولد من جنس الوالد فيستحيل ان يماثله ذو جهة فاينما تولوا فثم وجه الله الوجه
والجهة كالوزن والزنة مصدران نقلا الى الاسم والعرب يقول الوجه للقصد قال شعر
رب العباد اليه الوجه والعمل والمعنى نفي اي مكان فعلتم التولية نحو القبلة فهي الجهة التي
ارادها وارتضاها ولا يختص عبادته بالمساجد على ما رواه البخاري في خواصه جعلت لي
الارض مسجدا فاي رجل ادركته الصلوة فليصل حيث كان وعن جابر نزلت في سرية
صلوا في الظلمة الليل ثم تبينوا خطائهم وقيل نزلت في المسافر يصلي النفل حيث توجه وقيل
نزلت تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث صلى نحو بيت المقدس مدة في المدينة وفيه
توطئة لنسخ القبلة وعن ابن عباس رضي الله عنه اول ما نسخ في القران القبلة ان الله
واسع رحمة حيث سهل عليكم امر القبلة عليهم عليم بالمصالح وقالوا اتخذ الله ولدا
اي اهل الكتاب والمشركون قالت اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله والمشركون
الملائكة بنات الله وقرا ابن عامر قالوا بدون الواو وعليه رسم مصحف الشام على انه
مستانف كانه قيل هل انقطع حبل مفترياتهم او امتد فقيل بل قالوا اعظم من ذلك او تتمه
للاعتراض زيادة لافراطهم في الظلم سبحانه تنزيه له عما نسب اليه بل له ما في السموات
والارض خلقا وملكا ومن جملته العزيز والمسيح والملائكة كل له قانتون منقادون
وما هذا شانه لا يجانس المكون فكيف يكون ولدا وانما غلب غير اولي العقل ولا تحقيرا
لشانهم لاقتضاء المقام ذلك كما عبر عن الملائكة باسم الجنة في مثله واولوا العقل ثانيا
اشارة الى ان الجمادات في الانقياد والمشية كانها عقلاء مميزون ففي مقام كبريائه العقلاء
كالجمادات وفي مقام العبودية بالعكس بديع السموات والارض من اضافة الصفة
الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه والابداع ايجاد الشي دفعة ومنه البدعة لما لا اصل له
في الدين فهو الصق بالمقام من الصنع والتكوين وامثالهما تنزيه عن الولد لان الولد
جزء من الوالد منفعل منه ومبدع الاشياء منزه عن الانفعال وفيه رد على النصارى فان
من اوجد الاكوان من غير مادة ايجاد مولود من غير اب لا يستبعد منه واذا قضى امرا اراد
تكونه والتعبير بالقضاء الدالة على التمام واللزوم فهو اخص من الارادة فانما يقول له
كن فيكون شبه الحالة المقصودة من تعلق ارادته بالمكونات وسرعة ايجاده بلا ريث
ولا توقف على اسباب ومواد وروية بامر آمر نافذ التصرف في المامور المطيع الذي لا يتوقف
في الامتثال فاستعمل فيهما ما حقه ان يستعمل في ذلك ولا قول هناك ولا امر وقيل بل جرت
السنة الالهية بان يكون الشي بكلمة كن والمامور هو الحاضر في العلم لان وجودات
الاشيا في العلم الازلي تعينات والمامور به الدخول في الوجود ومقتضى الكلام ترق الارادة صح
اذ هذا الشان اقوى في الابداع من كونه بديع السموات والارض وقرا ابن عامر كن فيكون

بالنصب على الجواب لفظا وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله اي المشركون الذين
قالوا الملائكة بنات الله طلبوا ان يكلمهم الله كفاحا او تاتينا آية او تاتينا لعدم اعتدادهم
في القران وساير المعجزات كذلك قال الذين من قبلهم من الامم السالفة مثل قولهم
مثل قول هولاء قالت اليهود ارنا الله جهرة وقالت النصارى هل يستطيع ربك ان
ينزل علينا مائدة من السماء تشابهت قلوبهم في الكفر والعناد قد بينا الايات لقوم
يوقنون ايقانا خاليا عن الكفران لا ايقان المجرد عن الاذعان والقبول ليس من
الايمان في شي لقوله يعرفونه كما يعرفون ابناءهم انا ارسلناك بالحق ملتبسا به حال مؤكدة لان
الارسال من الله لا يكون الا كذلك بشيرا بالجنة لمن امن ونذيرا من النار لمن كفر
ولا تسال عن اصحاب الجحيم لم لم يؤمنوا عبر باصحاب الجحيم اشارة الى انهم مخلوقون لها
فلذلك لم يجد الانذار وقرا نافع ولا تسال على الخطاب اما لان حالهم في الفظاعة
بلغت حد الوحش السامع او المتكلم من التكلم بها او لما روى القرطبي وابن عباس انه
صلى الله عليه وسلم قال ليت شعري ما فعل ابواي اي على ما انتهى امرهما فنزلت والاول
هو الوجه لقوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم اقناطا عن اتباعهم
اياه فانه كان يلاطفهم رجاء ان يتبعوه او صرحوا بذلك فحكى الله كلامهم يؤيده قوله
قل ان هدى الله هو الهدى فانه يقتضي سابقة قول منهم اي دين الاسلام هو الهدى
الذي يجب اتباعه لا الهوى الذي تدعون اليه وعبر عن الاسلام بهدى الله لوقوعه في
مقابلة هواهم ولئن اتبعت اهواءهم جمع هوى هو راي يتبع التشهي ومثل اللذة
بعد الذي جاءك من العلم ببطلان ما هم فيه او من الدين المعلوم صحته ما لك من الله
من ولي يتولى امورك ولا نصير يدفع عقابه عنك الذين آتيناهم الكتاب المؤمنون
منهم كعبد الله بن سلام يتلونه حق تلاوته من غير تحريف وتبديل تعريض بالمحرفين خبرا
وحال مقدرة والخبر اولئك يؤمنون بكتابه ومن يكفر به فاولئك هم الخاسرون في
تجارتهم رمزا الى ما ذكر اولا من اشترائهم الضلالة بالهدى يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي
انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين خاطبهم اولا من بين بني ادم وحثهم على اتباع
من هو رحمة للعالمين فانقسموا الى مقبل ومعرض ثم خاطبهم ثانيا خطابا شاملا للفريقين
تحذيرا لمن اهتدى وتحذيرا لمن كذب واتى فليس التكرير لمجرد التقرير مع ما فيه من حسن التخلص
الى ذكر جدهم قدوة الموحدين على وجه يؤكد ما ندبوا اليه واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس
شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون تقدم تفسيره وانما ذكر القبول
مع العدل والنفع مع الشفاعة عكس الاول تفننا واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات الابتلاء
والبلاء بمعنى الامتحان يتضمن امرين تعرف ما يجهل من حال الشي وظهور جودته ورداءته
فقد يقصدان وقد يقصد احدهما والاول محال في حقه تعالى فتعين الثاني وقيل ابتلاه
اصابه بالبلاء او المكروه لان التكاليف شاقة على النفس وهو عائد الى الاول مع استهجان

اطلاق لفظ البلاء والمكروه على اوامر الله والعامل في اذ اذكروا ذا ابتلاء كان كيت
وكيت او قال في قال اني جاعلك والكلمات الاحكام كقوله وصدقت بكلمات ربها
عن ابن عباس رضي الله عنه هي عشرة خمسة في الراس قص الشارب والمضمضة
والاستنشاق والسواك وفرق الراس وخمسة في البدن تقليم الاظفار ونتف الابط وحلق
العانة والختان والاستنجاء بالماء روى مسلم رحمه الله عن عايشة رضي الله عنها عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشر من الفطرة الا ان في روايتها اعفاء اللحية بدل الفرق وغسل
البراجم بدل الختان وروى الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسير الكلمات
انها ثلثون سهما من خصال الايمان عشر في براءة التايبون الى اخر الاية وعشر في
الاحزاب ان المسلمين الى اخر الصفات وعشر في اول قد افلح المومنون وعن الحسن
ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والهجرة والالقاء في النار وذبح الولد وقيل ابتلاه في
المناسك فاتمهن قام بها على الوجه الاكمل وابراهيم الذي وفى قال اني جاعلك
هما اما استيناف ان اضمر عامل اذ وان جعل هو العامل فالواو داخلة عليه وتقدير امر
عطف القصة على القصة المعادة اجمالا بقوله يا بني اسرائيل اذكروا ويجوز ان يكون
بيانا على الوجه الاول فيراد بالكلمات الامور الاربعة وهي الامامة وتطهير البيت ورفع
قواعده والاسلام وقيل الكل والامام فعال بمعنى المفعول اسم لمن يوتم به كالازار قال
ومن ذريتي عطف على الضمير المجرور لان الاضافة اللفظية في تقدير الانفصال اي
وجاعل لذريتي الامامة ايضا اخرجه في صورة الاخبار اهتماما بوقوعه وتفاديا عن
صورة الامر خطابا لمن تعالى شانه فهو كعطف التلقين في قولك وزيد لمن قال
ساكرمك بجعل نفسك تابعا عن المتكلم وفيه من الاختصار والحسن ما يروق كل
ناظر وانما لم يسال لكل ذريته لعلمه بان بعضهم لا يؤمن قال لا ينال عهدي الظالمين
اجابة الى سواله وابرز ما اشار اليه في السوال بمن التبعيضية اي انما ينال من كان
عادلا كقولك لا يرث مني اجنبي لمن قال اوص لبنيك والاية دلت على ان
الظلم الموجود مانع واما ان الطاري يبطل الامامة فلا ولا دلالة فيه على عصمة الانبياء قبل
النبوة لان الفاسق بعد التوبة صالح للامامة واذ جعلنا البيت علم بالغلبة للكعبة
الشريفة مثابة للناس مرجعا من ثاب رجع اي يثوب الزايرون اليه اما باعيانهم
او باشالهم لان الزاير ربما لا يثوب واللام للجنس وانما اسند اليه لانه داع الكل في الاسلام
والقصد الى الحج والاعتمار وقيل للاستغراق والمراد الكل والاشراف وامنا اي ذا
امن او نفس امن وصفا بالمصدر مبالغة والامن للساكن اما في الدنيا فلان الناس
يتخطفون حوله ولان الجاني اذا التجى اليه لا يتعرض له كما ذهب اليه ابو حنيفة او في الاخرة
لان الحج يجب ما قبله واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى خطاب لامة محمد عليه السلام او
لامة ابراهيم عليه السلام بتقدير القول والامر للاستحباب وايثار الاشرف لان الغرض

بين اما اتم

لايختص بمكان اجماعا وللحديث المستفيض كما تقدم في قوله فاينما تولوا فثم وجه الله
روى البخاري عن انس بن مالك عن عمر رضي الله عنهم وافقني ربي في ثلث قلت يا رسول الله
لو اتخذنا مقام ابراهيم مصلى فنزلت وقلت لو امرت نساءك بالحجاب فنزلت اية الحجاب
وقلت لنسائه عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا فنزلت ومقام ابراهيم هو الحجر الذي
قام عليه حين بنى البيت فغاصت رجله فيه فالمعنى عند مقامه وكان عند الحايط فنقل
الى المقام الذي الان به لئلا يشق على الطايفين ولما وقع سيل الجحاف وذهب السيل
بالمقام الى اسفل مكة سال عمر المطلب بن ابي وداعة عن مكانه وكان قد قاس
من البيت الى مكانه بخيط مخافة مثله فدل على المكان الذي الان به وضرب عليه عمر
سدا لئلا يصل اليه السيل وقيل مقامه الحرم كله فالامر بالتوجه اليه لا فقي عند من اكتفى
بالجهة وقرا نافع وابن عامر واتخذوا بالفتح ماضيا والكسر اكد وادل على المشروعية وقرا ابن
ابن عامر ابراهام بالالف هنا وفي غيره في احدى الروايتين وعليه رسم مصحف الشام وهو
اصله في السريانية والياء بعد التعريب وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتي للطايفين
اي امرناهما امرا موكدا بتطهير البيت من الانجاس والاقذار ان مصدرية او مفسرة
والعاكفين المجاورين المقيمين فيه او الواقفين فيه للصلوة لقوله والقايمين او المعتكفين
وهذا هو الوجه لشموله اصناف العبادات لما روي ان الله تعالى ينزل فيه كل يوم مائة
وعشرين للعاكفين والركع السجود فان قلت تطهير البيت واجب سواء كان فيه احد
المذكورين اولا فما وجه تقييد التطهير بهم قلت وجه الامتنان على هولاء بان مثل ابراهيم
في رفعة شانه امر بتطهير مكان عبادتهم فان قلت لم لم يعطف السجود على الركع كما عطف
العاكف على الطايف قلت لانهما عبارة عن المصلي لعدم مشروعية الركوع عبادة واذ
قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا امنا اي اهله فان قلت لم جاء في سورة ابراهيم معرفا
عكس ما هنا قلت ذاك سابق نزولا اشار به الى الحاضر في الذهن قبل كينونته بلدا وهذا
انما قاله بعد ما صار بلدا فالمسئول اولا صلوحه للسكنى بالامن في اكثر الاحوال كساير البلاد
وثانيا ازالة خوف يعتري البلاد الامنة او الاستدامة او احدهما امن الدنيا والاخر امن الاخرة
وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر قاس الرزق على الامامة قال ومن
كفر عطف على من امن عطف تلقين كانه قال قل ومن كفر فانك مجاب وليس شان الرزق
شان الامامة ويجوز عطفه على مقدر اي ارزق من امن ومن كفر بلفظ الخبر وان يكون من
كفر مبتداء فامتعه خبره اي فانا امتعه قليلا والفاء لما في المبتداء من معنى الشرط والكفر
سبب لقلة التمتيع وقرا نافع وابن عامر فامتعه من امتعه والتشديد ابلغ واشهر ثم اضطره
الى عذاب النار الزه اليه لا يجد الى غيره سبيلا ثم للتراخي رتبة اذ لا فاصلة بين زوال التمتيع
ودخول النار لان قبر الكافر حفرة من حفر النيران ويجوز بقاؤه على الاصل على ان اللام
اشارة الى نار جهنم وبئس المصير المخصوص محذوف اي النار او مصيرهم واذ يرفع ابراهيم

رحمة ستين للطايفين واربعين للمصلين وعشرين
صح

القواعد من البيت اسمعيل انزل الله لادم البيت المعمور ياقوتة حمرا الى موضع البيت
وحج اليه ادم من الهند اربعين حجة وكان باقيا الى زمن الطوفان فرفع وكان مكانه
رابية بذهب السيل من حواليه الى ان امر الله تعالى ابرهيم ببنا بيت على ملك الرابية
والمضارع حكاية حال ماضية القواعد جمع قاعدة وهي الاساس جرت مجرى الاسماء
ومعنى رفع الاساس رفع البنا عليه من باب جرى النهر والجمع باعتبار الاجزاء كان
كل جزء اساس او سافات البناء من الحجر والطين لانه اذا وضع ساقا فوق ساق فقد
رفع البناء وانما لم يضف القواعد الى البيت مع كونه اخصر ايثارا للابهام والتفسير تفخيما للشان
المبين روى الترمذي والنسائي ان البنا لما ارتفع الى موضع الحجر جاء جبرئيل بالحجر
الاسود وهو اشد بياضا من الثلج فسودته خطايا بني ادم وانما اخر ذكر اسمعيل عن
رفع القواعد لانه كان معينا وابراهيم هو البانى ربنا تقبل منا بتقدير القول انك
انت السميع لدعائنا العليم بنياتنا ربنا واجعلنا مسلمين لك مخلصين او منقادين
من اسلم انقاد والمعنى زدنا اخلاصا وانقيادا ومن ذريتنا امة مسلمة لك بعض
ذريتنا ويجوز ان يكون من بيانا وانما دعوا للذرية لانهم احق بالشفقة واولى بالرعاية
الا ترى الى قوله قوا انفسكم واهليكم نارا وقيل اراد امة محمد عليه السلام وارنا مناسكنا متعبداتنا
النسك في الاصل غاية العبادة ثم غلب على اعمال الحج وقرا ابن كثير وابو عمرو في رواية
السوسي بسكون الراء لثقل الكسرة على الراء والدوري عنه باختلاس الكسرة جمعا بين
التخفيف وابقاء الحركة لانها حركة الهمزة المنقولة وهذا هو المختار للتوسط وتب علينا
ما فرط منا او استتابة لذريتهما انك انت التواب قابل التوب الرحيم يبدل سيئات
التائب حسنات ربنا وابعث فيهم في الامة رسولا منهم من قومهم هو رسول الله
اذ لم يبعث من ذرية اسمعيل نبي غيره روى الامام احمد عن عرباض بن سارية وابي
امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا دعوة ابراهيم وبشرى عيسى ورويا امي رات
امي انه خرج منها نور اضاءت لها قصور شام وكان في ذلك اشارة الى بقاء شرعه بالشام الى
اخر الدهر ولذلك هناك ينزل عيسى ويهلك الدجال يتلو عليهم اياتك دلايل وحدانيتك
وكمال ذاتك وصفاتك ويعلمهم الكتاب القران والحكمة المعارف اصولا وفروعا وانما اخر
في الاية التلاوة اشارة الى ظهورها وانها غنية عن التفهيم ويزكيهم يطهرهم عن اوضار الشرك
والمعاصي او يوم القيمة حين يشهدون على الامم انك انت العزيز الغالب لا يعجزك مراد
الحكيم الذي لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة ومن يرغب عن ملة ابراهيم انكار لان يكون
عاقل راغبا عن ملته لانها في الحسن اوضح من كل واضح والملة من امللت الكتاب
جمعته او مللت الطريق سلكته يرادف الدين والشريعة واكثر ما تستعمل في الاصول ولذلك
يقال ملة الانبياء واحدة ولا تضاف الى الله فلا يقال ملة الله بخلاف الشرع والدين الا
من سفه نفسه بدل لان من رغب غير موجب ويجوز النصب اي استحقها واذلها متعمد

بنفسه وفي الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وقيل تمييز كان معرفة على
الشذوذ وكغبن رايه وقول نابغة الذبياني اجب الظهر ليس له سنام او بنزع الخافض وعن
الزجاج ضمن معنى جهل والمعنى لا يرغب عن ملته الا من جهل نفسه وهو معنى حسن لدلالته
على جلاء ملته وفائق حسنها فلا يتوجه القول بان الجاهل قد يعذر ولقد اصطفيناه في الدنيا
بالرسالة جواب قسم محذوف وانه في الاخرة لمن الصالحين مندرجا في زمرتهم والصلاح
وصف جامع لمعنى الاستقامة مع الله وعباده وقيل انما وصف بالصلاح ترغيبا فيه لانه مما يوصف
به مثله ومن كان حاله في الدارين هذا فالراغب عن طريقه سفيه اذ قال له ربه اسلم ظرف
للاصطفاء اراد انه منذ تميز كان مصطفى من حداثة سنه الى ان فارق الدنيا او اسلم اذو اخلاصا
كقوله يا ايها النبي اتق الله او نصب باذكر اي اذكر ذلك الوقت وجوابه ليظهر انه المصطفى الذي لا يرغب
عن ملته ويجوز ان يكون متعلقا بقال وعدم العاطف للدلالة على مبادرته كانه مع الامر به قال
اسلمت لرب العالمين ودعا عبد الله بن سلام ابني اخيه سلمة ومهاجرا فاسلم سلمة وابى مهاجر
فنزلت ووصى بها ابراهيم بنيه عطف قصة على اخرى والضمير للملة او عطف على قال اسلمت
والضمير لقوله اسلمت باعتبار الكلمة والمعنى وصى بنيه بان يقول كل منهم اسلمت والاول
هو الوجه ولذلك اتى بالمظهر وعطف عليه يعقوب والتوصية التقدم الى الغير بفعل فيه صلاح
واصلها الوصل يقال وصاه اذا وصله وفصاه اذا فصله وقرا نافع وابن عامر اوصى وعليه
رسم مصحف الشام والمدينة والتشديد ابلغ ويعقوب عطف على ابرهيم اي وصى هو ايضا
بنيه يا بني بتقدير القول عند البصرية وعند الكوفيين يتعلق بوصى لما فيه من معنى القول
ان الله اصطفى لكم الدين اي وفقكم للاخذ بصفوة الاديان وهو الاسلام فلا تموتن الا
وانتم مسلمون النهي راجع الى القيد لان الموت لا اختيار فيه والمعنى لا يكن حدوث الموت
الضروري الا في حال اسلامكم كقولك للمصلي في صلاته لا تصل والا وانت خاشع اشارة الى
ان الصلوة بلا خشوع كلا صلوة ومعناه ان الموت على غير الاسلام موت لا خير فيه ام كنتم
شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام منقطعة للاضراب عن الكلام الاول والاخذ فيما سواه والخطاب
للمؤمنين وذلك انه لما حث على اتباع ملة ابراهيم وبين حاله وحال يعقوب في التوحيد
والاهتمام به انكر ان يكونوا شاهدين لتلك الاحوال وانما حصل لهم العلم بها سماعا ممن لا ينطق
عن الهوى فكان حقيقا بالاتباع او لليهود حيث زعموا انه لم يمت نبي الا على اليهودية على
ان الاستفهام للتقرير اي اسلافكم كانوا حاضرين حين وصى يعقوب وبنيه بالتوحيد
وقد تواتر ذلك بينكم فكيف تدعون عليه اليهودية او على ان الانكار قديم عند قوله ما تعبدون
من بعدي وقوله قالوا نعبد بيان لفساد دعويهم ويجوز ان يكون ام متصلة اي اتدعون على
الانبياء اليهودية ام كان اسلافكم حاضرين وصية بنيه والغرض تبكيتهم لاعترافهم بالثاني
اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي بعد موتي ما عام في العقلاء وغيرهم عند الابهام سواء
كان للاستفهام وغيره فاذا علم الشي خص من بذوي العلم وما بغيرهم ويجوز ان يحمل ما في الاية

على الصفة اي ما نعت ما تعبدونه قالوا نعبد الهك واله اباءك ابراهيم واسمعيل واسحق
عد اسمعيل من الآباء تغليب وفي الحديث عم المرء صنوانه وقائم مقامه عند فقده الها واحدا
بدل من الهك لكونه موصوفا مثل ناصية خاطئة وفائدته دفع توهم التعدد الناشي من العطف
كما في غلامك وغلام زيد ويجوز نصبه على الاختصاص ونحن له مسلمون منقادون حال من
الفاعل او المفعول او عطف على نعبد والعدول الى الاسمية افادة للكلام نوعي الاستمرار او اعتراض
يؤكد امر العبادة تلك امة المذكورون آنفا قد خلت لها ما كسبت من التوحيد والاعمال
ولكم ما كسبتم لا يتجاوزكم وفي الحديث آدم من تراب والناس من آدم لا فضل لعربي على
عجمي ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ولا تسألون عما كانوا يعملون فضلا عن المؤاخذة
به او الثواب وقالوا كونوا هودا او نصارى او للتنويع اي قالت اليهود كونوا هودا وقالت
النصارى كونوا نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم اي بل تكون ملة ابراهيم اي اهل
ملته او نتبع ملة حنيفا مايلا من الباطل الى الحق قال حنيفا دينا عن كل دين والحنف بفتح
النون ميل في اليدين والرجلين وانتصابه على الحال من المضاف اليه كقوله ونزعنا ما في
صدورهم من غل اخوانا وانما يحسن اذا جاز وقوعه موقع المضاف كما في المثالين بخلاف
قولك ضربت غلام هند جالسة والعامل فيه هو العامل في المضاف وما كان من المشركين
تعريض لمن يدعي انه على ملة وهو مشرك كاليهود والنصارى وعبدة الاوثان وقولوا آمنا
بالله الخطاب للمؤمنين بمنزلة البدل والبيان لقوله قل بل ملة ابراهيم لان المراد
هو والله والاولى ان يكون لاهل الكتاب القائلين كونوا هودا او نصارى ليتلائم
الكلام كانه قيل قل في جوابهم اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا آمنا بالله وما انزل الينا
اي القرآن لانهم امة الدعوة او لان النبي هو القائل فحكى الله تعالى كلامه ولو حكى
كلامهم لقيل وما انزل اليكم وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط
الصحف وان نزلت على ابراهيم الا ان اولاده واحفاده كانوا متعبدين بها
كتعبدنا بالقرآن الاسباط جمع سبط وهو ولد الولد واصله الاسترسال والامتداد
قال شعر وجاءت به سبط العظام كانما عمامته فوق الرجال لواء سمي به الحافد لانه امتداد
في الفرع وما اوتي موسى وعيسى من التورية والانجيل غير الاسلوب ايماء الى عظم
شان الكتابين ولم يعد الموصول مع عيسى لان اكثر احكامه بالتورية فكانما اوتي
موسى اوتيه ايضا وما اوتي النبيون المذكورون وغيرهم والنزول لا يكون الا من
فوق فيستعمل بعلى وبالى لملاحظة معنى الوصول من ربهم لا نفرق بين احد منهم
في النبوة وان تفاوتوا رتبة وانما دخل بين على احد لانه اسم لمن يخاطب يستوي
فيه المفرد والمثنى والجموع وليس ذلك لوقوعه في سياق النفي لانه لا يري الى عدم استقامة
قولك لا نفرق بين رسول ونحن له مسلمون منقادون بالجوارح والاعمال فان
آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا بني الكلام على الفرض تبكيتا لان دين الحق واحد

لا مثل له

لا مثل له فاذا رجعوا الى انفسهم يحكم بهم الى الكفران ذلك منحصر فيما آمن به المؤمنون وقيل
الباء للاستعانة اي اوجدوا الايمان واحدثوه بواسطة شهادة مثل شهادتكم قولا واعتقادا
وقد يقال بزيادة الباء ولفظ مثل على ان ما مصدرية فان قلت اذا كان الخطاب في قوله
قولوا آمنا لاهل الكتاب فما وجه قوله فان آمنوا بمثل ما آمنتم به قلت تقديره قل لهم
اتبعوا ملة ابراهيم وقولوا آمنا فان آمنوا بمثل ما آمنت به انت واصحابك فقد
اهتدوا وان تولوا اعرضوا عما عرضت عليهم فانما هم في شقاق ما هم الا في شق
والايمان في شق آخر ويئسوا من طلب الحق في شيء فسيكفيكهم الله امرهم لا محالة
وان تأخر وهو السميع العليم يسمع اقوالكم ويعلم نياتكم وعود ووعيد صبغة الله مصدر
مؤكد لنفسه لكونه مضمون جملة لا محتمل لها غيره وهي آمنا اي طهرنا الله تطهيرا
لا مثل تطهيركم كانت النصارى تغمس اولادها في المعمودية ويقولون الآن صار
نصرانيا حقا وهي ماء اصفر فاطلاق الصبغ على طريقة المشاكلة الحالية واختصاصه بالنصارى
مع ان الخطاب لهم ولليهود لوقوعه بينهم او الاستعارة لان الايمان حلية المؤمن او لظهور
اثره عليه ظهور الصبغ على المصبوغ او لانه اشرب قلبه اشراب الصبغ الثوب او امر
المسلمين ان يقولوا لهم آمنا بالله وصبغنا ومن احسن من الله صبغة لا احسن منه
لانه يصبغ بالايمان الذي لا ينمحي اثره سرمدا ونحن له عابدون عطف على آمنا ومن
جعل صبغة الله نصبا على البدل من ملة ابراهيم او على الاغراء اي الزموا صبغة جعله
اعتراضا تعريضا بمن اشرك في عبادته لئلا يقع الفصل بين المعطوف والمعطوف
عليه بالاجنبي والعطف على فعل الاغراء بتقدير القول اي الزموا وقولوا نحن له عابدون
تكلف واضمار بلا دليل قل اتحاجوننا في الله في شانه واتخاذه نبيا من العرب كانوا
يزعمون ان ابراهيم سأل الله ان يكون النبوة في اولاد اسحق والملك في اولاد اسمعيل
وهو ربنا وربكم الناس في ذلك سواء ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم فقد استوينا فطرة و
اكتسابا فلم يبق الا فضل الله ورحمته لمن يشاء من عباده ونحن له مخلصون الايمان
والطاعة دونكم فنحن اولى واكثر قابلية والاخلاص افراد الشيء عما يشوبه والمراد العمل
لوجه الله وقد روعي في الفواصل اسلوب الترقي ذكرا اولا الاسلام وثانيا العبادة وثالثا
الاخلاص ام تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط كانوا
هودا او نصارى اضراب عن الخطاب في اتحاجوننا وام منقطعة لانكار هذا القول عليهم
وقرا حمزة وابن عامر والكسائي وحفص بالخطاب على ان متصلة معادلة لهمزة اتحاجوننا
وهذا ابلغ لدلالته على ان كل واحد من الامرين منكر فكيف وقد اجتمعا كقولك لمن
زنيا وسفالا اتدبيرك ام تقديرك وكذا ان جعلت منقطعة قل أانتم اعلم ام الله وقد
برأهم مما تنسبون اليهم ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله الظرفان مستقران
صفتا الشهادة والمعنى لا اظلم من اهل الكتاب حيث كتموا شهادة الله لابراهيم بالحنيفية في التورية

والانجيل فقد ضموا الى الكتمان التكذيب وفيه تقرير لما انكر عليهم من الادعاء وتعريض بهم
في كتمانهم شهادة الله لمحمد في كتابهم والمعنى لو كتمنا معشر المسلمين شهادة الله لكنا اظلم الناس
والماضي في الاول على اصله وفي الثاني للتعريض كما في لئن اشركت وما الله بغافل عما
يعملون وعيد لهم تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا
يعملون خطاب للمؤمنين تحذيرا عن التاسي بهم كرره للتاكيد والتقرير وخاتمة للشروع
في شرع آخر وقيل الاول اريد به الانبياء والثاني اسلاف اليهود والنصارى سيقول السفهاء
من الناس الخفاف الاحلام المنهمكون في التقليد وهم اليهود لانهم كانوا يردون موافقته
او المنافقون لانهم وجدوا موضع الطعن او المشركون قالوا سيعود الى دين آبائه كما
رجع الى القبلة وانما اخبر به قبل الوقوع لتوطن نفسه وتتلقى المكروه بصدر رحب ويستحضر
الجواب قبل الحاجة ليكون انبت عند الحجاج وفي المثل قبل الرمي يراش السهم ما وليهم
عن قبلتهم التي كانوا عليها اي شيء صرفهم عن بيت المقدس والقبلة الجهة التي يقبل
اليها الانسان غلبت على الجهة التي يتوجه اليها المصلي او المكان قل لله المشرق والمغرب
فاي مكان وجهة شرعه كان قبلة لان مدار حسن الاشياء وقبحها امره ونهيه يهدي من
يشاء الى صراط مستقيم الى ما اقتضته حكمته ومنه التوجه الى بيت المقدس تارة والى الكعبة اخرى
وكذلك جعلناكم امة وسطا اي جعلناكم امة وسطا هذا الجعل البديع الذي تشاهدونه
فالاشارة الى الجعل المدلول عليه بالفعل والكاف مقحمة تفخيما ولذلك امده بما وضع لبعد المشار اليه
وقيل المعنى على التشبيه اي كما جعلناكم مهديين جعلنا قبلتكم اشرف القبل والوسط مركز الدائرة
وبالسكون ما بين الاطراف من الاماكن المبهمة ولذلك تقول جلست في وسط الدار في الاول
وجلست وسط في الثاني ثم اطلق على كل حسن لكونه بين الافراط والتفريط حتى صار مثلا خير الامور
الوسط والمفرد والجمع فيه سواء اي جعلناكم خيارا او عدولا لان الوسط عدل لتساوي نسبة
الاطراف اليه لتكونوا شهداء على الناس يوم القيمة ويكون الرسول عليكم شهيدا روى
البخاري وغيره ان الامم المكذبة ينكر تبليغ الرسل فليشهد الرسل بامة محمد عليه السلام فيقول
الامم من اين علمتم وانتم لم يكونوا موجودين فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه المنزل
على نبينا فيؤتى برسول الله مزكيا لهم فيشهد بصدقهم وانما عدى شهادته بعلى مع انها لهم لا عليهم
لتضمين معنى المراقبة لاشتراط كون المزكي خبيرا بحال المزكى وفي ذلك غاية مدح لهم وقدمت
الصلة لاختصاص شهادته بهم ولا يقدح في ذلك كونه شاهدا للرسل ايضا لان مدة تزكيته
ذلك شهادة تبليغ على ان الحصر اضافي لان التقابل بين الامم لا بين امته والرسل
وما جعلنا القبلة التي كنت عليها اي الجهة التي كنت عليها ثاني مفعولي جعل وهي الكعبة
فانه كان قبل الهجرة يستقبلها او بيت المقدس لانه توجه اليه بعد الهجرة سبعة عشر شهرا فالمخبر به
على الاول الجعل الناسخ وعلى الثاني المنسوخ الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه
اي ما رددناكم الى قبلتك الاولى الا امتحانا وتمييزا بين الصادق في اسلامه الثابت وبين الناكص

المنزل او ما جعلنا بيت المقدس قبلتك الا لامر عارض وهو الامتحان والاصل شأنك
ان يكون الكعبة قبلتك لانها اشرف الاماكن وانت اشرف الرسل وبناء جدك وقبلته
وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل البيت
بينه وبين بيت المقدس وانما قال لنعلم ولم يزل عالما اراده علم يتعلق به الجزاء او اراد
علم الرسول والمؤمنين اسنده الى ذاته لتجوز الا انهم خواصه واهل الزلفى عنده او اراد التمييز
لان العلم سببه او هو من باب التمثيل بتصوير حالته بحال من يريد ان يعلم وان كانت
لكبيرة التحويلة او الجعلة ان مخففة واللام هي الفارقة وقيل اللام عوض عن اسمها وفارقة
بينها وبين المشددة وهو سهو وكذا جعل الضمير للصلوة الا على الذين هدى الله الى الصواب
وما كان الله ليضيع ايمانكم صلوتكم قبل تحويل القبلة روى البخاري عن البراء قالوا كيف
باخواننا الذين ماتوا قبل التحويل فنزلت وقيل ثباتكم وعدم تزلزلكم ان الله بالناس
لرءوف رحيم الرافة شدة الرحمة فذكرها بعدها تتميم وقيل للفواصل وفيه انه مطرد حيث وقع
وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر بالقصر على انه صفة مشبهة وهو ابلغ لدلالته على اللزوم قد
نرى تقلب وجهك في السماء تردده في جهة السماء تطلعا للوحي كانه يتوقع ان يوجه الى الكعبة
لانها قبلة ابيه ابراهيم وادعى للعرب الى الاتباع ولئلا يظن اليهود اتباعه اياهم فلنولينك
قبلة ترضاها فلنجعلنك واليا متمكنا من استقبالها او تلى سمتها دون سمت بيت المقدس
فول وجهك شطر المسجد الحرام الشطر في الاصل ما انفصل من الشيء واكثر ما يستعمل في النصف
كما في الحديث الطهور شطر الايمان وتقعد احديكن شطر دهرها لا تصلي وليس في ذكر المسجد
دلالة على ان الجهة كافية للبعيد كما ذهب اليه ابو حنيفة ومالك والشافعي في احد قوليه رحمهم الله
لانهم لا يريدون بالجهة المسجد الحرام بل تدل على عكسه لان مستقبل المسجد مستقبل للكعبة
كالخطوط المستقيمة من محيط الدائرة الى المركز وان كانت اوسع دائرة متصور والتكليف بحسب
الامكان فان امكن اصابة العين يقينا كداخل المسجد فذاك والا فظنا ولا حرج في ذلك
فلا يرد التوجه الى اطراف الدائرة ولا الصف المستطيل لانه اما ظان للاصابة او لا فعلى الاول
مصيب وعلى الثاني لم يأت بما كلف به روى البخاري ومسلم عن ابن عمر وبينا الناس
يصلون صلوة الصبح في مسجد قبا اذ جاء رجل فقال ان رسول الله انزل عليه القرآن بالتوجه
الى الكعبة وكانوا في الركوع فداروا كما هم قبل البيت وما قيل ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
كان في الصلوة فسهو واستدل به على قبول خبر الواحد وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره خصه
بالذكر قضاء لوطن المهم ثم عمم لئلا يظن انه من خواص البلد او من خواصه دون امته
وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم لانه في الكتب السالفة ان المبشر به
يصلي الى القبلتين لا لعلمهم بان عادة الله تخصيص كل شريعة بقبلة اذ لا دليل على ذلك
كيف والقبلة منحصرة في الكعبة وبيت المقدس في الشرائع كلها وما الله بغافل عما تعملون
وعيد لاهل الكتاب وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالخطاب للمؤمنين والغيبة احسن

لان الكلام في معاندة اهل الكتاب بعد علمهم ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية
افناطه عن ايمانهم واشارة الى انهم الذين طبع الله على قلوبهم ما تبعوا قبلتك جواب القسم
المحذوف الدال عليه اللام الموطئة وساد مسد جواب الشرط ايضا وما انت بتابع قبلتهم
عطف على القسمية لا على الجواب وايثار الاسمية الدوام قطع لاطماعهم فان اليهود ارادوا اخداعه
وقالوا لو ثبت على قبلتنا كنا نرجوا ان يكون الموعود المبشر به وما بعضهم بتابع قبلة بعض
اي اهل الكتاب يخالف بعضهم بعضا في القبلة ايضا فان اليهود يصلي الى الغرب والنصارى
الى المشرق ولئن اتبعت اهواءهم من بعد ما جاءك من العلم كلام وارد على سبيل الفرض
بعد ما اخبر بكونه غير تابع لهم حسما لمادة اطماعهم مع الاشارة الى فظاعة حال المخالف لاتباعه
هواه وفيه مبالغة من نيف وعشرة اوجه انك اذا لمن الظالمين الداخلين في زمرتهم
الموسومين بسمتهم الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم الضمير لرسول الله
صلى الله عليه وسلم متصل بقوله وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم ولا يتنافى
علمهم هذا على العلم بانه يصلي الى القبلتين وقيل الضمير للتحويل او القرآن او العلم ويؤيد الاول
ما روي ان عبد الله بن سلام قال لعمر انا اعلم به مني بابني قال ولم قال لاني لم اشك
فيه وابني ربما خانت امه فقبل عمر رأسه فان قلت طريقة التشبيه يدل على ان معرفتهم
بالابناء اقوى فما وجه قول عبد الله قلت اراد عبد الله ان نبوته قطعية والولد لظاهر الفراش
وما في الآية بالنظر الى الظاهر فان كونه ابنا له مشاهد والنبوة نظرية وان فريقا منهم ليكتمون
الحق الضمير للعارفين قسمهم الى مذعنين ومعاند فدل على ان المعرفة ليس بايمان وهم
يعلمون تاكيد للذم لان الجاهل ربما يعذر الحق خبر مبتدأ اي ما جاءك من العلم
او الذي يكتمونه الحق واللام للجنس كما في ذلك الكتاب من ربك خبر بعد خبر او حال او
الحق مبتدأ ومن ربك خبره واللام للعهد اشارة الى ما جاء به رسول الله او الى الذي يكتمونه
واللام للجنس كما في الحمد لله فلا تكونن من الممترين الخطاب عام او للرسول والمراد امته
اشارة الى ان من كان مؤمنا به امتراؤه كامتراء الله او المراد تثبيته على اليقين ولكل وجهة
هو موليها الضمير لكل والمفعول محذوف اي وجهه او لله والمحذوف ضمير كل اي الله موليها
اياه والمعنى لكل ملة من الملل جهة يتوجهون اليها او لكل واحد منكم يا امة محمد جهة يتوجه اليها
من شمال او جنوب وغيرهما وقرأ ابن عامر مولاها بفتح اللام فالضمير لكل لا غير فاستبقوا
الخيرات كلها من امر القبلة وغيره وقيل امروا بالتسابق الى الجهات الفاضلة وهي
المسامتة للكعبة واذا امروا سبق بعضهم بعضا فسبق غيرهم اولى اينما تكونوا يأت
بكم الله جميعا يا اهل الاديان او يا امة محمد والاول اوجه لان الكلام في اهل الملل واختلافهم
على سؤال قوله ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ان الله على كل شيء قدير فهو قادر
على الاتيان بكم بعد الشتات وتفرق الاجزاء ومن حيث خرجت فول وجهك شطر
المسجد الحرام من اي مكان خرجت للسفر وانه للحق من ربك الامر بالتوجيه وما الله بغافل

عما يعملون وعيد لمن ترك التوجه من اليهود كما اوعدا ولا على الكتمان وقرأ ابو عمرو يعملون
بالغيب والاول ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم
فولوا وجوهكم شطره ذكر الامر بالتولية ثلث مرات لان امر القبلة من عظائم الامور ومظان
الاشتباه فهو حقيق بالتقرير والتحرير اثر تقرير وتحرير ولانه نيط بكل ما لم ينط بالآخر ففي الاول
تكريم الرسول بالاجابة الى مبتغاه مدمجا فيه وجوبه على كل ملل مع التصريح بسفه اليهود
وفي الثاني بيان حكم السفر حيث كان لئلا يظن اختصاصه بالمدينة او بالمقيمين وخصه
بالخطاب لانه سيد القوم وامام الكل واردفه بوعيد المخالف وفي الثالث تشريف امته
بالخطاب مؤكدا فيه وجوب التمسك به مبينا حكمة الحكم بقوله لئلا يكون للناس عليكم حجة
لليهود حيث كان في كتابهم انه يصلي الى القبلتين وللمشركين حيث قالوا ما له ترك قبلة
ابيه ابراهيم الا الذين ظلموا منهم بدل ويجوز نصبه اي الا المعاندون فانهم يأتون على
حجتهم يقولون ما توجه الى الكعبة الا حبا لوطنه وانما سمي الشبهة الواهية حجة لانهم يسوقونها
مساق الحجة كقوله حجتهم داحضة والاشبه انه من قبيل ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن
فلول من قراع الكتائب فلا تخشوهم لانهم على الباطل واخشوني في مخالفة امري
ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون متعلق اللام محذوف اي لاتمام النعمة عليكم وارادة
اهتدائكم امرتك بذلك او عطف على مقدر كانه قيل اخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم
وانما حذف المعطوف عليه اختصارا ودلالة على ان الفائدة غير واحدة وتمام النعمة دخول
الجنة وعن علي رضي الله عنه الموت على الاسلام وقيل عطف على لئلا يكون وقوله فلا تخشوهم
وما عطف عليه جار مجرى الاعتراض وهو بعيد لا سيما اذا فسر تمام النعمة بالموت على الاسلام
كما ارسلنا فيكم رسولا في محل المصدر اما متعلق بما قبله اي لاتم نعمتي عليكم في الآخرة كما
اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول امرتكم بالتوجه او بقوله فاذكروني والفا تخللت
بين العامل والمعمول كما في وربك فكبر منكم من خلد ثم تعرفون نسبه وحسبه يتلوا
عليكم آياتنا ويزكيكم يحملكم على محاسن الاخلاق قدمه على تعلم الكتاب والحكمة لانه المقصود
وفيه تنشيط للمخاطب وفي دعوة ابراهيم اخر نظرا الى الوجود ويعلمكم الكتاب والحكمة علم الشرائع
ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون لولا الوحي من الاخبار بالمغيبات واحوال المعاد فاذكروني
بالطاعة اذكركم بالمغفرة والثواب روى البخاري عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال قال الله تعالى يا ابن آدم ان ذكرتني في نفسك ذكرتك في نفسي وان ذكرتني في
ملاء ذكرتك في ملاء خير منهم وان دنوت مني شبرا دنوت منك باعا وان اتيتني
تمشي اتيتك هرولة واشكروا لي نعمتي عداه باللام لتضمين معنى الاخلاص ولا تكفرون
بالجحد والعصيان تصريح بما علم ضمنا يا ايها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلوة بعد الامر
بجملة من التكاليف ولهم على ما يتوسلون به اليها وهو الصبر والصلوة التي هو المناجاة مع
من هو غاية الغايات ونهاية الطلبات في المناسب ان يراد بالصبر الصوم لانقطام النفس

عن الشهوات الشاغلة عن التوجه الى جناب القدس ان الله مع الصابرين بالحفظ
والاعانة تسهيل للامر وتنشيط للمخاطب ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله اموات بل
احياء اى بل هم احياء اضراب عن نهيهم الى الاخبار بهذا وليس معطوفا على اموات عطف
مفرد او جملة بتقدير هم اموات لعدم كونه مقولا لهم ولكن لا تشعرون بحيوتهم نزلت
فى شهداء بدر وقيل فى شهداء بئر معونة والمراد الحيوة بالابدان لان الروحانية مشتركة بين
المؤمنين قاطبة ولذلك قيده بالرزق والفرح ولما روى مسلم ان ارواحهم فى حواصل
طير خضر تسرح فى الجنة حيث شاءت ولا دلالة فى قوله لا تشعرون على ان الحيوة ليست
بالجسد بل على العكس اول لان الشعور علم يستند الى الحواس ولنبلونكم بشىء من الخوف
والجوع ولنعاملكم معاملة المختبر وتنكير الشىء للدلالة على ان ما يصيب المؤمن نزر بالنظر الى ما يدفعه الله
واخبر به قبل الوقوع ليوطنوا انفسهم عليه ليهون عند الوقوع ونقص من الاموال والانفس
والثمرات عطف على شىء او على الخوف وعن الشافعى رحمه الله ان الخوف خوف الله والجوع
صيام رمضان والنقص من الاموال الزكوة ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت
الاولاد وفى كون الخوف خوف الله وعده من المصايب نظر وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم
قالوا انا لله وانا اليه راجعون عطف على الجملة القسمية لا على جوابها ازاح مرارة المصايب بلذة
البشارة والخطاب عام وتنكير مصيبة ليوافق تنكير شىء ويدل على ان الجزاء المذكور بعده مترتب
على ادناها روى ان سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم طفئ فاسترجع فقيل اهى مصيبة فقال نعم
كل شىء يؤذى المؤمن مصيبة روى مسلم عن ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما من مسلم يصيبه مصيبة يقول انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرنى فى مصيبتى واخلف لى
خيرا منها الا اجره الله واخلف له خيرا منها فلما مات ابو سلمة قلت من اين لى خير من ابى
سلمة ثم قلتها فاخلف الله تعالى لى خيرا منه رسول الله صلى الله عليه وسلم اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة مبتدأ وخبر والجملة استئنافية دالة على المبشر به والصلوة من الله الرأفة
والعطف كانه قيل عليهم من الله رأفة ورحمة والتنكير للتفخيم والجمع للدلالة على التكرر كالتثنية
فى لبيك وحاصله البشارة بايصال المسار على التوالى ودفع المضار واسباب الملال
واولئك هم المهتدون الى طريق الصواب سبق مدحا لهم ان الصفا والمروة جبلان
معروفان واصل الصفا الصخرة الملساء من الصفوة وهى الخلوص والمروة الحجر البراق الذى
يقدح منه من شعائر الله من مناسكه جمع شعيرة من الشعور بمعنى العلامة واضافتها
الى الله لانها اعلام مواضع عبادته واذا اضيفت الى الشرع اريد بها العلامات كالاذان
والاقامة فمن حج البيت قصده او اعتمر زاره كانه ماخوذ من العمارة فلا جناح عليه
ان يطوف بهما روى البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها ان الانصار كانوا يهلون
قبل الاسلام لمناة صنم لهم بالمشلل وكانوا يتحرجون من الطواف بين الصفا والمروة فانزل الله
تعالى ان الصفا والمروة من شعائر الله وعن ابى اسحق ان اساف ونائلة رجل وامرأة زنيا داخل

الكعبة فمسخا حجرين فوضع احدهما على الصفا والآخر على المروة فكره المسلمون الطواف بينهما لذلك
فنزلت فعند الشافعى ورواية عن احمد والمشهور عن مالك رحمهم الله انه ركن لقوله صلى الله
عليه وسلم اسعوا فان الله تعالى قد كتب عليكم السعى وعند ابى حنيفة رحمه الله واجب
لان رفع الجناح اعم من الوجوب وخبر الواحد لا يثبت الركن ولا فى قراءة ابن مسعود
ان لا يطوف بهما زايدة جمعا بين الاية والحديث ومن تطوع خيرا اى طاعة مارغب فى
الطاعات كلها فهو خير له وقرأ حمزة والكسائى يطوع بالياء الغيبة مضارع تطوع ادغمت التاء
فى الطاء والماضى اخف فان الله شاكر يثيب على طاعته عليم كامل العلم ترغيب
فى الاخلاص وترهيب عن الرياء ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى
نزلت فى احبار اليهود لما حرفوا وبدلوا نعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم والآيات
الدالة على نبوته من بعد ما بيناه لخصناه للناس كافة بحيث لم يكن فيها اشتباه
فى الكتاب فى التورية لا القرآن اولئك يلعنهم الله لعنهم والمضارع للتصوير لم يدخل
الفاء فى اولئك ليدل على ان لعنهم ليس لهذا السبب وحده بل لاسباب جمة
ويلعنهم اللاعنون كل من يتأتى منه اللعنة من الملائكة والثقلين الا الذين تابوا
ندموا على ما فعلوا واصلحوا ما افسدوه وبينوا فاولئك اتوب عليهم وانا التواب
الرحيم اى بينوا للناس ما كتموه فانه من تمام توبتهم او اظهروا توبتهم ليمحوا اسمة
الكفر عنهم ويقتدى بهم غيرهم من اضرابهم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار من
الكاتمين وغيرهم او منهم على ان الموصول معهود لان الكلام فيهم اولئك عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لعنهم احياء وامواتا واثر فى الاول المضارعية
وفى الثانى الاسمية لان امور الدنيا على التجدد والاخرة على الثبوت والدوام واتى بعلى
ليدل على الشمول والاستقرار خالدين فيها فى اللعنة او فى النار لدلالة السياق عليها
لا يخفف عنهم العذاب تكذيب لمن يقول يعتادون بالعذاب فيهون عليهم
ولا هم ينظرون يمهلون دفع لتوهم التخفيف كما كما دفع بالاول كيفا او لا ينظر اليهم
تحقيرا لهم ولا ينظرون ليعتذروا والهكم اله واحد فرد فى الالوهية وفى اعادة اله ثانيا
فخامة وزيادة تقرير كقولك اميرنا امير كريم لا اله الا هو لا اله فى الوجود الا هو استيناف
لتقرير الوهيته ودفع توهم اختصاص الوحدانية باله المخاطبين واثر البدل لان المقصود
والنسبة اليه بعد نقض النفى وهو اثبات الرحمن الرحيم خبران آخران لالهكم تقرر
لاستحقاقه العبادة بحسب الصفات ايضا ولما سمعه المشركون قالوا فائت باية يدل
على دعواك فنزل قوله ان فى خلق السموات والارض جمع السموات دون الارض
لما روى انها مختلفة الحقايق بخلاف الارض واختلاف الليل والنهار تعاقبهما او
تعاكسهما طولا وقصرا والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس بالذى ينفعهم او بنفعهم
على ان ما مصدرية والفاعل ضمير البحر او الجرى لا الفلك لانه جمع وما انزل الله من السماء

من ماء من الاولى للابتداء والثانية بيان فاحيا به الارض بعد موتها بالنبات
بعد يبسها وزوال نضارتها وبث فيها من كل دابة عطف على انزل داخل تحت حكم
الصلة لان احيى متصل به داخل تحت الصلة ايضا او عطف على احيى مسبب عن الانزال
لان المطر سبب لبث الدواب في الارض من العقلاء وغيرهم لان امر الارزاق
من النبات والاشجار والزروع والثمار والمياه في الانهار مبني على المطر والاول اولى
لان انزال الماء والبث آيتان حينئذ والتكثير مطلوب ولاستغنائه عن تقدير الجار
والمجرور وظهور كون من بيانا وعلى الثاني تبعيضية لان الموجود بعض الممكن اولان
في السماء ايضا دواب كما سياتي في سورة الشورى وتصريف الرياح في مهابها قبولا ودبورا
وجنوبا وشمالا وفي احوالها باردة وحارة عاصفة ولينة تارة بالرحمة واخرى بالعذاب
والسحاب المسخر بين السماء والارض بمحض القدرة والمشية اشتقاقه من السحب لان
بعضه يجر بعضا لايات لقوم يعقلون ينظرون بنور البصيرة في الكائنات واستيفاء
تفصيل الآيات متعذر والامر الجلي هو ان المذكورات امور ممكنة تحتاج في وجودها الى مرجح
واجب دفعا للتسلسل ودل على وحدانيته الانتظام المستمر اذ لو كان فيهما آلهة لذهب كل
اله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وحديث المنطقة والدائرة والاوج والحضيض وحركة
الفلك حشو يصان عنه تفسير حسن الحديث وانما اطنب لان الكلام مع المشركين
عبدة الجماد ولذلك اختصره في آل عمران لما كان المخاطب احبار اهل الكتاب
ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم امثالا في الالوهية وهي الاصنام
وقيل هم الرؤساء الذين كانوا يصدرون عن اوامرهم لقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا
من الذين اتبعوا ولا دلالة فيه لجواز ان يكونوا غيرهم ومعنى محبتهم اياها تعظيمها و
اظهار طاعتها كحب الله كتعظيم الله ماخوذ من حبة القلب يقال حببته واحببته اي
ضربته بحبة قلبي ضرب الطين على البناء والذين آمنوا اشد حبا لله لانهم لا يعدلون
عنه بحال بخلاف المشركين عند الشدائد يعبدون صنما وربما تركوه ويعبدون
غيره كان لباهلة صنم من حيس اكلوه في المجاعة آثر اشد حبا على احب لشيوعه في
الاشد محبوبية ولو يرى الذين ظلموا ولو يرى هؤلاء المتخذون اندادا والمظهر مع الموصول
للدلالة على شدة ظلمهم في اتخاذ الانداد اذ يرون العذاب اذ عاينوه اجرى المستقبل
مجرى الماضي لتحقق وقوعه كقوله ونادى اصحاب الجنة وعبر عنه بالمضارع استحضارا
للصورة الهائلة ان القوة لله جميعا ان القدرة لله لا تاثير لقدرة غيره ساد مسد
مفعولي يرى ان الله شديد العذاب جواب لو محذوف اي لو كان منهم ما لا يدخل
تحت الوصف من الندم لما يرون من فظيع العذاب في مقابلة ظلمهم الفاحش
وقرأ نافع وابن عامر ولو ترى بالخطاب لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم او لكل
من يتاتى منه الرؤية وهذا ابلغ ولذلك اتفقوا في ولو ترى اذ المجرمون وابن عامر يرون

على بناء المفعول اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا بدل من اذ يرون اي تبرأ المتبوعون
من الاتباع ورأوا العذاب حال من الاتباع والمتبوعين ويجوز العطف على تبرأ وتقطعت
بهم الاسباب عطف على تبرأ او على رأوا والواو للحال والاول احسن لظهور استقلاله في الاستعظام
من غير ان يكون قيد الفعل والاسباب هي الوصل التي كانت بينهم والسبب في الاصل
هو الحبل الذي يرتقى به وقال الذين اتبعوا الاتباع لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا
منا لو للتمني ولذلك اجيب بالفاء وانما تمنوا الكرة الى الدنيا لان التبرؤ في الآخرة لا يعود
عليهم بضر لانهم في شغل شاغل كذلك يريهم الله مثل هذه الاراءة اشارة الى مصدر
الفعل اعمالهم حسرات عليهم ثالث مفعولي اري ان كان من رؤية القلب والا فحال
وهذا اظهر والمعنى ان اعمالهم تنقلب عليهم حسرات وما هم بخارجين من النار اصله
يخرجون والعدول للدلالة على الدوام يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا اي بعض
ما في الارض من تبعيضية في موقع المفعول وحلالا حال ومفعول به ومن ابتدائية طيبا
خاليا عن الشبهة وقيل ما استطابه الطبع المستقيم ولا تتبعوا خطوات الشيطان في تحريم ما احله الله
من السائبة والوصيلة والحام والخطوة بضم الخاء مسافة ما بين القدمين وقرأ بضم الطاء
ابن عامر والكسائي والبزي وحفص وهو الاصل في جمع الاسم والاسكان للتخفيف انه لكم
عدو مبين ظاهر العداوة لا شيء اجلى من عداوته انما يأمركم بالسوء والفحشاء بيان وتقرير
لعداوته استعار الامر لتسويله ووسوسته تسفيها لهم وايماء الى انهم بمنزلة المأمورين له في سرعة
طاعتهم والسوء كل ما قبح شرعا والفحشاء ما جاوز الحد منه وقيل الاول ما لا حد فيه والثاني ما شرع
فيه حد وقيل هما متحدان وانما سمي سوءا لاغتمام العاقل به وفحشاء لاستقباحه اياه وان تقولوا على الله
ما لا تعلمون كاتخاذ الولد وتحريم السوائب وفيه دليل على عدم جواز اتباع الظن ما عدا ظن
المجتهد لانه مأمور باتباعه لان ظنه موصل الى العلم كما ظن واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله
الضمير للناس التفاتا الى الغيبة للدلالة على انهم احقاء بصرف الخطاب والاعراض عنهم
كانه نادى العقلاء الى التعجب من ضلالهم قيل هم المشركون وقيل طائفة من اليهود قالوا بل
نتبع ما الفينا عليه آباءنا وجدناهم عليه لانهم كانوا خيرا منا ولو كان آباؤهم لا يعقلون
شيئا ولا يهتدون الهمزة للانكار والواو للحال وقيل للعطف على محذوف والمعنى ايتبعونهم
ولو كان المانع قائما واورده على طريق الانصاف كانه قال فليتاملوا ان هناك مانعا
اولا وخرج بذلك تقليد الانبياء والمجتهدين ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع
الا دعاء ونداء عطف على الشرطية بتقرير مذمتهم به من التقليد ويجوز عطفه على آباؤهم الذين
كفروا مظهر في موقع المضمر والمعنى تشبيه حال داعيهم الى الايمان بحال راعي بهائم يصوت
عليها ولا يدرك من صوته الا الجرس ودوي وحال المدعو بالبهائم فيقدر مضاف اما
في المشبه اي مثل داعيهم او في المشبه به اي كمثل بهائم الذي ولا يحس بدون ذلك وان
كان مركبا لا يلاحظ مفرداته مناسبة للطرفين ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ ولفظ ما

والنعيق يؤيد الاول وقيل معناه مثلهم فى اتباع آبائهم كمثل البهايم فى الجهل لحقيقة الحال
لان البهايم لا تعرف ما تحت الدعاء والنداء وقيل مثلهم فى دعائهم الاصنام كمثل الناعق
بالبهايم ولا حاجة الى تقدير مضاف وفيه ان لا معنى للاستثناء الا ان الاصنام لا يسمع ايضا
شيا وان جعل من التشبيه المركب لان المذكور فى الجانبين لا بد وان يكون له مدخل فى
انتزاع الهياة وان لم يكن وحده ملحوظا صم بكم عمى رفع على الذم تقرير وتاكيد لما تقدم
فهم لا يعقلون لانعدام طرف الادراك والمراد عمى القلب فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان الحل قد علم
من ابا الاباحة والخلو عن الشبهة من قوله حلالا طيبا وخص به المؤمنين لانه فى معرض الامتنان
واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون جعل الشكر لازما للعبادة لانه بالجنان والاركان واللسان
فلا وجود للعبادة بدونه انما حرم عليكم الميتة خص منه السمك والجراد والدم خص منه الكبد
والطحال لقوله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان ولحم الخنزير خصه بالذكر لانه
المتعارف فى الاكل ويعلم منه حكم سايره دلالة وما اهل به لغير الله ما ذبح باسم غيره الاهلال
من الهلال وهو اول الشئ ومنه الهلال للقمر واهل الصبى رفع صوته اول ما يولد وكانوا يرفعون
اصواتهم باسم الاصنام والمعنى انما حرم عليكم هذه المذكورات لا ما حرمتموه من السايبة والوصيلة
فالقصر اضافى لوجود محرمات آخر فمن اضطر غير باغ على مضطر آخر كسر نون من ابو عمرو وعاصم
وحمزه على الاصل فى التقاء الساكنين وضمه الباقون على الاتباع ولا عاد متجاوز سد الرمق
فلا اثم عليه فى تناوله ان الله غفور لفعله ذلك رحيم حيث رخص مع قيام المحرم
ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا عوضا يسيرا اولئك
ما ياكلون فى بطونهم الا النار اى الا ما يؤدى ويفضى الى النار كقوله اكلت وما ان لم اعك
بضره وقوله ياكلن كل ليلة الحافا او يوم القيمة لا ياكلون الا النار وجعل البطن ظرفا للاكل
مبالغة كانه قال ملا بطونهم ولا يكلمهم الله يوم القيمة كناية عن عدم اكرامهم او عن
اذلالهم والانتقام منهم او كلاما يحبونه مجاز يجعل ما لا يحب كلا كلام لوقوع التكليم لا محالة
لقوله لنسالنهم اجمعين ولا يزكيهم ولا يثنى عليهم كما اثنى على المؤمنين ولهم عذاب اليم
مع ذلك الحرمان اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فى الدنيا والعذاب بالمغفرة
فى الاخرة فما اصبرهم على النار تعجيب للسامع من حالهم فى التلبس بموجبات النار
ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق اى ذلك العذاب بسبب ان الله انزل جنس الكتاب
ملتبسا بالحق وان الذين اختلفوا فى الكتاب وهم اهل الكتاب القائلون لحقية التورية
وبطلان القران او ذلك الكفر من اليهود لاجل اختلاف المشركين فى القران على ان
الكتاب معهود لان القران هو المتبادر منه واختلافهم فيه قول بعضهم شعر وآخرين منهم
سحر والمعنى لو لم يقدح قريش فى القران لما جسرت اليهود على الكفر به وعلى الوجهين الجملة
حال والسببية راجعة اليها لا الى ما دخل عليه الباء لفى شقاق بعيد لان الكتب السماوية يصدق

بعضها بعضا ولان اساليب القران تباين الشعر والسحر ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل
المشرق والمغرب الخطاب لاهل الكتاب اراد ختم قصة القبلة والمعنى ليس توليتكم
المشرق والمغرب من جنس البر لكونها منسوخة او عام لهم وللمسلمين والمعنى ليس البر
الكامل الذى يهتم به الخوض فى شان القبلة وقرا حفص ليس البر بالنصب على
الخبرية والرفع اولى لطربه على الاصل فى تقدم الاسم ولقراءة على رضى الله عنه بان تولوا
ولاتفاقهم عليه فى ليس البر بان تاتوا البيوت ولكن البر من آمن بالله بتقدير مضاف
اى بر من آمن او البر بمعنى ذى البر او مجاز فى الاسناد كما فى قولها وانما هى اقبال وادبار
وهذا اوجه وقرا نافع وابن عامر ولكن مخففا والبر مرفوعا واليوم الآخر والملائكة والكتاب
جنس الكتاب والقران كما فى نزل الكتاب والنبيين كلهم واتى المال على حبه حب
المال لما روى مسلم والبخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما سئل اى الصدقة افضل قال ان تصدق وانت صحيح شحيح ترجو الغنا وتخشى
الفقر او حب الله او الاعطاء حال من المجرور على الوجوه ذوى القربى قدمهم لان ايتاءهم
صدقة وصلة واليتامى والمساكين جمع مسكين اى دايم السكون اسكنه الفقر كالمسكير
فى دايم السكر وابن السبيل المسافر المجتاز الذى لا يجد ما يبلغه الوطن والاضافة للملابسة
والسائلين وان كانوا اغنياء لما روى ابو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
للسائل حق وان جاء على فرس وفى الرقاب المكاتبين وفك الاسرى واقام الصلوة
واتى الزكوة المفروضتين والاول فى التطوع والحث على نوافل الصدقات او فى المال
حق سوى الزكاة لما روى ابن ماجه والترمذى عن فاطمة بنت قيس انها سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل فى المال حق سوى الزكاة فتلاها وحمل قوله نسخت الزكاة
كل صدقة على الواجب المقدر وقيل الاولى لبيان مصارف الزكاة وفيه بعد لايجابه تقييد
ذوى القربى واليتامى بالمحاويج والسائلين بالفقراء ونقص بعض والموفون بعهدهم
اذا عاهدوا مع الخالق والخلق والصابرين فى الباساء والضراء فى اموالهم وانفسهم
اخرج من بين الصفات نصبا على المدح اظهارا لفضل الصبر على الشدايد وحين البأس
وقت التحام القتال اولئك الذين صدقوا فى دعوى الايمان لاتصافهم باصوله وفروعه
وتحليهم بحلى العقايد والاعمال ظاهرا وباطنا واولئك هم المتقون الكفر والمعاصى وفيه
تعريض باهل الكتاب بانهم الذين كذبوا واولئك هم الفاسقون يا ايها الذين امنوا
كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى روى البخارى
والنسائى ان فى بنى اسرائيل كان القصاص دون الدية فنزلت وعن ابن جبير والشعبى
كان بين الحيين من احياء العرب فى الجاهلية قتال ولاحدهما طول على الاخرى فحلفوا ان
يقتلوا بالعبد منهم الحر وبالانثى الذكر فنزلت ولا مفهوم للآية عند القائل به لان شرطه ان
لا يظهر للتقييد فايدة وسبب النزول قد كشف عن الفايدة ولانه يلزم ان لا يقتل الذكر بالانثى

وبالعكس ولم يقولوا به واستدلال من لم يقتل الحر بالعبد بالقياس على الاطراف فانه مجمع
عليه ولان العبد مال فلا يساوي المالك والقصاص يقتضي ذلك لانه من قص الاثر
اذا اتبعه وعلى عدم قتل المؤمن بالكافر بحديث رواه البخاري عن علي بن ابي طالب رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقتل مسلم بكافر وما روي ان رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم قتل يوم خيبر مسلما بكافر لم يصح سنده ولم يروه الا ابراهيم بن يحيى وهو كذاب
واية المائدة لا دلالة فيها لانها حكاية ما في التورية بل لان الحكم مقيد بهم لقوله وكتبنا
عليهم فيها كما اذا قلت يجب على بني هاشم ان لا ياخذوا من الزكاة فلا يتناول غيرهم
فمن عفي له من اخيه شيء من العفو اي شيء يسير فانه كاف لسقوط القصاص في موضع المصدر
الموصوف كضرب ضرب شديد وليس بمفعول به لان عفا لا يتعدى اليه صريحا بل يتعدى
بعن الى الجاني كقولك عفوت عن فلان او الى الجناية كقولك عفوت عن ذنبه
واذا ذكر الجاني والجناية فذكر الجاني باللام يقال عفا الله لزيد عن ذنبه والجناية منافي حكم
المذكور لسبق العلم بها فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان اي فليكن اتباع او فالامر
اتباع توصية للعافي والمعفو عنه بان لا يطالب ولي المقتول القاتل بالعنف وان يؤدي
القاتل اليه الدية بلا مطل وتسويف وسمي ولي المقتول اخا القاتل ترقيقا له وتذكيرا باخوة
الاسلام ذلك المذكور من الحكم تخفيف من ربكم عما كان في التورية من وجوب القصاص
البتة ورحمة في شرعية القصاص والدية حيث لم يحب العفو كما في الانجيل وقيل كان في التورية
القصاص والعفو دون الدية وعند الشافعي رحمه الله تخير الولي بين الثلثة وعند ابي حنيفة رحمه الله
الواجب القصاص والدية بدل لا يكون الا برضا القاتل ولفظ كتب وعفا يرجحان فيما ذهب اليه
وعن مالك اذا عفى الولي عن القصاص والدية يضرب القاتل مائة ويحبس سنة فمن اعتدى بعد
ذلك بقتل الجاني وغيره كما كان في الجاهلية فله عذاب اليم شديد الالم وعن قتادة يقتل
لا محالة لما روى احمد عن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم لا اعافي احدا قتل بعد الدية ولكم في القصاص
حيوة الظرفان خبران والثاني خبر والاول حال والمعنى لكم في شرعية القصاص حيوة عظيمة
لما كانوا في الجاهلية يقتلون جماعة بواحد ولان القاتل اذا علم انه يقتل يرتدع فيسلم هو وصاحبه
وهذا الكلام في اقصى البلاغة لان قول العرب القتل انفى للقتل في معناه كان ابلغ كلام عندهم
وقد فاقه ما في التنزيل بقلة حروفه والنص على المطلوب والحيوة والتنكير الدال على التعظيم
ولاطراده دونه لان القتل ظلما ادعى للقتل وخلوه عن التكرار واستغنائه عن التقدير بخلافه
اوالمعنى النفي من تركه وبالطباق وكون الشيء ظرفا لضده والخلو عن توالي الاسباب الخفيفة
المخلة بسلاسة الكلام والتقديم الدال على الحصر يا اولي الالباب لعلكم تتقون التجاوز عن القصاص
وعبر عن العقول بالالباب اشارة الى ان من لا عقل له كانه ظرف خال كتب عليكم اذا حضر
احدكم الموت اماراته واسبابه ان ترك خيرا مالا والتعبير عنه بالخير اشارة الى ان فائدة المال
ان يتوسل به الى الخير وعن علي وعائشة رضي الله عنهما هو المال الكثير الوصية للوالدين والاقربين

مرفوع بكتب وانما حسن تذكير الفعل للفصل وهذا مطرد فلا حاجة الى تاويل الوصية بالايصاء
والعامل في اذا كتب لا الوصية لضعف العمل المعرف ولتقدمها عليه وكانت الوصية للوالدين
والاقربين واجبة بهذه الاية من غير تقدير الانصباء فنسخت باية المواريث وهي قوله يوصيكم
الله في اولادكم وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم ان الله تعالى قد اعطى كل ذي حق حقه الا لا وصية
لوارث المراد بها الزيادة على نصيبه فان لفظ الوصية في عرف الشرع يطلق على جميع الاوامر
والنواهي والمواعظ والتخصيص بالتبرع المضاف الى ما بعد الموت عرف طار فظهر ان
لا نسخ في الاية ولا تعارض بينها وبين اية المواريث بالمعروف بالعدل لا تفضل احدهما
على الاخر اذا كانا في طبقة وتفسيره بان لا يتجاوز عن الثلث لا معنى له لان ذلك في الاجانب
كيف واية المواريث بيان لها حقا على المتقين قيده بهم لانهم المنتفعون به فمن بدله
غيره من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحقق عنده فانما اثمه على الذين يبدلونه فما اثم
الايصاء المبدل الا على المبدل لا على الموصي والموصى له وجمع الضمير بعد الافراد بالنظر الى المعنى
ان الله سميع عليم يسمع ما يقوله المبدل عليم بتبديله فمن خاف من موص جنفا توقع وظن
ميلا منه على سبيل الخطاء او اثما تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصى لهم بان اجراهم
على قانون الشرع فلا اثم عليه لانه يسعى في اظهار الحق وتبديل الباطل وقرا ابوبكر وحمزه
والكسائي موص بالتشديد ان الله غفور لما فرط من الموصي خطاء رحيم بان شرع
تدارك ذلك باصلاح المبدل يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين
من قبلكم من الانبياء والامم فان اول من صام ادم فالتشبيه في مجرد الفرضية او ثلثين
يوما كما رواه الحسن وفي الكمية وانما زادت النصارى عشرين يوما لموتان وقع فيهم وقيل
وقع في الحر اخروه الى الشتاء وزادوا فيه او في حرمة التناول بعد العشاء رواه ابن عمر ثم نسخ بقوله
احل لكم ليلة الصيام الرفث وانما عبر بالكتابة عن الفرض مبالغة في الالزام لعلكم تتقون
ببركته فانه ينور القلب اذ لا يسع فيه الرياء او تجتنبون المعاصي فانه يكسر القوة الشهوية وقد روى
البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا معشر الشباب
من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه
بالصوم فانه له وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين وتدرعون في لباسهم وتبرزون
في شعارهم اياما معدودات معلومات عددها او قلائل لعدم العد في الكثير بل يهال هيلا
في التعبير به دون شهر كامل تهوين وتيسير على السامع روى البخاري ومسلم عن عائشة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كان يصوم عاشوراء فلما نزلت
قال من شاء صامه ومن شاء افطر وانتصاب اياما بالصيام لجواز عمل المصدر في الظرف
مع الفاصل وان لم يجز في غيره فمن كان منكم مريضا مرضا يشق معه الصوم لقوله يريد الله
بكم اليسر او على سفر مستعليا عليه فلا يجوز الافطار يوم انشاء السفر ولذلك اوثر على والمراد
سفر يقصر فيه الصلوة صرفا للمطلق الى الكامل وهو الذي يقع فيه المشقة غالبا وقيده الشافعي

رحمه الله بان لا يكون سفر معصية لان الرخصة لا تناط بالمعصية فعدة من ايام اخر وعلى
الذين يطيقونه فدية طعام مسكين كان اول ما فرض الصوم قبل ان يعتادوا به من شاء
صام ومن شاء افطر وفدى حتى نسخ بقوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه وعن ابن عباس
رضي الله عنه الاية في الحبالى والشيخ الهرم ومعنى يطيقونه يجهدونه ويناطهم فيه مشقة
فالاية محكمة ويؤيد الاول كله على اذ على ما ذهب اليه كان اللام هو الظاهر وقوله وان تصوموا
خير ورواية البخاري التحري في الابتداء والفدية نصف صاع من بر او صاع من غيره عند
فقهاء العراق ومد عند فقهاء الحجاز قرا فدية بالاضافة نافع وابن ذكوان والباقون
منونا ورفع طعام بدلا منه ونافع وابن عامر مساكين مجموعا بلا تنوين مراعاة للذين
فمن تطوع خيرا زاد في الفدية فهو خير له من الاقتصار على الواجب وان تصوموا خير لكم
من الافطار والفدا المزية العزيمة على الرخصة وجعل الخطاب للمرخص مطلقا ليندرج فيه
المريض والمسافر يرده ان المريض والمسافر اذ تضرر الا خير في صومهما وما ميلك قوله صلى الله
عليه وسلم ليس من البر الصيام في السفر ولذا ذهب ابو هريرة رضي الله عنه الى وجوب الافطار
ان كنتم تعلمون خيرية الصوم وانما اثران والخيرية معلومة لميل النفوس الى الافطار
وجواب الشرط محذوف اي اخترتموه دل عليه ما قبله شهر رمضان فعلان من
رمض احترق من الرمضاء كانهم سموه بذلك لاحتراقهم من شدة الجوع او لانهم
لما نقلوا اسماء الشهور من اللغة القديمة سموها باسماء الازمنة الواقعة فيها فوافق
هذا زمن الحر والعلم هو المجموع ومنع صرف احد جزئي العلم لان الغالب في الكنى الاضافة
الى الاعلام فاجروا غيرها مجريها الا ترى الى عدم جواز اللام في ابي تراب وابن داية ودخوله
في امرئ القيس وجوازه في العباس والحسن كل ذلك نظرا الى انه لا يغير عن حاله كالعلم
وعن مجاهد رمضان من اسماء الله واما قوله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان ايمانا
واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه فمن باب واسئل القرية لامن الالباس وارتفاعه
على انه خبر مبتدا او مبتدا خبره ما بعده وقيل بدل اشتمال وان قدر مضاف فبدل كل
من الصيام وفيه بعد لكثرة الفاصلة الذي انزل فيه القرآن في ليلة القدر منه لقوله
تعالى انا انزلناه في ليلة القدر نزل جملة الى بيت العزة في سماء الدنيا وفي مواقع النجوم
بحسب الوقايع نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلث وعشرين سنة روى الامام احمد
عن واثلة ان صحف ابرهيم انزلت في اول ليلة من رمضان والزبور في الثانية عشرة
والقرآن في الرابعة والعشرين وبه استدل طايفة على ان ليلة القدر ليلة اربع وعشرين
من رمضان وقرا ابن كثير بنقل حركة الهمزة الى ما قبله وابداله حيث وقع معرفا ومنكرا
هدى للناس هاديا لهم الى الحق وبينات من الهدى صفة بينات اي بينات
من جنس ما يهدي الله به والفرقان ومن جنس ما يفرق به بين الحق والباطل عطف
على هدى وجمع بينات لان حجج الاحكام ابعاضه فمن شهد منكم الشهر فليصمه من شهدت

الجمعة

الجمعة ادركتها ويخرج المريض والمسافر بقوله ومن كان مريضا او على سفر وقيل الشهود
بمعنى الحضور والاقامة وانتصاب شهر على الظرف فيخرج به المسافر والمريض خارج من
قاعدة عدم الحرج لقوله وما جعل عليكم في الدين من حرج وذكر مما بعده ليترتب عليه القضاء
بقوله فعدة من ايام اخر اي فعليه عدد ايام افطر فيها لا يلاحظ فيها الطول والقصر ولا الموالاة
والمواصلة يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر الحرج في الدين ولذلك رخص لكم ما رخص
من افطار المريض والمسافر واكتفى بالعدة من غير مضايقة في الوقت والكيف ولتكملوا
العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون الفعل المعلل محذوف مدلول عليه
بما سبق اي وشرع جملة ما ذكر من الامر بمراعاة العدة في الاداء والقضاء ومن الترخيص
في اباحة الفطر فقوله لتكملوا العدة علة للامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة للعلم بالقضاء
والخروج عن عهدة الفطر وقرا ابو بكر تكملوا بتشديد الميم ولعلكم تشكرون علة التيسير
وهذا نوع من اللف والنشر بديع قليل الوقوع نظيره ان يقول ضربت زيدا واعطيت
عمرا وخرجت من البلد للتاديب والاكرام ومخافة الشر فعلت ويجوز العطف على علة
مقدرة مثل ليسهل عليكم او لتعلموا ما تعملون وان يعطف على اليسر كقوله يريدون
ليطفؤا نور الله فاللام لتاكيد معنى الارادة والاول اوجه لذلك اللف البديع ولما في
الثاني من كثرة الحذف وانما عدى التكبير بعلى لتضمين معنى الحمد اي لتكبروه حامدين
والمراد تعظيم الله وقيل تكبير العيد يوم الفطر وقيل التكبير عند رؤية الهلال فيفوت ذلك اللف
مع انه تقييد بلا دليل واذا سالك عبادي عني فاني قريب تمثيل لحاله بحال من
قرب لاحاطة علمه بالاقوال والاحوال والافعال روى ابن حاتم ان اعرابيا سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اين ربنا اقريب فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت وعن الحسن
سال الصحابة رضي الله عنهم اين ربنا والاية سيقت اعتراضا بين احكام الصوم تاكيدا
لما ذكره من امر الصوم دلالة على ان الذي هذا شانه حقيق بالاستجابة اجيب دعوة
الداعي اذا دعاني صفة قريب او خبر بعد خبر فليستجيبوا لي بالايمان والطاعة كما
اجيبهم اذا دعوني وليؤمنوا بي بعد الاستجابة او ليدوموا على الايمان ان جعلت
نفس الايمان لعلهم يرشدون راجين الرشد وهو اصابة الحق احل لكم ليلة الصيام
الرفث الى نسائكم روى البخاري عن البراء قال لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون
النساء رمضان كله فخان رجال انفسهم وعن ابن عباس رضي الله عنه كان لهم الاكل
والشرب والوقاع الى العشاء ثم ان ناسا اصابوا من الطعام والنساء بعد العشاء
منهم عمر بن الخطاب فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وزعموا ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال لعمر ما كنت خليقا بذلك يا عمر فنزلت والرفث الفحش في القول
وفي المثل هذه مرافثة لا منافثة كني به عن الجماع لانه قلما يخلو عن ذلك مطايبة بين الزوجين
وعدى بالى لتضمين معنى الافضاء ولم يكن به وبامثاله من المباشرة والمس واللمس لسوق الكلام

معهم فی معرض العتاب لوقوعهم فی المحظور قبل الاباحة هن لباس لکم وانتم لباس لهن
استیناف لبیان موجب الاحلال لان شدة الاختلاط جالبة للمواقعة شبه کل منهما
باللباس لصاحبه لاشتمال کل منهما علی الآخر لدی الاعتناق او لان کلا منهما یستر
الآخر من الفجور والکلام من التشبیه البلیغ لا الاستعارة علم الله انکم کنتم تختانون انفسکم
بتعریضها للعقاب والاختتان ابلغ من الخیانة لدلالته علی تعمل کالاکتساب والکسب
فتاب علیکم قبل توبتکم وعفا عنکم ما فرط منکم تصریح بما علم ضمنا لان التوبة یجب ما قبلها
فالآن باشروهن فان قلت ای فایدة فی هذا الامر بعد قوله احل لکم لیلة الصیام الرفث
قلت فایدته دفع توهم احلال ما وقع منهم کما تقول لمن اکل لک مالا احللته لک ولیعطف
علیه قوله وابتغوا ما کتب الله لکم من الولد لاقتضاء الوطر لان الحکمة فی ابداع الشهوة فی الذکر
والانثی هو ذلک وفیه توبیخ لهم حیث وقعوا فیها وقعوا فیه لقضاء الشهوة وقیل نهی عن
العزل لان الامر بطلب النسل نهی عن ضده وقیل اطلبوا المأتی والمحل الحلال لا المحرم
وکلاهما بعید عن المقام وکلوا واشربوا حتی یتبین لکم الخیط الابیض من الخیط الاسود
من الفجر روی مسلم والبخاری رحمهما الله عن سهل بن سعد رضی الله عنه ان الآیة نزلت
ولم ینزل من الفجر فکان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم فی رجله الخیط الابیض والخیط
الاسود فلا یزال یاکل ویشرب الی ان یتبینا له فنزل من الفجر فعلموا ان المراد بهما اللیل
والنهار ولیس فیه تاخیر البیان عن وقت الحاجة لان الصوم محله النهار فذکر الخیطین
لبیاض الصبح وسواد اللیل کان ظاهرا من دلالة الحال غایته انه التبس علی الاوساط
دون ذوی البصایر وقول رسول الله صلی الله علیه وسلم لعدی بن حاتم لما حمل الخیطین
علی الحقیقة انک عریض الوسادة شاهد صدق ودلیل ظاهر له حیث غفل عن المراد
مع وضوحه ثم ازیح الاشتباه بزیادة البیان وفی الآیة دلالة علی جواز صوم من اصبح جنبا
کما صرح به حدیث عایشة رضی الله عنها کان یصبح رسول الله صلی الله علیه وسلم صایما وهو
جنب ثم اتموا الصیام الی اللیل بیان لانتهائه بعد بیان ابتدائه ولا دلالة فیه علی
جواز النیة بالنهار ولا علی وجوبه باللیل واستدل الشافعی رحمه الله تعالی علی تبییته باللیل
فی الفرض بقوله صلی الله علیه وسلم لا صیام لمن لم یعزم الصیام باللیل ولا علی حرمة صوم الوصال
اذ لا یلزم من بیان وقت الافطار عدم جواز المواصلة بل الوصال انما حرم بقوله لا تواصلوا
علی ما رواه البخاری وغیره ولا تباشروهن لا تجامعوهن بدلیل قوله فالآن باشروهن
وانتم عاکفون فی المساجد معتکفون الاعتکاف هو اللبث فی المسجد بقصد القربة
وفی الآیة دلالة علی اختصاصه بالمسجد ای مسجد کان اما الاول فلان المباشرة حرام
فی الاعتکاف اجماعا فلو لم یکن المسجد قیدا لکان المراد بیان حرمته فی المسجد واما الثانی
فلعموم الجمع وعن الزهری وابن المنذر یختص بالجامع وعن سعید بن المسیب بالمساجد
الثلثة مسجد رسول الله صلی الله علیه وسلم والمسجد الحرام والمسجد الاقصی لقوله صلی الله تعالی علیه وسلم

لا یشد الرجال الا علی ثلثة مساجد وخصه ابو حنیفة رحمه الله تعالی بمسجد یصلی فیها الخمس
جماعة وله امام ومؤذن معلوم تلک حدود الله ای الاحکام المذکورة ذوات حدود
فلا تقربوها ای حدودها فضلا عن تجاوزها فهو ابلغ من قوله فلا تعتدوها روی البخاری
ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال من اتقی الشبهات استبرا لدینه ومن رعی حول
الحمی یوشک ان یواقعه کذلک یبین الله آیاته للناس مثل هذا التبیین الواضح
یبین سایر دلایل احکامه لعلکم تتقون مخالفة اوامره ولا تاکلوا اموالکم بینکم بالباطل
لا یاکل کل منکم مال الآخر بوجه غیر مشروع وتدلوا بها الی الحکام عطف علی النهی او
منصوب باضمار ان ولا یلزم تقیید الحرمة بالاجماع والادلاء الالقاء والتدلو فی البئر یجوز به
عن الالقاء والمراد القاء شانها وحکومتها او القاء بعضها الیهم رشوة لتاکلوا فریقا
من اموال الناس بالاثم بشهادة الزور والیمین الکاذبة وجور الحاکم روی البخاری
ومسلم عن ام سلمة رضی الله عنها ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال انما انا بشر وانتم
تختصمون الی ولعل بعضکم یکون الحن بحجته فاقضی له علی نحو ما اسمع فمن قضیت له بشیء
من حق اخیه فانما اقضی له بقطعة من النار وانتم تعلمون انکم مبطلون فان قبح المعصیة
مع العلم اشد یسئلونک عن الاهلة السائل معاذ وثعلبة بن غنم الانصاری قالوا ما
بال الهلال یبدو دقیقا ثم یتزاید ثم یتناقص الی ان یعود کما بدا قل هی مواقیت للناس
والحج یوقتون بها امور معاشهم لا سیما الحج فانه یحتاج الی الوقت المعین اداء وقضاء وقیل
الجواب من الاسلوب الحکیم لانهم سالوا عن السبب والفاعل فاجیبوا بالغایة والحکمة
ولیس البر بان تاتوا البیوت من ظهورها ولکن البر من اتقی لما اجیبوا عن سوال
الاهلة ببیان الحکم کانه قال لهم دعوا السوال عن الحکمة فی افعاله فانها لا تخلو عن حکم
ومصالح وانظروا فیما تعتقدونه برا ولیس من البر فی شیء روی البخاری عن البراء کانوا
فی الجاهلیة اذا احرموا اتوا البیوت من ظهورها وعن جابر کانت الانصار تفعله دون
قریش وقیل استطراد لانهم کانوا یفعلونه فی الحج وقیل تمثیل لتعکیسهم فی السوال بمن
یدخل البیت من غیر بابه والاول هو الوجه للحدیث ویدل علی هذا اشارة واتوا البیوت
من ابوابها عطف علی مقدر ای انظروا او اتوا او قل هی مواقیت وقل لیس البر وقل
واتوا البیوت وقرا ابو عمرو وحفص وورش بکسر یاء البیوت بالضم علی الاتباع واتقوا
الله فی التجاوز عن احکامه لعلکم تفلحون حال کونکم راجین للفلاح وقاتلوا فی سبیل
الله الذین یقاتلونکم یناجزونکم القتال ویبارزون دون المجانبین نسخت
بقوله وقاتلوا المشرکین کافة او من له قدرة دون المشایخ والصبیان او من یصدد
قتالکم او فی الحرم والاشهر الحرم لما خاف المسلمون عام الحدیبیة حین شارط المشرکون
ان یدخل رسول الله صلی الله علیه وسلم مکة فی العام القابل ان لا یفوا بالشرط وعن
ابی العالیة اول آیة نزلت فی القتال بالمدینة وعن الصدیق اول آیة نزلت فیه بعد الهجرة

اذن للذين يقاتلونكم ولا تعتدوا بعمم كل اعتداء من قتل النساء والصبيان و
الرهبان والشيخ ان الله لا يحب المعتدين لا يريد بهم خيرا واقتلوهم حيث ثقفتموهم
وجدتموهم من الثقف وهو الادراك ومنه غلام ثقف اى سريع خفيف الحركة واخرجوهم
من حيث اخرجوكم اى من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة بمن لم
يسلم واوصى باخراج المشركين من جزيرة العرب والفتنة اشد من القتل اى اخراجهم
اياكم من الوطن اشد من قتلكم اياهم على ان اللام للعهد او اخراجكم اياهم اشق عليهم
من قتلهم فيكون حثا على اخراجهم او عذاب الاخرة بعد القتل اشد كقوله ولعذاب
الاخرة اشق ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه تكريما للبلد الحرام
فان قاتلوكم فاقتلوهم فالاثم عليهم اثرا فاقتلوهم ليدل على اباحة القتال بالاولى
وقرا حمزه والكسائى الافعال الثلثة بالقصر والمداولى لان القتال مقدمة القتل
فاذا لم يحل فالقتل كذلك جزاء الكافرين الذين كفروا بما اوجب الله من حرمة الحرم
فان انتهوا عن القتال والكفر فان الله غفور رحيم يقبل توبتهم ويرحمهم وقاتلوهم
حتى لا يكون فتنة شرك لقوله ويكون الدين لله فان انتهوا على الشرك فلا عدوان
الا على الظالمين كناية اى لا ظلم على المنتهين او لا ظلم الا على الظالمين على طريق المشاكلة
او لا عدوان الا عليكم لو ظلمتموهم بعد الانتهاء بان يسلط الله عليكم من ينتقم منكم على سواء
فهو مظهر موضع المضمر مع المشاكلة الشهر الحرام بالشهر الحرام نزلت بعد الحديبية لما عزم
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الى قضاء العمرة فخاف اصحابه ان يمنعوا دخول مكة
كما منعوا فى العام الماضى وكان ذلك فى ذى القعدة فاباح الله لهم القتال كما فعل
المشركون فانهم رموا بالحجارة والسهام فى الحديبية وقيل نزلت لما حاصر الطائف
ودخل ذو القعده والحرمات قصاص الحرمة ما تحافظ عليه عرضا كان او مالا والمراد منها
يا يجوز القصاص فيه فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ذكر الاعتداء
ثانيا مشاكلة كقوله وجزاء سيئة سيئة واتقوا الله فى رعاية المماثلة واعلموا ان الله
مع المتقين كلاءة ونصرا فى الدنيا ورحمة فى الاخرة وانفقوا فى سبيل الله تتمة لامر القتال
لانه بالمال والرجال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة لا تجعلوا ايديكم ملقاة الى الهلاك
او انفسكم بالكف عن القتال على ما روى الترمذى وابو داود عن ابى ايوب الانصارى
انه قال فينا نزلت معشر الانصار لما وضع الحرب اوزارها رجعنا الى اموالنا فكانت
التهلكة ترك القتال وروى البخارى عن حذيفة نزلت فى الامساك عن النفقة فى
سبيل الله وعن الحسن فى البخل وعن زيد بن اسلم فى اناس كانوا يغزون بغير نفقة
وكانوا كلا على التهلكة مصدر على ان اللام مكسورة ضمت كالجوار فى الجوار واحسنوا ان الله
يحب المحسنين ولا مطلب اعلى من حب الله واتموا الحج والعمرة لله ائتوا بهما كاملين
بمناسكهما والامر بالاتمام امر بالاداء على صفة التمام لا بالوصف وحده فيدل على وجوب

العمرة

العمرة كالحج وما روى احمد والترمذى عن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن
العمرة اواجبة هى فقال لا معارض برواية عن ابن مسعود رضى الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم تابعوا بين الحج والعمرة وقول عمر لمن قال وجدت الحج والعمرة مكتوبين
على هديت لسنة نبيك تقرير لفرضيتهما وعن على رضى الله عنه اتمامهما ان يحرم بهما
من دويرة اهله وعن الثورى من الميقات وعن عمر رضى الله عنه افراد كل منهما بسفر
خالصا لوجه الله فان احصرتم منعتم يقال حصره واحصره اذا منعه مثل صده واصده فيعتبر
باطلاقه كل منع وعليه بنى ابو حنيفه رحمه الله الحكم وخصه مالك والشافعى رحمهما الله
بالعدو لما روى البخارى ومسلم والنسائى عن عايشه رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لضباعة بنت الزبير حجى واشترطى وقولى اللهم محلى حيث حبستنى لما شكت
المرض ولو كان المرض حصرا لم يحتج الى الاشتراط وما رواه احمد والترمذى ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال من كسر او عرج فقد حل لو صح لم يعارض ما رووه ويؤيده
تقييد ابن عباس رضى الله عنه بالعدو وهو القدوة فى مدارك التنزيل فما استيسر من
الهدى اى فعليكم ما تيسر من الازواج الثمانية الابل والبقر والضان والمعز والهدى جمع
هدية كجدى وجدية ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله اى لا تحلوا حتى يبلغ الهدى
الذى بعثتموه الحرم فانه محل النحر وهذا ظاهر على مذهب ابى حنيفه وحمله الشافعى رحمه الله
على موضع الاحصار لانه المكان الذى عينه الشارع لما روى البخارى ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم نحر الهدى عام الحديبية خارج الحرم فمن كان منكم مريضا مرضا يحوجه الى
الحلق او به اذى من رأسه جراحة او قمل ففدية من صيام او صدقة او نسك وقد
بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه البخارى عن كعب بن عجرة قال رآنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم والقمل يتناثر على وجهى فقال ما كنت ارى ان الجهد بلغ بك هذا اما
تجد شاة قلت لا قال صم ثلثة ايام او اطعم ستة مساكين لكل واحد نصف صاع
من طعام فاذا امنتم الاحصار او كنتم فى سعة فمن تمتع بالعمرة الى الحج بان نوى العمرة
قبل الحج فانه يتمتع بما حرم عليه بعد اعمال العمرة فما استيسر من الهدى جبرانا لاستطاعه
فلا يأكل منه وعن ابى حنيفه رحمه الله هو كالاضحية فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام فعليه صيام
ثلثة ايام فى الحج فى ايام الاشتغال بالحج وعن ابى حنيفه رحمه الله فى اشهر الحج والافضل
اليوم السابع والثامن والتاسع والاكثرون ان لا صوم فى التشريق وسبعة اذا رجعتم
الى الوطن وعن ابى حنيفه رحمه الله اذا رجعتم من عرفات تلك عشرة على نمط فذلكة الحساب
الاجمال بعد التفصيل افادة للعلمين ودفعا لوهم ان يكون الواو الواصلة بمعنى او الفاصلة
وان يكون السبعة اطلقت على الكثرة لا العدد المخصوص كاملة دفع لوهم المجاز واشارة الى
انها وان كانت عند الحساب عددا ناقصا فهى كاملة فى الثواب وقيامها مقام
المعدل ذلك الحكم المذكور لمن لم يكن اهله حاضرى المسجد الحرام لا شئ على المتمتع ان

ان كان مقيما بمكة او فيما دون مسافة القصر منها وعند ابي حنيفة رحمه الله ذلك
مشار به الى التمتع ولا متعة ولا قران للمقيم يؤيد ما ذهب اليه ان الكلام مسوق له وذكر الغيبة
بالعرض واتقوا الله اي مخالفة اوامره واعلموا ان الله شديد العقاب استيناف للحث
على التقوى الحج اشهر معلومات معروفات في الجاهلية والاسلام والمراد وقت الاحرام به
وهي شوال وذو القعدة وتسعة ايام مع ليلة النحر عند الشافعي رحمه الله وعند ابي حنيفة رحمه
مع يوم النحر وفايدته وقوع طواف الركن في وقته والا فالحج مما فات بفوات الوقوف يوم عرفة
واطلاق الاشهر على الشهرين والعشر تجوزا ما لعلاقة الاجتماع فيما فوق الواحد واما تنزيل
بعض الثالث منزلة كله لانا فيه بوقوع افعال الحج فيه فمن فرض فيهن الحج بالنية عند
الشافعي رحمه الله والتلبية وتقليد الهدي عند ابي حنيفة رحمه الله فلا رفث ولا فسوق
ولا جدال في الحج عن ابن عباس رضي الله عنه الرفث الجماع ومقدماته والفسوق السباب
والجدال المراء مع صاحبك بحيث تغضبه فالنفي في الثلثة بمعنى النهي مبالغة وقيل الاولان
نهي والثالث نفي على ظاهره والمعنى لا ترفثوا ولا تفسقوا وقد ارتفع الاختلاف في الحج
بتعيين وقته وموقفه ورفع ما كان عليه المشركون من التقديم والتاخير كانوا يوخرون
الحج كل عامين من شهر الى اخر فيكون العام الاول ثلثة عشر شهرا والثاني اثنا عشر وكذا
الثالث مع الرابع فلكل سنتين عندهما خمسة وعشرون شهرا فيستدير حجتهم في كل خمس
وعشرين سنة والسنة التي حج فيها رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وافق حسابهم ذا الحجة
وكان قريش تقف بمزدلفة وساير الناس بعرفات فارتفع ذلك الخلاف ايضا وقرا ابن
كثير وابو عمرو برفع الاولين على معنى لا يكونن رفث ولا فسوق وعلى ان لا بمعنى ليس العشر الكف
عنهما مطلقا وهذا يؤيد الوجه الثاني في معنى الجدال وكذا ما رواه البخاري من حج ولم يرفث ولم
يفسق رجع كيوم ولدته امه وما تفعلوا من خير قليلا كان او كثيرا يعلمه الله فيجازي عليه
وتزودوا روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه ان اناسا من اليمن كانوا يحجون
من غير زاد زعما منهم انهم متوكلون ويكونون كلا على الناس فامروا بالتزود فان خير الزاد
التقوى عن سؤال الناس والثقل عليهم وفيه اشارة الى ان زاد سفر الاخرة نوع اخر ليس
من الماكل والمشارب بل هو التقوى واتقون يا اولي الالباب حثهم على التقوى اولا
واكده ثانيا بان يكون المقصود بها هو الله وسماهم اولي الالباب تنشيطا لهم ولان تقوى الله
وخشيته نتيجة اللب ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم روى البخاري عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان مجنة وذا المجاز وعكاظا كانت اسواقهم في الجاهلية فلما جاء الاسلام
تاثموا في القيام بها للتجارة فنزلت وسماه فضلا اذ لا وجوب عليه فاذا افضتم من عرفات
فاذكروا الله عند المشعر الحرام الافاضة الدفع بالكثرة مستعار من افاضة الماء والمفعول محذوف
اي انفسكم وعرفات علم لتلك البقعة جمع لا واحد له كاذرعات وتنوينه للمقابلة غير منصرف
للعلمية والتانيث وقيل منصرف لان هذه التا ليست للتانيث واختصاصها بالتانيث كمنع

تقدير

تقدير با اخرى والحق منع صرفه ان اعتبرت البقعة والصرف ان اعتبر المكان وانما سمي به
اما لان آدم وحواء التقيا فيه فتعارفا او لان الناس يتعارفون فيه او لان جبرائيل
عرف ابرهيم المناسك فلما اتى الجبل قال عرفت وفي الاية دليل على وجوب الوقوف بعرفات
لان الاذن دل على القطع كانه قال الافاضة واجبة عليكم فاذا اتيتم بها فاذكروا الله عند المشعر
الحرام وهذا يقتضي سابقة استقرار بعرفات ليكون ابتداؤها منها وايده قوله صلى الله عليه
وسلم الحج عرفة والمشعر الحرام جبل قزح وبه ثنا معروف والمزدلفة كلها موقف الدعاء الا
ان الاقرب من موقف الامام افضل كالوقوف بموقف رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
عند الصخرات بعرفات والمشعر من الشعور لانه معلم للعبادة واذكروه كما هداكم ذكرا يشبه
هدايتكم في الكمال ما مصدرية او كافة وان كنتم من قبله لمن الضالين عن طريق الحق
ثم افيضوا من حيث افاض الناس عطف على الامر بالذكر والذكر بعد الافاضة لا محالة
فثم للتراخي رتبة كانت قريش تقف بمزدلفة ولم تقف بعرفات مع ساير الناس جهلا لانهم
سكان الحرم لا يخرجون الى الحل فامروا بالوقوف بعرفات وان يفيضوا من حيث افاض
الناس او امر الناس بالافاضة بعد المعشر الى منى فاللام في الناس للعهد وهم قريش
لانهم كانوا يفيضون منه وقرئ الناس بكسر السين والمراد آدم عليه السلام واستغفروا الله
في تلك الاماكن والازمان ان الله غفور يغفر ذنوبكم رحيم يثيبكم بعد العفو فاذا قضيتم
مناسككم اعمال الحج فاذكروا الله كذكركم آباءكم كما كانوا في الجاهلية بعد قضاء المناسك يتمادحون
ويتفاخرون بانساب اباءهم فامر المسلمون بترك ذلك والاشتغال بذكر الله او كذكركم آباءكم
اذ كنتم اطفالا لا تعرفون غيرهم فالمقصود التوجه الى جناب قدسه بلا التفات الى غيره
او اشد ذكرا بل كونوا اشد ذكرا او عطف على ذكركم بتقدير مضاف اي او كذكر قوم اشد منكم
ذكرا لاباءهم او على آبائكم على ان المصدر بمعنى المفعول اي كذكركم شيئا اشد مذكورية من
آبائكم او على ذكر بطريق المجاز بجعل الذكر ذاكرا فمن الناس من يقول تفصيل للذاكرين
لبيان تفاوت هممهم واحوالهم ربنا آتنا في الدنيا اي عجل حظنا وما له في الاخرة من
خلاق لعدم جعله الدنيا وسيلة للاخرة بل قصر نظره عليها والخلاق النصيب لان خط الانسان
مخلوق له او من فلان خليق بكذا جدير لايق واصل الخلاقة الملاسة يقال للرتقا الخلقا
ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة نصيبا يجعله وسيلة ولذلك سماه حسنة وفي
الاخرة حسنة نعيما وقنا عذاب النار اي عذاب الاخرة لانه اعظم انواعه وقد دخل
في الحسنتين خير الدارين روى مسلم عن انس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اذا آتاكم الله الحسنة في الدنيا والاخرة ووقاكم عذاب النار فقد آتاكم الخير كله
اولئك لهم نصيب مما كسبوا اي لهم نصيب وافر من جنس ما سألوا من الحسنة من
ابتدائية او تبعيضية لان الحسنتين ناشئتان من مطلق الحسنة ونوعان منه وسمى
الدعاء كسبا لانه مخ العبادة او لاجل ما كسبوا والتعليل لا ينافي الابتداء وقيل اولئك

اشارة الى الفريقين وفيه ان امر الكافر قد ختم بقوله ما له في الآخرة من خلاق وليس
ما رزق في الدنيا من نصيب لاجل كفره ولا من جنسه والله سريع الحساب عن قريب
يحاسبكم فبادروا او سريع حسابه يحاسب الخلق في مقدار حلبة شاة وروي في مقدار
فواق ناقة وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في لمحة طرف لا يشغله شان عن شان
وعد ووعيد وحسن موقعه بعد ذكر المناسك الكثيرة واذكروا الله في ايام معدودات
عن ابن عباس رضي الله عنه الايام المعلومات عشر ذي الحجة والمعدودات ايام التشريق
والذكر التكبير عند الجمار وادبار الصلوات فمن تعجل تعجل واستعجل مطاوعان لعجل وجاءا
متعديين اي تعجل الذهاب والاول اوفق بقوله في يومين في ثاني ايام التشريق
بعد رمي الجمار عند الشافعي رحمه الله وبعد طلوع الفجر عند ابي حنيفة والاول اظهر فلا اثم
عليه ومن تاخر فلا اثم عليه بان رمى الجمار في الثالث بعد الزوال عند الشافعي رحمه الله ويقبل
وعند ابي حنيفة رحمه الله قبل الزوال والتخيير بين الافضل والفاضل لان التخيير يجوز كلا الطرفين
وليس من لوازمه التساوي لمن اتقى اي ذلك التخيير ورفع الاثم للمتقي لانه ينقلب مع
الشبه وتعتريه وفيه اشارة الى انه الحاج حقيقة وغيره غير ملتفت اليه واتقوا الله ليعبأ بكم
ويجعلكم ممن له التخيير ومعه الخطاب واعلموا انكم اليه تحشرون فتوسلوا اليه بالتقوى
فانها نهاية السالكين ومن الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا الجار متعلق
بالقول اي قوله في الدنيا او طلب حظ منها يروقك ويعظم في نفسك لحلاوة عبارة
ورشاقة الفاظه او يعجبك اي يروقك في الدنيا لا في الآخرة اذ لا قول له هناك
الا لما يرهقه من شدة الخوف او لا يؤذن له في الكلام او يختم على لسانه ويشهد الله
على ما في قلبه من الود والصدق كقولهم نشهد انك لرسول الله وهو الد الخصام اي
شديد الجدال على ان الخصام مصدر من اضافة الصفة الى فاعلها كحسن الوجه او جمع
خصم والمعنى اشد الخصوم لا لان الد اسم تفضيل لكون جمعه لدا بل لان اللدد وشدة
الخصومة فهو بالنسبة الى ما دونه اشد واشتقاقه من لديدي الوادي لجانبيه لانه ياخذ
في كل جانب من الجدال والعداوة والاية في شان المنافقين وقيل نزلت في الاخنس
بن شريق الثقفي كان حلو المنطق يدعي حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بصحيح
لان الاخنس اسلم سنة الفتح وحسن اسلامه فان قلت لم لا يجوز ان يكون اسلم بعد
نزول الاية قلت يمنع ذلك قوله في حقه حسبه جهنم واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها
ويهلك الحرث والنسل باتلاف الاموال وقتل الانفس والذراري او يشوم كفره ونفاقه
يمنع الله القطر فيهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد ولو كان صادقا في قوله
لما ارتكب ما لا يرضاه الله واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم الزمته به وحملته
عليه حمية الجاهلية لجاجا وعنادا يقال اخذته بكذا اذا الزمته اياه او على رد قول الواعظ
فحسبه جهنم كافية جزاء وعذابا علم لدار العقاب وفي الاصل مرادف للنار وقيل معرب ولبئس المهاد

جواب القسم والمخصوص محذوف للعلم به والمهاد ما يمهد كالفراش لفظا ومعنى ومن الناس
من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله عن ابن عباس وانس رضي الله عنهم نزلت في
صهيب هاجر في اثر رسول الله فاخذه المشركون فقال انا رجل كبير غريب لا اضر ولا انفع
اعطيكم مالي ودعوني اذهب فرضوا بذلك فلما ورد المدينة تلقاه عمر رضي الله عنه وكان
بينهما المواخاة فناداه يا صهيب ربح البيع وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبرهم
بقصته فقال صهيب هذا خبر السماء وقيل نزلت في الجهاد وكل امر بمعروف ونهي عن
منكر ويشري بمعنى باع نفسه وبذلها في مرضات الله والله رؤف بالعباد ذو الرحمة
ولذلك ارشدهم الى ما فيه رضاه الذي لا مطلب اعلى منه يا ايها الذين امنوا ادخلوا
في السلم كافة السلم بكسر السين وفتحه نافع وابن كثير والكسائي وهما لغتان الانقياد والطاعة
والخطاب للمؤمنين او لاهل الكتاب الذين امنوا بنبيهم والمنافقين الذين امنوا
بالسنتهم والكل وكافة حال من ضمير ادخلوا او من السلم لانها تؤنث كالحرب وكافة اسم
للجملة لانها تكف الاجزاء من الخروج والتفرق وعن يونس والاخفش ان السلم هو الاسلام
فالخطاب لاهل الكتاب والمنافقين او لهما ويجوز خطاب المؤمنين بتقدير مضاف
اي ادخلوا في شعبه وفروعه لان لفظ الدخول يابى حمله على الثبات والازدياد ولا تتبعوا
خطوات الشيطان بالتفرق والتفريق وقرا ابن كثير في رواية قنبل وحفص وابن عامر
والكسائي بضم الطاء انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة فان زللتم من بعد ما جاءتكم
البينات خرجتم عن الانقياد والاسلام من زل في الطين اذا وقع فاعلموا ان الله
عزيز غالب حكيم لا يواخذ الا بعد الزام الحجة هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في
ظلل من الغمام اي ما ينتظرون الا اتيان امره وباسه او المأتي به محذوف اي اتيانه
بالبلية والنقم والظلل جمع ظلة كقلل في قلة وهي ما اظلك ولذلك بينه بالغمام و
الاتيان على هذا الوجه اقطع لان الغمام مظنة الرحمة فاتيان الشر منه لا شر فوقه
كما ان اتيان الخير من مظان الشر لا اسر منه والملائكة لانهم وسائط في امره
وتنفيذ احكامه وقضي الامر يقضي ويفرغ منه وايثار الماضي لتحققه لا محالة والى الله
ترجع الامور كلها فذلكة القصة وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم على بناء المفعول
من الرجع والباقون بالعكس من الرجوع والاول اشهر وابلغ لدلالته على ان راجعا
موكلا بها سل بني اسرائيل اردف الامر بالدخول في السلم بنقض بني اسرائيل
عهودا كثيرة تحذيرا عن ارتكاب مثله والمامور بالسؤال اما رسول الله صلى الله عليه وسلم
او كل احد والقصد التقريع لا الجواب كم اتيناهم من اية بينة كم خبرية او استفهامية
للتقرير ولا ينافي التقريع مفعول ثان لاتيناهم والجملة في موضع المصدر كانه قيل سل هذا
السؤال والمفعول به او بيان للمقصود اي سلهم جواب هذا السؤال او في محل الحال اي قائلا
من اية تميزكم واذا فصل بينه وبين المميز حسن الاتيان بمن والآيات اما معجزات

ابنيائهم او آيات كتبهم و دلايل الاحكام ومن يبدل نعمة الله آياته الدالة على صدق الرسل
او آياته الدالة على نعت محمد وصحة دينه سماها نعمة لانها اسباب الهدى ووسايل النجاة
من بعد ما جاءته اى من بعد ما عرف انها آية وتمكن منه والا فالتبديل لا يكون الا بعد
المجيء فان الله شديد العقاب دليل الجزاء اى يعاقبه زين للذين كفروا الحيوة الدنيا
بيان للعلة الباعثة والمزين هو الله لانه خالق الخير والشر وقيل ما من شيء الا وهو
فاعله وفيه ان الخالق غير الفاعل يظهر فى الزنى والسرقة او الشيطان والاسناد مجاز
ويسخرون من الذين آمنوا من فقراء المهاجرين كبلال وعمار عطف على زين والعدول
الى المضارع لقصد الاستمرار وقيل حال بتقدير وليس بوجه اذ لا معنى لتقييد التزيين
بحال السخرية والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة رتبة او مكان لانهم فى العليين والتعبير
عن الايمان بالتقوى تذكير بها وترغيب فيها لان هذا الحكم عام لكافة المؤمنين والله
يرزق من يشاء بغير حساب بغير تقدير كناية عن التوسعة فالبسط على الكفار استدراج
ليكون وسيلة الى النعمة كان الناس امة واحدة على الاسلام عن ابن عباس رضى الله
عنه من آدم الى نوح عشرة قرون كلهم على التوحيد وقيل بعد نوح عليه السلام او مما نجا معه
الا من آمن وقيل على الكفر ولا دليل له كتاب فاختلفوا فى الايمان فبعث الله النبيين
لان كفر الكل يصلح حكمة للبعث فلا يحتاج الى الاختلاف مبشرين بالجنة لمن آمن
ومنذرين لمن كفر وانزل معهم الكتاب جنس الكتاب فلا يلزم ان يكون مع كل كتاب
واحد تخصه بالحق حال من الكتاب ليحكم من الناس فيما اختلفوا فيه اى الله او النبى
او الكتاب وانما اعاد المظهر لعدم اختصاص حكمه بالذين اختلفوا وما اختلف فيه اى
فى الحق الا الذين اوتوه اى الكتاب عكسوا الامر بان جعلوا ما انزل للوفاق سببا
للخلاف والمراد زيادة الاختلاف لوجود اصله قبل البعثة من بعد ما جاءتهم البينات
بغيا بينهم حسدا وظلما لحرصهم على الدنيا فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق
اى هدى الذين آمنوا الى الحق الذى اختلف فيه من اختلف باذنه بارادته وتيسيره
والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم يوفقه لسلوكه ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ام منقطعة
ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار الحسبان ورسول الله صلى الله عليه وسلم وامته داخلون
فى عموم النبيين والذين آمنوا خوطبوا على طريق الالتفات تشجيعا لهم على الثبات والصبر
ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم حالهم التى بمنزلة المثل فى الغرابة ولما نظيره قد فى ان
الفعل المذكور بعدها منتظر متوقع لا نفيه مستهم البأساء والضراء بيان للمثل جواب سوال مقدر
وزلزلوا ازعجوا ازعاجا شديدا يشبه الزلزلة حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى
نصر الله اى بلغت الشدة مبلغا ضج الرسول واستبطاء النصر وتمناه مع كمال الثبات
الرسل وغاية صبرهم على البلايا والرزايا وقرأ نافع يقول بالرفع على انه حكاية حال ماضية والباقون
بالنصب على الاستقبال نظرا الى ما قبله وهذا ابلغ لما فيه من صريح التدرج الى تلك الغاية الآن

نصر الله قريب اى اجيبوا الى طلبتهم وقيل لهم قد قرب النصر ودنا الفرج وقيل هذا مقول
الرسول ومتى نصر الله مقول من معه وفيه فوات بيان تناهى الامر فى الشدة فلا يحسن
يسألونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين
وابن السبيل سألوا عن المنفق فاجيبوا ببيان المصرف مفصلا مدمجا فيه ما سألوا
وهو ما انفقتم من خير لان النفقة لا يعتد بها ما لم يقع موقعها قال ان الصنيعة لا يكون
صنيعة حتى يصاب بها طريق المصنع والمجيب بمنزلة الطبيب يبنى العلاج على مقتضى
المرض لا على قول المريض عن ابن عباس رضى الله عنه ان عمرو بن الجموح سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم ماذا ينفق من اموالنا واين نضعها فنزلت فعلى هذا فى السوال
المحكى فى التنزيل اختصار اعتمادا على الجواب وما تفعلوا من خير ما شرطية فان الله به
عليم اى اى شيء تفعلونه من الخير فالله مجازيكم عليه كتب عليكم القتال قدم ذكر الانفاق
عقبه بالقتال لا علاء كلمته ترقيا من الادنى الى الاعلى وهو كره لكم مكروه فعل بمعنى المكروه
كالخبر او شاق مصدر بمعنى الفاعل وانفق السبعة على ضم الكاف وعسى ان تكرهوا شيئا
وهو خير لكم والتكليف كلها كذلك لانها خلاف هوى النفس ولا يلزم منه كراهة حكم الله
كما فى الشرور فانها مكروهة منكرة مع كونها بقضاء الله ومشيته وعسى ان تحبوا شيئا
وهو شر لكم ومنه المعاصى والله يعلم ما فيه الخير والشر وانتم لا تعلمون ذلك يسألونك
عن الشهر الحرام روى ابن اسحق عن ابن عباس وابن هاشم عن زياد البكالى ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية الى نخلة بين مكة والطائف لترصد قريشا وتعلم
خبرها بعد ما رجع من بدر الاولى وامر عليهم عبد الله بن جحش واعطاه كتابا ولم يدر
ما فيه وامره ان لا يقرأه الا اذا بلغ مكان كذا فلما بلغ قرأه وقال سمعا وطاعة لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما بلغوا النخلة وجدوا عير القريش تمر بهم فتعرضوا لها فقتلوا بعضا و
اسروا بعضا وكان اول يوم من رجب فظنوه آخر الجمادى فلما قدموا بالاسرى والغنيمة
وكانت اول غنيمة جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم ذلك المشركون واليهود
وقالوا محمد يستحل الشهر الحرام وتوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امر الغنيمة وقال
لهم ما امرتكم بالقتال فى الشهر الحرام فنزلت والمعنى يسألك المسلم والكافر عن الشهر
الحرام قتال فيه بدل اشتمال قل قتال فيه كبير اثم كبير منسوخ باية القتال فان
قلت حيث وجدتموهم فى آية القتال عام فى المكان والكلام فى الزمان قلت
عموم الامكنة قرينة عموم الزمان اذ هما فى حق النسخ لا يفترقان وصد عن سبيل الله
كما فعلوا عام الحديبية مبتدأ خبره اكبر وكفر به بالله والمسجد الحرام عطف على سبيل
لامتناع العطف على الضمير المجرور بدون اعادة الجار ولا وجه لتقدير الجار اذ لا معنى
للكفر بالمسجد والصد والكفر متحدان ذاتا فكان لا فاصلة واخراج اهله منه كما فعلوا
برسول الله والمؤمنين اكبر عند الله او جرائم قريش وكبارها اعظم جرما مما فعلت السرية

فالهم لا يذكرون عيوب انفسهم والفتنة اكبر من القتل يعم المذكورات وغيرها ولا يزالون
يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم لكى يردوكم ان استطاعوا ايثار ان مع الجزم بعد
الوقوع للدلالة على انه من المحالات المفروضة ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو
كافر فاولئك حبطت اعمالهم استدل به الشافعي رحمه الله على ان الموافاة على الكفر شرط
فى احباط العمل والالم يكن للقيد فايدة واحتج ابو حنيفة رحمه الله بقوله ومن يكفر بالايمان
فقد حبط عمله وهى مسئلة حمل المطلق على المقيد تمامها هناك وثمرة الخلاف تظهر فيما اذا
صلى وارتد والعياذ بالله ثم اسلم والوقت باق يجب اعادتها لبقاء السبب دون قضاء
غيرها لانعدام السبب فى الدنيا لا يعتد بها بل يسلب عنه اسم المسلم واحكامه والآخرة
بسقوط الثواب واولئك اصحاب النار فيها خالدون دائمون ان الذين آمنوا
والذين هاجروا اعاد الموصول تعظيما لشان الهجرة وجاهدوا فى سبيل الله اولئك يرجون
رحمة الله اشار بالرجاء الى ان العمل غير موجب ولان العبرة بالخاتمة وهى غيب و لما
لم يعقب بالخيبة بل بما يصدقه علم انهم واصلون الى المرجو والله غفور لفرطاتهم
رحيم باجزال الاجر والثواب ولم ينقصه ما وقع فى الشهر الحرام من القتل يسئلونك
عن الخمر والميسر روى الامام احمد عن عمر رضى الله عنه لما نزل تحريم الخمر فى آية النحل
تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا قال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت هذه
فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت آية النساء ولا تقربوا الصلوة وانتم
سكارى فقال اللهم بين لنا فى الخمر فنزلت فى الآية المائدة الى قوله فهل انتم منتهون
قال انتهينا انتهينا والخمر مصدر خمره اى ستره سمى به العصير اذا اشتد وقذف بالزبد
لانه يستر العقل وهل يختص هذا الاسم بعصير العنب فيه كلام واستدل الشافعى رحمه الله
على ان كل مسكر حرام بما رواه مسلم الخمر ما خامر العقل وكل مسكر حرام وعند ابى حنيفة رحمه الله
كل شرب المثلث وما طبخ من عصير العنب ونقيع التمر والزبيب حتى ذهب ثلثاه
ما لم يسكر ولم يقصد بشربه اللهو والطرب والميسر القمار من اليسر مصدر كالموعد لانه اخذ
مال الغير بالسهولة او من اليسار لانه يسلب يساره قل فيهما اثم كبير اى فى تعاطيهما
فان قلت كيف سوغوا الشرب بها بعد هذا قلت فهموا ان الحرمة باعتبار جلب المفاسد
لا لذاتها ومنافع للناس من الطرب والالتذاذ ومصادقة الفتيان وتوفر المروة
والتشجيع وكسب المال فى اليسر وقرا حمزة والكسائى كثير بالثاء المثلثة لكثرة ما يترتب
عليهما من الآثام وهو المختار ووافق بقوله ومنافع واثمهما اكبر من نفعهما كم افقرت
من غنى واذلت من عز وسلبت من نعمة وجلبت من نقمة ونسخت من مودة ونسجت
من عداوة وبالجملة مفتاح الشرور وام الخبايث وفى الحديث من شربها لم يشرب خمر الجنة
وسقاه الله من طينة الخبال والخبال عصارة اهل النار ويسئلونك ماذا ينفقون سالوا
اولا عن حقيقة المنفق وهذا سوال عن وصفه قل العفو الفاضل عن الحاجة لئلا يحتاج

الى السوال

الى السوال روى ابو داود ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيضة ذهب قال
يا رسول الله اصبت هذا من معدن فخذها واجعلها فى الصدقة فاخذها منه وحذفه
بها لو اصابه لعقره او لشجه وقال يأتى احدكم بماله ثم يجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن
ظهر غنى وهذا اذا لم يكن له قوة يقين وكمال توكل لقوله ويؤثرون على انفسهم فى معرض
المدح ولقوله خير الصدقة جهد المقل وقضية الصديق وخروجه عن ماله مشهورة وقيل
المراد بالغنى غنى القلب وقرا ابو عمرو العفو بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف والنصب
اقل تغييرا وابلغ كذلك يبين الله لكم الآيات اى ساير الآيات الدالة على الاحكام
افرد الخطاب اولا باعتبار من يخاطب ثم اجمل ثانيا لعلكم تتفكرون فى الدنيا والآخرة
اى فى امور الدارين وتؤثرون ما هو انفع وابقى ويجوز ان يتعلق بيبين وتوسيط
التفكر بين الجار ومتعلقه للاهتمام ويسئلونك عن اليتامى روى ابو داود والنسائى
عن ابن عباس رضى الله عنهم لما نزلت ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتى هى احسن تحاموا
مداخلة الايتام والتولى عليهم وشق ذلك عليهم قل اصلاح لهم اى مخالطتهم على
وجه الاصلاح خير من المجانبة وان تخالطوهم فاخوانكم اى فلا استبعاد فان الاخوة
تقتضى المخالطة والالتيام والايتلاف والله يعلم المفسد من المصلح فيجازى الاصلاح
ولا عليكم بعد ذلك ان طرا فساد ولو شاء الله لاعنتكم لاوقعكم فى العنت اى المشقة
بالمنع عن المخالطة ان الله عزيز غالب على ما اراده حكيم متقن فى صنعه لا يريد
الا ما فيه حكمة ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن المخالطة تعم النكاح فناسب ذكر المحرمات
بعدها نزلت فى ابى مرثد الغنوى كان يهوى بغيا اسمها عناق فلما اسلم دعته الى
الخلوة بها فقال ويحك قد حال دون ذلك الاسلام فدعته الى التزوج بها فقال
حتى او امر رسول الله فاستامره فنزلت والكتابيات وان دخلن فى المشركات
خصهن آية المايدة والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب فان المائدة اخر القرآن
نزولا لا نسخ فيها ولامة مومنة خير من مشركة فى معرض التعليل وايثار الامة لان
النساء اماء الله ولو اعجبتكم اى المشركة لولا تاكيد ثبوت الحكم والواو اما للعطف على
مقدر هو ضد المذكور اى لو لم تعجبكم او الحال اى ولو كان الحال كذا ولا تنكحوا المشركين
حتى يؤمنوا باق على عمومه ولعبد مومن خير من مشرك ولو اعجبكم اولئك اى
المشركات والمشركون يدعون الى النار الى اسبابه من الكفر والمعاصى فى يدعون
تغليب الذكور او استعمال المشترك فى معنييه وكل من الواو والنون ضمير ولا تدافع لاعتبار
الحيثيتين والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه اى اولياؤه لوقوعه فى مقابلة اولئك
يدعون الى النار ولقوله باذنه اذ لا معنى للقول بان الله يدعوا باذنه وانما اسند
اليه تشريفا لهم ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ليكون فى صورة المرجو منهم
التذكر فصل الآية بالتذكر لظهور قبح ازدواج المؤمن والمشركة ويسئلونك عن المحيض

روى مسلم عن انس رضى الله عنه ان اليهود كانوا لا يواكلون الحيض ولا يساكنوهن
فسال ثابت بن الدحداح رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والمحيض مصدر كالمبيت
ذكر يسالونك فى سبعة مواضع ثلثة بالواو واربعة بدونه ولعل المقرونات بالواو
نزلت فى وقت واحد قل هو اذى شئ من المقذورات فاعتزلوا النساء فى المحيض
اى وقاعهن فى زمان الحيض اقتصادا بين افراط اليهود وتفريط النصارى من مباشرتهن
فى حال الحيض واستدل الشافعى رحمه الله على هذا بما روى انس رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قرا الاية وقال اصنعوا كل شئ الا النكاح وبما روى مسروق عن عائشة
رضى الله عنها له كل شئ الا الشعار وفى رواية الا فرجها وابو حنيفة رحمه الله الى حرمة ما اشتمل
عليه الازار لما روى مسلم والبخارى عن ميمونة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان اذا اراد ان يباشر احدى نسائه وهى حايض امرها ان تتزر وبه قال الشافعى
فى احد قوليه ولا تقربوهن من القربان وهو الوقاع حتى يطهرن وقرا حمزة والكسائى
بتشديد الطاء فحمل ابو حنيفة رحمه الله قراة التخفيف على اكثر الحيض حتى تحل بمجرد الانقطاع
لان الطهر نقيض الحيض وقراة التشديد على اقل من العشرة فلا تحل حتى تغتسل او يمضى عليها
وقت صلوة الا ان تكون ذمية فتحل بالانقطاع وحمل الشافعى رحمه الله قراة التخفيف
على الغسل ايضا لان طهر يعنى اغتسل كما فى حديث ام سلمة اذا افضت الماء عليك فقد طهرت
او تجوز الاتفاق فى فاذا تطهرن وذهب الاوزاعى الى غسل الفرج ومجاهد الى الوضوء
فاتوهن من حيث امركم الله وهو القبل ان الله يحب التوابين المكثرين من التوبة او
الذين يتوسون من ادنى شئ كالوطئ قبل الطهر او التطهر روى احمد واصحاب السنن
ان من اتى امراة وهى حايض يتصدق بدينار او نصفه ويحب المتطهرين من الانجاس
والمستقذرات طبعا وان كانت مباحة وللترغيب اعاد المحبة نساؤكم حرث لكم
بيان لقوله فاتوهن من حيث امركم الله شبه حال اتيانهم النساء من المانى بحال اتيانهم
المحارث فى عدم الاختصاص بجهة دون اخرى وفيه تعريض باليهود والقائلين بان
من اتى امراته فى قبلها من دبرها جاء الولد احول رواه مسلم عن جابر فاتوا حرثكم انى شئتم
تصريح بما علم التزاما وليعطف عليه قوله وقدموا لانفسكم اى الاعمال الصالحات وقيل
التسمية حال الجماع وقيل هو طلب الولد وهذا اوفق لان اتيان الحرث كناية عن
الوقاع الذى يقصد به الولد لا قضاء الوطر كما ان الاذى كناية عن المستقذر قصدا
الى التنفير والاعتزال كناية عن ترك الوطئ قصدا الى التبعيد وحيث امركم الله كناية
عن القبل تحذيرا عن غيره وفيها تعريضات باليهود والنصارى والراغبين فى غير
القبل واتقوا الله ان تتعدوا حدودها واعلموا انكم ملاقوه فتسالكم عنها وبشر
المؤمنين عطف على قل هو اذى تحريض على الامتثال لما سبق من الاوامر والنواهى
ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس برزخا وحجابا لما حلفتم

عليه

عليه من الخيرات كالبر والاتقاء والاصلاح ونحو ذلك من عرضت العود على الاناء
فالايمان مجاز عن الامور المحلوف عليها وان تبروا وما عطف عليه عطف بيان واللام
تتعلق بالفعل والايمان حقيقة وان تبروا مقدر باللام والعرضة بمعنى المعرض لكذا
والمعنى لا تجعلوا الله معرضا لحلفكم تحلفون به دايما فان ذلك ابتذال له اى كفوا
عن ذلك لتبروا فهو نهى معلل وعلى الاول المعلل منهى وهو الوجه لما روى البخارى
ومسلم عن ابى موسى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لا احلف
على يمين وارى غيرها خيرا منها الا اتيت الذى هو خير وكفرت عن يمينى ولما روى
انها نزلت فى ابى بكر حين حلف لا ينفق على مسطح وقيل فى عبد الله بن رواحة حلف
لا يكلم النعمان بن بشير زوج اخته والله سميع لايمانكم عليم بنياتكم لا يؤاخذكم الله
باللغو فى ايمانكم اللغو من كل شئ الساقط فى حديث ابى هريرة رضى الله عنه اذا قلت
لصاحبك يوم الجمعة والامام يخطب انصت فقد لغوت وهو عند الشافعى رحمه الله
ما رواه ابو داود وعن عائشة رضى الله عنها وابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
هو كلام الرجل كلا والله بلى والله وعند ابى حنيفة رحمه الله هو الحلف بالظن على ما كان
ولم يكن ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم اقترفته فيه قصدا يشمل الغموس وغيره ولا فرق
بين المكسوبة والمعقودة عند الشافعى رحمه الله والمؤاخذة الكفارة او العقوبة ان لم
يكفر وعند ابى حنيفة رحمه الله لا كفارة فى المكسوبة وهى الغموس وهى ان يحلف عمدا على
خلاف الواقع فى الماضى والمعقودة هى التى توثق بالقصد والنية على امر فى المستقبل
يفعله او لا يفعله والله غفور لا يؤاخذ باللغو حليم لم يعاجل بالعقوبة بعد الحنث للذين
يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر صيغ القسم تعدى بعلى والتعدية بمن
لتضمنه معنى البعد او حال من الضمير فى الخبر اى تربص اربعة اشهر حاصل للذين
يولون حال كونه من نسائهم والتربص الانتظار والمراقبة مصدر اضيف الى المفعول
فان فاؤا رجعوا فى اليمين بالحنث فان الله غفور اثم الحنث بالكفارة رحيم
بشرع الكفارة تلافيا وان عزموا الطلاق فان الله سميع لطلاقهم عليم بنياتهم
الايلاء حلف الزوج على الامتناع من الوطى اما مطلقا او مقيدا باكثر من اربعة اشهر
وحكمه بعد المدة الفياة اى الرجوع اما بالوطى او الوعد ان عجز فان لم يفئ طلقها فان ابى
طلقها القاضى استدل الشافعى رحمه الله على هذا بالفاء فى فان فاؤا فانها تدل على
ان طلب الفياة بعد اربعة اشهر وبقوله ان الله سميع لدلالته على ان من الزوج كلاما
وهو الطلاق وذهب ابو حنيفة رحمه الله الى جواز الايلاء فى اربعة اشهر فان فاء فى المدة لزمته
الكفارة والا بانت منه بطلقة وجعل قوله فان فاؤا تفصيلا لقوله للذين يؤلون
من نسائهم والسماع متعلقا بما يقع من المقاولة عند ترك الفياة والضرار وفيه ان
المفصل عين المجمل ولا تعقيب الا فى الذكر وما فى الاية متغايران وجودا والمطلقات

عام خص منه الامة والصغيرة والايسة وذات الحمل وغير المدخول بها بنصوص اخر يتربصن
بانفسهن خبر اريد به الانشاء مجاز تشبيها لما هو المطلوب الوقوع بالمتحقق في الحال
او الاستقبال ابلغ من صريح الامر لدلالته على انهن يمتثلن لا محالة وبناؤه على المبتدا
زاده وكادة لتكرار الاسناد والحام لانفس هنا دون الايلاء لان القرامن صفاتهن
دونه وقيل لان نفوسهن طوامح الى الرجال في العدة فامرن بحفظها وكفها ثلثة قروء
القرء لغة الحيض والطهر والى الاول ذهب ابو حنيفه رحمه الله في تفسير الاية مستدلا بما روى
ابو داود والترمذي عن عايشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال طلاق
الامة طلقتان وعدتها حيضتان ولاتفاقهم على الحيض في الاستبراء ولما رواه ابو داود
وعن فاطمه بنت ابي جيش دعي الصلوة ايام اقرائك وذهب الشافعي الى الثاني مستدلا
بقوله فطلقوهن لعدتهن فان اللام للتوقيت كقوله ولما جاء موسى لميقاتنا وقوله
اقم الصلوة لدلوك الشمس وبما رواه البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنه انه طلق امرأته
وهي حايض فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يراجع ثم يطلقها في كل قرء تطليقة ورواية
الشيخين مقدمة عند التعارض والاعتراض بان ما ذهب اليه يبطل مدلول الخاص القطعي
وهو الثلثة لاعتداده بساعة بل لحظة من الطهر غير ناهض لان الطهر عنده اسم للكل ولكل
جزء منه فان قلت اذا كان اسما لكل جزء منه فكان ينبغي ان تنقضي العدة بثلث
ساعات من طهر وقع فيه الطلاق قلت الطهر الذي يجعل قرءا شرطه ان يكون محاطا بدمين
ولذلك لم يجعل طهر الصغيرة قبل الحيض قرءا وبذلك يسقط وهو التحكم حيث جعل جزء من
الطهر الذي وقع فيه الطلاق قرءا دون الثالث وايثار جمع الكثرة مع الثلثة لاتساع في
استعمال كل موضع الاخر مع اشتمال كل قرء على اجزاء كثيرة ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله
في ارحامهن من الولد والحيض استعجالا للقبول قولها ان كن يؤمن بالله واليوم الاخر ليس
بشرط في عدم الكتمان حتى لو لم يؤمن حل لها ذلك بل قصد اعظام ذلك وان عدم
الاقدام عليه من لوازم الايمان وبعولتهن احق بردهن البعولة جمع بعل والتاء لتاكيد
معنى الجمع كالفحولة والضمير اخص من المرجع لاختصاص هذا الحكم بالرجعيات والمعنى ان الزوج
احق بالرجعة منها بالاباء كقولهم الصيف احر من الشتاء وفيه حث لاقاربها بان يكونوا
عونا له ان تنازعا في ذلك في زمان التربص اذ بعده مستقلة بها ان ارادوا
اصلاحا اي الاحقية عند الله مقيدة بارادة الاصلاح لا في الظاهر لان تلك الارادة
امر خفي ومناط الاحكام الظواهر ومثل الفتوى غير مثل التقوى ولهن مثل الذي عليهن
بالمعروف من الحقوق والرعاية وللرجال عليهن درجة مزية في الحق وزيادة فضيلة
باعتبار الخلقة والدرجة منزلة لوحظ فيها التفوق كما اعتبر التسفل في الدركة والله عزيز
قادر على الانتقام ممن خالف امره حكيم حيث فضل الرجال لانهم قوامون على النساء بالنفقة
والحراسة ويشاركونهن في غرض الزواج الطلاق مرتان اي الطلاق المعقب للرجعة

طلقتان

طلقتان لان الكلام في شان الرجعيات وحكم البواين سيوفى في سورة الطلاق
ولما روى ابو داود وعن ابن عباس رضي الله عنه كان في بدء الاسلام الرجل احق
بامرأته وان طلقها مائة تطليقة وكذا عن ابن جرير وابن ابي حاتم عن عروة ولحديث
سلال طلق زوجته ثلثا وعند ابي حنيفه رحمه الله تعليم لكيفية ايقاع الطلاق اي
ان الطلاق الشرعي تطليقة بعد تطليقة دون الجمع والارسال فانه بدعة فامساك
بمعروف او تسريح باحسان متفرع على التعليم فبعد العلم بكيفية الطلاق انتم مخيرون
بين الامساك وحسن المعاشرة والطلاق على الوجه المشروع تخييرا بين الفاضل والمفضول
لان الطلاق انكر المباحات وعند الشافعي رحمه الله التسريح باحسان الطلقة الثالثة
او بدع الرجعة حتى تبين بانقضاء العدة ولا يحل لكم ان تاخذوا مما اتيتموهن شيئا
نزلت في جميله بنت ابي بن سلول كانت عند ثابت بن قيس روى البخاري عن
ابن عباس رضي الله عنه انها جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله
ثابت لا اعتب عليه في خلق ولا دين ولكن اكره الكفر في الاسلام اكره ذمامته رايته
مقبلا في عدة فاذا هو اشدهم سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فقال تردين عليه
حديقته وكان اصدقها حديقة فقالت نعم فاختلعا والخطاب للحكام لانهم الامرون
وهذا القدر كاف في الاسناد وان لم يكن مسبوقا بالترافع او للازواج والحكام وتصرف
الى كل ما يليق به او للازواج وان كان الخطاب في فان خفتم للحكام لانه تفنن في
الخطاب ومثله كثير الا ان يخافا اي الزوجان الا يقيما حدود الله من مرافق
الزوجية وقرأ حمزة يخافا على بناء المفعول على ان ما بعده بدل اشتمال من الضمير وفيه
تاييد لكون الخطاب للحكام فان خفتم ايها الحكام الا يقيما حدود الله فلا جناح
عليهما فيما افتدت به اي شيء كان جميع المهر او اقل او اكثر فاندفع به وهم البعضية مما اتيتموهن
تمسك طائفة من السلف منهم ابن عباس والحسن رضي الله عنهما بظاهر الاية على
اختصاص الخلع بحال الشقاق وبما روى الترمذي عن ثوبان ايما امرأة سألت
زوجها طلاقها من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة والائمة على ان القيد محمول على
الغالب حتى قال الشافعي رحمه الله اذا صح في حال الشقاق ففي الوفاق اولى واختلف
فيه هل هو طلاق او فسخ فذهب الامام احمد والشافعي في احد قوليه الى انه فسخ ان كان
بلفظ الخلع والمفاداة وفي اصح قوليه الى انه طلاق وثمرة الخلاف ان كان فسخا لا
ينقص به عدد الطلاق واختلفوا في لحوق الطلاق بعد الخلع يلحقها عند ابي حنيفه رحمه الله
وعند مالك ان اتبع الخلع طلاقا من غير سكوت تلك حدود الله فلا تعتدوها
ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون الكاملون في الظلم فان طلقها اي
بعد الطلقتين وحديث الخلع بيان لاحد قسمي الطلاق وهو الذي على عوض وعند
الشافعي رحمه الله حديث الخلع معترض والطلقتان رجعيتان فلا تحل له من بعد حتى

تنكح زوجا غيره النكاح هو العقد لاسناده الى الزوجة لا الاصابة لانه فعل الزوج وانما
اشترطت زيادة على الكتاب لحديث العسيلة فانه مشهور فان قلت ما رواه الثقات
من قوله لعن الله المحلل والمحلل له يناقض الاية لان الزوج الثاني محلل البتة قلت ذاك
محمول على الاشتراط واضماره فلا تناقض لاختلاف المورد فان طلقها اي الزوج الثاني
فلا جناح عليهما على الزوجين ان يتراجعا يرجع كل منهما الى صاحبه ان ظنا ان
يقيما حدود الله في احكام الزوجية وايثار الظن لان اليقين متعذر وحمل الظن على
اليقين مع كونه رجما بالغيب ينافيه ان الناصبة الدالة على التوقع وتلك حدود الله
يبينها لقوم يعلمون اي يعملون بعلمهم واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن شارفن
اخر العدة او بعد انقضائها لا زوجية والاجل يطلق على اخر المدة كما يطلق عليها اما اشتراكا
او تجوزا في احدهما فامسكوهن بمعروف او سرحوهن بمعروف اعاده مفرعا على بيان مدة
الرجعة وليعطف عليه ولا تمسكوهن ضرارا كانوا يطلقون فاذا شارفت انقضاء العدة
راجعوها لا للامساك بل ضرارا لتعتدوا عليهن ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه بتعريضها
للعقاب ولا تتخذوا آيات الله هزوا كانوا يطلقون ويعتقون ثم منهم من يقول
كنت لاعبا فنزلت روى ابو داود والترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ثلث جدهن جد وهزلهن جد النكاح والطلاق والعتاق
واذكروا نعمة الله عليكم بارسال الرسول ورفع سنة الجاهلية والذكر اعم من اللساني لان
المراد منه الشكر وانزل عليكم من الكتاب والحكمة علم الشريعة عطف على نعمة الله المفسر
بارسال الرسول فيتلائم النظم يعظكم به جملة حالية واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء
عليم تاكيد وتهديد واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن روى البخاري ان اخت
معقل بن يسار كانت عند رجل فطلقها فلما انقضت عدتها خطبها مع ساير الخطاب
فابى معقل فنزلت واستدل به من قال لا تزوج المراة نفسها والاجل محمول على الحقيقة
الاجل اخر العدة وهذا معنى قول الشافعي دل بالسياق على افتراق البلوغين
ولا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن تسميتهم ازواجا بعد العدة باعتبار ما كان خطاب
للاولياء وقيل خطاب للازواج لما روي انهم كانوا يمنعون المطلقات من التزوج
بالغير حمية الجاهلية والاحسن ان يكون خطابا عاما ليسلم من انتشار الخطاب لان
الخطاب في اذا طلقتم خاص بالازواج ولما فيه من تهويل امر العضل فعلى الاولياء و
الازواج ان لا يحوموا حوله وعلى الناس كافة نصر المظلوم اذا تراضوا بينهم اي الخطاب
والنساء فيه تغليب واذا ظرف للنكاح او العضل بالمعروف بما يعرف شرعا ويستحسنه
المروة ذلك اشارة الى ما مضى من الاحكام خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لان حرف الخطاب في اسماء الاشارة لمن يتلقى الكلام سواء كان مخاطبا بالحكم اولا
وليس هذا خطابا لرئيس القوم بمنزلة خطابهم كما في يا ايها النبي اذا طلقتم النساء او لكل

من ياتي منه تلقي الكلام وهذا اوفق لان الخطاب اللاحق والسابق عام يوعظ به
من كان منكم يؤمن بالله واليوم الاخر لانه المنتفع بالموعظة ذلكم ازكى لكم افضل
واكثر خيرا واطهر من دنس الاثام وصف للشيء بوصف صاحبه والله يعلم ما فيه
صلاحكم وانتم لا تعلمون لقصور علمكم والوالدات يرضعن اولادهن خبر في معنى
الامر مبالغة والامر بالندب ان وجد غير الام وان لم توجد او وجدت ولم يرضع
الا من امه او كان الوالد عاجزا عن اجرة الظئر ويجوز استيجار الام عند الشافعي
رحمه الله بكل حال وعند ابي حنيفة رحمه الله لا يجوز ما دامت في النكاح او معتدة حولين
كاملين دفع للتجوز بتنزيل ما يقرب الكل منزلته ولا ينافي هذا كون اسم العدد خاصا
لا يحتمل الزيادة والنقصان لان المدلول مراد ادعاء لمن اراد ان يتم الرضاعة
اللام بيان لمن خوطب كما في هيت لك بيان للمهيت به اي الخطاب لك
هلم واسرع والضمير للاب لانه الذي يجب عليه الارضاع والمعنى هذا نهاية المدة
ويجوز النقص ان لم يتضرر الولد وعند ابي حنيفة رحمه الله مدته ثلثون شهرا لقوله وحمله
وفصاله ثلثون شهرا وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن اي اجر المثل وبه استدل
الشافعي رحمه الله على جواز استيجار الام مطلقا وعند ابي حنيفة رحمه الله الوالدات المطلقات
لان الكلام فيهن والنفقة والكسوة لاجل الرضاع وانما قال المولود له دون
الوالد دلالة على وجوب قيامهم برزق المرضع وايماء الى ان النسب الى الاباء في
الكفاءة وغيرها عاب هشام بن علي المامون قبل الخلافة بانه ابن امة
ويروم الخلافة فقال له المامون ان هاجر كانت امة وقد ولدت اسمعيل ومن
نسلها سيد ولد ادم فانشد الشاعر للمامون فانما امهات الناس اوعية مستودعات
وللابناء اباء بالمعروف حسب ما يليق به من اليسار والفقر والتوسط لا تكلف
نفس الا وسعها تعليل للتقييد بالمعروف ولا يمنع جواز تكليف المحال لا تضار والدة
بولدها ولا مولود له بولده تشاق كل منهما الاخر لاجل الولد بان تطلب هي منه فوق
المعروف وما ليس بعدل من الرزق والكسوة ولا هو يمنع حقها او يطلب انتزاع
الولد منها وهي راغبة في ارضاعه واشباه ذلك وان كان مبنيا للمفعول فهو نهي
عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وبالعكس ويجوز ان يكون يضار بمعنى
تضر والباء صلة اي لا تضر والدة بولده بان تقصر في تعهده اذا لم يرضعها الوالد
وكذا الوالدان بدامنها سوء خلف بان ينتزعه منها بعد ما الفها وقرا ابن كثير
وابو عمرو ولا يضار بالرفع وهو ابلغ لكونه خبرا اريد به الانشاء وانما نسب الولد اليهما
استعطافا بان لا يضره كل منهما ولا يضار صاحبه لانه يؤل الى الاضرار بالولد وعلى
الوارث مثل ذلك عطف على المولود له وما بينهما تعليل معترض والوارث الصبي
لتقدم ذكر الولد والاصل في اللام العهد ولان الولد اذا كان له مال لا يجب على الوالد

لا ابوان تقيان ... بيكون به
امه من الروم او سود او حبشية

اجرة الارضاع وقيل يعم ما عدا الولاد لعموم اللفظ والاشتقاق من الارث فقيل وارث
المولود له وقيل وارث الصبي مطلقا عند ابن ابي ليلى ومن كان ذا رحم محرم
عند ابي حنيفة رحمه الله وقيل اصوله من الآباء والامهات وقيل عصباته وقيل وعلى الوارث
اي الباقي من الابوين بعد موت الآخر وفيه قلق اذ التقدير فعلى الاب النفقة وعلى
الباقي من الاب والام فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما
التحديد بالحولين وجواز النقص علم سابقا الا ان من اراد كان ظاهرا في الاب
فاشار هنا الى ان اللام حقا في الجملة وليست مفردة عن النظر راسا وان اردتم
ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اي اذا اتفق الوالد والوالدة على تسليم الولد
الى المرضع فلا جناح في ذلك سواء كان بالام عذرا ولا يقال ارضعت المراة واسترضعتها
كانجح واستنجح بمعنى فالمفعول الاول محذوف للعلم به اذا سلمتم ما آتيتم اي ما اردتم ايتاءه
وقرا ابن كثير بالقصر اي ما اردتم فعله والاول احسن وليس التسليم شرطا لرفع الجناح
بل حث على الاولى بالمروة والاصلح بالولد اذ بذلك يزداد رغبتها ويقوى اهتمامها
بالمعروف متعلق بسلمتم اي بالطريق المعروف شرعا ومروة واتقوا الله بالمحافظة
على حدوده واعلموا ان الله بما تعملون بصير لا يخفى عليه خافيه والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا يتربصن بانفسهن اربعة اشهر وعشرا اي ازواج الذين
يتوفون منكم او والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا بعدهم وهذا اولى لان الظاهر
من النكرة المعادة المغايرة وانما قال عشرا لان الليالي غرر الايام والشهور باعتبار
الهلال قال الله ان لتتم العشر اخص الحامل بقوله واولات الاحمال اجلهن
ان يضعن حملهن والآية قياسا على عدة الطلاق وما روي عن علي وابن عباس
رضي الله عنهما عدة الحامل باقصى الاجلين متروك بالاجماع وقرا علي بن ابي طالب
يتوفون على بناء الفاعل بمعنى يستوفون اعمارهم وما روي انه خطاء السائل عن
الميت من المتوفي باسم الفاعل محمول على ان السائل لم يكن بليغا عارفا بمواقع
الكلام والحكمة في المدة اعتبارها بمدة الايلاء التي هي غاية صبر المراة عن الزوج على
ما نقل عن عمر رضي الله عنه وقيل لان الولد يتحرك في اربعة اشهر وزيد العشر استظهارا
فاذا بلغن اجلهن اخر المدة فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن ايها الحكام مما
كان محرما عليهن من الزينة والتعرض للخطاب بالمعروف والله بما تعملون خبير
فصل الآية الاولى بالبصير وهذه بالخبير لان الارضاع واحكامه امور مكشوفة بخلاف
العدة وضبط ايامها ربما يتساهل فيه الحكام ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة
النساء التعريض امالة الكلام الى عرض اي جانب يدل على الغرض والفرق ان
استعمال اللفظ في الموضوع له حقيقة وفي غيره مجاز والكناية لفظ مستعمل في غير الموضوع له
مع جواز ارادة الموضوع له ايضا والتعريض ما فهم من السياق من غير استعمال في المعرض

كقول الراغب في المعتدة مثلك لا يوجد وكم لك من طالب والخطبة اسم الحالة الا انه
خص بطلب النكاح او اكننتم في انفسكم اضمرتم علم الله انكم ستذكرونهن لغلبة ميل
الرجال الى النساء ولذلك اباح التعريض والاضمار وفيه توبيخ لطيف ولكن لا تواعدوهن
سرا استدراك عن مقدر اي اذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر كناية عن
الوطء لانه مما يسر به ثم اطلق على العقد مجازا ولم يطلق عليه ابتداء لعدم العلاقة
الا ان تقولوا قولا معروفا متعلق بلا تواعدوهن والقول المعروف هو التعريض
اي لا تواعدوهن نكاحا الا بطريق التعريض وحكم المعتدة من الطلاق البائن
حكم المتوفى عنها زوجها ولا تعزموا عقدة النكاح نهى عن العزم مبالغة في تحريم المباشرة
وقيل معناه لا تقطعوا عقدة النكاح لانه معنى العزم في الاصل اي لا تبرموا النكاح
ولا تلزموه حتى تبلغ الكتاب اجله اي ما كتب وفرض من امر العدة آخر مدته ونهاية
امره واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم من العزم والميل فاحذروه واعلموا ان الله غفور
لما عزمتم عليه ولم تعملوه خوفا منه حليم لا يعاجل بالعقوبة لا جناح عليكم لم يعطف لان
ما تقدم في شان المعتدة وخطبتها وهذا في بيان المهر والجناح هو المهر لقوله بعد هذا
ان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا
لهن فريضة اي لا ايجاب مهر كلا او بعضا مدة انتفاء احد الامرين المس والفرض وقرا
حمزة والكسائي تماسوهن لان المراد به الوقاع ولا يكون الا بين الشخصين والقصر اولى
لان الوطء فعل الزوج والفريضة فعيل بمعنى المفعول والتاء للنقل من الوصفية الى الاسمية
ويجوز ان يكون مصدرا ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره الموسع الغني
يقال اوسع الرجل اذا صار ذا سعة وغنى والمقتر ضيق الحال من القتار وهو رائحة
الطبخ او من القتر وهو الغبار لتغير حاله وكآبة وجهه وقرا حمزة والكسائي وحفص قدره
بتحريك الدال وهما لغتان والمتعة درع وملحفة وخمار عند ابي حنيفة رحمه الله الا ان يقل
مهر مثلها ذلك فلها نصف مهر المثل واستحسن الشافعي رحمه الله ان لا ينقص عن ثلثين
درهما والظاهر تخصص المتعة بغير الممسوسة اذا طلقت قبل الفرض والحق بها الشافعي
المدخول بها استدلالا بقوله تعالى فتعالين امتعكن في آية التخيير فالتي لا متعة لها ذات
التشطر متاعا بالمعروف شرعا ومروة حقا على المحسنين ترغيب في اعطاء المتعة
بانه وصف المحسنين لانه قيد روي ان حسن بن علي رضي الله عنهما طلق امراته
ومتعها عشرة آلاف فقالت متاع قليل من حبيب مفارق وان طلقتموهن
من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم اي لهن نصف
ما فرض ولا متعة لانه قسيم ذات المتعة الا ان يعفون اي المطلقات النون ضمير
ولذلك لم يسقط بالناصب او يعفو الذي بيده عقدة النكاح قيل هو الولي واليه ذهب
مالك والشافعي رحمهما الله في قوله القديم والصحيح انه الزوج والمعنى او يترك الزوج طلب النصف

واطلاق العفو وهو الاسقاط على الزيادة مشاكلة وعطفه على المستثنى وحكمه ترك الواجب
وفي المعطوف ترك الزيادة عليه لاشتراكهما في عدم الطلب اي الا ان تعفو المراة فلا شيء
او يكلمه الزوج فلا نصف وان تعفوا اقرب للتقوى لان من ترك حقه الذي نطق به
القران فهو بترك الشبهات اسمح وعن ابن عباس رضي الله عنه الخطاب للزوجين
وفيه تغليب الذكور ولا تنسوا الفضل بينكم اي تفضل بعضكم على البعض ترغيب في المسامحين
الخطاب للاولياء والازواج ان الله بما تعملون بصير فلا يضيع عنده الفضل والاحسان
حافظوا على الصلوات عقب الحث على العفو والنهي عن نسيان الفضل بالحث على محافظة
الصلوات لانها تهيء النفس لاثار كوامل الملكات فانها الناهية عن الفحشاء والمنكر جمعا
بين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله والمراد بالمحافظة رعاية اركانها وشرائطها وسننها
واداؤها والصلوة الوسطى اي الفضلى من الوسط بمعنى المختار ولذلك افردت بالذكر وهي
صلوة العصر لكثرة الاخبار في فضلها ولقوله صلى الله عليه وسلم يوم الاحزاب شغلونا عن الصلوة
الوسطى صلوة العصر ملا الله بيوتهم وقبورهم نارا وقد اكثروا القول فيها ولا يعارض ما روينا
شيء مما ذكروا وقوموا لله قانتين خاشعين او ذاكرين الله لا غير لما روى مسلم عن ابن
مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرد السلام وهو في الصلوة فلما
رجعنا من الحبشة فسلمنا عليه فلم يرد علينا وقال ان الله يحدث من امره ما شاء وان مما
احدث ان لا تكلموا في الصلوة فان خفتم من عدو فرجالا جمع راجل كقيام في قائم
او ركبانا جمع راكب ظاهر فيما ذهب اليه الشافعي رحمه الله من جوازها لدى المسايفة و
المشي وقيده ابو حنيفة رحمه الله بما اذا امكن الوقوف مستدلا بان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يصل يوم الخندق اربع صلوات فلو صح كيف اتفق لم يتركها فاذا امنتم من الخوف
فاذكروا الله اي صلوا على الوجه الذي علمكم والتعبير بالذكر للدلالة على ان الغرض من الصلوة
ذكر الله واشكروه كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون اي شكرا يوازي تعليمه اياكم من الشرائع
والاحكام التي لا يمكن الوقوف عليه بفكر ونظر والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا وصية لازواجهم مفعول مطلق اي فليوصوا وصية او كتب الله عليهم وصية وقرا نافع
وابن كثير وابو بكر والكسائي بالرفع على انه مبتدا خبره لازواجهم كسلام عليك او وعليهم وصية
او كتب عليهم متاعا الى الحول نصب بوصية او بفعله ان قدر غير اخراج بدل منه او حال
من ازواجهم او مصدر مؤكد لان الوصية بالتمتع تدل على عدم الاخراج والاية منسوخة بالتي
تقدمت اربعة اشهر وعشرا لان ترتيب النزول لا يلزم ان يكون على ترتيب الوضع كما في
سيقول السفهاء مع قد نرى تقلب وجهك ولا يقدح فيه كون ترتيب الوضع على وفق ترتيب
اللوح والنفقة سقطت بالارث لا بالاية لقوله فلهن الربع فلهن الثمن ودل على ان لها ذلك
لا غير بل لانتقال المال الى الورثة وانما اوجب الشافعي السكنى بما رواه الترمذي ان
الفريعة بنت مالك بن سنان وهي اخت ابي سعيد الخدري قتل زوجها ولم يكن ساكنه

في بيت يملكه زوجها فسالت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان ترجع الى بني خدرة فقال
امكثي حتى يبلغ الكتاب اجله فان خرجن فلا جناح عليكم ايها الولاة والحكام فيما فعلن
في انفسهن من معروف لم ينكره الشرع وهذا يدل على انها لم تكن مجبرة على عدم الخروج
بل مخيرة والله عزيز قادر على الانتقام حكيم في بناء الاحكام على المصالح وللمطلقات
متاع بالمعروف حقا على المتقين استدل به من اوجب المتعة لكل مطلقة وخص
الشافعي رحمه الله عن هذا العام المطلقة قبل الدخول اذا كان لها مسمى لدلالة النص
بايمائه على ان نصف المهر لها في مقابلة المتعة للمفوضة دون دخول وحمله الحنفية على
اعم من الواجب والمستحب وفيه جمع بين الحقيقة والمجاز اذ التقدير وعلى الازواج للمطلقات
وقيل تكرار للتاكيد لما روى زيد بن اسلم لما نزل قوله حقا على المحسنين كان الرجل يقول ان
شئت احسنت والا فلا فنزلت حقا على المتقين فاللام في المطلقات للعهد كذلك يبين
الله لكم آياته الدالة على الاحكام والاشارة الى المذكور من احكام الطلاق والعدد لعلكم
تعقلون فتعملون بموجبها الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم بعد بيان جملة من
الاحكام اسطر وقصة دالة على تاثير قدرته وسرعة تكون مراده ليكون المخاطب بها
على حذر من مخالفة الاستفهام للتقرير والمخاطب اما من احاط بقصتهم علما من اهل
الكتاب والاخبار او كل احد ممن لم ير ولم يسمع وهذا ابلغ لدلالته على انها لم تخف على
احد والرؤية مجاز عن النظر ولذلك وصلت بالى او عن الادراك والمعنى الم ينته
علمك اليهم والاول اوجه لان النظر امر اختياري دون الادراك فهو الصق بالاعتبار
عن ابن عباس رضي الله عنه هم اهل داوردان قرية قبل واسط فروا من الطاعون
وقيل قوم من بني اسرائيل دعاهم نبيهم الى الجهاد فلم يجيبوه وفروا من ديارهم وهم الوف
اي الاف كثيرة ولم يعلم عدد معين حذر الموت علة الخروج فقال لهم الله موتوا اي
اماتهم دفعة شبه تعلق الارادة بموتهم دفعة بامر الآمر المطاع وموتهم على ذلك الوجه
بامتثال المامور المبادر طاعته ثم احياهم بعد ما تمزقت لحومهم وتغيرت عظامهم وتفرقت
اوصالهم مر حزقيل النبي فتعجب من عظم قدرة الله على الاحياء فاوحى اليه ان نادهم قوموا
باذن الله فنادى فاذا هم قيام يقولون سبحانك اللهم وبحمدك ان الله لذو فضل
على الناس يرى بعضهم الآيات ويقصها الاخرين ليكون وسيلة الى مزيد الايقان
ولكن اكثر الناس لا يشكرون بالتامل والاعتبار ولما عرفهم بان الحذر لا يغني من
القدر شيئا حثهم على القتال في سبيل الله بقوله وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع
عليم وفيه تعريض بالمنافقين الذين كانوا يقاتلون للغنائم ولما كانت سورة
البقرة سنام القران والجهاد سنام الدين كرره بطرق شتى استينافا واستطرادا
واردفه بالانفاق الذي لا يمكن الجهاد بدونه بقوله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا
القرض لغة القطع وفي الشرع هو المال المعطى ليقضى بمثله استعير لبذل المال والنفس في الجهاد

رجاء الثواب ويجوز ان يكون مصدرا بمعنى الاقراض والاستفهام للعرض والحث
على الانفاق فهو ابلغ من الامر وسماه قرضا دلالة على لزوم ثوابه ووجوب تحققه وحسنا
تحذيرا عن الرياء اولانه يجر النفع الى المقرض بخلاف اقراض الناس فيضاعفه له اى
ثوابه وجزاءه اضعافا كثيرة لا يحيط بها الا علمه تعالى وناهيك ما يسميه الله كثيرا روى
ابن ابى حاتم عن ابن عمر رضى الله عنه لما نزلت مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله
كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يا رب زد فنزل وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائى بالرفع والباقون بالنصب
بان مضمرة بعد فاء الجواب وثقله ابن كثير وابن عامر مع القصر والتخفيف اكثر لما روى
ابو عمرو وتقول العرب ضعفت درهمك جعلته درهمين وضاعفته جعلته اكثر وضعف
الشئ مثلاه فلو قال لك عندى ضعف درهم لزمه درهمان وقيل ضعف الشئ مثله
والله يقبض ويبسط لمن يشاء بيده المنع والعطاء وقرا نافع وابن كثير فى رواية البزى
وابو عمرو والكسائى بالصاد والسين هو الاصل وابدال الصاد منه لمشاكلة الطاء اطباقا
واستعلاء واليه ترجعون فترى كل ما قدم الم تر الى الملاء من بنى اسرائيل قصة اخرى
تشجع على القتال وتحذر عن التكاسل والتقاعد من بعد موسى حال من الملاء اذ
قالوا لنبى لهم قيل هو شمعون وقيل اشمويل وقيل يوشع ابعث لنا ملكا نقاتل فى
سبيل الله نصدر عن رايه جزم على الجواب قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا
تقاتلوا عسى لتوقع وقوع الخبر فلا وجه للاستفهام عنه لانه معنى قايم بالمتكلم بل الاستفهام
فيه لتقرير الخبر وتحقيقه لان افعال المقاربة قيود لاخبارها والمعنى ترك المقاتلة منكم امر
متوقع ثم حققه بادخال هل دلالة على ان ذلك المتوقع كاين مثلها فى هل اتى على
الانسان وقرا نافع بكسر السين وهما لغتان والفتح اخف واشهر قالوا وما لنا
ان لا نقاتل فى سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا اى داع لنا الى ترك
القتال وقد اصبنا باشد المصايب من ترك الاوطان ومفارقة الابناء والولدان
وذلك ان قوم جالوت كانوا على ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء
ملوك بنى اسرائيل اربعمائة واربعين فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم
قيل كان القليل ثلثمائة وثلثة عشر عدد اهل بدر والله عليم بالظالمين وعيد للكثير
على ما فعلوا وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا عطف على مقدر اى
قال لهم ان الله كتب عليكم القتال وجعل لكم طالوت اميرا قالوا انى يكون له
الملك علينا ونحن احق بالملك منه كان من سبط يهوذا وكان الملك فى سبط
لاوى فلذلك دعوا الاحقية ولم يؤت سعة من المال حال اخرى معطوفة على الاولى
وكلاهما فى التحقيق تعليل للاستبعاد فدعوا اولا فى نسبه وثانيا فى حسبه قال ان الله
اصطفا عليكم الناس اولاد آدم المختار من اختاره وزاده بسطة فى العلم والجسم وهما

اللذان يحتاج الملك اليهما ليكون بعلمه ذا راى وتدبير وبجسامته عظيما فى الاعين
لا يزدريه الناظر والله يؤتى ملكه من يشاء فلا وجه لمعارضته ودعوى الاحقية بعد
تعلق ارادته بخلافه والله واسع عليم واسع الفضل كامل العلم ما يختار للحكمة وان
خفيت وقال لهم نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت هو الصندوق فعلوت
من التوب لانه يرجع اليه مرة بعد اخرى وليس بفاعول من تبت لقلة ما فاؤه
ولامه من جنس واحد كسلس وقلق فيه سكينة من ربكم سكون وطمانينة الضمير للاتيان
وكان موسى اذا قاتل قدمه امامه فتسكن اليه نفوس بنى اسرائيل وقيل كان صورة
من زبرجد وياقوت ولها راس كراس الهرة وجناحان فتئن فتزف الصورة
نحو العدو فتسكن قلوبهم وقيل كان فيه صور الانبياء ومن قال التابوت هو القلب
والسكينة هى العلم ما ذا يقول فى قوله وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون هى
رضاض الالواح وعصا موسى وعمامة هارون والآل مقحم وقيل آلهما انبياء بنى اسرائيل
فان كلهم اولاد يعقوب تحمله الملائكة وذلك ان التوراة بعد موسى رفع السماء وقيل
كان فى يد جالوت فوقع فيهم طاعون حتى هلك منهم خمس مداين فتشاءموا به
فحملوه على ثورين ليخرجوه من بينهم فاستاقتهما الملائكة الى طالوت ان فى ذلك لاية
لكم ان كنتم مؤمنين من كلام الله او كلام النبى فلما فصل طالوت بالجنود اى فصل
نفسه من الفصل ويجوز ان يكون لازما من الفصول كوقف من الوقف والوقوف
قال ان الله مبتليكم بنهر قال ابن عباس رضى الله عنه هو نهر الشريعة بين الاردن و
فلسطين فمن شرب منه فليس منى اى من ابتداء شربه منه فليس متصلا بى ومتحدا معى فى
الدين كقوله انت منى بمنزلة هارون من موسى والشرب حقيقة فى الكرع واليه ذهب
ابو حنيفة رحمه الله فيمن حلف لا يشرب من هذا النهر وصاحباه الى مطلق الشرب
عرفا ومن لم يطعمه فانه منى اى لم يذقه كقوله وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا الا من
اغترف غرفة بيده استثناء منقطع من قوله فمن شرب منه لان الاغتراف ليس
من جنس الكرع فلا اتصال وان حمل الشرب على المطلق فالاستثناء متصل ولا يجوز ان
يكون مستثنى من قوله ومن لم يطعمه فانه منى على معنى ان المغترف ليس منى لان
الاغتراف كان رخصة والا لبطل فائدة النهر فشربوا منه الا قليلا منهم عن البراء كنا
نتحدث ان اهل بدر عدد اصحاب طالوت فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه لم يجاوز
الا ذلك القليل قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده القائل ناس من المؤمنين
غير محكم فى اليقين وقيل القائل هم الكثير كانهم تقاولوا بعد ما جاز القليل النهر وفيه بعد
لان الكارعين ممنوعون من الذهاب لقوله فليس منى فلا حاجة بهم الى الاعتذار قال
الذين يظنون انهم ملاقوا الله وهم الخلص منهم او كل من جاز ان كان القائل الاول
هو الكثير كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله بارادته وتيسيره والله مع الصابرين

حث على الثبات في مداحض الحرب ولما برزوا لجالوت وجنوده ظهروا وتصافوا للحرب
وجالوت اسم جبار من اولاد عمليق بن عاد كانت بيضته زنة ثلثمائه رطل قالوا ربنا
افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا فانصرنا على القوم الكافرين املة قلوبنا قدموا سوال
الصبر لانه سبب الثبات والنصر غايتهما فهزموا باذن الله بعونه وتيسيره وقتل داود جالوت
كان ايشي ابا داود وله سبعة بنين داود اصغرهم فاوحى الى ذلك النبي ان قاتل جالوت
داود وكان يرعى الغنم فطلبه طالوت من ابيه فلما جاء كلمه في الطريق ثلثة احجار وقالت
خذنا معك فانك بنا تقتل جالوت فالقاها في مخلاته فلما قتله كان له بنت زوجة
طالوت اياها واتاه الله الملك بعد ان كان راعيا والحكمة النبوة وعلم الشريعة
وعلمه مما يشاء من كلام الطيور وصنعه للدروع ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض
اللام للجنس والبعضان مبهمان والبعض المدفوع هم الكفار لان العاقبة للمتقين لفسدت
الارض بقتل المسلمين ونحو ذلك مما يقضي الى الخراب ولهلك اهل الارض بالكلية
بشوم الكفار وقرا نافع وفاع وهما مصدرا دفع والقصر اشهر ولكن الله ذو فضل على
العالمين بترتيب اسباب البقاء تلك ايات الله نتلوها عليك بالحق الامور المذكورة
في شان طالوت وجالوت وما ذكر من اول السورة الى هنا وهذا اوجه ليكون فذلكة
ورجوعا الى ما بُدئ به من حديث النبوة بقوله وانك لمن المرسلين داخل في زمرتهم
لانك تخبر عن وقايعهم وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ليرتاب المبطلون
ثم استانف بما يدل على انه افضلهم فضلا عن ان يكون منهم بقوله تلك الرسل
اي المذكورون فانهم اولو العزم او ما ذكره ماهم في علمه او جملتهم فاللام للاستغراق
فضلنا بعضهم على بعض في الرتبة منهم من كلم الله من غير واسطة وهو موسى بيان
لجهة تفضيله ورفع بعضهم درجات كثيرة من جهات شتى ولذلك لم يشر الى ما به
فضل وليس ذلك الا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما روى البخاري انه كان في بدء
كتف شاة فنهس منه نهسة وقال انا سيد ولد ادم اتعرفون بم ذلك ثم ذكر حديث
الشفاعة وقيامه في المقام المحمود وفي تنكير البعض فخامة لا يخفى لدلالته على انه اوضح
من ان يشتبه على احد وحمله على ابراهيم بعيد لان الكلام مسوق لبيان فضل رسول
الله فلا يجوز اخلاؤه عن ذكره واما ابراهيم فالفرق متفقون على حبه ونبوته فلا يحتاج
الى ذكره هذا ما عليه المفسرون ولكن فيه اشكال وهو ان قول تلك الرسل ظاهر
ان رسول ليس منهم لان الانسان لا يجتا دله وما بعد تفصيل لاحوال اولئك
واتينا عيسى بن مريم البينات المعجزات الواضحة من ابراء الاكمه والابرص واحياء
الموتى اضافه الى امه تكذيبا للنصارى في دعوى النبوة والتفت في اتينا البينات
الى التكلم مبالغة في دفع وهم الربوبية وايدناه بروح القدس روح مطهرة من غير
واسطة اب بارسال جبرئيل سكن داله ابن كثير ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم

اي الذين كانوا بعد الرسل من بعد ما جاءتهم البينات متعلق باقتتل ولكن
اختلفوا فمنهم من آمن بتوفيق الله ومنهم من كفر بخذلانه ولو شاء الله ما اقتتلوا
كرر للتاكيد وللاستدراك بقوله ولكن الله يفعل ما يريد اي لكنه لم يشاء عدم القتال
بل ثبوته فوقع مراده فالكلام على قانون العربية من انتفاء المسبب لانتفاء سببه يا ايها
الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم يشمل الواجب والمندوب ويتناول المنفق في الجهاد
فلينظم مع ايات القتال وايصال الوعيد باعتباره اشتماله على الواجب من قبل ان
ياتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة صفات اليوم وقرا ابو عمرو وابن كثير الثلثة
بالفتح وهو اقوى والرفع على تقدير سوال هل هناك بيع او خلة او شفاعة والمعنى
ان التدارك اما بالاداء ولا معاملة هناك او بالمجاملة من الاخوان والخلان ولاجود
لها لكل امرء منهم يومئذ شان يغنيه او بالابراء بالشفاعة ولا سبيل اليه لا سيما في
حقوق العباد والكافرون هم الظالمون عبر تارك الزكاة بالكافر تغليظا كما في اية
الحج او تسمية للمشارف باسم المباشر كما في هدى للمتقين او تعبيرا باللازم عن الملزوم
لان ترك الزكوة من صفات الكفار لقوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة
الله لا اله الا هو الحي القيوم هذه اية الكرسي والاخبار في فضلها فوق الاحصاء منها
ما روى ابي بن كعب سالني رسول الله صلى الله عليه وسلم اي اية في كتاب الله اعظم
قلت اية الكرسي فضرب بيده في صدري فقال ليهنك العلم يا ابا المنذر حيوته تعالى
صفة حقيقية توجب العلم والقدرة والقيوم الدايم البقاء لا يطلق على غيره تعالى
وقيل القايم بنفسه المقيم لغيره والمعنى هو المستحق للالوهية لاختصاصه بصفاتها والحي
القيوم اما بدل من هو او خبر ثان لا تاخذه سنة ولا نوم السنة النعاس المتقدم على
النوم قال وسنان اقصده النعاس فرنقت في عينه سنة وليس بنايم فهي تقديمها
رعاية الوجود والابتداء بالاخف كقوله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة وليس من قبل التتميم
بل من اسلوب الاحاطة والاحصاء والجملة مقررة للقيومية لان التيقظ ينبئ عن القيام
بالتدبير له ما في السموات وما في الارض تقرير لعظمته وكبريائه لافتقار الكل اليه فلكيا كان
او ارضيا وهذا ايضا تقرير لقيوميته من وجه آخر من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه
اي لا يصدر من احد شفاعة الا باذن خاص وفيه ايضا تقرير لكبريائه بانه كما انفرد
بالايجاد ابتداء كذلك منفرد بالشفع بقاء وفيه رد على المشركين في ان شركاءهم شفعاء
عند الله والشفاعة اعم من ان تكون في ازالة نقصان او افادة جيران يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم الضمير لما في السموات والارض باعتبار العقلاء وما بين ايديهم و
ما خلفهم امور الدنيا والاخرة وفيه تقرير للقيومية لاقتضائه العلم التام ولقوله له ما في
السموات وما في الارض لان موجد الشيء يعلم ما هو عليه وما يؤول اليه ولا يحيطون بشيء
من علمه من معلوماته الا بما شاء الحدوثهم وحدوث علمهم وسع كرسيه السموات والارض

روى الثقات ان الله تعالى كرسيا دون عرشه لا يعلم عظمه الا هو وعن ابن عباس
رضي الله عنه لو ان السموات السبع والارضين السبع بسطن ثم وصلن لم يكن في سعة الكرسي
وقيل المراد تصوير عظمته تعالى بعظمة من يكون له كرسي هذا نعته فاطلق المركب الحسي
المتوهم على المعنى العقلي المحقق والجملة ايضا تقرير لقيوميته باعتبار سعة العلم وتعلقه
بالمعلومات كلها او بجلاله وعظم قدره ولا يؤده حفظهما لا يشغله ولا يشق عليه تتميم حسن
وهو العلي العظيم المتصف بصفات الكمال والجلال لا اكراه في الدين لان امر الايمان
على الاختيار لا يتصور فيه الاكراه وروى ابو داود والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه
نزلت في الانصار كانت المرأة قبل الاسلام تقول ان عاش ولدي لنذ على انا اجعله
يهود يا فلما اجل اليهود ارادوا انتزاع الاولاد الذين تهودوا فابوا الاكراه وقيل في اهل الكتاب
ان بذلوا الجزية وقيل منسوخة باية القتال قد تبين الرشد من الغي تميز الكفر من
الايمان بالدلايل النيرة فمن يكفر بالطاغوت بالشيطان فعلوت من طغا يطلق
على كل رأس في الضلال مفردا وجمعا كقوله اولياؤهم الطاغوت ويؤمن بالله فقد
استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها شبه التدين بالدين الحق بالتمسك بالعروة
الوثقى المتخذ من الحبل المحكم المامون انقطاعه والفصم بالفاء قطع بلا ابانه وبالقاف
مع الابانة اشاره مبالغة في الوثاقة والله سميع عليم الله ولي الذين امنوا قصدوا
الايمان يخرجهم من الظلمات الى النور الى الايمان والظلمات شبه الجهل وساوس
الشيطان والذين كفروا اصروا على الكفر اولياؤهم الطاغوت الشياطين وكل مضل
يخرجونهم من الظلمات من الايمان الفطري ويجوز ان يكون امنوا وكفروا على ظاهرهما
والمراد بالظلمات الشبه وبالنور البينات والاسناد الى الطاغوت مجاز للسبب اولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون لم يذكر وعد المؤمنين في مقابلة ايماء الى انه شيء يطول
شرحه الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه ذكر من الفريقين فردين هما علم في الايمان
والكفر تصوير الاخراج من الظلمات الى النور وبالعكس والاستفهام للتعجب ان اتاه
الله الملك اللام للعلة حقيقة والمعنى حمله على ذلك البطر او مجاز باعتبار الاستعقاب كما
في قوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا او الوقت مقدر والغرض تعكيسه في
جعل الكفر مكان الشكر وهذا الحاج نمرود بن كوش بن كنعان بن سام بن نوح
واذ قال ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت ظرف حاج او بدل من اتاه ان قدر الوقت
باعتبار اعتداد الزمان قال انا احيي واميت قيل اخذ رجلين فقتل احدهما واطلق
الاخر قال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب كان لا اعتراض
عليه لا يجاب بان يقول ليس ما اتيت به من الاحياء والاماتة في شيء لكن لما كان جاهلا
وكلامه خارجا عن قانون التوجيه اراد ازالة الشبهة بحيث لا يبقى مجال الريب وليس
من الانتقال الذي يعده اهل النظر عيبا في المناظرة فان ذلك قبل تمام الدليل وحجة الخليل

عليه السلام كانت تامة على انه في التحقيق ليس من الانتقال من دليل الى آخر بل الى مثال
اجلى لا يقبل الشبهة لان الشمس للعالم بمثابة الروح فبهت الذي كفر صار مبهوتا بعد
التام الحجر والله لا يهدي القوم الظالمين الذين سبق في علمه انهم اهل النار او كالذي
مر على قرية تقديره او ارأيت مثل الذي عطف جملة الى اخرى فحذف لدلالة الم تر عليه
وخص بحرف التشبيه لان منكري الاحيا اكثر من مدعي الربوبية والجاهل بكيفيته اكثر من
ان يحصى والتقدير ارأيت مثل الذي حاج ابرهيم او مثل الذي مر على قرية على انه من عطف
المفرد والقرية بيت المقدس حين خربها بخت نصر والمار عن مجاهد كافر وعن علي وابن
عباس رضي الله عنهما عزير وهو المشهور وارجح رعاية للتفصيل المقدم لان نمرود مثال
من وليه الطاغوت وهذا امثاله من وليه الرحمن ولان كلام الله مع الكافر يحتاج الى
تكلف وهي خاوية على عروشها ساقطة حيطانها على السقوف اوخالية عن الناس سالمة
قائمة على عروشها والعروش جمع العرش وهو ما يرفع ليستظل به قال اني يحيي هذه الله بعد موتها
انكار ان كان المار كافرا وتعجب من باهر قدرته ان كان نبيا كقول زكريا اني يكون
لي غلام فاماته الله مائة عام ثم بعثه بعد تلك المدة قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض
يوم اضرب عن اليوم لان نوم يوم كامل غير معتاد وقيل لانه مات وقت الضحى وكان
احياؤه قبل غيبوبة الشمس فلما راى الشمس قال او بعض يوم قال بل لبثت مائة عام
فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه لم يتغير من السنة والهاء اصل لقولهم سانهت والهاء
سكت كقولهم سنوات في الجمع فعلى الاول الجزم باسكان الهاء وعلى الثاني بحذف الواو ويجوز
ان يكون مضاعفا من سن تغير كقوله من حما مسنون وقرا حمزة والكسائي لم يتسن
في الوصل بلا هاء ذهابا الى ان اصله واو ومضاعف فلا وجه للهاء والمختار اثباتها امالانها
اصل او لاجراء الوصل مجرى الوقف اتباعا للرسم وتوحيد الضمير العائد الى الطعام والشراب
لانه الجنس الذي يعيش به الانسان قيل كان طعامه تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا وانظر
الى حمارك كيف تفرقت عظامه وقيل انظر اليه حيا سالما كما ربطته حيث مائة عام حيث ربطته
غير مار وعلف ولنجعلك اية للناس ما فعلنا ما فعلنا قيل لما نام كان عمره اربعين سنة
فلما جاء قومه قال انا عزير قالوا عزير فقد فقد مات من مائة سنة وكان يحفظ التورية
فقراه عليهم فقالوا هذا ابن الله كان عنده منذ غاب وكان على صورته شابا وابنه
شيخا وابنه شيخا قد بلغ مائة وعشرين سنة وابن ابنه تسعين وفي ذلك يقول الشاعر واسود
رأس شاب من قبله ابنه ومن قبله ابن ابنه فهو اكبر ترى ابنه شيخا يدب على العصا
ولحية سوداء والرأس اشقر وعمر ابيه اربعون امرها ولابن ابنه في الناس تسعون غبر وانظر
الى العظام كيف ننشزها عظام حمارك او الموتى الذين تعجبت من احيائهم والانشاز الرفع
من نشز المكان ارتفع وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو ننشرها بالراء المهملة من انشره احياه
والاول اوفق لان المعنى على التركيب والحيوة متاخرة لقوله ثم نكسوها لحما فلما تبين له ما كان

خفيا من كيفية الاحياء قال اعلم ان الله على كل شئ قدير لان علم اليقين اعلى مراتب
العلم وقرا حمزه والكسائى اعلم بهمزة الوصل مع الجزم امرا اى قال له تعالى ارتق الى عين
اليقين كما قال بعد هذا لابرهيم واعلم ان الله عزيز حكيم او قال عزير مخاطبا نفسه توبيخا
وتبكيتا او على زوال الشك ان كان القايل كافرا واذ قال ابراهيم رب ارنى كيف تحيى
الموتى سوال عن كيفية الاعادة لا عن نفسها قال اولم تؤمن باصل الاعادة ولا بد لها
من كيفية لان الافعال الواقعة لا تخلو عنها والاستفهام للتقرير قال بلى ولكن ليطمئن
قلبى فان العلم الحاصل بالمشاهدة لا تعتريه الشبه وفى العيان معنى لا يوجد فى البرهان
قال فخذ اربعة من الطير فصرهن اليك ضمها اليك ليحصل لك ما تطلب وقرا حمزه
بكسر الصاد وهما لغتان ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا امر بذبحها وخلط لحومها وان يأخذ
روسها عنده ويجعل اللحم المختلط اجزاء على كل جبل جزءا منه حتى لا يلتبس عليه اذا احياها ثم
وقرا ابو بكر بضم اسكان الزاء وهما لغتان الضم للحجاز والاسكان لتميم ثم ادعهن
يأتينك سعيا ساعيات مشيا او طيرانا واعلم ان الله عزيز لا يغالب ولا يأبى عليه
مراد حكيم فى اخفاء الاحياء والاعادة على الناس ابتلاء قيل كانت الطيور طاوسا وغرابا
وديكا وحمامة وكان فى ايثارهن اشارة الى السالك انما يصل اذا امات القوة الشهوية
الطالبة للزخارف التى هى صفة الطاوس والغضبية الباعث على الصولة والترفع التى
هى صفة الديك وازاح عن النفس الدناءة والميل الى جيفة الدنيا التى هى صفة الغراب
والخفة والمسارعة فى نيل المستلذات التى هى صفة الحمام فان قلت كل من عزير وابراهيم
كان موقنا بان الله قادر على الاحياء والخفاء فى الكيفية فلم ارشد ابراهيم من غير توقف
وامات عزيرا مائة عام ثم اراه ذلك قلت لان ابراهيم سأله متأدبا بسوال مسترشد
وكان فى عبارة عزير معنى التعجب ولذلك اراه فى نفسه وجعله اية للناس والمقربون
يعاملون بمثل هذه المعاملات الا يرى ان موسى عليه السلام لما قيل له هل تعلم احدا اعلم
منك فقال لا كيف عتب الله تعالى عليه حيث لم يرد العلم الى الله وسيره فى الارض طالبا
للعلم متلمذا لمن ليس فى رتبته مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله عقب سوال
ابراهيم بالحث على الانفاق كانه قال ليس الكمال فى الكشف عن كيفية الاعادة وتحصيل
العلم بها انما الكمال فيما تدخرها بعد البعث ولا وسيلة اوثق من التقرب اليه بانفاق
المال فى سبيله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة اى مثل نفقتهم
لملايم جانب المشبه به وان كان من تشبيه المركب الذى لا يلاحظ فيه المفردات وايثار
سنابل على سنبلات للدلالة على الكثرة فى المعنى لاشتمال كل سنبلة على مائة حبة وهذا واقع
فى الدخن والذرة وفى البر فى الاراضى المغلة مع ان المدرك بالحس يجوز ان يكون خياليا
كما فى اعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد روى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حث على الانفاق فى سبيل الله فجاء رجل بناقة مخطومة فقال لك بها سبعمائة ناقة مخطومة يوم

القيمة

القيمة والله يضاعف لمن يشاء على هذا العدد الى اضعاف لا يعلمها غيره وذلك بحسب
قوة اليقين والاوقات ومحل الصدقة والله واسع فضله عليم لمن يستحق الزيادة الذين
ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى تحذير عن القوادح فى الانفاق
المن الاعتداد بالمعروف بان يرى له فضلا على من احسن اليه والاذى ان يذكر بلسانه
احسانه او يواجه به ويقول فعلت معك وفعلت فى نوابغ الكلم صنوان من منح
سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيه ايضا طعم الآلاء احلى من المن وهى امر من
الآلاء مع المن لهم اجرهم عند ربهم لا يدخل الفاء فى خبر الموصول اشعارا بان التسبب
لذلك الاجر هو فضله تعالى والاعمال امارات وانما ادخلها فى قول الذين ينفقون اموالهم
بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم اعتدادا بها لاستيعاب الازمنة والتخلى عن وصمة
الرياء وقيل لم يدخل الفاء ايهاما بانهم اهل لذلك وان لم يفعلوا فكيف اذا فعلوا وفيه
ان الانفاق سرا وعلانية اولى بذلك فكان ترك الفاء فيه اظهر ولا خوف عليهم
من فات ولا هم يحزنون على مترقب قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها
اذى صح الابتداء بالنكرة لتخصصها بالوصف والمعطوف على المخصص حكمه حكمه والتحقيق
ان التخصص ليس بشرط على ما اشار اليه ابن الدهان اذا صح المعنى اخبر بما شئت عما شئت
والمعنى لرد الجميل للسائل كقول الغنى له يفتح الله عليك وامثاله والتجاوز عنه ان
بدا منه غلط والحاف فى السوال خير من الصدقة التى يتبعها اذى واكتفى بالاذى لدلالة
على قرينه وفى الحديث الكلمة الطيبة صدقة وكفك نفسك عن الشر صدقة والله غنى عن
انفاق كل منفق وانما حث على الانفاق لينال الزلفى فلا ينبغى ان يبطل بالمن والاذى
حليم لا يعاجل بالعقوبة روى مسلم عن ابى ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلثة
لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم المنان بصدقته والمسبل
ازاره والمنفق سلعته بالحلف الكاذب يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن
والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الاخر ساق الاية الاولى
للترغيب فى الصدقة خاليا عن المن والاذى وهذه فى ذم من ابطل صدقته لشئ منهما
اوراى بها وشبهه بفعل المنافق تحذيرا عن ارتكابه وحثا على اجتنابه والكاف فى موضع
الحال او المصدر ثم صور حاله المحسوس لم يخل ذو بصر عن معرفته بقوله فمثله كمثل صفوان
حجر املس عليه تراب فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب
لا يقدرون على شئ مما كسبوا اى من ثوابه كقوله وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا وانما جمع الضمير فى لا يقدرون مع انه حال من الذى او استيناف والضمير عائد اليه
لارادة الموصول جنسا او يقدر فوج وما فى معناه او الذى فى موضع الذين كما فى كالذى
خاضوا والله لا يهدى القوم الكافرين لا يخلق فيهم الاهتداء وهم الذين جبلوا على الكفر
ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من انفسهم اى ليثبتوا بذلك بعض

انفسهم على ساير العبادات فان بذل المال اشق شيء فمن اتى به هان عليه غيره او
تثبيتا لاسلامهم ناشيا من انفسهم فان الانفاق امارة ان الايمان من اصل النفس
وسنخ القلب او تثبيتا للمؤمنين ليعلموا انهم صادقون في الايمان ومن يحتمل التبعيض
والابتدا ارجح لان مقصودهم ان يعلم المؤمنون ثباتهم كمثل جنة بربوة بفتح الراء
قراه ابن عامر وعاصم وبضمها لغتان اصابها وابل فاتت اكلها ضعفين فان
لم يصبها وابل فطل اى حال نفقة هولاء لكونها ناشية عن ينبوع الصدق والاخلاص
كحال جنة في مكان مرتفع لان الشجر فيه احسن وانمى وواصلها المطر وابلا وطلا فان
الطل يغني عنا الوابل بحسن المكان وطيب ومن نظم الخليل امام النحو يمدح بستانا
على ربوة ترفعت عن ندى الاعماق وانخفضت عن المعاطش واستغنت بسقياها
او حالهم في انتاج القليل والكثير الاضعاف لاجورهم كحال الجنة في انتاج الوابل والطل
الواصلين اليها الاضعاف لاثمارها وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو اكلها بسكون الكاف
تخفيفا والله بما تعملون بصير حث على الاخلاص وتحذير من الريا اثر البصير على الخبير
ايما الى ان الريا وان كان خفيا كالمبصر عنده ايود احدكم ان يكون له جنة من نخيل
واعناب تجرى من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات افرد النخيل والاعناب لكونهما
اكرم الشجر واكثر منافع وثمرهما فاكهة وقوت واصابه الكبر الواو للحال وللعطف
على يكون بالتاويل كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر وذلك لان المضارع
بدخول ان تخلص للاستقبال فلا يعطف عليه الماضي وله ذرية ضعفاء حال من الها في
فاصابه فاصابها اعصار فيه نار عطف على اصابه الكبر والاعصار الريح المستديرة في الارض
ترتفع نحو السما فاحترقت اى الجنة مثل ضربه الله تعالى لمن يحبط اعماله الصالحة بالرياء
فاذا كان يوم القيمة وهو افقر ما يكون اليها لا يجد لها اثرا والمعنى في جانب المشبه به
انكار ان يود احد هذا الحال المستفاد من المجموع كذلك يبين الله لكم الايات كلها ايضا
حاد كشفا لعلكم تتفكرون لكي تتفكروا في العاقبة وتجتنبوا ما يورثكم الندامة يا ايها الذين امنوا
انفقوا من طيبات ما كسبتم من خيار ما مكسوبكم لان الحل علم من الامر بيان للمنفق بعد
تقييد الانفاق بالاخلاص ومما اخرجنا لكم من الارض ومن طيبات ما اخرجنا اعاد الجار
للدلالة على الاستقلال كما في ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم ولا تيمموا الخبيث قراه ابن
كثير في رواية البزي بادغام التاء في الوصل لعدم الابتداء بالساكن والتخفيف اخف
واشهر منه تنفقون دون غيره حال مقدرة ولستم باخذيه حال اخرى على الترادف
او التداخل الا ان تغمضوا فيه اى لا تاخذونه بوجه من الوجوه الا بالتسامح يقال
اغمضت عن كذا وغمضت واغتمضت اذا تغافلت عنه كانك لا تبصر قال ومن
لم يغمض عينه عن صديقه وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب روى الترمذي عن
البراء قال فينا نزلت كان الرجل ياتي بالقنو الحشف فيعلقه بين الاسطوانتين

في المسجد

في المسجد لاهل الصفة واعلموا ان الله غني عن انفاقكم وانما يرشدكم الى ما ينفعكم حميد
بقوله او اثابته او كثير الثناء على المنفق وكم اثنى في كتابه على المنفق في سبيله الشيطان
يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء بالبخل والعرب تسمي البخيل فحاشا الوعد يستعمل في الخير والشر
ان ذكر مفعوله والا فالوعد في الخير والايعاد والوعيد في الشر والله يعدكم مغفرة منه
بالانفاق وفضلا في الدنيا عوضا عما بذلتم وتقديم المغفرة للدلالة على ان العاقل
يجب ان يكون قصده الاول ذاك والله واسع فضله عليم بنية المنفق ترغيب
في الاخلاص وايثار الاجود للصدقة يؤت الحكمة من يشاء العلم مع الايقان والعمل
مع الاتقان ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا اى خير كثيرا تاكيد له كما اكده بالتنكير
كيفا وما يذكر الا اولوا الالباب العقول الخالصة عن شوائب الوهم حث على العمل
بما تضمنته الاى السابقة من انفاق الطيب واجتناب الخبيث وتوفى المغفرة
والفضل وعدم الركون الى المن والاذى وايثار التذكر ايماء الى جلاء تلك المقاصد
وما انفقتم من نفقة في طاعة او معصية او نذرتم من نذر التزاما في الذمة فان
الله يعلمه يجازيكم عليه من اطلاق الملزوم وارادة اللازم وما للظالمين من انصار
مقابلة الجمع بالجمع لقصد التوزيع اى ما لظالم من نصير قط ان تبدوا الصدقات
فنعما هي ما في فنعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة اى نعم شيئا ابداؤها وقرا ابن عامر
وحمزه والكسائي بفتح النون وهما لغتان وقرا ابو عمرو وقالون وابو بكر باختلاس
كسر العين تخفيفا وهو المختار رعاية للجانبين ان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم
اى صدقة التطوع لما روى عن ابن عباس رضي الله عنه انها سرا تفضل صدقة
العلانية سبعين ضعفا وصدقة الفرض تفضل علانيتها السر خمسة وعشرين ضعفا
وقيد الاعطاء للفقراء في حال السر لانه مظنة الالتباس فانه اكثر ما يكون ليلا روى
البخاري ومسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله في ظلة يوم لا ظل
الا ظله منهم رجل تصدق بيمينه فاخفاها حتى لا يعلم شماله ويكفر عنكم سيئاتكم قراه
بالياء ابن عامر وحفص مسندا الى ضمير الله وجزمه نافع وحمزه والكسائي والمختار النون
لانه افخم والجزم لاندراج تكفير الذنوب في جزاء الصدقات موافقا لقوله ان
تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله بما تعملون خبير ترغيب في الاسرار
لان الخبرة هي العلم ببواطن الامور ليس عليك هداهم خلق الاهتداء فيهم
تسلية له كان يشق عليه عدم امتثال بعضهم ولكن الله يهدي من يشاء هدايته
وما تنفقوا من خير من مال سماه خيرا باعتبار ثوابه فلانفسكم لا يتجاوز ثوابه وما
تنفقون الا ابتغاء وجه الله عطف على جملة وما تنفقوا والمعنى ان انفاقكم لما كان
بوجه الله فلا وجه للمن والاذى والاحسن ان يكون حالا اى ما تنفقوا فلانفسكم ثوابه
حال كونكم تنفقونه ابتغاء وجه الله روى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنه كانوا

يكرمون ان رضخوا الانسابهم المشركين فسألوا رسول الله فنزلت والمعنى على هذا ليس
عليك هداهم حتى تمنع الصدقة عليهم كي يسلموا انما عليك الحث على مكارم الاخلاق
وكل ما ابتغي به وجه الله سواء كان على بر او فاجر فهو واصل الى المنفق مشكور فيه سعيه
وما تنفقوا من خير يوف اليكم اجره كاملا وليس في هذا دلالة على ان الصدقة على
الصالح والطالح سيان بل ترغيب في الصدقة على الكافة وانتم لا تظلمون تنقصون
من ثوابه للفقراء الذين احصروا في سبيل الله اي اجعلوا صدقاتكم للفقراء الموصوفين
او صدقاتكم لهم على الابتداء والخبر على الاحصار بالجهاد او المرض او الخوف لا يستطيعون
ضربا في الارض لطلب المعاش لاشتغالهم بالجهاد او لوجود المانع والاكثرون على انها
نزلت في اصحاب الصفة من فقراء المهاجرين لم يكونوا محصورين في عدد كانوا يزيدون
وينقصون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر اصحابه بان يعشي كل رجل واحدا منهم
فاذا فضل جماعة يعشيهم يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف لاظهارهم الغنا مبالغة
في العفة وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائي يحسب بكسر السين وهو المختار لانه لغة
الحجاز وان كان خلاف القياس في باب علم تعرفهم بسيماهم انتا وكل احد تنبئه
حالهم ولسان الحال انطق لا يسألون الناس الحافا الحاحا مبالغة بل ان
سألوا سألوا تعريضا واصل الالحاف من اللحاف كانه يسأل كل شيء حتى اللحاف
او لشمول سواله الناس شمول اللحاف صاحبه او لا يسألون الناس راسا كقوله
ولا ترى الضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار وهذا اوجه لقوله يحسبهم الجاهل اغنياء ولما
روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس
المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ولا اللقمة واللقمتان انما المسكين الذي
يتعفف اقرأوا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا ولم يرو عن هؤلاء الاجلاء سؤال
قط وايثار هذا الاسلوب للدلالة على ان حالهم كان يقتضي الالحاف لولا غنى
النفس يبعثهم على التعفف وما تنفقوا من خير فان الله به عليم حث على الاخلاص
الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاوقات كلها لا يعللون
بعذر ولا يؤخرون من وقت الى وقت وتدخل فيه النفقة على العيال وعن ابن عباس
رضي الله عنه نزلت في علي بن ابي طالب كان معه اربعة دراهم تصدق بدرهم
ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وعن ابن ابي حاتم نزلت في علف
خيل الغزاة وقيل نزلت في الصديق تصدق باربعين الف دينار عشرة بالليل
وعشرة بالنهار وعشرة سرا وعشرة علانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ادخل الفاء قصدا الى سببية اعمالهم اعتدادا بها وان الاجر فضلا
منه تعالى الذين ياكلون الربوا لم يعطف القصة على ما قبلها لكمال التباين بين
الغرضين والربوا لغة الزيادة وفي الشرع زيادة مخصوصة اما في الاجل كربوا النسيئة

او في العين كربوا الفضل وانما كتب بالواو للدلالة على الاصل كالزكوة والصلوة لا على لغة المفخم
لم يقرا به احد وكتب الالف بعدها تشبيها بواو الجمع وخص الاكل لانه معظم منافعه ولانه اكثر ما
يكون في المطعومات عند العرب لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس
من الجنون والخبط الضرب على غير الاستواء تشبيها لخبط العشواء ذلك العقاب بانهم
قالوا انما البيع مثل الربوا اي الربوا مثل البيع وانما عكسوا مبالغة في اعتقادهم حل الربوا
حتى جعلوه الاصل المقيس عليه واحل الله البيع وحرم الربوا هدم لقياسهم لانه في مقابلة
النص ان لو كان صحيحا كيف وهو قياس مع الفارق فان من اعطى درهمين
بدرهم لا يقابل احد درهميه بشيء ولان الفضل فيه متحقق وفي البيع متوهم باختلاف
الاوقات والاسواق فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف لا يؤاخذ بما اربى
قبل التحريم وامره الى الله يعامل بما شاء ومن عاد الى الاستحلال فاولئك اصحاب النار
هم فيها خالدون مع ساير الكفرة يمحق الله الربوا المحق المحو والابطال مناف للغرض لان
مرتكبه لم يرم الا الزيادة اشارة الى انه لو لم يكن فيه عذاب الاخرة لكفى به زاجرا ويربي الصدقات
يكثرها او يكثر ثوابها لما روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب فان الله يربيه كما
يربي احدكم فلوه والله لا يحب كل كفار اثيم بالقول والفعل يشير الى ان من عاد بعد هذا البيان
فهو كفار اثيم وهذا الحكم مخصوص بالمستحل لانهم الذي يقولون انما البيع مثل الربوا وسيذكر
حكم مرتكب الفعل من دون استحلال ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة لهم اجرهم عند ربهم لم يدخل الفاء للدلالة على تحقق الوقوع ولا خوف عليهم ولا هم
يحزنون افردهما بالذكر لزيادة الشرف يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من
الربوا انزلت في ثقيف رابوا بني المغيرة بمكة في الجاهلية فلما جاء الاسلام طالبوهم فابوا
وقالوا لا نؤدي الربوا في الاسلام فتحاكموا الى عتاب بن اسيد قاضي مكة فكتب الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأله الحكم في ذلك فنزلت ان كنتم مؤمنين فان الامتثال
لامر الله دليل الايمان فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله اي فاعلموا الحرب
واي حرب ولذلك لم يضفه وابن عباس رضي الله عنه يقال لآكل الربوا يوم القيمة
خذ سلاحك للحرب وقرا حمزة وابو بكر آذنوا بالمد اي اعلموا غيركم وهذا ابلغ لانهم امتثلوا
وامروا باعلام الغير وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون غيركم ولا تظلمون انتم ومفهوم
الاية انهم ان لم يتوبوا ليس لهم رؤس اموالهم وهو كذلك ان كانوا مستحلين والا
فحكمهم التعزير او المحاربة ان كانوا ذوي شوكة والمفهوم ملغى للاجماع على خلافه او لان الكلام
مسوق لدفع توهم ان سقوط رأس المال من تمام التوبة وان كان ذو عسرة فنظرة
الى ميسرة اي وان وجد الغريم معسرا كان تامة والنظرة بمعنى الانتظار اي فالحكم الانتظار
الى اوان اليسار وقرا نافع ميسرة بضم السين وهي لغة الحجاز والتنوين للتقليل اشارة الى انه

يجب الاداء بادنى يسار وان تصدقوا خير لكم اى تصدقكم بالانتظار خير لكم من المطالبة
لما روى الامام احمد من انظر معسرا قبل ان تحل الدين فله بكل يوم مثله صدقة وان
انظر بعد ان تحل فله بكل يوم مثلاه صدقة او بالابراء عن رأس المال لما روى مسلم
من نفس عن غريمه او محى عنه كان فى ظل العرش يوم القيمة وقرا عاصم تصدقوا المخففا بحذف
التاء ان كنتم تعلمون حث على العمل واشار بان الى تلك العالمين واتقوا يوما ترجعون
فيه الى الله وقرا ابو عمرو بفتح التاء من الرجوع والضم ابلغ واكثر ثم توفى كل نفس ما كسبت
وهم لا يظلمون بنقص ثواب روى النساء عن ابن عباس رضى الله عنه انها اخر
اية نزلت عاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدا وثلثين يوما وعن سعيد
بن جبير عاش بعدها تسع ليال يا ايها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى
يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا العين او اخذا منه كقولك بايعته اذا
باعك او بعته وانما ذكر الدين لان المراد به احد العوضين فلا يدل عليه الفعل فيبقى
الضمير بلا مرجع او لتلخيص المعنى المشترك ورفع الاجمال فان التداين قد يكون لمعنى
التجازى ولان التنوين فيه للتنويع فلو لم يذكر لاوهم ان الدين لا يكون الا موجلا الى
اجل مسمى اى اجل معلوم لان الجهل بمقداره ينافى حكمة مشروعية الاجل ويودى الى التنازع
فاكتبوه امر ارشاد لانه اوثق وعن ابن عباس رضى الله عنه المراد به السلم لما حرم الله الربوا
احل السلم وليكتب كاتب بينكم بالعدل الجار والمجرور صفة اى اى كاتب مأمون فقيه عالم
بالشروط ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله مثل ما علمه الله من كتابة الوثايق لا يبدل
ولا يغير ويجوز تعلقه بقوله فليكتب والمعنى نهى الكاتب عن الاباء عن الكتابة المطلقة
ثم الامر بها مقيدة بالنهج الذى ارشده الله اليه وهذا ابلغ لما فى التقديم من المبالغة والتدرج
من المطلق الى المقيد وليملل الذى عليه الحق لا يملى الا الذى عليه الحق لانه المقر بالحق ولئلا
يكون له سبيل الى النزاع وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ولا ينقص فى الاملاء عن حق
صاحبه فان كان الذى عليه الحق سفيها محجورا عليه او ضعيفا شيخا كبيرا او صبيا او لا
يستطيع ان يمل هو لعى او خرس فليملل وليه بالعدل من يلى امره ويقوم مقامه واستشهدوا
شهيدين من رجالكم من رجال المؤمنين كملا احرارا وجوز شريح وابن سيرين رحمهما الله
شهادة العبيد لانهم من رجالنا وابو حنيفة رحمه الله شهادة الكفار بعضهم على بعض مع
اختلاف الملل فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان اى فليستشهد رجل
وامرأتان خص الشافعى شهادة النساء بالاموال لعموم البلوى ولانها لم
ترد الا فى اية المداينة وجوز شهادة اربع فيما لا يطلع عليه غير النساء وابو حنيفة رحمه الله بما
عدا الحدود والقصاص لقوله صلى الله عليه وسلم ادراوا الحدود بالشبهات ونقصان
عقل المرأة شبهة والقضاء بالشاهد واليمين ثبت بالاحاديث ولا مفهوم للاية
ولو سلم لا يعارض النص كما فى النكول عن اليمين ممن ترضون من الشهداء تعرفون

عدالتهم

عدالتهم فى محل الرفع على الوصفية ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى اى
استشهدوا امرأتين لان تذكر احديهما الاخرى ان ضلت اى نسيت وانما ذكر
الضلال لانه سبب التذكير والعدول عن الظاهر للاعتناء بشان التذكير حتى
كان المهروب منه صار مطلوبا لاجله وقرا حمزة ان بالكسر شرطا ورفع تذكر لكونه جوابا
بعد الفاء وقرا ابن كثير وابو عمرو فتذكر مخففا من الاذكار والتشديد ابلغ ولذلك
اتفقوا فى فذكر وكان الظاهر فتذكرها الاخرى وانما اعاد المظهر لايقاع التذكير على
صريح ما اسند اليه الضلال ولا لبس لان الاخرى غير الضالة لان المعرفة المعادة
عين الاولى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا لاقامة الشهادة ان تعينوا او للتحمل و
اليه ذهب قتادة وعلى هذا لفظ الشهداء مجاز باعتبار المشارفة فان قلت فى صحيح
مسلم عن زيد بن خالد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بخير الشهداء
الذى يأتى بشهادته قبل ان يسألها وفيه وفى البخارى الا اخبركم بشر الشهداء الذين
يشهدون قبل ان يستشهدوا فما التوفيق قلت الاول محمول على العدول الذين
يقيمون الشهادة لله لاحياء حقوق الناس والثانى على الشهود المزور ليا بعين
دينهم بدنيا غيرهم ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا او كبيرا الى اجله كنى عن الكسل
بالسأمة اذ لا سأمة قبل الفعل عدل عنه لانه صفة المنافق لا يأتون الصلوة
الا وهم كسالى او هو على اصله فيمن كثرت مداينته ولا تكرار فى ذكر الاجل لان
الاول فى العقد وهذا فى الكتابة ذلكم اشارة الى مصدر يكتبوا اى الكتب اقسط
عند الله واقوم للشهادة افعل التفضيل من المزيد على مذهب سيبويه لان قسط معناه
جار لا يبنى منه اقسط بمعنى اعدل كذا اقوم لان المعنى اشد اقامة لا قياما وجعلهما
النسب كلابن وتامر اى اشد قسطا واشد استقامة بعيد لعدم جريانهما على الفعل
وادنى الا ترتابوا اقرب من انتفاء الريب الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم
اى الا ان تبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد كان ناقصة وتجارة اسمها وحاضرة نعت الاسم
وتديرونها خبر كان وقرا عاصم بنصب تجارة على ان فى كان ضميرا لاموال والرفع احسن
فليس عليكم جناح الا تكتبوها فلا بأس واشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد
يحتمل البنائين والمعنى على بناء الفاعل النهى عن اضرارهما بالزيادة والنقصان فى
الكتابة والشهادة وعلى بناء المفعول ان يضرا بان لا يعطى الكاتب اجره وان يحمل
الشهادة على المجئ من مكان بعيد او تعجلا عن مهمهما وان تفعلوا فانه فسوق بكم اى
ما نهيتم عنه واتقوا الله فى المحافظة على احكامه ويعلمكم الله استيناف لا حال لان
المضارع المثبت لا يكون مصدرا بالواو والله بكل شئ عليم ولذلك شرع الاحكام
المذكورة رعاية لمصالحكم وكرر لفظ الجلالة لاستقلال الجمل فان الاولى حث على التقوى
والثانية وعد بانعامه والثالثة تعظيم لشانه وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان

مقبوضة اي فالمستوثق به الرهان المقبوضة وذكر السفر خارج مخرج الغالب لان
اكثر اوقاتهم كانت في الجهاد وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انتقل الى جوار الله
و درعه مرهونة وعند مالك لزومه لا يتوقف على القبض لقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون
عند شروطهم وقرا ابن كثير وابو عمرو فرهن بضم الراء والهاء وكلاهما جمع رهن وكسر
الراء اكثر فان امن بعضكم بعضا فليؤد الذي اؤتمن امانته سماه امانة حيث اكتفى
الداين بديانة المديون ولم ياخذ به رهنا وفي ذلك حث له على ان يكون عند ظن
الداين به وليتق الله ربه في اداء الامانة جمع بين لفظ الجلالة والرب الدالين
على الجلال والكمال ترغيبا وترهيبا لعظم شان الامانة واليه اشار بقوله صلى الله عليه
وسلم الدين امانة لا دين لمن لا امانة له ولا تكتموا الشهادة الاقرار بالامانة فانه
شهادة المرء على نفسه او خطاب للشهود ومن يكتمها فانه آثم قلبه اي يأثم قلبه
او قلبه يأثم خبر ان واسناد الاثم الى القلب لان الكتمان فعله واللسان ترجمانه
اولانه رئيس الاعضاء والمضغة التي اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد
كله والله بما تعملون عليم وعيد على الكتمان لله ما في السموات وما في الارض خلقا و
ملكا تقرير لعلمه وبرهان على قوله وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله حجة
على من انكر الحساب ولا يلزم منه التكليف بالمحال لان الحساب غير العقاب فالاية
محكمة والصحيح انها منسوخة لما روى مسلم انها لما نزلت ضج المسلمون منها فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقولون كما قال اهل الكتاب سمعنا وعصينا قولوا
سمعنا واطعنا فلما فعلوا نسخها الله بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فيغفر لمن
يشاء ويعذب من يشاء دليل على ان اصحاب الكباير في مشيته تعالى وقرا نافع
وابن كثير وابو عمرو وحمزه والكسائي بجزم الفعلين عطفا على الجواب ومن رفعه عطف
على الشرطية وادغم الراء في اللام ابو عمرو في رواية السوسي وهو مذهب الفراء والكسائي
ونقل عن سيبويه منعه معللا بان الراء فيه تكرار يفوت بالادغام وقد قدمنا في امالة الصابرين
النقل على الخليل ان لا تكرير في الراء ولا شك ان ابا عمرو اعلى كعبا والعجب ممن هو قدوة
في الدين تعدى بمن ضل وبقدح في الكلام المتواتر سماعه عمن لا ينطق عن الهوى
والله على كل شيء قدير ومنه المغفرة والعذاب امن الرسول بما انزل اليه من ربه
والمؤمنون كل اي كل منهم مبتداء امن بالله وملائكته وكتبه ورسله خبره والجملة
مستأنفة لبيان المؤمن به فيحسن الوقف على المؤمنون او المؤمنون مبتداء والتنوين
في كل عوض عن ضمير المؤمنين خاصة وهذا الوجه حسن اعطاء الرسول صلى الله عليه
وسلم بالافراد ولان ايمانه ليس بطريق الاستدلال وقرا حمزه والكسائي وكتابه بالافراد
على ارادة القران والجنس فيعم الكتب ويرادف الجمع واشتماله المفرد في المعرف غير مسلمه
والنقل عن ابن عباس رضي الله عنه الكتاب اكثر من الكتب معارض بالقواطع والله

وادغم باء يعذب في الميم نافع في رواية
قالون وابن كثير في احد الوجهين
وابو عمرو وحمزه والكسائي صح

ولو سلم فبعد نقله تواترا غايته ان يكون
شاذا صح

يحب

يحب المحسنين والله لا يحب الظالمين لا نفرق بين احد من رسله اي بين جمع
منهم لان احدا اسم من يخاطب مفردا كان او جمعا ذكرا كان او انثى وقالوا سمعنا
واطعنا غفرانك منصوب باضمار فعله اي اغفر مغفرتك التي لا يقدر عليها غيرك
ربنا واليك المصير ايمان بالبعث لا يكلف الله نفسا الا وسعها الا ما يتيسر
لها من غير ضيق ومشقة ولذلك اول ما فرض الصلوة خمسين صلوة ثم نسخ الى خمس
لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت لا يتجاوزها مكسوبها اثر الاكتساب في الشر لانجذاب
النفس الى الشهوات دلالة على انه يثيب على الخير كيف ما كان ولا يجازي على الشر
الا بعد اعتمال وتصرف لطفا منه ولما قالوا غفرانك اردفه بهذا الكلام دلالة على
على غفرانه اذ لو كلفوا فوق الطاقة لم يقدروا على الطاعة وسماع القبول اعتراض
حسن بين اجزاء المحكي عنهم ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا اي لا تؤاخذنا
بتفريط يكون سببا للوقوع فيهما لانهما قل ان يتفقا الا عن تقصير سابق او ما
يتسبب عنهما كالقتل خطأ ونسيانا لانه لا مؤاخذة على نفس الخطأ والنسيان لقوله
صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطأ والنسيان او ان الله تعالى حكى عنهم ثناء عليهم
دلالة على ان ساحتهم بريئة من لوث العمد فيختص بمن اتقى الله حق تقاته او المطلوب
استدامة ما علم ودوامه اظهار الشكر عند من يجيز التكليف بما ليس بمقدور ربنا ولا تحمل
علينا اصرا الاصر الثقل الذي يحبس صاحبه في مكانه كما حملته على الذين من قبلنا من
الامم كالقتل للتوبة وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة ووجوب القصاص
بدون جواز العفو وغيرها من احكام التورية ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من البلاء و
العقوبات النازلة بالذين كلفوا الاصار ويجوز ان يكون تكريرا للاول اهتماما بطلب
العفو وقيل المراد ما لا يطيقه البشر فيدل على جواز التكليف بالمحال وفيه انه كان اللايق
بالنظم تقديمه على سؤال وضع الاصر عنهم لان اعظم الخطرين يقدم علاجا واعف عنا
ما سلف واغفر لنا واستر سيئاتنا ولا تفضحنا وارحمنا بالتوفيق والعصمة عن الوقوع
في شيء منها انت مولانا سيدنا او ناصرنا ومتولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين
فان من شان السيد نصر عبده او فان ذلك من امورنا التي انت تتولاها ختمت
السورة الكريمة بما بدأت به من ذكر اوليائه السامعين المطيعين الذين امنوا بالله و
ملائكته وكتبه ورسله وجعل ختام ذلك كله ما يدل على ان كمال العارف ان لا يزال
مستمدا من بحر جوده الفياض بلسان الحال والمقال اذ بذلك ارتقاؤه في مدارج الكمال
واقتباسه لانوار الجلال والجمال ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين
روى البخاري عن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا الآيتين من
اخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وروى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى الى
السدرة المنتهى اعطى ثلثا الصلوات الخمس وخواتيم سورة البقرة وغفر لمن لم يشرك من امته

وروى النسائي عن ابن عباس رضي الله عنه ان جبرائيل عليه السلام كان عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فسمع نقيضا فرفع بصره وقال هذا باب فتح من السماء ما فتح قط نزل
منه ملك لم ينزل قط فاتى رسول الله وقال ابشر بنورين اوتيتهما لم يؤتهما نبي فاتحة
الكتاب وخواتيم سورة البقرة والاحاديث في فضائلها لا تعد تمت والحمد لمن الآؤه
جلت والصلوة على من به دايرة الرسل تمت

سورة آل عمران مدنية وهي مائتان آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم اسم السورة او حروف مقطعة صدرت بها السورة ايقاظا
وقد سبق انها معربة ساكنة الاعجاز وقفا لعدم مقتضى الاعراب وعند القائل بالبناء
ايضا سكونها سكون وقف ولذلك اغتفر فيها التقاء الساكنين وكان القياس
سكون الميم في الم الله الا ان القرا اطبقوا على تحريكه واوثر الفتحة للخفة وتفخيم اللام في الله
فذهب سيبويه وطايفة الى ان الحركة لالتقاء الساكنين والفتح لما اشير اليه واخرون
الى انها حركة الهمزة نقلت بعد حذف الهمزة تخفيفا لان الميم في حكم الوقف فهمزة الوصل
للقطع لكونها في الابتداء فان قلت نقل الحركة الى ما قبل من احكام الوصل فاذا كان
الميم في حكم الوقف فما وجه النقل قلت لانه وقف معنى لكونه على نمط التعديد ووصل
لفظا لعدم السكت وروى يحيى عن ابي بكر عن عاصم السكون على الاصل الله لا اله الا
هو الحي القيوم تقدم عليه الكلام في اية الكرسي والحديث الوارد في ان الاسم الاعظم
في هاتين الآيتين نزل عليك الكتاب القران منجما لذكره في مقابلة انزل بالحق
بالعدل او بالصدق او بالاعجاز الدال على انه من عند الله مصدقا لما بين يديه من
الكتب حال مؤكدة من المفعول وبين مستعار من المكان للزمان لما بينهما من
التلبس وانزل التورية والانجيل جملة على موسى وعيسى عليهما السلام افردا بالذكر
لعظم شانهما ودخول اللام عليهما دليل العربية واليه ذهب نحاة البصرة والكوفة والاشتقاق
التورية من الورى وهو ايقاد النار بالزند لكونها مظهر الاحكام والوقايع اصله ورية
قلبت الواو الاولى فاء كما في تولج والانجيل من النجل وهو الاتساع لكون اكثره محامد
وتقديسا وقيل لفظان عجميان من قبل من قبل القران هدى للناس
حال من الكتابين واللام للعهد اي للناس الذين تعبدوا باحكام التورية
والانجيل وانزل الفرقان اي القران اعاده ليترتب عليه ما بعده وغير العنوان
للدلالة على كونه فارقا بين الحق والباطل باعجازه دون التورية والانجيل وقيل
هو زبور داود وذكره بعد التورية والانجيل لاشتماله على المواعظ والزواجر او جنس
الكتب لان كلها يفرق بين الحق والباطل ان الذين كفروا بايات الله
الدالة على تفرده بالالوهية وصدق الرسل والكتب لهم عذاب شديد مختص بهم
والله عزيز ذو انتقام غالب لا يغالب لا يقدر على مثل انتقامه منتقم وهو عقوبة الجرم
من النقم وهو العيب ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء تقرير لقيوميته

لان

لان القايم بنفسه المقيم لغيره يلزمه ان يكون بهذه الشابة من العلم والشيء
المنكر في سياق النفي يتناول كل موجود وعبر عن العالم بالسماء والارض
لان الحس لا يتجاوزهما فهما العالم ظاهرا وقدم الارض لانها بالانحطاط ابعد
عن مقام كبريائه فالعلم بها ادل على كمال العلم ولانها محل نزول الكتب ودار
التكليف وقيل قدمت ترقيا هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء تحقيق
لكمال علمه بتصوير الجنين في ظلمة الرحم كيف ما تعلقت به ارادته على اشكال مختلفة
وصور متباينة على مر الدهور في كل الاقطار وفيه رد على النصارى دعوى الالوهية
لعيسى عليه السلام لانهم قائلون بانه مصور في الرحم فان صدر السورة الى نيف
وثمانين اية نزلت في وفد نجران على ما يأتي شرح القصة لا اله الا هو نتيجة للسابق
لاختصاص ذلك الشان به فلا الوهية لغيره العزيز الغالب لكمال قدرته
الحكيم المتقن في صنعه بوفور علمه وبالغ حكمته هو الذي انزل عليك الكتاب
منه ايات محكمات حفظت عن الاجمال والاشتباه هن ام الكتاب
اصله الذي يدل على اصل الشرع وفروعه ويرد اليه غيره بالتأويل افردام وكان
الظاهر امهات باعتبار كل واحدة واخر متشابهات محتملات لا يتضح المقصود
منها بسهوله بل يحتاج الى استنباط علوم يتوقف الاطلاع عليها على تحصيلها
مع اتعاب القرايح وتدقيق النظر وردها الى المحكم لينال الراسخون بذلك معالي
في الدرجات فاما الذين في قلوبهم زيغ ميل عن الحق الى الباطل فيتبعون
ما تشابه منه دون المحكم ابتغاء الفتنة طلب فتنة الناس بالتشكيك في دينهم
وابتغاء تأويله بما يشتهونه وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم الثابتون
فيه بقدم راسخ المتمكنون منه غاية التمكن فانهم يحملونه على الحق الذي يجب
حمله عليه ومن وقف على الا الله فسر المتشابه بما استأثر الله تعالى بعلمه كعدد
الزبانية والاول هو الوجه لان الايمان بان الكل من عند الله حاصل لعموم
المؤمنين فيستدرك وصف الرسوخ ولان حظ الراسخين لو كان الايمان
به دون العلم لكان الادون واما الراسخون فكونه في مقابلة الزايغين ولان
ام الكتاب في وصف المحكم انما يظهر اذا رد اليه المتشابه ولان حصر الكتاب في
القسمين لا يتم اذا فسر المتشابه بما استأثر الله بعلمه ولان التذييل بقوله وما يذكر
الا اولوا الالباب يؤكد رسوخهم بانهم لخالص عقولهم واصلون الى كنه الامر واقفون
على الحقايق النازحة عن بصاير من غيرهم واعلم انه لا منكر لاشتمال القران على
حقايق لا سبيل للبشر عليها لقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولقوله صلى الله عليه
وسلم هو البحر لا تنقضي عجايبه انما الكلام في المتشابه المذكور في قوله واخر متشابهات
في ان ما سبق لتلك المعاني التي استأثر الله بها لها ظاهر كلفنا بعلمه وباطن كلفنا

تصديقه ايمانا وفيه جمع بين ما درج عليه السلف واستمر عليه الخلف والمحكم اصل يرجع اليه
كل من القسمين احدهما بيانا والاخر ايمانا يقولون آمنا به مستأنف على الوجه
الاول موضح لحال الراسخين او حال من المعطوف لقيام القرينة كما في قوله ويعقوب
نافلة وضمير به للمتشابه او للكتاب كل من عند ربنا كل من القسمين وما يذكر الا
اولوا الالباب عطف على يقولون وعلى ما يعلم تأويله في الوجه الثاني ربنا لا تزغ
قلوبنا لا تملها عن منهج الراسخين بعد اذ هديتنا اليه وهب لنا من لدنك رحمة
توفيقا لما يزلفنا عندك او علما فايضا من جناب قدسك لا طريق اليه بالكد والتعلم
انك انت الوهاب حقيقة ومن عداك وان افاض فهو مستفيض من بحار جودك
ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه بدل من النداء الاول من اضافة اسم الفاعل
الى المفعول بتقدير مضاف اى لحسابه او لجزائه ان الله لا يخلف الميعاد الوعد
مصدر كالموعد والالتفات من الخطاب الى كلمة الجلالة للدلالة على ان الالوهية
ينافي الخلف للمح المعنى الاصلي قبل العلمية ان الذين كفروا برسول الله ليصح التشبيه
بال فرعون والذين من قبلهم لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا
من هذه بدلية وشيئا اما مصدر او مفعول اى شيئا من الاغناء او شيئا من الاشياء بدل
طاعته كقوله فليت لنا من ماء زمزم شربة اى بدله ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد
ويجوز ان يكون للابتداء واولئك هم وقود النار ما يوقد به كدأب آل فرعون
الدأب كالقدح هو الاستمرار على العمل اريد به الاستمرار على الظلم والكاف في محل الرفع
اى دأب هؤلاء كدأب آل فرعون او النصب مصدر لن تغني او وقود اى عدم
اغناء مثل عدم الاغناء من آل فرعون او توقد بهم النار كما توقد باولئك والذين
من قبلهم من الامم كذبوا باياتنا جملة حالية او استيناف او خبر الذين ان جعل مبتدا
فاخذهم الله بذنوبهم من التكذيب وغيره والله شديد العقاب تهويل للمؤاخذة
وزيادة تخذير قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد الخطاب
لمشركي مكة والمراد مغلوبيتهم يوم بدر وعن ابن عباس رضي الله عنه الخطاب لليهود
جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بدر بالمدينة وقال يا معشر اليهود احذروا ما نزل
بقريش اسلموا قالوا لا يغرنك انك قاتلت قوما اغمارا بالحرب لئن قاتلتنا لتعلمن
انا نحن الناس وقيل كانت اليهود وبعد بدر اتفقوا على انه النبي المبشر به في التورية وعزموا
على اتباعه فقال بعضهم تصبروا حتى ننظر له دفعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا فيه
فهذا يدل على نزولها بعد احد والاول قبل بدر والوسط على الوسط وقرأ حمزة والكسائي
الفعلين بياء الغيبة والمعنى بلغهم كلامي سيغلبون كقوله قل للمؤمنين يغضوا من
ابصارهم قد كان لكم آية في فئتين التقتا الخطاب للمشركين او للمؤمنين او لليهود
او للكل فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم رأي العين رؤية مكشوفة

لابس

لابس فيها اى يرى المؤمنون المشركين مثلى عدد المسلمين وكان المسلمون ثلثمائة
وبضعة عشر والمشركون نحو الف قللوا في اعينهم ليجترؤا عليهم لا انهم كانوا مأمورين
بمصابرة مثليهم بقوله فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين لان سورة الانفال
نزلت بعد بدر او يرى المشركون المؤمنين مثلى عددهم ستمائة ونيفا او مثلى عدد الكفار الفين
كثر الله المؤمنين في اعينهم ليجبنوا وقوله ويقللكم في اعينهم قبل التحام القتال وقرأ نافع
بالخطاب للمشركين اى ترون المؤمنين مثلى عددهم او مثلى فئتكم او للمؤمنين او لليهود
والتقدير ترونهم رؤية عين لو رأيتموهم لان اليهود لا شاهدوا حرب بدر او الخطاب
للكل وهذا اوجه لان للكل آية في ذلك ولقوله ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار ومحل
يرونهم على الغيبة استيناف وعلى الخطاب حال من ضمير لكم ولا يقدح هذا في الحسبان
لانه معجزة خارقة والله يؤيد بنصره من يشاء كما نصر اهل بدر مع قلتهم ان في ذلك
النصر لعبرة لاولي الابصار معتبرا لمن له بصيرة فعلة من العبور والمراد بها التجاوز
من الشيء الى اشكاله ونظايره زين للناس حب الشهوات المزين هو الله لانه الخالق
وعن الحسن هو الشيطان عبر عن المشتهيات بالشهوات مبالغة كانهم احبوها حتى
احبوا شهواتها والاوفق بمقام التنفير ان يكون اشارة الى استرذالها لانها صفة
البهائم واخسها اكثرها شهوة كالخنزير فانه مثل في ذلك وبه ظهر ان الاوجه لما قيل
زينها لهم ليتوسلوا بها الى السعادة الابدية من النساء والبنين والقناطير المقنطرة القنطار
المال الكثير روى الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنه انه سئل عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال اثنا عشر الف اوقية وروى الحاكم عن انس الف اوقية والمقنطرة من
قنطرت الشيء اذا رفعته ومنه القنطرة وانما وصف القناطير بها على طريقة العرب اذا
ارادوا المبالغة كقولهم ليل اليل وظل ظليل من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
والحرث المسومة من السومة وهي العلامة اى الخيل الجياد وكانها شامة بين الخيل
وقيل من السوم وهو الرعي والانعام الازواج الثمانية الابل والبقر والضأن والمعز
ذلك متاع الحيوة الدنيا سماه اول شهوة وآخر متاع الدنيا مبالغة في التنفير والله
عنده حسن المآب اى المآب الحسن وعينه بها الى زوال ذلك المتاع القليل قل
اؤنبئكم بخير من ذلكم المذكور للذين اتقوا عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها كلام مستأنف لبيان ما هو خير كقولك هل ادلكم على رجل فاضل
عندي رجل صفته كذا وكذا ويجوز ان يتعلق اللام بخير والتقييد بالمتقين لانهم المنتفعون
به ويرتفع جنات على الخبرية اى هو جنات وعند ربهم يتعلق باتقوا على معنى
ثبت تقواهم عند ربهم شهادة لهم بالاخلاص ويجوز ان يكون خبرا مقدما وازواج
مطهرة مما يستقذر من النساء ورضوان من الله الذي هو فوق كل نعمة وقرأ ابو بكر
ورضوان بضم الراء كالرجحان لغة تميم والفتح والكسر اخف واشهر والله بصير بالعباد

حث على الاخلاص الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب
النار رفع او نصب على المدح او جر صفة للمتقين او للعباد وفيه طول الفصل على الاول
وتخصيص العباد بالمتقين على الثاني والمعنى العموم وترتيب سؤال الغفران على الايمان
وحده دل على انه كاف في الاستحقاق الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين
والمستغفرين بالاسحار صفة الذين يقولون او مدح بعد مدح وتوسيط الواو بين الصفات
للدلالة على كمالهم في كل واحدة والتقييد بالاسحار لانه وقت شريف روى البخاري عن
ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل ربنا الى سماء الدنيا اذا
بقي الثلث الاخير من الليل ويقول هل من تائب فاتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له
وذلك كل ليلة ونظام الصفات على وفق احوال السالك فان اول امره قطع
المألوفات والصبر على موافقتها ثم الصدق في عدم العود اليها ثم الدوام على الطاعة
بدل المعاصي لان الحسنات يذهبن السيئات ثم انفاق المال الذي هو شقيق
الروح وحبه راس كل خطيئة ولذلك جعله رسول الله برهانا ثم الاستغفار مما يعتريه
من التقصير الذي هو من لوازم البشرية ولذلك قال سيد المقربين انه ليغان على قلبي
واني لاستغفر الله في اليوم مائة مرة شهد الله انه لا اله الا هو استدل على وحدانيته بالادلة
المبثوثة في الآفاق والانفس ثم شرع في الادلة العقلية وقطعه عن الاول لانه فن
آخر شبهت دلالته على وحدانيته بانزال الكتب وارسال الرسل على طريق الاستعارة
التبعية بالشهادة والوجه الكشف والبيان والملائكة بالاقرار واولوا العلم بالاستدلال
والكل داخل تحت الدلالة فلا جمع بين الحقيقة والمجاز قائما بالقسط مقيما للعدل الباء
للتعدية حال من فاعل شهد وجاز افراد المعطوف عليه به لعدم اللبس كما في ويعقوب
نافلة واخر عن الملائكة واولي العلم اعتناء بشهادتهما او نصب على المدح وهو في النكرة
قليل لا سيما اذا كان المنتصب عنه معرفة كما في الاية لانه في الاصل وصف مقطوع
وجعله صفة اسم لا بعيد لوجود الفاصل الاجنبي والاوجه ان يكون حالا من هو لانه
اقرب وادل على المقصود وهو دخوله تحت الشهادة كالتوحيد واوفق بالاستعمال
من ان الحال المؤكدة اكثر ما يكون بعد الجملة الاسمية حتى ذهب كثيرون الى انها
لا يكون الا كذلك وان كان الحق خلافه وكذا جعله نصبا على المدح من هو اوجه
من جعله مدحا من فاعل شهد لا اله الا هو العزيز الحكيم كرره لان التوحيد اعظم المقاصد
وآثر الوصفين لان العزة وهي القهر والغلبة تلائم الوحدانية والحكمة القيام بالقسط
وارتفاعهما على البدل من هو وقيل صفة فاعل شهد وفيه طول الفصل بين الصفة
والموصوف روى الطبراني عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يجاء بصاحب شهد الله
يوم القيمة فيقول الله لعبدي عندي عهد ادخلوه الجنة ان الدين عند الله الاسلام
لا غير من قصر المسند اليه على المسند والجملة مؤكدة لجملة شهد الله اذ ان بان الاسلام هو التوحيد

والعدل

والعدل والتدرع بالشرع الذي جاء به محمد عليه السلام وقرأ الكسائي ان بالفتح بدل كل
من انه لا اله الا هو وما اختلف الذين اوتوا الكتاب اليهود والنصارى او ارباب
الكتب كلها في دين الاسلام فقال بعضهم حق وبعضهم مخصوص بالعرب ونفاه
آخرون راسا او في التوحيد فثلثت النصارى وقالت النصارى عزير ابن الله او
اليهود وذلك ان موسى عليه السلام استودع التورية سبعين حبرا فلما مضى قرن
بعد قرن اختلف ابناء السبعين فاللام في الاول والثالث للعهد وفي الثاني
للجنس الا من بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الامر بغيا بينهم ظلما وحسدا على حظوظ الدنيا
ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب وعيد لهم فان حاجوك جادلوك
بعد ظهور الحق فقل اسلمت وجهي لله دفعا للمحاجة اذ لا معنى لها بعد اتضاح الحق
والوجه مجاز عن الذات ومن اتبعن كذلك عطف على الفاء في اسلمت وحسن
لوجود الفصل وقل للذين اوتوا الكتاب قبل القران والاميين مشركي العرب
ااسلمتم الاستفهام لاستقصار السامع وتعييره بالمعاندة بعد تلخيص الحق كما تقول
بعد تحرير المسئلة بالبرهان الساطع لمن تقصر فهمه هل فهمت لا ام لك تعييا عليه
بالبلادة وكقوله تعالى فهل انتم منتهون في تحريم الخمر اشارة الى شدة حرصهم على
شربها فان اسلموا فقد اهتدوا فقد نفعوا انفسهم وان تولوا فانما عليك البلاغ
فلم يضروك لانك مبلغ وقد بلغت والله بصير بالعباد وعد ووعيد ان الذين يكفرون
بايات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من
الناس فبشرهم بعذاب اليم روى ابن ابي حاتم عن ابي عبيدة انه سأل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن اشد الناس عذابا قال رجل قتل نبيا او من امر بالمعروف
ونهى عن المنكر ثم قال قتل بنو اسرائيل ثلثة واربعين نبيا اول النهار فقام مائة
وسبعون امروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فقتلوهم آخر النهار وعن ابن مسعود رضي الله
عنه اقاموا سوق بقلهم آخر النهار والحكم على المعاصرين بدليل قوله فبشرهم وهم لما باشروا
القتل لرضاهم بفعل الاوائل ودورانهم حول قتل محمد ولذلك آثر المضارع الدال
على الاستمرار وتنكير الحق هنا وتعريفه في البقرة مع وحدة القصة تفنن او اشارة الى
ان العهد الذهني بمثابة النكرة وقرأ حمزة ويقاتلون الثاني من المقاتلة والقصر
ابلغ وما والرسم مختلف اولئك الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة وما لهم من
ناصرين يدفع عنهم العذاب الجمع لقصد التوزيع كما سبق الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب اي نصيبا هو الكتاب او نصيبا منه على ان من بيان او تبعيض واللام
للعهد لان المراد به التورية او من جنس الكتب ومن ابتداء او تبعيض او من اللوح
ومن ابتداء والتنوين للتعظيم يدعون الى كتاب الله الى التورية وعن الحسن
هو القران لانهم لم يشكوا فيه ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم لان فريقا منهم امنوا

ومم معرضون وابهم الاعراض نزلت فى الرجم وقيل فى رد دعواهم ان ابرهيم كان
يهوديا وثم لاستبعاد التولى بعد العلم بانه كتاب الله ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار
الا اياما معدودات سبعة ايام بقدر بقاء الدنيا سبعة الآف سنة بكل الف يوم
اقتدا منهم وغرهم فى دينهم ما كانوا يفترون من انهم ابنا الله واحباؤه وان اباهم
الانبيا يشفعون لهم وغير ذلك من اكاذيبهم فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه
كيف يكون حالهم فى ذلك اليوم استعظام لما يلحقهم وتكذيب لدعويهم بالغ وجه
ووفيت كل نفس ما كسبت جزاء كسبها وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب
الضمير للنفس لانه فى معنى كل الناس قل اللهم مالك الملك الميم المشددة عوض
عن حرف النداء لانه حرفان واوثر الميم لانه شفوى كالواو وهذا من خواص
كاختصاصه تاء القسم وقطع الهمزة فى النداء وجمع حرف النداء مع حرف التعريف ومالك
الملك نداء ثان عند سيبويه لان اللهم لا يوصف لان وقوع حرف النداء بينهما
كوقوع حرف النداء وعند الكوفيين اصله يا الله امنا بخير خفف لكثرة الدور مثل
عموا صباحا ورد بانه يجوز الجمع اذا ويمتنع اللهم العنه ونحوه تؤتى الملك من تشاء
وتنزع الملك ممن تشاء الملك الاول عام لمقام المدح ولانه المفهوم الاصلى الاخران
بعض لان المعطى والمنزوع حصة وتعز من تشاء بالتوفيق والنصر وتذل من
تشاء بالخذلان والادبار بيدك الخير لم يذكر الشر مراعاة للادب فى الخطاب او
لان الكلام فيه لما روى البخارى لما خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق يوم الاحزاب
ظهرت كدية لم تعمل فيها المعاول فوجهوا اليه سلمان فاتى واخذ المعول وضربها ضربة
صدعتها وبرق منها برق اضاء ما بين لابتى المدينة فكبر وكبر المسلمون وقال
اضاءت لى قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية وقال اضاءت
لى القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة وقال اضاءت لى قصور صنعاء و
اخبرنى جبرائيل ان امتى ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون يمنيكم ملك فارس
والروم وانتم تحفرون الخندق حول المدينة من الفرق انك على كل شئ قدير ثم
استدل على ذلك باهر قدرته بقوله تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل
تعاقب بينهما وتخرج الحى من الميت الحيوان من النطفة او العالم من الجاهل وتخرج
الميت من الحى النطفة من الحيوان او الجاهل من العالم وترزق من تشاء بغير
حساب ومن هذا شانه ايتاء جزء من الملك ونزعه اليسر ما يكون عليه وقرا ابن
كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر الميت مخففا لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء
من دون المؤمنين متجاوزين عنهم لان فى ولايتهم مندوحة عن موالاة الكفار
وذلك لان الحب فى الله والبغض فى الله اصل كبير فى الايمان على ما روى البخارى
من احب لله وابغض لله فقد استكمل الايمان ذكره عقيب ما بين ان الخير كله

بيده حسما لتوهم نفع منهم ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شئ بل ينسلخ عنه
اذ الضدان لا يجتمعان قال تود عدوى ثم تزعم اننى صديقك ليس الفؤك
عنك بعازب الا ان تتقوا منهم تقاة فتجاسنوا معهم ظاهرا من كلام عيسى
بن مريم كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله نفسه فى مخالفة اوامره والى الله
المصير فاستعدوا اللقائه قل ان تخفوا ما فى صدوركم من موالاة الكفار وغيرها
او تبدوه يعلمه الله لاستواء الكل فى علمه ويعلم ما فى السموات وما فى الارض علما حضوريا
والله على كل شئ قدير فيقدر على عقوبتكم يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما
عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم نصب بتود وما عملت عطف
على ما عملت اى تود كل نفس يوم تجد خيرها وشرها حاضرين لو كان بينها وبين
ذلك يوم اليوم امد بعيد ويجوز ان يكون منصوبا باذكر ويقع على ما عملت وحده
ويرتفع وما عملت من سوء على الابتداء وخبره تود وضمير بينه لما عملت من سوء
ويجوز عطف ما عملت على ما عملت فيكون تود حالا والضمير اما لليوم او لما عملت وما
موصولة لا لان الشرط لا يصح لارتفاع تود لان فعل الشرط اذا كان ماضيا والجزاء
مضارعا مثبتا يجوز فيه الرفع والجزم واطباق القراء على احد الجايزين وان كان مرجوحا
جايز كقوله وجمع الشمس والقمر بل لان هذا الكلام حكاية الكاين فى ذلك اليوم والموصولة
تفيد الوقوع والكينونة ولا كذلك الشرطية ويحذركم الله نفسه كرره تاكيدا ليكون نصب
عينهم والله رؤف بالعباد ولذلك بين لهم وحذر قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى
يحببكم الله عن الحسن نزلت فى قوم ادعوا محبة الله والمحبة امر وجدانى لا يحتاج الى
كشف وبيان بل الى ما يميزها عن ساير الوجدانيات وعن هذا قيل هى
ادراك الكمال من حيث انه مؤثر فكلما كان الكمال اشد يكون المحبة اقوى وعن
بعض العارفين المحبة سايرة فى الموجودات كلها عليها مدار المبدا والايجاد وفى
الجملة محبة العبد لله ايثار طاعته ومن الله الرضى والقبول ويغفر لكم ذنوبكم اذ لا عقوبة
مع الرضى والله غفور رحيم كثير الغفران والاحسان فكيف لمن احبه قل اطيعوا الله
والرسول بيان لاتباعه الذى هو سبب لمحبة الله ولم يعد الفعل لانه مامور به بخلاف
واطيعوا الله واطيعوا الرسول ويا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول لانه ابتداء
كلام منه تعالى اعتناء بطاعة رسوله فان تولوا اتتولوا احذف احدى التاءين
ويجوز ان يكون ماضيا اخبارا من الله فان الله لا يحب الكافرين ايثار المظهر للاشارة
الى العلة وليعمهم وغيرهم ان الله اصطفى آدم ونوحا بالنبوة وال ابرهيم اسمعيل
واسحق كان من قول اهل الكتاب لو كان النبى الموعود لكان من ولد اسحق
وال عمران موسى وهارون ابنى عمران بن يصهر او عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان
وبين العمرانين الف سنة وثمانمائة على العالمين كلهم فيه دليل على فضل الانبياء

على الملائكة ذرية بعضها من بعض متصلة يتشعب بعض من بعض وقد دخل
في آل ابرهيم رسول الله وفي آل عمران عيسى وكذا في الذرية او في الدين كقوله المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعضهم والله سميع قول اهل الكتاب عليم بمن يصلح
للاصطفاء اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا اذ نصب
باذكرا ومتعلق بسميع عليم على التنازع هذه حنة بنت فاقوذ كانت عقيما وقد
عجزت قال ابن اسحق رأت طاير الطعم فرحه فاشتهت الولد وقالت اللهم ان
رزقتني ولدا احرره لسدانة المسجد الاقصى وكان هذا مشروعا في شرعهم فلما احست
بالحمل قالت هذا الكلام عزما على الوفاء فتقبل مني هذا النذر انك انت السميع
العليم اظهار لاخلاصها فلما وضعتها قالت رب اني وضعتها انثى كان التحرير للسدانه
خاصا بالذكور وكان قولها اني نذرت لك ما في بطني محررا سوالا وطلبا لان يكون الولد
ذكرا بذكر لازمه فلما خاب رجاؤها اظهرت التحزن والتحسر فليس المراد فايدة الخبر ولا لازمها
وانثى في محل النصب على الحال وتانيث الضمير العايد الى ما باعتبار الخبر لان الحال خبر
معنى كانها قالت وضعت ما في بطني انثى من غير اعتبار التانيث في الضمير ليلزم
ان يكون التقدير وضعت انثى انثى والله اعلم بما وضعت بالشي الذي وضعته
تعظيم للمولود ولما يتبط به من عظايم الامور وكونها وابنها اية للعالمين وقرا ابن عامر
وابو بكر وضعت بتاء التكلم كانها سلت نفسها وقالت لعل فيها سرا وليس الذكر كالانثى
ليس الذكر الذي طلبته كالانثى التي وهبتها بل هي اشرف واجل بيان وتفسير لقوله والله
اعلم بما وضعت واللام في الاسمين للعهد خارجا اما الانثى فلسبق الذكر صريحا واما الذكر
فلان ما في بطني كناية عن الذكر بقرينة التحرير وقيل من تمام قولها تحزنا اظهار التفاوت
وليس بوجه بعد التسلية بقولها والله اعلم بما وضعت واني سميتها مريم عطف على اني
وضعتها لان التسمية منها بدليل واني اعيذها بك وما بين المعطوفين جملتان
معترضتان متعاطفتان وذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن
باقامتها مقام الذكر ولم يقبل قبلها انثى للسدانه وصانها وذريتها من مس الشيطان
على ما روى البخاري ومسلم ما من مولود يولد الا مسه الشيطان حين يولد فيستهل صارخا
من مسه الا ابن مريم وامه ولا يلزم من ذلك الاغواء واختصاص بعض المصطفين
بامر لا يوجب تفضيله على الباقين وانبتها نباتا حسنا بين الانبياء والصالحين
وكفلها زكريا كانت تحته خالتها ايشاع بنت فاقوذ اخت حنه وقوله في حديث المعراج
عيسى ويحيى ابنا خالة تجوز بجعل خالة امه خالة له وقرا وكفل بتشديد الفاء الكوفيون وزكريا
بالقصر الا شعبة فانه مده ونصبه والباقون بالتخفيف مع المد رفعا والقصر اخف و
والنسب لموسى وعيسى ويحيى كلما دخل عليها زكريا المحراب لما بلغت مبلغ النساء بنى لها
زكريا غرفة في مقدم المسجد يرقى اليها بالسلم والمحراب كل موضع مشرف عال ومنه محراب

المسجد

المسجد وجد عندها رزقا جواب كلما وناصبه قال يا مريم انى لك هذا فان الابواب
مغلقة قالت هو من عند الله كرامة كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف و
بالعكس ان الله يرزق من يشاء بغير حساب من كلامها او من كلامه تعالى
روى ابو يعلى عن جابر رضي الله عنه ان فاطمة اهدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم
في المجاعة رغيفين وبضعة لحم اثرته بها فرجع اليها بها وقال هلم يا بنية فكشفت
عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فقال انى لك هذا قالت هو من عند الله فقال
الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء العالمين هنالك دعا زكريا ربه في ذلك
المكان او الزمان على ان هنا مستعار له قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة
كان شيخا كبيرا وامرأته عاقرا ولذلك قال من لدنك كقول مريم هو من عند الله
وانما طلب في ابان كبره لقوله اني خفت الموالي من وراي وقيل لما ولدت حنه مريم
وهي عقيم تنبه من رؤيته فاكهة الشتاء في الصيف انك سميع الدعاء دعائي او كل
دعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب لم يبرح من مكانه المنادي جبرائيل
والجمع للتعظيم والذرية فعلية او فعولة من الذر قلبت الهمزة ياء وادغمت وقرا حمزه
والكسائي فناداه لان المونث غير حقيقي والتانيث احسن لعدم الفاصل ان الله
يبشرك بيحيى سماه الله تشريفا له وقرا ابن عامر وحمزه ان بالكسر لان النداء في معنى
القول وقرا حمزه والكسائي يبشر مخففا من البشارة والتشديد ابلغ واكثر مصدقا
بكلمة من الله بعيسى فهو اول من امن به سمي عيسى كلمة لتكونه من كلمة كن او بكتاب الله
وكلامه كقوله وكلمة الله هي العليا واختصاصها باللفظ المفرد عرف طار وسيدا شريفا
في قومه بالتقوى لم يذنب ولم يهم به قط وحصورا انفه عن النساء اشتغالا بالطاعة
لا لافة عنه فانه نقص يصان عنه الانبياء وعن مذام الاخلاق كلها ونبيا من
الصالحين ناشيا من قوم صالحين وصف له بالنسب الفاخر بعد الثناء عليه بالحسب
الزاهر قال رب انى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقرا استعلام لكيفية
حصوله ايكون وهما على حالهما او يعودان شابين كان عمره تسعين سنة وعمر امرأته
ثمانين لا استبعاد من قدرته تعالى كيف وهو طالب ابتداء قال كذلك الله يفعل
ما يشاء على هذه الصفة وهو التوليد من الشيخ الهرم والعجوز العاقر يفعل كل شي تعلقت به مشيته
من غير تفاوت قال رب اجعل لي اية اعرف بها الحبل لاتلقاه بالشكر ويزول عني مرارة
الانتظار قال ايتك الا تكلم الناس ثلثة ايام بلياليها لقوله في مريم ثلث ليال حبس
لسانه عن التكلم الا الذكر الله اسعافا له الى ما ابتغاه لا لافة خرس لقوله في مريم سويا اي
سالما وحذفه هنا لكون تلك اسبق نزولا الا رمزا اشارة اصله التحريك لانه يحصل
من تحريك الحاجب ومنه سمي البحر راموزا والاستثناء منقطع او متصل لانه يفهم منه ما
يفهم من الكلام واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار لانهما اشرف الاوقات واقرب

الى الاجابة او عبر عن الكل بالطرفين واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك
بالقبول ولم يقبل انثى للسدانة قبلها او بالرزق من عنده وطهرك من اقذار النساء
او مما قذفك به اليهود واصطفاك على نساء العالمين بالهداية وبساير الكرامات
روى الترمذي عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين
مريم بنت عمران واسية امراة فرعون وفاطمة بنت محمد عليه السلام وخديجة بنت
خويلد وزاد البخاري وفضل عايشة على النساء كفضل الثريد على ساير الطعام ومن
انكر الكرامة حمل كلام الملائكة اياها على معجزة زكريا او ارهاص نبوة عيسى للاجماع على
عدم نبوة النساء يا مريم اقنتي لربك دومي على طاعته واسجدي وصلي لان السجود
احد اركانها واركعي مع الراكعين وصلي جماعة قدم السجود اما لانه كان كذلك في
شرعهم وليقارن الركوع بالراكعين ولو قال اسجدي مع الساجدين لم يدل على
صلوة الجماعة لان السجود عبادة مستقلة دون الركوع ذلك المذكور من الوقايع
من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم اي ما تحققهم
لا سبيل لنظر العقل اليه وهم ينكرون الوحي والسماع فلم يبق ما يحتاج الى النفي سوى
المشاهدة التي هي اظهر انتفاء فنفيها تهكم بهم مع ثبوت كونه بوحي الله على ابلغ
وجه والاقلام هي التي كانوا يكتبون بها التورية والقاؤها هو للاقتراع بها لما وضعتها
لفتها في خرقة واتت بها الى حجبة بيت المقدس وقالت دونكم هذه النذيرة فتنافسوا
فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فذهبوا الى نهر الاردن وقالوا كل
من ثبت قلمه على الجرية فهو كفيلها فثبت قلم زكريا وذلك لان خالتها كانت عنده
والخالة بمنزلة الام ايهم يكفل مريم اي يلقون ليعلموا او ينظرون لان التعليق
بالاستفهام من خواص الافعال الادراكية والالقاء سبب للعلم والنظر بالبصيرة في
الحجة وما كنت لديهم اذ يختصمون في شانها اخره عن الالقاء لكونه بديعا خارقا اذ
قالت الملائكة يا مريم بدل من اذ قالت الملائكة او اذ يختصمون على ان الاختصام
والبشارة وقعا في زمان متسع كما تقول لقيته سنة كذا ان الله يبشرك بكلمة منه
اسمه المسيح عيسى بن مريم ليس المراد من الاسم ما يقابل اللقب بل ما يقع به الامتياز
وهو مجموع الثلثة لا كل واحد اذ ربما يقع الاشتراك والمسيح عبراني اصله مشيحا ومعناه
المبارك فهو من القاب المدح كالعتيق والفاروق وقيل عربي عن ابن عباس
رضي الله عنه لقب به لانه كان لا يمسح ذا عاهة الا برئ او لانه ممسوح بالبركة او
من الاوزار وانما قال ابن مريم مع ان الخطاب معها لان ذلك هو موجب التبشير
وكونه اية لان الابناء ينسبون الى الاباء ودفع لشبهة النصارى وجيها في الدنيا
بالنبوة والمعجزات الباهرة والاخرة بعلو الدرجة وقبول الشفاعة وانتصابه على
الحال من كلمة لانها نكرة موصوفة ومن المقربين اخص من الوجاهة ويكلم الناس

في المهد وكهلا بلا تفاوت واثار المضارع للدلالة على ذلك والمهد مصدر سمي به ما يمهد فيه
ومن الصالحين من جملتهم وفي عدادهم حال اخرى وهذه الاحوال كلها مقدرة قالت
رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر تعجب او استبعاد لانه على خلاف العادة قال كذلك
الله يخلق ما يشاء القائل جبرئيل او الله وجبرئيل حاك لها ولما كان الولد من غير اب
ابعد من الولد من شيخ وعجوز اثر الخلق على الفعل للدلالة على التقدير اذا قضى امرا اذا
اراده والتعبير بالقضاء للدلالة على اللزوم فانما يقول له كن فيكون فلا استبعاد وقرا
ابن عامر يكون بالنصب على جواب الامر صورة وللرفع احسن معنى واخلاء من التكلف
طوى ذكر الحمل والولادة لذكرهما في سورة مريم وهي سبق نزولا ونعلمه الكتاب والحكمة
والتورية والانجيل عطف على يبشرك بتقدير القول اي ان الله يبشرك ونقول نعلمه
الكتاب وعلى وجيها اي ومقولا فيه نعلمه او على يخلق كذلك وهذا اولى لعدم الفصل
وقرا نافع وعاصم بالياء فلا حاجة الى تقدير القول لكن النون ادل على التعظيم والكتاب
الكتبة كذا عن ابن عباس والحكمة العلم المقرون بالعمل ورسولا الى بني اسرائيل له
المنصوبات المتقدمة في حكم الغيبة وهذا في حكم التكلم لقوله اني قد جئتكم وكذا مصدقا لقوله
لما بين يدي فيضمر القول اي نعلمه ويقول ارسلت رسولا قائلا اني قد جئتكم او لان الرسول
والمصدق فيهما معنى القول كانه قيل وناطقا وهذا اوجه لعدم الحذف اني قد جئتكم
باية من ربكم بانى اي اخلق لكم من الطين اصور بدل من اني قد جئتكم او خبر مبتدا
محذوف اي هو اني او بدل من اية وهو الوجه لدلالته على ذلك بقدرته تعالى وقرا نافع
بالكسر على الاستيناف والمختار الفتح لذلك لا وجه كهيئة الطير كصورته فعلة من هيا
بمعنى تهيا فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله حقيقة الطير ذا روح بارادة الله وتيسيره
وقرا نافع طايرا وهو الطاير وتذكير الضمير باعتبار لفظ الكاف والتانيث في المائدة
باعتبار المعنى وهي الهيئة وابرئ الاكمه الذي ولد اعمى فانه اغرب في الاعجاز والابرص
لعجز الاطباء عن ازالته واحيي الموتى باذن الله يتعلق بالاحياء لانه محل وهم الاستقلال
وقيل بالافعال الثلثة لقوله وتبرئ الاكمه والابرص باذني في المائدة وانبئكم بما تاكلون
وما تدخرون في بيوتكم مما لا سبيل الى معرفته الا بالوحي ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مؤمنين
بالايات ومصدقا لما بين يدي من التورية وهذا شان الرسل يصدق بعضهم بعضا
عطف على رسولا بالوجهين السابقين ولاحل لكم بعض الذي حرم عليكم من عطف الجملة
اي جئتكم باية وجئتكم لاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا ايضا عطفا على باية ويكون الكل
في معنى الحال اي جئتكم ملتبسا باية وكاينا لاحل لكم ومصدقا لما بين يدي فلا يتخلل بين
المعطوفين اجنبي وفيه دلالة على ان شرعه كان ناسخا لشرع موسى ولا ينافي ذلك
حكمه بما في التورية في الجملة كنسخ القران بعضه بعضا وجئتكم باية من ربكم فاتقوا الله واطيعون
ان الله ربي وربكم هذا هو الاية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض ومعنى كون هذا القول

آية انه من علامات النبوة بعد ثبوتها بالمعجزات الباهرة لانه مقول كل الرسل والانبياء
على ان صدوره ممن نشا بين قوم بدلوا الدين وحرفوا الكتاب وقتلوا الانبياء خارق
للعادة ويجوز ان يكون في التورية من جائكم بهذا القول فهو رسول فاعبدوه استكمالا
للقوة العملية كما ان الاول استكمال للقوة النظرية هذا صراط مستقيم اي الجمع بين الامرين
كقوله صلى الله عليه وسلم قل آمنت ثم استقم فلما احس عيسى منهم الكفر تحقق عنده
كالمحسوس قال من انصاري الى الله ذاهبا الى نصر دينه او الجار متعلق بانصاري مضمنا
معنى الضم والاضافة اي من ينصرني مضيفا نفسه الى الله او الى بمعنى في او اللام دون
مع لقوله قال الحواريون نحن انصار الله اي انصار دينه الحواري منسوب الى الحور
وهو البياض الخالص والالف من تغيير النسبة اطلق على خالصة الرجل وخاصته
امنا بالله واشهد بانا مسلمون مخلصون لله ربنا امنا بما انزلت واتبعنا الرسول قائلين
هذا القول باللسان والاعتقاد فاكتبنا مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون
لاتباعهم او الشاهدين بوحدانيتك او مع امة محمد عليه السلام فانهم يشهدون للانبياء
بالتبليغ ومكروا ومكر الله الضمير لمن احس منهم الكفر ومكر الله للازدواج والمشاكلة والله خير
الماكرين لكمال علمه وقدرته اذ قال الله ظرف لمكر الله يا عيسى اني متوفيك ورافعك الى
قابضك من الارض ورافعك الى السماء من توفيت المال استوفيته او موفيك نوما
فانه اخ الموت كقوله وهو الذي يتوفيكم بالليل او رافعك الآن وبعد النزول متوفيك
وتقديمه اهتماما لئلا يتوهم ان بالرفع يتجاوز الموت وقيل اماته الله سبع ساعات وقيل
ثلثة ايام وليس بحق منقول عن اهل الكتاب ومطهرك من الذين كفروا من دنس
اخلاقهم وخبث جوارهم وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيمة هم الذين
امنوا به في زمانه ومن بعدهم الى يوم القيمة ولم يسمع ان اليهود قامت لهم راية بل لم يزالوا
مقهورين تحت السيف والجزية حتى صار مثلا اذل من اليهود ثم الى مرجعكم انت ومن
وافقك ومن خالفك فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون واجازي كلا بموجب عمله
ثم فصل فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة ترتيب عذاب
الدنيا على الرجوع اليه وهو يوم القيمة باعتبار انه من مقدمات عذاب الاخرة وطلايعه
وقيل المرجع اعم من الدنيوي والاخروي والى يوم القيمة غاية الفوقية لا غاية الجعل
والرجوع متراخ عن الجعل وما لهم من ناصرين في الدارين واما الذين آمنوا وعملوا
الصالحات فيوفيهم اجورهم كاملة لسبق رحمته اثر النون على الهمز رمزا الى غلبة رحمته
وقرا حفص بالياء والله لا يحب الظالمين تذييل حسن لان تعذيب المحب محبوب وقد
الم به ابو الطيب في قوله وما الهجر الا الوصل مالم يكن قلى ذلك نتلوه عليك مبتدا وخبر اي
نبا عيسى وغيره من الآيات والذكر الحكيم خبر ان اخر او الذكر القرآن وصف بوصف
من قام به او لاشتماله على الحكم كانه ناطق بها وقيل هو اللوح ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم شانه

كشانه

كشانه تشبيه الغريب بالاغرب حسما لمادة شبهة الخصم والتشبيه انما يقتضي المشاركة في الوصف
المقصود فلا يقدح كون آدم من غير اب وام لكونهما متشاركين في ان وجدا وجودا خارجا
عن العادة ممن قال بالوهية عيسى لكونه من غير اب يحجج بآدم خلقه من تراب قدره
وصوره ثم قال له كن انشاه خلقا اخر انسانا ذا روح فيكون فكان حكاية حال ماضية
وقرا ابن عامر يكون بالنصب على الجواب باعتبار اللفظ الحق من ربك خبر مبتدا
اي المذكور من شان عيسى ومن ربك حال من ضمير الحق مبتدا وخبر اي جنس الحق
من ربك والاول اوجه لان المقصود تقرير كون عيسى كآدم فلا تكن من الممترين
الخطاب له والمراد نهي السامعين او هو من باب التهييج والالهاب فمن حاجك فيه
من بعد ما جاءك من العلم من الدلايل الموجبة للعلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم و
نساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل اي قل لهم كل منكم ومني يدعو نفسه واعزة اهله
ثم نقول بهلة الله على الكاذب والبهلة بالضم والفتح اللعنة فنجعل لعنة الله على الكاذبين
تفسير للابتهال روي البيهقي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة تسع من الهجرة كتب الى
اهل نجران كتابا يدعوهم الى الاسلام ونجران واد باليمن كان فيه مائة وعشرون
قرية مسيرة يوم للراكب المسرع فلما ورد عليهم كتابه ارسلوا اربعة عشر رجلا رؤساهم ثلثة
العاقب والسيد وابو حارثة وافدين لاستعلام خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا عليهم
من اول السورة الى هنا فابوا الا العناد فدعاهم الى المباهلة فواعدوه الى صبيحة الغد
فلما اصبحوا غدا رسول الله صلى الله عليه وسلم محتضنا الحسن اخذا بيد الحسين وفاطمة
تمشي خلفه وعلي خلفها رضي الله عنهم وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف
نجران وهو ابو حارثة يا قوم اني ارى وجوها لو شاء الله ان يزيل بها جبلا من مكانه
لازاله فاني ارى ان تتوادعوا الرجل فقالوا يا ابا القاسم انت على دينك ونحن على
ديننا ولا نباهل فقال اسلموا يكن لكم ما للمسلمين فابوا فقال بيننا وبينكم الحرب
فقالوا ما لنا بحرب العرب طاقة بل نصالحك على ان نؤدي اليك في كل سنة
الفي حلة الف في رجب والف في صفر فكتب بذلك كتابا وسالوه ان يرسل معهم
رجلا امينا يحكم بينهم في اشياء كانوا مختلفين فيها فارسل معهم ابا عبيدة بن الجراح
قال الزهري فهو اول جزية في الاسلام وعن ابي اسحق ان وفد نجران كانوا ستين
راكبا اربعة عشر من اشرافهم وانما دعا الابناء والنساء الى المباهلة لانهم اعز على المرء
من نفسه استظهارا ودلالة على انه موقن بهلاك خصمه واعزته وقدمهم لانهم مفدون
بالارواح لا سيما عند العرب وفي فضل ظاهر لعلي وفاطمة وابنيهما ان هذا لهو القصص
الحق اي الذي قص عليك من نبا عيسى واللام داخلة على ضمير الفصل لانه اقرب
الى المبتدا فهو بالجواز اولى من الخبر وما من اله الا الله رد على النصارى في التثليث
وان الله لهو العزيز الحكيم الغالب المتقن في صنعه ومن تجرد عن الوصفين لا يصلح

للالوهية فكيف بعيسى والنصارى يزعمون ان اذل الخلق وهم اليهود قتلوه فان تولوا
فان الله عليم بالمفسدين اى بهم اثر المظهر للدلالة على انهم معتقدون للعقايد مضلون
ولذلك قال زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قل يا اهل الكتاب تعالوا
الى كلمة سواء بيننا وبينكم عامة فى اهل الكتاب وقيل فى يهود مدينه وقيل فى وفد نجران
ومعنى سواء ان الرسل والكتب متفقون فيه ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا و
لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله تفسير للكلمة فان تولوا فقولوا اشهدوا بانا
مسلمون تعريض بانهم كافرون حيث تولوا عن الحق بعد ظهوره او اشهدوا بانا مسلمون
دونكم كما يقول الغالب جدالا او صراعا اشهد بانى الغالب فقد تدرج فى هذه المناظرة
احسن تدرج ذكر اولا كيفية حدوث مريم التى هى اصل عيسى ثم اطواره التى تقلب فيها
لينافيه للالوهية ثم ازاح شبهتهم بما هو اغرب حالا منه ولما اصروا على العناد وعدم
الانقياد دعاهم الى المباهلة ولما نجحوا عنها اخذ معهم فى نوع آخر من الارشاد وهو ان دعاء
الى ما تطابق عليه الملل ولما ايس منهم احسن المتاركة وقال اشهدوا بانا مسلمون يا اهل
الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما انزلت التورية والانجيل الا من بعده عن ابن
اسحق تنازع نصارى نجران واحبار اليهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ابراهيم
وادعى كل فرقة انه كان على دينهم فنزلت افلا تعقلون ان المقدم لا يكون على
طريق المتاخر وبين ابراهيم وموسى الف سنة وبينه وبين عيسى الفاسنة ها انتم هؤلاء
حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم انتم مبتداء وهؤلاء خبر وحاججتم
جملة مبينة كررها التنبيه لشدة غفلتهم والاشارة للتحقير كانه قال انتم هؤلاء الحمقاء
وبيان ذلكم انكم جادلتم بالباطل فيما له اصل فى كتابكم فكيف تجادلون فيما لا يلتبس
بطلانه على احد وقراء ورش وقنبل هاانتم بالقصر على ان اصله اانتم قلبت الهمزة هاء لاستثقال
الجمع والله يعلم وانتم لا تعلمون فعليكم باتباع رسوله الناطق بوحيه ما كان ابراهيم يهوديا
ولا نصرانيا تصريح بما علم ضمنا مبالغة فى تلخيص الحق ولكن كان حنيفا مائلا عن
الباطل مسلما لله وما كان من المشركين تعريض لمن يدعى انه على ملة ان اولى
الناس بابراهيم للذين اتبعوه اخصهم به واقربهم اليه من الولى وهو القرب وهذا
النبى والذين امنوا من امته افرده مع امته بالذكر وان دخلوا فى الذين اتبعوه
لمزيد الشرف والذين اتبعوه فيما مضى ثم هذا النبى والمؤمنون والله ولى المؤمنين
ناصرهم ومتولى امورهم دعت يهود قريظة والنضير حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية
فنزل ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم اذ بذلك
يضاعف لهم العذاب والا مثالهم الاغبياء وايثار النفس لاتحادهم دينا وما يشعرون
لغاية جهلهم سلبوا الشعور اضل من البهائم يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله الشاهدة
بصدق الرسول مما فى التورية والانجيل من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم او بايات الله

جميعا وانتم تشهدون تجازعن الاعتراف بحقيتها اى تعلمون علما كالمشاهدة يا اهل
الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل تخلطونه به وتكتمون الحق نعت محمد ونبوته اعاد
لفظ الحق ليوقع عليه الكتمان او لانه مغاير للاول وانتم تعلمون وانتم اهل العلم الذين
شانهم الارشاد دون الاضلال او وانتم تعلمون ما على كاتم الحق من الاثم وقالت
طائفة من اهل الكتاب امنوا بالذى انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره
لعلهم يرجعون وجه النهار اوله كقوله من كان مسرورا بمقتل مالك فليات نساءنا
بوجه نهار هذا من مكايد اليهود تشاوروا ان يؤمنوا بمحمد وما انزل عليه فى اول النهار
ويكفروا آخره لعل ان يوقعوا الشك فى قلب من امن ويقول هولاء اهل الكتاب
لم يعلموا ببطلان دينه لما رجعوا وقيل فعلوا لما حولت القبلة قال لهم كعب بن اشرف
صلوا معهم صلوة الصبح الى الكعبة ثم صلوا فى آخر النهار الى الصخرة ولا يؤمنوا الا لمن تبع
دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم اى لا تؤمنوا بان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم من الكتاب ولا تظهروا التصديق بذلك الا لاتباعكم لا للمسلمين لئلا يزدادوا
تصلبا ولا للمشركين لئلا يرغبوا فيه وقوله قل ان الهدى هدى الله اعتراض للرد عليهم
فيما حاولوا بان من اراد توفيقه لا يرده عن الايمان مكايدهم وحيلهم ويجوز ان يتم
الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم وح فى ان يؤتى وجوه اما ان يتعلق بفعل مضمر بتقدير
اللام اى لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم دبرتم ما دبرتم اى ما دعاكم الى ذلك الا الحسد ويؤيده
قراءة ابن كثير ان يؤتى بالاستفهام تقريرا وتوبيخا او ينتصب بمضمر اى لا تنكروا ان
يؤتى احد مثل ما اوتيتم او خبر ان وهدى الله بدل والمعنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد
مثل ما اوتيتم او يحاجوكم به عند ربكم حتى يحاجوكم به فى حكم الله وقضائه فيه حضوا بحجتكم
وعلى الوجوه الاول ومعنى الواو وجهة العدول الدالة على الاستقلال قل ان الفضل
بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل
العظيم اعتراض اخر ابلغ من الاول ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده
اليك ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك اشار الى انهم ليسوا على الضلال
باسرهم بل منهم ذو امانة وديانة كاملة بحيث لو امنته على جملة كثيرة من غير بينة يؤديه اليك
كاملا ومنهم خاين يخون فى اقل شئ ولو طلبته منه انكر الا ما دمت عليه قائما بالبينة والرفع
الى الحاكم او بان تدفع اليه ثم لا تفارقه حتى تاخذه منه فانه لا يقدر على الانكار لوجود العين حاضرة
وقيل نزلت فى عبد الله بن سلام وفنحاص بن عازوراء استودع رجل من قريش عبد الله
بن سلام الف ومائتى اوقية ذهبا فاداه اليه واستودع آخر فنحاص دينارا فجحده وقيل
المامونون النصارى والخونة اليهود وقرا ابو عمرو وحمزه وابو بكر باسكان الهاء فى الوصل
والباقون بالكسر والصلة الا قالون وهشاما من قراه بالصلة فعلى الاصل ومن حذف
الصلة اكتفى بالكسرة الدالة ومن سكن فللخفة وعدم اللبس ذلك بانهم قالوا ليس علينا

في الاميين سبيل اثم وعتاب عن سعيد بن جبير لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كذب اعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة
الى البر والفاجر ويقولون على الله الكذب اي يكذبون في مقالتهم ويكذبون في نسبته
الى الله ثانيا وهم يعلمون انهم كاذبون مزيد توبيخ بلى عليهم سبيل من اوفى بعهده واتقى
فان الله يحب المتقين استئناف تقرر الجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده
راجع الى من والمعنى من اوفى باداء الامانة واتقى الخيانة فان الله يحبه والاتيان بالمظهر
للدلالة على انه بذلك يدخل في زمرة المتقين ومن لم يتصف بالتقوى لا خلاق له من
محبته شيء ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اي يستبدلون بما عاهدوا عليه
من الايمان بالمبعوث وبما حلفوا عليه ليؤمنن به ولينصرنه بالثمن القليل وهو الترؤس
والارتشاء اولئك لا خلاق لهم في الآخرة لا نصيب لهم من الخلافة وهي للملاسة ومنه
الخلفاء للمرأة الرتقاء ولا يكلمهم الله كلام الرضى لقوله فوربك لنسألنهم اجمعين او كناية عن
الغضب والحمل على عدم انتفاعهم بآيات الله وكلامه بعيد بدليل السباق والسياق اما السباق
فقوله في الآخرة واما السياق فقوله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا ينظر اليهم يوم القيمة النظر
تقلب الحدقة محال في حقه تعالى فهو كناية عن الاحسان وتركه عن الاهانة والسخط ولا يزكيهم
كما زكى المؤمنين بالثناء عليهم ولهم عذاب اليم فوق هذه المحن وان منهم لفريقا يلوون
السنتهم بالكتاب يميلونها من الصحيح الى المحرف لم يرضوا بالتحريف والتلبيس على الجهال
حتى جعلوه من حملة كتاب الله لتحسبوه انتم ايها المسلمون الضمير للمحرف من الكتاب
وما هو من الكتاب في شيء ويقولون هو من عند الله صرح بما رمز اليه بالحسبان لئلا يكون
لهم سبيل الى غلط الحاسب وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب مستمرون عليه
وهم يعلمون ذلك لفرط جرأتهم على الله ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم الحكمة
او الحكم بين الناس والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله روى ابن
اسحق عن ابن عباس رضي الله عنه لما اجتمع نصارى نجران واليهود عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ابو رافع القرظي اتريد ان نعبدك يا محمد فقال معاذ الله ما بذلك بعثني فانزل الله
ما كان لبشر ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول هذا القول الرباني منسوب الى الرب اي
كونوا عباده المختصين به لان الشيء ينسب الى ما اشتهر او من اشتهر به والالف والنون من
تغييرات النسب ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيره علماء حلماء حكماء وعن
الحسن فقهاء ماخوذ من قوله بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون واذا كان من
يعلم الكتاب ويدرسه ربانيا فكيف بالانبياء وفيه اشارة الى ان علما لا يفضي الى ذلك
المسبب كلا علم وقرأ نافع وابو بكر وابن كثير يعلمون مخففا من العلم والتشديد ابلغ لكونه
مسبوقا بالعلم وللدلالة الدراسة عليه ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كلام
مستانف والفاعل ضمير الله او بشر وقرأ نافع وابن كثير وابو عمرو والكسائي بالرفع وهو حسن

لان

لان النصب بعيض مقدرا عطفا على ان يؤتيه والضمير لبشر لا غير ولا مزيدة لبعد العهد
وتخلل الفاصل بالاستدراك والمعنى ما استقام لبشر اتاه الله الكتاب اياه وقوله كونوا
عبادا لي من دون الله ولا امره اياكم باتخاذ الملائكة والنبيين اربابا وعدل الى ثم في
الثاني للدلالة على بعد هذا القول عمن اوثر بذلك لا ايتاء او لا على اصلها نافية والمعنى
ما صح ايتاء الله بشر النبوة ثم يقول لكم اعبدوني وينهى عن عبادة امثاله من الملائكة
والانبياء ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وفيه دليل على ان المخاطبين مسلمون لما روي
انهم قالوا له اذن لنا ان نسجد لك واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب
وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه اللام الاولى موطئة وما
شرطية بآتيتكم او موصولة مبتدأ والخبر من كتاب ولتؤمنن به جواب القسم والميثاق
مضاف الى المفعول لما روى ابن عباس رضي الله عنه لما اخرج الله الذرية من ظهر آدم
اخذ الميثاق على الانبياء والرسل ان يقروا بمحمد وان جاءهم يؤمنوا به وعنه وعن علي
بن ابي طالب رضي الله عنهما ما بعث الله نبيا الا اخذ عليه الميثاق بنبوة محمد والايمان
به ان ادركه واذا كان هذا حال الانبياء فكيف بالامم وفيه ذم وتوبيخ للمحرفين وقيل
اضافة الى الفاعل اي اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على الامم وقيل المراد بالانبياء
بنو اسرائيل على طريق التهكم لادعائهم انهم اولى بالنبوة والمعنى ان هؤلاء الذين يدعون
الاولوية قد اخذ الميثاق عليهم بان يؤمنوا بك وقرأ حمزة لما بكسر اللام الجارة متعلقة
باخذ على ان ما مصدرية ومن تبعيضية اي اجل ايتاء بعض الكتاب والحكمة ثم
مجيء رسول الله مصدق او موصولة بحذف العائد كقوله فاصدع بما تؤمر ومن بيانية
وعن الاخفش لما معكم قام مقام العائد واذ نصب باذكر اي اذكر ذلك الوقت
ليظهر للمنكر ما خصك الله به من المقام العالي والرتبة السنية قال أأقررتم واخذتم
على ذلكم اصري اي عهدي سمي به لثقل المحافظة عليه قالوا اقررنا قال فاشهدوا
بعضكم على بعض او ادوا امهدة الشهادة على انفسكم الى الحكم او الى الرسول وانا معكم
من الشاهدين حث على المحافظة على الشهادة بان من لا يخفى عليه خافية مشاركهم فيها
فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون الكاملون في الفسق والخروج
عن الطاعة افغير دين الله يبغون عطف على الجملة السابقة والهمزة للانكار
توسطت داخلة على المفعول لانه محل الانكار او على مقدر اي ايتولون فغير دين الله
يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها طائعين رغبة كالمؤمنين
والملائكة او مكرهين بالسيف ونحوه كنتق الجبل وادراك الغرق والاشفاء على
الموت مسخرين فانهم لا يقدرون على الامتناع عما قضى عليهم واليه ترجعون
وقرأ حفص يرجعون بياء الغيبة وهو وابو عمرو ويبغون كذلك والخطاب هو المختار
توبيخا لهم مكافحة وهو نكتة الالتفات قل آمنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم

واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى والنبيون من ربهم
امر رسوله بان يخبر عن نفسه وعن امته بالايمان بالله وبما انزل عليهم والقران و
ان كان نازلا عليه الا ان امته متعبدون بما فيه كاولاد ابرهيم والاسباط بالصحف
فكان نازلا عليهم ايضا وآية في البقرة قولوا خطابا له ولامته اجلالا له على طريقة
الملوك مع تقدم قل بل ملة ابرهيم صونا عن التكرار والنزول يستعمل بعلى وهو الاصل
لانه حركة من فوق وبالى باعتبار الوصول لا نفرق بين احد منهم في موضع الحال
ونحن له مسلمون منقادون ولذلك آمنا بكل الانبياء والكتب او مخلصون
تعريضا للمنافقين ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه استدل به على
اتحاد الاسلام والايمان فان اريد الاتحاد مفهوما فغير ناهض وان اريد الاتحاد
صدقا في الشرع فتام وهو في الاخرة من الخاسرين لاتلافه راس ماله وهي الفطرة
التي فطر الناس عليها كيف يهدي الله قوما كفروا بعد اسلامهم وشهدوا ان الرسول
حق وجاءهم البينات روى الحاكم والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت
في رجل من الانصار ارتد والعياذ بالله وعن مجاهد نزلت في الحارث بن سويد كفر بعد
الاسلام ثم رجع وحسن اسلامه والمعنى استبعاد هداية الله من كفر بعد الايمان وشهادة
بان الرسول حق وبعد ما جاءه الشواهد من القران وساير المعجزات شهدوا عطف
على ايمانهم لانه بتقدير الفعل مع ان او في موضع الحال بتقدير قد ولا يجوز عطفه على كفروا
لفساد المعنى والله لا يهدي القوم الظالمين لا يوفقهم للايمان اولئك جزاؤهم ان عليهم
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين اي الموصوفون ملعونون من كل احد حتى من
انفسهم فانهم يلعنون المبطل او يوم القيمة يدعون بالثبور ومفهومه وان دل على عدم
لعن غيرهم الا ان المعنى بالنصوص الدالة على لعن الكافر خالدين فيها في اللعنة او في النار
لقوله لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون يمهلون وفيه رد لما يقوله الملاحدة من
انهم يعتادون فلا يحسون بالالم الا الذين تابوا من بعد ذلك واصلحوا ما اخلوا به من
الحقوق فان توبة المرتد لا تسقطها فان الله غفور لما صدر منهم رحيم بقبول توبتهم ان
الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا هم اليهود كفروا بعيسى وازدادوا كفرا بمحمد او امنوا
به قبل بعثته وكفروا به بعده وازدادوا كفرا بالاستمرار على معاداته وعن ابن عباس رضي الله عنه
نزلت في قوم اسلموا ثم ارتدوا ولحقوا بمكة وازدادوا كفرا بان قالوا نتربص بمحمد ريب المنون
لن تقبل توبتهم استدل به الامام احمد على ان من تكرر ارتداده لا تقبل توبته والجمهور
على ان المراد استمراره الى الموت لساير النصوص واولئك هم الضالون طريق الصواب
ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به
ادخل الفاء في الخبر لان الموت على الكفر سبب لامتناع قبول الفدية بخلاف الاية الاولى
فان ايراد الموصول للتحقيق لا للايذان بالاصرار المفضي الى عدم الرجوع والمعنى لا يقبل منه فدية

ولو افتدى بملء الارض فانه غاية الكثرة عرفا اولئك لهم عذاب اليم وما لهم من
ناصرين سد عليهم طريق الخلاص لانه اما بطريق الافتداء او الدفع بالقهر لن تنالوا
البر حتى تنفقوا مما تحبون حث على الانفاق قبل فوات وقته روى البخاري ومسلم لما
نزلت قال ابو طلحة يا رسول الله ارى ربنا يسال من اموالنا وان احب اموالي بيرحاء
فضعها يا رسول الله حيث اراك الله فقال بخ بخ ذاك مال رابح واني ارى ان تجعلها في
الاقربين فقسمها ابو طلحة في الاقربين وتصدق عمر بسهمه من خيبر وجاء زيد بن حارثة
بفرس له واعطاه رسول الله ابنه اسامة فقال زيد انما اردت الصدقة فقال ان الله قد
قبل صدقتك وما تنفقوا من شيء اي شيء كان فلا يستحقر شيء وفي الحديث لا تحقرن
امراة جارتها ولو بفرسن شاة وفيه اتقوا النار ولو بشق تمرة فان الله به عليم فيجازيكم
عليه كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل كل المطعومات والحل مصدر بمعنى الفاعل او بتقدير
مضاف قضية الانفاق كانت مستطردة لمناسبة افتداء الكافرين لا ينفع ثم عاد الى
قبائح القائلين بعدم النسخ ولما تلا عليهم فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات
احلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر قالوا لسنا مخصوصين بذلك بل كانت
محرمة من لدن نوح عليه السلام فكذبهم الله في ذلك الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل
ان تنزل التورية حرم على نفسه لحوم الابل والبانها كانت احب الطعام اليه وكان به
عرق النساء فنذر ان شفاه الله ان يتركها وقيل كان ذلك باشارة الاطباء والاستدلال
به على جواز الاجتهاد للانبياء غير ناهض لجواز كونه بالوحي قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان
كنتم صادقين فان في التورية ان ذلك التحريم خاص بهم فمن افترى على الله الكذب
من بعد ذلك من بعد ظهور ما ذكر فاولئك هم الظالمون الكاملون في الظلم حيث
كذبوا كتابهم الذي امنوا به ولما القمهم الحجر قال قل صدق الله فيما اخبر به في القران والتورية
فاتبعوا ملة ابرهيم حنيفا مائلا عن الباطل خاطبهم على طريق الانصاف حيث لم يقل اتبعوني
بل امرهم باتباع من يفتخرون باتباعه وما كان من المشركين تعريض بهم وتكذيب لهم
في ادعائهم انهم على ملته ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين
اشارة الى حل شبهة اخرى لليهود قالوا كيف يكون محمد على ملة ابرهيم وقد ترك التوجه
الى بيت المقدس الذي هو قبلة الانبياء فاشار الى ان ذلك مما يدل على انه على ملته
لان الكعبة قبلته وهي اقدم من بيت المقدس واشرف روى البخاري ومسلم عن
ابي ذر رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي مسجد وضع اول قال المسجد الحرام قلت ثم
اي قال المسجد الاقصى قلت كم بينهما قال اربعون سنة مكة وبكة اسمان لتلك البلدة
الشريفة وقيل بكة موضع البيت ومكة ساير البلد وهو ظاهر النظم سميت بكة لانها تبك
اعناق الجبابرة اي تدقها وقيل لان الناس يتباكون فيها اي يزحم بعضهم بعضا ولا مكان
اكثر بركة منه كم من تجارة نفقت ورقبة عتقت وهدى للعالمين لانه قبلتهم في صلواتهم

ولما فيه من الايات العظام ولذلك بينه بقوله فيه ايات بينات الضمير للبيت
مقام ابراهيم الحجر الذي غاص فيه قدمه لما قام عليه وصوبنى وقيل لما جاء زايرا قا
له امرأة اسمعيل عليه السلام انزل حتى نغسل راسك لان سارة كانت شرطت عليه
ان لا ينزل وانما صح بيان الجماعة بالواحد لتعدد جهاته غوص القدم والانة الحجر الصلد
وبقاؤه على مر الدهور وتاميلك ان القرامطة اخذوا الحجر الاسود الى بلادهم واعادهم الله
عن المقام اولانه اشار الى جنس الايات بذكر اعظمها وطوى ذكر الاخر لكثرتها منها انحراف
الطيور عن موازاته وضواري السباع تخالط الصيد وكل جبار قصده قصمه الله وقصة اصحاب
الفيل اجلى دليل ومن دخله كان امنا ليس من الايات بل بيان لشرفه والامن اما
في الدنيا على ما ذهب اليه ابن عباس وابو حنيفة من عاذ بالبيت وعليه قصاص لا يتعرض
له ولكن لا يطعم ولا يسقى حتى لا يضطر الى الخروج وهو الظاهر لقوله انا جعلنا حرما امنا
وقوله وامنهم من خوف ولما روى مسلم والبخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة لا هجرة بعد الفتح لكن جهاد ونية ثم قال ان هذا
البلد حرمه الله يوم خلق السموات والارض لم يحل لاحد قبلي وانما احل لي ساعة من نهار
فهو حرام بحرمة الله الى يوم القيمة لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته الا من
عرفها فليبلغ الشاهد الغايب واما في الاخرة لما روى البخاري وغيره من حج ولم يرفث
فكانما ولدته امه اوالمطلق وهو الحسن فيتناولهما وعن ابن مسعود رضي الله عنه
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس يومئذ مقبرة فقال يبعث الله
من هذه البقعة سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا
وجوههم كالقمر ليلة البدر وروى انه قال يؤخذ بالحجون والبقيع وهما مقبرتا مكة والمدينة
وينثران في الجنة ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا الحج لغة القصد
وشرعا هو القصد المخصوص بيتنا او لاشرف البيت والحرم ثم دعا كافة الناس اليه
والحج احد اركان الاسلام بالاحاديث والاجماع والاية وفيها انواع من التاكيد ابراز
الامر به في صورة الخبر والابدال المشتمل على الاجمال والتفصيل ولام الاختصاص واسمية
الجملة وتسمية تاركه كافرا ووجوبه في العمر مرة لما روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه قال
خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ايها الناس ان الله كتب عليكم الحج فقال
اقرع بن حابس اكل عام يا رسول الله فقال لو قلت لوجب ذروني ما تركتكم الحج
مرة وروى الترمذي عن ابن عمر ان رجلا سال رسول الله عن الاستطاعة فقال
الزاد والراحلة وعند مالك قوة البدن كافية لقوله واذن في الناس بالحج ياتوك
رجالا وعلى كل ضامر وقرا حمزة والكسائي وحفص حج البيت بكسر الحاء على انهما لغتان
وعن الزجاج المفتوح مصدر والمكسور اسم والمختار هو الفتح لاتفاقهم في واذن في
الناس بالحج ومن كفر بتركه مستحلا او هو تهديد كقوله من ترك الصلوة عامدا فقد كفر

روى الترمذي عن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ملك زاد
وراحلة ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فان الله غني عن العالمين
دل على غناه عن حجه بطريق البرهان لانه اذا كان غنيا عن العالمين تناوله
لا محالة قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله اذ لم يبق لكم شبهة فضلا عن
حجة والله شهيد على ما تعملون والعاقل لا يرتكب ما لا نفع فيه فكيف ما يجلب سخط
القاهر القادر قل يا اهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن لم
ترضوا بضلالكم حتى تضموا اليه اضلال المسترشدين تبغونها عوجا توهمون الناس
ان فيها اعوجاجا او تبغون انفسكم لطلب المحال يقال بغيتك الشئ اذا طلبته
وانتم شهداء عالمون بانها سبيل الله او انتم موصوفون بالعدالة والديانة بين
ابائكم وما الله بغافل عما تعملون وعيد لهم يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا
من الذين اوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين نوع اخر من مكايد اليهود و
ذلك ان الاوس والخزرج قبيلتان من عرب اليمن من اولاد سبا الذي ضرب به
المثل في قولهم ذهبوا ايدي سبا وكان بين هاتين القبيلتين عداوة قديمة ومحاربات
كثيرة منها يوم بعاث كان الظفر في ذلك اليوم للاوس وكان شاس بن قيس
كثير العداوة للاسلام واهله فمر يوما ونفر من الاوس والخزرج جلوس فغاظه ذلك
فامر شابا كان معه ان يجلس اليهم وينشدهم الاشعار ويذكرهم يوم بعاث فلما
انشدهم وذكرهم تحركت فيهم الحمية وتبادروا الى السلاح عازمين على القتال فبلغ رسول الله
صلى الله عليه وسلم امرهم فخرج اليهم وقال اتدعون بدعوى الجاهلية وانا بين اظهركم بعد
ان اكرمكم الله بالاسلام فعرف القوم انها من نزغات الشيطان فالقوا السلاح وتعانقوا
فلم يكن يوم اقبح اولا واحسن اخرا من ذلك اليوم فانصرفوا ورسول الله بينهم كالبدر
بين الانجم وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله انكار لان يوجد
لهم حال يتصور معها الكفران القران الذي هو هدى ونور يتلى عليهم غضا طريا وفيهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم يشاهدون منه الايات والمعجزات على التوالي ومن
يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم من التجا اليه او من تمسك بدينه فقد حصل
له الهدى لا محالة وجعل الجزاء مع قد لئلا ينقلب مستقبلا يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
حق تقاته اصل تقاة وقاة قلبت واوه تاء كما في تراث وتجاه عن ابن مسعود
رضي الله عنه حق تقاته ان يطاع ولا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى
رواه الحاكم مرفوعا وعن ابن عباس رضي الله عنه ان لا ياخذه الله لومة لايم
وعن بعض العارفين ان يحافظ على الحدود ظاهرا وعلى الاخلاص باطنا
ولا تموتن الا وانتم مسلمون اي لا تكونوا على حال الموت الا على الاسلام
النهي راجع الى القيد كقولك لا تلق الاسد الا وانت في سلاح واعتصموا بحبل الله

جميعا استعارة تمثيلية على اعتبار تشبيه الحالة بالحالة او الحبل مستعار للعهد او
القرآن لقوله تركت فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا القرآن حبل الله
المتين والاعتصام مستعار للوثوق بالعهد او ترشيح لاستعارة الحبل لان اضافته
الى الله قرينة ولا تفرقوا الا تفعلوا شيئا يوجب تفرقكم وفي الحديث يد الله على الجماعة
من شذ شذ في النار واذكروا نعمة الله عليكم اشكروها اذ كنتم اعداء فالف بين
قلوبكم كانت العرب قبل الاسلام متفرقين بينهم التحارب والتغادر فالقى
الله بينهم الالفة والمودة ببركة الايمان والاوس والخزرج داخلان في العموم
فاصبحتم بنعمته اخوانا اي صرتم اخوانا ملتبسين بنعمة الله المراد اخوة الاسلام
وكنتم على شفا حفرة من النار شفا كل شيء حرفه وادي والمعنى لو ماتوا على الكفر
لوقعوا في حفرة من النار وهي قبر الكافر فانها حفرة من حفر النيران فانقذكم منها
من النار او من الشفا وهو لوجه اذ لان الانقاذ منه وتانيث الضمير لان الشفا من
الحفرة كما تقول سقطت بعض انامله كذلك يبين الله لكم اياته مثل هذا البيان
الجلي يبين ساير آياته لعلكم تهتدون لكي تهتدوا الى الحق ولتكن منكم امة
تدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر من فروض الكفاية يجب على الكل ويسقط بفعل البعض كصلوة
الجنازة ودفن الميت وشروط القايم به العلم والاحكام والحدود وكمية التعازير
ويجب على الجاهل التعلم اذا لم يقم به غيره وتختلف باختلاف المذاهب ويكون
واجبا ومندوبا ويكره اذا خاف على نفسه وله ثلث مراتب كما روى البخاري ومسلم
عن ابي هريرة رضي الله عنه من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه وليس وراء ذلك من الايمان حبة خردل وعطف يأمرون
بالمعروف على يدعون من عطف جبرئيل على الملائكة واولئك هم المفلحون اي
الموصوفون هم الكاملون في الفلاح عن حذيفة ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
قال والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر اوليوشكن ان
يبعث الله عقابا ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
نهي اولا عن التفرق وثانيا عن المشابهة بمن تفرق مبالغة من بعد ما جاءهم البينات
الدلايل الواضحة والمراد النهي لاختلاف الناشي عن الاهواء فيخرج عنه اختلاف
المجتهدين واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه انتصاب
يوم بالظرف او باذكر مضمرا او بعظم البياض والسواد على الحقيقة بسيما اهل السعادة
والشقاوة او كنايتان عن السرور والحزن فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم
بعد ايمانكم يوم الميثاق اذ قلتم بلى بعد الست بربكم وقيل هم اليهود والنصارى امنوا به
قبل بعثه فلما جاءهم ما عرفوا كفروا او قيل اهل البدع الذين بدعتهم كفر كالمجسمة والمعطلة

والهمزة للتوبيخ والقائل الملائكة وفايدة القول زيادة العذاب وتوفير حظ السامعة
فذوقوا العذاب امر اهانة بما كنتم تكفرون بسبب كفركم واما الذين ابيضت
وجوههم ففي رحمة الله في الجنة من اطلاق الملزوم وارادة اللازم اشارة الى ان
دخول الجنة بفضل رحمته تعالى لا بالعمل وانما وسط حديث السواد ليكون الفاتحة والخاتمة
بحلية المؤمنين هم فيها خالدون مستانف لبيان حالهم في الرحمة او حال لان
صدر الاسمية ضمير فلا حاجة الى الواو تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق ملتبسة به
وما الله يريد ظلما للعالمين شيئا منه لاحد منهم نفاه نفي لازمه اذ لو وقع كان مرادا له
ودل على ان ظلم العباد بينهم مراد له وان لم يرض به فمن استدل به على انه لا يريد ظلم العباد
بعضهم بعضا فقد زلت به القدم ولله ما في السموات وما في الارض ايجادا وملكا
فكيف يتصور منه الظلم والى الله ترجع الامور فيجازي كلا بما وعد واوعد كنتم خير امة اخرجت
للناس اي في علم الله او في اللوح والخطاب للامة كافة لما روى الترمذي عن بهز بن
حكيم عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انتم تتمون سبعين امة انتم خيرها
واكرمها عند الله وقيل للصحابة وقيل للشهداء والصالحين تأمرون بالمعروف و
تنهون عن المنكر استيناف لبيان الخيرية واللام للاستغراق اي كل معروف
وكل منكر مستمرون على ذلك وبه خرج الامم والاستدلال به على حجية الاجماع غير ناهض
لان قيام واحد او شرذمة كاف في ذلك والاسناد الى الكل لوقوع الفعل بينهم
وتؤمنون بالله باتصافه بكل ما يليق به اخره للدلالة على ان امرهم بالمعروف و
النهي عن المنكر ايمانا بالله وتصديقا به ولو امن اهل الكتاب لكان خيرا لهم لاندراجهم
في زمرة خير الامم منهم المؤمنون كعبد الله بن سلام واكثرهم الفاسقون لن يضروكم
الا اذى باللسان كالطعن في دينكم ودنياكم برثاثة حالكم هذه الجملة وما عطف عليها
والتي قبلها وما عطف عليها وردت على طريق الاستطراد تتميما لبيان حالهم ولم
يعطف احد الاستطرادين على الاخر لكون كل منهما نوعا اخر من الكلام لان منهم
المؤمنون بيان حال الاقل ولن يضروكم هم الاكثرون وان يقاتلوكم يولوكم الادبار
لفرط خوفهم ثم لا ينصرون اي ثم اخبركم انهم لا ينصرون قط ولذلك لم يعطفه على
الجزاء لئلا تتقيد بالشرط وثم للتراخي رتبة فان الاخبار باستمرار الخذلان عليهم اعظم
من الاخبار بتوليهم ضربت عليهم الذلة شبه الذلة بالقبة على طريق الاستعارة
بالكناية والضرب تخييل او شبه احاطتها بهم باحاطة القبة على من فيها استعارة تبعية
اينما ثقفوا اينما وجدوا شرقا وغربا الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء
من اعم الاحوال اي لا عز لهم في حالة الا في حال اعتصامهم بذمة الله وذمة المسلمين وانما
اعاد الحبل لتغاير الذمتين لان حبل الله هو الاسلام وحبل المسلمين هو عقد الجزية
او عهد الله ايفاؤهم بالجزية وعهد المسلمين تقدير كمية الجزية او هو من قبل الله ورسوله

احق ان يرضوه لان الناس هم المؤمنون فيتحد الحبلان وباؤا بغضب من الله
صاروا احقاء به وهو ارادة الانتقام وضربت عليهم المسكنة الفقر اكثر اليهود فقراء
او الذلة في النفس والمسكنة الانكسار ظاهرا كيف لا والتزام الجزية اعزاحوالهم ذلك المذكور
ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله اي المذكور من ضرب الذلة وغيرها كاين بسبب
كفرهم بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق في اعتقادهم يوقنون بان قتلهم
ظلم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك الكفر والقتل بسبب عصيانهم فان
الاصرار على الصغار يفضي الى الكباير والاكباب عليها يؤدي الى الكفر غالبا او ضرب
الذلة مسبب عن الكفر والمعاصي ايضا ليدل على انهم مخاطبون بالفروع ليسوا سواء
اي لا فلون وهم من امن من اهل الكتاب والاكثرون الفاسقون من اهل
الكتاب امة قائمة استيناف لبيان حال الاقلين بعد بيان حال الاكثر ومعنى
قائمة عادلة من قام العود اذا زال عوجاجه او القيام كناية عن التجد بدل عليه وصف
اضداد هم بالكسل يتلون ايات الله اناء الليل وهم يسجدون عبر عن صلوتهم
تهجد ابلتهما وهو الذكر المدلول عليه بالتلاوة والسجود الذي هو اقرب مقامات العبد
في معراجه زيادة تصوير لها وتميزا عن صلوة اهل الكتاب يؤمنون بالله واليوم الاخر
تعريض بمقابلتهم لان ايمانهم بالله واليوم الاخر ليس بايمان ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر ولا يداهنون ويسارعون في الخيرات كلها من فرط رغبتهم لان
من رغب في شئ سارع الى كل ممكن واثر الفور على التراخي اولئك من الصالحين اي
الذين صلحت احوالهم مع الله والخلق او بعض الصالحين معدودون منهم وما تفعلوا
من خير فلن يكفروه اي جزائه ضمن معنى الحرمان ولذلك عدي الى مفعولين وقراء
حمزة والكسائي وحفص الفعلين بياء الغيبة والضمير لاهل الكتاب والخطاب لما التفات
او على سنن كنتم خير امة لان قصة اهل الكتاب معترضة استطرادا والله عليم بالمتقين
حث على الاخلاص وبشارة للمتقين ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون من الاغناء او من العذاب
مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت حرث قوم ظلموا
انفسهم فاهلكته الصر البرد وهو مصدر في الاصل جي به على الاصل وصفة بمعنى البارد ووصف
به الريح الباردة مبالغة او من قبيل التجريد انتزع من الريح ريح باردة كقوله لكم في رسول الله
اسوة وقول الشاعر وفي الرحمن للضعفاء كاف التشبيه من المركب شبه ما كانوا ينفقون
في المكارم والمفاخر لا يبتغون بها وجه الله بالزرع الذي اصابه البرد المفرط قيل او انه فجعله
حطاما او ما كانوا ينفقونه في عداوة رسول الله ولم يبلغوا به مارآموا وانما قيد الحرث
بقوم ظلموا لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ وما ظلمهم الله اي المنفقين بابطال اعمالهم
ولكن انفسهم يظلمون لانهم باشروا اسباب سخط يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة بطانة

الرجل خاصة وصاحب سره ومنه بطانة الثوب لخفائها واستتارها روى البخاري
مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم قال في مدح الانصار الناس دثار والانصار شعار وروى
ابو داود وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله
فلينظر احدكم من يخالل من دونكم من دون المؤمنين صفة ويجوز تعلقه بلا تتخذوا
لا يالونكم خبالا من الالو وهو التقصير يقال لا الوك جهدا على تضمين معنى المنع
فيتعدى الى المفعول الثاني والخبال الفساد ودوا ما عنتم عنتكم وهو اشد الضرر وابلغه
اصله كسر العظم بعد الجبر قد بدت البغضاء من افواههم من فلتات لسانهم من
فرط البغض كالاناء الممتلي وما تخفي صدورهم اكبر مما بدا قد بينا لكم الايات بشرح
احوالهم والجمل المذكورة مستانفات كل منها علة مستقلة للنهي ولذلك ترك تعاطفها
ويجوز ان يكون كل لاحقه علة للسابقة سوى قوله قد بينا لكم الايات فانه لا يصلح
تعليلا للبدو والبغضاء فيكون كلا ما مبتدا او الحمل على الصفة يوهم تقييد النهي بكون
البطانة على هذه الصفات ان كنتم تعقلون وفي ايثار ان وجعل الفاصلة تعقلون
توبيخ على ما وقع منهم من نوع موالاة ها انتم اولاء تحبونهم ولا يحبونكم انتم مبتداء
واولاء خبره والها للتنبيه فان قلت قد تقدم نظيره في محاجة اليهود ها انتم هؤلاء
فلم اقتصر على احدى الهائين هنا قلت دعوى اليهود ان ابراهيم كان يهوديا
نشئ عن فرط الغفلة لان المتقدم لا يعقل ان يكون على مذهب المتاخر فكررت
الهاء لذلك بخلاف مودة المؤمنين لمن لا يحبهم فانه احسان الى غير مستحقه فلم
يكن بذلك البعد وتؤمنون بالكتاب كله حال بتقدير المبتدا من المفعول اي لا يحبونكم
والحال انكم تؤمنون بجل الكتاب او عطف على تحبونهم على معنى ها انتم تجمعون بين
المحبة والايمان بالكتب كلها وهم لا يحبونكم ولا يؤمنون بشئ من الكتب فلا جامع
بينكم وبينهم واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ النادم
والمغتاظ كثيرا ما يعضان الانامل من شدة الاسف والندم قال الحارث بن
ظالم المري فاقتل اقواما لئاما اذلة يعضون من غيض رؤس الانامل وقال الاخر
غيري جنى وانا المعاقب فيكم فكانني سبابة المتندم قل موتوا بغيظكم اي اداموا
غيظا الى ان تموتوا به وذلك بازدياد شوكة الاسلام وارتفاع شانه ان الله عليم
بذات الصدور داخل في مقوله اي قل لهم ان الله عليم بما هو اخفى مما تسرون بينكم
وهو مضمرات قلوبكم التي في الصدور او استيناف منه تعالى يقرر ما اطلعه عليه
من اسرارهم او تذييل لكل ما سبق من قوله ها انتم وعيدا على اضمار مودتهم واطلاعا
لرسوله على نفاقهم وتحذيرا لهم عسى ان يرجعوا والاحسن ان يكون تسلية لرسول الله
صلى الله عليه وسلم برجاء العاقبة وعلو الشان من غير قول ولا مخاطب كانه قال
حدث نفسك بهذا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها لفرط عداوتهم

يحسد ونكم على العاقب أثر في الحسنة المس لانه ادنى الاصابة وفي السيئة الاصابة بلانهم لا يفرحون
بادنى اصابة وان تصبروا على اذاهم وتتقوا موالاتهم او تصبروا على مرارة التكاليف
وتجتنبوا محارم الله لا يضركم كيدهم شيئا ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقرا نافع وابن
كثير وابو عمرو لا يضركم من ضار يضير والمعنى واحد والتشديد اشهر ان الله بما يعملون
محيط علمه فيجازيهم به واذ غدوت من اهلك من حجرة عايشة اي اذكر ذلك
الوقت ليظهر لك ان النصر منوط بالصبر ولما لم يصبروا اصابهم ما اصابهم واليه
اشار بقوله قل هو من عند انفسكم هذه وقعة احد كانت في شوال من سنة ثلث من
الهجرة وذلك ان اباسفيان لما جامع العير وقتل من قتل من اشرافهم ببدر قالوا
نجعل هذه الاموال لقتال محمد فجمعوا الجموع وخرجوا في ثلثة الاف اميرهم ابوسفيان فنزلوا
باحد يوم الاربعاء فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة استشار الاصحاب
فاشار اليه اكثر الانصار بالاقامة بالمدينة وفيهم عبد الله بن ابي راس النفاق قالوا
ما دخل علينا عدو قط الا اصبنا منه وما خرجنا اليه الا اصيب منا دعهم ان اقاموا
اقاموا بشر مجلس لا ماء ولا علف وان قاتلوا قاتلهم الرجال ورمى في وجوههم النساء
والصبيان الحجارة وان رجعوا رجعوا خايبين واشار اليه بالخروج بعض من فاته
بدر واراد الله اكرامه بالشهادة قالوا يا رسول الله اخرج بنا الى هولاء الكلاب لا يرو
انا جبنا فدخل ولبس لامته وظاهر بين الدرعين فندم المشيرون بالخروج قالوا
يا رسول الله افعل ما بدا لك ان شئت اقمت قال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته
ثم يرجع حتى يحكم الله فخرج في الف فلما سار شوطا رجع ابن ابي المنافق في ثلث
الجيش وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم واستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سايرا حتى
نزل بالشعب في عدوة الوادي وجعل ظهره الى احد تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال
مواطن ومواقف يستعمل في مجرد المكان اتساعا كقوله في مقعد صدق وذلك انه
لما اصبح يوم السبت تهيأ للحرب وجعل يصف اصحابه ويسويهم كما يسوى القدح
وامر على الرماة عبد الله بن جبير وهم خمسون رجلا وقال الزموا مكانكم ولا تنضحوا الخيل
ولا تبرحوا مكانكم لنا او علينا وان خطفتنا الطيور وكانت مع قريش مائتا فرس
على ميمنتها خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن ابي جهل والله سميع لاقوالكم عليم
بضمايركم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا ظرف لسميع عليم على التنازع
او بدل من اذ غدوت والطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة الفشل الجبن وموجب
ذلك ان المنافقين لما رجعوا همت الطائفتان بالرجوع وكانت همة لا عزم
معها او كانت عزمة كفرت بالثبات والله وليهما عاصمهما ومتولي امورهما روى
البخاري ومسلم عن جابر فينا نزلت وما يسرنا ان لا تنزل لقوله تعالى والله وليهما
وعلى الله فليتوكل المؤمنون لا على غيره ولقد نصركم الله ببدر اسم ماء سمي باسم صاحبه

بدر بن النار رجل من جهينة اول قتال وقع بين رسول الله وبين المشركين بها
وافق ذلك السابع عشر من رمضان سنة ثنتين من الهجرة اعز الله الاسلام
فيه وحزبه وانتم اذلة ثلثمائة وثلثة عشر اكثرهم مشاة يتعقبون وفيهم فرسان
وسبعون بعيرا والعدو في زهاء الف عدة كاملة على الخيول المسومة فاتقوا الله لعلكم
تشكرون بتقواكم لان نعمة النصرة تقتضي المقابلة بالتقوى شكرا او التقوى
شكر للنعمة مستجلب للنصر فعليكم بها اذ تقول للمؤمنين ظرف لنصركم او بدل
من اذ غدوت على ان هذا القول كان يوم احد ونزول الملائكة كان مشروطا بالصبر
والثبات الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلثة الاف من الملائكة منزلين استفهام
الانكار دخل على النفي فافاد الاثبات وقرا ابن عامر منزلين بفتح النون
وتشديد الزاي بلى ايجاب بعد النفي اي بلى يكفيكم الامداد ثم قال ان تصبروا
وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا اسدا في الان الحاضر من غير ريث مستعار من فور
القدر وهو الغليان يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملائكة مسومين زيادة على
العدد الاول والسومة العلامة عن ابن عباس رضي الله عنه كانت خيولهم معلمة
بالصوف الابيض في نواصيها واذنابها ولم تقاتل الملائكة الا يوم بدر وفي غيره
ان نزلت لم تقاتل وعن هشام بن عروة كانت خيلهم بلقا وعن الزجاج
كانت ثيابهم بيضا وقيل كانت عمايمهم صفرا مرخاة على اكتافهم على صورة عمامة
زبير وفايدته اظهار الشجاع نفسه وعدم الالتباس عند التحام القتال وقرا ابن
كثير وابو عمرو وعاصم بكسر الواو مسومين لان الفرسان هم الذين يسومون
والفتح اشهر وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به اي ما جعل الامداد الا
ليجلب لكم سرورا ولتطمئن قلوبكم بالعدد الكثير وتندفع به وساوس الشيطان
استعارة البشارة من القول للفعل وما النصر الا من عند الله لا من عند
العدد والعدد العزيز الغالب الذي لا يغالب الحكيم في نصر المؤمنين بانزال
الملائكة تارة وبدونه اخرى ليقطع طرفا من الذين كفروا متعلق بنصركم الله على
ان اذ تقول ظرف له لا بدل من اذ غدوت والمعنى نصركم ببدر ليهلك طايفة
من الكفار اوكذا وكذا او بقوله وما النصر الا من عند الله وهذا احسن لعمومه وجريانه
على جنبتي البدل والظرف او يكبتهم يخزيهم يقال كبته بمعنى اصاب كبده بالغيظ
والحرقة فينقلبوا خايبين لم ينالوا خيرا ليس لك من الامر شيء روى البخاري
عن ابي هريرة رضي الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تقنت بعد الركوع
ويدعو على مضر احياء من العرب فنزل ليس لك من الامر شيء وروي ايضا عن
انس رضي الله عنه انه لما كسر رباعيته وشج راسه جعل يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف
يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم فنزل اي انما انت عبد منذر ومامور بالقتال وقد فعلت

ما امرت به كانه عاتبه على استبعاد فلاح القوم لان منهم من آمن كابي سفيان بن
وخالد بن الوليد او يتوب عليهم او يعذبهم عطف على ليقطع وليس لك من الامر شيء
اعتراض بين المتقابلين فان القطع والكبت في العاجل والتوبة والتعذيب في
الآجل ويجوز ان يكون منصوبا باضمار ان عطفا على المجرور او المرفوع اعني الامر او شيء
اي ليس لك من الامر التوبة عليهم او التعذيب وليس لك من التوبة عليهم او تعذيبهم
شيء وعلى الوجهين من عطف الخاص على العام مبالغة في شمول النفي للخاص
وقيل او بمعنى الا اي ليس لك من الامر شيء الا ان يتوب الله عليهم فتسر به او تعذبهم
فتشتفي منهم فانهم ظالمون علة التعذيب ولله ما في السموات وما في الارض
ايجادا وملكا تقرير لقوله ليس لك من الامر شيء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء
لا علة لصنعه ملاك الامر مشيته والتقييد بالتوبة قول بلا دليل ومعارض لما تواتر
من الاحاديث معنى والله غفور كثير الغفران رحيم لا يعاجل بالعقوبة يا ايها الذين
امنوا لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة هذا ايضا من اخلاق الكفار بعد ما نهاهم
عن موالاتهم نهاهم عن الاتصاف باخلاقهم وسلوك سنتهم والتقييد باضعافا مضاعفة
زيادة توبيخ واشارة الى ما كانوا فيه من الطريقة التي لا يرضاها ذو المروة من اكلة
الربوا فلا مفهوم له وقرا ابن كثير وابن عامر مضعفة واتقوا الله فيما نهيتم عنه
لعلكم تفلحون لكي تفلحوا واتقوا النار التي اعدت للكافرين بالاصالة فلا تشاركوهم
في اسبابها واطيعوا الله والرسول مبالغة في الحث على التقوى لعلكم ترحمون
وسارعوا الى مغفرة من ربكم اي موجباتها ووسايلها وقرا نافع وابن عامر
سارعوا بدون الواو اما على الاستيناف على تقدير سوال او حذف العاطف
لعدم اللبس وكذا رسم مصحف المدينة والشام وجنة عرضها السموات والارض
ليس القصد الى تحديد عرض الجنة بل هو كناية عن غاية السعة بما هو غاية في ذلك
في علم السامعين والتمثيل بالعرض لانه اقصر من الطول وعن ابن عباس رضي الله عنه
لو بسطت السموات والارض ووصلت كانت مقدار عرض الجنة واما طولها فلا
يحيط به الا علم علام الغيوب اعدت للمتقين الآتي وصفهم ولا يلزم منه ان لا يدخلها
العصاة من المؤمنين لان المراد انها لهم اعدت اصالة كالنار للكفار الذين ينفقون
في السراء والضراء حالتي الرخاء والشدة او في جميع الاحوال لان الانسان لا ينفك
عن احدهما روي ان عايشة رضي الله عنها تصدقت بحبة عنب والكاظمين الغيظ
يقال كظم البعير اذا رد جرته الى جوفه والمراد عدم امضائه واخفائه وعن ابي هريرة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من تعدون فيكم الصرعة قلنا الذي لا يصرعه
الرجال قال لا ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب والعافين عن الناس
جرايمهم عند القدرة اخص من كظم الغيظ واخفائه من دون العفو وعن ابن عباس

رضي الله

رضي الله عنه اذا كان يوم القيمة نادى مناد اين العافون عن الناس هلموا الى ربكم
خذوا اجوركم والله يحب المحسنين سوالا المذكورين اللام للعهد والاولى الاستغراق
فيتناولهم ويدخلون دخولا اوليا والذين اذا فعلوا فاحشة عطف على المتقين
اي اعدت للمتقين ولهؤلاء التايبين والفاحشة فعلة تناهى قبحها او ظلموا انفسهم
بارتكاب اي ذنب كان ذكروا الله بصفات الجلال والجمال واستغفروا لذنوبهم
رغبة ورهبة ومن يغفر الذنوب الا الله بالغ في الدلالة على سعة رحمته بايثار الاسم
الجامع واستغراق الذنوب باللام وتصدير الكلام بالاستفهام الدال على انه المتفرد بذلك
والاعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه لئلا ينفك المغفرة عن الاستغفار وفي
الحديث التايب من الذنب كمن لا ذنب له والتوبة تجب ما قبلها ولم يصروا على ما فعلوا
ولم يقيموا على المعاصي وهم يعلمون حال من فاعل يصروا على ان حرف النفي منصب
عليهما بمعنى ان عدم الاصرار متحقق البتة حال كونهم عالمين قبح الاصرار اولئك
جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها خبر والذين
اذا فعلوا ان لم يعطف على المتقين والا فكلام مستانف لبيان حال المتقين
والتايبين وقوله والله يحب المحسنين في البين لرفع شان المتقين وليس
في الاية الا ان الجنة اعدت للمتقين والتايبين او للمتقين خاصة والتايبون
اجرهم مغفرة وجنات ولا دلالة في ذلك على عدم دخول المصر الا معفوا وهو
ملغى لان الكلام مسوق لترهيب اكلة الربوا وترغيب في الاقلاع والتقييد
بعدم الاصرار يلايم الغرض وشرط المفهوم عند القائل به ان لا يكون له فايدة اخرى
ونعم اجر العاملين اي المذكور سمي عوض العمل جزاء اولا واجرا ثانيا بالنظر الى
المعطي والعامل قد خلت من قبلكم سنن وقايع الامم المكذبة وطرق هلاكها
المختلفة فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين تروا اثارهم
خاوية بما ظلموا احثهم على الاعتبار بما يشاهدون من احوال امثالهم هذا بيان
للناس من سوء عاقبتهم ان داموا على التكذيب وهدى وموعظة للمتقين
زيادة هدى وتثبيت لهم ويجوز ان يكون قد خلت جملة معترضة حثا على الايمان
وقوله هذا بيان اشارة الى ما لخص من حال المتقين والتايبين ولا تهنوا ولا تحزنوا
عطف على فانظروا تسلية لهم لان النظر الى تلك الوقايع يورث الطمانينة بان
العاقبة لحزب الله كر الى تمام حديث احد بعد توسيط حديث الربوا والدلالة على انه
نوع اخر من حزب الله وحديث الجهاد الاكبر لانه الاعم الاهم وانتم الاعلون شانا لانكم
تقاتلون لاعلاء كلمة الله او لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او اعلون
في العاقبة الا ان حزب الله هم الغالبون ان كنتم مؤمنين اي لا تهنوا ان
صح ايمانكم تعبير لهم لان ما بدا منهم ينافي قوة الايمان او متعلق بالاعلون او فهو بالبشارة

بالعلو فی العاقبة ای انتم الاعلون ان کنتم مصدقین بهذه البشارة ان یمسسکم
قرح فقد مس القوم قرح مثله یوم بدر او یوم احد اول النهار قبل ان یخالفوا امر رسول الله
صلی الله علیه وسلم وقرا حمزة والکسائی وابو بکر القرح بضم القاف علی انهما لغتان
او بالفتح الجراح وبالضم وتلک الایام مبتداء وخبر نداولها بین الناس جملة
موضحة کما فی قولک انت خاتم بجود او حال او خبر بعد خبر والمداولة من الدولة وهی
الکرة والعود والایام اوقات النصر والغلبة والمعنی نجعل النصر تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء
فی حدیث ابی سفیان لما ساله هرقل عن حال حربهم مع رسول الله الحرب بیننا سجال
ولیعلم الله الذین امنوا التمییز الثابت علی الایمان من المتزلزل من اطلاق السبب
وارادة المسبب وتمثیل ای نفعل فعل من یرید ان یعلم الثابت علی الایمان او علما
یتعلق به الجزاء وهو ان یعلم الثابت موجودا فالمعلل محذوف والعلة محذوفة والمعلل
نداولها ای نداولها لیکت وکیت ولیعلم وانما حذفت للدلالة علی ان المصلحة فی ذلک
غیر واحدة ویتخذ منکم شهداء ویکرم منکم ناسا بفضل الشهادة وقیل یتخذ منکم من یصلح
للشهادة علی الامم وفیه ان تلک الشهادة عامة لکافة الامة والله لا یحب الظالمین
اعتراض بین العلل للدلالة علی ان اداله النصر والظفر للکفار تارة لیست لا استدراجا
ولیمحص الله الذین امنوا عطف علی ویتخذ واللام بمعنی کی والتمحیص تخلیص الشیء ای
لیطهرهم من الذنوب قتلوا او قتلوا ویمحق الکافرین یهلکهم المحق نقص الشیء قلیلا
قلیلا فالربح الحالین للمؤمنین ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ام منقطعة انکر حسبانهم
دخول الجنة دون القیام بما امروا به من مشاق التکلیف تصریحا بما عرض به اولا
ولما یعلم الله الذین جاهدوا منکم ای ولما تجاهدوا انفی المعلوم بنفی العلم اذ لو وقع لکان
معلوما له ولما کلم فی نفی الماضی الا ان فیه معنی التوقع فدل علی ان الجهاد المنفی فی
الماضی متوقع فی المستقبل ویعلم الصابرین نصب باضمار ان والواو بمعنی الجمع والمعنی
انکار حسبان دخول الجنة ما لم یتحقق الامران معا ولقد کنتم تمنون الموت اسبابه
هم الذین تخلفوا عن بدر وحرضوا رسول الله علی الخروج الی احد من قبل ان تلقوه
وتشاهدوا شدته فقد رایتموه حین قتل اخوانکم وانتم تنظرون والحال انکم بصراء تشاهدون
ذلک لا علة بکم ولا غفلة وفیه دلالة علی کراهة تمنی لقاء العدو لا الشهادة لما روی
البخاری عنه صلی الله علیه وسلم لولا ان اشق علی امتی لما قعدت خلف سریة ولو
لوددت ان اقتل ثم احیی ثم اقتل ثم احیی ولقد قال عبد الله بن رواحة لما رکب
متوجها الی غزوة موتة وقیل له ردک الله سالما لکننی اسال الرحمن مغفرة وضربة ذات
فرغ تقذف الزبدا او طعنة بیدی حران مجهزة بحربة تنفذ الاحشاء والکبدا حتی یقولوا اذا
مروا علی جدثی ارشدک الله من غاز وقد رشدا ولزوم تمنی غلبة الکفار من تمنی الشهادة
وهم وما محمد الا رسول وما یوم احد عبد الله بن قمئة رسول الله فشجه ونادی الشیطان

فی الناس

فی الناس قتل محمد فحصل بذلک وهن فی الناس ورسول الله فی طائفة من
اصحابه ینادی الی عباد الله فانحازت الیه طائفة فلامهم قالوا فدیناک بآبائنا
وامهاتنا سمعنا انک قتلت والقصر قصر قلب کانهم من شدة تعظیمهم رسول الله
اعتقدوا ان شانه یخالف شان سایر الرسل یدل علیه انه لما انتقل الی جوار الله
قال عمر من قال ان محمدا مات ضربت عنقه بل ذهب الی الله سیعود ویضرب
اعناق رجال حتی جاء ابو بکر فکشف عن وجهه وقال بابی انت وامی لا یمیتک
الله موتتین اما الموتة التی کتب علیک فقد متها ثم قرا علی الناس هذه الناس
فکانهم لم یسمعوها قیل فلم یبق رجل الا شرع یتلوها وقیل قصر افراد کانهم اعتقدوا
جمعه بین الوصفین الرسالة والتبری من الموت وعلی هذا قد خلت من قبله الرسل
ابتداء کلام وعلی الاول وصف رسول افان مات او قتل انقلبتم علی اعقابکم الهمزة
للانکار والفاء لربط مضمون الجزاء بعد تقییده بالشرط بالجملة التی قبلها وهی وما
محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ای اجعلتم خلو الرسول من قبله سببا
لانقلابکم علی الاعقاب بعد خلو محمد کان الواجب علیکم عکس ذلک وهو التمسک
بدینه بعده وقدم الموت مع ان الکلام فی القتل لانه الذی لا بد منه والقتل
احد اسبابه ومن ینقلب علی عقبیه فلن یضر الله شیئا من الضرر او من الاشیاء
لتعالیه وغناه وسیجزی الله الشاکرین نعمة الاسلام مدح الثابتین فی ذلک
الیوم لما فشا خبر قتله قال انس بن النضر یا قوم ان کان قتل محمد فان رب محمد
حی لا یموت فقاتلوا علی ما قاتل علیه وموتوا علی ما مات علیه ثم شد بسیفه وقاتل
حتی قتل وفیه نزل من المؤمنین رجال صدقوا ما عاهدوا الله علیه ولکل شاکر فید خل
فیهم الثابتون دخولا اولیا وما کان لنفس ان تموت الا باذن الله بقضائه
لا الاقدام بدینه ولا الاحجام یقضیه فیه تشجیع لهم لما کان الموت قایما بالنفس اخرجه
مخرج فعل لها کتابا مؤجلا مصدر موکد لان المعنی کتب کتابا مؤجلا له وقت معین
لا یتقدم ولا یتاخر ومن یرد ثواب الدنیا نؤته منها تعریض بالذین خالفوا رسول
الله صلی الله علیه وسلم وترکوا المرکز لئلا یفوتهم الغنیمة ومن یرد ثواب الاخرة نؤته منها
مدح الثابتین والذین قالوا الا نخالف قول رسول الله قدم ثواب الدنیا لان
الکلام فیه واخره فی سورة الشوری لسوق الکلام فی الترغیب وقرا ابو عمرو وحمزة
وابو بکر باسکان هاء نؤته فی الموضعین وسنجزی الشاکرین اعاده بنون العظمة
مبالغة فی الاعتداد بفعلهم وکاین اصله ای دخل علیها کاف التشبیه والنون اصله
التنوین کتب نونا علی غیر قیاس وقرا ابن کثیر وکاء علی وزن فاع ووجهه قلب
الیاء الی مکان الهمزة ثم حذف احدی الیائین وقلب الاخری الفا وعلی الوجهین
معناه الکثرة من نبی بیان قاتل معه ربیون کثیر العلماء والعباد منسوب الی الرب

والكسر لتغيير النسب وقيل منسوب الى الربة وهي الجماعة وقرا نافع وابن كثير وابو
عمرو قتل مجهولا والربيون قايم مقام فاعله وهذا ابلغ لان القتل يستلزم المقاتلة
دون العكس وقيل في قتل ضمير النبي ومعه ربيون جملة حالية وليس يقوى لما
روي عن الحسن انه لم يقتل نبي في الحرب ولان الكلام في نعمة من نزل يوم
احد ولم يثبت ثبات الربيين مع الانبياء فما وهنوا لما اصابهم في سبيل الله
الوهن ضعف الرأي والبصيرة كقول علي لا واهن في عزم وما ضعفوا عن مبارزة
القتال وما استكانوا وما خضعوا كما خضعتم تعريض بمن تذلل منهم قال بعض
المؤمنين ليت عبد الله بن ابي اخذ لنا من ابي سفيان عهدا والله يحب الصابرين
لاسيما في مواطن الحرب وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا
في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين وما كان قولهم الا هذا القول
وهو نسبة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما واستقصارا و
قدم الاستغفار على طلب النصرة ليكون اقرب الى الاجابة لوقوعه بعد زكاء وطهارة
واتفقوا على نصب قولهم خبرا والفعل المأول بالمصدر اسما وذلك لان ماكان
معلوما مستحق بجعل محكوما عليه كما في اخوك زيد تارة وزيد اخوك اخرى فكان ذلك
القول المخصوص معلوم والمجهول كونه قولهم فخصر قولهم في ذلك المخصوص لا يتجاوزه
مدحالهم وقيل لان الفعل لدلالته على النسبة وزمان الحدث اعرف وفيه ان لا عرفية
لا تقتضي ذلك كما في زيد اخوك فان المضاف الى الضمير اعرف من العلم مع ان الفعل
في تأويل المصدر المضاف فيتساويان على انه غير مطرد لقوله ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
برفع فتنتهم في قراءة ابن كثير وابن عامر وحفص فاتاهم الله ثواب الدنيا بالنصر وطيب
الذكر والثناء عليهم وحسن ثواب الاخرة زاد لفظ الحسن دلالة على انه المعتد به وثواب
الدنيا انموذج او طليعة له والله يحب المحسنين تذييل لما هو افضل من كل ثواب
يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين
تقدم ان ناسا من المسلمين قالوا ليت عبد الله بن ابي اخذ لنا عهدا من ابي سفيان
فالذين كفروا عبد الله ومن تابعه والمنافقون قالوا ارجعوا الى دين آبائكم لو كان
نبيا لم يصبه ما اصابه واليهود قالوا هو بشر مثلنا يوم له ويوم عليه والخطاب للمؤمنين
كافة بان يجانبوا الكفار ولا يطيعوهم في شيء بل الله مولاكم ناصركم وهو خير الناصرين
لا نصر الا من عند الله فلا حاجة بكم الى غيره سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب
لما انصرف المشركون نادى ابو سفيان رسول الله وقال يا محمد يوم بيوم بدر والحرب
سجال بيننا موسم بدر في العام القابل ان شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان شاء الله فلما كان موسم بدر خرج رسول الله وفاء بوعده ولم يخرج ابو سفيان القى الله
الرعب في قلبه وضم عين الرعب ابن عامر والكسائي وهما لغتان والاسكان اخف

اخف بما اشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا برهانا ليس المعنى ان للشرك برهانا لو انزله تم
دعواهم بل هو من قبيل لا ضب بها ينجحر اي لا ضب ولا انجحار وفائدته ان لو كان له دليل
انزل لقوله ما فرطنا في الكتاب من شيء وماويهم النار مرجعهم وبئس مثوى الظالمين
النار ولقد صدقكم الله وعده بالنصر اذ تحسونهم تقتلونهم قتل استيصال من حسه ازال
حسه باذنه بتيسيره حتى اذا فشلتم جبنتم حتى ابتدائية داخلة على الجملة وجواب اذا محذوف
اي منعكم نصره وتنازعتم في الامر حين انهزم المشركون قال بعض الرماة نذهب الى الغنيمة
وقال اميرهم لا نبرح ولا نخالف قول رسول الله وعصيتم من بعد ما اريكم ما تحبون من النصر والظفر
منكم من يريد الدنيا الذين طلبوا الغنيمة ومنكم من يريد الاخرة الذين ثبتوا ثم صرفكم عنهم
حتى قتلوا منكم سبعين رجلا وقتلوا امير الرماة فانه ثبت مكانه مع سبعة ليبتليكم ليعاملكم
معاملة المختبر ولقد عفا عنكم ما فرط من العصيان والله ذو فضل على المؤمنين في الاحوال
كلها بالنصر او بالجزاء اذ تصعدون منصوب باذكروا اي اذكروا ذلك الوقت ليعلموا قبح
فعلكم وفضل الله عليكم بالعفو او متعلق بصرفكم او ليبتليكم والاصعاد الابعاد في الارض ولا
تلوون على احد لا تلتفتون عطفا ورقة على احد من شدة خوفكم والرسول يدعوكم في اخريكم
في ساقتكم والجماعة المتأخرة يناديكم الى عباد الله من كر فله الجنة فاثابكم غما بغم مضاعفا
متصلا بغم من الجرح والقتل والارجاف بقتل رسول الله او اثابكم غم الانصراف والانهزام بسبب
ما اذقتم رسول الله غم المخالفة لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم لكي تتمرنوا على الشدايد فلا
تحزنوا فيما بعد على نفع فايت ولا ضر لاحق وقيل في اثابكم ضمير الرسول اي واساكم في الاغتمام
كما اغتممتم لاجله لما اصابه من الشج وكسر الرباعية اغتم لاجلكم ولم يثرب على عصيانكم لئلا
تحزنوا على الفايت من النصر ولا على ما اصابكم من الانهزام والله خبير بما تعملون ببواطن
اعمالكم حث على الاخلاص ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا روى البخاري عن
ابي طلحة قال اخذني النعاس ونحن في المصاف حتى وقع السيف من يدي مرارا وعن
ابن مسعود النعاس في القتال من الله وفي الصلوة من الشيطان والامنة مصدر كالامن
نصب على المفعول ونعاسا بدل منه او حال مقدم ونعاسا هو المفعول وهذا اوجه لقوله في
الانفال اذ يغشيكم النعاس امنة او مفعول له او حال من المخاطبين بتقدير مضاف اي
ذوي امنة او على انه جمع آمن يغشى طائفة منكم اي النعاس وقرا حمزة والكسائي بالتاء
مسندا الى ضمير امنة والتذكير احسن لقربه ولقوله في الانفال يغشاكم النعاس وطائفة
مبتدأ والخبر محذوف اي وثمة طائفة او فيكم طائفة على ان الخطاب للفريقين او الخبر
قد اهمتهم لان النكرة موصوفة تقديرا اي وطائفة اخرى او قد اهمتهم ويظنون هو الخبر
والواو للحال نص عليه سيبويه والاحسن العطف على الفعلية للدلالة على حدوث الامن
للمؤمنين واستمرار الخوف للمنافقين قد اهمتهم انفسهم صارت مهمة لهم ليس لهم مهم
غيرها او اقلقهم واوقعتهم في الهموم يقال اهمه الامر اذا كان مهما له واهمه اقلقه يظنون

بالله غير الحق صفة اخرى لطائفة او حال من المفعول او استئناف بيان لما قبله
وغير الحق نصب على المصدر ظن الجاهلية بدل منه اي ظنا مختصا بالجاهلية يقولون
هل لنا من الامر من شيء استئناف او حال او بدل من يظنون لان السؤال لما كان
صادرا عن الظن بناء على انه طلب علم فيما يشك او يظن جاز ابداله منه اذ الظن
او العلم متعلق بالمقال في جواب ذلك الاستفهام فلا يلزم كون الاستفهام ترجمة
للخبر قل ان الامر كله لله النصر والظفر لاوليائه كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقرا
ابو عمرو كله بالرفع على الابتداء والنصب اظهر لظهور كل في التاكيد يخفون في انفسهم
ما لا يبدون لك حال من فاعل يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض او استيناف
وهو الوجه لقلة الاعتراض بين الحال وصاحبه ولفوايد الاستيناف يقولون لو كان
لنا من الامر شيء بدل من يخفون يدل على ان سؤالهم لم يكن سؤال مسترشد عن
الزبير كنت انعس في المصاف سمعت معتب بن قشير يقول هذا الكلام ما قتلنا ها هنا
في المعركة قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم الى مصارعهم
والاماكن التي قتلوا فيها لان قضاء الله لا يرد وعلمه لا يتغير وليبتلي الله ما في صدوركم
عطف على علة محذوفة مع معللها اي فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء ما في صدوركم من
الاخلاص والنفاق والابراز سرايرها وليمحص ما في قلوبكم ليخلصه ويخلصه من الوساوس
والله عليم بذات الصدور بمضمراتها التي هي اخفى من السر حث على الاخلاص ان الذين
تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الاستزلال طلب الايقاع
في الزلل من زلت به القدم وهو التعلق منا والمعنى ان الذين فروا من القتال وقت
التقاء الفريقين انما اوقعهم الشيطان في ذلك لاجل ذنوب كسبوها سابقا والذنب يجر
الى الذنب او لم يستحقوا التاييد الالهي لاجلها او لاجل ذنب المخالفة وترك المركز وهذا
هو الوجه دل عليه قوله حتى اذا فشلتم وقوله قل هو من عند انفسكم وما قيل ذكرهم الشيطان
الذنوب السابقة فكرهوا لقاء الله تعالى معها فاخروا الجهاد الى ان يتوبوا منها فكالمحال
وكيف يعقل من امثالهم ترك رسول الله واخوانهم تحت سيف العدو خوفا من ذنوبهم
وهل توبة اقوى من الثبات في ذلك الموطن والتقييد بالبعض لقوله ويعفو عن كثير
ولقد عفا الله عنهم لما ندموا ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالانتقام يا ايها
الذين امنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض او كانوا غزى
لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا كان الكفار والمنافقون لجهلهم بالقدر اذا مات احد
من اخوانهم في سفر او قتل في غزوة قالوا لو كان مقيما سلم فنهى الله المؤمنين عن مثل
ذلك الاعتقاد وحسن موقعه بعد ذكر استزلال الشيطان وانما جاز ان يكون اذا ضربوا
ظرفا لقالوا مع ان المستقبل لا يكون ظرفا للماضي لان المعنى لا تكونوا كالذين كفروا
اذا ضربوا اخوانهم في الارض وماتوا قالوا لو كان عندنا ما ماتوا وفائدة التقديم بت القول

بالوقوع

بالوقوع ويجوز ان يكون اذا ظرفا للاحوال العارضة لهم دون القول كانه قيل قالوا لاجل
الاحوال العارضة لهم اذا ضربوا وعن الزجاج اذا لمجرد الوقت وغزى جمع غاز كعفى جمع
عاف ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم ذلك الاعتقاد الفاسد غصة وغما اللام للعاقبة
كقوله ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا مثلهم ليجعل ذلك الاعتقاد خاصة حسرة في قلوبهم
والله يحيي ويميت ابطال لذلك الوهم والله بما تعملون بصير تهديد للمؤمنين عن
تخيل مثله وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي يعملون بالغيب وعيد للمنافقين والخطاب
احسن لوقوعه بعد نهي المؤمنين ولقوله ولئن قتلتم في سبيل الله او متم لمغفرة من الله
ورحمة خير مما يجمعون اللام الاولى موطئة والثانية جواب القسم الساد مسد جواب الشرط
والمعنى ان ما تنالونه بالموت والقتل في سبيل الله من المغفرة لذنوبكم والرحمة المدخرة لكم
خير مما تجمعونه من الحطام الفاني لو سلمتم وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر متم بضم
الميم في جميع القران وحفص وافق هنا وهو افصح واكثر وقرا حفص يجمعون بالياء الغيبة
اي مما يجمعه المنافقون ولئن متم او قتلتم لالى الله تحشرون لا الى غيره قدم القتل اولا
لان الكلام فيه واحق بالمغفرة والرحمة واخره ثانيا لان المحشور موتا اكثر فبما رحمة من
الله لنت لهم اي بعد ما وقع منهم ما وقع ما لنت لهم الا برحمة وافرة من الله وهو
ربط على جاشك وتوفيقك للرفق بهم فلم تثرب بل اغتممت لاجلهم وزيادة ما للتاكيد
ومعنى الحصر ولو كنت فظا سيء الخلق غليظ القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا
عنك مخافة اللوم والمؤاخذة فاعف عنهم فيما يتعلق بك واستغفر لهم فيما يتعلق
لله وهو الفرار من الزحف وشاورهم في الامر اي امر كان تطييبا لقلوبهم وفي امر الحرب
ولم يزل كان يشاورهم قبل نزول الاية وكانه لما شاورهم قبل نزول الاية وكانه لما شاورهم
في قصة احد فاشاروا بالخروج ثم فروا كان مظنة ان يترك مشاورتهم ولئلا يكون سنة
في امته وعنه ما ندم من استشار ولا خاب من استخار وقد ذهب بعض العلماء الى وجوب
المشاورة عليه بعد نزول الاية فاذا عزمت فتوكل على الله اذا جمعت رايك بعد المشاورة
فتوكل علي والعدول الى المظهر لانه اسم الجامع لصفات الجمال والجلال له شان في مقام
الوعد والوعيد لا يخلى به في موارد هما وقرا جعفر الصادق فاذا عزمت بتاء التكلم اي اذا
عزمت لك امرا جازما فلا تشاور فيه احدا ان الله يحب المتوكلين عليه للامر ان ينصركم الله
فلا غالب لكم اذ لا ناصر الا من عنده وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده
غير الاسلوب لما في من ذا من الاستبعاد كقوله من ذا الذي يشفع عنده وعلى الله
فليتوكل المؤمنون كلهم لايقانهم بان لا موثر سواه وما كان لنبي ان يغل يقال
غل واغل اخذ شيئا من الغنيمة خفية اصله الخفاء ومنه غل الصدر روى ابو داود والترمذي
عن ابن عباس رضي الله عنه ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض الصحابة
رضي الله عنهم لعل رسول الله اخذها لنفسه فنزلت تنزيها له وعن مقاتل نزلت في الرماة

لما تركوا المركز وقالوا لا نخاف ان يقول من اخذ شيا فهوله فلما عاتبهم قال ظننتم
انا يغل وما قيل خافوا ان لا يقسم كما لا يقسم يوم بدر فاسد الاصل وقرا نافع وابن
عامر وحمزة والكسائي يغل بضم اليا والمعنى يوجد غالا او ينسب الى الغلول ومن يغلل
يات بما غل يوم القيمة بعينه يحمله بعيرا او شاة رواه البخاري ومسلم روى ان اعرابيا
كان قد سرق نافجة مسك فلما سمع الاية قال الحمد لله احملها طيبة الريح خفيفة المحمل
ثم توفى كل نفس ما كسبت غلولا وغيره ولذلك اورده عاما وهم لا يظلمون بزيادة
او نقصان افمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله فليس كذلك بل بينهما
بون بعيد وماواه جهنم وبئس المصير جهنم حذف المخصوص هم درجات عند الله
ذووا درجات حذف المضاف او لهم درجات حذف الجار او شبهوا بالدرجات
في التفاوت والدرجة منزلة لوحظ فيها العلو كما لوحظ في الدركة النزول ففيها تغليب
والله بصير بما يعملون لا يخفى عليه منه شي لقد من الله على المومنين اذ بعث فيهم رسولا
من انفسهم عربيا مثلهم يعرفون نسبه وصدقه وامانته فلا نعمة اجل منه وقرى من
انفسهم اي اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان
وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وهاشم ذروة قريش
ومحمد ذروة هاشم يتلوا عليهم اياته دلايل وحدانية الله على الاستمرار بين اظهرهم يراجعونه
في كل مشتبه ويزكيهم من دنس الطبايع بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ويعلمهم
الكتاب والحكمة القرآن والسنة او يتلوا عليهم ايات كتابه الدالة على نبوته ويعلمهم
معانيها واحكام الشرع وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ان مخففة والجملة في موقع
الحال او استيناف اولما اصابتكم مصيبة قد اصبتم مثليها يوم بدر قتلوا منهم سبعين
واسروا سبعين قلتم انى هذا كيف نصاب ونحن موعودون بالنصر لما ظرف مضاف
الى الجملة بعده والواقع موقع الجزا ناصبة قلتم انى هذا مقول القول اي قلتم حين اصابتكم
والواو عاطفة اما على مقدر نحو افعلتم كذا او على قوله لقد صدقكم الله لان ما في البين
كله قصة احد والهمزة متخللة بين المعطوف عليه والمعطوف للتقرير والتقريع على
ما تضمنه المعطوف قل هو من عند انفسكم بترككم المركز ومخالفتكم الرسول او بخروجكم من
المدينة وروى عن علي باخذكم الفداء يوم بدر ان الله على كل شي قدير فيقدر على ان
نصيب بكم مرة ومنكم اخرى وما اصابكم يوم التقى الجمعان الفريقان يوم احد
فباذن الله بارادته وقضائه ودخول الفا لتضمن المبتدا معنى الشرط على معنى ان
ذلك سبب لاخبار بانه من الله نحو وما بكم من نعمة فمن الله وليعلم المومنين وليعلم
الذين نافقوا اي فعل ذلك ليمتاز الفريقان وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله
من تمام الصلة عطف على نافقوا او كلام مستقل عطف على وما اصابكم او ادفعوا عن
اموالكم ان لم تقاتلوا النصرة لدين الله او كثروا سواد المومنين فانه مما يردع العدو القاتل

عبد الله بن عمرو ابو جابر قاله لابن ابي لما انخزل بثلث العسكر قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم
جحدوا ان يكون لهم علم بالقتال راسا او خطاوا رسول الله والمومنين بان القتال
يقتضي نوع تكافوء ورجاء غلبة وما هم فيه القاء النفس الى التهلكة هم للكفر يومئذ اقرب
منهم للايمان اي اقربهم من الكفر في ذلك اليوم يزيد على قربهم من الايمان لانهم قبل
ذلك لم يتظاهروا بالكفر بل كانوا مذبذبين او يقدر مضاف اي لاهل الكفر اقرب نصرة
لان تقليل سواد المومنين تقوية لاهل الشرك يقولون بافواههم ما ليس في قلوبهم هو
قولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وما بينهما اعتراض والله اعلم بما يكتمون منكم لانكم تعلمون
بامارات ومخايل وهو يعلم تفاصيله الذين قالوا لاخوانهم لاجلهم الموصول بدل من
الذين نافقوا او رفع او نصب على الذم او بدل من واو قالوا او المجرور في بافواههم
وابدال المظهر عن ضمير الغايب شايع كقول الفرزدق على حالة لو ان في القوم حاتما
على جوده لضن بالماء حاتم يجر بدلا من الضمير المجرور وقعدوا والحال انهم قعدوا عن
القتال لو اطاعونا ما قتلوا قل فادرأوا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين لان
انفسكم امتم والموت هو المهروب منه لان القتل احد اسبابه الجمهم الحجر لانهم مع شدة
عنادهم لا يقدرون على انكاره ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا نزلت
في شهداء بئر معونة وكانوا سبعين رجلا وقيل في شهداء احد والحكم عام الخطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لاي مخاطب كان وقرا هشام في وجه يحسبن بالغيب
اي حاسب او مسند الى الذين قتلوا والمفعول الاول محذوف اي لا يحسبن الشهداء
انفسهم امواتا والخطاب احسن لما روى ابن عباس رضي الله ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لما اصيب اخوانكم جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد
انهار الجنة وتاكل من ثمارها وتاوي الى قناديل من ذهب معلقة تحت العرش
فقالوا من يبلغ اخواننا ما نحن فيه فخوطب رسول الله واخبر بحالهم وقرا هشام قتلوا
اولا وابن عامر ثانيا بالتشديد والتخفيف اظهر لانه مدار الحكم بل احياء عند ربهم قربا
ورتبة يرزقون الكلا وشربا كساير الاحياء فرحين بما اتيهم الله من فضله من
القرب والكرامة ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الذين تخلفوا من اخوانهم
او بكافة المسلمين الى آخر الدهر لما شاهدوا ما اعده الله للمومنين الا خوف عليهم ولاهم
يحزنون بدل اشتمال من الذين اي يستبشرون بعدم الخوف والحزن لمن خلفهم آثر
المضارع في الرزق والاستبشار لانهما على التجدد حسا وحيا بخلاف الفرح فانه لازم مستمر
والاية صريحة في انهم احياء بالابدان ابدلوا ابدانا خيرا من اجسادهم لان الترغيب في الجهاد
انما يكون بذلك والا فارواح المومنين في عليين منعمة نطق به الكتاب والسنة وقوله
تعالى في آل فرعون النار يعرضون عليها دليل على ان العرض للارواح والاجساد معا
على ان الارواح ايضا اجسام لطيفة فيجوز ان يكون الفرح والترح لها وفيه احما ولمن يتهنى

لاخيه المؤمن خير الحار رواه البخاري لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه يستبشرون
بنعمة من الله ثواب جزيل وفضل زيادة على جزاء اعمالهم وان الله لا يضيع اجر المؤمنين
من تمام المستبشر به عطف على فضل يؤيد ان الذين لم يلحقوا بهم هم المؤمنون كافة
وقراء الكسائي ان بالكسر على الاستيناف وهو ابلغ وفيه اشارة الى ان ما نالوه من
رتبة الشهادة بايمانهم الكامل وسعيهم في اسباب الشهادة الذين استجابوا لله والرسول
من بعد ما اصابهم القرح صفة للمؤمنين او نصب على المدح او مبتداء خبره للذين احسنوا
لما رجع المشركون من احد قالوا فيما بينهم لا محمدا قتلتم ولا الكواعب اردفتم بئس ما صنعتم
وهموا بالرجوع فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فنادى في الناس بالخروج الى المشركين
وقال لا يخرج الا من كان معنا بالامس فقال جابر فكان لم يشهد يا رسول الله خلفني ابي
على سبع اخوات فاذن له فخرج في اثارهم حتى بلغ حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية
اميال والقى الله الرعب في قلوب المشركين فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه
سالمين فايزين بالثناء من الله روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها انها قالت لعروة
بن الزبير ابوك وجدك ابو بكر ممن استجابوا لله والرسول وقراء ابو بكر وحمزه والكسائي
بضم القاف وقد سبق انهما لغتان للذين احسنوا منهم بالخروج واتقوا مخالفة رسول الله
اجر عظيم لا يعلم قدره غير الله الوصف للمدح ومن بيان لان كلا منهم محسن الذين
قال لهم الناس ركب عبد القيس وقيل نعيم بن مسعود الاشجعي ان الناس قد جمعوا لكم
اي ابا سفيان فالمعرفة المعادة ليست عين الاول ولا اللام اشارة الى المذكور بل الى
ما يعرفه المخاطب فاخشوهم فزادهم ذلك القول ايمانا حيث لم يعتدوا به فازدادوا يقينا
او كمالا لان الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما اصابهم القرح من افضل الطاعات
وقالوا حسبنا الله كافينا ونعم الوكيل الموكول اليه معترضة او تذييل فانقلبوا بنعمة من الله
ثواب جزيل وفضل وربح وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما واعد ابا سفيان
ان يلاقيه ببدر وخرج ولم يخرج ابو سفيان وكان للعرب في ذي القعدة موسم ببدر فوافاه
رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم فباعوا وكسبوا ربحا لم يمسهم سوء
من العدو واتبعوا رضوان الله باتباع رسول الله والله ذو فضل عظيم من ذلك بان ثبت
به على هؤلاء وفيه تخيير للقاعدين وتخطئة لرايهم انما ذلكم الشيطان اشارة الى القائل
ان الناس قد جمعوا لكم والشيطان خبر او صفة على التشبيه واشارة الى القول بتقدير المضاف
والشيطان ابليس فالتجوز في الاضافة حيث نسب قول ذلك القائل الى ابليس يخوف
اولياءه اي يخوفكم اولياءه وقيل المذكور هو المفعول الاول والثاني محذوف اي يخوفهم
من ابي سفيان واصحابه فلا تخافوهم الخطاب للخارجين معه والنهي عن الشيء لا يستلزم
وقوعه او النهي عن الخوف في المستقبل وللقاعدين واولياءه من وضع المظهر موضع المضمر
نعيا عليهم بانهم اولياء الشيطان وخافون ان كنتم مؤمنين فان الايمان يستلزم القول

بان

بان لا مؤثر غيره وايثاره مع كونهم مؤمنين قطعا لما تمكن بهم من فتور لكون اكثرهم
جوحى او مصابا بالقتل قريب او صديق ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر في اسبابه
من جمع الناس والانفاق عليهم كما فعل ابو سفيان واقرانه وقيل اريد المنافقون
وقيل اهل الكتاب الذين يحرفون الكلم قال القشيري الحزن على كفر الكافر عبادة يرجع
عليها الا الله ان رسول كان يفرط في ذلك لقوله فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
وقيل معناه لا يحزنك كفرهم فانهم لا يضرونك به وانما يضرون انفسهم وقراء نافع
يحزنك من احزن عن الفراء انهما لغتان وعن الخليل حزنه ادخل فيه الحزن واحزنه
صيره حزينا انهم لن يضروا الله شيئا دينه او اولياءه شيئا من الضرر او من الاشياء مفعول مطلق
او مفعول به يريد الله الا يجعل لهم حظا في الاخرة خبر بعد خبر او استيناف ذكر الارادة للدلالة
على ان الشرور ايضا بارادته وايماء الى ان تماديهم بلغ حدا لم يرد لهم ادنى نصيب من رحمته
وسعت كل شيء ولهم عذاب عظيم فوق ذلك الحرمان دفع لوهم الاقتصار عليه ان
الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا تكرير للاول او هذا في اهل الكتاب الذين
حرفوا واشتروا بايات الله ثمنا قليلا ولهم عذاب اليم في مقابلة ما التذوا به من الرياسة
والرشى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم اي الذي يطيله لهم من العمر
يقال املى لفرسه اذا ارخى طيله ان مع ما في حيزه ساد مسد المفعولين وقراء حمزه بالخطاب
اما لرسول الله او لكل حاسب واقتصر على المفعول الاول لان البدل وهو انما نملي لهم هو المقصود
او بتقدير مضاف في الاول اي حال الذين او في الثاني اي اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم
انما نملي لهم ليزدادوا اثما وتكامل اسباب عقوبتهم هذا وامثاله ظاهر ان جوز تعليل
فعله بالغرض وان لم يجوز فهي حكمة صالحة لانتهاء فعله الكمالي او على التشبيه بالعلة كقوله
ليكون لهم عدوا ولهم عذاب مهين في مقابلة استكبارهم وطغيانهم ما كان الله
ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب الخطاب للمخلص واهل
النفاق واللام للتاكيد اي ما كان مقتضى حكمته ان يترك الفريقين مختلطين لا تمايز
بينهما اشارة الى الحكمة في انصراف اهل النفاق وقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم وقراء حمزه
والكسائي يميز مشددا من التمييز وهو ابلغ وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي
من رسله من يشاء فيعلمه بعض المغيبات يشير الى ان اخبار رسول الله بان فلانا منافق
او اهل النار ليس من علم الغيب في شيء فامنوا بالله بانه المتفرد بعلم الغيب ورسله بان الله
هو الذي يطلعهم على بعض الغيوب وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم لا يقادر قدره
ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتيهم الله من فضله هو خيرا لهم المفعول الاول محذوف
اي بخلهم وان جعل فيه ضمير رسول الله او اي حاسب كان وفي قراءة حمزه بالتاء يقدر
مضاف اي بخل الذين وقراء عاصم وابن عامر وحمزه هنا وفي الموضعين السابقين يحسبن
بفتح السين وهو القياس والكسر لغة الحجاز وفي قوله بما اتيهم الله دون اموالهم زيادة ذم

بان اللايق بهم ان يحسنوا كما احسن الله بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة
سيلزمون وباله والطوق مثل في اللزوم او نفسه حقيقة لما روى البخاري عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من آتاه الله مالا فلم يود زكاته
مثل له يوم القيمة شجاعا اقرع له زبيبتان يطوقه فياخذ بشدقيه ويقول انا مالك انا كنزك
ولله ميراث السموات والارض سبحانه كونه له حث على الانفاق قبل فوات وقته
والله بما تعملون خبير وعيد للبخلاء وقرا ابن كثير وابو عمرو بياء الغيبة لقد سمع الله قول
الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء دخل ابو بكر رضي الله عنه مدراس اليهود وفيه
جماعة من اليهود منهم فنحاص بن عازورآء وكان من احبارهم فتلا عليهم واقرضوا الله
قرضا حسنا فقال فنحاص ان الله فقير يسال القرض يا معشر اليهود يريد تكذيب القرآن
والاكم آية في التورية تحث على الصدقة فضرب الصديق في وجهه وقال لولا العهد لليهود
بيننا ضربت عنقك سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق اي نثبتنا في كتابنا فالسين
للتاكيد محضرا ولهذا اعطف عليه الماضي وهو قتل الانبياء والعدول الى المضارع
مبالغة كانه معد بين يدي الكاتب ليطالعه حينا فحينا وقرا حمزة بضم التاء على بناء
المجهول ورفع القتل ونقول ذوقوا عذاب الحريق اي نقول لهم هذا القول عند الانتقام
ايقاعا لسامعهم مرارته حيث لم تصغ الى الحق والحريق النار العظمة ذلك بما قدمت ايديكم
وان الله ليس بظلام للعبيد اي بسبب اعمالكم ولاجل ان الله ليس بظلام احد ابدون
الجناية وذكر الايدي لان اكثر الاعمال بهما تزاول وايثار الظلام مع كونه لا يظلم مثقال
ذرة باعتبار كثرة المتعلق او لانه لو ظلم لكان ظلمه في النهاية كسائر صفاته او لان ذلك
العذاب لو كان ظلما لكان ظلما عظيما الذين قالوا ان الله عهد الينا وصانا رفع
او نصب على الذم او بدل من الذين او من العبيد ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا
بقربان تاكله النار يريدون ان في التورية هذا الحكم افتراء على الله قل قد جاءكم رسل
من قبلي بالبينات المعجزات الواضحات وبالذي قلتم ومعنى ما قلتموه لان الذي
قالوه الفاظ مخصوصه بهم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين في دعواكم فان كذبوك فقد
كذبت رسل من قبلك جاءوا بالبينات والزبر والكتاب المنير تسلية له بان تكذيب
الجهلة للانبياء امر قديم ليس مختصا به والزبر جمع زبور كرسل في الرسول وهي الصحف والكتاب
المنير التورية او هو والانجيل والزبور وقرا ابن عامر بالزبر وبالكتاب بزيادة الباء تاكيدا
وهو رسم مصحف الشام كل نفس ذائقة الموت لا محالة وانما توفون اجوركم يوم القيمة
اجزية اعمالكم كاملة فان بعضها قد وصل اليهم لان القبر روضة من رياض الجنة
او حفرة من حفر النيران فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز الفوز الذي لا
فوز دونه الزحزحة تكرير الزح وهو التبعيد والجذب بعجلة روى الامام احمد عن عمرو بن العاص
ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال من احب ان يزحزح عن النار ويدخل الجنة

فلتدركه

فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليات الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه وما الحيوة
الدنيا الا متاع الغرور اشار الى ما يعوق السالك عن ادراك ذلك الفوز شبه حياة
هذه الدار بمتاع روي يغش به المشتري ويدلس عليه ثم يظهر له حقيقة الحال ويندم حيث
لا ينفعه الندم وهذا لمن لا يتوسل بها الى الباقي لقوله نعم المال الصالح للرجل الصالح
لتبلون في اموالكم وانفسكم بالقتل والاسر والجرح والانفاق للاموال في سبيل الخير ولتسمعن
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا ما الطعن في دينكم
والافتراء عليكم وانواع الهجو خاطبهم به قبل وقوعه ليوطنوا انفسهم على احتماله عند الوقوع
وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور من معزومات الامور التي عزم الله
عليكم وفرضها او مما تعزمون عليها لوجوبها او من عازم الامور على ان الاسناد مجاز
كقوله فاذا عزم الامر واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس
ولا يكتمونه اي ذلك الوقت الذي اخذ الله الميثاق على علماء اهل الكتاب على لسان
انبيائهم وقرا نافع وابن عامر وحمزة وحفص الفعلين بالخطاب على الحكاية عند
الاخذ والضمير المنصوب للكتاب او لرسول الله ولا تكتمونه تاكيد وتصريح بما علم ضمنا فنبذوه
وراء ظهورهم كناية عن عدم الاعتداد به وعكسه جعله نصب عينه واشتروا به ثمنا قليلا
متاعا فانيا فبئس ما يشترون يستبدلون به والآية وان نزلت في اهل الكتاب
فالحكم عام لقوله صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجمه الله بلجام من النار وعن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما اخذ الله على الجاهلين ان يتعلموا حتى اخذ على العلماء
ان يعلموا ولا يحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم
بمفازة من العذاب روى البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
ان رجالا من المنافقين كانوا يتخلفون عن الغزو فاذا قدم رسول الله اعتذروا اليه
واحبوا ان يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت وعن ابن عباس رضي الله عنه سال رسول الله
اليهود عن شيء فكتموه واخبروه بخلافه واستحمدوا اليه وفرحوا والمعنى لا تحسبن يا محمد
هولاء الذين يفرحون بمفازة من العذاب على ان الفعل الثاني مع الفاعل تاكيد
للاول والفاء زائدة للدلالة على ان افعالهم المذكورة سبب لعدم الحسبان وقرا
نافع وابو عمرو وابن كثير وابن عامر الفعل الاول بياء الغيبة والفاعل ضمير الرسول
واول المفعولين الموصول والثاني بمفازة ان قدر للثاني ثان والا فالعكس او
الموصول هو الفاعل والمفعول الاول محذوف اي انفسهم والثاني على ما ذكر وقرا
ابن كثير وابو عمرو الفعل الثاني بياء الغيبة وضم الباء مسندا الى ضمير الموصول ولهم
عذاب اليم ولله ملك السموات والارض هو الغني المطلق لا كما قاله اليهود انه فقير
والله على كل شيء قدير يقدر على اغناء الفقراء وانما دعاكم الى الصدقة لتنالوا بذلك
الاجر والثواب ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب

دليل على كونه ملك السموات والارض يتصرف فيهما كيف يشاء عن عطاء ذهبت
انا وابن عمر وعبيد وعمير الى عايشة رضي الله عنها فقال عبيد اخبرينا باعجب ما رايت
من رسول الله فقالت كل امره كان عجبا اتاني ليلة ودخل فراشي حتى مس جلده
جلدي ثم قال ذريني اتعبد الليلة قلت اني احب قربك واحب ما تحب فقام الى
القربة فتوضأ فصلى وبكى حتى بل الارض ثم لم يزل كذلك حتى جاء بلال يؤذنه
بالصلوة فقال يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تاخر
قال ويحك يا بلال وما يمنعني ان ابكي وقد انزلت علي هذه الليلة ان في خلق السموات
وتلاها ثم قال ويل لمن قراها ولم يتفكر فيها وانما اطنب في سورة البقرة لان الكلام
هناك مع عبدة الاصنام الذين هم كالانعام وهنا مع احبار اليهود ولذلك
فصل تلك بيعقلون وهذه باولي الالباب اي العقول الخالصة عن معارضة
الوهم تعريضا بالاحبار الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم احوال مترادفة
والموصول في محل الجر على الوصفية اشار الى ان الاخلاق الزكية والافعال الحميدة
تعين على تصفية الباطن وانجلاء النفس للانتقاش بغوامض العلوم ودقايق
الاسرار ويتفكرون في خلق السموات والارض في بدايع صنعها وعجايب اوضاعها
روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان
يرفع له العمل كل يوم بقدر عمل اهل الارض اراد المماثلة في الكيف واراد بعمله التفكر في
امر الله لان احدا لا يقدر على قدر عمل اهل الارض بالجوارح قيل ما جليت القلوب بمثل
الاحزان ولا استنارت بمثل الفكر ربنا ما خلقت هذا باطلا بتقدير القول اي
قائلين اشارة الى السموات والارض باعتبار المخلوق والعدول من الضمير الى اسم
الاشارة للدلالة على كمال التميز وضرب من التعظيم وباطلا صفة مصدر او حال اي
ما اوجدت هذا المكون عبثا بل ليستدل على وحدانيتك ووجوب طاعتك و
اجتناب معصيتك سبحانك فقنا عذاب النار اي نحن نطيعك فقنا عذاب
النار الذي هو جزاء العاصين ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ادخلته في الخزي
اطلقه ليقابل قوله فقد فاز وفيه دليل على ان العذاب الروحاني اشد وما للظالمين من
انصار الكاملين في الظلم فيخرج الفاسق ولو عمم لا يدل على عدم الشفاعة لان النصرة
دفع بالقهر ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان ايقاع السماع على المنادي باعتبار
الوصف وهو النداء ابهم المنادي ثم فسره تفخيما لشانه والمنادي له والمنادي هو الرسول
لانه الداعي حقيقة وقيل القران ويعدى باللام والى لتضمنه معنى الاختصاص والانتهاء
ان امنوا بربكم ان مصدرية او مفسرة فامنا دلت الفاء على اتصال ايمانهم بالنداء
ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا جمعوا بين الغفران والتكفير مبالغة او الاول
في الكباير والثاني في الصغاير فانها مكفرة باجتناب الكباير وتوفنا مع الابرار معدودين

منهم

منهم جمع بر او اسم جمع لبار ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك على تصديقهم او على لسانهم
سالوه انجازا ما وعد مع انه لا يخلف الميعاد خضوعا لجناب قدسه والتذاذا بمناجاته
ولا تخزنا يوم القيمة بكشف الستر عن فضايحنا انك لا تخلف الميعاد لذلك
سالناك لا لاستحقاقنا خمس مطالب من غير عاطف لاستقلال كل وصدرها
بلفظ الرب توسلا بوجوده السابق الى استجلاب اللاحق فاستجاب لهم ربهم الذي
توسلوا بجوده ولذلك اعاد لفظه يقال استجاب له واستجابه واجابه بمعنى مع ما في
السين من قوة المعنى اني لا اضيع عمل عامل منكم باني بنى الكلام في الجواب على ما
بنوا عليه من الاطناب عناية ولطفا من ذكر او انثى بيان لعامل لانه بمعنى
شخص روى الحاكم عن ام سلمة انها قالت يا رسول الله لم اسمع الله ذكر النساء
في الهجرة فنزلت بعضكم من بعض في الدين او من اصل واحد اعتراض لتوكيد التساوي
في الثواب فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم واوذوا في سبيل الله تفصيل
لعمل العامل اعتدادا به وتفخيما كانه قال الذين فعلوا هذه الافعال المرضية وقاتلوا
وقتلوا وقرا حمزة والكسائي بتقديم المقصور على الممدود لان الواو لا ترتيب فيه ولان
القتال وقع من بعضهم بعد قتل البعض ففيه زيادة مدح ولاكفرن عنهم سيئاتهم
ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله تفضلا منه لان الاعمال
وسايل عادية والتفت الى الاسم الجامع من التكلم للدلالة على الالوهية التي من
شانها التفضل والعطاء والله عنده حسن الثواب تتميم لما تقدم وتوكيد له
والاتيان بالمصدر مضافا مبالغة لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد ترددهم
فيها بالمتاجر والمزارع وساير الاسباب والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم
كقوله لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم والمراد تثبيته او خوطب هو والمراد
امته كما في نظايره او الخطاب عام متاع قليل في نفسه لما روى البخاري ان اخر
من يدخل الجنة له بقدر الدنيا عشر مرات وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا
في الاخرة الا مثل ما يدخل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع او قليل البقاء سريع الزوال
ثم ماويهم جهنم مصيرهم وبئس المهاد المخصوص محذوف اي جهنم لكن الذين
اتقوا ربهم لهم جنات من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل
ما يعد للضيف قال ابو الشعر كنا اذا الجبار بالجيش ضافنا جعلنا القنا والمرهفات
له نزلا وانتصابه على الحال من جنات ان جعل فاعلا لاعتماده او من الضمير في
الظرف ان جعل مبتدا او على المصدر المؤكد لمضمون الجملة كانه قيل رزقا او عطاء
وما عند الله خير للابرار من متاع الدنيا للفجار ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي
جحيم وان من اهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم
روى مسلم والبخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي ملك الحبشة وكان

مؤمنا برسول الله وخرج باصحابه الى البقيع وصلى عليه فقال المنافقون الا ترون
الى هذا يصلي على علج نصراني فنزلت به استدل الشافعي رحمه الله على صلوة الغائب
خاشعين لله لكمال عليهم بكبريائه لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا تعريض
بالمحرفين منهم اولئك لهم اجرهم عند ربهم لم يره احد ولم يخطر بقلبه ان الله سريع
الحساب كناية عن قرب انجازها وعدلانه من لوازمه او عن كمال علمه على احاطته
بمقادير الاجور ومراتب الاستحقاق يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا
اصبروا على مشاق الطاعات وصابروا على المحاربة مع الاعداء الظاهرة والباطنة
افرده بالذكر لانه اشق وافضل وترصدوا في الثغور للعدو روى البخاري سعد بن
سعد الساعدي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رباط يوم خير من الدنيا وما فيها
وروى مسلم عن سلمان ان رسول الله عليه السلام قال رباط يوم وليلة خير من
صيام شهر وقيامه وان مات اجرى عليه رزقه وعمله وروى ابو داود كل ميت
يختم على عمله الا المرابط وروى الترمذي عن عثمان رضي الله عنه انه قال رباط
يوم خير من الف فيما سواه وروى الامام احمد عن عثمان رضي الله عنه انه قال وهو
على المنبر سمعت رسول الله يقول رباط يوم خير من الف يوم يصام والف ليلة
يقام وفي الاوامر الثلثة اشارة الى المراتب الثلثة المعبر عنها بالشريعة والطريقة
والحقيقة كانه قيل اصبروا على مشاق الطاعات ومجاهدة النفس في رفض المالوفات
ورابطة السر على جناب القدس لترصد الواردات واتقوا الله في المحافظة عليها
لعلكم تفلحون تفوزون بما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

سورة النساء مدنية وهي مائة وست وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الناس
خطاب لكافة الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة هي نفس آدم وخلق
منها زوجها حوا خلقها من اقصر ضلع في الجانب الايسر عطف على مقدر صفة نفس
اي خلقكم من نفس خلقها وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء بيان
لكيفية الخلق الكثير من النفس الواحدة بانه انشاها ثم شفعها باخرى متكونة منها ثم
من الزوجين مما لا يحصى وفي الخطاب تغليب او خاص بالموجودين والعطف على
خلقكم والمبثوث غير المخاطب كانه قال خلقكم من نفس آدم وخلق منها امكم حوا وبث
منهما رجالا كثيرا ونساء فان قلت المخلوق من آدم هي حوا لا المخاطبون فكان الظاهر
تقديمها وخلقكم منها قلت القصد هو الاشارة الى المنشا والاصل الذي تفرعوا وتشعبوا
منه ليدل على كمال القدرة واسباغ النعمة الموجبين لمن قام به غاية الخوف ومزيد الشكر
ليقع بعد الامر بالتقوى ما يوجبها ولا دلالة فيه على عدم مدخلية الزوج في وجود المخاطبين
وانما وصف الرجال بالكثرة دون النساء لانها اكثر من الرجال واتقوا الله الذي تساءلون
به والارحام بالنصب عطفا على اسم الله اي واتقوا الارحام لا تقطعوها وقوله ووصينا الانسان

بوالديه وقوله وآت ذا القربى حقه او على محل الجار والمجرور فان العرب تسأل بالله
وبالرحم تقول ناشدتك الله والرحم والمعنى يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم وتسألون
غيركم على ان تفاعل بمعنى فعل وهذا مطرد اذا كان في الفاعل كثرة وقرأ الكوفيون
تسألون مخففا وقرأ حمزة والارحام بالجر على القسم او العطف على المجرور بدون اعادة
الجار والتوكيد كما ذهب اليه نحاة الكوفة والقراءة المتواترة يكفيها وجه نحوي ان الله
كان عليكم رقيبا مراقبا حفيظا وآتوا اليتامى اموالهم تفصيل ما يتعلق بالارحام من
رعاية اليتامى وبيان المواريث والوصايا والعدل في النكاح وما يتصل بذلك اليتيم
لغة الانفراد واليتيم شرعا صغير لا اب له والمراد البلغ لان الولاة وقيم الايتام انما
يؤمرون بدفع الاموال اليهم بعد البلوغ فاللفظ مجاز باعتبار ما كان وايثاره على
الحقيقة للاختصار والحث على ايتاء اموالهم بعد ايناس الرشد منهم قبل زوال هذا الاسم
منهم عرفا وقياس جمعه فعلا ككرما في كريم او فعلى كمرضى في مريض وانما جمع على فعالى لجريه
مجرى الاسماء فجمع على يتايم ثم على يتامى او لان اليتيم من الآفات فجمع على يتمى كاسير
واسرى ثم على فعالى كاسارى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تتركوا الكسب الحلال
وتاكلوا مال اليتيم او لا تختاروا الخبيث وهو اضاعة مال اليتيم على الطيب الذي هو حفظه
او لا تاخذوا الطيب من مال اليتيم وتعطوا الردي مكانه فان قلت هذا معنى التبديل
لان الباء دخلت على الماخوذ والتبدل يقتضي دخولها على المتروك كقوله ومن يتبدل
الكفر بالايمان قلت اذا ابدل الردي بالجيد لنفسه فقد تبدل لليتيم الردي بالجيد واوثر
التبدل ملاحظا جانب اليتيم لان الكلام في شانه ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم مضمومة
اليها هذا اذا لم يكن محتاجا لقوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف انه كان حوبا
كبيرا ذنبا عظيما وقرأ الحسن حوبا بالفتح مصدر حاب وان خفتم ان لا تقسطوا في
اليتامى روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب
في مالها وجمالها فيتزوجها ولا تقسط لها في المهر فنهوا عن نكاحهن الا ان تقسطوا لهن
وعن ابن عباس رضي الله عنه كان الرجل في الجاهلية يكثر من النساء ولا يقدر على
القيام بحقهن ولما نزلت الآية الاولى تحرجوا عن ولاية مال اليتيم فقيل لهم ان
تحرجتم عن ولاية مال اليتيم خوفا من الاثم فما لكم لا تتحرجون عن هذا الاثم وقيل
كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية مال اليتيم فقيل ان تحرجتم عن
ذلك تحرجوا عن هذا ايضا فانكحوا ما طاب لكم من النساء ما استطابته انفسكم تمام
حصه قوله حرمت عليكم امهاتكم او ما حل لكم على انه مجمل بين به وما قيل ان الامر للاباحة
فيؤل الى ابيح لكم ما ابيح غير لازم لان الاباحة راجعة الى قوله مثنى وثلث ورباع
اي ابيح لكم من غير المحرمات هذا العدد وانتصابها على الحال من فاعل طاب اي
ابيح لكم نكاح الطيبات مفصلات على هذه الاعداد غير منصرفة للعدل والوصف لانها

لم تستعمل غير صفة ومن لم يعتد بالوصفية لعروضها فلكونها معدولة لفظا ومعنى لان
ثلث معدول عن ثلثة ثلثة ومعناه لقصد التكرير نكرات خلافا للكوفيين والمعنى تخيير
المخاطبين بين هذه الاعداد من غير تجاوز ومن جوز نكاح التسع مستدلا بان الواو
للجمع لم يحافظ على كيفية النكاح المشار اليها بالتعديد والتفصيل فان قلت لم كان
الظاهر او لانها جاءت للتخيير كقولهم جالس الحسن او ابن سيرين قلت المعنى تخيير
المخاطبين بين هذه الاعداد من غير تجاوز او لاحد الامرين غير مجموع بينهما فيكون
التخيير في هذه الاعداد غير مجموع بينهما ومعنى الواو التخيير من غير تجاوز وهو المراد فان
خفتم الا تعدلوا فواحدة اي اختاروا الواحدة وذروا تلك الاعداد او ما ملكت ايمانكم
من السراري من غير حصر ذلك اي اختيار الواحدة او التسري ادنى الا تعولوا تميلوا
وتجوروا عن الحق يقال عال الميزان اذا مال ومنه شعر ابي طالب لمدح رسول الله صلى الله
عليه وسلم بميزان قسط لا يخس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل وعن الشافعي رحمه الله
تعولوا تكثر عيالكم يقال عال يعول بمعنى مان يمون جعله كناية عن كثرة العيال لان
من كثر عياله لزمه المؤنة نقله الازهري عن الاصمعي والكسائي والدارقطني عن زيد بن اسلم
فالقادح في الشافعي رحمه الله قادح في نفسه لعدم احاطته باقوال اهل العربية والاثار مع
ان الشافعي رحمه الله في معرفة لسان العرب اعلى كعبا واطول باعا من الثعالب المذكور
فان قلت من بيان اللغة استقامت كيف وجه القلة مع تجويز التسري من غير حصر قلت
المهاير تحتاج الى زيادة النفقة والسكنى اللايق والكسوة المعتبرة باعتبار حال الزوج من
اليسار والتوسط والفقر وان ولدت فلها ان لا ترضع الولد وان ارضعته فلها طلب
الاجرة وكل ذلك منيف في الاماء وآتوا النساء صدقاتهن نحلة مهورهن جمع صدقة بضم
الدال او بالسكون والنحلة العطية نحله كذا اعطاه ومنه قول الصديق لقول عائشة
رضي الله عنها كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابه على المصدر او الحال
من الفاعل او المفعول او منحولة او تفضلا من الله حالا من الصدقات او من نحل كذا اذا دان
به اي ديانة على انه مفعول له او حال من الصدقات اي دينا من الله شرعه والخطاب
للازواج وقيل للاولياء فانهم كانوا ياخذون مهور موليات فان طبن لكم عن شيء
منه نفسا فكلوه كانوا يتأثمون ان يأخذوا شيئا مما ساقوه فابيح لهم ذلك وحيث قيد
بطيب النفس دل على ضيق المسلك ووجوب الاحتياط ولذلك روي عن عمر بن
الخطاب انه كتب الى قضاته ايما امراة اعطت شيئا زوجها ثم رجعت فلها ذلك
وكذا روي عن القاضي شريح وقيد بشيء منه حثا لها على عدم هبة الكل واليه ذهب
الليث فلم تجوز التبرع الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها قبل الولادة وعن مالك
يجوز من الثيب دون البكر وتذكير الضمير باعتبار المعنى لان التقدير آتوا كل واحدة
صداقها او لجريان الضمير مجرى اسم الاشارة كقوله قل أؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات

والمراد بالاكل الانفاق تعبر عنه بانه المنافع منه هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام
او الذي من غير نقص ومروء حمد عاقبته من غير ضرر انتصابهما على المصدر اي اكلا هنيئا مريئا
ويجوز ان يكونا دعاء كسقيا ورعيا فيحسن الوقف على فكلوه ولا تؤتوا السفهاء اموالكم الخطاب
للاولياء والسفهاء الصغار والمجانين والمبذرون اضاف الاموال اليهم لانها مما يقام
به المعاش ويدخر لاوقات الحاجة وبهذا المعنى لا تختص باربابها كقوله ولا تقتلوا
انفسكم وقوله فمما ملكت ايمانكم قصدا الى الجنس فان احدا لا يقتل نفسه ولا يؤمر بنكاح مملوكته
او لكل احد والغرض النهي عن صرف المال الى من يضيعه التي جعل الله لكم قياما اي
سبب قيامكم من قبيل انما هي اقبال يؤيد ان الخطاب لكل احد وارزقوهم فيها
واكسوهم اجعلوها مكان رزقهم بان تتجروا فيها لئلا تأكلها الانفاق ولذلك
اثر في على من وقولوا لهم قولا معروفا حسنا بان يقول الولي لمن تحت حجره المال
مالك اذا صلحت للتصرف دفعته اليك ويقول الرجل لعياله اذا ربحت في سفري
هذا او ربحت في بيعي كسوتكم واوسعت عليكم وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان
آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم اي اختبروا عقولهم في التصرف قبل البلوغ
حتى اذا تبين لكم رشدهم وهو صلاح الدين والدنيا عند الجمهور والمروي عن
ابن عباس رضي الله عنه واعتبر ابو حنيفة رحمه الله التهدي الى التصرف في المال
لاغير وبلوغ النكاح كناية عن الاحتلام او خمس عشرة سنة لما روى مسلم عن ابن
عمر رضي الله عنه عرضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد وانا اربع عشرة سنة
فلم يجزني وعرضت عليه يوم الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فاجازني واعتبر
ابو حنيفة في الغلام ثماني عشرة فان اونس منه الرشد فذاك والا يترك الى خمس
وعشرين سنة فيدفع اليه ماله رشيدا كان او غير رشيد وعند الجمهور لا دفع الا اذا كان
رشيدا والكلام من اعتراض الشرط على الشرط فيعتبر المعترض مقدما على الحكم
والايناس الابصار من غير شبهة استعير للتبين ونكر الرشد للاكتفاء بادنى شيء منه
وحتى ابتدائية وفيها ايضا معنى الغاية والفاء دلت على وجوب الدفع بعد الايناس
من غير توقف ولذلك اعتبر الابتلاء قبل البلوغ ولا تأكلوها اسرافا وبدارا ان
يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم يقال كبر كعلم
في السن وكبر كحسن في القدر والعظم وكذا في القول ومن كان غنيا فليستعفف
ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف اي ان كان قيم اليتيم غنيا فليقنع بما رزقه
الله اشفاقا عليه وطلبا لاجر الاخرة وان كان فقيرا ياكل بقدر القوت وما
يسد اوده اجرة له وقيل يرد بدله ان ايسر ويؤيد الاول الاستعفاف لان غاية
العفة لا توجد في الامتناع عما لا حق له روى ابو داود ان رجلا سال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم عن اكل مال يتيم في حجره قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق

مالك بماله فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم دفعا للتهمة والخصومة واستدل به
الشافعي رحمه الله على عدم قبول قول القيم في الدفع وكفى بالله حسيبا محاسبا حث على مراعاة
ماله للرجال نصيب مما ترك الولدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الولدان
والاقربون نزلت في ام كحة امراة اوس بن ثابت مات زوجها وترك ثلث بنات
وبني عم فاخذوا ميراثه على طريقة الجاهلية كانوا يخصون الميراث بالذكور لانهم يحاربون
ويحمون الحوزة فشكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ارجعي حتى انظر ما يحدث الله
وبعث الى بني عمه لا تتصرفوا في المال فنزلت ابطالا لما كانوا عليه ثم بين الانصباء بقوله
يوصيكم الله الى اخره وفي ايثار الاقرب اشارة الى حجب الابعد وهو على حرمان ذوي
الارحام اول من العكس مما قل منه بدل مما ترك او كثر نصيبا مفروضا انتصاب
نصيبا على المصدر كقوله فريضة من الله او الحال او الاختصاص وان قل في النكرة
ومعنى مفروضا لازما فلا تسقط باعراض الوارث واذا حضر القسمة اولوا القربى واليتامى
والمساكين فارزقوهم منه الامر للندب ولذلك لم يضرب له حد ولو اجمالا كما في المتعة
وقيل للوجوب وقيل منسوخ باية المواريث واولوا القربى من ليس له شيء في ذلك الميراث
وقدم الاسم فالاسم وقولوا لهم قولا معروفا بان يستقلوا ما تعطونهم او قولا جميلا ان
كانت التركة عقارا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم
لو مع ما في حيزه صلة الذين والامر للاوصياء متصل بقوله وابتلوا اليتامى وما في البين
من احكام الميراث تتميم لان الوارث فيهم اليتيم والبالغ فتعرض لوصية الاوصياء
رعاية لجانبهم او الذين يجلسون الى المريض فلا يدعون ان يوصي بحيث تتضرر ورثته
ولذلك كره العلماء الوصية بالثلث ان كان في المال قلة او في الورثة كثرة استدلالا
بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن ابي وقاص الثلث والثلث كثير انك ان
تدع ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم فقراء يتكففون الناس او للورثة حثا على الايثار
لمن حضر القسمة وعلى الوجهين متصل بقوله واذا حضر القسمة وعلى الوجوه الثلثة معناه وليخش
الذين شانهم لو شارفوا على الموت وكانت لهم صغار كيف يخافون ضياعهم ويودون
لهم كافلا محسنا فليكونوا مع ايتام الغير على ذلك النمط فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا
ذكر اولا الخشية لانها الباعثة على الامتثال وثانيا التقوى لانها نهاية مقامات السالك
والقول السديد ان يقولوا للمحتضر انظر ان كان لاحد عليك حق وظن بالله خيرا ان الله
يغفر الذنوب جميعا ويقول الوصي للقيم تأدب باداب الشرع ويدله على محاسن الاخلاق
والورثة لمن حضر القسمة ليس على هذا على مقداركم وما يلايم هذا فان الكلمة الطيبة
ايضا صدقة ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما يؤيد ان الامر للاوصياء انما ياكلون
في بطونهم نارا الا انه يجر الى النار وعن ابي برزة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث قوم
يوم القيمة وافواههم تاجج وروي انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيمة والدخان يخرج من قبره

ومن انفه وفيه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه ياكل مال اليتيم ومعنى في بطونهم ملء بطونهم
لان حقيقة الظرفية الاحاطة بالمظروف بحيث لا يفضل الظرف منه ولذلك قيده
في قوله شعر كلوا في بعض بطنكم تعفوا وسيصلون سعيرا عن قريب يدخلون نارا موقدة
من صلي النار لزمها وقرا ابن عامر وابو بكر يصلون بضم الياء من اصلية القية في
النار والاول ابلغ يوصيكم الله في اولادكم يعهد اليكم في شانهم للذكر مثل حظ الانثيين
بيان لذلك المجمل والمراد حالة الاجتماع للاجماع على ان للابن جميع المال حالة الانفراد
فان كن نساء اي اولاد الميت نساء خلصا انث الضمير باعتبار الخبر فوق اثنتين
بالغة ما بلغت صفة او خبر ثان فلهن ثلثا ما ترك استدل بظاهره ابن عباس
رضي الله عنه والحق الثنتين بالواحدة واجمع من عداه على انهما في الحكم الجماعة لما روي
ابو داود وابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطى لبنتي سعد بن الربيع الثلثين
ولان الواحدة تاخذ مع الذكر الثلث فمع الانثى من باب الاولى وقياسا على الاختين
لكونهما ابعد من الميت واقحام فوق لدفع وهم الزيادة بازدياد العدد وان كانت
واحدة فلها النصف وهو نصف حظ الذكر ايضا اذا انفرد ولابويه لابوي الميت
لكل واحد منهما بدل بتكرير العامل السدس مما ترك ان كان له ولد ذكرا او انثى
فان كان ذكرا فذاك وان كان انثى فله الباقي ايضا بالعصوبة فان لم يكن له
ولد وورثه ابواه فلامه الثلث والباقي للاب بالعصوبة وقرا حمزة والكسائي فلامه
بكسر الهمزة اتباعا وعن الكسائي انها لغة قريش فان كان له اخوة فلامه السدس
فان كان معها الاب فله الباقي لانه يحجب الاخوة وللاخوين والاخوات حكم الاخوة
اجماعا روى البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنه انه نازع عثمان في ذلك وقال
الاخوان ليسا اخوة في لسان قومك فقال لا انقض امرا كان قبلي وانتشر في الاقطار
من بعد وصية يوصي بها او دين اي القسمة على هذا النمط من بعد هذين الامرين
اجتماعا وانفرادا ولذلك اثر او وقدم الوصية وان كانت متاخرة عن الدين
لان الدين له طالب معين والوصية اكثر ما يكون لجهات البر فيقع فيها التساهل
ولان نفوس الورثة موطنة على اداء الدين دونها وقرا ابن كثير وابن عامر و
ابو بكر يوصى بفتح الصاد واقامة الجار والمجرور مقام الفاعل اباؤكم وابناؤكم
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا اعتراض يؤكد شان الوصية ويحث على امضائها
اذ المقصود ان من اوصى منهم اكثر نفعا لكم لانكم بامضاء وصيته تنالون ثواب
الاخرة ولانه خير من ان يترك لكم متاعا فانيا واذا لم تدروا ايهم اقرب
نفعا يوم القيمة لما في الحديث ان الابن يرفع الى منزلة الاب ان كان ارفع درجة
وبالعكس فارضوا بما قسم الله ولا تقولوا لم اخذ الاب عن الابن ولم جاز الاب المال
دون الام فريضة من الله نصب على المصدر ان الله كان عليما كامل العلم حكيما متقن

الصنع في كل ما دبر ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن
ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين اطلق الولد ليتناول ما كان
من الزوج وغيره ذكرا كان او انثى ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان
لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها او دين روعي شرف الزوج
كما روعي شرف الذكر على الانثى وترك ذكر الواحدة اشارة الى عدم الفرق وان كان
رجل يورث كلالة الكلالة القرابة التي لا يكون ولدا من الكلال وهو الاعياء
للكلالها عن القرابة المماسة كانها ارادت ان تصل فكلت ولم تبلغ وقيل من تكلل
بالشيء احاط به لانها في الجوانب حواشي النسب يطلق على الميت وعلى الوارث اطلاقا
للمصدر على العين او بتقدير مضاف فالمعنى على الاول ان كان الميت يورث منه
حال كونه كلالة وان جعل يورث وصفا فكلالة خبر كان وعلى الثاني ان كان رجل
اورث مال الكلالة والاعراب كما تقدم ويجوز نصب كلالة على المفعول له في الوجهين لانها
قائمة بالطرفين كقولك ورثه عصوبة او ولاء او ورث كذلك او امراة وله اخ او اخت
فلكل واحد منهما السدس ضمير له لواحد من الرجل والمراة وضمير منهما للاخ والاخت ان كان
الميت هو الكلالة وان كان الوارث فضمير منهما راجع الى اسم كان وواحد من الاخوين
اي فلكل منه ومن اخيه او اخته وحكم الانفراد علم منه ضرورة وحكم المراة المعطوفة باو والدال
على التسوية حكم الرجل فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث لا يتجاوزونه ولما
ذكر في اخر السورة حال الاخوة والاخوات من الابوين ومن الاب بقوله يستفتونك
قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها
ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة
رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين دل على ان المراد بالاخوة والاخوات هنا من
الام وعليه اجماع الائمة من بعد وصية يوصى بها او دين كرره لئلا يتوهم اختصاصه
بطائفة دون اخرى غير مضار بان يزيد في الوصية على الثلث او لا ينوي بالوصية
القربة بل اضرار الورثة او يقر بالدين لمن ليس له عليه دين فان قلت قد ذكر الوصية
سابقا مرتين ولم يذكر هذا القيد قلت ذكره اخر لئلا يتكرر ولان المضارة اكثر
ما يقع في الكلالة لبعد القرابة وقلة الشفقة وصية من الله مصدر مؤكد او منصوب
بغير مضار مفعول به والله عليم بالمضار وغيره حليم لا يعاجل بالعقوبة تلك حدود الله
اي الاحكام المذكورة سميت حدودا لعدم جواز التجاوز عنها ومن يطع الله ورسوله
يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حال مقدرة والجمع باعتبار معنى
من وذلك الفوز العظيم الذي كل فوز دونه ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده
يدخله نارا خالدا فيها حال كالاول والافراد باعتبار لفظ من وقرا نافع وابن عامر
في الموضعين ندخله بالنون وهو اقوى ترغيبا وترهيبا وله عذاب مهين لاستهانته

باحكام الله واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم الفاحشة الزنا لفحش قبحها فاستشهدوا
عليهن اربعة منكم من رجالكم المؤمنين والحكمة في اعتبار الاربعة في الزنا دون القتل مع
انه اعظم كونه حق الله المبني على المسامحة والتستر فان شهدوا فامسكوهن في البيوت
حتى يتوفاهن الموت ملائكة الموت او يستوفي الموت ارواحهن او يجعل الله لهن
سبيلا روى مسلم واصحاب السنن عن عبادة بن الصامت انزل الله تعالى على
رسوله ذات يوم فلما سري عنه قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر
جلد مائة والثيب بالثيب رجم بالحجارة فان قلت كيف صح نسخ القران بالحديث
الذي هو من الاحاد قلت ليس هذا من النسخ بل بيان لقوله او يجعل الله لهن سبيلا
فانه مجمل عن ابن عباس رضي الله عنه نسخها سورة النور وكانه اراد اية الجلد والشيخ
والشيخة اذا زنيا فارجموهما واللذان ياتيانها منكم اي الرجل والمراة فيه تغليب للاولى
لبيان حكم يخص النساء وهذه لما يعم الفريقين وقيل الاولى في الزنا وهذه في
اللواطة وقرا ابن كثير بتشديد النون احدهما نون التثنية والاخرى عوض عن
الياء المحذوفة فاذوهما بالتوبيخ البالغ والتقريع البليغ فان تابا واصلحا فاعرضوا
عنهما لان التوبة تجب ما قبلها ان الله كان توابا شديد العناية لقبول التوبة
رحيما بعباده ولذلك شرع التوبة انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة
ثم يتوبون من قريب اي الذين يعملون الذنب عمدا او خطا ملتبسين بالجهل
فان من عرف عظمة الله لا يجترئ على معصية والقرب امر اضافي وقد جيء في الاية
الثانية بقوله اذا حضر احدهم الموت والحديث المشهور ان الله يقبل توبة العبد
ما لم يغرغر عن ابن عباس رضي الله عنه ما لم يشاهد ملك الموت فاولئك يتوب الله
عليهم يقبل توبتهم ويجازيهم عليها بالغ في الحث على التوبة باشار على الدالة على
اللزوم والوجوب مع تعاليه عن وجوب شيء ولزومه لتحقق وقوعه لا محالة وكان
الله عليما باخلاص التائب حكيما بالعفو والصفح عنه وليست التوبة للذين
يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين
يموتون وهم كفار سوى بين المسوف لتوبته الى حضرة الموت وبين المايت
على الكفر سواء كان المسوف فاسقا او كافرا وقيل المراد بالذين يعملون السيئات
المنافقون والوجه هو الاول لحديث الغرغرة ولئلا تبقى حال الفاسق المصر غير
مبينة فان قلت اذا شمل الفاسق فما قولك في قوله اولئك اعتدنا لهم عذابا اليما
مع ان الفاسق المصر في المشية ولا تجزم له بعذاب قلت لا اعتداد لا يستلزم وقوع
العذاب كالجزاء في قوله فجزاؤه جهنم خالدا فيها في حق القاتل لا اعتاد من العتاد
وهو العدة وقيل اصله اعددنا ابدل الدال تاء يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا
النساء كرها مكرهات وكارهات روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه كان

واذا مات الرجل اولياؤه احق بامراته ان شاؤا تزوجها احدهم وان شاؤا
زوجوها وعنه ان المراة في الجاهلية كانت اذا توفي عنها زوجها فجاء رجل القى عليها
ثوبه كان احق بها وقرا حمزة والكسائي كرها بالضم على انها لغة وعن ابي عمرو والفراء
بالفتح الاكراه وبالضم المشقة ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن
كان الرجل اذا تزوج امراة ولم يكن له منها حاجة حبسها مع سوء العشرة لتفتدي منه
بمالها الا ان ياتين بفاحشة مبينة كالزنا والسلاطة والنشوز الاستثناء من
اعم الاوقات او من اعم العلل وقرا ابن كثير وابو بكر بكسر الياء من بين لازما اي
فاحشة جلية وعاشروهن بالمعروف بطيب القول ومحاسن الاخلاق عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم خيركم خيركم لاهله وانا خيركم لاهله فان كرهتموهن
فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا بان يرزق منها اولادا صالحين
او يبدل الله البغضاء مودة وفي الحديث لا يفرك مؤمن مؤمنة ان كره فيها خلقا
رضي منها آخر وفيه تنكح المراة لمالها وجمالها ودينها عليك بذات الدين تربت
يداك وايضا في الصبر عليها رياضة النفس وتهذيب اخلاقها وان اردتم استبدال
زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا مالا كثيرا من قنطرت الشيء رفعته
ومنه القنطرة فلا تاخذوا منه شيئا قل او كثر اتاخذونه بهتانا واثما مبينا البهتان
الكذب الذي يبهت به المكذوب عليه وتحير اتسع فيه فاستعمل في كل باطل وقيل
كان الرجل اذا كره امراته رماها ببهتان فالكلام خارج مخرج الغالب والجمع بينه
وبين الاثم مبالغة والعطف باعتبار الصفات وانتصابهما على الحال والمفعول له
غاية روى زبير بن بكار ان عمر بن الخطاب قال وهو على المنبر لا تغالوا في مهور
النساء وان كانت بنت ذي القصة يزيد بن الحصين الحارثي فمن زاد القيت
الزيادة في بيت المال فقالت امراة طويلة في انفها فطس ما ذاك اليك قال
ولم قالت لان الله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر رضي الله عنه امراة
اصابت ورجل اخطا والمستعان بالله وهذا يدل على الجواز والاولى عدم المغالاة
لما روى الامام احمد والترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصدق امراة
من نسائه ولا واحدة من بناته اكثر من اثنتي عشرة اوقية وكيف تاخذونه وقد
افضى بعضكم الى بعض بالوقاع وساير انواع الامتزاج والاختلاط واخذن منكم
ميثاقا غليظا هو الامساك بالمعروف او تسريح باحسان وفي الحديث استوصوا
بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة
الله والخلوة الصحيحة كافية في ذلك عند ابي حنيفة رحمه الله لحديث رواه الدارقطني
وروي عن علي رضي الله عنه ايضا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء كانوا يتعاطونه في
الجاهلية والنكاح الوطء فيشمل المهاير والسراري او العقد ويقاس الامة الموطوءة على

المنكوحة

المنكوحة وما موصولة او مصدرية بمعنى المفعول الا ما قد سلف تاكيد الشيء بما يشبه
نقيضه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب اي ان
نكاح ما قد سلف محال وقيل الاستثناء منقطع اي لكن ما قد سلف لا مؤاخذة عليه
انه كان فاحشة شرعا ومقتا عقلا كانوا يسمونه نكاح المقت قبل ورود النهي
وساء سبيلا في المتعارف ومجرى العادات حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم
وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت التحريم حكم من احكام الله تعالى
لا يتعلق الا بفعل المكلف واضافته الى الاعيان كما في الاية وفي قوله حرمت عليكم
الميتة للملابسة وعدم اللبس ثم تعيين المحذوف الى خصوص القراين كالنكاح والاكل
فانها اظهر المقاصد واسبق الى الفهم وقد دل عليه قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم واذا
حرم النكاح الذي هو وسيلة الاستمتاعات حرمت بطريق الاولى وقيل ان كانت
الحرمة لمعنى في ذات المحرم يسند الحرمة ويوقع عليه كالميتة مثلا والا فيقدر مضاف
يناسب كحرمة شاة الغير والام كل انثى لها عليك ولادة قربت او بعدت والعمة
كل انثى شاركت احد آبائك في احد اصليه والخالة كل انثى شاركت امك في اصليها
وبنات الاخ وبنات الاخت يتناول القربى والبعدى وامهاتكم اللاتي ارضعنكم
واخواتكم من الرضاعة روى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان الرضاعة تحرم ما تحرم الولادة وقيل خص منه اربع صور
الاولى يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع دون النسب الثانية له ان
يتزوج ام اخيه من الرضاع دون النسب الاخر بان ام النافلة وجدة الولد والحق
ان لا استثناء لان الحرمة في النسب للمصاهرة لا له واختلف في مقدار الرضاع قال
بمطلقه مالك وابو حنيفة رحمهما الله تعالى لاطلاق الاية والحديث وقيده بالثلث
وما فوقه احمد واسحق بن راهويه لما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها لا تحرم المصة
والمصتان ولا الاملاجة ولا الاملاجتان وذهب الشافعي رحمه الله الى خمس رضعات
لما روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها كان فيما انزل من القران عشر رضعات
معلومات يحرمن ثم نسخت بخمس وفي المدة فعند الشافعي رحمه الله في الحولين وعند
ابي حنيفة رحمه الله الى ثلثين شهرا وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم الربائب
جمع ربيبة وهي بنت المراة من غيره وذكر الحجر خارج مخرج الغالب وفيه اشارة الى
علة التحريم لانها في الاختلاط والتقلب كالولد والى ظاهره ذهب داود الظاهري
من نسائكم اللاتي دخلتم بهن حال من الربائب ومن ابتدائية وذهب بعضهم
الى انه متعلق بالربائب وامهات النساء حتى شرط الدخول فيهن ايضا وروي
عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وزيد بن ثابت ووجهه جعل من اتصالية او
ابتدائية في الثانية بيانية في الاول الا ان الاجماع على خلافه وعن ابن عباس

رضي الله عنه ام المرأة مبهمة في كتاب الله اراد انها محرمة من كل وجه كالليل البهيم
الذي لا نور فيه والخيل البهيم الذي لا شية فيه وعند ابي حنيفة رحمه الله الخلوة كالدخول
فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم صرح به بعد الاشعار دفعا للقياس وحلايل
ابنائكم الذين من اصلابكم رفع لما كانوا عليه من تحريم مطلقة الدعي فلا يرد ابن
الرضاع والحافد والتعبير بالحلايل ليتناول امة الموطوءة وان تجمعوا بين الاختين
نكاحا او في ملك اليمين وطئا الا ما قد سلف منكم فانه مغفور لكم بدليل قوله ان الله
كان غفورا رحيما على ان الاستثناء منقطع ويجوز ان يكون من تاكيد الشئ بما يشبه
نقيضه والمحصنات من النساء عطف على المحرمات الاحصان لغة المنع من الحصانة
ويكون بالعفة كما في قوله والذين يرمون المحصنات وبالاسلام كما في قوله فاذا احصن
وبالزوج كما في الاية الا ما ملكت ايمانكم من ذوات الازواج روى مسلم عن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه ان ناسا اصابوا سبايا يوم اوطاس فتحرجوا منها لاجل ازواجهن
فنزلت وقيده ابو حنيفة رحمه الله بما اذا لم يسبب معها الزوج وخص المشركة ذات الزوج
احجاجا كتاب الله عليكم ذلك التحريم نصب على المصدر بمضمر واحل لكم ما وراء ذلكم
ما سوى المذكور الا ما خص من الخالة والعمة رضاعا وقرا حمزة والكسائي وحفص احل
على بناء المفعول عطف على حرمت او على ناصب كتاب الله كما في بناء الفاعل
ان تبتغوا باموالكم مفعول له اي ارادة ان تبتغوا او بدل اشتمال مما وراء ذلكم والابتغاء
الطلب اريد به طلب خاص بالمهر او الثمن محصنين غير مسافحين السفح الصب اريد به الزنا
لانه غرض الزاني بخلاف النكاح فان الغرض منه التوالد ذكره بعد الاحصان لتعيين معناه
فما استمتعتم به منهن الضمير لما وراء ذلك من ابتدائية اي فالذي تمتعتم به من جماع ونكاح
وخلوة من المنكوحات فاتوهن اجورهن مهورهن خبر عن الموصول بحذف العايد
لعدم اللبس ويجوز ان يكون ما شرطية ولا حذف لان الخبر مجموع الشرط والجزاء وان يكون
ما عبارة عن النساء ذهابا الى الوصف وتنزيلا لهن منزلة غير ذوي العقول فالمستمتع
نفسهن والضمير في به راجع الى لفظ ما وفي فاتوهن الى معناه وفي منهن الى ما وراء
ومن للبيان او التبعيض وسمي المهر اجرا لانه عوض البضع فريضة حال من الاجور او صفة
مصدر ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة زيادة في الصداق او نقصان
منه وغير ذلك من موجب النكاح وقيل نزلت في نكاح المتعة والمعنى لا جناح عليكم فيما
تراضيتم به من زيادة الاجل بعد الاجل والحق ان نكاح المتعة ثبت بالحديث ونسخ
به لما روى مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ايها الناس اني كنت
اذنت لكم في الاستمتاع وان الله قد حرم ذلك الى يوم القيمة وعن الشافعي رحمه الله
ابيح مرتين ونسخ مرتين لهذا الحديث ولما روى البخاري عن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حرم يوم خيبر نكاح المتعة ولحوم الحمر

الاهلية

الاهلية ان الله كان عليما بمصالح العباد حكيما في كل ما شرع ومن لم يستطع منكم
طولا اي غنى من الطول الزيادة في الامتداد مفعول لم يستطع ان ينكح المحصنات
المؤمنات متعلق بطولا بتقدير الجار اي على ان ينكح ويجوز ان يكون طولا بتقدير
مضاف اي لعدم طول وان تنكح بدل منه والاحصان الحرية لان الحراير مصونات
عن ابتذال الرق بدليل قوله فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات من
تفريع نكاحهن بالفاء استدل الشافعي رحمه الله على تحريم نكاح الامة لواجد طول الحرة
ومن اضافة الفتيات الى المخاطبين على عدم جواز نكاح الامة الكتابية مطلقا و
الاستدلال بعدم اشتراط الايمان في الحراير على عدم اشتراط في الاماء غير ناهض
لان عدم الاشتراط في الحراير مستفاد من قوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب
من قبلكم ولا يمكن الحاق الاماء بهن لوجود الفارق من رق الولد وثبوت حق
المولى عليها في الخدمة وما على الناكح من المهانة بتزوجها ولو جاءها روى البخاري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله وليقل فتاي وفتاتي وقرا
الكسائي المحصنات غير الذي تقدم بكسر الصاد على معنى احصانهن انفسهن والفتح
على انهن محصنات باحصان الازواج وهذا اشهر والله اعلم بايمانكم ترغيب في نكاح
الصالحات من الاماء لما في النفوس من الانفة والاستنكاف من ذلك فاشار الى
ان الامة ربما كانت اكمل ايمانا من الحرة وان الاولى بالرجل ان يكون مطمح نظره
الصلاح والديانة فان للاخلاق سراية بعضكم من بعض متواصلون في الادمية
فلا وجه للاستنكاف فانكحوهن باذن اهلهن مواليهن عبر بالاهل لان مولى القوم
منهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت واطلاق الاذن يتناول
المباشرة والتوكيل ودل ايضا على جواز مباشرتها باذن الولي كما ذهب اليه ابو حنيفة
رحمه الله واتوهن اجورهن باذن المولى علم ذلك من تقييد النكاح باذنه وايثار هذا
الاسلوب للدلالة على ان المولى انما يستحق المهر تبعية ملك الرقبة وفيه اشارة الى
تاكيد وجوب الاداء الى الحراير وقيل لفظ المولى مقدر وذهب مالك الى ظاهره جريا على
اصله من جواز تمليك الرقيق بالمعروف من غير ضرر ولا اضرار محصنات
عفايف قرا الكسائي بكسر الصاد غير مسافحات مجاهرات بالزنا ولا متخذات اخدان
اخلاء في السر جمع خدن فاذا احصن بالتزوج وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر
وحفص على بناء المجهول وهو المختار فان اتين بفاحشة بزنا فعليهن نصف ما على
المحصنات من العذاب الحراير من الجلد لان الرجم لا يتنصف وبالاحصان اشار الى
عدم اختلاف الحالين كما في الحراير ذلك نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم الزنا
اصله الامر الشاق ومنه التعنت في الامر وفيه تاييد لما ذهب اليه الشافعي رحمه الله
وان تصبروا عن نكاح الاماء خير لكم من التزوج بهن لان ارقاق الولد اماتة معنى

ولان الامة لا يقيم اعباء البيت قال ومن لم يكن في بيته قهرمانه فذلك بيت لا
اباً لك ضايع والله غفور للصابران بدامنه زله رحيم ولذلك شرع نكاح الاماء
يريد الله ليبين لكم يريد الله اظهار الاحكام لكم اللام لتاكيد معنى الارادة لما فيهامن
معناها كما في جئتك لاكرامك و مدخولها مفعول بها ويهديكم سنن الذين من قبلكم
مناهجهم وطرقهم التي سلكوها لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويستر زلاتكم والله عليم
بالمصالح حكيم فيما شرع والله يريد ان يتوب عليكم كرره توكيدا وليقابل قوله ويريد
الذين يتبعون الشهوات وتعلق ارادته بوقوع التوبة بينهم لا يستلزم وقوعه من
الكل والذين يتبعون الشهوات كل فاجر منهمك وقيل اليهود وقيل المجوس لانهم
يحلون نكاح المحارم ان تميلوا عن الحق ميلا عظيما موصلا الى الكفر يريد الله ان
يخفف عنكم ولذلك اباح النكاح والتسري وعمم النكاح في الحراير والاماء توسعة
من فضله لان النساء حبايل الشيطان ليس على الانسان اشق منهن في باب
دينه عن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من ابن آدم الا واتاهم من قبل النساء
فقد اتى على ثمانون سنه وذهبت احدى عينيني وانا اعشو بالاخرى وان اخوف
ما اخاف على فتنة النساء وخلق الانسان ضعيفا لا صبر له على المشاق يشير الى
ان التوسعة وانها مقتضى الحكمة يا ايها الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل يشير
الى ما به يقوم امر المنزل وكيفية مشروعية تحصيل اسبابه وخص الاكل لانه الحمل المنافع
واكثره احتياجا الا ان يكون تجارة عن تراض منكم الاستثناء منقطع لان التجارة
ليس من الباطل في شيء اي لكن اقصدوا التجارة او لكن وقوع تجارة عن تراض غير
منهي وانما خص التجارة بالذكر لانها اعم اسباب الملك او من استعمال المقيد في المطلق
وقراء غير الكوفيين بالرفع على كان التامة ولا تقتلوا انفسكم اخوانكم من المؤمنين
او انفسكم بتعريضها للعقاب او مباشرة كما يفعله بعض الجهلة كالروافض في مشاهد
الائمة ان الله كان بكم رحيما حيث بين لكم الاحكام وشرعها على وجه السهولة
ومن يفعل ذلك عدوانا وظلما اي ما ذكر من المناهي العدوان ظلم الغير لاشتماله
على معنى التجاوز والعطف باعتبار تغاير الصفة فسوف نصليه نارا ندخله نارا
عظيمة يقال اصليته النار اذا ادخلته للاحراق محمول على الاستحلال او الموت من غير توبة
ان شاء بشهادة ساير النصوص وكان ذلك على الله يسيرا لاستواء الممكنات في
قدرته من غير مزاحم ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه على لسان الرسول نكفر عنكم سيأتكم
صغايركم وندخلكم مدخلا كريما شريفا هو دار السلام من كل مكروه والفرق بين الصغيرة
والكبيرة ان كل ذنب شرع له حد او كان قبحه مساويا له او زايدا عليه فهي كبيرة فلا تنحصر
في عدد كما اشار اليه ابن عباس رضي الله عنه لما قيل له هي سبعة انها الى سبعمائة اقرب
وما نقل عن بعض السلف لا صغيرة في الذنوب اراد معنى آخر وهو النظر الى مخالفته تعالى

وكبريايه

وكبريائه والا فالآيات والاحاديث ناطقة بالفرق ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض التمني طلب الشيء ممكنا او محالا مع الحرص من تمنيت الكتاب قرأته فان
المتمني يناجي نفسه بالمتمني ويدل عليه قوله ما كل ما يتمنى المرء يدركه وقيل لا يكون الا في
طلب المحال حث على محاسن الاخلاق بعد بيان الذنوب وكيفية الخروج منها وهذا
اذا لم يقصد به التقرب الى الله تعالى لما روى البخاري لا حسد الا في الاثنين رجل آتاه الله
مالا فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله علما فهو يقضي به ويعلمه الناس للرجال
نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن جعل لكل من الرجل والمرأة ما قدر له من
الحظ كسب ارشادا الى طلب المعاش روى الامام احمد عن ام سلمة انها قالت يا رسول الله
يغزوا الرجال ولا نغزو ولنا نصف ما لهم من الميراث فنزلت واسألوا الله من فضله
الواسع عطف على تتمنوا وما بينهما اعتراض روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سلوا الله من فضله فان الله يحب ان يسال وان
افضل العبادة انتظار الفرج وقرا ابن كثير والكسائي وسلوا الله بنقل حركة الهمزة وحذفها
وحذف همزة الوصل تخفيفا ان الله كان بكل شيء عليما يعلم من يستحق البسط والقبض
ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون اي ولكل مال تركه موالي جعلنا وراثا يحوزونه
والتقدير وجعلنا لكل مما ترك فلا فاصل بين الموصوف والصفة او لكل قوم جعلناهم
موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون ولا يتوجه ان للموالي جمع المال لا نصيبا منه
لان في التركه مؤن التجهيز وقد يكون الوصايا والديون او ولكل موروث جعلنا
وراثا على ان من صلة موالي لما فيه من معنى الفعل ثم فسر الموالي بقوله الوالدان والاقربون
والوالدان وان دخلا في الاقربين الا انهما افردا للشرفهما وزيادة في الاهتمام والذين
عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم مبتدا وخبره والفاء لتضمن الموصول معنى الشرط ويجوز
عطفه على الوالدان وقوله فآتوهم جملة مسببة عن المتقدمة مؤكدة ونصبه على شريطة التفسير
نحو زيدا فاضربه عن ابن عباس رضي الله عنه كان قبل الاسلام يعاقد الرجل الرجل
ويقول دمي دمك وحربي حربك وترثني وارثك وكان الامر على ذلك في ابتداء الاسلام
حتى نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله فان قلت لا تنافي
بين هذا وبين توريث الحلف قلت روى البخاري عن ابن عباس رضي الله انه قال
ذهب الميراث ولكن يوصي له وفسر قوله فآتوهم نصيبهم على التناصر والنصيحة وذهب
ابو حنيفة رحمه الله الى ان رجلا لو اسلم على يد رجل وتعاقدا على ان يتوارثا يرثه ان لم
يكن له وارث آخر ان الله كان على كل شيء شهيدا رقيبا فاحذروه في مخالفة اوامره الرجال
قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم قام بالامر حفظه
ورعاه وفلان قوام اهله اي يقيم شانهم اشار الى وجه الحكمة في تفضيل الرجال على النساء
في الحظوظ والقسم بامرين احدهما موهبي لا دخل للسعي والكسب فيه كالنبوة والامامة والقضاء

وعموم الشهادة والجمعة والاعياد والاخر كسبي وسوء انفاق الاموال في المهور والنفقات
روي ابن جرير ان سعد بن الربيع الانصاري رضي الله عنه وهو احد النقباء ليلة
العقبة لطم امراته زينب بنت زيد بن ابي زهير فانطلق بها ابوها الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فامر بالقصاص فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله غيره والذي اراده الله
خير فالصالحات قانتات مطيعات من قنت اطاع ومن يقنت منكن لله
او قايمات بحقوق الازواج ومنه افضل الصلوة طول القنوت حافظات للغيب ما يجب
حفظه من الاموال والاسرار التي تقع بين الازواج في الخلوات وفي ايقاع الحفظ على
الغيب مبالغة في الوصف بالحفظ بما حفظ الله اي يحفظ الله اياهن بان اوصى الله
ورسوله برعاية حقوق الازواج فالحفظ مسند الى السبب لامر والباء للمقابلة او يحفظ الله
اياهن عن الخيانة او بالوعد على المحافظة والوعيد على الخيانة على ان الحفظ مجاز عن سببه
وما مصدرية على الوجوه واللاتي تخافون نشوزهن النشوز لغة الارتفاع فانها بالعصيان
ترتفع عن رتبتها فعظوهن بما اعد الله للمطيعات من الثواب وللناشزات من
العقاب روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دعى
الرجل امراته الى فراشه فابت لعنتها الملائكة الى الصباح وروى عنه لو امرت ان يسجد
احد لغير الله لامرت المراة ان تسجد لزوجها واهجروهن في المضاجع فان ذلك شديد عليهن
وعن ابن عباس رضي الله عنه كناية عن عدم الجماع واضربوهن ضربا خفيفا لا كسر فيه
ولا جراح ولا في الوجه والاعضاء الرئيسة فان اطعنكم في احدى تلك الاحوال فلا تبغوا
عليهن سبيلا بوجه قولا وفعلا فان التائب من الذنب كمن لا ذنب له وذكر الوحشة
وحشة ان الله كان عليا كبيرا ومع ذلك اذا تاب العبد تاب عليه فتخلقوا باخلاقه
وان خفتم شقاق بينهما الخطاب للولاة والحكام اضافة الشقاق الى البين مجازا
ما تشبيها بالمفعول به اتساعا في الظرف او بالفاعل بجعل البين شاقا كالنهار صايما فابعثوا
حكما من اهله وحكما من اهلها ان اشتبه عليكم حال الظالم منهما وقيد الاهل استحباب لانهم
اشفق واسعى في الاصلاح ولا دلالة فيه على جواز التحكيم فان الحكمين ليسا من جهة الزوجين
بل من جهة الولاة وهل لهما الجمع والتفريق بغير رضى الزوجين على الجديد من قولي الشافعي
وقول ابي حنيفة نعم ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما اي ان قصد الحكمان الاصلاح
بين الزوجين بنية صادقة وفق الله بين [illegible] واوقع الالفة بينهما وقيل الضمير ان
للحكمين اي ان قصدا الاصلاح وفق الله بين كلمتيهما وحصل الغرض وقيل للزوجين
اي ان تابا عن الضرار واضمار الشر والمشاقة يبدل الله البغض بالمحبة والشقاق بالوفاق
ان الله كان عليما خبيرا كامل العلم بظواهر الاشياء وبواطنها يعلم كيف يولف بينهما
وفيه تحذير للحكمين عن السعي بالفساد كما ان في الاول ترغيبا في الاصلاح واعبدوا الله
ولا تشركوا به شيئا استوفى جملة من الاحكام ثم عاد الى التوحيد الذي هو ملاك الامر وانتصاب

شيئا

شيئا على المصدر اي شيئا من الاشراك او المفعول به اي شيئا ما وبالوالدين احسانا
احسنوا احسانا وبذي القربى ذي القرابة فان الصدقة عليه صدقة وصلة رحم
واليتامى والمساكين والجار ذي القربى الذي قرب جواره روى البخاري عن
عايشة رضي الله عنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي جارين فالى ايهما
اهدي فقال الى اقربهما منك بابا وقيل الجار ذي القرابة والاول هو الوجه لتقدم
ذي القرابة والجار الجنب بعيد الدار او الاجنبي والصاحب بالجنب وابن السبيل
الرفيق في السفر او التعلم او المراة روى البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنه ما زال
جبرائيل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وما ملكت ايمانكم الارقاء روى انه
صلى الله عليه وسلم قال في مرض موته الصلاة الصلاة وما ملكت ايمانكم فجعل يكررها
ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا متكبرا تياها كثير الفخر بحطام الدنيا الذين يبخلون
ويامرون الناس بالبخل بدل من من كان مختالا او نصب او رفع على الذم و
في الحديث اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم وقيل البخل البخلاء من يبخل بمال
غيره وروى ابو داود شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وروى الترمذي خصلتان
لا تجتمعان في المؤمنين البخل وسوء الخلق وروى ايضا ثلثة لا يدخلون الجنة
خب وبخيل ومنان وقرا حمزة والكسائي البخل بفتح الباء والخاء والضم اكثر
ويكتمون ما اتاهم الله من فضله عابهم على كتمان ما انعم الله عليهم كما عابهم على
البخل ان الله يحب ان يرى اثر نعمه على عبده واما بنعمة ربك فحدث وقيل نزلت في
الحديث في اليهود بخلوا بما اوتوا في التوراة وكتموا ما انعم الله عليهم من نبوة محمد عليه السلام
واعتدنا للكافرين عذابا مهينا في مقابلة ذلك لاختيال والافتخار اوقع الظاهر موقع
المضمر للاشعار بالعلة وللعموم والذين ينفقون اموالهم رياء الناس ليقال انه جواد
روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه اول من يدخل النار مسلم صرف ماله في وجوه
البر لا اخلاصا بل ليقال فذلك حظه ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ليكون باعثا
لهم على الحذر مما يحبط العمل ومن يكن الشيطان له قرينا في الدنيا يزين له القبايح ويحثه على
ارتكابها او في الاخرة بان يقرن معه في النار لقوله وقيضنا لهم قرناء فساء قرينا قرينه
وماذا عليهم لو امنوا بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله انكار ونعي عليهم كمال جهلهم
فان العاقل يسارع الى ما فيه احتمال نفع فكيف والمدعو اليه راس كل منقبة ومنبع
كل سعادة الضمير للمنفقين رياء اولهم وللباخلين وكان الله بهم عليما لو اخلصوا او كان
الله بهم عليما انهم لا يؤمنون فلذلك لم تجد فيهم الايات والنذر ان الله لا يظلم مثقال
ذرة وزن ذرة نقصانا من الثواب او زيادة في العقاب والذرة النملة الصغيرة وقيل
اجزاء الهباء المبثوث في الكوة عند شعاع الشمس وعن ابن عباس رضي الله عنه انه ادخل
يده في التراب ثم اخرجها وقال كل هذه ذرات والمثقال مفعال من الثقل وان تك حسنة يضاعفها

يضاعف ثوابها اقله عشرة اضعاف واكثره لا يعلمه الا الله والتانيث باعتبار الخبر او
لاكتساب التانيث من المضاف اليه وحذف النون تبعا للواو وهذا مطرد فيما لا يمكن
بعده لكثرة الدور وقرا نافع وابن كثير حسنة بالرفع على كان التامة وقرا ابن كثير وابن
عامر يضعف مشددا ويؤت من لدنه اجرا عظيما لا يقادر قدره اشار بقوله من لدنه
الى انه تفضل منه فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد اى نبيهم يشهد عليهم بالتكذيب اى
فكيف من كذبك فى ذلك الوقت استعظام للهول وجئنا بك على هولاء شهيدا
اشارة الى كل مكذب من كل امة وشهادته شهادة امته كما رواه البخارى وتقدم فى سورة
البقرة ويحتمل ان يكون شهادته ايضا والاول ادل على عظم شانه ويجوز ان يكون اشارة
الى مكذبى امته روى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لى اقرا على القرآن قلت اقرا عليك وعليك انزل قال انى احب ان اسمعه من غيرى
فقرات سورة النساء حتى بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هولاء
شهيدا فقال حسبك فالتفت اليه فاذا عيناه تذرفان قيل كان بكاء سرور حيث شرفت
امته بالشهادة للانبياء والظاهر انه بكاء شفقة على عباد الله يومئذ يود الذين كفروا
وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض كناية عن الموت والدفن لعظم ما يشاهدون والباء
للملابسة او بمعنى على وقرا نافع وابن عامر تسوى بفتح التاء والتشديد بادغام احدى
التائين وقرا حمزة والكسائى بالفتح والتخفيف بحذف احدى التائين والباقون
بالضم والتشديد وهو المختار لانه الاصل ولا يكتمون الله حديثا لا يقدرون على كتمانه لان
الجوارح تشهد عليهم عطف على يود ويومئذ متعلق بالفعلين ويجوز ان يكون عطفا
على تسوى داخلا تحت التمنى او حالا من الضمير على ما روى عن ابن عباس رضى الله عنه
انهم اذا راوا مغفرة الله للمذنبين يقولون والله ربنا ما كنا مشركين فيختم على افواههم
وتشهد عليهم جوارحهم فحينئذ من شدة الخجل يودون ان لو لم يكذبوا فى قولهم والله ربنا
ما كنا مشركين يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى اردف سؤال القيمة
بالمحافظة على اشرف ما يسايل فى ذلك اليوم عنه صلى الله عليه وسلم اول ما يحاسب المرء
الصلوة فان كانت وافية يقال قبلوا سائر اعماله بها روى الترمذى عن على بن
ابى طالب صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا وسقانا من الخمر فاخذت منا و
حضرت الصلوة فقدموا فلانا فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون ونحن نعبد
ما تعبدون فنزلت والمراد النهى عن شربها فى اوقات الصلوة وقيل لا تقربوا مواضعها
وهى المساجد كما تجتنب الصبيان والمجانين من اطلاق الحال على المحل حتى تعلموا
ما تقولون تعلم منه حد السكر وهو ان يشرب حتى لا يدرى ما يقول ولا جنبا عطف
على جملة وانتم سكارى لان الجمل التى لها محل من الاعراب فى حكم المفردات والجنب يطلق
على المفرد والجمع مذكرا كان او مؤنثا الا عابرى سبيل الا مسافرين حال مقيدة للفعل

المقيد

المقيد بالحال الاولى كانه قيل لا تقربوا الصلوة فى حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى
تعذرون فيها وفيه ايماء الى ان سائر الاعذار مثل السفر وايثاره بالذكر لانه الغالب
فلا ينافى هذا الحصر ما يذكر بعد من الموجبات ويجوز ان يكون وصفا للحال اى
جنبا غير عابرى سبيل حتى تغتسلوا غاية للنهى وفيه اشارة الى ان المصلى ينبغى ان
يكون مراعيا لطهارة الباطن مما يلوث من الحقد والحسد وغيرهما وبه استدل
الشافعى رحمه الله على ان التيمم غير رافع للحدث لانه سماه جنبا مع التيمم وان كنتم مرضى
او على سفر او جاء احد منكم من الغائط كنى به عن الحدث لجرى العادة بقضاء الوطر
فى الغائط وهو المكان المنخفض او لامستم النساء كناية عن الوقاع وذهب الشافعى
رحمه الله الى ظاهره وجعل ملامسة الذكر والانثى من اسباب الحدث لقراءة حمزة والكسائى
لمستم بالقصر لان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ذكره فى مقابلة الوقاع فى حديث
المقر بالزنا حيث قال لعلك قبلت او لمست والاستدلال بتقدم الجنابة غير
ناهض لان ذلك فى استعمال الماء وهذا فى اباحة التيمم فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا
طيبا ذكر اربعة امور الاولان سبب للترخيص والعدول من الماء الى التراب
والثالث للوضوء والرابع للغسل والجزاء شئ واحد لاشتراك الكل فيه فان عدم
وجدان الماء معتبر فى الكل اما حقيقة كما فى الثلثة او تقديرا كما فى المريض الذى
لم يقدر على استعمال الماء وقدم المرض والسفر لانهما من اغلب الاسباب فكانه قال
ان جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء خصوصا المرضى والمسافرون فتيمموا
وكان الظاهر او جئتم من الغائط عدل الى المنزل لئلا يسند الفعل الى المخاطب فى المستقذر
صعيدا طيبا ترابا طاهرا صاعدا على وجه الارض وعن ثعلب والزجاج هو وجه الارض
واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله حتى لو ضرب يده على حجر صلد ومسح به صح تيممه فامسحوا
بوجوهكم وايديكم تعليم لكيفيته ولم يبين غاية المسح لانه مبين فى الوضوء وجنبه قول
رسول الله لعمار وفعله ان الله كان عفوا غفورا متجاوزا ستارا ولذلك شرع العدول
من الماء الذى هو غاية فى اللطافة الى التراب الذى هو كثيف الاركان الم تر الى الذين
اوتوا نصيبا من الكتاب خطاء افراسنه تعجب من حال احبار اليهود والرؤية فعل
القلب اى الم ينته اليهم علمك او النظر يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى مع
ذلك العلم ويريدون ان تضلوا السبيل ايضا فشا وهم فى الجهل والشقاء والله
اعلم باعدائكم منكم لانكم تعلمون بالمخايل والامارات وهو مطلع على ما فى الصدور من
الضماير وكفى بالله وليا فلا تتولوا هم وكفى بالله نصيرا ناصرا فتوكلوا عليه والباء فى
الموضعين صلة تؤكد الاسناد لان حروف الجر لايصال معانى الافعال الى الاسماء
من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا او لاعدائكم وما فى البين اعتراض
والمعنى ينصركم منهم كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا باياتنا التضمين معنى الانجاء

ويجوز تعلقه بما بعده اي من الذين هادوا قوم يحرفون الكلم عن مواضعه يزيلونها
راسا او يبدلونها بما يشتهون ويأولونها تأويلا باطلا ويقولون سمعنا قولك
وعصينا امرك واسمع غير مسمع دعاء عليه بالصمم او الموت او انت غير مسمع جوابا
ترضاه وله وجه مدح يؤدي به اي غير مسمع مكروها من قولهم اسمعه فلان كلاما اذا
قال له ما يكره وراعنا حتى نفهم كلامك كلمة سب عند اليهود ليا بالسنتهم عن
الحق الى الباطل يقصدون السب ويظهرون انهم ارادوا معنى الرعاية وطعنا في
الدين قدحا في دينكم ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم
واقوم واسد واعدل اريد بصيغة افعل الزيادة المطلقة ولكن لعنهم الله بكفرهم
طردهم لاجل كفرهم فلا يؤمنون الا قليلا الا ايمانا قليلا لا يعتد به سماه ايمانا على
زعمهم او القلة بمعنى العدم كقول كثير قليل التشكي في مهم يصيبه والاستثناء من ضمير
الفاعل اي الا قليلا منهم آمنوا يا ايها الذين اوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا
لما معكم من قبل ان نطمس وجوها فنردها على ادبارها الطمس محو الشيء وازالة اثره يقال
ليل طامس وطريق طامس يتعدى ولا يتعدى والمعنى آمنوا قبل ان نمحو آثار الوجوه
ونزيل محاسنها من العيون والحواجب وغيرها فنصيرها على هيئة الاقفاء مطموسة
الفاء للسببية او للتعقيب فالتوعد بالامرين الطمس وتعكيس الحال يجعل الوجه قفا
وبالعكس او الوجه رؤساء القوم على عرف العرب اي من قبل ان نسلب وجاهتهم
ونردهم الى حيث جاؤوا الى بلاد الشام وقد اجلاهم عمر رضي الله عنه الى اذرعات
وتيما او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت بان جعلناهم قردة وخنازير وهذا منتظر
في اليهود سيقع فيهم المسخ وقيل كان مشروطا بعدم ايمانهم وقد آمن طايفة عن
ابن جريان كعب الاحبار من اليهود لما سمع الآية اسلم مكانه وكان امر الله الذي
اراده مفعولا واقعا لا محالة ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
ترغيب في الايمان بعد ما قدم عظيم جرايم اليهود والمشركين وقد دل صريحا على انه
لا يغفر الشرك ويغفر ما دونه لمن يشاء وايده ساير الآيات والاحاديث المتواترة
معنى فمن قيد التائب بالتوبة فقد صرف الكلم والمراد من الشرك الكفر مطلقا لقوله
ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وايثار الشرك لانه حال المخاطبين من اليهود وعبدة
الاوثان ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اي ما يوجب ذلك اشتقاقه
من الفري وهو القطع لانه اختراعه من عنده يطلق على القول والفعل والمراد
القدر المشترك الم تر الى الذين يزكون انفسهم هم اهل الكتاب قالت اليهود
والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او
او نصارى وغيرها من مخلفاتهم بل الله يزكي من يشاء بالتوفيق للطاعات
والثناء عليه ولا يظلمون فتيلا اقل قليل والفتيل ما في شق النواة يضرب به المثل

في القلة

في القلة انظر تعجب الخطاب عام كيف يفترون على الله الكذب في زعمهم تزكيتهم
انفسهم وكفى به اثما بذلك القول والزعم مبينا لا يخفى على احد الم تر الى الذين اوتوا نصيبا
من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت تعجب من نوع آخر من اباطيل اليهود
الجبت يطلق على كل باطل غير عربي لاجتماع الجيم والباء من غير حرف ذولقي والطاغوت
رأس كل ضلالة شيطانا كان او انسانا يطلق على المفرد والجمع اشتقاقه من الطغيان
وهو التجاوز عن الحد ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا
عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف وامثالهما
جاؤوا اهل مكة يحالفونهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال المشركون انتم
اهل الكتاب واهل العلم نحن نسقي الحاج ونفك العاني ومحمد قطع الارحام واتبع سراق
الحاج من غفار نحن خير ام محمد فقالوا انتم خير فنزلت اولئك الذين لعنهم الله
ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا اذ لا ترد ارادته ولا يقاوم قدرته قدرة فان قلت
النصير اخص من الناصر فلا يستلزم سلبه سلبه قلت اراد الكامل في باب النصرة
اذ لم يقدر على نصرهم غيره ابعد مراحل ام لهم نصيب من الملك فاذن لا يؤتون
الناس نقيرا ام منقطعة انكار لان يكون لهم ملك واشار الى انهم احقاء بذلك
بانهم لو نالوه لمنعوا الناس اقل قليل والنقير النقرة في ظهر النواة اضرب عن ذمهم بتوصيفهم
انفسهم بالزكاء الى ذمهم بالبخل لان الاتصاف بالرذيلة ابلغ ذما من الخلو عن الفضيلة
ولانه كالدليل على ان لا زكاء او المعنى انكار الجمع بين الامرين فان ايتاء الملك كان
حريا بان يؤثروا منه جانبا في حب من خولهم وقد عكسوا او المعنى لو كان لهم نصيب
كامل من ملك الله لشحوا به في شيء كقوله لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم
فالفاء في اذن للسببية والجزائية لشرط محذوف على التقادير ويجوز ان يكون عاطفة
والمنكر مجموع الامرين والتوبيخ اي قد اوتوا نصيبا من الملك فانهم كانوا ذوي ثروة
واموال جزيلة وشحوا باقل قليل واذن على هذه الزيادة الانكار ام يحسدون الناس
على ما آتاهم الله من فضله اضراب عن الاضراب تدرجا فان الحسد انكر واشنع
لانه بخل واعتراض على الحكم وعدم الرضا بما قسم والناس رسول الله والفضل النبوة
او هو والمؤمنون والفضل النصر المتواتر والمدد المتكاثر والعز المتظاهر يوما فيوما فقد
آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما الفاء فصيحة اي ان كان
حسدهم رسول الله والمؤمنين على ما آتاهم من العز والنبوة والنصر فقد عرفوا ان اسلافه
قد اوتوا توابع النبوة ملكا عظيما مثل ملك داود وسليمان فلا بدع في ان يخوله الله ما خول
وهو افضل الرسل وعنه صلى الله عليه وسلم خيرني الله بين ان اكون نبيا ملكا وان اكون
نبيا عبدا فاخترت ان اكون عبدا نبيا فانا آكل كما يأكل العبيد واجلس كما يجلس
العبيد وقيل عابوه بكثرة النساء فاجيبوا بان في الانبياء من كان اكثر نساء فان داود

كان له مائة امرأة وسليمان كان له ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية فمنهم من آمن به ومنهم
من صد عنه اي فمن اليهود من آمن بما ذكر من حديث آل ابراهيم ومنهم من اعرض
عنه وانكر مع علمه ومن اليهود من امن برسول الله ومنهم من انكر نبوته او من آل
ابراهيم من امن به ومنهم من اعرض وانكر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون
وكفى بجهنم سعيرا نارا موقدة من سعرت النار اوقدتها ان الذين كفروا باياتنا
سوف نصليهم نارا الكائنا من كان آل ابراهيم او غيرهم كلما نضجت جلودهم بدلنا
هم جلودا غيرها مكانها جلودا اخرا وازلنا فسادها وجعلنا جلودا صحيحة كما كانت روى
ابن ماجه عن ابن عمر عن عمر رضي الله عنهم قال سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
يقول تبدل جلودهم في الساعة الواحدة مائة وعشرين مرة وروى الامام احمد عن
ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ما بين شحمة اذن الكافر وعاتقه مسيرة
سبعمائة عام وغلظة جلده سبعون ذراعا ليذوقوا العذاب على الدوام ان الله
كان عزيزا غالبا على كل شيء حكيما فيما اعده من العذاب لمن كذب باياته
والذين امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها
ابدا قدم عذاب الكفار لان الكلام مسوق لبيان شانهم وفي ايثار السين هنا
وصحيح ذكر الابد اشارة الى سبق رحمته غضبه لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا
ظلا وافيا ليس فيها شائبة حر في مقابلة ظل الكفار ظل ذي ثلث شعب لا ظليل
ولا يغني من اللهب ترمي بشرر كالقصر ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها
اروف مانعي به على اهل الكتاب من الخيانة وتحريف الكلم بالامر باداء الامانة الخطاب
للمؤمنين كافة والامانة تعم ما بين العبد وبين الله وما بين العباد روى البخاري
عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة اراد ان يدخل البيت
وكان المفتاح في يد عثمان بن ابي طلحة الحجبي فطلبه منه فابى فقال علي رضي الله عنه اعط
المفتاح لرسول الله قال لو علمت انه رسول الله ما منعته فلوى علي يده واخذ منه
المفتاح فلما دخل البيت ودخل معه بلال واسامة بن زيد صلى فيه ركعتين ودعا
في نواحي البيت ثم خرج فطلب العباس منه المفتاح لتكون له السدانة والسقاية
نزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فلما جاء علي بالمفتاح معتذرا قال
اكرهت وآذيت ثم جئت معتذرا فقرأ عليه الآية وقال الآن نزلت في شانك
فاسلم عثمان مكانه واستمرت السدانة في اولاده الى يومنا هذا في بعض كتب السير
وقال ابن عبد البر اسلم قبل الفتح في ايام صلح الحديبية واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا
بين العدل قيل الخطاب للولاة لان الحكم شانهم والحق عمومه كالاول لما روى البخاري
عنه صلى الله عليه وسلم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته الرجل راع في بيته ومسئول عن رعيته
والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ان الله نعما يعظكم به ما نكرة موصوفة

اي نعم شيئا الذي يعظكم به او موصولة اي نعم الشيء قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح النون
وكسر العين وابن كثير وورش وحفص بكسر النون والعين وابو عمرو وقالون وابو بكر بكسر النون
واختلاس كسر العين الاول هو الاصل والثاني لاتباع النون العين والثالث لطلب
الخفة لاجتماع الكسرتين وهو المختار ان الله كان سميعا لاقوالكم في الاحكام بصيرا
باحوالكم من الميل الى الحق والباطل يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول
واولي الامر منكم امر الرعايا باطاعة الولاة بعد ما وصى الولاة بهم وطاعة الولاة طاعة
الله ورسوله لما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما الطاعة في المعروف ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق والاية عامة في كل
من يلي امرا من امور المسلمين فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول الى
الكتاب والسنة ولا دليل فيه لمنكر القياس لان الرد الى الكتاب والسنة لا يكون
الا بالجامع وهو القياس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر بالمبداء والمعاد آثر ان
بعد نداءهم بوصف الايمان اشارة الى ان النزاع ليس من اخلاق المؤمنين ذلك
الرد خير واحسن تأويلا عاقبة المراد الزيادة المطلقة اذ لا خير في عدم الرد الم تر الى
الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا
الى الطاغوت تعجيب ممن لم يرض بحكم الله ورسوله نزلت في بشر المنافق خاصم
يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله ودعا المنافق الى كعب بن الاشرف فتحاكما
الى رسول الله فحكم لليهودي فلم يرض المنافق ودعاه الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه
فقال اليهودي لعمر قضى لي رسول الله ولم يرض بقضائه فقال عمر اكذلك قال نعم فقال
مكانكما حتى اخرج فدخل وخرج والسيف في يده فضرب عنق المنافق وقال هكذا
اقضي لمن لم يرض بحكم رسول الله فنزلت وقال جبرئيل ان عمر فرق بين الحق والباطل
فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انت الفاروق صيغة مبالغة كالناموس والجاسوس
والطاغوت كعب بن الاشرف اما لشدة طغيانه وعلى التشبيه بالشيطان استعارة
او الشيطان بان جعل التحاكم الى غير رسول الله تحاكما الى الشيطان وهذا اولى لقوله
وقد امروا ان يكفروا به اي بالشيطان ولقوله ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا
اسند البعد الى الضلال مجازا مبالغة في ضلال صاحبه واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله
من الكتاب والى الرسول والى حكمه رأيت المنافقين من رؤية البصر يصدون
عنك صدودا يعرضون عنك الجملة في محل الحال يدل على انهم كانوا مستمرين على
الاعراض فكيف اذا اصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم بما اكتسبوا من الاثم بالاعراض
عن حكم الله تعالى تهويل للعذاب الذي سينزل بهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان
اردنا الا احسانا اليك بان لا نشغل بالك ولذلك تحاكمنا الى غيرك وتوفيقا
بين الخصمين لا اعراضا عن حكمك ففرج عنا هذه المصيبة بدعائك وقيل جاءه اولياء

بشر المنافق يطالبون عمر بدمه وقد اهدره الله فعلى هذا اذا لمجرد والظرفية اولئك
الذين يعلم الله ما في قلوبهم من النفاق ورسوخ العداوة فاعرض عنهم مجاملة
لاظهارهم الايمان وان لا يقال محمد يقتل اصحابه وعظهم كما هو دأب الناصح الشفيق
وقل لهم في انفسهم قولا بليغا مؤثرا في انفسهم يغتمون به ويستشعرون منه الخوف
بان يقول حالكم في النفاق معلوم وان بدا منكم شئ آخر من المخالفة لم يبق الا استيصالكم
وهذه المجاملة ليست الا لاظهاركم الايمان او قل لهم قولا بليغا في الخلوات لان النصح
في الخلوة انجع وادعى الى القبول او الجار متعلق بقل اي قل لهم في شان نفوسهم المنافقة
بداء الجهل ومرض النفاق بان يداووها بترياق الايمان وصفو الاخلاص فالبليغ
في هذا الوجه من البلاغة وفي الاولين من البلوغ بمعنى الوصول والتأثير وما ارسلنا
من رسول الا ليطاع باذن الله بسبب اذنه في طاعته او بارادته وتيسيره واذا انحصرت
الفايدة في طاعته فمن ابى فقد نازع الله في احكامه فكان قتله عين الصواب ولو
انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى غيرك وساير وجوه النفاق جاؤك مقرين بالذنب
فاستغفروا الله طلبوا مغفرته واستغفر لهم الرسول شفيعا عدل من الخطاب الى لفظ
الرسول دلالة على ان من كان في منصب الرسالة حقيق بان يكون شفيعا للمذنبين
لوجدوا الله توابا رحيما قابلا توبتهم متفضلا عليهم فلا وربك لا يؤمنون لا مزيدة للقسم
كما في لا اقسم والفاء للدلالة على ان القسم مسبب عن فعلهم حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما
التبس عليهم ومنه الشجرة لاختلاط اغصانها وفي لفظ التحكيم اشارة الى انه يجب ان يكونوا
هم الطالبين منك الحكم الساعين اليك ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ضيق
صدر وقلقا ويسلموا او ينقادوا لحكمك تسليما انقيادا ظاهرا روى مسلم والبخاري
انها نزلت في الزبير ورجل من الانصار اختصما في شراج من الحرة فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فقال الانصاري لان كان ابن
عمتك فتغير وجه رسول الله وقال اسق يا زبير حتى يرجع الماء الى الجدر كان في الاول
امره بما كان فيه رفق لصاحبه فلما احفظ استوفى للزبير حقه والقول بان خصم زبير
حاطب بن ابي بلتعة سهو لان حاطبا حليف قريش ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا
انفسكم كما كتبنا على بني اسرائيل او اخرجوا من دياركم تنزلا الى الادنى ما فعلوه الا
قليل منهم وقرأ ابن عامر الا قليلا وهم الكمل او الا فعلا قليلا كاينا منهم وفيه توبيخ
شديد حيث جعلهم اقل انقيادا من بني اسرائيل وهم خير القرون من خير امة وعن
شريح بن عبيد لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عبد الله بن رواحة وقال
هذا من ذلك القليل ولو انهم فعلوا ما يوعظون به آثره على يؤمرون به اشارة الى
ان اوامره من قبيل الوعظ والنصح كالدواء المر من الطبيب لكان خيرا لهم عاجلا وآجلا
واشد تثبيتا لدينهم او لما هم فيه من المال والمنال واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما

عطف على الجزاء وزيادة اذن للدلالة على ان هذا الجزاء بعد ترتيب السابق ويحتمل
القسم اي اذن والله لآتيناهم كما في قول الحماسي اذن لقام بنصري ولهديناهم
صراطا مستقيما لا اعوجاج فيه اخره عن اعطاء الاجر لانه المقصود منه ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم متصل بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول
وحديث المنافقين واعراضهم مستطرد روت عايشة وابن عباس وغيرهما رضي الله
عنهم ان ناسا من اصحاب رسول الله شكوا اليه شدة حبهم اياه وخوفهم من فراقه
في الجنة فانه يرفع الى اعلى المنازل فنزلت من النبيين والصديقين والشهداء و
الصالحين بيان للمنعم عليهم اربعة اقسام الانبياء الذين حازوا قصب السبق في مضمار
السعادة جمعوا بين الكمال والتكميل وهم الواسطة بين الله وبين عباده في العرفان
والاتصال والصديقون البالغون في الصدق كابي بكر وعمر ومن نهج منهجهم رضي الله
عنهم والشهداء الذين جادوا بارواحهم في اعلاء كلمة الله اخلاصا والصالحون الذين
صلحت احوالهم مع الله وعباده لا الذين عرفانهم بالله بامارات واقناعات لعدم
الاعتداد بها في العقايد لاسيما في معرفة الله تعالى وحسن اولئك رفيقا الرفيق كالصديق
يطلق على المفرد والجمع والظاهر انه جمع حال او تميز ويجوز ان يكون تميزا مفردا قصد
بيان الجنس كالماء والعسل ذلك الفضل من الله مبتدا وخبر على ان الجار والمجرور
من تتمة الخبر حال منه او الفضل صفة والجار والمجرور هو الخبر اي ذلك الانعام تفضل
منه تعالى وفيه حث على الدخول في زمرتهم وكفى بالله عليما بمن هو اهل لذلك
يا ايها الذين آمنوا خذوا حذركم الحذر والحذر كالاثر والاثر التيقظ والاحتراز جعل
مأخوذا على طريقة الاستعارة بالكناية بيان رتبة التمهيد مما يحث على المبادرة الى
نيلها من غير عدة واسباب فاشار الى ان القصد اعلاء كلمة الله واهلاك اعدائه و
ذلك بالاسباب والآلات فانفروا ثبات جماعات كالسرايا جمع ثبة من ثبت
فلانا اذا ذكرت مآثره وانفروا جميعا جيشا واحدا وكوكبة مجتمعة وان منكم لمن
ليبطئن اللام الاولى للابتداء دخلت على اسم ان لوقوع الخبر فاصلا والثانية
جواب القسم والقسمية خبر ان وبطأ بمعنى تبطأ والتشديد للتكثير او للتعدية
اي تبطئ غيره ويدعوه الى التقاعد هذا كان حال المنافقين كما فعل عبد الله
بن ابي يوم احد انخزل مع ثلثمائة فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله علي اذ لم اكن
معهم شهيدا بعد ذلك من نعم الله عليه ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان
لم يكن بينكم وبينه مودة اعتراض بين القول ومقوله وهو يا ليتني كنت معهم
يشتمل على التهكم لان تشبيه حالهم بحال عديم المودة يشعر بثبوت المودة بينهم و
معلوم ان لا مودة لان الكلام في بيان نفاقهم وجعله داخلا تحت المقول بان
يقول المنافقون لضعفة المسلمين كان لم يكن بينكم وبين محمد مودة حيث لم يستعن بكم

فتفوزوا اما فاز بعيد عن المقام بل غير واقع جزما وقرا ابن كثير وحفص تكن بالتانيث
والتذكير احسن لوجود الفاصل فافوز فوزا عظيما عددا ما ينالونه من سهم الغنيمة فوزا
عظيما لقصور نظرهم على حطام الدنيا فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة
الدنيا بالاخرة يشترونها ويختارونها على الاخرة حث للمبطئين على التشمير واللحوق بالغازين
الفاء للتعقيب او حث للمؤمنين على القتال وان لا يبالوا بالمنافقين والفاء جواب
شرط مقدر والمعنى ان تبطأ هؤلاء المؤثرون للحيوة الدنية فليقاتل في اعلاء كلمة الله
الذين باعوا الحيوة الدنيا واشتروا بها الاخرة ومن يقاتل في سبيل الله كائنا من
كان فيقتل او يغلب قدم القتل مع ان قصد المقاتل الغلبة تشجيعا للنفوس
منه فسوف نؤتيه اجرا عظيما لا يحيط به الا علام الغيوب وما لكم مبتدا وخبر اي اي
صارف لكم لا تقاتلون في سبيل الله حال كونكم غير مقاتلين في سبيل الله والمستضعفين
وسبيل المستضعفين وهو استخلاصهم من ايدي المشركين او نصب على الاختصاص
لان سبيل الله يشمل ابواب البر كانه قيل واخص من ذلك خلاص هؤلاء الضعفة
من الرجال والنساء والولدان بيان للمستضعفين على وجه الترقي من الاقوى لانه
اذا كان مستضعفا فالاضعف اولى وذكر الولدان للدلالة على فرط ظلمهم حيث عذبوا
الاطفال الذين هم محل الرافة والترحم وقيل الولدان العبيد والاماء لاطلاق الوليد
عليهما والجمع على الولدان والوجه هو الاول لما روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه
كنت انا وامي منهم الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها هي
مكة شرفها الله وصفت بوصف اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك
نصيرا فاستجاب الله دعاءهم فخرج من خرج وفتح الله مكة على رسوله فجاءهم خير ولي وخير ناصر
من غير كلفة ومشقة وليس الذي يستتبع القحط وايما يمكن جاء في داره واهل القطر فخرج
بعد فتح مكة الى هوازن وهي غزوة حنين وولى عتاب بن اسيد واليا على اهل مكة
وكان سنه ثماني عشرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت اسيدا في الجنة وكان مات
مشركا فاولته بابنه الذين امنوا يقاتلون في سبيل الله ترغيب للمؤمنين بان قتالهم
في ازالة لانجاس المشركين واماطة للاذى عن سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في
سبيل الطاغوت في طريق الشيطان الموصل الى النار فقاتلوا اولياء الشيطان ان
كيد الشيطان كان ضعيفا غاية الوسوسة والكذب كان يوم بدر مع المشركين وقال
لا غالب لكم اليوم من الناس فلما راى امداد الملائكة نكص على عقبيه وقال اني
ارى ما لا ترون الم تر الى الذين قيل لهم كفوا ايديكم عن القتال واقيموا الصلوة واتوا
الزكوة كان المفروض بمكة من الاحكام الصلوة والزكوة بمعنى مواساة الفقراء والمساكين
ومقاديرها ثبتت بالمدينة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مامورا بترك التعرض للكفار
بقوله دع اذاهم والصبر ونظائرها فجاء عبد الرحمن بن عوف واناس من الصحابة يستاذنونه

في القتال فلم ياذن لهم فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله
كاهل خشية الله اي حال كونهم مشبهين بهم او اشد خشية عطف على الحال والمعنى يخشون
الناس حال كونهم اشد خشية من اهل خشية الله فالتفاضل بين خشيتي الفريقين ولا يجوز
ان يكون اشد صفة مصدر محذوف لان الخشية الموصوفة باشد يلزم ان يكون اقوى
من ساير الخشيات في الخشية ولا يستقيم الا على طريقة جد جده وقد تقدم مستوفى في اشد قسوة
في البقرة وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب زيادة توبيخ حيث
لم يكتفوا بما في ضميرهم من الخوف بل اظهروا الضجر قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن
اتقى فلم تطلبون الاقامة على ذلك القليل ولا تظلمون فتيلا ادنى شيء من ثوابكم
وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي بيا الغيبة والخطاب على الالتفات ابلغ في التسلية اينما
تكونوا يدرككم الموت في اي مكان كنتم ولو كنتم في بروج مشيدة في قصور رفيعة حصينة
وعن السدي في بروج السماء واذا كان الموت امرا محتوما وقدرا مقدورا فلا وجه لطلب
تاخير القتال فلا الاقدام في القتال يدنيه ولا الاحجام يقصيه وان تصبهم حسنة يقولوا
هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك الضمير للمبطئين وما في البين
مستطرد له ترغيب للمؤمنين وقيل نزلت في اليهود قالوا منذ قدم محمد غلت الاسعار ونقصت
الثمار والحسنة تطلق على الطاعة والنعمة وكذا السيئة على الاثم والبلية والمراد بهما الخصب
والقحط بقرينة الاصابة والحسنة كثيرة الوقوع وكان الظاهر اذا وانما اثر ان للدلالة على
انهم احقاء بان يتواتر عليهم النقم قل كل من عند الله بيده القبض والبسط فما لهؤلاء
القوم لا يكادون يفقهون حديثا شيئا من الحديث او حديثا كاملا في البيان والبلاغة
وهو القران احسن الحديث الناطق بان الامر كله اليه ولا واسطة في احكامه ما اصابكم
من حسنة فمن الله وما اصابكم من سيئة فمن نفسك لانها الواسطة في استجلابه وان
كان من عند الله ايجادا وخلقا والخطاب عام والاحسن ان يكون الخطاب لرسول الله
ودلالة على انه مع زكائه عن الشوايب وقربه من الله اذا كان كذلك فالغير اولى وعن
بعض العارفين اذا عصيت الله اعلم من خلق دابتي وارسلناك للناس رسولا
الجار يتعلق برسولا اي للناس كافة فلا ينبغي ان يخرج احد من طاعتك وفيه اشارة
الى تعكيسهم حيث تشاءموا بالرحمة المرسلة وجالب خير الدارين وكفى بالله شهيدا على
رسالتك بان ايدك بالمعجزات الظاهرة وآيات باهرة دالة على صدق دعواك ومن
يطع الرسول فقد اطاع الله بالغ في الحث على اتباعه بجعل طاعته طاعته ثم هدد بقوله
ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا ضابطا لاحوالهم ما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا
ويقولون طاعة امرنا وشاننا طاعتك فاذا برزوا من عندك ظهروا بيت طايفة
منهم غير الذي يقول دبر امرا اخر من بيت الامر اذا دبره بالليل لانه يجمع الآراء والخواطر
فالعكر فيه اصوب وادغم التاء في الطاء ابو عمرو وحمزة لقرب المخرج والله يكتب ما يبيتون

علام الغيوب اذ اكتب شاهد على كمال اعتنائه لمجازاة فاعله والاسناد مجاز لانه الآمر
وما موصولة والمصدرية ابلغ فاعرض عنهم وتوكل على الله فوض امرك اليه وكفى بالله وكيلا
موكولا اليه ولا يأتي هذا ليس الآلات الحرب وسائر مكايد القتال لانها اسباب واقعة
لوسواس الشيطان افلا يتدبرون القرآن فيستدلون به على رسالتك لانه كلام فوق
طوق البشر صادر عن امي لم يتعاط كتابة وقريضا وخطبا والتدبر النظر في دبر الشيء وعواقبه
والفكر النظري مقدماته وسوابقه ثم استعمل في كل تامل ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه
اختلافا كثيرا بان يوجد فيه موضع طعن يدركه ارباب البلاغة ولم تقع ذلك مع انه نزل
منجما بين اقوام حراص على القدح فيه وبمعنى بان يوجد فيه نقل مخالف لما في زبر الاولين
مع احتوائه على احوال المبدا والمعاد واحكام الشرايع اصولا وفروعا وما قيل لو كان من
عند غير الله لكان مختلفا بعضه بالفاحد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه بناء على العرض اي
لو فرض وقوع معجز فيه لكان في البعض خاصة ويكون ماخوذا من كلام الله على طريق الاقتباس
ونحوه واذا جاءهم امر من الامن او الخوف اذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر
منهم عطف على ويقولون طاعة وقوله افلا يتدبرون القرآن اعتراض تحذيرا عن اضمار
ما يخالف الظاهر وان في تدبر القرآن ما يجر الى طاعة المنزل عليه وضميرهم لبعض ضعفة
المؤمنين لان ضمير يقولون يعم المبيت وغيره وكان هولاء اذا بلغهم من سرايا رسول الله
امر يسر او يحزن بادروا الى اذاعته واشهاره فيقع بذلك مفاسد ولو القوا ذلك الخبر بعد
سماعه الى رسول الله وذوي التجارب لعلمه الذين يستنبطونه منهم اي يستخرجون تدبيره
بافكارهم الثاقبة من استنبط الماء اذا اخرجه من البئر بكدح ومشقة وقيل كانوا اذا وقفوا
على امر من الامن والخوف من رسول الله واطلعوا عليه من جهته اذاعوه وكان في ذلك
مفاسد ولو سكتوا عنه كانهم لم يسمعوا العلمه المستنبطون كيفية تدبيره ولما اشاعوا ان
رسول الله طلق نسوانه سأله عمر اطلقت نساءك قال لا قال عمر انا من الذين يستنبطونه
وقيل كانوا يسمعون امرا من الامن والخوف من افواه المنافقين ولو ردوه الى الرسول
والى اولي الامر عدم اذاعته الى ان يسمعوه منهم فالمستنبطون هم المذيعون لاستعلامهم
الخبر من الرسول والى الامر فمن على هذا ابتدائية وعلى الاولين بيانية تجريدية او تبعيضية
ولولا فضل الله عليكم ورحمته ايها المؤمنون بارسال الرسول لاتبعتم الشيطان الا قليلا
منكم يوفقه الله بعلم من لدنه كزيد بن نفيل موحد الجاهلية لم يسجد لصنم ولم ياكل ذبيحة
المشركين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثناء عليه يحشر يوم القيمة امة وحده والتمثيل
بورقة بن نوفل سهو لانه ادرك رسول الله وآمن به واخبره بانهم يستخرجونه من مكة و
يعادونه وتمنى ان يدرك ذلك اليوم رواه البخاري او المعنى ولولا فضل الله عليكم ايها
الرسول والمؤمنون لاتبعتم الشيطان بالاصغاء الى المتبطئين في ترك القتال الا قليلا
هو الرسول والمستنبطون وهذا انسب بالمقام وفيه احماد حال الاقوياء وتحريك لحمية الضعفاء

واذا

واذا وفقت ايها الرسول هذا التوفيق من تجنب اتباع الشيطان واوتيت هذا الفضل
فقاتل في سبيل الله لا يكلف الا نفسك الا فعل نفسك وحرض المؤمنين بما عد الله
من الاجر لمن يقاتل في سبيله عسى الله ان يكف باس الذين كفروا من قريش وقد
فعل فان اباسفيان واعد رسول الله يوم احد ان يلقاه في القابل ببدر فالقى الله الرعب
في قلبه فلم يجسر على المجيء والله اشد باسا من كل ذي باس واشد تنكيلا تعذيبا كالملازم
للاول من يشفع شفاعة حسنة تكن له نصيب منها من اجرها الشفاعة من الشفع لان
الشافع يضم نفسه الى ذي الحاجة والحسنة ما كانت لدفع مفسدة دينية او جلب مصلحة
كذلك ومن يشفع شفاعة سيئة ما يجلب وزرا يكن له كفل منها من وزرها والكفل
المثل من الكفالة وهي القيام بمثل ما على الغريم اثره لان جزاء السيئة سيئة مثلها بخلاف
الحسنة فان الاجر فيها مضاعف وكان الله على كل شيء مقيتا مقتدرا من اقات
على الشيء اقتدر قال زبير بن عبد المطلب وكنت على اساءته مقيتا اشتقاقه من القوت
لانه يمسك النفس ويحفظها واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها اردف الشفاعة
التي هي من حقوق المسلمين ما هو افضل منها وهو السلام روى البخاري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سئل اي الاسلام افضل قال ان تطعم الطعام وتقرا السلام على من
عرفت ومن لم تعرف وروى ابن جرير ان سلمان الفارسي قال جاء رجل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله ثم جاء آخر
فقال السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته ثم جاء آخر
فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال
الرجل يا رسول الله زدت فلانا فقال انك لم تدع شيئا وقال الله تعالى او ردوها فرددناها
عليك ابتداء السلام سنة ورده فرض وهذا مما يستطرف يقال سنة افضل من الفرض
وله مواضع يستثنى فيها تركه كالخلاء والحمام والصلوة فان سلم لا يستحق الجواب ومن آدابه
ان يسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير
على الكبير والاقل على الاكثر وابتداؤه من واحد كاف وكذا الرد ان الله كان على كل شيء حسيبا
محاسبا مجازيا عليه حث على محافظته فانه مما يتساهل فيه الله لا اله الا هو مبتدا وخبر ولا اله
الا هو اعتراض يؤكد معنى الالوهية والخبر ليجمعنكم الى يوم القيمة واللام جواب قسم
محذوف تعليل لما قبله وعدى بالى لتضمين معنى الحشر لا ريب فيه اي في يوم القيمة حال
من اليوم او في الجمع صفة مصدر ومن اصدق من الله حديثا اي لا احد لان الكذب
للضرورة او الجهل بقبحه وعلام الغيوب والغني المطلق محال في حقه تعالى عن ذلك
علوا كبيرا وقرا حمزة والكسائي باشمام الصاد زايا لان الصاد مهموس والدال مجهور
قرب بينهما بحصة من الزاء فما لكم في المنافقين فئتين نصب على الحال كقولك ما لك
قائما اي اي شيء ظهر لكم من امارات الايمان حتى افترقتم في شانهم روى الامام احمد

عن زيد بن ثابت انها نزلت في الذين تخلفوا يوم احد ثلثمائة رجل وعن
ابن عباس رضي الله عنه في قوم تكلموا بالاسلام بمكة وخرجوا مظاهرين للمشركين
وقيل في قوم هاجروا ثم استاذنوا رسول الله في البدو لاجتواء المدينة فلحقوا
بالمشركين وقيل في العرنيين قتلوا راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستاقوا
سرحه ولا يكاد يصح لانهم قتلوا في ذلك اليوم ثم قتل قطعت ايديهم وارجلهم وسمرت
اعينهم والقوا في الحرة حتى ماتوا عطشا والله اركسهم بما كسبوا ردهم الى الكفر
بما كسبوا من اسبابه من الركس وهو رد الشيء مقلوبا الجملة حالية تؤكد معنى الانكار
ولذلك اكده بقوله اتريدون ان تهدوا من اضل الله جعل ترددهم في ايمانهم
بعد ظهور نفاقهم بمثابة الارادة لما اراد الله ضده ومن يضلل الله فلن تجد له
سبيلا الخطاب لرسول الله لانه ارسل رحمة للعالمين فاذا لم يقدر موفقيره بمراحل
ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء في الكفر والشقاء استيناف لبيان
بعد حالهم عن الاهتداء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله لا توليتهم
حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة خالصة في الجهاد معهم او من مكة فان تولوا اعرضوا
عن ذلك الايمان فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم في الحل والحرم اذ لا فرق
بينهم وبين ساير المشركين ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا ليقطع الحبل بينكم
من كل وجه زيادة على ساير الكفار لانهم اخبث الكفرة ولذلك بالغ بتكرير النهي و
تنكير المفعول وتكرير الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق استثناء من
من قوله فخذوهم واقتلوهم لا من لا تتخذوا منهم وليا لان اتخاذ الولي حرام بلا استثناء
بخلاف القتل والقوم هم الاسلميون سيدهم هلال بن عويمر كان بينه وبين رسول الله
عهد سنة الفتح ان لا يعينه ولا يعين عليه ومن وصل اليه ولجأ اليه فله الجوار وقيل هم
بنو بكر بن مناة او جاؤكم حصرت صدورهم قد حصرت في محل الحال والعطف على الصلة
اي او الذين كفوا عن قتالكم دلالة على ان المكافة عن القتال احد سببي عدم التعرض
كالاتصال بالمعاهدين ويجوز عطفه على الصفة وهي بينكم وبينهم ميثاق والمعنى او
الذين يصلون الى قوم حصرت صدورهم فان المتصل بمن كف حكمه حكمه والاول
اوجه لان المتصل بالكاف كاف فلا وجه لالحاقه به بخلاف المتصل بالمعاهد لان
قوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم تقرير للكف لا الاتصال ولان هؤلاء بنو مدلج
سيدهم سراقة بن مالك جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسال ان يوادع
قومه فان اسلم قريش اسلموا فبعث معه خالد بن الوليد فصالحهم على ان لا يعينوا
رسول الله ولا يعينوا عليه وان اسلمت قريش اسلموا ان يقاتلوكم او يقاتلوا
قومهم لان كراهة قتال الفريقين علة لحصر الصدور ولو شاء الله لسلطهم عليكم بان
يقوي قلوبهم على قتالكم فلقاتلوكم فيه امتنان وتوكيد للكف عنهم بعد كفهم ولذلك

اكده بقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم بعد ذلك الاعتزال والقوا اليكم السلم فما جعل الله
لكم عليهم سبيلا للتعرض بوجه ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم
هؤلاء منافقوا الاعراب حول المدينة غطفان وبنو عبد الدار وبنو اسد كانوا اذا قدموا
المدينة اظهروا الايمان واذا رجعوا الى قومهم كفروا كلما ردوا الى الفتنة كلما دعوا الى الشرك
او قتال المسلمين اركسوا فيها قلبوا فيها شر قلب لان الواقع في الحفرة منكوسا شر
من الواقع سويا فان لم يعتزلوكم في جانب ويلقوا اليكم السلم الانقياد وظاهر الاشارة
الى عدم ايمانهم باطنا ويكفوا ايديهم عن قتالكم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم
في اي مكان تمكنتم منهم ابلغ من قوله حيث وجدتموهم لان الثقافة في الاصل الخفة
والحذق واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة لانكشاف حالهم وعظم
جرمهم وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ما كان من شيم المؤمن واخلاقه
قتل اخيه المؤمن في شيء من الاحوال او لعلة من العلل او قتلا بوجه الا في حال الخطأ
او للخطأ ولا يلزم منه جواز القتل خطأ شرعا نزلت في عياش ابي ربيعة اخي ابي جهل
لانه قتل الحرث بن يزيد العامري خطأ وذلك ان عياشا اسلم قبل الهجرة وهاجر
الى المدينة فحلفت امه لا تاكل لا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل
ومعه الحرث فوجدوه في اطم فقال له ابو جهل اليس محمد يامر بصلة الارحام صل امك
وانت على دينك فلم يزل به حتى انزله فلما فسحا به عن المدينة كتفاه وضرب كل منهما
مائة جلدة فقال هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان تمكنت منك ان اقتلك
فقدم على امه فحلفت ان لا تحل كتافه حتى يكفر فارتد ثم هاجر ثانيا وهاجر بعده الحارث
فلقيه عياش بقبا ولم يدر باسلامه فقتله والقتل الخطأ ان لا يقصد الفعل او الشخص
يقصد بما لا يزهق غالبا او يقصد ولا يكون مكلفا ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة
مؤمنة فعليه او واجبه اعتاق نفس مؤمنة وعن ابن عباس رضي الله عنه لا تصح
الا اذا صلت وصامت والتحرير جعل الشيء حرا وهو في الاصل الكريم الخالص من
العيب واطلاق الرقبة من اطلاق الجزء الذي لا يوجد الكل بدونه علية عليه اثره لانه
محل الزينة في الانسان كقوله المؤذنون اطول اعناقا يوم القيمة ودية مسلمة الى
اهله الى ورثته فان الدية ميراث لما روى الضحاك بن سفيان الكلابي كتب الي
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اورث امراة اشيم الضبابي من دية زوجها وهذه الدية
على العاقلة مخمسة لما روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قضى بها على العاقلة فان لم توجد عاقلة فعلى بيت المال لما روى البخاري
عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنه لما قتل خالد بن الوليد بني جذيمة خطأ بعث رسول الله
عليا فوداهم وكذا اذا لم يكن للميت وارث فالدية لبيت المال الا ان يصدقوا
اي الا ان يعفو اهل الميت عن الدية عبر عنه بالصدقة حثا عليه ولان كل معروف صدقة

والاستثناء من اعم الاحوال فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة
اى ان كان المقتول مؤمنا واهله كفرة محاربون ولا وراثة بين المؤمن والكافر فالواجب
التحرير لانه حق الله لا يسقط اتلف نفسا فعليه احياء اخرى لان الرق موت معنى والعدو
فى الاصل مصدر اطلق على الجمع وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى
اهله وتحرير رقبة مؤمنة اى وان كان المقتول من اهل الذمة او من قوم معاهدين
فالحكم فى الدية والتحرير حكم المسلم فى اصل الوجوب لا فى الكمية فان دية الذميين والمعاهد
ثلث دية المسلم وقدم الدية هنا والتحرير فى المسلم لان اهل الذمة ضعفة ربما يطمع فيهم
والتحرير حق الله لا طالب له ربما يتساهل فيه وحمل الشافعى الرقبة المطلقة فى ساير الكفارات
على المؤمنة هنا على اصله من حمل المطلق على المقيد مطلقا فمن لم يجد الرقبة بان لم
يجدها ولا ما يتوصل به اليها فصيام شهرين متتابعين قيد التتابع تغليظ عليه فان افطر
فعليه الاستيناف توبة من الله مفعول له لمقدر اى شرع ذلك وكان الله عليما باحوال
عباده حكيما فى شرع الاحكام على الوجه المذكور لم يوجب القصاص على الجانى خطأ ولم
يهمل شان المقتول راسا وشرع الدية والتحرير رعاية لحق الله وحق العباد ومن يقتل مؤمنا
متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا عظيما اى جزاؤه
ذلك واللايق به الا ان الله يغفر ما دون الشرك لمن شاء او محمول على الاستحلال توفيقا
بين الادلة وعلى هذا اجماع الصحابة وروى عن ابن عباس رضى الله عنه خلافه روى
الترمذى والنسائى وابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لزوال الدنيا اهون
على الله من قتل مسلم وروى الترمذى عن ابى هريرة وابى سعيد رضى الله عنهما لو ان اهل
الدنيا اشتركوا فى دم مسلم لاكبهم الله فى النار وروى ايضا عن ابن عباس رضى الله عنه
ان المقتول يأتى يوم القيمة واوداجه تشخب دما يقول يا رب سل هذا لم قتلنى فيدنيه
حتى يدنيه من العرش يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا بالغوا فى الكشف
والاحتياط حتى لا تقعوا فى محرم وقرا حمزه والكسائى هنا والثانى فتثبتوا بالثاء من الثبات
عدم العجلة فى قتل من ترونه فى دار الحرب ربما كان اسيرا مسلما ولا تقبلوا قول كل مخبر
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه
كان رجل فى غنيمة له فلحقه المسلمون فقال السلام عليكم فقتلوه واخذوا غنيمته فنزلت
وقرا نافع وابن عامر وحمزه بقصر السلام بمعنى الانقياد والطاعة وهو المختار لانه هنا ما
حقن الدم وعليه الرسم تبتغون عرض الحياة الدنيا لا اعلاء كلمة الله فعند الله مغانم
كثيرة له خزاين السموات والارض اطلبوا الرزق من وجه اخر كذلك كنتم من قبل
غير مشتهرين بالايمان ثابتى القدم فيه فمن الله عليكم بالثبات والرسوخ فيه فتبينوا
كرره تاكيدا روى البخارى ومسلم ان سرية اغارت على فدك ففروا وان رجلا فى غنمه فشد عليه اسامة
بالسيف فقال لا اله الا الله فلم يرجع عنه فقتله فاخبر بذلك رسول الله فشق عليه وقال كيف

بك

بك اذا جاء يوم القيمة ولا اله الا الله معه قال انما قال خوفا من السيف فقال هلا شققت
قلبه قال اسامة ما زال يكررها حتى تمنيت ان لو اسلمت ذلك اليوم ان الله كان بما
تعملون خبيرا عالما بضمايركم لا يستوى القاعدون من المؤمنين الامر بالتثبيت يوقع
فى الوهم التقاعد عن الجهاد فحث على المبادرة اليه والجار والمجرور فى محل الحال غير اولى الضرر
وذوى العاهات من العمى والمرض والعرج وغيرها روى البخارى عن زيد بن ثابت رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم املى على لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون
فى سبيل الله وفخذه على فخذى فجاء ابن ام مكتوم وهو يمليها فقال لو استطيع لجاهدت
فثقلت فخذه على فخذى حتى خشيت ان ترض فخذى ثم سرى عنه فقال اكتب غير اولى
الضرر قال زيد كانى انظر الى ملحقها عند صدع الكتف وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزه غير
اولى بالرفع على الوصف لان القاعدون لا توقيت فيه والاخبار بعدم التساوى مع كونه
معلوما باوايل العقول لادكار ما بينهما من التفاوت ليعطف السامع ليانف عن
التقاعد مثله هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون والمجاهدون فى سبيل الله
باموالهم وانفسهم اى فى اعلاء كلمته فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين
درجة استيناف لبيان عدم التساوى وانتصاب درجة بنزع الخافض او على المصدر
وكلا وعد الله الحسنى كلا من المجاهد والقاعد المنزلة الحسنة وفضل الله المجاهدين على القاعدين
اجرا عظيما نصب على المصدر لتضمن فضل معنى اجر درجات منه ومغفرة ورحمة بدل من
اجرا او نصب درجات على المصدر كقولك ضربته اسواطا كانه قيل فضلهم تفضيلا ونصب
مغفرة ورحمة باضمار فعلهما وانما كرر جزاء المجاهدين اعتناء لكون الجهاد سنام الدين وافرد
الدرجة اولا وجمعه ثانيا اشارة الى ان التنكير للتعظيم فهى فى المعنى درجات او الاولى درجتهم
عند الله والثانية مراتبهم فى الجنة او الدرجة فى الدنيا من الغنيمة والذكر الجميل والدرجات
فى الاخرة ولذلك اردفه بالمغفرة والرحمة او الدرجة لمن جاهد بالمال والنفس والدرجات
لمن ربط سره على الله او الدرجة للجهاد الاصغر والدرجات للاكبر وهو جهاد النفس على ما روى
عنه انه قال فى انصرافه من تبوك رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وما قيل ان المفضلين
درجة هم المفضلون على القاعدين اولى الضرر والمفضلون درجات المفضلون على من
تخلف من غير ضرر اكتفاء بغيرهم لان الجهاد فرض كفاية ففيه ان اولى الضرر لا ينقص
اجرهم دل عليه الاستثناء كما اذا قلت لا تساوى بين زيد وعمرو فى العطاء الا اذا كان
عمرو فقيرا ولما روى البخارى عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان بالمدينة
اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم قالوا وهم بالمدينة قال نعم حبسهم العذر
وكان الله غفورا لما فرط منهم رحيما ولذلك اجزل لهم الاجر ان الذين توفاهم الملائكة
يحتمل الماضى والمضارع هؤلاء قوم اقاموا بين المشركين حيث كانت الهجرة واجبة ظالمى
انفسهم بعدم الهجرة قالوا فيم كنتم اى قال الملائكة فى اى شان كنتم حيث لم تهاجروا

توبيخا لهم قالوا كنا مستضعفين في الارض ارض مكة قالوا الم تكن ارض الله واسعة
فتهاجروا فيها كما هاجر اقرانكم فاولئك ماويهم جهنم دل على انهم كاذبون في الاعتذار
عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في طايفة منهم قتلوا يوم بدر خرجوا مع المشركين
وساءت مصيرا اي جهنم الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون
حيلة من الزاد والراحلة ولا يهتدون سبيلا لا معرفة لهم بالطريق ولا يظفرون بالرفيق
صفة المستضعفين مع عطف عليه لعدم التوقيت فيه ضبه وانما ادخل الولدان في حكم الرجال
والنساء مع انهم لا يستحقون الوعيد وان استطاعوا لعدم التكليف مبالغة في شان
الهجرة وايهاما بان غير المكلف لو استطاع لوجب عليه وايماء الى ان بعد البلوغ لا محيص
عنها فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم دل بذكر عسى والعفو على التضيق في ترك الهجرة
بان من لم يجب عليه يجب ان يعد تركها ذنبا يحتاج الى العفو المرجو وكان الله عفوا
عن المضطر غفورا استار الزلاته ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة
اي طريقا واسعا واتساعا في الرزق ترغيب في الهجرة قال النابغة كطود يلاذ باركانه عزيز
المراغم والمذهب او طريقا يراغم بسلوكه قومه اي يفارقهم على رغم منهم يقال راغم فلان
قومه اذا نابذهم مغاضبة من الرغام بالفتح وهو التراب ومن يخرج من بيته مهاجرا
الى الله ورسوله ثم يدركه الموت نزلت في حكة بن حزام الاسدي وعن ابن عباس رضي الله
عنه نزلت في ضمرة بن جندب لما سمع قوله تعالى لا يستطيعون حيلة فقال لاولاده
احملوني على السرير وكان شيخا كبيرا لا يستمسك على الراحلة فلما بلغ التنعيم ادركه الموت
فضرب يمينه على شماله وقال اللهم هذه لرسولك وهذه لك ابايعك على ما بايعك عليه
رسولك فقد وقع اجره على الله في ايثار قد ولفظ الوقوع وعلى الدالين على اللزوم وابهام
الاجر والتعبير عنه بالاجر دون الثواب والاسم الجامع شان في المبالغة ليس بالخفي
وكان الله غفورا لما فرط منه رحيما حيث جعل قاصد الفعل كفاعله واذا ضربتم في الارض
ضرب في الارض سار فيها لطلب الرزق ثم اتسع فيه فليس عليكم جناح ان تقصروا
من الصلوة الرباعية باسقاط ركعتين وان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا خاج مخرج
الغالب اوكانت اسفارهم غزوات وسرايا ولما روى مسلم عن يعلى بن امية سالت
عمر بن الخطاب ما لنا نقصر وقد امن الناس فقال عمر رضي الله عنه عجبت مما عجبت منه
فسالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقة تصدق الله عليكم فاقبلوا صدقته و
روى الترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
خرج من المدينة لا يخاف الا رب العالمين يصلي ركعتين الى مكة استدل الشافعي رحمه الله
بقوله لا جناح عليكم في جواز الاتمام وبما روى البخاري عن عايشة رضي الله عنها ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قصر واتم كل ذلك فعل وشرط ان يكون سفرا مباحا لقوله
في المضطر غير متجانف لاثم فاذا شرط جواز اكل الميتة لابقاء المهجة بعدم العصيان فالقصر

اولى بذلك واستدل ابو حنيفة رحمه الله على اطلاق السفر باطلاق الاية وعلى كون القصر
عزيمة بما روى البخاري ومسلم عن عايشة رضي الله عنها فرضت الصلوة ركعتين ركعتين
فاقرت صلوة السفر لما هاجر رسول الله وزيد في صلوة الحضر وبهذا يسقط ما قيل ان القصر
في الاحوال كالايماء والتخفيف دون الكم ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا علة للتخفيف
واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بظاهره من لم يجوز صلوة الخوف بعده و
الصواب خلافه لانه اذا جازت مع وجوده فبدونه اولى فلتقم طائفة منهم معك فصلين
معك وليأخذوا اسلحتهم اي المصلون امر ندب وقيل امر وجوب فاذا سجدوا فليكونوا
من ورائكم اي الساجدون للحراسة ولتأت طائفة اخرى لم يصلوا فليصلوا معك
استدل به مالك على ان الطايفة تتم صلوتها ثم تذهب الى وجه العدو والكل صواب
لانه صلى بعسفان وبذات الرقاع وببطن النخل مختلفا وقد روى عنه الامام احمد ست
طرق في كيفيتها وليأخذوا حذرهم واسلحتهم جعل الحذر ماخوذا التنزيله منزلة الالة وانما
ضم اخذه الى الاسلحة ههنا دون الاول لان حال الصلوة وقت انتهاز الفرصة فامروا
بكمال التحفظ ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة
استيناف تعليلا للامر بالتحفظ ولا جناح عليكم ان كان بكم اذى من مطر او كنتم مرضى
ان تضعوا اسلحتكم دفعا للاذى ورفع الجناح ربما يوهم ان الامر الاول للوجوب وخذوا
حذركم لئلا يهجم العدو ان الله اعد للكافرين عذابا مهينا تقوية لقلوبهم واشارة
الى ان الامر باخذ الحذر والاسلحة لكونهما نوعا من العبادة والاعتصام انما هو بعصمة الله
تعالى فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم اذا اردتم اداءها استدل
به الشافعي رحمه الله على وجوب الاداء حال المسايفة والمقارعة وحمل قوله فاذا اطمأننتم فاقيموا
الصلوة على حالة الامن اي ادوها معدلة الاركان وايثار الفاء دون ثم لعدم التراخي
بين الخوف والامن والمعنى عند ابي حنيفة رحمه الله اذا صليتم صلوة الخوف فداوموا على ذكر الله
في الاحوال كلها كقوله يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا وقوله فاذا اطمأننتم
عطف على واذا ضربتم في الارض وذكر صلوة الخوف مستطرد لتقدم ذكر الخوف في صلوة السفر
ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا مكتوبة مقيدة بوقت لا يجوز تاخيرها عنه
كساير الموقتات يؤيد ما ذهب اليه الشافعي من وجوب الاداء حال المسايفة وقيل
موقوتا مفروضا لان الوقت من لوازمه اما مضيقا او موسعا ولا دلالة فيه على ان الكفار
غير مكلفين بالفروع بل هو كقوله هدى للمتقين ولا تهنوا في ابتغاء القوم بعد التخفيف
عنهم اشد تخفيف حثهم على النهوض ببرهان جلي ان تكونوا تألمون فانهم يألمون
كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون اي اذا ساويتم اياهم في الالم ولكم رجاء النصر
عاجلا والثواب آجلا فالواجب عليكم المبادرة لظهور الترجيح نزلت في بدر الصغرى لما تثاقل
بعضهم عن الخروج لما كان بهم من الجراح والوهن وكان الله عليما بأحوالكم حكيما

فى كل ما دبروا مر انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله كان
الكلام فى شان المنافقين وتخلفهم عن الجهاد ووقوع الكلام فى احكام السفر استطرادا
ثم عاد الى استيفاء احوالهم روى العوفى عن ابن عباس رضى الله عنه انها نزلت فى طعمة
بن الابيرق احد بنى الظفر سرق درعا وجرابا فيه دقيق من قتادة بن النعمان واودعه
عند زيد بن السمين اليهودى وكان قد انتشر الدقيق من الجراب فى الطريق فلما اصبحوا
تتبعوا الدقيق فوجدوا الدرع عند اليهودى فقال اليهودى اودعنيه طعمة فانكر طعمة
فاحتكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنادى اخوة طعمة بشر وبشير ومبشر وقالوا يا رسول الله
ان لم تجادل لنا نفتضح مع اليهود وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة
اعتنائه بشان المؤمنين احب ان يظهر الحق لطعمة دون اليهودى لا انه هم بالجدال
باطلا مبرأ عن ذلك وكفى شاهدا قوله ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم نفى عنه
قرب الركون الذى هو الميل اليسير فضلا عن وقوع الميل والنهى عن الشئ لا يستلزم سبق
وجوده فان قلت فما وجه قوله واستغفر الله مقرونا بلا تجادل قلت كونه يود ظهور الحق
لاحد الخصمين دون الآخر مع استوائهما نسبة الكل اليه وعلو شانه واعتلائه غارب
التقوى يعد منه امرا موجبا للاستغفار الا ترى الى قوله انه ليغان على قلبى وانى لاستغفر
فى اليوم مائة مرة ولا تكن للخائنين خصيما عطف على مقدر اى تمسك بما امرت ولا تكن
واستغفر الله عن ذلك الخاطر ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون
انفسهم كائنا من كان ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما كثير الخيانة مؤمنا كان
او كافرا وايثار صيغة المبالغة لان الله كريم لا يؤاخذ على القليل وفيه اشارة الى كثرة خيانة
طعمة جئ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بسارق فامر بقطع يده فقالت امه اعف عنه يا امير
المؤمنين فانها اول سرقة سرقها فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ اول مرة روى ان طعمة هرب
الى مكة مرتدا فدخل حائطا ليسرق فوقع عليه الحائط فمات تحت الهدم عليه لعنة الله
يستخفون من الناس ولذلك يأمرونك بالجدال باطلا ولا يستخفون من الله وهو احد
بالحياء وهو معهم عالم بحالهم اذ يبيتون ما لا يرضى من القول من رمى البرئ بالخيانة
وتبرئة الخائن التبييت التدبير بالليل لان الوقت فيه اخلى والراى اصفى وكان الله
بما تعملون محيطا لا يخفى عليه من شئ ها انتم هؤلاء الهاء للتنبيه وانتم اولاء مبتدأ وخبر
اى انتم الموصوفون بالوصف العجيب ثم بينه بقوله جادلتم عنهم فى الحيوة الدنيا فرضا او
تقديرا وقيل الخطاب لقوم طعمة ويرده قوله فمن يجادل الله عنهم اى عن طعمة وقومه
يوم القيمة اذا حل بهم العذاب ام من يكون عليه وكيلا حفيظا ومحاميا ومن يعمل سوءا
ذنبا يسوء به غيره او يظلم نفسه بذنب بينه وبين الله وقيل هو الشرك لقوله ان الشرك
لظلم عظيم ثم يستغفر الله يجد الله غفورا لذنبه فان قلت حق العبد لا يسقط بالاستغفار قلت
المراد من الاستغفار التوبة بشرائطها ومنها استحلالها حق الغير او الاداء وايضا لا يلزم اداء

حق

حق الغير من ماله او عمله بل امكان ان يؤديه من خزاين كرمه ان قبل فديته ورضى عنه دلت
عليه الاحاديث الصحيحة ودلالة ظاهرة رحيما متفضلا بتبديل سيئاته حسنات ومن يكسب
اثما فانما يكسبه على نفسه لا يتعداه وباله وكان الله عليما باحوال العباد حكيما لا يؤاخذ احدا
بذنب غيره ومن يكسب خطيئة صغيرة اسم للخطا بكسر الحاء او اثما كبيرة ثم يرم به
بما كسب او بالاثم او باحد الامرين بريئا عنه فقد احتمل بهتانا وهو ما بهت به واثما مبينا
ذنبا واضحا ولولا فضل الله عليك ورحمته بالعصمة لهمت طائفة منهم ان يضلوك
لا تزعمهم فى اضلالك وما يضلون الا انفسهم لان وباله عائد اليهم وما يضرونك من شئ
اقل قليل لان الله يعصمك من الناس وانزل الله عليك الكتاب القرآن والحكمة
علم الشرائع امتنان عليه واشارة الى انه بعيد عما راموه من الاضلال وعلمك ما لم تكن تعلم
ما لا يمكنك علمه بالكسب والنظر كاحوال المعاد وساير المغيبات التى اخبر بها وما كان
فضل الله عليك عظيما اذ لا فضيلة فوق المعرفة وقد خصك بالحظ الاوفر وقد آتيناك
من لدنا علما قال رايت ربى فى احسن صورة فقال لى فيم يختصم الملأ الاعلى قلت لا اعلم
فوضع كفه بين كتفى فعلمت ما بين السماء والارض فقلت يختصمون فى الكفارات
والحدود لا خير فى كثير من نجواهم مما يسرون به تقبيح لما تساروا به وبيتوه فى اضلاله
بالمجادلة الا من امر بصدقة الا نجوى من امر بصدقة ففى نجواه خير او معروف امر بمعروف
لما روى البخارى الامر بالمعروف صدقة او اصلاح بين الناس فيما اختلفوا وتنازعوا
فيه روى الترمذى عن ابى الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بافضل
من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين وعنه ليس الكذاب
من يصلح بين الناس فنمى خيرا ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات الله مخلصا فسوف
نؤتيه اجرا عظيما ذكر الامر اولا ورتب الاجر على الفاعل ثانيا لان الامر كناية عن الفاعل
لان الغرض هو الفعل او من يفعل كناية عن الامر لوقوع الفعل على كل عمل وقرأ ابو عمرو
وحمزة يؤتيه بالياء والنون ابلغ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى طريق
الصواب المشاقة المخالفة لان كلا منهما فى شق غير شق الآخر ويتبع غير سبيل المؤمنين
ما هم عليه من الدين يشمل الاصول والفروع نوله ما تولى نكله الى ما اختاره من الضلال
ونصله جهنم من اصليته النار ادخلته فيها قرأ ابو عمرو وحمزة وابو بكر باسكان الهاء نوله
ونصله تخفيفا وساءت مصيرا اى جهنم استدل بالآية على حجية الاجماع بناء على ان
الجزاء مرتب على كل واحد من المشاقة واتباع غير سبيلهم لان مجرد مشاقة الرسول
كاف فى استحقاق الوعيد فان قلت الاجماع اتفاق مجتهدى عصر على حكم شرعى والمؤمنون
جمع مستغرق يشمل كل مؤمن الى آخر الدهر فاين الدلالة قلت قوله صلى الله عليه وسلم
لا يزال طائفة من امتى ظاهرين على الحق الى قيام الساعة لا يضرهم من خالفهم دل على
ان المراد اهل عصر والمقلد خارج لعدم اهليته لاخذ الحكم من الدليل ان الله لا يغفر ان يشرك به

ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء كرره اما تاكيدا واستمام ما كتكرير ساير الاحكام والقصص المهمة ومن
يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا وصف الضلال بالبعد مجاز مبالغة اذ لا ضلال
فوق الشرك وختم تلك بقوله ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما لاتصالها بقصة
اهل الكتاب المحرفين للكلم وهذه بقصة طعمة وقومه الضالين الساعين في اضلال
سيد المعصومين ان يدعون من دونه الا اناثا استيناف لتحقير ما اتخذوه شريكا
والاناث اصنامهم كاللات والعزى ومناة وعن الحسن كان لكل حي من احياء العرب
صنم يعبدونه تسمى انثى بني فلان او الملائكة يسمونها بنات الله وان يدعون
في الحقيقة الا شيطانا مريدا املس مجردا عن الخير لانهم عبدوها باغوائه لعنه الله
صفة ثانية وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا مقدرا مقطوعا عن غيره
صفة اخرى اي جامعا بين اللعن وبين هذا القول ولاضلنهم ولامنينهم عن
طريق الحق ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ما كان يفعله المشركون علامة
للسوايب والبحاير ولآمرنهم فليغيرن خلق الله كالوشم والوشر والتنميص والتفليج
لما روى مسلم والبخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال لعن الله الواشمات
والمستوشمات والنامصات والمتنمصات المتفلجات للحسن المغيرات خلق الله
وعن مجاهد وابن عباس رضي الله عنه تغيير دين الله وفطرته التي فطر الناس عليها
ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله متجاوزا عن ولايته فقد خسر خسرانا مبينا
جليا لا يحتاج الى روية وتامل يعدهم المواعيد الكاذبة ويمنيهم الاماني الباطلة
بان الجمادات تشفع لهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا باطلا لا حقيقة له اولئك
ماويهم جهنم مالكهم ومرجعهم ولا يجدون عنها محيصا محيدا ومعدلا من حاص عن
الشيء عدل عنه مصدر وبه يتعلق الجار او مكان فيتعلق بالفعل والذين امنوا
وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد
من الله لاوليائه في مقابلة وعد الشيطان وعد الله حقا الاول مصدر موكد لنفسه
لان ما تقدمه من الكلام وعد والثاني موكد لغيره وهو الباطل بمعنى انه يدفعه ويقطع
احتماله ومن اصدق من الله قيلا قولا تاكيد اخر ابلغ لدلالته على صدق اخباره
وان لا اصدق منه وهذه المبالغات بازاء مبالغات ابليس في اكاذيبه ليس
باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب الخطاب للمشركين لما تقدم من قوله ان يدعون
الا اناثا كانوا يقولون ان كان ما يقوله محمد حقا فنحن احسن حالا افرايت الذي
كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا واهل الكتاب قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
قيل للمسلمين تنازعوا هم واهل الكتاب فقال اهل الكتاب نحن خير وكتابنا قبل
كتابكم ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نبينا خاتم الانبياء وكتابنا الحكم على كتابكم من
يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا متولي امره ولا نصيرا يدفع عنه العذاب فان

قلت

قلت اذا كان الخطاب للمسلمين يلزم ان يكون كل مؤمن مجزيا بسوء عمله قلت
هو كذلك الا انه لا يلزم ان يكون في الاخرة لما روى ابو سعيد وابو هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا سقم ولا حزن حتى
الهم يهمه الا كفر به من سيئاته او مقيد بعدم التوبة والعفو لساير النصوص ومن
يعمل من الصالحات بعض الصالحات لان كل مؤمن لا يعمل كل الصالحات
من ذكر او انثى في موضع الحال ومن بيان وهو مؤمن اذ لا يعتد بعمل دون الايمان
فان قلت قد روى البخاري ان حكيم بن حزام قال يا رسول الله ارأيت اشياء كنت
اتحنث بها في الجاهلية فقال اسلمت على ما اسلفت قلت معناه اي تلك الحسنات
جرتك الى الاسلام او مخصوص به او وهو مؤمن في اخر العمر لاطلاق اللفظ فاولئك
يدخلون الجنة ولا يظلمون اي الفريقان او المؤمنون وغيرهم كذلك دلالة نقيرا
فعيل بمعنى المفعول وهو شق النواة وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر ويدخلون بضم الياء
وهو ابلغ مدحا ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله فانه عبر عنه بالوجه لانه اشرف
الاعضاء ومحل السجود الذي هو اقصى الخضوع وهو محسن مخلص في ذلك العمل فسره
الحديث بان تعبد الله كانك تراه واتبع ملة ابراهيم من التوحيد وساير العقايد
حنيفا مايلا من كل باطل حال من ابراهيم واتخذ الله ابراهيم خليلا اعتراض للترغيب
في اتباعه والخليل من الخلة وهي اقصى غاية المحبة كانها دخلت في اعماق قلبه وخلاله
او من الخلل فان الصديقين يسد كل منهما خلل الاخر او من الخلة بالفتح وهي الصفة
فان الخليلين متوافقان في الخصال او بمعنى الحاجة فان كلا منهما يرغب الى خليله
في النوايب او من الخل بفتح الخاء وهو الثوب البالي والجسم النحيف فان الحب اذا
استولى نهك الجسم ابلى الهوى اسفا يوم النوى بدني وقال ان جسمي بعد حالي لخلق وهو
الطريق في الرمل لان الخليلين على طريقة واحدة في الحديث يحشر المرء على دين خليله
فلينظر احدكم من يخالل وليس في الكلام دلالة على انحصار الخلة فيه روى البخاري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال في اخر خطبة خطبها لو كنت متخذا من الناس خليلا لاتخذت
ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا
يختار من يشاء ويجوز ان يتصل بقوله ومن يعمل سوءا ومن يعمل من الصالحات وقوله
ومن احسن دينا الى اخره اعتراض بين كلامين متصلين معنى واتخذ الله ابراهيم
خليلا يتعلق بقوله واتبع ملة ابراهيم على انه اعتراض في اخر الكلام وكان الله بكل
شيء محيطا علما وقدرة يختار من علم انه اهل للاختيار ويستفتونك في النساء عاد
الى ما كان مبنى السورة عليه من احكام النساء بعد ما استطرد من احكام الجهاد واحوال
المنافقين قل الله يفتيكم فيهن في شانهن وما يتلى عليكم في الكتاب عطف على
اسم الله او المستتر لوجود الفصل من قبيل اعجبني زيد وكرمه لان دليل الحكم هو المتلو وهو

قوله تعالى وان خفتم ان لاتقسطوا فی الیتامی فانكحوا ماطاب لكم من النساء
وقیل مایتلی مبتداء وفی الكتاب خبره علی ان المراد بالكتاب اللوح او اقسم مایتلی فی
الكتاب واما جعل الواو عاطفة علی المجرور فمختل لفظا لعدم الفاصل ومعنی اذ التقدیر
یفتیكم فی حق مایتلی علیكم فی یتامی النساء صلة یتلی او بدل من فیهن بدل البعض والجوز
غیره ان كان مایتلی مرفوعا علی الابتداء او مجرورا علی القسم اذ لامعنی لتقیید مافی اللوح
ولا للقسم بهذا القید مع مافی الاول من الفصل بالخبر بین اجزاء الصلة والاضافة بمعنی
من اللاتی لاتؤتونهن ماكتب لهن من المیراث عبر عنه بالكتابة مبالغة فی الوجوب
وترغبون ان تنكحوهن فی نكاحهن ان كن جمیلات او عن نكاحهن ان كن
ذمیمات لما روی ابن عباس رضی الله عنه كانوا فی الجاهلیة اذا كان عند احد یتیمة القی
علیها ثوبه فان كانت جمیلة تزوجها واكل مالها وان كانت ذمیمة منعها عن
الزواج حتی تموت عنده فیرثها والمستضعفین من الولدان كانوا لایورثونهم
ویقولون انما یرث من یباشر الحروب ویحمی الحوزة عطف علی یتامی النساء وكذا قوله
وان تقوموا للیتامی بالقسط ان لم یكن بدلا من فیهن والخطاب فی شان یتامی
النساء للاولیاء خاصة وفی المستضعفین لهم وللورثة البالغین او للاحیاء بان
یباشروا علی الوجه المشروع وان تقوموا للائمة والقوام وماتفعلوا من خیر قلیلا
كان او كثیرا فان الله كان به علیما مجازیا به ترغیب فیما امروا به وان امراة خافت
من بعلها نشوزا ترفعا علیها بعدم المودة والرحمة وتقلیل النفقة من النشز وهو المكان
المرتفع او اعراضا بان تقل موانستها وحدیثها فلا جناح علیهما ان تصالحا بینهما صلحا
فی معنی المصدر والمعنی لاجناح علیهما فی ان تتنزل عن بعض حقها او كلها ولا علیه
بان یسامحها فی بعض مایجب علیه روی ابوداود عن ابن عباس رضی الله عنه خشیت
سودة ان یطلقها رسول الله فجعلت یومها لعایشة علی ان لایطلقها فامسكها و
جعل یومها لعایشة فنزلت وروی البخاری عن عایشة رضی الله عنها الرجل یكون
عنده المراة لیس یستكثر منها فتقول اجعلك من شانی فی حل فنزلت وقرا الكوفیون
یصلحا بضم الیاء والقصر وهو المختار والصلح خیر من الخصومة فی كل شیء او من الفرقة
او النشوز والاعراض او خیر من الخیور كما ان الخصومة شر من الشرور وعلی كل تقدیر
اعتراض یؤكد رفع الجناح بانه مندوب فضلا عن الجواز واحضرت الانفس الشح
جعل لازما لها غیر مفارق الهاب وتهییج الی تكلیفها فانها بالطبع ناكبة عن الصلح
فلیبدع الطبع اللئیم الی التحلی بالخلق الكریم وان تحسنوا ایها الازواج وتتقوا عن
المشاقة وتتركوا النشوز والاعراض رغب الطرفین فی اسباب الالفة ودلالة علی ان
الوفاق عنده احب من الفراق روی ابوداود وابن ماجه عن ابن عمر رضی الله عنه ان
رسول الله صلی الله تعالی علیه وسلم قال ابغض الحلال الی الله الطلاق فان الله كان بما تعملون خبیرا

فیجازیكم

فیجازیكم علیه ولن تستطیعوا ان تعدلوا بین النساء عدلا من كل وجه ظاهرا وباطنا كما روت
عایشة رضی الله عنها ان رسول الله صلی الله علیه وسلم كان یقسم بین نسائه ثم یقول یارب
هذا قسمی فیما املك فلا تلمنی فیما تملك ولا املك ولو حرصتم علی العدل اذ لو كان ممكنا
لكان رسول الله اولی به فلا تمیلوا كل المیل فتذروها كالمعلقة لامزوجة ولا مطلقة
وان تصلحوا ماوقع من الخلاف والنشوز وتتقوا فی المستقبل عن ارتكاب مثله فان الله
كان غفورا كثیر الغفران یتجاوز عما سلف رحیما عسی ان یوفق فی المستقبل برحمته من
رحمته جعل لكم من انفسكم ازواجا وان یتفرقا ولم یقع الصلح یغن الله كلا من سعته من فضله
الواسع وكان الله واسعا فضله وطریق رزقه یكون تارة بالزوج واخری بدونه حكیما ربما
كانت الفرقة احسن عاقبة لهما ولله مافی السموات ومافی الارض برهان علی سعة فضله ولقد
وصینا الذین اوتوا الكتاب من قبلكم جنس الكتاب وایاكم فی القران فی مواضع شتی
ان اتقوا الله ان مفسرة او بان فمصدریة والمعنی ان الامر بالتقوی شرع قدیم لم تخل عنه
كتاب ولا امة وان تكفروا فان لله مافی السموات ومافی الارض عطف علی ان اتقوا
ای وصیناكم ومن تقدمكم بالتقوی وقلنا لكم ولهم ان تكفروا بما وصیناكم وكان الله غنیا
عن طاعتكم وعن كل شیء حمیدا فی ذاته حمدتم ام لم تحمدوا وحمید ذاته قیل حمد الحامدین والاكوان
كلها حامدة بلسان الحال حیث بسط علی الماهیات بساط الوجود واعطی كل شیء خلقه ولله
مافی السموات ومافی الارض كرره تاكیدا لان التقوی والخشیة اصل كل خیر وتمهید لمابعده
وكفی بالله وكیلا موكولا الیه ان یشا یذهبكم لانه المالك المتصرف ویات باخرین جنس اخر
غیر الاناسی ومایعلم جنود ربك الا هو او الخطاب لقریش لما روی رسول الله صلی الله علیه وسلم
وضع یده علی ظهر سلمان وقال هم قوم هذا وكان الله علی ذلك قدیرا بالغ القدرة من
كان یرید ثواب الدنیا فعند الله ثواب الاخرة تقدیر لاقتداره ای من كان یرید ثواب
الدنیا فما باله یرضی بالاخس الاوضع وعند الله الاحسن الارفع وبهذا یرتبط الجزاء بالشرط
او عند الله كلاهما یعطی كلا ما اقتضته الحكمة لقوله من كان یرید حرث الاخرة نزد له فی حرثه ومن
كان یرید حرث الدنیا نؤته منها وكان الله سمیعا بصیرا ترتیبهما علی الارادة للدلالة علی ان
مافی الضمیر عنده بمثابة المسموع والمبصر یا ایها الذین امنوا كونوا قوامین بالقسط شدیدی
القیام بالعدل حادین فیه شهداء لله حال كونكم تقیمون الشهادة لوجه الله ولو علی انفسكم
ولو كانت الشهادة علی انفسكم والمراد بها الاقرار لانه فی الزام الحق كالشهادة او الوالدین
والاقربین فان قلت قدم القسط هنا واخره فی المائدة مع اتحاد الاسلوب قلت مع
التفنن اهتماما بالعدل لان شهادة المرء علی نفسه والاقربین مظنة الجور والعدول ان
یكن غنیا او فقیرا فالله اولی بهما ان یكن احد مذین فلا تمنع الشهادة علیه غناه طلبا لرضاه
او فقره شفقة علیه فان الله اولی وارحم بالجنسین وقد حكم باقامة الشهادة علیهما وانما ثنی
الضمیر لدلالة او علی الامرین فی الجملة واثره علی الافراد مع ظهوره قصدا الی التعمیم وان لایتوهم اختصاص

الا ولوية باحدهما فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا كراهة العدل بين الناس او ارادة
للعدول عن الحق وان تلووا وتعرضوا اى تلووا السنتكم عن الشهادة او تعرضوا عن ادائها
فان الله كان بما تعملون خبيرا وعيد على اللى والاعراض وقرا ابن عامر تلوا بضم اللام على ان
تعوا من الولاية او الواو الاولى قلبت همزة ثم خففت فنوفق الاولى يا ايها الذين امنوا اثبتوا
الايمان فى الماضى آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل
من قبل استمروا على ذلك الايمان فى المستقبل او ازدادوا او امنوا بجمل الكتب والرسل ان
كان الخطاب لاهل الكتاب الذين قالوا نؤمن ببعض ونكفر ببعض او باللسان والقلب
ان كان لاهل النفاق الذين قالوا الذين آمنا ولم تؤمن قلوبهم وايثار نزل فى القران
لنزوله منجما وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر الفعلين على بناء المفعول ومن يكفر بالله
وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر اى بشئ من المذكورات فان الكفر بواحد كفر بسايره منها
فقد ضل عن طريق الحق ضلالا بعيدا الاسناد مجاز مبالغة فى بعد صاحبه ان الذين امنوا
بموسى ثم كفروا بعبادة العجل ثم امنوا بالتوبة ثم كفروا بعيسى ثم ازدادوا كفرا بمحمد المراد
جنس اليهود الذين هذه صفتهم لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا طريقا الى المغفرة لانهم
اهل الطبع والختم مستهزؤن بالدين والرسل واستدل الامام احمد على ان من تكرر ارتداد
لا تقبل توبته وروى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه بشر المنافقين بان لهم عذابا
اليما استعارة تهكمية تدل على ان الاية فى المنافقين الذين يتخذون الكافرين اولياء
من دون المؤمنين رفع او نصب على الذم ايبتغون عندهم العزة لموالاتهم فان العزة
لله جميعا فيجعل منها لاوليائه نصيبا لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وقد نزل عليكم
ايها المؤمنون فى الكتاب فى القران ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا
تقعدوا معهم ان مخففة حذف منها ضمير الشان والانشائية تصلح مفسرة فالمعنى يحرم
عليكم القعود معهم لانه من لوازم النهى والمراد بالمنزل عليهم آية الانعام واذا رايت الذين
يخوضون فى اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره نزلت بمكة حين كان
المؤمنون يجالسون المشركين الخائضين فى القران فان الخطاب وان كان للرسول
فالمراد الاصحاب حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم لان الرضى بالكفر كفر وقول
موسى فى فرعون وآله واشدد على قلوبهم ليس رضى بالكفر بل دعاء على العدو باقبح الاشياء
مع استقباحه والرضى بالشئ استحسان له ان الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم
جميعا دل على ان الخطاب فى انزل عليكم يعم المخلص وغيرهم وان المجالسين هم المنافقون
وانما لم ينكر على المؤمنين فى اية الانعام لانهم كانوا عاجزين ضعفة الذين يتربصون بكم
بدل من الذين يتخذون منصوب او مرفوع او مجرور صفة للمنافقين فان كان لكم فتح من
الله ظفر بالكفار وغلبة عليهم قالوا الم نكن معكم شاركونا فى الغنيمة كما شاركناكم فى القتال
وان كان للكافرين نصيب سمى ظفر المؤمنين فتحا لانهدام ركن الكفر به فحق له ذلك الاسم بخلاف

ظفر

ظفر المشركين فانه استدراج وحظ قليل قالوا الم نستحوذ عليكم نغلبكم حين كان الظفر
للمسلمين وكنا قادرين على قتلكم واسركم وقد ابقينا عليكم جاء الفعل على الاصل وعن ابى
زيد قياس مطرد يقال استجاب واستجوب ونمنعكم من المؤمنين بان خيلنا لهم شوكتكم
وتوانينا فى المظاهرة فالله يحكم بينكم يوم القيمة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا
فى الدنيا بالحجة وفى الاخرة بالتوبيخ او بوجه فيه مذلة واستدل به على بينونة المراة بارتداد
الزوج وعدم صحة بيع المسلم للكافر ومن قال بصحته امر بازالة ملكه ان المنافقين يخادعون
الله جهلا منهم بانه لا يخادع او فعلهم فى ابطان الكفر واظهار الايمان فعل المخادع او اولياءه
والاسناد اليه للتشريف وهو خادعهم غالبهم فى الخداع باجراء احكام المؤمنين وهم اهل
الدرك الاسفل واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى متثاقلين لانهم لا يرجون ثوابها روى
البخارى ومسلم اثقل الصلوة على المنافقين صلوة العشاء وصلوة الفجر وفى الحديث لا يقول
احدكم كسلت وليقل لغبت يراؤن الناس استيناف لبيان كسلهم اى يراؤن الناس
انهم مثلهم ويريهم الناس كذلك او المفاعلة بمعنى التفعيل كنا عم بمعنى نعم ولا يذكرون
الله الا قليلا عند مراآة الناس او لا يصلون الا قليلا او الذكر ذكر القلب والقلة
بمعنى العدم مذبذبين بين ذلك بين الايمان والكفر من الذب وهو الدفع او من
الذبذبة وهى الطريق عن ابن عباس رضى الله عنه اتبعوا ذبة قريش لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء
لا نسبة لهم الى احدى الطائفتين روى مسلم عن ابن عمر رضى الله عنه مثل المنافق كمثل
الشاة العائرة بين الغنمين تعير الى هذه والى هذه مرة ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا
الى الهداية يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين فانه صفة
المنافق ولانه لا بون ابعد مما بين الايمان والكفر اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا
مبينا حجة واضحة لانهم اعداء الله ومصادقة عدو الصديق معاداة للصديق قال تود
عدوى ثم تزعم اننى صديقك ليس النوك عنك بعازب ان المنافقين فى
الدرك الاسفل من النار لشدة كفرهم ولجهنم سبع دركات ولها سبعة ابواب وقرا
الكوفيون الدرك بسكون الراء والفتح اكثر ولن تجد لهم نصيرا يدفع عنهم العذاب
الا الذين تابوا عن النفاق واصلحوا ما افسدوه واعتصموا بالله بدينه واخلصوا دينهم
لله فى ذلك الاعتصام عكس ما كانوا فيه فاولئك مع المؤمنين فى زمرتهم وعدادهم
وسوف يؤتى الله المؤمنين اجرا عظيما لا يقادر قدره ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم
لا حاجة به الى عذابكم لانه غنى مطلق وانما يعذب من لم يشكر نعمته ولم يؤمن بمقتضى
حكمته قدم الشكر لان افاضة النعم يقتضى شكر موليها عرف على ما هو عليه اولا ثم ذلك الشكر
الاجمالى بحركة الى ان يعرفه على ما هو عليه وهو الايمان ثم يتبع ذلك الشكر المفصل بالجنان
واللسان والاركان او قدم اهتماما وقليل من عبادى الشكور وكان الله شاكرا قابلا
للشكر عليما كامل العلم باخلاص الشاكر ومراتب الشكر لا يحب الله الجهر بالسوء من القول

الا من ظلم نفسه الا جهر المظلوم فانه يجب له قوله ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من
سبيل روى ابو داود عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المستبان
ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم وكان الله سميعا لقول المظلوم عليما بحال الظالم
ان تبدوا خيرا تظهروه او تخفوه او تعفوا عن سوء اصابكم فان الله كان عفوا كثير
التجاوز قديرا بليغ القدرة على الانتقام ومع ذلك يعفو ويصفح فتخلقوا انتم باخلاقه
ارشادا الى الافضل بعد تجويز الادنى ولذلك جعل ابداء الخير واخفاءه شرطا تمهيدا
واوقع العفو جزاء ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله
ورسله هم اهل الكتاب الذين كفروا ببعض الانبياء وكفرهم بالله وصفه بالولد اولان
الكفر بالرسل كفر به وهذا اوفق لقوله يريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض تشهيا من عند انفسهم ويريدون ان يتخذوا بين ذلك
سبيلا بين الايمان والكفر طريقا الى الله اولئك هم الكافرون الكاملون في الكفر
حقا مصدر مؤكد لمضمون الجملة اي حق كونهم كاملين في الكفر او كفروا كفرا حقا لا شك
فيه لان انكار احد من الرسل في حكم انكار الكل لاشتراك العلة وهي المعجزة واعتدنا
للكافرين اي لهم او للكل كافر عذابا مهينا لاهانتهم بالرسل المكرمين والذين آمنوا
بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم صح دخول بين على احد لانه اسم من يصلح
مخاطبا مفردا كان او جمعا اولئك سوف نؤتيهم اجورهم سوف لتاكيد الوعد لا التاخير
الموعود وذلك ان المضارع يحتمل الحال والاستقبال فاذا دخل عليه سوف اكد ما كان
موضوعا له من الاثبات في المستقبل مثله لن في النفي ولذلك قال سيبويه لن يفعل
نفي سوف يفعل وقرا حفص نؤتيهم بالياء والنون ابلغ وكان الله غفورا كثير الغفران
رحيما بالغ الرحمة يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء جملة واحدة
كما نزل التورية وعن ابن جريج سالوه ان ينزل عليهم كتابا من الله الى فلان وفلان
يامرهم فيه بتصديقه فقد سالوا موسى اكبر من ذلك جواب شرط مقدر اي ان
سالوك انزال الكتاب فلا تضجر فان اسلافهم سالوا موسى اعظم مما سالوك هؤلاء
فقالوا ارنا الله جهرة عيانا نراه كما نرى بعضنا بعضا نصب على المصدر او الحال والفاء
لتفصيل المجمل فاخذتهم الصاعقة نار محرقة بظلمهم بتعنتهم بعد ظهور الحق كما صاروا
قردة وخنازير بعد صيد السبت وليس فيه ما يدل على عدم امكان الرؤية مطلقا
ثم اتخذوا العجل الها من بعد ما جاءتهم البينات المعجزات الظاهرات فعفونا عن
ذلك بعد توبتهم وآتينا سلطانا مبينا لم يبق لهم في نبوته شبهة وانما كانوا يرتكبون موسى ع
المنكر لفرط عنادهم ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب نقض ميثاقهم وهو ترك العمل
بما في التورية وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا باب المسجد الاقصى حين فتحه يوشع بعد موت
موسى وهو الباب الذي يسمى اليوم باب حطة وقيل قلنا لهم ادخلوا الباب سجدا

والطور

والطور مشرف عليهم بيد جبرائيل وهو سهو لان نتق الجبل فوقهم كان في زمن
موسى والطور مشرف عليهم بيد جبرائيل وقلنا لهم لا تعدوا في السبت بصيد السمك
واخذنا منهم على هذه الاحكام ميثاقا غليظا مؤكدا غاية التاكيد فبما نقضهم ميثاقهم
المؤكد الباء للتاكيد تتعلق بمقدر اي لعناهم صرح في المائدة وعن الزجاج تتعلق
بحرمنا على معنى السببية ولا يتاتى الا اذا جعل فبظلم من الذين هادوا بدلا عن قوله فبما نقضهم
وفيه بعد لطول الفصل وابدال الجار والمجرور مع الفاء وكفرهم بآيات الله التي جاء بها موسى
وقتلهم الانبياء كزكريا ويحيى وغيرهما عليهما السلام بغير حق بغير استحقاق للقتل في اعتقادهم
وقولهم قلوبنا غلف اوعية للعلم فلا حاجة لنا الى علمك او في اكنة مما تدعونا اليه كما قال
المشركون لرسول الله بل طبع الله عليها بكفرهم اي ليس الامر كما زعموا فلا يؤمنون الا قليلا
منهم كعبد الله بن سلام او ايمانا قليلا لا يعتد به وبكفرهم عطف على فبما نقضهم وقوله
بل طبع الله عليها بكفرهم مستطرد لنفي قولهم قلوبنا غلف والعطف على بكفرهم مرجوح لان
احد الكفرين مستقل بالسببية للطبع كما في سائر الآيات وقولهم على مريم بهتانا عظيما
نسبتها الى الفاحشة وصفه بالعظيم لانهم قالوا ذلك بعد ما راوا منها الكرامات والخوارق
وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وصفوه بهذه الاوصاف الجميلة تهكما كقول
فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون او وضع الله الذكر الحسن مكان قبايح وصفوه
بها رفعا لقدره وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم اشتبه عليهم الفعل مسند الى الجار والمجرور
ارسله الله الى بني اسرائيل رسولا فادعى الرسالة وابرا الاكمه والابرص واحيى الموتى ودعا على
طايفة من اليهود فمسخوا قردة وخنازير فاجتمعت طايفة منهم على قتله فدخل القمامة ومعه شمعون
فاوحى الله اليه اني رافعك الي ومطهرك من اليهود الانجاس فسال شمعون ان يلقى عليه
شبهه ليقتل على يد اليهود لما اراده الله من اضلال اليهود والنصارى فدخلوا وعيسى قد رفع
وشمعون جالس في صورة عيسى فقتلوه ثم قالوا اين صاحبه وقال بعضهم الوجه وجه عيسى
والبدن ليس بدنه فذلك قوله شبه لهم وقيل دخل احد اليهود القمامة وعيسى قد رفع فرجع
اليهم وقد القى الله عليه شبه عيسى فقتلوه ثم دخلوا فلم يجدوا في القمامة احدا فقالوا ان كان
هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان صاحبنا فاين عيسى وان الذين اختلفوا فيه
في شان عيسى لفي شك منه مستغرقون في الشك لا يخرجون منه اذ ليس له بيان
في سوى القرآن وهم لا يؤمنون به ما لهم به من علم الا اتباع الظن استثناء منقطع لان
الظن ليس من العلم في شيء او العلم مطلق الاعتقاد فانه استعمال مشهور ومعنى اتباع الظن
بعد الحكم بالاستغراق في الشك ان قصارى امرهم ان تلوح لهم تارة امارة ثم يضمحل ثم
يعطشون في بحر الشك وهذا اشد في الحيرة من استمرار الشك خالصا وما قتلوه يقينا اي
عدم قتله متيقن قيد للنفي دل عليه قوله بل رفعه الله اليه ويجوز ان يكون حالا من الفاعل
اي متيقنين قتله بل اشتبه عليهم والوجه الاول لان هذا قد علم مما تقدم وكان الله عزيزا

غالبا اذا اراد شيئا كان حكيما في كل ما دبره وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل
موته اللام جواب قسم محذوف والاستثناء من اعم الاوصاف والموصوف مبتداء
مقدم او فاعل الظرف اي وان احد من اهل الكتاب او وان من اهل الكتاب احدا
الا يؤمن بعيسى قبل موت ذلك الكتابي ولو عند زهوق روحه عند انكشاف الغطاء
حين لا يقبل الايمان عليه ابن عباس رضي الله عنه وهو الظاهر من اطلاق اهل الكتاب
وقيل الضميران لعيسى عليه السلام بناء على ما رواه البخاري مرفوعا يوشك ان ينزل فيكم
ابن مريم حاكما عدلا يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرفع الجزيه ولا يقبل الا الاسلام فاليهود
والنصارى الذين يدركونه يؤمنون كلهم وهذا مناسب للسباق اذ بعد نزوله يرفع
الشبهة ويكذب الطايفتين ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا بكفرهم او بايمانهم فبظلم من
الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم اي ما حرمنا عليهم الطيبات التي كانت
حلالهم الا بظلم عظيم وهو الكباير التي عددها وتلك الطيبات هي التي ذكرها في الانعام و
على الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى اخر الاية فان قلت تحريمها من احكام التورية قبل
الظلم والكفر بعيسى ومحمد عليهما السلام والصد عن سبيل الله قلت ابتداء التحريم كان لظلم
منهم لقوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل واستمراره من الظلم الحادث الا ترى الى قوله
يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم في نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل فبظلم اشارة الى قوله في الانعام ذلك جزيناهم ببغيهم على انه متعلق بحرمنا وحده
وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وما عطف عليه متعلق بمحذوف واخذهم الربوا وقد نهوا عنه
حرام في ساير الشرايع وفيه دلالة على ان النهي يقيد التحريم عند عدم الصارف وخص
الاخذ وان كان المعطي ايضا اثما لكونه اعظم جرما واكلهم اموال الناس بالباطل
بالرشوة على الاحكام وتحريف ما انزل الله واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما عطف
على حرمنا لكن الراسخون في العلم منهم الثابتون القدم فيه المتقنون كعبد الله بن سلام
والمؤمنون منهم او مطلقا يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك خبر الراسخون
والمقيمين الصلوة نصب على المدح لبيان فضلهم او مجرور عطف على ما انزل اي يؤمنون
بالمقيمين الصلوة وهم الانبياء لان الصلوة شريعة ساير الانبياء والمؤتون الزكوة عطف
على الراسخون او الضمير في يؤمنون لوجود الفصل وكذا والمؤمنون بالله واليوم الاخر اي
بالمبداء والمعاد ان جعل اولئك مبتداء خبره سنؤتيهم اجرا عظيما لا يقادر قدره بجازيهم
العقايد الخالصة والاعمال الصالحة وقرأ حمزة سنؤتيهم بالنون وهذا ابلغ في الوعد انا اوحينا
اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده متصل بقوله يسألك اهل الكتاب ان تنزل
عليهم كتابا من السماء وما في البين استطراد لبعض قبايحهم دالة على ان ذلك السؤال
ليس باول منكر ارتكبوه وابتدا بنوح لانه اول رسول عذب قومه ولانه ابو البشر ثانيا لقوله
وجعلنا ذريته هم الباقين ولان معجزته كانت في نفسه عاش الفا ونيفا ولم يشب ولم يسقط

منه

منه سن واوحينا الى ابرهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس
وهرون وسليمان واتينا داود زبورا عد المشاهير منهم اثني عشر وذكر زبور داود
دون صحف الانبياء دلالة على ان فضله به لا بالملك وقرأ حمزة زبورا بالضم للزاء جمع
زبور بمعنى مزبور ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل قبل هذه السورة في الانعام
والصافات والانبياء وانتصاب رسلا اما بنزع الخافض او بفعل دل عليه اوحينا اي
ارسلنا ورسلا لم نقصصهم عليك روي عن ابي ذر مرفوعا ان جملتهم مائة وعشرون
الفا والرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر عدد اهل بدر وليس في الاية ما ينافيه وكلم الله موسى
تكليما من غير واسطة هذا نهاية مراتب الوحي واكده بالمصدر دفعا للتجوز وانما اشار الى
اجل احواله تكذيبا لليهود من دعوى بقاء شريعته ولذلك وصف رسول الله صلى الله عليه
وسلم بخاتم النبيين رسلا مبشرين ومنذرين نصب على البدل او التأكيد او المدح وهو
اوجه لئلا تكون للناس على الله حجة بعد الرسل بان يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا كيف
ومع كثرة الرسل يقولون يوم القيمة ما جاءنا من بشير ولا نذير واستدل به الاشعري رحمه الله
على ان لا تكليف قبل البعثة وكان الله عزيزا غالبا على امره يفعل ما يريد حكيما في ارسال
الرسل لعدم اهتداء العقل الى احوال المعاد لكن الله يشهد بما انزل اليك استدراك عن
مفهوم الكلام السابق لان سؤالهم ان تنزل عليهم كتابا من السماء تكذيب لما جاء به
والمعنى يشهد لك بانه كلامه بان جعله معجزا خارقا فالباء الة او يشهد لك بان المنزل
عليك كلامه فالباء صلة انزله بعلمه استيناف لتقرير ويؤكد شهادته والمعنى انزله
ملتبسا به بعلمه الخاص به بان الفه معجزا كما اذا رأيت فعلا متقنا تقول فعله بعلم او حال
من الفاعل اي انزله اليك وهو عالم بانك اهل لذلك الله اعلم حيث يجعل رسالته
فالجملة مؤكدة للصلة وانزله ملتبسا بعلمه بمصالح العباد ومشتملا على بيانها او انزله ملتبسا
بعلمه محفوظا من الشياطين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون والملائكة يشهدون
بما شهد الله علموا ذلك باخبار الله تعالى روى الدارمي مرفوعا ان الله تعالى قرأ طه
ويس قبل خلق السموات والارض بالف عام فلما سمعت الملائكة القران قالوا
طوبى لامة ينزل عليها هذا طوبى لاجواف يحمل هذا طوبى لالسنة تتكلم بهذا وليس فيه
ما ينبه على ان اليهود كانوا يودون ان يعلموا نبوته من غير نظر كما علمت الملائكة وانهم
لو اتوا بالنظر الصحيح لعلموا نبوته واي حاجة الى النظر وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فلما
جاءهم ما عرفوا كفروا به وكفى بالله شهيدا على نبوتك بما ايدك به من المعجزات الباهرة
ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله هم اليهود والذين اضلوا المسترشدين بان
حرفوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ضلوا ضلالا بعيدا لان المضل اعرق في الضلال
بعدا اقلاعه ان الذين كفروا وظلموا بترك الواجبات او محمدا صلى الله عليه وسلم بتحريف
نعته او تغالوا وافرطوا في الكفر لم يكن الله ليغفر لهم ان ماتوا على ذلك ولا ليهديهم طريقا

يوم القيمة الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا حكم بذلك في الازل وفي ذكر الهداية تهكم
وكان ذلك على الله يسيرا لا يستوقف الا على تعلق الارادة في الحديث القدسي خلقت
هولاء للنار ولا ابالي يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم خاطب كافة
الناس بعد ازاحة الشبهة والجار والمجرور في الموضعين حال الاول من الفاعل والثاني
من المفعول فامنوا خيرا لكم انتصابه بمضمر اي اقصدوا خيرا او صفة مصدر اي ايمانا
خيرا لكم او خبر يكن عند الكوفية وان تكفروا بعد ظهور الحق بالدلايل وهذا النصح فان
لله ما في السموات وما في الارض من الاجرام العلوية والاجزاء الداخلة فهو غني عنكم وانما
ارشدكم رافة بكم وكان الله عليما كامل العلم باحوال الخلق حكيما في كل ما دبر يا اهل
الكتاب لا تغلوا في دينكم لما ازاح الشبهة عن حال محمد عليه السلام اراد ازاحتها عن
عيسى عليه السلام وخص اهل الكتاب لان اليهود والنصارى بين افراط وتفريط
ولا تقولوا على الله الا الحق الذي هو ثابت في الواقع انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله
وكلمته القاها الى مريم فليس هو من غير رشدة كما يقول اليهود ولا هو ابن الله كما يقول
النصارى اوقع عيسى عطف بيان لانه اشهر وتسميته بالكلمة تسمية الشي باسم سببه
وروح منه كانه من جهته كساير الارواح المخلوقة سوى انه من غير اب وقيل سمي روحا
لانه كان يحيي الموتى او النفوس الميتة بداء الجهل بالحكمة والمعارف او ذو روح جسم
كساير الاجسام ان له مقام الالوهية او التولد ممن لا يجانسه شي فامنوا بالله ورسله
وعيسى من جملتهم ولا تقولوا ثلثة اي الالهة قول الملكانية والنسطورية قالوا هو ابن الله
واليعاقبة قالوا هو الله وضلالتهم ظاهرة فلا حاجة الى ايراد خرافاتهم التي لا تعقل
انتهوا خيرا لكم انتهوا عن التثليث وفي اعراب خيرا ما تقدم انما الله اله واحد لا شريك
له في ايثار انما دلالة على ظهور الحكم بادنى تامل سبحانه ان يكون له ولد انزهه عن هذه
النقيصة لان الولد يشارك الوالد ولو من وجه وليس كمثله شي له ما في السموات وما في
الارض خلقا وملكا فلا يجانسه شي وهو غني عن ولد يكون له ظهيرا وكفى بالله وكيلا
حافظا توكل اليه الامور تقرير لغناه لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله استفعال
من النكف يقال نكف دمعه اذ نحاه لان المترفع عن الشي ينحرف عنه او من النكاف
وداء يأخذ في حلق البعير ولا الملائكة المقربون الكروبيون كجبرائيل وميكائيل ومن يقاربهم
رتبة نزلت في وفد نجران لما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال
بماذا تعيبه قالوا تقول فيه انه عبد الله قال ان صاحبكم يابى بذلك تمسك به من
فضل الملائكة على الانبياء لان هذا اسلوب الترقي يقول هذا امر لا يانف عنه امير
ولا وزير ولا سلطان وهذا مستقيم لو سيق الكلام لبيان الافضلية بين الفريقين
وليس كذلك بل انما سيق لدفع شبهة النصارى وهي انه موجود من غير اب مع كمال
العلم والقدرة على احياء الموتى وابراء الاكمه والابرص ولا شك ان الملائكة في باب التجرد

والاطلاع على المغيبات والقدرة على الاعمال الشاقة لا سيما المقربين منهم اعلى شانا
من عيسى عليه السلام وناهيك ما جرى على المؤتفكات بريشة من جناح جبرائيل
والقول بانه رد على النصارى وعبدة الملائكة من مشركي العرب مع كون السباق
ياباه لا يندفع شبهة الترقي وكذا القول بان غايته كون المقربين افضل من عيسى
ولا يلزم منه افضلية الجنس على ما هو المتنازع فيه يبطل كون خواص البشر افضل
من خواص الملك مع انه انما يصلح ردا للنصارى لو كان عندهم مسلما كون الملائكة
افضل منه وهيهات ومن يستنكف عن عبادته الاستنكاف اخص من الاستكبار
لانه تكبر مع الاعراض ولذلك عطف عليه ويستكبر فسيحشرهم الله جميعا للمجازاة فاما الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم اجزية اعمالهم سماها اجورا تنبيها على استحقاقهم
ودلالة على لزوم ثبوتها ويزيدهم من فضله زيادة على ثوابها واما الذين استنكفوا واستكبروا
فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا اقتصر في المجمل على
ذكر احد الفريقين وهو المستنكف وفي المفصل ذكر الفريقين اما لان احدهما يدل على
الاخر فطوى ذكره او لان القصد بيان عذاب المستنكف من وجهين التعذيب بنار الجحيم
وبنار الحسرة عند الاطلاع على جزاء ضده بل هذه النار اقوى واشد عند اهل العرفان هذا
والتصدير باما يؤيد الوجه الاول يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم البرهان الحجة
القاطعة والمراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم او شرعه لقوله الصدقة برهان وانزلنا اليكم
نورا مبينا هو القران لظهور اعجازه وهدايته الى كل خير فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به
فسيدخلهم في رحمة منه في الجنة من اطلاق الحال على المحل وفضل من عطف الشي على
نفسه باعتبار الصفة او زايد على قدر الثواب ويهديهم اليه صراطا مستقيما لا اعوجاج فيه
اخره اهتماما بالمقصود يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة روى مسلم والبخاري ان جابر
ابن عبد الله في حجة الوداع كان مريضا فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يعقل
فتوضا وصب عليه من وضوءه فافاق فقال يا رسول الله لا يرثني الا الكلالة فكيف الميراث
فنزلت وهي اخر اية نزلت كما ان براءة اخر سورة نزلت وقد تقدم تفسير الكلالة اول السورة
ان امرؤا هلك ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ليس له ولد صفة لا حال لان امرؤ نكرة
ولان المعنى ليس على التقييد وله اخت فلها نصف ما ترك فان قلت لها النصف اجماعا
ان ترك بنتا والثلث ان ترك بنتين او اكثر فكان المراد من الولد الابن فانما تسقط به
قلت الكلام في الفرض المقدر وهي مع البنات عصبة فلا اشكال والاستدلال على عموم الولد
بان الكلام في الكلالة وهو من لا يكون له ولد ولا والد ليس بناهض لان الكلالة اسم
مشترك بين الوارث الذي ليس باصل ولا فرع ومورث كذلك والكلام في الاول
صرح به في حديث جابر وهو لا ينافي وجود البنات فضلا عن بنت والمراد الاخت من الابوين
او من الاب لان التي من الام لها السدس لا غير مقدم في اول السورة وهو يرثها ان لم يكن

لها ولد اي المرء يرث الاخت جميع ما تركت ان لم يكن لها ولد اصلا او مع الذكر ساقط
ومع الانثى له ما بقي بعد الفرض فان كانتا اثنتين اي ان كان الوارث من الاخوات
اثنتين او اكثر كما تقدم في قوله فوق اثنتين والتانيث باعتبار الخبر فلهما الثلثان مما
وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا كراهة
ان تضلوا اي طريق الحكم او لئلا تضلوا وما قيل يبين ضلالكم لو خليتم لانه من شانكم ففيه
ان الذي بينه من اول السورة الى الخاتمة احكام اصولا وفروعا فلا ضرورة الى هذا المعنى
القلق والله بكل شي عليم كامل العلم فالذي قرر من الاحكام ناش عن حكمة وان وقفت
على بعض الافهام تمت والحمد لله سورة المائدة وآيها مائة وثلث [illegible]
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود وفى واوفى بالعهد قام بموجبه والثاني
ابلغ والعقد العهد الموثق مستعار من ربط الحبل ولما كانت السورة مشتملة على امهات الاحكام
اصولا وفروعا اجملها اولا براعة للاستهلال ثم بينها مفصلة بعد الاجمال احلت لكم بهيمة الانعام
البهيمة كل ذات اربع من حيوان البر والبحر من البهامة وهي النكارة [illegible]
الازواج الثمانية من الابل والبقر والغنم الاضافة بيانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر
الوحش لانها توالي الانعام فالاضافة بمعنى اللام لملابسة الشبه او يجعل من الاول مبالغة
في التشبيه الا ما يتلى عليكم الا محرم ما يتلى عليكم او الا ما يتلى عليكم اية تحريمه لان المتلو لفظ [illegible]
من البهيمة غير محلي الصيد حال من ضمير لكم وانتم حرم وانتم محرمون حال من فاعل محلي
فان قلت هذا ظاهر ان حمل بهيمة الانعام على الظباء وبقر الوحش واما اذا اريد بها الازواج
الثمانية فلا لان احلالها لا يختص بحال امتناع المحرم عن الصيد قلت ذكرها امتنانا بعدم
التحرج وان لا يتوهم انها كالصيد وعن الاخفش حال من فاعل اوفوا ولا غبار عليه وان
بعد لفظا ان الله يحكم ما يريد لا يسأل عما يفعل يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله
جمع شعيرة اسم ما جعل شعارا اغلب على معالم الحج لانها امور مدركة بالمشاعر والاضافة للتشريف
ولا الشهر الحرام من الاربعة المعروفة ولا الهدي ما يهدى للكعبة ولا القلائد ما قلد من الهدي
بقلادة اشعارا بانها هدي فلا يتعرض لها من قبيل عطف جبرائيل على الملائكة او لا تحلوا
نفس القلائد فضلا عن البدن المقلدة ولا امين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم
ورضوانا مؤمنا كان او كافرا نزلت في حطم بن هند البكري من اليمامة اغار على سرح
المدينة ثم في العام القابل عام عمرة القضاء احرم معتمرا والاخبار عن الكافر بابتغاء الرضوان
باعتبار ظنه على المبالغة في الكف عن المسلم الاثم لان توهم ابتغاء الرضوان يوجب الكف
فضلا عن تحققه عن ابن عباس والشعبي انها نسخت بقوله اقتلوا المشركين حيث
وجدتموهم والحق انه تخصيص لبقاء الحكم في المسلم الا ان يشترط مقارنة المخصص والجملة
حال من ضمير امين لا وصف له لانه عامل فلا يوصف وقرا ابو بكر رضوان الاول دون
الثاني بضم الراء وهما لغتان واذا حللتم فاصطادوا امر اباحة لان الحرمة كانت لعارض

فلا يلزم

فلا يلزم منه ان يكون كل امر بعد الحظر للاباحة ولا يجرمنكم شنآن قوم وقرا ابو بكر وابن
عامر بسكون النون وكلاهما مصدر اشنأه او بالغ في بغضه والفتح اكثر وجرم بمعنى كسب
متعد الى المفعولين ان صدوكم عن المسجد الحرام مفعول له بتقدير اللام وقرا ابن كثير وابو
عمرو بكسر الهمزة شرطا دل على جوابه ما تقدمه والفتح هو المختار لتحقق معلله لان الصد عام الحديبية
سنة ست والاية نزلت سنة ثمان ووجه الكسر التوبيخ على ان ذلك الصد مما ينبغي ان
لا يكون الا على وجه الفرض او بتقدير ان كانوا اولا صد بعد الفتح ان تعتدوا بالتجاوز واحكم الله
ثاني مفعولي يجرمنكم وتعاونوا على البر والتقوى على فعل الخيرات والاتقاء عن المحارم ولا تعاونوا
على الاثم على ترك ما امر الله والعدوان والتجاوز عما حد الله روى البخاري عن انس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انصر اخاك ظالما او مظلوما قيل هذا نصرته مظلوما فكيف
نصرته ظالما فقال تمنعه من الظلم واتقوا الله في مجامع اموركم ان الله شديد العقاب
حقيق بان يتقى حرمت عليكم الميتة هي التي ماتت حتف انفها والدم المسفوح كانوا
يقصدون البعير ويأكلون دمه ولحم الخنزير وسائر اجزائه افرد اللحم لانه المتعارف اكله وما
اهل لغير الله به ما ذبح باسم الاصنام والاهلال رفع الصوت والمنخنقة التي ماتت خنقا
او خنقت والموقوذة التي ضربت بالخشب فماتت والمتردية الساقطة من مكان عال
والنطيحة التي نطحها الاخرى والتاء لعدم ذكر الموصوف وما اكل السبع ذئاب الا ما ذكيتم
ادركتم ذكاته وذلك بقطع الحلقوم والمري مع شخوب الدم من الاوداج بكل محدد ولا يكون
عظما ولا ظفرا وما ذبح على النصب واحد الانصاب قال الاعشى وذا النصب المنصوب
لا تاتينه وقيل جمع واحده نصاب ككتب وكتاب او جمع نصب كسقف وسقف كانوا
ينصبون الحجارة حول البيت يذبحون عليها تقربا اليها وان تستقسموا بالازلام جمع زلم
كقفل او زلم كفرس ثلثة اقداح مكتوب على احدها افعل وعلى الاخرى لا تفعل والثالثة
غفل كانوا يجعلونها في وعاء فاذا عرض لهم مهم اخرجوا واحدة منها فان خرج افعل مضوا فيه وان
خرج لا تفعل انتهوا وان خرج الغفل اجالوا ثانيا ومعنى الاستقسام بها طلب اظهار القسم
والحظ ذلكم المذكور من المحرمات فسق خروج عن طاعة الله وشرعه لانه توسل الى استعلام
الغيب من غير الله كاستعلام الخير والشر من الكهنة واهل التنجيم وقيل هو طلب قسمة الجزور بها
وكونه فسقا لانه ميسر وليست القرعة التي قال بها الشافعي رحمه الله منه لما روى البخاري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اراد اقرع بين نسائه وهو حق شرعي فيقاس
عليه اليوم يئس الذين كفروا من دينكم من ابطال دينكم بان يرجعوا الى دينهم محللين هذه
الخبائث فلا تخشوهم بعد اظهار الله دينه واخشون اخلصوا الي الخشية اليوم اكملت لكم
دينكم بدل من اليوم والمراد به الزمان الحاضر لا اليوم المتعارف كقولك اصبح فلان غنيا
وكان بالامس متكففا والمتعارف لما روى البخاري عن طارق بن شهاب ان
يهوديا قال لعمر رضي الله عنه اية في كتابكم لو علينا معشر اليهود نزلت اتخذنا ذلك اليوم عيدا

قال عمر قد علمنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه نزلت ورسول الله واقف على ناقته
بعرفه ومعنى الاكمال ان الحج اخر اركان الاسلام الخمسة اتفاقا وروى ابن جرير لما نزلت
بكى عمر رضى الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تبكى قال انا كنا فى زيادة ولا زيادة بعد
الكمال فقال صدقت يا عمر وعاش بعد نزولها احدا وثمانين يوما واتممت عليكم نعمتى
بالكمال دينكم وفتح مكه واخراج المشركين من الحرم وتطهير البيت من الاصنام والازلام
ورضيت لكم الاسلام دينا اخترته لكم من بين الاديان فمن اضطر متصل بالمحرمات وقوله
ذلكم فسق وما بعده اعتراض يؤكد معنى التحريم فى مخمصة بان لا يجد شيئا غير ما صدد كالميتة
من الخمص وهو الجوع غير متجانف لاثم منحرف قاصد له بان ياكل فوق سد الرمق او يدخر منه
واستدل الشافعى على ان العاصى بسفره لا يتناوله وحد الاضطرار ان يخاف الهلاك على
نفسه او ما يقرب منه فان الله غفور لا يتناوله ضرورة رحيم بالترخيص فيه يسالونك ماذا
احل لهم لما تلا عليهم المحرمات سأله عدى بن حاتم وزيد بن المهلهل عما احل لهم قل احل لكم
الطيبات ما احله الكتاب والسنة والقياس واستطابه العرب وما علمتم من الجوارح
وصيد ما علمتم اى صيده لانه عطف على الطيبات ويجوز ان يكون ما شرطية مبتداء والجملة
عطفا على جملة ما احل ولا حاجة الى تقدير المضاف والجوارح السباع والطيور من الجرح
وهو الكسب ويعلم ما جرحتم بالنهار فيحل مخنوقه ومجروحه مكلبين حال مؤكدة معلمين الكلاب
لان اكثر الصيد بها او لان الكلب يطلق على ساير السباع اشتقاقه من كلب اشتد
يقال كلب عليه الدهر وفى الحديث اللهم سلط عليه كلبا من كلابك تعلمونهن مما علمكم
الله من كيفية التعليم ولطايف الحيل او ما هو شرط فى حل صيده من الاسترسال بارساله
والانزجار بزجره وعدم الاكل منه وهذا اوجه لافادته ان شرط المكلب ان يكون فقيها
فى باب الصيد فكلوا مما امسكن عليكم من غير تصرف فيه بذلك يتم تعليمه وهذا عام
عند الشافعى رحمه الله فى جوارح الطيور وخصه ابو حنيفة رحمه الله بالسباع لتعذر تعليم الطيور
الى هذا الحد واذكروا اسم الله عليه على ما علمتم عند ارساله او على ما امسكن ان ادركتم
وبه حيوة واتقوا الله بالمحافظة على حدوده ان الله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن
شان فيجازيكم على اعمالكم اليوم احل لكم الطيبات بدل من قوله اليوم اكملت لكم دينكم
والسوال والجواب فى البين اعتراض وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم اخذ بعمومه
ابو حنيفة رحمه الله وخصه الشافعى رحمه الله بغير متنصرة العرب كتغلب وتنوخ وبهرام
وجذام ولخم وعامله لما روى ابن جرير عن على رضى الله عنه لا تاكلوا ذبايحهم لانهم لم يتمسكوا
من النصرانية الا بشرب الخمر وطعامكم حل لهم فلا جناح عليكم ان تطعموهم او حل لهم
فى اعتقادهم والمحصنات من المؤمنات الحراير اليه ذهب الشافعى فلم يجوز نكاح
الامة لواجد طول الحرة او العفايف وهذا اوجه لقوله محصنات غير مسافحات والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم الحراير او العفايف كما فى المسلمات ولذلك لم يجوز

الشافعى

الشافعى رحمه الله نكاح الامة الكتابية والحرة ان كانت اسرائيلية فذاك والا فلا يجوز نكاحها
الا بعد العلم بدخول ابائها فى ذلك الدين قبل النسخ اذا اتيتموهن اجورهن مهورهن المراد
التزام المهر كما فى المسلمات وايثار الايتاء مبالغة محصنين اعفاء دفع لتوهم حل الاجر على
معناه واستدل بظاهره الامام احمد فلم يجوز عقد الفاجر على العفيفة غير مسافحين حال
مؤكدة ولا متخذى اخدان جمع خدن وهو الصديق يطلق على الذكر والانثى والخاد الاخدان
ما يفعله الفسقة من التعشق والتعلق لمعينه وقيل السفاح الزنا جهرا وهذا سرا ومن يكفر
بالايمان شرايعه فقد حبط عمله ان مات عليه لقوله فيمت وهو كافر فى البقرة وهو فى
الاخرة من الخاسرين من عدادهم ولم يخرجه العمل السابق يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى
الى الصلوة اذا اردتم القيام من اقامة المسبب مقام السبب واحد لا زمى الشى مقام الاخر
اى اذا قصدتم التوجه الى الصلوة وذلك لانه لو اريد به مباشرة الصلوة عقيب القيام يلزم
ان يكون الوضوء فى الصلوة او بعدها ولو اريد القيام اليها يلزم ان يكون الوضوء بعد
القيام متصلا بالصلوة والخطاب للمحدثين بقرينة الحال ولكونه صرح به فى البدل واما حمل
الخطاب على غير المحدثين والامر للندب وايجابه على المحدث فمع كونه مخالفا لاتفاق
العلماء تخصيص لا دليل عليه وكذا القول بانه كان فرضا لكل صلوة ثم نسخ اذ ناسخ الكتاب
لا يكون الا متواترا وانى له ذلك هذا وقد روى مسلم عن ابى بريده رضى الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يتوضأ لكل صلوة فلما كان يوم الفتح صلى الصلوات بوضوء
فقال عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه قال عمدا فعلته يا عمر وسورة المائده نزلت بعد الفتح
ومن جعل الامر مشتركا او للقدر المشترك وهو الطلب الراجح اوجوز الجمع بين المعنيين فالامر
عنده ظاهر فاغسلوا وجوهكم الغسل اسالة الماء والوجه ما بين منبت الشعر الى اخر الذقن
طولا وما بين الاذنين عرضا وايديكم الى المرافق جمع مرفق بالكسر والفتح متصل الذراع
والعضد الجمهور على وجوب غسله لان الى للغاية من غير دلالة على الدخول والخروج فاخذ
بالاحتياط وقد روى جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا توضأ ادار الماء على مرفقه
وقيل اذا تناولها صدر الكلام دخلت كما فى الاية والا فهى لمد الحكم كاتموا الصيام ولا بطرد
لورود قرأ القران الى سورة كذا واسرى بعبده من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى طردا وعكسا
وامسحوا برؤسكم المسح متعد ضمن معنى الالصاق فعدى بالباء فصدق بادنى شى
ولو بعض شعرة كما ذهب اليه الشافعى رحمه الله والابراد بان ذلك القدر لم حاصل فى غسل الوجه
غير متوجه لوجوب الترتيب عنده وذهب مالك واحمد رحمهما الله الى وجوب الاستيعاب
لما روى مسلم والبخارى عن عبد الله بن زيد انه وصف وضوء رسول الله فمسح رأسه بيديه
فاقبل بهما وادبر وابو حنيفة رحمه الله الى ربع الراس لحديث المغيرة ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم مسح على الناصية والظاهر ما ذهب اليه الشافعى رحمه الله لان حكاية الفعل لا تعم وارجلكم
الى الكعبين قراه ابن كثير وابو عمرو وابو بكر وحمزه بالجر للجوار كجحر ضب خرب او بتقدير وامسحوا برؤسكم

مرادا به الغسل اشارة الى الاقتصاد ولان آخر الوضوء محل الاسراف مع عدم الالباس بضرب
الغاية فان قلت قراءة النصب على محل المجرور لا على المغسول لوجود الفاصل قلت لو سلم بالعطف
تساوي الاحتمالين فالترجيح بما روى البخاري عن ابن عمر اشرف علينا رسول الله صلى الله
تعالى عليه وسلم ونحن نمسح على ارجلنا فنادى باعلى صوته ويل للاعقاب من النار وبانه
اقرب الى الاحتياط لان الغسل مسح دون العكس وعن الشافعي رحمه الله اراد بالنصب قوما
وبالجر آخرين يريد به المسح على الخف وان كنتم جنبا فاطهروا بالغوا في الطهارة بغسل البدن
كله اصله تطهروا ادغمت التاء فاجتلبت الهمزة وان كنتم مرضى مرض يمنع استعمال
الماء او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء في هذه الاحوال ما حقيقة
او تقديرا بان يحتاج اليه لعطش محترم فتيمموا صعيدا طيبا ترابا طاهرا فامسحوا بوجوهكم وايديكم
من ذلك التراب ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج اي في حرج ومن زائدة والاول اوجه
لغاية بعد التراب من الماء ولكن يريد ليطهركم في الاحوال كلها ولذلك جعل التيمم بدل الوضوء
اذ قل ما تفقد التراب وهو ظاهر فيما ذهب اليه ابو حنيفة رحمه الله من كون التيمم رافعا للحدث
وحمله الشافعي رحمه الله على التطهير من الذنوب لقوله في النساء ولا جنبا الا عابري سبيل حتى
تغتسلوا حيث جعل الغسل نهاية الجنابة وليتم نعمته عليكم بافاضة المعارف والتوسعة
في اسباب الطاعات لعلكم تشكرون لتكونوا في صورة من يرجى منه الشكر وفيه اشارة الى
كون الانسان كفورا واذكروا نعمة الله عليكم نعمة الاسلام او كل نعمة وميثاقه الذي واثقكم به
اذ قلتم سمعنا واطعنا لكان اذا اسلم احد في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم يبايعه على السمع
والطاعة في المنشط والمكره وقيل المراد به بيعة الانصار ليلة العقبة سنة احدى عشرة من النبوة
كانوا اثني عشر رجلا وفي سنة ثلث عشرة بايعوه ايضا وكانوا سبعين وبايعه الانصار والمهاجرون
تحت الشجرة وهم الف وخمسمائة واربع مائة واتقوا الله في نقض الميثاق او في السمع والطاعة
ظاهرا وباطنا ان الله عليم بذات الصدور من الضمائر يا ايها الذين امنوا كونوا قوامين
لله شهداء بالقسط بالعدل ولا يجرمنكم يحملنكم شنآن قوم شدة بغضهم على ان لا تعدلوا
معهم اعدلوا هو اقرب للتقوى صرح بما علم ضمنا مبالغة في شان العدل واذا كان هذا
في شان الكفار الاعداء فما ظنك بالمؤمنين والضمير للعدل المدلول عليه واتقوا الله في المحافظة
على الحدود ان الله بما تعملون خبير حث على الاخلاص وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة واجر عظيم اورد الجزاء جملة اسمية على طريق الاستئناف جوابا للسؤال الخلاف سورة الفتح
مبالغة في تحققه بالاجمال والتفصيل فان قلت لم روعي هنا ولم يراع هناك قلت لان هذا
متاخر نزولا فيفيد زيادة ولذكره بعد الشهادة والامر بالعدل والتقوى والقيام بها من
اشق الاعمال وذكره هناك بعد الاوصاف الكمالية للصحابة وقيل الجملة مفعول القول المقدر
او الوعد لان فيه معنى القول والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم ذكرهم
للتقابل ترهيبا بعد الترغيب يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم

ايديهم

ايديهم فكف ايديهم عنكم روى مسلم والبخاري عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم غزا غزوة ذات الرقاع سنة خمس من الهجرة فنزل واديا فتفرقنا نستظل بالشجر
وتركنا شجرة ظليلة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فعلق سيفه ونام في ظلها فاستيقظ وسيفه
في يد اعرابي مشرك صلتا فقال من يمنعك مني فقال الله ثم شام الاعرابي السيف فتناوله
رسول الله صلى الله عليه وسلم منه وقال من يمنعك مني ثم اجتمع اليه اصحابه رضي الله عنهم نزلت
وعن ابن اسحق ومجاهد ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهود بني النضير يستقرض منهم دية
مسلمين قتلهما عمرو ابن امية خطأ فقالوا نعم يا ابا القاسم واقعدوه في صفة وامروا واحدا
منهم ان يعلو السطح ويلقي عليه رحى فاخبره جبرئيل فقام وانصرف سالما فنزلت واتقوا
الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون لتفرده بالامر اعاد المظهر لدلالته على النعوت الموجبة للتوكل
ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا اردف الامر بحفظ الميثاق
على بني اسرائيل ونقضهم ذلك الميثاق وما حل بهم بعده من النكال تحذيرا ولطفا بالسامعين
عن ابن عباس رضي الله عنه لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله على
لسان موسى عليه السلام بالسير الى اريحا وارض الشام وقال كتبها لكم دار قرار وكان
يسكنها العمالقة وكانت بنو اسرائيل اثني عشر سبطا فجعل على كل سبط نقيبا ينقب عن
شانهم ويعرف احوالهم وقال الله اني معكم بالنصر والاعانة لئن اقمتم الصلوة واتيتم الزكوة
اكتفى بهما لانهما ام العبادات وامنتم برسلي استمررتم على الايمان بهم وعزرتموهم نصرتموهم
من العزر وهو المنع ومنه التعزير قال القطامي تعففني والرا ينفعه العزر واقرضتم الله قرضا
حسنا يشمل انواع البر لاكفرن عنكم سيئاتكم جواب القسم ساد مسد جواب الشرط ولادخلنكم
جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم بعد اخذ الميثاق والوعد المؤكد
فقد ضل سواء السبيل اخطأ الطريق المستقيم من اضافة الصفة الى الموصوف فبما نقضهم
ميثاقهم لعناهم طردناهم عن رحمتنا الباء مزيدة توكيدا وجعلنا قلوبهم قاسية من القسوة
وهي اليبس والصلابة مجاز عن عدم تاثرها بالايات والنذر وقرا حمزة والكسائي قسية وهو ابلغ
يحرفون الكلم عن مواضعه بيان لقسوة قلوبهم اذ لا قسوة اشد من تحريف كلام الله والافتراء
عليه ونسوا حظا مما ذكروا به تركوا نصيبا وافيا من العلم بشوم معاصيهم عن ابن مسعود رضي الله عنه
ان المرء ينسى بعض العلوم بالمعصية وتلا الآية من تبعيضية والنسيان مجاز عن الترك
ومن للابتداء وما ذكروا به في التورية وجوب اتباع محمد عليه السلام ولا تزال تطلع على خائنة
منهم يريد ان الاخلاق على طريق الاسلاف وابهم خيانة الرسل والخيانة مصدر كالعاقبة
او وصف لمقدر كنفس او فرقة والتاء للمبالغة كالرواية الا قليلا منهم وهم الذين امنوا
فاعف عنهم تجاوز عن ذنبهم واصفح واعرض والاتعاتب قيل نسخت باية السيف
والظاهر ان هذا فيما يتعلق به من خيانتهم لاطباق الجمهور على ان لا نسخ في المائدة ولعله
ان الله يحب المحسنين لحسن موقعه على ذلك التقدير ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا

ميثاقهم ميثاق الذين تقدم ذكرهم او ميثاق الذين قالوا انا نصارى وفي قوله من الذين
قالوا انا نصارى دون ومن النصارى اشارة الى انهم ليسوا من دين النصارى الا زعما
وادعاء فنسوا حظا مما ذكروا به تقدم تفسيره فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة
او تعنا والصقنا بهم من الغراء وهو ما يلصق به ان فتحته قصرت وان كسرته مددت
ثم ترتيب اللعن على نقض اليهود ووصفهم بالقسوة والخيانة والاكتفاء في النصارى بالاغراء
والاقتصار على نسيان الذكر دل على غلو اليهود في الكفر وانهم اسوء حالا وسوف ينبئهم الله بما
كانوا يصنعون يقصدونه من الكفر والنقض يا اهل الكتاب خاطب الجنس بعد بيان
حال كل فريق قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب كآية الرجم ونعت
محمد عليه السلام ويعفو عن كثير مما لا يدعو ضرورة الى اظهاره والكثرة باعتبار ذاته دون التقابل
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين اي القران قدم اشرف وصفيه والمبين من
ابان لازما ومتعديا ولم يعطفه لاستقلاله بالهداية يهدي به الله بالقران من اتبع رضوانه
ما ارتضاه من الدين سبل السلام طريق السلامة وسبيل الله على ان السلام من اسمائه تعالى
ويخرجهم من الظلمات الى النور من ظلمات الكفر والجهل الى نور الايمان والمعرفة باذنه بتوفيقه
وتيسيره ويهديهم الى صراط مستقيم كرره للتاكيد وبين ان جمع السبيل للتعظيم ويجوز ان
يراد به الفروع لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم هم القائلون باتحاد اللاهوت
والناسوت قل فمن يملك من الله شيئا ان اراد ان يهلك المسيح بن مريم وامه ومن
في الارض جميعا الملك هو المساك بقوة والحفظ بحزم والمعنى من يقدر على منعه من مراده
ان تعلقت ارادته والاقتصار على من في الارض لان الكلام في عيسى عليه السلام ولله ملك
السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء كيف يشاء ومن ذلك عيسى وامه واذا كان
ابداء الكل وافناؤه منه اني يتوهم لشيء شان الالوهية والله على كل شيء قدير ومن ذلك
خلق عيسى من غير اب وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه اتباع ابنائه كما يقول
خواص الملوك نحن الملوك والاحباء جمع الحبيب بمعنى المحبوب قل فلم يعذبكم بذنوبكم بالمسخ
في الدنيا والعذاب في الاخرة اياما معدودة ان صح ما ادعيتم فان احدا لا يؤاخذ حبيبه قال
واذا الحبيب اتى بذنب واحد جاءت محاسنه بالف شفيع ولا اشياع ابنه والنصارى وفي
المثل لاجل عين الف عين تكرم روى انس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال والله لا يلقي الله حبيبه في النار وما قيل من كان بهذا المنصب لا يفعل ما يوجب تعذيبه
غير لازم وكم ابن عاق اباه ولا دلالة للكلام عليه بل انتم بشر ومن تزعمون انكم اشياعه
بشر ممن خلق لا مزية لكم اضرب عن الجواب للقطع بعجزهم عنه يغفر لمن يشاء ويعذب
من يشاء مؤمنا كان او كافرا ان لم يتب ولله ملك السموات والارض وما بينهما
كرره ليرتب عليه امر المعاد كما رتب على الاول امر المبداء واليه المصير فيجازي كل احد على
عمله يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم الدين القويم وفي اضافته اليه توبيخ لهم

حيث

حيث لم يرضوا بمن ارتضاه على فترة من الرسل على بعد عهد منهم وشدة احتياج اليه
اصل الفترة الانكسار اطلق على ما بين الرسولين لضعف الدين انجار متعلق بجاءكم او في
محل الحال روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه ان مدة الفترة كانت ستمائة سنة
ولا نبي بين عيسى وبين رسول الله عليهما السلام لقوله انا اولى الناس بابن مريم
لا نبي بينه وبيني وقيل كان بينهما اربعة انبياء ثلثة من بني اسرائيل وواحد من العرب
خالد بن سنان العبسي ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير لئلا تقولوا فقد جاءكم
بشير ونذير اي لا تعتذروا فقد جاء ما ابطل اعتذاركم والله على كل شيء قدير واذ قال
موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اي اذكره ذلك الوقت لتحيط علما بما قاساه
من جهله بني اسرائيل فان فيه ما يسليك اذ جعل فيكم انبياء من لدن يعقوب عليه
السلام لم يبعث الانبياء في طايفة اكثر مما بعث فيهم وجعلكم ملوكا يملكون انفسكم بعد
ان كنتم في يد القبط عبيدا او ملوك مصر بعد فرعون وقيل من له زوجة ودار وخادم
فهو ملك روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له السنا من فقراء المهاجرين
فقال هل لك من امراة ودار تسكنه قال بلى قال فانت من الاغنياء قال ولي خادم قال
فانت من الملوك واتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين من فلق البحر والايات التسع
وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى يا قوم ادخلوا الارض المقدسة هي الشام من
نهر الفرات الى واد العريش او الواد الايمن وتقديسها بانها موطن الانبياء وبها قبلتهم وهي
ارض المحشر التي كتب الله لكم تشجيع لهم بانها قد كتبت لهم قبل خلق السموات والارض
بخمسين الف عام ولا ترتدوا على ادباركم الى مصر او لمخالفة موسى فتنقلبوا جزم بالعطف
او نصب على الجواب خاسرين خير الدارين قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين الجبار
فعال من جبر بمعنى اجبر هو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد وقيل من يقتل اذا
غضب وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون اذ لا طاقة
لنا بحربهم قال رجلان من الذين يخافون الله كانه قيل من الكل المتقين وهما
يوشع بن نون وكالب بن يوقنا انعم الله عليهما بالثبات وقوة القلب ادخلوا عليهم
الباب باب المدينة فاذا دخلتموه فانكم غالبون علما ذلك باخبار موسى عليه السلام
او من عادة الله نصر الرسل او لما شاهدوا من حال فرعون والظاهر انهم لما راوا عظم
اجسامهم علموا انهم لا يتمكنون من القتال في المضايق وذلك ان موسى ارسل اثني عشر
رجلا وهم النقباء جواسيس ياتونه بخبرهم فلقيهم رجل منهم فجعل كلهم في كساء واتى بهم قومه
فقال من انتم قالوا نحن اصحاب موسى قال واحد منهم اوسهم برجلي فقال ملكهم اطلقوهم
ليخبروا بحالكم وما شاهدوه فلما رجعوا واخبروا بحالهم قال بنو اسرائيل ما قالوا وقيل كانا
رجلين من العمالقة امنا بموسى وبعده لا يخ وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين بانه
لا مؤثر غيره قالوا يا موسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها نفوا الدخول على ابلغ وجه بلن

ثم قيدوه بالزمان بذكر الابد ثم اشاروا الى ان الابد لم يرد به معناه فاذهب انت وربك
فقاتلا انا ههنا قاعدون لم يريدوا حقيقة الذهاب والا لكفروا واستهانتهم بل ارادوا انك
منصور من عند الله وقد شاهدنا حالك مع فرعون ونصره معك حيث كنت ومعنى
انا ههنا قاعدون انا لا نرجع بل ننتظر خبرك معهم وقيل ارادوا حقيقة الذهاب لجهلهم
وعدم مبالاتهم واذا قابلت بمقالتهم مقالة الانصار يوم بدر لما استشارهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم في قتال قريش قالوا لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل بل نقول اذهب
انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون ولو ضربت اكبادها الى برك الغماد لاتبعناك
ظهر لك ما فضلت به خير الامم قال رب انى لا املك الا نفسي واخى نصب بالعطف على
نفسي او على ضمير انى او رفع عطف على ان وما في حيزها كانه قال انا لا املك الا نفسي
وهرون كذلك او على المستكن في لا املك للفصل ولم يذكر الرجلين لعدم الوثوق
بهما او اشار الى قلة من توافقه على طريقة تمثيل حاله بحال من لا يملك الا نفسه واخاه
او اراد بالاخ من يواخيه في الدين والغرض من الاخبار بث الشكوى فافرق بيننا وبين
القوم الفاسقين خلصنا من مجاورتهم واخلاقهم الذميمة قال فانها محرمة عليهم اى
الارض المقدسة اربعين سنة يتيهون في الارض الظرف متعلق بيتيهون والتحريم
على اطلاقه والصحيح تعلقه به لما روى ابن عباس رضى الله عنهما ان الله استجاب دعا
موسى فمات هرون بعد سنة وهو بعد ثلث سنين فقال حين حضرته الوفاة اللهم
ادنني من الارض المقدسة دلو برمية حجر فاستجاب الله منه فهو في الارض المقدسة بينه وبين
بيت المقدس ثلث فراسخ تقريبا وبعد اربعين سنة بعث الله يوشع بن نون نبيا فسار
بمن بقى منهم ففتح بيت المقدس وقتل الجبابره وكان يوم الجمعة بعد العصر فخاف دخول السبت
فنادى اللهم احبس الشمس على فحبسها حتى فتحها الى القصة اشار ابو تمام بقوله فوالله ما ادرى
لاحلام نايم المت بنا ام كان في الركب يوشع فلا تاس على القوم الفاسقين بعد استجابة
دعائك رقة القرابة واتل عليهم نبا ابنى آدم لما كان كفر اهل الكتاب برسول الله صلى الله
عليه وسلم ناشيا من الحسد امره بان يتلو عليهم حال اول من حسد وما ثمر له حسده كان في شرع آدم
تزويج الاخوات لاخوة وان لا نزوج توامته وكانت توامة قابيل اجمل من توامة هابيل فابى
قابيل ان يتزوجها هابيل وقال توامتى انا اولى بها فقال آدم عليه السلام تقربا بالقربان فايكما
يقبل منه فهو على الحق وكان قابيل صاحب زرع فجاء بالحزمة حصيد اخبث ما كان في زرعه وهابيل
صاحب ضرع فجاء بكبش احسن ما كان في غنمه فنزلت النار على قربان هابيل بالحق تلاوة بالحق
صفة مصدر او حال من المفعول اى نبا ملتبسا بالحق او من الفاعل اى واتل محقا ملتبسا
بالصدق والبا في الاوجه للملابسة اذ قربا قربانا ظرف للنبا اى حديثهم في ذلك الوقت
او بدل بتقدير مضاف اى حديث ذلك الوقت والقربان ما يتقرب به كالقربان والحلوان
ولم يثن لانه مصدر في الاصل فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الاخر لسوء ضميره قال لاقتلنك قال

انما

انما يتقبل الله من المتقين فلو كنت منهم تقبل منك فان قلت انما يتقبل الله من
المتقين لا يدل على انه يتقبل من كل متق كما اذا قلت فلان لا يقبل الا عطا الملوك
لا يلزم ان يقبل عطا كل ملك قلت اراد ان قبول قربانه لاجل تقواه واوهمه انه لو كان
متقيا لكان مثله في قبوله لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك
اثر الاسمية في الجواب مؤكدة بالباء مبالغة اخراجا له عن الاتصاف بهذه الرذيلة على اكد
وجه كما تقدم في وما هم بمؤمنين انى اخاف الله رب العالمين بل اختار الاولى وان كان
الدفع جايزا وقيل لم يكن جايزا في شرع آدم يؤيده انى اخاف الله وفي الحديث كن خير ابنى
آدم مظلوما ولا تكن ظالما انى اريد ان تبوء باثمى واثمك باثم قتلى واثمك السابق
من الحسد او بمثل اثم قتلى اياك لو باشرته واثم قتلك اياى الذى تباشره كما في الحديث
المستبان ما قالا فعلى البادى ما لم يعتد المظلوم وقيل باثمى يوم القيمة فان الظالم
اذا لم يكن له حسنات يحمل سيئات المظلوم فتكون من اصحاب النار لكفرك بانكار
ما شرع الله وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه سهلت ووسعت
من طاع له المرتع اتسع فقتله فاصبح من الخاسرين دينا ودنيا اذ لم يظفر بما قتله لاجله وحمله
على ظهره سبعة ايام وايراها لا يدرى ما ذا يفعل به روى البخارى ومسلم عن ابن مسعود رضى الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تقتل النفس ظلما الا كان على ابن آدم الاول
كفل منه لانه اول من سن القتل وروى ان الشيطان جاءه في صورة ناصح وقال هل تدرى
لما ذا اكلت النار قربان اخيك انما اكلته لانه كان يعبدها ويتقرب اليها فشرع قابيل في
عبادة النار ثم قال له انت في سامة مما فاتك فاشتغل بدفع همك فعلمه آلات الملاهى و
شرب الخمر ونشات ذريته على الكفر والفسوق فبعث الله غرابا يبحث في الارض ليريه كيف
يوارى سوأة اخيه بعد ما اروح وشق حمله ارسل الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر وحفر له
ودفنه فيه قال يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب من الويل وهو الهلاك كانه تعجب
بها على فايت واشار الى وجه الشبه بقوله فاوارى سوأة اخى السوأة كل ما يستحيى منه من السوء
فاصبح من النادمين على حمله ومشقته تلك الايام وقيل على قتله لا توبة بل لعدم ظفره بالمطلوب
ونكد عيشه عن ابن عباس رضى الله عنه لم يكن قبل قتله شوك على شجر ولا حموضة في ثمر ولا بعد
وذنب على غنم ولم يضحك آدم مائة سنة حتى جاءه الملائكة بتحية من الله وقالوا حياك الله
وبياك وينسب اليه شعر ملحون انه رثى به هابيل وهو كذب عليه لان الشعر ليس من شيم الانبياء
من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس او فساد في الارض فكانما
قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا الاجل مصدر اجل كذا جناه والمعنى
ان ذلك القتل جنى وجر على بنى اسرائيل هذا الحكم وهو ان من قتل نفسا لم يبح الشرع
قتله بان يقتل نفسا يوجب القصاص او يفعل فسادا يوجبه كزنى المحصن وقطع الطريق
والرده فكانما قتل كل فرد ولده وولدا الى يوم القيمة من مؤمن وكافر وكذلك احياؤها والتسبب

فی خلاصها وانما کان کذلک لاستواء الکل فی الجنیة المکرمة ترغیبا فی الاحیاء وتنفیرا عن
القتل والافناء روی ابن ماجه ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال من اعان علی قتل مؤمن
ولو بشطر کلمة لقی الله مکتوبا بین عینیه آیس من رحمة الله وتخصیص بنی اسرائیل بالذکر لانه
فی عد مثالهم وانهم بعد ان کان هذا فی کتابهم قتلوا الانبیاء سئل الحسن البصری عن هذا
فقال ما جعل الله دماء هذه الامة اهون من دماء بنی اسرائیل ولقد جاءتهم رسلنا بالبینات
ثم ان کثیرا منهم بعد ذلک المذکور من الکتبة وآیات الرسل فی الارض لمسرفون مبالغون
فی الافساد ولم یترجروا بذلک انما جزاء الذین یحاربون الله ورسوله محاربة الله ورسوله
محاربة المؤمنین ومن هو منهم من اهل الذمة ویسعون فی الارض فسادا للفساد ان یقتلوا
او یصلبوا او تقطع ایدیهم وارجلهم من خلاف او ینفوا من الارض ذهب بعضهم الی ان
الامام مخیر فی قطاع الطرق من هذه العقوبات استدلالا بظاهرها وحملها ابو حنیفة رحمه الله
علی التنویع لانها اجزیة مختلفة غلظا وخفة فلا یکون الا فی مقابلة جنایات کذلک فان ظفر بهم
قبل قتل واخذ مال حبسوا حتی یتوبوا هو المراد بالنفی وان اخذوا مالا یبلغ نصیب کل واحد
نصاب السرقة قطعت ایدیهم وارجلهم من خلاف وان قتلوا ولم یاخذوا مالا قتلوا حدا
وان جمعوا بین القتل واخذ المال ان شاء قطع ایدیهم وارجلهم من خلاف وقتلهم وصلبهم
وان شاء اقتصر علی القتل والصلب وبه قال الشافعی رحمه الله الا انه حمل النفی علی قتل شوکتهم
وتشریدهم فی البلاد وتحتم القتل والصلب ان اخذوا المال وقتلوا بان یقتل
اولا ثم یصلب میتا ثلثة ایام والآیة نزلت فی العرنیین وکان رسول الله صلی الله
علیه وسلم سمل اعینهم فنسخ بها فقیل نزلت فی قوم هلال بن عویمر مر بهم ناس یریدون
رسول الله فقطعوا علیهم الطریق ذلک لهم خزی فی الدنیا ذل ولهم فی الآخرة عذاب
عظیم لعظم ذل الدنیا عنده الا الذین تابوا من قبل ان تقدروا علیهم فان
حق الله یسقط دون حق العباد ان لم یکونوا احرزه فاعلموا ان الله غفور لما سلف
منهم رحیم بجعل سیئاتهم حسنات یا ایها الذین آمنوا اتقوا الله وابتغوا الیه الوسیلة
اسم ما یتقرب به من وسل بکذا تقرب به قدم علیه الامر بالتقوی لما تقدم من قول
ها بل انما یتقبل الله من المتقین وجاهدوا فی سبیله من کل بر بما بلغت الیه طاقتکم
لعلکم تفلحون تفوزون بمرضاته ان الذین کفروا لو ان لهم ما فی الارض جمیعا من
صنوف المال ناطقا وصامتا ومثله معه وحد الضمیر باعتبار المذکور والواو بمعنی مع
یدل علی معیة الثبوت ومع علی اقتران الثابتین حال الثبوت والعامل فیه الفعل
المقدر بعد لو لا معنی الفعل فی لهم لجواز العطف لوجود الفاصل وتعینه فی العامل المعنوی
لیفتدوا به من عذاب یوم القیمة ما تقبل منهم لیس المعنی علی انهم لو زادوا علی المذکور
تقبل منهم بل ایراد کلمة یفهم منه دوام العذاب ولزومه علی طریق الکنایة ویجوز ان یکون
تمثیلا لحالهم فی عدم التفصی عن العذاب بحال من یکون له امثال ما فی الارض ویریدها

الخلاص

الخلاص عن العذاب ولا یجد الیه سبیلا ولهم عذاب الیم یریدون ان یخرجوا من النار
بیان لسوء حالهم وما هم بخارجین منها اثر الاسمیة مؤکدة بالباء ردا علی ابلغ وجه ولهم عذاب
مقیم ابدا لا ینقطع دفع لما یقول بعض الملاحدة من انهم یعتادون فلا یحسون بالالم
روی البخاری ومسلم عن انس رضی الله عنه قال یؤتی بالرجل من اهل النار فیقول الله تعالی
بقراب الارض ذهبا لو کان لک فیقول بلی یا رب فیقول کذبت قد سالتک اهون
من ذلک فلم یفعل یرید کلمة التوحید والسارق والسارقة فاقطعوا ایدیهما جملتان عند سیبویه
کانه قال حکم السارق والسارقة فیما یتلی علیکم ثم اشار الی الحکم بقوله فاقطعوا ایدیهما وذهب المبرد
الی انها جملة والفاء لتضمن المبتدا معنی الشرط ولیس من قبیل وربک فکبر لان الفاء الجزائیة
یمنع العمل فیما قبلها والمقطوع الیمین من الکوع بینه فعله صلی الله علیه وسلم وما یقطع به مال
مخرج عن الحرز خفیة مقداره عشرة دراهم عند ابی حنیفة رحمه الله وربع دینار عند الشافعی رحمه الله
ودرهم عند الحسن جزاء بما کسبا نکالا من الله نصب علی المفعول له وترک العاطف لان المعنی
ان القطع الذی للجزاء لقصد النکال وقدم السارق لانه اکثر ما یکون فی الرجال وقطع العضو الجانی
منه دون الزانی محافظة علی العورة او بقاء النسل والله عزیز غالب علی امره حکیم فی کل ما شرع
من الزواجر فمن تاب من بعد ظلمه واصلح ما افسده بالرد او الاستحلال فان الله یتوب علیه
یقبل توبته ان الله غفور للذنوب رحیم بقبول التوبة الم تعلم ان الله له ملک السموات
والارض استفهام تقریری قد علمت ذلک الخطاب عام یعذب من یشاء ویغفر لمن یشاء
قدم التعذیب لان الکلام فی موجب العقاب والله علی کل شیء قدیر والاختصاص من اراده
یا ایها الرسول لا یحزنک الذین یسارعون فی الکفر فی تقویة اسبابه واعانة اعوانه وقرا نافع
بضم الیاء وکسر الزاء وقد تقدم فی آل عمران انه ابلغ من الذین قالوا آمنا بافواههم الجار
یتعلق بقالوا دون آمنا ولم تؤمن قلوبهم حال او عطف ومن الذین هادوا من الیهود
سماعون للکذب مبتدا خبره من الذین هادوا او خبر مبتدا محذوف ای هم والضمیر للیهود
او للطائفتین باعتبار وقوع الفعل منهم واللام للتاکید والسماع بمعنی القبول کقوله سمع الله
لمن حمده او للعلة والمفعول محذوف ای سماعون کلامک لیکذبوا علیک بالزیادة والنقصان
سماعون لقوم آخرین لم یاتوک ای یسمعون منک لانها الی سفلتهم الذین لم یقدروا
علی مجالستک وقیل لم یاتوک تکبرا وافراطا ویرده قوله یحرفون الکلم من بعد مواضعه لانه
وصف عظماءهم الذین کانوا ایجادلونه وکذا قوله بعد اکالون للسحت فانه وصف للاحبار
باکل الرشی والجملة حال من قوم لکونه موصوفا او صفة وهذا ادل علی الذم من قوله یحرفون
الکلم عن مواضعه لدلالة بعد علی الاستقرار والثبات یقولون ان اوتیتم هذا یجری فی
اعراب الوجوه المذکورة فخذوه ای المحرف وان لم تؤتوه فاحذروا قیل انه نزلت فی یهود زنی
شریف منهم بشریفة وکان الحکم فی التوراة الرجم فظنوا ان الحکم عند رسول الله الجلد فرفعوا
الیه وقالوا ان حکم بالجلد فاقبلوا وان حکم بالرجم فلا تقبلوا فحکم رسول الله صلی الله علیه وسلم

بالرجم فابوا قبوله وقالوا ليس عندنا الا ان نسود وجوههما ونحممهما فانزل الله قل فأتوا بالتورية
فاتلوها ان كنتم صادقين فأتوا بالتورية فوضع القارى يده على آية الرجم وقرأ ما قبله
وما بعده فقال عبد الله بن سلام مره برفع يده فرفعها فوجدوا آية الرجم قال عبد الله بن عمر
رضى الله عنه فامر بهما فرجما عند المسجد وانا ممن رجمهما ومن يرد الله فتنته ضلالته فلن
يملك له من الله شيئا من الهداية دل هذا على ان حزنه كان شفقة عليهم اولئك
الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم من الشرك والنفاق لهم فى الدنيا خزى بظهور كذبهم
على الله فى كتابه الذى يؤمنون به وغير ذلك من الذلة المضروبة عليهم ولهم فى الاخرة
عذاب عظيم لا نسبة لخزى الدنيا اليه سماعون للكذب اكالون للسحت هو الحرام لانه
مسحوت البركة او ساحت لها اذا اختلط بالحلال من سحته واسحته استأصله وقرأ ابن
كثير وابو عمرو والكسائى بضم الحاء والمراد به ما كانوا يأخذونه من الرشى على الاحكام وتحريف الكلم
فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم انت مخير نسخ بقوله واحكم بينهم بما انزل الله وبه قال
الشافعى وابو حنيفه رحمهما الله الا ان الشافعى قيد وجوب الحكم بما اذا كان احد الخصمين مسلما
وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا من الضرر لان الله عاصمك من الناس وان حكمت
فاحكم بينهم بالقسط بالعدل ان الله يحب المقسطين العادلين فى الاحكام وكيف يحكمونك
تعجيب من تحكيمهم الحكم منه وهم لا يؤمنون به ولا بكتابه واشارة الى انهم انما تحاكموا اليه
لغرض لهم وعندهم التورية والحال ان عندهم ما يغنيهم عن السؤال فيها حكم الله تقرير لكون
التورية مغنية عن طلب الحكم منه ثم يتولون من بعد ذلك التحكيم ثم الاستبعاد والتولى
بعد الرضى لحكمه داخل تحت التعجيب وما اولئك بالمؤمنين بكتابهم فضلا عن الايمان
بغيره او ليسوا بالكمل فى الايمان تهكم بهم لانهم كانوا يزعمون ذلك انا انزلنا التورية فيها
هدى ونور عظم شأن التورية مزيد توبيخ لهم يحكم بها النبيون من لدن موسى الى محمد
عليهما السلام الذين اسلموا صفة مدح لا للموصوف فان النبوة اعلى شأنا من الاسلام
بل للصفة نفسها اشارة الى عظم شأنها تعريضا باليهود بانهم ليسوا على ملة الاسلام التى هى
دين الانبياء ويجوز ان يراد بالاسلام التفويض بالكلية والتوجه الى جناب القدس كقول
ابرهيم اسلمت لرب العالمين والمعنى هم مع نباهة شأنهم منقادون لحكم التورية وسولا
يعرضون عنه ويحرفونه للذين هادوا صلة يحكم او انزل لان نفعه عايد اليهم والربانيون
العلماء الزهاد منسوب الى الرب والالف والنون لتغيير النسب والاحبار جمع حبر بالكسر
والفتح العالم الكبير بما استحفظوا من كتاب الله لاجل استحفاظ الانبياء اياهم الحكم القضا
بما فيه ويجوز ان يكون الضمير لهم وللانبياء اى بان كلفهم الله حفظه من التحريف والتبديل
وكانوا عليه شهداء رقباء يحفظونه عن التبديل والتحريف فلا تخشوا الناس اى ايها
الاحبار كانوا حافظين للتورية حاكمين بما فيه فانتم اولى بذلك فلا تجوروا فى الاحكام
خشية من الناس واخشون لان الامر كله بيدى ولا تشتروا باياتى ثمنا قليلا حطاما فانيا

كما

كما فعل اهل الكتاب ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون حقيقة ان
اعتقدوا اجوازه والا كفروا باشرف نعم الله وهو العلم الذى لم يعملوا به وكتبنا عليهم فيها
فى التورية ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن
والسن بالسن والجروح قصاص استدل به ابو حنيفه رحمه الله على ان المسلم يقتل
بالذمى والحر بالعبد على انه حكى شرع من قبلنا على انه شرعنا وخالفه الشافعى رحمه الله
لما روى البخارى عن على بن ابى طالب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لا يقتل مسلم بكافر وحكى الاجماع على عدم قتل الحر بالعبد ولما قال ابن عباس
رضى الله عنه ان الاية اوجبت القود لزوما من غير بدل ولا عفو فلا تغنا ولا تنسخ الحر
بالحر والعبد بالعبد قرأ نافع الاذن بسكون الذال وقرأ الكسائى العين وما بعدها
بالرفع عطفا على ان واسمها لان الكتابة فيها معنى القول فالمفتوحة بعدها فى حكم
المكسورة وقرأ هو وابن كثير وابو عمرو وابن عامر الجروح بالرفع والوجه ما تقدم فمن
تصدق به بالقصاص سمى العفو صدقة ترغيبا فهو كفارة له يكفر الله به ذنوبه وقيل
للجانى يسقط عنه القصاص ولا يخفى بعده ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون
الكاملون فى الظلم وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم قفيت زيدا اذا جئت بعده
وبعدى الى الثانى بالباء تقول قفيت زيدا بعمرو وحذف المفعول الاول لان على
آثارهم يسد مسده اى اتبعنا انبياء بنى اسرائيل بعيسى مصدقا لما بين يديه من
التورية وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور فيه هذان الوصفان ومصدقا لما بين يديه
من التورية عطف على فيه هدى وكذا قوله وهدى وموعظة ويجوز نصبهما على العلية
للمتقين لانهم المنتفعون به وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه اى قلنا لعيسى بن
مريم بان يحكموا بما فيه على حذو وما آتاكم الرسول فخذوه وقرأ حمزة بكسر اللام ونصب الفعل
على انها لام كى عطفا على هدى لانه فى حكم المصدر وان انتصب هدى على الحال تعلق
بآتينا عطفا على علة محذوفة ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون
فصل اولا بالكفر وثانيا بالظلم وثالثا بالفسق فعن ابن عباس رضى الله عنه ان
الكل فى اهل الكتاب لما سئل عنه قال نعم القوم انتم ما كان من حلو فهو لكم وما كان
من مر فهو لاهل الكتاب وعن الشعبى ان الاول فى المسلمين والثانية فى اليهود
والثالثة فى النصارى وعن ابن مسعود والحسن رضى الله عنهما الكل فى الكل وهو
الوجه وفى الاية دليل على ان شريعة عيسى عليه السلام كانت ناسخة لشرع موسى عليه
السلام والقول بان مما انزل الله فى الانجيل العمل بما فى التورية خلاف الظاهر ويرده
لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وانزلنا اليك الكتاب القرآن بالحق ملتبسا به
مصدقا لما بين يديه من الكتاب ما تقدمه من الكتب اللام فى الاول للعهد وفى
الثانى للجنس ويجوز العهد باعتبار كونه سماويا خص بما عدا القرآن ومهيمنا عليه رقيبا

وحفيظا يشهد بصدقه من الامن اصله مؤامن بهمزتين قلبت الاولى هاء والثانية
يا تخفيفا فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق منحرفا عنه
ضمن جاء معناه فعدى بعن لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا الشرعة والشريعة طريق
الماء اطلق على الدين الموصل الى زلال الحيوة الابدية والمنهاج الطريق الواضح فالعطف
باعتبار الصفة وقيل المنهاج الدليل الموصل الى الدين ولا يلزم المخالفة في كل الاحكام
فلا ينافي شرع من قبلنا شرعا ولا قوله فبهداهم اقتده لانه في العقايد التي لا تتبدل
ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة تابعة لشرع واحد ولكن ليبلوكم فيما آتيكم من الشرايع
المختلفة فان ترك المالوف مخالف لهوى النفس الا يرى انهم لما كانوا لم يروا في
اشهر الحج العمرة في الجاهلية لما امرهم بها كيف شق عليهم وتوقفوا فيه حتى قال لو استقبلت
من امري ما استدبرت لما سقت الهدى فاستبقوا الخيرات كلها الاستباق بمعنى المسابقة
وهي القصد الى التقدم على الاخر في السبق الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون
ويجازي السابق والمقصر على قدر سعيه ويميز المحق عن المبطل وان احكم بينهم بما انزل الله
عطف على الكتاب او على بالحق ان موصلة اي وبالحكم او عطف بحسب المعنى على فاحكم كرره
ليناط به قوله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك روي
ابن اسحق عن ابن عباس رضي الله عنه ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس
بن قيس قالوا تعالوا نذهب الى محمد نفتنه فاتوا رسول الله وقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار
وانا ان اتبعناك تبعك اليهود وبيننا وبين قوم خصومة نتحاكم اليك فتحكم لنا ونحن
نؤمن بك فابى ذلك فنزلت فان تولوا اعرضوا عن حكمك فاعلم انما يريد الله ان
يصيبهم ببعض ذنوبهم اي بسبب توليهم وابهمه اشارة الى عظمه بين الذنوب
كقول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها والمراد عذاب الدنيا لان العذاب على الكل
في الاخرة وكان كذلك عن قريب قتل قريظة واجلي النضير وان كثيرا من الناس
لفاسقون خارجون عن طاعة الله افحكم الجاهلية يبغون كانت بنوا النضير اشرف
من قريظة فكان النضري لا يقتل بالقرظي ودية القرظي نصف دية النضيري فتحاكموا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكم بالسواء فقالوا نرجع الى حكم آبائنا فنزلت وفيه توبيخ لهم حيث
كانوا اهل العلم ويتبعون الملة الجاهلية وقرا ابن عامر تبغون بالخطاب ومن احسن تقريعا
ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اي لا احسن اللام للبيان كما في هيت لك اي
الفاء هذا الكلام مختص بمن يوقن فانه الذي يتدبر فيه ولا يحسن ان يكون حاصلة لان
حسن حكم الله لا يختص قوما دون قوم يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء
لانهم اعداء الله ورسوله ثم علل بقوله بعضهم اولياء بعض لان الجنسية علة الضم وفي الحديث
المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وقال شعر عن المرء لا تسال وسل عن قرينه
ومن يتولهم منكم فانه منهم تشديد وتنفير كقوله صلى الله عليه وسلم اربع من كن فيه كان منافقا

خالصا

خالصا ان الله لا يهدي القوم الظالمين الكاملين في الظلم وهم الذين لا يتركون
موالاتهم بعد النهي عن عبد الله بن عتبة ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ليتق
احدكم ان يكون يهوديا او نصرانيا فعلمنا انه يريد هذه الآية فترى الذين في قلوبهم مرض
نفاق يسارعون فيهم روي ابن اسحق ان قينقاع نقضت عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكان بين عبد الله بن سلول وعبادة بن الصامت وبينهم موالاة وحلف فاما عبادة
بن الصامت فانه تبرا منهم وقال اتولى الله ورسوله والمؤمنين واما ابن سلول فهو
الذي في قلبه مرض قال انا لا ابرا من موالاتهم ان لي اموالا واسبابا ولا ادري ما يكون
من ريب الزمان ودوايره فقال له رسول الله يا ابا الحباب ما نفست به من ولا اليهود
على عبادة فهو لك دونه فقال رضيت والمسارعة تستعمل بالى وايثار في للدلالة على انه
داخل في عدادهم واحد منهم يقولون نخشى ان تصيبنا دايرة فعسى الله ان ياتي بالفتح
بفتح مكة ويظهر شوكة الاسلام او امر من عنده من قتل قريظة واجلاء النضير وضرب
الجزية على غيرهم فيصبحوا فيصير المنافقون على ما اسروا في انفسهم من الشك في امر الرسول
نادمين حين لا ينفعهم الندم ويقول الذين آمنوا اهؤلاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم
انهم لمعكم كلام مبتدا اي ويقول المؤمنون في ذلك الوقت فيما بينهم هذا الكلام
اظهارا لما انعم الله عليهم او مواجهة لليهود ونصبه ابو عمرو على ان عسى فعل تام وان
ياتي بدل من فاعله ويقول عطف عليه او بتقدير امنوا اي عسى الله ان يقول الذين آمنوا
او لما كان قول المؤمنين سببا عن الاتيان بالفتح اقيم مقامه مبالغة في الجادة او عطف
على الفتح لانه بتقدير الفعل مع ان او على فيصبحوا لانه جواب الترجي وهو من الله تحقيق
وقرا نافع وابن كثير وابن عامر بحذف الواو جواب سؤال اي ماذا يقول المؤمنون
اذا جاء الله بالفتح والرسم مختلف ثابتة في العراقي محذوفة في الحجازي والشامي وجهد
الايمان اغلظ الوسع فيها تاكيدا حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين في الدارين
من قول المؤمنين تعجبا يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ارتد في زمن
رسول الله ثلث طوايف بنو مدلج وسيدهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي باليمن قتله
فيروز الديلمي والصحابة وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب فقتل في ايام الصديق قتله الوحشي
قاتل حمزة وبنو اسد قوم طليحة ثم اسلم طليحة وحسن اسلامه وسبع طوايف في زمن
الصديق فزارة وغطفان وبنو سليم وبنو يربوع وبعض تميم وكندة وبنو بكر بن وايل
وقرا نافع وابن عامر من يرتدد بفك الادغام وهو الاصل لان ثاني المثلين ساكن
وعليه رسم الامام والمدني والشامي ومن ادغم حرك الثانية روم التخفيف فسوف ياتي الله
بقوم هم اهل اليمن وقيل فارس روي انها لما نزلت وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يده على عاتق سلمان وقال هم هذا وذووه فان قلت اين الراجع الى المبتدا قلت
ان جعل الخبر الجزاء وحده فالتقدير ياتي الله بقوم مكانهم وان جعل الشرط والجزاء فضمير دينه

يحبهم ويحبونه محبة الله عبده توفيقه للايمان والطاعة وغفران ذنوبه ومحبة العبد
امتثال اوامره واجتناب مانهاه والناس فى ذلك متفاوتون تفاوتا بفوته الحصر
وقدم محبته لانها الاصل الموجب لمحبة العبد اذلة على المؤمنين من الذل بضم الذال
ضد العزة عدى بعلى اما للمقابلة او لتضمين معنى العطف والحنو اعزة على الكافرين
غالبين عالين بالباس كقوله اشداء على الكفار يجاهدون فى سبيل الله فى اعلاء كلمته
ولا يخافون لومة لايم اى يجاهدون وحالهم هذا لا كالمنافقين الذين يجاهدون
نفاقا وطمعا فى المغانم خايفين من لوم اليهود او عطف على معنى انهم فى دينهم
صلاب وحديون لاتشق عبارتهم لتتلون الاباء والابناء وفيه توكيد من وجهين
بناء المرة وتنكير لايم اى لايخافون شيا من اللوم من لايم ما ذلك المذكور من الاوصاف
تشريفه فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم بمن يستحقه انما وليكم الله ورسوله
والذين امنوا متصل بقوله لا تتخذوا وما فى البين تاكيد للنهى وانما افرد الولى ليكون فى
الكلام اصل وتبع كقوله صلى الله عليه وسلم للخطيب لما قال ومن يعصهما فقد غوى قل من
يعص الله ورسوله بئس خطيب القوم انت الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم
راكعون رفع او نصب على المدح او بدل من الموصول لميز المختص من الذين امنوا السنة
ومعنى راكعون خاشعون مدح لهم بانهم جامعون بين حسن الاعمال ظاهرا وباطنا وقيل
حال من يؤتون الزكوة لما روى ابن عباس رضى الله عنه ان سائلا بعلى بن ابى طالب
رضى الله عنه وهو راكع فالقى اليه خاتمه فنزلت وعلى هذا ايثار الجمع اعطاماله وترغيبا
لغيره والحصر للمبالغة لكونه فى اقصى مراتب البر ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا
فان حزب الله هم الغالبون الحزب طائفة اجتمعوا لامر حزبهم اقامه مقام المضمر اشارة
الى انهم اعلام فى كونهم حزب الله لايسبق الى الفهم غيرهم او ذكر الله للتوطئة وحزب الله
رسول الله والمؤمنون والمعنى ومن يتولاهم فقد تولى حزب الله والاول اوفق يا ايها
الذين امنوا لا تتخذون الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من
قبلكم والكفار اولياء افرد اهل الكتاب اولا وضم اليهم الكفار ثانيا لشدة عداوة اهل الكتاب
والغرض من الهزء وتحقير المهزو به ومن اللعب جلب الفرح وقرا ابو عمرو والكسائى والكفار
بالجر وهو المختار لقرب المعطوف عليه ولشمول الاستهزاء الفريقين ولقراءة ابى ومن الكفار
واتقوا الله ان كنتم مؤمنين فى ايثار ان دلالة على نوع موالاة بينهم واذا ناديتم الى
الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اى واذكروا ذلك الوقت ليظهر لكم موجب عدم موالاتهم
كانوا يتضاحكون عند ركوع المؤمنين وسجودهم ويكثرون اللغو يقولون قاموا لا قاموا
صلوا لا صلوا ذلك بانهم قوم لا يعقلون اذ لو عقلوا ما اتخذوا افضل الاعمال ومعراج
العبد ومحل مناجات الرب هزوا كيف ولا عبادة بدنية الا وهى موجودة فى الصلوة و
فى كل ركعة سجدتان واقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد روى ابن جرير انه كان

بالمدينة

بالمدينة رجل من نصارى نجران كلما سمع فى الاذان اشهد ان محمدا رسول الله يقول
حرق الله الكاذب فدخلت خادمه بالنار ليلا وهو نايم فتطايرت منها شرارة فاحرقته
واهله وماله قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل
من قبلك اى ما تعيبون منا الا ما هو اصل المناقب وهو الايمان بكل الكتب المنزلة عن
ابن عباس رضى الله عنه ان جمعا من اليهود قالوا لرسول الله بما ذا نؤمن قال بالله
وبما انزل الينا وبما انزل الى ابراهيم وعد الانبياء الى عيسى فعابوه لما ذكر عيسى فنزلت
وان اكثركم فاسقون عطف على ان امنا اى ما تعيبون الا الجمع بين ايماننا وفسقكم
او على المجرور اى ايماننا بالله وبان اكثركم فاسقون قل هل انبئكم بشر من ذلك المتقدم
اى اهله مثوبة عند الله استعمال المثوبة فى الشر على طريقة التهكم نحو فبشرهم بعذاب اليم
وتحية بينهم ضرب وجيع من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير خبر مبتدا
اى هو من لعنه الله او بدل من شر او نصب بما دل عليه انبئكم ذكر اليهود باقبح الاوصاف
وهو الطرد من رحمته الواسعة وتبديل خلقهم من احسن تقويم الى احسن شكل وصورة
من القردة والخنازير وهؤلاء هم اصحاب السبت مسخ شبانهم قردة وشيوخهم خنازير و
قيل القردة اصحاب السبت والخنازير اصحاب المايدة وعبد الطاغوت الشيطان او
الكاهن او الساحر او الصنم وكل راس شر طاغوت صيغة مبالغة من طغى وقرا حمزه
عبد بضم الباء وجر الطاغوت على انه اسم جمع او مفرد كحذر وفطن وهو الغالى فى العبودة
اولئك شر مكانا اسناد الشر الى المكان كناية عن ثبوته لهم كقولهم المجد بين برديه والسلام
على المجلس العالى واضل عن سواء السبيل عن وسطه المعتدل واسم التفضيل فى امثال
هذه المواضع من باب المجاراة والبناء على زعم الخصم والا فلا مشاركة بين المؤمنين وبين
اليهود واذا جاؤكم قالوا امنا هؤلاء منافقوا اليهود وقد دخلوا بالكفر وهم خرجوا به حال من
فاعل جاؤا ولذا دخلت عليه قد ولان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان متوقعا اخبار الله
بنفاقهم وزاد الضمير وقدمه فى الجملة الثانية لان خروجهم بالكفر بعد سماع كلام الله وهو اعظار الرسول
مستبعد والله اعلم بما كانوا يكتمون فى ضمايرهم من العداوة وترى كثيرا منهم من اليهود
يسارعون فى الاثم فى الشرك لقولهم عزير بن الله او فى الزور بالتحريف والافتراء على الله
لقوله وقولهم الاثم والعدوان والظلم المتعدى واكلهم السحت الحرام افرده بالذكر لان
اليهود هم موسومون باكل الرشا لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن
قولهم الاثم واكلهم السحت تحضيض وحث للزهاد والعلماء منهم على النهى عن المنكر لبئس
ما كانوا يصنعون اى الربانيون والاحبار اثر لفظ الصنع الذى يحتاج الى تدرب وتعمل
زيادة توبيخ لهم لان مرتكب المنكر له داعية اليه والتذاذ بمباشرته بخلاف تارك النهى عنه
ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنه هى اشد اية فى القران وقالت اليهود يد الله مغلولة
الغل والبسط كنايتان عن البخل والجود او مجازان ولذلك لو جاء مقطوع اليدين لقيل بسط

يده بالعطاء الا يرى الى قوله في وصف السحاب جاد الحمى بسط اليدين بوابل شكرت نداه تلاعه ووهاده كانوا اصحاب اموال وزروع فاخذهم الله بالقلة والقحط لما كذبوا رسول الله كما فعل بآل فرعون لما كذبوا موسى ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الاموال والثمرات لانهم لما لم يشكروا اجل نعم الله منعهم اعمها وهي الخصب والقائل فنحاص بن عازوراء اسند قوله الى الكل لانهم رضوا بما قال غلت ايديهم دعاء عليهم بالبخل ولذلك لا ترى ابخل من اليهود ولا انكد عيشا او بحقيقة الغل في الدنيا بالاسر والرق وفي الآخرة حين يسحبون الى جهنم والاغلال في اعناقهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان اثبت ما نفوه من جوده على ابلغ وجه اذ غاية احوال الجواد ان يحثي للسائل بيديه ينفق كيف يشاء استيناف لبيان بسط اليدين او حال من مفهومه لانه في معنى الجواد اي ينفق على وفق حكمته لا ينقص الانفاق عن خزاينه شيئا كما رواه مسلم عنه عز وجل عطائي كلام ومنعي كلام وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اذا سمعوا مثالبهم وقبايحهم وكما ان الايمان يزداد بازدياد المؤمن به فكذلك الكفر يزداد بازدياد ما كفر به والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة لا يتوافقون على كلمة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله مجاز عن السعي في اسباب الحرب والفتن عن قتادة لما خالفوا حكم التورية سلط الله عليهم بخت نصر وافسدوا ثانيا فسلط عليهم فطرس الرومي ثم جاء الاسلام وهم تحت يد المجوس ودل كلما على ان ذلك كان دابهم ويسعون في الارض فسادا باخذ الرشى وتحريف كتاب الله وتضليل العوام والله لا يحب المفسدين كل مفسد منهم ومن غيرهم ولو ان اهل الكتاب امنوا بما جاء به محمد عليه السلام واتقوا عما كانوا فيه من السعي بالفساد لكفرنا عنهم سيئاتهم لان الايمان يجب ما قبله ولادخلناهم جنات النعيم تفضلا بعد العفو عن جناياتهم ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم من ربهم وهو القران المجيد لانهم مكلفون بما فيه لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم كناية عن السعة في الرزق كقوله ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض او من فوقهم ثمار الاشجار ومن تحتهم حبوب الزروع او من فوقهم الجنة لانها فوق السماء ومن تحت ارجلهم الدنيا لانها تحت تصرفهم متمكنون منها اشارة الى ان ما يصيبهم من القلة والقحط بسبب كفرهم منهم امة مقتصدة هم الذين امنوا منهم وكثير منهم ساء ما يعملون ما اسوا عملهم من الاشراك وتحريف الكتاب يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك من الوحي يشمل الصلوة وغيره وان ازداد اليهود بذلك طغيانا وكفرا فلا تبال وان لم تفعل ما امرت به وتركت منه ادنى شيء فما بلغت رسالته خرجت منها وسلب عنك اسم الرسول كالمصلي اذا ترك ركنا طرحها وشرايطها لم يكن مصليا روى مسلم والبخاري عن عايشة رضي الله عنها من قال ان رسول الله لم يبلغ شيئا مما انزل اليه فقد كذب والله يقول بلغ ما انزل اليك ولو كتم شيئا لكتم وتخشى

الناس والله احق ان تخشاه وما قيل المراد تبليغ ما يتعلق بمصالح العباد فان من الاسرار الالهية ما يحرم افشاؤه مع كونه قولا بلا دليل مناقض للحديث وعموم ما دل عليه كلمة ما وقرا نافع وابن عامر رسالاته جمعا باعتبار الاحكام والله يعصمك من الناس ازاحة لعذره في عدم التبليغ نزلت في حجة الوداع فلا اشكال في كسر رباعيته وشج راسه يوم احد وقيل المراد عصمته من القتل عن عايشة وانس بن مالك رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحرس بالليل فكان ليلة من الليالي في قبة فاخرج راسه من القبة وقال ايها الناس انصرفوا فان الله عصمني ان الله لا يهدي القوم الكافرين الذين خلقوا للنار وقيل لا يمكنهم منك لان التمكين لازم للهداية وفيه توكيد للعصمة قل يا اهل الكتاب لستم على شيء من الدين حتى تقيموا التورية والانجيل بان تزيلوا ما حرفتم وبدلتم وما انزل اليكم من ربكم وهو القران بان تؤمنوا بما فيه وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا كرره ليرتب عليه قوله فلا تاس على القوم الكافرين لا تحزن اشد الحزن ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى ارتفع الصابئون على الابتداء والخبر محذوف على نمط فاني وقيار بها لغريب اي لذكر خبره ويقدر لان خبر كقوله نحن بما عندنا وانت بما عندك راض على ما اختاره سيبويه في زيد وعمرو قايم واما عطفه على محل ان واسمها فلا يجوز لان ذلك مشروط بتقدم الخبر فلا نقول ان زيدا وعمرو منطلقان برفع عمرو على الابتداء لاجتماع عاملين مختلفين على معمول واحد فان قلت فقدر لان خبرا وقد زال المانع قلت الخبر صالح للمجموع والتقدير خلاف الاصل ولا نكتة للعدول من امن بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون قدم الابعد فالابعد فان المنافقين واليهود ابعد عن الايمان من الصابئة وهم ابعد من النصارى والعايد محذوف اي منهم فان قلت ذكر في سورة البقرة فلهم اجرهم عند ربهم فلم اختصر هنا قلت لتقدم تلك نزولا فاكتفى باصل الكلام لقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل وارسلنا اليهم رسلا اعاد ذكر اخذ الميثاق ليرتب عليه سائر قبايحهم ليعلم ان نقض الميثاق منهم كان من وجوه شتى كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم من التكليف فريقا كذبوا كمحمد وعيسى عليهما السلام وفريقا يقتلون كزكريا ويحيى اثر في القتل المضارع تصويرا لتلك الفعلة الشنيعة وحسبوا الا تكون فتنة بعد ذلك التكذيب والقتل ان مع ما في حيزه ساد مسد مفعولي الحسبان وفيه اشارة الى خطاهم في ذلك الحسبان فعموا عن طريق الحق وصموا عن استماعه ثم تاب الله عليهم قبل توبتهم لما تابوا ثم عموا وصموا مرة بعد اخرى او المراد بهولاء اعقاب اولئك كثير منهم بدل من الضمير لكونه موصوفا ولا حاجة الى جعله من قبيل اكلوني البراغيث والله بصير بما يعملون وعيد لهم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم اعاده لان ما تقدم مقالة من عاصر رسول الله الذين حاجوه من وفد نجران وهذه مقالة من كان في عهد عيسى بدليل قوله وقال المسيح يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم وقد سبق ان هذا مقالة اليعاقبة

انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة منعه منها كما يمنع المكلف من الحرام ومأويه النار
منزلة المعدله وما للظالمين من انصار من كلامه تعالى اى اذا كان من ادعواله الالوهية
سدا كلامه من ابن لهم ناصر بعده او من تمام نصح عيسى مواجهة اى لا ناصر لكم فى هذا
القول او من عذاب الاخرة وايثار المظهر للدلالة على انهم بذلك القول داخلون فى زمرة
الظالمين وجمع الانصار اما باعتبار زعمهم او على طريق مقابلة الجمع بالجمع او بتقدير مضاف
اى جنس الانصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلثة هو لا النسطورية والملكانيه
وما من اله يستحق العبادة الا اله واحد فى ذاته وصفاته وان لم ينتهوا عما يقولون
ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم اقام المظهر مقام المضمر تكريرا للشهادة عليهم بالكفر
واعلاما بانهم اعلام فى الكفر لان المبين اعرف واعرق من المبين لا محالة افلا يتوبون
الى الله عطف على قوله لقد كفروا او على يصرون مقدر والهمزة للتعجب من اصرارهم بعد تكرر
الشهادة عليهم بالكفر ويستغفرونه لما سلف من ذنوبهم والله غفور لما سلف رحيم
حيث دعاهم الى التوبة بعد ذلك الكفر البليغ ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من
قبله الرسل شانه كشانهم ان كانت الشبه فى ابراء الاكمه والابرص فصيرورة عصى موسى
حية مع تلك الصفات اغرب وان كان فى ولادته من غير والد فادم اولى بذلك منه
وامه صديقة كساير الصديقين وفيه دلالة على انها لم تكن نبية كما زعم بعضهم ولا موسومة
بما رماها به اليهود كانا ياكلان الطعام يحتاجان الى ما يحتاج اليه ساير الحيوانات وتخصيص
الطعام لان النصارى لا يقدرون على انكاره انظر كيف نبين لهم الايات على اسلوب
بديع حاسم للشبهة ثم انظر انى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق بعد ظهوره ثم
للتراخى من التعجب لان اعراضهم بعد ذلك البيان العجيب اعجب قل اتعبدون من
دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا شيئا من المضار والمنافع ويناوه ينافى ابراء الاكمه
والابرص لم يكن مستبدا بل مستفيدا والله هو السميع لاقوالكم العليم بعقايدكم او اتعبدون
العاجز وتذرون القادر على ان عدم ضره ونفعه اياهم كناية عن عجزهم كما ان السمع
والعلم كناية عن القدرة وايثار ما لكون الكلام فى مقام الكبريا تبعيد له عن مقام
الالوهية قل يا اهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم غير الحق الى غير الحق او غلوا غير الحق
على انه وصف مؤكد كامس الدابر لان الغلو يكون حقا وباطلا لانه تجاوز عن الحد
فلا يكون موصوفا بالحقية قط الا ترى الى قوله اياكم والغلو فى الدين ولا تتبعوا اهواء
قوم قد ضلوا من قبل قبل بعثة محمد عليه السلام واضلوا كثيرا ممن شايعهم وضلوا بعد
بعثه عن سواء السبيل متعلق بضلوا لفظا وبالثلثة معنى لعن الذين كفروا من بنى
اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم تنفير عن اتباعهم بانهم ملعونون على لسان
الرسل ثابت لعنتهم فى الكتب الالهية عن ابن عباس رضى الله عنه لعنهم الله فى زبور
داود وانجيل عيسى وقيل دعا داود على اهل ايلة لما اعتدوا السبت فمسخوا قردة ودعا عيسى

على اهل المائدة لما كفروا فمسخوا خنازير ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون لم يكن ذلك
اللعن الا لافراط والغلو فى العصيان لان الرحيم لا يواخذ الا بعد الاسراف كانوا لا يتناهون
عن منكر فعلوه تفسير للاعتداء فى المعصية لان الانسان له داعية الى مباشرة المعصية واما
ترك النهى فلا والمعنى لم ينه بعضهم بعضا عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او
ارادوا فعله روى ابو داود عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان رجلا من بنى اسرائيل كان يرى الاخر فى معصية يقول له اتق الله ثم يلقاه فى الغار
فيكون اكيله وشريبه ثم قال والذى نفسى بيده لتامرن بالمعروف ولتنهون بالمنكر
ولتاخذن على يد المسئ وليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض او يلعنكم كما لعنهم وروى
ابو داود والترمذى عن ابى سعيد رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افضل
الجهاد كلمة عدل عند سلطان جابر لبئس ما كانوا يفعلون ترى كثيرا منهم يتولون الذين
كفروا ارتقى بهم الحال فى الضلال حتى يوالون من يباشر اشد المنكرات فضلا عن النهى عنه
لبئس ما قدمت لهم انفسهم ما اسوا ما قدموه ليوم يشتد فيه الحاجة ان سخط الله عليهم مخصوص
بالذم على تقدير المضاف اى موجب سخط الله وفى العذاب هم خالدون لا محالة لو كانوا
يؤمنون بالله والنبى الذى امنوا به وما انزل اليه من الكتاب المجيد والقران على ان
الكلام فى منافقى اهل الكتاب ما اتخذوهم اولياء للتنافى بين الولايتين ولكن كثيرا منهم
فاسقون فلذلك يوادونهم لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا
كفى باليهود خزيا كونهم ملزوزين مع المشركين فى قرن حيث ذكروا ولتجدن اقربهم مودة
للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى وان لم يكونوا من النصارى حقا ذلك بان منهم
قسيسين علماء من قس الشئ طلبه قال يصبحن عن قس الاذى غوافلا ورهبانا عبادا من
رهب الشئ خافه وانهم لا يستكبرون لرقة طبعهم ورافة قلوبهم وجعلنا فى قلوب الذين
اتبعوه رافة ورحمة وفيه حث على محاسن الاخلاق فانها محمودة من الكافر فكيف من المؤمن
لما اعتق رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت حاتم واعطاها نفقة فقال اكرموها فان اباها كان
يقرى الضيف واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع عطف على لا يستكبرون
يقال فاض الماء اذا كثر وسال عن جوانب الحوض اطلق على الامتلاء اطلاق المسبب
على السبب والاسناد مجاز مثل جرى النهر والدمع مصدر عن ابن عباس رضى الله عنه نزلت
فى النجاشى واصحابه وذلك ان بعد وقعة بدر ارسل المشركون عمرو بن العاص الى النجاشى
يطلب منه من هاجر الى الحبشة من اصحاب رسول الله ليقتلوهم بدل قتلاهم فلما وفد اليه
عمرو ذكر له انهم يعيبون عيسى بن مريم فدعاهم النجاشى الى مجلسه وجمع القسيسين والرهبان
ووضعوا الكراسى ونشروا عليها الانجيل فلما حضروا المجلس وكان جعفر بن ابى طالب اكبرهم
فسأله النجاشى عن شان رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يأمر به فذكر انه يأمر بالصلوة والصدق
والعفاف وصلة الارحام وقال هل معك من كلام الله الذى جاء به قال بلى قال فاقرأ منه

وكان جعفر حسن الصوت جهوريا فافتتح سورة مريم فلما سمعوا شأن عيسى في حملة و
تولده بكوا هذا البكاء الذي اخبر الله عنه فقال النجاشي لعمرو اين عيب عيسى قال عمرو ليس
يقول فيه انه عبد الله وكان بيد النجاشي قضيب فقال والله ان عيسى بن مريم ليباهي
بان يكون عبد الله ولم يتجاوز عيسى عن كونه عبد الله مقدار هذا العود ثم رد هدية المشركين
وقال لجعفر واصحابه كونوا آمنين مما عرفوا من الحق من الاولى ابتدائية والثانية بيانية
وما موصولة او تبعيضية لان ما عرفوه بعض الحق او مصدرية يقولون ربنا آمنا فاكتبنا
مع الشاهدين الذين يشهدون بالحق او مع امة محمد الذين يشهدون للانبياء بالتبليغ
وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا
من الحق جملة حالية والعامل فيها معنى الفعل في اللام استبعدوا ان يكونوا غير مؤمنين
مع قيام موجب الايمان روى الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنه ان هؤلاء كانوا
ملاحين قدموا مع جعفر واصحابه عام خيبر فاسلموا برسول الله فقال لهم لعلكم اذا رجعتم الى ارضكم
انقلبتم قالوا وما لنا لا نؤمن ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين حال اخرى
والعامل فيها هو العامل في الاولى مقيدا بها اي اي شيء يحصل لنا غير مؤمنين في الحال
انا نطمع او حال عن فاعل لا نؤمن او عطف عليه باعتبار النفي اي وما لنا ان
نجمع عدم الايمان والطمع او باعتبار المنفي اي وما لنا لا نجمع بين الايمان والطمع
بالدخول في صحبة الصالحين بالدخول في الاسلام فاثابهم الله بما قالوا بذلك القول
الناشي عن خلوص الاعتقاد جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك
جزاء المحسنين كل محسن والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك اصحاب الجحيم الملازمون
لها غير الاسلوب دلالة على سعة رحمته وسبقها والتكذيب بالايات وان كان
داخلا في الكفر الا انه صرح به لانه في مقابلة كلام المصدقين بما جاءهم من الحق يا ايها
الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم كما فعل اهل الكتاب او لا تتركوها ترك الحرام
تزهدا او تقشفا روى مسلم والبخاري ان ناسا من اصحاب رسول الله سألوا ازواجه
عن عمله سرا فكانهم تقالوه وقالوا اين نحن منه قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
فقال بعضهم انا لا اتزوج النساء وقال بعضهم انا لا انام على الفراش فبلغ ذلك
رسول الله فقال ما بال اقوام يقولون كذا وكذا والله اني اخشاكم واعلمكم بالله لكني اصوم
وافطر واقوم وانام واكل اللحم واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وعن
الحسن انه دعي الى طعام فذهب باصحابه فقعد على المائدة وكان عليها الوان وفيها
الفالوذ فاعتزل فرقد السبخي ناحية فقال الحسن ماله اصائم هو قالوا لا لكنه يكره الالوان
فاقبل الحسن عليه وقال يا فرقد لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن ما عابه مسلم وقيل له
ان فلانا لا ياكل الفالوذ يقول لا اقدر على شكره فقال جاهل نعمة الله عليه في الماء البارد اكبر
من الفالوذ ولا تعتدوا لا تتجاوزوا حد الاعتدال الى الاسراف او حد الشرع او بتحريم الطيبات

او لا تظلموا

او لا تظلموا اطلاقا انه لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا مقيدا بهذا الحال دل على
ان الرزق قد يكون حراما وحمله على الحال المؤكدة او صفة لمصدر خلاف الظاهر او مفعول
كلوا او حال حذف العائد الى الموصول طيبا واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان
به وبصفاته وافعاله من الثواب والعقاب يوجب التقوى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم هو
قول الرجل لا والله وبلى والله من غير قصد اليه ذهب الشافعي واحمد رحمهما الله او ما نظن انه
كذا ولم يكن كذلك واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله وقيل اليمين في الغضب ولكن يؤاخذكم
بما عقدتم الايمان عزمتم عليها ووثقتموها بربط القلب قرأ حمزة وابو بكر وابن ذكوان
بالتخفيف والباقون مشددا وزاد ابن ذكوان الفا بعد العين اما على ان المفاعلة بمعنى
فعل نحو عافاك الله او عاهدتم غيركم بالايمان والمختار القصر والتخفيف الكفار لمجرد العزم
فكفارته اطعام عشرة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر او صاع من غيره عند
ابي حنيفة رحمه الله ومد من اي كان عند الشافعي رحمه الله من اوسط ما تطعمون اهليكم
صفة الطعام او صفة مصدر اي اطعاما من اوسط او مفعول به او بدل من اطعام اي من
الاعدل من الاعلى والادنى تتوسطا بين الافراط والتفريط وعن عطاء من خير او كسوتهم
عطف على اطعام على ان الكسوة فعل فان قلت هل يصح عطفه على محل من اوسط قلت
نعم ان قدر مضاف اي الباس كسوتهم او يجعل من قبيل علفتها تبنا وماء باردا والمقدار
من الكسوة ما يطلق عليه اسمها او تحرير رقبة سالمة وشرط الشافعي الايمان حملا للمطلق على
المقيد به في كفارة القتل فمن لم يجد فصيام ثلثة ايام فعليه صوم ثلثة ايام وشرط ابو حنيفة
رحمه الله التتابع لقراءة ابن مسعود رضي الله عنه ذلك المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم و
حنثتم في ايمانكم واحفظوا ايمانكم لا تحنثوا فيها فان الحنث هتك لاسمه تعالى كذلك
يبين الله لكم اياته مثل هذا البيان الشافي يبين سائر دلائل احكامه لعلكم تشكرون
نعمة العلم او التخيير في الكفارة والتسهيل فيه يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب
والازلام رجس من عمل الشيطان الميسر القمار والانصاب الاحجار المنصوبة التي كانوا
يذبحون عليها لاصنامهم او الاصنام والازلام الاقداح التي كانوا يتفالون بها او يقسمون
بها الجزور والرجس النجس لانه كثير فيما يستقذر من الاخلاق افرده لانه مصدر في الاصل
او لانه خبر الخمر وحده لان قوله من عمل الشيطان بيان له وهو عام في المذكورات كلها
فاجتنبوه اي تعاطي المذكورات لعلكم تفلحون لكي تفوزوا انما يريد الشيطان ان يوقع
بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر افردهما بالذكر لان الكلام مع المؤمنين وهم لم يتعاطوا
الانصاب والازلام ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة التي هي عماد دينكم ولذلك
افردها فهل انتم منتهون ابلغ من ان يقال انتهوا لان العاقل اذا تامل ما سبق
من الاوصاف يرتدع لا محالة كانه قال قد تلي عليكم ما فيهما من الفساد فبعد هذا البيان
هل انتم منتهون ام لا اكد تحريمهما بوجوه تصدير الكلام بانما وقرانهما بالانصاب والازلام الذين

مما من امارات اهل الاوثان والحكم عليها بالنجاسة وجعل الاجتناب عنها الفلاح وما
فيهما من ضرر الدنيا من وقوع العداوة الدنيا والبغضاء والدين من الحجاب عن ذكر الله
الذي به حيوة القلوب الا بذكر الله تطمئن القلوب روى ابو داود عن ابن عمر رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن في الخمر عشرة بايعها وشاريها وساقيها وشاربها
وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة له واكل ثمنها وروى مسلم ان تميما الداري كان يهدي
لرسول كل عام راوية خمر فجاء بها بعد تحريم الخمر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها حرمت
بعدك فقال يا رسول الله ابيعها وانتفع بثمنها قال ان الذي حرمها حرم ثمنها واطيعوا الله
واطيعوا الرسول واحذروا عن مخالفة اوامرهما ونواهيهما فان توليتم فانما على رسولنا
البلاغ المبين فلا تضرون الا انفسكم فان الرسول قد ابلغ ما عليه ابلاغه ليس على
الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا من الخمر قبل تحريمها روى البزار عن جابر
ان ناسا قتلوا يوم احد وقد صبحوا الخمر فقال فيهم اليهود فنزلت وقيل معناه رفع الجناح
عن سائر المستلذات لئلا يقاس على الخمر وهذا اوفق بقوله اذا ما اتقوا وامنوا اثبتوا على
ايمانهم وعملوا الصالحات ثم اتقوا ما تجدد حرمته كالخمر وامنوا بانه حكم الله ثم اتقوا
ثم استمروا على التقوى واحسنوا واخلصوا في ذلك كله لقوله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه
او احسنوا على الناس بما امكنهم وقيل اشارة في المواضع الثلثة الى مراتب التقوى الاول
ان يتقي ما حرم الله وهي تقوى العوام والثاني ان يتقي الشبهات وهي تقوى الخواص
والثالث تقوى المقربين وهي ربط السر عليه تعالى والى ذلك يشير قوله ما زاغ البصر وما طغى
والله يحب المحسنين يوفقهم للطاعات ويجزي لهم المثوبات ويعفو عنهم السيئات يا ايها
الذين امنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم نزلت عام الحديبية كثر الصيد
فيهم بحيث كانوا يقدرون على اخذه باليد ونكر الشيء تحقيرا له لانه ليس من الامور العظام
لبذل الاموال والارواح وحمله احمد والشافعي رحمهما الله على التنويع تخصيصا بالماكول لانه المتعارف
في الصيد ولقوله خمس من الدواب ليس على المحرم في قتلهن شيء الغراب والحداة والفارة
والعقرب والكلب العقور ليعلم الله من يخافه بالغيب ليميز الخائف من عذابه ملتبسا
بالغيب عن غيره فمن اعتدى بعد ذلك بعد ورود النهي فله عذاب اليم في الاخرة و
عن ابن عباس رضي الله عنه يضرب ظهرا وبطنا يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد
وانتم حرم اعاد النداء وصرح بالنهي مبالغة وليرتب عليه الجزاء في الدنيا وذكر القتل دون
الذبح لان الصيد قل ما يمكن من ذبحه ومن قتله منكم متعمدا قاصدا لقتله فجزاء مثل ما قتل
من النعم اي فعليه جزاء يماثل المقتول حال كونه من جنس النعم وقرا غير الكوفيين باضافة
جزاء اضافة للمصدر الى المفعول اي فعليه ان يجزي المقتول مثله وجعله من قبيل مثلك
لا يبخل لا يلايم يحكم به ذوا عدل منكم بانه مثل المقتول ان لم يكن منصوصا من الشارع هذا
اذا كان له مثل في النعم والا فالقيمة وعند ابي حنيفة رحمه الله سواء كان المقتول مثليا او لا ليس

الا القيمة

الا القيمة ثم هو مخير فيها ان شاء تصدق بها وان شاء اشترى هديا وجوز الشافعي
رحمه الله ان يكون القاتل احد الحكمين هديا بالغ الكعبة تذبح في الحرام باتفاق الايمة
فان قلت وجوب الجزاء حكم عام في العمد والخطا فما وجه قوله متعمدا قلت انما ذكره ليرتب
عليه حكم التاثيم بقوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه فان قلت كيف الحق
به الخطا في حكم الجزاء ولا جامع بين الخطاء والعمد قلت لم يلحق به قياسا بل اجماعا على ان
ضمان المتلفات لا يختص بالعمد او كفارة طعام مساكين بدل من كفارة او عطف
بيان وقرا نافع وابن عامر باضافة كفارة نحو خاتم فضة او عدل ذلك صياما ما يساوي
الطعام بان يطعم كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره او يصوم عن طعام
كل مسكين يوما وان لم يبلغ طعام مسكين تخيير بين ان يتصدق به او يصوم عنه يوما
هذا عند ابي حنيفة رحمه الله والشافعي رحمه الله الا ان طعام كل مسكين مد من اي طعام
كان عنده ليذوق وبال امره يتعلق بمحذوف دل عليه الكلام اي وجب عليه جزاء
الصيد على النمط المذكور ليذوق وخامة جنايته من الوبل وهو الثقل ومنه الوابل للمطر العظيم
القطر عفا الله عما سلف من الصيد قبل التحريم اذ لا مواخذة على الفروع قبل البيان اتفاقا
ومن عاد بعد النهي فينتقم الله منه بالكفارة او بالعقوبة اي فهو ينتقم الله منه خبر مبتدا لان
الجزاء اذا كان مضارعا لا يدخله الفاء والله عزيز غالب ذو انتقام لا يقدر على منعه
احد اذا اراد احل لكم صيد البحر مصيده وطعامه ايضا متاعا لكم وللسيارة متعلق بطعامه
اي احل لكم الانتفاع بصيد البحر واكل ذلك الصيد طريا لكم وللمسافرين يتزودون منه
وقيل الضمير في طعامه للبحر وهو ما قذفه ميتا رواه ابو هريرة رضي الله عنه مرفوعا وتخصيص
ابي حنيفة رحمه الله الصيد بالسمك يرده حديث ابن عمر رضي الله عنه هو البحر الطهور ماءه الحل
ميتته رواه البخاري واهل السنن وكذا حديث جيش بن ابي عبيدة اكلوا مدة من دابة
تسمى عنبر وبقي معهم بقية اكل منها رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرم عليكم صيد البر ما دمتم
حرما ما دمتم محرمين اصطاده بنفسه او امر غيره او اصطاده غير محرم للمحرم وخصه ابو حنيفة رحمه الله
بما اصطاده بنفسه او امر غيره ويرده حديث صعب بن جثامة كما رواه البخاري ومسلم انه اهدى
لرسول الله حمارا وحشيا وهو محرم فرده عليه فلما راى انه شق عليه قال ما رددناه عليك الا
انا حرم وانما رده لانه صاده لاجله بدليل انه قبله من ابي قتادة كما رواه ايضا ولا دليل له
في قوله ما دمتم حرما لانه قيد لحرمة ما حرم سواء كان صيده او صيد غيره ولولا حديث ابي قتادة
لحرم مطلقا لدخوله تحت صيد البر ولا في قوله لا تقتلوا الصيد لان نهي المخاطب عن قتل
الصيد وهو محرم لا يدل على حل ما صاده غيره لاجله ولا على ان ما قتله لا يحل له اكله ولا لغيره
لانه في حكم الميتة فهذه الاية لاحكام اخرى لا تدل عليها الاية الاولى واتقوا الله في المحافظة
على حدوده الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة لما حرم صيد المحرم اشار الى شرف الكعبة
ليدل على ان من دخل في اعمالها وحرمها حقيق بان يؤمن من اذاه لسرايته الامن منها

اليه البيت الحرام عطف بيان وله في هذا الموضع شان لا يخفى قياما للناس
قيام الشي وقوامه ما به صلاح الشي واستقامته وكذلك البيت المعظم للتجار يربحون
فضل الاموال ويحطون حمل الاوزار عنده وقرا ابن عامر قيما مقصورا وسمى لغة
والشهر الحرام ذا الحجة لانه ايام الحج او الجنس لحصول الامن منها والتمكن من السفر
والهدى تتمتع بها الفقراء ويثاب بها المتقربون والقلائد ذوات القلائد افردها
لانها اشرف واكثر ثوابا ذلك لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض فلا يخلو
فعله عن حكمة وان الله بكل شي عليم المذكور وغيره اعلموا ان الله شديد العقاب
وان الله غفور رحيم قدم صفة الجلال لانه في مقام التكليف ما على الرسول الا البلاغ
وقد ادى ما عليه والله يعلم ما تبدون وما تكتمون حث على الاخلاص قل لا يستوى الخبيث
والطيب ولو اعجبك ايها المخاطب كثرة الخبيث في بادى الراى ارد فه قصة الحرم
لان الحرم محل القرابين والصدقات على المجاورين المحاويج فاتقوا الله في انفاق الخبيث
يا اولى الالباب يا ذوى العقول الخالصة لعلكم تفلحون لكي تفوزوا يا ايها الذين امنوا
لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم روى الترمذي انهم سالوه في حجة الوداع اى كل
عام فسكت ثم قالوا افي كل عام فقال لو قلت لوجب دعوني ما تركتكم فاذا امرتكم بشي
فاتوا منه ما استطعتم فنزلت وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه ان قوما كانوا
يسالونه استهزاء فيقول الرجل من ابى ويقول الاخر اذا ضلت ناقته اين ناقتي فنزلت
وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم اى حين نزول الوحي ان سالتم عنها تظهر لكم
ببيان رسول الله وقيل ان تسالوا عن تلك الاشيا ما دام رسول الله فيكم يظهر لكم ما يسؤكم
عفا الله عنها عما سلف من المسائل والله غفور للسيئات حليم لا يعاجل بالعقوبة
قد سالها قوم من قبلكم اى المسلة ودل عليها ذكر الفعل الضمير في موقع المصدر او هو من الحذف
والايصال او السؤال بمعنى الاستعطا من سالته درهما كسؤال اصحاب المائدة وقوم صالح
ثم اصبحوا بها بما سالوا عنه او بسبب المسلة كافرين ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة
ولا حام ارد ف النهى عن السؤال باشيا من اخلاق الجاهلية تاكيد للنهى اشارة الى ان
تلك المسلة من هذا القبيل ومعنى ما جعل ما شرع والبحيرة ناقة كانت اذا نتجت خمسة
ابطن اخرها ذكر بحروا اذنها اى شقوه وحرموا الانتفاع بها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى وكان
الرجل يقول ان قدمت من سفرى سالما او شفيت من مرضى فناقتي سائبة يريد تحريم
الانتفاع بها او عدى سائبة يريد ان لا عمل ولا توارث واذا ولدت الشاة ذكرا وانثى
قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم وان ولدت ذكرا وحده ذبحوه واذا نتجت من
صلب الفحل عشرة ابطن قالوا قد حمى ظهره فلا يركب ولا تطرد عن ماء ومرعى وهذا هو الحام
ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب كانوا يزعمون ان الله شرع ابراهيم روى البخاري
رحمه الله عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رايت عمرو بن لحى في النار

يجر قصبه وهو اول من سيب السوائب وغير دين ابراهيم عليه السلام واكثرهم لا يعقلون
بل هم كالانعام فلذلك يصدر منهم ما لا يعقل واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى
الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه اباءنا تقرير لعدم عقلهم وتناهى بلادتهم حيث لا يتبعون
المؤيد بالمعجزات ويقلدون اباءهم اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون
الواو للحال والهمزة للانكار والمعنى ايقلدونهم وهم على هذا الحال لان شرط المقتدى
ان يكون عالما مهتديا يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم نصب انفسكم على الاغراء
اى الزموا انفسكم اذا امرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر بقدر الطاقة او لم يقدروا عليه لفساد
الزمان لما روى الترمذي رحمه الله عن ابي ثعلبة رضي الله عنه سالت رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن هذه الاية فقال تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر حتى اذا رايت شحا مطاعا وهوى
متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى راى برايه فعليك بخاصة نفسك فان من
ورائكم اياما الصبر فيهن كالقبض على الجمر للعامل فيهن اجر خمسين رجلا يعملون مثل
عملكم لا يضركم من ضل مستانف او جزم على الجواب اذا اهتديتم بعد ان اديتم ما عليكم
من الامر والنهى الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون وعد ووعيد للفريقين يا ايها
الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت ظرف للشهادة اى شارفه الموت
حين الوصية بدل من اذا قيل في هذا الابدال دليل على وجوب الوصية لانه جعل زمان
حضور الموت الذى لا بد منه زمان الوصية قلت لا دلالة في ذلك كقولك اغد الى
اذا طلعت الشمس حين صلوة الضحى وحاصله ان لزوم وجود الظرف ليس مستلزما
لوجود المظروف اثنان خبر مبتدا على تقدير مضاف اى شهادة بينكم شهادة اثنين
او فاعل شهادة بينكم اى فرض عليكم ان يشهد اثنان ذوا عدل منكم صفة اثنان
اى من اقارب الموصى وعن ابن عباس رضي الله عنه من المسلمين او اخران من
غيركم من غير الاقارب او من غير المسلمين ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة
الموت شارفتكم عطف على ضربتم وجزاء الشرط محذوف دل عليه الكلام اى ان وقع
الموت في السفر ولم تجدوا الاقارب فاستشهدوا من الاجانب او من غير المسلمين روى
الترمذي وابن ماجه رحمهما الله عن ابن عباس رضي الله عنه ان تميم بن اوس الدارى
وعدى بن بداء كانا نصرانيين وكانا ياتيان الشام في تجارة فقدم مولى لبنى سهم يقال له
بزيل بن ابي مريم فلما حضرته الوفاة اوصى اليهما ان يوصلا ما تركه الى اهله وكان
في تركته جام من فضة فباعاه بالف درهم واقتسماه قال تميم فلما اسلمت جئت
اهله بخمسمائة درهم واخبرتهم الخبر فوثبوا على عدى فانكر فاحتكموا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاستحلفوه بما يعظم به اهل دينه فحلف فقام عمرو بن العاص واخر من قومه
فحلفا فنزعت الخمسمائة منه ففيهم نزلت الايات تحبسونهما استيناف او صفة
اخران من بعد الصلوة صلوة العصر لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استحلف عديا بعد

صلوة العصر عند المنبر ولان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدها وقيل جنس الصلوة
لانها تنهى عن الفحشاء والمنكر فيقسمان بالله ان ارتبتم اعتراض بين القسم وجوابه وهو
لا نشترى به ثمنا اى بالقسم ولو كان ذا قربى اى المقسم له ولا نكتم شهادة الله التى
امر باظهارها وحفظها الاضافة للتعظيم انا اذا لمن الاثمين لو كتمناها او حرفناها و
الغرض المبالغة فى الصدق والاما من الداخلين تحت قوله كونوا قوامين بالقسط شهداء
لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين فان عثر على انهما استحقا اثما اطلع على انهما
جنيا اثما بان كذبا فى تلك الشهادة يقال استحق كذا اذا لاق به ان ينسب اليه ومرتكب
الاثم حقيق بان ينسب اليه فجعل استحق كناية عن الجناية فاخران يقومان مقامهما
من الذين استحق عليهم من الذين جنى عليهم وهم ورثة الميت الاوليان الاقربان
من الميت من ساير الورثة رفع على البدل من اخران او من ضمير يقومان او مبتدا خبره
اخران لا العكس لكون الخبر معرفة والمبتدا نكرة او خبر مبتدا محذوف اى هما الاوليان
وقرا حفص استحق على بناء الفاعل على ان الاوليان فاعل والمعنى استحق الاوليان
على ساير الورثة اقامتهما للشهادة فى مقابلة شهادة الجانين وقرا حمزه وابو بكر الاولين
بصيغة الجمع صفة الذين مجرورا او نصبا على المدح فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما
اولى بالقبول كما فعل عمرو وصاحبه مع عدى وما اعتدينا فى هذه الشهادة ما سوى الحق انا اذا
لمن الظالمين الداخلين فى زمرتهم لو تجاوزنا الحق ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على
وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد ايمانهم اى شرعية الحكم على الوجه المذكور اقرب الى
ان يأتى الشهداء بالشهادة على وجه الصدق او يخافوا من رد ايمانهم بقيام اخرين من
اهل الميت يقسمان على خلاف ما اقسموا عليه واى واحد من الامرين كان من اداء الشهادة
بالصدق والامتناع عن الاداء على وجه الكذب كان فيه صلاح فان قلت المائدة لا تنسخ
فيها وفى الايتين احكام لم يقل بها الائمة وجوب الايصاء الى الشيئين وتحليف الشاهد وحلف
اثنين من الورثة وكون اليمين بعد العصر قلت ليس فى الاية ما يوجب الايصاء الى الاثنين
بل دلالة على الاولى لا سيما فى السفر فانه مظنة الافات والاثنان اذا كانا وصيين يحلفان
او ان انهما كما فى قصة بديل فان تميما وعديا كانا وصيين فى ايصال التركة الى اهل الموصى
واما حلف الاثنين من الورثة فهو اذا ادعى الوصى بعد ثبوت الخيانة تملك شئ من
التركة كما فعل عدى وتميم فى الجام فاليمين على الورثة المنكرين فليست اليمين المردودة
بعد حلف الوصيين وذكر الاثنين للاستظهار حتى لو كان الوارث واحدا كان الحكم
كذا بلا خلاف فان المذكور فى الاية هو الشهادة فكيف يحمل على الايصاء والشهادة على نفسه
كما ان الاقرار كذلك لقوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم فان قلت
هلا قيل بالنسخ وفيه ارتفاع الاشكال قلت ناسخة لا بد وان يكون متواترا وانى
لك به فان قلت اجماع الامة كاشف عنه قلت معارض بما ذكر من تقرير الاحكام واتقوا الله

قلت

فى احكام

فى احكامه واسمعوا اسماع تدبر وطاعة والله لا يهدى القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل
متعلق بيهدى او نصب باذكر او يجمع الله الرسل يكون كيت وكيت او بدل من كلمة
الجلالة كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه فيقول ماذا اجبتم اجابة اقرارا وانكارا والقصد
اظهار المعدلة وتوبيخ الامم المكذبة على رؤس الاشهاد ماذا نصب على المصدر قالوا لا علم لنا
بالنسبة الى علمك الشامل والمختص بك دونك او لا علم لنا ببواطنهم وايمانهم المنجى او هو
اظهار للشكاية كما يقول المتظلم فى جواب الحاكم بحضرة الظالم ماذا فعل بك لا اعلم او لا
علم لنا بما احدثوا بعدنا كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وقيل يدهشون
من هول السؤال ثم يجيبون بعد ما يثوب اليهم عقولهم وفيه ان الرسل امنون لقوله
لا يخاف لدى المرسلون ولقولهم انك انت علام الغيوب وقرا حمزه وابو بكر بكسر
الغين لمناسبة الياء وثقل الضمة اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى بدل من
يوم يجمع الله الرسل من نمط ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار او نصب باذكر
وقيل لما قال له اذكر نعمتى كان يلبس الشعر ويأكل الشجر لا اهل ولا مال ولا وطن
ولا دار واليه اشار ابو العلا بقوله سعد المسيح يسيح فى الغبراء لا ولد يموت ولا بناء يخرب
والوجه الاول لقوله وكنت عليهم شهيدا وقوله يوم ينفع الصادقين صدقهم عليك
وعلى والدتك بالاصطفاء على نساء العالمين والنعمة على الاصول نعمة على الفروع
اذ ايدتك بروح القدس بالكلام الذى به حيوة القلوب لقوله تكلم الناس ففى
روح القدس مجاز لغوى وحكمى والاضافة الى القدس لانه سبب الطهر عن اوضار الاثام
وقيل بجبرائيل فى المهد وكهلا فى الحالين على السواء وفيه دلالة على انه رفع بعد الكهولة
وهما فوق الثلثين وقيل فيه دلالة على انه ينزل فى اخر الزمان لانه حين رفع لم
يكن كهلا وليس بشئ لانه حين النزول يكون شيخا والمشهور انه رفع وهو ابن ثلث
وثلثين سنة واذ علمتك الكتاب والحكمة والتورية والانجيل خصا بالذكر لما ياوله
الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة القول الصواب واذ تخلق من الطين
كهيأة الطير باذنى بتوفيقى وتيسيرى فتنفخ فيها الضمير للكاف لانه صفة الهيأة المشبهة
فتكون طيرا باذنى كرر الاذن مبالغة فى دفع وهم الاستقلال على ما ظنه اهل الضلال
وقرا نافع طائرا اى واحدا من جنس الطير وتبرئ الاكمه الذى ولد اعمى والابرص
باذنى معجزة لك فان الاطباء معترفون بالعجز عن ذلك واذ تخرج الموتى من قبورهم
باذنى قيل اخرج سام بن نوح ورجلين وجارية وكان اذا اراد احياء ميت صلى
ركعتين ثم قال يا قديم يا خفى يا دائم يا فرد يا وتر يا احد يا صمد وقيل لما احيى سام
بن نوح رآه اشمط فقال ما بالك اشمط ولم تكن قبل ابراهيم شيب قال لما ناديت
ظننت انه يوم القيمة فمن ذلك هذا الشيب واذ كففت بنى اسرائيل عنك
اليهود لما هموا بقتله اذ جئتهم بالبينات المعجزات فقال الذين كفروا منهم ان هذا

الا سحر مبين ظاهر يعرفه كل احد وقرا حمزة والكسائي ساحر يريدون عيسى عليه السلام
واذ اوحيت الى الحواريين على لسانك او في الانجيل لانهم مكلفون بما فيه كانه اوحي
اليهم كقوله لقد انزلنا اليكم كتابا وعن الحسن اوحي اليهم الهاما كقوله واوحينا الى ام
موسى ان امنوا بي وبرسولي قالوا امنا واشهد باننا مسلمون مخلصون اذ قال
الحواريون ظرف لمسلمون او لقالوا امنا يا عيسى بن مريم المختار في اعرابه الفتح لانه علم
موصوف بابن مضافا الى علم هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السماء
المائدة خوان اذا كان عليها طعام من ماده اذا اعطاه كانها تعطي من تقدم اليها
واستدل بظاهره على ان القايلين لم يكونوا مؤمنين لان المؤمن لا يشكّ في قدرة
الله تعالى والحق انهم كانوا مؤمنين لقوله تعالى كونوا انصار الله كما قال عيسى بن
مريم للحواريين من انصاري الى الله وقولهم هذا كقول ابرهيم عليه السلام كيف تحيي
الموتى وقوله ولكن ليطمئن قلبي او السوال عن الفعل دون القدرة تعبيرا عنه بلازمه
وقرا الكسائي تستطيع بتاء الخطاب ونصب ربك اي مسلة ربك قال اتقوا الله
ان كنتم مؤمنين كاملي الايمان قالوا نريد ان ناكل منها وتطمئن قلوبنا بينوا عذرهم
في طلبها بانهم ارادوها لغرض صحيح وهو ان يكتفي بذلك عن طلب المعاش وتتوفر
لطاعة الله ونعلم ان قد صدقتنا في رسالتك علم المشاهد الذي هو اعلى مراتب اليقين
ونكون عليها من الشاهدين لبني اسرائيل قال عيسى بن مريم اللهم ربنا انزل علينا
مائدة من السماء لما علم صحة غرضهم دعا الله لما طلبوه تكون لنا عيدا يوم نزولها قيل
كان يوم نزولها يوم احد ولذلك اتخذه النصارى عيدا وقيل كناية عن السرور العايد
لاولنا واخرنا واية منك بدل بتكرير العامل اي لمن في زماننا ولمن ياتي بعدنا
من اهل الدين والمقدم والاتباع او اخر الناس كما ولهم وارزقنا ما سالناك
وانت خير الرازقين اذ غيرك واسطة وانت الرازق حقيقة قال الله اني منزلها عليكم
لا محالة واثر الجمع لان السوال كان لاجلهم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه عذابا لا اعذبه
احدا من العالمين وكذلك وقع فانهم لما كفروا مسخوا قردة وخنازير ولم يقع بعده مثله
فان قلت ذكرت انهم كانوا مؤمنين لقوله كونوا انصار الله كما قال عيسى بن مريم
للحواريين من انصاري الى الله اي لكون الحواريين انصار الله فكيف يستقيم ان
يكون المؤمنون مامورين بان يكونوا مثل قوم كفروا ومسخوا قردة وخنازير قلت
الحواريون فرقتان فرقة استمروا على ايمانهم وفرقة كفروا روي ان عيسى عليه السلام
لما اراد ان يسال الله تعالى انزال المائدة لبس الصوف وصلى ركعتين وقام على
رجليه ناكسا راسه مسبلا دمعه ودعا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين حتى سقطت بين
ايديهم فقال عيسى عليه السلام ليقم احسنكم عملا فليكشف عنها فقال شمعون انت
اولى بذلك فقام عليه السلام وبكا بكاء طويلا ثم كشف المنديل وقال بسم الله

خير

خير الرازقين فاذا فيها سمكة مشوية لا شوك فيها ولا فلوس يسيل دسما عند راسها ملح وعند
ذنبها خل وحولها انواع البقول سوى الكراث وخمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني
عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون امن
طعام الدنيا هذا يا روح الله ام من طعام الجنة فقال ليس من شيء منهما ولكن شيء ابتدعه الله
فكلوا واشكروا نعمة ربكم فقالوا كن اول اكل فقال معاذ الله ليا كل من سالها فخافوا فلم ياكلوا
فاطعمها القافلة وكانوا اكثر من الف فاكلوا حتى شبعوا ثم طارت وكانت تنزل كل يوم
ضحى ياكل منها الاغنياء والفقراء فاوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام ان اجعل رزقي في
الفقراء فعظم ذلك على الاغنياء فشكوا وشككوا فمسخوا قردة وخنازير وما روي عن الحسن
انها لم تنزل لا يصح لقوله تعالى اني منزلها عليكم فان قلت لو نزلت لبقيت الى اخر الدهر
لقوله عيدا لاولنا واخرنا وبه تمسك ان قال عن الحسن قلت كان ذلك مشروطا بعدم
كفرهم واذ قال الله يا عيسى بن مريم يقوله يوم القيمة وايثار الماضي لكونه محقق الوقوع
ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله سوى الله على انه صفة الهين
فيكون الالهة ثلثة او متعلق باتخذوني اي شريكين لله في الالوهية واستحقاق العبادة
كما قال المشركون ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله قال سبحانك انزهك عما لا يليق بكبريائك
وروي ان يقع على الارض ويسيل من تحت كل شعرة عين من الدم ما يكون لي ان
اقول ما ليس لي بحق نفي الكون وما ليس بحق على وجه العموم مبالغة في التبري عما نسب اليه
ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك اي تعلم معلومي ولا اعلم
معلومك عبر عنه لا اعلم ما في نفسك مشاكلة انك انت علام الغيوب لا غيرك تقرير
للجملتين لان الحصر يشتمل على الاثبات والنفي فالاثبات تقرير لتعلم ما في نفسي والنفي تقرير
لقوله ولا اعلم ما في نفسك ما قلت لهم الا ما امرتني به رد العلم اليه على ابلغ وجه ثم نفي
ما نسب اليه كذلك ان اعبدوا الله ربي وربكم ان مفسرة لمعنى القول كانه قال
ما امرتهم الا ما امرتني به الا انه عدل عنه الى المنزل تادبا لئلا يجعل ربه ونفسه امرين ولا
يطرد ان يجعل مفسرة بعد كل فعل فيه معنى القول ويجوز ان يكون مصدرية بدلا من
المجرور في به ولا يقدح فيه بقاء الموصول بلا عايد اذ ليس من شرط البدل استقامة المعنى
به مع طرح المبدل وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم مدة بقائي فيهم فلما توفيتني رفعتني
الى السماء كنت انت الرقيب عليهم المطلع على احوالهم وانت على كل شيء شهيد مطلع
ان تعذبهم فانهم عبادك والسيد متصرف في ملكه وفي اضافة العباد اليه تعطيف
وقيل معناه عبادي العاصون حقيق بالعذاب وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم
الغالب الذي لا يغالب والحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة بل حكم فان قلت كان
الظاهر انت الغفور الرحيم كما قال ابرهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم فاي وجه للعدول
قلت قول ابرهيم في الدنيا والعصاة احياء اشار الى انك قادر على مغفرتهم وان ترحمهم

بالتوبة واما العفو عن الكافر في الاخرة فشان العزيز الغالب الذي يفعل ما يشاء
والعفو عن الشرك جايز عقلا وانما امتنع لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به قال الله هذا
يوم ينفع الصادقين صدقهم اي هذا اليوم يوم ينفع صدق الصادقين وقرا نافع
بنصب يوم مفعولا فيه على ان هذا اشارة الى قوله انت قلت للناس اي قال الله
هذا القول لعيسى في ذلك اليوم فان قلت هلا كان مبنيا كما في يوم لا يملك نفس
لنفس شيئا قلت اليه ذهب الكوفيون ومنعه البصريون لان المضارع معرب لا يقال
على لا يملك لان لا مع مدخوله غير متمكن فافترقا والمعنى ان في هذا اليوم ينفع الصادقين
صدقهم المستمر بهم في الدارين كصدق عيسى عليه السلام لان الصدق في الاخرة لا يجدي
كصدق ابليس وساير الكفار لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله
عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم الذي كل فوز دونه لله ملك السموات والارض
وما فيهن من الكاينات الاجزاء والجزئيات وفيه تكذيب للنصارى لان عيسى وامه
من جملة ما في السموات والارض وغلب غير العقلا فاشر ما على من لكون الكلام صادرا
عن مقام الكبرياء والسخط على من اتخذ الها دونه وهو على كل شيء قدير فيقدر على خلق
الولد بلا والد اشارا الى راحة شبهة النصارى تمت المائده والحمد لله على نعمه الزايده

سورة الانعام مكية الا ست آيات او ثلث آيات من قوله قل تعالوا
وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي خلق السموات
والارض وجعل الظلمات والنور اخبر بالجملة الاسمية الدالة على انحصار المحامد فيه تعالى اظهارا
للغني عن حمد الحامدين واشارة الى ان حمد هم لم يثبت له شيئا لم يكن ثابتا بل ذلك
منهم ذكر لبعض اوصافه الكمالية ليعود نفعه اليهم واوقع خلق السموات والارض وانشاء
الظلمات والنور فيهما في مقابلة الحمد لانها اصول النعم التي تعم الملائكة والثقلين وغيرها
والفرق بين الخلق والجعل هو انه لوحظ في مفهوم الخلق التقدير والتسوية وفي الجعل
معنى الارتباط بين الشيئين بان ينشا احدهما من الاخر كالظلمات والنور فانهما ينشآن
من تكاثف الاجرام والنيرات وقد يتعدى الى مفعولين فيكون فيه معنى التصيير
كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقدم السموات لعظمها وشرفها
لا لتقدمها في الوجود وجمع السموات دون الارض للتخفيف لقوله ومن الارض مثلهن
وجمع الظلمات دون النور لانه لارادة الجنس ولم يعكس ليكون فيه نوع طباق للسموات
والارض وقيل لان اسباب الظلمة كثيرة بخلاف النور وتفسير النور بالهدى والظلمات
بالاضلال والهدى واحد والضلال كثير لا يلايم المقام ثم الذين كفروا بربهم يعدلون عطف
على الاسمية اي انه تعالى حقيق بالحمد على هذه النعم والكفار يعدلون عن شكره او على خلق اي
الفعلية والمعنى خلق هذه الاجرام وما يترتب عليهما من الظلمات والنور ثم الذين كفروا
يساوون به من لا يقدر على شيء فالبا صلة يعدلون من العدل وثم على الوجهين للاستبعاد

هو

هو الذي خلقكم من طين قدم عليه دليل الآفاق كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي
انفسهم لتقدمها وظهورها وكونها اصولا ومواد ثم قضى اجلا هو الموت واجل مسمى عنده
تفرد به لا يعلمه غيره وهو القيمة او ما بين الموت والبعث والاجل يطلق على اخر المدة وعلى
مجموعها وقيل الاول النوم والثاني الموت وتنكير مسمى للتعظيم ولذلك قدم على الظرف
بخلاف قولك عندي ثوب جيد وكتاب صحيح ثم انتم تمترون من المرية وهي
الشك وهذا الاستبعاد فوق الاول لانضمام دليل الانفس الى الافاق مع اشتماله
على المبداء والمعاد ولذلك قدم الضمير لتقوى الحكم وخاطب الذين هم به يعدلون
توبيخا لهم وتقبيحا لما هم فيه من الامتراء بعد هذا البرهان الجلي والدليل النير وهو الله
مبتداء وخبره في السموات وفي الارض المنفرد بالالوهية فيهما فالجار متعلق بما دل عليه
لفظة الجلالة من الصفات التي اشتهر بها او خبر بعد خبر يعلم سركم وجهركم تقرير لتفرده
وتوحده بالالوهية لان الذي يكون السر والجهر عنده سواء هو الله لا شريك له في ذلك
او خبر اخر ويعلم ما تكسبون من افعال ساير الجوارح تعميم بعد التخصيص واشار الى انه
كما تفرد بايجاد السموات والارض وانشاء الظلمة والنور فيهما وخلق البشر من الطين
وحكمه عليهم بالموت ثم بالبعث كذلك يتفرد بما بين المبداء والمعاد من التدبير والالوهية
في السموات والارض والعلم الشامل باقوالهم سرا وجهرا بل بجميع ما ياتون ويذرون
لا يعزب عنه مثقال ذرة وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين
عاد الى اسلوب الغيبة تبعيدا لهم عن ساحة الحضور لانكارهم الدلايل والمعجزات الباهرة
من الاولى استغراقية والثانية تبعيضية واثر كان ايماء الى ان اعراضهم عن آيات الله
امر مستمر فقد كذبوا بالحق لما جاءهم في معرض الجزاء الشرط مقدر اي ان كانوا معرضين
عن الآيات الدالة على نبوتك فلا تعجب لانهم كذبوا بما هو اعظم الآيات الدالة على نبوتك
فلا تعجب لانهم كذبوا بما هو اعظم الآيات وهو القران ولكماله في ظهوره عبر عنه بالحق
فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزؤن عند نزول العذاب بهم جمع الانباء كناية عن
عظم العذاب لان الواقعة اذا عظمت تواترت الاخبار بها مختلفة الم يروا كم اهلكنا
من قبلهم من قرن القرن بالكسر مثلك في السن وبالفتح اهل زمان واحد وقيل سبعون
سنة وقيل ثمانون والاول هو المراد قال شعر اذا ذهب القرن الذي انت فيهم وخلفت
في قرن فانت غريب الاستفهام للتقرير وكم خبرية والمعنى ان هؤلاء قد شاهدوا آثار المكذبين
فما لهم لا يعتبرون وكانت مساكن عاد وثمود واصحاب الحجر في ممرهم الى الشام ويجوز
ان يكون من روية القلب فانهم سمعوا تلك الاخبار وتواترت عندهم مكناهم
في الارض جعلناهم متمكنين فيها يتصرفون كيف شاؤا في اعمار متطاولة وقوى واموال
متزايدة ما لم نمكن لكم يا اهل مكة عاد الى الخطاب ايقاظا لهم عن سنة الغفلة كما هو
داب السيد الرؤف يعرض عن عبده المذنب ثم يلتفت اليه ناصحا له وارسلنا السماء

عليهم مدرارا كثيرا متتابعا من الدر وهو سيلان اللبن والسماء هو المطر كقوله شعر اذا نزل
السماء بارض قوم رعيناه وان كانوا غضابا او السحاب او السماء حقيقة ومعنى ارسالها
ارسال ما فيها تجوزا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فعاشوا في ارغد عيش فاهلكناهم
بذنوبهم اي بالتوافي العصيان فاستاصلناهم ولم تغن عنهم تلك الاسباب والقوى
وانشانا من بعدهم قرنا آخرين يعمرون الارض ويسكنونها فنحن قادرون على ان
نفعل بكم ما فعلنا باولئك ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس وحيا سماويا مكتوبا
في الورق القرطاس بالكسر والضم وكذا القرطس بفتح القاف ما كتب فيه شيء
فلمسوه بايديهم لان اللمس باليد اقوى ما يكون في رفع الشبهة اذ لو قيده بالرؤية لقالوا
انما سكرت ابصارنا وذكر الايدي مع ان اللمس لا يكون الا باليد كقولهم ابصرته بعيني
وسمعته باذني لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين عنادا واثر المظهر ليدل على ان
ذلك القول ناش عن كفرهم وقالوا لولا انزل عليه ملك يشهد له بالرسالة ولو انزلنا
ملكا يشهد له كما اقترحوه لقضي الامر اي امرهم وشانهم لانهم لا بد وان يكذبوا ثم لا ينظرون
طرفة عين وقد جرت عادته تعالى بانه يستاصل من كذب بعد الاية المقترحة كما فعل
بثمود بعد الناقة وباصحاب المائدة بعد نزولها وقيل لقضي الامر اي ماتوا من هول
مشاهدة الملك وعظم خلقته والوجه الاول لقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا اي
لو كان ذلك الرسول الذي يطلبونه ملكا لكان في صورة رجل لان البشر لا يقدر على
الاستفادة من الملك وهو في صورته ولذلك كان اكثر ما ياتي جبرائيل رسول الله في صورة
دحية لانه كان اجمل العرب في زمانه وان راه في صورته مرتين لم يستفد منه في تلك الحالة
وللبسنا عليهم ما يلبسون جواب لو مقدر اي لخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم فانهم
اذا راوا الملك في صورة الانسان يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ويكون العمدة في تصديقه
المعجزة وهؤلاء لا يؤمنون بها فلا فايدة في ارساله ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية
لرسول الله بان ما يلقاه ليس خاصا به بل شان ساير الرسل مع المعاندين فحاق
بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن احاط بالمستهزئين منهم الذين جلبه الاستهزاء
وتسبب له وهو الهلاك والعذاب قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة
المكذبين لما قصروا ادراكهم عن الدلايل العقلية امرهم بالنظر في الامور المحسوسة لا سيما
البصر فان مدركه اجلى من كل بديهي والفرق بينه وبين قوله قل سيروا في الارض
فانظروا ان في الفاء معنى سببية الاول للثاني وليس مقصودا في ذاته ولا كذلك في
ثم بل السير مقصود لذاته قل لمن ما في السموات والارض خلقا وملكا حالا فيهما او جزءا
داخلا قل لله متعين للجواب لا يقدرون على انكاره وان كانوا بكما لا ينطقون به
كتب على نفسه الرحمة كناية عن سعة رحمته وانها كالواجب الذي لا يمكن الاخلال به
ولذلك ارسل الرسل وامهل بعد التكذيب ليجمعنكم الى يوم القيمة جواب قسم محذوف والمعنى

ليجمعنكم

ليجمعنكم في القبور الى يوم القيمة او في يوم القيمة الى بمعنى في وقيل بدل بعض من رحمته
لان جمعه في ذلك اليوم بعض رحمته وفيه ان الخطاب للفريقين واي رحمة لمن يقول
يا ليتني كنت ترابا لا ريب فيه في ذلك اليوم او الجمع الذين خسروا انفسهم بابطال
فطرتهم وتنسوا فراتها بصدي الغواية وعدم النظر في الافاق والانفس وهو مرفوع
على الذم او على الابتداء والخبر فهم لا يؤمنون والظاهر كون عدم الايمان سببا للخسران
لكن قصد ان ابطال تلك الفطرة هو الذي ادى بهم الى عدم التصديق وله ما سكن
في الليل والنهار من السكنى يتعدى بفي كقوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا وقد
يحذف كقولك سكنت الدار او من السكون ضد الحركة واكتفى به كقوله سرابيل
تقيكم الحر واثر السكون لانه ادخل في كونه نعمة وهو السميع العليم كما لا يخرج عن
ملكه وسلطانه شيء فكذلك لا يخفى عن سمعه سر ولا يعزب عن علمه ذرة قل اغير الله
اتخذ وليا كانوا يدعونه الى عبادة الاصنام ويقولون ما نعبد الهك حتى تعبد
الهتنا قدم المفعول لانه المنكر لا اتخاذ الولي مطلقا فان اتخاذ الله وليا مطلوب
فاطر السموات والارض خالقهما من فطرت الشيء شققته وعن ابن عباس ما كنت
اعلم معنى الفاطر حتى احتكم الي اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها ولعله لم
يكن لغة قريش وهو يطعم ولا يطعم يرزق ولا يرزق وايثار الطعام لشدة الحاجة
اليه وقرئ بفتح العين في الاول وكسره في الثاني فالضمير لغير الله وعلى بناء الفاعل
فيهما اي يطعم تارة ولا يطعم اخرى قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لكونه
اول داع الى الله فلا يمكن تقدم غيره عليه ولا تكونن من المشركين عطف على
امرت بتقدير قيل او على قل استدل على عدم جواز عبادة غيره بالعقل بان غيره
لا ينفع فلا يختاره ذو عقل ثم بالنقل عمن له الخلق والامر وقدم الدليل العقلي
لكونه العمدة لعدم اعترافهم بصحة النقل قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم قطع لاطماعهم راسا وتعريض بانهم عصاة مستحقون للعذاب واثر
لفظ الرب ايماء الى ان من يكون مربيا محسنا عصيانه في غاية القبح والجواب
محذوف دل عليه ما تقدم من الشرط وفايدة هذا التقديم الاهتمام من يصرف
عنه يومئذ ذلك العذاب فقد رحمه بالنجاة من عذاب الاخرة اللهم اذقنا
برد عفوك واسقنا من صفو رحمتك وقرا حمزة والكسائي وابو بكر يصرف بفتح
الياء على بناء الفاعل وذلك الفوز المبين الواضح المكشوف وان يمسسك الله
بضر فلا كاشف له الا هو الخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد تنبيه واسماع غيره
او هو خطاب لكل احد وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير فكما قدر على ايصال
الخير اليك قادر على ازالته فعليك تقييده بالشكر وفي سورة يونس وان يردك
بخير بلفظ الارادة بدل المس المنبئ عن القلة ترجيحا لجانب رحمته وانما قدم الشرط

على الخبر لان دفع المفاسد اتم من جلب المصالح وهو القاهر فوق عباده تصوير لعلو شانه
ونفاذ امره فيهم وتقرير للكلام السبق فان من تفرد بالعلو ونفاذ الامر اليه يرجع الامر كله
في الشر والخير وهو الحكيم يفعل على وفق الحكمة الخبير ببواطن الامور فكما هو متصف
بصفات الجلال كذلك متفرد بنعوت الكمال قل اي شيء اكبر شهادة نزلت حين
قال المشركون من يشهد لك بالرسالة فانا قد سالنا اهل الكتاب فلم يعرفوك والشيء
لغة يطلق على ما يتعلق ويمكن الاخبار عنه موجودا كان او معدوما محالا كان او ممكنا فهو
ابلغ في العموم من قولك اي شهيد اكبر قل الله شهيد بيني وبينكم يجوز ان يتم الكلام عند قوله
الله اي الله اكبر ثم يبتدي اي هو شهيد وان يكون الله شهيد هو الجواب واوحي الي هذا
القران لانذركم يا اهل مكة واكتفى بالانذار لكونه اتم ومن بلغ من الاسود والاحمر والثقلين
والى يوم القيمة فانه مرسل الى الكل ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى استفهام تقرير
مع انكار بليغ بان من لم يصلح ان يكون معه اله اخر قد اشركوا معه الهة قل لا اشهد فان
شهدوا ابتعد والالهة فلا تشهد معهم قل انما هو اله واحد احصر الالوهية فيه وانني بريء مما تشركون
تصريح بما علم ضمنا الذين اتيناهم الكتاب من اليهود والنصارى الذي سالهم المشركون
وقالوا ليس ذلك النعوت في الكتابين يعرفونه محمدا كما يعرفون ابناءهم من غير تفرقة
في كمال العلم والايقان عن عبد الله بن سلام انه قال اعرفه اقوى من معرفتي بابني قال له
عمر لم ذلك قال لان ابني ربما لم يكن مني بان خانت امه واما محمد لم يحتمل غيره فقبل
عمر يافوخه الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون استيناف لبيان عدم ايمانهم اي ليس عدم
الايمان لعدم المعرفة به بل لانهم افسدوا فطرة الله التي هي بمنزلة الاكسير ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا لا احد اظلم ممن قصد الكذب على الله وهم اليهود والنصارى والمشركون
القائلون باتخاذ الولد او كذب باياته المعجزات الدالة على صدق مدعي النبوة انزاو وان
كانوا جامعين دلالة على ان لكل واحد من الامرين كاف في اظلمية المتصف به فكيف بمن
جمع انه الشان لا يفلح الظالمون فما ظنك بالاظلم ويوم نحشرهم جميعا الجزا نصب بمضمر
اي يكون كيت وكيت حذف للتهويل ثم نقول للذين اشركوا بالله اين شركاؤكم اي
شركاء الله بزعمكم الذين كنتم تزعمون انهم شركاؤه لعلها لم يكن حاضرة حين هذا القول
او لعدم غنائها كانها ليست بحاضرة ثم لم تكن فتنتهم اي ضلالهم وكفرهم الفتنة لغة
الضلال والافساد وقال ما انتم عليه بفاتنين اي مضلين مفسدين الا ان قالوا والله
ربنا ما كنا مشركين يكذبون في ذلك اليوم عند من لا يخفى عليه خافية وذلك ان المرء يحشر
على صفته التي كان عليها تموتون كما تعيشون وتحشرون كما تموتون وقيل يقولون
ذلك من فرط الحيرة والدهشة كما يقوله المواخذ بالذنب عند العقوبة وان علم انه لا يروج
وانث لم يكن حمزة والكسائي لتانيث الخبر نحو من كانت امك وفتنتهم ابن كثير وابن
عامر وحفص بالرفع ونصب باء ربنا على الندا حمزة والكسائي انظر كيف كذبوا على انفسهم تعجيب

من كذبهم

من كذبهم فان الانسان ربما يكذب على الغير اذا رجا ان يروج منه واما ان يكذب على
نفسه مع الجزم بانه لا يروج منه فهو غاية السفاهة وضل عنهم ما كانوا يفترون غاب عنهم
ما كانوا يجعلونه عدة لذلك اليوم ومنهم من يستمع اليك من المشركين من يستمع القران
حين تتلوه استمع اليه نفر من المشركين فيهم ابو جهل وابو سفيان والنضر بن الحارث فقالوا
للنضر ما يقول محمد فقال والله ما يقول الا مثل ما اقوله لكم وكان النضر قصاص المشركين
يقرا عليهم وقايع العجم مما جرى بين رستم واسفنديار وجعلنا على قلوبهم اكنة اغطية لا يصل
اليها الحق جمع كنان كازمة وزمام وهو ما يستر الشيء ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا صمما
وان استمعوا فلا سماع لفقد الته وهو بالفتح الثقل في الاذن وبالكسر هو الحمل وتقديم القلوب
على الاذان مع ان ادراك المسموعات طريقها السمع لانها مناط الفائدة وان يروا كل اية
ما اتيت بها او عالم تات مما اقترحوها لا يؤمنوا بها لانهم مخلوقون للنار مختوم على قلوبهم حتى
اذا جاؤك ليس لحتى عمل لانها لا تعمل في الجمل ويجوز تجريدها عن الظرفية فيكون مجرورا بها
يجادلونك اي بلغ كفرهم الى ان لم يرضوا راسا براس بل يجادلون بالباطل ليدحضوا
به الحق يقول الذين كفروا ان هذا الا اساطير الاولين بيان للمجادلة او حال من فاعلها
وهو العامل في حتى والاساطير الاباطيل جمع اسطورة بالضم او الاسطارة بالكسر وهم ينهون
عنه وينأون عنه جمعوا بين الضلال والاضلال وكان اذا ورد مكة مسترشد يحذرونه ويمنعونه
عن اتباعه لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن ابن عباس نزلت في ابي طالب فانه كان ينهى
قريشا عن التعرض له وينأى ويتجانب عنه وقيل في اعمامه العشرة وان يهلكون الا انفسهم
لان ضر ما يباشرونه لاحق بها وما يشعرون وليس لهم بذلك شعور اشارة الى انهم دون
دون البهائم ولو ترى اذ وقفوا على النار اروها وهي تحتهم مطلعين عليها او عرفوا مقدار
عذابها من وقفته على كذا عرفته اياه والخطاب لكل احد لان شناعة حالهم لا تخص رؤية
راء والجواب محذوف اي لرايت امرا عظيما فقالوا يا ليتنا نرد تمنيا من شدة العذاب
ولا نكذب بايات ربنا ونكون من المؤمنين عطف على التمني عطف الخبر على الانشاء
لوقوعه بعد القول او على المتمني او حال عن ضميره وقوله انهم لكاذبون باعتبار ما تضمنت
من الوعد والا فالتمني قرا حمزة وحفص ولا نكذب بالنصب باضمار ان بعد الواو فانه كالفاء
في جواز الاضمار وقرا نكون بالنصب حمزة وابن عامر وحفص فرفع ابن عامر في الاول على
العطف ونصب الثاني على الجواب بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل اضراب عما
تقتضيه اي ليس الامر كما زعموا بل لما شهدت عليهم جوارحهم وبدت فضائحهم وقعوا
في حيص بيص فذكروا ما ذكروا لا عزما على الايمان بقلوبهم والقول بان هذا قول المنافقين
يرده كون السورة مكية والاتفاق بها ولو ردوا الى الدنيا بعد الوقوف على النار لعادوا لما
نهوا عنه لكونهم في علم الله من اصحاب النار وانهم لكاذبون في ذلك الوعد لعدم مطابقته
الواقع وقالوا ان هي الا حياتنا الدنيا عطف على الجزاء اي ولو ردوا الكفروا ولقالوا كما يقولون

قيل معاينة القيمة ان هي الا حيوتنا الدنيا او على انهم لكاذبون في كل ما يقولون وهم الذين
قالوا ان هي الا حيوتنا او عطف على نهوا وما نحن بمبعوثين مستانف لتقرير السابق وتوكيده
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم للسوال على وجه التقريع كما يوقف العبد الجاني بين يدى مولاه و
هذا الوقوف اشد من الاول ولذلك اخره وقيل وقفوا على جزاء ربهم قال اليس هذا بالحق
مستانف جواب سوال كانه قيل ماذا قال لهم ربهم والاشارة الى لقاء الله الذى كانوا ينكرونه
بقوله قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله والاستفهام للتوبيخ قالوا بلى وربنا اقرار موكد بالقسم وانزوا
لفظ الرب لتعلمهم بان ما كلفوا به في الدنيا كان تفضلا وتربية مع ما فيه من الاستعطاف
قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم وستركم الحق قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله
فايدة هذا ترهيب للسامعين حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة غاية للتكذيب لان خسرانهم
لا غاية له والساعة من سوع لعبنى حضر سميت القيمة بها لسرعة مجيئها كانها حاضرة والبغتة
مصدر بغت الامر اذا وقع فجاءة نصب على الحال وعلى المصدر لانها نوع من المجئ قالوا يا حسرتنا
يقال فهذا اوانك معناها التلهف والندم من حسرتك اذا كشفه لانها يكشف عن الحزن
الكامن على ما فرطنا فيها في الدنيا لسبق ذكرها او في الساعة اى في شانها والاعداد لها
والتفريط التقصير من فرطت القوم سبقتهم لانه لما فاته الامر كانه سبقه فلم يدركه وهم يحملون
اوزارهم على ظهورهم اى يقولون ذلك القول والحال ان ظهورهم مثقلة بالاوزار والاثام
واصل الوزر الثقل وذكر الظهر معه لكون الاثقال كثر ما تحمل على الظهر نحو قوله بما كسبت ايديكم
الا ساء ما يزرون وزرهم صدره بحرف التنبيه ايقاظا للسامع وما الحيوة الدنيا الا لعب ولهو
منحصرة في هاتين الرذيلتين اللعب ما يجلب به السرور واللهو ما يدفع به الهم وتقديم كل منهما على
الاخر من المقام والكلام متاع الذين يأكلون كما ياكل الانعام فلذلك قدم اللعب
وللدار الاخرة خير للذين يتقون خص المتقين بالذكر لانهم الفايزون بها وقرا ابن عامر
ولدار الاخرة بالاضافة افلا يعقلون بياء الغيبة اى المشركون وقرا نافع وابن عامر وحفص
عن عاصم بالخطاب تغليبا قد نعلم انه ليحزنك الذى يقولون قد للتحقيق مثل قد يعلم
المعوقين وما يقال انه للتكثير فيه ان علم الله لا يقبل الزيادة والنقصان والذى يقولون
هو قولهم ان هذا الا اساطير الاولين وامثاله فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بايات
الله يجحدون فان قلت كذب الحجة عدم مطابقته للواقع والتكذيب نسبة الخبر الى ذلك
وكانوا مطيعين على تكذيبهم فكيف نفى عنه قلت جعل تكذيبه تكذيب الله في اياته المنزلة
استعظاما وتسلية له والمنفى صدور التكذيب عنهم بالقلب وليس قصدهم تكذيبك لانك
موسوم عندهم بالصدق وانما يقصدون تكذيبي والجحود باياتي روى ابن جرير ان اخنس
بن شريق خلا بابي جهل يوم بدر وقال يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب
فانه ليس هنا غيرى وغيرك فقال والله لم يكذب محمد قط وانه لصادق ولكن اذا ذهب
بنو قصى باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فما لساير قريش ولقد كذبت رسل من قبلك من لم

بلى

يكن في رتبتك واوذوا بانواع من المحن فصبروا عليها حتى اتاهم نصرنا الموعود فانت
اولى بذلك ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده نحو قوله انا لننصر رسلنا ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبا المرسلين بعض اخبارهم
فيما انزل اليك واحطب علما بما كان لهم من النصر في العاقبة من التبعيضية فاعل
جاء وان كان كبر عليك اعراضهم عظم وشق اثره وان كان اعراضهم متحققا و
شاقا عليه ولالة على انه ما كان ينبغى منه ذلك بعد علمه بحال الرسل مع اممهم فان استطعت
ان تبتغى نفقا في الارض وسلما في السماء فتاتيهم باية جوابه محذوف لاتساق الذهن
اليه اى فافعل مع جوابه جواب للشرط الاول والمعنى قد علمت حال الرسل وما قاسوا
مع اممهم فعليك بالتاسى بهم وان عظم عليك ما تلقاه من اعراض قومك فان
قدرت على ان تطلب سربا ومنفذا في الارض او درجا ومصعدا في السماء فتاتيهم
باية تكون سبب تصديقك عليك ان تبادر اليهما وهذا الكلام مدح له صلى الله عليه
وسلم بشدة حرصه على ايمان قومه ووفور رافته والجار والمجرور في الموضعين صفة نفقا
وسلما او يتعلقان بتبتغى او حالان من مستكنه اى ذاهبا في الارض او صاعدا في السماء
ولو شاء الله لجمعهم على الهدى اى لو تعلقت مشية بهدايتهم وجمعهم عليها لجمعهم حذف
مفعول المشية لدلالة الجواب عليه فلا تكونن من الجاهلين ان الكل بمشية وهذا وامثاله
انما يقال له تعريضا بغيره وتثبيتا له في مواطن يضطرب فيه انما يستجيب الذين يسمعون
الاستجابة الاجابة على وفق ما دعى اليه ولا يتصور بدون السماع والموتى يبعثهم الله يحييهم
بقدرته والمعنى ان هولاء لكونهم مختوما على قلوبهم في حكم الموتى ولا قدرة لك على احياء
الموتى مثل قوله انك لا تسمع الموتى ان الله يسمع من يشاء وما انت بمسمع من في القبور
ثم اليه يرجعون فيسمعون او فيجازيهم بما يستحقونه وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه
قالوه عنادا او عدم اعتداد بساير المعجزات كما قال قوم هود يا هود ما جئتنا ببينة وتذكير
الفعل لان المؤنث غير حقيقى مع وجود الفاصلة قل ان الله قادر على ان ينزل اية
اقترحوها كقولهم لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقراه او اية تضطرهم على الايمان
كنتق الجبل على بنى اسرائيل ولكن اكثرهم لا يعلمون ان نزول الاية المقترحة تضر لهم
لانهم اذا عصوا بعدها استوصلوا او لا يعلمون قدرته على ذلك لجهلهم بالله وبصفاته وما من
دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه ليس شئ من هذين الجنسين الا امم امثالكم
محفوظة احوالها مقدرة ارزاقها واجالها وانما جمع الخبر وهو الامم مع كون المبتداء
مفردا حملا على المعنى لان قوله من دابة ولا طاير دال على الاستغراق مغن عن ان
يقال وما من دواب ولا طيور ومعنى وصف دابة لفى الارض وطاير يطير بجناحيه
القصد الى زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع
ولا طاير قط في جو السماء الا امم امثالكم ما فرطنا في الكتاب من شئ اى اللوح المحفوظ

فانه الديوان الذي يضبط امور الملك والملكوت وان لا يعزب عن علمه تعالى شيء اظهارا
للعظمة وجريا على اداب الملك والسلطنة والقصد من هذا الكلام اظهار كمال قدرته وعلمه
لياتون دليلا على جهلهم وانه لو كان نزول الاية من مصالحهم لانزلها ثم الى ربهم يحشرون
يعني الامم كلها ذكر الضمير تغليبا للعقلاء روى الامام احمد عن ابي ذر ان رسول الله راى شاتين
ينتطحان فقال ان الله سيقضي بينهما يوم القيمة وعن ابي هريرة يحشر كل ذي نفس لينصف
المظلوم من الظالم حتى ينصف الجماء من القرناء والذين كذبوا باياتنا صم لا يسمعون
ما نتلوه عليك من الايات والذكر الحكيم وبكم لا ينطقون بالحق في الظلمات مستغرقون
فيها لان احوال الدواب والطيور مشاهدة فمن لم يستدل بها على وحدانيته فهو غريق في
الظلمات وقيل ظلمة الجهل وظلمة العناد وظلمة التقليد من يشاء الله اضلاله يضلله ومن
يشا يجعله على صراط مستقيم مستعليا على الطريق القويم متمكنا تمكن الراكب من مركوبه غير
الاسلوب دلالة على عليه رحمته قل ارايتكم اي اخبروني لما كان العلم والمشاهدة سبب
الاخبار صح وضع كل منهما موضع طلب الاخبار والكاف حرف لا محل له من الاعراب
لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو كان للكاف محل لكان التقدير ارايت نفسك
زيدا ما شانه وفساده لايخ ان اتاكم عذاب الله في الدنيا او اتتكم الساعة من تدعونه
اغير الله تدعون تخصونه بالدعاء فيما دهاكم ان كنتم صادقين ان الاصنام الهة دون الله
جوابه محذوف اي فادعوها بل اياه تدعون عطف على اغير الله اضراب عنه اي لا تدعون
غيره لما تقرر في النفوس وركز في الاذهان انه لا يقدر على دفع ضر سواه فيكشف ما تدعون اليه
اي كشفه الفاء دل على ان كشفه لا يتراخى عن الدعاء لكمال قدرته ووفور رافته ان شاء
ذلك الكشف وقيده بالمشية ليدل على انه متفضل في ذلك وتنسون ما تشركون به من
الاباطيل وفيه توبيخ شديد لانها كانت معدة للشدائد ودفع الملمات ثم نسيت عندها
لاحقارتها ولقد ارسلنا الى امم من قبلك كاينة قبل زمانك من ابتدائية اذ لا يتشرع معها
تقدير الانتهاء نحو اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقيل زائدة وليس بمرضي لان الكلام موجب
فاخذناهم بالباساء والضراء الباساء الجوع والقحط والضراء البلاء والمرض اسمان مؤنثان
لا مذكر لهما لعلهم يتضرعون بدل عتوهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ظرف التخصيص للوم
على ترك التضرع لقيام الموجب وعدم الصارف ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان
ما كانوا يعملون استدراك بما يوجب شدة الانتقام منهم وهي قسوة القلب واتباعهم
لما سول لهم الشيطان وزينه فلما نسوا ما ذكروا من الباساء والضراء عدم ما تذكره لان العاقل
اذا ابتلي بشيء منهما توجه الى الله بشراشره وتخضع له فيصرف عنه كما حكاه عن يونس وايوب
عليهما السلام فتحنا عليهم ابواب كل شيء فتح الابواب كناية عن افاضة النعم وكثرتها
اي انعمنا عليهم انواعا من كل جنس وكذلك عادة الله في خلقه ان راوح عليهم بالسراء والضراء
امتحانا بالصبر والشكر قرا ابن عامر فتحنا بالتشديد حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم ولم يزيدوا

على الفرح

على الفرح والبطر من غير شكر ولا تصد لاعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون ايسون
من رحمة الله من ابلس اذا ايس ومنه ابليس للشيطان فقطع دابر القوم الذين ظلموا اي
اهلكناهم عن اخرهم لان الدابر هو الاتي في دبرهم واذا لم ينج هو فالغير من باب الاولى والحمد لله
رب العالمين على هلاكهم لان هلاك عدو الله وعدو المؤمنين لا نعمة فوقه وفي الحديث الكافر
اذا مات يستريح منه البلاد والعباد قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم اي اصمكم واعماكم
قدم السمع لانه الة تلقي الاوامر والنواهي من الرسل وختم على قلوبكم فلا تدركون شيئا و
تاخيرها لان صرف القوى واستعمالها مقدم على الادراكات ولذلك يقال من فقد حسا فقد
علما من اله غير الله ياتيكم به بالماخوذ لدلالة الفعل عليه او بالمذكور اي ليس غيره انظر كيف نصرف
الايات نكرر الدلايل الدالة على وحدانيتنا وصدقك باساليب مختلفة تارة في صورة الترغيب
والترهيب وتارة بالنقل وتارة بالعقل الاستفهام للتعجب ثم هم يصدفون يعرضون استبعاد
لان يعرض من له فهم عن مثلها قل ارايتكم ان اتيكم عذاب الله بغتة او جهرة ليلا او نهارا
او غير موقت بوقت معين كما خسف بقارون او موقتا كما اهلك قوم صالح فعقروها فقال
تمتعوا في داركم ثلثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فهل يهلك الا القوم الظالمون اي لا يهلك
به احد سوى الظالمين وانتم منهم اذ لا ظلم فوق الشرك وما نرسل المرسلين الا مبشرين من امن
ومنذرين من عصى وكفر فمن امن منهم واصلح وندم على ما كان منه من الكفر والعصيان
فلا خوف عليهم لان الايمان يجب ما قبله ولا هم يحزنون على فايت بما ارتكبوه قبل الايمان
افرد الضمير اولا وجمعه ثانيا نظرا الى لفظ من ومعناه والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب بما كانوا
يفسقون المس اللمس باليد اسناده الى العذاب لجعله كالطالب لهم كناية عن سرعة لحاقه
وايماء الى سعة رحمته لانه ينبئ عن الغلبة قل لا اقول لكم عندي خزاين الله جواب لقولهم لولا انزل
اليه ملك او يلقى اليه كنز والخزاين جمع خزانة وهي ما يحفظ فيها الاموال من خزنت السر
كتمت ولا اعلم الغيب جواب لقولهم متى هذا الوعد لما كان توعدهم بمجيء العذاب محله النصب
عطف على عندي خزاين الله ولا اقول لكم اني ملك اقدر على ما يقدر عليه الملائكة ان اتبع الا
ما يوحى الي ليس لي من الصفات الا اتباع الوحي الحصر اضافي يريد التبرء عن تلك الدعاوي
الباطلة واثبات ما هو نهاية كمالات البشر قل هل يستوي الاعمى والبصير اي لا يستويان
مثل في الضلال والمهتدي او الجاهل والعالم وتقديم الاعمى مع ان الملكات متقدمة على عدمها
لان الكلام مع المتصف بها افلا تتفكرون تاتون بالفكر الصحيح ليؤديكم الى التفرقة بين الحق
والباطل وانذر به بما يوحى اليك الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم من المؤمنين والكفار
فان من لا يعتقد الحشر لا وجه لانذاره ومشركوا العرب كان منهم من يعتقد الحشر ومنهم من
يقولون ما يهلكنا الا الدهر ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال او مستانف
لعلهم يتقون راجيا انت منهم التقوى او يرجى منهم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي يريدون وجهه روى مسلم عن سعد بن ابي وقاص كنا ستة نفر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم

انا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان نسيت اسميهما فقال المشركون اطرد هولاء لا يجترؤن علينا فوقع في نفس رسول الله عليه السلام ما شاء الله ان يقع فانزل الله تعالى ولا تطرد
الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي والوجه الذات والتقييد به للاشارة الى الاخلاص
وان العمل بدونه كلا عمل ما عليك من حسابهم من شئ وما من حسابك عليهم من شئ
كانوا يقولون ما تبعك يا محمد هولاء الا لفقرهم واحتياجهم فانه صلى الله عليه وسلم كان يوايهم
فرد الله تعالى مقالتهم بانه على تقدير صحة ما يقولون لست مواخذا بذلك فان حسابهم لا يتعداهم
اليك ولا حسابك يتعداك اليهم والكلام وان كان مسوقا لبيان حسابهم الا انه اردفه
بحسابه ليشبه في معنى قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى من الثانية زايدة لتوكيد معنى الاستغراق
والاولى ابتدائية والجار والمجرور حال من شئ قدم عليه لكونه نكرة وقيل الضمير للمشركين ويرده قوله
فتطردهم نصب لكونه جواب النفي فتكون من الظالمين جواب للنهي والمعنى لا تطردهم
فتدخل في زمرة الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا اهولاء من الله عليهم من بيننا
اي مثل ذلك الفتن الذي فتن به رؤسا قريش مع المومنين فتنا ساير الناس بعضهم
ببعض حتى كان ذلك سبب القول للمشركين هذا القول وذلك ان المشركين لقصور نظرهم
على حطام الدنيا كانوا يستبعدون وينكرون ان يكون الفقراء ممنونا عليهم بالتوفيق ونهم
ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه اليس الله باعلم بالشاكرين الاستفهام للانكار يفيد الاثبات
والمعنى الله اعلم بالشاكرين نعمة وقد اقتضت حكمته بان يكون الشاكر منعما عليه بالاسلام
واذا جاءك الذين يؤمنون باياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة امره باكرامهم
سلطان طردهم وصفهم بما يوجب ذلك وهو الايمان بايات الله واتباع حججه وان جشرهم
بان الله قد اعد لهم وراء هذا الاكرام من رحمته ما تقر به اعينهم وعبر عن ذلك بالكتابة
مبالغة في صدق الوعد وقيل ان قوما جاؤا الى رسول الله وقالوا انا قد اصبنا ذنوبا عظاما فلم يرد
عليهم شيئا فانصرفوا فنزلت انه من عمل منكم سوءا وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالفتح بدلا
من الرحمة بجهالة في موضع الحال اي جاهلا بقبحه وكونه مما يضره في الدين روى ابن عمر بن
الخطاب اشار الى رسول الله بطرد الفقراء عن مجلسه اذا حضره صناديد قريش او ملته فاعلا
فعل الجهلة من غير روية اذ الحكيم لا يرتكب شيئا الا بعد تامل ونظر في العاقبة ثم تاب من بعد
ذلك العمل السوء واصلح بالتدارك والعزم على ان لا يعود فانه غفور رحيم فتحه من فتح الاولى
سوى نافع وكذلك نفصل الايات اي مثل ذلك التفصيل الواضح تفصيل ايات القرآن
في احوال المجرمين والمطيعين وانه ذكر اهل الطبع بقوله والذين كذبوا باياتنا صم بكم في الظلمات
ومن فيه امارة القبول مومنا كان او كافرا بقوله وانذر به الذين يخافون ان يحشروا والمتقين
بقوله ولا تطرد الذين يدعون ولتستبين سبيل المجرمين وقرأ نافع بالياء ونصب سبيل اي
ليستوضح انت يا محمد سبيل المجرمين فتعامل كلا بما يليق به فصلنا ذلك التفصيل وقرأ ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر وحفص عن عاصم بالتاء الفوقانية من استبان بمعنى تبين المجيئه لازما

وستعديا

وستعديا والباقون بالياء لان السبيل يجوز فيه التذكير كالطريق اي ليتضح لك قل اني نهيت
نهاني الله قبل النبوة بما ركب في من العقل السالم عن معارضة الوهم وبعده بالايات الزاجرة
عن عبادة غيره ان اعبد الذين تدعون من دون الله ما تسمونها الهة الدعاء بمعنى العبادة
قل ما يعبا بكم ربي لولا دعاكم عبادتكم قل لا اتبع اهواءكم تصريح بما علم ضمنا قطعا لاطماعهم و
تعليل للانتهاء وبانه اتباع للاهواء قد ضللت اذا على تقدير وقوع ذلك ضلالا بينا وما انا من
المهتدين هعدوا من جملتهم في زمرتهم قل اني على بينة من ربي دليل مبين للمطلوب
يشمل الدلايل العقلية والنقلية من القرآن وغيرها وكذبتم به الضمير للرب او للبينة لانها في
معنى الدليل ما عندي ما تستعجلون به العذاب الذي كانوا يستعجلونه بقولهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وبقولهم متى هذا الوعد
مستبطئين نزول العذاب ان الحكم الا لله له الامر كله ان قدم العذاب او اخر ليس لاحد
عليه اعتراض يقص الحق اي القضاء او مفعول به اي يصنعه قال عليهما مسرودتان
قضاهما داود او صنع السوابغ تبع وقرأ نافع وابن كثير وعاصم يقص بالصاد من قص
اثره اذا اتبعه وهو خير الفاصلين الحاكمين قل لو ان عندي ما تستعجلون به من نزول العذاب
لقضي الامر بيني وبينكم لعاجلتكم بالعذاب انتقاما لله لا فرائكم عليه وازحت الهم عن قلبي
والله اعلم بالظالمين في معنى الاستدراك كانه قيل ولكن الامر بيده وهو اعلم بالظالمين ويجازيكم
على ظلمكم وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو شبه الغيب بالاشياء المستوثق بها بالاقفال
استعارة بالكناية واثبت لها المفاتح تخييلا جمع مفتح ومن عرف المفتاح وعرف كيف يفتح
به يوصل به الى ما في الخزانة والله تعالى هو المتفرد بالغيب لا يقدر على التوصل اليها احد الا من علمه
بمنزلة المفتاح ويجوز ان يكون جمع مفتح بفتح الميم وهي المخزن اي عنده خزاين الغيب
ليس لاحد وصول اليها يؤيده قوله وان من شئ الا عندنا خزاينه ويعلم ما في البر من
الغرايب والبحر من العجايب كيف وهو الذي ابدعها واودعها فيه وما تسقط من ورقة
الا يعلمها قبل سقوطها وقت سقوطها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس عطف
على ورقة بحسب المعنى الا في كتاب مبين بدل من الا يعلمها بدل الكل لان المراد به علمه
تعالى او بدل الاشتمال ان اريد به اللوح المحفوظ وقرئت الثلثة بالرفع عطف على محل من
ورقة او على الابتداء والخبر الا في كتاب وهو الذي يتوفيكم بالليل بالنوم الذي هو الموت
الاصغر والتوفي اخذ الشئ وافيا وكذلك النايم لا فرق بينه وبين الجماد ويعلم ما جرحتم
بالنهار كسبتم والمفهوم للكلام بل بنا على الغالب ثم يبعثكم فيه في النهار الذي بعد القضاء
الليل والنهار الاول هو السابق على الليل وانما قدم التوفي لكونه اعرب وادل على كمال
القدرة ليقضى اجل مسمى مدة مضروبة للمستيقظ فيصل الى اخرها ثم اليه مرجعكم بعد بعث
الموت ثم ينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليها والخطاب مع الكفار لقوله ثم انتم تشركون
ولذلك بسط الكلام والا فقوله وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو كان دالا على ما فصل

وهو القاهر فوق عباده الغالب المتعالي يتصرف فيهم كما يشاء ويرسل عليكم حفظة الكرام
الكاتبين الموكلين بحفظ اعمالكم والحكمة في ذلك ان الانسان اذا علم ان له مراقب
يضبط حركاته وسكناته ويواجه بها على رؤس الاشهاد ينزجر عن القبايح بخلاف ما اذا كان
الامر مفوضا على علم مولاه فانه كثيرا ما يعتمد على لطفه ولذلك ترى اكثر الناس يستحيون
من الناس ولا يستحيون من الله حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا ملك الموت
واعوانه قيل هم اربعة عشر سبعة من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب وهو الذي
يباشر قبض الروح فاذا قبضه فان كان مؤمنا سلمه الى ملائكة الرحمة وان كان كافرا
فالى ملائكة العذاب والارض بين يديه مثل الطست ولا يرفع بصره عنها فاذا حان اجل
واحد منهم خط اليه خط فيعلم بذلك ولم يعلم قبل ذلك الا علام الغيوب وهم لا يفرطون
لا يتجاوزون عن ذلك الوقت ولا يقدمون ثم ردوا الى الله بعد التوفي مولاهم الحق
سيدهم الحق لان ساير الموالي مجازيه وهذا الرد يحتمل ان يكون بعد الموت حين يفارق
الروح البدن لما روى مسلم ان الارواح تعرض على الله فيقول الله تعالى ردوها الى اخر الاجل
فيستقر ارواح المؤمنين في عليين وارواح الكفار في سجين او الحشر الى الله للجزاء الا له الحكم
لا لغيره صدره بحرف التنبيه ايقاظا للسامع وهو اسرع الحاسبين اذ لا يشغله شان عن
شان وفي الحديث يحاسب الخلق في مقدار حلب شاة قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر
كناية عن شدايدهما تدعونه جملة حالية تضرعا وخفية متذللين خافي الاصوات مما دهاكم
من الشدة قرا ابو بكر عن عاصم بكسر الخاء لئن انجيتنا من هذه الشدايد بتقدير القول اي
قائلين لنكونن من الشاكرين اللام الاولى موطئة والثانية جواب القسم قرا الكوفيون
انجانا بالصيغة الغيبة قل الله ينجيكم منها متعين للجواب لا يقدرون على خلافه شدده الكوفيون
وهشام عن ابن عامر ومن كل كرب غم سواها اذ لا مؤثر في الكون الا هو ثم انتم تشركون
قدم الضمير ليفيد التقوي في الحكم وتبرز الجملة في صورة الاسمية الدالة على الاستمرار زيادة في
التوبيخ حيث بدلوا الشكر على تلك النعمة بالشرك المستمر قل هو القادر على ان يبعث عليكم
عذابا من فوقكم بالطوفان والقذف بالحجارة والصيحة كما فعل بقوم نوح ولوط وهود
او من تحت ارجلكم بالخسف والاغراق والزلزال كما فعل بقارون وفرعون وقيل من
فوقكم من قبل كباركم ومن تحت ارجلكم من قبل سفلتكم او يلبسكم شيعا يخلطكم فرقا بان
يشرب في قلوبكم اهواء مختلفة قال شعر وكتيبة لبستها بكتيبة حتى اذا التبست نفضت لها يدي
ويذيق بعضكم بأس بعض شدته من القتل والنهب وعن خباب بن الارت رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي قلت يا رسول الله لقد رايتك تصلي صلاة ما رايتك
تصلي مثلها قال اجل انها صلوة رغبة ورهبة سالت ربي فيها ثلاثا فاعطاني اثنين وزوى
عني واحدة سالته ان لا يسلط على امتي عدوا من غيرهم فاعطاني وسالته ان لا ياخذهم بالسنة
فاعطاني وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني انظر كيف نصرف الايات بالوعد والوعيد

والام

والامر والنهي والانجاء والاهلاك وتصريف الليل والنهار لعلهم يفقهون لكي يفهموا
وفيه انهم من الجهل والبلادة بمكان وكذب به قومك اي بالقران وهو الحق
الكاين الذي لا محالة عنه والحق والصدق متحدان ذاتا وان اختلفا اعتبارا قل
لست عليكم بوكيل بمسلط عليكم املك التصرف فيكم حتى اجبركم على التصديق لكل
نبأ مستقر لكل خبر اخبر الله به وقت قرار ووقوع لا يتخطاه وسوف تعلمون ذلك اذا
وقع واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا كان المشركون اذا سمعوا القران كذبوه
واستهزؤا به نهي عن مجالستهم في ذلك الوقت الخطاب له والمراد هو وامته فاعرض
عنهم ولا تجالسهم حتى يخوضوا في حديث غيره ذكر الضمير لكون الايات عبارة عن
القران واما ينسينك الشيطان اسناد مجازي لكونه بوسوسته وقرا ابن عامر [illegible]
مشددا وهو ابلغ فلا تقعد بعد الذكرى اي بعد تذكرك النهي مع القوم الظالمين
اثر الظاهر موضع المضمر اشارة الى انهم ظالمون بذلك الخوض وما على الذين يتقون
من حسابهم من شيء اذا جالسوهم حين خوضهم جعل نفي الحساب دليلا على نفي الاثم
ولكن ذكرى لكن عليهم ان يذكروهم ذكرى ويعرفوهم قبح صنيعهم [illegible] وذلك امر
بالمعروف يؤجرون عليه نصب على المصدر او رفع على الابتداء ولا يجوز عطفه على محل من
شيء لفساد المعنى ولا على لفظه لان من لا تزاد في الاثبات ومنع زيادة من ههنا
وتجويزه في قوله ولقد ارسلنا رسلا من قبلك تحكم لعلهم يتقون الخوض وتنفعهم الذكرى
ويجوز ان يكون الضمير للمتقين اي لعل المتقين يستمرون على تقواهم اذا نهوا المشركين
عن ذلك المنكر نزلت حين قال المسلمون لئن كنا نقوم كلما خاض المشركون في
القران لم نقدر على طواف ولا صلوة وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا لم يكن للمشركين
دين وانما اضاف الدين اليهم بمعنى انهم اتخذوا الدين الواجب الحق شيئا من جنس اللعب
واللهو وهو عبادة الاصنام او اتخذوا ما يتدينون به ويجعلونه بمنزلة الدين من الاديان
شيئا من اللعب واللهو او اتخذوا دين الاسلام الذي هو دينهم الذي كلفوا به لعبا ولهوا
يسخرون به وقيل لكل قوم عيد اتخذوه لعبا ولهوا الا المسلمين فان عيدهم الصلوة
والصدقة والتكبير وغرتهم الحيوة الدنيا فلم ينظروا الى امر الاخرة وذكر به اي بالقران ان
تبسل نفس بما كسبت مخافة ان تسلم الى الهلاك اصله المنع ومنه شجاع باسل لامتناعه
من قرنه بقوته ليس لها من دون الله ولي بالدفع عنها العذاب بقوته ولا شفيع
يستوهب ذنوبها بشفاعته الجملة صفة نفس او حال من فاعل كسبت وان تعدل كل
عدل وان تفد كل فداء العدل يطلق على الفدية كما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل
والمراد هنا الفداء لكونه مفعولا مطلقا لا يؤخذ منها الفعل مسند الى الجار والمجرور ولا يجوز
اسناده الى ضمير المصدر لان الاخذ لا يقع على المصدر بل على المفدى به كذا قيل والحق
انه مسند الى ضمير العدل لانه مفعول به كما في قوله لا يؤخذ منها عدل وفي قوله تعالى ان

الذين كفروا وان لهم ما في الارض جميعا لافتدوا به دلالة صريحة على ما اشرناه وانما الذي
لا يسند اليه هو مصدر الفعل لانه للتوكيد ولا يسند اليه والى ضميره الا اذا كان للنوع
او المرة اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا اي المتخذون دينهم لعبا ولهوا اسلموا الى
العذاب والهلاك بسبب كسبهم تلك الجرايم لهم شراب من حميم وعذاب اليم
استيناف لتفصيل ذلك الابسال او حال من ضمير ابسلوا مبين لطريقته بما كانوا
يكفرون بما استمروا على الكفر قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا نزلت في ابي بكر
الصديق رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمان الى عبادة الاوثان قبل اسلامه
والمعنى انعبد ما لا نفع فيه ولا ضر متجاوزين عن عبادته تعالى ونرد على اعقابنا راجعين
الى الشرك بعد اذ هدانا الله الى الاسلام اي لا يكون ذلك كالذي استهوته الشياطين
في الارض استهامته مردة الجن في مهامه الارض لا يدري مرامه من هوى يهوي بالكسر
اذا سقط من الاعلى الى الاسفل ومحل الكاف النصب على الحال من ضمير نرد اي مشبهين
حيران متحير اله اصحاب لهذا الذي استهوته الشياطين حال اخرى يدعونه الى الهدى
الى ان يهدوه او الى الطريق المستقيم تسمية بالمصدر مبالغة ائتنا قائلين له المختار رحمة
عليه وتعطفا قل ان هدى الله وهو الاسلام او الهداية اليه هو الهدى لا غيره ومن يبتغ
غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وامرنا لنسلم لرب العالمين عطف على محل ان
هدى الله داخل تحت القول واللام فيه للتعليل تقديره امرنا بان نسلم للاسلام لا لغرض
اخر وقيل اللام فيه بمعنى الباء وقيل زائدة وان اقيموا الصلوة واتقوه عطف على لنسلم
اي للاسلام ولاقامة الصلوة وانما امر رسول الله بان يقول هذا الكلام مع ان الاية نزلت
في ابي بكر اشارة الى غاية الاتحاد بينهما وان كلا منهما يقوم مقام الاخر وانه لو اجاب لكان
جوابه ما اجاب به رسول الله وفيه من تعظيم الصديق ما لا يخفى وهو الذي اليه تحشرون
لا الى غيره فيجازيكم على وفق اعمالكم وهو الذي خلق السموات والارض بالحق اي
خلقا ملتبسا بالحق لا بالباطل واللعب كقوله وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين
وقوله ربنا ما خلقت هذا باطلا والمعنى انا خلقناهما ليتدبروا في شانهما ويستدلوا بذلك
على كمال قدرة مبدعهما وعلى وحدانيته وتفرده بالالوهية ويوم يقول كن فيكون قوله الحق
قوله مبتدا والحق صفته ويوم يقول خبره مثل قولك القتال يوم الجمعة والمعنى قوله الحق
كاين حين يقول لشيء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء فيكون برهانا على قوله وهو
الذي خلق السموات والارض بالحق لدخول كينونتهما تحت هذا العموم ويجوز ان يراد
بالقول القول المقضي فالظرف يتعلق بمقدر اي يقوم بالحق حين يقول المقضية
كن لعدم جواز الاخبار بالظرف حينئذ وله الملك مبتدا وخبر يوم ينفخ في الصور ظرف له
والمعنى لا ملك في ذلك اليوم لا حقيقة ولا مجازا الا له تعالى والصور قرن فيه ارواح الخلايق
فاذا كان وقت البعث نفخ فيه اسرافيل فطار كل روح الى جسده وعن الكلبي لا ادري معنى

الصور

الصور وقيل جمع صورة كبسر وبسرة والمعنى ينفخ الارواح في الصور اي الاجساد عالم
الغيب والشهادة رفع على المدح او خبر مبتدا وهو الحكيم في كل صنع الخبير ببواطن الاشياء
واحوالها فذلكة الاية لان من يكون له ذلك الابداع لا يكون الا كذلك واذ قال ابراهيم
لابيه آزر كان المشركون يزعمون انهم على ملة ابراهيم ويدعون الاستغناء بذلك عن
ساير الاديان فلما بقي عليهم عبادة الاصنام كذبهم في دعواهم الانتساب الى ملته فانه قدوة
الموحدين واول من كسر الاصنام وآزر عطف بيان لابيه واتفق المورخون على ان اسم ابيه
تارخ فقيل هما علمان له كاسرائيل ويعقوب وقيل آزر لقب له ومعناه الشيخ او المعوج
وقيل اسم صنم والمضاف مقدر وقيل نصب بفعل يفسره ما بعده اي تعبد آزر وقرئ بالرفع
على النداء اتتخذ اصناما آلهة اتى بصيغة الجمع مبالغة في تجهيله حيث لم يرض باله اخر من
دون الله اني اراك وقومك في ضلال مبين ظاهر لان ما لا يسمع ولا يبصر بينه وبين
الالوهية بون بعيد وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض كما وفقناه لاطلاعه
على ضلال قومه شرحنا صدره بالمعارف والملكوت من الملك كالرهبوت من الرهبة
وايثار المضارع حكاية عن الماضي وتصوير له وليكون من الموقنين فعلنا ذلك او
ليستدل وليكون فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي عطف على قال ابراهيم
وكذلك نري جملة معترضة او تفصيل وبيان لرؤية الملكوت كان ابوه وقومه يعبدون
الاصنام والكواكب فاراد ان يوقظهم من غفلتهم ويرشدهم الى طريق الاستدلال ويعرفهم
ان النظر الصحيح يابى ان يكون شيء منها الها لظهور امارة الحدوث منها وقيل قال هذا
الكلام اول اوان بلوغه يقال جنه ستره وجن عليه اظلم فلما افل قال لا احب الافلين
الا فل الغروب ومن عدم محبته يلزم عدم العبادة بالطريق الاولى فلما راى القمر بازغا
طالعا ابتدا البزوغ جاء اوله قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن
من القوم الضالين استعان به في درك الحق لما التبس عليه الامر وكثرت الشبه
او اراد تنبيه قومه بانهم على الضلال ان لم يوفقهم الله واخبر عن نفسه اظهار اللنصفة فلما
راى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر لان عظم الاله مركوز في النفوس او قاله اظهار
الشبهة الخصم وانما ذكر اسم الاشارة مع ان المشار اليه مونث باعتبار الخبر وفيه صيانة
الرب عن لفظ المونث فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون من الاجرام متغيرة
متبدلة من حال الى حال وذلك دليل الحدوث مناف للالوهية واستدل بالافول دون
البزوغ مع ان كلا منهما امارة الحدوث لان بالبزوغ يظهر سلطان الكواكب وكماله ولذلك
تسجد عبدة الشمس حين طلوعه وبالافول ينعدم اثره فهو ابهر في الدلالة ولتعدد دلالته لكونه
مسبوقا بالبزوغ وقيل لانه راى الكوكب الذي كانوا يعبدونه في وسط السماء حين حاول
الاستدلال ولا يطرد في القمر والشمس لذكر البزوغ فيهما مع ان اللفظ يابى ذلك التوجيه تنكير الكوكب
اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين لما ابطل شبهة قومه

العلوية لانها صه

وادى ما عليه من النصح وصرح بالبراءة من تلك الشركاء صرف كلمته الى من فطر السموات
السابقة فى الوجود على تلك الكواكب وتبرأ عن الاشراك رأسا بعد تبرؤه عما يشركون وحاجه قومه
خاصموه فى التوحيد ونفى الشركاء كما قال مشركوا العرب لرسول الله اجعل الآلهة الها واحدا
ان هذا الشئ عجاب قال اتحاجونى فى الله انكر المحاجة فى وحدانيته ففى كل شئ له آية
تدل على انه واحد قرأ نافع وابن عامر بتخفيف النون وقد هدانى الله الى توحيده ولا اخاف
ما تشركون به كانوا خوفوه بان آلهتهم ستصيبه بمكروه الا ان يشاء ربى شيئا الا وقت مشيته
ان يصيبنى بمكروه منها فحينئذ اخاف وسع ربى كل شئ علما لعل ان يكون تعلق علمه
بان يصل الى منها مكروه او ان علمه محيط بكل شئ فهو عالم بانى لا اخاف ما اشركتم به
فان الخوف فعل القلب لا يطلع عليه غيره تعالى افلا تتذكرون وكيف اخاف ما اشركتم
معناه استبعاد لانها لا تضر ولا تنفع ولا تخافون انكم اشركتم بالله بمن بيده الضر والنفع
اى ما لكم تنكرون على الامن فى موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن فى موضع الخوف
ما لم ينزل به عليكم سلطانا دليلا قاطعا لا يجوز مخالفته فان حسن الاشياء وقبحها منه تعالى
فاى الفريقين احق بالامن اذا تأملتم كلامى فاى واحد احق بالامن منى ومنكم نظير قوله
صلى الله عليه وسلم للمشركين وانا او اياكم لعلى هدى او فى ضلال مبين هذا النوع من الكلام
يسمى كلام المنصف وانما عدل الى الفريقين ولم يقل انا وانتم تحاشيا من تزكية النفس
ان كنتم تعلمون ما يجب ان يخاف الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن
وهم مهتدون يجوز ان يكون جوابا منه او من الله تعالى واللبس هو الخلط والظلم هو الشرك
روى البخارى لما نزلت شق على المسلمين فقالوا واينا لم يظلم يا رسول الله فقال ليس ما
تظنونه بل هو الشرك قال لقمان لابنه ان الشرك لظلم عظيم فالتنوين فى بظلم للتعظيم ومعنى
لبس الايمان بالكفر تغطيته به وستره ولذلك يسمى ما يستر الانسان لباسا ولو اجرى الظلم
على عمومه لم يلزم منه تعذيب العصاة غايته ان لا يكون لهم الامن وتلك حجتنا آتيناها
ابراهيم على قومه اى ما استدل به ابراهيم من تلك الدلايل انما علمه بهدايتنا لانه اسعفان
بنا حيث قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين والجار فى قوله على قومه
متعلق بحجتنا سواء جعلته خبر تلك او بدلا منه نرفع درجات من نشاء بالعلم والمعارف
قرأه الكوفيون بالتنوين ونصب درجات على المصدر او التميز وهو ابلغ ان ربك حكيم
فى افعاله عليم بحال من يستحق الرفع والخفض ووهبنا له اسحق ولدا من صلبه ويعقوب
نافلة فان الذرية الصالحة من النعم الجزيلة كلا هدينا كلا منهما مفعول هدينا ونوحا
هدينا من قبل اى من قبل ابراهيم عده نعمة على ابراهيم لان شرف الآباء يسرى الى
الابناء ومن ذريته الضمير لنوح لان لوطا ويونس ليسا من ذرية ابراهيم وقيل الضمير
لابراهيم والمذكورون من ذريته تغليبا ولعل هذا هو الراجح لان سوق الكلام له بانه لما
قرر حجة التوحيد وذب عنها اكرمه الله تعالى برفع الدرجات وجعل مشاهير الانبياء

من ذريته

من ذريته داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون معطوفات على
نوحا وكذلك نجزى المحسنين كما جزينا ابراهيم بانواع من الكرامات وزكريا ويحيى
وعيسى والياس كل من الصالحين الكاملين فى الصلاح واسمعيل واليسع وقرأ حمزة
والكسائى والليسع بتشديد اللام وسكون الياء على انه اعجمى دخلته اللام ويونس بن متى
ولوطا بن هان بن هاران وكلا فضلنا على العالمين بالنبوة ويدخل فى العالمين
الملائكة ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم عطف على كلا ومن للتبعيض اى فضلنا كل
الانبياء وبعض آبائهم وذرياتهم واخوانهم وعلم من ذكر عيسى فى الذرية اطلاقها على اولاد
البنات فالحسن والحسين من ذرية رسول الله واجتبيناهم عطف على فضلنا او هدينا
وهديناهم الى صراط مستقيم كرره لبيان ما هدوا اليه ذلك هدى الله اشارة الى ما دانوا
به يهدى به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون اى لو اشرك هؤلاء
الانبياء الكمل مع علو شانهم لحبط عملهم كما يحبط عمل ساير الناس فان الله غنى عن
العالمين وهذا امر فرضى ولذلك اثر لو الدالة على استحالة وقوع الشرط اولئك الذين
آتيناهم الكتاب جنس الكتاب والحكم الامر والقضاء على الناس والنبوة ذكرها بعد
ايتاء الكتاب دفعا للتجوز فان الكتاب يضاف الى الامة لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم
فان يكفر بها بالتوحيد او بالثلثة المذكورة هؤلاء كفار مكة فقد وكلنا بها قوما هم الانبياء
المذكورون وقيل هم اصحاب رسول الله وكل من آمن به وقيل الملائكة وادعى الانصار
انها لهم وقيل هم الفرس قاله مجاهد ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام
بحقوقها ليسوا بها بكافرين الباء الاولى صلة كافرين والثانية توكيد النفى اولئك الذين
هدى الله اى الانبياء المذكورون فبهداهم اقتده لا بغيرها المراد بها الالهيات واصول
الدين التى لا تتبدل تتبدل الملل لقوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا فلا دليل فى الاية
على انه عليه السلام كان متعبدا بشرع من قبله وقرأ حمزة والكسائى بحذف الهاء وابن عامر
بكسر الهاء على انها كناية المصدر والباقون بسكونها اجراء للوصل مجرى الوقف واتفق الكل
على السكون فى الوقف قل لا اسئلكم عليه على التبليغ اجرا حتى تتهمونى بذلك ان هو
اى ما التبليغ الا ذكرى للعالمين الا تذكرة وموعظة لكل من يعقل من الثقلين وما قدروا الله
حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شئ لما ذكر رؤساء الانبياء واتفاقهم فى الملة واصل
الدين شنع على من انكر النبوة رأسا بانه جاهل بالله وبصفاته فان ارحم الراحمين كيف يترك
عباده فى ظلمة الجهل من غير ارسال رسول يبصرهم طريق الوصول اليه تعالى ولم يعرفوا ايضا شدة عذابه
وقوة بطشه ولذلك اقدموا على هذا القول روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا اليهود الى الله
وكان مالك بن الصيف من احبار اليهود حاضرا فشرع يدافع كلام رسول الله جهلا وعنادا
فقال له رسول الله انشدك بالذى انزل التورية على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين
فانت الحبر السمين قد سمنت مما اطعمك اليهود وضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر بن

الخطاب وقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال قومه ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال
انه اغضبني فقلت ما بلغكم فنزعوه عن الحبورة وولوا كعب بن الاشرف وقيل نزلت
في مشركي مكة لان السورة مكية ويرده قوله تجعلونه قراطيس لانه صفة اليهود قل من انزل الكتاب
الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا الزام لليهود
بما لا يقدرون على انكاره وادرج فيه ما هو نهاية في التقريع بان الكلام المنزل على موسى جملة
جعلوه بحسب اغراضهم اوراقا متفرقة يظهرون بعضه الذي يوافق غرضهم الفاسد ويخفون
الذي لا يلائمهم وقرا ابن كثير وابو عمرو الافعال الثلثة بالغيبة والخطاب ابلغ توبيخا
وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم زيادة على ما في التورية من المعارف والحكم الذي خص بها
القران الكريم ان كان المراد بالاية اليهود وان كان المشركين فالامر ظاهر فانهم ما انذروا
ولا اباؤهم قل الله متعين للجواب لا يمكن سواه ثم ذرهم في خوضهم يلعبون دعهم في اباطيلهم
لاعبين فلا عليك بعد ذلك التبليغ منسوخة باية السيف ويلعبون حال من المنصوب
في ذرهم او من المجرور في خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة
له او لذرهم وهذا كتاب انزلناه مبارك المشار اليه هو القران والمبارك من البركة وهي
النماء والزيادة في الرد عليهم بانزال التورية امر رسول الله بالجواب وفي انزال القران اجاب
بنفسه مسندا الانزال الى ضمير الجمع الدال على عظم المنزل اجلالا للقران مصدق الذي بين
يديه من الكتب السماوية فلا وجه لانكاره لا سيما ممن يكون من اهل الكتاب ولتنذر
ام القرى عطف على ما دل عليه وصف الكتاب لان المعنى انزلناه للبركات والتصديقات
والانذار وقراه بالغيبة ابو بكر عن عاصم والخطاب احسن لان رسول الله هو المنذر حقيقة وام
القرى مكة لانها مكان اول بيت وضع للناس او لان الارض دحيت من تحتها او لان
الناس يرجعون اليها في المواسم او لعظم شانها وكونها قبلة ساير القرى ومن حولها
من جميع الجوانب الى انقطاع الارض والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلوتهم
يحافظون لان من ايقن بالاخرة وما فيها من الثواب والعقاب هو الذي يتامل في
القران ويتدبره ويبعثه ذلك على الايمان به رجاء لذلك الثواب وخوفا من ذلك العقاب
وانما وصفهم بمحافظة الصلوة لانها عماد الدين لتكررها واشتمالها على شرايط كثيرة ولذلك
وصفها بانها كبيرة الا على الخاشعين ولان الاتي بها لا يخل بغيرها في الاغلب ولذلك وصفها
بانها تنهى عن الفحشاء والمنكر ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم منه وهو الذي
يدعي الرسالة لنفسه افتراء على الله مثل مسيلمة الكذاب والاسود العنسي او قال اوحي الي
ولم يوح اليه شيء كعبد الله بن سعد بن سرح كان يكتب لرسول الله الوحي فلما نزل اول قد افلح
المؤمنون القاه اليه رسول الله حتى بلغ خلق الانسان وتقلبه في اطواره من النطفة الى
العلقة ثم الى المضغة ثم الى كسوة العظام لحما ثم الى انشاء خلق اخر وكان عربيا بليغا قال
فتبارك الله احسن الخالقين فقال له رسول الله اكتب كذا نزل فقال ان كان محمد صادقا فقد

نزل

نزل علي الوحي كما نزل اليه فارتد ثم عاد الى الاسلام واكثر بلاد المغرب فتحت على يديه في
زمن عثمان وقيل كان يكتب في موضع عليم حكيم عزيز حكيم وفي موضع سميع عليم غفور
رحيم وهذا باطل اذ لو وقع منه ذلك مرة لنبه عليه رسول الله لقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا
له لحافظون ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هو النضر بن الحارث القائل لو نشاء
لقلنا مثل هذا ولو ترى اذ الظالمون المذكورون في غمرات الموت شدائده وهي سكراته
من غمرة الماء اذا ستره والملائكة باسطوا ايديهم كناية عن غاية التسلط فان الغريم
اذا بالغ في التقاضي بسط يديه جاذبا باطراف صاحبه اخرجوا انفسكم قائلين لهم هذا القول
تغليظا عليهم والجاءا لاسماعهم ليكامل عليهم العذاب من جميع الحواس او اخرجوها
من ايدينا ان كان لكم قدرة وقد علموا ان لا قدرة لهم فهو من النمط الاول اليوم تجزون
عذاب الهون من تتمة المقول والمراد به يوم الموت او الوقت الممتد من الموت
الى ما لا يتناهى والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه من قبيل رجل سوء
يفيد العراقة في الهوان بما كنتم تقولون على الله غير الحق من انزال الوحي ودعوة النبوة
واثبات الشريك والولد له تعالى وكنتم عن اياته تستكبرون ترفعون انفسكم عن التدبر
فيها فلا تؤمنون بها ولقد جئتمونا فرادى منفردين عن الاموال والاولاد والطواغيت
التي كنتم تعبدونها جمع فرد على خلاف القياس كانه لما كان بمعنى الفردان على وزن
السكران جمع جمعه كما خلقناكم اول مرة بدل من فرادى او حال ثانية او صفة مصدر جئتمونا
وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم من متاع الدنيا من خوله الشيء اذا ملكه وراء ظهوركم
ولم تقدموا منه شيئا اليوم تشتد اليه الحاجة وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء
اي شركاء الله في عبادتكم لانهم مشاركون له في الربوبية لقد تقطع بينكم قراه بالرفع نافع و
ابن عامر وحمزه وابو بكر عن عاصم والمعنى انصرم الوصل الذي كان بينكم والباقون بالنصب
والفعل مسند الى ضمير المصدر اي وقع التقطع وهذا في بناء الفاعل نظير قوله وحيل بينهم وبين
ما يشتهون في بناء المفعول او يقدر الامر اي تقطع الامر بينكم يؤيده قراءة من قرا لقد تقطع
ما بينكم والبين من الاضداد وضل عنكم ما كنتم تزعمون من الاشراك والشفاعة ان الله
فالق الحب والنوى برهان على التوحيد بعد ابطال الاشراك والفلق لغة الشق والمعنى
شاق الحب والنوى باخراج النجم والشجر منهما وعن مجاهد المراد شق الحب والنواة والوجه
ما تقدم يخرج الحي من الميت اراد النجم والشجر النابتين او المؤمن من الكافر والعالم
من الجاهل وهذا ابعد معنى والاول اوفق للمقام الميت من الحي كالحب من ونخرج صح
النبات والبيض من الطير او الكافر والجاهل من المؤمن والعالم وانما اثر اسم الفاعل
عطف على فالق الحب لان قوله يخرج الحي من الميت بيان على الوجه الاول واستيناف
على الثاني عبر عنه بالمضارع استحضارا لتلك الصورة لانه ابدع واغرب ذلكم الله المحيي
المميت هو الحقيق بالمعبودية فانى تؤفكون تصرفون عنه استفهام توبيخ وتعجب فالق

الاصباح شاق ظلمة الليل عن بياض الصبح وهو غلس اخر الليل كقوله تعزى ليل عن
بياض نهارا وشاق عمود الصبح عن ظلمة الليل او عن بياض النهار والاصباح مصدر سمى به
الصبح وقرئ بالفتح على صيغة الجمع وجاعل الليل سكنا يسكن اليه ويطمان ولذلك
سميت المرأة والنار سكنا او مايسكن فيه لقوله وهو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه وانتصابه
بجاعل لكونه بمعنى الاستمرار الشامل للازمنة فبالنظر الى الحال والاستقبال اضافته غير حقيقية
فيعمل وبالنظر الى الماضي حقيقية فلوحظ في مالك يوم الدين وفاطر السموات جانب الماضي
ولذلك وصف بهما المعرفة وهنا جانب الحال والاستقبال ولذلك عمل الاسم فلا حاجة
الى تقدير فعل ناصب له والشمس والقمر حسبانا عطف على محل الليل لانتصابه بجاعل او على لفظه
في قراءة الكوفيين جعل بصيغة الماضي والحسبان بضم الحاء مصدر حسب يحسب كنصر ينصر
معناه العد والاحصاء ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حساب لان الاوقات
تضبط بدورهما والحسبان بالكسر مصدر حسب يحسب كعلم يعلم معناه الظن والتخمين ومايقال
ان كلا منهما بمعنى الظن سهو ذلك تقدير العزيز اى ذلك الجعل او المذكور من الفلق
والجعل تقدير الغالب القهار الذي سخر الاشياء العليم الكامل العلم ناظ بكل شئ سخره
مايليق به من المصالح والمنافع وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر
في ظلمات الليل الاضافة الى البر والبحر لادنى ملابسة او الظلمات استعارة مشتبهات الطرق
اللام الاولى للتخصيص والثانية للعلة قد فصلنا الايات الدلايل الدالة على الوحدانية لقوم
يعلمون لانهم الذين يفهمون الدلايل وهو الذي انشأكم من نفس واحدة يريد ادم فانه
الاصل والمنشأ بواسطة وبغير واسطة فمستقر ومستودع لكم استقرار في اصلاب الاباء او فوق
الارض او مكانه واستيداع في الارحام او تحت الارض او مكانه وقرأ ابن كثير وابو عمرو بكسر القاف
اى فمنكم مستقر ومنكم مستودع على ان الاول اسم فاعل والثاني اسم مفعول قد فصلنا الايات
لقوم يفقهون انما ختم الدليل الاول بالعلم وهذا بالفقه لان انشاء ذرية ادم منه ادق
مسلكا من جعل النجوم اسبابا للاهتداء والفقه يدل على كمال الفطنة ودقة النظر وهو الذي
انزل من السماء ماء من السحاب او من جهة العلو فان ماعلاك سماء فاخرجنا به نبات كل شئ
من اصناف ماينبت فالسبب واحد والمسببات مختلفة كقوله تعالى يسقى بماء واحد ونفضل
بعضها على بعض في الاكل دليل على كمال علمه وتفرده بالايجاد ولذلك اسنده الى ضمير المتكلم
ملتفتا اليه من اسلوب الغيبة فاخرجنا منه خضرا اغصانا طريا مع يبس الحبة المخرج منها يقال
اخضر وخضر مثل اعور وعور نخرج منه حبا متراكبا بعضه فوق بعض كما يشاهد في السنابل ومن
النخل من طلعها قنوان جمع قنو وهو من النخل بمنزلة العنقود من الكرم ويسمى العذق
بكسر العين والذال المعجمة قنوان مبتدأ ومن النخل خبره ومن طلعها بدل البعض ويجوز ان
يقدر الخبر فعلا خاصا لدلالة اخرجنا عليه اى ويخرج من النخل دانية قريبة بعضها من بعض
لقوة الشجر بكثرة حمله او قريبة للمتناول فان النخل يثمر وهو قصير القامة وقد شاهدنا منه مايكون

اعذاقه

اعذاقه على الارض وانما اقتصر على وصف الدنو وان كان منه مايكون عاليا لكونه ادخل في
كونه نعمة وقيل اكتفى باحد الضدين لدلالته على الاخر كقوله سرابيل تقيكم الحر وجنات من اعناب
عطف على نبات كل شئ وقرئ بالرفع اى وثم جنات من اعناب او ولكم جنات من
اعناب او وجنات عطف على قنوان ومن اعناب على من النخل عطف المفرد على المفرد
كقول الشاعر عندي اصطبار وشكوى عند قاتلتي ولا يلزم ان يكون العنب خارجا من
النخل والزيتون والرمان عطف على انما كان من عطف المفرد لان شكوى نكرة
انما صح وقوعها مبتدأ اما للعطف على اصطبار لتخصصه بتقدم الظرف عليه بنات اليهما
والاحسن النصب على الاختصاص لكونهما اشرف الثمار مشتبها وغير متشابه حال من
الجميع او من الرمان اى بعض الثمار متشابه في اللون والطعم وبعضه غير متشابه يقال
اشتبه وتشابه بمعنى انظروا الى ثمره اذا اثمر حين يبدو الحشفا لا طعم ولا لون يعتد به
وينعه وحين نضجه مصدر مضاف الى الفاعل من ينع الثمر اذا استوى وصلح فانه يصير ذا
لون وطعم معجب وقيل جمع يانع كتجر وتاجر فان ذلك الانقلاب دليل على تاثير حكيم
الصانع وقرأ حمزة والكسائي ثمره بضمتين على صيغة الجمع ان في ذلكم لايات لقوم يؤمنون
فانهم المتأملون في دقايق صنايعه المستدلون بالاثار على وجود المؤثر وبانتظامها على
احسن الانتظام على تفرده بذلك وجعلوا لله شركاء الجن عطف قصة على اخرى والجن
الملائكة لاجتنانها وعبر به عنها تحقيرا وتبعيدا لها عن رتبة الالوهية لانها محققة ولا يعين
ولا اثر او الشياطين لان الكفار اطاعوهم وعبدوا الاوثان بتسويلهم او اعتقدوا ان الله
خالق الخير والشيطان خالق الشر كما يقوله الثنوية جعل بمعنى صير ومفعولاه لله شركاء الجن
بدل من شركاء ولا يشترط استقامة المعنى لان المبدل ليس في حكم التنحية من كل وجه وشركاء
الجن مفعولاه وقدم المفعول الثاني استعظاما للشريك ولذلك قدم على شركاء وخلقهم
والحال انهم عالمون بان من جاعلوه شريكا له مخلوق من مخلوقاته زيادة توبيخ وان
ذلك العلم لا ثمرة له وقرئ وخلقهم مصدر بمعنى المفعول عطفا على شركاء اى وجعلوا له اختلاقهم
حيث قالوا والله امرنا بها وخرقوا من الخرق وهو الشق كانهم شقوا العدم واخرجوا منه
وقرأ نافع خرقوا مشددا للمبالغة له بنين وبنات قالت اليهود عزير ابن الله وقالت
النصارى المسيح ابن الله وبعض مشركي العرب الملائكة بنات الله بغير علم تصريح بما علم
ضمنا في محل الحال من الفاعل اى جاهلين او مصدر اى خرقا بغير علم سبحانه وتعالى عما
يصفون اى انزه الموصوف عما وصفوه به وتعالى عن تلك الاوصاف وعلوا قهارا به
بديع السموات والارض تقرير لتعاليه عن تلك الصفات بانبات مايضادها وان
السموات والارض التي هي من مخلوقاته بديعة عديمة النظير فكيف يكون له ولد اذ لو كان له
ولد لكان نظيرا له او هو بديع في السموات والارض لانظير له او هو مبدع السموات والارض
من العدم فلا حاجة له الى الولد ليكون له ظهيرا انى يكون له ولد استبعاد لان يكون له ولد

آخره
فهل اعجب من هذا امر سمعا

ولم يكن له صاحبة يتولد منها الولد وهم يعترفون بذلك وهذا توبيخ وتجهيل لمن تثبت
له الولد مع اعترافه بان لا صاحبة له وخلق كل شيء والولد شيء لا محالة وما كان مخلوقا
له لا يكون ولدا لانه ملك وهو ينافي النبوة وهو بكل شيء عليم اي كما تفرد بخلق الاشياء
فكذلك تفرد بالعلم الكامل الشامل فانسدت انحاء الاحتياج الى الولد وقيل لان الولد
كفو لوالده والله عالم بالذات بجميع المعلومات وغيره ليس كذلك اجماعا وفيه ان
الكفاءة لا يستلزم التساوي من كل وجه كما ترى بين الآباء والبنين ذلكم اشارة الى الموصوف
بصفات الالوهية الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء اخبار مترادفة ويجوز ان يكون البعض
بدلا او صفة والبعض خبرا اعاد وصف الخالقية لانه اجلى البراهين ولذلك اكثر ايراده في
القران الكريم فاعبدوه مسبب على تلك الاوصاف وان كان مستحقا لذاته مع قطع النظر
عن كل صفة وهو على كل شيء وكيل حال من المفعول توكيد للامر بالعبادة اي وهو مع تلك الصفات
موصوف بكونه موكولا اليه جميع الامور متولاها ومراقب احوالها لا تدركه الابصار لا تحيط به لانه
غير جسم ولا جسماني فهو اخص من الرؤية فلا يستلزم نفيه نفيها او لا تدركه الابصار كلها
فالنفي متوجه الى الاستغراق كقولك لم اضرب زيدا عينا وشبهة نافي الرؤية انما هي
في الوقوع لا في الامكان لان نفي الشيء لا يدل على امتناعه والبصر النور المودع في الجارحة
الذي به رؤية الاشياء ويطلق على الجارحة ايضا والاول هو المراد لقوله وهو يدرك الابصار
لان تفرده انما هو بادراك تلك لا الجارحة وهو اللطيف الخبير وقت حكمته في كل شيء او لطيف
بعباده في المضايق خبير بحياتهم والوصفان نشر لما تقدم اللطيف لا تدركه الابصار والخبير
يدرك الابصار قد جاءكم بصائر من ربكم البصائر جمع بصيرة وهي للقلب كالبصر للعين والمراد
الدلائل القاطعة جعلها بصائر دلالة على غاية جلائها فمن ابصر بقلبه وامن فلنفسه نفعه
لا لغيره ومن عمي قلبه عن ادراكها فعليها وبال ذلك وما انا عليكم بحفيظ ان علي الا
البلاغ الاية واردة على لسانه صلى الله عليه وسلم وكذلك نصرف الايات اي كما صرفنا
الايات السابقة الدالة على الوحدانية نصرف سائر الايات في القران وليقولوا درست
متعلقة محذوفة اي صرفنا واللام للعاقبة كقوله ليكون لهم عدوا والدرس هو القراءة والتعلم
وقرا ابن كثير وابو عمرو دارست اي اهل الكتاب لكونهم مشهورين بذلك وابن عامر درست
بتاء التانيث من الدروس والمراد التقدم في الزمان كقولهم اساطير الاولين لهذا والخطاب
اولى لقوله واعانه عليه قوم آخرون وقوله انما يعلمه بشر ولنبينه اللام على اصله من التعليل
والضمير للايات باعتبار المعنى لانها القران او للمصدر لقوم يعلمون لان الجاهل بمعزل
عن الفهم اتبع ما اوحي اليك من ربك بالتدين به او تبليغه بعد البلاغ لاذلك
لا اله الا هو حال مؤكدة بعد الفعلية كقوله قائما بالقسط او اعتراض اكد به ايجاب الاتباع
واعرض عن المشركين منسوخة باية السيف والمراد عدم الالتفات اليهم دون الكف ولو
شاء الله ما اشركوا صريح في ان اشراكهم بمشيئة وما جعلناك عليهم حفيظا رقيبا وما انت عليهم بوكيل

متولی

متولي امورهم ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله السب ذكر مساوي الشيء على
سبيل النقص والتحقير وما وصف الله به آلهتهم من كونها حصب جهنم ونظائره في معرض
الاستدلال على عدم صلاحيتها للالوهية فيسبوا الله عدوا تجاوزا عن الحق بغير علم جهلا منهم
بمن يليق به السب وسب آلهتهم وان كان طاعة ولكن حيث اشتمل على المفسدة انقلبت
مفسدة ودفع المفاسد مقدم على جلب المصالح والتخلية قبل التحلية كذلك زينا لكل امة
عملهم كما زينا لهؤلاء سب خالق الاشياء زينا لكل امة عملهم من الخير والشر ويجوز ان يراد
بكل امة الكفار لان الكلام فيهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون مجاز عن الحساب
والمجازاة عليه واقسموا بالله جهد ايمانهم مصدر في موقع الحال اي بالغين في الايمان جهدهم
وطاقتهم والداعي لهم الى هذا القسم التعنت واستحقار ما اتي به من القران وغيره من
المعجزات لئن جاءتهم اية من مقترحاتهم ليؤمنن بها قل انما الآيات كلها عند الله
لا عندي فلا قدرة لي على الاتيان بها الا اذا اراد شيئا منها وما يشعركم استفهام انكار انها
اذا جاءت لا يؤمنون كان المؤمنون يتمنون مجيء الآي المقترحة لعلها يكون سببا لايمانهم
فرد الله عليهم بانكم لا تدرون عدم ايمانهم اذا جاءت تلك الايات فلذلك تمنيتم مجيئها
فالنفي انما توجه الى ما هو الواقع لا الى مدعاهم وقيل لا مزيدة وقيل ان بمعنى لعل كذا روي عن
الخليل وعليه قول امرئ القيس عوجا على الطلل المحيل لانا نبكي على الديار كما بكى ابن خذام
وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر في رواية انها بالكسر ابتداء كلام كانه قال وما يشعركم ما يكون منهم
بعد نزول الاية المقترحة ثم اخبر انهم لا يؤمنون وقرا ابن عامر وحمزة لا تؤمنون بتاء الخطاب
فالانكار في ما يشعركم للكافرين على خلفهم ونقلب افئدتهم وابصارهم عطف على لا يؤمنون
داخل تحت الانكار اي وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم عن سنن الاستقامة بان
نطبع عليها فلا يفقهون الحق ولا يبصرونه تمثيل لحالهم بحال الظرف المقلوب الذي لا تمسك
شيئا كما لم يؤمنوا به اي فلا يؤمنون بالمقترحة كما لم يؤمنوا بما انزل من سائر الآيات
اول مرة قبل الاقتراح ونذرهم في طغيانهم يعمهون في تجاوزهم عن الحق متحيرين عطف على
لا يؤمنون ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا اشار الى بعض
تلك الآي المقترحة فانهم كانوا تارة يقولون لولا انزل علينا الملائكة فتخبرنا بانك رسول الله
وتارة يقولون فائتوا باباءنا ان كنت من الصادقين وتارة لن نؤمن لك حتى تاتي
بالله والملائكة قبيلا والقبل بضم القاف والباء جمع قبيل بمعنى الكافل والضامن او جمع
قبيلة بمعنى جماعة او مصدر بمعنى المقابلة كقبلا بكسر القاف وفتح الباء وهي قراءة نافع وابن
عامر وعلى التقادير حال من كل وانما جاز لعمومه ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله الا وقت
تعلق مشيئته به استثناء من اعم الاحوال ولكن اكثرهم يجهلون ولذلك اقسموا بالله جهد ايمانهم
انهم يؤمنون عند الآي المقترحة او اكثر المسلمين يجهلون ذلك ولذلك يتمنون نزولها طمعا
في ايمانهم وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن اي كما جعلنا لك من يعاديك

جعلنا لكل نبي تقدمك عدوا من مردة الفريقين لينالوا بذلك الاجر العظيم وليتسلى العلماء
او عاداهم الجهلة ويتاسوا بالانبيا وعدوا اريد به الجنس ولذلك وقع شياطين بدلا عنه
او شياطين اول مفعولي جعلنا وعدوا مفعوله الثاني وعن مالك بن دينار ان شياطين
الانس اشد علي من شياطين الجن فاني اذا تعوذت ذهب شياطين الجن بخلاف
شياطين الانس وكانه الى ذلك اشير بتقديم شياطين الانس يوحي بعضهم الى بعض الوحي
الكلام الخفي والمراد به وسوسة الشياطين زخرف القول اباطيله مموه في الاصل الذهب واستعماله
كثير في المموه والباطل غرورا خداعا مصدر غره يغره وهذا الوزن نادر في المصادر المتعدية
ونصبه على العلة او الحال ولو شاء ربك ما فعلوه ذلك الغرور او الايحا وصريح في ان وقوع
الشر بمشية فذرهم وما يفترون فلا عليك بعد الابلاغ منسوخ باية السيف ولتصغى اليه
افئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة عطف على غرورا ان جعل علة والا فعلى مقدر اي لينالوا
بذلك اجرا ولتصغى اللام فيه وفي ليرضوه وليقترفوا لام العاقبة لان جعل الانبيا مبتلين بعداوة
الشياطين ليس لصغو افئدة الكافرين ولكن لما ترتب عليه جعل كالغرض وليرضوه الضمير
المنصوب فيه والمجرور في اليه عايد الى ما عاد اليه ضمير فعلوه وليقترفوا ما هم مقترفون من الاثام
من قرف لعياله اذا اكتسب افغير الله ابتغي حكما على ارادة القول اي قل لهم يا محمد افغير الله اطلب
حكما يحكم بيني وبينكم رد لما كانوا يقولون اجعل بيننا وبينك حكما فالهمزة للانكار وغير مفعول
ابتغي وحكما حال منه وعكسه لا يستقيم لان غير معرفة بالاضافة لتعين الضد والحكم هو الحاكم
مطلقا وفي المثل في بيته يؤتى الحكم وفي الحديث يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا
وقيل يختص بالحاكم العدل ولا يستعمله وهو الذي انزل اليكم الكتاب القران المعجز مفصلا
الى سور وسوره الى ايات او مفصلا فيه الحق والباطل قد دل ذلك المنزل على صدقي وكوني
على الحق والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق عضد دلالة الاعجاز
على صدق القران بعلم اهل الكتاب الموصول للجنس فيكفي ان يعلم ذلك علماؤهم وقيل
من لم يعلم كان متمكنا منه بادنى تامل وانما علم اهل الكتاب بانه منزل من عند الله لموافقته
لكتابهم وتصديقه اياه مع كونه صادرا ممن لم يخالط احدا من علمائهم وقرا ابن عامر وحفص
عن عاصم منزل بالتشديد فلا تكونن من الممترين من نمط لئن اشركت ليحبطن عملك
من الكلام الذي يراد به الالهاب والتهييج او فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب
يعلمون او الخطاب له والمراد امته لانه الواسطة والمترجم عن احوالهم او المراد كل احد على معنى لا يليق
باحد الامترا في ذلك فانه غاية في الوضوح وسطوع البرهان وتمت كلمات ربك اوامره
واحكامه صدقا فيما كان من الاخبار وعدلا فيما كان من الاحكام نصب على الحال او التمييز
او المفعول له لا مبدل لكلماته بان ياتي احد باصدق من اخباره وفي الاحكام باعدل منها
او تمت اي استوت ودامت لعدم ورود النسخ عليها او لا يتطرق عليها التحريف كما تطرق
على ساير الكتب فيكون ضمانا من الله بحفظه كقوله انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون فيختص

بكلمات

بكلمات القران وقرا الكوفيون كلمة في الاول بالتوحيد لارادة الجنس وهو السميع لما يقولونه
من المقترحات العليم بقصدهم من ذلك وعنادهم وان تطع اكثر من في الارض يضلوك
عن سبيل الله لان اكثر من في الارض ضلال فلا ينبغي ان يلتفت اليهم في مقترحاتهم فان
اتباعهم مفض الى الضلال ان يتبعون الا الظن الذي هو كذب الحديث وان هم
الا يخرصون يكذبون الخرص هو التقدير والتخمين وانما فسر بالكذب لئلا يقع التكرار والمعنى
ان حالهم وصفتهم منحصرة في الظن ولما كان الظن محتملا للصدق حصر ظنهم في الكذب وهو
كالعلة للنهي عن اطاعتهم ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين
كان المشركون يقولون لمن اسلم صبا وضل فرد الله تلك المقالة عليهم اجمل رد بانه اعلم
بالضال والمهتدي من غيره ولم يسند الضلال اليهم صريحا لئلا يشق عليهم ومن موصولة او
موصوفة في محل النصب بفعل دل عليه اسم التفضيل لا به اذ لا يعمل النصب في الظاهر ويجوز
ان يكون استفهامية علق عنها الفعل واعلميته لا يحتاج الى برهان ولا يتقيد بوجه دون
وجه فكلوا مما ذكر اسم الله عليه مسبب عن انكار اتباع المضلين كانوا يقولون الميتة
اكلها اولى من المذكاة لانها ماتت بقتل الله ان كنتم باياته مؤمنين فاقصروا الاكل على
ما ذكر اسم الله عليه الحصر مستفاد من الوصف كقولك كل من مال الغني وانما اتى بان وان
كان ايمانهم مقطوعا به اذ ربما خالج قلبهم شبهة حين قال المشركون ما قتل الله اولى بالاكل مما
قتلتم وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه اي ما غرض لكم واي مانع لكم من اكل ما ذكر اسم الله
عليه خاصة والقيد علم من الوصف وقد اشكل حله على بعض فزعم ان المشركين كانوا يحرمون
المذكاة ويحللون ما ذبح باسم الهتهم او مات حتف انفه وقد فصل لكم ما حرم عليكم جملة حالية
وما فصله من المحرمات هو ما في اخر هذه السورة من قوله قل لا اجد فيما اوحي الي محرما على طاعم
يطعمه الا ان يكون ميتة او دما مسفوحا الى اخر الاية فانه وان كان متاخرا في الوضع متقدم
نزولا قرا نافع والكوفيون فصل على بنا الفاعل وقرا نافع وحفص حرم على بنا الفاعل
الا ما اضطررتم اليه من المحرم فانه يحل تناوله ايضا رخصة مع قيام المحرم ابقاء لمهجة المؤمن
وذلك يقدر الضرورة وما يسد به الرمق وان كثيرا ليضلون بتحليل الحرام وتحريم الحلال
او ان كثيرا من الناس ضالون اشارة الى ان الضلال ليس مختصا بالمشركين وقرا
الكوفيون بضم اليا وهو ابلغ باهوائهم بغير علم بما يشتهونه من الباطل غير مستند الى
دليل يفيد العلم ان ربك هو اعلم بالمعتدين المتجاوزين حدود الله فيجازيهم عليه وذروا
ظاهر الاثم وباطنه اي دعوا كل ما يوجب الاثم ما يؤتى به جهارا وما يفعل سرا او ما يكون بالجوارح
وما يكون بالقلب ان الذين يكسبون الاثم وباطنه ظاهرا او باطنا سيجزون بما كانوا يقترفون
يكتسبون ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ظاهر الاية يدل على حرمة ما لم يذكر اسم الله عليه حيوانا
كان او غيره لكن المراد هو الحيوان الماكول اجماعا ويتناول بظاهره متروك التسمية مطلقا
وذهب ابو حنيفة الى حل متروك التسمية نسيانا وهو رواية عن مالك وابن حنبل ومذهب داود

لما روي انه صلى الله عليه وسلم سئل عن متروك التسمية نسيانا فقال كلوه فان تسمية الله
على قلب كل مسلم ولقوله وانه لفسق لان ترك اسمه نسيانا ليس بفسق وهذا هو المشهور
عن مالك واحمد وذهب الشافعي الى حله مطلقا عمدا ترك او نسيانا لقوله وانه لفسق فانه
في موقع الحال اولا يستقيم عطفه على الانشاء ولا على الصلة وقد بين الفسق بقوله اهل
لغير الله به في اخر السورة ولما كان سابقا نزولا اكتفى بذكره وان الشياطين ليوحون
الى اوليائهم يوسوسون الى الكفار ليجادلوكم بقولهم تاكلون مما قتلتم ولا تاكلون مما قتله
الله وهو اولى واطهر وان اطعتموهم في استحلال ما حرم الله انكم لمشركون فانكم جعلتم لله
شريكا في تشريع الاحكام وحسن حذف الفاء من الجزاء لان الشرط لفظ الماضي اومن
كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس مثل حال المؤمن بحال من يكون
ميتا ثم يحصل له الحيوة واعطي نورا يمشي به حيث اراد من غير تعب ولا نكد يحصل به مطالبه
كمن مثله في الظلمات المتراكمة مستمر في تلك الظلمات لا يهتدي الى مقصد من مقاصده
فالحيوة هي الايمان والنور الذي يمشي به في الناس هي معرفة احكام المبدا والمعاد اصولا
وفروعا والظلمات هي الكفر والشبهات فانها تنقلب ظلمات حقيقة يوم القيمة ليس بخارج منها
ابدا حال من المستكن في الظرف لا من الهاء في مثله للفصل وكان الظاهر كمن هو في الظلمات
وانما اقحم المثل لدلالته على الحال والصفة روي انها نزلت في حمزة وابي جهل كذلك زين للكافرين
ما كانوا يعملون كما زين للمؤمنين ايمانهم او كما زين للمشركين عملهم زين لساير الكفار والمزين
هو الله لقوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها اي كما جعلنا في مكة اكابر
مجرميها يستتبعون الضعفاء على الكفر جعلنا في كل قرية مثلهم ابتلاء وقوله اكابر مجرميها مفعولا جعلنا
لكونه بمعنى صيرنا قدم الثاني على الاول ويجوز ان يكون في كل قرية اكابر مفعوليه ومجرميها بدلا
او مضافا اليه بدليل قراءة اكبر مجرميها وان يكون في كل قرية ظرفا لغوا واكابر مجرميها مفعولا
اول وليمكروا مفعولا ثانيا وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون ان ذلك الضرر عايد اليهم
واذا جاءتهم اية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله القايل وليد بن المغيرة قال
لرسول الله صلى الله عليه وسلم انا اولى بالنبوة منك لاني اكبر سنا واكثر مالا وقيل ابو جهل
قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتى اذا كنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله
لا نرضى ولا نتبعه حتى ياتينا وحي كما ياتيه والاسناد الى الكل لوقوع الفعل منهم الله اعلم حيث
يجعل رسالته كلام مستانف للرد عليهم وابطال قياسهم فان النبوة فضل من الله تعالى
يخص بها من يشاء وليس كثرة المال والاكبر السن من اسبابها ولوازمها وقرا ابن كثير
وحفص رسالته بالافراد وفتح التاء والجمع اظهر نظرا الى الاحكام سيصيب الذين اجرموا صغار
وضع الموصول موضع الضمير ليشعر الصلة بعلية الحكم والصغار هو الذل من صغر على وزن علم
عند الله اي يوم القيمة او ناشيا من قبله في الدنيا كما وقع يوم بدر وعذاب شديد مضافا الى ذلك
الذل بما كانوا يمكرون بسبب مكرهم او مكافاة على مكرهم فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام

مسبب عن الكلام السابق اي اذا تبين ان النبوة ليست الا فضلا منه فمن اراد هدايته
وتوفيقه يشرح صدره للاسلام والانقياد لامر الله فانه يتسع بنور الايمان وانكشف عنه ظلمة الكفر
والجهل ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ومن اراد اضلاله
وخذلانه يلقي الشبه وكدورات الجهل على ظلمة النفس التي كانت لها جبلة فلا يمكن من
الوصول الى ذلك لانعدام القابلية ولذلك مثله بمن يريد الصعود الى السماء والكلام
على الاستعارة التمثيلية او التبعية روي ان ابن عباس قرا الاية ثم قال هل من بني بكر منا
احد فقال رجل نعم انا من بني بكر قال ما الحرجة فيكم قال الوادي الكثير الشجر الذي لا طريق فيه
فقال ابن عباس كذلك قلب الكافر وقد روي مرفوعا انه صلى الله عليه وسلم سئل عن شرح
الصدر فقال هو نور يقذفه الله في قلب المؤمن فينفسح قيل هل لذلك امارة قال نعم التجافي
عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد لما بعد الموت وقرا ابن كثير ضيقا بالتخفيف
والباقون بالتشديد وحرجا بكسر الراء نافع وابو بكر وقرا ابن كثير يصعد باسكان الصاد
وتخفيف العين والباقون بفتحها مشددة الا ابا بكر فانه لم يشدد العين وزاد الفا بعدها
كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون اي كما جعل عليهم الضيق والحرج في الدنيا
يجعل عليهم العذاب في الاخرة او اللعن والطرد وضع المظهر موضع المضمر للتعليل وهذا
صراط ربك مستقيما اشارة الى ما نبه من ان النبوة فضل منه وان الاسعاد والاشقاء
بيده او الاسلام صراطه المستقيم الذي لا اعوجاج فيه قد فصلنا الايات الدال على حقية تلك
الصراط لقوم تذكرون العهد الذي اخذ عليهم في عالم الذر او في الكتب السماوية على لسان
الانبياء والتذكر ضد النسيان لهم دار السلام اي للمتذكرين دار السلام التي هي الجنة اضافة
اليه تعالى فان السلام من اسمائه تعظيما للمضاف واحترس من اسمائه لتلمح معنى السلامة فيه او
السلام بمعنى السلامة فانها لا سقم فيها ولا تعب او لان تحيتهم فيها سلام عند ربهم اي محفية
حالها لا يعلم كنهها غيره وهو وليهم ناصرهم ومتولي امرهم لا يكل امرهم الى غيره تشريفا لهم بما كانوا
يعملون بسبب اعمالهم الصالحة فكما لم يشركوا احدا معه في تلك الاعمال فكذلك لم يشرك في
جزائهم احدا ولا يطلعه عليه ويوم نحشرهم جميعا منصوب باذكر او بمقدر اي قلنا او ويوم نحشرهم
ونقول لهم يا معشر الجن يكون من الامر ما لا يمكن شرحه والضمير للثقلين والجن قد سبق ذكرهم
في قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم يا معشر الجن يريد الشياطين منهم قد استكثرتم
من الانس اي من اغوائهم او استتبعتم كثيرا منهم وانما يقال لهم هذا الكلام توبيخا وتقريعا
على سوء صنيعهم وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض كان انتفاع الانس
بالجن على زعمهم في الجاهلية اذا نزل مسافر منهم في مفازة يقول اعوذ برب هذا الوادي
من سفهاء قومه فيبيت امنا في جواره وانتفاع الجن سرورهم بهذا القول الدال على احتياج
الانس اليهم وتلك مرتبة جليلة عند الجن وشرف ظاهر وقيل انتفاع الانس بالجن اخذ السحر
والكهانة واباطيل القول منهم فان قلت كيف خاطب الجن واجاب الانس وما وجه ذلك

قلت خطاب الجن لكان تقريع الانس لكونه مع شرفه وعلو شانه بصيرا تابعا لذلك
الشرير الخبيس فلم يستحق الخطاب فانه نوع تكريم فكان الجواب من الانس لكونهم محجوبين
يحتاجون الى نوع اعتذار وبلغنا اجلنا الذى اجلت لنا هو البعث وعن الماتريدى الموت
يقولون هذا الكلام للتلهف على الفائت والاسف قال النار مثواكم خالدين فيها اى هذا
الاعتذار لا يغنى شيئا فان النار مقركم ومقامكم حال كونكم دائمين فيها الا ما شاء الله الا الاوقات
التى ينقلبون منها الى الزمهرير او الا ايام البرزخ وهو ما بين الموت والبعث او بعد البعث
الى استقرار فريق فى الجنة وفريق فى السعير ان ربك حكيم فى افعاله متقن فى كل ما دبر عليم
كامل العلم اتقان فعله مسبوق بذلك العلم وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا اى كما
ولينا الجن الانس كذلك نولى الظلمة بعضهم على بعض فى الاغواء والوسوسة او فى العذاب
يوم القيمة وفى الحديث يحشر المرء على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل بما كانوا يكسبون
من الكفر والمعاصى يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم من قبيل قوله يخرج منهما اللؤلؤ
والمرجان فان خروجهما من الملح لا من العذب وقيل للجن رسل تشبثا بظاهره ويؤيده قوله
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحى اليهم وقيل رسل الجن رسل الرسل لقوله واذ صرفنا اليك
نفرا من الجن يستمعون القران يقصون عليكم اياتى وينذرونكم لقاء يومكم هذا اى يوم القيمة
قالوا شهدنا على انفسنا اقررنا على انفسنا بالجرم واستحقاق العذاب وغرتهم الحيوة الدنيا
اى قالوا ذلك القول والحال انهم كانوا مغرورين بالحيوة الدنية واللذات المخدجة
السريعة الزوال وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين كرر الشهادة لان الاولى حكاية
حالهم والثانية ذم لهم وتخطية على ما كان منهم من الغرور واقرارهم بالكفر فى هذه الاية
وانكارهم فى قوله والله ربنا ما كنا مشركين باعتبار الحالين فى وقتين مختلفين ذلك
اشارة الى ارسال الرسل ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم واهلها غافلون تعليل
للارسال وان مصدرية او مخففة من المثقلة فيقدر ضمير الشان وبظلم حال من القرى
بتقدير الاهل اى ملتبسين بظلم فى حال غفلتهم او من فاعل مهلك اى ملتبسا بظلم ويحتمل
العلية وفيه دليل للشيخ الاشعرى على ان لا تكليف قبل البعثة ولكل درجات مما عملوا
لكل واحد من المرسل اليهم مراتب لاجل اعمالهم ان خيرا فخيرا وان شرا فشرا واطلاق
الدرجات على القبيلين تغليب وما ربك بغافل عما يعملون عن اعمالهم اعتراض
فى اخر الكلام او تتميم وقرا ابن عامر بالخطاب تغليبا وربك الغنى المطلق لانسداد
انحاء الاحتياج عليه ذو الرحمة البالغة ولذلك ارسل الرسل وشرع الاحكام تكميلا للعباد
بالمعارف والاعمال الصالحة ان يشا يذهبكم تقرير لمعنى الغنى اى ليس له اليكم حاجة وانما
ابقاكم رحمة لتتداركوا ما فرط منكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق اثر ما على من
قصد الى الوصف كانه قيل ويستخلف من بعدكم المطيع لامره كما انشاكم من ذرية قوم اخرين
جيلا بعد جيل انما توعدون لات اى البعث واحواله او العذاب وظهور هذا الدين على الدين

كله

كله وما انتم بمعجزين فائتين طالبكم من اعجزه الشئ اذا فاته ماخوذ من عجز الشئ وهو
مؤخره قل يا قوم اعملوا على مكانتكم اى تمكنكم مصدر مكن بالضم فهو مكين اذا تمكن غاية
التمكن او اعملوا على طريقتكم وجهتكم التى انتم عليها من الكفر والعصيان فهى بمعنى المكان
يقال مكان ومكانة كمقام ومقامة وعلى الوجهين الامر للتهديد على نمط اعملوا ما شئتم
والوعيد اذا كان بصيغة الامر يفيد غاية الانذار كان المهدد قد عزم على تعذيب المهدد
فيامره بما يوجب ذلك ويفضى اليه وفيه ايماء الى ان المهدد لا يتوقع منه الا الشر فهو لازم
له واجب عليه فعله كالمامور به انى عامل على مكانتى وجهتى قرا ابو بكر مكاناتكم بالجمع
وهو ابلغ فى التهديد فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار من استفهامية والفعل
معلق عنه او خبرية مع ما فى حيزها قائم مقام المفعولين او العلم بمعنى المعرفة والموصول
مفعوله وعاقبة الدار هى العاقبة الحسنى واضافتها الى الدار لانها تحصل بما فى هذه الدار
من الاعمال الصالحة من كلام المصنف حيث لم ينسب الخصم الى الضلال صريحا لتا
نف نفسه انه لا يفلح الظالمون كافرا كان او غيره وجعلوا لله اى مشركوا العرب
مما ذرا خلق من الحرث والانعام من الزرع والمواشى نصيبا محفوظا مفرزا فقالوا هذا
لله بزعمهم هذا ما يستحقه ويجب ان يصرف فى ابواب البر وهذا لشركائنا التى تقربنا الى
الله زلفى يستحق صرف بعض اخر اليها لكونها وسيلة الى المعبود بالحق فما كان لشركائهم
فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم كانوا يصرفون ما عينوه لله تعالى اذا
كان ازكى واحسن الى سدنة الهتهم ويصرفون الردى الى الفقراء والمساكين ترجيحا
لالهتهم الباطلة على خالق الكائنات ولفظ الزعم اشارة الى انه باطل اخترعوه من
عند انفسهم وقرا الكسائى فى الموضعين بضم الزاء والفتح لغة الحجاز وهى افصح ساء
ما يحكمون بئس شيئا حكمهم هذا وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم اى
مثل ذلك التزيين البليغ والمشبه به تزيين جعل ما خلق الله من الحرث والانعام
للاصنام منه نصيبا شركاؤهم فاعل زين وهم الشياطين من الجن او سدنة الاصنام
وكانوا يقتلون الاولاد اما خشية الاملاق او العار كما فى البنات او تقربا الى الله باعز
الاشياء كما فعل عبد المطلب حين نذر ان ولد له عشرة بنين يذبح لله واحدا منهم
وقرا ابن عامر زين على بناء المفعول مسندا الى قتل ونصب اولادهم وجر شركائهم باضافة
قتل اليه والفصل بين المضافين واقع فى شعر الفصحاء ولو لم يثبت ذلك منهم كانت
هذه القراءة كافية فى صحته لانها قراءة افصح الخلق ثبتت عنه تواترا فمن طعن فيها لانها
تخالف قول بعض النحاة فقد زلت به قدمه ليردوهم ليهلكوهم من الردى وهو الهلاك
وليلبسوا عليهم دينهم الذى كلفوا به وهو الدين الحق او دينهم الذى كانوا عليه وهو
دين ابرهيم قيل شركائهم والمزين ان كان من الشياطين فاللام للتعليل وان كان
من السدنة فللعاقبة ولو شاء الله ما فعلوه ما فعلوه التزيين او القتل او ذلك كله لان

افعالهم مخلوقة له تعالى بمشيئته فذرهم وما يفترون افتراءهم او ما يفترونه من مخترعاتهم
وينسبونه الى الله وتزعمون انه شرعه وقالوا هذه انعام وحرث حجر اشارة الى ما جعلوه
للاصنام من الحرث والانعام والحجر كالذبح والطحن بمعنى المفعول وهو الحرام لانه محجور شرعا
يستوي فيه الذكر والانثى والواحد والكثير لانه في عداد الاسماء لا يطعمها الا من نشاء وهم
خدم الاوثان او من نشاء من الرجال والنساء بزعمهم متعلق بالقول اي قالوا ذلك
بمجرد زعم منهم وانعام حرمت ظهورها وهي الحوامي التي تقدمت عطف على هذه انعام
وانعام لا يذكرون اسم الله عليها بل اسماء الهتهم وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على
ظهورها والمعنى انهم قسموا اموالهم الى هذه الاقسام الثلثة افتراء على الله لا افتراء او مفترين
او افتروا افتراء لان ذلك القول بمعنى الافتراء سيجزيهم بما كانوا يفترون بقدرة عذابا
او بسبب ذلك وايثار لفظ كان للدلالة على ان ذلك عادة مستمرة منهم فيظهر ذلك
استحقاقهم وقالوا ما في بطون هذه الانعام اخر من اباطيلهم وهو ما في بطون البحاير
والسوايب خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا حلالا لذكورنا وحرام على الاناث نوع
انث خالصة وذكر محرم حملا على اللفظ وان يكن ميتة فهم فيه شركاء الرجال والنساء
فيه سواء وقرا ابن عامر وعاصم في رواية شعبة تكن بتاء التانيث ورفع ميتة ابن كثير
وابن عامر وجه التانيث ورفع الميتة جعل كان تامة ووجه التانيث مع نصب ميتة
جعل كان ناقصة مضمرا فيه ضمير الانعام ووجه التذكير مع الرفع جعل كان تامة ووجهه
مع النصب جعلها ناقصة والمختار التانيث مع الرفع لكون التانيث حقيقيا في
بعض الصور والرفع لا يحتاج الى اضمار سيجزيهم وصفهم جزاء وصفهم ونسبتهم الى الله ما هو
بري عنه واصل الوصف الكشف والاظهار تقول وصفت زيدا اذا اظهرت
ما فيه مدحا كان او ذما انه حكيم في ذلك الجزاء عليم باستحقاقهم قد خسر الذين قتلوا
اولادهم اعاده لان الكلام سبق هناك لبيان او ما يصدر عنهم من تحريمهم ما احله الله
ومن قتل الاولاد وسبب عن تزيين الشياطين وهذا البيان خسرانهم وهو حكيم
يتعلق بهم سفها لخفة عقلهم بغير علم في موقع الحال يؤكد معنى السفه وحرموا ما رزقهم الله
وهي البحاير والسوايب والحوامي افتراء على الله في اعرابه الوجوه السابقة في نظيره
قد ضلوا عن الصواب وما كانوا مهتدين ولم يدخلوا في زمرة المهتدين قط وهو الذي
انشا جنات معروشات وغير معروشات عطف على القصة السابقة لابطال ما تقدم
من الاحكام التي اخترعوها والجنات الكروم لانها اكثر اشجار البساتين نفعا والمعروش
ما رفع قضبانه من الارض وغير المعروش ما كان على وجه الارض وقيل المعروش ما في
الامصار والرساتيق مما انبته الناس واعتنوا به وغير المعروش ما نبت في الجبال
والبراري والنخل والزرع مختلفا اكله ما يوكل منه في اللون والطعم والرايحة والحجم تذكير
الضمير باعتبار المذكور مختلفا حال مقدرة او نصب على القطع والزيتون والرمان متشابها

وغير

وغير متشابه يتشابه بعض الافراد دون بعض كلوا من ثمره امر اباحة اذا اثمر وقت
ظهور ثمره ودفع لوهم عدم جواز التناول منه بناء على كون المساكين شركاء فيه واتوا حقه
يوم حصاده هو ما يعطيه المالك لمن حضر تبرعا لا الزكاة المفروضة وان كانت
الاية مكية لان الزكاة فرضت بمكة في الجملة وبين المقادير بالمدينة وعن ابن عمر وسعيد
بن جبير انه امر غير الزكاة وهو حق النظر لمن حضر وكما غلب الثمر في الاول
على الحب غلب الحصاد على الجذاذ ثانيا وقرا حمزة والكسائي ونافع وابن كثير
بكسر الحاء وهما لغتان في نظايره كالقطاف والجذاذ ولا تسرفوا بصرفه في المعصية
او لا اسرف في الانفاق في وجوه البر لقوله تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
كذا فسره مجاهد وقيل لا تسرفوا في الصدقة لما روي انها نزلت في ثابت بن قيس بن
صرم كانت له خمسمائة نخل ففرقها في المساكين ولقوله تعالى ولا تبسطها كل البسط
انه لا يحب المسرفين تعليل للحكم السابق تحذيرا عن ارتكابه ومن الانعام حمولة و
فرشا عطف على جنات اي وانشا من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او
ما ينسج من صوفه ووبره وشعره فرشا وقيل الحمولة الكبار والفرش الصغار كالفصلان
والغنم لدنوها من الارض ولا تتبعوا خطوات الشيطان وسواسه وتسويلاته في تحليل
ما حرم الله وتحريم ما احله انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة من لدن آدم ثمانية ازواج
بدل من حمولة او مفعول كلوا بتقدير مضاف والزوج ضد الفرد ويقال للشيء اذا كان له
قرين من جنسه زوجه كقوله خلق الزوجين الذكر والانثى هو المراد في الاية من الضان
جمع ضاين كركب وراكب والانثى ضاينة وقد يجمع على ضئين على وزن فعيل كغاز
وغزي اثنين بدل من ثمانية ان صح وقوع البدل عن البدل والا فهو بدل من حمولة
وفرشا ومن المعز اثنين الذكر والانثى وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر بفتح العين
وهو نظير الضان في المفرد والجمع قل آلذكرين حرم ام الانثيين منصوب بحرم المقصود
انكار التحريم وانما اورد في صورة انكار المفعول ليكون انكاره بطريق برهاني اذ لا بد
للفعل من شيء يتعلق به فاذا انتفى جميع ما يتعلق به مفصلا لزم نفيه اما اشتملت عليه
ارحام الانثيين ام متصلة عطف على المتصلة الاولى كانوا يحرمون ذكور الجنسين
تارة واناثهما اخرى والاولاد كيف كانت انفرادا واختلاطا انكر ذلك كله والزمهم
بقوله نبئوني بعلم ان كنتم صادقين اخبروني ملتبسين بعلم ان المحرم على الوجه الذي
تدعونه هو الله لا بالجهل والافتراء كما هو دابكم وقيل بامر معلوم من جهة الله ومن
الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام
الانثيين الكلام هنا هو الكلام المتقدم في الضان والمعز ام كنتم شهداء اذ وصاكم
الله بهذا هذا مقابل لقوله نبئوني بعلم اضرب عن البرهان الى العيان لانه ابلغ
في التبكيت كما تقول لصاحبك مكذبا له الملائكة اخبرتك بهذا ام طالعته من اللوح

المحفوظ فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم كذبهم في دعواهم على
ابلغ وجه حيث حكم بانه لا اظلم منهم وانّى لبس ليعمهم وكل مفترى على الله وادخل عليه الفاء
اشعار السببية ما تقدم وعلّل فعل المفترى باقبح علة وهو الاضلال بالجهل الذى كل
عيب دونه ان الله لا يهدى القوم الظالمين الكاملين في الظلم المختوم على قلوبهم
قل لا اجد فيما اوحى الىّ متلوا او غيره لعموم لفظ محرما على طاعم يطعمه اى طاعم كان الا ان
تكون ميتة استثناء من محرما لوقوعه في سياق النفى والمراد ما مات حتف انفه وخص
بما عدا السمك والجراد لقوله صلى الله عليه وسلم احلّت لنا ميتتان ودمان وقرأ ابن كثير
وابن عامر وحمزة يكون بالتأنيث باعتبار الخبر وابن عامر برفع الميتة بجعل كان تامة
او دما مسفوحا مصبوبا في العروق لا الكبد والطحال للحديث المتقدم ولكونهما غير مسفوحين
عطف على ميتة وفى قراة ابن عامر عطف على ان مع ما في حيزه اى الا وجود ميتة او دما
مسفوحا او لحم خنزير فانه رجس اى الخنزير او لحمه نجس خبث او فسقا اهلّ لغير الله به
عطف على لحم خنزير وما بينهما اعتراض للتعليل والاهلال به لغير الله صفة جارية مجرى
التعليل وانما سمّى المذبوح لا لهتهم فسقا لتوغله في باب الفسق ويجوز ان يكون
مفعولا له قدم على فعله المعلل اهتماما وعلى هذا اهلّ معطوف على يكون والمستكن
فيه راجع الى ما رجع اليه مستكن يكون فمن اضطر فمن دعته ضرورة الى تناول شئ
من المذكورات غير باغ متعد على مضطر مثله ولا عاد متجاوز قدر سدّ الرمق
فان ربك غفور لا يواخذه بذلك رحيم حيث انعم عليه بحلّه والاية لا تنفى حرمة
شئ آخر غير المذكورات اذ غاية الامر انه لم يجد الى ذلك الوقت محرما سواها وكذلك
الحصر في قوله انما حرم عليكم الميتة الى اخر الاية فلا يلزم نسخ الكتاب بحديث حرم كل
ذى ناب من السباع وكل ذى مخلب من الطيور وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى
ظفر اى على اليهود خاصة حرمنا لحم كل ذى ظفر والظفر هو العظم النابت على اصبع الحيوان
من دابة وطاير واراد به ما سوى البقر والغنم لقوله ومن البقر والغنم حرمنا عليهم
شحومهما حرمنا الشحوم من البقر والغنم وعن ابن عباس انه لم يحرم عليهم من معوج
الاصابع شئ كالابل والبط والنعام وانما كرر الفعل واضاف الشحوم مبالغة في
التحريم الا ما حملت ظهورهما من الشحم فانه باق على اباحته او الحوايا او ما حملته الحوايا
جمع حوية او حاوية وهى المعاء اى الا ما حملت ظهورهما والا شحوم الحوايا او ما اختلط
بعظم ما اتصل به كالالية وما في القوائم والرؤس والعيون ذلك اى الجزاء المذكور
او التحريم جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم هو نظير قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم
طيبات احلّت لهم وانا لصادقون في ان هذا التحريم خاص بهم لاجل ظلمهم لا ما يدعونه
من ان المحرمات كانت في شريعة نوح وابرهيم واسرائيل فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة
واسعة فلذلك امهلكم بعد التكذيب ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين الكاملين في الاجرام

لانه وان امهل لا يهمل سيقول الذين اشركوا اخبار عن الغيب ووقوع مخبره دليل
على كونه من عند الله لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شئ اعتقدوا ان
كل ما هو واقع بمشيته تعالى حق لانهم جعلوا كل مراد مامورا به وكل مامور به حسنا فاصابوا
في الثانى واخطأوا في الاول وهم احسن حالا ممن اخطأ في القضيتين كذلك كذب
الذين من قبلهم مثل تكذيب هؤلاء كذب متقدموهم رسلهم ولو كان الكفر والضلال
غير داخل تحت مشيته تعالى لنفيهم الى الكذب لا التكذيب وحمل المشية على مشية القسر
مكابرة ورجم بالغيب حتى ذاقوا بأسنا الذى انزلنا لهم ايماء الى انه سينزل بهم ما نزل
باولئك قل هل عندكم من علم مستند الى دليل لما تزعمونه فتخرجوه لنا تظهروه
مجاراة للخصم روما للتبكيت والا كون العلم عندهم معلوم الانتفاء ولذلك حصر حالهم
واعتقادهم في الظن بقوله ان تتبعون الا الظن الذى لا يجدى في مقابلة القاطع
وان انتم الا تخرصون اى يكذبون في ذلك الظن قل فلله الحجة البالغة الغالبة اى
انتم محجوجون ملزمون لانكم تقولون ما فعلنا من الاشراك بمشية تعالى وما كان
بمشية لا اعتراض فيه على مرتكبه فخصمكم ايضا على الحق بل كل من اتى بفعل فهو محق
فيرتفع التكليف ولا تناقض المذاهب فلو شاء لهداكم اجمعين مرتب على دعواهم
ان ما ارتكبوا بالمشية تعالى وقوله قل فلله الحجة البالغة اعتراض والمعنى اذا كان الكل
بمشية فلو اراد هدايتكم لهداكم حذف مفعول المشية لدلالة جواب لو عليه قل هلم شهداءكم
الذين يشهدون ان الله حرم هذا هلم اسم فعل ويأتى لازما كقوله هلم الينا يستوى فيه
المفرد والجمع عند الحجازيين وبنو تميم تونث وتجمع وما في الاية ولیل الحجازيين اى هاتوا
شهداءكم المخصوصين بكم الذين قلدتموهم ولذلك اضافهم اليهم واتى بالموصول ليدل
على العلم بشانهم ولو لم يصف لكان موهما بان المطلوب منهم الاتيان بشهداء
بالحق وليس يعرض لقوله فان شهدوا فلا تشهد معهم ويجوز ان يكون الكلام على
الغرض والتقدير والمراد بالشهداء الاصنام والغرض تثبية صلى الله عليه وسلم ولا تتبع
اهواء الذين كذبوا بآياتنا تعميم بعد التخصيص لان تلك الشهادة من جملة الاهواء و
ايثار المظهر اشارة الى ان تلك الشهادة والاتباع تكذيب بآيات الله والذين لا يؤمنون
بالاخرة وهم بربهم يعدلون جملة حالية من الفاعل لزيادة التقبيح والتسفيه كما تقول فلان
تارك الصلوة واخبرك بانه لا يعتقد وجوبها قل تعالوا مشتق من العلو اصله ان يخاطب
به من كان في سفل ثم اتسع فيه الطلب ما ابتدعوه من الاحكام بالقواطع ثم دعاهم الى الحق
الواضح اتل ما حرم ربكم عليكم ما موصولة منصوبة بفعل التلاوة او استفهامية نصب بفعل
التحريم والجملة مفعول اتل لانه في معنى القول وفى جعلها مصدرية تعسف لان التحريم
ليس متلوا الا على التأويل وعليكم يصح تعلقه بكل من الفعلين الا تشركوا به شيئا ان مفسرة
ولا تشركوا نهى ليصح عطف الامر عليه وان هذا صراطى مستقيما متعلق بفاتبعوه بتقدير اللام

كعبدة الاوثان صح

ويعود الضمير اليه لتقدمه لفظا ولا يصح عطفه على ان لا تشركوا لكونه ليس من المحرمات في شيء
فان قلت فكذا الاوامر المذكورة المعطوفة قلت اريد بالاوامر اضدادها مجازا اشارة الى ان
الانتهاء عن تلك الاضداد غير كاف بل يجب الاتيان بتلك الافعال وعليكم اسم فعل
بمعنى الزموا وان ناصبة مدخولة بلا الناهية واما جعلها مصدرية بدلا من ما او من العايد
المحذوف فلاستلزامه القول بزيادة لا لان الناهية وبالوالدين احسانا اي لا تسيئوا
اليهما واحسنوا ولا تقتلوا اولادكم من املاق لاجل فقركم كقوله خشية املاق وقيل هذه
في الفقراء الذين كانوا يقتلون اولادهم لوجود الفقر وتلك في الاغنياء الذين كانوا يقتلون
الاولاد من خوف حصول الفقر والدليل على ذلك تقديم المخاطبين هنا وتاخيره هناك
والاملاق الافتقار من الملق وهو المحق نحن نرزقكم واياهم تعليل للنهي ازاحة للعذر
في ترك المنهي عنه ولا تقربوا الفواحش كبار الذنوب كالزنا والسرقة وقذف المحصن
ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش يشمل لكل كبيرة لعدم خروج شيء عنهما ولا تقتلوا
النفس التي حرم الله الا بالحق افرد بالذكر وما بعده لعظمه والقتل بالحق مذكور في كتب الفروع
ذلكم المذكور مفصلا وصاكم به امركم بحفظه التوصية امر بالشيء مع التاكيد لعلكم تعقلون
يستعملون عقولكم وترشدون لان المذكورات امور ظاهرة بعد توجه العقل ولا تقربوا مال
اليتيم الا بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن من سايرها وهي المبالغة في حفظه
حتى يبلغ اشده كمال عقله وقواه مفرد كآنك وقيل جمع لا مفرد له كأبابيل وبين جمع
شدة كانعم جمع نعمة لان انعما جمع نعم لا نعمة واوفوا الكيل والميزان بالقسط بالعدل
لا نكلف نفسا الا وسعها ما يقدر على القيام به اردف ايفاء الكيل والميزان به لان
الوقوف على حد السواء فيهما عسر جدا واذا قلتم فاعدلوا يشمل الحكم والشهادة ولو كان ذا
قربى اي المشهود عليه كقوله ولو على انفسكم او الوالدين وبعهد الله اوفوا بما عاهدكم عليه
بقوله ان الله يأمر بالعدل والاحسان ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون افردها بتوصية مستقلة
لكونها امورا اجناسا اول تقدم ذكرها في كثير من الآي ختم الاية بالتذكر الذي يقتضي سبق
العلم الذي لحقه النسيان وقرا حمزة والكسائي وحفص بتخفيف الذال هنا وحيث وقع
وان هذا صراطي مستقيما اشارة الى ما ذكر من اول السورة الى هنا من التوحيد وشرايع
الاسلام قرا ابن عامر ان بالتخفيف وحمزة والكسائي بالكسر مشددا والباقون بالفتح
والتشديد والمختار الكسر لسلامته عن الحذف والتقدير ولكونه في مصحف ابي وهذا صراط
ربك وابن مسعود وهذا صراط ربكم فاتبعوه فاسلكوه ولا تتبعوا السبل وادي الشهوات
ومسالك الهوى وعن ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا وقال هذا
سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمينه وشماله وقال هذه سبل وعلى كل منها شيطان يدعوا
اليه وقرا الاية فتفرق بكم عن سبيله الموصل اليه وهو ما شرعه على لسان رسله الباء
للتعدية اي تفرقكم وتزيلكم ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون اي بفعل ما يأول الى ان سلوكها امر

خط وعن ابن عباس ان هذه الايات محكمات لم ينسخهن شيء مع جميع الكتب
ثم آتينا موسى الكتاب عطف على ذلكم وصاكم لا على الفعلية لعدم استقامة المعنى
وثم للتراخي رتبة اي اعظم من تلك التوصية انزال الكتابين الى موسى واليك وقيل
عطف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب فثم على ظاهره
تماما حال او مفعول له لكونه بمعنى اتماما او مصدر من غير فعله نحو انبتنا نباتا على الذي
احسن اي تماما للكرامة لكل محسن على ان اللام للجنس ويؤيده قراءة ابن مسعود على الذين
احسنوا او للعهد والمراد به موسى الذي احسن في كل ما امر به من الطاعة او تماما على الذي
احسنه موسى من العلم والمعارف من قولهم احسن فلان فيما فعل اي اجاد والمعنى زيادة
على ما عنده من العلم وتفصيلا لكل شيء يحتاج اليه في الدين اصولا وفروعا عطف على تماما
يجري فيه وجوه اعرابه وهدى ورحمة لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون بجزائه وثوابه وهذا كتاب
انزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون اي القران عطف على آتينا داخل في
حيز ثم وايثار الاسمية المصدرة باسم الاشارة الدالة على كمال التميز ووصفه بالانزال الدال
على العلو والبركة التي يشمل كل نفع وخير اظهار الشرفه واتيانه لمحله ثم ختم الاية بالرحمة التي هي
صفة وختم الاولى بالايمان الذي هو فعلهم ان تقولوا كراهة ان تقولوا او لئلا تقولوا بحذف
المضاف عند البصريين وحرف النفي عند الكوفيين انما انزل الكتاب على طائفتين من
قبلنا اليهود والنصارى صح الحصر لان الزبور لم يشتمل على الاحكام وان كنا عن دراستهم
قراءتهم لغافلين لا ندري ما هي ان مخففة واللام الفارقة بينها وبين النافية او تقولوا
لو انا انزل علينا الكتاب شيء من الكتب لكنا اهدى منهم لغزارة فهمنا وسرعة ادراكنا
ودقة نظرنا فقد جاءكم بينة من ربكم حجة واضحة لا تقبل القاع الشبهة فيها وهدى ورحمة
جعلها نفس الهدى والرحمة مبالغة وتسميتها حجة بالنظر الى الخصم وهدى بالنظر الى المطلوب
ورحمة بالنظر الى الطالب فمن اظلم ممن كذب على الله لا اظلم منه وصدف عنها صد
ومنع الناس عنها فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا يصدون عنها سوء
العذاب العذاب السيء من اضافة الصفة الى الموصوف بما كانوا يصدفون لم يذكر
جزاء التكذيب بل جزاء الصدف اشارة الى فرط قبحه لانه ضرر متعد وصد للمسترشد هل ينظرون
الاستفهام بمعنى النفي ولذلك صح الاستثناء الا ان تأتيهم الملائكة ملائكة الموت او العذاب
او يأتي ربك امره بالعذاب او الآيات كلها وهو يوم القيمة ولذلك قابله بقوله او يأتي
بعض آيات ربك يريد اشراط الساعة روى مسلم عن حذيفة بن اسيد الغفاري قال
اطلع علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتذاكر الساعة فقال ما تذكرون قالوا نذكر
الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات فذكر الدجال والدخان والدابة وطلوع
الشمس من مغربها ونزول عيسى ويأجوج ومأجوج وثلث خسوف خسف بالمشرق وخسف بالمغرب
وخسف بجزيرة العرب واخر ذلك نار يخرج من اليمن تطرد الناس الى المحشر يوم يأتي بعض

ايات ربك لاينفع نفسا ايمانها لان الامرعيان حينئذ والايمان المعتبر هو الايمان بالغيب
لم تكن آمنت من قبل صفة نفسا او حال من الضمير المجرور اوكسبت في ايمانها خيرا عطف
على آمنت استدل به على عدم نفع الايمان المجرد عن العمل وذلك ان او يأتي لعموم النفي كقوله
ولا تطع منهم اثما او كفورا اي واحدا منهما واخرى لنفي العموم وذلك اذا قدر عطف النفي على
النفي ثم جي باو والاية من قبيل الثاني لتعذر الاول لانه اذا انتفى الايمان انتفى كسب
الخير في الايمان بالضرورة فالمعنى انتفاء الايمان وانتفاء كسب الخير فيه سيان والجواب
انه من قبيل اللف التقديري اي لاينفع نفسا ايمانها ولا كسبها في الايمان ان لم تكن
آمنت من قبل اوكسبت فيه فيوافق ساير الايات والاحاديث او هو من قبيل القلب
اي لم تكن كسبت خيرا او آمنت من قبل وفايدة هذا القلب التنبيه بتقديم الايمان
على انه الاصل الذي نيط به النجاة قل انتظروا انا منتظرون ذلك فانا فيه الفيل (والويل) لكم ان
الذين فارقوا دينهم تركوه بالمد وقرا غير حمزة والكسائي فرقوا من التفرقة وهي التجربة اي
آمنوا ببعض وكفروا ببعض وهذا ابلغ في الوعيد واوفق بقوله وكانوا شيعا والقول بان
معنى القراءتين واحد لان من فرق فقد فارق ونقول عن عكسه ومن فارق لا يلزم
ان يكون فرق وشيعا جمع شيعة وهي الطايفة التي تشيع اماما لست منهم في شيء فاتركهم
وما هم عليه منسوخة باية السيف او لا تسأل عن شيء من احوالهم كقوله ولا تسأل عن اصحاب
الجحيم او انت بري منهم انما امرهم الى الله هو الذي يحاسبهم ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون
كناية عن العقاب تقول لمن جنى عليك هددا له ساخبرك بما فعلت من جاء
بالحسنة فله عشر امثالها تفضلا منه تعالى وهذا اول ما ورد وقد صح سبعمائة الى اضعاف
لا يعلمها الا الله وذلك باعتبار الاخلاص والامكنة والاوقات وقيل المراد بالعشرة الكثيرة
وانما حذف التاء لان الامثال في معنى الحسنات ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها
ان لم يعف عنها وخلود الكافر جزاء بالمثل لانه كان عازما على الاستمرار لو عاش ابدا
وهم لا يظلمون بنقصان من الثواب او زيادة في العذاب جار على المتعارف والا فالظلم
من المالك الحقيقي مستحيل وان زاد او نقص قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم بالوحي
لقوله ان اهتديت فيما يوحي الى ربي دينا نصب على البدل من محل صراط او على الاختصاص
قيما فيعل من قام كسيد من ساد وقرا الكوفيون وابن عامر قيما على وزن عوضا
مصدر كرجل عدل فهو ابلغ معنى والاول ابلغ صيغة ملة ابرهيم عطف بيان لدينا وما
شرعه الله على لسان الرسل يسمى دينا واسلاما باعتبار الانقياد وملة باعتبار الاجتماع عليه
وشرعا وشريعة باعتبار الوصول المتمسكين به الى نيل رحمته حنيفا مايلا من الباطل حال
من المضاف اليه وما كان من المشركين رد على المشركين الذين يزعمون انهم على ملته
قل ان صلوتي ونسكي عبادتي كلها وافراد الصلوة لزيادة شرفها او قرباني في الحج لانهم كانوا
يذبحون القرابين للاصنام ومحياي ومماتي ما يقارن حياتي وما يقارن مماتي من الطاعات

كالصدقة

كالصدقة الجارية والولد الصالح والعلم على ما نطق به الحديث وقرا ورش عن نافع
باسكان الياء في الوصل لان زيادة المد تقوم مقام الحركة لله رب العالمين خالصة
لا لغيره لا شريك له في ذلك تعريض بالمشركين وبذلك امرت لا بغيره تصريح بما
علم ضمنا وانا اول المسلمين زمانا لان اسلام امته بعده او رتبة لان احدا لا يلحقه في
كمال الاسلام وهذا اوجه لان الاول ظاهر لا يحتاج الى الاخبار به قل اغير الله ابغي ربا
انكار ان يتخذ ربا سواه وهو رب كل شيء ومنه ما تعبدونه ولا تكسب كل نفس
الا عليها والحال ان جناية كل نفس لا يتخطاها ولا تزر وازرة وزر اخرى الوزر لغة
الثقل جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ثم الى ربكم مرجعكم يوم القيمة للجزاء
فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون تبين الرشد من الغي ويجازي المحق والمبطل وهو الذي
جعلكم خلائف في الارض صفة اخرى دالة على عدم جواز الاشراك ولما كان صلى الله عليه
وسلم اخر الرسل كانت امته خلايف ساير الامم او يخلف بعضهم بعضا او هم خلفاء الله في
ارضه يتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض بالملك والشرف والعلم والرزق درجات
متفاوتة ليبلوكم فيما آتيكم ليعاملكم معاملة المختبر ان ربك سريع العقاب لان وقوعه
متعلق بارادته لا غير وانما قدمه لان الكلام مع المشركين وانه لغفور رحيم اكده باللام
واسنده الى ذاته المقدسة ايماء الى وفور غفرانه وسبق رحمته غضبه وكان افتتاح السورة
بالحمد وختامها بالرحمة التي لا نعمة اجل منها فانتظم اخرها بالاول غاية الانتظام وهو اللايق
بكلام الملك العلام

سورة الاعراف مكية الا ثمان ايات من قوله واسئلهم الى قوله واذ نتقنا الجبل محكمة كلها وقيل الا قوله واعرض عن الجاهلين وهي مائتان وخمس آية

بسم الله الرحمن الرحيم المص اسم السورة او القران والاول
اولى لان البعض اذا استقل بالكمال والاعجاز فالكل اجدر او حروف متعددة ايقاظا او
اغراء بما سبق في مثله كتاب خبر المص او خبر محذوف اي هو كتاب انزل اليك
صفته فلا تكن في صدرك حرج منه شك لان الشاك حرج الصدر قلقه كما ان المتيقن
منشرح الصدر منفسحه والمراد نهيه عن حرج الصدر وانما عبر عنه بعدم الحرج تعبيرا عن
الملزوم باللازم نظيره وليجدوا فيكم غلظة او حرج وضيق صدر في تبليغه مخافة التكذيب
او القيام بحقه كما ينبغي فان الله مؤيدك لتنذر به متعلق بانزل اي انزل لانذارك به
او بالنهي اي انما نهيت عن الحرج والقلق ليكون جسورا على التبليغ وذكرى للمؤمنين
عطف على تنذر لكونه مصدرا في المعنى او يقدر له فعل من جنسه اي وتذكر ذكرى فانه بمعنى
التذكير ويحتمل الرفع عطفا على كتاب او خبر مبتدا محذوف اتبعوا ما انزل اليكم من
ربكم جميع ما انزل هذه السورة وغيرها ولذلك اتى بالمظهر ليشمل السنة ايضا لانه لم ينطق
عن الهوى بل ليس كلامه الا وحي يوحى ولا تتبعوا من دونه اولياء من دون الله من
الجن والانس يضلونكم عن طريق الحق او من دون دين الله دين اولياء وقرئ

لا تتبعوا بالغين المعجمة قليلا ما تذكرون تذكرا قليلا او زمانا قليلا اذ لو تذكرتم حق التذكر
لما تركتم دين الله واتبعتم غيره والعامل في قليلا الفعل المذكور او ليس الماول
بالمصدر في حكمه من كل وجه او زائدة لتاكيد معنى القلة وقرا ابن عامر بزيادة اليا
في اول الفعل اي من بعثت اليهم لا يتذكرون الا قليلا وقرا حمزه والكسائي وحفص
عن عاصم وابن عامر تذكرون مخفف الذال والباقون بالادغام والمختار عندنا الادغام
والخطاب لجري الكلام على السنن الاول وكم من قرية اهلكناها اي كثيرا من القرى
اردنا اهلاكها بدليل فجاءها باسنا بياتا بايتين والبيتوتة النوم ليلا كالقيلولة
نهارا او هم قايلون عطف على بياتا وانما حذف الواو الحالية كراهة الجمع بين حرفي
العطف لان الواو الحالية عاطفة في الاصل وانما خص الوقتين لانهما وقت الدعة
والاستراحة ووقوع العذاب فيهما افضع ولذلك اهلك قوم لوط في اخر السحر لانه
اطيب ساعات الليل فما كان دعويهم اي دعاؤهم الذي كانوا ينتحلونه او جاءهم
باسنا وقت مجي العذاب الآن قالوا انا كنا ظالمين الا الاعتراف ببطلانه او
ما كان دعاؤهم واستغاثتهم الا هذا القول لتحسر العلمهم بان ليس الوقت قابلا
للاستغاثة فلنسالن الذين ارسل اليهم الامم وعن اجابتهم الرسل ولنسالن المرسلين
عن تبليغهم وعما اجيبوا به ولا ينافيه قوله فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان
لاختلاف الحال باختلاف المواقف ولا قوله ولا يسال عن ذنوبهم المجرمون لان
هذا سوال توبيخ والمنفي سوال العرض والحساب والقول بان المنفي سوال استعلام
سهو لان الاستعلام على علام الغيوب محال فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم
ما كانوا عليه بعلم عالمين ظاهرهم وباطنهم وما كنا غائبين عنهم لحج بصر فايدة التوكيد
وتخصيص العلم بالحضوري الذي لا يقبل شبهة ولا يحوم حوله ريب والوزن مبتدا وهذا
خبر المبتدا الحق صفة الوزن او هو الخبر لانه بمعنى الكين او خبر محذوف ومعناه العدل
السوي الذي لا زيغ فيه والموزون صحايف الاعمال لما روى الترمذي وابن ماجه عن
عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوتى برجل من امتي على رؤوس الاشهاد
فينشر عليه تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول اتنكر شيا من هذا فيقول لا
يا رب فيقول الله ان لك عندنا حسنة ولا ظلم اليوم فيخرج بطاقة فيها اشهد ان
لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقول له احضر وزنك فيقول ما هذه البطاقة
مع هذه السجلات فيقول انك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في اخرى
فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا تثقل مع اسم الله شي وفايدة هذا الوزن
مع انه تعالى لا يخفى عليه خافية اظهار المعدلة وازاحة المعذرة بمحضر الخلايق وقيل العزم
القضاء او مجازات الاعمال بثوابها فمن ثقلت موازينه حسناته جمع موزون او ما يوزن
به جمع ميزان وانما جمع باعتبار الموزونات وتعددها والاول اوجه لقوله ونضع الموازين

القسط فاولئك هم المفلحون الفايزون بالنجاة يوم الحساب ومن خفت موازينه
فاولئك الذين خسروا انفسهم حيث اوردوها موارد الهلاك وفوتوها الحيوة الحياة
الابدية ونعيمها بما كانوا باياتنا يظلمون يكذبون وضع موضع التكذيب دلالة على ان
التكذيب بايات الله ظلم كقوله واتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ولقد مكناكم في الارض
جعلنا لكم مكانا تسكنونه او جعلناكم متمكنين متصرفين فيها كيف شئتم وجعلنا لكم فيها
معايش جمع معيشة وهي ما به قوام العيش والياء في الاصل متحركة فلا تقلب همزة
في الجمع وكذلك مكايل ومبايع والمحققون على ان قراءته بالهمز لحن فاحش ومنهم من شبهه
بما الياء فيه زائدة فهمزه قليلا ما تشكرون شكرا قليلا او زمانا قليلا ولقد خلقناكم اي
اباكم ادم طينا ثم صورناكم بصورة الانسان في احسن تقويم لقوله ثم قلنا للملائكة اسجدوا
لادم او لقد قدرناكم في علمنا ثم صورناكم في ظهر ادم ثم جعلكم ان قلنا للملائكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين لم يدخل في زمرتهم قال ما منعك الا
تسجد اذ امرتك لا مزيدة لتاكيد معنى الفعل مثله لئلا يعلم اهل الكتاب وقد حذفها في قوله
ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي وقيل الممنوع من الشي مضطر الى خلافه كانه قيل ما
اضطرك الى عدم السجود وانما التفت من التكلم الى الغيبة بعد عصيانه لانحطاطه عن
ساحة الحضور بارتكاب المخالفة والتكبر قال انا خير منه استانف بذكر العلة ليكون
جوابا وزيادة خلقتني من نار وخلقته من طين تعليل لخيريته واخطا من وجوه لانه
لم يلاحظ الامر بل المامور به وهذا اجهل منه لان من كان مريد المحبة انقاد في كل ما امر به
ولانه صح بافضلية في تلك الحضرة ولو كان الامر كما زعم فرضا كان الواجب عليه اظهارا
للطاعة هضما للنفس كما هو داب الفضلاء في المحافل مع المفضولين ولانه قايل القول
بالحسن والقبح عقلا فهو اول من سن ذلك المذهب الباطل مع انه لو سلم له القول
بالحسن العقلي لم يتم له ما رامه لان خيرة النار من التراب ممنوعة لان النار مفسدة بالطبع
معدة للعذاب وان كان فيها نفع ما فبالعرض والتراب اصل المنافع كلها من
جميع الاجناس والانواع حيوانا ونباتا ومعبد الملائكة ومعفر جباههم قبل خلق ادم وكان
ابليس عارفا بذلك بل قيل انه كان رئيس تلك الطايفة وكان في علمه تعالى ان التراب
يكون مادة اجسام العباد المكرمين من الانبياء والرسل ومأويهم في حيوتهم ومرقدهم في جوار الله
بعد مماتهم والنار التي افتخر بها مستقر كل عقرب وحية وسجن اعداء الله وموضع سخطه
كانت الحكمة اقتضت ازلا بان يكون معذبا بما افتخر به قدوة للاشقياء ليعلم انه لم ياته
ما اتاه الا من جهله واعظم جهالاته انه لم يتدارك ذنبه بالتوبة ليذيقه برد العفو وحلاوة الغفران
كما فعل صفي الله ادم من اعظام الذنب والمبادرة الى التوبة النصوح ونسبة الظلم الى نفسه بقوله
ربنا ظلمنا انفسنا مع ان ما ارتكبه كان في حيز العفو لانه وقع منه نسيانا لقوله فنسي ولم
نجد له عزما قال فاهبط منها من الجنة فما يكون لك ان تتكبر اي لا يصح ولا يجوز لك التكبر

فيها وقد وجد منك ذلك فاوجب طردك فاخرج انك من الصاغرين داخل في زمرتهم
من الصغار وهو الذل والهوان وحق له ذلك فانه نازع الحق تعالى رداء الكبرياء وفي الحديث
من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله وفي الحديث ان الله خاطب الجبال وقال
سقف على واحد منكم سفينة نوح عليه السلام فتطاولت الجبال وتقاصر الجودي فساقها الله
واستوت عليه قال انظرني الى يوم يبعثون الى يوم القيمة قال انك من المنظرين اجابة الى
طلبته استدراجا قال فبما اغويتني اي بسبب اغوائي وايقاعي في الغي وهو ضد الرشاد
والباء متعلقة بفعل القسم لا باقعدن لان اللام تصد عنه او الباء للقسم اقسم بالاغواء
الذي هو فعل الله لاقعدن لهم صراطك المستقيم هو دين الاسلام ونصبه على الظرف و
ان كان حذف في من المحدود شاذ نحو قوله كما عسل الطريق الثعلب وقيل تقديره
على صراطك كقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اي على الظهر والبطن ثم لاتينهم من
بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم من الجهات الاربع كما هو شان
قطاع الطريق على السابلة واستعماله جهة الامام والخلف لمن واليمين والشمال لعن وارد
على لغة العرب واستعمالهم وقيل انما ذكر من في الاولين لانه متوجه اليهم من تينك
الجهتين ومن جهة اليمين والشمال منحرف عنهم فيوجد فيهما معنى المجاوزة وعن ابن
عباس من بين ايديهم من قبل الاخرة ومن خلفهم من جهة الدنيا وعن ايمانهم من
قبل حسناتهم وعن شمائلهم من شهواتهم وقيل انما لم يذكر جهة الفوق لان الرحمة تنزل منها
وجهة التحت لانه موضع السجود ومقام القرب منه تعالى ولا تجد اكثرهم شاكرين نعمك منقادين
لاوامرك وانما قال ذلك ظنا لانه حين كان ادم جسدا ملقى بين مكة والطائف راه
خلقا اجوف فقال مخلوق خفيف لو سلطت عليه لاغوينه والى هذا الظن اشار بقوله
ولقد صدق عليهم ابليس ظنه او سمعه من الملائكة حين قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها
ويسفك الدماء قال اخرج منها مذءوما مذموما من الذام وهو العيب بهمز ولا بهمز
مدحورا مبعدا من الدحور وهو الطرد والاقصاء لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم اجمعين
اللام الاولى موطئة والثانية جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وقرئ بكسر اللام
والمعنى لمن تبعك هذا الوعيد او متعلق باخرج ويا ادم اسكن انت وزوجك الجنة
فكلا من حيث شئتما اي وقلنا يا ادم عطف على قلنا للملائكة اسجدوا لا على ما بعد قلنا
لفساد المعنى اذ يؤول المعنى الى قلنا للملائكة ويا ادم اسجد ولم يعطف ايضا على ما بعد قال
ليكون التقدير قال يا ابليس اخرج ويا ادم اسكن لان ذاك في مقام الاستيناف
لجزاء ابليس على ما بدا منه وعزمه على التعرض لاضلال بني ادم بكل ممكن وهذا من
تتمة الانعام على بني ادم باكرام ابيهم ولا تقربا هذه الشجرة هي السنبلة وقيل الكرمة
وقيل التينة والهاء في هذه عوض عن الياء بدليل تصغيره على ذيا فتكونا من الظالمين
فتصيرا من جملتهم جزم على العطف او نصب على الجواب فوسوس لهما الشيطان فعل الوسوسة

لاجلهما

لاجلها وهي في الاصل الصوت الخفي كالخشخشة ومنه وسواس الحلي ليبدي لهما
ليظهر لهما علة للوسوسة ولا ينافي قصده اضلالهما والايقاع في المعصية ما ووري عنهما
من سوآتهما غطي وستر من الوري بمعنى الستر ومنه حتى توارت بالحجاب والسوأة العورة
سميت به لان انكشافها يسوء المرء وكانا لا يريانها من انفسهما وهذا يدل على ان
كشف العورة من العظايم ولا يجوز الا بقدر الضرورة والزوجان وان كان جايزا
لكل منهما النظر الى عورة صاحبه الا انه مخل بالمروة وفي الصحيح عن عايشة رضي الله عنها
ما رايت منه ولا راى مني تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحذف المفعول لان ذكره
مستهجن وانما لم تقلب الواو الاولى همزة لان الثانية مدة بخلاف اويصل وقال ما نهيكما
ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين الا كراهة كونكما متصفين
بهاتين الصفتين ولا تدل على افضلية الملك مطلقا كيف وقد امروا بالسجود له بل كان
القصد من الملكية الانقطاع عن الشهوات وما يحتاج اليه البشر والتبتل بالمرة على عبادته
تعالى كالملائكة يسبحون الليل والنهار لا يفترون وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين
حلف لهما واخرج على زنة المفاعلة مبالغة او حلفا له بالقبول بعد ما حلف لهما بالنصح
فدلاهما بغرور اوقعهما في الخطيئة بغرور شئ يغتر به وهو الوسوسة والمقاسمة والتدلية
فيه معنى التسفل والنزول ماخوذ من الدلو فكانه بالايقاع في الخطيئة نزلهما من رتبة عالية و
مقام سني قيل كانا لا يعتقدان ان احدا يحلف كاذبا فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما
فلما اخذا في الاكل فان الذوق من مبادي الاكل ولذلك لا يبطل الصوم به وهذا ظاهر في
ان بدو السوأة كان بعد الذوق قبل الاكل وفي سورة طه فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما
يدل على ان ذلك كان بعد الاكل والتوفيق ان البدو كان بداه بعد الذوق وتمامه
وكماله بعد الاكل لتكامل الجناية حينئذ وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة شرعا يخصفان
ورقة فوق ورقة اصله من خصف النعل وهو ان يجعل طرقة منه فوق طرقة وذكر الفاء في قوله
في سورة طه فطفقا لا ينافي ذكر الواو هنا مع اتحاد القصة لان الواو للجمع المطلق وناديهما
ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين فيه دليل على
ان النهي يفيد تحريم المنهي عنه ان لم يصرف عنه صارف وانما ذكر اسم الاشارة الموضوع
للقريب اولا وللبعيد ثانيا لانهما بعد وقوع ما وقع واطلاعهما على تغرير ابليس فرا من
الشجرة فكانت حين العتاب بعيدة عنهما قالا ربنا ظلمنا انفسنا نقصنا حظنا بارتكاب
مخالفة امرك الموجب لانحطاط شاننا والقول بان الظلم تعريضهما للاخراج من الجنة
لا يستقيم لانهما لم يعلما بعد انهما مخرجان بل علم ذلك من قوله اهبطوا وان لم تغفر لنا
وترحمنا لنكونن من الخاسرين ان لم تغفر زلتنا وترحمنا بقبول توبتنا لنكونن من الذين
خسروا اخرانا بنا وهذا دليل على ان الصغاير يجوز العقاب عليها عقلا من اجتناب
الكباير وانما علم عدم العقاب من الشرع لقوله ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه نكفر عنكم

سوآتكم ونظايره من الاحاديث قال اهبطوا من الجنة الى الارض خطاب لآدم وحواء
وذريتهما اولهما ولابليس ذكره ثانيا تبعا لانه قرينهم والاول هو الوجه بعضكم لبعض عدو
حال من الفاعل وانما صح وقوع الاسمية حالا بالضمير وحده لانها في معنى المفرد اي متعادين
ولكم في الارض مستقر ومتاع موضع استقرار وتمتع او استقرار وتمتع الى حين الى حين
الموت قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون للجزاء استيناف جواب سوال كانه
قيل بعد استقرارنا كيف يكون الحال قرأ حمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء والباقون
بالضم وهو المختار لقوله ويخرجكم اخراجا يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم
انزلنا اسبابه لان الاجرام السفلية المركبة من النبات والحيوان والمعادن انما تتكون
باسباب سماوية كالسحاب والريح والمطر مثله انزل لكم من الانعام ثمانية ازواج وانزلنا
الحديد فيه بأس شديد وفي الحديث ان المشركين كانوا اذا قدم احدهم حاجا او معتمرا ان
وجد من اهل الحرم من يعيره الثياب طاف فيها والا طاف عريانا فنزلت وانما ذكره
بعد قصة آدم وعثرته باغواء الشيطان ايماء الى انه من وسواس الشيطان وهو اول محنة اصابت
آدم من قبله وريشا الريش والرياش اللباس الفاخر ومنه ريش الطاير لانه جماله
وقيل هو المال والخصب ومنه ارتاش فلان اذا احسنت حاله ولباس التقوى لباس
الورع وخشيته تعالى ذلك خير رفع على الابتداء والخبر اما الجملة التي هي ذلك خير كانه
قيل ولباس التقوى هو خير لان اسم الاشارة بمنزلة الضمير في ربط المبتدا بالخبر او
ذلك صفة لانه في تاويل المشار اليه وخير خبره وعلى هذا ذلك لتعظيم لباس التقوى
ويجوز ان يكون اشارة الى اللباس المواري تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس
التقوى لباس الحرب من الدرع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقى به في الحروب
قرأ نافع وابن عامر والكسائي لباس بالنصب عطفا على لباسا والمختار الرفع ذلك
من آيات الله اي الانزال او تنويع اللباس من دلايله الدالة على كمال قدرته ووفور
فضله ورحمته لعلهم يذكرون فيعتقلون ويتوفرون للشكر وانما التفت من الخطاب
الى الغيبة لانتقال الكلام من فعله المشتمل على التفضيل الى فعلهم المشعر بذهولهم عن
تصور ذلك الاحسان فضلا عن القيام بالشكر له فهم احقاء بالبعد عن ساحة الحضور
يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان لا يضلنكم عن طريق الحق من فتنه اذا اضله لا من
فتن بمعنى امتحن واختبر كما اخرج ابويكم من الجنة اوقعهما في الزلة الموجبة للخروج و
الاسناد اليه مجاز لعلاقة السببية وانما استانف الكلام ولم يعطف القصة على القصة
لانه شروع في نوع اخر من الكلام وانما اسند النهي الى الشيطان مبالغة في التحذير كما
تقول لا ادمينك الاسد ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما حال من ابويكم او من فاعل
اخرج او منهما والاسناد الى السبب انه يريكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم حث على غاية
التحذر منه لانه عدو متربص والخفاء عن الابصار واستتاره عنها يوجب كمال اسباب

كيده وقبيله جنوده وذريته وهو في الاصل الجماعة فوق الثلثة اذا كانوا اشتاتا وانما عطف
على المستتر في يريكم لانه موكد بالمنفصل ولا دلالة في الاية على عدم امكان الروية وقد ورد
في الاحاديث روية جماعة من الصحابة رواه البخاري وغيره انا جعلنا الشياطين اولياء
للذين لا يؤمنون ابلغ في التحذير من الاول ولذلك لم يعطفه عليه وصرح بان من
توالي الشياطين ليس بمؤمن واسند الجعل الى نفسه دلالة على كونه حتما مقضيا واذا فعلوا
فاحشة اي اولياء الشياطين والفاحشة ذنب تناهى قبحه كالزنى والقتل والطواف
عريانا قالوا وجدنا عليها اباءنا والله امرنا بها استدلوا على حسنها بحجتين الاولى تقليد اباءهم
المخطين والثانية الافتراء على الله تعالى بانه الآمر بها ولما كان تقليد الآباء فساده واضحا
لم يتعرض له ورد الثاني بقوله قل ان الله لا يامر بالفحشاء لانه قبيح منه اذ لا يتصور منه لانه
المالك المطلق بل لانه يختار لعباده محاسن الاعمال وليس في الاية دليل على القبح العقلي
لان المراد به ما يكون سببا للعقاب اجلا وملايمات الطبع ووصف الكمال والنقص
حسنها وقبحها عقلي اتفاقا وليس فيها ايضا ما يدل على بطلان التقليد مطلقا بل ما قام
البرهان على خلافه اتقولون على الله ما لا تعلمون انكار وتوبيخ على ذلك القول وتضمين
النهي عن افترائه مثله وفيه ايماء الى ان القول بلا علم مذموم وان لم يكن منسوبا اليه تعالى
قل امر ربي بالقسط اي بالتوحيد الذي هو اساس كل عمل او بالامر المتوسط بين الافراط والتفريط
الذي هو المحمود واقيموا وجوهكم عطف على مقدر اي قوموا بالقسط واجعلوا وجوهكم الى القبلة
عند كل مسجد في كل وقت صلوة او في كل مكانها وقيل توجهوا اليه غير عادلين الى غيره من
المعبودات والاول اوفق بالمقام وادعوه مخلصين له الدين اعبدوه مخلصين له الطاعة
وانما اطلق الدعاء لانها مخ العبادات ولان العابد حين الدعاء يتوجه الى معبوده بالجوارح
كما بداكم تعودون جار مجرى التعليل اي اذ كان منشاكم منه ومعادكم اليه فلا وجه للاشراك
في العبادة وتشبيه الاعادة بالبداء من حيث ان كلا منهما نسبته الى قدرته سواء وهم يعترفون
بالبداء او من حيث التجرد والانفراد عن المال والاهل ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول
مرة او من حيث الشقاوة والسعادة لان الخاتمة فرع البداية ولذلك قال فريقا هدى
خلق فيهم الهداية الموصلة الى السعادة وفريقا حق عليهم الضلالة اي اخلهم فضلوا ولزمتهم
الضلالة وانما اسند الهداية الى ذاته المقدسة دون الاضلال اشارة الى سبق رحمته وسعتها
انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله تعليل للزوم الضلالة او تحقيق لها ويحسبون
انهم مهتدون اي مع كونهم ضالين لا يلتفتون الى مرشد لفرط جهلهم وليس يلزم منه
تساوي المعاند والمخطي في الذم والعقاب وان اشتركوا في الجملة فيهما يا بني آدم خذوا
زينتكم عند كل مسجد لما امرهم باقامة الوجوه نحو القبلة في الصلوة امر بستر العورة الذي
هو من شروطها ايضا وانما عبر عنه بالزينة لئلا يتوهم الاقتصار على قدر الحاجة وقيل بل
المراد ان يكون المصلي لابسا احسن الثياب واجملها كما ورد الامر بذلك في الجمع والاعياد

وكلوا واشربوا المراد بها الطيب الطاهر كما قيد في غير هذا الموضع ولا تسرفوا بتحريم
الحلال والافراط في الاكل والشره عليه واظهار الحيلة بالكل المستلذات على الفقراء المحاويج
وعن ابن عباس رضي الله عنه كل ما شئت والبس ما شئت ما اخطاتك خصلتان
سرف ومخيلة وعن علي بن الحسين رضي الله عنه جمع الله الطب في نصف اية وقرا
كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين المتجاوزين حد الاعتدال وعن مجاهد لو
انفقت مثل احد ذهبا في طاعة الله لم يكن سرفا ولو انفقت درهما في معصية لكان
سرفا وقيل لبعض السلف لا شرف في السرف قال نعم كما لا سرف في الشرف وقيل لا تسرفوا ان
لا تشركوا قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق انكار لان تكون
ما يتجمل به حراما على المؤمن كيف وقد خلق لهم ما في الارض جميعا روى مسلم عن عبد الله
بن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة
من كبر فقال رجل ان الرجل يحب ان يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال رسول الله ان الله جميل
يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس ولم يكتف بذلك بل امر باظهار شكره فقال
واما بنعمة ربك فحدث والحق ان مناط التقوى هو القلب في الحديث ان الله لا ينظر
الى صوركم واعمالكم وانما ينظر الى قلوبكم ونياتكم والطيبات من الرزق هي الماكل والمشارب
المستلذة والاباحة انما علمت من هذا النص ولا دلالة فيه على ان الاصل فيها الاباحة قبل
الشرع قل هي للذين امنوا في الحيوة الدنيا وان شاركهم فيها غيرهم فذلك بالعرض
خالصة يوم القيمة حال كونها مخصصة بهم في ذلك اليوم ولم يقل في الاخرة في مقابلة الدنيا
اشارة الى انهم في ذلك اليوم في تجمل وطيبات قبل مصيرهم الى الجنة اللهم اجعلنا
منهم يا واسع العطايا وقرا نافع بالرفع على انه خبر بعد الخبر كذلك نفصل الايات مثل
هذا التفصيل نفصل ساير الايات لقوم يعلمون فانهم هم الذين ينتفعون به ناد لفظ
القوم اشارة الى كمال من قام به العلم قل انما حرم ربي الفواحش جاء بصيغة الحصر
توكيد الاباحة ما قدم والفواحش كل ذنب تزايد قبحه وقيل ما يتعلق بالفروج ما ظهر منها
وما بطن ما حق والاثم مطلق الذنب تعميم بعد التخصيص وقيل شرب الخمر لان الاثم من
اسمائه شعر قالوا اشربت الاثم قلت كلا وانما شربت الذي في تركه عندي الاثم والبغي الظلم
على الغير سواء تعلق بماله او بعرضه او نفسه وقوله بغير الحق والبغي لا يكون الا كذلك تنفير
عن ارتكابه ولا يراد الكفر لقوله وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا برهانا يدل على حقيته
بل اخبر عمومه سفاهته وان تقولوا على الله ما لا تعلمون من الالحاد في صفاته كاتخاذ الولد
وامره بالفحشاء ولكل امة اجل مدة مقدرة لاعمارهم او لنزول العذاب وفيه اشارة الى ان
ظلمهم قد تجاوز حده وانهم ايل لنزول العذاب بهم لولا ذلك الاجل الذي لا يعلم الحكمة فيه
الا هو فاذا جاء اجلهم اخر المدة المقدرة لا يستاخرون ساعة عن ذلك الوقت والمراد بالساعة
ادنى ما يتصور من الزمان لا المتعارفة ولا يستقدمون عليه عطف على الشرطية لا الجزاء لعدم

استقامة

استقامة المعنى والسين للتاكيد مثله في سنكتب ما قالوا وقيل لشدة الهول لا يطلبون
التقدم والتاخر يا بني ادم اما ياتينكم رسل منكم يقصون عليكم اياتي يتلونها كما امروا من
قص الاثر تبعه وفايدة منكم الترغيب في اتباعهم لانهم من الجنس الذي يوجب الالفة
والاتيان وان كان محققا لكن لما لم يكن واجبا كما زعمه اهل التعليم اثر لفظ ان وكده
بما جبر لما فات من معنى اذا فمن اتقى واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون جواب
للشرط اي من اتقى الشرك والتكذيب واصلح ما افسده فقد جمع بين هذين الفوزين
والذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون لم يدخل
الفاء في الجزاء لدلالة السابقة على تقديرها او ايماء الى المسامحة في الوعيد لان الفاء يدل
على سببية السابق فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته تساوي بين الامرين
في القباحة قالوا بل لمن قال في الدين قولا بغير علم اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب
الموصوفون بهذه الصفة لهم حظ من الارزاق والاعمار في الدنيا يستوفونها فالكتاب بمعنى
المكتوب او هو اللوح المحفوظ حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم يقبضون ارواحهم غاية
لنيل النصيب وحتى هذه هي التي يبتدا بعدها الكلام قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله
جواب اذا استفهام تقريع اي هذا يوم الحاجة فكان الواجب ان يستعينوا بما كنتم تعبدون
جاهكم في عبادتها قالوا ضلوا عنا اقرار منهم بعبادتها فان قلت اذا كان قولهم ضلوا
عنا اقرارا منهم بالكفر فما فايدة قوله وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين قلت فايدته زيادة
التوبيخ واظهار لفظ الكفر الذي دل عليه قولهم ضلوا عنا التزاما قال ادخلوا في امم القائل
هو الله مثل قوله قال اخسئوا وخطابه مع المجرمين لا يستبعد لانه خطاب غضب وانتقام او
بعض الملائكة قد خلت من قبلكم صفة الامم من الجن والانس بيان لها في النار
متعلق بادخلوا او في امم حال اي كائنين في زمرتهم وعدادهم وفيه اشارة الى ان
دخولهم في زمرتهم اشد عليهم من عذاب النار ولذلك قدمه كما قال في النفس المطمئنة
فادخلي في عبادي وادخلي جنتي لان دخولها في تلك الطائفة اشرف واعلى من دخول
الجنة الشرف السكان لا المنزل كلما دخلت امة لعنت اختها وهي الطائفة التي
سنت ذلك الكفر وكما ان المؤمنين اخوة في الدين فكذلك الكفرة حتى اذا اداركوا
فيها جميعا الاتباع والقادة قالت اخراهم دخولا لاوليهم للمتقدمة اي في حقهم لا المخاطبة
لقوله ربنا هؤلاء اضلونا بان سنوا لنا الكفر والتكذيب فاتهم عذابا ضعفا من النار
مضاعفا على عذابنا لانهم ضلوا واضلوا قال الله لكل ضعف اي منكم ومنهم اما القادة
فللضلال والاضلال واما الاتباع فللكفر والتقليد او لانهم ضالون مضلون ايضا ولكن
لا تعلمون ما لكل منكم وقرا عاصم في رواية ابي بكر بياء الغيبة على الانفصال وقالت
اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل اخذوا هذا الكلام من قوله تعالى لكل ضعف
لدلالته على مساواة الفريقين في الجناية فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة

او من قول الله للفريقين ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها عن الادعان
لاحكامها لا تفتح لهم ابواب السماء حتى يصلوا الى الجنة التي هي في السماء فضلا عن دخولها
او لاعمالهم اليه يصعد الكلم الطيب ولا رواحهم بل ترد الى السجين لورود الاحاديث
بذلك كله قرا حمزه والكسائي بياء الغيبة والتخفيف وابو عمرو بالخطاب مخففا والباقون
بالخطاب مشددا والمختار رعاية التانيث لوجود الفاصل فان قلت قوله تعالى مفتحة
لهم الابواب في حق المومنين يدل على فتح جميع ابواب الجنة وعلى ذلك القياس يكون
معنى قوله لا تفتح لهم ابواب السماء جميع ابوابها ولا يلزم عدم فتح شيء من ابوابها قلت
النفي موجه الى اصل الفعل لا على القيد ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط
تعليق بالمحال عادة والخياط والمخيط اسم لما يخاط به وهي الابرة كالازار والمئزر لما يتزر به
وكذلك نجزي المجرمين الكافرين الكاملين في الاجرام وانما عبر عن الكفر بالاجرام ايماء
الى قبحه وزجرا عن ارتكابه وانما اعاد الكلام موكدا بانواع التاكيدات البالغة للملايم من
الخلود والمكث الطويل وليترتب عليه شدايد العذاب التي خلت عنها الاية السابقة من
قوله لهم من جهنم مهاد فراش فعال بمعنى المفعول ومن فوقهم غواش جمع غاشية وهي
ما يتغطى به جمعه ليدل على تكاثفه وعظم العذاب منه كقوله من فوقهم ظلل من النار ومن
تحتهم ظلل وانما لم يجمع الاول لكونه مصدرا في الاصل وكذلك نجزي الظالمين العابدين
غير الله وهذا الحكم اخص من الاول اذ لا يلزم من عدم دخول الجنة دخول النار والذين
امنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون
اعاد الكلام ليترتب عليه وصف حالهم فيها وحسن مقالهم واعترض بين المبتدا والخبر
بقوله ولا نكلف نفسا الا وسعها ترغيبا في العمل الصالح الموصل الى النعيم المقيم بانه مع كونه
مورثا لتلك السعادة سهل التناول ونزعنا ما في صدورهم من غل اتماما للنعمة فان من
في صدره غل وحقد وان كان في ارفه حال وارغد عيش لم يخل عن حرج صدر وضيق عطن
وعن علي رضي الله عنه حين قتل طلحة والزبير في وقعة الجمل اني لارجو ان اكون انا وهولاء
منهم تجري من تحتهم الانهار توفير الحظ الباصرة مع انه يسري سروره الى ساير الحواس و
يذهب عن القلب الحزن وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا لما كان وسيلة لهذا وما كنا
لنهتدي لولا ان هدانا الله لولا هدايته وتوفيقه وهذا الكلام منهم على وجه الالتذاذ والسرور
او لا تكليف هناك وجواب لو محذوف لدلالة ما قبله عليه وقرا ابن عامر ما كنا بدون الواو
على انه بيان وهو رسم مصحف الشام والمختار اثبات لو لعدم ظهور البيان لقد جاءت
رسل ربنا بالحق اعتراف منهم بعد عين اليقين كما اعترفوا في الدنيا بعد علم اليقين
ونودوا ان تلكم الجنة اشار بلفظ البعيد باعتبار ما كانوا يعلمون في الدنيا بالوصف كما تقول
لصاحبك مشيرا الى رجل بين يديك هذا ذلك الرجل الذي كنت تسمع به او تعظيما لها و
القول بانه يقال لهم قبل الدخول يرده قوله الحمد لله الذي هدانا لهذا فان هذا النداء

بعد

بعد ذلك القول اورثتموها بما كنتم تعملون [illegible] بسبب اعمالكم والاعمال وان لم يكن سببا
حقيقيا مستلزما عقلا ولكن جرت عادته تعالى بذلك فكان سببا عاديا وقوله صلى الله
عليه وسلم لا يدخل احدكم الجنة بعمله نفي للسبب الحقيقي وانما عبر عن اعطائه وتفضله بالايراث
لانه اقوى اسباب الملك لحصوله حتما من غير اختيار وشعور وقيل ورثوها من الكفار لما ورد
في الحديث ان لكل مومن موضعا في النار يضاف الى نصيب واحد من الكفار ولكل كافر
موضعا من الجنة يضاف الى حظ واحد من اهل الجنة وهذا اوفق بالمقام لمجاورة الطاغين
ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد
ربكم حقا قالوا هذه المقالة تبجحا واظهارا للشماتة وهو الذ الاشياء كما ان اشد العذاب
شماتة الاعداء وانما اتى بلفظ الواحد في العذاب مشاكلة ولم يضفه كما اضاف الاول اما لانه
علم من الاول لانه قسيمه اولان ما وجدوه لم يكن كله موجودا مخصوصا بهم كالبعث والحساب
قالوا نعم اقرار بالوجدان وقرا الكسائي بكسر العين وهما لغتان والفتح هو المختار لانه لغة
اهل الحجاز وعامة العرب فاذن موذن بينهم بعد استقرار الفريقين وانقضاء تلك المحاورة
قيل هو اسرافيل ان لعنة الله على الظالمين اخبار بحصول اللعنة لهم وفايدته التحسير عليهم
وتنفير السامع عن ارتكاب الظلم وان هي المخففة حذف عنها ضمير الشان وقرا ابن عامر
وحمزه والكسائي بالتشديد وهو المختار لكونه اصلا مع خلوه عن الاضمار الذين يصدون عن
سبيل الله يمنعون القاصدين عن الاسلام ويبغونها عوجا يطلبون لها عيبا بكسر العين
عيب المعاني وما لا انتصاب له وبالفتح عيب الاجسام المنتصبة ومحله الجر على انه صفة مقررة
او رفع على الذم او نصب على الاختصاص وهم بالاخرة كافرون منكرون لها وفيه اشارة
الى ان ارتكابهم الظلم لعدم اعتقادهم المصير الى من يجازيهم وبينهما حجاب هو السور الذي
ضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب وعلى الاعراف رجال
اعراف ذلك السور اي اعاليه جمع عرف مستعار من عرف الفرس والديك هم طايفة من المومنين
قصر بهم العمل يوقفون بين الجنة والنار على ذلك السور الى وقت يريده الله وقيل هم الانبياء
والشهداء يوقفون كرامة وقيل هم العلماء وورد بذلك الحديث يوقفون للشفاعة فيمن
عمل بعلمهم يعرفون كلا بسيماهم هذا قبل دخول الجنة يعلمون ذلك بالهام الله او علامة كبياض
الوجه وسواده يدل عليه لفظ السيما لانها فعلا من الوسم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام عليكم
يا اهل الجنة اما حين الدخول او بعده لم يدخلوها وهم يطمعون حال من فاعل نادوا وقيل
ان كان اهل الاعراف المقصرين فالحال عن الواو وان كانوا الانبياء والشهداء او خيار
المومنين فعن اصحاب الجنة وانما ذهب الى هذا الاستبعاد الان يكون دخول الانبياء متاخرا
عن الامم وليس بشيء لما روى البخاري ومسلم في حديث الشفاعة عنه صلى الله تعالى عليه وسلم
انه قال اذا كان يوم القيمة فاخر لربي ساجدا فاشفع الى ربي فيحد لي حدا فاخرجهم من النار
وادخلهم الجنة ثم اعود فيحد لي حدا فاخرجهم من النار وادخلهم الجنة ثم ذكر العود ثالثا على ما قد رويا

ايضا انه تعالى يقول له يا محمد ادخل من امتك من الاحباب عليه من الباب الايمن
وهم شركا الناس فى ساير الابواب فان قلت ما معنى الطمع والانبيا قاطعون بدخول
الجنة قلت لا تنافى بين الطمع فى رحمته والقطع لموجب وعده واذا صرفت ابصارهم تلقا
اصحاب النار وراوا ما فيه من العذاب استعاذوا بالله قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم
الظالمين فى النار وانما لم يقل ولما نظروا اهل النار اشارة الى ان رويتهم ليس مقصودا
بالذات بل كان صار فاصرف ابصارهم نحوهم ونادى اصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم
بسيماهم من روسا الكفرة قالوا ما اغنى عنكم جمعكم كثرة اعدادكم او مالكم وما كنتم تستكبرون
ولا وجود استكباركم عن الحق وقرى يستكثرون من الكثرة اهولاء الذين اقسمتم لا ينالهم
الله برحمة من تتمة قول الرجال اشارة وابهولاء الى فقراء المهاجرين كخباب وعمار وبلال فان
صناديد قريش كانوا يحلفون انهم لا يدخلون الجنة وليسوا باهل لها ادخلوا الجنة لا خوف
عليكم ولا انتم تحزنون وكانهم لما راوا الفقراء بصدد الدخول خاطبوا المشركين بذلك الخطاب
ثم التفتوا وقالوا هذا الكلام وقيل لما عير اصحاب الاعراف اهل النار حلفوا انكم لا تدخلونها
ايضا فقال الله تعالى اهولاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة والوجه هو الاول
ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة بعد استقرار كل طايفة فى مستقرهما ان افيضوا علينا
من الماء الا فاضة الافراغ والصب وقيل فيه دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم
الله من ساير الاشربة او ساير الماكل من قبيل علفتها تبنا وماء باردا وهذا يمكن ان
يكون على الحقيقة بانهم لا يعلمون حرمة ذلك عليهم او قالوا حسرة وتحيرا وان يقنوا
عدم الحصول قالوا ان الله حرمهما على الكافرين استعارة تبعية كقوله شعر ومن بعد
ايام العقيق وعاجز حرام على عينى ان تطعما الكرى اولا تكليف هناك الذين اتخذوا
دينهم لهوا ولعبا من قول اصحاب الجنة او من قول الله واللهو ما يلهو به الانسان
اى يعرف همه به واللعب ما يجلب به الفرح وغرتهم الحيوة الدنيا خدعتهم فاليوم ننساهم
نفعل بهم فعل الناسين اى نتركهم كما نسوا لقاء يومهم هذا فلم يستعدوا له وما كانوا باياتنا
يجحدون وكما كانوا عطف على ما لم يعد الجار للقرب لفظا ومعنى وللمخصصة بجازيهم مثل
ما فعلوا ولقد جئناهم بكتاب فصلناه اياته يفهم من يخاطب به معانيها على علم عالمين
بما فيه من الحكم والاحكام ولفظ على للدلالة على كمال العلم حال من المرفوع فى فصلناه وجعله
حالا من المفعول ليس بذلك الحسن وفيه دليل على انه تعالى عالم بالعلم وقرى فضلناه اى
على ساير الكتب هدى ورحمة لقوم يؤمنون حال من منصوب فصلناه هل ينظرون
الا تاويله اى ما ينتظرون الا ما يؤول الكتاب اليه من وقوع ما نطق به من الوعد والوعيد
الضمير للمكذبين المستكبرين وقصة اصحاب الاعراف كانت استطرادا للترغيب والترهيب
يوم ياتى تاويله يقول الذين نسوه من قبل هو يوم القيمة قد جاءت رسل ربنا بالحق اى
تبين لنا ان ما جاؤا به كان حقا فهل لنا من شفعاء اليوم فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل

عطف جملة فعلية على اسمية وقرى بالنصب عطفا على فيشفعوا والمعنى على الرفع تمنى الشفاعة
او الرد وعلى النصب تمنى الشفاعة بدون الرد او الرد بدون الشفاعة ويجوز ان يكون
او بمعنى الى ان كقولك لالزمنك او تعطينى حقى وعلى هذا المعنى تمنى الشفيع للشفاعة
المفضية الى الرد قد خسروا انفسهم حين اوردوها موارد الهالكين وضل عنهم ما كانوا يفترون
من المعبودات الباطلة ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام لما بين
حال الفريقين فى المعاد كر الى ذكر المبدا وكيفية وجود الكاينات على النمط الذى فطرت عليه
ارشادا للضالين وتثبيتا للمهتدين والخلق هو الايجاد واقتصر على ذكر السموات والارض
دون ما بينهما لانه ذكره فى مواضع اخر ولان احدا لم يقل بالفصل او لانهما اذا كانتا مخلوقتين
له فغيرهما بالاولى والاخلق والمراد بالايام الاوقات او مقدار ما له لو كان هناك طلوع شمس
وغروب وفيه دليل على انه فاعل بالاختيار وارشاد للعباد على التانى فى الامور تخلقا
باخلاق الله تعالى ثم استوى على العرش اى بعد تكامل خلق الاشياء اجرى احكامه على
الموجودات اسعادا واشقاء واماتة واحياء لان ذاته تعالى وان كانت قديمة لم تزل
ولكن اثار سلطنته انما ظهرت بعد وجود الاشياء فمثل حاله بحال ملك جلس على سرير ملكه
للنظر فى شان من تحت حكمه والقول بان العرش هو الجسم المحيط بساير الاجسام مما لا دليل
عليه شرعا وان ثبت ان عرش الرحمن فوق السموات جسم نورانى عظيم يغشى الليل النهار
اى يجعل كلا منهما غشاء الاخر وهو ما يغطى ويستر به وقرا حمزة والكسائى وابو بكر عن عاصم
بالتشديد وهو ابلغ معنى يطلبه حثيثا يطلب كل منهما الاخر طلبا سريعا على انه مصدر
ويجوز ان يكون حالا من الفاعل اى حاثا او من المفعول اى محثوثا والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بامره بقضائه وقرا ابن عامر برفع الاربع وهو المختار لكونه ابلغ فى
القدرة ولعدم احتياجه الى تقدير العامل الا له الخلق والامر تنبيه لمن سمع هذا الكلام
الدال على تاثير قدرته تعالى وعظمة شانه بان يعترف بان لا خلق ولا تصرف لغيره
تبارك الله رب العالمين البركة النماء والزيادة والمعنى وصفه بزيادة التفضل فى
ترتيب الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر والنجوم ولما كان مساق الاية فى سورة قد افلح
لخلق الانسان واطواره ختم الاية بقوله تبارك الله احسن الخالقين ادعوا ربكم تضرعا
وخفية بعد ما تبين ان شانه فوق كل شان امرهم بالاستكانة والضراعة الذل اى
ذوى ذل وخفية فان الاخفاء فى الدعاء اقرب الى الاخلاص وفيه نوع من الانكسار
الملايم للضراعة وفى الحديث يفضل دعاء السر على الجهر سبعين ضعفا انه لا يحب المعتدين
المتجاوزين الحد بان يسهب غاية الاسهاب او يطلب ما لا يليق به كرتبة الانبياء وفى
الحديث سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى اسالك الجنة
وما يقرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما يقرب اليها من قول وعمل
ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها بهذا النظام الاحسن وشرع الاحكام على لسان الانبياء

وقرا ابو بكر بكسر الخاء فيهما

وادعوه خوفا وطمعا خايفين عقابه نظرا الى قلة اعمالكم بالنظر الى كبريايه طامعين رحمته
نظرا الى بحر كرمه وعموم عطائه روى انه تعالى لما طرد ابليس بكى جبرائيل وميكائيل فقال
تعالى ما هذا البكاء قالا ربنا بكاء خوف فان هذا كان عبدا قد قطع اعماره في عبادتك
قال هكذا كونا خايفين من سطوتي وقهر سلطاني ان رحمة الله قريب من المحسنين
اشارة الى ما يتوسل به الطامعون الى رحمته وانما ذكر الفعيل بمعنى الفاعل مع تانيث
الموصوف تشبيها له بالفعيل بمعنى المفعول وهو الذي يرسل الرياح من دلايل
وحدانيته الدالة على قدرته على الاعادة ارسال الرياح قرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح
بالتوحيد على ارادة الجنس بشرى بين يدي رحمته قرا الكوفيون الا عاصما وابن عامر
باسكان الشين جمع ناشر او نشور واصله الضم والاسكان لثقل الضمتين وقرا حمزة
والكسائي نشرا بفتح النون على المصدر لان الارسال فيه معنى النشر او على الحال وقرا
عاصم بالباء على انه جمع بشير كقلب وقليب قيل ان الصبا تثير السحاب والشمال
يجمعه والجنوب يدره والدبور يفرقه والحق ان الدبور معد للعذاب والى هذا اشار
صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وما روى عن ابن عباس رضي الله
عنه الجمع للرحمة والمفرد للعذاب شرح للحديث النبوي حتى اذا اقلت رفعته من القل
لان المقل للشي يرفعه سحابا جمع سحابة على حد تمر وتمرة ثقالا بالماء سقناه افرد الضمير
وذكره باعتبار اللفظ لبلد ميت لاجله اي احيائه وسقيه والبلد مرادف الارض
قراه مخففا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر فانزلنا به الماء اي بالبلد فالباء
للالصاق او بالسحاب او السوق او الريح فالباء للالة فاخرجنا به اي بالماء ويحتمل الوجوه
السابقة من كل الثمرات بعضا من كل نوع وانما لم يذكر الحبوب لان الثمرات ابدع
وشانها اغرب او لان الحبوب من ثمرة الارض ايضا كذلك نخرج الموتى مثل اخراج
الثمرات الذي تشاهدونه مدة اعماركم لعلكم تذكرون متعلق بقدر اي انما نلوناه
عليكم الاخراج على النمط المذكور لعلكم تذكرون ان لا فرق بينه وبين الاعادة فتقرون به
والبلد الطيب الارض الكريمة التربة يخرج نباته باذن ربه بعلمه وارادته والذي خبث
الارض الردية كالسباخ والقيعان لا يخرج الا نكدا يقال فلان نكد اي قليل الخير
والمراد به النبات الذي لا نفع فيه نصب على الحال عن المستتر في خبث مثل ضربه الله
للمومن والكافر روى ابو موسى الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مثل
ما بعثني الله به من العلم والهدى مثل غيث اصاب ارضا منها طايفة طيبة قبلت الماء
فانبتت الكلاء والعشب الكثير ومنها طايفة اجادب امسكت الماء فنفع الله الناس
به فشربوا وسقوا وزرعوا ومنها طايفة انما هي قيعان لا تمسك الماء ولا تنبت الكلاء
فذلك مثل من فقه في دين الله فنفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك
راسا ولم يقبل هدى الله الذي ارسلت به رواه البخاري ومسلم كذلك نصرف الايات

مثل هذا التصريف الجلي سائر الايات لقوم يشكرون نعمة الله فيعلمون ان تصريف
الايات من اجل النعم لقد ارسلنا نوحا الى قومه اللام فيه للقسم وانما التزم ذكر قد
مع القسم لان المخاطب بالجملة المقسم عليها منكر او متردد فاذا سمع القسم توقع وقوعها
اورد قصة نوح بعد قصة ادم وشرح احوال الجنة والنار ودلايل التوحيد لانه اول مبعوث
عذب قومه وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن ادريس بعث وهو ابن خمسين سنة
او اربعين وعاش الف سنة على الاصح فقال يا قوم اعبدوا الله وحده بدليل قوله
ما لكم من اله غيره واضافهم الى نفسه اظهارا للشفقة والنصح قرا الكسائي بكسر الراء حملا على
اللفظ صفة او بدلا وهذا اولى من قراءة الجمهور بالرفع لان رعاية اللفظ عندهم اكثر من
المحل اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم تعليل للامر بالتوحيد واليوم يوم القيمة
وعظمه لعظم ما فيه فالاسناد مجاز وقيل يوم الطوفان قال الملا من قومه اشرافهم لم يذكر
الفاء كما في ساير السور اشارة الى فرط جهلهم كانه لم يتعقب كلامهم كلامه فرد وانصحه من غير
تامل في نفعه انا لنريك في ضلال مبين واضح قال يا قوم ليس بي ضلالة اي واحدة
من جنس الضلال رد لكلامهم على ابلغ وجه كما اذا قيل لك هل عندك تمر فتقول ليس عندي
تمرة ولكني رسول من رب العالمين استدراك بحسب المعنى لانه اذا كان رسولا من الله
لا يمكن ان يكون ضالا لظهور التنافي بين الرسالة والضلالة ابلغكم رسالات ربي استيناف
لبيان كونه رسولا او صفة له والرسول وان كان لفظه غايبا ولكنه عبارة عن ضمير المتكلم
فصح كونه صفة له بذلك الاعتبار قرا ابو عمرو ابلغكم بالتخفيف وجمع رسالة باعتبار الوقايع
والاشخاص والعقايد والاحكام وقراة التشديد ابلغ وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون
يقال نصحه ونصح له واللام يدل على ان النصح خالصا للمنصوح له راعى به جانبه والمراد علمه
بصفات الله وشدة بطشه او كان اوحى اليه انهم ان لم يومنوا استاصلهم الله بالعذاب
كانوا امنين لان العذاب لم يكن حل بقوم قبلهم اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم
الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم ان جاءكم الذكر
هو الرسالة لاشتماله على المواعظ على رجل منكم على لسان رجل من قومكم يعرفونه بالامانة
معروف السيرة وكانوا يعتقدون ان الرسول لا يكون بشرا لينذركم ليحذركم باس الله
ونقمته لمن كفر ولتتقوا المعاصي ولعلكم ترحمون بعدي التقوى وانما ذكره بلفظ الترجي
على دأب الملوك وان كان مقطوعا به كقوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا او
للاشارة الى ان التقوى لا يوجب شيئا والترحم فضل منه تعالى ولئلا يعتمد العاملون على
عملهم فكذبوه صريحا في دعوى الرسالة لان قولهم انا لنريك في ضلال مبين غير صريح
فانجيناه والذين معه في الفلك انجيناهم في الفلك ويتعلق معه او حال من
الموصول او ضميره معه قيل كانوا ثمانين نفسا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل كانوا تسعة
هم بنوه الثلثة سام وحام ويافث وستة من قومه كانوا مومنين به واغرقنا الذين

كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين عمي القلب جار مجرى التعليل والى عاد اخاهم هودا
عطف على نوحا الى قومه وسماه اخا مجازا لانه واحد منهم كقولهم يا اخ العرب والحكمة في
بعث الانبياء من القوم لكونهم يعرفون ديانته وامانته ولئلا يانفوا عن اتباعه قال
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره لم يعطفه كما في قصة نوح عليه السلام لانه جاء على طريقة
الاستيناف كانه قيل ما قال لهم وكذلك جوابهم افلا تتقون عرض على التقوى كقولك
الا تنزل بنا والجواب محذوف اي تأمنوا من عذاب الله قال الملأ الذين كفروا من قومه
دل على ان من الملأ من كان مؤمنا والقول بان هذا الوصف دل على كونهم اقرب
من قوم نوح ليس بشيء لمجيء هذا الوصف في قومه ايضا في سورة هود وقد افلح والقول
بان الوصف في قومه في السورتين للذم خلاف الظاهر وتحكم بل الوجه في حذفه من قصة
نوح انها ما سبقت هنا مستوفاة وحيث ذكرت على وجه الاطناب ذكر الوصف انا لنريك
في سفاهة اي سفاهة كاملة متمكنا فيها وصفوه بالسفاهة وهي خفة العقل بخلاف قوم
نوح وصفوه بعد الاهتداء لانه نتيجة تلك الخفة وانا لنظنك من الكاذبين سند جاني رايهم
والظن بمعنى العلم قال يا قوم ليس بي سفاهة كما زعمتم ولم يتعرض لرد الكذب لان
منشأه السفاهة حيث لا سفاهة لا كذب ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات
ربي وانا لكم ناصح امين وصفه بالامانة وتقديم الضمير المفيد للتقوى وايثار الاسمية يدل
على فرط عنادهم او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم سبق تفسيره قريبا
واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح ذكرهم نعمة الله عليهم مع رمز الى انهم ان لم يشكروها
يحل بهم من العذاب ما نزل بقوم هم ساكنوا مساكنهم وزادكم في الخلق بسطة اي
جسامة في الخلقة فانها نعمة فايقة قيل كان اطولهم مائة ذراع واقصرهم ستين ذراعا
او بالمال فانهم كانوا في غاية من الثروة وقوله في حق قارون اولم يعلم ان الله قد اهلك
من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا يشير الى قوم عاد فان شداد بن عاد
ملك المعمورة من رمل عالج الى بحر عمان فاذكروا آلاء الله بالشكر تعميم بعد التخصيص لعلكم
تفلحون عسى ان يؤديكم الى الفلاح قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا
لما كانوا مفسدين فطرة الله التي يولد عليها كل مولود استبعدوا ان يكون فاطر الاشياء
وموجد الكائنات معبودا وحده والمراد من المجيء الاقدام على تبليغ الرسالة او كان معتزلا
عنهم كما هو داب الصالحين كما كان رسول الله يخلو بغار حراء قبل بعثته او قالوه تهكما به
والمراد المجيء من السماء فأتنا بما تعدنا من العذاب اما ان يكون صرح به او فهم من قوله الا
ان كنت من الصادقين بعد وروا امنهم قال قد وقع عليكم من ربكم رجس عذاب من
الارتجاس وهو الاضطراب وغضب انتقام من الله عطف تفسيري او ارادة انتقام
عذاب لا بد بعد العذاب في الدنيا وانما عبر عنه بالماضي لانه واقع لا محالة لصدوره عمن
لا يخلف الميعاد اتجادلونني في اسماء في استحقاق عبادتها سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان

برهان دال على استحقاق عبادتها فانتظروا العذاب اني معكم من المنتظرين لنجاتي و
استيصالكم فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر القوم الذين كذبوا بآياتنا دابر القوم
من يأتي في آخرهم فالهالكين نعنيه بالاولى والاجدر وما كانوا مؤمنين فايدته بعد ذكر التكذيب
التعريض بمن آمن منهم وللايتوهم حدوث التكذيب من لفظ الماضي بل لم يؤمنوا
قط وقصتهم انهم كانوا قاطنين بين عمان وحضرموت كانوا عبدة الاصنام فارسل
الله اليهم هودا وكان فيهم ذا النسب والشرف فكذبوه فامسك الله عنهم القطر ثلث
سنين وكان الناس اذا نزل بهم ضر وبلاء توسلوا الى الله في كشفه بالبيت الحرام وكان
قطان مكة اذ ذاك العمالقة اولاد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح وكان سيدهم
معاوية بن بكر فوجهت عاد الى مكة للتوسل بالبيت المعظم سبعين من اشرافهم فيهم قيل
بن عنز ومرثد بن سعد وكان مرثد مؤمنا يكتم ايمانه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر
سيد العمالقة وكان بارزا خارج الحرم وكانوا اخواله واصهاره فاكرمهم فاقاموا عنده
في ارغد عيش يشربون الخمر وكان لمعوية قينتان تغنيانهم فلما راى معاوية ان
شرب الخمر شغلهم عما قدموا لاجله اهمه ذلك وقال هلكت اخوالي وهؤلاء فيما هم فيه
وكان يكره ان يصرح لهم لئلا يتوهم انه استثقلهم وكان شاعرا فعمل بيتين وهما
الا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يسقينا غماما فيسقي ارض عاد ان عادا قد امسوا
ما يبينون الكلاما فلما غنت الجاريتان وسمعوا مقالتهما قالوا القوم في ضنك فقوموا
فادخلوا الحرم واستسقوا فقال لهم مرثد والله ما تسقون الا ان اطعتم هودا فقالوا
لمعاوية احبس عنا هذا فانه ترك دين آبائه لا يقدم معنا مكة فلما دخلوا الحرم قال
قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله تعالى ثلث سحائب بيضاء وحمراء وسوداء
ثم نادى مناد من السماء يا قيل اختر لك ولقومك احدى السحائب فقال اخترت السوداء
فانها اكثر ماء فتوجهت السوداء ارض عاد فكان كما قال الله تعالى فلما راوه عارضا مستقبل
اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم فاهلكتهم ونجا هود
ومن آمن معه فقدموا مكة وعبدوا الله الى ان قضوا نحبهم والى ثمود اخاهم صالحا
هم طايفة اخرى من العرب سموا باسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عامر بن ارم بن سام بن نوح
وقيل انما سموا ثمود لانهم كانوا ساكنين على ماء قليل والماء القليل يسمى الثمد قال طرفة شعر
واحكم كحكم فتاة الحي اذ نظرت الى حمام سراع وارد الثمد وكان من قصتهم انهم خلفوا
عادا في ارضهم وكان المدر والحجر لا يفي باعمارهم فتنهدم فشرعوا كما اخبر الله ينحتون
من الجبال بيوتا وكانوا يعبدون الاوثان فارسل الله اليهم صالح بن عبيد بن
جابر بن ثمود فدعاهم الى الاسلام وكان من اشرافهم فسالوه آية دالة على صدقه فقال
ما تريدون من الآيات فقالوا اخرج معنا يوم العيد فسالك اذ ذاك فلما حضر نظر احد
منهم يسمى جندعا الى صخرة عظيمة بسفح الجبل يسمى كاثبة فقال اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة

سوداء عشراء وبراء ذات عرف فصلى صالح ركعتين ودعا فتمخضت الصخرة كما تمخض
الناقة النتوج فولدت سقبا لقربها في العظم قيل كان ما بين جنبي الناقة مسافة مائة
واثنين وعشرين ذراعا ثم قامت والسقب يتبعها فتوسطت القوم فقال لهم صالح
لكم شرب يوم ولها شرب يوم وكانت ترد الماء غبا فاذا وضعت راسها في البئر شربت
الماء باسره فشق ذلك عليهم وكانت تصيف بظهر الوادي وتشتو ببطنه فيهرب منها
مواشيهم فضجروا من ذلك ايضا وكانت فيهم امراتان تسمى احديهما صدوف والاخرى
عنيزة وكان لكل منهما الف صدوف يسمى قدار وصاحب عنيزة مصدع وكان لهما مواش
فتحببا الى الالفين وسالا قتل الناقة فقالا صبحنا بالخمر فلما سكرا جاءا الى نادي القوم و
استتبعا طايفة من سفهائهم ولكن العاقر اولا قدار وثانيا مصدع فلما قتلوها هرب السقب
الى الجبل فقال صالح ادركوه فانكم ان ادركتموه نجوتم فاسرعوا خلفه فلما يلحقوه قيل انه
دخل في تلك الصخرة التي كانت انه خرجت منها بعد ان رغا ثلث رغوات فقال لهم
صالح سياتيكم العذاب بعد ثلث وعلامة ذلك انكم غدا تصبحون ووجوهكم مصفرة
وبعد غد محمرة وفي اليوم الثالث مسودة ثم في الرابع يصبحكم العذاب فلما اصبحوا
في الغد وراوا العلامة هموا بقتله فانجاه الله تعالى منهم فركب الجمال هو ومن امن معه
واتى الى مكة وسكن بها الى ان جاءه الموت فدفن صلوات الله عليه في المسجد الحرام
من جهة الحجر وقيل مات بالشام فلما اصبحوا في اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالانطاع و
انتظروا البلاء فجاءتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فاصبحوا في دارهم جاثمين
لم ينج منهم احد فان قلت قد اخبر الله عنهم بانهم ندموا على ما فعلوا بقوله فاصبحوا نادمين
والندم توبة فكيف لم تدركهم رحمة ارحم الراحمين قلت جرت عادته تعالى بان من
كفر بعد الاية المقترحة لا يمهل كاصحاب المائدة واليه اشار بقوله فلولا كانت قرية امنت
فنفعها ايمانها الا قوم يونس وقيل لم يكن ندمهم توبة ايمانا بل ندموا خوفا من العذاب
العاجل قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره سبق تفسيره وقد جاءتكم بينة من
ربكم معجزة واضحة على صدق دعوى وانما وصفها بالوضوح لانها التي طلبوها هذه ناقة الله
استيناف لبيان البينة لكم اية بيان لمن له الاية ويجوز ان يكون ناقة الله بدلا او
عطف بيان ولكم خبرا عاملا في اية والاضافة للتشريف فذروها تاكل في ارض الله
اي ليس عليكم رعيها واساقتها ازاحة للعذر عن التعرض لها ولا تمسوها بسوء فضلا عن
الاصابة بالمكروه فياخذكم عذاب اليم نصب على الجواب واذكروا اذ جعلكم خلفاء من
بعد عاد تذكير للنعمة وفيه ايماء الى انهم ان خالفوا يصيبهم مثل ما اصابهم وبوأكم في الارض
ارض الحجر اللام للعهد تتخذون من سهولها قصورا السهولة الارض مصدر ضد الحزونة
او بعض سهولها جمع سهل ضد الجبل وتنحتون الجبال بيوتا نصب على المفعولية اي
من الجبال بيوتا او حال مقدرة او معنى تنحتون تتخذون فالمنصوب مفعولاه فاذكروا الاء الله

تعميم بعد التخصيص ولا تعثوا في الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه
للذين استضعفوا لم يلتفتوا الى صالح ولم يخاطبوه استهانة به بل خاطبوا ضعفاء القوم
الذين كانوا مؤمنين به كما هو شان الرسل في اول الامر مثل بلال وعمار وصهيب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم لمن امن منهم بدل باعادة الجار بدل الكل ان كان الضمير
للقوم وان كان للمستضعفين المستضعفين بعض كفار قومه اتعلمون ان صالحا
مرسل من ربه قالوا ذلك استهزاء قالوا انا بما ارسل به مؤمنون كان ظاهر الجواب نعم
او بلى وانما عدلوا عن ذلك لان الاقرار بالرسالة لا يستلزم الايمان لجواز الجحد ولان
الايمان بما جاء به مستلزم للايمان به فكان ابلغ من ظاهر الجواب ولان العدول فيه
تنبيه على ان ارساله مما لا يشك فيه عاقل وانما الكلام فيمن امن قال الذين استكبروا
انا بالذي امنتم به كافرون لم يقولوا انا بما ارسل به كافرون لاشتماله على اعترافهم برسالته
فعقروا الناقة نحروها اسنده الى الكل لوقوع الفعل بينهم وانما لم يذكر قتلها اشارة الى ان
مجرد العقر من العظايم لان تعليق العذاب العظيم كان على مجرد المس بالسوء وعتوا
عن امر ربهم تجاوزوا عنه وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم
الرجفة اي بعد ثلثة ايام لقوله في هود تمتعوا في داركم ثلثة ايام والرجفة الزلزلة وفي موضع
بدل الرجفة الصيحة والتوفيق انهما كانتا معا فصح اخذ كل واحدة منهما فلا حاجة الى جعل
الرجفة مجازا عن الصيحة فاصبحوا في دارهم جاثمين ساقطين على الارض ميتين من
جثم الطاير بالارض تلبد بها واصبح بمعنى صار لان هلاكهم كان ضحوة من النهار
فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين
خطابه هذا بعد موتهم مثل خطابه صلى الله عليه وسلم يوم بدر صرعى القليب هل وجدتم ما وعد
ربكم حقا او كان هذا القول منه حين توليه عنهم بعد ما هموا بقتله ولوطا اذ قال لقومه
اي ارسلنا لوطا ظرف قوله او مفعول اذكروا اذ بدل منه اتاتون الفاحشة اللام فيها
للعهد كانها علم بين الفواحش لا يذهب الذهن الى غيرها والاستفهام للتوبيخ ما سبقكم
بها من احد من العالمين كلام مستانف مقرر للانكار لان جرم مبتدع المعصية اعظم
وفي الحديث ما قتل احد ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل منه لانه اول من سن القتل
رواه البخاري انكم لتاتون الرجال شهوة من اتى المراة اذا غشيها شهوة مفعول له وفيه
نسبة الى البهيمة اي لا داعي لكم سواه من جهة العقل لطلب النسل وقرا نافع وحفص انكم على
الاخبار استينافا وعلى الاول بيان لقوله اتاتون الفاحشة وفايدة قوله من دون النساء
قطع المعذرة ودفع توهم الضرورة بل انتم قوم مسرفون اضراب عن الانكار الى بيان
الحال التي اوجبت ارتكاب الفاحشة وهي انهم تجاوزتهم الاسراف والتجاوز عن حدود الله
ولذلك وصفهم تارة بانهم قوم عادون وتارة بانهم قوم تجهلون وما كان جواب قومه الا
ان قالوا اخرجوهم من قريتكم اي لم يتاملوا ما قاله ولم يلتفتوا الى نصحه بل غاظهم ذلك وامروا

باخراجه من قريتهم مع من امن به انهم اناس يتطهرون يبالغون في الطهارة قالوه
تهكما فانجيناه واهله المؤمنين لقوله الا امراته كانت من الغابرين الذين بقوا في ديارهم
وهم الهالكون لكونها على دين قومها والتذكير لتغليب الذكور وامطرنا عليهم مطرا اي نوعا
من المطر عجيبا وهي حجارة من سجيل والفرق بين مطر وامطر في الثاني بمعنى الارسال و
يعدى الى مفعولين الى المرسل بنفسه والى المرسل اليه بعلى والاول يعدى الى واحد بنفسه وهو
من اصابه المطر وقيل هما بمعنى واحد واستعمال الثاني في الشر غالب والاول في الخير فانظر
كيف كان عاقبة المجرمين المراد به نظر القلب وهو التدبر والخطاب عام قيل ان لوطا
ابن عم ابراهيم صلوات الله عليه ممن هاجر مع ابراهيم الى الشام فنزل سدوم وتزوج
من اهلها فارسل اليهم نبيا فدعاهم فلم يطيعوه فاهلكهم الله بان امطر عليهم الحجارة وقيل امطر
على المقيمين وخسف بالمسافرين وقيل كان رجل منهم بالحرم فوقف حجر في الجو اربعين يوما
الى ان خرج فوقع عليه فقتله وقيل كان خمس مداين والى مدين اخاهم شعيبا اي وارسلنا
الى مدين عطف على نوحا الى قومه ومدين اسم بلدة سمي باسم بانيها وهو مدين بن مديان
بن ابراهيم وشعيب بن ميكيل بن اولاد ابنة لوط وسمي خطيب الانبياء لحسن فصاحته
وغاية بلاغته في تبليغ الاحكام والدعاء الى الله قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد
جاءتكم بينة من ربكم معجزة دالة على نبوتي وليست بمذكورة في القران كما لم تذكر معجزة كثير
من الانبياء واما محاربة عصى موسى للتنين وولادة الغنم الدرع وكانت هي الموعودة
لموسى ووقوع عصى آدم في يد موسى في المرات السبع لا استقيم حمل ما في الاية عليه لتاخرها
عن هذه المقالة مع احتمالها كرامة موسى وارهاص نبوته فاوفوا الكيل والميزان اي آلة
الكيل ليقارنه مع الميزان او لقوله والمكيال في سورة هود وحمل الميزان على المصدر بعيد غير
مستعمل ولا تبخسوا الناس اشياءهم تعميم بعد التخصيص وتصريح بما علم ضمنا وذكر الكيل والميزان
لفرط احتياج الناس الى المكيل والموزون ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها اي بعد ما
اصلح الانبياء شان اهلها بالشرع القويم ويجوز ان يكون اضافته الى الفاعل مجاز كالاضافة
المكر الى الليل والنهار ذلكم خير لكم اشارة الى ما امرهم به ونهاهم عنه اي العمل به والمراد بالخيرية
الزيادة المطلقة او في الانسانية وحسن الاحدوثة اذ لا خير فيما كانوا عليه والكسب والربح اولا
بركة مع الخيانة ان كنتم مؤمنين مصدقين لقولي لانهم لم يكونوا من الايمان في شي
ولا تقعدوا بكل صراط توعدون كانوا يفترقون على الطرقات يترصدون لمن يقصد شعيبا
للايمان به توعدونه بالقتل وساير انواع العذاب وقيل كانوا يقطعون الطريق ويجوز
ان يراد بكل صراط مناهج الحق وشعب الدين من المعارف والاحكام والحدود على الايمان
فان الايمان بضع وسبعون شعبة والاول هو الوجه لقوله وتصدون عن سبيل الله ولقوله قل
هذه سبيلي وان هذا صراطي مستقيما صراط الله الذي له ما في السموات والاضافة السبيل اليه مثل
ناقة الله من آمن به مفعول تصدون ويقدر لتوعدون اذ لو كان الاعمال للاول لقيل تصدونه

لانه المختار والمضارعان في موقع الحال من فاعل تقعدون وتبغونها عوجا وتطلبون
لسبيل الله عوجا بالقاء الشبه فيها او وصفكم للناس على خلاف ما هي عليه ويجوز ان يكون
تهكما بهم لانهم يطلبون ما هو محال في حقها واذكروا اذ كنتم قليلا وقت كونكم قليلي العدد و
فكثركم في العدد او كنتم مقلين فقراء فجعلكم مكثرين موسرين والذكر ذكر القلب والتدبر
ليتوفروا للشكر وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين من الامم وقيل هم قوم لوط لقوله
وما قوم لوط منكم ببعيد وان كان طائفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطائفة لم يؤمنوا
فاصبروا امر للفريقين بالصبر والانتظار حتى يحكم الله بيننا بنصر المؤمنين على الكافرين لقوله
وكان حقا علينا نصر المؤمنين وهو خير الحاكمين اذ يستحيل في حقه الظلم ولا معقب لحكمه
قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او
لتعودن في ملتنا لم يلتفتوا الى نصحه وقابلوه على داب السفهاء بالنكير وهو احد الامرين واكدوه
بالقسم لفرط الاهتمام وشعيب وان لم يكن على ملتهم لكونه معصوما عن الكفر قبل النبوة لكن
غلب عليه من امن معه ولذلك اجرى الجواب على التغليب قال اولو كنا كارهين عطف
على مقدر اي انعود فيها ولو كنا كارهين لها او القول بان لو بمعنى ان ليس بشي لان المعنى
على المضي قد افترينا على الله كذبا استئناف فيه معنى التعجب وادخل عليه قد للتحقيق لا
للتقريب من الحال وقيل قسم محذوف اللام ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا الله منها شرط
حذف جوابه لدلالة ما تقدمه عليه واذ بمعنى ان مصدرية والمعنى ان هممنا بالعود في المستقبل
فنحن في الحال مفترون باعتقاد حقية ما انتم عليه وبطلان ما نحن فيه وما يكون لنا ان
نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا اي يستحيل ذلك العود منا الا اذا تعلقت مشيته تعالى به فانه
يقع لا محالة وهذا صريح في ان الكفر بمشيته تعالى وسع ربنا كل شي علما وما علمه لابد من
وقوعه ايمانا او كفرا على الله توكلنا وضع المظهر موضع المضمر لان الالوهية تلائم التوكل والتفويض
ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق من الفتاحة وهي الحكم والقاضي يسمى الفاتح وقوله
بالحق لاظهار الوثوق من الداعي بانه على الحق وانت خير الفاتحين لعدم تصور الجور
منك وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا الخاسرون ويلكم لانكم
على الحق وهو على الباطل او ويلكم لفوات ما كان يحصل لكم بالبخس والتطفيف وانما عبر
بالاستكبار اولا للدلالة الاخراج والاكراه على العود في ملتهم وثانيا بالكفر لانه انكار بحت
بعد ظهور الحق فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين الزلزلة وفي سورة هود الصيحة
لاجتماعهما كانه قيل اتاهم العذاب من فوقهم ومن تحتهم الذين كذبوا شعيبا كان لم
يغنوا فيها في القرية التي كانوا يريدون اخراج شعيب منها من غني بالمكان اذا اقام كناية
عن استيصالهم الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين الكاملين في الخسران لذهاب
الدين والدنيا راسا لا من اتبع شعيبا كما زعموا الاستئناف مرتين وصدر الاسمين بالموصول
مبالغة في تشديه حالهم وتقبيح مالهم فتولى عنهم بعد اهلاكهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات

ربی اکرر الکلام لتصویر رحمه احیاء بصفة الانکار ونصحت لکم فکیف اسی علی قوم کافرین
کانه قیل لم لم تاسف علی قومک فاجاب بما اجاب والکلام مع نفسه لما تاسف علیهم
فی بدا الامر عاتب نفسه بانهم کافرون لا وجه للاسی علیهم او الکلام مع قومه لکن لما
وصفهم بالکفر عدل عن الخطاب تبعیدا لهم وما ارسلنا فی قریة من نبی الا اخذنا اهلها
بالباساء والضراء مصدران بمعنی البؤس والضر الاول فی البدن والثانی فی المال
لعلهم یضرعون کی یتذللوا ویتبعوا الانبیاء ثم بدلنا مکان السیئة الحسنة ای بعد ذلک
اجرینا علیهم الصحة والنعم وطاب حالهم وصفا عیشهم حتی عفوا کثروا من العفو بمعنی
الزیادة یسالونک ماذا ینفقون قل العفو وفی الحدیث قصوا الشارب واعفوا اللحی
وقالوا قد مس اباءنا الضراء والسراء ای هذا من عادة الدهر مع اهله فاخذناهم بغتة
فجاءة وهم لا یشعرون کما فعل بقوم هود ظنوا ان فی الغیم مطرا فکان فیه ریح فیه عذاب
الیم وقوم لوط کانوا نایمین علی فرشهم وقت السحر ولو ان اهل القری المبعوث الیهم
امنوا بلسانهم واتقوا بقلوبهم لقوله صلی الله علیه وسلم انما التقوی ههنا واشار الی صدره
وقیل اتقوا المعاصی لفتحنا علیهم برکات من السماء والارض وسعنا علیهم من جمیع
الجهات من قولهم باب فتح ای واسع وقارورة فتح ای واسعة وقیل برکات السماء
المطر والارض النبات ولکن کذبوا الانبیاء فاخذناهم بالعذاب بما کانوا یکسبون
بسبب کسبهم الکفر والمعاصی وفایدة لفظ کان الدلالة علی استمرارهم فی ذلک وتکامل
جنایتهم وحمل القری علی مکة وما حولها لا یستقیم لان السورة مکیة ولم یقع العذاب علی اهل
مکة ورسول الله بها لقوله وما کان الله لیعذبهم وانت فیهم افامن اهل القری ای اهل
مکة وما حولها عطف علی مقدر دخله الاستفهام ای ابعد ما علموا حال اولئک وما نزل
بهم امنوا تعجیب من تمادیهم فی الغفلة ان یاتیهم باسنا بیاتا وهم نائمون ای کما اتی
قوم لوط مصدر فی موقع الحال او وقت بیات او بمعنی التبیت کالسلام بمعنی التسلیم
وهم نائمون حال من المستتر فی بیاتا ان کان حالا والا فمن المنصوب فی یاتیهم اوامن
اهل القری ان یاتیهم باسنا ضحی وهم یلعبون لاهین عن امر الاخرة فیهم کاللاعبین
والضحی وقت ارتفاع النهار قید رمح وهو فی الاصل ضوء الشمس سمی به الوقت المذکور لیقابل
شعاع الشمس حینئذ وقرا نافع وابن کثیر وابن عامر او بسکون الواو علی ان او عاطفة
ای امنوا احدی العقوبتین افامنوا مکر الله عن استدراجه ایاهم من حیث لا یشعرون
وانما عطف علی الثانی بالواو وهذا بالفاء لان المعنی اخذناهم بغتة لما صنعوا اما صنعوا
ابعد ذلک امن اهل هذه القری من مجیء باسنا بیاتا وامنوا اتیانه ضحی فالمنکر امنهم
اتیان الباس فی هذین الوقتین من غیر ترتیب واما الثالث فمکرر للاول علی طریقة
الجمع بعد التقسیم مبالغة فی التحذیر فلا یامن مکر الله الا القوم الخاسرون الکاملون
فی الخسران اولم یهد للذین یرثون الارض من بعد اهلها یخلفونهم ویملکون دیارهم واذا عدی

هدی باللام لان معناه التبیین ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ان الشان لو نشاء
عذبناهم کما فعلنا بمن قبلهم من المصرین فهو فاعل اولم یهد ومن قراه بالنون جعله مفعولا
ونطبع علی قلوبهم قلوب هولاء المصرین کلام مستانف علی طریقة الاعتراض قاله الزجاج والفراء
او عطف علی ما دل علیه الکلام السابق ای یغفلون عن الهدایة ولا یستقیم عطفه علی جواب لو
لافضائه الی انتفاء الطبع الذی دل علی وجوده قوله فهم لا یسمعون تلک القری ای المار ذکرها
مبتدا وخبر نقص علیک من انبائها نقص اخبار سکانها من اصرارهم وما لحقهم من العذاب
بعده ولقد جاءتهم رسلهم بالبینات المعجزات الواضحة ازاحة للعذر والزاما للحجة فما کانوا
لیومنوا بما کذبوا من قبل لکونهم مختوما علی قلوبهم وانما زاد لفظ کان ولام الجحد مبالغة فی
نفی الایمان عنهم کذلک یطبع الله علی قلوب الکافرین مثل طبعنا علی قلوب اهل القری
المار ذکرهم نطبع علی قلب کل کافر سبق علمنا بعدم ایمانه وانما التفت الی الغیبة لان
الطبع صفة قهر یناسب لفظ الجلالة الدالة علی الالوهیة والقهر وما وجدنا لاکثرهم من عهد
ای اکثر الناس وفاء بعهد اعتراض بین قصة اصحاب القری او لاکثر الامم المار ذکرهم والعهد
ما اقروا به فی جواب الست بربکم او ما عاهدوا الله علیه عند الوقوع فی الشدة من قولهم لئن
انجیتنا من هذه لنکونن من الشاکرین وان وجدنا اکثرهم لفاسقین وان الشان علمنا
بان اکثرهم خارجون عن الطاعة متمردون والوجدان معناه العلم لدخول اللام المستلزمة
للمبتدا والخبر ثم بعثنا من بعدهم موسی ای بعد الرسل المذکورین او الرسل الیهم وانما لم یدرج
قصة موسی فی تلک القصص ولم یسقها علی ذلک النمط لاشتمالها علی وقایع کثیرة وغرایب
عظیمة بایاتنا معجزاتنا فظلموا بها کفروا بها ضمن معناه لدلالته علی ان الکفر منهم بتلک الایات
ظلم لانهم صدوا الاتباع عن الایمان واذوا من امن بها او ظلموا انفسهم بکفرهم بها فانظر کیف
کان عاقبة المفسدین تامل وتدبر الخطاب عام وقال موسی یا فرعون انی رسول من
رب العالمین الیک والی قومک وانما وصفه برب العالمین لیدخل فرعون فیهم وما اختار
لفظ الرب رمزا الی انه منعم یجب الایمان به شکرا للنعمة حقیق علی ان لا اقول علی الله الا
الحق جواب لتکذیبه ایاه ومعناه واجب علی اداء الرسالة علی الوجه المطابق لنفس الامر وانما
علی قراءة تشدید الیاء کما هو قراءة نافع واما علی قراءة غیره بسکون الیاء فمحمول علی القلب
مبالغة کان الوجوب الذی هو صفته سری الی القول او ضمن معنی الحرص او جعل قول
الحق بمنزلة رجل یجب علیه شیء ثم جعل قابلیته بمنزلة الواجب علی قول الحق علی طریقة
الاستعارة المکنیة وفرعون لقب من ملک مصر کتبع لمن ملک الیمن والنجاشی لمن
ملک الحبشة واسم فرعون موسی قابوس وقیل اسمه ولید بن مصعب بن ریان
ولشهرته بالعتو والطغیان یشتق من اسمه الفعل فیقال تفرعن لکل من عتا وتجبر قد جئتکم
ببینة من ربکم فارسل معی بنی اسرائیل الی موطن ابائهم وهی بلاد الشام فانه کان
استعبدهم بعد الانبیاء قال ان کنت جئت بایة فات بها ای اظهر ما تزعم انک جئت به

ان كنت من الصادقين في دعواك الرسالة فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين
واضح لكل احد لا يشك فيه والثعبان ضرب من الحيات طوال وعبر عنه في النمل بالجان
وهي حية بيضاء لاجتماع الصفتين فيها روى انه لما القاه صار ثعبانا اشعر فاتحا فاه بين
لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون
فوثب فرعون من سريره واستطلق بطنه ولم يكن احدث قبل ذلك كان يستفرغ ما ياكله
وحمل على الناس فانهزموا ومات من شدة الازدحام خمسة وعشرون الف انسان فنادى
فرعون يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرائيل فاخذه فاذا هو عصا مثل
ما كان ونزع يده من تحت مدرعته وكان عليه جبة صوف فاخرج يده منها فاذا هي بيضاء
بيضاء نورانيا يغلب شعاعه شعاع الشمس وكان موسى آدم شديد الادمة للناظرين
يتعلق ببيضاء والمعنى ان بياضها كان خارقا للعادة يجتمع له النظارة تعجبا منه وذلك
وتبني فرعون وفراره بعد قتل القبطي ترك ذكره هنا لكونه مستوفى في القصص ولم يتعلق بذكره
هنا غرض قال الملأ من قوم فرعون ان هذا الساحر عليم تعاونوا بهذه المقالة عند
التشاور فحكى هنا مقالة الملأ وفي الشعراء مقالته للملأ او هو القائل ابتداء وهذا كلام الملأ
مع اتباعهم او قالوه للناس تبليغا عنه كما هو شأن الملوك فان الخاصة تبلغ اوامرهم
الى العامة يؤيده قولهم ارجه واخاه يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون الامر على حقيقته
ان كان كلام الملأ مع فرعون ومعناه الاشارة ان كان كلام فرعون مع قومه قالوا
ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم من الارجاء وهو التأخير
اي اخره واخاه واحشر من سائر بلادك كل ساحر ماهر لمعارضته قرأ نافع في رواية قالون
ارجه بكسر الهاء بلا همز وكذا ورش عنه الا انه وصل كسر الهاء بالياء وابن كثير بالهمز ساكنا
مع ضم الهاء الموصولة بالواو وكذا ابو عمرو الا انه لم يوصل الضم وهشام عن ابن عامر فكابي
عمرو وابن ذكوان بالهمز وكسر الهاء دون وصل وعاصم وحمزة بسكون الهاء دون الهمزة
والكسائي بكسر الهاء مع الصلة كورش وقرأ حمزة والكسائي بكل سحار هنا وفي يونس ويؤيده
الاتفاق عليه في الشعراء وجاء السحرة فرعون اي بعد ارساله في طلبهم قالوا ائن لنا لاجرا
ان كنا نحن الغالبين استفهموا ليتقوى باعثهم فيكون ادعى للنصح وقرأ نافع وابن
كثير وعاصم في رواية حفص على الاخبار جزما بوجوب الاجر لعظم الامر قال نعم جواب
عن الاستفهام او تصديق لذلك الخبر وانكم لمن المقربين عطف على ما دل عليه نعم
زادهم على ما تصوروه تحريضا لهم قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن
الملقين خيروه كما هو دأب المتمثلين في المناظرة وقولهم اما ان نكون نحن بالحام
ضمير الفصل وتعريف الخبر يدل على انهم كانوا راغبين في البداءة بهم اجابهم الى ذلك
قال القوا تخييرا لشأنهم وازدراء بهم وثقة بما عنده فلما القوا سحروا اعين الناس
خيلوا اليهم ما لا حقيقة له واسترهبوهم ارهبوهم ارهابا شديدا السين للتأكيد لا للطلب

اولانهم استدعوا رهبتهم وجاءوا بسحر عظيم روى انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا
وجعلوا فيها الزيبق فتوهم انها تتحرك وانها حيات عظام بعضها راكبة فوق بعض
واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف من لقف بالكسر اذا تناوله
سريعا ما يأفكون اي القاها فصارت حية فاذا هي تلقف ما يزورونه ويموهونه من وجهه من
الافك وهو الصرف وانما وضع المضارع موضع الماضي استحضارا لتلك الصورة
الهائلة وقرأ حفص مخففا فوقع الحق ظهر بعد ما كان خفيا وبطل ما كانوا يعملون
ظهر بطلانه بحيث لم يبق فيه شبهة لما تلقفت تلك الحبال والاخشاب فكانت عصا
على هيئتها الاول قالت السحرة لو كان هذا سحرا الا ذا حجم العصا فغلبوا هنالك في
في ذلك المكان او الزمان وانقلبوا صاغرين صاروا او رجعوا الى المدينة اذلاء مذمومين
من الصغار وهو الذل والقي السحرة ساجدين من شدة مبادرتهم الى السجود كان ملقيا
القاهم او بهرهم الحق فلم يتمالكوا او القاهم الله على وجوههم من غير اختيار منهم فامنوا مختارين
قالوا آمنا برب العالمين لم يعطفه ايماء الى ان سجودهم كانه لم يتمايز عن هذا القول لشدة
مراعتهم الى الايمان رب موسى وهارون بدل من رب العالمين دفع توهم ان
رب العالمين اريد به فرعون لقوله ما علمت لكم من اله غيري قال فرعون آمنتم به بموسى
الاستفهام للانكار قرأ عاصم في رواية ابي بكر وحمزة والكسائي بتحقيق الهمزتين واسقط حفص
الاولى وابدلها قنبل واوا هنا وفي الملك قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة
في مصر قبل ان تخرجوا الى المناظرة لتخرجوا منها اهلها اي القبط وتخلوا لبني اسرائيل فسوف
تعلمون ما اجازيكم به من العقاب اجمال فصله بقوله لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
تقطيعا ناشيا من المخالفة بان يقطع اليد اليمنى مع الرجل اليسرى او بالعكس قيل انه اول
من سن هذا العذاب جعله الله جزاء قطاع الطريق لعظم جنايتهم ولذلك سمى فعلهم محاربة
الله ورسوله ثم لاصلبنكم اجمعين دلت لفظة ثم على انه بعد القطع لم يصلبهم على الفور بل تركهم
زمانا مطروحين على الارض احتقارا لشأنهم وليتأذوا وهذا المعنى هنا ذكره بالواو في سائر
السور اختصارا قالوا انا الى ربنا منقلبون استطابوا ذلك العذاب لكونه وصلة الى لقاء الله
تعالى وعن قتادة انهم كانوا اول النهار كفارا سحرة وآخر النهار شهداء بررة او ان مصيرنا
ومصيرك الى الله فيجازيك على ما فعلت بنا ويجازينا على اتباع الحق والصبر على عذابك
او انا ميتون لا محالة سواء كان بقتلك او بطريق آخر من اسباب الموت وما تنقم منا
الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وما تعيب منا الا ما هو افضل المناقب واساس
المآثر وهو الايمان ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب وفيه ايماء الى فرط
حماقة فرعون حيث جعل الايمان الذي لا يدانيه كمال سببا للقتل ربنا افرغ علينا صبرا
افضه علينا من افرغت الماء عليه او غمرنا به استعارة تبعية طلبوا عند اشد العذاب
اجزل العطاء وقد روى البخاري انه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعط احد عطاء خيرا واوسع

من الصبر وتوفنا مسلمين منقادين لقضائك قال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى
وقومه ليفسدوا في الارض بدعوة الناس الى مخالفتك روي انهم لما غلبوا آمن بموسى
ستمائة الف من بني اسرائيل فنهاهم ذلك فقالوا بهذه المقالة ويذرك وآلهتك
كان من فرط عتوه جعل اصناما لقومه على طريقة عبدة الاصنام ليتقربوا بعبادتها اليه
لدى الحاجة ولذلك قال انا ربكم الاعلى وقيل كان يعبد الكواكب وليس بشيء لقوله ما علمت
لكم من اله غيري ويذرك منصوب بالعطف على ليفسدوا واللام للعاقبة على طريقة قوله
ليكون لهم عدوا وحزنا او جواب للاستفهام بالواو كقول الحطيئة الم اك جاركم ويكون بيني
وبينكم المودة والاخاء والمعنى ايكون منك ترك موسى ويكون منه تركه اياك وآلهتك
قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم كما كنا نفعل قبل ولادته لئلا يبطل العامة انه المولود
الذي تحدث الكهنة والمنجمون بزوال ملكنا على يده قرأ ابو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي
بضم النون وفتح القاف وتشديد التاء وهو ابلغ واوفق بالمقام وانا فوقهم قاهرون
مستمرون بصفة القهر لم تزل قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا جواب سؤال كأنه
قيل ماذا قال موسى حين قال فرعون تلك المقالة وانما قال موسى لقومه ما قال تشجيعا لهم
وتسلية بقوله ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده فلا اعتبار بمقالته والعاقبة
للمتقين الجامعين بين الطاعات واجتناب المعاصي وفرعون وقومه ليسوا في شيء
من ذلك وانما لم يسنده الى نفسه مع كونه جازما بذلك هضما لنفسه قالوا اوذينا من قبل
ان تأتينا بالرسالة بقتل الابناء والاستعباد ومن بعد ما جئتنا باعادة ذلك فنحن اذا
اظهرنا الجزع فلنا فيه معذرة قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر
كيف تعملون اتشكرون ما من به عليكم من الامان بعد الرق والعبودية ام تكفرون روي
ان عمرو بن عبيد دخل على المنصور قبل الخلافة فلم يكن على مائدته الا رغيفان فطلب
الزيادة لعمرو فلم يوجد رغيف اخر فقرأ عمرو هذه الاية ثم دخل عليه بعد الخلافة فذكر له
ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات
بالجدب والقحط وقلة الامطار والسنة غلبت على عام القحط لان الوقايع بها تورخ ولكثرة
دورانها على السنتهم لعلهم يذكرون ان ذلك بسبب كفرانهم النعم فيسارعوا الى التوبة بشكر
موليها فاذا جاءتهم الحسنة اي الخصب والرخاء لكونه في مقابلة الجدب فاللام للعهد الخارجي
ولما كان وقوع الخصب والرخاء اكثريا والسيئة التي تقابلهما نادرا اتى في الاول باذا مع
وفي الثاني بان مع المضارع ولا يرد قوله واذا مس الناس الضر لان المراد اي ضر كان
بالنسبة الى الانسان المعرض الكافر للنعمة الجدير بان يصيبه كل آفة قالوا لنا هذه مختصة
بنا لمزية فينا توجب الاختصاص وان تصبهم سيئة قحط وفاقة يطيروا بموسى ومن معه
يتشاءموا بهم ويقولون هذا بشؤمهم وهذا على دأب العرب فانهم كانوا يسمون الشؤم
طيرا وطايرا وطيرة تشاؤمهم بالبارح ونعق الغراب والاية دلت على فرط غباوتهم

لان

لان دعوى الاختصاص مع انهماكهم في الكفر والطغيان ونسبة السيئة الى من هو مستغرق
في شكر نعم الله قايم باوامره ونواهيه نهاية الغي والجهالة الا انما طايرهم عند الله اي ذلك
الشؤم انما هو بقدر الله ومشيته المسبب عن كفرانهم ومعاصيهم لئن شكرتم لازيدنكم ولئن
كفرتم ان عذابي لشديد ويستاويهم في الغفلة صدر الجملة بحرف التنبيه وانما ولكن اكثرهم
لا يعلمون الامور على وجهها ليؤديهم ذلك الى العلم بان الامر كله لله وقيد الاكثر يدل على
ان قليلا منهم كانوا عالمين بذلك ولكن تابعوا الاكثر في هواهم وقالوا مهما اصله
ما الشرطية زيد عليها ما التأكيد واستثقال التكرار قلبت الالف هاء وقيل مركبة من مه
الذي هو اسم الفعل بمعنى الكف وما الجزائية ومحلها الرفع على الابتداء او النصب على
شريطة التفسير تأتنا به اي تحضرنا به من آية بيان لما وتسميتها ما جاء به آية تهكم او على
زعم موسى لتسحرنا بها ذكر الضمير اولا وانثه ثانيا نظرا الى اللفظ والمعنى فما نحن لك
بمؤمنين اقناطا لموسى وردع عن الاشتغال باظهار المعجزات فارسلنا عليهم الطوفان
والجراد والقمل والضفادع والدم الطوفان مصدر كالغفران من طاف بالشيء قيل
مطروا ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا يقدر احد على الخروج من داره
امتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء وبيوت بني اسرائيل مشتبكة ولم يدخل
فيها قطرة وامتنعوا بذلك عن اسباب المعاش وقيل هو الجدري وهو اول عذاب وقع
فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموت الذريع فاستغاثوا بموسى فدعا لهم فارتفع عنهم
فاقاموا شهرا ثم نقضوا فارسل عليهم الجراد فاكل كل شيء حتى الابواب والسقوف والثياب
ولم يدخل بيت بني اسرائيل ولا اكل من اموالهم شيئا ففزعوا الى موسى فدعا واشار بعصاه
نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي فلما كشف عنهم نقضوا العهد فسلط عليهم القمل
جمع قملة دويبة اصغر من القراد وعن ابي عبيدة وهي كبار القراد وقيل هي اولاد
الجراد قبل نبات جناحها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فاكل ما ابقاه
الجراد وقيل لما عصوا بعد انكشاف الجراد كان الى جنبهم كثيب فضربه موسى بعصاه
فصار قملا فاخذ في اكل ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم فتابوا الى الله
فانكشف عنهم فاقاموا يسيرا ونقضوا التوبة فارسل عليهم الضفادع فامتلأت
بيوتهم وآنيتهم ضفادع وكان اذا اراد القبطي التكلم وثبت الضفدع الى فيه وامتلأت
مضاجعهم فلم يقدروا على الرقاد فلجأوا الى موسى فدعا الله فكشف ما بهم فاقاموا
يسيرا ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دماء فشكوا الى فرعون
فقال هذا من سحره فشرع يجمع القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فما يلي الاسرائيلي يكون
ماء قراحا وما يلي القبطي دما عبيطا حتى ان المرأة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي
الماء في فيك ثم مجي في في فتفعله فيصير ما في فيها دما وقيل جرى عليهم النيل دما وقيل
سلط الله عليهم الرعاف قيل مكث موسى فيهم عشرين سنة بعد قصة السحرة يدعوهم

الى الله وبهم الايات يتوبون تارة وينقضون اخرى ايات مفصلات لا تشكل
العاقل انها من ايات الله التي لا يقدر عليها غيره او فصل بعضها عن بعض بزمان
ليعلم حال توبتهم هل هم مخلصون ام لا الزاما للحجة فاستكبروا عن الايمان وكانوا
قوما مجرمين مستمرين على الاجرام ولما وقع عليهم الرجز هو العذاب المفصل وقيل
هو الطاعون ارسل عليهم بعد ذلك قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك
بنبوتك فان النبوة عهد من الله لرسله كما يكتب الملوك للولاة العهود والمناشير
او بالذي عهد اليك من الاسرار والاسماء التي اذا دعوت بها اجابك وعلى الوجهين
الباء صلة ادع او حال اي متوسلا بما عهد عندك او الباء للقسم جوابه لئن كشفت عنا
الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل
هم بالغوه في علم الله وهو الوقت المقدر لاهلاكهم وقيل الى وقت عينوه لايمانهم كانهم
كانوا عينوا وقتا يجتمع فيه الحاضر والبادي والوجه هو الاول اذا هم ينكثون فاجئوا
النكث ونقض العهد جواب لما واذا الفجائية سدت مسد الفاء فانتقمنا منهم فاردنا
الانتقام لان ما يعقبه من الاغراق هو الانتقام ويحتمل كون الفاء تفسيرا فاغرقناهم
في اليم في البحر وقيل بحر لا يدرك قعره وقيل لجته بانهم كذبوا باياتنا اي ذلك الاغراق
تسبب عن تكذيبهم بتلك الايات وكانوا عنها غافلين مستمرين على الغفلة اشارة
الى ان ما حل بهم ليس ناشيا عن التكذيب وحده حتى لو تداركوا التكذيب لم يحل بهم ما حل
واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بذبح الابناء وساير انواع الخدم مشارق
الارض ومغاربها ارض الشام ملكها بنو اسرائيل بعد هلاك فرعون والعمالقة وتمكنوا
فيها التي باركنا فيها بالاشجار والانهار او بانها موطن الانبياء ومثابة الاولياء وتمت
كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل ما وعده بقوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا
في الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين والحسنى تانيث الاحسن واستعمال التمام بعلى
مبالغة في انجاز الوعد كانه استعلاهم وشملهم بما صبروا بصبرهم حيث قال لهم موسى
استعينوا بالله واصبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون اهلكنا واعدمنا ما كايده ومحونا
اثار تخيلاته الباطلة من الدمار وهو الهلاك وما كانوا يعرشون من القصور والبنيان
العالية كصرح هامان وما رفعوه من الكروم والبساتين قرا ابو بكر عن عاصم وابن عامر
بضم الراء روي ان فرعون عاش اربعمائة عام لم يصبه مرض وشيد القصور فاعدمه
وما فيه في طرفة عين تمت قصته هنا وجوزنا ببني اسرائيل البحر شرع من قبايح بني اسرائيل
وذكر ما قابلوا به نعم الله العظام من انواع الجهالات فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم
يقبلون على عبادتها ملازمين من عكف على الشيء اقبل عليه مواظبا والقوم كانوا من العمالقة
الجبارين الذين امر الله بقتالهم وقيل من لخم وقرا حمزة والكسائي بكسر الكاف والباقون
بالضم قالوا يا موسى اجعل لنا الها نتقرب به ونجعله وسيلة الى المعبود الحقيقي كما لهم آلهة

يتوسلون

يتوسلون بها قال انكم قوم تجهلون اي بكم الجهل يحدث منكم وقتا بعد وقت قيل تلك
التماثيل التي راوها كانت على صورة البقر ومن هنالك مالوا الى عبادة عجل السامري وفي
بلاد الهند الى الآن طايفة من السامرة يعبدون البقر وقد سمعت جما غفيرا ان ملكهم يلطخ
اشرف مواضعهم بروث البقر تقربا به الى الله واما ذبح البقر فعندهم لا جريمة فوقها ان
هؤلاء متبر ما هم فيه مهلك لا ثبات له من التبار وهو الهلاك وباطل ما كانوا يعملون
من عبادة الاصنام لا يؤيده دليل فالاول بالنظر الى الاعتقاد والثاني بالنظر الى العمل ولذلك
نسب الى الاول الهلاك والى الثاني البطلان قال اغير الله ابغيكم الها ومعبودا من بغيته
الشيء طلبته له وهو فضلكم على العالمين بانواع الكرامات لم يشارككم في ذلك احد ولا استحق
لكم لذلك استحقاق واي فايدة في ذلك اذا كان هو المنفرد واذ انجيناكم من آل فرعون
ابتداء الكلام من الله تصديقا لموسى وتقريعا لبني اسرائيل اي واذكروا تلك النعمة العظيمة
وقرا ابن عامر انجاكم فيكون من مقول موسى والاول هو المختار لموافقة وواعدنا ولكونه
اقعد معنى ولتغير الاسلوب يسومونكم سوء العذاب يريدونكم عليه قهرا من سمته
الشيء اذا اجبرته عليه وسوء العذاب من اضافة الصفة الى الموصوف يقتلون ابناءكم
ويستحيون نساءكم بيان لسوء العذاب وصيغة التفعيل للدلالة على كثرة القتل
وقرا نافع يقتلون بفتح الياء مخففا وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم في الانجاء نعمة عظيمة
او في العذاب نقمة جسيمة وواعدنا موسى ثلثين ليلة واتممناها بعشر لما كانوا بنوا
اسرائيل بمصر وعدهم موسى بان يأتيهم بكتاب بعد هلاك فرعون يكون فيه بيان
ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه ذلك الكتاب فامره بصوم
ثلثين يوما وهو شهر ذي القعدة فلما فرغ منه استاك فقال الله تعالى له اما علمت ان
خلوف الصايم اطيب عندي من ريح المسك فصام عشر ذي الحجة قرا ابو عمرو وعدنا باسقاط
الالف حيث وقع وهو المختار لان الوعد منه تعالى وحده وعليه رسم المصاحف فتم
ميقات ربه اربعين ليلة بالغا اربعين نصب على الحال وقيل خبر تم لانه فعل ناقص
وانما ذكر الليل وان كان الصوم في النهار لان الليالي غرر الايام وقال موسى لاخيه هرون
اخلفني في قومي كن خليفة عليهم لان هرون وان كان نبيا لكن كان موسى صاحب
الشريعة واقدم منه وان كان اصغر سنا منه واصلح ما يفسدونه من امر الدين لعلمه
بجهالة بني اسرائيل ولا تتبع سبيل المفسدين ولا تسلك سبيل من يدعوك الى الافساد
فلما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا الذي وقتنا للمجيء فاللام للاختصاص اي اختص مجيئه
بذلك الوقت ويقال له لام التبيين والتوقيت مثله اقم الصلوة لدلوك الشمس وكلمه ربه
من غير احتجاب بلا واسطة اي اسمعه كلامه القديم بلا صوت وحرف او اوجد اصواتا وحروفا
في سمعه فلما سمع الكلام هاج شوقه الى رؤية المتكلم قال رب ارني انظر اليك ارني نفسك
اي مكني من رؤيتك فانظر اليك فاريك وهذا لان الرؤية مسبوقة بالنظر يقال نظرت

الى الشيء فلم اره قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني علق
رؤية موسى على رؤية الجبل مع استقراره ولا ريب انه امر ممكن فيكون المعلق عليه ايضا
ممكنا ورد لصاحب الكشاف لا يلزم من قوله لن تراني نفي امكان الرؤية مطلقا
ولذلك لم يقل ذاك محال اولن ارى ولا قيد المنفي بلن بما يفيد التابيد وقد روى البخاري
ومسلم عنه صلى الله عليه وسلم انكم سترون ربكم كما ترون الشمس وقت الظهيرة ليس دونها
سحاب وحمل الرؤية على المعرفة لا وجه له لانه صرف الحقيقة من غير ضرورة والرؤية بخلق الله
لا يستدعي الجهة ومن جوز سماع كلامه من غير جهة ومنع الرؤية واستحاله كذلك فقد اتى
بما لا يرتضيه عاقل واما قوله لا تدركه الابصار فلا يقوم دليلا لان الادراك هو الاحاطة
وتحقيق هذه المسئلة مع الاطناب في علم الكلام فلما تجلى ربه للجبل بعد ان خلق فيه الرؤية
جعله دكا مدكوكا مندثرا مساويا بالارض وقرا حمزة والكسائي دكاء ممدودا اي ارضا مستوية
وكان في ذلك ارشاد لموسى الى انه مع تلك القدرة في هذه الدار لا يمكن له ذلك
وخر موسى صعقا مغشيا عليه من هول ما رأى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك
من جرائي واقدامي على تلك المسئلة من غير استيذان وانا اول المؤمنين بان الرؤية
في هذه الدار لا يكون وله تفسير اخر تقدم قال يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي
باحكام التورية فان كل حكم رسالة من الله وقرا نافع وابن كثير بالتوحيد وهذا اوفق بما بعده
وبكلامي بتكليمي اياك فخذ ما اتيتك من الرسالة والتقريب وكن من الشاكرين على هذه
النعمة التي هي اقصى مراتب البشر وان تفاوتت الافراد فيها ولو حصلت الرؤية لموسى لم
يبق لسيد البشر ما امتاز به عن ساير الرسل فكانت مدخرة له صلى الله عليه وسلم وكتبنا له في
الالواح من كل شيء يحتاجون اليه في امر دينهم مثله واوتيت من كل شيء موعظة بدل
من محل المجرور وتفصيلا لكل شيء عطف على البدل اي وكتبنا له في الالواح المواعظ وتفصيل
الاحكام فالاول بالنظر الى الاعتقاد والثاني الى العمل والالواح كانت عشرة وقيل سبعة
كانت من زمرد او زبرجد او ياقوت احمر وقيل من صخرة لينها موسى فقطعها بيده
فخذها الالواح عطف على كتبنا بتقدير القول وجعله بدلا من فخذ والضمير للرسالة بعيد
بقوة بجد وعزيمة كما هو شان اولي العزم وأمر قومك يأخذوا باحسنها ارشدهم الى الاولى
والاخلق فان التورية فيها الاحسن والحسن وهذا مثل قوله اتبعوا احسن ما انزل اليكم
سأريكم دار الفاسقين مصر دار فرعون واتباعه سترونها خاوية على عروشها او ديار عاد
وثمود في ممركم الى الارض المقدسة او جهنم يوم القيمة وانما ذكره بعد الامر بالاخذ بعد الاخذ
بما في التورية من الاحكام تحذيرا عن المخالفة لشيء منها فيحل به ما حل باولئك ساصرف
عن آياتي الذين يتكبرون في الارض باهلاكهم وعدلهم بانهم منصورون ويفعل
بعد وهم ما فعل بفرعون او اصرفهم عن ابطال الايات وان اجتهدوا وبذلوا وسعهم
كما فعل بفرعون بعد ما افرغ جهده في ابطال معجزات موسى بغير الحق صلة يتكبرون

اي

اي يتكبرون بما ليس بالحق وهو دينهم الباطل او حال عن الفاعل اي يتكبرون غير محقين
فان التكبر حقا هو لله وان يروا كل آية يمكن اتيان الرسل بها لا يؤمنوا بها لان الطبع
قد سد طريق الادراك عليهم وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا لان على ابصارهم غشاوة
قرا حمزة والكسائي الرشد بفتح الراء والشين وهما لغتان كالسقم والسقم وان يروا سبيل الغي
يتخذوه سبيلا لانهم عما يقودهم الشيطان اليه ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين
اي عدم الايمان بالايات وترك سبيل الرشاد وسلوك سبيل الضلال بسبب تكذيبهم بالايات
او ذلك الصرف للتكذيب بالايات والغفلة عنها وذلك رفع على الابتداء او نصب على المصدر
والذين كذبوا باياتنا ولقاء الاخرة الاخرة او ما وعدهم الله في الدار الاخرة من اضافة المصدر
الى المفعول والظرف حبطت اعمالهم لعدم الايمان الذي هو الاساس هل يجزون الا ما كانوا
يعملون لا يجزون الا جزاء اعمالهم واتخذ قوم موسى من بعده من بعد ذهابه الى الطور
شروع في نوع اخر من قبايح بني اسرائيل من حليهم جمع حلي كثدي جمع ثدي قرا حمزة والكسائي
بكسر الحاء اتباعا لكسر اللام عجلا جسدا كساير الاجساد له خوار هو صوت البقر قيل صار ذا لحم
ودم وحصل فيه الحيوة لانه رمى فيه قبضة من تراب موطى فرس جبرائيل وقيل بل كان ذا
جوف فيه انابيب وضعه السامري على مهب الريح فاذا دخل جوفه وسرى في تلك الانابيب
يظهر منه صوت يشبه صوت البقر فان قلت الحلي كان للقبط وكان مستعارا في يد بني اسرائيل
والغنايم لم تحل لاحد قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وامته بل كانوا يجمعون الغنايم فيحرقونها
بالنار قلت لعل موسى لم يطلع على تلك الحلي في ايدي بني اسرائيل ولذلك احرق العجل بعد
رجوعه ونسفه في اليم نسفا او قضية بني اسرائيل مستثناة لقتل القبط ابناءهم واستعبادهم اياهم
يدل عليه قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل
وانما نسب الاتخاذ الى قوم موسى والمتخذ هو السامري لرضاهم بذلك او لكونهم اتخذوه الها يعبدونه
الم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا قدروا عدم اقتداره على ما يقدر عليه احاد البشر من مجرد الكلام
والهداية الى سبيل ما ومع ذلك اتخذوه الها تقريع على فرط غباوتهم اتخذوه وكانوا ظالمين
اعاده مقيدا بما يفيده زيادة التوبيخ اي ليس ذلك الاتخاذ اول منكر صدر منهم بل دابهم الاستمرار
على وضع الاشياء في غير موضعها ولما سقط في ايديهم اي ندموا غاية الندم لان من اشتد ندمه
يعض بنانه قال شعر وكانني سبابة المتندم واصل التركيب سقط افواههم في ايديهم حتى كانهم
لم يتمالكوا بل كانوا اعضوا الايدي من غير اختيار منهم فالكلام كناية ايمائية ورأوا انهم قد ضلوا
ظهر لهم ظهور المحسوس قالوا لئن لم يرحمنا ربنا بانزال التوبة ويغفر لنا ما صدر منا لنكونن من
الخاسرين الكاملين في الخسران قرا حمزة والكسائي الفعلين بالخطاب ونصب ربنا على
النداء والخطاب اوفق بالمقام لدلالته على الاستكانة لمن يقبل التوبة عن عبادته والغيبة
حكاية فيما بينهم ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا اخبره تعالى بقوله انا قد فتنا قومك
من بعدك واضلهم السامري فرجع الى قومه والاسف الحزين وفي الحديث ان ابابكر رجل

اسفا اى حزين بكا، قال بئس ما خلفتموني الخطاب لهرون ومن معه من المومنين
لقوله لهرون اخلفني في قومي وفاعل بئس مضمر يفسره ما والمخصوص محذوف تقديره
بئس خلافة خلفتمونيها خلافتكم من بعدي اى بعد ما رأيتم من التوحيد والذب عن
عبادة غير الله تعالى وحمل البعدية على بعدية الانطلاق يأباه لفظة الخلافة وجعله من
قبيل البصريه يعني لايناسب المقام اعجلتم امر ربكم ما امركم به من الانتظار اربعين
يوما يقال عجل زيد عن امره اى تركه غير تام فضمن معنى السبق وحذف عنه الجار روي
ان موسى وعدهم بالرجوع في اربعين يوما فقدروا عشرين يوما اربعين اعتدادا
بالليالي لفرط بلادتهم والقى الالواح التي كان فيها التورية لفرط غضبه وكان شهيرا
بالحدة والشدة في الدين وهرون عكس ذلك من سلامة الاخلاق ولين العريكه
ولذلك كان احب الى بني اسرائيل واخذ براس برأس اخيه يجره ظنا منه انه قصر الخلافة
ومن قلع عين ملك الموت حين دعاه الى الموت لايبعد منه ان يفعل مع اخيه ما فعل اذا
عبد العجل قال ابن ام نسبه الى الام وان كانا اخوين من اب وام ترقيقا له لانهما ولدا
من بطن وارتضعا ثديا قرأ ابن عامر وابوبكر عن عاصم وحمزة والكسائي بكسر الميم لان اصله
امي فحذف الياء اكتفاء بالكسرة والباقون بفتح الميم تشبيها بخمسة عشر روما للتخفيف ان
القوم استضعفوني عدوني ضعيفا وكادوا يقتلونني ازاح بذلك الوهم بانه بالغ في النصح
حتى قاربوا قتله وبهذا القدر كان واجبا عليه من النهي عن المنكر فلا تشمت بي الاعداء
لاتجعلهم فرحين لي من الشماتة وهي فرح العدو بما نزل بعدوه ولا تجعلني مع القوم الظالمين
في عدادهم وحزبهم قال رب اغفر لي ما فرط من القاء الالواح المسطور فيها كلامك وعدوى
على اخي ولاخي ان ندر منه نوع تقصير وادخلنا في رحمتك الواسعة كل شيء وانت ارحم
الراحمين تجزي السؤال على قليل من الشكر ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم
ابتداء الكلام منه تعالى بان من عبد العجل وان لم يصبه على الفور جزاء جريمته فسيناله غضب الله
وانتقامه وهؤلاء ان كانوا هم التائبين فالغضب هو قتلهم انفسهم وان كانوا غير التائبين
فعذاب الاخرة وذلة في الحيوة الدنيا بخروجهم عن ديارهم لان ذلة الغربة شديدة وقيل ما
نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير في زمن رسول الله من القتل والجلاء وكذلك نجزي
المفترين على الله ولا فرية اعظم من ادعاء الالوهية في ولد البقر والذين عملوا السيئات
الكفر وساير المعاصي ثم تابوا من بعدها الى الله منها وآمنوا اخلصوا الايمان واتوا بما هو
من مواجبه وهي الاعمال الصالحة ان ربك من بعدها لغفور ستار لتلك المعاصي
رحيم يبدلها حسنات من تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم
حسنات ولما سكت عن موسى الغضب باعتذار اخيه وتوبة القوم شبه الغضب بالحامل
والمغري له على ما فعل وسكونه بالسكوت اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ فيها
فعلة بمعنى المفعول كالقبطة والنخبة هدى الى الرشاد ورحمة للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام على

المفعول

المفعول لضعف الفعل لتقدم المفعول مثله ان كنتم للرؤيا تعبرون او المفعول محذوف
واللام للتعليل اى يرهبون المعاصي لله لا لامر آخر واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا
اى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل وهذا كثير في فصيح الكلام اذا امن اللبس روي انه
تعالى امره ان ياتيه الى الطور في سبعين من قومه من كل سبط فرقة ليسمعوا كلامه موسى بالاوامر
والنواهي فيكون ذلك ادعى لهم الى الطاعة فاختار من كل سبط ستة نفر فزاد اثنان فتشاحوا
في التخلف وقال موسى من يتخلف له اجر من حضر فاثر يوشع وكالب التخلف فخرج موسى
متقدما قومه كما اخبر عنه وما اعجلك عن قومك يا موسى قبل قدومهم وحضورهم كان سوال
رؤيته وما جرى له من الصعقة واندكاك الجبل وانابته فسأله بعد ذلك عن تقدمه على قومه
مع انه كان مامورا باستصحابهم فاجاب بان موجب التقدم هو المسارعة الى مرضاته فقال تعالى
انا قد فتنا قومك من بعد ذهابك واضلهم السامري فرجع موسى الى قومه وجرى مع اخيه وقومه
ما حكاه الله في كتابه وعاد الى الطور معه السبعون فلما دنوا من الجبل غشيه غمامه فدخل موسى
بهم الغمام وخروا سجدا فسمعوا كلامه موسى بالاوامر والنواهي فلما انكشف الغمام قالوا لن
نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فلما اخذتهم الرجفة رجف بهم الجبل فخروا امواتا لقوله تعالى ثم
بعثناكم من بعد موتكم فان قلت قوله تعالى في سورة النساء فاخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا
العجل من بعد ما جاءتهم البينات يدل على ان اتخاذ العجل متاخر عن رجفة الجبل بهم قلت ثم
هناك محمول على التراخي الرتبي للاتفاق على ان اتخاذ العجل كان قبل مجي موسى بالتورية ولانه
حكى في سورة البقرة قصة العجل قبل اخذ الصاعقة والقران يفسر بعضه بعضا قال رب لو شئت
اهلكتهم من قبل واياي اى لو شئت هلاكهم وهلاكي من قبل مجيئنا لكنت قادرا ولم تفعله
فنحن نرجو رحمتك وقيل بمعنى هلاكهم وهلاك خوف من قومه لئلا يقولوا له انت اهلكتهم روي
هذا عن مقاتل وهو بعيد لما رواه البخاري لايتمنى احدكم الموت لضر نزل به اتهلكنا بما فعل
السفهاء منا من طلب الرؤية عيانا فالاستفهام على حقيقته لانه يفعل ما يشاء في ملكه وبمعنى
النفي لاتفعل ذلك لانك لاتاخذ احدا بجرمه آخر ولعل ذلك السوال كان من بعضهم وقيل
المراد بفعل السفهاء عبادة العجل لان موسى اختار السبعين لميقات التوبة وليس بشيء لان
التوبة عن عبادة العجل لم يكن لها ميقات بل التوبة عنها كان بقتل انفسهم ولما تقدم من
ان اختيار السبعين كان قبل عبادة العجل ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي
من تشاء انت الذي ابتليتهم وسببت لهم اسباب تلك الجريمة منك العفو ايضا يرجى
انت ولينا متولي امورنا والقائم بها فاغفر لنا ما فرط منا وارحمنا وتفضل علينا بعد العفو
نعمك وانت خير الغافرين يكتب بعد التوبة مكان السيئة الحسنة وفي الحديث من هم
بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة وانما فصل الاية الاولى بارحم الراحمين لان غضبه كان بعد
ولحدث ثراة اخيه بخلاف سوال الرؤية من قومه فانها جريمة عظيمة تناسب الغفران
واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة عيشة طيبة من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه

حيوة طيبة وفي الآخرة بدخول الجنة والفوز بلقائك انا هدنا اليك اي تبنا من هاد
يهود اذا تاب وهو كالعلة للسؤال السابق قال عذابي اصيب به من اشاء لا علة لصنعي
ناظرا الى قوله ان هي الا فتنتك ورحمتي وسعت كل شيء لم تخل عنها ذرة لان اول الكمالات
هو الوجود الشامل للكاينات فسأكتبها قد كتبتها فالسين للمبالغة والمضارع للتصوير
بصورة الحاضر او فساظهرها للذين يتقون الكفر والمعاصي ويؤتون الزكوة افرده بالذكر
وان كان فعله داخلا في التقوى لكونه اشرف واشق وهذا لامة موسى ثم اردفه لمن
يؤمن من اهل الكتاب بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله والذين هم باياتنا يؤمنون
بكلها لا يفرقون بين احد من رسله الذين يتبعون الرسول النبي خبر مبتدا محذوف
او مبتدا خبره يأمرهم او بدل من الذين هم باياتنا يؤمنون بدل الكل لا البعض وجعله
بدلا عن الذين يتقون انما يستقيم اذا جعل الواو المتوسطة لتغاير الصفات وهو خلاف
الظاهر مع انه لم يبق لمتقي امة موسى ذكر مع تلك الرحمة المدخرة وانما قدم الرسول مع كونه
اخص والقياس تاخيره تقديما لاشرف الوصفين او لكونه كالعلم رسولا من الله نبيا مخبرا الامة
الامي هو من لا يكتب منسوبة الى امة اي هو على جبلته والعرب كانت تسمى امية لعزة
الكتابة فيهم قال تعالى هو الذي بعث في الاميين رسولا وهو وصف كمال ما في للريب
عما اتى به قال تعالى ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون الذين يجدونه مكتوبا عندهم
في التورية والانجيل الكتابين المختصين بهم باسمه وعلاماته يأمرهم بالمعروف وينهاهم
عن المنكر يحتمل ان يكون هذا ايضا في التورية والانجيل او هو وصف مدح له ابتداء
منه تعالى ويحل لهم الطيبات ما كان محرما عليهم في شريعة موسى ويحرم عليهم الخبائث
من الدم والميتة ولحم الخنزير والربوا والرشوة ويضع عنهم اصرهم اصله الحبس والضيق وفي
الحديث من تاخر عن الجمعة له كفلان من الاصر اي الاثم وعلته يحمل لان التكاليف الشاقة
علمت من قوله والاغلال التي كانت عليهم جمع غل وهو القيد شبهت بها التكاليف الشاقة
في شريعة موسى من بت القضا بالقصاص وقطع الاعضاء الخاطئة وقطع موضع النجاسة
في الثوب والعضو وعن عطاء انهم كانوا يغلون ايديهم الى اعناقهم في الصلوة وقرا ابن
عامر اصارهم بصيغة الجمع وهو المختار لكونه نصا في الانواع وموافقة للاغلال فالذين امنوا
به وعزروه نصروه مرة بعد اخرى واصله المنع ونصروه من عطف العام على الخاص او اريد
بالتعزير لازمه وهو التعظيم والتوقير واتبعوا النور الذي انزل معه النور هو القران لانه اماط
ظلمة الجهل والمراد انزاله مع نبوته او الظرف متعلق باتبعوا اي اتبعوا القران مع اتباع النبي
في اقواله وافعاله فيكون وصفا لهم بالايمان بشريعته اولئك هم المفلحون الفايزون
بكل بغية قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بين لهم ان شانه مباين لشان ساير
الانبياء فانه مبعوث الى الناس كافة لئلا يظنوا انه مبعوث الى العرب وقد رفع البخاري
اليه صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت الى الاحمر والاسود وكان كل نبي يبعث الى

قومه الذي له ملك السموات والارض الذي جر على الوصف وتوسط الجار والمجرور مع
ما يتعلق به لا يقدح في ذلك او مدح مرفوع او منصوب او مبتدا خبره لا اله الا هو وقيل على
الوجه الاول بدل اشتمال من الصلة او بدل يحيي ويميت يقرر معنى الالوهية لان المتفرد بها له
الاحياء والاماتة فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته وكتبه المنزلة وفي هذا
الوصف ترغيب لهم في الايمان فانه مصدق بالكتب المنزلة على ساير الانبياء وانما التفت
الى الغيبة اشارة الى ان المامور باتباعه هو هذا الموصوف كائنا من كان اظهارا للنصفة
وتفاديا عن التزكية واتبعوه فيما يأمركم به لعلكم تهتدون لكي ترشدوا وانما ختم الاية الاولى
بالفلاح وهذه بالاهتداء لان مضمون تلك الاية ان المتصف بتلك الصفات مفلح
ومضمون هذه الامر بالاتباع للاهتداء الى الحق الموصل الى ذلك الفلاح وقدمه في الذكر لكونه
مقصودا بالذات ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون اي من بني اسرائيل
طائفة على الحق يدعون اليه وبالحق يعدلون في الاحكام هم الذين امنوا برسول الله كعبد
بن سلام واضرابه او هم القائمون بالحق في زمانه واستمروا على ذلك وقيل قوم وراء الصين
مر عليهم رسول الله ليلة المعراج فعلمهم عشر سور من القران ولم يكن نزل فريضة بمكة غير الصلوة
والزكوة ففيه ان الصلوة انما فرضت ليلة المعراج اتفاقا ولم يكن للزكوة فريضة يومئذ
قط وابعد من ذلك ان رسول الله امرهم بالحج والحج فرض سنة ثمان من الهجرة وقطعناهم
صيرناهم فرقا يمتاز بعضها عن بعض اثنتي عشرة اسباطا مفعول ثان لان التقطيع
ضمن معنى التصيير وانما جاء اسباطا وهو مميز ما عدا العشرة مفردا لانه بمعنى القبيلة لان السبط
ولد الولد فلو قيل اثني عشرة سبطا لفهم منه اثني عشر فردا وليس كذلك فالاسباط والقبيلة
كالمترادفين امما اي وقطعناهم امما اي قبايل فان كل قبيلة منهم كانت امة عظيمة
واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه في التيه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست اي
فضرب فانبجست والحذف لامن الالباس وفيه اشارة الى ان الموحى اليه لم يتوقف في
الامتثال وان فعله لم يكن له تاثير في ذلك بل كان ذلك لمحض خلق الله منه اثنتا عشرة
عينا قد علم كل اناس مشربهم لكل سبط وظللنا عليهم الغمام جعلناه ظلة تقيهم الحر وانزلنا
عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وما ظلمونا بطلب البقل
والعدس ولكن كانوا انفسهم يظلمون ينقصون حظها واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية
بيت المقدس وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا سبق تفسيره في اول
البقرة ولا تنافي بين الواو والفاء ولا بين تقديم ادخلوا سجدا وتاخيره نغفر لكم خطاياكم
سنزيد المحسنين قرا نافع وابن عامر تغفر بضم تاء التانيث وفتح الفاء وابو عمرو وابن كثير
والكوفيون بالنون وكسر الفاء وقرا ابن عامر خطيئتكم بالتوحيد والرفع ونافع ايضا بالرفع
بالجمع مصححا وابو عمرو بالجمع مكسرا خطاياكم والباقون مصححا منصوبا والمختار قراءة ابي عمرو لكثرة خطاياهم
فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذي قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون

الرجز هو الطاعون واسألهم يريد سؤال توبيخ ليتذكروا لك قبح فعل اصولهم ليظهر لك
ان لهم في الطغيان سلفا غير صالح عن القرية شأن اهلها مجاز بالحذف التي كانت
حاضرة البحر كائنة على شاطئه ايلة او طبرية او مدين اذ يعدون في السبت يتجاوزون حدود الله
بالصيد ظرف لكانت او حاضرة او ل بدل اشتمال من المضاف المحذوف اذ تأتيهم حيتانهم
ظرف ليعدون او بدل بعض عن البدل او بدل بعد بدل والحوت واحده الحيتان بمعنى السمكة
يوم سبتهم يوم تعظيمهم مصدر سبتت اليهود عظمت ذلك اليوم واصله الراحة والسكون
فانهم كانوا لا يشتغلون فيه بشيء شرعا شارعات من غمرة الماء الى الحد ويوم لا يسبتون
لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون بسبب خروجهم عن الطاعة روي انهم امروا
بتعظيم يوم الجمعة فلم يفعلوا واختاروا السبت فحرم الله عليهم فيه الصيد ابتلاء فكانت الحيتان
تأتيهم بارزة على وجه الماء واصلة الى الساحل لا يرى وجه الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون
لا يأتيهم لا يرون منها شيئا فلبثوا على ذلك برهة من الدهر ثم احتالوا وشرعوا مشارع
تدخلها الحيتان يوم السبت يصطادونها يوم الاحد واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله
مهلكهم او معذبهم عذابا شديدا لما احتالوا تلك الحيلة قالت صلحاؤهم ارتدعوا عما تفعلو
فان الله لا يمشي عليه الحيل وبالغوا في ذلك فلم يرفعوا لذلك رأسا قال بعض الصلحاء
لبعضهم لم تتعبون انفسكم في الوعظ والنصح مع قوم مصرين اراد الله استيصالهم في الدنيا
او عذابا شديدا يوم القيمة وانه علم احد الامرين من سنة الله في المجرمين قالوا معذرة جواب
احدى الطائفتين من الصلحاء الاخرى اي استمرارنا على الوعظ اظهار عذر الى الله لئلا ينسب الينا
تفريط في النصح وقرأ حفص عن عاصم معذرة بالنصب مفعولا مطلقا او له والرفع ابلغ و
اوفق لفظا لقلة الحذف الى ربكم ولعلهم يتقون اذ ما داموا احياء يرجى منهم ذلك وقيل
القائلون لم تعظون طائفة من الفرقة الهالكة قالوا ذلك للوعاظ تهكما على ذلك التقدير
كان المناسب لعلكم والاعتذار بان الغيبة باعتبار لفظ الطائفة فلما نسوا ما ذكروا به
تركوه ترك الناسي غير مبال به انجينا الذين ينهون عن السوء عن المنكر واخذنا الذين
ظلموا بعذاب بئيس شديد فعيل من بئس يبأس اشتدت حاجته وقرأ نافع بكسر الباء ياء
ساكنة كعيس وابن عامر كذلك بهمزة ساكنة كبئر وابو بكر بفتح الباء وسكون الياء بعدها همزة
مفتوحة كجعفر بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم فلما عتوا عما نهوا عنه تكبروا ورفعوا انفسهم
عن الامتثال واصل العتو التجاوز عن الحد قال وقد بلغت من الكبر عتيا قلنا لهم كونوا قردة
تعلقت ارادتنا بذلك عبر عنه بالقول على سنن الملوك او جرت عادته بايجاد الاشياء
بلفظة كن خاسئين صاغرين مطرودين من خسئ بالكسر اذا صغر روي ان الوعاظ لما
ايسوا من قبول نصحهم قسموا القرية بجدار وتركوا بابا للطروق فاصبحوا يوما ولم ير واحد من المعتدين
فقالوا ان لهم شأنا فدخلوا عليهم فرأوهم قردة ثم ماتوا بعد ثلث وفي الحديث لم يبق
من الامة الممسوخة نسل واذ تأذن ربك تفعل من الاذن وهو الاعلام ومنه الاذان

ولمتاني

ولما في صيغته من المبالغة اجري مجرى فعل القسم ليبعثن عليهم الى يوم القيمة ليسلطن
عليهم جواب القسم من يسومهم يكلفهم من سمته كلفته سوء العذاب العذاب السيء
من اضافة الصفة الى الموصوف وقد خرب بخت نصر بعد سليمان ديارهم وقتل
كبارهم وسبى ذراريهم وضربت عليهم الذلة والمسكنة والجزية لانقراضهم ان ربك لسريع
العقاب لذلك عاقبهم في الدنيا وجعلهم نكالا وقد وصف نفسه بسرعة العقاب في آخر
الانعام وهنا ولما كان هناك سوق الكلام مع المؤمنين لم يدخل اللام المؤكدة وهنا
كلامه مع من عتا من اليهود بعد انزال بأسه بهم اكده باللام ثم هذا لا ينافي وصفه بالحليم
لان سرعة عقابه بالنظر الى عذاب الآخرة والا فقد امهلهم رويدا وانه لغفور رحيم
لمن تاب وآمن وقطعناهم في الارض فرقناهم في اقطار الارض هذا ايضا من
سخط الله عليهم لئلا يجتمعوا على كلمة فيحصل منهم ضرر امما مفعول ثان او حال منهم
الصالحون وهم الذين لم يحرفوا وآمنوا برسول الله ومنهم دون ذلك وبعضهم منحطون
عن ذلك وهم الكفرة وبلوناهم بالحسنات والسيئات عاملناهم معاملة المختبر
بالنقل من الرخاء الى الشدة وبالعكس لعلهم يرجعون عن ضلالتهم فان تقلب الاحوال
يورث الانسان بصيرة وسلامة اخلاق فخلف من بعدهم خلف بسكون اللام بدل
سوء كما ان بفتح اللام نعم البدل وكل منهما مفرد لفظا ومعناه قرن من الناس ورثوا
الكتاب تعلموه من اسلافهم وفهموا ما فيه يأخذون عرض هذا الادنى متاع هذا
الشيء الذي هو ادنى من الدنو والدناءة والمراد به الدنيا فانها ادنى شيء وذلك ما كانوا
يأخذونه من الرشا على الاحكام وتحريف الكلم والجملة حال من فاعل ورثوا ويقولون
سيغفر لنا قولا بلا دليل كما قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة والجار والمجرور قائم مقام
الفاعل او الفعل مسند الى المصدر المدلول عليه بالفعل وان يأتهم عرض مثله يأخذوه
اي هم مصرون على الكبائر من غير توبة استبعادا ولا يدعونه مع ما هم فيه والجملة حال
عن المجرور الم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ما في التورية ان لا يقولوا على الله الا الحق
بيان للميثاق او متعلق به الاستفهام للتقرير والتوبيخ بانه قد اخذ عليهم العهد بذلك
فكيف يقطعون بالمغفرة واهل السنة وان جوزوا المغفرة لم يقطعوا بها فمن قال اهل
السنة في هذه المسألة كاليهود لم يعلم مقالة اهل السنة ودرسوا ما فيه قطع لمعذرتهم عطف
على الم يؤخذ معنى اي قد اخذ عليهم الميثاق ودرسوا ما في الكتاب او على ورثوا وما بينهما
اعتراض والدار الآخرة خير للذين يتقون مما يأخذ هؤلاء افلا تعقلون يستعملون
عقولهم ويسعون فيما هو الخير قرأ نافع وابن عامر وحفص عن عاصم بالخطاب وفيه
زيادة توبيخ والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة عطف على الذين يتقون
او مبتدأ خبره انا لا نضيع اجر المصلحين فلا يحتاج الى العائد لان المصلحين هم المتمسكون
بالكتاب وفيه اشارة الى ان المانع من الاضاعة هو الاصلاح وقرأ ابو بكر يمسكون مخففا

وقراءة الجمهور ابلغ وانما افرد الصلوة بالذكر مع دخولها في التمسك بالكتاب لانافتها
واذ نتقنا الجبال فوقهم الطور لقوله ورفعنا فوقهم الطور والنتق الرفع بعد القلع كانه
ظلة هي كل ما اظلك وظنوا انه واقع بهم ابوا احكام التورية لشدتها عليهم فرفع الله
الطور فوقهم على قدر عسكرهم وكان مقدار فرسخ في فرسخ وقيل لهم ان قبلتم ما فيها
من الاحكام والا سقط عليكم فخروا ساجدين على حاجبهم الايسر ينظرون بعينهم اليمنى فرقا
من سقوطه فلذلك ترى اليهود يسجدون على الحاجب الايسر ويقولون هي السجدة التي
كانت سببا لرفع العذاب عنا خذوا ما اتيناكم بقوة بجد وعزم حال من الفاعل واذكروا
ما فيه بالمواظبة على العمل به لعلكم تتقون لكي تبلغوا درجة التقوى التي هي اسنى المراتب
واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا
بلى شهدنا ذكر بعض اليهود العهد الخاص بهم والميثاق المكتوب عليهم في التورية اردفه
بالميثاق العام السابق في عالم الذر وقد اشار اليه صلى الله عليه وسلم حين سئل عن معنى
الاية فقال ان الله خلق ادم ثم مسح ظهره بيده فاستخرج منه ما هو مولود الى يوم القيمة على
صفة الذر وقال يا ادم هؤلاء ذريتك اخذت عليهم العهد بان يعبدوني ولا يشركوا بي
شيئا وعلي رزقهم ثم قال لهم الست بربكم قالوا بلى فقولهم بلى اقرار بوحدانيته وذلك الاقرار
هو الفطرة التي يولد عليه كل مولود فان قلت في الحديث انه اخذ الذرية من ظهر ادم وفي
الاية اخذ من ظهور بني ادم قلت لا تنافي لان بنيه مخرجون من ظهره فالمخرج من ظهورهم
مخرج من ظهره وقد يقال ما في الاية هو اخراجهم على النمط المشاهد نسلا بعد نسل واشهادهم
على انفسهم وقوله الست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل وتشبيه الحال بالحال وذلك انه
لما ركب فيهم البصاير وافاض عليهم العقول المميزة بين الحسن والقبيح ونصب لهم الدلايل
التوحيد ونبها في الافاق والانفس بحيث لم يبق لهم معذرة فكانه خاطبهم شفاها واقروا له
كفاحا فان قلت على هذا التقدير كيف يقع الحديث جوابا عما في الاية قلت هو من الاسلوب
الحكيم فان هذا كالمشاهد وللعقل طريق وصول اليه بالتدبر لم يلتفت اليه
صلى الله عليه وسلم واشار الى ذلك الاخذ الذي لا يمكن الوقوف عليه الا بتوقيف منه
قرا ابن كثير والكوفيون ذريتهم بالافراد وهو المختار لظهور الاستغراق فيه ان تقولوا
يوم القيمة اي كراهة ان تقولوا انا كنا عن هذا غافلين ولا عتاب مع الغافل
او تقولوا عطف على الاول قرا ابو عمرو كليهما بالياء على الغيبة والباقون بالخطاب
التفاتا كما في الست بربكم والمختار الغيبة جريا على السنن السابق انما اشرك اباؤنا من
قبل وكنا ذرية من بعدهم لم يسعنا الا الاقتداء بهم افتهلكنا بما فعل المبطلون هم
اباؤهم المسنون للشرك وكذلك نفصل الايات ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل
ساير الايات ولعلهم يرجعون ولكي يرجعوا الى الحق بفعل بالفعل والضماير اما لليهود خاصة
ويخص بني ادم بهم لان سوق الكلام لهم او لكافة الناس لاندراجهم فيهم

واتل عليهم اي اليهود نبا الذي اتيناه اياتنا عالم من علماء بني اسرائيل يسمى بلعم بن
باعور كان في زمن موسى فغزا موسى قومه فاستشفعوا اليه وبذلوا له الاموال فدعا عليه
فحار موسى في التيه وقيل امية بن الصلت روي كذلك عن ابن عمر كان من كهان الجاهلية
وكان يظن انه النبي الموعود فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مات حسدا وقيل عامر
الراهب فانسلخ منها كما تنسلخ الحية من جلدها كناية عن الكفر فاتبعه الشيطان فلحقه
مبالغة في اللحوق كان بعد اللحوق جعله تابعا له فكان من الغاوين فصار من حزبهم
او كان منهم في علم الله ولو شئنا لرفعناه بها بتلك المعارف منازل العلماء الذين اوتوا
العلم درجات ولكنه اخلد الى الارض ركن اليها من اخلد الى فلان مال اليه ولازمه شبه
العرض الذي مال اليه بالتراب لسفالته واتبع هواه في ايثار الفاني على الباقي ودلت الاية على
ان الكفر بمشيته تعالى وانه لو شاء ايمانه كان واقعا فمثله كمثل الكلب حالة الخسيسة كحاله
ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث الشرطية في موضع الحال اي هو دايم اللهث طرد او لم
يطرد واللهث اخراج اللسان وساير الحيوانات انما يفعل ذلك عند الاعياء والكلب
لم يزل وكذلك الضلال في الشبه لازمة بمقتضى مشيته تعالى وعظ ام لم يوعظ وقيل التشبيه
على ظاهره فانه لما دعا على موسى خرج لسانه حتى وقع على صدره ذلك مثل القوم الذين كذبوا
باياتنا من اليهود فانهم بدلوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وحرفوا الكلم عن مواضعها
وركنوا الى حطام الدنيا فاقصص القصص اي قصة من انسلخ من اياتنا واخلد الى الارض لليهود
فانهم على وصفه لعلهم يتفكرون فيؤديهم الى الحذر من سوء العاقبة ويزدادوا ايقانا بنبوتك
فانه لا يمكن العلم بذلك الا بالوحي اذ لم تتل من قبله من كتاب ساء مثلا القوم الذين
كذبوا باياتنا لما شبه حال اليهود في التكذيب بايات الله لحطام الدنيا بحال الكلب اردفه بما
وضع لانشاء الذم مبالغة في التحذير وتقديره ساء مثلا مثل القوم او ساء اصحاب المثل القوم
وانفسهم كانوا يظلمون عطف على كذبوا داخل في الصلة اي جمعوا بين التكذيب وظلم انفسهم
او منقطع والمعنى لم يظلموا بالتكذيب الا انفسهم لا يتخطاها وباله من يهد الله فهو المهتدي
ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون كالبيان لقوله ولو شئنا لرفعناه بها وكالتلف لقوله
ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن وممن خلقنا امة يهدون بالحق وانما افرد الضمير في الاول
وجمع في الثاني باعتبار اللفظ والمعنى وفيه اشارة الى ان المؤمنين كواحد لاتحاد طريقتهم وفي
الحديث المؤمنون كالشخص الواحد اذا اشتكى راسه اشتكى كله وفي الاقتصار على الاهتداء ايماء الى انه
وصف شريف لا يحتاج الى امر اخر ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس هم اهل الطبع و
الذين لهم قلوب لا يفقهون بها خالية عن معرفة الحق والنظر في دلايله ولهم اعين لا يبصرون
بها تجلي الايات في الافاق والانفس ولهم اذان لا يسمعون بها الايات والنذر سماع
تدبر وتفكر اولئك كالانعام في الخلو عن المعرفة والاعتبار بل هم اضل منها لانها تدرك
ما فيه الضر فتعدل عنها وهؤلاء موقنون بدخول النار ولا يرتدعون عن ارتكاب مسالكها

اولئك هم الغافلون الكاملون في الغفلة كالتاكيد للاولى ولذلك لم يدخل العاطف وانما
قدم البصر هنا والسمع في ساير الايات لكون الاية مسوقة للتشبيه بالانعام وهي بفقد
البصر اشد تضررا من فقد السمع لان مدار تعيشها في طلب المآء والكلاء على حاسة البصر
والاية تذييل لقصة اليهود وفيها تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم من الذين
لا يسمع فيهم الايات والنذر لكونهم مخلوقين للنار ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها لانها
تدل على احسن المعاني وقيل المراد الاوصاف القايمة به فانه يطلق عليها الاسم يقال طار
اسمه في الافاق والمراد وصفه الحسن وذروا الذين يلحدون في اسمائه واتركوا الاسماء التي
تسميه بها الزايغون عن طريق الحق كانت اليهود يطلق عليه لفظ البخيل والفقير لقد
سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير واجلاف العرب يقولون يا ابا المكارم ويا ابيض
الوجه واهل الجاهلية اشتقوا من اسمائه تعالى اسماء الهتهم كاللات من الاله والعزى من
العزيز والمعنى اعرضوا عن هؤلاء سيجزون ما كانوا يعملون قرا حمزة يلحدون بفتح اليآء
وهما لغتان والضم اكثر واشهر وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون الترتيب
دل على قلتهم وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لا يزال طايفة من امتي ظاهرين على
الحق لا يضرهم من خالفهم حتى ياتي امر الله وهم على ذلك والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم
استفعال لهم من الدرجة اما استصعادا واما استنزالا والمعنى سنستدنيهم من العذاب
قليلا قليلا من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك بتواتر النعم عليهم ليظنوا انهم يستحقونها
لمعنى فيهم كما قال قارون انما اوتيته على علم عندي واملي لهم وامهلهم ليزدادوا اثما
وما يوجب مضاعفة العقاب ان كيدي اخذي سماه كيدا لانه في الظاهر يرى لطفا
واحسانا متين قوي شديد ماخوذ من المتن وهو الظاهر اولم يتفكروا ما بصاحبهم من
جنة حالة من الجنون وعبر عنه بالصاحب لان المصاحبة تظهر كذا من الاخلاق فلو كان
به جنون لم يخف عليهم بعد طول الصحبة ان هو الا نذير مبين موضح الانذار شعر
لقد ظهرت فلا تخفى على احد الا على احد لا يعرف القمرا اولم ينظروا في ملكوت السموات
والارض فعلوت من الملك كالرهبوت من الرهبة يطلق على الملك الاعظم وما خلق الله
من شيء اي شيء كان وان كان ذرة فان فيها دلايل التوحيد من جهات شتى والاستفهام
في الموضعين للتعجب من حال المكذبين وتماديهم في الغفلة وان عسى ان يكون قد
اقترب اجلهم عطف على ملكوت وان مخففة من المثقلة يقدر فيها ضمير الشان لا مصدرها
لان عسى لا مصدر له يؤول به والمعنى ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب
اجلهم فيسارعوا الى طلب ما ينجيهم قبل مفاجاة الاجل وحلول العذاب فباي حديث
بعده يؤمنون اذا لم يؤمنوا به مع كونه متجاوزا اطوار البشر ويتعلق بعسى ان يكون
قد اقترب اجلهم والمعنى اذا عاجلهم الموت من قبل الايمان بهذا القرآن لا حديث
بعد ذلك يؤمنون به فعليهم الايمان قبل فوت الفرصة من يضلل الله فلا هادي له اي ليس في

صاحبهم

صاحبهم جنة ولا في ملكوت السموات والارض من خفاء الدلالة ولا في القرآن نوع اشتباه
بل اراد الله اضلالهم ومن اراد اضلاله فلا احد يقدر على هدايته ويذرهم في طغيانهم قرا ابو عمرو
والكوفيون بيآء الغيبة جريا على السنن السابق والباقون بالنون التفاتا وجزم الرآء حمزة
والكسائي عطفا على محل الجواب والرفع على الاستيناف او خبر محذوف يعمهون في موضع
النصب على الحال يسئلونك عن الساعة اي اليهود تعنتا وان كانوا عالمين بان علم
الساعة شيء استاثر الله به ولم يطلع احدا من خلقه عليه او مشركو قريش يسالون عن
شيء لا يعنيهم ويتركون ما هو المهم والساعة من الاعلام الغالبة كالنجم والصعق وسميت
القيمة بالساعة لسرعة حسابها او وقوعها بغتة او لطولها كما يقولون للحبشي ابو الابيض
وللزنجي كافور ايان مرساها متى وقوعها وثبوتها من ارسيت السفينة اذا اثبتها باللنجر
وايان فعلان من اي اصله اوي وهو الرجوع لان ابعاض الزمان متساندة الى الكل
وقيل ماخوذ من اين وانكره ابن جني لانه للمكان قل انما علمها عند ربي استاثر به
لا يجليها لوقتها الا هو لا طريق اليه لمن سواه ثقلت في السموات والارض اي شق
عدم العلم بها وخفاؤها على الملائكة والثقلين لان المستعد لمعرفة الشيء اذا انسد عليه
طريق الوصول اليه تالم وكل على نفسه او توقع وقوعها وهول شدايدها او ثقل وقوعها على تلك
الاجرام اذا السماء انشقت ودكت الارض دكا وعلى الوجوه لفظة في استعارة للدلالة
على التمكن لا تاتيكم الا بغتة فجاة وفي الحديث انها تقوم والرجل يلوط حوضه والرجل
يسقي ماشيته فدعها والحكمة في ذلك استدامة الخوف والحذر كل لمحة كالحكمة في ابهام ليلة
القدر تكثير العبادة يسئلونك كانك حفي عنها عالم بها من حفي عن الشيء بحث عنه فان
الباحث عن الشيء يرسخ علمه به من اطلاق السبب وارادة المسبب او من حفي بالشيء
اذا فرح به اي يشبهونك عن تفرح بالسوال والحال انك تكره ذلك لعلمك بان لا طريق الى
العلم او من الحفاوة وهي المحبة والبر لان قريشا سالته بالقرابة ان يخبرهم بذلك والمعنى
لو حصل لك علم بها لم تكن تخصهم بها كما هو دابك في ساير الاحكام وعلى التقديرين عنها
صلة يسالونك وعلى التقادير كانك في موضع الحال قل انما علمها عند الله وليس في
الكلام تكرار لان السوال اولا غير مقيد وفي انما علمها عند الله زيادة ولكن اكثر الناس لا يعلمون
قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا اي اذا لم يكن لي علم بما يتعاقب على نفسي التي هي اقرب
الاشياء الي فكيف العلم بالساعة الا ما شاء الله من ذلك منقطع او متصل على التاويل
ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير من الاشياء النافعة في الدين والدنيا
وما مسني السوء لاني ادفعه قبل حصوله باسباب دافعة وانما قدم استجلاب الخير على دفع الضر
مع ان دفع المفسدة مقدم لان النفوس القدسية مطمح نظرها الامور الدينية ان انا الا نذير وبشير
لا يخالف حالي حالهم الا في هذين الوصفين لقوم يؤمنون خصهم بذلك لكونهم المنتفعين
بهما او هو متعلق ببشير ومتعلق الاول محذوف للعلم به هو الذي خلقكم من نفس واحدة خطاب

لشركى مكه بما فيه الامتنان والنفس الواحدة آدم وجعل منها زوجها هى حوا خلقت من
ضلعه الاعوج ليسكن اليها ليميل ويطمئن اليها فان الشى الى جنسه يميل وانما ذكر الضمير العايد
الى النفس فى ها باالى المعنى لانها نفس ادم وليناسب فلما تغشاها لان الغشيان كناية
عن الوقاع وهو فعل الزوج حملت حملا خفيفا لم تتعب فى حمله كساير الحبال وقيل الحمل الخفيف
هو النطفه فمرت به استمرت به حامله لم يصب حملها آفه من ازلاق واخداج فلما اثقلت
صارت ذات ثقل بكبر الولد دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا ولدا ذا صلاح ودين ينتفع به
وفى الحديث اذا مات ابن ادم انقطع عمله الا عن ثلث ولد صالح يدعو له بعد موته وعلم علمه
الناس وصدقة جارية وقيل صالحا اى سويا لا نقص فى خلقه وقيل ذكرا لان الذكورة صفة
صلاح وجودة لنكونن من الشاكرين لتلك النعمة فلما اتاهما صالحا جعلا له شركا فيما آتاهما
بان سميا المولود عبد الحرث والحرث من اسماء ابليس روى الامام احمد والترمذى عن سمرة
بن جندب مرفوعا ان حوا كان لا يعيش لها ولد فوسوس اليها الشيطان وقال انه من الله
بمنزلة وانه يدعو لها ببقاء الولد ويكون اسمه عبد الحارث فسمياه بذلك الاسم والاعلام وان
لم يعتبر فيها المعانى الاصلية الا ان فيها ايماء اليها وهذا القدر منهما شرك ولذلك استعظمه
وسماه شركا والاولى فى تفسير الاية تقدير مضاف اى جعل اولادهما له شركاء وانما اسند الجعل
اليهما لعلاقة السببية والمعنى وفيها لموجب الشكر ولكن تسببا فى احداث الشركاء وعلى هذا
يظهر وجه قراة شركاء بالمد وهو جمع شريك وهى قراة ابى عمرو وابن كثير وابن عامر وحمزة والكسائى
وحفص ويتضح تفريع فتعالى الله عما يشركون وعلى الاول يجب حمله على ان الفاء فصيحة وان
الضمير فى يشركون لاهل مكه والحرث لم يرد بيانا للاية والقول بان الخطاب لقريش لان
قصيا كان له زوجة من جنسه عربية قرشيه وطلبا من الله الولد فاعطاهما اربعة بنين فسمياهم
عبد مناف وعبد شمس وعبد قصى وعبد الدار فليس بشئ لان المخاطبين بقوله خلقكم ليس
كلهم من قريش وزوجته لم تكن ايضا قرشية بل كانت خزاعية ولم يرد خبر يدل على انهما طلبا
الولد على الوجه المذكور ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون استبعاد لان يكون مثله
معبودا وانما اتى بضمير العقلاء لزعمهم الالوهية فيها ولا يستطيعون لهم نصرا اى الاصنام
للمشركين ولا انفسهم ينصرون ترقى فى العجز وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم خطاب
للمشركين اى ان طلبتم منها الهداية الى الحق لا يجيبونكم وان دعوتم تلك الاصنام الى الاهتداء
لا يتبعونكم لعدم الادراك فنفى عن الهداية ومقام الالوهية ابعد وهذا اوجه قرا نافع
بالتخفيف من تبع والمعنى واحد سواء عليكم ادعوتموهم لذى الحاجات والمخاوف ام انتم
صامتون مستمرون على الصمت وانما عدل الى الاسمية لان الدعاء فى اوقات الحوايج
بخلاف الصمت ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم مسخرون لعبادته وان
من شئ الا يسبح بحمده فادعوهم فليستجيبوا لكم فيما تدعونهم اليه ان كنتم صادقين انها الهة
وفيه اشارة الى الفارق اى وان كانوا امثالكم فى نفس العبودية ولكنها دونكم فى الادراك وصدور

الافعال ثم صرح بذلك فقال الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين
يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها والترتيب على هذا النمط لان الدعو للنصرة اول ما يحتاج
اليه الرجل لمشى وهى الرجل ثم اليد بعد الحضور للفتك بالخصم ثم البصر للتوقى عن مكايده ثم السمع
بعد فقد الآلات ليسمع المقال لدى المؤامرة فيورد ما عنده من الرأى قل ادعوا شركاءكم تهكم بهم
ثم كيدون فلا تنظرون فلا تمهلونى ان ولى الله الذى نزل الكتاب المعجز فهو قادر على انجازه من
نجاح صحبى وهو يتولى الصالحين وانما تكلف بالانبياء والرسل والذين تدعون من دون الله
لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون من تمام التعليل لعدم مبالاته بهم وان تدعوهم
الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون يشبهون الناظرين صورة ولا ابصار
خذ العفو السهل من الامور ولا تعسر فانه ادعى لهم الى اتباعك واصله الفضل من المال
وامر بالعرف بما عرف حسنه من الشرع مصدر بمعنى المفعول اكتفى به عن ذكر النهى واعرض
عن الجاهلين ان بدا منهم شئ يسوءك وهذا اذا لم يكن هتك حرمات الله وعن عايشه
لم ينتقم رسول الله لنفسه قط واذا انتهك شئ من حرمات الله لم يبق له احد والاية جامعة
لمكارم الاخلاق سئلت عايشة رضى الله عنها عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
كان خلقه القران وقرأت الآية قيل قال رسول الله لما نزلت كيف والغضب يعترى
الانسان فنزل قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ نخسة منه ووسوسة وتسويل و
اصله الطعن وفى الحديث صياح المولود حين يولد نزغة من الشيطان ويطلق على الافساد
كقوله من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى فاستعذ بالله من نزغه انه سميع لمقالتك
عليم بانفجارك منه فيحيبك الى ما استعذت منه ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف
من الشيطان وسوسة وتزيينه من طاف يطوف وكأنه عبر به لعدم تأثيره كالطايف
حول الشئ او من طاف يطيف طيفا واصل الطيف الجنون وفى حديث البعث قال المشركون
بهذا الغلام لمم او طيف وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكسائى طيف اما على المصدر او المخفف طيف
كالليّن ويحتمل الواو والياء تذكروا ما امروا به واحترزوا عن اغوائه والآية تقدير وتعليل للامر
بالاستعاذة فانه عادة قديمة لعبادة المتقين فهو اولى به لانه سيدهم فاذا هم مبصرون
بذلك التذكر مكايد الشيطان وعبر عن العلم الحاصل بعد التذكر بالابصار مبالغة فى تيقنهم به
واخوانهم يمدونهم الضمير للشيطان لان المراد جنسه فى الغى فى الضلالة بالتزيين والتسويل
قرا نافع يمدونهم بضم الياء من الامداد والمعنى واحد يقال مد النهر الساقيه وامدها زادها ثم
لا يقصرون لا يمسكون عن الاغواء حتى يوردوهم مورد الهلاك فعلى هذا الخبر جار على
غير ما هو له ويجوز ان يرجع الضمير فى يمدون الى الاخوان فيكون الخبر على اصله واذا لم
تأتهم باية قالوا لولا اجتبيتها اخترعتها واختلقتها زعما منهم ان ما يتلوه من الوحى مختلق
او لولا اقترحت على ربك ان كنت رسوله والاجتباء افتعال من الجباية وهى اخراج الشئ
من مظنته قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى ليس شانى الاختلاق والاختراع هذا بصائر من ربكم

مايوحى الى وهو القران حجج قاطعة تورث البصاير او هو كالبصاير للقلوب اطلاقا للسبب
على المسبب او تشبيه بليغ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون به واذا قرئ
القران فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون خطاب للمؤمنين لما ذكر انه رحمة لهم ودلهم
على طريق الوصول اليه وهو الاستماع له والانصات هو السكوت للاستماع قيل نزلت
فى الصلوة فانهم كانوا يتكلمون فيها والامر كذلك فى الصلوة محمول على الوجوب وفى غيرها
الاستحباب وحرمة الكلام والامام يخطب بالحديث والاستدلال به على عدم جواز قراءة الماموم
ليس بظاهر وان كان مرويا عن ابن عباس رضى الله عنه واذكر ربك فى نفسك ذكر
القلب وهو ملاحظة جلال الله وعظمته تضرعا وخيفة متضرعا ومتذللا له خايفا من سطوته
ودون الجهر من القول باللسان وهو السر الذى تسمعه انت ولا يسمع غيرك فانه اقرب الى
القبول وابعد من الرياء وحيث لم يقيد شمل جميع انواع الذكر بالغدو والاصال فى اوقات
الغدو والعشيات لانها اشرف الاوقات ومظان الاجابة وقيل فى جميع الاوقات
وعبر عنها بذكر الطرفين والاصيل من العصر الى المغرب ولا تكن من الغافلين النهى فى
امثاله للامة وتهيج له والعباد ان الذين عند ربك هم الملائكة لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه
يقدسونه عن الاحتياج الى عبادتهم بل انما يعبدونه تشرفا بعبادته وله يسجدون لا لغيره فعليكم
الاقتداء فى التقديم وافادة الحصر تعريض لمن يشرك فى عبادته سورة الانفال ايتها
ست وسبعون بسم الله الرحمن الرحيم يسالونك عن الانفال نزلت بعد وقعة بدر وهى
اول سورة نزلت بعد الهجرة وابتداء بوقعة بدر فانها البطشة الكبرى الانفال جمع نفل بفتحتين
وهى الغنيمة من النفل وهو الزيادة ولذلك سمى ما عدا الفرايض نوافل ثم تسمية الغنيمة
نفلا لانها زيادة شرف لهذه الامة فانها لم تحل فى شريعة وسبب نزول السورة ان المهاجرين
والانصار اختلفوا فى الغنيمة يوم بدر كيف تقسم وقيل شرط رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لمن يكون له زيادة غناء ان ينفله فتسارع الشبان وقتلوا سبعين واسروا سبعين
وطلبوا النفل المشروط وكان المال قليلا فقالت الشيوخ نحن كنا ردءا لكم وفئة كيف
تستبدون بها فنزل قل الانفال لله والرسول فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء واستدل
به الشافعى على ان الامام اذا نفل لا يلزمه الوفاء به وعن سعد بن ابى وقاص قتل اخى عمير يوم
بدر وقتلت سعيد بن العاص واخذت سيفه فاتيت به رسول الله عليه السلام واستوهبته
منه فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته وبى ما لا يعلمه الا الله فما جاوزت الا
قليلا فنادانى رسول الله فقال سالتنى السيف ولم يكن لى والآن فقد صار لى فاذهب فخذه
وذكر الله فى امثاله للتعظيم فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم الاحوال التى بينكم من التخالف
والتخاصم فى امر الغنيمة وابدلوها بالتحابب والاتفاق والتالف والاضافة للملابسة كقوله
لتغنى عنى ذا انارك اجمعا واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضى التقوى
وطاعة الله ورسوله واصلاح ذات البين او ان كنتم كاملى الايمان وانما اتى بان لكونهم مؤمنين

كلا

كلا مقطوع به لان ما بدا منهم فى امر الغنيمة لم يكن ملايما لكمال الايمان انما المؤمنون الذين
اذا ذكر الله وجلت قلوبهم فرقا من جلاله واستعظاما لسطوته ولا ينافيه قوله الا بذكر الله تطمئن
القلوب لان ذلك باعتبار صفة جماله وسعة الرحمة ولذلك كان العبد واقفا بين
الخشية والرجاء واذا تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا لان تظاهر الادلة يوجب زيادة الانكشاف
ولذلك بث الله ايات التوحيد فى الافاق والانفس والزيادة عند من يجعل الاعمال
داخلة فى الايمان ظاهرة ومن لم يذهب الى ذلك يجعل الزيادة فى الايمان الكامل والحق
ان نفس التصديق ايضا قابل للزيادة وان مراتب اليقين متفاوتة ولذلك ترى
القوم يقولون علم اليقين وفوقه عين اليقين ثم حق اليقين الذى لا رتبة فوقه واليه
اشار باب العلم كرم الله وجهه بقوله لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا لبلوغه الغاية القصوى
وعلى ربهم يتوكلون يفوضون الامور لعلمهم بان لا مؤثر الا قدرته ولا موجب الا ارادته
الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون خصهما بالذكر لكونهما كالدليل على سايرهما
اولئك هم المؤمنون الموصوفون بتلك الصفات حقا صفة مصدر اى ايمانا حقا او مؤكد
للجملة كقولك زيد قايم حقا وبهذا استدل من منع الاستثناء فى الايمان والحق ان لا نزاع
بين الفريقين لان من جوز الاستثناء انما جوزه نظرا الى الخاتمة لانه ليس موقنا فى الحال ومن
منعه فانما منعه بالنظر اليه اذ لا ريب انه لا طريق له الى العلم بالخاتمة اولئك لهم درجات عند
ربهم منازل عالية فى جوار ربهم ومغفرة وتجاوز عما فرط منهم وانما قدم الدرجات على المغفرة
لان الكلام فى المكمل من المؤمنين فالاهم معرفة الدرجات لان المغفرة لهم كالمقطوع به
ورزق كريم شريف لا آفة فيه ولا انقطاع كما اخرجك ربك من بيتك بالحق ملتبسا
به مصاحبا له خبر مبتدا محذوف اى كراهتهم تسويتك فى الغنايم بين الشبان والشيوخ
والتنفيل مثل كراهتهم خروجك للحرب او صفة مصدر محذوف اى الانفال استقرت
لله مثل استقرار اخراج ربك من بيتك والوجه الاول اولى لعدم التقدير وطول الفصل
وان فريقا من المؤمنين لكارهون فى موقع الحال اى اخرجك فى حال كراهتهم وذلك ان
ابا سفيان اقبل من الشام فى عير فيه تجارة عظيمة لقريش وفى العير اربعون راكبا
منهم ابو سفيان بن حرب وعمرو بن العاص والقول بان عمرو بن هشام كان معهم سهو
لان عمرو بن هشام اسم ابى جهل وكان فى النفير دون العير وقيل فى بدر فاخبر جبرائيل
رسول الله عليه السلام باقبال العير فاخبر المسلمين ففرحوا بذلك لعلمهم بكثرة المال وقلة
الرجال فلما خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم متوجها لاخذ الركب وبلغ ذلك اهل مكة
فصعد ابو جهل سطح الكعبة ونادى يا اهل مكة عيركم واموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا ابدا
واما ابو سفيان فانه خاف من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم لقصد العير فابعد
عن الطريق واخذ ساحل البحر وارسل يخبرهم بنجاة العير ويامر اهل مكة بالرجوع فقال
ابو جهل كلا والله حتى نرد بدرا فنشرب بها الخمور وننحر الجزور وترد علينا المعارف

والقيبات وتدور بيننا الكاسات وتسمع العرب بانا قد خرجنا وحضرنا بدرا ومحمد جاد
ولم يظفر بما اراده فنزل جبرائيل واخبر رسول الله بامر العير وخروج قريش وان الله وعده
احدى الطايفتين اما العير واما قريشا فاختر ايهما شئت فاستشار رسول الله المهاجرين
والانصار فقال ان الله وعدني احدى الطايفتين فايهما احب اليكم العير او النفير فقالوا
العير احب الينا لانا لم نخرج للقاء العدو وليس معنى العدد والعدد فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اخذ العير ساحل البحر وابعد وهذا ابو جهل قد اقبل في كفار قريش
فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فلما علم ابو بكر وعمر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يريد لقاء العدو فقاما وتكلما واحسنا في المقال ثم قام سعد بن عبادة سيد
الخزرج من الانصار وقال يا رسول الله امض لامرك فوالله لو ذهبت الى عدن لم يتخلف
عنك رجل من الانصار ثم قال مقداد بن الاسود امض يا رسول الله لما امرك الله
فانا لا نقول كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون
بل نقول اذهب انت وربك فقاتلا انا معكم مقاتلون ثم قال رسول الله اشيروا
علي ايها الناس وكان يريد بذلك الانصار لانهم لما بايعوه ليلة العقبة قالوا انا
برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فكان رسول الله يتخوف ان لا يرى الانصار
نصرته الا اذا كان مقيما بالمدينة ففطن لذلك سعد بن معاذ سيد الاوس فقام
وقال كانك تريدنا يا رسول الله قال قد اجل قال قد امنا بك وصدقناك وايقنا
ان ما جئت به هو الحق امض يا رسول الله لما اردته فوالله لو استعرضت بنا هذا
البحر لخضناه ولم يتخلف منا رجل وما نكره ان يلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب
صدق عند اللقاء ولعل الله ان يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا يا رسول الله
على بركة الله فاستبشر وجه رسول الله ونشطه قول سعد وقال سيروا على بركة الله و
ابشروا الله لكاني ارى مصارع القوم يجادلونك في الحق لقاء العدو بعد ما تبين لهم
باعلامك وكان الاولى بهم الانقياد والتسليم كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون
اي بلغ كراهتهم لقاء العدو هذا المبلغ ولم يكن كراهتهم ذلك لجبن بهم بل لانهم
لم يخرجوا على اهبة القتال وكان الكلام من رسول الله على سبيل المؤامرة ولذلك لما
علموا منه العزم تكلموا فاحسنوا في المقال ولما لاقوا العدو فعلوا ما يفعله الابطال واذ
يعدكم الله احدى الطايفتين العير او النفير نصب على اضمار اذكر انها لكم بدل اشتمال
وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم اي العير لقلة رجاله والشوكة شدة البأس
وحد السلاح مأخوذ من الشوك ويريد الله ان يحق الحق يثبته ويحكمه بكلماته باياته المنزلة
لمحاربة ذات الشوكة وامداد المؤمنين بالملائكة وقتل الكفار واسرهم ويقطع دابر الكافرين
يستأصلهم دابر القوم اخرهم اي تريدون انتم المتاع الدني العاجل والله يريد معالي
الامور من هلاك العدو ونصرة الدين واعلاء الحق والفوز في الدارين ليحق الحق ويبطل الباطل

فعل

فعل ما فعل اي لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض اراد لكم لقاء العدو فلا تكرار اذ الاول
لبيان مراده مراد هم وهذا لبيان تفاوت الغرض ولو كره المجرمون ما فعل اذ تستغيثون
ربكم بدل من اذ يعدكم او يتعلق بقوله ليحق الحق وهذا اولى لان زمان الوعد غير زمان
الاستغاثة والبدل والمبدل يتحدان ذاتا او منصوب باذكر لما تحققوا ان لا بد من
القتال مع قلة العدد والعدد وكثرة العدو اخذوا في الاستغاثة وطلب النصر من الله
تعالى ولما صف رسول الله المسلمين رجع الى العريش ورفع يديه مستقبل القبلة وقال اللهم
انجز لي ما وعدتني اللهم ان تهلك هذه العصابة لا يعبد في الارض وبالغ في رفع اليدين
حتى سقط رداؤه فقال ابو بكر كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك فخرج
يثب في درعه وهو يقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فاستجاب لكم اني ممدكم اي بالامداد
وقرئ اني بالكسر لان الاستجابة نوع من القول بالف من الملائكة مردفين متبعا بعضهم
بعضا من اردفته اذا جعلته تابعا وهي لغة اكثر العرب او تابعا بعضهم بعضا من قولك
اردفته اذا اتبعته قاله الزجاج والاخفش وعلى الوجهين معناه تلاحق الملائكة الى ان بلغ
خمسة الآف فيوافق ما في آل عمران فيكون ذلك تفصيلا لهذا الاجمال لان تلك السورة
متأخرة نزولا وقرأ نافع مردفين بفتح الدال على ان الله اردف الملائكة بعضها ببعض او اردفها
المؤمنين فان قلت من فسر المردفين بالملائكة المتبعين للمؤمنين او المتبعين اياهم كيف
يوفق بين ما في السورتين والقصة واحدة قلت له ان يقول الالف كان مقدمة للمؤمنين
ولا يلزم منه انحصار الملائكة المنزلة للنصر فيهم وقد صحت الاحاديث بقتال الملائكة يوم
بدر وما جعله الله الا الامداد بالملائكة الا بشرى الا بشارة شبه الفعل السار بالخبر فاطلق
عليه البشارة استعارة ولتطمئن به قلوبكم اذ رأيتم مدد السماء وكثرة العدد وما النصر
الا من عند الله لا اثر لكثرتكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة ان الله عزيز لا يغالب
حكيم ينصر من يشاء النسق حكمته اذ يغشيكم النعاس منصوب باذكر او بما جعله الله
وقيل متعلق بالنصر او بما في عند الله من معنى الفعل وفيه ان النصر يتقيد بذلك الوقت
مع ان المراد عمومه في ساير الازمان والمواطن قرأ نافع بضم الياء وتخفيف الشين
وابن كثير وابو عمرو بفتح الياء واسكان الغين من باب فعل يفعل والباقون
بضم الياء وتشديد الشين والمختار قراءة ابن كثير وابي عمرو لاسناد الفعل الى النعاس
لكونه المباشر القريب ولاتفاق السبعة عليه في يغشى طائفة منكم امنة منه امنا من الله
مفعول له فان قلت فعلى قراءة ابن كثير وابي عمرو كيف يكون مفعولا له وشرط نصبه ان
يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت لما كان معنى يغشيكم النعاس تنعسون
انتصب على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون لامنكم ومنه صفة اي امنة
حاصلة لكم من الله ويجوز ان يكون الامنة فعل النعاس مجازا او لاصحابه حقيقة كما هو
الشايع في نظايره وقد سلك هذا المسلك من قال يهاب النوم ان يغشى عيونا

بهابك فهو تغادشرو وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان
وسوسته والرجز لغة القذر فانهم نزلوا على كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام ونزل المشركون على
الماء وباتوا تلك الليلة فاحتلم اكثرهم فوسوس اليهم الشيطان فقال انتم اصحاب محمد
وتزعمون انكم على الحق وانكم تصلون مع الجنابة وقد عطشتم وهولاء الا ينتظرون الا ان
يغلبكم العطش فيقتلون منكم من شاؤا ويسوقون بقيتكم اسراء فانزل الله المطر العزيز
حتى سالوا الوادي فاغتسلوا وسقوا الركاب وتلبد الرمل حتى تثبت عليه الاقدام
وليربط على قلوبكم بزوال الوسوسة والوثوق بلطفه تعالى ويثبت به الاقدام بالمطر
او بالربط وازالة الخوف حتى تثبتوا في المعركة اذ يوحي ربك الى الملائكة متعلق بيثبت
اني معكم بالاعانة والنصر وقرئ بالكسر لان الوحي فيه معنى القول فثبتوا الذين آمنوا
بكثرة العدد او بالبشارة بان النصر لهم او بالمحاربة سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب
تفسير لقوله اني معكم فثبتوا ولا اعانة اقوى من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت
اشد من ضرب الاعناق واجتماعهما نهاية النصر ويحتمل ان يكون قوله سالقي الى قوله
كل بنان تلقينا للملائكة وتعليما لهم ما يثبتون به المؤمنين كانه قال لهم قولوا لهم قولي
هذا ومن جعل سالقي في قلوب الذين كفروا تفسير القوله اني معكم فثبتوا بعد تفسير التثبيت
بالبشارة وتكثير العدد ثم جعل التفسير دليلا على ان الملائكة قاتلوا فقد التزم ما لا يلزم فاضربوا
فوق الاعناق اي المفصل بين الراس والعنق لكونه امكن للجز وقيل المراد به الراس
لانه المقتل يحتمل بادنى ضرب واضربوا منهم كل بنان البنان الاصابع جمع بنانة
وقيل اطرافها وفايدة الضرب عليها ابطال اليد فانها الجزء في ارتقاب ذلك الضرب
او الامر به والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او عام انهم شاقوا الله ورسوله خالفوهما
من الشق وهو الجانب وانما سميت المخالفة مشاقة لان كلا من المتعاديين يأخذ في
شق خلاف شق الآخر وكذلك المعاداة والمخاصمة من العدوة والخصم وهو الجانب
ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب الخطاب للكفار التفاتا ومحله الرفع
على الابتداء او الخبر اي ذلكم العقاب او العقاب ذلكم او نصب بما فسره فذوقوه وان للكافرين
عذاب النار عطف على ذلك والمعنى ذلكم العقاب لكم ولكم عذاب النار في الآخرة او
مفعول معه اي عذاب الدنيا مقرونا بعذاب الآخرة وانما وضع المظهر موضع المضمر للدلالة
على العلية والعموم واستعمل الذوق مع عذاب الدنيا لانه كالمقدمة لعذاب الآخرة يا ايها الذين
آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا جيشا يزحفون اليكم والزحف هو المشي وقيل من زحف
الصبي اذا مشى على استه اريد به الجيش الكثيف كانه لكثرته يدب قليلا قليلا والمعنى
على هذا فلا تولوهم الادبار في هذه الحالة فضلا عن حالة مساواتكم او قلتهم ونصبه على
الحال اما من المفعول او منهما اي متزاحفين والفاعل فيكون بعدمه نهي عن الفرار يوم
حنين لكونهم كانوا اثني عشر الفا قوله ومن يولهم يومئذ دبره اشارة الى ذلك اليوم

الا متحرفا لقتال يفر ليكر خداعا مع العدو وكثيرا ما يتعاطاه الابطال وقد شاهدنا ذلك في وقعة
من وقايع بني الاصفر ولله الحمد وقد انتصب على الحال والا لغوا دخل له في النصب وهو مستثنى
من المولين اي الا رجلا متحرفا او متحيزا الى فئة اي جماعة اخرى من المسلمين للاستعانة
بهم وقد روي ابن عمر انه كان في سرية وقد فروا حتى بلغوا المدينة فقالوا يا رسول الله نحن
الفرارون قال لا بل انتم العكارون وانا فئتكم اي الكرارون العطافون الى الحرب بعد التولي
فقد باء بغضب من الله رجع به والزمه من البواء وهو اللزوم ومأويه جهنم وبئس المصير هذا
اذا لم يزدادوا على الضعف لفرار واحد من الاثنين لقوله الآن خفف الله والقول بان الآية
مخصوصة باهل بدر ومن معه في الحرب لا وجه له لمخالفه للاجماع الفرار من الزحف اذا لم
يبلغ العدد الرخصة من اكبر الكبائر فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم روي انهم لما قتلوا من قتلوا
واسروا من اسروا طفقوا يفتخرون بما فعلوا فرد الله ذلك والقتل صورة وان كان صادرا
منهم ولكن لما كان بنصر الله وامداد الملائكة وقتالهم نفي عن القتل وقرأ ابن عامر وحمزة
والكسائي ولكن مخففا والذي بعده مع رفع الله وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى قيل
ان جبرائيل لما التقى الجمعان وقال خذ قبضة من الحصباء وارم بها في وجوه المشركين
فقال لعلي ناولني من حصباء الوادي قبضة فناوله فرمى بها وقال شاهت الوجوه فلم يبق
واحد منهم الا دخل عينيه منه شيء فشغلوا به وطفق المسلمون يقتلون ويأسرون وسياق
الآية ظاهر في ان ذلك كان يوم بدر واهل الحديث على ان ذلك كان يوم احد والمعنى
ان ذلك الرمي وان صدر منك مباشرة بصرف الآلة ولكن ايصال التراب الى عيون
كلهم مع كثرتهم وتفرقهم لم يكن الا بصنعه تعالى وقيل ما رميت خلقا اذ رميت كسبا وليس
بشيء لان افعال العباد كلها كذلك فاي وجه لتخصيص ذلك بالرمي وليبلي المؤمنين منه
بلاء حسنا وليعطي المؤمنين عطاء جميلا جزيلا فعل ما فعل ولا عطاء اجل من قهر العدو
ان الله سميع عليم سمع استغاثتهم وعلم نياتهم وقصدهم اعلاء كلمة ذلكم وان الله موهن
كيد الكافرين عطف على ذلكم لان الاسمية بعد ان في تاويل المصدر اي القصد من ذلك
الفعل الخارق امران احدهما بالذات وهو ابلاء المسلمين والآخر بالعرض وهو توهين
كيد الكافرين قرأ بتشديد الهاء نافع وابن كثير وابو عمرو والباقون باسكانها والاولى ابلغ
وقرأ حفص كيد مخفوضا بالاضافة ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح خطاب لاهل مكة فانهم
لما ارادوا الخروج تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اعلى الجندين واكرم الحزبين واقرانا
للضيف واوصلنا للرحم ففيه تهكم بهم وقيل الخطاب للمؤمنين واستفتاحهم كان حين
الاستغاثة والدعاء بالنصر ويؤيد الاول قوله وان تنتهوا يا اهل مكة عن الكفر فهو خير لكم
لتضمنه سلامة الدارين واشتماله على سعادة المنزلين وان تعودوا الى معاداته والاصرار
على الكفر نعد بالنصر والاعانة ولن تغني عنكم فئتكم جمعكم شيئا من الاغناء بعد وقعة
بدر اراد وان جمعوا الجموع كما فعل ابو سفيان يوم احد ولو كثرت وان الله

مع المؤمنين قرا نافع وابن عامر وحفص بالفتح اي ولان الله مع المؤمنين بالنصر والمعونة
لن تغني عنكم فئتكم والباقون بالكسر وهذه ابلغ لان العلة تفهم منها مع الاستقلال يا ايها
الذين امنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تجادلوه كما جادلتم في قضية بدر ولا تولوا عنه ولا تعرضوا
عنه في الحرب لقدمه نهي عما فعلوه يوم احد وانتم تسمعون القران الامر بطاعته وتاييده
وذكر انه في امثاله للتوطئة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا هم المنافقون وهم لا يسمعون
سماع تفهم وتدبر ان شر الدواب عند الله الصم عن استماع الحق البكم عن النطق
الذين لا يعقلون لم يذكر العمي لان الكلام في امتثال اوامره والبصر لا مدخل له في ذلك جعلهم
شر الدواب لانها تسمع وتعقل ما لها فيه النفع ولو علم الله فيهم خيرا بالارعواء عن الضلالة
لاسمعهم سماع فهم وتدبر وقد علم استحالة ذلك منهم ولو اسمعهم ذلك الاسماع لتولوا وهم
معرضون واعرضوا لسبق العلم بانهم اهل الطبع وكلمة لو هنا مثلها في لو لم يخف الله لم يعصه
وهو ان يكون نقيض الشرط اولى بترتيب الجزاء فالمعنى ان التولي منهم حاصل على تقدير
الاسماع فعلى تقدير عدمه بطريق الاولى يا ايها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول الاجابة
والاستجابة بمعنى الطاعة اذا دعاكم وقت دعائه وتوحيد الضمير لان ذكر الله للتوطئة او
البخاري انه نادى ابا سعيد بن المعلى فابطا في الاجابة فلما جاء قال ما اوجب ابطاءك قال
كنت اصلي قال الم تسمع قوله تعالى استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم والقول بان المصلي الى
سهو والقول بان اجابته لا تبطل الصلوة اذا كان دعاؤه لامر لا يحتمل التاخير ليس بشيء لان
الكلام في الصلوة والانصراف عنها قصدا مبطل اجماعا وكون الامر مما لا يحتمل التاخير
ليس مخصوصا به لان من راى اعمى يقع في بئر يجب عليه قطع صلوته اجماعا والاية مسوقة
لشرفه وان شانه يباين شان سائر الناس لما يحييكم به من المعارف والحكم الالهية
التي بها حيوة القلوب والجهاد الذي هو مظنة الشهادة التي هي سبب الحيوة لقوله تعالى
بل احياء عند ربهم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه فان قلوب بني ادم بين اصبعين
من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وبيده الاسعاد والاشقاء فعليكم المسارعة الى اجابة
رسوله لعله يلطف بكم وانه اليه تحشرون لا الى غيره فاسعوا فيما يثمر لكم الاجر والثواب
واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة اي ذنبا لا يخص عقابه طائفة منكم كتقرير المنكر
بينكم والمداهنة وسلوك طريق البدعة وافتراق الكلمة وعلى هذا قوله لا تصيبن جواب
للامر اي اتقوا فتنة لا تحلكم فان اصابتكم لا تصيبن الذين ظلموا خاصة بل تعمكم فاقيم جواب
الشرط المقدر بعد جواب الامر مقامه لتسببه عنه وعلى هذا من للتبعيض ودخول النون المؤكدة
لتضمن النفي معنى النهي مثله قوله لا يحطمنكم سليمان وهذا اوجه وجيه لما روت عائشة
قلت يا رسول الله انهلك وفينا الصالحون قال نعم اذا كثر الخبث ويجوز ان يكون لا تصيبن
صفة فتنة نهيا على التاويل اي مقولا فيها وان يكون كلاما مستقلا نهيا واردا بعد الامر
لا محل له من الاعراب والنهي وان كان للفتنة ظاهرا ولكن المراد نهيهم عن التعرض لها

على

على ابلغ وجه نحو قوله فلا يكن في صدرك حرج وعلى الوجهين من بيانية اذ المعنى لا تتعرضوا
للفتنة فيصيب عقابها ووبالها الظالمين خاصة الذين هم انتم بناء على ظلمكم دون سائر
الناس واعلموا ان الله شديد العقاب من نمط يا ايها النبي اتق الله واذكروا اذ انتم
قليل مستضعفون في الارض اي ذلك الوقت والحادث فيه لتعرفوا قدر نعمة الله المخاطبون
هم المهاجرون والارض ارض مكة او جملة الصحابة لان العرب لم يكن فيهم ملك يطاع
ويجتمع اليه فاعزهم الله برسوله لما اثر رسول الله بعض المؤلفة بالعطاء بعد حنين ولم يعط
الانصار شيئا قالوا العجب ان قريشا يعطى سيوفنا تقطر من دمائهم وترد غنائمنا اليهم فبلغ
ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فجمعهم في قبة وقال ما حديث بلغني عنكم قالوا هو الذي
بلغك قال الم تكونوا فقراء فاغناكم الله بي الم تكونوا ضلالا فهداكم الله بي فكلما قال كلمة
قالوا الله ورسوله امن ثم قال والله اني لاعطي رجالا اتالفهم على الاسلام اما ترضون ان
يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله فيكم المحيا وفيكم الممات تخافون ان يتخطفكم
الناس كفار قريش ومن عداهم من العرب فانهم كانوا اعداء مضادين لقريش او فارس
والروم والتخطف الاختلاس والاخذ بالسرعة فاواكم جعل لكم ماوى وهي المدينة وايدكم بنصره
على الكفار يوم بدر او بمظاهرة الانصار وامداد الملائكة ورزقكم من الطيبات باحلال الغنائم
لعلكم تشكرون لكي تشكروا هذه النعم يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول بتعطيل فرائض
الله وترك سنن رسول الله واصل الخون النقص ومنه خائنة الاعين وهي مسارقة النظر
وفي الحديث كان عبد الله بن عمر يتخوننا بالموعظة مخافة السامة علينا وقد الم به كعب بن
زهير في قوله لم يخونه الاخاليل نزلت في ابي لبابة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
حاصر بني قريظة احدى وعشرين ليلة فسالوه الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير ويجليهم
كما اجلى اخوانهم الى اذرعات الشام واريحاء فابى فقالوا اجعل بيننا وبينك سعد بن
معاذ ونحن نرضى بحكمه وننزل فرضي رسول الله بذلك وارسل اليهم ابا لبابة وكان مناصحا
لهم فلما بلغ الرسالة اشار بيده الى حلقه ان الذبح قال ابو لبابة فلم تزل قدماي مكانهما حتى
علمت اني قد خنت الله ورسوله فندم على ذلك وربط نفسه بسارية من سواري المسجد
وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث على ذلك سبعة
ايام فخر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله
حتى يحلها رسول الله فجاء وحله فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت
بها الذنب وان انخلع من مالي فقال رسول صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث وتخونوا اماناتكم
فيما بينكم مجزوم داخل تحت النهي او منصوب بتقدير ان بعد الواو نحو قوله وتكتموا الحق
وانتم تعلمون قبح الخيانة او حال كونكم عالمين عابدين ليس ذلك على سبيل السهو او انتم
علماء لا يخفى عليكم حسن الاشياء وقبحها واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة تحرزون بها فلا يحملنكم
حبهما على الخيانة وتقديم الاموال لعمومها في الناس او لكونها شقيق الروح وكان ابو لبابة

انما وقع فيما وقع لان عياله وامواله كانت في ايدي بني قريظة وان الله عنده اجر عظيم لا يحاط
بمقداره فلا تفوتوه بحب الاموال والاولاد والثانية يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم
فرقانا ما يفرق به بين الحق والباطل اي شئ كان كالحلوان والعنوان والمراد به في الاية
اما النصر لانه يفرق به بين المحق والمبطل ولذلك سمي به يوم بدر يوم الفرقان او ما يلقي الله
في قلوب المتقين لدى الاشتباه لقوله واتقوا الله ويعلمكم الله ويكفر عنكم سيئاتكم لان
الحسنات يذهبن السيئات ويغفر لكم يتجاوز عن ذنوبكم فالاولى حمل احدهما على الصغاير
والاخر على الكباير لان المتقي تائب والتوبة تجب ما قبلها من الكباير وقيل ما تقدم وما تاخر
ويخص باهل بدر لان الله تعالى اطلع عليهم يوم بدر وقال افعلوا بعد اليوم ما شئتم
ولا حرج والله ذو الفضل العظيم لا يحاط بفضله ولا يقتصر على المغفرة بل يبدل سيئات
التائب حسنات وفيه ايماء الى ان جزيل نواله تفضل لان العبد لا يستحق اجرا في مقابلة
عمله واذ يمكر بك الذين كفروا لما ذكر ما من به عليه من قهر العدو بالقتل والاسر ورد امر
الغنيمة اليه وامر المؤمنين بطاعته واستجابة دعائه والمسارعة الى امتثال اوامره ذكره
سوابق نعمه ليتوفر على القيام بشكرها اي اذكر ذلك الوقت او حادثة ذلك الوقت لما
مات ابو طالب وهاجر من اصحاب رسول الله من هاجر وبايعه الانصار واسلموا فشق
ذلك عليهم وخافوا من تفاقم امره اجتمعوا في دار الندوة للمؤامرة في شانه فدخل عليهم
ابليس في صورة شيخ فقال انا شيخ ذو راي من نجد وقد سمعت بامركم فدخلت عليكم
ولن تعدموا مني نصحا فرضوا به وشرعوا في التشاور فقال ابو البختري الراي عندي ان
تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتلقوا اليه في كوة طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب
المنون فقال ابليس هذا ليس براي اذ لا تامنوا ان يقاتلكم عليه قومه ويخلصوه
وقال بعضهم الراي عندي ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم وتستريحوا منه فقال
ابليس ليس هذا براي اذ لا تامنوا ان يفسد قوما ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل اني ارى
ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه
في القبايل فلا يقدر بنو هاشم على قتال قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه فقال ابليس
الراي ما يراه هذا الفتى فهو اجودكم رايا فتفرقوا على ذلك فاخبر جبرائيل رسول الله بذلك
وامره بالخروج وان لا يبيت تلك الليلة في مضجعه فامر رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
علي بن ابي طالب بالبيتوتة في مكانه وقال له اتشح ببردي لا يخلص اليك شر وخرج مع
الصديق مهاجرا والقوم باتوا محدقين له فلما اصبحوا لم يروا الا علي بن ابي طالب
ورد الله مكرهم ولما اقتفوا اثره فاعمى الله ابصارهم وفي الحديث انهم لما لبثا بعد الخروج
ثلثة ايام في الغار فقال ابو بكر لو نظروا يا رسول الله تحت ارجلهم لراونا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما ظنك يا ابا بكر باثنين الله ثالثهما وقد روي انه عليه السلام لما راى
بالصديق اضطرابا فقال له انظر الى جانب الغار فنظر فراى بحرا وعلى ساحله سفينة ليثبتوك

بالحبس

بالحبس والوثاق او الاثخان بالجراح او يقتلوك بالسيوف او يخرجوك من بلدك هايما
على وجهك ويمكرون ويخفون ذلك ماكرين بك ويمكر الله يعاملهم معاملة الماكر
من حيث لا يشعرون كما فعل بهم يوم بدر بان قلل المسلمين في اعينهم حتى اجترؤا
على القتال ثم امدهم بالملائكة والله خير الماكرين الا انه لمكرهم عند مكره واطلاق
مثله عليه على سبيل المشاكلة والازدواج واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء
لقلنا مثل هذا هو قول ابي جهل كذا اسنده البخاري وقيل نضر بن الحارث وكان
قد جاء باكاذيب العجم من قصة رستم واسفنديار وكانت القريش يجتمع عليه عند الركن
ويقرا عليهم تلك الاكاذيب ويزعم انه احسن قصصا من رسول الله فاسر يوم بدر فامر
رسول الله الزبير فضرب عنقه وانما لم يصف الايات بالبينات اشارة الى فرط عنادهم
وانهم لم يقولوا تلك المقالة عن تدبر فيها ان هذا الا اساطير الاولين نقلت اليه
واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك كما يزعمه محمد فامطر علينا حجارة من
السماء معدة للعذاب كما انزلتها على قوم لوط واصحاب الفيل او ائتنا بعذاب اليم
نوع اخر مشابه له يريدون ان ما يدعيه محمد بانه منزل من عندك افترا عليك ونحن
قاطعون بعدم حقيته فان كان الامر كما يزعمه فانزل علينا الحجارة لانا مستحقون لذلك
بانكارنا الحق وهذا اسلوب بليغ في الانكار يستعمل كثيرا ومآله الى التعليق بالمحال وانما
عرفوا الحق اشارة الى ان المنكر حقيته على الوجه الذي يدعيه محمد من نزوله اليه من عند الله
لانهم لا ينكرون صدقه مطلقا لقولهم بانه من اساطير الاولين روي ان معاوية قال لرجل
من اهل اليمن ما اقل عقل قومك ولوا عليهم امراة يريد بلقيس فقال اقل عقلا منهم من
قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم يريد ان موجب العذاب قد تكامل ولكن سنة الله مع الانبيا ان لا يعذب قومهم
ما داموا بين اظهرهم لشرفهم عند الله ومكانتهم الا يرى ان الناس اذا احسوا العذاب
من غرق او حرق يتوسلون الى الله تعالى بالاولياء والصالحين في دفعه والمعنى انهم كانوا
يستحقون العذاب لما تشاوروا في امرك وسبب التاخر الى يوم بدر وجودك بين اظهرهم
وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون بعد خروجك والمستغفرون هم ضعفة المسلمين الذين
لم يقدروا على الخروج والهجرة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الذين قال فيهم لولا رجال مؤمنون
ونساء مؤمنات والقول بان استغفار المستضعفين كان للمشركين بالتوفيق للايمان بعيد
ولا يلايمه لولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات او هو فرضي اي لو استغفروا بعد خروجك لم يعذبوا
وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون وما لهم الا يعذبهم الله وهم يصدون عن
المسجد الحرام رسول الله والمؤمنين وفيه اشارة الى انه من اعظم جناياتهم لانهم كانوا يعترفون
بانه لا يحل منع احد من زيارة بيت الله ومع ذلك ارتكبوه وما كانوا اولياءه اي اولياء المسجد
روي انهم كانوا يقولون نحن ولاة البيت نمكن من زيارته من نشاء ونمنع من نشاء وكانوا اولياء الله

لانهم كانوا يقولون نحن نسقي الحجيج ونفك العاني ونطعم الجائع نحن اولياء الله ان
اولياؤه الا المتقون من الشرك فان المشرك نجس لا يصلح لولاية بيته او المتقون
هم اولياء الله لا غيرهم ولا اعتبار بتلك المكارم بدون الايمان ولكن اكثرهم لا يعلمون
ولذلك لا يتمسكون بما لا يصلح دليلا والقيد بالاكثر اما لان بعضهم يعلم ولكن يعاند او اطلق
الاكثر على الكل كما يطلق القليل على العدم وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية
المكاء بفتح الميم وتشديد الكاف ممدود اسم طاير والمكا صوته والتصدية التصفيق
من الصدى او هو الصوت الراجع الى المصوت من الجبل بين عدم استحقاقهم لولاية
البيت لانه انما بني لعبادة الله وذكره وهم كانوا يطوفون مشبكين بين اصابعهم والرجال
مع النساء يصفرون ويصفقون وانما اطلق عليه الصلوة لوضعهم موضعها او الصلوة
بمعنى الدعاء او كان لهم صلوة يفعلون فيها ذلك فذوقوا العذاب ما اصابهم يوم
بدر او عذاب الاخرة بما كنتم تكفرون بسبب استمراركم على الكفر ان الذين كفروا ينفقون
اموالهم ليصدوا عن سبيل الله طريقه الموصل اليه وهو شريعة رسوله نزلت في المطعمين
لما خرجوا لتلقي العير وكانوا اثني عشر رجلا يطعمون كل يوم عشر جزاير وقيل في ابي سفيان
لما جمع الاحابيش في وقعة احد فانه استاجر الفين من العرب باربعين اوقية
كل اوقية وزنها اثنان واربعون مثقالا وقيل في قريش فانهم بعد بدر تشاوروا في اخذ
الثار من رسول الله صلى الله عليه وسلم والتزم كل منهم مقدارا يصرفه في جميع الجيش وتهيئة
العدو فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة فالاول اتفاقهم على الانفاق ودعوة بعضهم بعضا الى
ذلك وهذا اخبار بانهم سينفقون المال مع عدم ترتب الفايدة بل مع ما يترتب عليه من
الاسف على فراقها وزيادة العذاب يوم القيمة ثم يغلبون لان العاقبة للمتقين كتب الله
لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا الى جهنم يحشرون من مات منهم على الكفر ليميز الله الخبيث من
الطيب الكافر من المومن متعلق بيحشرون نحو قوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون او ما انفقه
المشركون في عداوة رسول الله مما انفقه المومنون في نصرته واعلاء كلمة الله فاللام متعلقة بحسرة
قرا حمزة والكسائي ليميز بضم الياء والتشديد وهو المختار لكثرة استعماله والزيادة في المعنى ويجعل
الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا منضما بعضه الى بعض من الركام وهو السحاب المتراكب
بعضه فوق بعض فيجعله الخبيث في جهنم كله وفايدة التاكيد دفع توهم فوت محقر منه
كما هو المتعارف من الملوك في الدنيا فانهم يسامحون في ذلك اولئك هم الخاسرون كل
الخسران لان ما جعلوه وسيلة للنفع في الدنيا لم ينتج وصار زيادة في العذاب يوم القيمة
قل للذين كفروا اي في شانهم وحقهم ان ينتهوا عن الكفر يغفر لهم ما قد سلف اي ذنب كان
فان الاسلام يجب ما قبله على عمومه في الحربي لانه لم يلتزم شيئا من الاحكام واما الذمي فيسقط عنه
ما عدا حقوق العباد وان يعودوا استمروا على الكفر او يعودوا الى القتال ومشاقة الرسول فقد
مضت سنة الاولين سنة الله في الكفار وارجين وهي انهم اهل النار او سنة الكفار المعاندين

للرسل

للرسل وهي الاستيصال والاولين منهم وهم قتلى بدر وقاتلوهم ان لم ينتهوا حتى لا تكون فتنة
شرك وضلال ويكون الدين كله لله لا يكون لغيره فيه نصيب لكونه المستحق دون غيره فان
انتهوا فان الله بما يعملون بصير يجازيهم على ما عملوا وان تولوا واعرضوا عن هذا النصح والبشارة
بمغفرة ما سلف منهم فاعلموا انتم ايها المومنون والمراد الاستمرار ان الله موليكم ناصركم
وايم النصر لكم نعم المولى المالك المنعم ونعم النصير الناصر الذي لا يغلب واعلموا انما غنمتم من
شيء نزلت في غنايم بدر بعد ما رد امرها الى رسوله فصل ذلك المجمل وقيل كانوا يمشون عليه
مدى الدهر والمعنى اعلموا علما مقرونا بالعمل ان كل شيء غنمتموه من الكفار مما يقع عليه اسم الشيء
جليلا كان او حقيرا فان لله خمسه خبر للموصول في انما والجملة قامت مقام مفعولي العلم
وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اي تقسم الغنيمة خمسة اخماس ثم
يوخذ الخمس الواحد ويصرف على هذه المصارف الخمسة فان ذكر الله في امثاله للتوطئة وكانه
قيل حق الخمس ان يكون متقربا به اليه تعالى ثم خص الجهة المصروف اليها بهؤلاء الاخصين
به وقيل بل هناك سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب ولم يذهب اليه احد
من ايمة المذاهب فان اباحنيفة رحمه الله حصره في اليتامى والمساكين وابن السبيل لان سهم
رسول الله وذوي القربى ساقط عنده وانما يعطي ذووا قرابته اذا اتصفوا باحدى الصفات الثلثة
وقال الشافعي رحمه الله بل الاخماس باقية كما كانت في عهده صلى الله عليه وسلم فسهمه يصرف
الى ما كان يصرف اليه من الكراع والسلاح وما كان عدة للجهاد وساير مصالح المسلمين وسهم
ذوي القربى يصرف اليهم يستوي فيه الغني والفقير للذكر مثل حظ الانثيين وذووا قرابته
بنو هاشم وبنو المطلب دون بني نوفل وبني عبد شمس وان كان هاشم والمطلب ونوفل
ونوفل وعبد الشمس اولاد عبد مناف وذلك لما اسنده البخاري ان رسول الله لما اعطى
بني هاشم وبني المطلب قال له عثمان بن عفان رضي الله عنه وكان عبشميا وجبير بن
مطعم وكان نوفليا يا رسول الله بنو هاشم لا تنكر فضلهم لمكانك منهم ولكن نحن وبنوا
المطلب بمنزلة فكيف اعطيتهم دوننا فشبك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصابعه
وقال نحن وبنو المطلب هكذا لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام واشار بذلك الى قصة
وهي ان ساير بطون قريش تعاضدوا على معاداة بني هاشم وبني المطلب وحلفوا على
ان لا يناكحوهم وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها على باب البيت فوافقتهم على ذلك
بنو نوفل وبنو عبد الشمس ان كنتم امنتم بالله حذف جزاؤه لدلالة ما تقدم عليه فاعلموا
ان خمس ما غنمتم لكذا وما انزلنا على عبدنا من الايات والامداد بالملائكة او ما انزلنا عليه
يوم الفرقان يوم بدر في امر الغنيمة وجعلنا امر الغنيمة مفوضا اليه وسمي به لانه فرق فيه
بين الحق والباطل يوم التقى الجمعان بدل منه للتوضيح والبيان والله على كل شيء قدير
ولذلك نصر شرذمة المومنين وامدهم بالملائكة اذ انتم بالعدوة الدنيا القربى من
الدنيا والعدوة بالضم شاطي الوادي وقرا ابن كثير وابو عمرو بكسر العين والضم افصح لانه

لانه لغة الحجاز منصوب باذكر او بدل ثان ليوم الفرقان وهم بالعدوة القصوى من المدينة
والقياس القصيا كالعليا والدنيا تفرقة بين الاسم والصفة وقد جاء على الاصل كالقود
واستحوذ والركب اسفل منكم على الساحل انما يطلق على اصحاب الابل في السفر اذا كانوا فوق
العشرة ولو تواعدتم انتم والمشركون الاجتماع على هذه الحالة لاختلفتم في الميعاد انتم لقلة
عددكم وهم لرعب رسول الله في قلوبهم وانما ذكر الواقعة مع ذكر الزمان والمكان مفصلا بانهم
كانوا في العدوة الدنيا والعدو في العدوة القصوى والركب باسفل منهم وهم عالمون بذلك
تذكيرا لهم وتصويرا للواقعة المفضية الى اعلاء كلمة الله مع ان حالهم كانت منافية للانتصار
وقهر العدو لان العدوة الدنيا كانت ارضا ذات رمل تسوخ الاقدام فيها ولم يكن بها ماء
والقصوى كانت ارضا طيبة بها ماء وكون الركب اسفل منهم قريبا مما جاش المشركين
ويشجعهم على القتال واذا علم ان ذلك النصر لم يكن الا من الله لا باسباب منهم فيجب عليهم
المبادرة الى امتثال اوامره التي من جملتها امره بايصال الخمس الى مصارفها ليكون وصلة
الى الانتصار في ساير الوقايع ويكون لطفا بالسامعين اذا تليت عليهم الى آخر الدهر ويتعلق
به قوله ولكن ليقضي الله امرا كان مفعولا كان جديرا بان يفعل من اعلاء كلمة الله واعزاز
دينه متعلق بمحذوف اي دبره او بر من خروج الطايفتين ليهلك من هلك عن بينة
ويحيى من حي عن بينة بدل من الجار والمجرور او متعلق بمفعولا والمعنى ليكون كفر من كفر صادرا
عن حجة واضحة عليه دالة على مكابرته واسلام من اسلم عن يقين لا شوبه شايبة وهم اذ الاعلم
فوق عين اليقين فيكون الهلاك والحيوة مستعارين او ليموت من يموت بعد مشاهدة
البينة ويعيش من يعيش بعد معاينتها قرا نافع وابن كثير في رواية البزي وابو بكر عن عاصم
بفك الادغام على الاصل والباقون بالادغام وان الله لسميع اقوالكم عليم بنياتكم وانما
اردف الكفر والايمان بهما لان كلا منهما يكون بالقول والاعتقاد اذ يريكهم الله في منامك
قليلا اراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في رؤيا قبل الوقعة نشر ذمة فاخبر بذلك اصحابه ليكون
ذلك تشجيعا لهم واسبابا برجز الشيطان وقيل بل اراهم رؤية عين والمنام موضع العين وفيه
زيادة معنى المعدول عن الحقيقة واذ مقدر باذكر وقليلا نصب على الحال من المفعول ولو
اريكهم كثيرا لفشلتم جبنتم وضعفت قلوبكم ولتنازعتم في الامر في امر القتال بان يقدم عليه
بعضكم ويحجم البعض وتفرقت كلمتكم ولكن الله سلم عن الفشل والتنازع بارائكم اياهم قليلا
انه عليم بذات الصدور يعلم انها كانت او سيكون واذ يريكموهم اذ التقيتم في اعينكم قليلا
لما اخبر به رسول الله وصدقا لرؤياه الضمير ان مفعولا الارائة لانها من رؤية البصر فلا يقتضي
ثالثا وقليلا نصب على الحال وعن ابن مسعود قللوا في اعيننا حتى قلت لمن كان على جانبي
اتراهم سبعين رجلا قال اراهم مائة ويقللكم في اعينهم حتى قال ابو جهل ان محمدا واصحابه اكلة
جزور ودوابهم ان الجزور طعمة مائة وهذه الارائة كانت قبل التلاقي فلما تلاحموا اكثرهم الله في
اعين المشركين حتى راوهم مثلي عدد المشركين لقوله يرونهم مثليهم راي العين وذلك من ايات

وامداده

وامداده كما امدهم بالملائكة ولما كانت الرؤية وساير الادراكات بخلق الله من غير
شرط فله ان يخلق رؤية القليل في صورة الكثير وبالعكس ليقضي الله امرا كان مفعولا
كرره لاختلاف الفعل المعلل والى الله ترجع الامور فيصدرها كيف يشاء يا ايها الذين
امنوا اذا لقيتم فئة جماعة كفارا كانوا او بغاة لقوله فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله او
قطاع الطريق لقوله يحاربون الله ورسوله واللقاء اشتهر في القتال فاثبتوا واذكروا الله
كثيرا ذكرا كثيرا لعلكم تفلحون تظفرون بالنصر روى البخاري عنه صلى الله عليه وسلم لا تتمنوا
لقاء العدو فاذا لقيتم فاصبروا واعلموا ان الجنة تحت ظلال السيوف وكان يقول عند
لقاء العدو اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم
واطيعوا الله فيما امركم به من الثبات في مواطن الحرب ورسوله ولا تنازعوا وفيكم رسول الله
الذي ياتيه الخبر من السماء ساعة فساعة وقد قال لا ينبغي عندي التنازع فتفشلوا من الفشل
وهو الجبن مجزوم داخل تحت حكم النهي او منصوب باضمار ان وتذهب ريحكم دولتكم وقيل
مستعار لها لانها في التمشي والنفوذ كالريح في الهبوب او هو حقيقة لان عادة الله جرت بان
من يكون الريح من جهته وجاء العدو له النصر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم نصرت بالصبا
واهلكت عاد بالدبور واصبروا كرره ليقيده بقوله ان الله مع الصابرين بالحفظ والنصر
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم يريد مشركي مكة بطرا مصدر في موضع الحال بالتاويل او
بتقدير الفعل والبطر مقابلة النعمة بالكفران تكبرا ورياء الناس عطف على بطرا وهو اظهار
الجميل خلاف ما في الباطن وذلك ان ابا سفيان ارسل الى كفار قريش يخبرهم بنجاة العير
ويامرهم بالرجوع فقال ابو جهل كلا والله حتى نرد بدرا فنشرب بها الخمور وننحر الجزور وتعزف علينا
القينات ولما وردوا بدرا شربوا ولكن كؤس المنايا وغنت لهم ولكن النوائح فقد امروا
بمقابلة النعمة بالشكر والاخلاص في الاعمال لان النهي عن الشيء امر بضده ولا سيما عند القرينة
ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط عطف على بطرا وصيغ الفعل لقصد الحدوث
بخلاف البطر فانه امر مستمر واذ زين لهم الشيطان اعمالهم التي كانوا يتقربون بها من النحر
لالهتهم واطعام الحاويج وسقي الحجيج وفايدة الامر تذكرة التحذير عن الاغترار بوساوس
الشيطان وان اباطيله تضمحل عند بدو تباشير الحق وقال لا غالب لكم اليوم من الناس
لان تلك الاعمال دافعة عنكم ولانكم على الحق وملة ابراهيم واني جار لكم مجير لكم وانتم في امان
فلما تراءت الفئتان الجرمان نكص على عقبيه رجع القهقرى وقال اني بريء منكم اني
ارى ما لا ترون اني اخاف الله عن ابن عباس ان ابليس تصور لهم بصورة سراقة بن
مالك الكناني وذلك لان قريشا وكنانة كان بينهم حرب فلما ارادوا المسير الى حماية العير
قالوا كيف وبينكم وبين كنانة ما تعرفون يخلفونكم في اهاليكم فقال اني جار لكم من كنانة
وذهب معهم له راية في جند من الشياطين الى ان راى الملائكة نازلين وكانت يده في
يد الحرث بن هشام اخي ابي جهل فضرب بها في صدر الحرث ثم ولى هاربا فقال له الحرث ويلك اما

اتخذتنا في هذه الساعة فقال اني اري مالا ترون فالناس على هذا كناية ويحتمل ان
يكون ذلك التزيين بالوسوسة وقوله اني جار لكم ايهامه اياهم ان اتباع خطواته
وطاعته مما ينجيهم عنهم شيئا ولما لم ينفعهم ذلك الاتباع شبه بالرجوع القهقرى وهذا مروي
عن الحسن وقوله اني اخاف الله على الاول معناه انه يخاف من الملائكة النازلين ان
يصيبه بمكروه او لما راى الملائكة مردفين ظن انه يوم القيمة لما راى من خرق العادة
وعلى الثاني شبه تزلزل كيده وعدم ثباته وانهزام جنده من المشركين بمن ولى مدبرا
من الخوف والناس محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه روى مالك عن طلحة بن عبيد الله
ان رسول الله قال ما روي ابليس اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من تنزل
الرحمة الا ما روي يوم بدر والله شديد العقاب من كلامه تعالى اي يحق لابليس ان
يفر من خوف عقابه ويجوز ان يكون من تتمة كلام ابليس اظهارا للمعذرة اذ يقول المنافقون
والذين في قلوبهم مرض واذكر وقت قول المنافقين والذين لم يرسخ الايمان في قلوبهم
بعد او المشركين او هم المنافقون والعطف لتغاير الوصفين غر هؤلاء دينهم مقول قولهم
اي اغتروا واتقنوا بدينهم ولذلك خرج ثلثمائة رجل الى قتال الف ذكره في معرض الامتنان
واجاب عن شبههم بقوله ومن يتوكل على الله يثق به ويفوض امره اليه ويقطع النظر
عن الاسباب فان الله عزيز حكيم غالب لا يغالب ما يفعله انما يفعله بحكمه بنصر اوليائه
ويقهر اعدائه وان كان ذلك في بادي الراي مستبعدا ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا
الملائكة اي لو رايت ذلك لرايت امرا عظيما هم الذين قتلوا يوم بدر وقيل هم الذين
يموتون حتف انفسهم والمراد ان موتهم ليس اخف من موت من قتل قرا ابن عامر
بالتاء لان الملائكة جمع وعلى قراءة الياء يجوز ان يكون الفاعل هو الله والملائكة مبتدا
خبره يضربون وجوههم والجملة حالية استغني بالضمير عن الواو وعلى الاول المضارعية
حال من الملائكة او من المفعول او منهما لاشتماله على الضميرين وادبارهم استاههم
والمعنى يضربون اشرف اعضائهم واخسها لعدم المبالاة بهم وقيل يعمونهم ضربا ما اقبل
منهم وما ادبر وذوقوا عذاب الحريق عطف على يضربون بتقدير القول اي قائلين لهم
هذا القول مبشرين لهم بعذاب الاخرة بعد هذا الضرب وقيل بل بايديهم مقامع من
حديد كلما ضربوا بها التهبت النار منها ذلك بما قدمت ايديكم مبتدا وخبر يحتمل ان
يكون من الكلام الملائكة وان يكون من كلام الله وان الله ليس بظلام للعبيد عطف
على الخبر اي ذلك العذاب بسبب امرين بكفركم وبان الله لا يعذب احدا بغير ذنب
وان اتى بصيغة المبالغة للتكثير المستفاد من الاستغراق فلو وقع الظلم على تلك الافراد
لكان ظلما كثيرا او للاشارة الى شدة العذاب والمعنى ان ذلك العذاب العظيم الذي
يحق بهم لو عذب به من لا يستحقه لكان ظلما عظيما لا ظلما في الجملة كداب آل فرعون
الداب مصدر داب اذا دام على الشيء ومرن عليه وفي الحديث ان بعيرا شكا الى رسول الله

من مالكه فقال له يشكي الى انك تدابه اي تديم العمل عليه والذين من قبلهم من
قبل آل فرعون كفروا بايات الله والشبه ان شان هؤلاء واولئك سواء في الكفر
فاخذهم الله بذنوبهم احل باولئك جزاء ذنوبهم كما احل بقومك يوم بدر ان الله
قوي شديد القوة لا يقاومه احد شديد العقاب وفي الحديث ان الله يمهل الكافر
حتى اذا اخذه لم يفلته والملك من ملوك الدنيا اذا عاقب نهاية عقابه القتل وعقاب
الله تعالى العذاب الشديد ذلك اشارة الى ما حل بالمشبه والمشبه به بان الله
لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم لم يزلها عنهم حتى يغيروا ما بانفسهم حتى يتركوا شكرها
ويجعلوا مكانه الكفر الم تر الى الذين بدلوا نعمة الله كفرا والنعمة التي غيرها قريش هو
رسول الله فان الله انعم عليهم به فلم يشكروا نعمة الله لقد من الله على المؤمنين اذ بعث
فيهم رسولا وجعل الله لهم حرما آمنا وجعل لهم رحلتي الشتاء والصيف فاطعمهم من
جوع وآمنهم من خوف فلما اخرجوا رسول الله من الحرم احل الله القتال في الحرم ولم يحل
لاحد قبله حتى قال يوم الفتح للانصار احصدوا اوباش قريش فلم يلقوا احدا الا انامو
فقال ابو سفيان يا رسول الله ابيحت خضراء قريش لا قريش بعد اليوم فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من القى السلاح فهو آمن ومن اغلق بابه فهو آمن ان الله سميع
لاقوالهم عليم بعقايدهم تعليل لما احل لهم من العذاب كداب آل فرعون والذين
من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون كرر التشبيه للتاكيد
وبدل لفظ الجلالة بالرب ايماء الى ان الكفر بالايات كفر بنعمة المنعم وبين ان الاخذ السابق
كان باهلاك طائفة واغراق اخرى وكل كانوا ظالمين وكل من هؤلاء واولئك كانوا
ظالمين بالكفر والتكذيب ان شر الدواب شر كل ما يدب على الارض عند الله الذين
كفروا الصم البكم الذين لا يعقلون فسرهم في تلك الاية فهم لا يؤمنون لعدم القابلية
بانتفاء آلة الادراك والقوة الدراكة الفاء السببية ما قبلها الذين عاهدت منهم ثم ينقضون
عهدهم في كل مرة بدل بعض من الذين كفروا هم بنو قريظة من اليهود فانهم كانوا معاهدين
رسول الله وبنو النضير فنقضوا العهد واعانوا المشركين على رسول الله وارسلوا كعب بن الاشرف
الى مكة ليعقد الحلف معهم فعلم رسول الله بذلك فارسل اليه محمد بن مسلمة ومعه ثلثة نفر فقتلوه
ثم جاء رسول الله الى اليهود وقال يا معشر اليهود اسلموا تسلموا قالوا لقد ابلغت يا ابا القاسم
قال ذلك اردت اعلموا يا معشر اليهود ان الارض لله ولرسوله واني اريد ان اجليكم من
هذه الارض فاجلا بني النضير ومن على قريظة حتى كان يوم الخندق غزوة الاحزاب
نقضوا العهد وحاربوا رسول الله واعانوا المشركين عليه فلما رجع رسول الله صلى الله عليه
وسلم ووضع السلاح واغتسل جاء جبرائيل وهو ينفض راسه من الغبار فقال وضعت
السلاح فوالله ما وضعناه اخرج اليهم واشار الى بني قريظة فحاصرهم رسول الله ونزلوا على
حكم سعد بن معاذ فحكم بان تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وهم لا يتقون شناعة الغدر

او هم لا يتقون عذاب الله بنصر المؤمنين عليهم وقتلهم وسبي اولادهم وهتك حرمهم فاما تثقفنهم في الحرب تصادفنهم واصله الحذق والسرعة يقال غلام ثقف اي عاقل حذق فشرد بهم من خلفهم نكل بهم نكالا يكون سببا لتفرق الآخرين الذين لم يحضروا معهم حتى لا يتماسك بعد ذلك احد والتشريد هو التفريق من شرد الجمل اي ذهب وعصى لعلهم يذكرون لعل من شردت يتعظ ويرعوي العاقل من اتعظ بغيره واما تخافن من قوم خيانة ولم يبد منهم ما يوجب نقض العهد فانبذ اليهم عهدهم واخبرهم بان لا عهد بينك وبينهم على سواء كائنين انت وهم على صفة الاستواء في العلم والعداوة حال من النابذ والمنبوذ اليه ان الله لا يحب الخائنين تعليل للامر بالنبذ او النهي عن الغدر الذي دل عليه الامر بالنبذ وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيمة ينصب عند استه وينادى عليه هذه غدرة فلان ولا تحسبن خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كفروا سبقوا الجملة سدت مسد المفعولين اي لا تحسبن الكافرين الذين فروا يوم بدر فائتين وقرأ حمزة وابن عامر وحفص بالياء على ان سبقوا ثاني المفعولين والاول محذوف اي انهم سبقوا او الضمير للنبي على طريقة الالتفات او لكل حاسب ولا تحل في هذه القراءة ودعوى تفرد حمزة باطلة لموافقة ابن عامر وحفص في السبعة وابي جعفر في العشرة وابن محيصن والحسن وطلحة في الشاذة والمختار الخطاب لجريه على السنن السابق ولعدم الحذف ولكونه ابلغ لسلاسته لانها نزلت في من افلت يوم بدر ومن جعل ضمير الغيبة لمن خلفهم ابعد عن المقام انهم لا يعجزون استيناف يؤكد عدم السبق المفهوم من لا تحسبن وقرأ ابن عامر انهم بالفتح اما لكونه مفعول الحسبان وسبقوا حالا ولا صلة او بتقدير اللام تعليلا واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ذكر ان الفارين من بدر ليسوا بفائتين وكان مظنة ان يتكاسل المؤمنون في امر الجهاد متكلين على ذلك حثهم على اعداد آلة الحرب لقهر اعداء الله واعدائهم والقوة خلاف الضعف والمراد به الرمي بالسهم لما روى مسلم والبخاري عن عقبة بن عامر انه صلى الله عليه وسلم قرأ الآية على المنبر وفسر القوة بالرمي وكرره ثلاثا ولعل ذلك لانه اقوى في التأثير لانه يدفع العدو من بعيد ولا يمكنه الاحتراز منه لعدم الاحساس به ولان حرب العرب اكثر ما يكون بالحراب والسيوف فحثهم على تعاطي الرمي وفي الحديث من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا ومن رباط الخيل انما خصه بالذكر لشدة الامر في ذلك وصرف المال اليه وقيل القوة كل ما يتقوى به من آلة الحرب وافراد الرباط لفضيلته نحو عطف جبرئيل على الملائكة ترهبون به عدو الله وعدوكم استيناف تعليلا للامر او جملة حالية وهم كفار مكة وآخرين من دونهم فارس والروم وقيل المنافقون او اليهود وكانوا ايضا اعداء لكن لم يكن عداوتهم كعداوة مشركي مكة لا تعلمونهم باعيانهم صفة آخرين الله يعلمهم تنبيه على ان علمه كاف في ذلك فلا تهاونوا في عداوتهم او اعداد آلة الجهاد وما تنفقوا من شيء في سبيل الله

يوف اليكم اجره وانتم لا تظلمون لا تنقصون من اجوركم شيئا وان جنحوا للسلم مالوا الى الصلح ومنه الجناح للطائر والجناح الاثم والسلم للاستسلام وقرأ ابو بكر بكسر السين وهما لغتان كالكتف والكتف فاجنح لها واقبل منهم ذلك اذ ربما يكون في ذلك زيادة شوكة للاسلام بان يختلط المشركون ويسمعوا القرآن ويشاهدوا محاسن الاسلام فيكون سببا داعيا لهم الى الايمان وتوكل على الله فوض امرك اليه ودفع لما عسى يتوهم ان يكون الصلح منهم خديعة وطلبا لغرة المؤمنين انه هو السميع لاقوالهم العليم بافعالهم وضمائرهم فان يكن قصدهم المكر فان مكر الله فوق مكرهم والآية محكمة لانها نزلت في الحديبية لما صد المشركون رسول الله عن البيت وآية السيف لا تدل على الوجوب بل الاذن في القتال بعد حرمته وليست مخصوصة باهل الكتاب لاتصالها بقصتهم كما ظن لما تقدم من ان قوله لا تحسبن الذين سبقوا نزل فيمن افلت يوم بدر وان يريدوا ان يخدعوك تصريح لما اشير اليه بقوله وتوكل على الله فان حسبك الله كافيك لا تحتاج معه الى آخر يستوي فيه الجمع والمفرد هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم باحداث التحابب والتواد بعد التباغض والتعاقب اشارة الى ما كان بين الانصار قبل الاسلام من الحروب المتكاثرة في الازمنة المتطاولة وهم الاوس والخزرج ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابدل الله ذلك بالالف والاخوة بحيث لم يبق لذلك اثر وفي الحديث انهم تذاكروا يوم بعاث وهو يوم مشهور وكانت الغلبة فيه للاوس حتى تداعى القبيلتان للحرب فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اتدعون بدعوة الجاهلية وانا بين اظهركم فعلموا انها كانت نزغة من الشيطان فندموا وتعانقوا لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم لتمكن العداوة فيهم دهرا طويلا وكثرة الدماء والثارات ولكن الله الف بينهم انه عزيز لانه قادر على كل شيء وقلوب العباد بين اصبعين من اصابعه يقلبها كيف يشاء غالب لا يغلبه على مراده شيء حكيم متقن في صنعه جعلهم بعد ذلك التفرق يدا واحدة على نصرة دين الله واعلاء الكلمة يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين حصر اولا الكفاية في نفسه لانه المؤثر ابتداء واضاف اليه المؤمنين ثانيا جريا على الظاهر في اعتبار الوسائط والموصول اما في محل الرفع عطفا على المرفوع او في محل النصب لانه مفعول معه كحسبك والضحاك سيف مهند او مجرور عطفا على المجرور المحل بدون اعادة الجار على مذهب الكوفيين يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال بعد علمه انه كافيه امره ان يحثهم على القتال الذي هو سبب اعلاء الكلمة والحرض شدة المرض اريد به المبالغة في الحث ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا الفا من الذين كفروا شرط في الغلبة الصبر وعلل بانهم قوم لا يفقهون قلوبهم خاوية عن المعرفة لا يرجون من الله ثوابا ليكون باعثا لهم على المصابرة بخلاف المؤمنين فانهم موقنون بما اعد الله لمن يموت في سبيله من علو الدرجات روى

ان خالد بن الوليد فی بعض الحروب مع الروم بارز یوما من الایام بنفسه وکان
امیر الجیش فقتل الف بطل من ابطال الروم ثم تقدم علیه بطریق منهم وقال له یا امیر
هل اخبرک نبیکم انک لا تموت قال خالد لم ذلک قال لان ما تفعله من الاقدام
انما یفعله من اخبره صادق القول بان لا سبیل للموت الیه فقال خالد اخبرنی صادق القول
بان کل نفس ذائقة الموت واخبرنی ایضا بما اعد الله لمن یقتل فی سبیله من النعیم وکان
عندی الیوم خبز الشعیر مبتلا بالماء فانا استعجل الموت للفوز بذلک النعیم فاسلم البطریق مکانه
قرا ابو عمرو والکوفیون ان یکن منکم مائة فی هذه الایة والکوفیون فی الثانیة مائة صابرة
بالتذکیر والباقون بالتانیث والتذکیر هو المختار لاعتبار المعنی ومناسبة یغلبوا الآن
خفف الله عنکم وعلم ان فیکم ضعفا فان یکن منکم مائة صابرة یغلبوا مائتین وان یکن
منکم الف یغلبوا الفین باذن الله کان الامر بمقاومة الواحد العشرة لقلة المسلم ولما
کثروا وکان ذلک شاقا علیهم خفف عنهم بمقاومة الآلی ستین والالف للالفین
وانما کرر مقاومة القلیل للکثیر لمعان مختلفة واعداد متباینة اشارة الی ان الحکم واحد
لا یتغیر باختلاف الاعداد اذ ربما لا یقاوم العشرون المائتین ویقاوم المائة الالف
وکذلک ربما یقاوم العشرة العشرین ولا یقاوم الالف الالفین قرا ضعفا بفتح الضاد
حمزة وعاصم والباقون بالضم وهما لغتان والله مع الصابرین بالنصر والاعانة
حث علی المصابرة المشروط بها النصر ما کان لنبی ان تکون له اسری ما صح وما کان
ینبغی له وقرا ابو عمرو ان تکون بالتانیث نظرا الی لفظ الاسری حتی یثخن فی الارض
یکثر القتل من الثخانة وهی الغلظ والکثافة المناسبة للکثرة وفایدة فی الارض والقتل
لا یکون الا فیها الاشارة الی انه لا ینبغی له ان یقصد الی ان یاتیه العدو بل یمشی فی
مناکب الارض ویسعی لاعلاء کلمة الله کما فعل رسول الله صلی الله علیه وسلم غزا فی عشر سنین
سبعا وعشرین غزوة وله نیف وخمسون سریة وقال لولا ان اشق علی امتی ما قعدت
خلف سریة تریدون عرض الدنیا متاع الدنیا والله یرید الاخرة یرید لکم ما یوصل الی
ثواب الاخرة من الجهاد والقتل لاعزاز دینه والله عزیز لا یحتاج الی معاون وانما یامرکم
بالمحاربة مع اعدائه لطفا بکم لتنالوا ثوابه وجزیل نواله حکیم فی کل ما یامر به ودفع لما یتوهم
من قوله فاما منا بعد واما فداء فانه جوز الفداء والمن وذلک لما کان بالمؤمنین من
الشوکة والکثرة وهذا کان عند قلة المؤمنین وکان اول قتال وقع فکان الاولی الاکثار
فی القتل لیقع الرعب فی قلوب المشرکین لما اسر سبعین من المشرکین شاور ابا بکر
فقال ما تری فی هؤلاء فقال یا رسول الله قومک وعشیرتک وعسی الله ان یرزق الاسلام
ویخرج من ظهورهم من یشهد ان لا اله الا الله خذ الفداء منهم یتقوی به المهاجرون والانصار
ثم التفت الی عمر بن الخطاب وقال ما تری انت یا ابن الخطاب قال لا اری ذلک الرای
یا رسول الله هؤلاء رؤس الکفار وصنادیدهم مر علیا لیضرب عنق عقیل ومرنی ان اضرب

عنق فلان نسیب له وانه تعالی اغناک عن فدائهم فاختار رسول الله ما اشار
الصدیق واخذ الفداء وقال ان مثل ابی بکر مثل ابراهیم حیث قال فمن تبعنی فانه
منی ومن عصانی فانک غفور رحیم ومثل عمر مثل نوح اذ قال رب لا تذر علی الارض
من الکافرین دیارا فنزلت قال عمر فدخلت علی رسول الله وابو بکر عنده وهما یبکیان
فقلت یا رسول الله اخبرنی فان اجد بکاء بکیت والا تباکیت فقال عرض علی
عذاب اصحابک فی اخذهم الفداء ادنی من هذه الشجرة لشجرة قریبة منه وفی الایة
دلیل علی انه کان یجتهد فی الوقایع لا سیما فی امر الحرب ویخطی تارة ولکن ینبه علی
خطائه لولا کتاب من الله سبق لولا سبق فی علمه او لولا کتب فی اللوح ان المجتهد اذا
اخطا لا یواخذ او اهل بدر لا یعذبون او ان الغنیمة التی اخذوها کانت مباحة لهم فی
علم الله لمسکم فیما اخذتم عذاب عظیم لعظم ما جنیتم له وهو المیل الی الدنیا وترک
جانب الاخرة قال صلی الله علیه وسلم لو نزل العذاب لما نجا منه الا عمر ویدل ذلک علی
ان غیره کان یری رای ابی بکر وقیل الا عمر وسعد بن معاذ فکلوا مما غنمتم ومن جملته
الفداء والفاء داخلة علی المسبب ای الحت لکم الفداء فکلوا حلالا حال من المجرور
او صفة مصدر طیبا لا عتاب معه کما لا عقاب مع الحلال واتقوا الله فی مخالفته
والاقدام علی ما لم یاذن فیه ان الله غفور غفر لکم ما فرط منکم فی اخذ الفداء رحیم بکم
ولذلک احل لکم الغنیمة قال اعطیت خمسا لم یعطهن احد قبل کان النبی یبعث الی
قومه وبعثت الی الاحمر والاسود ونصرت بالرعب مسیرة شهر وجعلت لی الارض
مسجدا واحلت الغنایم واوتیت الشفاعة یا ایها النبی قل لمن فی ایدیکم من الاسری
قرا ابو بکر والاساری وکل منهما جمع اسیر والثانی جمع الجمع ان یعلم الله فی قلوبکم
خیرا یؤتکم خیرا مما اخذ منکم نزلت فی عباس بن عبد المطلب اسر یوم بدر وادعی
الاسلام وانه خرج معهم مکرها فقال رسول الله لا نعلم ذلک منک قال ما ذا تاخذ منی
وقد علمت ما انا فیه من کثرة العیال فقال واین المال الذی قلت لام الفضل انی
ذاهب فی وجهی هذا ولا ادری ما ذا یصیبنی فان اصابنی شیء فقد وضعت فی موضع
کذا مالا فانفقته علی الصبیة فقال خبر السماء والله لقد قلت لها ما قلت فی سواد اللیل
ففادی نفسه وعقیل بن ابی طالب وفی الحدیث ان ابا عبیدة الجراح لما جاء بمال
البحرین وکان اکثر مال جیء به رسول الله صلی الله علیه وسلم فلما انصرف من صلوة الصبح
تعرض له الانصار فلما رآهم تبسم وقال اظنکم سمعتم بمجیء ابی عبیدة فقالوا اجل یا رسول الله
فقال ابشروا والله لا الفقر اخشی علیکم ولکن اخشی ان تبسط علیکم کما بسطت علی
من قبلکم فتنافسوا فیها ثم جاء وجلس فلم یقم وما سال منه درهم وجاءه العباس
فقال یا رسول الله اعطنی فانی فادیت نفسی وعقیلا وقال خذ منه فحثا فی ذیله ثم
قام لیحمله فلم یقدر فقال یا رسول الله مر احدا لحمله معی فقال لا فقال فاحمله انت قال لا

فنثر منه شيئا ثم قام ليحمله فلم يقدر قال يا رسول الله مر احدا يحمله معي قال لا قال فاحمله انت
قال لا فنثر منه ثم ذهب يحمله فاتبعه رسول الله بصره تعجبا من حرصه روي انه قال
ان الله قد اعطاني خيرا منه ان لي عشرين عبدا وادناهم ليضرب في عشرين الفا
ويغفر لكم ما سلف والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك وليس اسلامهم الا خداعا
فقد خانوا الله من قبل بالكفر والخروج الى قتالك فامكن منهم فامكنك منهم حتى
قتلت واسرت والله عليم بالضماير حكيم يجازي كلا على قدر نيته ان الذين امنوا
وهاجروا عن اوطانهم وجاهدوا باموالهم صرفوها في السلاح والكراع وانفسهم قدم
الاموال على الانفس لان صرفها بعد الهجرة من الوطن غاية السماحة في سبيل الله في الجهاد
والذين آووا ونصروا جعلوا ديارهم ماوى المهاجرين ونصروا رسول الله اولئك بعضهم
اولياء بعض يتولى بعضهم بعضا في الميراث لما قدم المدينة آخى بين اصحابه وكان الانصار
اصحاب نخل فكانوا يجعلون شطر اموالهم للمهاجرين حتى قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن
بن عوف خذ شطر مالي ولي زوجتان ايتهما احب اليك طلقها فتزوجها فقال له بارك الله
لك في مالك واهلك وكانوا يتوارثون الى ان نسخ بقوله واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض
والذين امنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا اي لا توارث بينكم وقرأ
حمزة ولايتهم بكسر الواو وعن الفراء انهما لغتان كالوكالة وعن الزجاج بالفتح النصرة وبالكسر
الامارة وانما جاز الكسر على التشبيه بالصناعة كالخياطة والحياكة لان تولي بعضهم بعضا صناعة ما
وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم نصرهم هؤلاء الذين لم يهاجروا وكانوا
مستضعفين غير قادرين على اللحوق برسول الله وعن ابن عباس رضي الله عنه انا منهم وعن
حذيفة بن اليمان خرجت انا وابي والمشركون متوجهون الى بدر فقالوا تريدون محمدا فقلنا
ما نريد الا المدينة فاخذوا علينا ان لا نذهب اليه فلما جئنا رسول الله ذكرنا له فقال لنا اذهبوا
الى المدينة نفي بعهدهم الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا يجوز نصرهم عليهم لانه غدر وخيانة
والله بما تعملون بصير لا يخفى عليه خافية والذين كفروا بعضهم اولياء بعض يتوارثون ولا توارث
بين مسلم وكافر لما حج رسول الله قيل له اين تنزل غدا بمكة قال وهل ترك لنا عقيل من دار
وذلك ان عقيلا كان كافرا لما مات ابو طالب ورثه ولم يرثه جعفر ولا علي الا تفعلوه
ما امرتم تكن فتنة في الارض بذهاب المؤمنين الى الكفار لاخذ ميراثهم وبالعكس ويقع بينهم
التقاول والتقاتل لان عداوة الدين لا يمكن زوالها وفساد كبير في الدين لان الولاية بينهم
توجب مودة الكفار والحب في الله والبغض في الله من اوثق عرى الايمان لا يتخذ المؤمنون
الكافرين اولياء من دون المؤمنين والذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين
آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لما قسم المؤمنين ثلثة اقسام ميز القسمين منهم
بما خصوا به من الزيادة بالسبق في الهجرة وتبوء الدار وصرف الاموال والانفس في نصرة
الدين واعلاء كلمة الله لهم مغفرة ورزق كريم شريف لا تبعة فيه ولا انقطاع والذين امنوا من بعد

اى بعد

اى بعد ايمانكم او بعد هجرتكم وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم معدودون منكم
يشملهم اسم المهاجر وان كان لكم مزية تسلية للمتخلف وترغيب للسابق في رعاية جانبه
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في كتاب الله في التوارث استدل به ابو حنيفة
على توريث ذوي الارحام وهو نص فيه واستدلال قوي ان الله بكل شيء عليم
كامل العلم فجعل التوارث عند قلة المسلمين للاجانب ليكون موجبا للتناصر والتظاهر
ولما قوى الاسلام وكثر اهله جعله للقرابة سورة براءة مدنية وقيل الا الايتين لقد جاءكم
رسول الى اخر السورة وهي اخر سورة نزلت آيتها تسع وعشرون ومائة
عند الكوفيين وثلثون ومائة عند غيرهم ومن اسمائها الفاضحة لانها فضحت المنافقين
المنافقين وهو ظاهر وكذا الكافرون واهل الكتاب بقوله وقالت اليهود عزير بن الله
وقالت النصارى المسيح بن الله ثم قال قاتلهم الله انى يؤفكون والمؤمنين بقوله
يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وبقوله لا تتخذوا آباءكم واخوانكم
اولياء وانما لم يكتب البسملة فيها لانها نزلت بالسيف ونبذ العهد فلم يلايم ذكرها قال الله
ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا لانه لا يلايم السلام الذي يدل على الامن
فكيف بذكر اسم الجلالة مع الرحمة العامة لكافة الخلق الشاملة للدارين في نبذ العهد
والاعلام بالقتل وسفك الدماء واما تصدير كتبه صلى الله عليه وسلم بها الى اهل الحرب
فكان لدعائهم الى الاسلام وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبين موضع الايات
والسور والفصل بحوار الله ولم يبين موضع هذه السورة وكانت مشابهة بالانفال
فلم يعلم هل هي منها كساير الايات او هي سورة مستقلة فعمل بالامرين لم توصل كساير
الايات ولم يفصله بالبسملة براءة من الله ورسوله خبر مبتدا اي هذه براءة ومن
ابتدائية اي واصلة من الله او مبتدا خبره الى الذين عاهدتم والجار والمجرور صفة ومعناه
الانفصال والانقطاع ومنه برئ المرض والمعنى انقطاع الموالاة ونبذ العهد الى الذين
عاهدتم من المشركين وانما علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين لان المعاهدة
كانت باذن الله فاذا ابرأ الله من المشركين ومعاهدتهم وجب على المسلمين نبذ عهودهم
وسبب نزولها ان رسول الله كان عاهد المشركين وكان في تلك الهدنة شرطان لا يتعرضوا
لخزاعة فانهم كانوا حلفاء رسول الله وفي الجاهلية كانوا حلفاء عبد المطلب فعدت بنو بكر على
خزاعة وعاونتهم قريش ثم وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وانشده لاهم اني ناشد محمدا حلف ابينا وابيك الا تلدا ان قريشا اخلفوك الموعدا و
نقضوا ذمامك المؤكدا هم بيتونا بالحطيم هجدا وقتلونا ركعا وسجدا فلما سمعه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال لا نصرت ان لم انصرك فنزلت واعلم المسلمون بان الله ورسوله
قد برئا مما عاهدتم به المشركين وكان نزولها سنة تسع من الهجرة والفتح سنة ثمان وحج
بالناس تلك السنة ابو بكر الصديق رضي الله عنه فاتبعه عليا بسورة براءة ليقرأها في الموسم

فقيل له لو بعثت احدا بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني وكانت عادة العرب
في نقض العهود ان لا يباشره الا رجل عاهد او ان يكون نسيبا له قريبا منه فلحق علي
ابا بكر بمنى وكان علي العضباء ناقة رسول الله فلما سمع ابو بكر رغاء الناقة قال هذا
رغاء ناقة رسول الله فلما التقيا قال له امير او مامور قال علي مامور قال ابو هريرة فجاء
علي معنا ينادي ان لا يحج بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان وقرا
عليهم السورة على جمرة العقبة قدر ثلثين او اربعين اية فسيحوا في الارض اربعة اشهر عن
الزهري انها شوال وذو القعدة وذو الحجة ومحرم وقيل عشرون من ذي الحجة ومحرم
وصفر وربيع الاول وعشر من ربيع الاخر وحرم قتلهم فيها وقتالهم واذا هو الوجه لان
عليا لقي ابا بكر بمنى وانما امهل الناكثون اربعة اشهر ليرجع كل منهم الى مامنه ويقطع علائقه
من الديون والمعاملات التي كانت بينهم وبين المسلمين واعلموا انكم غير معجزي الله
لا تفوتونه وان امهلكم وان الله مخزي الكافرين مذلهم بالقتل والاسر في الدنيا والعذاب
الشديد في الاخرة واذان من الله ورسوله الى الناس اعلام منهما فعال من الاذن
كالامان من الامن خبر مبتدا او مبتدا موصوف والى الناس خبره يوم الحج الاكبر سمي
الاكبر لانه في مقابلة العمرة التي تسمى الحج الاصغر قيل هو يوم العيد لانه يتم فيه اكثر اعمال الحج
ولما روينا ان الاعلام فيه وقع وقيل يوم عرفة لانه الركن الاعظم ولذلك يقال الحج
عرفة وقيل وصفه بالاكبر مخصوص بتلك السنة لانه كان فيه المسلمون والمشركون ووافق
عيد اهل الكتاب وامر مظهره عن المشركين ان الله بريء من المشركين من عهودهم
ورسوله مبتدا محذوف الخبر اي ورسوله كذلك او عطف على محل اسم ان لانها في حكم
المكسورة بعد العلم المقتضي لوقوع المبتدا والخبر بعده ولهذا كسرت في علمت ان زيدا
لقايم وانما فتحت لما يقتضيه معنى المفعولية وقرئ بالجر والوجه فيه القسم من الله مثل قوله
لعمرك ولا تكرير لان الاول انشاء براءة من الله والثاني اعلام بذلك للناس كافة
فان تبتم فهو خير لكم من التولي والاعراض والمراد الخيرية مطلقا او هو من قبيل الصيف
احر من الشتاء وان توليتم فاعلموا انكم غير معجزي الله لانه محيط بكل شيء علما وقدرة وانما
كرره زيادة في الايقاظ والنصح واردفه بقوله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم على سبيل
التهكم مبالغة في التحذير بخلاف الاول فانه اكتفى فيه بمخزي الكافرين الا الذين عاهدتم
من المشركين عام في الناكثين وغيرهم والمراد من اجل عهده فوق اربعة اشهر لان
الناكث له الامهال اربعة اشهر ويجوز ان يكون استثناء من قوله فسيحوا اذ التقدير فقولوا
لهم سيحوا اربعة اشهر الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقصوكم شيئا فاتموا اليهم عهدهم او منقطع
اي لكن الذين عاهدتم منهم ولا يلزم الفصل بالاجنبي لان الاذان بمعنى الاعلام كانه
قيل لهم سيحوا واعلموا انهم لم ينقصوكم شيئا من موجب العهد بالخيانة ولم يظاهروا عليكم
احدا من اعدائكم فاتموا اليهم عهدهم ادوا اليهم تام العهد الى مدتهم الى اخر الزمان الذي وقع

عليه

عليه العهد والمدة برهة من الزمان ان الله يحب المتقين عن نكث العهد والغدر
وفيه ايماء الى ان اتمام عهدهم من باب التقوى فاذا انسلخ الاشهر الحرم انقضت الانسلاخ
الخروج والانتزاع ومنه سلخ الشاة والاشهر الحرم هي التي ابيح لهم ان يسيحوا فيها وحملها
على الاشهر الحرم التي ورد بها الحديث وهي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب سهو
خطا لان قتل المشركين ليس بحرم فيها وكونها حرما لزيادة شرفها فاقتلوا المشركين
حيث وجدتموهم في الحل والحرم وفي الاشهر الحرم وغيرها وخذوهم الاخذ لغة الاسير
واحصروهم وقيدوهم وعن ابن عباس رضي الله عنه حصرهم ان يحال بينهم وبين
المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل موضع يرصدون فيه الراصد الراقب والترصد
الترقب فان تابوا امنوا واقاموا الصلوة واتوا الزكوة افردا لوجوبهما لان تارك
الصلوة وان كان عند الشافعي يقتل وعند احمد يكفر ولكن تارك الزكوة ليس بكافر
ولا يقتل او لم ينكر وجوبها فخلوا سبيلهم يتصرفون كيف شاؤا لاستواء المسلمين في
الاحكام ان الله غفور ستار بالتوبة ما تقدمها رحيم بجعله اياهم بعد الايمان كسائر
المسلمين ووعدهم الثواب على التوبة وان احد من المشركين الذين لا عهد لهم عندك
استجارك استامنك مفسر للفعل الرافع لاحد لان ان الشرطية من لوازم الفعل لفظا
او تقديرا فاجره فامنه حتى يسمع كلام الله ويتامله ليكون باعثا له على الاسلام وفيه
دليل على ان كلامه يطلق على اللفظ كما يطلق على المعنى وابلغه مامنه مكانا يامن فيه
ان لم يسلم وفاء بالعهد ذلك اي الامر بايجارهم بانهم قوم لا يعلمون جهلة لا يعلمون
ما حقيقة الاسلام فاذا تاملوا كلامه تعالى المشتمل على تلك المحاسن والمواعظ دعاهم الى
الايمان كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله استبعاد لان يكون لهم
عهد مع الغدر الذي صدر منهم يريد ان حالهم ينافي ذلك العهد الذي يزعمونه عهد مرفوع
على انه اسم يكون وخبره كيف وانما قدم لمعنى الاستفهام وفيه وجوه اخر متعسفة الا الذين
عاهدتم عند المسجد الحرام هم الذين تقدم استثناؤهم وهم بنو كنانة وبنو ضمرة وفائدة تقييد
العهد لكونه عند المسجد الحرام زيادة الحث على الوفاء به لكونه واقعا في اشرف البقاع ومحله
النصب على الاستثناء او الرفع على ان الاستثناء منقطع اي لكن الذين عاهدتم فما استقاموا
لكم على العهد فاستقيموا لهم عليه ان الله يحب المتقين كرره للتاكيد على حفظ العهد كيف
كرره لزيادة الاستبعاد مع التنبيه على العلة بقوله وان يظهروا عليكم يظفروا بكم ويكون لهم
الغلبة عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة لا يلاحظوا ولا يراعوا قرابة بينكم قال حسان بن ثابت
مخاطبا ابا سفيان لعمرك ان الك من قريش كال السقب من رال النعام وقيل
الال الحلف وقيل الال من اسمائه تعالى بالسريانية يرادف لفظ الجلالة والمعنى لا يراقبون
الله فيكم ولا تخافونه وقيل الال الذمة والعهد وعطف الذمة عليه كعطف النجوى على السر
في قوله ان الله يعلم سرهم ونجويهم يرضونكم بافواههم استيناف يبين حالهم المنافية لدعوى

الثبات على العهد وهو النفاق الذي هو شر الخصال ولا يجوز ان يكون حالا من فاعل
لا يرقبوا لان ارضاءهم بافواههم قبل الظهور ويابى قلوبهم عن موافقة ما يتفوهون
واكثرهم فاسقون خارجون عن طريق ذوي المروات المتحاشين من وصمة الغدر التقييد
بالاكثر لان قليلا منهم يتحاشى عن شناعة الغدر او اريد بالاكثر الكل اشتروا بايات الله
استبدلوا بالقران وساير الاحكام ثمنا قليلا نذر الاعتداد به فصدوا عن سبيله شريعته
الموصلة اليه وبيته الذي جعله مثابة للناس ومهبط رحمته انهم ساء ما كانوا يعملون
ساء الشيء الذي كانوا يعملونه لا يرقبون في مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون
المتجاوزون الحد تفسير لقوله ساء ما كانوا يعملون فلا تكرير وقيل الاول في المنافقين وهذا
في اليهود خاصة او في الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم فان تابوا واقاموا الصلوة
واتوا الزكوة فاخوانكم في الدين فهم اخوانكم على حذف المبتدا والمراد الاخوة في الدين و
التساوي في الاحكام ونفصل الايات لقوم يعلمون الكلام حث على التامل فيما فصل
من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وكانه قيل من تامل تفصيلها فهو خليق
بان يسمى عالما وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم نقضوا عهودهم او ردتهم بعد الاسلام
لقراءة ابن عامر لا ايمان لهم بكسر الهمزة والوجه هو الاول لان الاية في ناقضي العهد لا المرتدين
واما قراءة ابن عامر بكسر الهمزة فلا دليل فيه لانه مصدر آمنه اذا اعطاه الامان وطعنوا
في دينكم عابوه فانهم كانوا يقولون دين محمد ليس بشيء فقاتلوا ائمة الكفر رؤساءهم
وصناديدهم لان الارذال اتباع فاذا قتلت يرتدع الاوباش والاتباع وكذلك
الدخول في الدين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لهرقل عظيم الروم فان توليت
فعليك اثم الاريسيين وان اسلمت يؤتيك الله اجرك مرتين وقيل وضع المظهر
موضع المضمر لانهم بالنقض ونكث العهود صاروا متمكنين في الكفر راسخي القدم قراءة الكوفيين
بتحقيق الهمزتين على الاصل والباقون بالتسهيل على اصولهم المعلومة انهم لا ايمان لهم
جمع يمين اي لا ايمان لهم بارة بل حانثة واليه ذهب الشافعي رحمه الله وقال بانعقاد
يمين الكافر ولا ايمان لهم حقيقة وان وجدت صورة واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله
ولم يصحح يمين الكافر ومن تشبث به في عدم قبول توبة المرتد لا يجديه لان الاية في ناقضي
العهد ولو سلم كونها في المرتدين لا دلالة فيها على ذلك بل ربما يستدل بقوله لعلهم
ينتهون على قبوله اذ المعنى التنبيه على ان غرض المقاتل يجب ان يكون انتهاءهم
عما هم عليه لا المجرد الايذاء والتعذيب وقرا ابن عامر ايمان بكسر الهمزة الا تقاتلون قوما
نكثوا ايمانهم التي حلفوها مع رسول الله والمؤمنين فعاونوا بني بكر على خزاعة ونقضوا
العهد وكان هو المانع من القتال وهذا ابلغ من الامر بالقتال لانه انكار لعدم القتال
مع التحريض عليه وهموا باخراج الرسول حيث شاوروا على ذلك في دار الندوة فان
قلت قد تقدم ان الذي استقر عليه امرهم في القتل وكان قتله فلم لم يذكره مع انه اعظم

من همهم

من همهم باخراجه قلت اراد التنبيه بالادنى وان ذلك كاف في المسارعة على قتالهم
ليعلم منه منهم اذا كانوا بذلك الهم مستوجبين للقتال فكيف بما هو اعظم وهم بدءوكم
اول مرة من غير ان يسبق منكم ما يوجب العداوة وجزاء سيئة سيئة والبادي اظلم
اتخشونهم تقرير للخشية مع الانكار عليها وانها لا ينبغي لمثلهم فالله احق ان تخشوه
ان كنتم مؤمنين لان عقابه لا يشابهه عقاب وكونهم مؤمنين وان كان مقطوعا
به اورده في صورة المحتمل لان تكاسلهم عن القتال بعد تحقق موجبه يوهم ذلك
قاتلوهم اعاد الامر بعد بيان الموجب زيادة في الترغيب وزاد ما يوجب التشجيع
بقوله يعذبهم الله بايديكم قتلا ويخزهم اسرا وينصركم عليهم بالغلبة والقهر فان قلت
اليس القتل والاسر يغنيان عن ذكر النصرة ما فائدة ذكره بعدهما قلت فائدته الوعد
بان العاقبة لهم مع ذلك القتل والاسر وان لا سبيل للعدو عليهم ويشف صدور قوم
مؤمنين وضع المظهر موضع المضمر اشارة الى ان وصف الايمان هو الموجب لذلك
الشفاء هم خزاعة الذين انتقض العهد لاجلهم وقيل قوم من اليمن قد هوا مكة مسلمين
فلقوا من المشركين اذى كثيرا فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابشروا فان
الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم الغيظ غضب العاجز عن الانتقام فان قلت
اليس شفاء الصدر مترتبا على زوال الغيظ فما الوجه في تقديمه قلت النص على المقصود و
تعجيل المسرة ووقوع سماع المكروب لمن الم الغيظ بلفظ الشفاء المضاف الى الصدر الذي
هو محل الالام النفسانية ويتوب الله على من يشاء ابتداء كلام واعلام بان بعض
الكفار يتوب عن الكفر وكان كذلك وفي الله بما وعد فكان ذلك معجزة وقرا بالنصب
بتقدير ان على انه جواب الامر معطوفا على الاجوبة السابقة المجزومة على توهم النصب
عكس قوله فاصدق واكن والله عليم بمن يتوب ومن لا يتوب حكيم متقن
فيما يفعله ام حسبتم ان تتركوا الخطاب للمؤمنين وام متصلة ومعنى الهمزة التوبيخ
على الحسبان والانكار ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتميز المخلص منكم من غيرهم
نفى العلم واراد لازمه والقول بانه نفي المعلوم بنفي العلم انما يستقيم على الوجه الذي
ذكروا الا فالذوات لا يمكن نفيها ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين
وليجة معطوف على الصلة داخل تحت حكمها وليجة الشخص بطانته وخاصته من
الولوج وهو الدخول كانها لقوة اختصاصها داخلة في قلبه والله خبير بما تعملون ببواطن
اعمالكم مزيح لما يتوهم من كون نفي العلم محمولا على ظاهره ما كان للمشركين ان يعمروا
مساجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر عن ابن عباس انها نزلت في ابيه لما اسر يوم
بدر اقبل عليه المسلمون يلومونه على خروجه الى قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطعة
الرحم واغلظ له القول علي بن ابي طالب فقال ما لكم تذكرون عيوبنا ولم تذكروا
محاسننا فقال علي واي محاسن لكم قال انا عمار المسجد الحرام وسقاة الحاج حجبة بيت الله

والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين وهما عمارة
المساجد والاقرار بالكفر لان عمارة المسجد انما يكون لعبادة الله وهم يعبدون فيها
فيها غيره ويدعون له الالوهية كان لهم حول البيت ثلثمائة وستون صنما قرا ابن
كثير وابو عمرو مسجد الله بالافراد وهو المختار الموافق للرسم ولقوله عمارة المسجد الحرام
ومن قراه بالجمع اراد به العموم ويندرج فيه المسجد الحرام لانهم اذا لم يصلحوا للعمارة شيء من
المساجد فافضل المساجد من باب الاولى اولئك الموصوفون بالاشراك وشهادة
الكفر حبطت اعمالهم بطل ثوابها وفي النار هم خالدون مقيمون ابدا فاين الثواب
الذي يرجونه انما يعمر مساجد الله من امن بالله واليوم الاخر يوم الجزاء على الاعمال
واقام الصلوة واتى الزكوة نفى صلوح العمارة عن اولئك الموصوفين بما ينافي عمارة
المسجد واثبته على وجه الحصر لمن اتصف بالكمالات العلمية والعملية واقتصر منها على
الصلوة والزكوة لان معظم القصد من بناء المسجد هو الصلوة ومواساة الفقراء المترددين
اليها المواظبين على العبادة فيها وعمارة المسجد تشمل بناءه واقامة الصلوة فيه وتلاوة
القران وتعليمه وتعليم ساير العلوم الشرعية والاذكار وفرشه وتنويره بالمصابيح
والسرج وفي الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وعنه
صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول من يدل على الجمل الاحمر فقال لا رد الله عليك
انما بنيت المساجد لما بنيت وفي الحديث القدسي قال الله تعالى ان بيوتي في الارض
المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق
على المزور ان يكرم زايره ولم يخش الا الله لكمال تقواه ولا يختار على مرضات الله
شيا وقيل كان المشركون يخشون الاصنام فالمنفي هي تلك الخشية واما الخوف
الجبلي من ساير الالام فلا يدخل تحت القدرة ولا يتعلق به غرض ديني فعسى
اولئك ان يكونوا من المهتدين لفظ التوقع كعسى ولعل وان كان من الله
كالواجب الان في ذكره تبعيد المشركين عن مقام الاهتداء والانتفاع بتلك
الاعمال التي كانوا يفتخرون بها فان هؤلاء الموصوفين بتلك الكمالات اذا لم يكونوا
جازمين فما ظنك بغيرهم اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله
واليوم الاخر وجاهد في سبيل الله كايمان من امن او جعلتم اهل السقاية كمن امن
والاول اوجه لان المقابلة وقعت في الافعال لا الاشخاص اشار الى بطلان دعواهم
بان هذه الصفات السنية وهو الايمان بالله واليوم الاخر والجهاد في سبيله تلك
الاعمال لو لم يكن محيطة لم تذكر في مقابلتها ولم تعادلها فكيف وهي مقرونة بالكفر الذي
لا اعتبار للعمل معه لا يستوون عند الله اي اهل السقاية والمؤمنون وان استووا في
زعم المشركين وهذا يرجح الوجه الثاني والله لا يهدي القوم الظالمين الذين
ظلموا المسلمين بالتسوية الى الحجة والاستدلال لا الى الاسلام لان منهم من اسلم كعباس

بن

بن عبد المطلب رضي الله عنه والحمل على الكفرة الذين يموتون على الشرك بعيد عن
المقام الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله
رد المساواة التي ادعوها واستانف الكلام في شان المؤمنين المجاهدين وما اعد
لهم من عظم الدرجات ابدا سرمدا تنبيها على خطاهم وازاحة لما كان يتوهم من
لفظ عسى من معنى الاحتمال واولئك هم الفايزون الظافرون بالبغية لا غيرهم
يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان استيناف لبيان الفوز والبشارة بشارة الملائكة
عند الموت لقوله الذين تتوفيهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم او عند دخول الجنة
لقوله سلام عليكم طبتم فادخلوها وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها الرضوان
على الخلود في النعيم المقيم لانه المطلب الاعلى لقوله ورضوان من الله اكبر وفي الحديث
استقر اهل الجنة في منازلهم يقول الله لهم هل تطلبون مني شيئا يقولون واي شيء
نطلب منك وقد بيضت وجوهنا وادخلتنا الجنة يقول الله احل عليكم رضواني فلا
اسخط عليكم ابدا فيفرحون بذلك فرحا لم يفرحوا بشيء قبله ويخرون له سجدا ونكر المبشر به
لوقوعه وراء وصف الواصف واردف الخلود بالابد لانه يستعمل في المكث الطويل ان الله
عنده اجر عظيم لا يحاط به ولم يخطر على قلب بشر يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم و
اخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان عن ابن عباس نزلت في المهاجرين قبل
فتح مكة وكان اتمام الايمان موقوفا على الهجرة ومصارمة الاقارب وفيه ان سورة
براءة نزلت بعد الفتح بلا ريب في ذلك فالاولى ان الله لما انزل براءته من المشركين
حاتمه وكان بين المؤمنين والمشركين شجنة القرابة التي هي مظنة الموالاة والود نهاهم
عن ذلك ونبه على الموجب لذلك وهو ايثار الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك
هم الظالمون لوضعهم الولاية في غير موضعها وانما نص عليه لان النهي ظاهر في التحريم
قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم هي القبيلة من العشرة و
هي المخالطة ومن ثمه سمي الزوج عشيرا قال في ذم النساء يكفرن قيل ايكفرن بالله
قال لا يكفرن العشير وقرا ابو بكر عشيراتكم بالجمع واموال اقترفتموها الاقتراف الاكتساب
وتجارة تخشون كسادها عدم رواجها لفوات الموسم ومساكن ترضونها احب اليكم من
الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره قيل هو فتح مكة وقيل عقوبة عاجلة
او اجلة وعلى الوجهين فيه وعيد شديد والمراد بالحب هو الايثار اختيارا لا الميل الطبيعي لعدم
دخوله تحت القدرة وقد روى البيهقي البغض في الله من اوثق عرى الايمان وعنه
من احب لله وابغض لله فقد استكمل الايمان والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين
عن طاعته وهم الذين طبع الله على قلوبهم لقد نصركم الله في مواطن كثيرة في مقامات
الحرب ومواقعها بعد النهي عن موالاة الاباء والابناء والعشاير اشار الى ان الغرض
من وجودهم هو التناصر والتقوي بهم على الاعداء وقد علموا ان النصر من الله وحده شاهدوا

ذلك في حروب كثيرة كيوم بدر والاحزاب وقريظة وخيبر وغيرها من الغزوات
والسرايا ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ونصركم يوم حنين والتقدير وموطن يوم
حنين ليكون من عطف المكان على المكان او الزمان على الزمان بان يراد
بالموطن الزمان كمقتل الحسين ومبعث الرسول فعلى الاول اذ منصوب باذكر وعلى
الثاني بدل فلم تغن عنكم تلك الكثرة شيئا من الغنا مصدر او من امر العدو
مفعول به وضاقت عليكم الارض بما رحبت برحبها في موضع الحال ثم وليتم مدبرين
الكفار ظهوركم ثم انزل الله سكينته الوقار وقوة القلب على رسوله وعلى المؤمنين الذين
ثبتوا معه او من تولى منهم فانهم كروا بعد الفرار وفي الحديث سئل برا ابن العازب
افررتم يوم حنين قال لكن رسول الله لم يفر وقصة هذه الغزوة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لما فتح مكة وكان معه عشرة آلاف وانظم اليهم من الطلقا الفان فتوجه
الى هوازن وثقيف فتلاقوا بحنين وهو وادي بين مكة وطايف وكانوا اربعة
آلاف مع ما انضم اليهم من ساير العرب فصاروا ايضا عسكرا كثيفا فلما التقوا
قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من القلة قيل هو الصديق وهو بعيد وقيل رسول الله
وهذا ابعد فانهزموا بشوم تلك الكلمة وتوقع النصر بالكثرة فبقي رسول الله ومعه العباس
عمه وهو اخذ بلجام بغلته وابو سفيان بن الحرث ابن عمه اخذ بركابه فالتفت رسول الله
الى يمينه فقال يا للانصار فقالوا يا لبيك ثم التفت الى يساره وقال يا للانصار فقالوا
يا لبيك ابشر يا رسول الله نحن معك لم ينا وغيرهم ولم يخلط بين الندائين شيئا
فرجعوا اليه وعطفوا كما يعطف بقرة الوحش الى ولدها ثم قال يا عم ناد من صدر البقرة
السورة بهم وهم الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ثم قال ناد اصحاب الشجرة
واراد بها الشجرة التي بايعوا تحتها يوم الحديبية على ان لا يفروا فنادى العباس و
كان صيتا فلما سمعوا نداء العباس عطفوا على رسول الله ونزل رسول الله عن بغلته
وقال انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وقال هذا حين حمي الوطيس واخذ كفا
من الحصبا ورمى به وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فهزمهم فقتل وسبي خلقا كثيرا
حتى بلغ عدد السبي ستة آلاف ومن الابل والغنم ما لا يحصى وذلك قوله تعالى وعذب
الذين كفروا اي بالقتل والاسر توقف نيفا وعشرين يوما لم يقسم الغنايم وكان يؤمل
دخول هوازن في الاسلام فلما ابطاوا قسم تلك الغنايم ثم جاؤوا تائبين مسلمين فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب الحديث الى اصدقه وقد كنت استنظرتكم والآن
اختاروا احدى الطايفتين اما السبي واما المال فقالوا لا نعدل بالسبي شيئا فقام
رسول الله على المنبر خطيبا وقال هؤلاء اخوانكم جاؤوا تائبين واني قد خيرتهم بين السبي
والمال فاختاروا السبي فمن طابت نفسه منكم فذاك ومن لم يطب فليكن على حظه
حتى نعطيه من اول ما يفي الله علينا فقالوا قد رضينا يا رسول الله فقال انا لا نعرف من رضي

منكم

منكم ممن لم يرض ارجعوا الى رحالكم حتى يرفع الينا عرفاؤكم امركم فلما رفع عرفاؤهم
انهم قد رضوا ارد اليهم السبي وانزل جنودا لم تروها اي الملائكة ولم تصح كميتهم قيل كانوا
خمسة الاف وقيل ثمانية الاف وقيل ستة عشر الفا والله اعلم بذلك قيل كانوا في ثياب
بيض وعذب الذين كفروا بالقتل والاسر وذلك جزاء الكافرين ما فعل بهم ثم يتوب
الله من بعد ذلك على من يشاء وهم الذين جاؤوا تائبين والله غفور لتائبين ما قد سلف
رحيم بروزا ربهم يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس باطنهم كالشي النجس يجتنب
منهم كما يجتنب منه والنجس بالفتح مصدر نجس فاطلق عليهم مبالغة وعن ابن عباس
ان اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن ان من صافح مشركا فعليه الوضوء
مستدلا بما رواه البخاري عن ابي هريرة قال لي رسول الله اين كنت يا ابا هر قلت كنت جنبا فكرهت
ان اماشيك قال سبحان الله ان المسلم لا ينجس فلو لم يكن المشرك نجسا لم يكن لتقييد
المسلم فايدة ولم يذهب اليه اهل المذاهب لان الصحابة ومن بعدهم كانوا يأكلونهم
ويشربون من اوانيهم وفي البخاري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه توضا من جرة في بيت
نصرانية فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا فضلا عن الدخول استدل به الشافعي على
منع الكافر من دخول المسجد الحرام وحمل ابو حنيفة على الحج والعمرة لما تقدم ان علي بن ابي طالب
رضي الله عنه نادى في الموسم ان لا يحج بعد هذا العام مشرك وقاس مالك ساير المساجد
على المسجد الحرام بعد عامهم هذا وهي سنة تسع من الهجرة وكان الامير الصديق والقول
بانه حجة الوداع مردود لا سند له وان خفتم عيلة فقرا وفاقة يقال عال افتقر قال احيحة
وما يدري الفقير متى غناه وما يدري الغني متى يعيل كانوا يرتفقون بقدومهم بالتجارة و
انواع المكاسب فسوف يغنيكم الله من فضله الواسع بان يسبب لكم اسبابا آخر لم
يخطر بخاطركم وكان كذلك فاسلم اهل تبالة وجرش من اليمن وهما بلدتان شهيرتان
بالخصب فامتاروا لهم من كل نوع ثم تواترت الفتوح والغنايم وتوجه الى مكة الناس
من كل فج عميق ان شاء ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله قيده به ليدل على ان ذلك
ليس لسابقة وجوب واستحقاق منهم بل تفضل في ذلك ان الله عليم كامل العلم
حكيم في الاعطاء والمنع ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله
ولا باليوم الآخر لما بين حال المشركين وما يعاملون به من القتال والاحكام اردفه قضية
اهل الكتاب وما يتعلق بهم من الاحكام والمعنى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالمبدا والمعاد
فان النصارى يقولون ان الله ثالث ثلثة واليهود يقولون عزير ابن الله وايمانهم
باليوم الآخر ليس بايمان لانهم يعتقدونه على خلاف ما هو عليه ولا يدينون دين الحق
اي دين الله الذي شرعه لعباده او دين النبي الثابت الذي لا يرد بعده ناسخ او الدين
الذي هو الحق وهو الاسلام من اضافة الموصوف الى الصفة من الذين اوتوا الكتاب
بيان حتى يعطوا الجزية غاية للقتال المامور به والجزية اسم للمال الماخوذ منهم في كل عام فعله

من جزى الدين قضاه عن يد متعلق بيعطوا اى يعطونها منقادين من قولهم
فلان اعطى بيده اذا انقاد واستسلم من غير حرب او حتى يعطوا يدا بيد اى نقدا لا نسيئة
او يعطوا بايديهم ولهذا لا يجوز التوكيل باداتها او يراد بيد الاخذ اى يعطوها بسبب يد
قاهرة مستولية عليهم او اليد مجاز عن الانعام اى يعطوها لما من عليهم بابقاء مهجهم بين
اظهر المسلمين آمنين وهم صاغرون اذلاء من الصغار اى يؤدونها على حالة الذل
والحقار بان ياتى بها ماشيا ويأخذ المسلم بلحيته ويهزها ويقول اد الجزية يا ذمى والاية
وان وردت فى اهل الكتاب لكن ابو حنيفة رحمه الله الحق بهم ساير الكفار سوى مشركى
العرب لما روى الزهرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح على الجزية عبدة الاوثان
الا من كان من العرب وعند مالك تؤخذ من كل كافر سوى المرتد وعند الشافعى
من المجوس فقط لقوله صلى الله عليه وسلم سنوا بهم سنة اهل الكتاب غير ناكحى نسائهم
ولا اكلى ذبايحهم واقلها دينار فى كل سنة سوا فيها الغنى والفقير وعند ابى حنيفة رحمه الله
ثمانية واربعون درهما على الغنى ونصفها على المتوسط وربعها على الفقير المكسوب
وقالت اليهود عزير ابن الله شروع فى بيان عدم ديانتهم والقائل طائفة منهم عن
ابن عباس رضى الله عنه منهم جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم
ونعمان بن ابى اوفى وشاس بن قيس ومالك بن الصيف فذكروا ذلك عرفت
وشبهتهم انه لما احياه الله وكان يحفظ التورية قالوا ما جمع الله التورية فى صدره الا
لكونه ابنه قرا عاصم والكسائى عزير بالتنوين على انه اسم عربى وابن الله خبره والباقون
غير منون لانه عجمى مثل سليمان وهارون او عربى وابن صفة والعلم الموصوف بابن
مضافا الى علم يحذف تنوينه والخبر محذوف اى عزير ابن الله الهنا او نبينا وهذا الوجه
ليس بوجيه لان الانكار يرجع الى الخبر لا النبوة والجواب بان الوصف هنا للمدح
فانكار الخبر يتضمن انكاره تمحل لا يليق ببلاغة القران او ابن خبر حمل على الصفة
او حذف للساكنين حملا للمنون على حرف المد لجامع مد الصوت كما فى رواية هارون
عن ابى عمرو فى احد الله وسواء جعل ابن وصفا او خبرا فالالف ثابت فى الرسم وقالت
النصارى المسيح ابن الله قول طائفة منهم وشبهتهم انه ولد من غير اب ذلك قولهم
بافواههم ليس له معنى فى الاعيان مثل اصوات البهائم تكذيب لهم على اقبح الوجوه
يضاهئون قول الذين كفروا من قبل المضاهاة المشابهة والمعنى يشابهون قدماءهم
فى هذا الكفر او المشركين القائلين بان الملائكة بنات الله او اليهود فى قولهم
عزير ابن الله لان اليهودية اقدم قرا عاصم بكسر الهاء وهمزة مضمومة بعدها من
ضاهأ وهى لغة والفصحاء وقراة الجمهور قاتلهم الله دعاء عليهم بالهلاك والمراد التعجب
مما صدر منهم حتى استحقوا ان يدعوا عليهم ارحم الراحمين بالهلاك انى يؤفكون كيف
يصرفون عن الحق الابلج من افكه صرفه اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله

الستيناف

استيناف لبيان افكهم عن الحق والاحبار جمع حبر بالكسر والفتح ومعناه العالم مشتق
من الحبور وهو الجمال والزينة والاجمال فوق العلم والمراد علماء اليهود والرهبان جمع
راهب من الرهبة وهى الخوف او الترهب وهو التعبد عن عدى بن حاتم انه قال اتيت
الى رسول الله وفى عنقى صليب من ذهب فقال لى اطرحه وقرا اتخذوا احبارهم ورهبانهم
اربابا من دون الله فقلت يا رسول الله انهم لم يعبدوهم فقال اليسوا يحرمون ما احل الله
ويحلون ما حرمه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل بن عياض ما ابالى اطعت
مخلوقا فى معصية او صليت لغير القبلة والمسيح ابن مريم او عوا فيه الالوهية كما هو مذهب
بعضهم او حين اثبتوا له النبوة فقد اثبتوه للالوهية الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن
ولد فانا اول العابدين وما امروا اى اليهود والنصارى او ما اتخذوه معبودا من
الاحبار والرهبان والمسيح الا ليعبدوا الها واحدا هو المستحق للعبادة وطاعة الرسل
والعلماء لا تسمى عبادة لانهم وسايط فى تبليغ الاحكام لا اله الا هو صفة ثانية مفيدة
للتوحيد لكون المحصور فيه لا يحتمل الشركة سبحانه عما يشركون انزهه عن ان يكون
له شريك يريدون ان يطفئوا نور الله اياته الدالة على تفرده بالالوهية فى الافاق و
الانفس والمعجزة الباهرة التى هى فى الجلاء والظهور كالنور وقد عبر عن القران بالنور
فى مواضع شتى او المراد بالاطفاء تحريف نعته وانه ليس بالموعود بافواههم باكاذيبهم
من غير ان يكون لها اصل ترجع اليه ويابى الله الا ان يتم نوره لا يرضى الا باعلاء
توحيده واعزاز الاسلام الاستثناء مفرغ فى محل النصب مفعول يابى لانه منفى فى
المعنى ولو كره الكافرون حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه هو الذى ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله سبق لاقناطهم عما هم بصدده من اطفاء
نور الله لان الذى تفرد بالتاثير فى الكاينات يريد اظهار دينه على ساير الاديان
او اظهار رسوله على ساير اهل الاديان واذا اراد شيئا كان لا محالة ولو كره المشركون
ذلك يا ايها الذين امنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس
بالباطل تصدير الاية بنداء المؤمنين فى اثناء عد قبايح اهل الكتاب للتحذير عن
سلوك طريقهم خص الاكل لانه الغرض الاعظم من المال والاموال المأخوذة بالباطل
هى تلك الرشى التى كانوا ياخذونه على الاحكام ويصدون عن سبيل الله بالتحريف
وقولهم ليس الا هو الموعود والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله
عطف على كثيرا والمراد ان الاحبار والرهبان جامعون لهاتين الرذيلتين اخذ
الرشى وكنز الاموال والضنة بها عن الانفاق فى سبيل الله او استيناف فى محل
الرفع والمراد المسلمون الكانزون قرن بينهم وبين من ارتشى من الاحبار تغليظا
وزجرا عن ارتكابه وعن زيد بن وهب مررت على ابى ذر بالربذة فقلت ما انزلك
بهذا الارض قال كنت بالشام فقرات والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها

في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم قال معاوية انما هي في اهل الكتاب قلت فينا وفيهم
وعن عبد الله بن عمر ان هذا كان قبل ان ينزل الزكاة فلما نزل جعلها الله طهرة
للاموال وعنه صلى الله عليه وسلم ما ادي زكاته فليس بكنز وما ورد من الاحاديث الدالة
على اثم كنز الاموال انما ورد قبل وجوب الزكوة فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار
جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم انما لم يقل تحمى من قولهم حمي الميسم واحميته
لقصد المبالغة لان معناه ان النار تحمى وتوقد ذات حر شديد على تلك الاموال
فاذا كان الاحماء للنار افاد مبالغة وانما قال عليها والمذكور شيئان نظرا الى الكثرة
في المعنى على ما روي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انه قال اربعة آلاف نفقة وما
فوقها كنز او الضمير للكنوز والاموال فان الحكم عام وتخصيص الحجرين بالذكر لكونهما اشرف
الاموال واكثر ما يكنز وخص الاعضاء الثلثة بالذكر لان شان الشحيح انه اذا وقع بصره
على الفقير يقطب وجهه ثم اذا علم انه متوجه اليه اعرض عنه واعطاه جانبه فاذا لم يرجع
الفقير عنه ولاه ظهره فاختصت بالعذاب لانها الاعضاء الخاطئة كقوله انما ياكلون في
بطونهم نارا او لان امساكهم لتلك الاموال كان لحب الوجاهة بها والتنعم بالملابس
التي تتحلى بها الجنوب والظهور او لانها اصول الجهات الاربع التي هي مقاديم البدن
ومآخره وجنباه او لانها اشرف الاعضاء هذا ما كنزتم لانفسكم على ارادة القول لما
احميت عليها في النار لم يعلموا انها هي تلك الاموال فاذا علموا ازداد عذابهم لان وجدان
الشر من حيث يحتسب الخير اشد فذوقوا ما كنتم تكنزون وبال كنزكم او ما كنتم تكنزونه
والمراد مقاساة ذلك العذاب الاشد عبر عنه بالذوق تهكما ان عدة الشهور عند الله
اثني عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض اشارة الى نوع اخر من قبايح
المشركين والمعنى ان السنة التي عليها مدار ضبط الوقايع عدد شهورها التي مدارها على
القمر في قطع منازله اثني عشر شهرا منفصلة على الفصول الاربعة ومعنى كونها عند الله انه
الذي قدر ذلك في الازل وعلى ذلك الوجه ابرزها في اللوح المحفوظ وقت خلق السموات
والارض وهو الوقت الذي ابتدا منه سير القمر منها اربعة حرم جمع حرام رجب مضر
ويقال له الاصب لانه يصب فيه البركات والاصم لانه تصم الاذان فيه عن سماع
قعقعة السلاح نطق بها الحديث وذو القعدة وذو الحجة ومحرم ذلك الدين القيم
الذي لا اعوجاج فيه اشارة الى ان ما كانوا فيه من النسئ الآتي ذكره لم يكن من الدين
في شيء فلا تظلموا فيهن انفسكم فان حرمة المعاصي فيها اشد سوى رمضان فانه
سيد الشهور والظلم فيه في نهاية القبح على ان حرمة القتال مع المشركين منسوخة بقوله
واقتلوهم حيث وجدتموهم اي في الحل والحرم واذا جاز قتالهم في الحرم ففي الاشهر من
باب الاولى وقيل نسخه بقوله براءة من الله ورسوله وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم
كافة اي لا تميزوا بين طائفة وطائفة لان اسم الاشراك شامل لهم وان امتازوا في التهود

والتنصر

والتنصر وعبادة الاوثان وكافة الشيء جميعه من كف البعير منعه لانه يكف الافراد
عن الخروج واعلموا ان الله مع المتقين وعدلهم بالنصر يفيد تسكين القلب والجراة
على الاقدام انما النسئ زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا النسئ فعيل بمعنى المفعول
من نسات الشيء اخرته وذلك ان العرب كانوا اصحاب حروب وغارات
وكان رزقهم في رؤس اسنتهم والاشهر الثلثة المتواليات كان تطول عليهم
انقضاؤها فكانوا يؤخرون المحرم الى موضع صفر ويقدمون صفر مكانه ويقولون
اذا برا الدبر وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر وكان جنادة بن عوف الكناني
يأتي في الموسم وهو على جمل فينادي باعلى صوته يا قوم ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم
فاحلوه وفي القابل يقف على الجمل وينادي باعلى صوته يا قوم ان آلهتكم قد حرم
عليكم المحرم فحرموه وعن ابن عباس رضي الله ان النسي كان في كندة وهي قبيلة
باليمن واتفق ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة حج فيها حجة الوداع كان
المحرم في موضعه لم يؤخروه فوقف رسول الله على ما فيه في المسجد الحرام وقال ان الزمان
قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنى عشر شهرا منها اربعة حرم
ومعنى كونه زيادة في الكفر انه نوع منه ينضم الى كفرهم السابق قرا حمزة والكسائي
وحفص يضل بضم الياء وفتح الضاد والباقون بكسره والفتح هو المختار لكونه ابلغ
وما يحلونه عاما ويحرمونه عاما الضمير للنسي وقد سبق تفسيره ليواطئوا عدة ما حرم
الله ليوافقوا العدد الذي قدره الله وهذا ابرز مما قيل انهم كانوا يزيدون في
الاشهر فيحلوا ما حرم الله اي لذلك المواطاة في العدد يحلون ما حرم الله
تقبيح لذلك الصنيع منهم زين لهم سوء اعمالهم اي اضلهم الله حتى راوا القبيح
حسنا والله لا يهدي القوم الكافرين وان وضح لهم الاسلام ونصب لهم
الادلة هم الذين ختم على قلوبهم يا ايها الذين امنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في
سبيل الله اثاقلتم الى الارض لا منهم على ما يبدو منهم من نوع تثاقل وتكاسل
وعن ابن عباس رضي الله عنه انها نزلت في غزوة تبوك فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما عاد من غزوة حنين تجهز لغزو بني الاصفر وكان رسول الله
يوري في غزواته ولا يظهر امره الا في تلك الغزوة فانه صرح بقصده وجلى للناس
امره ليتأهبوا فانه توجه الى عدو كثير مع بعد الشقة وشدة الحر فتخلف عنه
المنافقون وبعض المؤمنين على ما ياتي تفصيله وانما عدى اثاقلتم بالى
لانه ضمن معنى الميل واصله تثاقلتم فادغمت التاء في الثاء واجتلبت الهمزة
ارضيتم بالحيوة الدنيا من الاخرة انكار لان يرضوا بالدنيا بدل الاخرة ثم بين
المانع من ذلك بقوله فما متاع الحيوة الدنيا في الاخرة الا قليل نزرا لا يعتد
به فكيف يختاره العاقل روى المسلم عن مستورد ان الله قال ما الدنيا في الاخرة

الا كما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بماذا ترجع الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما اي
ان لم تنفروا اذا استنفرتم واثرتم ذلك المتاع القليل فلا يسلم لكم ذلك ايضا
فان الله يعذبكم عذابا اليما بتسلط عليكم العدو او نوعا اخر ويستبدل قوما غيركم
يسارعون الى اوامره وفي الحديث انهم ابناء فارس وقيل اهل اليمن ولا تضروه
شيئا من الضرر او من الاشياء فان الله على كل شيء وقيل الضمير للرسول فانه
وعده النصر والله على كل شيء قدير فيقدر على نصره بغيركم وبغير مدد الا تنصروه فقد
نصره الله فينصره من نصره اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين لم يكن معه من البشر
الا رجل واحد واذا لاحظ بلطفه ونصره في ذلك الوقت فما ظنكم به في ساير الاوقات
اذ هما في الغار بدل من اذ اخرجه بدل البعض والغار هو الكهف في اعلى جبل ثور فانه
مكث فيه ثلثة ايام لينقطع عنه الطلب طلبوه في ذلك الجبل وصعدوا فوق
الغار فقال الصديق لو نظروا تحت اقدامهم لرأونا فقال صلى الله عليه وسلم ما ظنك
باثنين الله ثالثهما اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا بدل ثان فانزل الله
سكينته عليه ما سكن به القلب من الامن وقوة الجاش والضمير لرسول الله كساير
الضماير ولقوله وايده بجنود لم تروها وهم الملائكة يوم بدر والاحزاب ويوم حنين
وجعل الضمير لصاحبه وعطف وايده الى فقد نصره الله تكلف وتشويش للنظم هذا
وقد صرح به في قوله فانزل الله سكينته على رسوله وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وهي
دعوتهم الى الشرك وكلمة الله هي العليا وهي الدعوة الى التوحيد او التوحيد او كلمة
التوحيد وهي لا اله الا الله والله عزيز لا يغلبه شيء حكيم فيما دبر وشرع انفروا خفافا
وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم وثقالا
لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبانا وشيوخا او صحاحا
ومراضا وما قيل ان ابن ام مكتوم قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعلى ان انفر فقال
نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج ليس بشيء لان هذه السورة نزلت بعد رجوعه
من غزوة تبوك وهي اخر غزواته وتلك الاية نزلت في الحديبية وانما الذي نزل
في ابن ام مكتوم قوله تعالى غير اولي الضرر وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله اصرفوهما
منفردين او مجتمعين وفي الحديث من جهز غازيا فكانما غزا بنفسه ذلكم خير لكم ان كنتم
تعلمون توبيخ لهم على التكاسل ولا كونهم عالمين بالخيرية لا ريب فيه لو كان عرضا
قريبا اي متاعا من الدنيا سهل التناول وسفرا قاصدا متوسطا بين القرب
والبعد لاتبعوك فيه ولكن بعدت عليهم الشقة المسافة البعيدة سمي به سفر البعيد
لكونه شاقا وسيحلفون بالله المنافقون المعتذرون في التخلف لو استطعنا
لخرجنا معكم لكن لم نستطع لعدم العدة او لسقم البدن وقوله لخرجنا ساد مسد
جوابي لو والقسم يهلكون انفسهم بايقاعها في العذاب او بارتكاب ما يوجب الهلاك

وهي

وهي الايمان الكاذبة وهو بدل من يحلفون او حال من فاعله والله يعلم انهم لكاذبون
في تلك الايمان لانهم كانوا مستطيعين عفا الله عنك لم اذنت لهم كلام يقال في مقام
التبجيل والتعظيم كما تقول لصاحبك عفا الله عنك ماذا صنعت في شاني وقيل عتاب
له على ترك الاولى وانما قدم العفو وذكر الاذن الدال على علو رتبته ولورود الانكار في
صورة الاستفهام اجلالا له صلى الله عليه وسلم وكان مجتهدا في امر الحروب يشاور اصحابه
واذا صدر منه خلاف الاولى ينبه عليه كما في اخذ الفداء والقول بانه فعل شيئين لم
لم يؤمر بهما الاذن واخذ الفداء فعاتبه الله عليهما يرد عليه قوله تعالى لم تحرم ما احل الله
لك حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين اي يمتاز الفريقان عندك
بالصدق والكذب وانما استعمل التبيين في الصدق والعلم في الكذب لان الصدق
اوضح ابلج لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الاخر ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم
اي ليس من داب المؤمنين الاستيذان في الجهاد بل يبادرون اليه فكيف بالاستيذان
في التقاعد عنه والله عليم بالمتقين اي بهم وضع المظهر مكان المضمر شهادة لهم بالتقوى
انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الاخر تصريح بما علم ضمنا وذكر الله واليوم
الاخر في الموضعين اشارة الى المبدا والمعاد ولان الباعث على الجهاد هو العلم بان الله
يجازي عليه يوم القيمة وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون يتحيرون مذبذبين
بين ذلك ولو ارادوا الخروج لاعدوا له عدة تكذيب لهم في دعوى عدم الاستطاعة
اي لهم مكنة الخروج واسباب الجهاد وليس المانع الا عدم ارادة الخروج ولكن كره الله
انبعاثهم استدراك من مفهوم الكلام تقديره لكن تثبطوا لان الله كره انبعاثهم
فثبطهم ثقلهم وحبسهم اصله الشغل من قولهم ثبطه عن الامر شغله وقيل اقعدوا مع
القاعدين المعذورين من الصبيان والزمنى والنساء تقبيح لحالهم والقائل الرسول
لما استاذنوه او بعضهم لبعض او تمثيل لالقاء الله تعالى في قلوبهم من كراهة الخروج
او وسوسة الشيطان بقول القائل لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا تسلية لهم وان الله
انما كره انبعاثهم لحكمة وهي الفساد الذي يحصل منهم لو خرجوا والخبال هو الفساد وعن
ابن مسعود ان قوما بنوا مسجد الظاهر الكوفة فاتاهم وقال انما جئت لاكسر مسجد الخبال
اي الفساد والاستثناء باعتبار الاعم اي لا يزيدونكم شيئا الا خبالا فلا يلزم وجود خبال
منهم ولاوضعوا خلالكم اسرعوا بينكم بالنمايم وانواع المكر شبهها بالركايب واوقع
عليها الايضاع تخييلا فقال وضع البعير اسرع واوضعته اسرعته يبغونكم الفتنة من
من بغيته الشيء طلبته له يريدون بذلك الاسراع وقوعكم في الفتنة والضلال وفيكم
سماعون لهم من ضعفاء المسلمين او من ينم حديثكم اليهم فيحصل به الفساد والله عليم
بالظالمين اي بهم وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على انهم بذلك الفعل مندرجون
في سلك الظالمين ولقد ابتغوا الفتنة من قبل اي قبل غزوة تبوك كما فعلوا يوم احد

فان ابن ابی رجع معه ثلثمائة منافق وقالوا لو نعلم قتالا لاتبعناکم او لیلة العقبة
حین ارادوا الفتك برسول الله لقوله وهو الذی کف ایدیهم عنکم نبیه علی قدم عداوتهم
ورسوخها وقلبوا لك الامور مکاید وحیلا یطول شرحها حتی جاء الحق النصر والتایید
الالهی وظهر امر الله علی دینه وهم کارهون ذلك لما فی قلبهم من المرض ومنهم
من یقول ائذن لی ولا تفتنی شرع فی تفصیل قبائحهم والقائل جد بن قیس
قال قد علمت الانصار انی مستهتر بالنساء ونساء بنی الاصفر حسان فاخاف الفتنة علی
نفسی فاعینك بالمال وهذا کان منه استهزاء لعن الله تربته وقیل کانوا یقولون
ائذن لنا فانا ان تخلفنا عنك من غیر اذن وقعنا فی الفتنة ای الهلاك وان
لم تأذن فی التخلف بهلاك اموالنا وعیالنا الا فی الفتنة سقطوا فانهم وهموا البهمة
النفاق الی اخر الدهر وعذاب الاخرة اشق واشد صدر الجملة بحرف التنبیه اشارة الی
کمال غباوتهم وجعلهم ساقطین فی الفتنة کالجماد الساقطین لا اختیار وان جهنم لمحیطة
بالکافرین احاطة جهنم کنایة عن احاطة اسبابها واسم الفاعل اریدبه الاستقبال مجازا
ان تصبك حسنة تسوءهم لفرط عداوتهم وغایة حسدهم لیسوا مکتفین بالتخلف عنك
بل یسوءهم مایسرك ویسرهم مایضرك وان تصبك مصیبة شدة کما فی یوم احد یقولوا قد
اخذنا امرنا من قبل یحمدون رأیهم فی عدم الحضور معك ویتولوا عن نادیهم الی منازلهم
وهم فرحون بتخلفهم او بما اصابك قل لن یصیبنا الا ما کتب الله لنا فی اللوح المحفوظ
فلاراد لقضائه او اوجبه فی علمه لازلی هو مولانا متولی امورنا او سیدنا بالفعل فی عبیده
مایشاء او ناصرنا وان اصابنا مکروه فلنا العاقبة کتب الله لاغلبن انا ورسلی وعلی الله
فلیتوکل المؤمنون لاعلی غیره لعلمهم بان لامؤثر سواه قل هل تربصون بنا الا احدی
الحسنیین ای لاتنتظرون بنا الا احدی الخصلتین اللتین کل منهما احسن الخصال
اما نصرنا او الشهادة فی سبیله فان قلت لو کانت کل منهما احسن الخصال لکانت
احسن من الاخری وفساده بین قلت جاز ذلك باعتبار الجهات ونحن نتربص بکم
احدی المصیبتین اللتین کل منهما اعظم المصایب ان یصیبکم الله بعذاب من عنده
کما فعل بعاد وثمود او بایدینا ای بنصرنا علیکم وتقتلکم علی الکفر فتربصوا انا معکم متربصون
ای انتظروا عاقبة امرنا فانا منتظرون عاقبة امرکم وهذا النوع من الکلام بقوله الواثق
بحاله الجازم بامره فی معرض التهدید قل انفقوا طوعا او کرها انشاد ومعناه خبر رد لما کانوا
یزعمون بان لهم اعمالا یدفع عنهم العذاب وان لهم قربات عند الله کما للمؤمنین
قرا حمزه والکسائی کرها بضم الکاف قیل هما لغتان وقیل بالضم المشقة وبالفتح الاکراه
لن یتقبل منکم البتة وانما نفی بلن لکونهم منکرین غایة الانکار ولذلك علل الحکم بقوله
انکم کنتم قوما فاسقین خارجین عن طاعة الله وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم
کفروا بالله وبرسوله بیان لذلك الفسق الذی علل به وانما جیء لان مجرد الفسق لایوجب

ذلك

ذلك الحرمان وقرا حمزه والکسائی یقبل بالتذکیر ولا یأتون الصلوة الا وهم کسالی جمع
کسلان ای متثاقلین ولا ینفقون الا وهم کارهون والمعنی لا یأتون بالاعمال البدنیة
والمالیة علی سبیل النشاط والاریحیة لعدم اعتقادهم بترتب الثواب علیها وفی الحدیث
لایقل احدکم کسلت ولیقل لغیت وانما کره لفظ الکسل لوروده فی شان المنافق فلاتعجبك
اموالهم ولا اولادهم ای لایستحسن منهم الاموال والاولاد فانما هی زینة الحیوة الدنیا وانث
بمعزل منها والاعجاب بالشیء السرور به مع نوع افتخار وانما اسند الفعل الی الاموال
والاولاد مبالغة فی نهیه عنها فکانها کلفت کف اعجابها عنه انما یرید الله لیعذبهم
بها فی الحیوة الدنیا ای لم یخولهم بها الا لیعذبهم فی الدنیا بان یبذلوا ارواحهم فی
جمعها ویکابدوا المشاق فی حفظها وتنمیتها وکلفهم الانفاق منها وهم کارهون
وتزهق انفسهم وهم کافرون تشغلهم بحبها فاعرضوا عن العاقبة حتی ماتوا علی الکفر
فکان ذلك استدراجا ویحلفون بالله انهم لمنکم لبعض منکم وان الایمان یشملکم
وایاهم وما هم منکم فی الواقع فهم کاذبون ولکنهم قوم یفرقون بیان للباعث
علی ذلك الیمین الحانث والفرق هو الخوف ویتعدی بمن ای یخافون منکم
کسایر الکفرة لو یجدون ملجأ مکانا یلجأون الیه من قلعة او رأس جبل او مغارات
اوکهو فاجمع مغارة وهی الکهف او مدخلا نفقا فی الارض یندسون فیه لولوا
الیه وهم یجمحون لانقلبوا الیه وهم یسرعون اسراعا لایردهم شیء کالفرس الجموح
لایرده اللجام لشدة عداوتهم ونهایة خوفهم ومنهم من یلمزك فی الصدقات ای
بعض منهم یعیبك فی قسم الصدقات وینسبك الی الجور وهو ذوالخویصرة الذی
کان رأس الخوارج وقصته علی ما رواها عن ابی سعید الخدری ان رسول الله صلی الله
علیه وسلم اتی بشیء من الذهب فقسمه بین اربعة نفر من المؤلفة یتألفهم علی
الاسلام فجاءه ذوالخویصرة وقال اعدل یارسول الله فقال ویلك من یعدل
اذا لم اعدل لقد خبت وخسرت وان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب وفی روایة
خالد بن الولید دعنی یارسول الله اضرب عنقه فانه منافق فقال دعه فان له
اصحابا یحقر احدکم صلوته مع صلوتهم وصیامه مع صیامهم وقیل القائل ابوالجواظ
فان اعطوا منها رضوا وان لم یعطوا منها اذا هم یسخطون یریدان ذلك
القول منهم لیس للاهتمام بالدین ولا الشبهة فی طریقه بل رضاهم وسخطهم
لحظوظ انفسهم وفی اذا الفجائیة اشارة الی غایة شرههم وانهم لمجرد عدم الاعطاء
یفاجئهم السخط من غیر تأمل فی ان عدم اعطائهم هل تضمن مصلحة دینیة
ام لا ولو انهم رضوا ما اتاهم الله ورسوله ای لو ثبت رضاهم بما قسم الله لهم من
الغنیمة واعطاهم رسوله وان کان قلیلا وقالوا حسبنا الله کفانا رضاه سیؤتینا الله
من فضله رزقه الواسع من سایر الصدقات والغنایم ورسوله فیؤتی لنا ما فاتنا

انا الى الله راغبون الى رضاه والى ثوابه لا الى الغنائم والاموال وجواب لو محذوف
اى لكان خيرا لهم انما الصدقات للفقراء والمساكين بيان لمصارف الصدقات
على وجه نزول شبهة المنافقين وان ما فعله رسول الله هو الصواب لان المؤلفة قلوبهم
من تلك المصارف والمعنى جنس الصدقات مقصور على هؤلاء المذكورين لا يتجاوزهم
الى غيرهم فيحتمل ان يصرف الى كلهم والى بعضهم كما اذا قلت انما الخلافة فى بنى عباس
يراد عدم تجاوزها عنهم لا اتصاف كل واحد منهم بها واليه ذهب ابو حنيفة رحمه الله وهو
المنقول عن عمر وحذيفة وابن عباس وسعيد بن جبير وعطاء وذهب الشافعى رحمه الله
الى وجوب استيعاب الاصناف الثمانية ان وجدوا والا فالموجودون منهم يعطى من
كل صنف ثلثة فما فوقها نظرا الى اعتبار الجمع واستدل على ذلك بان اللام للملك لانه
لكمال الاختصاص وهو معنى اللام كقولك هذا الدرهم لهؤلاء فانهم يشتركون فيه فان
قلت فعلى هذا يجب ان يكون صرفه الى جميع افراد كل صنف ولم يقل به الشافعى قلت
لم يذهب الى ذلك لتعذره ولما روى البخارى انه صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذا الى
اليمن فقال له مرهم بالصلوة فان قبلوا ذلك فاعلمهم بان الله قد فرض عليهم زكوة
اموالهم بان يؤخذ من اغنيائهم فيرد الى فقرائهم فخص زكوتهم بفقرائهم ولذلك لم يجوز
الشافعى نقل الزكاة من ذلك البلد الى بلد اخر الفقير اسوء حالا من المسكين وهو من
لا مال له ولا يقدر على كسبه فكانه اصيب فقار ظهره فهو مقعد والمسكين من له مال او كسب
لا يكفيه لقوله اما السفينة فكانت لمساكين ويدل عليه ايضا تقديم الفقير والى هذا ذهب
الشافعى والى العكس ذهب ابو حنيفة لقوله او مسكينا ذا متربة ومنهم من لم يفرق
والعاملين عليها وهم السعاة الذين يجمعونها ويسعون فى تحصيلها والمؤلفة قلوبهم
قوم اسلموا ولم يرسخ الايمان فى قلوبهم يعطون من الصدقات ليبلغوا الاسلام ولذلك
يعطون من الغنائم نفلا كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غنائم حنين آثر فيها
بعض مسلمة الفتح او اشراف يتوقع باعطائهم اسلام نظرائهم كما اعطى رسول الله صلى الله
عليه وسلم ابا سفيان والاقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعباس بن مرداس
وفى الرقاب فى فكها من الرق وهم المكاتبون او يشترى بها الرقاب فتعتق واليه ذهب
مالك واحمد او يفدى بها الاسرى واطلاق الرقاب شامل للكل والغارمين من
استدان لغير معصية وليس لهم وفاء او لاصلاح ذات البين وان كانوا اغنياء وفى
سبيل الله بالانفاق على فقراء الغزاة والحجيج وقيل بناء القنطرة والمصانع وابتياع
آلات الحرب والكراع وابن السبيل المسافر المنقطع عن ماله فريضة من الله مصدر
مؤكد لان معنى قوله انما الصدقات للمذكورين ان الله فرضها والعدول عن الاربعة
الاخيرة للاشارة الى انها ارسخ قدما فى الاستحقاق وذلك لما فى فك الرقاب من الانقاذ
مما هو كالموت ولما فى تخليص الغارم من الكرب كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم

فى

فى دعائه يستعيذ من المغرم فقيل له ما اكثر ما تستعيذ من المغرم قال ان الرجل اذا غرم
حدث فكذب ووعد فاخلف ولما كان فى الغازى الفقير وابن السبيل المنقطع فضل ترجيح
لكون الغازى الفقير جامعا بين الفقر والعبادة وابن السبيل بين الفقر والغربة اعاد
حرف الجر اياء اليه والله عليم حكيم يعلم موضع الاستحقاق فلذلك حصر الصدقات فى هؤلاء
المذكورين ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو اذن نوع اخر من قبائحهم عن
ابن عباس رضى الله عنه ان جماعة منهم ذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا ينبغى فقال
بعضهم لا تفعلوا فانه يبلغه فقال جلاس بن سويد نقول ما شئنا فاذا بلغه جئنا فاعتذرنا اليه
فيقبله منا فان محمدا اذن جعلوه نفس الجارحة كما يقال للربيئة عين قل اذن خير لكم اى
هو كما تقولون اذن سريع الانقياد لكن ليس كما تعتقدونه بل ذلك مدح فيه والخير هو الصلاح
والجودة مثله فلان رجل صدق لا اسم تفضيل ثم بين وجه كونه خيرا لهم بانه يؤمن بالله
يقر بوحدانيته وما يليق به ويؤمن للمؤمنين يذعن لقولهم ويسلم لهم ما يقولون لما علم
من خلوص طويتهم ورحمة للذين امنوا منكم عطف على اذن خير والمعنى كونه اذنا رحمة فى
حق من اظهر الايمان منكم فانه يقبل ولا يشتغل بالكشف عن سره وانما يفعل ذلك تكرما
وتخلقا لا لانه يخفى عليه شانكم فى النفاق ان الكريم اذا خادعته انخدعا وقرا حمزة رحمه
بالجر عطفا على خير والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم روع للمنافقين عن مثل
تلك المقالة يحلفون بالله لكم ليرضوكم اولاقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين
حلفوا لهم معتذرين ليرضوا عنهم والله ورسوله احق ان يرضوه تخطئة لهم فيما ياتونه
وتكذيبا لهم فى ايمانهم والمعنى ان الله ورسوله اولى واجدر بالارضاء بالطاعة والانقياد
وانما وحد الضمير اشارة الى ان ارضاء رسوله ارضاء له لانه مبلغ اوامره وواسطته الى عباده
او المذكور خبر الاول ويقدر للثانى خبرا وبالعكس وهذا مختار سيبويه لكونه اقرب وسلامته
من الفصل بين المبتدا والخبر والوجه هو الاول لفظا ومعنى ان كانوا مؤمنين حقا الم يعلموا
انه من يحادد الله ورسوله يشاركهما ويعاديهما من الحد لان كلا من المتعاديين فى حد
دون حد الاخر انكار لعدم علمهم فيفيد الاثبات والتقرير فان له نار جهنم خالدا فيها اى
فحق ان له نار جهنم فحذف الخبر للعلم به من الصلة وقيل ان تاكيد وتكرير للاول وهو الخبر
وانما اعيدت لبعد العهد كقوله ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد
ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ويجوز ان يكون عطفا على جواب من
محذوفا تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله يهلك فان له نار جهنم ذلك الخزى العظيم
واى خزى فوق الخلود فى نار جهنم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى
قلوبهم الضماير للمؤمنين والمنافقين وانما صح ذلك لعدم اللبس ويجوز ان يكون الضماير
كلها للمنافقين لان النازل فيهم وبيان حالهم كانه نازل عليهم وعن الزجاج ان الخبر
فى معنى الامر اى ليحذر المنافقون وعلى التقادير الاسناد الى السورة مجاز قل استهزؤا تهديد

لاطاب الفعل مثله احمدوا ما شئتم ان الله مخرج ما يحذرون تحذرونه من نزول القرآن
فيكم من ظهور نفاقكم ولئن سألتهم ليقولون انما كنا نخوض ونلعب كان ذات
يوم يسير في غزوة تبوك وبين يديه ركب من المنافقين يسيرون فشرعوا يستهزؤن
به ويقولون انظروا الى هذا يريد ان يفتح قصور الشام وحصونه فاطلع الله رسوله
على ذلك فاتاهم فقال لهم قلتم كذا وكذا فقالوا ما كنا في شئ من ذلك كنا نخوض
في احاديث نقصر بها المسافة كما هو شان الرفقة في المسايرة قل ابالله واياته
ورسوله كنتم تستهزؤن تكذيب لهم فيما اعتذروا به استهزاؤهم برسول لما كان مستلزما
للاستهزاء بالله لانه رسوله واياته لانهم لم يعتدوا بها فكان ذلك استهزاء بهما ايضا لا تعتذروا
قد كفرتم اظهرتم الكفر بالاستهزاء والطعن في الرسول بعد ايمانكم بعد اظهاركم الايمان
ان نعف عن طائفة منكم لانهم تابوا واقلعوا عن النفاق واخلصوا ايمانهم بعد و
نعف عن طائفة لم يوذوا رسول الله وان كانوا منافقين ونعذب طائفة بانهم كانوا
مجرمين مصرين على النفاق او مقدمين على ايذائه وقد جرت سنة الله في خلقه بان
من يطعن في رسول الله او في شريعته وسنته يعجل له العذاب في الدنيا تصديقا لقوله
والله يعصمك من الناس قرا عاصم ان نعف بنون مفتوحة وضم الفاء ونعذب
بنون مضمومة وكسر الذال وطائفة بالنصب والباقون يعف بياء التذكير وضمها وفتح
الفاء وتعذب بتاء التانيث وضمها وفتح الذال والمختار قراءة عاصم لانها ابلغ
في الانذار المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض تكذيب لهم في قولهم انهم
لمنكم لانهم متواصلون متحدون في وصف النفاق ذكورهم واناثهم وقوله وما هم
منكم وان كان ردا لتلك الدعوى الا انه لم يكن مشتملا على ما يضاد دعواهم من قوله
يامرون بالمنكر ما انكره الشرع وينهون عن المعروف ما عرف حسنه من الشرع كالتوحيد
وما يتفرع عليه ويقبضون ايديهم عن الانفاق في سبيل الخير نسوا الله استيناف
يجري مجرى العلة فنسيهم اي اغفلوا ذكره فتركهم وعاملهم معاملة من نسي الشئ ان
المنافقين هم الفاسقون الكاملون في الفسق وعد الله المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم خالدين فيها لما تبين جرائمهم التي هي اسباب العذاب اشار الى
ما اعد لهم في مقابلة ما اجترحوه ولئلا يظن كالشئ المنسي لا ثواب ولا عذاب
فانزال ذلك هي حسبهم عقابا ولعنهم الله زيادة على ذلك وكما ان رضي الله للمومنين
اجل النعم كذلك لعنه للمنافقين اشد النقم ولهم عذاب مقيم دائم لا ينقطع توكيد
للخلود لئلا يظن به المكث الطويل ورد لما يزعمه الملاحدة بان الخلود في النار لا يستلزم
العذاب لانه يصير معتادا به كالذين من قبلكم خطاب للمنافقين على سبيل
الالتفات توبيخا لهم بعد علمهم بما حل بهم كانوا اشد منكم قوة واكثر اموالا واولادا
بيان لوجه الشبه من تشبيه الحال بالحال اذ كانوا اكثر قوة واموالا واولادا ولم تجدهم

سنا

شيئا فانهم من باب الاولى فاستمتعوا بخلاقهم ذم للاولين بقصر نظرهم على الفاني و
ذهولهم عن الباقي ويلزم منه ذم من يسلك مسلكهم والخلاق ما خلق للانسان من
حظه من الخلق بمعنى التقدير فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم
وغفلتم عن امر الاخرة كما غفلوا وخضتم كالذي خاضوا الخوض الشئ في الماء استعير
للحديث الباطل المختلق لانه يهون على الكاذب اختراعه والمعنى كالخوض الذي خاضوا
او كالفوج ولذلك افرد الموصول اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة اي المتقدم
اما في الدنيا فلانهم مرضوا وماتوا وافتقروا وذلوا بعد العز واما في الاخرة فالخلود الدائم في
النار فالمخاطبون السالكون مسالكهم اولى بذلك لكنهم اقبح حالا واقل اولادا واموالا
واولئك هم الخاسرون الكاملون في الخسران اذ لا خسران فوق خسارة الدارين
الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم لما شبه حالهم بحال من تقدمهم ذكر طوائف لم يشك
احد فيما حل بهم اذ قد تواترت اخبارهم بحيث لم يبق للريب فيها مجال قوم نوح
اهلكوا بالطوفان وعاد اهلكوا بريح صرصر وثمود اهلكوا بالرجفة وقوم ابرهيم اهلك
نمرود بالبعوضة واهلك اتباعه واصحاب مدين قوم شعيب ارسل عليهم سحابة مثل
الظلة احرقتهم والموتفكات مداين قوم لوط من الافك بفتح الهمزة وهو القلب
سميت بها لانه تعالى جعل عاليها سافلها اتتهم رسلهم بالبينات المعجزات الواضحة
فما كان الله ليظلمهم ليفعل بهم ما يشبه الظلم او ما هو ظلم في زعمهم يقولون لولا ارسلت الينا
رسولا ولكن كانوا انفسهم يظلمون بتكذيب الانبياء بعد وضوح الايات والمؤمنون
والمؤمنات بعضهم اولياء بعض عطف قصة على قصة جمعا بين الترغيب والترهيب
على ما هو سنته في كتابه ومقابلة بين الاضداد في الجزاء اذ بضدها تتبين الاشياء يامرون
بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله
في كل ما امروا به من ساير الاعمال اولئك الموصوفون سيرحمهم الله لا محالة لان السين
في الاثبات مثل لن في النفي ان الله عزيز غالب يفعل ما يشاء حكيم لا يفعل شيئا
الا وفيه حكمة ولذلك رتب الثواب على الحسنات والعقاب على السيئات وعد الله
المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة
تفصيل لما اجمله في قوله سيرحمهم الله وقد روى البخاري مرفوعا ان للمؤمنين في الجنة قبة
من ياقوتة حمراء طولها ستون ميلا وله في كل زاوية منها اهلون في جنات عدن اي
اقامة من قولهم عدن بالمكان اذا اقام به وقد صار علما بالغلبة لقوله جنات عدن
التي وعدتهم والحديث الذي يرونه ان عدنا دار الله التي لا يسكنها الا النبيون و
الصديقون والشهداء ليس له اصل ويرده هذا النص لانه اثبته لكافة المؤمنين و
المؤمنات ورضوان من الله اكبر اي شئ قليل منه اكبر من جنات عدن وما فيها لانه
مبدا كل سعادة وعن بعض العارفين ليت لي عند الله ركعتين متقبلتين لان القبول

علامة الرضا قبل العمل وكثر روى البخاري ومسلم عن ابي سعيد الخدري عن رسول الله
ان الله يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون ما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا
من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك فيقولون واي شيء افضل من ذلك
فيقول احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا ذلك هو الفوز العظيم اي رضوان الله او ما
ذكر سابقا يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة و
البرهان لانهم يظهرون الايمان فلا مجال للسيف قال صلى الله عليه وسلم امرت ان
اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحق
الاسلام وحسابهم على الله واغلظ عليهم بالسيف والقول المر ولا يجاب احد منهم
وماويهم جهنم وبئس المصير قتلوا اهل الكفر او ماتوا حتف انفهم يحلفون بالله ما قالوا اقام
رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ينزل عليه القران في شان المنافقين فقال
الجلاس ابن سويد والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين تخلفوا وهم سادتنا
لنحن شر من الحمير فقال عامر بن القيس الانصاري والله ان محمد الصادق وانت شر
من الحمار وبلغ ذلك رسول الله فاستحضر الجلاس فحلف بالله ما قال فرفع عامر يديه و
قال اللهم انزل تصديق الصادق وتكذيب الكاذب فنزل وانما ذكره بلفظ الجمع لان
الفعل واقع بينهم كما يقال بنو فلان قتلوا زيدا والقاتل هو وصدقه الاخرون
ولقد قالوا كلمة الكفر هو قول الجلاس لئن كان ما يقول محمد حقا وقيل قول عبد الله
بن ابي في غزوة تبوك حين تقاتل مهاجري مع انصاري فنادى المهاجري يا للمهاجرين
ونادى الانصاري يا للانصار فقال ابن ابي فعلوها والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن
الاعز منها الاذل وكفروا بعد اسلامهم اظهروا الكفر بعد اظهار الاسلام او لم يسلموا طرفة
عين وهموا بما لم ينالوا وذلك ان خمسة عشر منهم توافقوا على الفتك برسول الله
مقفله من تبوك اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بخطام ناقته يقودها وحذيفة وراءها
يسوقها فسمع حذيفة وقع اخفاف الابل وقعقعة السلاح فقال اليكم اليكم يا اعداء الله
فهربوا وما نقموا ما عابوا وما كرهوا شيئا من امر محمد الا ان اغنيهم الله ورسوله من فضله
الا هذا الامر الجميل الحسن مثل قول النابغة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول
من قراع الكتائب وذلك ان اهل المدينة كانوا اهل زرع وعمل واكثرهم كانوا محاويج
فلما قدم عليهم رسول الله دعا لهم بالبركة وقال اللهم بارك لهم في صاعهم ومدهم اللهم
اجعل البركة بها ضعفي ما بمكة وصحح هواءها وانقل حماها الى الجحفة وحصل لهم الفتوح والغنائم
وقتل للجلاس عبد فامر رسول الله بقيمته اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا يك
خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا بالقتل والاسر والاخرة بالنار
وما لهم في الارض من ولي يتولى امرهم ولا نصير يدفع عنهم العذاب بالقهر وانما قيد
بالارض لان لهم فيها اعوانا وانصارا وفي الاخرة لا انساب ولا اسباب لما سمع الجلاس

هذا فقال يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته ولقد صدق عامر
فتاب وحسنت توبته ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن
من الصالحين نزلت في ثعلبة بن حاطب وكان من الفقراء وكان اذا صلى
خرج مسرعا فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال لي ولامراتي ثوب
واحد فاذا صليت فيه نزعته لها فصلت فيه يا رسول الله ان يرزقني مالا فقال يا ثعلبة
قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن اعطاني
الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما تنمى الدود فضاقت
بها المدينة فنزل واديا وترك الجماعة والجمعة فافتقده رسول الله فقيل انه اتخذ غنما و
نزل واديا فقال ويح ثعلبة فلما نزل قوله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم بها فارسل
مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم فلما اتيا ثعلبة واقرآه
كتاب رسول الله في الصدقات وفرايضها فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية
فارجعا حتى ارى رأيي فنزلت الاية فسمع بها بعض اقارب ثعلبة فاتاه فقال ويلك
قد نزل فيك القران فاتى ثعلبة رسول الله بصدقته فقال ان الله منعني ان اقبل صدقتك
فشرع يحثو التراب على راسه فان قلت باب التوبة مفتوح الى ان يطلع الشمس
من مغربها فلم لم تقبل توبته وقد جاء تائبا قلت توبته لم تكن عن اخلاص ودل عليه
قوله فاعقبهم نفاقا الى يوم يلقونه فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بالصدقة
الى ابي بكر فلم يقبلها فلما قبض ابي بكر رضي الله عنه جاء بها عمر رضي الله عنه في خلافته فابى
ان يقبلها فلما ولي عثمان اتاه بها فابى ان يقبلها وهلك في خلافته فلما اتاهم من
فضله بخلوا به لم يؤدوا زكاته وفيه دليل على ان من ادى زكاة ماله انسلخ عنه اسم
البخل وتولوا وهم معرضون اي وابهم الاعراض عن امتثال اوامر الله فاعقبهم نفاقا
في قلوبهم اي جعل عاقبة ذلك البخل النفاق في قلوبهم وانما ذكرها لانها مصدر
السماح والبخل وساير الاخلاق وعن الحسن وقتاده ان الفعل مسند الى البخل ولا يلائمه
الضماير السابقة واللاحقة الى يوم يلقونه اي الله وجزاء نفاقهم بما اخلفوا الله
ما وعدوه اي بسبب اخلافهم وعد الله وبما كانوا يكذبون في مقالهم وفي الحديث اية
المنافق ثلث اذا وعد اخلف واذا حدث كذب واذا خاصم فجر الم يعلموا ان الله
يعلم سرهم ونجويهم اي قد علموا ذلك تعجب من جهلهم وتوبيخ على فعلهم بعد علمهم بالسر
هو الكتمان مطلقا والنجوى ما تسار به اثنان او اكثر وان الله علام الغيوب كلها
الذين يلمزون المطوعين رفع او نصب على الذم من المؤمنين في الصدقات اي
يعيبونهم في شانها وقد اسند البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال امرنا
بالصدقة كنا نحامل فجاء ابو عقيل بنصف صاع وجاء انسان آخر باكثر منه فقال
المنافقون ان الله لغني عن صاع هذا وما فعل هذا الاخر الا رياء فنزلت وروي

ان عبد الرحمن بن عوف اتى باربعة الاف وقال كان لى ثمانية الاف فاقرضت
ربى اربعة وامسكت لعيالى اربعة فقال رسول الله بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت
فاستجاب الله دعاءه حتى انه لما توفى صولحت احدى زوجاته لاربع عن ربع الثمن على
ثمانين الف دينار والذين لايجدون الا جهدهم الا طاقتهم فيسخرون منهم يستهزؤن
بهم سخر الله منهم بان كشف عن نفاقهم وفضحهم ولهم عذاب اليم فى الاخرة استغفر لهم
او لاتستغفر لهم لن يغفر الله لهم لانهم اصحاب الدرك الاسفل ان تستغفر لهم سبعين مرة
فلن يغفر الله لهم اريد به الكثرة لا الحصر فانه يستعمل كثيرا فى العرف لمعنى الكثرة وقد اسند
البخارى عن عمر بن الخطاب قال لما مات عبد الله بن ابى دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ليصلى عليه فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثبت اليه فقلت يا رسول الله اتصلى على
بن ابى وقد قال يوم كذا كذا وكذا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اخر عنى فلما اكثرت
عليه قال انى خيرت فاخترت ولو اعلم انى ان زدت على السبعين يغفر له لزدت عليه
قال فصلى عليه ثم انصرف فلم يمكث الا يسيرا حتى نزل ولا تصل على احد منهم مات ابدا
الى قوله وهم فاسقون فان قلت قد جاء فى رواية انه قال قيل لى ان تستغفر لهم سبعين مرة
وساء زيد قلت قوله ذلك عن علمه ذلك بانه لايغفر له ولو زاد وان ذلك العدد لم يرد به
الحصر ولا مفهوم له وقوله هذا كان تطييبا لقلب ابنه فانه من خيار الصحابة رضى الله عنه
ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله ذلك الغضب الشديد لعظم جناياتهم وهو الكفر بالمنعم الحقيقى
والمجازى والله لايهدى القوم الفاسقين المراد عدم خلق الاهتداء فان الدعوة و
الارشاد عامان وفيه ايماء الى انهم من اهل الطبع لانه غير مقبول الشفاعة كيف وقد قبلت
شفاعته فى ساير الامم فضلا عن مذنبى امته فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله اى
بقعودهم بعد خروجه يقال اقام خلاف الحى اى بعدهم وعليه قراءة من قرا لايلبثون خلافك
الا قليلا او هو مصدر بمعنى المخالفة نصب على العلة او الحال لم يقل المتخلفون اشارة الى انهم
جعلوا كالمعاذير الذى خلفوا لعدم الانتفاع بهم وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم فى
سبيل الله فى اعلاء كلمته ايثار الدعة على الطاعة وفيه تعريض بالمؤمنين بان داعى الايمان
وباعث الايقان انساهم كل لذة سوى لذة مرضات الله حتى ان بذل الاموال والمهج عندهم
اهون كل شىء بهى وقالوا لاتنفروا فى الحر قال بعضهم لبعض او قالوه للمؤمنين تثبيطا لهم
وهذا شان صاحب السوء قل نار جهنم اشد حرا تجهل لهم وتخطيه لارائهم لان من ترك مشقة
ساعة وكان موقنا بانه يقع بذلك فى مشقة الابد لم يكن احد اجهل منه قال سرة احقاب
لمقيت بعدها مساءة يوم اريه شبهه الصاب فكيف بان تلقى مسرة ساعة وراء تقضيها
مساءة احقاب لو كانوا يفقهون لما اختاروه فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون
اى فيضحكون قليلا ويبكون كثيرا وانما خرج فى صورة الامر للدلالة على ان ذلك حتم واجب
لا محالة لان الامر للايجاب ولا يحتمل الصدق والكذب يروى ان اهل النار يبكون مدة بقاء

الدنيا

الدنيا لا يرقا لهم دمع وقيل الضحك والبكاء كنايتان عن السرور والغم وعلى الوجهين
اريد بالقلة العدم اذ لا ضحك لهم رأسا فان رجعك الله الى طايفة منهم وانما قيد بطايفة
لان المخلفين كانوا طايفتين منهم المؤمنون المخلص مثل كعب بن مالك وصاحبيه على
ما يأتى فى قوله وعلى الثلثة الذين خلفوا وانما قال رجعك الله دون رجعت ايماء الى انه لم
يفعل ما يفعله الا باذن الله وانه ملاحظ بعناية الله فى حركاته وسكناته فاستأذنوك فى
الخروج الى غزوة اخرى فقل لن تخرجوا معى ابدا ولن تقاتلوا معى عدوا اخبار فى معنى النهى
للمبالغة وسمهم بسمة النفاق بين الناس مخرجين عن ديوان الغزاة آيسين من
الغنايم والصدقات انكم رضيتم بالقعود اول مرة اى فى غزوة تبوك وكانت لبعد الشقة
وشدة الحر وطيب الثمار محك الرجال ومعيار الاخلاص والنفاق والاولية اضافية
واريد بمرة العموم كانه قيل اول المرات مثل قوله هند اكبر النساء فاقعدوا مع الخالفين
امرا هانة اى مع الذمنى والنساء ولا تصل على احد منهم مات ابدا اسند البخارى عن ابن
عمر انه لما مات ابن ابى جاء ابنه عبد الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله ان يكفنه
فى قميصه ويصلى عليه فكفنه فى قميصه وصلى عليه ونزل قبره ووضعه على ركبته وتفل من ريقه
فى فيه كل ذلك رأفة وتطييبا لقلب ابنه واستجلابا لخواطر الناس ولعل ان يكون ذلك
باعثا لبعض المنافقين على الاخلاص مع انه لم يكن نهى عن الصلوة عليهم وما قيل
انه لما اراد الصلوة عليه جذبه جبريل لم يصل لم يثبت اصلا وانما عبر عن الموت فى المستقبل بالماضى لكونه
كائنا لا محالة والقول بان ابدا قيد للموت فان الكافر لما كان حيا للتعذيب فكانه لم
يمت تكلف لظهور ان المراد نهى رسول الله فى المستقبل عن مثل ما ارتكبه من الصلوة على
بن ابى ولا تقم على قبره كناية عن ترك الدعاء له كان يقوم على القبور ويدعو للموتى انه
قال ان هذه القبور مملوة ظلمة وان الله ينورها بدعائى انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وهم فاسقون علة للنهى ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها
فى الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون اعاده لوقوع التراخى بين النزولين ولكونه
من الامور المهمة التى يجب ان يكون نصب العين فان النفوس حريصة على جميع
الاموال مجبولة على حب الاولاد والمال والبنون زينة الحيوة الدنيا وانما ذكر اولا بالفاء
وهنا بالواو لانه فى الاولى رتبة على قوله ولا ينفقون الا وهم كارهون وكونهم كارهين
للانفاق انما هو لاعجابهم بها وهنا لم يقصد سوى الاعادة فلا وجه للفاء واذا انزلت سورة
اى كاملة او بعضها مجازا وليس كاطلاق القران على الكل والبعض دل على انهم كانوا
يتخلفون فى ساير الغزوات وقد صرح به فى قوله سيقول لك المخلفون من الاعراب
شغلتنا اموالنا ان امنوا بالله اى دوموا على ذلك وجاهدوا مع رسوله استأذنك
اولوا الطول منهم اولوا المال والسعة واصله النفع والغناء ومنه حديث ابن مسعود
فى قتل ابى جهل ضربته بسيف غير طائل وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين الذين لهم علة

وعذر في القعود رضوا بان يكونوا مع الخوالف مع النسا جمع خالفة والخالفة لغة من
لا نفع فيه وفي الحديث ان اعرابيا جاء ابا بكر وقال انت الخليفة فقال لا انا الخالفة وقد
اشتهر في النسا القلة نفعهن قال وليس بولاج الخوالف اعقلا وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون
ما فيه الخير لكن الرسول والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم لكن قد فقه من هو
اعلى شانا واخلص طوية وازكى معتقدا كقوله وان يكفر بها هؤلا فقد وكلنا بها قوما ليسوا
بها بكافرين واولئك لهم الخيرات في الدارين او الحور لقوله فيهن خيرات حسان
واولئك هم المفلحون الفايزون اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ذلك الفوز العظيم تفسير للفلاح وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم ذكر
روسا المنافقين وما كانوا عليه وما ال امرهم اليه من الموت على الكفر ثم اردفه بذكر رسول الله
وخلص المؤمنين وما يؤول اليه امرهم من النعيم المقيم ثم ذكر الاعراب وهم سكان البوادي
الذين لا معرفة لهم في امر الاخرة ولا رشد في امر الدنيا ولهذا سماهم معذرين والمعذر
بتشديد الذال هو المقصر في العذر بان يوهم ان له عذرا ولا عذر له وروي عن ابن عباس
وابن مسعود رضي الله عنهما بتخفيف الذال من الاعذار وهو المبالغة في اظهار العذر
وكانهم من جهلهم بالغوائل حتى صارت تلك المبالغة مظنة للكذب وهم اسد وغطفان
وقيل رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت طي على اهالينا ومواشينا و
قيل المعذر اصله المعتذر فادغم كما في المذكور وهو الصادق في عذره وقعد الذين كذبوا
الله ورسوله طايفة من الاعراب منافقون تخلفوا ولم يعتذروا فظهر بذلك كذبهم مع الله ورسوله
وقيل هم الاولون وصرح بانهم كاذبون في ذلك الاعتذار سيصيب الذين كفروا منهم
عذاب اليم اي بعضهم لان من المذكورين من له عذر صحيح او تقاعد لكسل لا لكفر والعذاب
الاليم الخزي في الدنيا والاشتهار بسمة النفاق وفي الاخرة عذاب النار وقيل في الدنيا
بالقتل وفيه ان رسول الله لم يقتل المنافقين واعتذر بانه يقال ان محمدا يقتل
اصحابه ليس على الضعفاء كالشيخ الهرم ومن خلق نحيفا ولا على المرضى الذين بهم
مرض لا يستطيعون معه الجهاد ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون قيل هم مزينة و
جهينة وبنو عذرة حرج في التاخر اذا نصحوا لله بان اطاعوا الله ورسوله سرا وعلانية
ما على المحسنين من سبيل طريق للعقاب او العتاب وضع المظهر موضع المضمر للدلالة
على انهم بذلك النصح منخرطون في سلك المحسنين والله غفور للمسيئ فضلا عن المحسنين
رحيم لم يشق على المعذورين ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم اي ولا جناح على هؤلاء
الاصحاء الذين جاؤك سائلين حملانهم لكونهم فقراء غير قادرين قلت لا اجد ما
احملكم عليه حال من المفعول بتقدير قد او استيناف بتقدير العلة على الحكم استماما كانه
قيل ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم لقولك لا اجد ما احملكم عليه يتولون باكين تولوا
جواب اذا ما واعينهم تفيض تسيل لكثرة من الدمع من بيانية كانه قيل اعينهم تسيل

ومعا

ومعناه في هذا الاسلوب مبالغة في سيلانها كقولك تفيض دمعا فالجار والمجرور في محل
النصب على التميز حزنا مفعول له او حال او مصدر لفعل دل عليه ما قبله الا يجدوا ما ينفقون
اي لئلا يجدوا علة للعلة اسند البخاري عن ابي موسى الاشعري قال جئنا نفرا من الاشعريين
نستحمل رسول الله فجئته وهو غضبان فحلف انه لا يحملنا ولا عنده شيء يحملنا عليه فجئت
واخبرت اصحابي فلما توتينا اذا انا ببلال ينادي يا عبد الله بن قيس اجب رسول الله
قال فجئته فاعطانا ست ذود غر الذرى فلما رجعت الى اصحابي قلت لهم ما كان
من الامر وحلفت ان لا امكنهم من الذود حتى اتي بهم الى من سمع قول رسول الله
اولا ومنعه ثم اعطاه ثانيا لئلا يظنوا اني قلت على رسول الله ما لم يكن قالوا والله انك
عندنا الصدوق ولتفعلن ما تحب فلما جئنا رسول الله قلنا والله لا يبارك لنا قد اغفلنا
رسول الله يمينه فقلنا يا رسول الله قد حلفت ان لا تحملنا وقد حملتنا فقال ما انا حملتكم انما حملكم الله
والله اني لا احلف على شيء واری غيره خيرا الا اتيت الذي هو خير الا اتيت الذي وكفرت عن
يميني انما السبيل على الذين يستاذنونك وهم اغنياء واجدون اهبة السفر وعدة الحرب
رضوا بان يكونوا مع الخوالف استيناف يجري مجرى التعليل كانه قيل ما ارتكبوا ذلك رضا
بالدناءة والانتظام في سلك النساء وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون قبح ذلك يعتذرون
اليكم اذا رجعتم اليهم من غزوة تبوك قل لا تعتذروا بالاكاذيب لن نؤمن لكم لن نصدقكم علة
للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به قد نبانا الله من اخباركم بعض
اخباركم وهو ما يكمونه من الشر والفساد علة لانتفاء التصديق لان الله تعالى اذا اخبر بشيء لزم
كذب ما ينافيه وسيرى الله عملكم ورسوله اي دعواكم انكم تحبون الله ورسوله سيعلم الله ذلك
منكم ورسوله ان كان ما تقولون حقا حث على الاخلاص والتوبة النصوح ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة في وضع المظهر موضع المضمر مع ذكر الغيب والشهادة وعيد شديد وردع لهم
عن مخالفة الباطن الظاهر فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليه سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم
اليهم اخبار عنهم بما سيفعلونه في المستقبل لتعرضوا عنهم ولا توبخوهم فاعرضوا عنهم اجابة لهم
الى بغيتهم انهم رجس علة للاعراض لان مقاولتهم لمخالطة النجس فيتلوث المخالط
ولا سبيل الى تطهيره ومأويهم جهنم مخلوقون لها فاي فايدة في معاتبتهم اولا يرجى منهم عودا
جزاء بما كانوا يكسبون علة لكونهم من اهل جهنم يحلفون لكم لترضوا عنهم وتديموا معهم على
الود الذي كان بينكم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضى عن القوم الفاسقين اي عنهم
والاتيان بالاسم الظاهر لتعليل عدم الرضى والمعنى ان رضاكم لا يجديهم نفعا اذا كان الله
ساخطا عليهم لان الامر كله بيده عاجلا واجلا وفيه ايماء الى ان المؤمن لا يليق به ان يرضى
ممن كان في سخط من الله لما امروا بالاعراض عنهم فاعرضوا ولم يعاتبوهم شرع المنافقون
في استجلاب الرضا بالايمان الكاذبة والقول بان رسول الله لما قدم المدينة جاء عبد الله بن
ابي فحلف انه تخلف عنه ابدا سهو لان عبد الله كان معه في غزوة تبوك صح ذلك في البخاري

وغيره الاعراب اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر لبعدهم عن استماع العلم والحكم وفي الحديث
الجفاء في الغدادين اهل الوبر عند اصول اذناب الابل والسكينة في اهل الغنم واجدر واولى
واخلق ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله احكام المنزل من الاصول والفروع والله
عليم كامل العلم بحال كل شخص حكيم فيما يصنع ولذلك اطلعكم على مراتب المنافقين و
اسرارهم لتعاملوا الكلا على حسب حاله ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما حكم على الجنس
اولا والحكم عليه لا يستلزم الحكم على جميع الافراد ولذلك وفصل افراده قسمين فالاول
هم المنافقون الذين يعدون ما ينفقونه في سبيل الله خسرانا والغرامة ما يصرفه الرجل فيما لا يلزمه
كرها اما لتقية او لانه وقتية وهم كانوا يصرفونه رياء وتقية ويتربص بكم الدوائر ويترقب
بكم ريب الزمان جمع دائرة وهي ما يحيط بالانسان من كل جهة ويدور عليه واستعماله في الشر
عليهم دائرة السوء اعتراض بالدعاء عليهم وفيه من الدلالة على شدة غضب الله عليهم ما لا يكتنه
لان من امره بين الكاف والنون يطلب من نفسه اصابتهم بالسوء وقرا ابن كثير وابو عمرو
بضم السين على انه اسم للعذاب والبلاء والباقون بالفتح على انه مصدر والاول ابلغ لدلالته
على الاستمرار وصراحته والله سميع لما يقولون بافواههم نفاقا عليم بضمايرهم وما يبطنونه من
الكفر ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق قربات عند الله هم القسم الثاني وهم المومنون المخلص
والمعنى يتخذون ما ينفقونه سبب قربات وحصولها عند الله وصلوات الرسول وسبب
صلواته لانه كان يدعو للمتصدقين لقوله وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم الا انها قربة لهم
شهادة منه تعالى بان ذلك لموقع عنده صدر الاستيناف بحرف التنبيه واتى بصيغة القربة
مفردة اشارة الى ان تلك القربات بمثابة القربة الواحدة لا يقبل التجزي ردا وقبولا
بل كلها مقبولة سيدخلهم الله في رحمته دليل على القبول والرضا ان الله غفور لما فرط
منهم رحيم حيث قبل منهم واجزل في الثواب متفضلا وقرا ورش قربة بضم الراء
وهما لغتان والسكون اكثر قيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه والاية الاولى في اسد
وغطفان والسابقون مبتدا خبره الاولون من المهاجرين او رضي الله عنهم وهو
من عطف قصة على اخرى من جزاء المخلص من مومني الاعراب الذين لا سابقة لهم
في الاسلام ولا كمال في العرفان اشار الى اكمل الفرق الذين حازوا قصب السبق في مضمار
السعادة وبين منزلتهم عنده وما اعد لهم والسابقون من الطايفتين من صلى الى
القبلتين وشهد بدرا او قيل الذين اسلموا قبل الهجرة وقيل من سبق الى الهجرة والنصرة
مطلقا لاطلاق اللفظ من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان من غير
الطايفتين لقوله في سورة الحشر والذين جاؤا من بعدهم وعن عمر بن الخطاب رضي الله
عنه انه قرا والانصار بالرفع عطفا على السابقين وكان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان
بغير واو ليكون صفة الانصار فيكون وصف السبق مختصا بالمهاجرين ولا اتباع بالانصار
حتى قال له زيد بن ثابت انه بالواو فسال ابي بن كعب فصدق زيد بن ثابت فقال

عمر من اقراك هذه القراءة قال ابي اقرانيها رسول الله وانت تبيع القرظ قال عمر صدقت
وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم واوينا وطردتم رضي الله عنهم بقبول طاعتهم
ورضوا عنه بما نالوا من الكرامة في الدارين واعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا وقرا ابن كثير بزيادة من كما في ساير المواضع على انها ابتدائية ومن حذفها جعل
تحتها ظرفا وهو المختار لان انهار الجنة جريانها فظلل بالاشجار والرسم في الحذف والاثبات
مختلف ذلك الفوز العظيم الذي لا يحاط به وممن حولكم من الاعراب منافقون هم
عصية وغطفان والقول بان منهم واسلم وغفار اسهو ظاهر لما روى البخاري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اسلم سالمها الله وغفار غفر الله لها ودعا على عصية لانها عصت الله
ورسوله ومن اهل المدينة مردوا على النفاق تمرنوا عليه وتمهروا فيه لا تعلمهم مع كمال
فطنتك وصدق فراستك نحن نعلمهم لاطلاعنا على السراير وذوات الصدور سنعذبهم
مرتين الاولى بالملائكة حين الموت يضربون وجوههم وادبارهم او باطلاعك على
نفاقهم واخراجك اياهم عن زمرة المسلمين لما روى ابن عباس رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على المنبر يوم الجمعة خطيبا فقال اخرج يا فلان فانك
منافق فاخرج اناسا وفضحهم والاخر عذاب القبر وعن الحسن اخذ الزكاة من اموالهم فان
الاموال شقيقة الروح ثم يردون الى عذاب عظيم عذاب النار نعوذ بالله منه واخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عطف على منافقون اي ومنهم طايفة عملوا
صالحا واخر سيئا او عطف على قصة اخرى وهذا اولى لما روى البخاري عن سمرة بن جندب
ان رسول الله قال اتاني الليلة آتيان فابتعثاني فانتهينا الى مدينة مبنية بلبن ذهب
ولبن فضة فتلقانا رجال شطر منهم كاحسن ما انت راء وشطر كاقبح ما انت راء قالا لهم اذهبوا
فقعوا في ذلك النهر فوقعوا فيه ثم رجعوا الينا وقد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في احسن
صورة فقالا لي هؤلاء قوم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا تجاوز الله عنهم وقيل كانوا ثلثة
ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة
سبعة منهم وثقوا انفسهم على سواري المسجد فلما قدم رسول الله دخل المسجد فصلى ركعتين
فسال عنهم فاخبر انهم حلفوا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم فقال
وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فنزلت فاطلقهم عسى الله ان يتوب عليهم يقبل توبتهم
ان الله غفور يتجاوز عن الذنب اذا تيب منه رحيم يتفضل بعد التوبة بجعل سيئاته
حسنات خذ من اموالهم صدقة من اموال المعترفين روى انهم لما اطلقوا اخرجوا عن
اموالهم وقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي تخلفنا لاجلها فاجعلها فيما اراك الله فقال لم
اومر بذلك فنزلت تطهرهم عن الذنوب او عن حب المال الذي هو راس كل خطيئة
وتزكيهم التزكية مبالغة في التطهر او بمعنى الانماء والبركة في المال بها باخذها تنازع فيها الفعلان
وصل عليهم وادع لهم ان صلوتك سكن لهم تسكن اليها نفوسهم وتطيب بها قلوبهم

وقرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم بالتوحيد والباقون بالجمع وهو المختار لاشتماله على
انواع الدعاء واستحب ان يقول اجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت
واما قوله لآل ابي اوفى لما جاء بصدقته اللهم صل على آل ابي اوفى فمن خواصه لان الصلوة حقه
والله سميع عليم سميع اقوالهم عليم نياتهم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده
اي قد علموا ذلك والضمير للمتوب عليهم والمراد تقرير قبول توبتهم والاعتداد بصدقاتهم
لان لفظ عسى وان كان معناها من الله التحقق والوجوب الا انها في الاصل للرجاء او
لغيرهم ترغيبا وحثا عليها ويأخذ الصدقات كما يأخذ احدكم من يد صاحبه وفي الحديث
ان الصدقة تقع في يد الرحمن قبل وقوعها في يد السائل وان الله هو التواب الرحيم
من شانه قبول توبة التائبين فائدته التخصيص على الاخلاص فيهما لانه لا يخفى عليه خافية وقل اعملوا
ايها التائبون فسيرى الله عملكم لا يخفى عليه منه شيء ورسوله يعلم بذلك ايضا والمؤمنون
بامارات او باخبار الرسول انكم مخلصون او المصرون على النفاق ستردون الى عالم الغيب والشهادة
بالموت او بالحشر اليه يوم القيمة فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليه فان قلت لما ذكر المنافقين
اردفه بقوله وسيرى الله عملكم ورسوله وزاد هنا بعد ذكر المخلصين وقبول صدقتهم المؤمنين ما الحكمة
في ذلك قلت الحكمة ان الاطلاع على حال المنافقين وخبث باطنهم مخصوص بالله ويعلم
بذلك رسوله بالوحي والمؤمنون لا اطلاع لهم على شيء من ذلك واما اخوانهم فحالهم معلوم عندهم
فلذلك ذكرهم مع الله ورسوله وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم قرأ ابن
كثير وابو عمرو وشعبة عن عاصم مرجؤن بالهمز وهي لغة تميم والباقون بحذفه وهي الشايعة اي
وطايفة من المتخلفين مؤخر امرهم لا يعلم حالهم هل تقبل توبتهم ام لا وهم كعب بن مالك الانصاري
من بني سلمة ومرارة بن الربيع الزبيدي وهلال بن امية الواقفي وهم الثلثة الذين خلفوا
وسيأتي قصتهم فان قلت قد تواترت النصوص على قبول الله التوبة عن التائب اذا
كان مخلصا في توبته فما الحكمة في تأخير قبولها من هؤلاء وارجاء امرهم مبهما قلت الحكمة في ذلك
الاشارة الى عظم جنايتهم وان التخلف عن رسول الله في مثل ذلك السفر كسلا وركونا الى
اللذة امر عظيم الا ترى الى بكاء آدم على تلك الصغيرة اربعين عاما وكذلك داود عليه السلام
وقصة حزنه وشدة بلائه مشهورة والله عليم باحوال الخلق حكيم فيما يصنع من قبول التوبة
تارة وتاخيرها اخرى والذين اتخذوا مسجدا ضرارا اي من المنافقين وهم بنو غنم بن عوف
فانهم لما رأوا اخوتهم وهم بنو عمرو بن عوف بنوا مسجد قباء وصلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكان يزوره في كل سبت يأتيه راكبا وماشيا حسدوهم وقالوا نبني مسجدا نقباء ويصلي فيه
رسول الله وابو عامر الراهب وهو الذي حزب الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهرب يوم حنين الى الشام وارسل يخبر المنافقين بانه يقدم اليهم بجيش بني الاصفر ويحارب
محمدا ويخرجه فمات بقنسرين وحيدا طريدا لعنه الله قرأ نافع وابن عامر الذين اتخذوا بحذف
الواو على انه استيناف قصة للمنافقين وعليه رسم المدني والشامي والقول بانه بحذف الواو بدل من

مرجون

مرجون غلط لانهم مخلصون اخر توبتهم وكفرا لتقوية الكفر وتفريقا بين المؤمنين فانهم كانوا
يصلون في مسجد قباء مجتمعين وارصادا لمن حارب الله ورسوله هو ابو عامر من قبل يتعلق
بحارب وقيل باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافقوا بالتخلف وفيه ان نفاقهم
كان موجودا قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى اي بعد اطلاعك على حالهم يعتذرون بالاباطيل
وانهم مخلصون والله يشهد انهم لكاذبون في ان ايمانهم غير تستر وقبل غزوة تبوك قالوا
بنينا مسجدا لذي علة وليلة مطيرة ونحب يا رسول الله ان تأتي فتصلي لنا فيه فقال اني على
جناح سفر فاذا قدمنا جئنا ان شاء الله تعالى فلما قدم من غزوته سألوه اتيانه فنزلت
فارسل جماعة من الصحابة وقال لهم اذهبوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه فذهبوا فهدموا
واحرقوه واتخذ مكانه كناسة لا تقم فيه ابدا اي للصلوة طرفة فضلا عن العبادة فيه لمسجد اسس
على التقوى مسجدك الذي بنيته واتخذته لله وهو مسجد المدينة كذا رواه البخاري عنه حين سئل
عن المسجد الذي على التقوى فاشار اليه وقال هو مسجدكم هذا وقيل هو مسجد قبا لان الكلام
فيه وفي مسجد الضرار ولا دلالة للفظ على الوحدة بل كل منهما اسس على التقوى واشارته الى مسجد
المدينة حين سئل لاشهار مسجد قبا بذلك من اول يوم تأسيسه لم يشبه ريا احق ان تقوم فيه
فان قلت احقية هذا تدل على حقية ذلك في الجملة ومعلوم ان لا شائبة للحق في ذلك قلت
اريد المبالغة اي لو كان ذلك بني لله كان هذا احرى بالقيام فيه فكيف وقد بني لانواع
من الكفر فيه رجال يحبون ان يتطهروا قيل لما نزلت مشى رسول الله والمهاجرون معه حتى
وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم فقال عمر
مؤمنون يا رسول الله وانا معهم ثم قال يا معشر الانصار ان الله قد اثنى عليكم في الطهور فما طهوركم
قالوا نتبع الماء الحجار في الاستنجاء والله يحب المطهرين يرضى عنهم ويفعل معهم بالفعل المحب
مع محبوبه افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان اخر على قاعدة محكمة هي تقوى الله
ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار شفا كل شيء طرفه والجرف ما جرفه السيل وذهب
باصله وهو مشرف على السقوط ساعة فساعة والهار المتصدع والمنشق وهو ثابت بعد لكن
بصدد السقوط اسم فاعل وزنه فعل قلبت واوه الفا وقد يقال انه محمول على القلب مكانا فوزنه
فالع ويظهر ذلك في حالة النصب فانهار به في نار جهنم فادى به قلة استمساكه وتجوزه الى السقوط
تقوى الله وابتغاء مرضاته اساس قوي لا يزعزعه شيء والباطل لا ثبات له لقوله تعالى
واما الباطل فيذهب جفاء ولذلك مثله بشفا جرف هار اذ لا اضعف منه ولا اقل بقاء
ولما جعله مجازا عن الباطل رشحه بالانهيار الذي هو للجرف لتصور ان المبطل بصدد السقوط
في نار جهنم قرأ نافع وابن عامر اسس على البناء للمفعول والباقون على الفاعل وهو المختار
لاسناده الى المباشر ولقوله بنوا وقرأ ابن عامر وشعبة عن عاصم وحمزة جرف بسكون الراء
وهما لغتان الضم لغة الحجاز والسكون لغة تميم والله لا يهدي القوم الظالمين بينهم
الذين خلفوا النار لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم اي سبب ازدياد الشك والنفاق

وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما امر بهدمه ثقل ذلك عليهم وازداد
بغضهم لرسول الله واشتد عداوتهم وبقوا مرتابين في امرهم هل يقرون بين المسلمين كما
كانوا ام يقتلون الا ان تقطع قلوبهم قطعا لا يبقى فيها ما يصلح لادراك والاستثناء
من اعم الازمنة وقيل تقطيع القلوب كناية عن التوبة ندما واسفا قراء ابن عامر وحفص
وحمزة بفتح التاء مضارع تقطع بحذف احدى التائين مبنيا للفاعل والباقون بضم التاء
على بناء المفعول من التقطيع والاول اوفق لشيوع تقطع قلبه في الموت والله عليم
بنياتهم واغراضهم حكيم في افعاله ولذلك خيب مساعيهم واظهر نفاقهم لئلا يقدم احد
على مثل فعلهم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة لما بين
حال فرق المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك اشار الى ان المؤمنين بالمبادرة الى
الجهاد بالاموال والانفس رابحون اية ربح ومثل اثابة الله اياهم بالجنة على ذلك البذل
بالشراء الذي هو عقد لازم من الطرفين وقدم الانفس على الاموال اشارة الى انهم ببذل
ارواحهم اسمح منهم ببذل الاموال يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون خبر في معنى
الامر اي ليقاتلوا في سبيل الله تسليما للثمن ليتعين فان البيع قد تعين او لما كان هذا
البيع في المعنى سلما يجب تسليم راس المال فيه او استيناف لبيان ما به الشرى قراء
حمزة والكسائي مبنيا للمفعول في الاول والفاعل في الثاني على عكس قراءة العامة وفيه مدح
لهم بالشجاعة اذ قد قتلوا العدو بعد وقوع القتل على بعضهم فيدل على قوة ايمانهم وانهم بموت
بعضهم لم يحصل لهم فترة ولا وهن وقراءة العامة اولى لعدم احتياجها الى التاويل الرتبة
العليا ان الانسان يقتل اولا ثم يقتل لجميع الفضيلتين على ان الواو لا يدل على الترتيب
وعدا عليه حقا مصدر مؤكد في التورية والانجيل والقران هذا على متعارف التجار فان المبلغ
اذا كان له قدر يكتب له الوثيقة وقد بالغ في ذلك حتى انزله في الكتب الثلثة التي عليها
مدار سائر الشرائع ويحتمل ان يراد بالقران زبور داود ولما في الحديث ان داود كان يامر بان
يسرج له الدابة فيختم القران قبل ان تسرج فيكون الوعد مسطورا في الكتب الاربعة ومن
اوفى بعهده من الله اي لا احد فان الخلف الوعد كذب وانه تعالى مقدس عن ذلك
غني عن ارتكابه اعاده بلفظ العهد ايماء الى ان ذلك الوعد محفوظا فاستبشروا ببيعكم الذي
بايعتم به اي افرحوا فرحا شديدا يظهر اثره في بشرتكم والسين للتاكيد وذلك هو الفوز العظيم
الذي لا فوز فوقه ولا ترغيب احسن فيلامت اعين الجنة التائبون رفع على المدح اي هم
المذكورون ويدل عليه قراءة عبد الله وابي التائبين ويجوز ان يكون ابتداء الكلام خبره ما بعد
اي التائبون الموصوفون بهذه الصفات والقول بجواز كونه مبتدا خبره محذوف اي
التائبون من اهل الجنة لا يناسب المقام ولا فخامة فيه العابدون لله مخلصين في عبادته
الحامدون له على نعمائه وعلى كل حال السائحون في الارض للاعتبار برؤية مصنوعاته
وعجايب خلقه وقيل هم الصائمون لما في الحديث من اطلاق السياحة عليه لانه سير في المعارف

في الملكوت

وفي الملكوت لان الحواس اذا كفت عن الشهوات تجلى للنفس عالم الغيب الراكعون
الساجدون في صلوتهم لا كاهل الكتاب الامرون بالمعروف ما عرف من الشرع حسنه
والناهون عن المنكر عما انكره الشرع وانما عطف احدهما على الاخر لكونهما في المعنى صفة
واحدة لا استقلال لاحدهما بدون الاخر والحافظون لحدود الله احكامه من عطف العام
على الخاص وبشر المؤمنين اي هولاء الموصوفين وضع المظهر موضع المضمر اشارة
الى ان الحامل على تلك الخصال هو الايمان وحذف المبشر به ايماء الى انه من العظم بحيث لا يحيط
به الوصف او العلم به لذكره في سائر الايات ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين
روى البخاري مرفوعا ان ابا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وعنده ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال يا عم قل لا اله الا الله كلمة احاج بها لك عند الله
فقال ابو جهل وعبد الله يا ابا طالب اترغب عن ملة عبد المطلب فكان اخر كلمة قالها
انه على ملة عبد المطلب ودين اشياخه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما ان لاستغفر
لك ما لم انه عنه فنزل ما كان للنبي وما قيل ان ابا طالب مات بمكة والسورة مدنية نزلت
في غزوة تبوك فلا اشكال فيه لان رسول الله كان يستغفر له الى وقت نزول براءة من الله
ورسوله من المشركين ثم ما اعجب ممن يفسر كلام الله ويطلع على هذا الحديث ثم يورد
في الكتب ان ابا طالب مات مؤمنا ويجمع لذلك احاديث مختلفة موضوعة وقيل
نزلت في زيارة امه لما في الحديث انه زارها وبكى وقال استاذنت ربي في زيارتها فاذن
لي واستاذنته في الاستغفار فلم ياذن لي ولو كانوا اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب
الجحيم بموتهم على الكفر لانهم ما داموا احياء لم يعلم حالهم وهي مسئلة موافاة الاشعري
وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه دفع لما يقال ان لو كان
الاستغفار للكافر غير جائز فكيف صدر من ابراهيم وهو قدوة الموحدين كان لوعد
سبق منه بقوله لاستغفرن لك وحقيقة الاستغفار للكافر طلب التوفيق له بالتوبة فلما
تبين له انه عدو لله بان مات كافرا او اخبر ابراهيم بانه يموت كافرا تبرأ منه وقطع
الاستغفار فان قلت كيف جاز لرسول الله ان يستغفر لابي طالب بعد موته قلت
الاستغفار للكافر جائز عقلا ولم يكن ورد فيه نهي فكان لشدة رافته بعمه يستغفر له ولذلك
قيده بقوله لاستغفرن لك ما لم انه عنه ان ابراهيم لاواه لكثير التاوه كناية عن فرط
رافته حليم يحمل الاذى يقول له ابوه لارجمنك وهو يقول في جوابه لاستغفرن لك
وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هديهم حتى يبين لهم ما يتقون تسلية لرسول الله والذين
كانوا يستغفرون لاقاربهم المشركين والمعنى لم يخلق الله الضلال ولم يحكم به على قوم بعد هدايتهم
الى الاسلام حتى يتبين لهم حرمة ما يجب اتقاؤه وذلك مثل حرمة الخمر فان الصحابة
كانوا يشربونها ولم يكن ذلك من الضلال في شيء ان الله بكل شيء عليم يعلم حال الحرمة
والاباحة ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير

المالک للتصرف و ما امر به یجب البدار الیه و ما نهی عنه یلزم الکف عنه واشار الی
ان فائدة القرابة هی الولایة والنصر ولا ولایة ولا نصر الا منه فعلی العاقل ان یتوجه الیه
بکلیته ویقبل الی جناب قدسه بشراشره ویعرض عما سواه لقد تاب الله علی النبی والمهاجرین
والانصار عن ابن عباس هو اذنه للمنافقین فی التخلف لقوله عفا الله عنک وقیل
ذکر النبی لافتتاح الکلام والمراد التوبة علی من معه من المهاجرین والانصار لما فرط منهم
فی احد وحنین او بعث للمؤمنین علی التوبة فما من مؤمن الا وهو یحتاج الی التوبة
نبیا کان او ولیا لقوله تعالی توبوا الی الله جمیعا والتوبة لها مراتب اولها التوبة من
الشرک واقصاها ربط السر علی التوحید ومطالعة جلال الله فالذهول عن ذلک ولو لمحة
طرف یوجب التوبة علی الکمل کما یوجب ارتکاب الکبیرة علی عامة المؤمنین وعلیه یحمل قوله
انه لیغان علی قلبی وانی لاستغفر الله فی الیوم سبعین مرة الذین اتبعوه فی ساعة
العسرة کانوا فی ضیق من الظهر والنفقة وکان السفر طویلا والوقت حارا ولذلک سمی جیش
العسرة حتی ان جماعة کانوا یعتقبون علی راحلة من بعد ما کاد یزیغ قلوب فریق منهم
عن الثبات علی الایمان واتباع الرسول کنایة عن الشدة وفی کاد ضمیر الشان ای الامر والشان
قرب زیغان قلوب فریق وشبهه سیبویه بقولهم لیس خلق الله مثله وقیل فیه ضمیر القوم
قرا حفص عن عاصم وحمزة یزیغ بالتاء لاسناده الی مؤنث غیر حقیقی والباقون بالیاء
وهو المختار لعدم الفاصل ثم تاب علیهم ای علی الفریق وعفا عنهم ذلک او ثبت قلوبهم
وقیل تاکید للاول وفیه تنبیه علی انه انما تاب علیهم لما کابدوه من العسرة انه بهم رؤف
لشدة الرأفة رحیم بهم وعلی الثلثة الذین خلفوا تخلف امرهم ای اخر ولم یبت وهم المرجون
حتی اذا ضاقت علیهم الارض بما رحبت برحبها ای مع سعتها کنایة عن شدة حزنهم کانهم
لا یجدون مکانا یقرون فیه لغایة قلقه وضاقت علیهم انفسهم من غایة فرط الغم وترکم
الوحشة وظنوا ان لا ملجا من الله الا الیه علموا ان لا ملاذ من سخطه الا بالاستکانة الیه عبر
عن ایقانهم بالظن مدحا لهم بان الظن منهم یوجب قصر الهمة والتوجه الیه فکیف وهم
موقنون ثم تاب علیهم فوفقهم للتوبة او انزل توبتهم لیتوبوا عن ارتکاب مثله او لیتوبوا
اذا صدر منهم ذنب لما علموا من هذه الواقعة ان الله هو التواب ولو عاد المذنب فی الیوم
مائة مرة الرحیم بعد التوبة یجعل السیئات حسنات یا ایها الذین امنوا اتقوا الله فی مخالفة
وارتکاب ما لا یرضاه وکونوا مع الصادقین رسول الله واصحابه زجر لمن تخلف عنه وهو
صادق فی ایمانه کالثلثة فانهم کانوا صادقین من خلص المؤمنین روی البخاری عن کعب
بن مالک وهو احد الثلثة ما اعلم احدا ابلاه الله فی صدق الحدیث احسن مما ابلانی ما تعمدت
منذ ذکرت ذلک لرسول الله الی یومی هذا کذبا ما کان لاهل المدینة ومن حولهم من الاعراب
ان یتخلفوا عن رسول الله نهی اخرج فی صورة النفی مبالغة والمعنی ما استقام للطائفتین
ان یتخلفوا عنه ولا یرغبوا بانفسهم عن نفسه لان نفسه اعز عند الله بل یجب علی مؤمن به

ان یجعل

ان یجعل نفسه وقایة لنفسه ویؤثر حیاته علی حیاته کما فعل ابو طلحة یوم احد فانه کان یجثو
علیه یحجفه ویقول لا تنظر الی القوم یصیبک سهم نحری دون نحرک یا رسول الله وکان
یده شلاء وقی بها رسول الله یوم احد فضربت بسیف روی البخاری ان ابا خیثمة کان
من المتخلفین وکانت له امراة حسناء فدخل بستانه وهی معه ففرشت له وقربت الیه
الماء البارد والرطب فلما نظر ذلک قال امراة حسناء ورطب یانع وماء بارد ورسول الله
فی حر الشمس والریح ما هذا مقام خیر فوثب ورحل ناقته واخذ السیف وتوجه تخب
کالریح الهبوب فلحق برسول الله وهو بتبوک فلما راه رسول الله من بعید یزهاه السراب
قال کن ابا خیثمة فکانه ففرح به رسول الله واستغفر له ولا یرغبوا یحتمل الجزم والنصب
ذلک اشارة الی وجوب المتابعة ای ذلک الوجوب بانهم لا یصیبهم ظما عطش
ولا نصب تعب ولا مخمصة مجاعة فی سبیل الله ولا یطئون موطئا لا یدوسون مکانا من
اماکنهم باقدامهم وحوافر خیولهم واخفاف ابلهم ویجوز ان یکون مصدرا بمعنی الوطی
وهو الابادة والایقاع کما فی قوله صلی الله علیه وسلم لغزوة حنین اخر وطأة وطئها الله بوج
والوج واد بالطائف یغیظ الکفار وطؤه ولا ینالون من عدو نیلا قتلا کان او اسرا
او جراحا او نهبا الا کتب لهم به عمل صالح وذلک کله مما یوجب المتابعة واقتحام الشدائد
ان الله لا یضیع اجر المحسنین ای اجرهم وضع المظهر موضع المضمر اشارة الی ان الجهاد مع
الکفار احسان وان کان فیه اهلاک النفوس وتخریب الدور لانه سبب اعلاء کلمة الله
ولا ینفقون نفقة صغیرة ولا کبیرة تمرة فما فوقها ولا یقطعون وادیا الوادی منفذ السیل
بین الجبال من ودی الماء سال ومنه الودی شاع استعماله فی مطلق الارض وهو المراد
فی الایة الا کتب لهم ذلک لیجزیهم الله احسن ما کانوا یعملون ای کتب واثبت ذلک فی
صحایف اعمالهم لیجزوا به یوم القیمة جزاء احسن عمل کانوا عملوه بان یلحق عملهم الادنی بالاعلی
فی الجزاء مکافاة لسعیهم وتوفیر الاجرهم وما کان المؤمنون لینفروا کافة فلولا نفر من کل فرقة
منهم طائفة عن ابن عباس رضی الله عنه ان الله تعالی لما عاب المنافقین والمتخلفین
من غزوة تبوک فکان بعد ذلک اذا بعث رسول الله سریة استبق المؤمنون الی النفیر
ولم یبق منهم من یستمع الوحی ویتفقه فی الدین فامروا ان ینفر من کل فرقة طائفة الی الجهاد
ویبقی طایفه منهم للتفقه فی الدین الذی هو الجهاد الاکبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد
بالسیف وقیل هذا حکم مبتدا لیس له تعلق بالجهاد وانما ذکره بعد الجهاد لان طلب العلم
والجهاد عبادتان یتعلقان بالسفر لا سیما فی زمن الوحی فان العلم کان محصورا فامروا ان
ینفر الی طلب العلم من کل فرقة طائفة لئلا یبطل امر المعاش لیتفقهوا فی الدین لیتکلفوا
الفقاهة ویتعاطوا المشاق فی تحصیلها ولینذروا قومهم اذا رجعوا الیهم ولیجعلوا مرمی همتهم
وجل غرضهم انذار قومهم وارشادهم والضمایر المرفوعة علی الاول للطائفة المقیمة وعلی الثانی
للنافرة وفیه دلیل علی ان طلب التفقه وتعلم الجاهل وارشاده من فروض الکفایات

وريا الى ان طلب العلم للترفع على الاقران والتبسط في العمران والبلدان محوم روى
مسلم اول من يسحب الى النار ثلثة عالم لم يتعلم لوجه الله بل ليقال انه عالم وتاجر تصدق
بماله ليقال انه جواد وغاز اهريق دمه ليقال انه شجاع وفيه ايضا ان خبر الواحد حجة لان
الطايفة تطلق على الواحد فما فوقه كذا فسره ابن عباس لعلهم يحذرون ارادة ان يحذروا
بعد التعلم كذلك انما يخشى الله من عباده العلماء يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من
الكفار الاقرب فالاقرب فان ضرره اشد والحذر منه اكثر لانه بعد والافتراص متمكن
من الاطلاع على عورات المسلمين روى انه لما رجع من غزوة تبوك قال رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر يريد به النفس لانها عدو قريب بين الجنبين يعسر الاحتراس عنها
وليجدوا فيكم غلظة شدة وعنفا في القتل والاسر فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم
كل بنان واعلموا ان الله مع المتقين الذين يتقون مخالفته فلا يراقبون بعدوه واذا ما
انزلت سورة من القران فمنهم اي من المنافقين من يقول ايكم زادته هذه ايمانا
اي هذه السورة النازلة الاسناد مجاز يقولون ذلك انكارا واستهزاء بالمؤمنين لكونهم
يعتقدون زيادة الايمان بزيادة المؤمن به من الايات والاحكام فاما الذين امنوا فزادتهم
ايمانا لاطلاعهم على ما فيها من الاحكام والاسرار وهم يستبشرون بنيل الكمال وزيادة العرفان
لانها اجل المطالب واما الذين في قلوبهم مرض نفاق فزادتهم رجسا الى رجسهم كفرا
الى كفرهم فكما ان الايمان يزداد بزيادة المؤمن به كذلك الكفر يزداد بزيادة ما كفر به واستحكم عبر
عن الكفر بالرجس تنفيرا عنه وماتوا وهم كافرون لاستحكام الكفر فيهم اولا يرون انهم يفتنون
في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون تعجب من عبادتهم وقسوة قلوبهم وذلك انهم
لا يخلون عن محنة متتابعة واصناف بليات ولا يفطنون بسبب ذلك فيرجعون
عن ارتكابه وقيل الفتنة الابتلاء بالجهاد مع رسول الله وما يعاينون من نزول النصر والتاييد
الالهي ولا هم يذكرون يعتبرون ان ذلك بسوء افعالهم ولا يزال الذين كفروا تصيبهم
بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم قرئ يرون بالتاء خطابا للمؤمنين تعجيبا لهم عن
غفلة المنافقين واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض يتغامزون بالحواجب انكارا
وسخرية هل يريكم من احد حال بتقدير القول اي قائلين هل يريكم من المسلمين لننصرف
فانا لا نقدر على استماعه اما غيظا لما فيه من ذكر معايب الهتهم واباءهم او لانه يغلب عليهم
الضحك فلا يقدرون على ستره ثم انصرفوا بعد ذلك التغامز وما تغاولوا به صرف الله
قلوبهم دعاء عليهم بالخذلان او اخبار اي لما اختاروا الانصراف جازاهم الله بصرف
قلوبهم عن الايمان فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم بانهم قوم لا يفقهون لا يفهمون تنبيه
على علة الصرف وعدم القابلية لقد جاءكم رسول من انفسكم عربي مثلكم تعرفونه
نسبه ولسانه وشانه من الامانة والصدق عزيز عليه ما عنتم شاق عليه وقوعكم في
المكروه شفيق بكم لا كبعض ابناء الجنس والاقارب لا اكترث لما اصابه قرينه حريص عليكم

على اصلاح

على اصلاح شانكم روى البخاري عنه انما انا لكم كالوالد للولد فاذا جئتم الغائط فلا تستقبلوا
القبلة ولكن شرقوا او غربوا بالمؤمنين رؤف رحيم بكافة المؤمنين زيادة في مدحه
اذ لم تنحصر رافته في اقاربه كما هو شان الجمهور وتقديم الرؤف وهو ابلغ على طريقة التتميم
وقيل رعاية للفاصلة فان تولوا بعد هذا الابلاغ والانذار فقل حسبي الله كافي ومعيني
اما هو اجابة لهم او في نفسك متسليا لا اله الا هو دليل على كفايته والاستغناء من غيره
عليه توكلت فوضت امري لا ارجو سواه وهو رب العرش العظيم الملك الذي لا يحاط
به او الجسم العظيم فوق السموات وعلى الوجهين ذكر لتقوية داعية التوكل والدلالة
على ان من هذا شانه جدير بان لا يرجى سواه اخر ما نزل من القران هاتان الايتان
وقيل واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله

سورة يونس مكية وهي مائة وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الر امال الف را من الر حيث وقع امالة تامة ابو عمرو وابن
عامر وابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي وورش بين بين لان الف را تنقلب يا
في التثنية كذا قاله الفرا حروف على نمط التعديد اي هذا المعجز مركب من مسميات هذه الاسماء
تقرعا لمن يشكر كونه من عند الله او اسم سورة كما تقدم تلك ايات الكتاب الحكيم
اثر لفظ تلك وان كان السورة في حكم الحاضر قصدا الى التعظيم او لكونها في حكم الغايب
لعلو درجاتها والكتاب السورة او القران باسره لقوله كتاب احكمت اياته ومعنى كونه
حكيما على اشتماله الحكمة او وصف له بوصف مؤلفه للاسلوب الحكيم اكان للناس عجبا
تعجيب للسامعين من تعجب الكفار ان اوحينا ايحاؤنا اسم كان عجبا خبره واللام في
للناس للبيان مثلها في هيت لك والمعنى ان هذا العجب مختص بهم ومحصله انهم
جعلوه اعجوبة لهم يتعجبون منه وصار علما عندهم في ذلك الى رجل منهم ما تشنى منهم ذو
نسب شريف وحسب منيف وان فاته شيء من متاع الدنيا الذي هو شين كانوا يقولون
بالتعجب لم يكن في الناس الا يتيم ابي طالب لولا انزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم ان انذر الناس كافة ان مفسرة لان الايحاء في معنى القول او مخففة حذف منها
ضمير الشان تقديره انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وبشر الذين
امنوا خص التبشير بالمؤمنين بخلاف الانذار فانه يعمهما ودل على مجرد الايمان كاف للتبشير
ان لهم قدم صدق عند ربهم بان لهم سابقة صدق وعن الاخفش التقديم فانهم قدموا
خيرا قبل لقاء الله ويحتمل ان يراد به ما سبق في علم الله من سعادتهم فيكون تسلية لهم وتطمينا
لقلوبهم من سوء الخاتمة او يكون تجريدا اي هم قدم صدق لما في الحديث حتى يضع الجبار
قدمه في النار اي طايفة قدمهم لها قال الكافرون ان هذا لسحر مبين اي القران وقرا
ابن كثير والكوفيون لساحر فالمشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه الرسم والمعنى
الصدق لان مناط الانكار كونه رسولا وهو رجل منهم اعترفوا برسالته وان انكروا الا ان السحر
يحتاج الى تعلم مع شرارة في الجبلة ونفس خبيثة وهو منزه عندهم عن ذلك ان ربكم الله الذي

خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر اي امر الكاينات على
وفق ما اقتضته حكمته ومن هذا شانه لا يخفى عليه من يكون اهلا للاصطفاء بالرسالة فتعجبهم
محل للتعجب ما من شفيع الا من بعد اذنه تقرير لعظمته وعز جلاله وعلو شانه وكبريايه وفيه
دليل على جواز الشفاعة باذنه ذلكم الله ربكم اي الجامع لهذه الصفات المستلزمة للالوهية
معبودكم لا غير فاعبدوه وحدوه بالعبادة افلا تذكرون ليوديكم الى ما هو الحق فانه لا يحتاج
الى تفكر وترتيب مقدمات بل مجرد التذكر كاف فيه اليه مرجعكم جميعا حث على التذكر والتوحيد
لان رجوع الكل اليه فيجب الاستعداد للقائه وعد الله مصدر موكد لنفسه لان قوله اليه
مرجعكم في معنى الوعد حقا مصدر اخر موكد لغيره وهو ما تضمنه وعد الله انه يبدؤا الخلق ثم يعيده
دليل على ان رجوع الكل اليه لا الى غيره لانه المتفرد بالابدا والاعادة ليجزي الذين امنوا وعملوا
الصالحات بالقسط علة للاعادة واشارة الى ثمرتها والقسط هو العدل من اقسط اذا عدل
لا من قسط فانه بمعنى ظلم قال الله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وهذا من غريب
اللغات والمعنى ليجزيهم بعدله ولا يضيع لهم شيئا من عملهم وبعدلهم في امورهم وما تحت
ايديهم لما روى البخاري كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته او بايمانهم لانه مشتمل كل عدل وهذا
اوجه لقوله والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون اي بسبب كفرهم
وانما اسند الى نفسه جزاء المؤمنين دون الكافرين تشريفا لهم بخلاف الكفار فانه اشار الى ان
ما اصابهم من العذاب ناشئ عن سوء صنيعهم هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا دليل اخر على
استحقاقه الانفراد بالعبودية ومع كونه دليلا نعمة جليلة بها ينتظم امر المعاش والضياء مصدر ضاء
بمعنى اضاء او جمع ضوء مثل حياض وحوض وهو اقوى من النور ولذلك نسب الى الشمس والقول
بان الضوء يكون للشيء بالذات والنور بالعرض فيكون نور القمر مستفادا من الشمس ليس له اصل
لغة وشرعا وقرا ابن كثير في رواية قنبل ضياء بهمزتين على قلب الياء او الواو ومكان الهمزة بعد
تقديمها ثم قلب الياء او الواو لتطرفها كما في رداء وكساء وقدره منازل اي سير القمر ذا منازل
لقوله والقمر قدرناه منازل وافراد القمر بذلك لان مناط الاحكام الشرعية السنة القمرية والاشهر
الهلالية ولذلك علله بقوله لتعلموا عدد السنين والحساب حساب الاوقات من الشهور والايام
والليالي ما خلق الله ذلك الا بالحق يفصل الايات لقوم يعلمون لانهم المنتفعون به وقرا ابن
كثير وابو عمرو وحفص يفصل بالياء اسندا الى ضمير الجلالة والباقون بالنون التفاتا وهو ابلغ اي
ذلك المذكور الا ملتبسا بالحق ليكون مناط المعاش ودليل توحيد الصانع ان في اختلاف
الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض من اجزائها واوضاعها وما فيهما من ساير
الكاينات لايات دلايل على وجود الصانع وكمال علمه وقدرته وتفرده بذلك لو كان
فيهما الهة الا الله لفسدتا لقوم يتقون خص التقوى بالذكر لانه الباعث على التفكر في شانها
والاعتراف بوحدانيته سبحانه ان الذين لا يرجون لقاءنا لا يتوقعونه ولا يخطرونه ببالهم
فالرجاء بمعنى التوقع او لا يامل حسن لقائنا حقيقة او سوء لقائنا فهو مجاز عن الخوف

ورضوا بالحيوة الدنيا بدلا عن الاخرة واطمانوا بها وسكنوا اليها سكون من يتيقن بالخلود
فبنوا القصور ونسوا القبور والذين هم عن اياتنا غافلون كالبهايم منهمكون في المعاصي
واللذات العاجلة وانما وسط العاطف باعتبار تغاير الوصفين وانهما نوعان متمايزان
ان الثاني منهما علة للاول او هما فريقان الاول من انكر البعث ولذلك اطمان والثاني
من اقر به ولكن شغله حب الفاني عن النظر والاعداد للباقي اولئك ماواهم النار بما كانوا
يكسبون باستمرارهم على كسب الكفر والمعاصي ان الذين امنوا وعملوا الصالحات جمعوا
بينهما يهديهم ربهم الى سلوك طريق الجنة بايمانهم بسبب ايمانهم الذي هو اساس كل
خير جمع بين الايمان والعمل الصالح اولا لانه في مقام الترغيب وافرده ثانيا اشارة الى
انه المنجي والسبب وما عداه مكمل للاجزاء ولا شرط فان قلت المضاف الى المعرفة يراد به المعهود
ولذلك يصير معرفة فيكون الايمان المضاف ذلك المعهود السابق وهو المقرون
بالعمل قلت ذلك من قبيل الخطابيات وقد دل دليل قطعي على ان مجرد الايمان كاف
وهو قوله اول السورة وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق والاحاديث الدالة على
ذلك متواترة المعنى وتسمية العاصي غير مهدي ان صح فبالنظر الى عدم سلوك طريق
الاستقامة تجري من تحتهم الانهار استيناف او خبر ثان في جنات النعيم خبر او
متعلق بتجري او حال من الانهار دعويهم فيها اي دعاؤهم لقولهم سبحانك اللهم
وقيل من الادعاء اي يدعون له من التوحيد والتنزيه ما كانوا يدعونه في الدنيا ويجوز ان يكون
الدعاء بمعنى العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله وليس العبادة منهم على وجه التكليف
بل تلذذا قال اسامي لم تزده معرفة وانما لذة ذكرناها وتحيتهم فيها سلام اي ما يحييهم به
الملائكة او الله سبحانه مصدر مضاف الى المفعول او تحية بعضهم بعضا فالى الفاعل واخر
دعويهم ان الحمد لله رب العالمين يقولون ذلك شكرا على ما اولاهم الاعين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ولو يعجل الله للناس الشر اذا استعجلوه عن
مجاهد هو قول الانسان لماله وولده اذا غضب اللهم العنه وقيل نزل في كفار مكة
حين قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء
استعجالهم بالخير اي تعجيله الخير اذا سالوه فوضع الاستعجال موضعه اشعارا بانه يجيبهم
اسرع اجابة كان استعجالهم نفس تعجيله لقضي اليهم اجلهم وقت الدعاء وقرا ابن عامر
قضى على بناء الفاعل ونصب اجلهم وهو المختار لمناسبته ما تقدم وما تاخر وعدم الاحتياج
الى الحذف فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون عطف على النفي الدال
عليه كلو لو كانه قيل لا يعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم الا انه وضع المظهر موضع المضمر
دلالة على ان ذلك المستعجل لم يؤمن بلقاء الله فلذلك اخبر في على تلك المقالة وقيل
الاية متصلة بقوله ان الذين لا يرجون لقاءنا وذكر المؤمنين للمقابلة وانما عبر عنهم
اولا بالناس تقطيعا للامر ثم صرح باسمهم ثانيا واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا

او قاعدا في حالاته كلها لان المضرور اما ان يهلكه المرض فهو مضطجع او يخف عنه بعض خفة فيقعد او يزول عنه وفيه بقايا فيقوم من غير حراك وانما استعمل اللام مع ان الظاهر على اشارة الى انه لشدة المرض مستقر على تلك الهيئة لا يمكنه غيرها لما في اللام من معنى الاختصاص ففيه زيادة مبالغة فلما كشفنا عنه ضره الذي الم به مر كان لم يدعنا الى ضر مسه استمر على ما كان عليه من الاعراض عن شكر نعم الله كان الغني لم يعرفوا ما اذا اكتسى ولم يك سعلوكا اذا ما تمولا كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون من الاشراك وصرف الاموال في غير مرضات الله وتكذيب الانبياء ونسبة السحر الى المعجزات والايات ولقد اهلكنا القرون من قبلكم يا اهل مكة قرونا كثيرة كانوا يعاملون الله ورسوله ما تعاملون انتم لما ظلموا بالاشراك وعبادة غير الله وجاءتهم رسلهم بالبينات لم يكن لهم معذرة فيما فعلوا لكون معجزات الرسل واضحة الدلالة على صدق دعويهم وما كانوا ليؤمنوا جحدا واستكبارا كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي القوم المجرمين نجزيكم فوضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان اهلاكهم بسبب عن اجرامهم وزاد لفظ القوم ليدل على انهم اعلام في ذلك وكل مجرم قبلهم تبع لهم ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم اسكناكم في الارض بعد القرون التي اهلكناهم لننظر كيف تعملون جهة اعمالكم وكيفيتها من الحسن والقبح فان المعتبر جهة الفعل لا نفسه وهو معمول تعملون لان النظر معلق بالاستفهام واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا اشار الى انهم خلف سوء وان عملهم لم يقع على جهة مرضية بل سلكوا مسالك المهلكين من القرون الاولى ولم يكن لهم باعث على هذا الا عدم اعتقاد الحشر فانهم دهريون التفت الى الغيبة تبعيدا لهم عن رتبة الخطاب ائت بقران غير هذا لا يكون فيه تسفيه ابائنا اصلا ولا سب الهتنا او بدله بان تجعل مكان اية العذاب اية الرحمة وموضع سب الالهة مدحها فالاول تغيير في الذات وهذا تغيير في الوضع قل ما يكون لي ان ابدله من تلقاء نفسي اجاب عن الثاني لانه الممكن له فان الاول ليس من مقدوره وان كان زعم الكفار انه من مخترعاته وهو قادر على الاتيان بمثله او لانه يستلزمه وتلقاء الشيء حذاءه وجهته ولما توجه تلقاء مدين ان اتبع الا ما يوحى الي ما شاني الا اتباع الوحي من غير زيادة ولا نقصان ليس الي التغيير والتبديل اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل على انهم لم يطلبوا منه التبديل من جهة الله بل من عند نفسه عذاب يوم عظيم وفيه اشارة الى انهم يستوجبون ذلك العذاب لانهم يسعون في تبديل كلام الله قل لو شاء الله ما تلوته عليكم فيه زيادة تبرئ عما ينسبونه اليه من انه كلامه لان نفس تلاوته بمشية الله فضلا عن ذلك المتلو ولا ادريكم به ولا انزله راسا وقرا ابن كثير في رواية قنبل ولادريكم بلام التاكيد اي لو شاء لاعلمكم به على لسان غيري فانه كلامه ليس على البشر الا تبليغه فانا وغيري سيان فقد لبثت فيكم عمرا من قبله اي عمرا معتدا به وهو اربعون سنة ايام الشباب والكهولة التي هي مظنة حب الجاه والرياسة ومحل صدور الهفوات وارتكاب ما لا يليق

من الحركات

من الحركات ولقد احسن هرقل لما سال عن سيرته صلى الله عليه وسلم ابا سفيان هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال لا وقد كان سأله عن عمره واخبر انه ادعى النبوة بعد اربعين سنة فقال هو نبي حقا لانه اذا لم يكذب على الناس في شبابه فكيف يكذب على الله في آخر عمره واليه اشار بقوله افلا تعقلون اي تستعملون عقولكم فان مجرد استعمالها كاف في ذلك بلا تكلف فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا احد اظلم منه قطع لاطماعهم والمعنى لو فعلت ذلك التغيير والتبديل كنت مفتريا على الله افتراء مما نسبوا اليه من زعمهم انه كلامه او تظليم للمشركين في اثبات الشركاء له لقوله ويعبدون من دون الله او كذب باياته الدالة على صدق مدعي النبوة انه لا يفلح المجرمون اثره على المضمر للدلالة على العلية ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وهي الاصنام فانها جماد ومن المعلوم انها لا تضر ولا تنفع وشان من يعبد ان يكون مثيبا معاقبا وهذا ناظر الى قبح فعلهم كما ان الاول ناظر الى بطلان قولهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله اي يعتقدون ذلك او يقولون اذا سالوا وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى وهبل قال ابو سفيان يوم احد بعد ما ظهر في المسلمين انكسار اعل هبل اعل هبل فقال رسول الله لاصحابه الا تجيبونه قالوا ما ذا نقول قال قولوا الله اعلى واجل ثم قال لنا عزى ولا عزى لكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا تجيبونه قالوا ما ذا نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم والقول بان اسافا ونايلة كانتا صنمين لاهل مكة ليس كذلك بل كانا رجلا وامراة زنيا في جوف الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين فجعل اساف على الصفا ونايلة على المروة ليكونا عبرة لمن يراهما كذا رواه البخاري قل اتنبئون الله بما لا يعلم وهو الشريك والشفاعة لكن لان ما لا يعلمه الله لا وجود له لشمول علمه فلو وجد لعلمه طريق برهاني بانتفاء اللازم على انتفاء الملزوم في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او ما يشركونه به تاكيد للنفي بناء على العرف يقولون لذي الانكار للشيء ليس هذا في السماء ولا في الارض او الزاي لاعتقاد المشركين ذلك او اريد بهما جهتا العلو والسفل وما كان الناس الا امة واحدة في عهد آدم قبل قتل هابيل او زمن نوح بعد السفينة اذ لم يذر الله على الارض من الكافرين ديارا او زمن ابراهيم كانوا كلهم كفارا فاختلفوا بعد ذلك الاتفاق على الحق او الباطل وصاروا فرقتين ولولا كلمة سبقت من ربك قضية قضاها في الازل بان يكون الدار الاخرة دار القضاء ومحل الجزاء لقضي بينهم في هذه الدار فيما فيه يختلفون بان يثاب المحق ويعاقب المبطل ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه اي من الايات المقترحة قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا الى غير ذلك عنادا وتماديا في الضلال والا فالقران النازل بلسانهم ايات لا تعد ولا تحصى وعبر بالمضارع وان كان القول منهم ماضيا اعلاما بانهم مستمرون على ذلك فقل انما الغيب لله مختص به لا سبيل لاحد اليه فلو اقتضت حكمته انزال

ما تشائونه لانزل فانتظروا العذاب والهلاك انى معكم من المنتظرين للعذاب النازل عليكم
واذا اذقنا الناس رحمة المشركين الناكبين عن الشكر من بعد ضراء مستهم مرض وقحط
وفي اسناد الاذاقة الى الرحمة دون الضر شان لا يخفى اذا لهم مكر في اياتنا احتيال في دفعها
والتكذيب بها دعا عليهم وقال اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الميتة
والجيف وكان الرجل ينظر الى السماء فيرى دخانا من شدة الجوع فجاء ابو سفيان وقال
يا محمد انك تامر بصلة الرحم وان قومك فيما هم فيه فادع الله ان يسقيهم فدعا فسقوا فعادوا
الى التكذيب وان ذلك باستحقاقهم لا بدعائه وقالوا سقينا بنوء كذا واذا الاولى شرطية والثانية
فجائية جوابها لقيامها مقام الفاء قل الله اسرع مكرا دبر جزاء مكركم قبل وقوعه ولما دلت
المفاجاة على السرعة ظهر وجه التفضيل والمكر منه تعالى استدراجهم والاطلاق عليه للمشاكلة
ان رسلنا يكتبون ما تمكرون مكركم او ما مكرتموه لا يخفى عليهم شيء منه فضلا عن خفائه علينا
وفيه مع الوعيد ايماء الى جهلهم بعلام الغيوب وشمول علمه هو الذي يسيركم في البر والبحر يخلق
فيكم دواعي السير فيهما وقرا ابن عامر ينشركم اي يبثكم فيهما وقراءة العامة اعم حتى اذا كنتم
في الفلك وجرين بهم اي بكم وانما التفت الى الغيبة لتذكر سوء فعلهم لمن يسمع ويعلم حالهم
وليس ما بعد حتى وحده هو الكون في الفلك غاية للسير ليتوهم اتحاد الغاية بل الغاية
الشرطية وما في حيزها من الجمل المتعاطفة نظيره ما سياتي في قوله انما مثل الحياة الدنيا
كماء انزلناه وجرين بريح طيبة لا تزعج الراكب الى التصبية والاولى للملابسة وفرحوا بها بتلك
الريح جاءتها ريح عاصف شديد هبوبها ولذلك لم تؤنث واصل العصف الكسر في
كل شيء يقال ناقة عصوف اذا كانت سريعة المشي وجاءهم الموج من كل مكان
من ساير الجهات وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين بدل من ظنوا بدل
الاشتمال لان دعاءهم من لوازم ظنهم ويحتمل الاستيناف كانه قيل فماذا صنعوا بعد
تلك الحالة وما جعل جاءت حالا ودعوا جوابا للشرط فلا يستقيم لان فرحهم بالريح الطيبة
لم يكن في حال مجيء العاصفة اي اذا شاهدوا اسباب الهلاك لم يذكروا الهتهم ووحدوا الله
ولم يخطر ببالهم غيره ورجعوا الى الفطرة التي فطر الناس عليها والاحاطة كناية عن الموت
ماخوذة من احاطة العدو لئن انجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على تقدير القول
اي قائلين هذا الكلام او هو مفعول دعوا لانه في معناه فلما انجاهم اجاب دعاءهم
اذا هم يبغون في الارض فاجئوا الافساد في جهات الارض واطرافها كان لم يشاهدوا
ذلك الامر يوما بغير الحق قيد به لان الافساد اخراج الشيء عن صلاحه وقد يكون بحق
كما فعله رسول الله من احراق زروع بني النضير وتخريب بيوتهم وكذلك الحكم في اموال
الكفار اذا لم يرج حصولها للمسلم يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم وباله لاحق بها او على
امثالكم لان من بغيتم عليه من ابناء جنسكم كلكم اولاد آدم متاع الحيوة الدنيا رفع على انه خبر بغيكم
والجار والمجرور صلته والمعنى تعدي بعضكم على بعض انتفاع قليل يضمحل ويبقى عقابه وقرا حفص

متاع بالنصب على انه مصدر فعل مقدر اي تتمتعون متاع الحيوة الدنيا المفعول به للفعل
المذكور او مفعول له والخبر محذوف والمعنى بغيكم على امثالكم لانتفاع قليل البقاء قبيح والرفع
هو المختار لسلامته عن الحذف ثم الينا مرجعكم بالموت او يوم القيمة فننبئكم بما كنتم تعملون
بالجزاء عليه انما مثل الحيوة الدنيا بين ان ما يتعدى لاجله الناس بعضهم على بعض هو
المتاع القليل الذاهب السريع الزوال وكشف القناع عن ذلك واوضحه بالا مزيد
عليه كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض اي حالها العجيبة في سرعة تقضيها
وزوال نعيمها بعد اقبالها مثل حال ماء نزل من السماء فاشتبك بسببه نبات الارض
واختلط بعضه مع بعض مما ياكل الناس والانعام من ساير انواعه حتى اذا اخذت
الارض زخرفها وازينت مثل الارض بالعروس لابسة انواع الملابس الفاخرة متزينة
باصناف الزينة من انواع الحلي واصل ازينت تزينت ادغمت التاء في الزاء فاجتلبت الهمزة
للابتداء بها وظن اهلها انهم قادرون عليها متمكنون من الانتفاع بها رعيا وحصدا
اتاها امرنا ليلا او نهارا اي ما امرنا باهلاكها من برد او صاعقة او خسف كما فعل لصاحب
الجنتين احيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها فجعلناها حصيدا جعلنا زرعها
كانه محصود في قطعه واستيصاله كان لم تغن بالامس كان لم يقم ولم يلبث زرعها
من غني بالمكان اذا اقام قال الاعشى طويل الثواء طويل التغني والامس مثل في الوقت
القريب والمشبه به مضمون الجمل المذكورة ووجه الشبه منتزع منها كلها وهي عشر جمل كذلك
نفصل الايات مثل هذا التفصيل الواضح نفصل ساير الايات لقوم يتفكرون في معاني
الايات ودقايقها فانهم المنتفعون بها والله يدعو الى دار السلام اي كل احد مؤمنا كان
او كافرا ودار السلام هي الجنة لعدم الامراض والافات فيها او لانها دار الله والسلام
من اسمائه تعالى وتخصيصه بالذكر هنا لا يخفى موقعه من الحسن او لان الملائكة تحيي المؤمنين
به حين الدخول او الله تعالى ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم بخلق الهداية والتوفيق
لمن سبقت عنايته به والصراط المستقيم هو الاسلام والدعاء الدالة الى ذلك الطريق لا غير
وفيه دليل على ان الامر ليس عين الارادة وان الضال لم يرد الله هدايته للذين احسنوا
اخلصوا اي ايمانهم الحسنى الجنة او المثوبة الحسنى وزيادة لقاء الله وقيل الحسنى جزاء العمل
وزيادة عشر امثاله الى سبعمائة ضعف الى ما شاء الله وقيل الزيادة رضوان الله لقوله و
رضوان من الله اكبر ولا يرهق وجوههم قتر لا يغشاها غبار ولا ذلة بل مصونون محفوظون
حاشين ظاهرهم وباطنهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون الموصوفون بتلك
الصفات اصحاب الجنة حال كونهم خالدين لا موت ولا خروج والذين كسبوا السيئات
كلها وهم الكفار عطف على قوله للذين احسنوا جزاء سيئة بمثلها عطف على الحسنى بالعاطف
الاول عطفا على معمولي عاملين مختلفين مثل في الدار زيد والحجرة عمرو او التقدير وجزاء الذين
كسبوا السيئات على انه مبتدا وجزاء سيئة بمثلها خبره والمعنى ان المسيء لا يزاد على جزاء فعله

روى البخاري ومسلم من همّ بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة ومن عملها كتبت له سيئة
وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم ما يعصمهم من سخط الله وعذابه على ان من صلة
عاصم قدمت عليه او ما لهم من عاصم من جهة الله او من عنده وعلى ان الجار والمجرور
حال قدمت ومن الثانية زائدة على الوجهين كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل
مظلما اي جعل غشاء وجوههم قطعا من الليل لفرط قيامها وشدة ظلامها وقرأ ابن كثير
والكسائي قطعا باسكان الطاء على انه مفرد بمعنى القطعة لان كل واحد له قطعة ومن الليل
على الوجهين صفة قطعا وكذا مظلما على الاسكان او حال لان النكرة موصوفة او حال من
المستتر في الجار والمجرور والمختار فتح الطاء لعدم التأويل وللتناسب اولئك اصحاب
النار هم فيها خالدون اذ لا حسنة لهم يجازون عليها ويخرج صاحب الكبيرة ويوم نحشرهم
جميعا اي الفريقين ثم نقول للذين اشركوا مكانكم اي الزموا مكانكم اسم فعل انتم مؤكد
للضمير المستتر في مكانكم لانه ساد مسد الزموا وشركاؤكم عطف عليه والمعنى لا تبرحوا مكانكم حتى
تنظروا ما ذا يفعل بكم وتشاهد والعجز من عبدتموه وعجز تدبير نفسه فضلا عن غيره فزيلنا بينهم
فرقنا بين المشركين وشركائهم من الزيل لغة في الازالة والمعنى قطعنا الوصل التي كانت
بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون القائل المسيح والملائكة او الاصنام ينطقها الله
زيادة في النكاية مكان الشفاعة التي كانوا يرجونها كقوله تعالى اذ تبرأ الذين اتبعوا من
الذين اتبعوا فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم تفريع على قولهم المقدر اي فيقول المشركون بل عبدناكم
وينكرون مقالة المعبودين فيقولون كفى بالله شهيدا ان وقع ذلك فانه عالم بكنه الاشياء
ان كنا عن عبادتكم لغافلين ما كنا الا غافلين لم نأمر بذلك ولم نرض به هنالك في
ذلك المقام او الزمان مستعار له كقوله هنالك يجزيني الذي كنت اصنع تبلو كل نفس ما اسلفت
من البلاء بمعنى الاختبار اي تعرف كل نفس حقيقة ما عملت من حسن وقبيح وقبول ورد وقرأ
حمزة والكسائي تتلو من التلو وهو التبعية اي تتبع عمله اما الى الجنة او الى النار
او ما كان تعبده لما روى البخاري اذا كان يوم القيمة تتبع كل امة ما كانت تعبده وتبقى
هذه الامة وفيها منافقوها فيأتيهم الله في صورة لم يعرفوها فيقول انا ربكم فيقولون كلا لا نبرح
مكاننا حتى يأتينا ربنا فيكشف لهم عن الساق فيخرون له سجدا الا من كان منافقا فانه لم
يقدر على السجود ويصير ظهره طبقا ومن التلاوة لقوله ونخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا
اقرأ كتابك وردوا الى الله مولاهم الحق الثابت ولايته وربوبيته والذي يتولى ثوابهم وعقابهم
من غير ظلم بل يجازي كلا بعمله على قدره وضل عنهم ما كانوا يفترون ضاع وبطل ما كانوا يدعونه
من الشركاء او من شفاعتهم قل من يرزقكم من السماء والارض بانزال المطر من السماء والانبات
من الارض او رزقه بانواع اخر من دلائل التوحيد على وجه لا يقدرون على انكار شيء منها امن
يملك السمع والابصار يقدر على خلقهما غيره تعالى لان عقول الخلق عاجزة عن ادراك ما
اودع فيهما وحفظهما لانهما جوهران لطيفان يتأثران بأدنى شيء ومن يخرج الحي من الميت الحيوان

من النطفة

من النطفة او النبات من الحبة والنوى ويخرج الحي من الميت النطفة والحبة من الحيوان
والنبات ومن يدبر الامر امر العالم العلوي والسفلي تعميم بعد التخصيص فسيقولون الله
لا يجدون جوابا غيره فقل افلا تتقون بطشه وسطوته باشراككم فذلكم الله ربكم اي فاذا اعترفتم
انه المنفرد بالايجاد والكلاءة فذلك الموصوف هو المنفرد بالالوهية والربوبية الحق الثابت
الربوبية في الواقع لا من يسمونه فماذا بعد الحق الا الضلال لا شيء بعد الحق الا الضلال لعدم
الواسطة فانى تصرفون عن الحق الى الباطل تعجيب لهم عن حالهم كذلك حقت كلمة ربك
اي كما حقت الربوبية له تعالى او كما ان بعد الحق الضلال او انهم مصروفون عن الحق حقت
كلمة الله وحكمه على الذين فسقوا تمردوا في الكفر وبلغوا الحد الاقصى انهم لا يؤمنون بدل من
الكلمة اي حق عليهم عدم الايمان وانتفاؤه عنهم او عدة لهم بالعذاب لقوله حقت كلمة
العذاب على الكافرين وانهم لا يؤمنون تعليل له وفيه دلالة على ان حقيقة العذاب اللازم
للكفار انما كان لاجل انتفاء الايمان فيدل على نجاة المؤمن وان كان فاسقا قل هل
من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده اي ليس فيهم من هذا شأنه وهم وان لم يقولوا بان
الاعادة من خواص الالوهية لعدم اعترافهم بالاعادة راسا لكن لظهور امرها ووضوح
برهانها جعل منكرها منكر الامر مسلم لا يعبأ بانكاره قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده امره بالجواب
لانهم بكم لا ينطقون بالحق فانى تؤفكون فكيف تصرفون عن قصد السبيل قل هل من
شركائكم من يهدي الى الحق تنزل معهم كانه قيل هم عن بدء الخلق واعادته بمعزل لكن
اقل شؤون الاله وصفاته ان يكون مرشدا الى الصواب وقد سبق ان هدى يأتي لازما
ومتعديا الى مفعولين بنفسه يقال هديته الطريق والى الثاني بالى او باللام ولا فرق في المعنى
ويجيء بمعنى النقل كما في الهدية وهدى الحاج والقول بان ما يسند الى الله يستعمل بالى يرده
قوله قل الله يهدي للحق وقوله اهدنا الصراط المستقيم ويهدي من يشاء افمن يهدي الى الحق
احق ان يتبع امن لا يهدي الا ان يهدى اي لا يهتدي بنفسه على انه لازم او لا يهدي
غيره الا ان يهدى ويعرف هذا على قراءة حمزة والكسائي على انه مضارع هدى وقرأ ابو بكر
عن عاصم بكسر الياء والهاء وتشديد الدال على ان الهاء كسرت لالتقاء الساكنين والياء
للاتباع وحفص بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال لما ذكر الا انه لم يتبع الياء وقرأ قالون
عن نافع وابو عمرو بفتح الياء واختلاس فتح الهاء والتشديد اشارة الى عدم اصالة الكسرة
وورش وابن كثير وابن عامر بفتح الياء والهاء وتشديد الدال على ان الهاء حركت بالفتح
قرارا عن نقل الكسرة مع التاء كما فتحوا الميم في الم الله وفي هذه الوجوه مضارع اهتدى ادغمت
التاء في الدال للتشارك في المخرج والقول بان ابا عمرو قرأ بالادغام المجرد ولم يبال بالتقاء
الساكنين سهو لان ابا عمرو مختلس ونقل عن قالون السكون فما لكم كيف تحكمون تعجيب
عن حالهم كيف خفي عليهم هذا الامر الجلي وهم يدعون انهم عقلاء مراجيح وما يتبع اكثرهم الا
ظنا اي في اقرارهم بالله والوهيته لانهم مقلدون اباءهم في ذلك من غير استدلال او في انما

يعبدونه اله قيد بالاكثر لان بعضهم شاك حاير وبعضهم مستيقن معاند وجحدوا بها واستيقنتها
انفسهم او المراد بالاكثر الجميع ان الظن لا يغني من الحق شيئا من الاغناء او شيئا مفعول
والحق هو الثابت الذي لا يتبدل بتبدل الشرايع كالتوحيد وساير الاصول والعقايد
فان الظن لا يفيد فيها بل لا بد فيها من دليل قاطع ان الله عليم بما يفعلون من
التقليد والظنون الحق التي لا يغني من الحق شيئا وما كان هذا القران ان يفترى من
دون الله رجع الى ما كان بصدده من بيان حقية القران فان السورة مصدرة
بذلك ساق دلايل توحيده وربوبيته على ارشق اسلوب واحسن انتظام ثم كر الى نفي
الريب عن كونه كلامه والمعنى ما صح وما استقام وكان محالا عند العقل ان يكون مثله
في علو الشان والاعجاز مفترى ومختلقا اذ ليس في وسع احد الاتيان بمقدار ثلث ايات
تدانيه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القران لا ياتون بمثله
ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولكن تصديق الذي بين يديه من ساير الكتب السماوية
شاهد على صدقها لانه معجز دونها فكيف يكون مفترى جعله نفس التصديق مبالغة على طريقة
رجل عدل وتفصيل الكتاب ومفصل الاحكام المكتوبة على المكلفين او اللوح المحفوظ
فانه فصل فيه ما هو مكتوب هناك لقوله بل هو قران مجيد في لوح محفوظ لا ريب فيه خبر آخر
لكان او حال عن اسمه من رب العالمين حال من ضمير فيه او من الكتاب او متعلق بتصديق
او تفصيل ولا ريب فيه اعتراض على الوجوه الثلثة ام يقولون افتريه بل ايقولون اختلقه
محمد واستبعاد لصدور هذا القول منهم والحال انهم عاجزون عن الاتيان بمقدار اقصر سورة
منه قل فاتوا بسورة مثله في تلك البلاغة وحسن النظم اي سورة كانت لا تفاوت بالطول
والقصر وادناها ثلث ايات وادعوا من استطعتم من دون الله من شئتم وقدرتم عليه في
الاتيان بمثله كاينا من كان من خلقه فانه عاجز عن ذلك ان كنتم صادقين انه مفترى
لانكم باشرتم التعريض والخطب والاتي به لم يكن يباشر شيئا من ذلك بل كذبوا بما لم
يحيطوا بعلمه اضراب عن دعائهم الى التحدي وانهم لا يستاهلون ذلك الى حالة اخرى لهم
اشنع من الاولى وهي الجهل اذ لا شيء اقبح منه فان العناد ربما يستحسن ومن امثالهم عاند
من يطيق له عنادا والمعنى انهم قبل التدبر في نظمه والاحاطة بخواص تراكيبه سارعوا الى تكذيبه
فاذا عاندوا او نسبوه الى الافتراء بعد العجز عن الاتيان بمثله لا يستبعد ذلك منهم ولما ياتهم
تاويله ما يؤول اليه من صدق اخباره بالمغيبات وانما اثر لان التاويل كان متوقعا
منتظرا فكان المسارعة الى التكذيب نوعا من الجهل وقيل قوله ام يقولون افتريه فيمن علم
اعجازه وانكر عنادا وقوله بل كذبوا في حق من كان شاكا والوجه هو الاول وعليه ينطبق النظم
كذلك كذب الذين من قبلهم انبياءهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين الخطاب
لرسول الله او لمن يتاتى منه النظر وفيه اشارة الى انه سيحل بهم ما حل باولئك ومنهم من
يؤمن به بانه كلامه تعالى وان انكر بلسانه ارادوا بالايمان مجرد التصديق دون الاذعان والا

كان مؤمنا حقا او سيؤمن به حقيقة كمن اسلم منهم ومنهم من لا يؤمن به في الحال او في
الاستقبال وربك اعلم بالمفسدين المعاندين او المصرين والوجه هو الاول لان المصر
ليس له باطن يخالف ظاهره وان كذبوك اي وان كانوا كذبوك ولم يرعووا عنه بعد
الزام الحجة فقل لي عملي ولكم عملكم اي لي جزاء عملي ولكم جزاء عملكم منسوخ باية السيف لدلالته على
اباحة المتاركة انتم بريئون مما اعمل وانا بريء مما تعملون لا يؤاخذ احد منا بجريرة الاخر كما
لا ينتفع بصالح عمله ومنهم من يستمعون اليك من الكفار من يستمع اليك اذا قرات
القران او علمت الشرايع استماعا لا تدبر معه ليوصلهم الى درك دقايق معانيه بل
يسمعون الفاظا مجردة تشبه عندهم الصدى والدوي ناظرا الى قوله بل كذبوا بما لم يحيطوا
بعلمه افانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون انكار لوقوع الاسماع مع اجتماع هاتين
الصفتين لان الاصم اذا كان عاقلا ربما تفرس من دوي الصوت او درك المقصود
من الاشارة واذا انضم الى فقد السمع سلب العقل فقد تم الامر ومنهم من ينظر اليك
افرده نظرا الى لفظ من وجمع الاول باعتبار المعنى تفننا اي ومنهم من يشاهد دلايل نبوتك
او ينظر اليك ولم يصدق بشيء منها عنادا كما راى عبد الله بن سلام رسول الله وهو جالس
بقباء مقدمه من مكة فقال وجهه ليس وجه كاذب ثم ساله عن مسائل فاجابه عنها فآمن
في ساعته افانت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون اي لست قادرا على ذلك لان العمى
اذا انضم اليه فقد البصيرة لا يمكن هدايته صاحبه شاهدنا رجلا اعمى متوجها من بيت المقدس
الى فلسطين وحده وبين له ضعيف مسيرة يوم ويجوز ان يكون الابصار رؤية البصر والمعنى
لست قادرا على هداية فاقد البصر ويكون تاكيد العمي لانه ربما يكون معه نوع رؤية ان الله
لا يظلم الناس شيئا لا ينقص منهم ما يحتاجون اليه في المعاش وما يستدلون به الى تحصيل
المعاد من الحواس والعقل والقوى ولكن الناس انفسهم يظلمون بتفويت منافع الحواس
وصرفها الى غير ما خلقت له والاعراض عن سماع الحق واجتلاء الايات في الافاق والانفس
وفي الاية دليل على ان الانسان مختار في افعاله له كسب هو مناط الثواب والعقاب وقرا
حمزة والكسائي ولكن مخففا ويوم يحشرهم كان لم يلبثوا الا ساعة من النهار يستقصرون
مدة لبثهم في الدنيا لان ايام السرور قصار او في القبور لما يشاهدون من اهوال القيمة
والجملة في موضع الحال اي مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة قرا غير حفص نحشرهم بالنون التفاتا
وهي ابلغ من الياء للتهديد بدليل وحشرناهم ونحشرهم يوم القيمة يتعارفون بينهم يعرف
بعضهم بعضا لقرب الزمان وهذا عند خروجهم من القبور واما اذا اشتد الهول فلا يسال
حميم حميما والجملة بيان للتشبيه لان التعارف لا يبقى مع طول العهد او متعلق الظرف
اي يتعارفون يوم يحشرهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله استيناف فيه معنى التعجب
كانه قيل ما اخسر من كذب بلقاء الله او حال بتقدير القول اي يتعارفون بينهم قايلين
ذلك وما كانوا مهتدين عارفين بطريق التجارة او لم يدخلوا في زمرة المهتدين وهذا تاكيد

لكونهم صما عميا واما نرينك بعض الذي نعدهم من العذاب في الدنيا كما اراه يوم بدر
او نتوفينك قبل اراءته فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب الاول محذوف اي
فذاك والمعنى انك ظافر بعدوك اما في الدنيا او في الآخرة لا محالة فلا تحزن من تكذيبهم
ثم الله شهيد على ما يفعلون بعد رجوعهم اليه بان ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم
بما كانوا يكسبون او ذكرت الشهادة واريد مقتضاها اي يعاقبهم على افعالهم ويحتمل ان
يراد التراخي الرتبي لان شهادة الله عليهم بالكفر اشق من الرجوع اليه والعذاب
او هو على التقديم والتاخير اي ان توفيناك فالله شهيد بعدك على افعالهم فالينا مرجعهم
واختيار ثم على الفاء على هذا التقدير للتفاوت بين الشهادتين وقد روى البخاري انه
صلى الله عليه وسلم قال يؤتى باناس من امتي وانا واقف على الحوض فيؤخذ بهم ذات
الشمال فاقول اصحابي اصحابي فيقال انك لم تعلم ما احدثوا بعدك فاقول كما قال
عيسى بن مريم وكنت شهيدا عليهم ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب
عليهم ولكل امة رسول يدعوهم الى الله ويهديهم فاذا جاء رسولهم فكذبوه قضى بينهم
بالنجاء للرسول واهلاك قومه تسلية لرسول الله ووعيد لقومه او يوم القيمة يقضى بينهم
لقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالقسط بالعدل وهم لا يظلمون تاكيد وتصريح
بما علم ضمنا ويقولون متى هذا الوعد هذا الموعود انكار لصدقه بقوله ان كنتم صادقين
خطاب للنبي والمؤمنين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا دفع سوء ولا جلب نفع لنفسي
التي هي اقرب الاشياء الي واهم فكيف املك لكم وانما قدم الضر هنا واخره في الاعراف
لان الكلام هناك في الساعة وعدم الاطلاع على وقتها فكان الاهم النفع واعداد
العمل الصالح لها ولذلك اردفه بقوله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير الكلام
هنا في وقوع العذاب ولا شك ان الاهم دفعه الا ما شاء الله استثناء منقطع اي لكن ما شاء الله
من ذلك كائن او متصل اي الا ما شاء الله ان املكه فانه يقدرني عليه لكل امة اجل بيان
لتاخر العذاب وجواب عن استبطائهم اذا جاء اجلهم المضروب لاهلاكهم فلا يستاخرون
ساعة ولا يستقدمون فلا وجه للاستعجال لعدم امكان التبديل وسينجز ما وعد قل ارايتم
ان اتاكم عذابه تسفيه لاحلامهم بان ما يستعجلونه لا وجه لاستعجاله بياتا اي وقت بيات
وهو النوم نصب على الظرف او نهارا اي وقت اشتغالكم باسباب المعاش لم يذكر الليل
في مقابلة النهار لانه اراد الاشارة الى انه وقت نوم وغفلة ليدل على انه الوقت الذي
تفرص فيه غرة العدو بخلاف النهار فانه مناط المعاش ماذا يستعجل منه المجرمون هي
اي فرد من افراده يستعجلون مع انه لا فائدة في شيء منها لان العذاب كله مر المذاق
يجب الفرار منه وعلى هذا من تبعيضية او معنى الاستفهام التعجب اي اي شيء هائل من
العذاب تستعجلون فمن للبيان لان ذلك الشيء هو العذاب نفسه وتحقيق المقام
مبني على الوجوه ثلثة الاول ان ماذا متعلق بارايتم لانه بمعنى اخبروني ويقدر للشرط

جواب

جواب ولما كان في هذا الاستفهام توبيخ وتجهيل لهم فيقدر في الجواب ما يدل على الخطاء
والندامة ويكون الشرط والجزاء مقررا لمضمون الاستخبار ولذلك وسط بينه وبين متعلقه
والثاني ان يكون ماذا يستعجل جواب الشرط والمعنى اخبروني ان اتاكم عذابه فاي شيء
يستعجلون منه ولا موضع للاستعجال ثم قيل على الوجهين اثم اذا ما وقع امنتم به على معنى
ان العذاب اذا وقع امنتم به وجاء تكذيبكم تصديقا واذعانا وفيه زيادة تنديم
وتجهيل لهم وان هذا الايمان والاذعان ادخل في الانكار من استعجال العذاب
ولذلك جيء بثم ووضع المظهر موضع المضمر للدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام
لان من حق المجرم ان يخاف العذاب ويسعى في استدفاعه فضلا عن استعجاله
الثالث ان يكون اثم اذا ما وقع جواب الشرط وماذا يستعجل اعتراض واصل الكلام
لان اتاكم عذابه بياتا او نهارا اذ تحقق امنتم ثم جيء بحرف التراخي بدل الواو استبعادا
لما فعلوه ثم زيد اذا الشرطية دلالة على استقلاله بالاستبعاد وان الاول تمهيد له واكد بما تحقيقا
لمعنى الوقوع وزيادة تجهيل لهم بانهم لم يؤمنوا الا بعد ان لا ينفعهم البتة وانما ادخل الهمزة على ثم
لانه مصب الانكار وهذا الوجه ابلغ معنى الآن على ارادة القول اي قيل لهم اذا امنوا
بعد وقوع العذاب الآن يؤمنون توبيخا لهم والآن هو الوقت الذي انت فيه ظرف
غير متمكن وقع معرفة وليست اللام فيه للتعريف وقرا نافع بالقاء حركة الهمزة الى اللام
وحذفها وقد كنتم به تستعجلون تكذيبا واستهزاء ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المقدر قبل
الآن ذوقوا عذاب الخلد المؤلم على الدوام هل تجزون الا بما كنتم تكسبون يقال لهم ذلك
دفعا لتطلعهم ويستنبئونك احق هو اي ما تدعيه من وقوع العذاب يقولونه انكارا وتكذيبا
ولا دليل في قوله يستنبئونك على ان الاستفهام على اصله لكونهم جازمين بكونه كذبا كيف
وهم الذين يقولون ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء وهو
مبتدا والضمير مرتفع به ساد مسد الخبر او خبر مقدم قل اي وربي انه لحق اكده بانواع من
التاكيد لقوة انكار المخاطب واصراره واي بكسر الهمزة كلمة تصديق بمعنى بلى يتقدم القسم
لا يستعمل مفردة وقيل الضمير للقران او لادعاء النبوة ولا يلايم المقام ويرده قوله وما
انتم بمعجزين اي فائتين العذاب ولو ان لكل نفس ظلمت اشركت ما في الارض
من الاموال والدفائن لافتدت به جعلته فدية لها والفدية والفداء ما تفدى به الشيء
واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم من شدة الامر وبغاتته لم يقدروا على بكاء ولا
عويل كما يفعله المصاب بل يسرون الندامة والحسرة وكثيرا ما ترى من له ولد عزيز عليه
اذا مات يبقى كالجماد ولا يسيل له دمع ولا يقدر على صراخ وقيل اسروها اي اظهروها لان
الكلمة من الاضداد وقيل اسروها من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من التوبيخ
وقيل اسروها اخلصوها من سر الشيء لخالصه لانه يخفى ويضن به وقضى بينهم بالقسط بين
المؤمنين والكافرين او بين الرؤساء والاتباع او بين المشركين لحمل ذنوب المظلوم

عمل من ظلمه وليس فيه تكرار لان الاول بين الانبياء ومن كذبهم وهم لا يظلمون بل يجزون
على قدر ذنوبهم فان الكفار متفاوتون في العذاب الا ان لله ما في السموات والارض
مختص به هو المثيب والمعاقب الا ان وعد الله حق ثابت لا محالة دليل على ان القضاء
بين الظالم والمظلوم كاين وصدر الجملتين بحرف التنبيه ايقاظا على سنة الغفلة ولكن
اكثرهم لا يعلمون لانهماكهم في الشهوات وعدم تفكرهم في اثار صنعه هو يحيي ويميت متفرد
بذلك لا كما يقولون ما يهلكنا الا الدهر واليه يرجعون بعد الموت لا الى غيره يا ايها الناس
قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى رجع الى بيان فضايل القران الموعظة
النصح مصدر بمعنى الوعظ والقران لاشتماله على الدلايل القطعية الدالة على التوحيد وساير العقايد
موعظة وباعتبار قبولها والتدبر فيها شفاء لداء الجهل فانه مرض للقلب ان لم يداو وبذلك قوي
وتبعه الهلاك ورحمة للمؤمنين لمن امن به منكم خصها بهم لانهم المنتفعون به هذا لكن وضع
ترياقا بين طايفة تناولوا اسما قاتلا وقال لهم ان فيه شفاء لدائكم واني انا الطبيب الماهر فصدقه
بعضهم فكان فيه شفاؤه ولم يلتفت اليه اخرون فكان في ذلك حتفهم قل بفضل الله وبرحمته
فبذلك فليفرحوا تقدير الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا فالتقديم للاختصاص
اي بهما فليفرحوا لا بغيرهما من متاع الدنيا والتكرير للتاكيد لان اسم الاشارة بمنزلة الضمير
واشارة لاشتماله على زيادة كمال التمييز فيفيد زيادة تقرير وتثبيت وحذف احد الفعلين
لدلالة المذكور عليه والفاء جواب شرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح والفضل
هو الاسلام والرحمة القران او سماه احد وتوسيط العاطف باعتبار الصفات وهذا اوجه
والصق بالمقام هو خير مما يجمعون قراه ابن عامر بالخطاب التفاتا الى الكفار وهو المختار
لانه ابلغ في النصح قل ارايتم ما انزل الله لكم من رزق بيان ما وما مفعول انزل ان كانت
استفهامية وان كانت موصولة يتعلق بارايتم اي اخبروني وفايدة لكم الامتنان عليهم
كما في قوله خلق لكم ما في الارض لا الدلالة على ان الرزق اريد به ما حل منه لان الكلام
مع المشركين الذين يجعلون بحيرة وسايبة وحاما ووصيلة فجعلتم منه حراما وحلالا ولذلك
وبخهم بقوله قل الله اذن لكم في ذلك التحريم والتحليل ام على الله تفترون والمعنى اخبروني
اي الامرين كاين الاذن من الله ام الافتراء منكم عليه اذ لا حاكم غيره وعلى هذا ام متصلة
لانها مع الهمزة متعاقبان ويجوز ان يكون منقطعة اضرابا عن ان يكون الاذن من الله
وتقرير الافتراء وهذا ابلغ في الوعيد والزجر ويدل عليه قوله وما ظن الذين يفترون على الله
الكذب يوم القيمة اي اي شيء ظن المفتري على الله في ذلك اليوم ابهمه تعظيما للشان الوعيد
ان الله لذو فضل عظيم بالعقل المميز والرسل الهادين وانزال الرزق ولكن اكثرهم
لا يشكرون تلك النعم وما يكون في شان لما طال محاجته مع الكفار واقامة البراهين
القاطعة على فساد ما يدعونه من الشريك وقبح اعمالهم من التحريم والتحليل افتراء على الله شرع
في تسليته بان ما يقاسيه معهم من المشاق ليس بشيء منه الا وعلمه محيط به يجازيه عليه يوم الجزاء و

والشان

والشان لغة مصدر شانت شانه اذا قصدت قصده وما تتلو منه من قران من ذلك الشان
لان تلاوة القران اعظم شؤون رسول الله او من التنزيل لان كل جزء منه قران والاطلاق على
الكل والجزء والاضمار قبل الذكر للتفخيم او الضمير لله ومن ابتدائية ولا تعملون من عمل اي عمل كان
عمم الخطاب بعد ان خصص سيد القوم بما كان فيه فخامة اجلالا لمنصبه ورفعا لجنابه الا كنا
عليكم شهودا مطلعين على احوالكم رقباء اذ تفيضون فيه وقت شروعكم فيه لا يفوتنا منه
شيء من افاض في الامر اندفع فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة ما يبعد ويغيب
عن علمه ما هو اقل قليل فكيف بما فوقه قراه الكسائي بكسر الزاء والباقون بالضم وهما لغتان
والكسر افصح لانه اخف في الارض ولا في السماء اي في الجهات السفلية والعلوية وتقديم الارض
لان الكلام مع اهلها ولان العامة يظنون بعدها ولا اصغر من ذلك ولا اكبر قراه حمزة
برفع الاسمين عطفا على محل من مثقال لانه فاعل في المعنى والباقون بالفتح على اللفظ او
على ذرة وذلك الفتح جر لانهما غير منصرفين الا في كتاب مبين استثناء منقطع والمعنى
لا يعزب عنه شيء من الاشياء لكن كله في كتاب مبين على ان الكتاب علمه او اللوح او متصل
من قبل قوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وقيل كلام برأسه لا عطف هناك
على المحل او اللفظ بل الفتح على ان لا نافية للجنس والرفع على الابتداء وعلى التقديرين الا في
كتاب خبره والجملة مقررة لما قبلها الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون
كانه لما ذكر احاطة علمه بالاشياء كلها كان مظنة ان يسرع الخوف الى قلوب المخلصين
اذ ما من احد الا وله نوع تقصير تقتضي البشرية ازال ذلك بان اولياءه لا خوف عليهم
من وصول مكروه ولا حزن من فوات محبوب الذين امنوا وكانوا يتقون تعريف لهم
وتمييز عما عداهم وقيل نصب او رفع على المدح او مبتدا والخبر قوله لهم البشرى والوجه هو
الاول لهم البشرى في الحيوة الدنيا بما انزل الله في كتابه من البشارة عليهم في مواضع شتى وقيل
من الرؤيا الصالحة فانها جزء من النبوة كما نطق به الحديث او بشرى الملايكة لهم عند
حلول الاجل وفي الاخرة تتلقاهم الملايكة بالسلام والبشارة او سلام الله لقوله سلام قولا
من رب رحيم لا تبديل لكلمات الله لا خلف لمواعيده مؤكد لقوله لا خوف عليهم ولقوله لهم البشرى كانه
قيل لا خلاف في وعده ذلك هو الفوز العظيم اي المبشر به وهذه الجملة والتي قبلها معترضتان
للتاكيد والاولى معترضة وهذه تذييل ولا يحزنك قولهم بانهم يقتلونك او يسلطون
عليك من يباشر قتلك وفي الحديث كان ابي بن خلف يقول لي فرس اطعمه كل
ليلة فرقا من الشعير ساقتلك عليه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتلني ولكن اقتلك
وكان كذلك قتله يوم احد بيده صلى الله عليه وسلم ان العزة لله جميعا استئناف للتعليل
اي الغلبة والقهر لله جميعا لا مؤثر للكاينات غيره وقد وعدك النصر والغلبة هو السميع
لاقوالهم العليم بضمايرهم او بمن له النصر والغلبة او بمن هو اهل لذلك الا ان لله من في
السموات ومن في الارض من الملايكة والثقلين اقتصر على ذوي العقول لكون غيرهم داخلا

بالطريق الاولى او فيه تغليب واتى بحرف التنبيه واكد الكلام بان اشارة الى شدة غفلة
السامعين وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان من في السموات والارض
مملوك المتعالى لا يصلح شريكا في الالوهية ممن سموه شريكا اسم بلا مسمى ويجوز ان يكون ما استفهامية
مفعول يتبعون وشركاء مفعول يدعون والمعنى اى شيء يتبعون هؤلاء الذين يدعون
شركاء من دون الله اذا كان من في السموات ومن في الارض مملوكا له تعالى تقرير لجهلهم
ان يتبعون الا الظن الذي لا يجدي في الاصول والعقائد وان هم الا يخرصون يكذبون
في دعواهم او يقدرون ويحزرون في انفسهم ما لا وجود له هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه
والنهار مبصرا جعل الليل مظلما بواسطة سكونكم عن الاعمال الشاقة اذ لولاه لحملهم الحرص
على ادارات انفسهم على الدوام وجعل النهار مضيئا يبصرون فيه ويسعون في طلب المعاش
ولما في الدليل المذكور من الجلاء ختم الآية بقوله ان في ذلك لايات لقوم يسمعون سماع
تدبر فانه لا يحتاج الا الى القاء السمع دون اعمال روية وتكثير مقدمات قالوا اتخذ الله ولدا
نوع آخر من جهالاتهم وهو نسبة الولد اليه وذلك ان المشركين كانوا يقولون الملائكة بنات الله
وحمل الاتخاذ على التبني سهو لانهم كانوا يقولون بالولد حقيقة ولذلك رد عليهم بقوله انى يكون له
ولد ولم تكن له صاحبة سبحانه تنزيه له عن ذلك هو الغني دليل على بطلان ما قالوا لان الولد
انما يطلب ليكون ظهيرا في حيوة والده وقائما مقامه بعد وفاته ومن استغنى عنه الاحتياج من
كل وجه ماذا يفعل بالولد له ما في السموات وما في الارض تقرير لغناه وان ما فيهما ملك له وهو
ينافي الولد وفيه اشارة الى انهم جاهلون متناقضون ان عندكم من سلطان بهذا التفت
اليهم توبيخا وتكذيبا لهم على سبيل المخاطبة والمعنى ما عندكم من سلطان ودليل قاطع على ما تدعونه
والاعتقادات لا بد لها من برهان وبهذا متعلق بالظرف على ان من سلطان فاعل
الظرف لاعتماده على النفي او متعلق بسلطان لان فيه معنى الفعل ونعت له اتقولون
على الله ما لا تعلمون تقرير وتوبيخ على نسبتهم الى الله ما لا علم لهم به قل ان الذين يفترون
على الله الكذب خاطبهم اولا ثم لما جهلهم اعرض عنهم وامر الرسل اليهم بان يخاطبهم
بان الذين ينسبون الولد اليه او الشريك او ما لا يليق به لا يفلحون في الآخرة بالنجاة من
النار والفوز بالجنة متاع في الدنيا لهم تمتع فيها او افتراؤهم تمتع قليل فانهم بذلك يقيمون
رياستهم بين قومهم ثم الينا مرجعهم بالموت ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون
لاجل كفرهم وكلمة ثم للتراخي الرتبي لان الكافر بالموت ساقط في العذاب الا ان
عذاب جهنم اشق ولذلك قالوا من بعثنا من مرقدنا واتل عليهم نبأ نوح لما استوفى دلائل
حقية القرآن وتبين بذلك صدق من ارسل به واردف ذلك بدلائل وحدانيته امر رسوله
بان يتلو عليهم بعض اقاصيص المكذبة الذين اهلكهم الله واستأصلهم ليكون ذلك زاجرا
وبدأ بنوح لانه اول نبي عذب قومه ولانهم كانوا عبدة الاوثان مثل قريش اذ قال لقومه
متعلق بنبأ يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي شق عليكم قيامي بين اظهركم داعيا الى الله مكث

الف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله ولذلك قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا
او بعضي وكوني يقال فعلت هذا المكان فلان اى لاجله وتذكيري بآيات الله بالدلائل الدالة
على وحدانيته او الدالة على صدق نبوتي فعلى الله توكلت لا غيره من الاسباب فاجمعوا امركم
اقصدوه واعزموا عليه من الجمع بمعنى العزم وامرهم كيدهم الذي كانوا يخفونه كقوله فاجمعوا
كيدكم وشركاءكم مفعول معه الواو بمعنى مع وروى عن نافع اجمعوا بالوصل من الجمع
فيجوز نصب شركاءكم بالعطف على المفعول ثم لا يكن امركم عليكم غمة اى بعد اجماعكم على اهلاكي
لا يكن ذلك مستورا بينكم كشان من يريد اهلاك عدوه فانه يضمر في نفسه وينتهز الفرصة
من غم الهلال اذا استتر والمعنى اذا اهلكتموني لم يبق عليكم ضيق وغم واتسع عيشكم ففعلتم
ما تريدون ولم تجدوا احدا يثير عليكم شيئا مما تأتون وتذرون ثم اقضوا الي ما هو حق عليكم
في عقائدكم من اهلاكي ولا تنظرون ولا تمهلوني تهكما وعدم مبالاة ثقة بمن توكل عليه فان
توليتم اعرضتم فما سالتكم من اجر هذا الشرط مرتبط بالشرط الاول والمعنى ان اعرضتم
لقيامي بينكم رسولا وذلك امر ليس الي فاسعوا في ازالته بكل ممكن وان توليتم لاني اطلب
منكم شيئا فلا وجه لتوليكم لاني ناصح لوجه الله لا اطلب على ذلك اجرا ان اجرى الا على الله
الذي ارسلني وامرت ان اكون من المسلمين المنقادين لامره او المخلصين لا تطمعوا في خلاف
ما اقوله وفيه ان من اخذ الاجرة على تعليم العلم وهداية الناس ليس من ورثة الانبياء
فكذبوه استمروا على تكذيبه بعد الزام الحجة فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم خلائف
عن الهالكين واغرقنا الذين كذبوا باياتنا بالطوفان فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
المهلكين او من نجيناه ومن اهلكنا لاشتراكهم في الانذار والنظر هو التأمل والاعتبار ثم
بعثنا من بعده رسلا الى قومهم كل رسول الى قومه وفي الحديث كان النبي يبعث الى قومه
وبعثت الى الناس كافة فجاؤهم بالبينات المعجزات الواضحة الدالة على صدق دعواهم
فما كانوا ليؤمنوا ما آمنوا بعد تلك المعجزات وانما زاد لفظ كان بلام الجحود اشارة الى
ان عدم ايمانهم لم يكن الا جحدا واستكبارا بما كذبوا به من قبل اى قبل مجئ الرسل لفرط
عنادهم استوى الحالتان عندهم وحمل الباء على السببية اى انما لم يؤمنوا بسبب اعتيادهم
تكذيب الحق ولم نهم عليه فيه ان من آن من الكفار كان قبل البعثة مكذبا مستمرا عليه
كذلك نطبع على قلوب المعتدين مثل ذلك الطبع الذي طبع على قلوب هؤلاء نطبع على
قلب كل معتد كقوله كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ثم بعثنا من بعدهم بعد
هؤلاء الرسل وهم المبعوثون من بعد نوح موسى وهرون الى فرعون وملائه باياتنا
الآيات التسع وقد سبق تفصيلها في الاعراف فاستكبروا ترفعوا عن اتباعها وكانوا
قوما مجرمين ودأبهم الاجرام ولذلك انفوا وحملهم ذلك الاجرام على الاستكبار اعتراض
على سبيل التذييل كقوله وانتم ظالمون بعد قوله اتخذتم العجل فلما جاءهم الحق من عندنا
معجزاته لانها من عند الله قالوا ان هذا لسحر مبين واضح لا يشتبه على احد قال موسى اتقولون

للحق لما جاءكم أسحر هذا تعيبون وتطعنون في الحق لما جاءكم من قولهم قال زيد في عمرو أي
عابه نظيره قولهم سمعنا فتى يذكرهم وعلى هذا قوله أسحر هذا ابتداء كلام من موسى توبيخا لهم
او المفعول محذوف لدلالة السابق عليه والاستفهام كما مر او هذا حكاية كلامهم فانهم لما
بتوا القول بانه سحر بنوا على ذلك عدم فلاح من أتى به فالهمزة للتقرير فحكى موسى كلامهم
بحسب المعنى دون اللفظ رادا عليهم بشاكل الفلاح لصاحبه بقوله ولا يفلح الساحرون
فلو كان سحرا لاضمحل ولم يبطل به سحر السحرة قالوا أجئتنا لتلفتنا لتصرفنا واللفت والفتل
من واد واحد ومنه الالتفات عما وجدنا عليه آباءنا من عبادة فرعون والآلهة وتكون
لكما الكبرياء في الأرض العظمة والملك كما هو شأن الملوك وما نحن لكما بمؤمنين أي
نقول ذلك وما نحن بمصدقين لما جئتما به وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم كامل العلم في
سحره وقرأ حمزة والكسائي سحار وهي أبلغ لدلالته على أنه لم يطلب الا الحذاق منهم يؤيده
الوصف بالعلم فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون جواب لقولهم اما أن تلقي
واما أن نكون نحن الملقين كما تقدم في الأعراف ولا يلزم الرضا بالسحر لأن الغرض ابطاله
فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر أي الذي جئتم به هو السحر لا الحق الذي كنتم تزعمون أنه
سحر وقرأ أبو عمرو بهمزة القطع على أن ما استفهامية مبتدأ وجئتم به خبره والسحر خبر مبتدأ محذوف
أي أي شيء جئتم به أهو السحر او السحر بدل من ما والمعنى على الانكار والتقرير وقراءة الجمهور أبلغ لئلا
يتوهم أن الاستفهام على أصله فيعتقد أنه لم يعلم أنه سحر إن الله سيبطله سيظهر بطلانه باظهار
المعجزة إن الله لا يصلح عمل المفسدين كل مفسد والسحر من الافساد والاغواء الناس بل من أكبر الكبائر
ويحق الله الحق بكلماته يثبته ويعلي شأنه بآياته الدالة على حقيته ولو كره المجرمون اذ لا تأثير في
الكائنات الا القدرة وقد طوى بقية قصة السحرة لأنه حكاها في طه وفي الشعراء وذكر هنا آخر شأن
فرعون فما آمن لموسى الا ذرية من قومه أي فلم يؤمن من بني اسرائيل بعد غلبة موسى الا أ...
من قومه وقيل الضمير في قومه عائد الى فرعون وقد آمن من قومه مؤمن آل فرعون وامرأته
آسية وخازنه وامرأة الماشطة وهذا القول يبعد بعدا لأن السحرة من قوم فرعون وقد
آمنوا أجمعون من غير لبث وكانوا أيضا على خوف من فرعون وملائهم أي آمنوا به حال
كونهم مشتملين على الخوف استعار على للدلالة على فرط خوفهم والملأ ملأ بني اسرائيل فانهم كانوا
يمنعون أعقابهم وأتباعهم عن الايمان يدل عليه قوله أن يفتنهم أي فرعون وقيل الملأ
من قوم فرعون وانما جمع الضمير لاعتبار التعدد في نفس فرعون للتعاظم كقول الملوك أمرنا
وفعلنا او باعتبار من يأمره من وزرائه والضمير للقوم وإن فرعون لعال في الأرض
بالقهر والغلبة وكثرة الجند والأسباب وإنه لمن المسرفين لم يرض بأقصى مراتب العبد حتى
ادعى الألوهية وفيه ايماء الى أن خوفهم منه لم يقدح في كمال ايمانهم نظيره فأوجس في نفسه خيفة
موسى وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا فان الايمان بالله يوجب التوكل
لأن من شرائط الايمان بالقدر أن من شاء كان وما لم يشأ لم يكن إن كنتم مسلمين مخلصين

في ايمانكم

في ايمانكم علق وجوب التوكل أولا بالايمان وشرطه ثانيا بالاسلام أي الاخلاص كقولك إن
سألك فقير فلا ترده إن وجدت مالا فقالوا على الله توكلنا فعلوا ما أمرهم من غير توقف
ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع فتنة لهم بأن يعذبونا ويصرفونا عن ديننا او يفتنوا
بسببنا ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما أصيبوا فيزدادوا بذلك طغيانا ونجنا برحمتك
من القوم الكافرين من كيدهم وسوء مجاورتهم فان الأخلاق السيئة تسري الى الطبع ولذلك
مثل صلى الله عليه وسلم جليس السوء بالحداد إما يحرق ثيابك بناره او تجد رائحة خبث الحديد
وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتا تفعل بمعنى فعل يقال تبوأت منزلا أي
نزلته وبوأته الرجل أي هيأته له والمباءة المنزل أمروا بسكنى مصر الى وقت أراده الله واجعلوا
بيوتكم قبلة مساجد متوجهة نحو القبلة قيل هي الكعبة وقيل بيت المقدس وأقيموا الصلاة
في بيوتكم خوفا من الكفار كما كان يفعله المؤمنون في ابتداء الاسلام وبشر المؤمنين بالنجاة
في الدنيا والآخرة أفرد الخطاب لموسى لأنه صاحب الشريعة وهرون كان ردءا له وانما ثني
أولا لأن أمر المنزل يتعارف للرأي فيه مدخل وجمع ثانيا لأن اقامة الصلاة واجبة على كل مكلف
وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة ما يتزين به من الملابس والمراكب
والغلمان والفرش وأموالا في الحياة الدنيا أنواعا من المال ربنا ليضلوا عن سبيلك كلمة
لام أي إنك فعلت ذلك معهم استدراجا واللام للعاقبة فقوله ربنا تكرير للتأكيد وقيل
دعاء بلفظ الأمر وذلك لما علم أن ايمانهم كالمحال بما لا يكون الا ذلك فهو تصريح بمقتضى ما جرى
به قضاء الله كقول نوح لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا وكما تقول لعن الله ابليس وليس
من الرضا بالكفر في شيء او لم يرد به الدعاء وسؤال الانجاز بل هو كناية عن فرط عتوهم وابلاء
عذره وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويضلوا بفتح الياء ربنا اطمس على أموالهم امحها وأزلها واشدد على
قلوبهم اجعلها قاسية مختوما عليها حتى لا يكون للايمان اليها سبيل فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا
أي ليضلوا عن سبيلك فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم وما بينهما اعتراض او جواب للأمر
والمعنى الطبع على قلوبهم واجعلها قاسية حتى لا يؤمنوا فانهم لا يستحقونه قال قد أجيبت دعوتكما
كأنه دعا كل منهما وقيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن على دعائه فاستقيما على الدعوة الى الله
ولا تعجلا فان نوحا صبر على أذى قومه ألف سنة يدعوهم الى الله قال بعض العارفين شرط الدعاء
صدق الافتقار في الابتداء وحسن الانتظار وسقوط التقاضي والاستعجال والثقة بالله مع جميل الظن
قيل مكث موسى بعد ذلك أربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون الذين يستعجلون
وفي الحديث يقبل دعاء العبد ما لم يقل دعوت فلم يستجب لي وقرأ ابن عامر في رواية ابن ذكوان
بتخفيف النون على أنه خبر والمعنى ولستما تتبعان او الواو للحال او هو على مذهب يونس والفرا
ي او حال للمؤكدة الساكنة بعد الألف وانما حركت لالتقاء الساكنين وعنه وجه آخر بالنون المشددة
من الثلاث والمختار قراءة الجمهور للاجماع على ولئن اتبعت ولا تتبع وجاوزنا ببني اسرائيل البحر
الى البر جزت المكان وجاوزته او خلفته فأتبعهم فرعون وجنوده أدركهم يقال تبعت القوم

اذا مشيت خلفهم واتبعتهم اذا سبقوك فادركتهم بغيا وعدوا باغين عادين او للبغي والعدو
حتى اذا ادركه الغرق اي قاربه وبدت اسبابه وعلاماته وقيل بفتح الرا اغمره الما قبل الهلاك
وبالسكون هو الهلاك فيه قال آمنت انه بانه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل وانا من
المسلمين وقرا حمزة والكسائي انه بكسر النون على الاستيناف او البدل من آمنت او لتضمنه معنى
القول آلآن وقد عصيت قبل اي اتؤمن الآن وقد عصيت قبل مدة عمرك وكنت من
المفسدين حيث لم ترض بعصيانك بل كنت تصرف الخلق عن عبادة الله لقوله وصد عن
السبيل او بذبح ابناء بني اسرائيل اجتهد في خلاص نفسه عبر عن التصديق بعبارات الثاني
ابلغ من الاول والثالث ابلغ من الثاني ولكن لم يصادف الوقت وهذا كمن آمن بعد
طلوع الشمس من مغربها فلما راوا باسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين فلم يك
ينفعهم ايمانهم لما راوا باسنا سنة الله اتاه جبرئيل يوما برقعة فيها ما قول الامير في عبد لرجل نشأ
في ماله ونعمته ثم لم يطلب من ذلك منه شيئا سوى انه يقر بانه عبده فابى وادعى السيادة دونه فكتب
على الرقعة يغرق في البحر كتبه ابو العباس الوليد بن مصعب فلما ادركه الغرق ناوله جبرئيل فعرف
وروى الامام احمد والترمذي عن ابن عباس انه لما قال آمنت اخذ جبرئيل من حماة البحر فدسه في
فيه وذلك لعلمه بانه لا ينفعه ذلك كمن راى شخصا يصلي بلا وضوء فقطع عليه صلوته فاليوم
ننجيك ببدنك نلقيك على نجوة من الارض خاليا من الروح ليراك بنو اسرائيل على تلك الهيئة
زيادة في سرورهم ولئلا يظن الجهلة انك نجوت من الغرق لكونك الها وقرئ بالحاء اي نلقيك
الى ناحية وقيل ببدنك عريانا من غير لباس او كاملا سويا او بدرعك فانه كان لابسا درعا
من الذهب يعرف بها لتكون لمن خلفك آية لمن ياتي بعدك الى يوم القيمة اذا سمع ما كنت فيه من الدعوى
وما آل اليه امرك والمثل هذا حكى الله في كتابه احوال الامم الهالكة قل سيروا في الارض فانظروا كيف
كان عاقبة المكذبين اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وان
كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون حيث يسمعون مثل هذه الوقايع ولا يتفكرون في
عظمة الله وكبريائه ولا يقلعون عن مخالفة اوامره ولقد بوانا بني اسرائيل مبوأ صدق منزلا
رضيا وهو الشام لكونه موطن الانبياء او لكونه المحشر يوم القيمة وقيل هو مصر فانهم سكنوا بعد فرعون
ووجه كونه منزل صدق انهم هناك وعدوا بالنجاة وبها غرق فرعون غرق بموضع يسمى سويس
على ثلث مراحل منها ورزقناهم من الطيبات من اللذايذ فما اختلفوا حتى جاءهم العلم
اي ما تشعبوا وتحزبوا في امر دينهم الا بعد علمهم بما في التورية وهذا غاية ذم لهم حيث جعلوا ما كان
سببا للاتفاق وسيلة للاختلاف فان قلت قد ورد في الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم
اختلاف امتي رحمة وقد اختلفت الايمة في الايات والاحاديث من الصحابة ومن بعدهم
قلت اختلاف الامة في الفروع وما للاجتهاد فيه مدخل لا في الاصول والعقايد ستفترق امتي
ثلث وسبعين فرقة كلهم في النار الا التي تكون على ما انا عليه واصحابي وقيل هو اختلافهم
في امر محمد بعد علمهم بنبوته ودلالة معجزاته ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون

تميز بين المحق والمبطل ويجازي كلا على وفق عقيدته وما يقتضيه عمله فان كنت في شك
مما انزلنا اليك كلام على سبيل الفرض مثل قوله لئن اشركت وللالهاب وتهييجه على التثبت
ودفع الوساوس التي ربما تعرض له من تكذيب الكفرة وفيه اشارة الى ان اهل الكتاب
لهم رسوخ في العلم بصحة ما انزل اليه حتى انه يصح لشاك ان يسالهم اذا اعتراه شبهة على الغرض
ثم اغناه عن السؤال بقوله لقد جاءك الحق من ربك شهادته بحقيته يغني عن شهادة
غيره ودل على ان ذلك انما كان امرا على سبيل الفرض وقد روي لما قراه عليه جبرئيل قال
لا اشك ولا اسال فلا تكونن من الممترين الشاكين او الخطاب له والمراد امته او كل من
سمع ويؤيده قوله ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين اذ هو منزه
عن التكذيب ويحتمل ان يكون من قبيل الالهاب والتهييج او لقطع الاطماع كقوله ولا تكونن
ظهيرا للكافرين ان الذين حقت عليهم كلمة ربك احكامه الازلية او علمه وارادته وقدرته
تعلقت بكفرهم والموت عليه لا يؤمنون لاستحالة وقوع خلاف معلومه ومراده وتبدل
حكمه الازلي قرا نافع وابن عامر بجمع الكلمات والرسم على التوحيد والجمع اظهر لدلالته على الافراد
صريحا ولو جاءتهم كل آية لوجود الختم وسبق المشية حتى يروا العذاب الاليم ولا ينفع
لا ايمان ح فلولا كانت قرية آمنت لوم على ترك الايمان في وقته والاشتغال به في
وقت لا غناء له كما فعله فرعون فنفعها ايمانها لوقوعه في وقته الا قوم يونس لكن
قوم يونس استثناء منقطع من القرى لان المراد اهلها لما آمنوا قبل مشاهدة العذاب
وحصول الباس كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ولم يصبهم مثل ما اصاب
ساير الامم ومتعناهم الى حين الى حين آجالهم ويجوز ان يكون الاستثناء متصلا
لاشتمال لولا على معنى النفي او لجيئه له عن ابن عباس رضي الله عنه ان لولا في موضعين
من القران بمعنى النفي فلولا كانت قرية آمنت وفلولا كان من القرون من قبلكم
كانه قيل ما آمنت قرية من القرى العاصية الا قوم يونس بن متى بعث الى اهل نينوى
من ارض الموصل فدعاهم الى الله فكذبوه فوعدهم نزول العذاب بعد اربعين يوما وخرج
من بينهم فلما مضى خمس وثلثون ليلة غامت السموات غيما اسود هائلا ثم هبط على مدينتهم
فغشاها فلما راوا ذلك لبسوا المسوح وبرزوا الى الصحرا بدوابهم ومواشيهم ونسائهم و
صبيانهم وفرقوا بين كل والدة وولدها فحن بعضها الى بعض فارتفعت الاصوات وعلا
الضجيج والعجيج واخلصوا الايمان والتوبة فكشف الله عنهم وكان يوم عاشورا يوم الجمعة ولو شاء
ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا اشارة الى ان قوم يونس آمنوا لان مشية الازلية
تعلقت بايمانهم ولو شاء ايمان الخلق باسرهم لآمنوا كلهم ثم انكر على رسوله تهالكه على ايمان
قوم لم يرد الله ذلك منهم بقوله افانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وانما رتب الكلام
بالفاء وادخل عليها همزة الانكار مع تقديم الضمير دلالة على ان المنكر كونه مكرها لان الله قادر
على الجائهم وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله وما صح ولا امكن الا بارادة الله ومشيته

وانما ذكروا لان انتفا مشيته ايمان كل من فى الارض لايدل على من آمن منهم لايومن الا بمشية
ويجعل الرجس العذاب او اسبابه من المعاصى والآثام وقرا ابو بكر نجعل بالنون على الذين
لايعقلون ناظرا الى قوله ان الذين حقت عليهم كلمة ربك لايومنون ومعنى لايعقلون
لايستعملون عقولهم بالنظر فى الكاينات ليوديهم الى العلم بوحدة موجدها ولذلك قال
قل انظروا ماذا فى السموات والارض من عجايب الصنع وبدايع الآيات والعبر وما تغنى
الآيات والنذر عن قوم لايومنون اى الانذارات او الرسل المنذرون لسبق القضا بعدم
ايمانهم فهل ينتظرون الا مثل ايام الذين خلوا من قبلهم تفريع على ما تقدم فلا بقاؤهم الا
لامر ارادة الله ووقت ضربه لنزول العذاب بهم مثل ما نزل باولئك الامم والايام الوقايع
يقال ايام العرب لوقايعها قل فانتظروا انى معكم من المنتظرين لذلك او فانتظروا هلاكى فانى
منتظر هلاككم ثم ننجى رسلنا والذين آمنوا عطف على مقدر كانه قيل اهلكنا الامم ثم ننجى الرسل
ومن آمن به على حكاية الحال الماضية استحضار لصورة الواقعة كذلك حقا علينا ننجى المومنين
مثل ذلك الانجا وحقا مصدر لفعله المقدر اعتراض اى حق ذلك علينا حقا وقرا حفص
والكسائى ننجى باسكان النون وتخفيف الجيم والتشديد قل يا ايها الناس ان كنتم فى شك
من دينى خطاب لاهل مكة فلا اعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذى
يتوفاكم اى ان حصل لكم ريب فى صحة دينى فلا مجال للشك فيه لانى اعبد ربا موصوفا
بهذه الصفات التى كلها صفات الالوهية فاعرضوا هذا على عقولكم لتعلموا انه الدين وامرت
ان اكون من المومنين اى امرنى الله بان اكون من جملة المومنين بما انزل الى من الوحى
وما دل العقل على صحته ووافق قانون الشرع وحذف الجار من ان كما هو المطرد فى ان وان وهو
من الحذف بعد فعل الامر خاصة كقوله امرتك الخير فافعل ما امرت به وان اقم وجهك للدين
عطف على ان اكون غير ان صلة ان هنا انشا والانشا والخبر فى ذلك سيان والمعنى امرت
بالايمان والاستقامة والاخلاص فيه والاول اشارة الى الاصول والعقايد وهذا الى الفروع
كادا الفرايض واستقبال القبلة والوجه اريد به الذات حنيفا حال من الدين او الوجه ومن
الوجه اوجه لقوله ملة ابراهيم حنيفا ولقوله وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا
ولا تكونن من المشركين تذييل له ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك اذ لا موثر
سواه فان فعلت فان دعوت ما لا ينفعك ولا يضرك كنى عنه بالفعل ايجازا فانك
اذا من الظالمين اذا حرف جزا وجواب عن سوال محقق او مقدر يقول الرجل ازورك
الليلة فيقول اذا اكرمك وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد
لفضله رجح جانب الترغيب اذ المقصود الاعتصام به وحده ولا شك ان النفوس الزكية
باللطف آنس فاثر فى الشرط لفظ المس الدال على القلة والوصول الى الظاهر فقط ولم يصرح
بالارادة وان لم يكن الا معاصى كانه وقع بالعرض واشار بالاستثنا الى انه لا بقا له ان لجا
اليه المصاب وفى الخير الارادة المطلقة الشاملة للظاهر والباطن واجعل المخاطب مرادا والخير

تابعا

تابعا وصرح بانه لا راد لذلك المراد لا هو ولا غيره لان مراده واقع قطعا وسماه فضلا وما كان
فضلا منه يشعر بالرافة والعناية وهذه نكت تعتبر فى الكلام البليغ باعتبار المقام ولا يجب
اعتبارها فى كل مقام ولذلك ذكر المس فى الموضعين فى الانعام بقوله وان يمسسك الله
فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شى قدير والاية ابلغ من قوله ان ارادنى الله
بضر هل هن كاشفات ضره لاختصاصه بالاصنام وعموم الاية يصيب به من يشا من
عباده وهو الغفور الرحيم فليتوجه الراجون جناب قدسه وليستعدوا بذلك مزايا عميم لطفه
قل يا ايها الناس قد جاكم الحق من ربكم القران وساير الاحكام وما آتاكم الرسول فخذوه
فمن اهتدى منكم فانما يهتدى لنفسه لا يتجاوز نفعه الى غيره ومن ضل فانما يضل عليها
لا يتجاوزها وباله وما انا عليكم بوكيل بحفيظ احفظ عليكم اعمالكم واتبع ما يوحى اليك تتبع
اثره ولا تدع منه شيا لا تبلغه كانوا يقولون له اترك ذم آلهتنا ولنومن بك واصبر على اذاهم
حتى يحكم الله لك بالنصر والغلبة اى يظهر حكمه وهو خير الحاكمين لعدم احتمال الخطا روى
البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للانصار فى آخر موعظة وعظها انكم سترون
اثرة فاصبروا حتى تلقونى على الحوض قال انس فلم نصبر نحن روى ان معاوية لما قدم
المدينة حاجا تلقته الانصار وتخلف ابو طلحة فلما دخل عليه قال له معاوية لم لم تتلقنا قال لم
لم يكن عندنا دواب قال اين النواضح يعرض به انه من الاكرة قال ابو طلحة قطعناها فى طلبك
وطلب ابيك

سورة هود مكية وهى مائة وثلث وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الر تقدم الكلام فى وجوه اعرابه كتاب خبر الر او خبر مبتدا محذوف احكمت آياته نظمت نظما
سريا رصينا كالبنيان المرصف لا يتطرق اليه خلل او منقول من حكم بالضم اذا صار حكيما قال
نمر بن تولب وابغض بغيضك بغضا رويدا اذا حاولت ان تحكما او منعت من الفساد
ماخوذ من حكمة الدابة ومنه قول جرير ابنى حنيفة احكموا سفهاكم انى اخاف عليكم ان اغضبا
وقيل المراد آيات السورة والاحكام عدم تطرق النسخ اليها اذ ليس فى السورة آية منسوخة
او احكمت بالدلايل والحجج القطعية ثم فصلت كما تفصل القلايد بالفرايد كانه شبه الفاظه
العذبة ومعانيه الشريفة من التوحيد والصفات والنبوة والدلايل الدالة عليها وما فيه من
الحكم والعبر والقصص بالدرارى ثم ايراد كل فى موضعه اللايق به تفصيلها فعلى هذا التراخى
رتبى ويجوز ان يراد بالتفصيل جعله مفصلا سورة سورة وآية آية او تفريقه فى النزول منجما فثم على
اصله لان الاحكام بالنظر الى ذات السورة والاية فى نفسها والتفصيل بالنظر الى ملاحظة
الصواحب من لدن حكيم خبير صفة اخرى لكتاب او خبر آخر او صلة لاحكمت او فصلت
نشر لما تقدم نحو وهو اللطيف الخبير بعد لا تدركه الابصار ان لا تعبدوا الا الله مفعول له او
ان مفسرة لان فى التفصيل معنى القول او كلام مبتدا منه صلى الله عليه وسلم على سبيل الاغرا
كانه قال تركوا العبادة الا لله اى الزموه كقوله فضرب الرقاب ويويده قوله اننى لكم منه اى
من الله نذير وبشير بالعقاب على الكفر والثواب على الايمان والتوحيد وان استغفروا ربكم عطف

علی ان لا تعبدوا ثم توبوا الیه ای استغفروا من الشرک ثم ارجعوا الیه بالطاعة او استغفروا
علی التوبة واخلصوها فان التراخی رتبی لان الاستقامة والاخلاص اعلی شانا منها یمتعکم متاعا
حسنا یعیشکم عیشة راضیة ونعطیکم نعمة واسعة متتابعة الی اجل مسمی الی اخر العمر ویؤت
کل ذی فضل فضله ای کل ذی فضل فی العمل جزاء فضله لان الدرجات علی قدر الطاعات
او فضله الذی هو الثواب وحاصله الوعد بالخیر فی الدارین کقوله فلنحیینه حیوة طیبة ولنجزینهم
اجرهم باحسن ما کانوا یعملون وان تولوا فانی اخاف علیکم عذاب یوم کبیر یوم القیمة وصف
بالکبر لطوله کما وصف بالعظم لتفاقم امره الی الله مرجعکم رجوعکم وعید ولذلک اردفه بقوله وهو
علی کل شیء قدیر فهو قادر علی ان یعذبکم اشد العذاب الا انهم یثنون صدورهم لیستخفوا منه
روی البخاری عن ابن عباس انه سئل عن معنی الآیة فقال کان اناس یستحیون ان یتخلوا
فیفضوا الی السماء وان یجامعوا فیفضوا الی السماء فنزلت فیهم وقیل نزلت فی اخنس بن شریق
وکان حلو المنطق یظهر لرسول الله المحبة وتحجبه مجالسته ومحادثته ویضمر بغضه وقیل نزلت فی
المنافقین وهذا انما یستقیم علی الاخبار بما هو کاین فی علم الله محقق الوقوع لان السورة مکیة
والنفاق انما حدث بالمدینة والمعنی یزورون عن الحق وینحرفون عن سماع الوحی والآیات یریدون
بذلک الاستخفاء من الله الا حین یستغشون ثیابهم کراهة الاستماع یریدون الاستخفاء من الله
وما جعلوه وسیلة دال علی خلاف مرادهم لان الاعراض عن الحق والاستغشاء ولیلان
ظاهران علی النفاق الثانی منهما اول نعی علیهم بالجهل المفرط لان ما لا یخفی علی احد من الناس
یریدون اخفاءه علی من لا یخفی علیه خافیه ولذلک کرر حرف التنبیه یعلم ما یسرون وما یعلنون
من القول انه علیم بذات الصدور بضمایر القلوب التی لیست من جنس القول فکیف
وما من دابة فی الارض الا علی الله رزقها ای ما من شیء یدب علی الارض الا علی الله رزقه
وما یکون سببا لبقائه وانما اتی بعلی الدال علی اللزوم لکونه متکفلا به تفضلا وحملا علی التوکل
وفی الحدیث لو توکلتم علی الله حق التوکل لرزقکم کما یرزق الطیر تغدو خماصا وتروح بطانا
ویعلم مستقرها ومستودعها اماکن استقرارها من الارض والاماکن التی کانت مستودعة فیها
قبل الاستقرار من اصلاب وارحام کل فی کتاب مبین کل ذلک ثابت فی اللوح المحفوظ
وفیه مبالغة من وجوه طریقة الحصر وکلمة علی الدالة علی الدوام واثباته فی اللوح ثم وصف
اللوح بالابانة والظهور کمن یقر بشیء لاحد ثم یکتب علی نفسه لذلک صکا وقد دلت الآیة
علی کونه تعالی عالما بالمعلومات کلها فهو عالم باحوال المنافقین قادر علی مجازاتهم وهو
الذی خلق السموات والارض فی ستة ایام دلیل علی کونه قادرا علی کل شیء کما ان الاولی
دلت علی علمه بالاشیاء کلها وکان عرشه علی الماء ای لم یکن حایل بینهما قبل خلق السموات
والارض لا انه کان فوقه ثم رفع بل العرش الآن کما کان وفیه دلیل علی الخلاء وفی الاخبار
ان الماء کان علی متن الریح لیبلوکم ایکم احسن عملا متعلق بخلق والمعنی لیعاملکم معاملة المختبر
فانه جعل الارض فراشا والسماء بناء ورتب الاسباب لیتولد منها ما یحتاجون الیه من امور

المعاش

المعاش وارسل الرسل وشرع الشرایع لیثیب الطایع ویعاقب العاصی ولما کان
البلوی طریق العلم علق الاستفهام کما تعلق فعل القلب وهذا کالقول والنظر ایهم احسن
وجها واسمع ایهم اطیب صوتا لکونهما طریقی العلم وانما اثر اسم التفضیل والخطاب علی عامة
حثا علی تحری الاحسن من الاعمال فانه نهایة الکمال کانه قیل لیظهر افضلکم لا فضلکم والعمل
یشمل العلم لانه عمل القلب ولئن قلت انکم مبعوثون من بعد الموت لیقولن الذین کفروا
ان هذا الا سحر مبین سبق لبیان جهل الکفار یجعلون القول بالاعادة شبیها بالسحر فی
بطلانه او لا باطل اجلی منه وقیل الضمیر للقرآن فانه اذا کان باطلا فقد انطوی تحته بطلان
القول بالبعث وقرا حمزة والکسائی الا ساحر اشارة الی رسول الله صلی الله علیه وسلم وقراءة
الجمهور ابلغ واوفق للمقام قال ابو عمرو ما تبعه مبین فهو سحر وما تبعه علیم فهو ساحر ولئن
اخرنا عنهم العذاب الی امة معدودة الی حین قریب ولذلک وصفها بالعدة والتانیث
باعتبار اللفظ والعذاب عذاب الاخرة وقیل عذاب یوم بدر لیقولن ما یحبسه یستعجلون
به تکذیبا واستهزاء الا یوم یاتیهم لیس مصروفا عنهم مدفوعا عنهم ویوم منصوب بخبر لیس
واستدل به علی جواز تقدیم خبره لانه اذا جاز تقدیم معموله علیه فهو اولی بالجواز وحاق بهم ما کانوا
به یستهزئون احاط بهم اثر الماضی لکونه واقعا لا محالة ولئن اذقنا الانسان منا رحمة
نعمة وسعة عیش ثم نزعناها منه سلبناها منه انه لیئوس کثیر الیاس قاطع رجاءه عن
عوده مثلها کفور کثیر الکفران لم یتذکر النعمة الوافرة الواصلة الیه فی المدة المتطاولة ولا نظر الا
تلک الحالة التی هو فیها ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته صحة بعد سقم لیقولن ذهب
السیئات عنی زالة المصایب ونسی ما کان فیه من البلاء وکانه انسد طریقه الیه ونجا
نجاة الابد انه لفرح بطر فخور کثیر الفخر بما فیه من الغنی والصحة وقد شغلاه عن القیام بالشکر
وفی اذاقة النعمة ولفظ المس تنبیه علی ان ما یجده الانسان فی الدنیا من النعم والمحن کالانموذج
نزر بالنسبة الی ما یجده فی الاخرة وفیه انه یقع فی الکفران والبطر باذنی شیء دل علیه لفظا الاذاقة
والمس وفی اسناد الاذاقة الیه تعالی دون مس الضر اشارة الی ان رحمته سابقة غضبه
الا الذین صبروا علی ما اصابهم ولم یظهروا الجزع استسلاما لقضاء الله وعملوا الصالحات
وصرفوا الجنان والارکان واللسان الی ما امر الله به من الطاعات شکرا لنعم الله السابقة
استثناء متصلا لکون اللام فی الانسان للاستغراق کقوله ان الانسان لفی خسر الا الذین
امنوا وقیل منقطع لان السابق فی الذکر هم الکفار اولئک الموصوفون لهم مغفرة لما فرط
منهم واجر کبیر بحسب تلک الاعمال الصالحة فلعلک تارک بعض ما یوحی الیک کانوا
لا یقترحون علیه اشیاء تعنتا تارة یقولون ان کنت نبیا اجعل لنا جبال مکة ذهبا واخری
لن نؤمن لک حتی تفجر لنا من الارض ینبوعا وکان یحتمل من ذلک مشقة شدیدة فنزل منزلة
من یتوانی فی اداء ما امر به ویتوقع منه ترکه تهییجا له وتحریضا من عطفه وهذا وامثاله وان کان
فی الظاهر تادیبا له ففیه اشارة الی انه حریص علی ایمانهم حتی لو امکنه ترک ما امر الله به فی تحصیله لفعل

ولذلك رده بقوله انما انت نذير وضايق به صدرك بتلاوته عليهم وتبليغه ان يقولوا لولا
انزل عليه كنز او جاء معه ملك يستعين بالمال على الاستتباع بالنفقة وبالملك على صدق
ما يدعيه مخافة هذا القول وانما اثر ضايق على ضيق لانه كان افسح صدرا انما يعتريه ذلك
احيانا انما انت نذير ما عليك الا الانذار تسلية له وازالة لما كان يعتريه والله على كل شيء
وكيل حافظ ورقيب مجاز لكل منك ومنهم بحسب عمله ام يقولون افتريه ام منقطعة والضمير
لما يوحى اليك قل فاتوا بعشر سور مثله في جزالة النظم والبلاغة مفتريات على زعمكم انه مفترى
مختلق من عندي لانكم مارستم العربية والاشعار والخطب فانتم اولى بالاتيان بمثله والتحدى بهم
اولا بعشر سور ثم اقتصر على سورة وهذا داب المناظر الواثق بحاله لان ذلك اقوى
في الزامه كما يقول الشاعر لمن يقدح في شعره عليك بعشرة ابيات مثلها لا بل هات منك
بيت واحد والاية سابقة نزولا على ما في البقرة ويونس وادعوا من استطعتم من دون الله
الى المعاونة والاستظهار ان كنتم صادقين انه مفترى فان لم يستجيبوا لكم الخطاب لرسول
فانه الداعي الى التحدى والجمع للتعظيم يؤيده قوله فان لم يستجيبوا لك في سورة القصص او له
وللمؤمنين لان الكفار بالايمان يدخلون في زمرتهم وقيل الخطاب للكفار والمراد استجابة
من دعوه الى الاعانة اي ان لم يقدروا على ذلك فاعلموا انما انزل بعلم الله ملتبسا بعلمه خاصة
لا سبيل لاحد اليه فانه نظم معجز وان لا اله الا هو واعلموا عند ذلك انه متفرد بالالوهية وعلى
الاول المراد والثبات وازدياد اليقين بانه منزل من عند الله والدوام على التوحيد فهل انتم
مسلمون ثابتون مخلصون والاستفهام بمعنى الطلب يدل على وجوب ايقاع المطلوب
لقيام الموجب وزوال العذر او داخلون في الاسلام اي لم يبق لكم عذر فاسلموا من كان
يريد الحيوة الدنيا وزينتها اشار الى ان الذين يصرون على التكذيب بعد ظهور عجزهم انما يحملهم
على ذلك حب الدنيا وزينتها ثم بين حال من يكون كذلك وعلى تلك الصفة بقوله نوف اليهم
اعمالهم جزاء اعمالهم فيها في الدنيا وافيا كاملا وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون حال من
المجرور لدفع وهم التسامح في التوفية اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار لانهم استوفوا
ما كانوا يستحقونه في الدنيا فلم يبق لهم ما يكون وسيلة الى شيء من الثواب وحبط ما صنعوا من
افعال البر فيها في الاخرة لانهم لم يريدوا بها وجه الله او لم يكن على اساس وهو الايمان وباطل
ما كانوا يعملون علة لحبوطها اي انما حبطت ولم يترتب عليها ثواب لانها كانت باطلة في نفسها
وهكذا شان الباطل سواء صدر من مؤمن او غيره افمن كان على بينة من ربه برهان من جهة
ربه دال على حقية ما ياتيه وهمزة الاستفهام للانكار والمراد نفي التقارب بين من هذا شانه وبين
من يريد الحيوة الدنيا وزينتها وقصر همته على تحصيلها ولم يلتفت الى الدار الاخرة ولم يعمل عملا
لوجه الله والتقدير امن كان يريد الحيوة فمن كان على بينة من ربه والعائد محذوف لدلالة
الفاء عليه ومن موصولة عطفت على شبهها والمعنى لا تقارب بينهم فضلا عن التماثل وهذا ابلغ
من قوله افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لان المنكر فيه التماثل وهذا حكم يعم كل مؤمن وقيل

المراد

المراد رسول الله وقيل من امن من اهل الكتاب ويتلوه ويتبع ذلك البرهان وذكره
باعتبار المعنى شاهد منه اي من الله او من القران لتقدم ذكره ومن بيانية او تبعيضية
وقيل السنة القران ويتلوه من التلاوة والشاهد جبرئيل او لسان رسول الله من قبله
من قبل هذا الشاهد الذي هو القران كتاب موسى فانه يتبع ذلك البرهان ايضا في التصديق
جبرائيل او لسان رسول الله اماما مؤتما به في الدين ورحمة وصلة الى الفوز بالسعادة ومدح
لكتاب موسى وتزكية له لانه شاهد ولم يزك القران لانه معجز لا يحتاج الى ذلك اولئك
اي الموصوفون يؤمنون اي بالقران يؤيد الوجه الاول ومن يكفر به من الاحزاب من اهل
مكة ومن انضم اليهم تحزبا على رسول الله فالنار موعده فلا تك في مرية منه من الموعد فانه
لا محالة كاين والمرية الشك انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون لقلة نظرهم
ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا بان نسب اليه ما لم ينزل او سلب عنه ما انزله تقرير وتوكيد
لان ما اتى به كلام الله بعد ان اثبته اولا باعجازه وبشهادة التورية الذي لم يخالف فيه احد ممن
يعتد به اولئك يعرضون على ربهم اي اعمالهم في الموقف ويقول الاشهاد والملائكة او اعضاءهم
جمع شاهد او شهيد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم روى البخاري عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال يدنى المؤمن من ربه يوم القيمة فيضع عليه كنفه ويقول هل تعرف ذنب
كذا هل تعرف ذنب كذا فيقرره بذنوبه وهو لا ينكر منها شيئا فيقول له سترتها عليك في الدنيا
واغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته واما الكفار فينادون على رؤوس الاشهاد هؤلاء
الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على الظالمين من قول الاشهاد اي يقال لهم في ذلك
الموقف هذا الكلام اشارة الى انهم لا يرحمون ولا رق لهم احد لعظيم جنايتهم الذين يصدون
عن سبيل الله دينه الموصل اليه ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج والانحراف او اهلها
واصل البغي الطلب وهم بالاخرة هم كافرون الضمير الثاني للتاكيد والاختصاص بالكفر
بمنزلة ضمير الفصل وتقديم بالاخرة لافادة الاختصاص كان كفر غيرهم ليس بكفر في جنب
كفرهم اوعاء اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا معجزين الله في الدنيا لو شاء عقابهم
وما كان لهم من دون الله من اولياء يمنعهم من العقاب وينصرهم من تمام كلام الاشهاد
اثرا اولئك الذي يشار به الى البعيد ابعادا لهم بعد وصفهم بتلك الاوصاف القبيحة يضاعف
لهم العذاب تقرير من الله لقول الاشهاد وكانه قيل الامر كما قلتم هم مستوجبون للعذاب
المضاعف او من تتمة كلام الاشهاد وكانهم لما راوهم بتلك الاوصاف دعوا عليهم بمضاعفة
العذاب وقرا ابن كثير وابن عامر مشددا من التفعيل وعن ابي عمرو ان المفاعلة ابلغ
لان العرب تقول ضعفت الدرهم اذا جعلته درهمين وضاعفته اذا جعلته اكثر ما كانوا
يستطيعون السمع لتصامهم عن سماع الحق وما كانوا يبصرون بعين الاعتبار لتعاميهم
علة لمضاعفة العذاب وقيل بيان لما نفاه من ولاية الهتهم لانها لا تسمع ولا تبصر
فكيف يقدر على النصرة اولئك الذين خسروا انفسهم اوردوها مورد الهلاك بالافتراء

على الله وضل عنهم ما كانوا يفترون وضاع عنهم ما كانوا يزعمون من شفاعة الآلهة
لا جرم انهم في الآخرة هم الاخسرون حق وثبت ان لا اخسر منهم او كسب ما ارتكبوه كونهم
الاخسرين اعمالا او لا بد ولا محالة انهم في الآخرة هم الاخسرون ان الذين امنوا وعملوا
الصالحات واخبتوا الى ربهم اردف ذكر الكفار وما كانوا عليه وما اثمر لهم في الآخرة
من الخسران بذكر المتقين وما يؤول حالهم اليه من الخلود في الجنان كما هو سنة الله في نظم
القران والاخبات هو الخشوع من الخبت وهو المطمئن من الارض يقال اخبت اذا
دخل في الخبت كما يقال انجد اذا دخل في النجد وكانه ضمن معنى التوسل فعدي بالى
اولئك اصحاب الجنة اي الموصوفون هم فيها خالدون دائمون مثل الفريقين
المؤمن والكافر كالاعمى والاصم والبصير والسميع تشبيه مفرد بآخر كل فريق شبه بشبيهين كقول
امرء القيس كان قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي او شبه حال الكفار
الذين وصفوا بالتصام والتعامي عن آيات الله بحال من خلق اعمى اصم لا ينفعه اشارة ولا عبارة
وحال الذين امنوا وعملوا الصالحات وصرفوا الابصار والاسماع الى ما خلقت لها بحال من يبصر
ويسمع فيستضئ بالانوار ويستلذ بلطايف الكلام وهذا هو الوجه لمتانته ويدل عليه لفظ المثل قالوا
ومتوسطة بين الصفات والقول بان الكفار بعضهم مشبه بالاول وبعضهم مشبه بالثاني وكذلك المؤمنون
بعضهم مشبه بالبصير وبعضهم بالسميع مما لا يلتفت اليه هل يستويان مثلا اي لا تساوي ولهذا انكر
على من لم يجزم به بقوله افلا تذكرون لانه معلوم بديهة لا يتوقف على فكر ولقد ارسلنا نوحا الى قومه
بدا بقصة لانه اول نبي عذب قومه ولان قومه معروفون بالجهل المفرط والتعامي والتصام
اني لكم نذير مبين باني لكم وهو على ارادة القول وهو ثاني مفعولي ارسلنا على الالتفات وقرا نافع
وابن عامر وحمزة وعاصم بالكسر ملتبسا بالانذار ابلغ واقل حذفا ان لا تعبدوا الا الله بدل
من اني لكم نذير اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم مؤلم كالتسميع بمعنى المسمع وصف اليوم العذا
به من الاسناد المجازي لان المؤلم هو المعذب فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا
مثلنا لا مزية لك علينا كانوا يعتقدون ان البشر لا يصلح للرسالة كما كان المشركون يقولون
لولا انزل علينا الملائكة وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا جمع ارذل افعل التفضيل مضافا
كالاكابر مجرميها وقيل جمع رذل وهو الرجل الدون الخسيس بادي الراي قراه ابو عمرو بالهمز
من البدء اي اتبعوك في ابتداء الراي دون تامل وتفكر فيك تصلح ام لا والباقون بالياء
معتل اللام من البدو وهو الظهور والمعنى اتبعوك في ظاهر رأيهم دون باطنه وعن الفراء
انه مخفف الهمز تكثرته وعلى الوجهين نصبه على الظرف اي في وقت حدوث اول رأيهم ولما
كان نظرهم مقصورا على حطام الدنيا وهم عن الآخرة غافلون كان الزهاد والعارفون بالله في
نظرهم اراذل لا عقول لهم وما نرى لكم علينا من فضل لاستوائنا في البشرية بل نظنكم كاذبين
اضراب على الاول اشارة الى كونهم اولى منه بالنبوة ضموا اليه الاتباع وغلبوه لاصالته قال
يا قوم ارأيتم ان كنت على بينة من ربي ردو تكذيبهم على احسن وجه بان الدعي اذا قام برهانا

علي

على صدق دعواه خرج بذلك عن ربقة الكذب واضافهم الى نفسه بلفظ القوم اشارة الى
انه ناصح لهم في ذلك لاتصاله بهم رحما واتاني رحمة من عنده هي النبوة فانه فضل من الله يؤتيه
من يشاء او اخرها عن البينة وان تقدمت في الوجود لان العلم بها يستلزم العلم بالنبوة وبه
يلحم الخصم ولذلك وحد الضمير لها في قوله فعميت عليكم لان خفاها يستلزم خفاء النبوة وقيل
التقدير فعميت النبوة عليكم بعد البينة وقيل الضمير لكل واحدة وقرا حمزة والكسائي وحفص بضم
العين وتشديد الميم اي اخفيت وانما جعلت البينة عميا على الاستعارة التمثيلية كما جعلت مبصرة
والمعنى ان البينة دليل النبوة فاذا عميت فلم يهتد اليكم فكيف تهديكم اليها كما ان دليل الركب
في المفازة اذا اعرض له عمي بقي القوم حائطين حيارى انلزمكموها انكرهكم على قبولها وتجبركم
على الاهتداء بها وانتم لها كارهون لا تختارونها ولا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ويا قوم
لا اسالكم عليه مالا جعلا تتهموني بان اريد نفع ان اجري الا على الله الذي ارسلني اليكم
وما انا بطارد الذين امنوا سالوه طردهم استنكافا من مجالستهم حيث قالوا انؤمن لك واتبعك
الارذلون كما قالت قريش لرسول الله ان شئت اتباعنا اياك فاطرد هؤلاء العبيد الصعاليك
حولك وفيهم نزلت ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي انهم ملاقوا ربهم فلا بد و
ان نشالهم عما جرى عليهم من الطرد وهم اهل الاكرام لانهم الكمل الذين يلاقون ربهم ويفوزون
بلقائه فكيف يطرد من هذا شانه ولكني اراكم قوما تجهلون مستمرون على الجهل لا تعقلون
ولذلك سالتم طرد من هو جدير بالاكرام ويا قوم من ينصرني من الله يمنعني من انتقام الله
ان طردتهم اجابة لسؤالكم واسعافا لطلبكم افلا تذكرون ان ما تطلبونه لا يسوغ عقلا فتدعون
ولا اقول لكم عندي خزائن الله ارزاقه حتى تقولوا ما نرى لكم علينا من فضل وتتهموا من اتبعني
من الفقراء لذلك ولا اعلم الغيب ولا انا ادعي علم الغيب حتى تكذبوني وتقولوا افترى على الله
او اطلع على قلب من اتبعني ولا اقول اني ملك حتى تقولوا انما انت بشر مبطل في دعوى الملكية
ولا اقول للذين تزدري اعينكم اي في شانهم لقوله لن يؤتيهم الله خيرا بالغيبة اي ولا اقول لمن
استرذلتموهم من المؤمنين انهم كذلك عند الله ليس لهم عنده مقدار ولا خطر ونصيب الله اعلم بما
في انفسهم من الايمان الذي هو مناط الشرف وموجب الكرامة اني اذا لمن الظالمين لو فعلت
شيئا من الامور المذكورة والازدراء افتعال من زراه اذا عابه واسناده الى العين لان سببه
رؤيته الحال والبذاذة وهي تدرك بالعين او لانهم احتقروهم في بادي الرأي من غير تامل واستعمال
روية قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا اتيت بانواعه طول عمرك فاتنا بما تعدنا به
من العذاب ان كنت من الصادقين في دعوى مجيء العذاب ان لم نؤمن بك قل انما ياتيكم
به الله ان شاء اذ لا مؤثر سواه وما انتم بمعجزين بفائتين من العذاب دفعا ولا ينفعكم نصحي
ان اردت ان انصح لكم شرط تقدم عليه ما يدل على الجواب وهو بعينه في حكم الجزاء لقوله
ان الله يريد ان يغويكم واعتراض الشرط على الشرط اذا كان الشرط الثاني لا ينفك عن الشرط
الاول تفيد تاكيد اللزوم كما في الاية وقول القائل ان دخلت الدار فانت طالق ان كنت

زوجتی فالشرط الاول ودلیل جوابه المتقدم علیه دلیل جواب الشرط الثانی وفیه دلیل علی
ان الاضلال بارادته تعالی وان خلاف مراده محال هو ربکم سیدکم المتصرف فیکم
والیه ترجعون فیجازیکم اشار الی المبدا والمعاد وباوجز کلام مع تضمنه للوعید ام یقولون
افتریه بل یقولون افتراه من عند نفسه ونسبه الیه تعالی قل ان افتریته فعلی اجرامی اثمی
لا یعدل الی یقال جرم واجرم واجترم بمعنی وانا بری مما تجرمون من افترائکم بنسبتکم ایای
الی الافتراء وانما آثر ما فی النظم اشارة الی کونهم مجرمین فی ذلک القول وعن مقاتل ان هذا
فی شان محمد صلی الله علیه وسلم تکریر لقوله ام یقولون افتراه وانما اورد فی اثناء قصة نوح
علیه السلام علی وجه الاعتراض اشارة الی ان نسبته الی الافترا بعد اتیانه بقصة نوح علی
هذا الاسلوب المعجز مع طول الزمان وعدم مطالعة الکتب والدراسة غایة العناد والمکابرة
واوحی الی نوح انه لن یؤمن من قومک بعد ما بلغ الرسالة وبالغ فی النصح واحتمال الاذی
اقنطه من اجابة قومه الا من قد آمن قد دلت علی ان من کان یتوقع الایمان وجد منه
وقد اصابت المحز لانها علی الرجاء المقابل للاقناط المتقابلین ولتقابل مدلولیهما استقبالا
ومضیا وهذا فی الایمان وذاک فی عدمه فلا تبتئس بما کانوا یفعلون فلا تحزن افتعال
من بئس بالکسر بؤسا وباسا قال اخنجه ما یقسم الله اقبل غیر مبتئس منه واقعد کریما ناعم
البال واصنع الفلک باعیننا تحفظنا وکلاءتنا وانما جمع التی هی آلة الحفظ مبالغة عن
الملاحظة وان عنایته معه وافرة لقوته لما شه والکلام علی التمثیل لا التجرید کما توهم ووحینا
الیک بذلک الصنع او بصفته وفی الخبر انه لم یکن یعلم کیفیته فاوحی الله الیه ان اصنعه مثل
جؤجؤ الطیر ولا تخاطبنی فی الذین ظلموا فی شانهم بالشفاعة لاستدفاع العذاب عنهم
انهم مغرقون لا محالة سبق بذلک القرار ولا تخاطبنی فی شانهم شاکیا من سوء صنیعهم کما
کنت تخاطبنی رب انی دعوت قومی رب انهم عصونی رب لا تذر علی الارض من الکافرین
دیارا وهذا اوجه لان الوجه الاول فیه منافرة مع قوله لا تذر وقوله انی مغلوب فانتصر
ویصنع الفلک حکایة حال ماضیة وکلما مر علیه ملأ من قومه سخروا منه یقولون صرت
نجارا بعد ما کنت نبیا وکان یصنعها فی بریة لا ماء بها کلما دلت علی ان ذلک کان منهم
علی التکرار والتوالی قال ان تسخروا منا علی الاستهزاء فانا نسخر منکم کما تسخرون نسخر
منکم اذا وقع علیکم الغرق فی الدنیا والحرق فی الآخرة وقیل التسخر منهم مجاز عن الاستجهال
لان السخریة فی مثل هذا المقام تعرض لسخط الله وعذابه ولا جهل فوقه فسوف تعلمون
من یاتیه عذاب یخزیه من منصوب بتعلمون ای سوف یظهر لکم من الذی یاتیه عذاب
یخزیه ای به علی وجه الابهام لئلا یوقعون به مکروها کانوا یضربونه ویرمونه بالاحجار حتی یغمی
علیه فاذا افاق قال اللهم اهد قومی فانهم لا یعلمون روی انه عملها فی سنتین وکان طولها
ثلثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وارتفاعها ثلثون ذراعا وکانت من خشب الساج
لها ثلثة بطون فحمل فی البطن الاول الوحوش والسباع والهوام وفی البطن الاوسط الدواب

والانعام

والانعام وهو ومن معه من الناس فی اعلاها وحمل الزاد وما یحتاج الیه وحمل جسد آدم
وجعله فاصلة بین الرجال والنساء وعن الحسن ان طولها کان الفا ومائتی ذراع وعرضها
ستمائة ذراع روی ان الحواریین قالوا لعیسی علیه السلام لو احییت لنا رجلا شهد سفینة
نوح فانطلق بهم الی کثیب فاخذ من ذلک التراب کفا وقال هل تدرون من هذا
قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا کعب بن حام بن نوح فضرب الکثیب بعصاه وقال قم
باذن الله فقام ینفض التراب من راسه فقال له عیسی کیف شبت ولم یکن یشیب
قبل ابرهیم قال شبت من هول القیمة لما قلت قم ظننت ان القیمة قد قامت قال له
حدثنا عن سفینة نوح قال کان طولها الفا ومائتی ذراع وکانت ثلث طبقات طبقة
للانس وطبقة للدواب والوحوش وطبقة للطیر ثم قال عد کما کنت باذن الله فعاد
ترابا ویحل علیه عذاب مقیم حلول الدین علی المدین استعارة تبعیة هو عذاب الآخرة
بعد الهلاکة حتی اذا جاء امرنا غایة لیصنع وما بینهما حال من فاعله کانه قیل یصنعها والحال
انه کلما مر علیه ملأ من قومه سخروا منه وجواب کلما سخروا وقال استیناف علی تقدیر
سؤال او هو الجواب وسخروا اما بدل من مر او صفة لملأ وفار التنور من فار القدر اذا
جاشت والتنور هو المعروف فکان خرقا للعادة وقیل التنور وجه الارض وقیل اشرف
موضع فیها وکان ذلک بکوفة فی موضع مسجدها وقیل بهند قلنا احمل فیها فی السفینة
من کل زوجین اثنین باضافة کل علی قراءة الجمهور فاثنین مفعول الامر والجار والمجرور
اما متعلق به او حال عن المفعول قدمت لکون ذی الحال نکرة وقرأ حفص بالتنوین
ای من کل جنس احمل زوجین ذکرا وانثی واثنین صفة مؤکدة لان الزوج احد القرینین
لا مصطلح الحساب والمختار قراءة القوم لعدم الاحتیاج الی التقدیر واهلک عطف علی
زوجین او علی اثنین باعتبار القراءتین الا من سبق علیه القول ابنه وامرأته لکونهما
کافرین ومن آمن عطف علی ما عطف علیه اهلک وما آمن معه الا قلیل قیل کانوا ثمانیة
نوح واهله غیر الهالکة وبنوه الثلثة سام وحام ویافث ونساؤهم وقیل کانوا عشرة
خمسة رجال وخمس نسوة وقیل کانوا اثنین وسبعین رجلا وامرأة واولاد نوح الثلثة
ونسوتهم ونوح واهله فالکل ثمانون والقریة التی نزلوا من السفینة فیها بذیل الجودی تسمی
ثمانین وقال نوح او الله ارکبوا فیها ادخلوا فیها شبه الدخول بالرکوب بجریان السفینة
بسم الله حال من الواو فی ارکبوا ای ارکبوا مسمین الله او قائلین بسم الله مجریها ومرسیها
اجراؤها وارساؤها رفع علی الابتداء او علی فاعلیة الظرف او نصب بتقدیر الوقت کقولهم
آتیک خفوق النجم ویجوز ان یکون کلاما مستقلا عن الاول کانه لما امرهم بالرکوب ذکر
لهم ان اجراءها وارساءها انما هو بذکر اسم الله او بارادته وقدرته فانه قد روی انه کان
اذا اراد ان تجری قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ویجوز
ان یکون الاسم مقحما کقول لبید ثم اسم السلام علیکما وقرأ حمزة والکسائی وحفص بفتح المیم

مصدر جرى لقوله وهي تجري بهم والمختار قراءة القوم لازدواج مرسيها ان ربي لغفور رحيم
متصل باركبوا كانه قيل اركبوا فيها فلولا مغفرته لفرطاتكم وشمول رحمته لما نجاكم وهي تجري بهم
اي فركبوا فيها قائلين بسم الله وهي تجري بهم في موج كالجبال الموج ما يعلو فوق الماء عند
اضطرابه كل موجة منه تشبهت بالجبل في الارتفاع والعظم وكون السفينة في الموج ان الامواج
تقصدها من كل جانب لا انها داخلة في جوف الماء وقوله فالتقى الماء لا يقتضي تطبيق ما بين
السماء والارض وبقاء السفينة كالسمكة اذ المشهور ان الماء علا شمخ جبل اربعين ذراعا ونادى
نوح ابنه ظاهر في كونه من صلبه وقيل كان ربيبه وكان في معزل في مكان بعيد عزل نفسه
عن ابيه او عن دينه يا بني اركب معنا في السفينة قرأ عاصم بفتح الياء في بني هنا ونافع وابن
كثير وابو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائي بالكسر وجه الفتح اصل ابن بنو فزدت الواو في التصغير
ثم قلبت ياء وادغم فيها ياء التصغير والحقت بها ياء التكلم في النداء ثم ابدلت الفا كما في يا غلاما
ثم اكتفي بالفتحة الدالة عليها ووجه الكسر حذف الياء الدالة الكسر عليها والمختار هو الكسر
لانها افصح واقل تغييرا وادغم الباء في الميم قبل وابو عمرو وعاصم والكسائي باتفاق البزي
وقالون وخلاد في احد الوجهين لاتحاد المخرج والتجانس في بعض الصفات ولا تكن مع
الكافرين خارج السفينة او في الدين قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء من غرقه قال
لا عاصم اليوم من امر الله من عذابه الا من رحم الا الراحم وهو الله تعالى وضع الظاهر موضع
المضمر اشارة الى ان رحمته هي المعتصم به لا الجبل وفي الموصول زيادة تفخيم ايضا او لا ذا عصمة
الا المرحوم كعيشة راضية على ان فاعل لمعنى النسبة كلابن وتامر او المكان مقدر بدليل ذكره
في مقابلة الجبل اي لا عاصم الا مكان رحمه الله وهو السفينة او الاستثناء منقطع اي لا عاصم
اصلا ولكن من رحمه الله فهو المعصوم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين من جملتهم
وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل
بعدا للقوم الظالمين حكى عز سلطانه ما تعلق به ارادته فوقع على وفقه من غير ريث من غور
ما انفجر من الارض الى بطنها وانقطاع طوفان السماء ونقصان الماء الطاغي وقضاء امر نوح
وهو انجاز ما وعده من اهلاك الكفار وتسوية السفينة على الجودي وابقاء الظلمة في اللعن والبوار
ما في الارض والسماء كما ينادي العقلاء المختارون المنقادون لاوامره العارفون وجوب
طاعته الخائفون سطوات قهره وتشبيها للمراد بالمأمور واستعار لغئور الماء البلع الذي
هو اعمال الجاذبة في المطعوم والشبه بينهما هو الذهاب الى مقر خفي واضافة الماء الى الارض
على سبيل المجاز الحكمي تشبيها للاتصال الصوري باتصال الملك بالمالك واستعار الاقلاع
الذي هو ترك الفاعل الفعل لاحتباس المطر والشبه بينهما عدم ما كان ولم يصرح بالفاعل في
غيض وقضي وقيل كما لم يصرح بالمنادي في يا ارض ويا سماء لعدم ذهاب الوهم الى ان
غيره جلت عظمته يتصور منه تلك الاشياء ثم ختم الكلام بالتعريض لمن سلك مسالكهم
في تكذيب الرسل وان ذلك العذاب الهائل انما كان منشأه الظلم لا غير والجودي جبل

بجزيرة

بجزيرة الموصل والقول بانه بالشام او بآمل ليس له اصل روي انه ركب السفينة عاشر
رجب ونزل عنها عاشر المحرم فصام ذلك اليوم شكرا فصار سنة ونادى نوح ربه اراد
نداءه لقوله فقال رب والنداء على اصله والفاء لتفصيل المجمل ان ابني من اهلي بعض
اهلي كان من صلبه او كان ربيبا له فهو ايضا من اهله وان وعدك الحق اي كل وعد وعدته
كائن لا محالة وقد وعدتني انجاء اهلي والظاهر انه لم يكن نوح عالما بكفره وقوله لا تكن مع
الكافرين لا يدل على كفره ولم يحمل مقاولة الابن على العناد لان عليه الحب يغطي على البصيرة
فهو تنبيه على ان مثله كيف يشتبه عليه حال المعاند وكيف يجعل مناط النجاة كونه من
اهله مع عدم علمه بايمانه واولوا العزم يعاتبون على النقير والقطمير وقيل كان النداء بعد
الغرق وفيه انه قوله الا من سبق عليه القول استثناء من الاهل فالسؤال عن موجب
عدم النجاة محال لا وجه له بل فيه شبهة اعتراض وقيل كان عالما بكفره ولم يعلم ان طلب نجاته
ولده الكافر محظور عليه وفيه انه كان عالما بان في اهله من حق عليه العذاب وليس ذلك
الا الكفرة وانت احكم الحاكمين لا حكم فوق حكمك او اعلمهم فلا يتطرق زلل في حكمك او
اعدلهم اذ لا يتصور علة لقضائك وقيل الحكم حكيما مشتق من الحكمة قال يا نوح انه ليس
من اهلك اذ لا ولاية بين المؤمن والكافر انه عمل غير صالح تعليل لذلك وانما جعل
نفس العمل مبالغة في ذمه كقول الخنساء وانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير للسؤال
وفيه انه يفوت كون الصلاح هو مناط النجاة ويلزم منه ايضا تخطئة نوح بتلك العبارة
الموحشة مع ان سنة الله مع انبيائه في ترك الاولى العتاب باللطف وجه وقرأ الكسائي
عمل فعلا ماضيا فلا تسألن ما ليس لك به علم بنى نوح الامر على ظاهر الحال الذي يكتفي
به في العمليات فرد عليه بان ذلك ليس راجعا ونصب غيرا لا العمل فلا بد فيه من اليقين
وانما سمى نداءه سؤالا لسبق الوعد بانجاء اهله قرأ نافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد
النون وكسرها وحذف الياء الا ورشا في الوصل وكذا ابن كثير الا انه فتح النون وابو عمرو
والكوفيون باسكان اللام وتخفيف النون مكسورة ثم وجه تشديد النون مفتوحة انها
المؤكدة المثقلة ووجه كسرها انها المخففة ادغمت في نون الوقاية او المثقلة حذفت
نون الوقاية اكتفاء بها فحركت بحركتها والمختار التشديد لتوفير المعنى الطلب والكسر على
انها الخفيفة ادغمت لئلا يلزم الحذف وتغيير الحركة اني اعظك ان تكون من الجاهلين
سعد وواسعهم قال رب اني اعوذ بك ان اسألك بعد هذا السؤال ما ليس لي به علم
قد اتعظت وتأدبت والا تغفر لي ما فرط مني وترحمني بالتوبة او بالتوفيق في المستقبل
اكن من الخاسرين اعمالا في زمرتهم قيل يا نوح اهبط بسلام منا مسلما من جهتنا آمنا
محفوظا او مسلما عليك اكراما لك وبركات عليك مصحوبا بالخيرات نامية ثابتة مأخوذ
من البركة وهي الصدر قال مستقدم البركة كالراكب ومنه بركة الماء ولما فيه من معنى الثبوت
اشتق منه البركة لثبوت الخير الالهي وجمع اشارة الى وفوراته وعلى امم ممن معك الذين

معك على ان من بيانية وسمي كل امة لتحزبهم او باعتبار ما شاء وامم ناشئة ممن معك
وهم المؤمنون الى اخر الدهر وهذا اوجه لان الابتدائية بعد المنكر اكثر ويحسن التقابل بين
قوله وامم سنمتعهم وبين قوله وامم ممن معك لان الناشئ منهم فرقتان فرقة مؤمنة
واخرى كافرة على ان اطلاق الامة على القليل لا يلايم فكيف بالامم والتعظيم كما في قوله ان
ابراهيم كان امة محل تعظيم نوح وامم سنمتعهم في الدنيا ثم يمسهم منا عذاب اليم في الآخرة
هم الكفار من ذريته لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين وقيل هم قوم هود وصالح ولوط وشعيب
والعذاب ما نزل بهم عن محمد بن كعب القرظي دخل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة
الى يوم القيمة وفي المتاع والعذاب كل كافر تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع بالابتداء
من انباء الغيب بعض اخبار الغيب نوحيها اليك خبر ثان ما كنت تعلمها انت خبر
ثالث والجمع الاخبار مثله الشأن في رفع الابهام ويجوز ان يكون نوحيها حالا من انباء وما كنت
تعلمها من ضمير المؤنث او من كاف الخطاب في اليك ولا قومك ترق في الكلام لانهم مع
كثرتهم وكثرة اسفارهم واختلاطهم اذا لم يعلموها فانت اولى من قبل هذا اسم الايحاء او علمك
المكتسب به او من قبل هذا الوقت فاصبر على اذى التبليغ كما صبر نوح ان العاقبة للمتقين
في الدنيا بالنصر والغلبة في الآخرة في الفوز برضوان الله والى عاد اخاهم هودا عطف على ارسلنا
نوحا وهودا عطف بيان او بدل واخ القوم واحد منهم كقولهم يا اخا العرب قال يا قوم
اعبدوا الله امنوا به ما لكم من اله غيره يستحق العبادة ان انتم الا مفترون في القول بان
له شريكا ويا قوم لا اسئلكم عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني ما من نبي الا وصرح لقوله
بعدم الاجر على التبليغ لان النصح اذا شابه وهم الطمع لا يجدي ولا ينجع افلا تعقلون تستعملون
عقولكم ليظهر لكم الحق فانه لا يتوقف الا على توجه العقل لجلائه ويا قوم استغفروا ربكم بالتوبة
عن الاشراك ثم توبوا اليه دوموا على تلك التوبة او امنوا به لان الاستغفار من روادف
الايمان فهو كناية عنه والنهي عن عبادة الغير لا يكون الا بعد الايمان به تعالى ولكن ثم
يرجح الاول يرسل السماء عليكم مدرارا يفض عليكم نعمه لان المطر سبب حصول جميع النعم لا سيما
اذا كان وافيا وافرا والمدرار الكثير الدرور المتتابع صيغة مبالغة ويزدكم قوة الى قوتكم
لتقدروا على الانتفاع بتلك النعم على التمام والكمال وقيل كانوا اصحاب زروع وبساتين
مفتخرين فاستمالهم بانهم امنوا وانتهوا عن الشرك يزيدهم الله في هذين المطلوبين درجات
وقيل قوة الايمان الى قوة الابدان وقيل حبس عنهم المطر ثلث سنين وعقمت ارحام
نسائهم روي ان الحسن بن علي وفد على معاوية فلما خرج من عنده تبعه بعض حجابه وقال
اني رجل ذو مال ولا يولد لي فقال عليك بالاستغفار فلما بلغ معاويه فقال هلا سالته من
اين يقول فلما وفد وفدة اخرى يساله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم
وقول نوح ويمددكم باموال وبنين بعد الامر بالاستغفار فاكثر الرجل من الاستغفار فولد له عشرة
بنين ولا تتولوا مجرمين مصرين على الاجرام قالوا يا هود ما جئتنا ببينة تكذيبا باياته الدالة على

بنبوته

بنبوته وعنادا كما فعلت قريش مع رسول الله وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك لاجل قولك
وما نحن لك بمؤمنين في شيء من الاوقات اقناطا له بعد تكذيبه ان نقول الا اعتريك
بعض آلهتنا بسوء اعتريك اصابك من عراه اصابه قال الشاعر واني ليعروني لذكراك هزة
يريدون انه اصابه جنون من جهة آلهتنا ملكا فالوه على سبه اياها ولذلك يهذي ويتكلم بكلام
المجانين وكذلك حال اكثر الجهال مع العلماء في كل عصر وهذه الاجوبة دلت على فظاظة
متناهية وجهل مفرط حيث اعتقدوا ان الجمادات تضر وتنفع قال اني اشهد الله واشهدوا
اني بريء اشهد الله على براءته توكيد القوله لانه جار مجرى القسم ولم يشهدهم بل امرهم بالشهادة
لان العرض عدم المبالاة بهم ثقة بالله فتخالف الغرضين خالف بين اللفظين مما تشركون
من دونه من اشراككم او مما تشركونه من آلهة فكيدوني جميعا انتم وآلهتكم ثم لا تنظرون
بعد اجتماعكم على ذلك افعلوه العجل بما تفعلون فاني واثق بمن له الخلق والامر وهذا من
اعظم الايات الدالة على قوة يقينه وكمال ثقته حيث واجه اولئك الغلاظ الشداد الذين
يضرب بهم الامثال بمثل هذا الكلام الدال على الاهانة بهم والاحتقار بآلهتهم اني توكلت
على الله ربي وربكم الذي بيده الضر والنفع اشارة الى الحامل له على الجراة عليهم وعدم المبالاة
بهم وبآلهتهم لانهم مربوبون مثله ثم اشار الى الوصف المناسب لذلك بقوله ما من دابة
الا هو آخذ بناصيتها غالب عليها مسخرة تحت قدرته القاهرة وهذا على طريقة العرب فانهم
كانوا اذا اسروا عدوا او منوا عليه بالاطلاق جزوا ناصيته ان ربي على صراط مستقيم احكامه
جارية على نهج الحق المبين فان تولوا تتولوا حذف منه احد التائين فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم
الجواب محذوف اي لا اعاتب او انتم محجوجون او لا عذر لكم يوم القيمة لاني قد بلغتكم
ويستخلف ربي قوما غيركم استئناف للوعيد بان الله يهلكهم ان تولوا وياتي باخرين
يورثهم ارضهم وديارهم واموالهم او عطف على الجواب بالفاء ويؤيده القراءة بالجزم
ولا يضرونه شيئا من الضرر ان ربي على كل شيء حفيظ ومن كان هذا شانه لا يمكن ان
يلحقه ضرر ولا يخفى عليه شيء من اعمالكم فيكون وعيدا ولما جاء امرنا بالعذاب الموعود
نجينا هودا والذين امنوا معه برحمة منا قيل كانوا اربعة آلاف ونجيناهم من عذاب غليظ
ليس فيه تكرار لان الاول اخبار بان الايمان صار سببا لنجاتهم والثاني بان النجاة
كان من اي عذاب او الاول النجاة من عذاب الدنيا والثاني من عذاب الآخرة وتلك
عاد جحدوا بآيات ربهم انث الاشارة باعتبار القبيلة او اشار الى قبورهم وآثارهم وذكر
البعيد لبعد العهد بهم ولشدة شكيمتهم في كفرهم وعصوا رسله لان من كفر برسول فهو كافر
بالكل لاتحاد الدعوى واتبعوا امر كل جبار عنيد رؤساءهم الذين يصدرون عن رأيهم الجبار
من يعمل على الغضب والعنيد الجائر المائل عن الحق من عند البعير عنودا اذا عدل عن
الطريق واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيمة اي جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين
لاتباعهم الكفار واعراضهم عن الرسل جزاء من جنس اعمالهم الا ان عادا كفروا ربهم بربهم ونعمه

ربهم الا بعدا لعاد قوم هود سمي عادا باسم جدهم وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام
بن نوح كرر حرف التنبيه واعاد الاسم ودعا عليهم بعد الهلاك اشارة الى انهم كانوا احقاء
بما نزل بهم واوقع قوم هود بيانا لما في الاجمال والتفصيل من الايضاح والتكرير فهو تسموا
بتلك الدعوة وسما محققا لا شبهة فيه وما يقال انما جي به لتمييزهم عن عاد ارم فانها عاد
ثانية ولذلك وصف قوم هود بعاد الاولى ففيه الاحتمال لذلك لتقدم هود وقومه في بعد
القصة والى ثمود اخاهم صالحا عطف على قوله الى قومه في قصة نوح قال يا قوم اعبدوا الله
ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض بخلق ابيكم آدم لا غير واستعمركم فيها امركم بالعمارة
فيها او جعلكم عمارها اي سكانها او استبقاكم فيها من العمر او من العمرى وهي ان يقول الرجل
اعمرتك هذه الدار اي لك الانتفاع بها مدة عمرك وعلى هذا فالمعنى انه اعمركم فيها دياركم
وهو ورثها منكم ويرجع اليه بعد موتكم او جعلكم معمرين لغيركم لان من ورث غيره فكانه اعمره
اياها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب رحمته مجيب لمن دعاه قالوا يا صالح قد
كنت فينا مرجوا قبل هذا لما نرى فيك من مخايل الرشد وكنا نتوقع ان تكون مسترشدا
في الامور نصدر عن رايك فقد تبين لنا ان لا خير فيك وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا
اتنهانا استفهام انكار ان نعبد ما يعبد اباؤنا حكاية حالية ماضية واننا لفي شك مما تدعونا
اليه مريب اراب اوقعه في الريبة وهي قلق النفس واضطرابها او من اراب الرجل اذا كان
ذا ريبة على الاسناد المجازي يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي حجة وبصيرة دالة على نبوتي
وايراد حرف الشك لانكار المخاطبين واتاني منه رحمة هي الرسالة فانها فضل من الله فمن ينصرني
من الله من عقابه ان عصيته خالفت امره فما تزيدونني باستتباعكم غير تخسير غير ان تخسروني
بابطال اعمالي وتعريضي لعقاب الله او فما تزيدونني بقولكم هذا غير ان انسبكم الى الخسران او
تخسرون انفسكم وتحملونها زيادة عذاب لكونكم تدعون مثلي الى الكفر ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية
نصب على الحال المؤكدة نحو هذا خالد شجاعا وزيد حاتم جودا والدلالة اضافة الناقة الى الله على
كونها آية والجار والمجرور بيان واللام فيه مثل اللام في سقيا لك فذروها تاكل في ارض الله
لا تريد منكم لا ماء ولا علفا حتى تفطروا الى ايقاع سوء بها ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب
قريب عاجل فعقروها فقال تمتعوا في داركم في ارضكم سميت دارا لانها يدار فيها كما سميت
البيت به ثلثة ايام قيل هي الاربعاء والخميس والجمعة وقد هلكوا يوم السبت ذلك وعد غير
مكذوب اي فيه فحذف الجار اتساعا كما حذف من يوم مشهود وقوله ويوم شهدناه او على
المجاز كانه قيل للوعد لابد وان يوفى بك فاذا لم يوف به فهو مكذوب فلما جاء امرنا نجينا
صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ من عذابه وهو الهلاك بالصيحة او عذاب
يوم القيمة وقرا نافع والكسائي بفتح الميم من يوم لاضافته الى المبني واصله السكون وانما
حرك لالتقاء الساكنين وبالفتح لانه اخف ان ربك هو القوي العزيز القادر على كل شيء
الغالب عليه واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين ميتين لاحقين بالارض

كان لم

كان لم يغنوا فيها لم يسكنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم قراه حفص وحمزة بلا تنوين لانه علم قبيلة
والباقون بصرفه لانه اسم ابي القبيلة او باعتبار الحي الا بعدا لثمود قراه الكسائي بالتنوين
والكسر لما ذكر انفا ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى ادخل قد لان السامع للقصص
السابقة يتوقع سماع غيرها والرسل جبرائيل وميكائيل واسرافيل كانوا تسعة وقيل اثنى
عشر على صورة الغلمان الحسان ابتلاء لقوم لوط والبشرى بشارة الولد لقوله وبشروه بغلام
عليم ويحتمل التعدد له ولاهلاك قوم لوط قالوا سلاما نصب على المصدر او القول بمعنى الذكر
فالنصب به قال سلام اي عليكم سلام حياهم باحسن من تحيتهم لدلالته على الاستمرار
بقرينة المقام وقرا حمزة والكسائي قال سلم بكسر السين وسكون اللام وهي لغة فيه كحرم
وحرام وحل وحلال وقيل الصلح لانه خافهم والمختار الفتح والدلالة المشهور فما لبث ان جاء
بعجل حنيذ فما ابطا مجيئه به والحنيذ المشوي بالحجارة المحماة وقيل حنيذ سمين يقطر منه الدسم
من حنذت الفرس اذا القيت عليه الجلال لتعرق لقوله بعجل سمين فلما راى ايديهم لا تصل
اليه لم يكن ينظر الى وجوههم عند تقديم الماكل لئلا يحصل للضيف نوع خجل فيحصل له فتور
في الاكل وهذا شان ارباب الفتوة مع الضيفان قال الشاعر وناولته من رسل كوماء جلدة
واغضيت عنه الطرف حتى تضلعا وقيل قد كان نذر ان لا ياكل الا مع الضيف وكان له
مدة لم يرد عليه الضيف فلم ينتبه الا لعدم اختلاف ايديهم الى الطعام نكرهم يقال نكره وانكره
واستنكره شك في معرفته واوجس منهم خيفة لانهم حين امتنعوا من اكل الطعام عرف انهم
ملائكة وخاف ان يكونوا مرسلين لامر انكره الله ولم يخف على نفسه لان سلامهم كان دالا على
انه لا مكروه منهم قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط اي بالعذاب جواب من علم انهم
مرسلون لامر ولكن لم يعلم ذلك الامر بعينه وامراته قائمة وراء الستر تسمع قولهم وقيل قائمة
خادمة كانت تسعى في الخدمة فضحكت حاضت يقال ضحكت السمرة اذا سال صمغها وقيل
بل ضحكت سرورا بزوال العذاب او بنجاة لوط عن المفسدين او باصابة ظنها فانها كانت
تقول لابراهيم ضم اليك لوطا فاني اعلم ان العذاب نازل بقومه فبشرناها باسحاق ومن وراء
اسحاق يعقوب قراه ابن عامر وحفص وحمزة بالنصب مفعول وهبنا الدال عليه البشارة
كذا قاله سيبويه ويجوز ان يكون معطوفا على محل اسحاق او لفظه وفيهما ضعف للفصل بين العاطف
والمعطوف ويجوز ان يكون منصوبا بفبشرناها على طريقة الايصال كقوله ذلك الذي يبشر الله
عباده والرفع على الابتداء او فاعلية الظرف وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له
هذا ولدك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وجه البشارة اليها تارة والى ابراهيم اخرى
بقوله وبشروه بغلام عليم لان السرور بالولد مشترك لانها كانت عقيمة حريصة على الولد وكما
انها بشرا بالولد بشرا ضمنا بطول العمر حتى يرى المولود المبشر به ولدا قالت يا ويلتا لم ترد به
معناه بل التعجب والاستبعاد دل عليه قولها االد وانا عجوز قيل كان سنها ثمانية وتسعين
سنة وسن ابراهيم مائة وعشرين سنة وهذا بعلي زوجي والزوجة ايضا بعل من المبالغة وهي

ملاعبة الزوجين وفي الحديث ايام منى ايام اكل وشرب وبعلي شيخا نصب على الحال والعامل معنى الاشارة او التنبيه ان هذا لشيء عجيب لم يعهد مثله من هرمين قالوا اتعجبين من امر الله ارادته اذا تعلقت بشيء الموا عليها التعجب من حصول الولد من شيخ وشيخة وان كان في ذلك خرق العادة لانها قد شاهدت امثال ذلك من المعجزات والامور الخارقة وعللوا الانكار بقولهم رحمة الله وبركاته على وجه الاستيناف كانه قيل اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة عليكم قيل الرحمة النبوة والبركة الاسباط لان الانبياء منهم والكل من نسل ابراهيم اهل البيت نصب على الاختصاص لانهم اهل بيت خليل الرحمن وذلك مدح لهم اي مدح انه حميد مجيد فاعل ما يحمد عليه ومجيد فعيل بمعنى المفعول وقع تذييلا لما تقدم اي ليس ما يفعله محلا للتعجب بل للتحميد والتمجيد فانه مولي متفضل فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى ما اوجس من الخيفة بما الحقوه به من البشرى يجادلنا في قوم لوط يجادل رسلنا مجادلته قوله ان فيها لوطا وانما جاء به مضارعا حكاية للحال الماضية او التقدير اخذ يجادلنا او اقبل ونحوه ان ابراهيم لحليم كثير الحلم اواه كثير التاوه على ما يقع منه من تفريط او على الناس ترحما وهذا اليق وابلغ في مدحه منيب تائب الى الله تعالى بما يحبه ويرضاه اورف مجادلته بهذه الصفات دفعا لما يتبادر من المجادلة من ايراد مقدمات غير حقة يا ابراهيم على ارادة القول اي قالت الملائكة المجادلون اعرض عن هذا الجدال وان كان دابك الرافة انه قد جاء امر ربك قضاؤه المبرم الذي لا مرد له وانهم اتيهم عذاب غير مردود لتعلق ارادة الله به ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم اي سيء لوط بسبب مجيئهم لانهم جاءوا على صورة غلمان حسان ولم يدر انهم ملائكة فقال لهم لم يبلغكم خبث اهل هذه القرية وضاق بهم ذرعا كناية عن شدة حزنه وعدم اهتدائه الى ما يدفع به كيدهم عن اضيافه وقال هذا يوم عصيب قاله مشافهة او في نفسه تحزنا والعصيب الشديد يوم عصيب اي اشده ومنه العصابة والعصب وجاءه قومه يهرعون اليه يسرعون من قولهم هرع اي سال بين السيلان كان بعضهم يدفع بعضا بالحمل على الجري ومن قبل كانوا يعملون السيئات ياتون الفواحش كلها لا يتحاشون فتمرنوا على فعل المنكرات فلذلك اسرعوا من غير مبالاة قال يا قوم هؤلاء بناتي وكانوا يطلبون قبل ذلك التزوج بهن ويابى لوط فلما اشتد الامر عليه سمح بذلك وقاية لاضيافه وعدم جواز تزويج المسلمات للكافر شرع طار والاستدلال بتزويج رسول الله ابنته لابي العاص بن الربيع مبني على كونه متعبدا بشرع من قبله من اطهر بمعنى الطاهر او لا اطهر فيما يرومونه والقول بان ذلك اقل فحشا مبني على تجويز اتيانهن في السفاح ولا يقوله متدين فاتقوا الله بترك الفواحش ولا تخزون لا تفضحوني من الخزي او لا تخجلوني من الخزاية بمعنى الحياء في ضيفي في شانهم اليس منكم رجل رشيد يرعوي عن الجهل الاستفهام على اصله او اريد به التحزن والتاسف قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق لان نكاح الاناث ليس لهم عنده بل هو كالباطل وانك لتعلم ما نريد لا تخفى

عليك

عليك قال لو ان لي بكم قوة لو ثبت لي قوة لدفعتكم او اوي الى ركن شديد قوي امتنع به عنكم لفعلت شبه القوي العزيز بالركن من الجبل لشدته ويحتمل ان يكون لو للتمني فلا يحتاج الى الجواب وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله لوطا كان ياوي الى ركن شديد استغرب منه هذا القول لان عناية الله كانت اشد ركن له ولذلك قالت الملائكة حين وجدت عليه ان ركنك لشديد هذه المقاولة معهم كانت من وراء الباب فانه كان قد اغلق الباب دونهم فلما طال الجدال تسوروا الجدار ولما رات الملائكة ما اصاب لوطا من الكرب قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك باضرارنا فافتح الباب فدخلوا فنشر جبرئيل جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم كما حكاه تعالى فطمسنا اعينهم فخرجوا وهم يقولون النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة فاسر باهلك بقطع من الليل بطائفة قرا نافع وابن كثير بالوصل والباقون بالقطع وهما لغتان والقطع اولى لاتفاقهم في اسرى بعبده ولا يلتفت منكم احد الى ورائه لئلا يصيبه ما اصابهم ولذلك لما التفت امراته حين سمعت هدة العذاب لحقها حجر فقتلها الا امراتك استثناء من اهلك بناء على انه نهي عن الاسراء بها في جملة اهله او من احد على اللغة القليلة في غير الموجب لان القراءة تكفي لصحتها وجه نحوي ولا يحتاج الى تاويل الالتفات بالتخلف على تقدير الاستثناء من احد احترازا من مناقضة الاستثناء من اهلك لان الاستثناء من الاهل يقتضي ان لا يكون لوط مامورا بالاسراء بها ولا امتناع في ان يكون سرت بنفسها كيف ولم ينه عن الاسراء بها بل امر بالاسراء بغيرها وقرا ابو عمرو وابن كثير بالرفع على البدل والمختار النصب على الاستثناء من الاهل لسلامته عن التكلف وتاييده بقراءة ابن مسعود رضي الله عنه فاسر باهلك بقطع من الليل الا امراتك بالتقديم انه مصيبها ما اصابهم اي ما يصيبهم علة لعدم الاسراء بها او لعدم نهيها عن الالتفات ان موعدهم الصبح علة للاسراء اليس الصبح بقريب كلام الملائكة جواب لاستعجال لوط كانه استبعد مجيء الصبح لغاية ضجره وشدة شوقه الى الاشتفاء ومن هنا يظهر لك مقام سيد المرسلين لما جاء ملك الجبال وقال ان الله قد سمع جواب قومك وقد ارسلني اليك بان تامرني فيهم بما شئت فان شئت اطبقت الاخشبين عليهم فقال لا ولكن ارجو ان يخرج من اصلابهم من يقول لا اله الا الله فلما جاء امرنا بالعذاب جعلنا عاليها سافلها جواب لما وانما اسنده الى ذاته وان كان المباشر الملائكة تعظيما للامر وان مثل ذلك الفعل انما هو باقداره روي ان جبرئيل رفع مداينهم بجناحه الى حيث سمع الملائكة في السماء صياح الكلب وصياح الديك ثم قلبها وامطرنا عليها حجارة من سجيل من طين متحجر معرب سنك كل اي الحجر والطين وقيل من السجل او ارسله لانها مرسلة للعذاب لقوله لنرسل عليهم حجارة وقيل من سجيل اذا كتب لان الله كتب عليها ان يعذب بها منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل متتابعة بعضها اثر بعض مسومة معلمة كل حجر عليه اسم من يرمى به وقيل كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل كان عليها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة

الارض عند ربك في خزائنه وما هي من الظالمين ببعيد الضمير للقرى اي تلك القرى قريبة
من ظالمي مكة يمرون عليها في مسايرهم الى الحجاز فان كل ظالم كل لحظة بصدد ان يقع عليه
حجر وقد روي انه صلى الله عليه وسلم سال جبرئيل فقال هم ظالمو امتك والى مدين اخاهم
شعيبا مدين اسم قبيلة سميت باسم جدهم وهو مدين بن ابراهيم واسم مدينة بناها مدين
سميت باسم بانيها قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره دعاهم اولا الى التوحيد لانه ملاك الامر
ولا تنقصوا المكيال والميزان كان فيهم التطفيف شايعا نهاهم عنه بعد الامر بالتوحيد لكونه خيانة في
حق العباد واني اريكم بخير في ثروة وسعة فانتم في غنية عن التطفيف او الغنى الذي انتم فيه
يقتضي الايفاء شكرا لله فلا تقابلوه بالضد او فلا تزيلوه فان المعاصي تزيل النعم واني اخاف عليكم
عذاب يوم محيط مهلك احاط به العدو واضافة العذاب الى اليوم للملابسة واريد باحاطة
اليوم احاطة العذاب على سبيل الكناية لكون اليوم مشتملا على الحوادث فاحاطته يستلزم احاطة
تلك الحوادث ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط الانتهاء المطلوب لا يتحقق بدون
الايفاء قصدا او لا على النهي عن القبيح ثم الامر بالضد ليس مبنيا على عدم استلزام النهي عن الشيء
الامر بضده بل هو من باب التاكيد كقولك لمن لا يصل الرحم صل رحمك ولا تقطعها تريد بذلك
تاكد وجوبه وقيد الايفاء بالقسط دلالة على ان العدل هو المطلوب والزيادة فضل وقد يكون حراما
كما في الربو ولا تبخسوا الناس اشياءهم اي شيء كان باي نوع كان تطفيفا او غيره وكانوا يمكسون
الناس وقيل كانوا ينقصون من ثمن ما يشترونه ولا تعثوا في الارض مفسدين العثي الافساد وفائدة
تقييده بالحال اخراج ما يقصد به الاصلاح كاتلاف اموال اهل الحرب وهذا اعم لتناوله النقص
وغيره وكان ذلك اعم من الاول لتناوله المقدار وغيره وقيل العثي السرقة وقطع الطريق والغارة
بقية الله خير لكم ما ابقاه لكم من الحلال خير لكم وابرك في الدنيا لان الحرام محوق البركة وفي الاخرة
لنجاتكم من تبعته وعذابه ان كنتم مؤمنين لان الكافر وان نجا من العقاب المترتب
على البخس والتطفيف لكن لم تظهر تلك الفائدة ظهورها مع الايمان لكونه مخلدا في النار وفيه
اشارة الى عظم شان الايمان لان الشيء البين نفعه لم يعد نافعا بدونه وتفسير البقية بالطاعة
لا يناسب المقام وما انا عليكم بحفيظ احفظ عليكم وانما بعثت مبلغا ولست بحفيظ عليكم
نعم الله ان لم تتركوا البخس والتطفيف قالوا يا شعيب اصلوتك تامرك ان نترك ما يعبد
اباؤنا الصلوة وان صح ان يكون امرة بالخير مجازا كما صح ان تكون ناهية عن المنكر لكن
انما ساقوا الكلام مساق الطنز والسخرية وان صلوته والمداومة عليها نوع من الاباطيل ودون
من الجنون والاتيان بالمضارع للدلالة على الاستمرار كان كثير الصلوة ولذلك اتوا بصيغة
الجمع وقرا حمزة والكسائي وحفص بالافراد ومعنى تامرك ان نترك تامرك بتكليف ان نترك
فحذف المضاف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره او ان نفعل في اموالنا ما نشاء عطف
على ما اي وان نترك فعل ما نشاء في اموالنا انك لانت الحليم حيث تامر بترك ما كان
يعبد اباؤنا الرشيد حيث تامر بترك البخس والتطفيف نشرا لما تقدم قالوا تهكما

به قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي حجة واضحة ورزقني منه رزقا حسنا النبوة لان
المعارف الالهية اشرف الارزاق وانفسها وقيل المال الحلال من غير بخس وتطفيف والمعنى
اخبروني ان كنت نبيا حقا اتجوزون لي ان لا امركم بترك عبادة غير الله وما فائدة ارسال الله
الرسل الا ذلك وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه عاد الى النصح بعد ما ازاح ما قرفوه به
على وجه اوضح فيه انه ممن لا يامر الا بما يفعله ولا ينهى عن شيء الا وهو منته عنه لم يكن مظنة الجنون
والمخالفة المعاكسة في الامر يقال خالف زيد عمرا الى كذا اذا كان احدهما واردا والاخر صادرا
ان اريد الا الاصلاح الا الاصلاح ما افسدتم من امر دينكم ودنياكم ما استطعت ما دمت قادرا فما مصدرية
في موقع الظرف او موصولة بدل البعض اي المقدار الذي استطيع منه او الكل على تقدير المضاف
اي اصلاح ما استطعت والاول هو الوجه اذ فيهما تكلف الاضمار وفوات المبالغة وما توفيقي الا بالله
التوفيق خلق قدرة الطاعة مصدر بمعنى المفعول وما كوني موفقا في امضاء او امر الا بتاييد منه
عليه توكلت فوضت امري لا الى غيره واليه انيب لا الى غيره وفيه تهديد بانه لا يبالي بهم لانه
مفوض امره الى من بيده الخلق والامر وقطع لاطماعهم فانهم ما تهكموا به الا استضعافا وهذا كقول
نوح فاجمعوا امركم وشركاءكم ثم كيدوني ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي لا يكسبنكم معاداتي ان يصيبكم مثل
ما اصاب قوم نوح مفعول ثان يقال جرم وكسبه وجرمته وكسبته اياه واجرم لغة في
كسب واكسب والمزيد اقل دورا على السنة العرب وروي عن ابن كثير بضم الياء او قوم هود
او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد زمانا او مكانا فان مدين قريبة من قرى لوط بينهما مسافة
يومين والقرب في المكان والزمان يفيد زيادة معرفة وكمال الوقوف على الحال وذكر لفظ بعيد
باعتبار لفظ القوم لانه يذكر ويونث وكذا كل اسماء الجموع للاناسي مثل رهط ونفر وهو مسند
الى ضمير الاهلاك او الزمان او المكان واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه مر اعرابه ثم وعد عليه ان
ربي رحيم جزيل العطاء متفضل عليكم بدل ما كان يحصل لكم من البخس والتطفيف ودود كثير
اللطف لمن تاب وعد على التوبة بعد الوعيد على الاصرار قالوا يا شعيب ما نفقه نفهم من فقه
بالكسر فهم كثيرا مما تقول من التوحيد وساير الاحكام قالوه استهانة لانهم لم يفهموا مقالته
كقول المشركين لرسول الله قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وانا لنريك فينا ضعيفا لا قوة ولا عز لك
فينا وقيل اعمى ويرده التقييد بالظرف ولولا رهطك لرجمناك لقتلناك شر قتلة فان القتل
بالرجم شنيع جدا ولذلك شرع حدا للزاني والرهط من الثلثة الى العشرة وقيل الى السبعة وما انت
علينا بعزيز بل قومك هذا داب السفيه المحجوج اذا افحم شرع في الهذيان عسى يدفع به العار
عن نفسه وفي ايلاء الضمير حرف النفي دليل على ان الكلام في الفاعل لا في العزة ولذلك كان
مفيدا للتقوي والتخصيص وقولهم ولولا رهطك لرجمناك دليل على ذلك ومنطوق يؤكد ذلك
المفهوم ومثله كثير هو قايلها اي افادة التقوي والتخصيص قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله
يريد ان رعايتي لكوني رسولا من الله احرى بكم واجدر من القوم وانما كانوا يراعون رهطا لكونهم
على دينهم لم يقل ارهطي اعز عليكم مني لان تهاونهم به وهو نبي الله ومبلغ احكامه تهاون

بالله آثره كقوله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله يد الله فوق ايديهم واتخذتموه وراءكم
ظهريا غير معتد به كناية عن عدم الاعتبار نسبه الى الظهر والكسر من تغير النسب ان ربي بما
تعملون محيط يجازيكم عليه ويا قوم اعملوا على مكانتكم المكانة بمعنى المكان كالمقامة بمعنى
المقام كناية او تمثيل او مصدر مكن بالضم مكانة فهو مكين اذا تمكن والمعنى على جهتكم
او متمكنين وقرأ ابو بكر بالجمع وهو ابلغ اني عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه
يجوز ان يكون من استفهامية معلقة للعلم كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه
وان يكون موصولة منصوبة المحل به والتقدير سوف تعلمون الشقي الذي يأتيه عذاب يخزيه
ادخل الفاء في سوف في الانعام والزمر وتركها هنا لكونه بتقدير سؤال لانه في مقام المحاجة
معهم في تهديد السورتين امر بان يقول لهم ذلك الكلام الذي يعقبه ذلك الجزاء ومن هو
كاذب يريد نفسه على زعمهم لانهم كانوا يدعونه كاذبا وارتقبوا انتظروا ما يحل بكم اني معكم رقيب
راقب كالصريم بمعنى الصارم او المراقب كالعشير بمعنى المعاشر او المرتقب كالفقير بمعنى
المفتقر ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا ذكر ها هنا قصة هود وشعيب بالواو
لعدم سبق ما يدل على السببية بخلاف صالح ولوط فانه تقدم فيهما الوعد بالاهلاك بقوله ان موعدهم
الصبح في قصة لوط وقوله ذلك وعد غير مكذوب في قصة صالح فلذلك جيء فيهما بالفاء الدالة
على سببية ما قبلها واخذت الذين ظلموا الصيحة صاح بهم جبرائيل فاصبحوا في ديارهم جاثمين
لازمين لمكانهم موتى كان لم يغنوا فيها كان لم يسكنوها ولم يكن لهم فيها تصرف وتردد
الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود وجه التشبيه بثمود ان كلا منهما كان هلاكه بالصيحة الا ان
صيحة ثمود كانت من تحتهم وصيحة مدين كانت من فوق وعن ابن عباس رضي الله عنه
لم يهلك الله طائفتين بعذاب واحد الا ثمود ومدين والبعد ضد القرب واستعمل هنا بمعنى
البعد بفتحتين كالرشد من بعد بالكسر اذا هلك ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين
ما اتى به من المعجزة سمي آيات باعتبار الدلالة على صدقه وسلطانا واضحا باعتبار تسلطه به على الخصم
او الآيات الاحكام والسلطان براهينها وقيل السلطان استيلاحه على قلب من يراه لقوله
والقيت عليك محبة مني لم يره احد الا احبه وقيل لم يأخذه قتل ولا خوف من اول شانه
ولذلك اخذ بلحية فرعون وهو طفل وقتل القبطي بين اظهر قومه الى فرعون وملائه اشرافه فان
العامة اتباع فاتبعوا امر فرعون بعد ظهور تلك المعجزات ووضوح ذلك السلطان وما امر فرعون
برشيد اي ليس في امره رشد بل ضلال مكشوف اين العشير من مقام الالوهية لا سيما بشر ظلوم به
يضرب الامثال في الغشم واسناد الرشد الى امره مجاز حكمي يقدم قومه يوم القيمة لانه كان اماما
في الكفر فاوردهم النار يوردهم عبر عنه بالماضي لتحققه وتوقعه وبئس الورد المورود الورد الماء
الذي يرده المتعطشون لتبريد الاكباد والاستعارة تهكمية واتبعوا في هذه لعنة يلعنون الى يوم
القيمة لان فرعون وقومه لم يخف قبح صنيعهم على احد ويوم القيمة يلعنهم اهل المحشر ويطردون
الى النار فذلك هو لعن يوم القيمة بئس الرفد المرفود هو العطاء والاعانة والمعنى بئس العطاء

المعطى

المعطى لعن الدنيا مضافا الى لعن الاخرة او بئس العون المعان والمخصوص بالذم محذوف
اي رفدهم ذلك المذكور من انباء القرى بعض اخبار القرى المهلكة مبتدأ وخبر نقصه عليك
قصصنا عليك خبر بعد خبر منها قائم باق مشاهد وحصيد ومنها عافي الاثر كالزرع المحصود استعارة
تبعية والجملة لا محل لها وقيل حال من ضمير نقصه الا ضمير فيه ولا واو وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم
ولكن ظلموا انفسهم اوردوها مورد الهلاك فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون
من شيء فما قدرت ان تدفع عنهم من بأس الله ادنى شيء لما جاء امر ربك عذابه ظرف
اغنت وما زادوهم غير تتبيب اهلاك من تب اذا هلك وكذلك اخذ ربك ومثل ذلك
الاخذ اخذ ربك اذا اخذ القرى اي اهلها وهي ظالمة ايقاع الاخذ ونسبة الظلم الى القرى مبالغة
في استحقاق اهلها ذلك واشارة الى ان كل ظالم بصدد ذلك لوجود العلة ان اخذه اليم شديد
شديد الالم لا يمكن الخلاص عنه صفة بعد صفة زيادة تحذير ان في ذلك فيما اخبرنا عن حال القرى
لآية عبرة لمن خاف عذاب الاخرة يستدل بما نزل بهم في الدنيا على عذاب الاخرة او لمن
يقول بالحشر فان من انكره وذلك من الفلاسفة والدهرية لم يجمع فيه ذلك لاحالته تلك الوقائع
على اسباب فلكية ذلك اشارة الى اليوم المدلول عليه بالاخرة يوم مجموع له الناس للحساب
فيه والثواب والعقاب اثر الاسم على الفعل دلالة على ان ذلك الوصف لازم له لا محالة وخص
الناس بالذكر وان كان الجن ايضا يحاسبون فيه لقوله سنفرغ لكم ايها الثقلان لان الناس
هم المقصودون اصالة وذلك يوم مشهود مشهور معروف عظمه كقولهم لفلان مجلس مشهود
اي يشهده كل احد جعل الشهود كناية عن الشهرة فلا يحتاج الى تقدير فيه الا بيان الاصل ولا يجوز
ان يجعل اليوم مشهودا كما في قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه لان ذلك الشهود وقد علم من
قوله مجموع له الناس وانما المراد التهويل بانه يوم يشهد فيه الخلائق قاطبة لا يغيب عنه ذو حياة
كما فصل في سورة كورت وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء زمان معلوم اجزاؤه في علمنا
المتناهي يوم يأت اي الحساب او ذلك اليوم اي شدائده واهواله فلا يلزم كون الشيء
ظرفا لنفسه او الله ويؤيده قوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام لا تكلم نفس
الا باذنه هذا في موقف وقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون في موقف ولهذا نظائر كقوله فوربك
لنسألنهم اجمعين وقوله فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان وما يقال المأذون فيه
هي الجوابات الحقة والممنوع عنه الاعتذارات الباطلة تكلف بما لا دليل عليه فمنهم شقي وسعيد
الضمير للناس المجموعين او للنفس فانه عام فاما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق
الزفير اول صوت الحمار والشهيق آخره لان الزفير ادخال النفس والشهيق اخراجه شبه صوتهم
في الحالين بصوت الحمار استقباحا لكونه انكر الاصوات والزفير ايضا اغتراق النفس من الشدة
فالمراد بيان شدة حالهم وتراكم كربهم وهذا شاهد فيمن اصابه شدة وهم تراهم له زفرات متوالية
تتبعها شهقات خالدين فيها ما دامت السموات والارض تاكيد للخلود وما يتعارفه الناس
وجرت عادتهم به في التأبيد لا يفهمون منه غير ذلك كقولهم ما لاح كوكب وما اقام ثبير قال

والى مقيم ما اقام عسيب ، والمراد سموات الآخرة وارضها اذ لا بد لهم من مظلة ومقلة وما
يقال انه تشبيه بما لا يعرفه اكثر الخلق ساقط لان هذا القدر ضروري عند من يقول بالحشر
الا ما شاء ربك استثناء من الخلود لان عصاة الموحدين الذين يدخلونها خارجون منها
فعلى هذا ما بمعنى من او اريد بها الصفة كقوله والسماء وما بناها تقديره خالدين فيها الا الذين
تداركتهم رحمة الرحمن لا لاستحقاق منهم وعن الزجاج هو من قبيل لا يذوقون فيها الموت الا
الموتة الاولى وقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وقيل هو مدة لبثهم في البرزخ والموقف
فان حال الكافر يقتضي ان يكون في النار بمجرد فراق روحه ولا يمتنع ان يكون الوصفان
ثابتين لشخص واحد باعتبارين هذا والاحسن انما يقال من كان اخره الى الجنة من الموحدين
وان دخل النار لا يطلق عليه اسم الشقي لقوله الشقي من شقي في بطن امه يريد بذلك شقاء الابد
لا انه يدخل النار ثم يخرج ولقوله خلقت هؤلاء للنار ولا ابالي وخلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي
والاستثناء باعتبار ايام البرزخ والموقف فيه خفاء لان الاستثناء من الخلود ظاهر في الاخراج
بعد الدخول مدرك بالذوق السليم وقيل الاستثناء من زفير وشهيق وقيل الا بمعنى سوى والمعنى
سوى ما شاء الله من الزيادة على بقاء السموات والارض ان ربك فعال لما يريد لا اعتراض
عليه ولا الية لفعله واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والارض
الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ غير مقطوع بل ممتد الى غير النهاية تاكيد لمعنى الخلود ودفع لما
يتوهم من الانقطاع بزوال السموات والارض حملا للكلام على الظاهر وقرا حمزة والكسائي وحفص
سعدوا على بناء المفعول من سعده يسعده بمعنى اسعده والفتح اولى لانه اكثر ولازدواجه بما تقدمه
من المقابل فلا تك في مرية بعد ما قص عليك من احوال الانبياء واحوال اممهم وما نزل
بهم بسبب تكذيب الرسل وعبادة غير الله تعالى مما يعبد هؤلاء من عبادتهم وبطلانها ما يعبدون
الا كما يعبد اباؤهم من قبل استئناف لتعليل النهي عن المرية يريد ان حال هؤلاء في الشرك
مثل حال اباءهم فسينزل بهم مثل ما نزل باولئك لان التماثل في الاسباب يستلزم تماثل
المسببات وما مصدرية اي كعبادتهم او موصولة كالشيء الذي كانوا يعبدونه فحذف لفظ كان
لدلالة قبل على معناه وانا لموفوهم نصيبهم لمعطوهم حظهم من العذاب وافيا او رزقهم المقدر
فيكون اشارة الى سبب تاخير العذاب مع قيام موجبه يقال اوفى وفيه ووفاه اذا لم يبق
عليه منه شي غير منقوص حال مؤكدة تقطع وهم التجوز ولقد اتينا موسى الكتاب فاختلف
فيه امن به طايفة وكفر به اخرى كما اختلف في القران ولولا كلمة سبقت من ربك هي كلمة
الانظار الى يوم القيمة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذا من جملة التسلي ايضا
وانهم لفي شك منه من القران مريب موقع في القلق والاضطراب وان كلا التنوين
عوض المضاف اليه اي وان كل المختلفين وقرا نافع وابن كثير وابو بكر ان مخففا على
الاعمال قال سيبويه سمعت من اثق به من العرب ان عمرا لمنطلق وانشد نظيرا له كان ثدييه
حقان وقيس ذلك على لم يك شيئا لان الفعل اصل في العمل لما ليوفينهم ربك اعمالهم اللام

موطئة للقسم وما مزيدة للفصل بين الموطئة ولام القسم في ليوفينهم وقرا ابن عامر وعاصم
وحمزة لما مشددا اصله لمن ما فادغمت النون في الميم ومن قرا ان مخففا ولما مشددا جعل ان
نافية ولما بمعنى الا ونصب كلا بفعل يفسره ليوفينهم ويجوز ان يكون اللام هي الفارقة
في قراءة التخفيف ولام الابتداء في قراءة التشديد وما زائدة للفصل بين اللامين انه بما يعملون
خبير لا يخفى عليه شي منها الطيب في الوعد والوعيد واحوال الامم وان الرسل بعد التبليغ
لم يزغ احد منهم عن سنن الصواب ومن امن معهم ثم قال فاستقم كما امرت امره بالاستقامة
كما استقاموا والشدة الوفاء بحق الاستقامة قال شيبتني هود واضرابها يريد الامر بالاستقامة
وروى الترمذي عن ابن عباس ان ابا بكر سال رسول الله عن سرعة شيبه فقال شيبتني هود
والواقعة وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فالظاهر انه اراد اهوال القيمة لاشتمال هذه
السور عليها ومن تاب معك عطف على المستكن بلا تاكيد لوجود الفاصل ولا تطغوا ولا تنحرفوا
عن حد الاستقامة تصريح بما علم ضمنا انه بما تعملون بصير اشارة الى كمال علمه بخطرات القلوب
وهواجس الضماير فهي كالمحسوس المشاهد عنده جلاء وظهورا ولا تركنوا الى الذين ظلموا لا تميلوا
ادنى ميل الى من وجد منه ادنى ظلم غاية تحذير فان قرين السوء اشد اغواء من الشيطان واذا
كان الركون الذي هو ميل يسير الى من وجد منه ادنى ظلم مخلا بالاستقامة فكيف بالميل
التام ثم الظلم الكامل ثم الانهماك فيه فتمسكم النار بما يترتب على الركون او قل ما يخلو
عن نوع مداهنة ومشايعة معهم في هواهم وفي الحديث مثل صاحب السوء كنافخ الكير اما ان
يحرق ثيابك واما ان تجد منه رايحة خبيثة وما لكم من دون الله من اولياء اي ولي يتولى
امركم وينصركم بمنع العذاب الواو للحال ثم لا تنصرون اي لا ينصركم الله لانه لا ناصر بعد اوليائهم
غيره ثم لاستبعاد النصر بعد الايقاظ والتحذير عن ارتكاب اسباب العذاب واقم الصلوة
عطف على فاستقم كما امرت طرفي النهار نصب على الظرف وهما الغداة والعشي والمراد
صلوة الصبح والظهر والعصر لان بعد طلوع الفجر الى الزوال غداة ومنه الى الغروب عشية
وزلفا من الليل جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلفة القربة والمراد بها صلوة المغرب والعشاء
لقربهما من اخر النهار روى مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات
الخمس كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكباير ولذلك اتبعه بقوله ان الحسنات يذهبن
السيئات يكفرها روى البخاري عن ابن مسعود ان رجلا اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال اني اصبت من امراة قبلة فسكت رسول الله فلما اقيمت الصلوة قام رسول الله
صلى الله عليه وسلم الى الصلوة فلما انصرف من الصلوة تعرض له فقال له رسول الله الم تصل
معنا قال بلى قال ان هذه الصلوات كفارات لما بينهن ما اجتنبت الكباير ذلك اي
المذكور من الاستقامة وما بعده وقيل القران ذكرى تذكير وموعظة للذاكرين للمتذكرين فانهم
المنتفعون به واصبر على مشاق ما امرت به من الاستقامة والانتهاء عما يخل به فان الله
لا يضيع اجر المحسنين وضع الظاهر موضع المضمر اشارة الى علة الحكم والى ان الصلوة والصبر احسان

وايماء الى انه لا يعتد بشيء من الاعمال بدون الاخلاص على ما فسر به الاحسان في الحديث
فلولا كان من القرون من قبلكم اولو بقية لولا بمعنى هلا حرف تحضيض معناها اللوم
على ترك اللوم في الماضي اشار الى ان ما حل بتلك الامم كان لامرين الاخلال بما هو من
اعظم اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واتباع الشهوات والبقية
من بقية الشيء لانها تحفظ وتصان اي فهلا كان اولو ابقاء وصيانة لانفسهم من سخط الله
وعقابه او البقية بمعنى الفضل والجودة فان المنفق يسمح باخراج الردي يقال زيد من بقايا
الناس اي من خيارهم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا او من البقية بمعنى الرقبة
وانتظاره ومنه حديث ابن عباس في نومه في بيت ميمونة كرهت ان ترى اني كنت
ابقيه والمعنى هلا كان منهم اولو خشية ومراقبة من سخط الله ينهون عن الفساد في الارض
الا قليلا الاستثناء منقطع وينهون خبر بعد خبر ومن القرون حال قدمت او ينهون صفة
والاستثناء متصل والمعنى لولا كان من القرون اولو فضل صفتهم وشانهم النهي عن
الفساد الا قليلا ممن انجينا منهم واذا جعل ينهون خبرا فلا يستقيم الاتصال الا على تاويل
ان الاسم كالتمهيد للخبر وان الاستثناء من كل منهما استثناء من الاخر فكانه قيل ما كان
من القرون اولو بقية الا قليلا ولو اجري الكلام على ظاهره في الاتصال وقيل لم يكن من
في القرون اولو بقية ينهون الا قليلا يلزم ان يكون فيهم اولو بقية غير ناهين عن الفساد
ولا يخفى فساده فان قلت فما فائدة الاطناب وهلا قيل فلولا كان من القرون اولو بقية
الا قليلا قلت فائدته المبالغة بان اهل الفضل منهم اذا اندموا على ترك النهي فغيرهم اولى
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه هم القابلون للقليل الناهين عن الفساد والاتراف الاطغاء
من الترفة النعمة الطغي والمعنى اتبعوا الشهوات واغفلوا الطاعات عطف على ما دل عليه الكلام
اي الا قليلا نهوا عن الفساد او الواو للحال والمعنى انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاء اترافهم
وهو عذاب الاستيصال وكانوا مجرمين عطف على اترفوا اي اتبعوا الشهوات وكونهم مجرمين
لان تابع الشهوات غريق في الاثام او اعتراض لتوكيد ظلمهم ولفظ القوم اشارة الى انهماكهم
وتمرنهم في الاجرام وما قيل من ان المراد بالاجرام اغفالهم للشكر عايد الى الوجهين وما كان ربك
ليهلك القرى بظلم بغير ذنب لا لانه لو اهلكهم لكان ظلما بل على زعمهم كقوله لئلا يكون على الله
حجة وقوله وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون وقيل بظلم بشرك واهلها مصلحون
اي فيما بينهم من معاملة الناس وحقوق العباد فان حق الله مبناه على المسامحة ولم يهلك الله
قوما على الشرك فقط وفيه ان عذاب الاستيصال قد رتب على المجموع والتكذيب كما في قصة هود
وصالح وقوله وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا وكانوا مجرمين ولو شاء ربك لجعل الناس
امة واحدة اي متفقة على الاسلام لقوله ولو شاء لهداكم اجمعين ولا يزالون مختلفين في امر الدين
الا من رحم ربك بان خلق فيه التوفيق والهداية ولذلك خلقهم للهداية والتوفيق فالضمير
لمن والاختلاف في الاية دليل على ان الامر لا يستلزم الارادة وان الله لم يرد ايمان الكافر وتمت كلمة ربك

اي قضاؤه وارادته قراءة بالافراد ابو عمرو وابن كثير والكوفيون لاملان جهنم من الجنة
والناس اجمعين اي من عصاتهما الطائفتين لاستوائهما في التكليف يريد الاعلام بعد الانزواء
فلا يبقى فيه ما رواه البخاري لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فتنزوي وتقول
وعزتك قط قط وكلا نقص عليك من انباء الرسل اي كل نبا ما نثبت به فؤادك جملة من كلا
او كل اقتصاص نقص عليك على انه مصدر وما نثبت به مفعول به ويجوز ان يكون كلا نصبا على
الحال من ما ومن البيان ان جوز تقديم الحال على ذي الحال المجرور والمعنى ان تلك الوقائع
ايرادها مكررة باساليب مختلفة تثبيت كلها على اداء الرسالة واحتمال الاذى كما تساير من قبلك
من الرسل وجاءك في هذه الحق اي في هذه السورة او في الانباء المقتصة فيها ما هو الحق لا كما يقوله
اهل الكتاب من خلطه بالباطل وايراد الاخبار لا على وجهها وموعظة وذكرى للمؤمنين الى اخر الدهر
اشارة الى الفائدة العامة وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم وقرا ابو بكر بالجمع على حالكم
او تمكنكم انا عاملون كذلك وانتظروا بنا من الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم ما نزل بالمكذبين
امثالكم ولله غيب السموات والارض هو يعلم وقت ذلك والحكمة في تاخيره واليه يرجع الامر كله
لا شريك له في ذلك فاعبده واستمر على عبادته او امر لكل احد وتوكل عليه في مجامع الامور بعد علمك
بتفرده بالامر وما ربك بغافل عما تعملون انت وهم فيه تغليب الخطاب وقرا ابن كثير وابو عمرو
وابو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي بالغيبة الضمير للذين لا يؤمنون والخطاب ابلغ

سورة يوسف مكية وايها مائة واحدى عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات الكتاب
المبين تقدم الكلام على الحروف في اوايل السور وان القول المنصور هو القول بكونها اسماء السور
فقوله تلك اشارة الى مدلول الر وهي السورة ويشار تلك لقصد التعظيم كذلك الكتاب والمعنى
هذه السورة المشار اليها بعض الكتاب المبين الواضح اعجازه قالت اليهود للمشركين سلوا محمدا لم انتقل
ال يعقوب من الشام الى مصر وعن قصة يوسف عليهما السلام فنزلت انا انزلناه اي الكتاب
قرانا عربيا الاول حال موطئة والثاني هو الحال او كل منهما حال لان الاول مصدر بمعنى المفعول
وجعله حالا من الضمير في المصدر ضعيف لعلكم تعقلون ارادة ان تفهموا معانيه ولا يلتبس عليكم او جعلنا
قرانا عجميا لقالوا لولا فصلت اياته او تستعملون فيه عقولكم لتعلموا انه ليس من جنس كلام البشر لانه اي باحسن
القصص من لم يتعلم ولم يدارس نحن نقص عليك احسن القصص احسن الاقتصاص مصدر كالطلب
من قص الاثر اذا اتبعه لان راوي الحديث يتبع ما سمعه ولا يخلطه كما ان القاري يتتبع تاليا
لانه يتلو ويتبع اية بعد اية فالمقصوص محذوف وهو الوحي لدلالة اوحينا عليه ويجوز ان يكون بمعنى
المقصوص كالنبا بمعنى المنبا به وان يكون من تسمية المصدر بالمفعول كالخلق وكونه احسن القصص
لكونه مقصوصا على ابدع طريقة واعجب اسلوب ومن تتبع التواريخ والقصص عرف انه لم يقاربه
احد في سلاسة الالفاظ وعذوبة المعاني او لاشتماله على العبر والنكت وسير الملوك والعلماء والصبر
على الاذى والعفو بعد الاقتدار بما اوحينا اليك بايحائنا هذا القران اي السورة لانه يطلق على
البعض كما يطلق على الكل وقيل يجوز ان يكون مفعول نقص ان جعل احسن القصص مصدرا ويكون

مفعول وحينا محذوف وليس بقوي لان اعمال الثاني في التنازع اولى كما في قوله آتوني افرغ عليه
قطرا ولان ايقاع الايحاء على القرآن فيه من الفخامة ما ليس في ايقاع الاقتصاص وان كنت
من قبله لمن الغافلين عنه لم يقرع سمعك ولا خطر ببالك يقال ارض غفل لا منار بها وذكره
زيادة امتنان عليه واشارة الى فضيلة العلم وان هي المخففة من المثقلة واللام هي الفارقة
اذ قال يوسف منصوب باذكر او بدل اشتمال ان كان القصص بمعنى المقصوص لا مصدرا لان
الاقتصاص على رسول الله لا يشتمل على زمان قول يوسف لابيه هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم
خليل الله روى البخاري عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم سئل عن اكرم الناس فقال يوسف
نبي الله بن نبي الله بن نبي الله بن نبي الله الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب
بن اسحق بن ابراهيم وليس في الانبياء من له ثلثة آباء متوالية كل منهم رسول من عند الله
غيره وهو اسم عبراني ولذلك منع الصرف واشتقاقه من الاسف بعيد لان القراءة بضم السين
فلا يصح ان يكون مضارعا يا ابت بكسر التاء لانها عوض عن ياء الاضافة التي الاصل فيها الكسر
وفتحها ابن عامر لان الياء لما حذفت عوض عنها الالف ثم ابدل الالف تاء مفتوحة لتدل الفتحة
على الالف وعن المازني ان اصله ابتا على حد قوله يا ابتا علك او عساكا فيكون الحرفان عوضا
عن حرف ويمتنع ذلك احد وخص التاء بالعوض عن الياء لاشتراكهما في علامة التانيث كما في هذي
وهاتي واتفقت المصاحف على كتابتها بالتاء حيث وقعت واختلف السبعة في الوقف عليها
فابن كثير وابن عامر وقفا بالهاء مخالفا لصورة الرسم وهي لغة قريش والباقون بالتاء رعاية
للرسم وجريا في الوقف على طريقة الوصل اني رايت من الرؤيا لا من رؤية العين بدليل قوله
لا تقصص رؤياك وقوله هذا تاويل رؤياي من قبل احد عشر كوكبا والشمس والقمر الشمس كانت
مثال امه والقمر مثال ابيه والكواكب اخوته فانهم كانوا احد عشر رجلا ولذلك لما سجد له ابواه
واخوته قال هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا رايتهم لي ساجدين جواب سؤال مقدر
كانه قيل كيف رايتهم والجمع بالواو والنون لاجرائها مجرى العقلاء لكون السجود من افعالهم قال
يا بني تصغير ابن تحابيا او لانه كان صغير السن قيل كان عمره اثني عشرة سنة وقرا حفص بفتح الياء
لان المصغر اضيف الى ياء المتكلم حالة النداء فقلبت الياء الفا كما في يا غلاما ثم حذفت وبقيت
الفتحة للدلالة عليها والباقون بكسر الياء ليدل على حذف ياء المتكلم لا تقصص رؤياك على
اخوتك فيكيدوا لك كيدا لان اثر النجابة لايحا على حاله الفايق ونور النبوة وبهجة الملك
رايقا على وجهه البارق وكان يعقوب عالما بما وقع لهابيل مع قابيل من شوم الحسد فخاف
عليه من حسد اخوته والرؤيا كالرؤية الا انها تختص بالمنام وليس ذلك بسبب سوى تعلق مشية الله
تعالى بخلق ذلك في قلب النائم كما يخلق الرؤية في حالة اليقظة والقول بانطباع الصورة المنحدرة
من افق المتخيلة الى الحس المشترك والصادقة منها انما تكون باتصال النفس بالملكوت لما بينهما
من التناسب عند فراغها من تدبير البدن ادنى فراغ فتتصور بما فيها مما يليق بها من المعاني الحاصلة
هناك ثم ان المتخيلة تحاكيه بصورة تناسبه فترسلها الى الحس المشترك فتصير مشاهدة قول بالم يدل عليه

دليل

دليل شرعي ولا عقلي فلا يليق ان يفسر به كلام الله تعالى وانما لم يقل فيكيدوك كما قال فكيدوني
لتضمنه معنى الاحتيال ليكون اكد وابلغ في التخويف ولذلك اكده بالمصدر ان الشيطان للانسان
عدو مبين ظاهر العداوة وقع لتوهم استبعاد كيدهم وهم اخوته واولاد الانبياء المصطفين
وكذلك يجتبيك ربك اي كما اكرمك بهذه الرؤيا في الصغر يكرمك بالرسالة في الكبر علم ذلك
باعلام الله او اخذه من الرؤيا لما روى البخاري انها جزء من النبوة وكان رسول الله يعبر الرؤيا
وتقع على وفق تاويله والاجتباء افتعال من جبيت الشيء اذا جمعته لنفسك ويعلمك من
تاويل الاحاديث من تمام التشبيه كانه قال كما خصك بالرؤيا في الصغر يعلمك تاويلها في الكبر
او كلام مبتدا كانه قيل وهو يعلمك والتاويل من الاول وهو الرجوع والمراد به رد الشيء الى غايته
علما كقوله وما يعلم تاويله الا الله وفعلا كقوله ولننوي قبل يوم السعي تاويل ومنه الايالة وهي
السياسة والنظر في عواقب الامور والاحاديث اسم جمع للحديث والمراد احاديث النفس في
المنام وتاويلها تعبيرها وكان يوسف صلوات الله عليه اعبر الناس للرؤيا واصدق لهجة واشد
فراسة ولذلك قال لصاحبي السجن لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل ان ياتيكما
وقيل اراد معاني كتب الله تعالى وسنن الانبياء وما اشتبه على الناس من امر الدين وسميت احاديث
لانه يحدث بها عن الله ورسله الا ترى الى قوله فباي حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن
الحديث ويتم نعمته عليك بالنبوة او بايصال نعمة الدنيا بالاخرة وعلى آل يعقوب بنيه قيل
استدل على ذلك بضوء الكواكب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحاق باصطفائهما
بالرسالة وقيل بانجاء الخليل من النار واسحق من الذبح لم يذكر نفسه ان كان مرسلا كرما
هضما لنفسه ان ربك عليم كامل العلم بالاشياء حكيم يختار من يشاء الحكمة لقد كان في يوسف
واخوته اي في شانهم وقصتهم آيات للسائلين دلائل على كمال قدرة الله تعالى او دلائل نبوته
صلى الله عليه وسلم لانه اتى باحسن القصص من غير تعلم ولا مخالطة اهل كتاب وقرا ابن كثير آية على
التوحيد على ارادة الجنس اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ارادوا باخيه بنيامين
كان هو ويوسف من راحيل تزوجها بعد موت ليا بنت خاله يعقوب وكانت ام سبعة
من بنيه وثلثة منهم كانوا من سريتين تسمى احديهما زلفة والاخرى بلهة وانما افرد احب وان
اريد به المثنى لان افعل التفضيل اذا استعمل بمن لا يثنى ولا يجمع بخلاف المحلى باللام والمضاف
فان المطابقة واجبة في الاول جائزة في الثاني ونحن عصبة والحال انا جماعة اقوياء وهما صغيران
لا كفاية لهما في امر والعصبة من الرجال ما فوق العشرة الى الاربعين من العصب وهو الشد والاحكام
ان ابانا لفي ضلال مبين واضح لايثاره ما لا نفع فيه ولا كفاية على من هو طاهر الكفاية والنفع
اقتلوا يوسف قول بعضهم عند التشاور او اطرحوه ارضا من الاراضي البعيدة عن العمران ونكرها
نصبت نعت الظروف المبهمة يخل لكم وجه ابيكم محبته لعدم بقاء من يشغل قلبه وذكر الوجه
لتصوير اقباله اليهم فان الشخص اذا اقبل على الشيء يقبل بوجهه وقيل الوجه كناية عن الذات
ادغم ابو عمرو في رواية واظهر في اخرى اما لضعف الكلمة والخفة بالحذف واما لان المحذوف

كالموجود ويكونوا من بعده من بعد يوسف او قتله تقدم اقتلوا كقوله اعدلوا هو اقرب للتقوى
قوما صالحين بالتوبة او بعدم بقاء من يصلح له سواكم او يصلح ما بينكم وبينه بعذر تمهدونه له كقولكم
اكل الذئب او يصلح وينتظم امور دنياكم بالظفر بعده وتكونوا مجزوم عطفا على محل لكم او نصب باضمار
ان والواو بمعنى مع قال قائل منهم هو يهوذا وقيل روبيل لا تقتلوا يوسف فان القتل عظيم
يعني الصغائر من تبعيه والقوه في غيابة الجب غيابة الشيء ما يغيبه عن النظر واراد به قعر الجب وغوره
والجب البئر قيل ان يطوى من الجب وهو القطع وقرأ نافع غيابات هنا والذي بعده بالجمع
بجعل الجب على الجنس كانه قال في بعض غيابات الجب او المبالغة كقول امرئ القيس يزل الغلام الخف
عن صهواته يلتقطه بعض السيارة يأخذه بعض السائرين كما يلتقط الصبي المنبوذ ان كنتم فاعلين
ما عزمتم عليه من التفرقة بينه وبين ابيه او ان كنتم فاعلين ما اشرت به قالوا يا ابانا مالك
لا تأمنا على يوسف قالوا ذلك عند التصميم على الكيد به وكأنه كان يحس منهم او حلا مات
البغض لا يخفى قد بدت البغضاء من افواههم قرأ السبعة لا تأمنا باظهار النون الاولى واختلاس حركتها
وبعض النقلة كابن مجاهد نقل عن السبعة ادغام النون الاولى في الثانية والاشمام وجه الاختلاس
ثقل الضمة فخففت به ويوافق الرسم تقديرا والاختلاس هو الاتيان باكثر الحركة بخلاف الروم
فانه الاتيان باقلها والحكمة في ذلك ان حالة الوقف يستدعي زيادة الخفة ولهذا كان الاصل فيه
السكون ووجه الادغام والاشمام تخفيف ثقل المثلين والاشارة الى حركة المدغم وهو المختار لحصول
كمال الخفة مع موافقة صريح الرسم وانا له لناصحون والحال انا لنا لتقتضي الاعتماد والوثوق
اكد والكلام لظهور مخايل الانكار ارسله معنا غدا بعد ان علمت منا النصح نرتع ونلعب نتسع
بالفواكه ونلهو بالسباق والانتضال وسائر انواع اللعب واصل الرتع اكل الحيوان ما شاء من غير
مانع ومزاحم قرأ نافع والكوفيون بالياء في الفعلين والكوفيون وابو عمرو وابن عامر بسكون العين
في نرتع وجه التاء اسناد الفعل الى ضمير يوسف والنون اسناده الى ضمير الاخوة وانما جاز منهم
اللعب لسبقه النبوة او كان لعبهم التسابق والتناضل وهما من ادوات الجهاد التي يثاب على
مزاولتها ووجه اسكان العين وقوعه جواب الامر وكسرها كونها مضارع ارتعى والمختار السكون لكونه
ادعى الى الارسال والكسر ليتم سروره باللعب وتنفع بالماشية لان ارتعى معناه رعى الماشية وانا له
لحافظون اي ينالهه مكروه قال اني ليحزنني ان تذهبوا به لكان شديد الحب له ولم يكن معتادا
بفراقه واخاف ان يأكله الذئب لكان ارض كنعان مذأبة وقيل لكان قد رأى في المنام ان ذئبا
قد شد عليه وكان ذلك تعليما لهم ليعتذروا به وفي المثل البلاء موكل بالمنطق قرأ السوسي وورش
والكسائي بابدال الهمزة ياء تخفيفا عن القراء ان كل حرف متحرك اثقل من ساكنه الا الهمزة فان الامر
فيها بالعكس وانتم عنه غافلون لاشتغالكم بالاستباق قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة اسم
المستعد واو ذلك لوجود المنافي انا اذا لخاسرون جواب القسم واللام في لئن موطئة والمعنى اذا لم نقدر على
حفظ واحد منا فنحن خاسرون هو شيئا لكثرتها وتفرقها او نحن احقاء بان يدعى علينا بالخسار
فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب والبئر على ثلثة فراسخ من مقام يعقوب وهي بئر

معروفة بجب يوسف لا يخالف فيها احد وما قيل انها ببئر بيت المقدس او بئر مصر او بارض الاردن
لا اصل له كيف وقد جاءوا عشاء يبكون وجواب لما محذوف لايحاشه السامع او لطوله اي فعلوا به ما فعلوا
روي انهم لما برزوا به الى الصحراء شرعوا في ضربه واهانته وقالوا ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا
ليسجدوا لك فكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا ان يقتلوه فقال
يهوذا اما عاهدتموني ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في البئر نزعوا عنه قميصه فقال يا اخوتي قميصي
اتوارى به فلم يردوه وكان غرضهم ان يلطخوه بالدم ليحتالوا به على ابيهم فلما دلوه الى نصف
البئر القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط في الماء فاوى الى صخرة فقام عليها وكان جده ابراهيم
حين القي في النار جرد عن ثيابه فاتاه جبرائيل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى
اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة وعلقها في عنق يوسف فجاء جبرائيل فشقها و
اخرج القميص والبسه اياه واوحينا اليه اوحي اليه هذا القول لتنبئنهم بامرهم هذا وهذا كما اوحي
الى ام موسى مع الاجماع على ان النبوة من خواص الرجال وقيل اوحي اليه بالنبوة في الصغر كيحيى
وعيسى والحق في الحديث لا نبوة قبل اربعين سنة وآتيناه الحكم صبيا مفسر بفهم التورية وعلم الشرايع
وهم لا يشعرون انك ذلك الصبي الملقى في الجب لعلو شانك وعلو سلطانك ولان طول العهد
يغير الحلية ويبدل الشكل وكان في ذلك لايحاء البشارة بنجاته ليتسلى بذلك ويدفع بذلك الالم
وحشة الانفراد وقيل لما وردوا عليه ممتارين دعا بالصواع ووضعه بين يديه وضربه حتى طن ثم
قال اخبرني انه كان لكم اخ اسمه يوسف وكان احب الى ابيكم فالقيتموه في الجب وقلتم اكله الذئب
ثم بعتموه بثمن بخس ويحتمل ان يتعلق بقوله واوحينا على معنى آنسناه بالوحي الذي لا نفرح به اعظم
منه وهم لا يشعرون بذلك ويحسبون انه في وحشته وشدته وجاءوا اباهم عشاء يبكون متباكين
قال لهم مالكم واين يوسف قالوا يا ابانا انا ذهبنا نستبق نتسابق افتعل وتفاعل بمعنى وقيل
الاستباق التناضل وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما انت بمؤمن لنا ولو كنا
صادقين وان كنا من اهل الصدق والامانة لشدة حبك اياه وضعوا لو مكان ان اشارة ان
تصديقهم كالمستحيل عنده وجاءوا على قميصه بدم كذب ذي كذب او وصف بالمصدر كرجل عدل
وهذا هو الوجه لما روي انه اخذ قميصه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بالدم وقال ما رأيت
كاليوم ذئبا اكل ابني ولم يمزق قميصه وعلى قميصه نصب على الظرف اي فوق قميصه وهو في الاصل
صفة وهو قدم لاهتمام قال بل سولت لكم انفسكم امرا زينته لكم واصل التسول الاسترخاء يقال
سحاب اسول اي مسترخ وانما علم ذلك بالوحي او بامارة وهي سلامة القميص او بما كان يعرفه
من امارات الحسد منهم فصبر جميل اي امري صبر جميل وفي الحديث ان الصبر الجميل هو الذي لا شكوى
فيه الى الخلق ولذلك قال انما اشكو بثي وحزني الى الله قيل سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما
بعصابة فقيل له ما هذا فقال الزمان وكثرة الاحزان فاوحى الله تعالى اليه يا يعقوب تشكوني قال
يا رب خطيئة فاغفرها لي والله المستعان على ما تصفون اي بالموصول اشارة الى عظم الامر كقوله
فغشيهم من اليم ما غشيهم وجاءت سيارة قافلة سميت سيارة لجدها في السير قيل جاؤوا بعد ثلثة ايام

من قبل مدين يسيرون الى مصر فاخطأوا الطريق فنزلوا قريبا من الجب فارسلوا واردهم
رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء والوارد الذي يرد الماء ليستقي للقوم
فادلى دلوه القاه في الجب فتدلى يوسف فلما راه قال يا بشرى هذا غلام نادى كانه قال
تعالى فهذا اوانك قراه الكوفيون بدون الاضافة والباقون بها الى ياء المتكلم وامال الفه
حمزة والكسائي وكذا ابو عمرو وفي اخر فتح في قتيبة وفي اخر قلل واسروه الضمير لاخوة يوسف
كانوا يترصدونه فلما اخرج قالوا كان غلاما لنا قد ابق فاشتروه منا فسكت يوسف خوفا من
القتل او لامر ارادة الله او الوارد واصحابه اخفوه عن الرفقة وقالوا دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم
بمصر بضاعة حال من المفعول اي اخفوه حال كونه متاعا للتجارة من البضع وهو القطع لانها
المال المقطوع للتجارة والله عليم بما يعملون بما عملوا اشارة الى عظم ما ارتكبوه وشروه باعوا من
الاضداد يستعمل في البيع والشرى بثمن بخس ناقص دراهم لا دنانير معدودة تعد عدا ولا توزن
قيل كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وكانوا فيه من الزاهدين غير راغبين الزهد خلاف الرغبة
زهد فيه وعنه بمعنى والضمير في كانوا ان كان لاخوة يوسف فظاهر وان كان للرفقة الواجدين
انما كانوا زاهدين فيه لانهم التقطوه والملتقط للشيء غير مبال به لانه لم يتعب في تحصيله ولانه
بعرضه ان يظهر له مستحق ينتزعه فان قلت كيف استقام من اخوة يوسف ارتكاب هذه
العظايم وهم اولاد يعقوب نبي الله وذرية ابرهيم خليل الله قلت لم يثبت نبوتهم ولو ثبت
نبوتهم كان ذلك قبل النبوة وقد نطق اخر السورة بتوبتهم وقال الذي اشتراه من مصر
بعد ان باعه اخوته او الرفقة وذهب به المشتري الى مصر رفعه الى السوق فوقع فيه الرغبات
حتى اشتراه قطفير وهو العزيز الذي كان على خزائن مصر بوزنه مرات دراهم ودنانير ان
كنت عندك يا مولاي مطرحا فعند غيرك محمول على الحدق وكان فرعون مصر اذ ذاك
ريان بن الوليد وكان ليوسف يومئذ من العمر سبع عشرة سنة فدعا الملك الى الاسلام
فامن ومات في حيوة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام
فابى واستوزره ريان بن الوليد وله من العمر ثلثون سنة وانتقل الى جوار الله صلوات الله
عليه وله من العمر مائة وعشرون سنة ونقل موسى تابوته الى حرم الخليل حين خرج فارا من
فرعون ومعه بنو اسرائيل وقصة اخراج تابوته من النيل مشهورة لامراته المشهور انها
زليخا وقيل راعيل اكرمي مثواه عسى ان ينفعنا بان يقوم على اموالنا والمثوى المقام
او نتخذه ولدا نتبناه فانه كان عقيما وتفرس فيه اثار الرشد والكفاية وكذلك مكنا ليوسف
في الارض كما مكنا له الود والمحبة في قلوب الناس مكنا له في الارض واتيناه الملك
ولنعلمه من تاويل الاحاديث كان ذلك الانجاء والتمكين والله غالب على امره ولذلك
بلغ شان يوسف ما بلغ وبطل عنه كيد اخوته ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك ولذلك
لا يفوضون امورهم اليه ولا يتاملون في دقايق صنعه وخفايا لطفه ولما بلغ اشده
وهو ثماني عشرة سنة وقيل عشرون سنة وقيل اربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون

سنة

سنة لفظا مفرد كانك لا ثالث لهما وقيل جمع لا مفرد له كابابيل وعن سيبويه ان مفرده شد ويقال بلغ
الغلام شدته اتيناه حكما بين الناس وملكا لقوله آتيتني من الملك او نبوة فانها سبب الحكم
وعلما مخصوصا به وهو علم تاويل الاحاديث وكذلك نجزي المحسنين وكما جزينا يوسف نجزي
ساير المحسنين تنبيه على ان ما ناله من الكرامة كان جزاء حسن عمله واتقانه في عنفوان شبابه
وراودته التي هو في بيتها عن نفسه المراودة مفاعلة من راد يرود جاء وذهب لمجاز عن ارادة
مواقعته اياه وخداعها والاحتيال في اسباب ذلك اتى بالموصول سترا عليها لان ذكرها مما
يستهجن ولان الموصول ادل على كمال تقوى يوسف وطهارة ذيله لانه اذا كان في بيتها
بعدوا من الخدم فهي متمكنة منه غاية التمكن فاذا لم تنل منه مارامته كان ذلك لكونه ثابت
القدم في باب التقوى وغلقت الابواب كانت سبعة ولذلك اتى بصيغة التفعيل الدال على
التكثير وقالت هيت لك اسم فعل من هيت اذا صاح ومعناه تعالى قرا ابو عمرو والكوفيون
بفتح الهاء والتاء وياء ساكنة وقرا نافع وابن عامر في رواية ابن ذكوان بكسر الهاء وفي رواية هشام
بهمزة مكان الساكنة في التاء وجهان الفتح والضم ووافقه ابن كثير في الضم الا انه فتح الهاء ولم يهمز
ومن ضم التاء جعله ماضيا من هاء يهيء والتاء ضمير المتكلم واللام صلته وفي الاول للتبيين كانه قيل
الخطاب لك قال معاذ الله منصوب على المصدر اي اعوذ بالله معاذا انه الشان ربي سيدي
احسن مثواي كيف احسن في اهله واجازي احسانه بالاساءة وقيل الضمير لله اي كيف اعصي مولاي
المحسن المتفضل انه الشان لا يفلح الظالمون ومن يجازي الحسنة بالسيئة ظالم ولقد همت به
وهم بها قصدت مخالطته بعد ان غلقت الابواب وهيئت الاسباب وحصل الميل المركوز في
طبع الرجال فاستمرت على ذلك الهم وصممت العزم وكف هو النفس الزكية عن مقتضى ذلك الميل
على الفور كما هو شان ارباب التقوى ومن هم بسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة فهمه صلوات الله عليه
من هذا القبيل ومن قال الهم هو القصد والعزم ثم قال المراد ميل الطبع وذلك لا يدخل تحت التكليف
فقد ناقض قوله والتحقيق في هذا المقام ان حديث النفس منه ما ليس خطوره اختياريا ولا يصدق
عليه اسم العزم فذلك غير مواخذ به في ملة من الملل ومنه ما يكون مقدورا عليه وليس معه فعل
ولا تصميم فذلك ان كان هما بالحسنة يكتب حسنة وان كان هما بسيئة فلا تكتب سيئة ما لم يصمم وهذا من خواص
هذه الامة تجاوز الله عن امتي ما حدثت به انفسها ما لم تتكلم او تعمل فان قلت الحديث دل
على ان التصميم ايضا غير مواخذ به لانه جعل الغاية التكلم او الفعل قلت من قبيل المفهوم وقوله في
شان المقتول انه كان حريصا على قتل صاحبه منطوق فلا يعارضه لولا ان راى برهان ربه الدليل
القاطع على حرمة الزنى في جميع الملل وحرمة مجازاة الاحسان بالاساءة وكان عالما باحكام الشرع
لقوله واتبعت ملة اباي ابرهيم واسحق وقيل مثل له يعقوب عاضا على اصبعه وقيل ناداه جبرائيل
وليس بشيء نقلا وعقلا ولهم سوى هذا اسنادات وخرافات لا يحل ذكرها وجواب لولا محذوف
اي لخالطها ولا يجوز ان يكون المذكور قبل جوابا لان لولا في حكم الشرط كذلك الكاف منصوب
المحل اي مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعة اي الامر كذلك لنصرف عنه السوء وهو الخيانة والفحشاء

الزنا انه من عبادنا المخلصين المصطفين للرسالة قرأ نافع والكوفيون بفتح اللام والمختار الفتح
لتوقف معنى الكسر عليه او لا يكون مخلصا الا بعد كونه مخلصا واستبقا الباب يوسف هاربا وهي
طالبة له فحذف الجار او الفعل ضمن معنى الابتدار وقدت قميصه من دبر شقته من ورائه
من شدة الجذب والفيا سيدها لدى الباب فصادفا زوجها على الباب جالسا على عادة
الاكابر وسمى الزوج سيدا لانه مالك لبضعها قالت ما جزاء من اراد باهلك سوءا الا ان يسجن
او عذاب اليم ارادت التبرؤ وادعت انها الفارة منه وما اما نافية او استفهامية والحالم يذكر
اسمه قصدا الى المبالغة بان من كان بهذه الصفة يستحق ذلك العقاب يوسف او اكبر منه
قال هي راودتني عن نفسي دفع بذلك وصمة الخيانة لانه خاف من السجن او العذاب ولهذا
لما اراد الملك اخراجه من السجن لم يخرج حتى امر الملك باستكشاف حاله روى البخاري ان
رسول الله قال لو كنت مكان يوسف لاجبت الداعي اراد الثناء عليه بكمال صبره وانه لبث
في ضيق السجن حتى ظهرت براءة ساحته وشهد شاهد من اهلها صبي كان معها وفي الحديث
تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وصاحب جريج وشاهد يوسف وعيسى بن مريم وليس فيه
ما يدل على الحصر فان ابن صاحبة الاخدود تكلم ايضا وغيره وكان هذا الكلام من الطفل
ارهاصا لنبوة يوسف ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين لانها تدل على
انها دفعته عن نفسها حين اقباله عليها او انه جرى خلفها فتعثر في قميصه وان كان قميصه
قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين لانه هرب منها فجذبته من ورائه فقدم ما يدل على صدقها
لانها كانت مدعية فقدم حجتها فلما رأى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن الخطاب لها و
لتوابعها او لسائر النساء تغليبا ان كيدكن عظيم لدقة مسلكه واليه اشار رسول الله بقوله ما رأيت
اذهب للرجل الحازم من احديكن وعن مالك بن دينار اني اخاف من شيطان الانس اكثر
مما اخاف من شيطان الجن وذلك لان شيطان الجن يوسوس وشيطان الانس يواجه
لا سيما النساء فان جبلة الرجال على الميل اليهن عن علي ابن ابي طالب لو كانت الدنيا ذهبا وعشت
فيها دهرا لم اخف على نفسي منها ولا آمن على نفسي ان ابيت في بيت ليلة مع عجوز يوسف
اعرض عن هذا الحديث واجعله نسيا منسيا واستغفري لذنبك لم يناداها كما نادى يوسف
لشدة موجدته عليها انك كنت من الخاطئين المتعمدين للذنب من خطئ بالكسر خطأ وخطاء
وفيه تغليب الذكور كانه اراد المبالغة لان صفة الرجال الكمل وقال نسوة قيل كن خمسا
امراة الساقي والسجان والخباز وصاحب الدواب وامراة الحاجب اسم جمع ليس له مفرد
من لفظه وتانيث الجموع واسمائها غير حقيقي ولذلك لم يلحق لها في المدينة ظرف لقال او صفة
نسوة يريد مصر فالعهد خارجي امرات العزيز تراود فتاها عن نفسه تريد مواقعة عبدها اياها
فان ذلك غيرة وتقبيحا لشانها ولذلك اضافوها الى بعلها ليشتد الامر ويتفضح الانكار والعزيز
في مصر هو الوزير والفتى لغة هو الشاب وفي العرف هو العبد وفي الحديث لا يقل احدكم عبدي
وامتي كلكم عباد الله واماؤه وليقل فتاي وفتاتي قد شغفها حبا شق شغاف قلبها والشغاف غلاف

القلب

القلب اصل التركيب قد شغفها حبه فاوقع الفاعل تمييزا مبالغة انا لنراها في ضلال مبين واضح
لاستره به لانها زوجة الملك فكيف رضيت ان يكون عاشقة الغلام فلما سمعت بمكرهن سمعت
مقالتهن سماها مكرا على التشبيه لان الاغتياب يكون خفية كما يكون المكر والخديعة كذلك وقيل
كانت اسرت اليهن واستكتمتهن فافشينه عليها وقيل لم يكن قولهن الا لكونهن مفتونات بحبه
فاردن بذلك انقطاعها ليجلو لهن وجه يوسف ويروه الساق ارسلت اليهن تدعوهن
الى الاجتماع عندها واعتدت لهن متكأ ما يتكئن عليه من النمارق والطنافس وآتت كل
واحدة منهن سكينا قصدت بذلك افتضاحهن لانها كانت تعلم ان جمال يوسف اذا ظهر سلب
عقولهن او محبتت فيه انه اذا رأى الخناجر يبهت ويظن انهن قاصدات له فيذعن لها
وقيل متكأ مجلس طعام وشراب لانهم كانوا يتكئون اذا جلسوا للتناول ترفها وعن مجاهد
متكأ طعاما يحز حزا كان المعنى يعتد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع وقيل هو الزماورد
وهو الرقاق الملفوف المحشو باللحم وقالت اخرج عليهن فلما رأينه اكبرنه استعظمنه لفائق جماله
قيل كان يرى تلألؤ وجهه على الحيطان وقيل اكبرن حضن من شدة الشبق من قوله
اكبرت المرأة اذا حاضت والهاء للمصدر او ليوسف على حذف اللام روى البخاري ان رسول الله
قال رأيته فاذا هو قد اعطي شطر الجمال خف الله واستر ذا الجمال ببرقع فان لحت حاضت في
الخدور العواتق وقطعن ايديهن من فرط الدهشة وقلن حاش لله معاذ الله كلمة البراءة و
التنزيه قيل حرف جر استعمل مصدرا واستدل عليه بما قرئ به منونا واليه ذهب سيبويه واستدل
ايضا على حرفيتها بعدم وقوعها صلة لموصول وعن المبرد انها فعل واستدل عليه بقول النابغة
وما احاشي من الاقوام من احد ولانه يقال حاشا لزيد وحرف الجر لا يدخل على مثله واصل الكلمة
حاشا بالالف وبه قرأ ابو عمرو في الوصل والباقون بحذفه وهي لغة الحجاز وعليه رسم المصاحف
ما هذا بشرا لان هذا الجمال غير معهود من البشر ونصب الخبر بما لغة الحجاز الحاقا لها بليس لكونها
لنفي الحال مثله ان هذا الا ملك كريم لانه لم يعهد مثله في الجمال بشر وقد تقرر في النفوس جمال
الملائكة ولذلك يشبه بها الصور الحسان كما يشبه بالشيطان الصورة القبيحة ولا دلالة في هذا
على افضلية الملك عند الله قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ما احب بسرها لما رأت الساجد وع
عنك تعيفي وذق طعم الهوى فاذا طعمت فعند ذلك عنف واشارت بما وضع للبعيد لعلو
شانه وبعد مقامه عن التصور ولقد راودته عن نفسه فاستعصم امتنع بما وقع لها مع علمها بان
اللوم ولا عدل منهن والاستعصام المبالغة في التحفظ ولئن لم يفعل ما آمره الموصول بحذف
الجار كما في قوله امرتك الخير ليوسف لان الكلام في المأمور لتعينه وجعله ما مصدرية اي
موجب امري مع تكلفه عايد الى الاول ليسجنن وليكونا من الصاغرين الاذلاء من صغر بالكسر
يصغر صغارا والنون المؤكدة في ليكونن رسمت الفا اما اجراء للوصل مجرى الوقف اي حملا على التنوين
بجامع ان كلا منهما نون ساكنة وقعت طرفا بعد فتحة قال رب السجن احب الي مما يدعونني اليه
اسند الدعوة اليهن كانهن قلن اطع مولاتك واياك والصغار والسجن فالتجأ الى مولاه وآثر السجن

لملاحظة رضاه فان المشاق تستحلى في جنبها ولذلك ترى اهل الصلاح يلتذون بالعبادات
وقيام الليل اكثر مما يلتذون بالمآكل والمعازف والنوم على الحرير والا تصرف عني كيدهن
حيلهن وخداعهن اصب اليهن اميل اليهن من الصبوة وفي المثل لكل جواد كبوة ولكل حكيم صبوة
ولكل صارم نبوة واكن من الجاهلين بعضا منهم سعدا من الجهال الذين لا يعلمون عظمة الله
ولذلك قيل من عرف الله لم يعصه فاستجاب له ربه اجابه الى سؤاله وهو الدخول في السجن والنجاة
من كيدهن قيل انما ابتلي بالسجن حيث اختاره ولو سأل الله العافية لنجا من كيدهن مع عدم دخوله
السجن رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول اللهم ارزقني الصبر فقال سألت البلاء فاسأل الله
العافية فصرف عنه كيدهن بان عصمه عن ارتكاب المعصية انه هو السميع لمن دعاه العليم
بمن يصلح للاجابة وعنه صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر طويل السفر يرفع يديه يقول اللهم
وماكله ومطعمه حرام وغذي بالحرام انى يستجاب له ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ظهر لهم للعزيز
ومن في داره من الخدم وامرأته ليسجننه حتى حين الى زمان ثم ينظر في امره وكان العزيز نسي شهادة
الطفل واللواتي قطعن ايديهن كلام ليس لكن كان سطاه وعالها على عادة ملوك مصر وقد نقل الجمهور
انه كان عنينا هذا وقصد امرأة العزيز انه اذا لبث في السجن برهة من الزمان يختار رضاها ويترك
اللجاج والتورع فانه صبي لا يقدر على تحمل ضيق السجن وهي تظهر انه حبس لانه مجرم وهذا نوع من المكر
بعيد من الغور ودخل معه السجن فتيان الفتى ان دخل ساعة دخوله خادمان للملك شخصان
اخوان الشرابي والخباز قال احدهما وهو الشرابي اني اراني حكاية الماضي بالمستقبل اعصر خمرا اعصر عنبا سماه
خمرا باعتبار ما يؤول وقيل الخمر هو العنب بلغة حمير وقال الآخر الخباز اني اراني احمل فوق رأسي خبزا تأكل
الطير منه نبئنا بتأويله انا نريك من المحسنين تأويل الرؤيا كان اهل السجن يعرضون الرؤيا عليه فيحسن
تأويلها والاولى عدم التقييد بالرؤيا اي انا نريك من المحسنين فيما تأتي وتذر كان اذا مرض احد
من اهل السجن قام عليه وسعى في امره جهده واذا احتاج احد جمع له وعن قتادة كان في السجن ناس
قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فشرع يقول لهم ابشروا واصبروا فان لهذا اجرا وفيه الثواب والاجر
فقالوا بارك الله فيك من يكون يا فتى ما احسن وجهك وما الطف خلقك لقد بورك لنا في
جوارك قال انا يوسف بن صفي الله يعقوب بن ذبيح الله اسحق بن خليل الله ابرهيم فقال عامل
السجن لو استطعت خليت سبيلك روي ان الفتيين قالا له انا نحبك فقال ابا كما وحبي فوالله ما
احبني احد الا ودخل علي من حبه البلاء احبتني عمتي فدخل علي من حبها بلاء واحبني ابي دخل علي من
حبه بلاء واحبتني زوجة صاحبي فدخل علي من حبها بلاء وعن الشعبي انهما امتحناه فقال الشرابي
اراني في بستان فاذا به انا بثلثة عناقيد من العنب فقطعتها وعصرتها في كاس الملك وسقيته وقال
الخباز اني اراني فوق رأسي ثلث سلال فيها انواع الاطعمة واذا سباع الطير تأكل منه والضمير في
تأويله راجع الى ما قصا عليه قال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل ان يأتيكما وصفه
ماهيته فان من الاحسان على اهل السجن وصف نفسه بما هو فوق ذلك وهو الاخبار بالغيب بانه يعلم
ما يحمل اليهما من الطعام كل وقت ويصف لهما ذلك ويقع الامر على وفق وصفه وانما ذكر هذا القدر

من النساء

من الثناء على نفسه ليتوصل منه الى الدعوة الى التوحيد مع انه ليس كلاما اجنبيا من السؤال لان الاخبار
بالغيب يناسب تأويل الرؤيا وهو طريقة الاخبار من الانبياء والعلماء يقدمون الارشاد والهداية
بين يدي جواب الفتيا ينبهون بذلك السائل على ان الاولى والاحق به ما ذكر له لا ما سأل
عنه وفي حكاية الله ذلك اشارة الى ان العالم اذا لم يعلم منزلته في العلم فاذا وصف نفسه بما
هو عليه في نفس الامر وغرضه ان لا يضيع علمه لم يكن ذلك من تزكية النفس المنهي عنها
ذلكما مما علمني ربي وحيا والهاما ليس من الكهانة والتنجيم في شيء اني تركت ملة قوم لا يؤمنون
بالله وهم بالآخرة هم كافرون دليل على ان اخباره بالمغيبات تعليم من الله بالوحي فان
الكهانة والتنجيم فعل اهل الضلال والنفوس الخبيثة واتبعت ملة آبائي ابراهيم واسحاق
ويعقوب وصف نسبه الطاهر بعد ذكر حسبه تقوية لما هو بصدده من الدعوة الى التوحيد
فان السامع اذا عرف ان طريقة المرشد مسلك الافاضل الاخيار يزداد وثوقه ما كان لنا
ان نشرك بالله من شيء ما استقام لنا معشر الانبياء الاشراك بالله اي شيء كان ذلك
التوحيد من فضل الله علينا معشر الانبياء وعلى الناس المرسل اليهم باتباعنا ولكن اكثر الناس
لا يشكرون نعمة الله بل يقابلونها بالكفر يا صاحبي السجن يريد صاحبي الرؤيا والاضافة
فيه كالاضافة في كوكب الخرقاء وسارق الليلة او الصاحب بمعنى الساكن نحو اصحاب
الجنة واصحاب النار ءارباب متفرقون خير ام الله الواحد القهار لكل شيء تحت حكمه وسلطانه
مثل ضربه لهم في عبادة الله وعبادة الاصنام لانهم كانوا يعبدون الاصنام ما تعبدون
من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان اثر انكارها وهو الكلام
السابق من كون الارباب لها معنى الربوبية في الجملة كما تقدم اتخذوا وسمى بالذهب لا حاصل
له الا ذلك الاسم والضمير في تعبدون لهما ولمن على دينهما على التغليب ان الحكم في امر العبادة
الا لله لا يشاركه فيه احد امر الا تعبدوا الا اياه بيان لما حكم به ذلك الدين القيم المستقيم
الذي لا عوج به او الذي لا يزول ولا يختلف باختلاف الشرائع ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ذلك فيعمهون في الضلال يا صاحبي السجن اما احدكما فيسقي ربه خمرا يريد الشرابي لانه الذي
رأى عصر الخمر في كاس الملك واما الآخر يريد الخباز فيصلب فتأكل الطير من رأسه قال
قص الرؤيا على الوجه المذكور قال الخباز ما رأيت شيئا وانا قلته امتحانا فقال قضي الامر
الذي فيه تستفتيان اي ما قلته كائن لا محالة سواء كنت كاذبا او صادقا وانما وحد الامر وان
كان الرؤيا امرين لانهما ارادا استبانة عاقبة ما نزل بهما وقال للذي ظن انه ناج منهما
وانما عبر عن معتقده بالظن لان التأويل كان بالاجتهاد وقيل الظان الشرابي والاولى ان
يكون الظن بمعنى اليقين من يوسف لسلامة جزمه بالاخبار بالغيب اذكرني عند ربك
باني محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه اسناد الى السبب لان النسيان حصل بوسوسته
فلبث في السجن بضع سنين البضع ما بين الثلث الى التسع من البضع وهو القطع قيل الحكمة
في ذلك الانساء عتاب يوسف كيف لم يتكل على لطف الله ويستعين به عن الاستعانة بالكافر

هلا سلک سبیل جده خلیل الله لما جاءه جبرائیل وهو فی المنجنیق وقال له هل من حاجة یا خلیل الله
قال اما الیک فلا فقال سل ربک قال علمه بحالی یغنینی عن سؤالی وقال الملک انی اری سبع
بقرات سمان لما دنی فرجه قدر سبب لاسباب ان رای ملک مصر رؤیا عجیبة رای سبع بقرات
سمان خرجن من نهر یابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورای سبع سنبلات
خضر قد انعقد حبها وسبعا آخر یابسات قد ادرکت وبلغت اوان الحصاد فالتوت الیابسات
علی الخضر حتی غلبن علیها وانما استغنی عن بیان حالها بما قص من حال البقرات وانما
جعل السمان صفة الممیز دون العدد لان الممیز هو المقصود والوصف مکمل یأکلهن سبع عجاف
حذف الممیز للعلم به وجعل الوصف للعدد دلالة علی ان العجاف سبع لیس الا وان السمان لا تنحصر
فی السبع هذا طبق الواقع لقلة الشدة وکثرة الرخاء والقول بان التمییز موضوع لبیان الجنس
والعجاف وصف لا یقع البیان به وحده ولذلک لم یضف الیه ان ذلک اذا لم یکن قرینة ذکر
البقرات جمع العجاف علی عجاف وان لم یجمع فعلا علی فعال حملا له علی سمان لانه نقیضه وسبع
سنبلات خضر قد انعقد حبها واخر یابسات وسبعا آخر یابسات وانما علم کونها سبعا لانصباب
الکلام الی هذا العدد وانما حذفه لتکرره کما حذف البقرات من العجاف ولا یجوز عطف اخر علی
سنبلات خضر لیکون مجرورا ممیز السبع المذکور لان لفظ آخر یقتضی المغایرة فیؤدی الی التدافع
یا ایها الملأ افتونی فی رؤیای عبروها نادی الاشراف لزیادة معرفتهم وللوثوق بتأویلهم وکانه
آثر لفظ الافتاء للاشکال ان کنتم للرؤیا تعبرون اللام للتقویة لان الفعل یضعف بتقدم
المعمول علیه کقولک لزید ضربت ویجوز ان یکون الجار والمجرور خبر کان وتعبرون خبرا آخر او حالا
او ضمن تعبرون فعلا یتعدی باللام کانه قیل ان کنتم تنتدبون لعبارة الرؤیا وحقیقة عبرت
الرؤیا عبرت الی المقصود منها وجاوزتها کما تقول عبرت النهر اذا جاوزته وعبرت
لغتان قالوا اضغاث احلام جمع ضغث وهو قبضة حشیش مخلط رطبه بالیابس استعیر للرؤیا
التی لا یعرف وجهها ولا یوجد لها اصل تؤول الیه والاحلام جمع حلم وهو ما یراه النائم وما راه
الملک وان کان رؤیا واحدة الا انهم جمعوا للمبالغة فی وصف الحلم بالبطلان او یکون قد
قص علیهم فی تلک الایام منامات اخر وما نحن بتأویل الاحلام بعالمین ای الاحلام المذکورة
لانها نکرة اعیدت معرفة حمله علی اعترافهم بانهم لیسوا فی علم التعبیر نحاریر فیه ان قولهم اضغاث
احلام ینافیه لاقتضائه ان لهم علما بما لیس من هذا القبیل وقال الذی نجا منهما الشرابی
الذی نسی ما قاله یوسف من ذکره للملک وادکر بعد امة مدة من الزمان طویلة جملة معترضة
انا انبئکم بتأویله فارسلون الی یوسف فارسلوه فلما جاءه قال له یوسف ایها الصدیق ایها البلیغ
فی الصدق الراسخ فیه شاهد ذلک منه فی السجن لاستعبار رؤیاه ورؤیا رفیقه فانه کان برهانا جلیا
افتنا فی سبع بقرات سمان یأکلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر واخر یابسات وهی رؤیا
الملک لعلی ارجع الی الناس بالتأویل به وانما لم یجزم بالرجوع لانه بصدد الاخترام لعلهم یعلمون
قدرک ویکون سببا لخلاصک لم یجزم بعلمهم فضله لانه کان مسجونا بعد ما راوا منه الایات الدالة علی

طهارة ذیله ونباهة شأنه فمن لم یؤمن بذلک فلا یبعد منه ان یجهل قدره بعد تأویل الرؤیا قال
تزرعون سبع سنین دأبا خبر فی معنی الامر وهو ابلغ من صریح ودأبا بسکون الهمزة وحرکته مصدر
دأب فی العمل اذا لازم واعتاد وبالفتح قرأ حفص فما حصدتم فذروه فی سنبله لئلا یسوس
اعتراض منه قبل تمام تأویل الرؤیا نصحا لهم کانه قد وقع ما اخبرهم به فهو یأمرهم بما فیه صلاحهم
الا قلیلا مما تأکلون فانه یداس ویصفی ثم یأتی من بعد ذلک سبع شداد یأکلن ما قدمتم لهن
فی تلک السنین اسناد الاکل الی السنین مجاز الا قلیلا مما تحصنون تحفظونه للبذر ثم یأتی من
بعد ذلک عام فیه یغاث الناس من الغوث او الغیث یقال استغثته طلبت منه الغوث
او الغیث فاغاثنی من الغوث وغاثنی من الغیث قال ذو الرمة قاتل الله امة بنی فلان ما
افصحها قلت کیف کان المطر عندکم قالت غثنا ما شئنا وفیه یعصرون العنب والزیتون
وسائر ما یعصر من الفواکه والحبوب لکثرتها وعموم الخصب قرأ حمزة والکسائی تعصرون بالخطاب
تغلیبا علی نمط تزرعون وتأکلون بشارة بشرهم بها بعد تأویل الرؤیا علم ذلک بالوحی لان
انتهاء الجدب بالخصب وان کان معلوما لکن لا علی الوجه الذی اخبر به من عمومه وبلوغه
الغایة حتی یدخروا من تلک الاصناف وفی تکریر فیه وتقدیمه ما یشد اعضادا وکونه مسندا الی الوحی
وقال الملک ائتونی به بعد ما بلغه الرسول تأویل الرؤیا وانما طلب ذلک مشاهدته ومشافهته
فلما جاءه الرسول واخبره ان الملک طلبه قال ارجع الی ربک لم یقل فعال ایماء الی انه قاله من غیر
تأمل ولا توقف حتی کانه لم یتعاقب کلامه کلام الرسول وفی ذلک زیادة ثناء علیه بان تلک
المشقة العظیمة فی تلک المدة المستطیلة لم یؤثر فیه بل کان رأیه وفکره علی الاستقامة ولذلک اثنی
علیه سید الرسل وقال لو لبثت ما لبث لاجبت الداعی بشر الی علو همته وانه من الصبر والاستقامة
بمکان فاسأله ما بال النسوة اللاتی قطعن ایدیهن کان غرض الصدیق فی ذلک غرضا صحیحا
خاف کید الحاسدین مرة اخری وفی الحدیث لا یلدغ المؤمن من جحر مرتین فاراد ان یبرئ
ساحته لیسد طریق المکر والتهمة علی الحاسدین ویظهر ذلک للناس لم یذکر امرأته وان کانت
هی السبب الکلی تحاشیا عن ذکر سیدته لما فیه شین الحق النسوة وان کن توابع ان ربی
بکیدهن علیم کامل العلم وان کان کیدهن عظیما بعید الغور وقال ما خطبکن لما رجع الرسول
واخبر الملک بمقالة یوسف جمع النسوة وخاطبهن والخطب الامر والشأن اشتهر فی الامر العظیم
لانه الذی یسأل عن سببه ویقع التخاطب فیه اذ راودتن یوسف عن نفسه جعل مراودتهن
امرا انکار فیه قلن حاش لله اعترفن والمراودة وبرأن ساحة یوسف عن المیل الی قولهن
ما علمنا علیه من سوء قط لا فیما دعوناه الیه ولا فی غیره زادوا علی الجواب ثناء علیه قالت امرأة
العزیز الآن حصحص الحق ظهر وبان لانه کان قبل مستورا انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقین
اعتراف الخصم بان غریمه علی الحق وهو علی الباطل لا یکون ابلغ منه فی الثناء وامنع للشغب
ولم یکتف بتصدیقه فی القصة المذکورة بل ادرجته فی زمرة المتصفین بالصدق علی الدوام الملازمین
له ولکن لیعلم انی لم اخنه بالغیب کلام یوسف مع الرسول لما عاد الیه ای ذلک التثبت کان

ليعلم الملك انه لو جعلني امينا في اهله لم يقع مني خيانة وان نسبوني اليها بالجار والمجرور حال
من الفاعل والمفعول على معنى انا غايب عنه خفي عن عينه او غايب عني خفي عن عيني ويجوز
ان يكون القائل امراة العزيز اي ليعلم يوسف اني لم اخنه بالغيب بل ذكرت ما هو الواقع
او القائل يوسف والضمير لله اي ليعلم الله اني لم اخنه لان المعصية خيانة في الدين لكن قوله بالغيب
على هذا الوجه ليس له ذلك الاتساق وان الله لا يهدي كيد الخائنين لا يفضي بكيدهم الى ما توسلوا
اليه والهداية لو كانت لهم وانما وقعت على الكيد ثم نفيت مبالغة وفيه تعريض بامراة
العزيز ان كان هذا قول يوسف بان كيدها لم ينتج شيئا وما ابرئ نفسي لما ظهرت براءته
وكان قصده في ذلك دفع وصمة الخيانة تواضع لله لئلا يكون مزكيا لنفسه معجبا بذلك وجعله
من قول امراة العزيز بعيد كيف وقد صح انها كانت شغ الفسا ان النفس لامارة بالسوء
اما في هذه الحادثة فلما وقع منه من الهم ولا شك انه فعل النفس واما في احوالها كلها فان جبلتها
على ذلك اولم يرد نفسه بل اراد الجنس وان هذا شانها سواء كانت نبي او غيره ولهذا استثنى
بقوله الا ما رحم ربي الا وقت رحمة ربي او الا نفسا رحمها ربي فعصمها وقيل الاستثناء منقطع والمعنى
لكن رحمة ربي هي التي تصرف السوء اشارة الى قوله كذلك لنصرف عنه السوء واعترافا به ان ربي
غفور للذنوب بعد وقوعها رحيم يرحم من يشاء بالعصمة وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي
لا يشاركني فيه احد لعظم امانته وكمال ديانته فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين ذو مكانة ومنزلة
رفيعة امين حق امين اطلقه يتناول كل شيء تحت يده من الاموال وغيرها روى انه لما خرج
من السجن دعا لاهله وقال اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار وكتب على باب
السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل ولبس
ثيابا جديدة وتوجه فلما اراد الدخول على الملك فقال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره واعوذ
بعزتك من شره فلما دخل سلم عليه ودعا له بالعبرانية فساله عنها فقال لسان آبائي و
قيل توفي العزيز في تلك الليالي فتزوج يوسف امراته فوجدها عذراء وكان عاقبة التقوى
ان اورثه الله ارضهم وديارهم قال اجعلني على خزاين الارض يريد ارض مصر وكان
غرضه في ذلك الاحسان على الناس ورعاية المحاويج والفقراء في ايام الشدة والغلاء اني
حفيظ عليم شديد الحفظ من الضياع كامل العلم بمعارف الخير ووجوه المكاسب وهذا ايضا
اظهار الشرف والفضل لنفع الخلق لا للترفع وتزكية النفس وعن مجاهد ان الملك اسلم على
يده وان كان كافرا فانما تولى منه يوسف لمصالح الكافة كما تتولى القضاة العادلة من الامراء
الظلمة والملوك الفسقة وكذلك مكنا ليوسف في الارض اي وكما سخرنا له قلب الملك حتى
جعل امورها كلها بيده مكنا له في ارض مصر يتبوا منها حيث يشاء اي مكان اراد ان يتخذه
منزلا اتخذه من غير مانع ولا مزاحم روى ان الملك توجه وختمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من
ذهب مكللا بالدر والياقوت فقال يوسف اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به
امرك واما التاج فليس من لباسي ولباس آبائي فقال قد وضعته اجلالك واقرارا بفضلك

مجلس

فجلس على السرير وشاع امره وحسنت سيرته واحبه الخلق وباع الطعام اول سنة من سني
القحط بالدراهم والدنانير وفي السنة الثانية بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار
ثم برقابهم فانه كان مشروعا في شرعه ثم قال للملك كيف رايت وما ذا ترى قال الراي رايك
والراي ما رايت قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن اخرهم ورددت
عليهم اموالهم نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين اما في الدنيا او في الاخرة او فيهما
على حسب ما اقتضته الحكمة وجرت به المشية ولاجر الاخرة خير للذين امنوا وكانوا يتقون المعاصي
والمعنى ان المؤمن المتقي يوجر على حسناته في الدنيا والاخرة ولكن بين الاجرين بون
بعيد اشارة الى ان ما ناله من ملك الدنيا نزر يسير بالنسبة الى ما اعده الله له من المنازل
ولذلك لم يرض الا بذلك وقال توفني مسلما والحقني بالصالحين وجاء اخوة يوسف
اصاب ارض الشام ما اصاب ارض مصر من السنة فارسل يعقوب بنيه للميرة واحتبس بنيامين
شقيق يوسف يتسلى به فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون لم يعرفوه لانه فارقهم في سن
الحداثة ولانهم راوه في ابهة الملك على سرير مرصع وعلى راسه تاج مكلل وراوه من بعيد بين
يديه الحجاب ولم ينظروا اليه نظرا بليغا للغيرة وانما عرفهم لعدم تغيرهم ولانه فارقهم وهم
رجال وعن ما عرفهم الا بعد ان تعرفوا له فانه كان يتوسم في وجوه الواردين وكانت همته
معرفته الى ان يقف على حالهم وعلى حال ابيه المحزون ولما جهزهم بجهازهم هياهم للسفر
وجهاز السفر بالفتح والكسر ما يحتاج اليه من الزاد والراحلة قال ائتوني باخ لكم من ابيكم لما
دخلوا عليه كلموه بالعبرانية قال لهم اخبروني من انتم وما شانكم فاني انكركم قالوا نحن قوم
من اهل الشام رعاة من اصابنا الجهد جئنا ممتارين قال لعلكم عيون تنظرون عورة هذه البلاد
قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو اب واحد وهو شيخ صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم
انتم قالوا كنا اثني عشر فهلك منا واحد فقال وكم انتم قالوا عشرة قال فاين الحادي عشر
قالوا هو عند ابيه يتسلى به عن اخيه الهالك قال من يشهد لكم قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد
قال فدعوا بعضكم رهينة وائتوني باخيكم من ابيكم يحمل رسالة من ابيكم فاقترعوا بينهم فوقعت
القرعة على شمعون فخلفوه عنده وكان قد احسن اليهم واكرم نزلهم وقيل كان لم يرد لكل شخص
على حمل فسالوه حملا زايدا لذلك الاخ الذي ياتون به فاعطاهم الا ترون اني اوفي الكيل
ولا ابخس احدا وانا خير المنزلين وكانوا عاينوا منه ذلك فان لم تاتوني به فلا كيل لكم عندي
ولا تقربون لا تعودوا الى هذه البلاد فانكم كذبتموني ولا تقربوا ما نفي معطوف على محل الجزاء
اي ان لم تاتوا به تجمعوا بين حرمان الكيل وعدم القرب او نهي قالوا سنراود عنه اباه سنخادعه
ونجتهد في تحصيله وانا لفاعلون ذلك لا محالة لكمال قدرتنا على ذلك بحيث لا مجال للشبهة
كلام محقق بالوفاء وانجاز الوعد وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم امر غلمانه الكيالين
ان يجعلوا البضاعة اخوته في رحالهم بحيث لا يعلمون ذلك وقرا حمزة والكسائي وحفص فتيانه
والباقون فتيته فالاول جمع الكثرة يعني والثاني جمع القلة لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم

ونحوه الاحتمال لعلهم يرجعون لانهم لا يستحلون اخذ البدلين او لعلهم يعرفون حق التكرم
برد البدل لعلهم يرجعون لذلك الاحسان وشكره فلما رجعوا الى ابيهم قالوا يا ابانا
منع منا الكيل ان لم ترسل معنا اخانا بنيامين فارسل معنا اخانا نكتل صريح في ان منع
الكيل مشروط بعدم مجيئه الى الملك معهم قرا حمزة والكسائي باليا على اسناده الى الاخ
والباقون بالنون للتكلم وانا له لحافظون ان يناله مكروه قال هل امنكم عليه الا كما
امنتكم على اخيه من قبل حيث قلتم يا ابانا ما لك لا تامنا على يوسف وانا له لحافظون وقد قلتم
في يوسف ما تقولونه الآن في اخيه فالله خير حافظا منكم فاتوكل عليه قرا حمزة والكسائي وحفص
على وزن فاعل وهو تمييز كقولك لله دره فارسا وقيل حال ومنعه ابو علي وقرا الباقون
حفظا وهو ابلغ وعليه الرسم وهو ارحم الراحمين فارجوا ان لا يجمع على مصيبتين فيرده الي
لا تسي بعد اخيه ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا ابانا ما نبغي ما نافيه
والبغي تجاوز الحد والمعنى ما نتزيد في وصف الملك الاحسان علينا والاكرام وكانوا قبل فتح
المتاع اخبروه بان اكرمهم غاية الاكرام حتى لو كان رجلا من آل يعقوب لما فعل معهم ما فعل
او البغي هو الطلب والمعنى ما نطلب وراء ما فعل معنا من الاحسان شيئا او ما نطلب بضاعة
اخرى مثل هذه بضاعتنا ردت الينا فهي كافية لنا وعلى الوجهين الاولين جملة مستانفة موضحة
جارية مجرى الدليل ونمير اهلنا معطوف على مقدر اي ردت بضاعتنا الينا فنستظهر بها ونمير بالرجوع
الى الملك ونحفظ اخانا عما نخاف عليه في الذهاب والاياب ونزداد كيل بعير ما يحمله
بعير باستصحاب اخينا لان يوسف كان في زمن الغلا يقسط فلا يزيد لكل شخص على حمل ويجوز
على الاول عطف الجمل على قوله ما نبغي على معنى لا نزيد فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت
ويجوز ان يكون كلاما مبتدا كانه قيل وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة زيد وينبغي
ان اسعى ويجب علي ان لا اقصر ذلك كيل يسير مكيل قليل ان لم يكن اخونا معهم حتى
لا يبهم على ارسال اخيه او ذلك اشارة الى كيل بعير كانه قال ابوهم من اين لكم العلم بان
الملك يسمح لكم بحمل بعير فقال ذلك كيل يسير لا يضايقنا فيه لوفور جوده وشدة عطفه
على الغربا الواردين من سفر بعيد وقيل ذلك من كلام يعقوب يريد ان حمل بعير
شي يسير لا غنا له فلا يقدر على فراق ابنه لذلك العذر ويرده قال لن ارسله معكم اذ لو
كان ذلك من كلامه لم يكن لقال وجه فانه ابتدا حكاية كلامه بعد تمام كلام بنيه حتى
تؤتون موثقا من الله الموثق والميثاق هو العهد المؤكد بالايمان اراد تحليفهم وتوكيد عهدهم
لتاتنني به جواب القسم الا ان يحاط بكم الا ان تصابوا بالموت عن آخركم من قولهم
احيط بفلان اذا اهلك ومنه قوله تعالى واحيط بثمره او الا ان تغلبوا وتمنعوا من الحياطة
وهي الحفظ والمنع ومنه الحايط والاستثنا من اعم الاحوال اي لتاتنني به على كل حالة
الا حال الاحاطة او من اعم العلل كانه قال لا تمتنعوا من الاتيان به لامر الا الاحاطة
فلما اتوه موثقهم عهدهم المؤكد باليمين قال الله على ما نقول على ما قلنا من الميثاق وكيل

حفيظا

حفيظ ورقيب هو المطالب بوفا العهد والميثاق وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا
من ابواب متفرقة لانهم كانوا ذوي جمال وابهة فخاف عليهم ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا
ولم يعهد في المرة الاولى لانهم كانوا قد استهزوا او قيل انما احتاط على بنيامين وتاثير العين
بقوة او وجماله في بعض العيون وسياتي انه سبب نزول قوله تعالى وان يكاد
الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم وما اغني عنكم من الله من شي فايدته دفع وسواس
الشيطان بان لو فعلت كذا لما لم يقع ان الحكم الا لله متفرد به يفعل ما يشا لو شا اصابكم
بشي لا ينفع الحيل ولا الحذر عليه توكلت لا على غيره من الاستحفاظ بالاخوة والعهد والميثاق
فان تلك الوسايل لا ينافي التوكل وذلك كلبس رسول الله لامتين يوم احد وعليه فليتوكل
المتوكلون الكاملون في الاتكال حيث على ما آخره لنفسه ليقتدي به وقدم الجار في الفعلين
للاختصاص وجمع بين الواو العاطفة والفاء لقصد الجمع والسببية ولما دخلوا من حيث
امرهم ابوهم من ابواب متفرقة ما كان يغني عنهم راي يعقوب واتباعهم من الله من شي
قط اخذوا بالسرقة وحصل لهم التشات والتفرق ورجعوا الى ابيهم بخبر احزن من خبر يوسف
الا حاجة في نفس يعقوب استثنا منقطع اي لكن حاجة في نفس يعقوب قضاها يعني شفقته
عليهم واظهارها لهم وانه لذو علم ولذلك قال لهم وما اغني عنكم من الله من شي اعترافا
بان الحذر لا يرد شيا من القدر لما علمناه لتعليمنا اياه بالوحي امتنانا عليه كقوله وعلمك
ما لم تكن تعلم ولكن اكثر الناس لا يعلمون ما علمه يعقوب ويحسبون ان الحذر يدفع القدر
كمن يفر من الطاعون اذا وقع بارض او لا تتوكل من به جرب ونحوه ولما دخلوا على يوسف
آوى اليه اخاه روي انهم دخلوا به على يوسف وقالوا هذا اخونا قد جئناك به فقال احسنتم
ستجدون ذلك عندي فانزلهم واكرمهم فلما اصبح اضافهم واجلس كل اثنين منهم على
مايدة بقي اخوه منفردا ليس له اخ يواكله فتزعج يبكي وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسه
الملك معي فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا فاجلسه على مايدته ثم انزل كل اثنين بيتا وقال
هذا ليس له ثان فلينزل عندنا فبات يوسف يشم رايحته الى الصباح فلما اصبح سأله
عن اخيه الهالك وقال اتحب ان اكون لك اخا بدله فقال من يجد مثلك اخا ولكن
لم يلدك يعقوب فبكى يوسف وقال بل ولدني يعقوب وراحيل قال اني انا اخوك يوسف
وقام اليه وعانقه فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلا تحزن افتعال من البؤس فلما جهزهم
بجهازهم فان قلت لما ذا ذكر تجهيزهم اولا بالواو وثانيا بالفا قلت لم يتقدم هناك ما
وعد فعطف القصة على القصة وهنا كان قد تقدم انهم اذا جاؤوا باخيهم يحسن اليهم ويكرمهم
جعل السقاية في رحل اخيه هي المشربة التي كان يشرب فيها مرصعة بالجواهر كانت صاعا
يكال به ولعله انما جعلها صاعا في ايام القحط لئلا يقع التبديل بغيرها ويبخس الناس
ثم اذن مؤذن نادى منادي من الاذان وهو الاعلام يقال اذن اي اعلم واذن
اكثر الاعلام ولذلك سمي المنادي الى الصلوة مؤذنا لكثرة وقوعه منه وتكرره ايتها العير انكم

لسارقون العير القافلة لانها تعير اى تجى وتذهب وقيل هى قافلة الحمير ثم كثر حتى
قيل لكل قافلة عير وكانه جمع عير واصله عير بضم العين كحمر فعل به ما فعل ببيض وعين انكم
انكم لسارقون مقول المؤذن او قاله يوسف واراد انهم لسارقوه من ابيه وباعوه
والحق ان يوسف حر لم يقع عليه اسم المال ولا يصدق على فعلهم اسم السرقة بل اطلاق
السرقة على وجدان الصاع في رحلهم مجاز بحسب الصورة قالوا واقبلوا عليهم ماذا تفقدون
فقدتموه الفقد غيبة الشي عن الحس بحيث لا يعرف مكانه قالوا نفقد صواع الملك
هى السقاية المذكورة ولمن جاء به حمل بعير جعلاله وفيه دليل على مشروعية الجعالة ان قيل
شرع من قبلنا شرع لنا وانا به زعيم ضامن التزم القيام به وفيه دليل على جواز ضمان
الجعل قبل تمام العمل قالوا تالله قسم فيه معنى التعجب لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الارض
استشهدوا بعلمهم على برائتهم لما ثبت عندهم من دلايل دياناتهم في كرتي مجيئهم ومداخلتهم
للملك ولانهم مصروا افواه رواحلهم معكومة لئلا يتناول زرعا في سيرها ولانهم ردوا البضاعة
التي دسها الفتيان وما كنا سارقين يوما من الدهر قالوا فما جزاؤه اى الصاع المسروق
او السارق منكم ان كنتم كاذبين في نفي السرقة قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه
كان في شرع يعقوب استرقاق السارق سنة وقولهم فهو جزاؤه تقرير للحكم باعادته لافادة
حقيته والاحتفاظ به كقول المجيب بعد تحقيق المسئلة هذا الامر فيه والشرطية خبر المبتدا الذي
جزاؤه من وجد في رحله فهو الجزاء وضع المظهر موضع المضمر مبالغة في عدم اللبس او جزاؤه
خبر مبتدا محذوف كانه قيل المسئول عنه جزاؤه تحقيقا للمراد بقولهم فما جزاؤه ان كنتم كاذبين
ثم اجابوا عن السؤال بقولهم من وجد في رحله فهو جزاؤه وهذا كما اذا سئل عن جزاء صيد الحرم
تقول جزاء صيد الحرم من قتله متعمدا فجزاء مثل ما قتل من النعم كذلك نجزي الظالمين اى
السارقين او كل ظالم نجزيه على قدر خيانته كما جزينا السارق فبدا باوعيتهم قبل وعاء اخيه
لانهم لو فتشوا وعاءه قبل الكل ربما اوهم انه احتيال وكيد ولذلك روى انهم لما فتشوا
الاحمال ولم يبق الا حمل بنيامين قال يوسف لا حاجة الى تفتيش حمل هذا فقال اخوة يوسف
لابد منه لتطيب نفس يوسف ولا يبقى له ريبة ثم استخرجها من وعاء اخيه وفي ثم دلالة
على انهم لبثوا زمانا بعد تفتيش الاحمال ولم يبادروا الى حمله لابعاد الظنون عن ارتكاب الحيلة
في شانه كذلك كدنا ليوسف كان صورة الكيد ولذلك بينه بقوله ما كان لياخذ اخاه
في دين الملك اى ملك مصر فانه كان في دينه ضرب السارق واخذ ضعف ما اخذ دون
الاسترقاق ومثله جايز للتوصل الى الحق كقول ابرهيم عليه السلام لسارة انها اختي الا ان
يشاء الله اى الا ان يشاء الله ان يجعل ذلك الحكم دين الملك والاستثناء منقطع اى لكن
اخذه بمشيته ذلك وان لم يكن في دين الملك نرفع درجات من نشاء بالعلم كما رفعنا درجات
يوسف عليه السلام قرا الكوفيون بالتنوين والاضافة ابلغ مدحا وفوق كل ذي علم عليم اى فوق
كل فرد من العلماء عالم كامل العلم وهو الله تعالى اشارة الى ان يوسف مع كونه راسخ القدم

في العلم

في العلم وقد بلغ من علمه ان قال لصاحبي السجن لا ياتيكما طعام ترزقانه الا نباتكما بتاويله قبل
ان ياتيكما لم يتوصل الى تحصيل اخيه الا باعلام الله تعالى اياه بالوحي وسقط بهذا قول من
استدل به على انه تعالى عالم بالذات لا بالعلم والا لكان فوقه تعالى ذو علم وقيل الكلام
في الخلق فسقط الاستدلال من اصله والمعنى على هذا ان يوسف قد فاق اخوته وان
كانوا علماء والوجه هو الاول لقوله كذلك كدنا ليوسف قالوا ان يسرق بنيامين فقد سرق
اخ له من قبل يريدون يوسف روى انهم لما اخرجوا السقاية من رحله نكس اخوته رؤسهم حياء
وقالوا ماذا فعلت بنا قد سودت وجوهنا يا بني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء فقال
بنيامين بل بنو راحيل لم يزل لهم منكم بلاء وضع في رحلي السقاية من وضع في رحلكم البضاعة
واما سرقة يوسف عليه السلام قيل كان قد اخذ صنما من اصنام جده اى لامه فكسره
والقاه في الجيف وقيل كان في البيت دجاجة او عناق فاعطاها السائل وقيل كانت
لابراهيم منطقة يتوارثها اكابر اولاده فورثها اسحق ثم بعد اسحق وقعت الى بنته وهي
كانت اكبر من يعقوب وكانت حاضنة يوسف فاراد يعقوب انتزاعه منها وكانت
شديدة الحب له فاحتالت عليه بان شدت المنطقة على وسط يوسف تحت ثيابه ثم
شرعت تفتش عنها واظهرت انها سرقت ثم فتشت يوسف فاستخرجت من تحت ثيابه
فصارت احق به لان جزاء السرقة هو السارق في شرع يعقوب كما تقدم فاسرها يوسف
في نفسه ولم يبدها لهم اى تلك المقالة او نسبة السرقة قال انتم شر مكانا اى منزلة لانكم
سرقتم يوسف من ابيه في نفسه لان قوله تعالى قال انتم شر مكانا بدل من قوله فاسرها يوسف
والها مفسرة بقوله انتم شر مكانا على تاويل الكلمة او الجملة كما في قوله ووصى بها ابرهيم وليس
من التفسير بالجملة والله اعلم بما تصفون اى ان الامر ليس كما تقولون لا سرق انا ولا اخي
قالوا يا ايها العزيز ان له ابا شيخا كبيرا في السن او في القدر استعطفوه عليه فخذ احدنا مكانه
ان اخاه قد هلك وهو عليه ثكلان يستانس به انا نريك من المحسنين الينا فتمم
الانعام او قد عم الورى احسانك فنحن احق بذلك وقد شرحنا لك حال ابينا قال معاذ الله
ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده من ان ناخذ غيره فاضيف المصدر الى المفعول به
وحذف من انا اذا لظالمون في شرعكم فكيف يجوز لكم خلافه وكيف يسعكم مخالفة ما افتيتم
وقد اوحي فيه ان الله امرني باخذه فكيف يسعني مخالفته لو فعلت ما تقولونه لكنت من
الظالمين المتجاوزين عما امر الله به فلما استياسوا منه حصل لهم الياس الكلي من جوابه
القاطع قرا ابن كثير في رواية البزي بابدال الهمزة الفا بعد القلب مكانا كما في نا فاعطى
كل من الهمزة والياء صفة الاخر من الحركة والسكون لحلوله محله خلصوا نجيا امتازوا عن
الخلق متناجين مصدر بمعنى التناجي وهو الكلام الذي يسار به ولذلك لم يجمع وعن
الاخفش يقال للجماعة نجي كما يقال صديق لانه على وزن المصدر والجمع انجية قال اذا ما القوم
كانوا انجية قال كبيرهم في السن وهو روبيل او في الراي وهو شمعون او يهوذا الم تعلموا ان

اباكم قد اخذ عليكم موثقا عهدا مؤكدا من الله من جهته ومن قبل ما فرطتم في يوسف ما زائدة
اي من قبل هذا قصرتم في شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم او مصدرية محل مدخولها الرفع
على الابتداء وخبره الظرف والمعنى وقع من قبل تفريطكم في يوسف او النصب عطفا على
مفعول الم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم وتفريطكم من قبل في يوسف
او موصولة والمعنى ومن قبل ما فرطتموه في يوسف اي قدمتموه في حقه من الخيانة ومحله الرفع
او النصب على الوجهين فلن ابرح الارض ارض مصر حتى ياذن لي ابي اي في الرجوع اليه
ويتجاوز عني او يحكم الله لي بالخروج منها او لا راد لحكمه ولا دافع لقضائه او يحكم بخلاص اخي
وقيل او بالمقاتلة مع اهل مصر وفيه بعد وهو خير الحاكمين اذ من سواه يحتمل السهو والنسيان
والغرض في احكامه ارجعوا الى ابيكم فقولوا يا ابانا ان ابنك سرق سرقة لا ريب فيها وقرئ
سُرِّق اي نسب الى السرقة روي ان ابن سيرين راى يوسف في منامه فقال له يوسف
لم تقرا يا ابن سيرين قوله تعالى ان ابنك سرق على بناء المفعول قال لانه لم يكن سارق
فقال له يوسف افتح فاك ففتحه فبزق من ريقه في فم ابن سيرين فالهمه الله تاويل الرؤيا
ببركة ذلك الريق وما شهدنا الا بما علمنا بتيقنا باخراج الصواع من وعائه ولا شيء ابين من
هذا وما كنا للغيب حافظين ما غاب عنا هل سرق ام دس الصواع في رحله او ما كنا عالمين
بعواقب الامور حين اعطيناك المواثيق انك تصاب به كما اصبت بيوسف او انه سيسرق
واسال القرية التي كنا فيها يريدون مصر فان القرية مجتمع الناس للتوطن كبيرة كانت او
صغيرة والعير التي اقبلنا فيها لتشهد كل من اهل مصر والعير بذلك وانا لصادقون تذييل لما فيه
معنى القسم قال بل سولت لكم انفسكم امرا اي ليس الامر كما تقولون بل زينت لكم انفسكم امرا
ودبرتموه والا من اين علموا ان السارق يؤخذ جزاء لسرقته لولا تقولونه فان قلت
لم يكن لهم في ذلك تسويل ولا مكيدة فكيف نسبهم الى ذلك وهم عنه براء قلت بنى على
ما راى من الامارة كقوله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الصلوة اقصرت ام نسيت كل ذلك
لم يكن وكان قد نسي لكن لما كان ظنه انه لم يقع شيء من النسيان والقصر كان خبره
صادقا فصبر جميل اي امري صبر جميل او صبر جميل اجمل والاول اوجه عسى الله ان ياتيني
بهم جميعا بيوسف واخيه والمتخلف انه هو العليم الحكيم الذي وقت حكمته في كل شيء وتولى
عنهم واعرض عنهم من شدة الهم وقال يا اسفى على يوسف اي اسفي هذا اوانك اقبل
والاسف شدة الحزن وبين الاسف ويوسف شبه الاشتقاق وان كان العلم عبريا وانما
اسف على يوسف وان كان الرزء الاحدث اشد لان رزء يوسف كان قاعدة
المصايب وفاتحة الاتراح واشار الى انه مع تقادم عهده غض طري ولانه كان واثقا بحيوتها
دون حياته وفي الحديث لم يعط احد من الامم انا لله وانا اليه راجعون الا هذه الامة الا يرى
يعقوب لم يسترجع بل قال يا اسفا وابيضت عيناه من الحزن لكثرة بكائه محقت العبرة
سواد عينه قيل كان قد عمي وقيل ضعف بصره وفيه دليل على ان البكاء الذي للمصايب لا يواخذ

وقد

وقد صح بكاؤه صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وجعفر بن ابي طالب وسئل عنه فقال هذه
رحمة جعلها الله في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء فهو كظيم مملوء من
الغيظ لا يظهره لاحد من كظم فاه اذا سده وفعيل بمعنى مفعول والكظيم بفتح الظاء مخرج النفس
او بمعنى الفاعل لقوله والكاظمين الغيظ من كظم الشيء اذا تجرعه قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف
لا تزال تذكره حذف حرف النفي لعدم اللبس اذ لو كان على ظاهره فسد المعنى ولوجب الاتيان
باللام والنون ونحوه فقلت يمين الله ابرح قاعدا ولو قطعوا راسي لديك واوصالي حتى تكون
حرضا مصدر حرض بالكسر اشتد مرضه حتى اشفى على الهلاك واحرضه الحب افسده قال العرجي
اني امرؤ لج بي حب فاحرضني وفي الحديث لمرض المؤمن حتى يحرضه المرض او يكون من الهالكين
مرة واحدة قال انما اشكو بثي همي الشديد من البث وهو النشر والتفريق لان المرض اذا قوي
لا يقدر صاحبه على اخفائه وحزني الى الله لا الى غيره فلا يخرج بذلك عن زمرة الصابرين
واعلم من الله ما لا تعلمون من لطفه ورحمته واجابة المضطر اذا دعاه قيل كان راى ملك
الموت في منامه فساله عن يوسف هل قبض روحه فقال لا والله هو حي فاطلبه وقيل كان
علم من رؤيا يوسف انه لا بد وان يخر له اخوته سجدا يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف
واخيه تعرفوا حالهما وتطلبوا من الحس يقال احس بالشيء اذا علمه باحدى الحواس ولا تياسوا
من روح الله من فرجه وفي الاصل نسيم الريح انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
لان اليأس من رحمته منشاه اعتقاد عدم قدرته على كل شيء او عدم علمه بالاشياء او عدم
كرمه وجوده الفياض وقيل كثرة وليس بكفر لان اليأس ربما كان لاستبعاد الشيء
لبعد اسبابه الظاهرة وان كان الايس معتقدا في الله كل كمال قرا ابن كثير في رواية البزي
بالف ثابتة بعدها ياء مفتوحة في الكلمتين فلما دخلوا عليه اي لما قال لهم ابوهم ما قال رجعوا
رجعة اخرى الى مصر فلما دخلوا على العزيز قالوا يا ايها العزيز مسنا واهلنا الضر سوء الحال
من جهات كثيرة وجئنا ببضاعة مزجاة رديئة من ازجيت الدابة اذا سقتها قال تعالى الم تر
ان الله يزجي سحابا وقال الشاعر يزجي اغن كان ابرة روقه قلم اصاب من الدواة مدادها
كانها من الرداءة تدفع من مكان الى اخر ومن يد الى اخرى قيل كانت دراهم زيوفا وقيل
حب الصنوبر والحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط فاوف لنا الكيل اتمه وان كان
الثمن رديا وتصدق علينا ارادوا بالصدقة المسامحة والمجاملة سموها صدقة ترقيقا للقلب
فان الصدقة محرمة على الانبياء والظاهر انهم ارادوا بالصدقة اطلاق اخيهم الا انهم لم يجترؤوا
على التصريح به مخافة ان يقول لم تاخذه الا بقولكم ان الله يجزي المتصدقين المحسنين
الصدقة ماخوذة من الصدق فكل ما تقرب به الانسان صدقة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم
الكلمة الطيبة صدقة وتخصيصها بالعطية لثواب الاخرة عرف طار قال هل علمتم ما فعلتم
بيوسف واخيه لما توسلوا الى مطلوبهم بامر الديانة وما فيه حث على طلب الاخرة اتاهم النصح
في طريق الديانة واستفهامه لم يكن عن نفس ما فعلوه لان الفعل الارادي مسبوق

بالعلم لا محالة بل انما كان عن قبحه بدليل قوله اذ انتم جاهلون قبح ما فعلتموه حثا على
التوبة عما فرط منهم فان التوبة اولى مقامات السالك شان النفوس الزكية ترك التشكي
والتعرض الى اتم الاشياء واوجع فيه ان هذا الضر اولى بالكشف من الضر الذي شكوه
وقيل اذ انتم صبيان لا معرفة لكم ويرده قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة مباهين
بالقوة الكاملة والحول التام وفعلهم باخيه التفرقة بينه وبين اخيه يوسف وكانوا يستضعفونه
ويجفونه قيل كان قد كتب اليه يعقوب كتابا من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله
بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت وكل بنا البلاء اما جدي فشدت
يداه ورجلاه ورمي به الى النار فنجاه الله منها وجعلها عليه بردا وسلاما واما ابي فوضع السكين
على قفاه للقتل ففداه واما انا فكان لي ابن وكان احب اولادي الي فذهب به اخوته
الى البرية فاتوا بقميصه ملطخا بدم وقالوا اكله الذئب وكان له اخ من امه كنت اتسلى به
فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد
سارقا فاذا وصل اليك كتابي رد علي ابني الا دعوت عليك دعوة يدرك السابع من
ولدك فلما قرا يوسف الكتاب لم يتمالك ان خاطبهم بذلك الخطاب قالوا ائنك لانت
يوسف سوال تحقيق وفيه تعجب وتخييل كانهم من شدة التعجب لبعد حاله عما عاهدوه عليه
لم يصدقوا بانه هو مع كونهم موقنين بذلك ومثله يقع كثيرا ولذلك قال انا يوسف
وهذا اخي صرح باسمه واضاف اليه اخاه ولم يكتف ببلى ليكون تعريفا بلا ريب ولا شبهة
وقراءة ابن كثير بحذف الاستفهام صريحة في معرفتهم ومؤيدة كون الاستفهام ليس على
قد من الله علينا بالسلامة والاجتماع انه من يتق الله ويصبر عن المعاصي وعلى الطاعات
فان الله لا يضيع اجر المحسنين وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان من جمع بين التقوى
والصبر داخل في زمرة المحسنين لا ليدل على ان المحسن من جمع بين التقوى والاحسان
ولا يلزم من انتفاء علة معينة انتفاء الحكم قالوا تالله لقد آثرك الله علينا اختارك بحسن السيرة
والصورة ومحاسن الاخلاق وجعلك ملكا واحوجنا اليك وان كنا لخاطئين وان الشان
انا كنا آثمين من خطى بالكسر اذا تعمد الذنب قال لا تثريب عليكم لا توبيخ من الثرب وهو
وهو الشحم الذي يغشي الكرش ومعناه ازالة الثرب فاستعير للتقريع الذي يذهب ماء الوجه
ثم نفى اليوم متعلق بالتثريب او بالمتعلق الجار والمعنى لا اثربكم اليوم الذي هو مظنته
التثريب فكيف بساير الايام او بقوله يغفر الله لكم والمعنى انكم بعد ما عرفتم قبح ذنبكم و
اعترفتم بانكم كنتم خاطئين فقد غفر الله لكم لقوله واني لغفار لمن تاب ولا ينافيه قولهم يا ابانا
استغفر لنا ذنوبنا لان العلم بوقوعه بخبر الصديق الصادق لا يمنع الطلب على انه لو سلم
كان من قبيل استغفار الانبياء هضما للنفس فالفرق بين الدعاء والاخبار وهو ارحم
الراحمين يغفر الذنوب جميعا ويتفضل بالاعين رات يوم فتح مكة اخذ رسول الله بعضادتي
الباب وقال لقريش ما ترونني فاعلا بكم قالوا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت

فقال

فقال اقول ما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم ومن كرم يوسف وتواضعه انه لما
عرف نفسه اخوته وكان يدعوهم الى الطعام بكرة وعشيا ارسلوا اليه وقالوا انا نستحي منك
لما فرط منا فقال ان اهل مصر كانوا يستنكرون علي ما انا فيه ويقولون عبد ثمنه عشرون
دينارا فلما عرفوا انكم اخوتي واني من نسل ابراهيم عظمت في عينهم اذهبوا بقميصي هذا
هو القميص الذي كان لابراهيم الذي اخرجه جبرائيل من تعويذه حين القي في الجب
عريانا وكان من حرير الجنة لم يشم مبتلى رائحته الا عوفي ولهذا قيده بالوصف فالقوه على
وجه ابي يات بصيرا يصير بصيرا الاتيان مجاز عن الصيرورة او يات الي بصيرا معافى
سالما وأتوني باهلكم اجمعين النساء والاولاد والموالي فان قلت اذا كان الاتيان
مجازا عن الصيرورة فاين ذكر اتيان الاب وهو المقصود الاعظم قلت علم اتيانه وتوقفا
بحجة مع ان امر الاخوة بالاتيان به يشعر بنوع اجبار عليه فتجلل عنه ولما فصلت العير
خرجت من مصر من فصل فصولا لازم لا من الفصل ليتعدى قال ابوهم اني لاجد ريح
يوسف قال لمن حضره من احفاده وساير اهله لم يشم الريحة وهو في الجب على
مقدار فراسخ وشمها من مسيرة ثمانين فرسخا حين تعلقت ارادة من لا يسال
عما يفعل لولا ان تفندون تنسبون الى الفند وهو الخرف ونقصان الراي
لشدة الكبر والهرم ولا يقال عجوز مفندة لان نقصان الراي في النساء ذاتي واصل
الفند الكذب وكانه سمي الخرف به لانه لا يخلو عنه وقد جاء في حديث ام معبد في وصفه
صلى الله عليه وسلم لا عابس ولا مفند على اصله قالوا تالله انك لفي ضلالك القديم
متمكن فيه لم يخرج عنه ولم يفارقك وهذا هو التفند الذي خافه فلما ان جاء البشير يهوذا
فانه الذي اتاه بالقميص ملطخا فقال كما احزنته انا ابشره القاه على وجهه لان يوسف امره
بذلك فقال القوه على وجه ابي وقيل القاه يعقوب فارتد بصيرا فرجع بصيرا يقال رده
فارتد قال الم اقل لكم اني اعلم من الله ما لا تعلمون يريد قوله واعلم من الله ما لا تعلمون وقيل
قوله الم اقل لكم الى آخر الكلام والمفعول محذوف اي اني لاجد ريح يوسف وقوله واعلم من الله
ابتداء كلام قالوا يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين وحق على الانبياء اذا جاءهم
تائب ان يطلبوا له المغفرة قال تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك واستغفروا الله واستغفر لهم
الرسول لوجدوا الله توابا رحيما قال سوف استغفر لكم ربي قيل اخر الاستغفار الى السحر فانه
وقت الاجابة وقيل الى ليلة الجمعة رواه الترمذي ويؤيده لفظ سوف فانه للتراخي في
الاستقبال اذ لو كان الى السحر كان استعمال السين وجدد وقيل بل اخره الى ان يطلب
من يوسف التجاوز عنهم فان حقوق العباد لا يسقط الا به وفيه بعد كيف وقد قال
انه هو الغفور الكثير الغفران الرحيم البالغ الرحمة فلما دخلوا على يوسف لا قوة يقال
دخلت على السلطان اذا لاقيته ولو لم يكن في بيت روي انه وجه اليه رواحل واموالا واستقبله
هو والملك باهل مصر وكان اولاده الذين دخلوا مصر معه اثنين وسبعين رجلا وامراة

وكانوا حين خرجوا مع موسى ستمائة الف وخمسمائة وبضعا وسبعين رجلا سوى الذرارى
والهرمى اوى اليه ابويه ضمهما اليه واعتنقهما وعن ابن اسحق ان امه كانت تحيى
وقيل خالته كانت رابته له فكانت ام التربية ولان الخالة بمثابة الام كما ان العم
صنو الاب قيل لما التقيا كان البادى بالسلام يعقوب فقال السلام عليك يا مذهب
الاحزان فقال له يوسف بكيت وجزعت على حتى ذهب بصرك وقد علمت ان القيمة
تجمعنا فقال بلى ولكن لم اكن اعلم على اى دين انت فكنت اخاف ان يحال بينى وبينك
وقال ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين من الملوك باسرها ولذلك اطلق والمشية قيد
للدخول المكيف بالامن الذى هو الغرض الاصلى كقوله تعالى ادخلوا الباب سجدا ولذلك
قيل معناه اسلموا او امنوا والشرط المتوسط حذف جزاؤه بل لا يكاد يوجد له ذكر فى مثله ورفع
ابويه على العرش وخروا له سجدا الخرور مقدم على الرفع وانما قدمه اهتماما وجاز لهم السجود
لكونه بمثابة التحية عندنا وقيل سجدوا لله شكرا فالضمير لله وقال يا ابت هذا تاويل رؤياى
من قبل تقدمت فى صدر السورة قد جعلها ربى حقا طبق الواقع ولم يجعلها من الاحلام
الباطلة وقد احسن بى اذ اخرجنى من السجن لم يذكر الجب لانه لم يصل الى النعمة الا بعد السجن
وقيل السجن كان من الارقاء وان كان عند الله من صفوة الانبياء وقيل لم يذكر الجب
لئلا يكون تثريبا يقال احسن اليه وبه وجاء بكم من البدو اى البادية كانوا اصحاب المواشى
ينتجعون المراعى ويردون المياه من بعد ان نزغ الشيطان بينى وبين اخوتى بالقاء العداوة
من نزغ الدابة اذا نخسها شبه به اضلال الشيطان ان ربى لطيف لما يشاء يوجده بالرفق
بحيث يدق على الافكار انه هو العليم الكامل العلم باحوال الاشياء ومصالح العباد الحكيم
الذى يوجد الاشياء على وفق ما تقتضيه الحكمة فى كل عصر وقيل على كونه لطيفا روى انه طاف
بابيه فى الخزاين فلما دخل به خزانة الاوراق فقال يا بنى ما اعقك عندك هذه الورق
ولم يكتب الى بيك الشيخ قال كذا امرنى جبرئيل قال يعقوب او ما تسأله لماذا قال انت
ابسط اليه منى فقال يا جبرئيل لماذا قال كذا امرنى ربى لقولك انى اخاف ان ياكله
الذئب هلا خفتنى رب قد آتيتنى من الملك بعضه وهو ملك مصر وعلمتنى من تاويل
الاحاديث بعض تاويلها اذ لم يؤت الا البعض من الكل او هو تاويل الرؤيا فاطر السموات
والارض نصب على الصفة كقولك يا اخا زيد حسن الوجه او هو منادى ثان والفطر لغة الشق
وعن ابن عباس ما كنت اعلم معناه حتى تحاكم الى اعرابيان يتنازعان فى بئر فقال احدهما
انا فطرتها انت وليى فى الدنيا والاخرة تتولانى فيهما لا شريك لك فى شىء وهذا عين
التوحيد توفنى مسلما والحقنى بالصالحين فى الرتبة والدرجة وليس فيه ما يدل على انه
تمنى الموت لان الامر لا يدل على الفور بل يسأل ان يكون موته على الاسلام ملحقا باباءه
الصالحين وساير الرسل الكرام كما ان واحدا منا اذا قال اللهم توفنى مسلما يريد ذلك
ولا يخطر التمنى بباله روى ان يعقوب اقام مع يوسف اربعا وعشرين سنة ثم توفاه الله

واوصى ان يدفن فى الارض المقدسة عند ابيه ابراهيم واسحق فذهب يوسف بجنازته
الى هناك ودفنه ثم عاد الى مصر وعاش ثلثا وعشرين سنة ثم توفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم
اهل مصر فى مدفنه كل طايفة تريد ان يكون بقربهم ليتبركوا ببركته ثم اتفقوا على ان يجعلوه فى
تابوت من مرمر ويجعلوه فى النيل بحيث يمر عليه الماء ويكونوا فى ذلك سواء لا مزية لاحد على آخر
وكان هناك الى ان خرج موسى ببنى اسرائيل فاخرجه الى الارض المقدسة ودفنه عند آبائه
الرسل الكرام عليهم من الله افضل الصلوات والسلام ذلك حديث يوسف كما قص عليك
مبتدأ من انباء الغيب نوحيه اليك خبران له وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون
غاية التهكم بمنكره لان طريق العلم فيما يتعلق بالنقل اما السماع او المشاهدة والسماع لا يكون الا ان
به لانهم لا يؤمنون بكتاب فلم يبق الا العيان ولا يظن به الا عاقل وما اكثر الناس ولو حرصت
بمؤمنين لما قص عليهم ما سألوه على احسن وجه وابدع نظام وافحمهم ولم يؤمنوا به اشار تعالى
الى ان اظهار الآيات والحرص على الايمان مثلك لا ينفع اكثر الناس وما تسألهم عليه من اجر
على التبليغ حتى يكونوا بذلك محتجين ان هو الا ذكر للعالمين موعظة لكافة الخلق من غير
تخصيص بطايفة فلا يتصور اخذ الاجر عليه وكاين من آية اى كثير منها فى السموات والارض
يمرون عليها على تلك الآيات الدالة على وحدانية الله وكمال صفاته وهم عنها معرضون
لا يتدبرون فى شىء منها فاذا لم يتفكروا فيما قصصت عليهم من انباء الغيب ولم يؤمنوا فلا
تحزن وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون ابلغ فى الذم من الاعراض لان المعرض
جاهل بسيط وهؤلاء اداهم النظر الفاسد الى الاشراك بعد التامل فى الآيات الدالة على التوحيد
والقول بان الآية فى المنافقين يرده كون السورة مكية افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله
ايؤمن اكثرهم بالله مع الاشراك فيامنون مع ذلك ان يحيط بهم نوع من العذاب او تاتيهم
الساعة بغتة فجاة وهم لا يشعرون بذلك الاتيان فما حالهم بعد ذلك وما عذرهم
قل هذه سبيلى اى الانباء عن الغيب بالوحى والتوحيد ادعوا الى الله استيناف لبيان السبيل
او حال من الياء على بصيرة حال من فاعل ادعوا اى مستيقنا ومتعلق به كلام مع برهان
واضح انا تاكيد للمستتر فى الجار والمجرور ان جعل حالا والا فمن المستتر فى ادعو ومن اتبعنى عطف
على المستتر على الوجهين وسبحان الله عما لا يليق به وما انا من المشركين به تعريض بالخصم
وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم كما اوحى اليك رد لقولهم لولا انزل علينا الملائكة
وقيل نفى لاستنباء النساء روى عن ابن عباس رضى الله عنه والله اعلم بصحته قرأ حفص
بالنون هنا وفى النحل وفى الانبياء ايضا على الالتفات والنون ابلغ نصا على الموحى تصديقا
له من اهل القرى سكان المدن لانهم الين عريكة واحسن اخلاقا وفى الحديث الغلظ والقسوة
فى الفدادين اهل الوبر افلم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم استفهام
تقرير قد ساروا وشاهدوا ما حل بالامم المكذبة فكان ذلك عبرة لهم لو اعتبروا ولدار
الآخرة خير للذين اتقوا اى دار الحيوة الآخرة او النشأة الآخرة خير من الحطام الفانى افلا تعقلون

فلا يستعملون عقولهم ليتعظوا وقرا نافع وابن عامر وعاصم خطابا بتقدير القول حتى اذا
استيأس الرسل غاية محذوف دل عليه الكلام اى وما ارسلنا من قبلك الا رجالا
فى سبيل وتراخى عليهم النصر وقرا البزى بالف رابعة بعدها يا مفتوحة وظنوا انهم قد كذبوا
بتخفيف الذال قراءة الكوفيين والمعنى ظن الرسل ان انفسهم كذبتهم فى تقدير النصر ولم
يكن لهم وعد بالنصر فى تلك الواقعة من الله تعالى او ظن ان من اطاعهم علانية كذبوهم
سرا والظن مجاز عن الهواجس التى يذهب بنور الايمان وهذا تأويل قول ابن عباس
على ما رواه عنه البخارى وانكار عائشة رضى الله عنها عليه بناء على ان الظن على ظاهره وعن
ابن جبير ان الظان هم المرسل اليهم لدلالة ذكر الرسل عليهم والمعنى ان المرسل اليهم ظنوا
ان الرسل قد اخلفوا الوعد او هم قد اخلفوا الوعد من جهة الرسل جاءهم نصرنا فنجى من
نشاء اى النبى والمؤمنين قرا ابن عامر وعاصم باسقاط النون الثانية وفتح الياء
ماضيا على بناء المفعول من نجاه والباقون باثبات النون وسكون الياء صيغة المتكلم
مضارع انجى وهو المختار للسياق والسباق ولكونه ابلغ ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين
غير الاسلوب ليدل وصف الاجرام على استحقاق حلول العذاب لقد كان فى قصصهم
اى الامم المكذبة او يوسف واخوته عبرة لاولى الالباب العقول السالمة عن شوب
الوهم والف الحس والركون الى العادات ما كان حديثا يفترى اى القران ولكن
تصديق الذى بين يديه من الكتب والشرايع وتفصيل كل شئ يحتاج اليه فى الدين
لانه القانون الذى يرجع اليه ساير الادلة الشرعية فلا يستند الاحكام الا اليه اما ابتداء
او توسط وهدى اى من الضلال ورحمة لكونه سببا للنجاة فى الدارين واطلاق المصادر
مبالغة لقوم يؤمنون به لانهم المنتفعون باحكامه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ساير الرسل

سورة الرعد عن قتادة مدنية وعن عطا مكية وآيتها خمس واربعون

بسم الله الرحمن الرحيم المر اسم السورة او طايفة من الحروف للايقاظ تلك آيات الكتاب
اشارة الى ايات السورة وهى المراد بالكتاب والمعنى اى هذه السورة آيات السورة الكاملة
العجيبة فى بابها فتلك مبتدا ويجوز ان يكون خبر المر وآيات الكتاب بدلا عنه او بيانا
والذى انزل اليك من ربك مبتدا الحق خبره اى القران كله هو الحق الذى لا مزيد عليه
لا السورة وحدها اجمال بعد التفصيل اشارة الى كمال الكل مما لا يحيط به الوصف لئلا يتوهم
خصوص السورة او الموصول فى محل الجر عطفا على الكتاب عطف العام على الخاص وان
اريد بالكتاب القران كله فمن عطف الصفة كالحارث فالآيب والسنة والقياس
منزل بوسط فلا يرد الحصر المستفاد من تعريف الخبر ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بكونه كلام الله
المنزل لاخلالهم بالنظر او الجحود وهم استكبارا الله الذى رفع السموات مبتدا وخبر ويدل
قوله وهو الذى مد الارض لانه سبق لمقابل السفليات العلويات فيه اتقان اسلوبا والحكمة
مقررة لقوله والذى انزل اليك من ربك الحق كانه قيل كيف لا يكون كلام من هذه افعاله

هو الحق

هو الحق وانما عدل عن لفظ الرب الى الاسم الجامع تقوية لذلك التقرير ويجوز ان
يكون صفة والخبر يدبر الامر بغير عمد فى محل النصب على الحال جمع عماد كاهاب واهب
او جمع عمود ترونها صفة عمد او استيناف استشهاد برؤيتها كذلك والمرئى وان كان
سماء الدنيا الا انه يعلم منه سايرها بالطريق الاولى ثم استوى على العرش كناية عن
اجراء الاحكام فى الملك والملكوت فان الملك يجلس على سريره ثم يظهر امره وسخر
الشمس والقمر لما اراد منهما من الحركة المستمرة وفى ذكرهما اشارة الى معنى الاستواء كل يجرى
لاجل مسمى لوقت معين وهو ما يتم فيه دور كل منهما او الامد الذى ضرب لكل
منهما اذا السماء انفطرت واذا الكواكب انتثرت يدبر الامر يفصل الايات حالان من
الضمير فى قوله ثم استوى على العرش على الوجه الاول لان قوله وسخر الشمس والقمر من
تتمته وخبران على الثانى والاول اوجه لان قوله رفع السموات هو الحكم الذى جعل دليلا
على ما قبله وعلى الثانى يصير ذريعة لتحقيق الخبر وانما لم يعطف احدهما على الاخر لاستقلال
كل منهما بشأن الاول عبارة عن افعاله كالاماتة والاحياء والايجاد والاعدام والثانى
عن اقواله كالايحاء وانزال الكتب لعلكم بلقاء ربكم توقنون لكى توقنوا بالاحياء بعد
الممات لان هذه الاشياء ادلة قاطعة على ان موجدها له كمال القدرة على كل شئ
وهو الذى مد الارض دحاها وبسطها طولا وعرضا لتتكامل فيها المنافع قدم العلويات
لان الكلام فى الدلالة على كمال القدرة وهى اول وجعل فيها رواسى جبالا شوامخ من رسا
القدم اذا ثبت وانهارا امساها جارية ومن كل الثمرات متعلق بجعل وقوله جعل فيها
زوجين اثنين مستانف للبيان او متعلق بالثانى اى جعل فيها زوجين اثنين من
كل الثمرات اسود وابيض حلوا وحامضا او فى بداء الفطرة خلقت زوجين زوجين ثم
تكاثرت وفايدة الوصف بالاثنين لئلا يتوهم متعارف الحساب يغشى الليل النهار
يجعل الليل مكان النهار بعد ذهابه وانما عبر عنه بالغشيان مبالغة فى الاستتار وعدم
بقاء آثاره كالشئ الملفوف فى لباس ساتر وقرا ابو بكر وحمزة والكسائى يغشى مشددا
وهو ابلغ ان فى ذلك لايات لقوم يتفكرون اى فى المذكور من قوله مد الارض الى اخر
الاية او فى كل واحد من المذكورات ايات دالة على كمال القدرة والحكمة باعتبار الكم و
الكيفيات لمن تدبرها بعين الاعتبار وفى الارض قطع متجاورات متلاصقة بعضها
طيبة يخرج نباتها وبعضها خبيثة لا تخرج نباتا ولا تمسك ماء مع الاشتراك فى الماهية
واتحاد النوع فذلك الاختلاف مستند الى ارادة الصانع الحكيم وجنات من اعناب
وزرع ونخيل اى وفى تلك القطع المتجاورة بساتين وزرع ونخيل وقرا نافع وابن عامر
وشعبة وحمزة والكسائى بجرهما عطفا على اعناب وهو المختار لقرب المعطوف عليه ولدلالته
على اشتمال الجنات على هذه الانواع كما فى قوله جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما
بنخل وقرا الجعفى عن شعبة واللؤلؤى عن ابى عمرو وجنات بالجر عطفا على زوجين والمعنى

جعل فيها زوجين اثنين من كل الثمرات وجنات من اعناب وعلى هذا يجوز عطف زرع
ونخيل عليها صنوان نخلات يخرج من اصل واحد وفي الحديث عم الرجل صنو ابيه المثنى
والجمع مشتركان صيغة والفرق بالتنوين وعدمه وغير صنوان متفرقات والخلاف
فيهما قراءة واعرابا كالزرع ونخيل يسقى بماء واحد دفع لما يتوهم من ان اختلاف الاوصاف
مستند الى الماء الذي هو منشأ حيوة كل حي قراءة بالتذكير ابن عامر وعاصم اي المذكور والباقون
بالتانيث وهو المختار اولا نكتة في العدول عن الظاهر ولقوله ونفضل بعضها على بعض
قراءة بالغيبة حمزة والكسائي مسندا الى ضمير اسم الله الذي وهو المختار لكونه ابلغ في الاكل
بسكون الكاف وضمه الكوفيون وابو عمرو وابن عامر هو المأكول وفي حديث عائشة رضي الله
عنها تصف عمر بن الخطاب بعج الارض فقاءت اكلها والتفسير بالثمر لا يستقيم في الزرع
الا تغليبا وانما خص الاكل بالذكر دون الشكل واللون والرائحة لانه العمدة في المنافع ان
في ذلك لايات لقوم يعقلون جعل الفاصلة يعقلون وفي السابقة يتفكرون لان بدا
خلق الارض وارساء الجبال فيها واجراء الانهار منها وتكوير الليل على النهار مما يحتاج
الى تامل وافر بخلاف رؤية البساتين وادراك اختلاف انواعها شكلا وطعما وان تعجب
يا محمد من انكارهم الاعادة فعجب قولهم محل تعجب وحقيق ان يتعجب منه لان من قدر
على انشاء هذه الاصول والفروع ولم يعي بخلقهن فبالحري ان يقدر على الاعادة بل هو
اهون وايسر باوايل العقول او المعنى يا من ينظر في هذه الايات وتعجب من قدرة
موجدها فازدد عجبا من منكر الاعادة مع اعترافه بايجادها من العدوم ائذا كنا ترابا
ائنا لفي خلق جديد مقول قولهم او بدل منه والعامل في اذا محذوف دل عليه ائنا لفي خلق
جديد قرا ابن عامر الاول بالاخبار ونافع والكسائي الثاني والباقون بالاستفهام
فيهما والاصل السالم عن المعارض اولئك الذين كفروا بربهم الكاملون في الكفر
لتعريف الجنس او العهد كما في اولئك هم المفلحون واولئك الاغلال في اعناقهم كناية
عن اصرارهم فان من كان مقمحا بالاغلال لا يبرح عن مكانه وقد الم به من قال لهم
عن الرشد اغلال واقياد او هو من جملة الوعيد وهذا اظهر لانه جار على الحقيقة ولكونه
تاسيسا واولئك النار هم فيها خالدون الحصر لا اخراج لاهل الكبائر ويستعجلونك بالسيئة
بالنقمة والعذاب في الدنيا قبل الحسنة الايمان متعلق بيستعجلونك او حال عن
السيئة هو قولهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة وقد خلت من
قبلهم المثلات العقوبات النازلة بمكذبي الرسل وكان الواجب عليهم الاسراع الى الايمان
برسولهم مخافة ان يصيبهم مثل ما اصاب اولئك والمثلة العقوبة لانها مثل المعاقب
عليه ومنه سمي القصاص مثالا وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وعاصم الى الايمان
بعد ما بين تكاملهم ورسوخ قدمهم في الكفر وانه يغفر ذنوبهم لو امنوا مع ظلمهم وان ربك
لشديد العقاب لمن اصر على الكفر او لمن شاء وفي الحديث لولا عفو الله وتجاوزه لما هنا

احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه
اية من ربه لم يعتدوا بما اوتي به من الايات واقترحوا عليه ما حكاه الله تعالى وقالوا لن
نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او يكون لك جنة من نخيل وعنب
فتفجر الانهار خلالها تفجيرا انما انت منذر مبلغ ولا عليك بعد الانذار ولكل قوم هاد
يقدر على هدايتهم ان شاء وهو الله تعالى لا غير او ولكل قوم نبي داع الى الله مثلك
ولا عليه بعد الدعوة عتاب او انما انت نذير وهاد لكل قوم لا كسائر الانبياء ردا
لقولهم لولا انزل عليه اية على ابلغ وجه واثبات الرسالة على الكافة لانه بعثت الى
الاحمر والاسود ووقف ابن كثير على هاد بالياء والباقون بحذفها وعليه الرسم
الله يعلم ما تحمل كل انثى حملها او ما تحمله واحدا كان او متعددا ذكرا او انثى وما
تغيض ما تنقصه الارحام من المدة وما تزداد منها اقصى مدة الحمل عند ابي حنيفة
رحمه الله سنتان واربع عند الشافعي وخمس عند مالك وقد روي ان الضحاك
ولد لسنتين وهرم بن حيان لاربع او من عدد الحمل قيل نهاية ما عرف اربعة واليه ذهب
ابو حنيفة وعن الشافعي ان شيخا باليمن اخبره ان امراته ولدت بطونا خمسة خمسة وقيل
المراد نقصان دم الحيض وازدياده وغاض جاء متعديا ولازما وكذلك ازداد ولو عرف عدم
اجابتهم الى ما اقترحوه كمال علمه وقدرته وشمول قضائه وقدره والدلالة على ان ذلك لعلمه
بانهم معاندون وانما يجاب المسترشد الطالب للحق وكل شيء عنده بمقدار بقدر وحد لا يتجاوزه
كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر عالم الغيب والشهادة الغائب عن الحس والحاضر تعميم
بعد التخصيص الكبير البالغ كبرياؤه وشانه المتعالي عن كل ما لا يليق بجلال جبروته سواء
منكم من اسر القول في نفسه ومن جهر به لسمعه غيره ومن هو مستخف بالليل مختف
غاية الاختفاء وسارب بالنهار ظاهر غاية الظهور من السرب وهو الطريق وفي حديث ابن
عمر اذا مات المؤمن يخلى له سربه حيث يشاء فان قلت الاستواء يقتضي التعدد فكان حق العبارة
ومن هو سارب بالنهار كما في قوله ومن جهر به قلت هو معطوف على من هو مستخف كانه قيل
سواء منكم انسان مستخف واخر سارب وانما لم يات عن الموصوفة كما في المعطوف عليه اشارة
الى كمال علمه بالخفايا والسراير وذلك هو النكتة في زيادة هو ولذلك ايضا قدم اسر واعلم
في صريح القول وانى في الجهر بالضمير مؤخرا معطوف على مستخف لكن من الموصوفة وان
كانت مفردا متعدد معنى كانه قيل سواء منكم اثنان هما مستخف وسارب كقول الفرزدق
يكن مثل من يا ذئب يصطحبان له معقبات جمع معقب والتاء للمبالغة او معقبة بمعنى
جماعة واصل عقب فلانا جاء على اثره ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم العاقب لانه جاء
بعد الانبياء فالتشديد للمبالغة وقيل من الاعتقاب ادغمت التاء في القاف نظيره وجاء
المعذرون والاعتقاب التناوب وفي حديث ابي هريرة كان هو وامراته وخادمه يعقبون
الليل اثلاثا من بين يديه ومن خلفه اي من جهاته كلها وانما خص الجهتين بالذكر لان العدد

اكثر ما يقصد منها يحفظونه من امر الله صفة معقبات او المعنى يحفظونه من اجل امر الله او يراقبون
احواله وقيل يحفظونه من باس الله ونقمته بالاستغفار لقوله ويستغفرون لمن في الارض وما
ابعد قول من فسر المعقبات بالجلاوزة والحرس حول السلطان يحفظونه من امر الله ان الله
لا يغير ما بقوم من النعمة حتى يغيروا ما بانفسهم من شكرها بالكفران واذا اراد الله بقوم
سوءا فلا مرد له فلا مكان لرده واذا انتفى مكان الرد ينتفي قطعا وما لهم من دونه من وال
من ناصر او من يلي امرهم وقد وقف ابن كثير على وال بالياء وقد ذكر وجهه في هاد اشار الى
ان الحافظ عنايته والمعقبات آثار سلطنته على داب ما يتعارفه الناس والافعل اشمل
وحفظه اقوى واكمل هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا ارادة خوف وطمع مفعول له بتقدير
المضاف والمعنى ان عند لمعان البرق يخاف من الصاعقة ويطمع في الرحمة وقيل الخوف
والطمع بمعنى الاخافة والاطماع او نصب على الحال من البرق او المخاطبين بتقدير ذوا او
اطلاق المصدر بمعنى المفعول او الفاعل وينشئ السحاب الثقال جمع ثقيلة وصف السحاب
بالجمع لانه اسم الجمع والواحد سحابة ويسبح الرعد بحمده سامعوه لان الرعد صوت اصطكاك
اجرام السحاب او لما هو في الحديث ان الرعد ملك موكل بالسحاب والبرق من لمعان
مخاريق من نار بيده يسوق بها السحاب فاعتبار صوته الهائل من الآيات الباهرة الدالة
على كمال قدرته وعظم مخلوقاته وعن الحسن هو خلق من خلق الله ليس بملك والملائكة من
خيفته لكمال علمهم بعظيم سلطانه وعلو شانه وكل من كان اعلم بالله كان اتقى واخشى وقيل الضمير
عايد الى الرعد وليس بشيء ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء فيهلكه او يوقع فيه نقصا بحرق
شيء منه وهم يجادلون في الله في شانه من كمال العلم والقدرة على الاعادة حتى اوردوا ذلك
في معرض التعجب ممن يحيي العظام وهي رميم والجدال شدة الخصومة من الجدل وهو الفتل والجملة
معطوفة على قوله ويقول الذين كفروا لولا انزل المعطوف على ويستعجلونك والعدول من الفعلية
الى الاسمية للدلالة على انهم ما ازدادوا بعد تلك الآيات التي تبهر الالباب الا عنادا ويجوز
ان يكون عطفا على قوله هو الذي يريكم البرق على معنى هو الذي يريكم هذه الآيات الدالة على
كمال العلم والقدرة وانتم تجادلون والتفت الى الغيبة تبعيدا لهم عن شرف الخطاب وانهم
من الانسانية بمعزل والوجه الاول اعلى فايدة وقيل الواو للحال وذلك ان اربد اخا لبيد وفد
مع عامر بن الطفيل على رسول الله قاصدين قتله فاخذ اربد يجادله ويقول اخبرني عن ربنا
امن نحاس ام من حديد ودار اربد خلفه وقبض على سيفه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
اللهم اكفنيهما بما شئت فاصابته الصاعقة فاحرقته مكانه وخرج عامر فنزل في بيت سلولية فاصابه
طاعون فذهب خلف صاحبه الى جهنم وكان يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية
لان سلول اذل قبايل العرب وهو شديد المحال قوي المكايدة والمكر لا يدافع وفي الحديث ان
ابراهيم قال كذبت ثلث كذبات قال رسول الله ما كذب كذبة الا وهو ماحل بها عن الاسلام يدفع
بذلك واصل المحل القحط المطر ويجوز ان يكون من حال بين الشيئين اذا دفع احدهما عن الآخر ومن

حال

حال يحول اذا قدر وقوي على الخصم كما في الحديث اللهم بك اصول وبك احول او الحيلة
على غير القياس ويجوز ان يكون بمعنى الفقار استعارة للقوة كقوله صلى الله عليه وسلم ساعد الله
اشد وموساه احد ردا على المشركين في قطع آذان البحيرة له دعوة الحق جملة مستانفة
والحق ان كان ضد الباطل فالمعنى ان الله هو الحقيق بان يدعى ويعبد لانه الذي
يسمع ويجيب فدعاء غيره دعاء الباطل وان كان من اسمائه تعالى فاصل الكلام له دعوته
فيدل على اختصاص الدعاء به وانما وضع الحق موضع الضمير للدلالة على انه الثابت وما عداه
انما يستفيد ثبوتا بالعرض ثم ان كانت الآية في اربد وعامر فالجملتان دلتا على ان هلاكهما
من حيث لم يشعرا به محال من الله واجابة لدعوة رسوله وان كانت عامة فالمراد وعيد
الكفرة على مجادلة رسول الله بحلول محاله بهم والذين يدعون من دونه اي الاصنام الذين
يدعوهم الكفار ويعبدونهم والمفعول محذوف لا يستجيبون لهم بشيء من دفع ضر او جلب
نفع لانها جمادات الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه شبه الداعون
للاصنام بمن بسط كفيه ناشرا اصابعه يريد اغتراف الماء في انهما لا يحصلان على طائل
لان الماء يتوصل اليه بالقبض لا بالبسط فالاستثناء من اعم الاحوال ووجه الشبه
عقلي اعتباري او شبه حال آلهتهم حين استجابتهم لها في دفع ما اهمهم في عدم الشعور
فضلا عن الاستطاعة للاستجابة بما يرى من عطشان احوج ما هو اليه يناديه عبارة او اشارة
والمنادي لا ادراك له ولا حراك وعلى الوجهين فيه شامة تهكم وما دعاء الكافرين الا
في ضلال في ضياع لا يجلب نفعا سواء دعوا الاصنام او الله او الملائكة تعميم تاييس
لهم من جميع الجهات ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها ينقادوا لما اراده
طايعا او كارها اصل السجود الانحناء والانخفاض قال وقلن له اسجد لليلى فاسجدا اي
طاطئ يا مرن البعير وفي الحديث كان كسرى يسجد للطايع قال الازهري معناه كان
يخفض راسه وتخصيصه بوضع الجبهة عرف طار وقيل المراد وضع الجبهة والكافر يسجد حال
الضرورة وظلالهم ايضا تسجد له وتنصرف على مشيته امتدادا وتقلصا وفيا وزوالا بالغدو
ضد الرواح من اول النهار الى وقت الزوال والآصال جمع الاصيل من العصر الى الغروب
والمراد بهما الدوام وانما خص الوقتين لظهور الامتداد والتقلص فيهما قل من رب
السموات والارض بعد اقامة الدلايل القاطعة على تفرده بامر الملك والملكوت امره بان
يسالهم عن ذلك ليلزمهم باعترافهم بذلك وانهم لا يجدون سبيلا الى العدول عنه فيترتب
عليهم الحجة قل الله حكاية لقولهم كانه قيل قل ما اجابوك به من قولهم الله اذ قلت لهم
من رب السموات او تلقين لهم كانه قيل لقنهم الجواب فانهم يذعنون له ثم الزمهم
بعد ذلك قل افاتخذتم من دونه اولياء شروع في الالزام والهمزة داخلة على الفاء
العاطفة اي ابعد ان علمتموه رب السموات والارض جعلتم مكانه اربابا تعبدونها و
كان مقتضى ذلك العلم للتوحيد فكيف عميت ابصاركم لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا

فضلا عن احداثه ذلك في الغير قل هل يستوي الاعمى والبصير المشرك والموحد والجاهل
والعالم ام هل تستوي الظلمات والنور الكفر والايمان وانما جمع الظلمات لاشتمال الكفر
على الشبهات والشكوك والحق واضح ابلج الاستفهام للانكار اي لا استواء وفايدته الحث
على التامل وان لا يرضى السامع بدخوله في زمرة العمي المستغرقين في الظلمات ام جعلوا لله
شركاء اي بل اجعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه صفة لشركاء فتشابه الخلق عليهم خلق الله
وخلق الشركاء فيكون لهم في ذلك شبهة يحتاج الى ازالتها ولما لم يكن لهم في ذلك
شبهة فضلا عن حجة كان الحكاية عنهم ادخل في الذم وفيه تهكم فانهم جعلوا ما لا يملك
لنفسه ضرا ولا نفعا كمن بيده الامر كله فبنه لا اشتباه ونافيا ناعيا عليهم قل الله خالق
كل شيء موجده وهو الواحد في الالوهية القهار كامل القهر والغلبة على الخلايق كلها
فهو المستحق للعبادة لا غير انزل من السماء ماء من السحاب لان ما علاك سماء او من حقيقة
الفلك لانه المبدا الاول فسالت اودية جمع واد وهو مسيل الماء بقدرها بمقدارها في
الصغر والكبر او بالمقدار الذي علم الله انه نافع لكل ناحية وتنكير الاودية لان المطر يقع
بحسب العادة ببعض بقاع الارض دون بعض فاحتمل السيل زبدا غثاء رابيا عاليا
على وجه الماء ومما توقدون عليه في النار من المعادن ابتغاء حلية تبتغون به صوغ الحلي
او متاع من انواع الاواني والات الحرب والحرث زبد مثله مثل الذي على وجه الماء وقرا
حمزة والكسائي وحفص توقدون بالياء وهو المختار لان الغرض ارشادهم لا المؤمنين
كذلك يضرب الله الحق والباطل يمثلهما ويبرزهما في صورة المحسوس ازاحة للشبهة مثل
الحق واهله بالماء المنزل من السماء السائل في اودية وانتفع الناس به انواعا من الانتفاع
من صوغ الحلي واتخاذ الالات والاواني التي تبقى مدة متطاولة والباطل في سرعة
زواله وانسلاخه عن المنفعة بالزبد الذي يرمي به الماء او الفلز فيعدم في الحال وتنمحي اثره
فاما الزبد فيذهب جفاء مجفوا مصدر جفا اي مرميا يرمي به السيل والفلز نصب على الحال
اصله الحقه وفي حديث البراء يوم حنين انطلق جفاء من الناس الى هذا الحي من هوازن
يريد سرعانهم واوايلهم واما ما ينفع الناس من الماء في الينابيع والابار والحبوب وما ينبت
منها من الثمار واصناف الحبوب المدخرة والمعادن فيمكث في الارض ازمنة متطاولة
وقيل شبه القران المنزل بالماء والقلوب بالاودية ووساوس الشيطان وهواجس
النفس بالزبد الذي يعلو الماء والحق الذي استفيد من القران واستنبط منه بالجواهر
والذهب الخالص من الخبث والباطل الذي يتولد من تلك الوساوس بالجفاء وكما
ان الاودية تتفاوت في الصغر والكبر كذلك القلوب في اخذ المعارف وادراك لطايف
التنزيل بحسب الفطرة والاستعداد وقد الم بذلك المتنبي في قوله ولكن تاخذ الاذهان
منها على قدر القرايح والفهوم وكما ان الماء اذا كان كثيرا قوي الجري يقذف بالزبد
الى الجوانب ويصفو كذلك القران اذا استقر في القلوب بحفظه وتامل دقايقه دفع الوساوس

وهو

وهواجس النفس وكذلك شبه القلوب الى الجواهر والمعادن والفلزات بعضها كالذهب
وبعضها كالنحاس وبعضها كالحديد كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا المؤمنين
الذين استجابوا لربهم الحسنى الاستجابة الحسنى والذين لم يستجيبوا له عطف على المجرور اي
الكفرة الذين لم يستجيبوا له والمعنى انما ضرب المثل لهؤلاء الطايفتين وقيل للذين استجابوا
خبر الحسنى وهو المثوبة والجنة والذين لم يستجيبوا له مبتدا خبره لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله
معه لافتدوا به فيتم الكلام عند قوله كذلك وهذا الوجه احسن لانه يقع اولئك لهم
سوء الحساب في مقابلة الحسنى وفيه زيادة تحسير لهم واثر الاجمال في جزاء المستجيبين ايماء
الى انه لا يدخل تحت الوصف بل تقصر العبارة عن الاحاطة به وسوء الحساب هو المناقشة
فيه وفي الحديث من نوقش في الحساب هلك ومأواهم جهنم مرجعهم من اوى اليه اذا رجع
وبئس المهاد المقام والمستقر والمخصوص محذوف افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق
كمن هو اعمى اي لا بعد ما ضرب المثل المذكور في ان حال من علم ما انزل اليك هو الحق واستجاب
بمعزل من حال الجاهل الذي لم يستبصر كما ان حال الزبد وخبث الذهب بمعزل عن مشابهة
الماء والابريز لكن حلجان الشبهة انما يتذكر اولوا الالباب المراجيح الذين لهم عقول خالصة
ينظرون بها نظر الاستبصار الذين يوفون بعهد الله الذي عاهدهم عليه حين قال لهم الست
بربكم قالوا بلى او في كتبه المنزلة من الاحكام والحدود ولا ينقضون الميثاق سواء كان مع الله
او مع احد من خلقه والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل من الارحام وساير الحقوق ومنها
الاحسان الى كافة المؤمنين للاخوة الثابتة بالايمان انما المؤمنون اخوة وفي الحديث
لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وفيه ان من الصدقة ان تلقى اخاك المؤمن
بوجه طلق ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب خصه بالذكر لانه لا مقام للعبد مع الله
اشد منه وان شئت تامل وقوفك بين يدي ذلك السلطان العظيم الشان وقد اخرج لك
من عنقك كتابا تلقاه منشورا وقال لك اقرا كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا
وفيه من القبايح ما لو اطلع عليه احد في الخلق عندك لاستغرقت في الخجل والذين صبروا
ابتغاء وجه ربهم حبسوا انفسهم على المكاره في المواطن كلها طلبا لمرضات الله لا ليقال ما اصبره
واحمله للنوازل ولا لان لا يعاب بالجزع او يشمت به الاعداء والعطف فيه وفي الذي قبله
من عطف الصفات واقاموا الصلوة اودها على وجه الكمال وانفقوا مما رزقناهم بعضه
سرا في التطوع وعلانية في الواجب ايثارا للافضل وقيل سرا لمن لم يعرف بالمال وعلانية
لمن عرف به ليقتدى به ولئلا يتهم بالبخل ويدرءون بالحسنة السيئة يدفعونها بها فان
العداوة تستحيل مودة يتدارك الهفوات بالحسنات وفي الحديث اتبع الحسنة السيئة تمحها
وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا
تابوا والاوجه الاطلاق اولئك لهم عقبى الدار خبر الذين يوفون او صفة اولي الالباب
والاول اوجه والمعنى عاقبة الدار وما ينبغي ان يكون مالا والدار هي الدنيا جنات عدن بدل

من عقبى الدار او مبتدا خبره يدخلونها وعدن اقامة يعدن اذا اقام وسميت جنات
عدن لانها دار الاقامة لا ارتحال عنها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم عطف
على فاعل يدخلونها وساغ للفصل بالمفعول او نصب لان الواو بمعنى مع والانساب
اذا تجردت عن العمل الصالح لا تنفع واذا قارنها ادنى عمل صالح نفعت ولذلك قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى طالب لما حضرته الوفاة قل لى كلمة طيبة احاج لك بها عند الله
وبه يحصل التوفيق بين قوله من بطا به عمله لم يسرع به نسبه وبين قوله تعالى والذين آمنوا
واتبعتهم ذرياتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
من ابواب منازلهم للبشارة فوجا فوجا لزيادة الاكرام وتكميل السرور او من كل باب
من ابواب التحف التى لا عين رأت ولا اذن سمعت سلام عليكم [illegible]ين هذا القول
تهنئة بالسلامة الدائمة بما صبرتم اى [illegible] بما صبرتم واحتملتم من المشاق او متعلق بعليكم
لانه ظرف مستقر فيتعلق بسلام معنى او بسلام والفصل بالجار والمجرور مغتفر كما فى قوله عار
عليك اذا فعلت عظيم فنعم عقبى الدار من كلام الملائكة ويحتمل ان يكون ابتداء كلام منه
تعالى للترغيب والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه هولا مقابلوا اولئك المصفون
باضداد ما وصفوا به ويقطعون ما امر الله به ان يوصل من صلة الارحام وساير الحقوق
ويفسدون فى الارض بالقاء الفتن والهرج اولئك لهم اللعنة الطرد والحرمان وتعلقه
باللام تضمين معنى الصدق ولهم سوء الدار سوء عاقبة الدار لانه فى مقابلة عقبى الدار او عذاب
جهنم الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر لا عن حرمان لموجب اشرهم كانوا فى ضيق من العيش
ييسر لهم رحلة الشتاء وآمنهم من خوف فكان اللايق بحالهم استدامة ذلك بالشكر وفرحوا
بالحيوة الدنيا فرح بطر لا فرح سرور بفضل الله ورحمته وما الحيوة الدنيا فى الآخرة فى جنبه
وبالقياس الى نعيمها الا متاع شئ نزر يتمتع به سريع الزوال كرايحة الورد والرياحين
ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه بعد ما شاهدوا خوارق كانشقاق القمر والقرآن
المعجز الباهر قل ان الله يضل من يشاء اى قل لهم لا قصور فى الآيات التى جئت بها ولكن
الاضلال من الله فاذا شاء اضلال احد لا سبيل الى هدايته وانتم من ذلك القبيل ويهدى
اليه من اناب رجع عن العناد وعلم ان مدعى النبوة لا بد له من امر معجز للبشر عن الاتيان
بمثله اى نوع كان لتشارك الآيات كلها فى معنى الاعجاز الذين آمنوا بدل من من
او خبر مبتدا محذوف او الكلام قد تم عند قوله من اناب ثم ابتدا بقوله الذين آمنوا فى
مقابلة ويقول الذين كفروا وتطمئن قلوبهم بذكر الله بالقرآن او بذكر رحمته ومغفرته بعد
القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وهذا الوجه
يناسب الانابة كما ان الوجه الاول شديد الملاءمة بقوله لولا انزل عليه آية من ربه ويحتمل
ان يكون الذكر بمعنى الدليل اى تطمئن قلوبهم بدلايله الدالة على وحدانيته لان الكلام مع
الكفار الذين لم ينظروا فى ملكوت السموات والارض بعين الاستبصار الا بذكر الله تطمئن القلوب

اى

اى بحرف التنبيه ايقاظا للكفرة المستغرقين فى قلق الشبهات الذين آمنوا وعملوا الصالحات
بدل من القلوب بتقدير المضاف اما لان القلوب المذكورة قلوب المؤمنين والادعا
ان قلوب هولاء الاجلاء كل القلوب لان الكفار فقدتهم سواء وعلى هذا قوله الا بذكر الله
تطمئن القلوب جملة اعتراضية كانه قيل كيف لا ولا اطمئنان للقلوب الا بذكره او مبتدا
طوبى لهم خبره مصدر على وزن فعلى كزلفى وبشرى من طاب والواو ابدلت من الياء
لضمة ما قبلها وروى الامام احمد ان رجلا قال يا رسول الله طوبى لمن رآك قال بلى وطوبى
ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى قال رجل وما طوبى قال شجرة فى الجنة وعن ابن عباس رض اى
سريره فى كل دار منها غصن وحسن مآب مرجع وطيب عيش كذلك ارسلناك مثل
ذلك الارسال ارسلناك اى ليس ارسالك شانه خفيا بل من كذبك انما يكذبك عنادا
وحسدا فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون فى امة قد خلت من قبلها
امم كثيرة لتتلوا عليهم الذى اوحينا اليك من الكتاب والحكمة فانت آخر الرسل
وامتك آخر الامم ولا تدع فى الدين شبهة لانه لا نبى بعدك وهم يكفرون بالرحمن
البالغ الرحمة الذى ارسلك رحمة للعالمين ولهذا المعنى التفت من التكلم الى الغيبة
مع رعاية خصوص هذا الاسم وكما تفرد المرسل من بين الرسل كذلك كتابه لا يشابهه
كتاب قل هو ربى ذلك الموصوف بتلك الرحمة سيدى والمتصرف فى لا اله الا هو
لا يستحق احد الالوهية سواه عليه توكلت واليه متاب عليه اعتمدت فى امورى واليه
مرجع الخلق وهو المجازى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال او قطعت به الارض او كلم به الموتى
اى لو كان شئ من الكتب التى تقرأ سيرت به الجبال عن مقارها او قطعت به الارض
قطعا ومزقت تمزيقا او كلم به الموتى فتسمع وتجيب لكان ذلك هذا القرآن العربى
المبين لكونه فى الطبقة العليا فى باب التذكير وهذا الصحيح بما اشير اليه فى قوله لتتلوا
عليهم الذى اوحينا اليك من تعظيم القرآن وتشييد اركانه بقوله وكذلك انزلناه حكما
عربيا وقيل معناه ولو ان قرآنا وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكلم الموتى لما آمنوا
به لشدة عنتهم متعلق بقوله وهم يكفرون بالرحمن بيانا لتصميمهم على الكفر بعد ظهور الآيات
وقيل ان ابا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآنك الجبال عن مكة حتى
تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطايع كما سخرت لداود ان كنت نبيا كما تزعم فلست
اهون على الله منه او سخر لنا الريح لنركبها الى الشام ونتجر ثم نرجع فى يومنا فقد شق
علينا قطع المفاوز كما سخرت لسليمان او ابعث لنا رجلين او ثلثة من آبائنا منهم
قصى بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير وعن الفراء انه
متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت به الجبال فعلى هذا
هى جملة حالية وجواب الشرط محذوف لدلالة السابق عليه وما بينهما اعتراض
بل لله الامر جميعا التأثير لا يشاركه احد وله القدرة على كل شئ وانما لم تقع الآيات

المقترحة لعلمه بانهم لا يؤمنون وبوحاءتهم كل آية افلم ييأس الذين آمنوا الم يعلم
لغة نخع قال سحيم بن اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم
ولان الآيس عن الشيء عالم بانه لا يكون الاستفهام للتقرير نحو اليس الله بكاف عبده
ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا اي على ذلك ويجوز ان يتعلق بآمنوا والمعنى
او لم يقنط المؤمنون بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا عن ايمان هؤلاء المعاندين
ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا من سوء الاعمال قارعة داهية وفي الحديث
من لم يغز ولم يجهز غازيا اصابه الله بقارعة واصله الضرب لشدة ومنه ما قال عبد الملك
بن مروان في وصف سيف الزبير بهن فلول من قراع الكتائب او تحل قريبا من دارهم
فيتقلقون منها وذلك ان رسول الله كان يرسل السرايا فتصيب حول اهل مكة او يخطف
من حولها وقيل او تحل انت يا محمد بجيشك قريبا من دارهم وذلك عام الحديبية حتى
يأتي وعد الله وهو فتح مكة او ولا يزال هؤلاء المشركون تصيبهم باقتراحهم داهية مهلكة كما
اصابت اربد وصاحبه عامر بن الطفيل وكما اصابت المستهزئين وعلى هذا او تحل قريبا
من دارهم انت يا محمد نزوله بالمدينة واقامته بها حتى يأتي وعد الله ظهور امرك او موتهم
او القيمة او فتح مكة وهذا اوجه لان السورة مكية ان الله لا يخلف الميعاد تذييل
لتحقيق الموعود ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا تسلية لرسول الله
تنفيسا عما كان يقاسيه من عناد الكفرة والاملاء الامهال والمعنى تركتهم ملاوة من
الزمان في خوض العيش كاملاء البهيمة في المرعى ثم اخذتهم فكيف كان عقاب عقابي
اياهم اي كان شديدا فظيعا افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت افمن هذه افعاله
كشركائهم حتى يكفروا به وباياته ويعرضوا عنه وعن الخضوع لكبريائه كانه قال لا عجب في
انكارهم آياتك بعد ظهورها انما العجب كل العجب جعلهم القادر على انزال تلك الآيات
المجازي لهم على اعراضهم عن التدبر فيها كمن لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عن ان
يرجى منه جلب نفع او دفع ضر فالخبر محذوف وجعلوا لله شركاء استيناف ويجوز
ان يقدر ما يقع خبر المبتدا ويعطف عليه وجعلوا كانه قيل افمن هو بهذه الصفات
لم يوحدوه ولم يمجدوه وجعلوا له شركاء قل سموهم امر تحقير اي لا اسماء لها والقصد تحقيرها
بانها من الدناءة بحيث لا يستحق ان يسمى ويذكر باسم ام تنبئونه بما لا يعلم بل اتنبئونه
بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض ام بظاهر من القول
بل تسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون تحته طائل بل هو مجرد صوت
فارغ كقوله ذلك قولهم بافواههم وهذا الاستدلال بديع في اسلوب غريب فانه هدم
قاعدة الاشراك بقوله افمن هو قائم على كل نفس فانه احتجاج من طرف الحق ثم كر
عليه بالابطال من طرف النقيض بان من لا يجوز له شريك قد اشركوا به شركاء لا اسماء
لها فضلا عن المسمى ثم بالغ في نفيها بان نفى العلم بوجودها بما يستلزم منه نفي المعلوم

الكناية

الكناية وسلك في ذلك مسلك الانكار توبيخا لهم بانهم يريدون ان ينبئوا عالم السر
والخفيات بما لا يعلمه وذلك محال آخر ثم قال ليس ما يقولونه كلاما يلتفت اليه
ويتأمل بل مجرد صوت ثم اضرب عن ذلك كله واشار الى ما هو الملاك في ذلك
الضلال بقوله بل زين للذين كفروا مكرهم كيدهم للاسلام شركهم وصدوا عن السبيل
سبيل الحق قراءة الكوفيين بضم الصاد والباقون بالفتح والضم اوجه لمناسبة زين ولان
الكلام في ضلالهم لا اضلالهم ومن يضلل الله فما له من هاد يوفقه لسلوك سبيل الرشاد وقف
عليه ابن كثير بالياء لهم عذاب في الحيوة الدنيا بالاسر والقتل وساير الدواهي ثمرة ذلك
الضلال ولعذاب الآخرة اشق لشدته ودوامه وما لهم من الله من واق حافظ من عذابه
او ما لهم من جهته واق من رحمته من ابتدائية وقد وقف ابن كثير بالياء ايضا مثل الجنة
التي وعد المتقون تجري من تحتها الانهار مبتدا وخبر على طريقة قولك صفة زيد اسمر طويل
وعن سيبويه فيما قصصنا عليكم مثل الجنة وتجري من تحتها الانهار حال من المحذوف من
وعد المتقون وعن الزجاج مثل الجنة جنة تجري من تحتها الانهار اكلها دائم لا ينقطع
وظلها كذلك ليس كظل الدنيا ينسخها الشمس تلك عقبى الذين اتقوا اي الموصوفة
عاقبة حال المتقين ومآل امرهم وعقبى الكافرين النار لم يصف النار لانها ذكرت
بالغرض بعد ذكر الجنة قصدا والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك لانه مصدق
لكتابهم فيوقنون بانه الكتاب الموصوف في كتابهم اراد مؤمني اهل الكتاب كعبد الله
بن سلام واصحابه ومن آمن من النصارى قيل هم ثمانون رجلا اربعون من نجران
وثمانية من اليمن واثنان وثلثون من الحبشة ومن الاحزاب وهم الذين تحزبوا
على عداوة رسول الله احبار اليهود ومن ينكر بعضه ما يخالف شريعتهم او ما حرفوه من نعت
رسول الله والاسلام ويقرون بما فيه من القصص والوقايع قل انما امرت ان اعبد الله
ولا اشرك به جواب للمنكرين له كانه قال انما امرت بعبادة الله وتوحيده فانظروا ماذا تنكرون
اليه ادعوا الى عبادته ادعوا لا الى شيء سواه واليه مآب مرجعي لا الى غيره وانتم قائلون
بذلك فلا وجه لانكاركم وكذلك انزلناه ومثل ذلك الانزال انزلناه واصل الكلام مثل
هذا الانزال الذي يشاهدونه مشتملا على التوحيد وانما جيء بالمثل زيادة في تفخيمه حكما عربيا
سماه عربيا لكونه مستفادا منه تسمية للحال باسم المحل لان الالفاظ قوالب المعاني واوعيتها
او الحكم بمعنى المحكم المتقن كالذكر الحكيم ولئن اتبعت اهواءهم كانوا يقولون له نعبد
الهك ان عبدت آلهتنا سماها اهواء لان الباعث على عبادتها ليس سوى الاهواء
وخطرات النفوس بعد ما جاءك من العلم بانها اباطيل ما لك من الله من ولي ناصر
يمنعك من عقابه ولا واق يحفظك من شر اعدائك وهذا ونظائره من باب الالهاب
والتهييج له وحث للسامعين على الثبات والتصلب في الدين والا فرسول الله قبل
النبوة كان بمعزل عن ذلك فكيف به بعد تلك البراهين والحجج القاطعة ولقد ارسلنا رسلا

من قبلك وجعلنا لهم ازواجا وذرية كانوا يستبعدون ان يكون الرسول بشرا ويكون
له ازواج وذرية فرد الله بان الرسول انما ارسل للتبليغ وليس من لوازم ذلك مخالفة
بني نوعه بل كونه مثلهم في ذلك ادعى الى اتباعه وما كان لرسول ان ياتي باية الا باذن الله
بارادته اذ لا كاين بدون مشيته لكل اجل كتاب لكل امد حكم يكتب فيه على العباد على
وفق ما تقتضيه الحكمة يمحوا الله ما يشاء ينسخ ما يشاء او يثبت ما اقتضت حكمته اثباته وقيل
يمحو من ديوان الحفظة ما ليس من الطاعات والمعاصي لانهم مامورون بكتابة كل حركة
وسكون ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقيل يمحو سيئات التائبين ويثبت مكانها
الحسنات لقوله اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقرا بالتشديد نافع وابن عامر وحمزة
والكسائي وهو المختار لكونه ابلغ وللوفاق في قوله يثبت الله الذين امنوا وعنده ام الكتاب
اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ او علمه الشامل فان اللوح من الكتب ايضا وان ما نرينك
بعض الذي نعدهم من العذاب في الدنيا كالقتل والاسر اتى بان دلالة على عدم لزوم ذلك
والتكرير باشارة الى انه كاين لا محالة او نتوفينك قبل وقوعه فانما عليك البلاغ لا غير
وعلينا الحساب للمجازات فلا عليك من اعراضهم ولا يهمنك شانهم اولم يروا انا
ناتي الارض ننقصها من اطرافها اي قدراوا ذلك وهو من ايات النصر وعلو الاسلام
ما لهم لا يعتبرون وهذا دليل على ان السورة مدنية اذ لم يكن قبل ذلك فتح بلاد والله
يحكم لا معقب لحكمه لا مغير ولا مبطل في محل النصب على الحال واصل التعقيب ان تعمل عملا
ثم تعود فيه وفي الحديث سئل انس عن التعقيب في رمضان فنهى عنه وهو ان يصلي
ان فيه بعد التراويح وهو سريع الحساب فعما قليل يحاسبهم ويجازيهم بعذاب السرمد
وقد مكر الذين من قبلهم كما يمكر هؤلاء فلله المكر جميعا اذ كل مكر مضمحل دون مكره لتفرده بالتاثير
ومكر غيره تخييل باطل يعلم ما تكسب كل نفس من الخير والشر وقد اعد لكل جزاءه وسيعلم
الكافر لمن عقبى الدار اي العاقبة المحمودة وهذا كالتفسير لمكره فانه اخفى امر العاقبة عنهم
فوقعوا في الضلال لتؤدي الى النار وقرا الكوفيون وابن عامر الكفار وهو ابلغ لكونه نصا في
الافراد ولموافقة قراءة ابن مسعود الكافرون ويقول الذين كفروا لست مرسلا كانهم
وقيل رؤساء اليهود فالموصول معهود قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم فانه ابدى المعجزات
دالة على رسالتي وهي شهادة لا تحتمل الريب ومن عنده علم الكتاب علم القران وما الف
عليه من النظم المعجز وهم الكفار الذين علموا اعجاز القران ولم يشهدوا والتعريض بان الخصم لو
انصف لكان شاهدا وقيل هم علماء اهل الكتاب الذين امنوا فانهم يشهدون بانه المنعوت
في كتبهم وعن الحسن هو الله الذي عنده العلم بما في اللوح المحفوظ والعطف للاشارة الى الاستقلال
بالشهادة نظرا الى كل وصف فكانه قال من له الالوهية يشهد لي ومن له العلم بما في اللوح
قد شهد بان ضمن الكتاب المنزل الي من المعارف ما يبهر العقول فيوافق الخاتمة فاتحة
السورة سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون اية بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم الر اي هذه السورة اسم لها والمؤلف من الحروف مبتدا خبره
كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس بدعائك الى ما فيه من المعارف والاحكام من
الظلمات الى النور استعارتان للضلال والهدى باذن ربهم بتوفيقهم وتيسيره من
الاذن الذي هو تسهيل الحجاب الى صراط العزيز الحميد بدل من قوله الى النور استعار
النور للهدى اولا لظهوره ثم جعله جادة لا زيغ فيها موصلة ويحتمل الاستيناف كانه قيل الى اي
نور فقيل الى صراط الله الذي لا شيء اظهر منه الله الذي له ما في السموات وما في الارض وقراه
بالرفع نافع وابن عامر على انه مبتدا خبره الموصول او خبر مبتدا محذوف والموصول صفته
فالوقف على الحميد تام والباقون بالجر على انه بدل او عطف بيان وويل للكافرين
من عذاب شديد الويل نقيض الوال وهو النجاة ينصب نصب المصادر الا انه لا يشتق
منه فعل والمعنى حزن وهلاك لهم من عذاب يقعون فيه او لهم هذه الكلمة عند ذلك
فان الواقع في الهلاك ينادي بها الذين يستحبون الحيوة الدنيا على الاخرة يختارونها
عليها فان المؤثر للشيء يطلب من نفسه ان يحبه ويصدون عن سبيل الله الناس
عن سلوكها ويبغونها عوجا يطلبون لها عيبا واعوجاجا ليتوسلوا به الى الصد والموصول
يحتمل الجر صفة للكافرين والنصب والرفع على الذم او على انه مبتدا خبره اولئك في ضلال
بعيد وصف الضلال بالبعد على الاسناد المجازي لان البعد حال الضال كقولك جد جده
ويحتمل ان يكون صفة الضلال اي ذي بعد كانه قيل له بعد لا نهاية لغوره وما ارسلنا من
رسول الا بلسان قومه الذين هو منهم ونشا بينهم ليبين لهم ليبين لهم الاحكام
ويفقهوا عنه ولو جعلناه قرانا اعجميا لقالوا لولا فصلت اياته ااعجمي وعربي ولا يرد بعثه
رسول الله على الناس كافة لان الانزال بلسان قومه اولى لانه اقرب الناس اليه ولو
انزل اليه بالسنة مختلفة كان في ذلك الاعجاز ظاهر ولكن كان يؤدي الى اضاعة فضل
الاجتهاد وقيل نزلت الكتب كلها بالعربية واداها كل نبي الى قومه بلغتهم وقد روي
ذلك عن الضحاك وليس بشيء لانه يلزم ان يكون التورية نازلة على موسى ليفسرها بالعبرية
لقوم محمد ودفع ذلك برجوع الى كل قوم بدليل السياق لا يعتد به فيضل الله من يشاء
بعد بيان الرسل والارشاد الى الطريق الموصل ويهدي من يشاء هدايته وهو العزيز
الذي لا يغلب على مشيته الحكيم الذي لا يفعل الا لحكمة ولقد ارسلنا موسى باياتنا لما
بين انه قد ارسل قبل رسول الله رسلا بالكتب السماوية ذكر قصة موسى مع قومه لكثرة عنادهم
وتعنتهم تسلية لرسوله واياته العصا وفلق البحر واليد البيضاء وساير معجزاته ان اخرج
قومك من الظلمات من شبه الضلال الى النور الى الهدى ان مفسرة لان في الارسال
معنى القول او مصدرية لان الافعال سواء في الدلالة على المصدر فالتقدير بان اخرج
قومك وذكرهم بايام الله بوقايعه مع مكذبي الانبياء كقوم نوح وعاد وثمود ومنه
ايام العرب لوقايعها وحروبها وعن ابن عباس ايام الله نعماؤه وبلاياه ولعل التخصيص

فهم من الاضافة فانه لا يضاف اليه تعالى الا ماله شان ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور كثير الصبر على بلائه دايم الشكر على نعمائه وقيل لكل مؤمن كناية عن الايمان نظيره
حي مستوى القامة في الكناية عن الانسان واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم
اذ انجاكم من آل فرعون ظرف للنعمة لانها بمعنى الانعام اي انعامه عليكم ذلك الوقت
ويجوز ان ينتصب بعليكم ان لم يكن صلة للنعمة وذلك اذا اريد بها العطية دون الانعام
ويجوز ان يكون بدل اشتمال يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم
طرح الواو في سورة البقرة لانه جعل التذبيح بيان سومهم سوء العذاب واثبتها هنا لانه زاد
على ذلك العذاب وصار جنسا آخر مستقلا لغاية فظاعته وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم
نعمة عظيمة فذلك اشارة الى الانجاء او نقمة فظيعة اشارة الى التذبيح واذ تأذن ربكم من
مقالة موسى عطف على نعمة الله كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله واذكروا
حين تأذن ربكم ومعنى تأذن آذن اي اعلم مع ما في صيغة التفعل من المبالغة
فكانه قال آذن ايذانا لا يبقى معه شائبة ريب لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما انعمت
من الانجاء وغيره من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح لازيدنكم لاضاعفن
لكم ما انعمت ولئن كفرتم ان عذابي لشديد لم يسند العذاب الى ذاته كما اسند زيادة
النعمة اشارة الى علية رحمته المعطوف والمعطوف عليه مفعول قول مقدر او مفعول
تأذن لان فيه معنى القول وقال موسى ان تكفروا انتم ومن في الارض جميعا من
الثقلين فان الله عن شكركم لغني حميد مستحق الحمد حمدا ولم يحمد او يحمده الملائكة وفي
الحديث حمد الله نفسه قبل حمد الحامدين الم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد
وثمود من كلام موسى او ابتداء الكلام من الله مع هذه الامة والذين من بعدهم لا يعلمهم
الا الله اعتراض يفيد الترقي كانه قيل الم يأتكم نبأ هؤلاء ومن لا يحصي عددهم
الا الله فوقع التفصيل فانه لا مطمع فيه والذين من بعدهم عطف على قوم نوح ولا يعلمهم
الا الله اعتراض كانه قيل الم يأتكم نبأ الجم الغفير وعن ابن عباس بين عدنان و
اسمعيل ثلثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الاية يقول كذب
النسابون وقد نفى الله علمها عن العباد وجاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم
في افواههم عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من
الغيظ او اشاروا بايديهم الى ما نطقت به السنتهم من قولهم انا كفرنا بما ارسلتم به كانهم قالوا
هذا جوابنا لكم ليس لكم عندنا غيره او ردوا ايديهم في افواه الرسل كانهم قالوا اسكتوا
نحن مصدرون فلا تقع في الاكثار كقوله انا لا اصغي وانت تطيل او الضحك والاستهزا
مجاز او حمل الايدي على نعم الانبياء من الحكم والشرايع التي هي اجل النعم لا يخفى بعده وقالوا
انا كفرنا بما ارسلتم به على زعمكم وانا لفي شك مما تدعوننا اليه مريب موقع في القلق او
ذي ريبة من اراب او من اراب الرجل قالت رسلهم افي الله شك لم يكره والشك لوقوعه

بل نفوا ان يكون محل الشك لسطوع البراهين ولذلك وصفوه بما ظهر الادلة فاطر
السموات والارض صفة او بدل يدعوكم لم يسند الدعوة الى انفسهم كما اسنده
اليهم الكفرة اشارة الى ان الداعي في الحقيقة هو الله وانه يدعوا الى دار السلام ليغفر لكم
اي يدعوكم الى الايمان للمغفرة او يدعوكم الى المغفرة لا لان اللام بمعنى الى بل ليدل
على ان الغاية غرض مقصودة فتفيد معنى الانتهاء مع الاختصاص من ذنوبكم
بعض ذنوبكم وهي التي في ايام الكفر لا التي بينهم وبين الله لقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف او من بدليه لقوله اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وتبعيضه
وابقاء البعض على الاحتمال لئلا يتكلوا على الايمان لانه يدل على عدم مغفرة الجميع
او لا تنافي بين مغفرة البعض ومغفرة الجميع ويؤخركم الى اجل مسمى الى مدعيه
وهو اخر اعماركم قالوا ان انتم الا بشر مثلنا لا فضل لكم علينا فكيف يكونون
رسلا دوننا تريدون ان تصدونا بدعواكم الباطلة عما كان يعبد آباؤنا فاتونا
بسلطان مبين برهان قاطع يدل على صدق دعواكم وهذا دين المعاند لا يرضى بالمعجزة
ويتشبع في الاقتراح تعنتا قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم نحن وانتم سوا في
البشرية ولكن الله يمن على من يشاء من عباده بالنبوة والرسالة تفضلا فكوننا مثلكم
بشرا لا ينافي رسالتنا وما كان لنا ما صح لنا وما استقام ان نأتيكم بسلطان الا
باذن الله بارادته وعلى الله فليتوكل المؤمنون امروا المؤمنين بالتوكل قد خلوا فيهم
دخولا اوليا وهذا ابلغ من قوله على الله توكلنا وما لنا ان لا نتوكل على الله اي عذر لنا
وما يحصل لنا في عدم التوكل وقد هدانا سبلنا طريقه الذي يوصل اليه فان قلت
الطريق اليه تعالى واحدة وهي سبيل الانبيا قل هذه سبيلي فكيف اتى بصيغة الجمع قلت
اصل الدين واحد والفروع مختلفة لكل جعلنا منكم شرعة او جمعوه للتعظيم ولنصبرن
على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون فليثبت المتوكلون في توكلهم وليزدادوا في
التوكل لان من استوى يوماه فهو مغبون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من
ارضنا او لتعودن في ملتنا منعوا الخلو من احد الامرين اما الاخراج او العود الى ملتهم
والرسل لم يكونوا على ملتهم يوما فالعود اريد به الصيرورة في اطلاق القيد على المطلق
او غلب الامة على الرسل كما في قصة شعيب وآثروا الظرف على الى لدلالته على الاستقرار
فاوحى اليهم ربهم الى الرسل لنهلكن الظالمين مقول القول لان الايحاء نوع منه
ولنسكننكم الارض من بعدهم بعد اهلاكهم وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم من آذى
جاره ورثه الله داره ذلك اشارة الى الموحى به وهو اهلاك الظالمين لمن خاف
مقامي المخصوص اي وهو موقف الحساب وقيل المقام مقحم وخاف وعيد وعيدي
واستفتحوا اي الرسل من الفتاحة وهي الحكم كقوله ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق
وقيل الكفرة وقيل الضمير للفريقين كل فريق سال النصر على عدوه وخاب كل جبار

عنيد اى فتح للرسل وخاب كل متكبر عات يؤيد ان استفتح منهم الكفار او الفريقان
من ورائه جهنم من بين يديه قال عسى اللهم الذى امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب
والوراء وان كان مشتركا الا ان الكافر واقف على حرف جهنم لانه مخلوق لها او ذاكر
حاله يوم القيمة او البعث ويسقى من ماء صديد عطف على مقدر تقديره يلقى فيها ويسقى
من ماء صديد اشد العذاب عليه ولذلك ابهمه اولا ثم بينه بقوله صديد والصديد ما
يسيل من جلود اهل النار نعوذ بالله من ذلك يتجرعه يتكلف جرعه لشدة عطشه
او يجرع الشرب على العجلة ولا يكاد يسيغه لا يقرب اساغته لغاية بشاعته فكيف
بالاساغة يقال شراب سايغ اذا كان سلس الجريان سهل النزول فى الحلق ويأتيه
الموت من كل مكان كناية عن شدة عذابه وكثرة الامه قيل يأتيه من تحت كل
شعرة الم مستقل وما هو بميت ليستريح مرة واحدة ومن ورائه عذاب غليظ فيما يستقبله
لم يزل يترقى فى ذلك وهذا دليل على كذب بعض المتصوفة الجهلة الذين يقولون
او اذى وبالعذاب لا يحس بالالم وعن فضيل بن عياض هو قطع الانفاس وحبسها
فى الاجساد وقيل هذه الآية منقطعة عن قصة الرسل وانما هى فى اهل مكة حين دعا عليهم
رسول الله بالقحط فابتلوا بذلك حتى اكلوا الجيف فاستفتحوا اى طلبوا المطر والفتح من
اسمائه فخيب الله رجاءهم وذكر انه يسقيهم من صديد جهنم هذا وقد صح انهم لما اخذوا
بالقحط جاء ابو سفيان وهو مشرك الى رسول الله صلعم وقال يا محمد انك تامر بصلة الارحام
وقد ترى ما اصاب قومك فادع الله ان يسقيهم فدعا رسول الله فسقوا وفيه قال ابو
طالب وابيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل مثل الذين كفروا بربهم
صفتهم الغريبة العجيبة مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه اى فيما يتلى عليكم وقوله اعمالهم
كرماد جملة مستأنفة لبيان حالهم الغريبة او هذه الجملة هى الخبر اى صفة الذين كفروا
اعمالهم كرماد او اعمالهم بدل كل عن مثلهم وهذا ابلغ معنى والرماد معروف اصله
من الرمد وهو الهلاك اشتدت به الريح قرأ نافع الرياح على ارادة الجنس من الجنس
من الجهات فى يوم عاصف العصف شدة هبوب الريح وصف به اليوم مبالغة كما
فى نهاره صايم وليله قايم بالغ فى وصف الريح بالشدة حيث اسند فعل الاشتداد
اليه ثم وصفه بالعصف الذى هو شدة الهبوب ثم وصف به زمانه لا يقدرون
مما كسبوا على شىء ذلك هو الضلال البعيد اشارة الى ما هم فيه من الحسبان الباطل
كانوا يطعمون الجايع ويكسون العارى ويغيثون الملهوف ولا يدعون سفرة
الا سابقوا اليها ولكن حيث لم تكن مسبوقة بما هو الاساس وهو الايمان والتوحيد
كانت كالصلوة بلا وضوء وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا الم تر
ان الله خلق السموات والارض خطاب لسيد القوم والمراد امته او لمن يتاتى منه الرؤية
بالحق بالحكمة التى اقتضته مشيته ليكون اظهر الدلايل على قدرته على الاعادة وعلى كل ممكن

وقرأ حمزة والكسائى خالق اسم فاعل والمختار صيغة الماضى لان المعنى عليه وفاقا
لساير الآيات ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد بعد هلكم ويخلق مكانكم قوما اخرين
لان من قدر على خلق السموات والارض كان اعدامكم منه والاتيان بامثالكم اهون
شىء عنده وما ذلك على الله بعزيز بعسير اصل العزة القوة والشدة وبرزوا لله جميعا
يبرزون يوم القيمة للحساب والمجازات عبر عنه بالماضى لتحقق وقوعه او يبرزون
لله فى اعتقادهم فانهم فى الدنيا كانوا يخفون ما ارتكبوه من الفواحش ويظنون ان
ذلك خاف على الله خيالا فاسدا فقال الضعفاء للذين استكبروا اى الاتباع للرؤساء
فان قلت لم رسمت الهمزة واوا فى الضعفوا والشفعوا ونظايرهما قلت لان قياس
تخفيفها فى الوصل بالتسهيل والوقف بالروم كالواو فرسمت عليه قال ابو عمرو الدانى
فى المقنع رسمت على مراد الايصال والتسهيل والقول بانها رسمت على لفظ من فخم
بالالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ليس بشىء اذ لم يقرأ به احد من القراء فان قلت
فما وجه الالف بعدها قلت وجه الالف بعدها ما قال ابو عمرو لما تطرفت الواو اشبهت
واو الجمع فى قالوا فالحقت بها انا كنا لكم تبعا مقلدين لكم معرضين عن الرسل ونصايحهم
جمع تابع كغايب وغيب او مصدر نعت به فهل انتم مغنون عنا صارفون من اغنى عنه
اى كفه من عذاب الله من شىء من الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كانه قيل هل انتم
مغنون عنا بعض شىء هو بعض عذاب الله وانما قدم البيان على المبين للاهتمام ويجوز
ان يكونا للتبعيض والاولى حال كانه قيل هل انتم مغنون عنا بعض شىء حال كونه بعض
عذاب الله ويحتمل ان يكون الاولى مفعولا والثانية مصدرا اى فهل انتم مغنون عنا بعض
العذاب بعض اغناء قالوا اى الرؤسا لو هدانا الله للايمان لهديناكم لكن ضللنا فا
فاضللناكم ما اخترنا لكم الا ما اخترنا لانفسنا فلا عيب سواء علينا اجزعنا ام صبرنا الانتقاد
لحال لفوات وقت الاعتذار ما لنا من محيص من منجى من حاص اذا تاخر فى معناه
جاص بالجيم ويجوز ان يكون كلام الفريقين الضعفاء والمستكبرين جميعا والمحيص اما مكان
او مصدر وقال الشيطان لما قضى الامر فرغ منه فريق فى الجنة وفريق فى السعير يقوم
بعد استقرار الفريقين خطيبا للاشقياء من الثقلين ان الله وعدكم وعد الحق الذى لا خلف
فيه من اضافة الموصوف الى الصفة ووعدتكم فاخلفتكم جعل بطلان وعده وكذبه فيما
وعد به كالاخلاف منه لكونه سببا وما كان لى عليكم من سلطان تسلط واجبار الا ان
دعوتكم لكن دعوتكم الاستثناء منقطع لان دعوته ليس من جنس السلطان او هو على طريقة
قوله تحية بينهم ضرب وجيع فاستجبتم لى اسرعتم فى اجابتى فلا تلومونى ولوموا انفسكم
كيف اغتررتم بقول العدو بعد تيقن العداوة وليس فى الاية الا ان الانسان له اختيار
فى فعله ليس مجبرا كل الاجبار كما دل عليه قوله وما كان لى عليكم واما انها تدل على ان الانسان
يستقل بخلق افعاله فكلا ما انا بمصرخكم بمغيثكم من العذاب اصله من الصراخ وهو الصوت

وفي الحديث كان يقوم بالليل اذا سمع الصارخ يريد صوت الديك وما انتم بمصرخي قرأه
حمزة بكسر الياء على ان الاضافة الى ياء ساكنة كياء غلامي فلما سقط النون بالاضافة اجتمع
الساكنان حركت الثانية لعدم امكانه في الاولى بسبب الاعراب ويمكن الادغام وعند
التقاء الساكنين اذا حرك الساكن يحرك بالكسر قاعدة مطردة وقد نقله من اهل العربية
قطرب والفراء وابو عمرو بن العلاء فمن قال انها ضعيفة فلضعف بصيرته ولو لم يوافق العربية
حيث تواتر عن صاحب الوحي افصح خلق الله كان واجب القبول والشعر الذي قال
انه مجهول هو للاغلب العجلي مسطور في ديوانه اني كفرت بما اشركتموني من قبل باشراككم
اياي من قبل هذا اليوم في الدنيا ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه في ذلك اليوم فعلى
هذا ما مصدرية ومن يتعلق بكفرت او موصولة بمعنى من وهو الله تعالى اي كفرت بالذي
اشركتمونيه معه في طاعتكم اياي حين دعوتكم على عبادة الاوثان وترك التوحيد من
قبل اشراككم اذ ابيت السجود لادم يقال شركت زيدا واشركته غيري فتعدى الى المفعول
الثاني بالهمزة ان الظالمين لهم عذاب اليم من كلامه فيقوله في ذلك اليوم تحسرا
حكاه الله ليكون ايقاظا للناظرين في امر الاخرة او هو ابتداء كلام منه تعالى لذلك وادخل
الذين امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم
بتوفيقه وارادته والمدخل الملك الذي بيده مفتاح الجنة والاسناد اليه تعالى للتشريف
تحيتهم فيها سلام تحية الملائكة عند ملاقاة المؤمنين سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين
الم تر كيف ضرب الله مثلا لما بين احوال الاشقياء واحوال السعداء اردفه بضرب المثل
كشفا عن حقيقتها وابرازا للمعقول في صورة المحسوس كلمة طيبة اي جعل كلمة طيبة تفسير
لقوله ضرب الله مثلا كما تقول شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان تنتصب
مثلا وكلمة بضرب على تضمين معنى التصيير اي صير كلمة طيبة مثلا ثم قال كشجرة طيبة على
انه مبتدأ او خبر محذوف اصلها ثابت في الارض ضارب بعروقها فيها وفرعها
في السماء واعلاها نحو السماء ويجوز ان يريد فروعها وهي الاغصان واكتفى بالجنس لتناول
كل فرع على البدل لا الاستغراق لان مثل غلام بدل لا يستغرق تؤتي اكلها ثمرها كل
حين كل وقت جرت عادة الله بتكون الثمر فيه باذن ربها بارادة خالقها وتكوينها
ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون فان في ضربها تصوير المعقول في صورة
المحسوس تقريبا للمعاني الى الافهام ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق
الارض استوصلت واخذت برمتها واصل الجث القطع ما لها من قرار ثبات
لكون عروقها على وجه الارض تجفف بادنى ريح والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة
حسنة تورث ثوابا كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة وعن ابن عباس هي شهادة
ان لا اله الا الله وهذا هو الوجه لانها اصل الاعمال فينطبق عليه قوله وفرعها في السماء
فالتنكير للتعظيم والشجرة الطيبة كل شجرة لها ثمر طيب كالنخل والتين وعلى قول ابن عباس

يشبه

يشبه ان يكون النخلة لانها افضل الاشجار على ما قال رسول الله انها مثل المؤمن والكلمة
الخبيثة ما يكون معصية او تؤدي اليها والشجرة الخبيثة الحنظلة وقيل الشريان وانما اردف
المثل الاول بقوله ويضرب الله الامثال ولم يؤخره عنهما اشارة الى شرفه وانه المقصود
بالذات والثاني مذكور بالعرض يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا
وفي الاخرة وهو كلمة الشهادة فان المؤمن يفتن في الدنيا نعوذ بالله كما فتن اصحاب
الاخدود والانبياء بني اسرائيل نشر بعضهم بمناشير الحديد ولم يصرفهم ذلك عن دينهم
كذلك في الاخرة اذا جاء افتان القبر وسألوهم عن دينهم ثبتوا على ما كانوا عليه في الدنيا
كما اخبر بذلك صلى الله عليه وسلم تموتون كما تعيشون وروى البخاري عن البراء ان
رسول الله قال ان المؤمن اذا سئل عن ربه وعن دينه وعن نبيه واجاب نادى مناد
من السماء ان صدق عبدي فذلك قوله تعالى يثبت الله امنوا بالقول الثابت في الحيوة
الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين الذين لم يستدلوا بآيات الافاق والانفس
على وحدانيته ويشبه ان يكون ذلك قول الكافر في القبر اذا سئل عن ربه وعن دينه
فيقول لا ادري فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة فيصيح صيحة يسمعها كل ذي
حيوة سوى الثقلين ولو سمعوها لصعقوا من هيبتها ويفعل الله ما يشاء من الاسعاد
والاشقاء وفيه ايماء الى ان المؤمن لا يتكل على ما هو فيه ولا يأمن من مكر الله الم تر الى
الذين بدلوا نعمة الله كفرا اي شكر نعمة الله الذي كان واجبا عليهم اتوا بنقيضه فكانهم
بدلوه او بدلوا انفس النعمة كفرا فان الاية نزلت في مشركي مكة حين من الله عليهم بمحمد
عليه السلام ولم يقبلوا نعمته واثروا الكفر عليها واحلوا قومهم دار البوار الذين شايعوهم
على الكفر والبوار الهلاك وفي الحديث نعوذ بالله من بوار الايم وهي المرأة التي لا زوج
لها ولا يرغب فيها احد جهنم يصلونها عطف بيان او بدل والمضارعية حال منها
او من الفاعل اي واحلوهم فيها مقاسين حرها وبئس القرار بئس المقر جهنم جعلها
نفس القرار مبالغة وعن عمر وعلي هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو امية اما بنو
المغيرة فكفيتموهم يوم بدر واما بنو امية فمتعوا الى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة
بن الايهم واصحابه وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله التوحيد الموصل اليه او جمع
ند بالكسر وهو مثل الشيء المضاد وقرأ نافع وابن عامر والكوفيون بضم الياء من الاضلال
والفتح هو المختار لان مجرد الضلال كاف في الاستحقاق والضلال والاضلال جعلا
غرضا مجازا كما في قوله فالتقطه ال فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا قل تمتعوا بالشهوات
امر تهديد وفي الاتيان به ايذان بانهم منهمكون في تلك الشهوات كانهم مأمورون
من آمر لازم الطاعة فان مصيركم الى النار فاستوفوا العاجل قبل فوته قل لعبادي
الذين امنوا اضافهم الى نفسه تشريفا لهم يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم كما ان
الكفرة يتلذذون بالشهوات قولوا يستلذون بعبادته ومفعول القول محذوف لان

جوابه يدل عليه تقديره قل لهم اقيموا وانفقوا يقيموا وينفقوا ويجوز ان يكون الام محذوفة
لدلالة قل عليه وما حكي عن المبرد من ان التقدير قل لهم اقيموا يقيموا فلا يستقيم لان الشرط والجزاء
متحدان في الفعل والفاعل ولان الامر المقدر للمواجهة ويقيموا على الغيبة سرا وعلانية منتصبين
معلنين او في وقتي سر وعلانية او انفاق سر وعلانية السر في الاصل جوف الشي ثم اطلق
على كل خفي قولا كان او غيره والمراد الحث على الانفاق لانه يخلو عنهما والاولى في التطوع
الاخفاء لانه ابعد عن الريا وفي الغرض الاعلان ليقتدى به من قبل ان ياتي يوم
لا بيع فيه ولا خلال اي من قبل ان لا تقدروا على تدارك ما فاتكم لانه اما ان يكون بتصرف
الاموال او بمساعدة الاخلاء وكلاهما منتف في ذلك اليوم او معناه الحث على الانفاق
بتصوير يوم ينفع فيه هذا الانفاق ولا ينفع فيه هذان الامران المستمران بين الناس
او عدم الانتفاع بهما كناية عن الانتفاع بمقابلهما وهو ما انفق لوجه الله قرا ابن كثير
وابو عمرو فيهما بالفتح وهو ابلغ لكونه نصا في الاستغراق الله الذي خلق السموات والارض
مبتدا وخبر بين بهذا احوال السعداء والاشقياء ورغب ورهب ثم عاد الى دلايل
التوحيد وبدا باظهرها وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم مفعول
اخرج يشمل كل ما انتفع به الانسان والجار والمجرور بيان له قدم عليه او حال منه و
من التبعيضية مفعول ورزقا حال او مصدر اخرج لانه في معنى رزق وسخر لكم الفلك
لتجري في البحر بامره بارادته حيث قصدهم وسخر لكم الانهار تتصرفون فيها وقيل تسخيرها
تعليم كيفية الانتفاع بها وسخر لكم الشمس والقمر دايبين مستمرين على السير من داب في
العمل اذا جد في ذلك منافع عظيمة لا تحصى من الاثارة واصلاح الابدان والثمار
لولا ذلك لم يتصور تعيش الحيوان وسخر لكم الليل والنهار للكسب والاستراحة
واتاكم من كل ما سالتموه بعض الذي سالتموه اذ لا يحصل الانسان جميع ما يطلبه ويجوز
ان يكون السوال بلسان الحال اي اتيكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم يكن تعيشكم
الا به فما موصولة او موصوفة او مصدرية بمعنى المفعول ويجوز ان يكون نافية اي
اتيكم من كل شي غير سايليه وهو وجه حسن وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها الاحصاء
العد والحفظ وفي الحديث كل القران احصيت اي حفظت واذا كان الاحصاء
غير مقدور فلا سبيل الى شكرها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في مقام الحمد لا احصي ثناء
عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال شعر اذا كان شكري نعمة الله نعمة علي بها كيف
السبيل الى الشكر ان الانسان لظلوم كفار ظلوم يضع الكفران موضع الشكر كفار
شديد الكفر يقابل تلك النعم باغفال الشكر وقيل ظلوم يشكو في الشدة ويجزع كفار في النعمة
يجمع ويمنع والمراد الجنس لقوله وقليل من عبادي الشكور واذ قال ابرهيم رب اجعل
هذا البلد امنا ذا امن زاده الله امنا وشرفا فاشار الى ما في الذهن من قبل الوجود
بالفعل وتكر في البقرة مشيرا الى الكاين اي اجعل هذه البلدة بلدا امنا او بالعكس

الآ

الآن الاول اظهر لان ما في هذه السورة سابق نزولا فلا اشارة باللام الا الى ما في
الذهن فان قلت يلزم ان يكون دعوته الاولى غير مستجابة قلت سال اولا ان
يجعله صالحا للسكنى ذا امن على وجه الاستمرار كما هو شان اكثر البلاد وثانيا ازالة
خوف يعرض ساير البلاد الامنة احيانا وقيل سال اولا امن الدنيا وثانيا امن الاخرة
او رد قصة ابرهيم بعد ذكره الانسان بانه ظلوم تذكيرا لهولاء ان قريش ودعوة الى
التوحيد الذي دعا ابرهيم ابا رحم اليه وزجرا لهم عما هم فيه فانهم يدعون انهم على
ملته واجنبني وبني بعدني واياهم يقال جنب واجنب وجنب بالتشديد فالاولان
لغة نجد والثالثة لغة الحجاز ان نعبد الاصنام عن عبادتها او عنه من غير واسطة
او عبادة قريش للاصنام لم يخالف فيه احد ولقوله لا ينال عهدي الظالمين وقوله ومن
كفر فامتعه قليلا وما حكي عن سفيان بن عيينة ان احدا من اولاد اسمعيل لم يعبد الاصنام
محمول على اولاد صلبه رب انهن اضللن كثيرا من الناس اسند الاضلال اليهن باعتبار
السببية فمن تبعني على التوحيد فانه مني متصل بي وهو حنيف مثلي كما في الحديث من
غشنا فليس منا لان فعله ليس من جنس افعالهم ومن عصاني فانك غفور رحيم
بالتوبة وتوفيق الانابة وفيه دليل على ان الله يغفر ما دون الشرك لمن يشاء ربنا اني
اسكنت من ذريتي بعض ذريتي وهو اسمعيل حين تركه مع امه بالحرم وقيل اسمعيل
وذريته فان اسكانه متضمن لاسكانهم بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم اراد
وادي مكة اذ لم تكن هناك زرع ولا ماء واراد بالبيت مكانه اذ لم يكن هناك بناء
وانما بناه بعد ما نشا اسمعيل وانما وصفه بالمحرم لانه حرم التعرض له والتهاون به و
جعل ما حوله حرما لمكانه لا يختلى خلاه ولا يعضد شجره او لانه حرم على الطوفان فلم يستول
عليه او لانه لم يزل ممتنعا يهابه كل جبار كالشي المحرم الذي حقه ان يجتنب منه وسبب
اسكانه ذريته ان هاجر كانت جارية لسارة وكانت سارة عقيما لا تلد فوهبت هاجر
لابراهيم عسى ان يرزقها الله منها ولدا فلما ولدت اسمعيل غلبت عليها الغيرة فلم تقدر
على رؤيتهما فناشدت ابراهيم ان يخرجهما من عندها فامر الله ان يسكنهما بذلك
الحرم الشريف فركب ابراهيم البراق وحملهما حتى وضعهما في موضع زمزم ثم تولى فقالت
له هاجر تذهب وتدعنا في هذا الوادي الذي لا ماء به ولا زاد فقال بلى قالت الله امرك
بهذا فقال بلى قالت فاذهب اذن لا يضيعنا ربنا ليقيموا الصلوة الجار متعلق بمحذوف
موخر اي ما اسكنتهم بهذا الوادي البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ايثار الشرف
الجوار واشار الى ذلك بقوله عند بيتك المحرم ثم صرح بان الغرض الاصلي هو تعمير ذلك
المكان بانواع العبادة من اقامة الصلوة والطواف والعكوف ثم بعد تقديم الوسيلة
دعا بقوله فاجعل افئدة من الناس من تبعيضية ويجوز ان يكون ابتدائية كما في قوله
ربي اني وهن العظم مني كانه قيل افئدة اناس وقرا ابن عامر في رواية هشام افئده

بياء مكسورة بعد الهمزة فصلا بين الشديدتين تهوي اليهم تسرع نحوهم من هوى
يهوي هويا وفي حديث البراق انطلق تهوي اي يسرع واوا ضم الهاء في مصدره مع تشديد
الياء معناه الهبوط واو فتح مع تشديد الياء الصعود وقيل بالعكس فيهما وارزقهم
من الثمرات بان تجلب اليهم من ساير البلاد لكونه واديا غير ذي زرع فاجاب الله دعاءه
فجعله حرما امنا تجبي اليه ثمرات كل شيء الى اخر الدهر بل يجتمع فيه من انواع الثمار الصيفية
والخريفية مالا يوجد في ريف من الارياف لعلهم يشكرون تلك النعمة لان النعمة اذا جاءت
من حيث لا يحتسب كانت ادعى الى الشكر ربنا انك تعلم ما نخفي وما نعلن على لا تفاوت
فيه ولا احتجاب اي انه باطنه موافق لظاهره وسره مطابق لعلنه وان فائدة السوال اظهار
العبودية والتلذذ بالتذلل والاستشهاد الحال بالافتقار اليه كافيه ولذلك سلك في مقام
التوكل خلاف ما يسلك منا روى انه لما وضعه نمرود في المنجنيق والقاه في النار فكان في
الهواء متوجها الى النار لحقه جبرائيل فقال هل من حاجة خليل الله فقال اما اليك فلا فقال
سل ربك قال علمه بحالي يغنيني عن سوالي وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء
لان علمه بالاشياء عياني فالنسبة في الكل على السواء الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل
واسحاق مع الكبر في موضع الحال اي وانا كبير السن على خلاف المتعارف قيل ولد له اسمعيل
وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة واثنتي عشرة سنة وقيل ولد له اسمعيل
وهو ابن اربع وستين سنة واسحق لتسعين سنة وانما ذكر حال الكبر اعظاما لكمال النعمة لان
المنة بهبة الولد في سن الياس اعظم فان قلت قوله اني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي
زرع هو اسكانه اسمعيل قبل بناء البيت بلا خلاف وقوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل
واسحق دل على ان هذا الكلام بعد ولادة اسحق قلت ان الله تعالى حكى عنه جملا من كلامه
في احايين كثيرة متفرقة لاشتراكها فيما سبق له الكلام من كونه على الايمان والعمل الصالح
مريدا ذلك لذريته ومن تبعه ان ربي لسميع الدعاء من اضافة اسم الفاعل الى المفعول
وقد ذكر سيبويه فعيلا من ابنية المبالغة العاملة عمل فعلها مثل ضراب اخاه ورحيم اباه ومعنى
سماع الدعاء الاجابة لها والاعتداد بها كما في قول المصلي سمع الله لمن حمده رب اجعلني
مقيم الصلوة معدلا لها مواظبا عليها ومن ذريتي وبعض ذريتي لانه قد علم من قوله ومن
كفر فامتعه قليلا ان من ذريته من هو كافر ربنا وتقبل دعاء اي عبادتي لقوله واعتزلكم
وما تدعون من دون الله ثم قال ولما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله او هو كلمة التوحيد
لقوله صلى الله عليه وسلم دعائي ودعاء الانبياء قبلي بعرفات لا اله الا الله او هو بعثة محمد لما
في الحديث انه قال سأخبركم انا دعوة ابي ابراهيم وبشارة اخي عيسى ربنا اغفر لي ما فرط
منا ولوالدي لكان ذلك قبل النهي وقدم مغفرة لنفسه ليكون دعاءه لها بعد المغفرة
اقرب الى الاجابة وللمؤمنين كافة يوم يقوم الحساب يثبت مشبه ثبوته بقيام الشخص
على رجله كما في قولهم قامت الحرب على الساق وترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوءها كانها

قامت

قامت على الرجل او ابله واسند الفعل اليه مجازا ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون
ارادة تثبيته على ما هو عليه كما في نظاير ولا تدع مع الله الها اخر ولا تكونن من المشركين او كناية
عن الايذان بانه عالم بما يفعله الظالمون لا يخفى عليه خافية او الخطاب لمن لم يعرف
صفات الله وشمول علمه وعن سفيان بن عيينة فيه تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له
من قال هذا قال انما قال من علمه يريد نفسه انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار تشخص
البصر ارتفاع الاجفان الى فوق وتحديد النظر وانزعاجه ومنه الشخص لكل جسم مرتفع
مهطعين مسرعين الى الداعي او من هطع اذا اقبل على الشيء ببصره لا يقلعه عنه او من
اهطع البعير اذا مد عنقه وصوب راسه مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم رافعي رؤسهم في
صفة ركوعه صلى الله عليه وسلم كان اذا ركع لا يقنع راسه اي لا يرفعه وحديث تعليم الدعاء
لا تقنع يديك واصل الكلمة من القنوع وهو السوال لان السائل يرفع راسه ويده لدى السوال
وعدم ارتداد الطرف كناية عن نهاية الخوف فان من به شدة الخوف تحمد عينه وافئدتهم هواء
خالية عن الفهم والادراك لتوجه القوى الدراكة الى رفع الخطر والخطب وقيل خالية عن الخير
وليس بوجه والهواء بالمد كل شيء خال قال حسان يهجو ابا سفيان فانت مجوف نخب هواء
وانذر الناس يا محمد يوم ياتيهم العذاب مفعول ثان لانذر وهو يوم القيمة فيقول
الذين ظلموا بالشرك ربنا اخرنا الى اجل قريب اخر العذاب عنا وردنا الى الدنيا وامهلنا
زمانا قليلا نجب دعوتك ونتبع الرسل في اوامرهم ونواهيهم جزم على الجواب وقيل هذا
قولهم عند الموت اذا حضرتهم الملائكة بدون البشرى وهذا القول المؤمن المقصر لولا
اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين او لم تكونوا اقسمتم من قبل على
ارادة القول والمعنى انكم اقسمتم جهد ايمانكم لا يبعث الله من يموت مالكم من زوال ابتداء
كلام منه تعالى اي مالكم زوال وانتقال من الحال التي انتم فيها كقوله اخسؤا فيها ولا تكلمون
بعد قولهم ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقيل هو من كلامهم ايضا ولعلهم
اقسموا على ذلك غرورا او بطرا او شبهة حالهم بحال من ايقن بالخلود مؤكدا بالقسم حيث
شيدوا البنيان وطال بهم الزمان وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم كعاد وثمود
الاصل في السكنى تعديته بفي كقولك قر في الدار واقام فيها ولما نقل الى سكون خاص
تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوءها واوطنها وتبين لكم كيف فعلنا بهم كيف
انزلنا بهم العذاب واستاصلناهم شاهدتم اثار ذلك او بلغكم تواتر الحديث لم يبق لكم
اشتباه فاعل تبين مضمون كيف فعلنا لتجرده عن الاستفهام وضربنا لكم الامثال فيما
قصصنا من احوالهم الغريبة وقبايحهم الشنيعة وما انزلنا عليهم من العذاب الفظيع في
مواضع شتى وقد مكروا مكرهم اي مكرهم الذي استفرغوا فيه جهدهم كما تقول لخصمك قد فعلت
فعلك فقد جاز لي ان افعل فعلي وعند الله مكرهم جزاؤه وما يستحقون عليه من العذاب
وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وما كان مكرهم وان عظم تزول منه الجبال يريد ان آيات

ام محمد ممثل بالجبال الراسية فلا يزعزعه مكر هولاء واللام لام الجحود مثل وما كان الله ليعذبهم وقرا الكسائي بفتح اللام فان هي المخففة واللام الفارقة والمعنى ان مكرهم من عظمه يوهم ان يزيل ما هو كالجبال وهي شريعته ومعجزاته وقيل ان نمرود لما ركب النسور وصعد الى السماء فلما توسط الجو خاف على نفسه الخبيثة فاسرّ لها فظنت الجبال انه قهر فكادت فزالت عن موضعها خوفا ورعبا ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله اخبرني اماكن شتى انه لا يخلف الميعاد واذا لم يخلف من مواعده مع ساير خلقه فكيف يخلفه مع اشرف عباده المرسلين قدم المفعول الثاني اهتماما ان الله عزيز لا يغالب ذو انتقام من اعدائه يوم تبدل الارض غير الارض والسموات انتصاب يوم على البدل من يوم او ظرف لانتقام التبديل يكون في الذات وفي الصفات وما في الاية يحتمل الامرين عن ابن عباس رضي الله عنه ان الارض هي تلك الارض وانما تبدل اوصافها فتسير جبالها وتفجر بحارها فتسوى لا ترى فيها عوجا ولا امتا وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وعن ابن مسعود وانس رضي الله عنهما يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطا عليها خطاة وروى البخاري عن سهل بن سعد عن رسول الله يحشر الناس على ارض بيضاء كقرصة النقي لا معلم فيها لاحد وروى مسلم عن عايشة انها سالت رسول الله اين يكون الناس يومئذ قال على الصراط وعن علي رضي الله عنه تبدل الارض ارضا من فضة والسماء سماء من ذهب والظاهر ان التبدل في الصفات كما قاله ابن عباس لما روى ابو هريرة ان رسول الله قرا هذه الاية يومئذ تحدث اخبارها قال اتدرون ما اخبارها قالوا الله ورسوله اعلم قال اخبارها ان يشهد على كل عبد وامة بما عمل على ظهرها ويؤيده ما قاله ثعلب والمبرد من ان التبديل تغيير الصفة مع بقاء الجوهر والابدال تنحية الجوهر واحداث آخر وبرزوا لله من الاحداث الواحد القهار ذكر هذين الوصفين من اصابة المخبر مكان كما في قوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار كانه قيل الامر كله له وهو غلاب لا يغالب وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد مجتمعين من القران وهو الجمع ومنه قرن بالحج اي جمع بينه وبين العمرة والقرن بفتح الراء الحبل الذي يجمع بين الشيئين والاصفاد جمع الصفد وهو القيد وفي الحديث نهى عن صلوة الصافد وهو ان يقرن بين رجليه كانهما في قيد وذلك لاشتراكهم في العقايد بل الاصفاد هي تلك الاعمال والمعاصي كما ان المؤمنين يحشرون غرا محجلين من آثار الوضوء سرابيلهم من قطران قمصانهم جمع سربال والقطران صمغ الابهل يطبخ ويلطخ به جلد الابل الجرب فيحرق الجرب وهو اسود اللون منتن الرايحة والغرض منه تغليظ العذاب لاشتماله على قبح اللون ونتن الرايحة وسرعة اشتعال النار فيه وقرا يعقوب قطران على انهما كلمتان القطر النحاس والآني هو المتناهي في الحرارة وتغشى وجوههم النار اشرف الاعضاء كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقوله تطلع على الافئدة فان القلب

اشرف الاعضاء الباطنة قيل ان قوله مقرنين في الاصفاد وسرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم احوال من مفعول ترى روعي فيها الترقي بان جعلت الثانية جملة اسمية والثالثة مضارعية لاستحضار المقصود والظاهر ان سرابيلهم استيناف وتغشى وجوههم عطف عليه افادة للاستمرار لان جعل المضارع المثبت حالا من الواو لا يرتضاه البلغاء ليجزي الله كل نفس ما كسبت اي كل نفس مؤمنة وكافرة انه اذا جازى على الاجرام والعصيان فعلى الطاعة والايمان اولى ان الله سريع الحساب لا يشغله شان عن شان هذا بلاغ للناس اشارة الى قوله ولا تحسبن الله غافلا او الى القران او الى جميع ما في السورة من التذكير والعظة ليكون كالعقد الكل ويكون خاتمة السورة على منوال الفاتحة ولينذروا به عطف على محذوف اي لينصحوا به ولينذروا بهذا البلاغ وليعلموا انما هو اله واحد لانهم اذا انذروا وخافوا ما انذروا به دعاهم ذلك الى النظر الموصل الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله وليذكر اولوا الالباب ذوو العقول الخالصة العالمون بالله وبصفاته اذ ربما يعرض لهم نوع ذهول فيتذكرون بهذا البلاغ ذكر البلاغ ثلث فوايد هي الحكمة في انزال الكتب تكميل الرسل المرسل اليهم واستكمال القوة النظرية التي غايتها التوحيد واصلاح القوة العملية بالتدرع بلباس التقوى حشرنا الله في زمرة المتقين بحق محمد واله الطيبين

سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم

الر تلك آيات الكتاب وقران مبين تلك اشارة الى ما تضمنته السورة او هذا المؤلف من الحروف آيات الكتاب والكتاب والقران السورة او القران كله والعطف لتغاير الصفات او الكتاب اللوح المحفوظ والقران ان السورة او المجموع او الكتاب السورة والقران المجموع وهو الوجه لقوله في اول الرعد والذي انزل اليك من ربك الحق بعد ذكر الكتاب ولما كان في التعريف نوع من الفخامة وفي التنكير آخر جمع بينهما ونكر القران هنا وعرفه في النمل وقدمه لان كونه قرانا ادل على خصوص المنزل على محمد والحديث هنا كان عن المنزل المخصوص لقوله هدى وبشرى للمؤمنين ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين رب للتقليل والمعنى انهم لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة لوجب عليهم الاسراع اليه قبل فوته فكيف وهم يودونه كل لحظة وقيل تدهشهم الاهوال فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات تمنوا ذلك وقد روى الترمذي عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير الاية اذا اخرج الموحدون من النار ود الذين كفروا لو كانوا من المسلمين وانما دخلت على المضارع واصل دخولها على الماضي لان المترقب في كلام الله تعالى كالمتحقق وانما حكى ودادهم بلفظ الغيبة لانه بصدد الاخبار عنهم كما تقول حلف بالله ليفعلن كذا ولو قيل لافعلن لكان عربيا فصيحا والاول اولى واكثر لانه من اللبس قرا نافع وعاصم ربما بالتخفيف وهي افصح لانها لغة الحجاز وقيس فذرهم ياكلوا ويتمتعوا بعد ما بلغت وانذرت ويلههم الامل يشغلهم طول الامل واستقامة الاحوال عن الاستعداد

لما بعد الموت فسوف يعلمون سوء صنيعهم جعل اكلهم وتمتعهم غاية الامر ليصير مطلوبة فيكون
الامر وسيلة اليها وهذا ابلغ من الامر بها وفيه الزام الحجة لان الامر بالضد لا يكون الا عند
تكرار الانذار وثبوت الجحود وظهور مخايل الياس وفيه ايماء الى وجه النظم وان الكفار انما
حرموا عن الانتفاع بابلغ نافع هو القرآن لطول الامل والانهماك في اللهو وتسلية له صلى الله
عليه وسلم وتنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل ليس من اخلاق المؤمنين
وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم اجل مكتوب في اللوح متصل بقوله فسوف
يعلمون اي ان العذاب نازل بهم لا محالة ولكن له وقت معلوم كذلك جرى للامم
المكذبة والواو في ولها كتاب هي الداخلة على الجملة الداخلة صفة كما في وثامنهم كلبهم
لتاكيد لصوق الصفة بالموصوف لدلالتها على الجمع والمعية لان اصل الواو هو العطف
ومعنى اللصوق نيابة فاستعير له كما في الحال والقول بان الصفة لما شابهت الحال صورة
دخلت الواو عليها قول بجريان القياس في اللغة فان قلت فما الفرق بين هذا وبين
قوله في الشعراء وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون حيث جيء بالواو هنا وترك هناك
والاسلوب واحد قلت الفرق هو ان هذا الوصف الصق بالموصوف لانه لازم عقلي
وذاك عادي جرت به سنة الله ما تسبق من امة اجلها المسطور وما يستاخرون حذف
للعلم به وذكر الضمير لاعتبار المعنى وقالوا يا ايها الذي نزل عليه الذكر اي القرآن قالوه
تهكما لقولهم انك لمجنون وهذا مثل قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون
كانهم قالوا انما تظنه ملكا جنى لو ما تاتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين فيشهدوا
لك بانك نبي او المعاقب كما جاءت الامم المكذبة اصل لو للشرط فاذا ركبت مع ما ولا
تاتي لامتناع الشيء لوجود غيره اذا دخلت الاسماء وللتحضيض اذا دخلت الفعل ما ننزل
الملائكة جواب لهم منه تعالى اعطاء الرسول الذي نسبوه الى الجنون ما تنزل الملائكة
بفتح التاء والزاء ورفع الملائكة قرأه ابو بكر بضم التاء على بناء المفعول وحمزة والكسائي
وحفص بالنون مسندا الى الله وهو المختار لفخامة المعنى ومناسبة السياق والسباق
الا بالحق تنزلا ملتبسا بالحق او ملتبسين به والمعنى تنزيل الملائكة لا يكون الا على وفق
حكمة تقتضيها المشية ولا حكمة في ارسال الملائكة لان الملك اذا جاء يكون على صورة
الانسان ليمكن الاستفادة منه واذا تصور بصورة الانسان فالشبهة بحالها ومناط
ازالتها هو المعجزة واليه اشار بقوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون
ولا حكمة في معاجلتكم بالعذاب لان منكم من سبقت المشية بايمانه او ايمان من يولد منه وقيل
الحق الوحي او العذاب وما كانوا اذا منظرين اذا جواب لهم وجزاء شرط مقدر تقديره ولو
نزلنا الملائكة ولم يؤمنوا لوقع عليهم الاستيصال وقطع دابرهم بذلك جرت سنة الله فيمن
كذب بالآية المقترحة انا نحن نزلنا الذكر رد لاستهزائهم بالذكر وادعاء جنون من نزل
عليه ولذلك اكد الكلام بوجوه من التاكيد وانا له لحافظون بان كسوناه لباس الاعجاز

فلا يقبل

فلا يقبل الزيادة والنقصان بخلاف سائر الكتب السماوية حيث لم يلتزم حفظها بل
استحفظها الاحبار فحرفوها وبدلوها فالقرآن محفوظ من حين نزل الى ان يرث الله
الارض ومن عليها وقيل الضمير لرسول الله والاول هو الوجه ولقد ارسلنا من قبلك في شيع
الاولين فرق الاولين السابقين على هؤلاء جمع شيعة تقع على الواحد والجمع مذكرا كان
او مؤنثا من الشايعة وهي المتابعة او من شاع الامر ظهر واشتهر وفي حديث خالد بن
الوليد انه كان مشيعا اي من غاية اقدامه في الحرب كان له اتباعا وحماة وما ياتيهم من
رسول ما اتاهم والمضارع لحكاية الحال ولذلك دخل عليه ما النافية للحال الا كانوا به
يستهزؤن كما يفعل هؤلاء معك فلا تبال بهم كذلك نسلكه في قلوب المجرمين اي مثل
ذلك السلك الذي سلكنا في قلوب تلك الامم نسلك الذكر في قلوب المجرمين يقال
سلكت الخيط في الابرة اذا ادخلته فيه لا يؤمنون به بيان وتفسير لنسلكه بعد ابهامه و
يجوز ان يكون حالا من الضمير المنصوب او المجرمين وجعل الضمير للاستهزاء اي نسلك
الاستهزاء في قلوب هؤلاء كما سلكناه في قلوب اولئك وان صح معنى لكن يوجب
تنافر النظم لان ضمير يؤمنون به للذكر بلا احتمال وقد بين في الشعراء ذلك بقوله كذلك
سلكناه في قلوب المجرمين بعد ذكر القرآن بدون سبق الاستهزاء وقد خلت سنة الاولين
اي طريقتهم التي سنها الله تعالى في اهلاكهم حيث لم يؤمنوا بعد ظهور الآيات وهؤلاء يشبهون
بهم ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون يصعدون الى السماء نهارا لا يلبس
فيه لقالوا انما سكرت ابصارنا سدت وحجبت من سكرت النهر سددته والتشديد للمبالغة
وقرأ ابن كثير مخففا على الاصل ويحتمل ان يكون من السكر اريد به لازمه وهو الاختلال
والتحير بل نحن قوم مسحورون سحرنا محمد وما رأيناه لا حقيقة له والمعنى انهم من شدة
غلوهم في الكفر والانهماك في العناد لو عرجوا بانفسهم الى السماء ودخلوا فيها على نحو دخولهم
في بيوتهم من باب مهيا للدخول وقضوا نهارهم في مشاهدة عجائبه لم يؤمنوا ونسبوا
ذلك الى التخييل والاخذ بالسحر ولقد جعلنا في السماء بروجا اشارة الى دلائل وحدانيته
وآياته المبثوثة في الآفاق والانفس توكيد لذلك الرد واشارة الى ان في هذه الآيات
غنية عن طلب غيرها اذ مع كونها آيات باهرة مشتملة على نعم جسيمة والبروج هي منازل
الشمس والقمر من البرج وهو الظهور وقيل هي الكواكب وزيناها للناظرين اي زينا السماء
بزينة الكواكب او زينة لمن يتاتى منه النظر وقيل النظر بمعنى التامل والاعتبار وحفظناها
من كل شيطان رجيم مرجوم مطرود وصفة ذم لا مفهوم له الا من استرق السمع بدل
من كل شيطان او نصب على الاستثناء المنقطع اي لكن من استرق والاستراق الاختلاس
من السرقة وذلك ان الشياطين لم يكونوا محجوبين عن السماء فلما بعث رسول الله حجبوا وذلك
قوله انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وانما يسترقون
لا غواء اذ اسمعوا الكلمة من الملائكة من احكام الله يلقونها الى الكهنة واهل النجوم وذلك

قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم فاتبعه شهاب كوكب يشبه الشهاب وهو
شعلة من النار مبين ظاهر يراه كل ذي بصر والارض مددناها دحوناها والقينا فيها رواسي
جبالا ثوابت وانبتنا فيها من كل شيء موزون وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار لا تقبل
الزيادة والنقصان او من كل شيء له وزن وقدر في باب النعمة من قولهم فلان له وزن
اي قدر واعتبار وقيل الموزون المعادن من الذهب والفضة ولفظ الانبات لا يلائمه
وجعلنا لكم معايش اسباب العيش من سائر الانواع جمع معيشة والياء في الاصل متحركة
فلا تقلب في الجمع همزة بخلاف الخبائث والشمائل ومن لستم له برازقين من الخدم
والحشم عطف على معايش او على محل المجرور في لكم والمعنى من تزعمون انكم ترزقونه
وانتم مخطئون في ذلك فان الله هو الرزاق وان من شيء الا عندنا خزائنه اي الا و
نحن قادرون عليه شبه اقتداره على الايجاد والتكوين بحال من يكون تحت يده خزائنه
لا مانع له عن اخراج ما منها او المقدورات بالمخزونات وما ننزله الا بقدر معلوم اقتضته
الحكمة وتعلقت به الارادة بحسب الاوقات والاشخاص وارسلنا الرياح لواقح يلقح الاشجار
من لقح النخل فهو جمع على خلاف القياس او الرياح لواقح نفسها لانها ذات حمل بالخير
لانها تغشى سحابا ماطرا كما سميت الاخرى عقيما وهذا الصق بقوله فانزلنا من السماء ماء
والاول على الاسناد المجازي او على طريقة النسب كطامث وطالق فاسقيناكموه جعلناه
لكم سقيا بالضم اسم من السقي وما انتم له بخازنين من قبيل وما انت علينا بعزيز اثبت
لنفسه الاقتدار على كل ممكن بطريق التمثيل بالخزانة المملوة مما يحتاج الناس ونفى عنهم
الاقتدار على ممكن خاص هو الماء على وجه يتضمن اثباته لغيره وليس الغير الا ذلك القادر
تعالى شانه ويجوز ان يكون ما موصولة اي وما انتم تخزنونه في الغدران والابار والاواني فان
الماء يقتضي بطبعه الغور فوقوفه لا بد له من مدبر حكيم وانا لنحن نحيي كرر الضمير واكده بان
واللام لكون الكلام مع من يقول ما هي الا حياتنا الدنيا وما يهلكنا الا الدهر وباطلاقه
يشمل حياة الحيوان وكل نام ونميت نزيل الحياة عنها ونحن الوارثون الباقون
بعد فناء الخلق ومنه الوارث لبقائه بعد موت مورثه ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد
علمنا المستاخرين المستقدم والمستاخر بمعنى تقدم وتاخر والمعنى علمنا المتقدمين ولادة
وموتا والمتاخرين من الاولين والاخرين او من خرج من اصلاب الآباء ومن لم يخرج
والوجهان كاللازم لقوله انا لنحن نحيي ونميت وقيل من تقدم في الاسلام والجهاد ومن
تاخر وقيل رغب رسول الله في الصف الاول فازدحموا فنزلت وفيه بيان لكمال علمه كما
ان في الاول بيانا لكمال قدرته وان ربك هو يحشرهم للجزاء لا محالة انه حكيم متقن في افعاله
فلولا الحشر لا يستوي المحسن والمسيء وضاع اجر العاملين عليم كامل لا يضيع عنده مثقال
ذرة ويجوز ان يكون الوصفان نشر القول انا لنحن نحيي وقوله ولقد علمنا المستقدمين ولقد
خلقنا الانسان من صلصال لما ذكر جملا من الآيات المبثوثة في الآفاق اشار الى آيات

الانفس حثا على شكر النعمة والتدبر في عظيم قدرته كيف انشا اشرف المخلوقات
في احسن تقويم من اكثف المواد وابعدها عما عليه الانسان من النضرة والرواء الصلصال
الطين اليابس الممزوج بالرمل قبل الطبخ فاذا طبخ كان فخارا من الصليل او الصلصلة
وهو الصوت وفي الحديث سمعنا يوم حنين صلصلة بين السماء والارض من حما طين
اسود متغير صفة صلصال او بدل باعادة الجار مسنون مصبوب من سنه اذا صبه او من
السنة وهي الصورة وفي الحديث لما حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصدقة قام
رجل قبيح السنة وسنة الخد صفحته والمعنى من حما مصور صورة مفرغة كما تفرغ صور الجواهر
المذابة في مقالب مقدراتها او من سن الماء اذا تغير وانتن والجان خلقناه من قبل
اي قبل الانسان الجان ابو الجن كآدم للبشر وقيل اريد به الجنس كما اريد بالانسان
ذلك من نار السموم الشديدة الحر اصل السموم حر النهار كما ان الحرور حر الليل واضافة
النار اليه مبالغة كما في رجل سوء وكانها سميت سموما لانها تدخل في المسام والكلام في
الموضعين على ظاهره فان الله قادر على ايجاد الحيوة في البسائط كما في المركبات او باعتبار
الجزء الغالب وفيه اشارة الى الاعادة فان غاية الاحياء ان تعود ترابا كما كانت حالة
البدء واذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فان قلت
خلق الانسان كان بعد هذه المقالة فلم لم يكن النظم على وفق الوجود وما الحكمة في تقديمه
قلت لما كان الكلام مسوقا للآيات والدلائل الدالة على الوحدانية وكمال القدرة والعلم وخلق
الانسان على النمط المذكور من ابهر الآيات ولما استوفى ذلك ذكر الانسان اجل نعمه عليه
وهو اسجاده ملائكته المقربين له ليكون داعيا له الى الشكر وادمج في ذلك بيان عداوة
الشيطان قديما لياخذ حذره فاذا سويته صورته واكملت خلقه ونفخت فيه من روحي
لما كان الروح لطيفا نورانيا جعل ايجاده في الجسم الكثيف كالنفخ فيه والاضافة للتشريف
كما في قوله فارسلنا اليها روحنا والقول بان الروح يتعلق اولا بالبخار المنبعث من القلب
ويفيض عليه القوة الحيوانية رجم بالغيب وشيء يصان عنه تفسير كلام علام الغيوب
ومن فيه بيانية فقعوا له ساجدين امر ايجاب واكده بلفظ الوقوع وهو سقوط الشيء من
غير اختيار حثا على المبادرة الى المامور به بعد وجود الشرط فسجد الملائكة كلهم اجمعون عطف
على مقدر اي ثم بعد تلك المقالة خلقه ونفخ فيه الروح فسجد الملائكة واكده بتاكيدين
لئلا يتوهم خروج بعض المقربين كجبرائيل واضرابه وقيل التاكيد باجمعون للدلالة على
ان سجدة الكل في زمان واحد وفيه ان اجمع من اعلام التاكيد للشمول والاحاطة
والزمان ليس بلازم لمفهومه الا ابليس ابى ان يكون مع الساجدين اي لكن ابليس
ابى وان جعل الاستثناء متصلا لانه كان جنيا مغمورا بينهم فابى استئناف كانه قيل لم لم
يسجد وما الباعث له على ذلك فقيل ابى فان قلت القصة واحدة وقد اختلفت العبارات
في التعبير عن امتناعه فقد ذكر في البقرة ابى واستكبر وفي الاعراف لم يكن من الساجدين

واقتصر ههنا على الاباء وفي سورة ص على الاستكبار قلت هذه الاختلاف لا ينافي اتحاد القصة
فان تلك الافعال كلها صادرة عنه ودالة على كفره وتمرده قال يا ابليس ما لك اي مانع
عرض لك ان لا تكون مع الساجدين في ان لا يكون مع المطيعين لامري قال لم
اكن لاسجد زاد لفظ الكون مبالغة وابعاد اللام المسمى لام الجحود اذا وقع بعد نفي
الكون لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون صفات ذم لا يليق لي ان اكون مكر
ما له وغفل عن قوله من روحي وقد بسطنا الكلام في سورة الاعراف قال فاخرج منها
من الجنة او من زمرة الملائكة فانك رجيم مطرود واصل الرجم القتل بالحجارة ويلزمه
البعد فاستعمل فيه وهذا الوعيد دل على ان شبهته واهية لا يستحق الجواب وان عليك
اللعنة الى يوم الدين يوم الجزاء على الاعمال فانه يرى في ذلك اليوم من العذاب ما ينسى
اللعن عنده او لان يوم الدين ابعد غاية يضرب به الناس في كلامهم كقولهم ما دامت
السموات والارض قال رب فانظرني الى يوم يبعثون الفا جواب شرط دل عليه
الكلام اي اذ كنت مطرودا فامهلني مدة فسيحة اقدر فيها على الاغواء ويوم البعث
نهاية دار التكليف وانقطاع تاثير الاغواء قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم
وذلك هو يوم البعث بعينه الذي اساله فانه وقت ممتد من حين انقراض الخلق الى حلول
كل فريق مستقره وقيل انما سال يوم البعث لانه علم ان لا موت بعد البعث فقد سال
ان لا يموت والتمكن من الاغواء فاجيب الى الثاني دون الاول وفيه انه يعلم ان
لا سبيل الى عدم الموت فكيف يسال المستحيل ويؤيد الوجه الاول اطلاق الجواب
في الاعراف بقوله انك من المنظرين قال رب بما اغويتني الباء للقسم واسم الحلف
يقع على كل محلوف به ولذلك ورد النهي عن اليمين بالآباء وفي عرف الفقهاء الحلف
بالذات والصفات دون الافعال او الباء للسببية والمقابلة كما تقول لخصمك بعد
الانتقام هذا بذاك لازينن لهم في الارض في الدنيا عبر بالارض عنها لانها محل متاعها
ومظهر آثارها او اراد بالارض جهة السفل كانه قال اغويت آدم وهو في السماء فانا
على اغواء ذريته اقدر وهذا يدل على ان هذه المقاولة جرت بعد هبوط آدم ولازين
لهم الدنيا حتى يستحبوها على الآخرة ويطمئنوا اليها وانما عدى الفعل بفي دلالة على انها
مستقر التزيين يكمن فيها يكمن المظروف من الظرف ولاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين علم ان لله عبادا لا يؤثر فيهم وسوسته قرا الكوفيون ونافع بفتح اللام
من اخلصه اختاره وهو ابلغ لان معنى الكسر مبني عليه ولقوله انا اخلصناهم بخالصة
قال هذا صراط علي مستقيم اشارة الى مضمون الاستثناء وهو اخلاص طايفة استعار
لفظ الاستعلاء وآثره على لفظ الانتهاء لكونه ادل على التمكن ان عبادي ليس لك عليهم
سلطان اي المخلصين والجنس الا من اتبعك من الغاوين استثناء منقطع على
الاول متصل على الثاني والحق انقطاعه على الوجهين اذ لا سلطان على الغاوي لقوله

وماكان

وما كان لي عليكم من سلطان وان جهنم لموعدهم الضمير للغاوين اجمعين تاكيد
للضمير او حال لانه على التاكيد والموعد مكان او مصدر بتقدير مضاف اي مكان وعدهم
لها سبعة ابواب لكثرة الداخلين والابواب دركاتها لقوله ان المنافقين في الدرك
الاسفل وعن علي بن ابي طالب ان الله وضع الجنان على العرض ووضع دركات
النار بعضها فوق بعض فاسفلها جهنم وفوقها لظى وفوقها الحطمة وفوقها سقر وفوقها الجحيم
وفوقها الهاوية وعن ابن عباس جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة
لعبدة الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين
لكل باب منهم من الغاوين حال من المستكن في الظرف جزء مقسوم افرز له وعين
وقراه ابو بكر باسكان الزاي ان المتقين وهم الكاملون المخلصون من عباده والحمل
على الاتقاء من الشرك غير سديد لشمول الغاوين لبعض اهل التوحيد في جنات وعيون
لكل واحد جنات وعيون متعددة او لكل واحد جنة واحدة وعين والاول هو الوجه
لقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله تجري من تحتها الانهار وقرا ابن كثير وحمزة
والكسائي وابو بكر وابن ذكوان بكسر العين لاستثقال توالي الضمتين ادخلوها على ارادة
القول بسلام مسلمين من الآفات او مسلما عليكم قولا من رب رحيم آمنين من
الآفات والزوال ونزعنا ما في صدورهم من غل ما كان بينهم في الدنيا من الحقد والشحناء
اصل الغل الخيانة في كل شيء وعن علي رضي الله عنه ارجو ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم او من التحاسد في درجات الجنات فان كلا يرضى بما فيه اخوانا نصب
على الحال من الضمير المجرور في صدورهم والعامل معنى الاضافة كما في ملة ابراهيم وكذا
على سرر متقابلين ويجوز ان يكونا صفة اخوانا وجعل اخوانا وما بعده حالا من ضمير آمنين
او جنات او فاعل ادخلوها وان صح معنى نفيه بعد لفظا لا يمسهم فيها نصب استيناف
او حال اخرى او حال من ضمير متقابلين وما هم منها بمخرجين اشارة الى الخلود الذي لا يتم
النعمة الا به نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم فذلكة ما سبق
من الوعد والوعيد ترغيبا للغاوين وترهيبا للمتقين نسبة الغفران والرحمة الى ذاته
صريحا دون العذاب ايماء الى وفور رحمته وفيه تسكين روع الخائفين ونبئهم عن
ضيف ابراهيم اخبرهم بحديث الضيف فان فيه تذكرة للفريقين عطف القصة
المشتملة على ذكر اهل الرحمة والعذاب وما فعل بالفريقين ليكون كالبرهان على الوصفين
وبدا بذكر الضيف لانهم المنشا وادرج في القصة ذكر القنوط على طريق السؤال والجواب
تحذيرا منه فان نسمة من رحمته تزيل جبال الذنوب ولذلك كان القنوط كفرا لانه
تكذيب لقوله وسبب للقدرة منه اذ دخلوا عليه اي وقت دخولهم فقالوا سلاما اي نسلم
عليك سلاما قال انا منكم وجلون خائفون وهم جماعة غير معروفين وقيل انما خافهم لانه
لما قدم لهم الاكل لم يتناولوا منه وهذه المقالة انما جرت بينهم بعد ذلك لقوله فما لبث

ان جاء بعجل حنيذ قالوا لا توجل سكنوا خوفه واتبعوه بالبشارة بالولد انا نبشرك بغلام
عليم استيناف جار مجرى التعليل والغلام هو اسحق عليه السلام وحيث ذكره في القران
مع البشارة وصفه بالعليم وحيث ذكر اسمعيل وصفه بالحليم ولعل ذلك لتفاوت الاخلاق
وكان الغالب على كل منهما تلك الصفة قال ابشرتموني على ان مسني الكبر امر منكر
بمقتضى العادة ان يولد لشيخ فبم تبشرون استفهام تعجب اي فباي اعجوبة تبشرون
بهذا او بغيرها من الاعاجيب وفي الحقيقة نفي للبشارة لعدم القابلية عادة وقرا ابن
كثير ونافع بكسر النون وشدده ابن كثير بادغام نون الجمع في نون الوقاية وحذف
الياء والباقون بالفتح على حذف المفعول والاستغناء عن نون الوقاية وهو الوجه
لقلة التغيير ووجود التخفيف قالوا بشرناك بالحق الثابت في نفس الامر بلا ريبة
فلا تكن من القانطين الآيسين بهم فان هذا الكلام يشبه مقالهم او لا تدخل في زمرة
القانطين والنهي عن الشي لا يستلزم صدوره كقوله ولا تكن من المشركين قال ومن يقنط
من رحمة ربه الا الضالون المخطئون طريق الصواب والاستبعاد انما كان على مجرى
العادة كما قال زكريا اني يكون لي غلام وقالت مريم اني يكون لي ولد وقرا ابو عمرو والكسائي
بكسر النون حيث وقع في القران تقنط فردا وجمعا وهي لغة الحجاز قال فما خطبكم ايها المرسلون
اي ما شانكم والامر الذي ارسلتم لاجله الخطب كل امر يعتد به ويقع المخاطبة في شانه و
انما علم كونهم مرسلين لامر غير البشارة لانهم جمع من الملائكة والبشارة يقوم بها واحد
كما في بشارة زكريا ومريم وانما قدموا البشارة اما لانهم كانوا مامورين بذلك من عند الله
او لانهم لما راوه وجلا سكنوا جاشه قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين اي قوم لوط الا آل لوط
استثناء منقطع لان المخرج من الحكم على الموصوف يجب ان يكون الوصف ثابتا له كما
اذا قلت جاء الرجال العلماء الا زيدا يجب ان يكون زيد موصوفا بالعلم وصفة الاجرام
منتفية عن الآل او متصل من الضمير في مجرمين كانه قيل ارسلنا الى قوم اجرموا كلهم الا
آل لوط لاهلاك اولئك وانجاء هولاء فان قلت الاستثناء من القوم لا يجوز ان يكون
متصلا لكونه نكرة غير محصورة والاستغراق فلا حاجة الى التعليل المذكور قلت النكرة اذا
وصفت كانت محصورة فلا مانع الا ما ذكر انا لمنجوهم اجمعين لكن جار مجرى خبر لكن
على الانقطاع اي لكن آل لوط منجون واستيناف على الاتصال كانه لما قيل انا ارسلنا
الى قوم مجرمين الا آل لوط فقال ما بال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم الا امراته استثناء
من الضمير المجرور لا من الاستثناء الاول لان شرط الاستثناء من الاستثناء اتحاد الحكم كما في
قولك لفلان على عشرة الا ثمانية الا خمسة وما في الآية ليس كذلك لان آل لوط متعلق
بارسلنا او المجرمين والا امراته تعلق بالمنجوهم فان قلت هل يصح ان يجعل الاستثناء
راجعا الى المجموع عند من يجعل الاستثناء بعد الجمل راجعا الى الكل لا الى الاخيرة وحدها قلت
لا لان ذلك في الجمل المتعاطفة لا المنقطع بعضها عن بعض قرا حمزة والكسائي لمنجوهم بالتخفيف

من الانجا

من الانجاء والتشديد ابلغ قدرنا انها لمن الغابرين الباقين من غبر اذا بقي وهو من
الاضداد وانما علق التقدير لتضمنه معنى العلم او فيه معنى القول فتقع المكسورة بعده
والتقدير فعله تعالى واسناد الملائكة الى انفسهم لقربهم منه تعالى كما يفعل خواص الملك
من اسناد فعله الى انفسهم يشيرون بذلك الى فرط اختصاصهم وقرا ابو بكر قدرنا مخففا
وهما لغتان والتشديد ابلغ واكثر فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون
غير معهودين تنفر منكم قلوبنا قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون يشكون من نزول
العذاب الذي كنت تتوعدهم به وانما كنوا عن العذاب بالموصول لما فيه من الاعتبار
لوجهين تحقق العذاب وتحقق صدقه ولما في لفظ الامتراء من التذكير بما كان يكابد
منهم من التكذيب والجحود واتيناك بالحق بالامر الذي هو كاين لا محالة وانا لصادقون
فيما اخبرناك به وهذا كله تاكيد ظاهر والقصد منه التسلي وتنفيس الكرب عنه والا فلوط
لم تشكك في قولهم بعد علمه بانهم مرسلون فاسر باهلك بقطع من الليل بطايفة من الليل
والقطع بسكون الطاء ظلمة آخر الليل شعر افتحي الباب فانظري في النجوم كم علينا
من قطع ليل بهيم وقرا نافع وابن كثير بهمز الوصل من السري والباقون بالقطع من
الاسراء وهو المختار لاتفاقهم في اسرى بعبده واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد ارشاد
الى ما هو ادخل في الحزم وهو ان يقدم اهله امامه ليكون مطلعا على احوالهم ذاهبا على
آثارهم فارغ القلب وانما نهوا عن الالتفات لئلا يروا ما اصاب قومهم فيرقوا لهم
او لئلا يروا ديارهم واوطانهم فيقلقوا فيكونوا كالمتحسر وجعل عدم الالتفات كناية عن
المسرعة عن مكان حل به غضب الله لان الملتفت لا بد له من ادنى وقفة وفيه اشارة
الى ان من اراد السفر الحقيقي فهو اولى بقطع العلايق وهدم العوايق والاقبال بالكلية على الله
وامضوا حيث تؤمرون وهو الشام او مصر وانما عدى امضوا الى حيث تعديته الى الظرف
المبهم لابهامه في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون وقضينا اليه اوحينا اليه مقضيا ولذلك
عدي بالي وفايدته الدلالة على انه لا محالة كاين ذلك الامر تفسيره ان دابر هولاء مقطوع
ابهمه ثم فسره تعظيما للامر وتفخيما له والمعنى انهم يستاصلون لان دابرهم اذا اهلك لم يبق
منهم احد مصبحين داخلين في الصباح نصبه على الحال اما من هولاء او من الضمير حملا على
المعنى وجاء اهل المدينة يستبشرون باضياف لوط لما راوهم اجمل الخلق قال ان هولاء
ضيفي فلا تفضحون فان الاساءة الى الضيف اساءة الى المضيف وانزال عار به واتقوا الله
باجتناب الفاحشة ولا تخزون لا تذلوني من الخزي وهو الذل او من الخزاية وهي الحياء
لا تخجلوني قالوا اولم ننهك عن العالمين فانه كان ينهاهم عن التعرض للغرباء والواردين
وقيل كانوا نهوه عن انزال الضيف وقبوله قال هولاء بناتي ان كنتم فاعلين اراد بالبنات
نساء امته ومعنى ان كنتم فاعلين الشك في قبول نصحه كانه قال ان كنتم فاعلين ما اقول لكم
ولا اظنكم تفعلونه وقيل كانت له بنات حسان يطلبون نكاحهن فلما اضطر رضي بذلك

فان قلت النظم يدل على ان مقاولة لوط مع قومه كانت بعد علمه بانهم ملائكة ارسلوا
لاهلاكهم فلا وجه للاعتذار بعد علمه قلت الواو لا يدل على الترتيب الا يرى ان قوله تعالى
في سورة هود انا رسل ربك لن يصلوا اليك انما ذكر بعد تلك المقاولة ويأسه عن قبول نصحهم
واظهار الاسف بقوله لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد فان قلت لم غير الاسلوب
ولم يرد النظم على وفق الوجود فلا بد لذلك من داع قلت لما كانت هذه السورة مصدرة
بما فيه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم بل معظم السورة انما سيق لذلك كان مقتضى
الحال تقديم ما هو دال على تفريج الهم عن الصابرين وتنفيس الكرب عنهم لعمرك انهم لفي
سكرتهم يعمهون جملة معترضة والمخاطب رسول الله والضمير في سكرتهم لاهل مكة والخطاب
له والضمير لقوم لوط والعمر بفتح العين لغة في العمر بضمها ولا يستعمل الا باللام في القسم وقيل
القائل هو الملائكة للوط يريدون كفه عن نصحهم لعدم القابلية والوجه هو الاول واراد
بسكرتهم شدة غوايتهم لانهم من فرط جهلهم سكارى لا يفرقون بين الخطأ والصواب
فاخذتهم الصيحة صيحة جبرئيل صاح بهم فهلكوا في مكانهم والتعبير عن الاهلاك بالاخذ اشارة
الى كمال التمكن ولذلك سمي الاسير اخيذا مشرقين داخلين وقت شروق الصبح
او شروق الشمس وقوله مصبحين باعتبار الابتداء فجعلنا عاليها سافلها قرى قوم لوط
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل من طين متحجر او طين عليه كتاب من السجل ان في ذلك
لايات للمتوسمين ان طريق بالتامل في سمة الاشياء يقال وسمت في فلان خيرا او عرفته
وسمة فيه اصله العلامة وانها اي سدوم وهي مدينة التي كان يسكنها وهي وسائر
القرى حولها لبسبيل مقيم طريق واضح ثابت ترونها ايتها المارة من اهل مكة فكان
عليكم ان يعتبروا او لا وليس اقوى من العيان ان في ذلك لايات للمومنين الذين
يصدقون بالايات ويفرقون بين الاشياء وان كان اصحاب الايكة لظالمين هم قوم
شعيب فانه كان مبعوثا اليهم والى اهل مدين والايكة الشجر المتكاثف ولم يبين ظلمهم
وهو البخس والتطفيف لعدم ايراد قصة مستوفاة ولذلك غير الاسلوب فانتقمنا منهم بعذاب
يوم الظلة وانهما اي مدين والايكة دل عليه ذكر الايكة وقيل سدوم والايكة لبامام مبين
ما يتسقان بطريق واضح الامام مصدر معناه ما يؤتم به يطلق على الطريق لان المار يأتم
يطلق على الطريق ولقد كذب اصحاب الحجر المرسلين هم ثمود والحجر واد بين الشام ومدينة
رسول الله وتكذيبهم الرسل انما هو تكذيب صالح لان من كذب نبيا فقد كذب سائر الرسل
لان المعجزة علامة هي دليل النبوة وفي هذا التعظيم ولذلك كثرت هذه العبارة في قصص
سائر الانبياء وعن جابر قال مررنا مع رسول الله على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين
ظلموا الا ان تكونوا باكين لئلا يصيبكم مثل ما اصاب هؤلاء ثم زجر راحلته حتى خلفها واتيناهم
اياتنا فكانوا عنها معرضين هي معجزات نبيهم منها ما اقترحوه وهي الناقة الموصوفة وقيل
ادلة التوحيد وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين طالت اعمارهم نحتوا بيوتا من الجبال

لئلا

لئلا تخرب او لانهم ظنوا من جهلهم انها تنجي من عذاب الله فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى
عنهم ما كانوا يكسبون من نحت الجبال وسائر ما اوجدوه وما خلقنا السموات والارض وما بينهما
الا بالحق الا متلبسا به كالدليل على استحقاق المهلكين لان خلقها متلبسا بالحق يقتضي زوال
الباطل وثبات الحق وان الساعة لاتية قطعا وقع لما يتوهم من ان ما يلحقهم من العذاب
في الدنيا كاف لجزائهم فاصفح الصفح الجميل لا تعجل خطاب له صلى الله عليه وسلم لانه الذي تلى
عليه القصص ان ربك هو الخلاق كامل القدرة على الخلق فهو قادر على استيصالهم ولكن
الحكمة اقتضت الامهال العليم بالاشياء وحقايقها لو لم يعلم ان في الصفح حكمة لما امرك به
نسخت باية السيف وقيل محمول على المخالفة فلا نسخ ولقد اتيناك سبعا من المثاني هي الفاتحة
او السبع الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال والبراءة لانهما في حكم سورة ولذلك
لم يفصل بينهما بالبسملة وقيل هي آل حم وقيل سبع صحائف وهي الاسباع والمثاني من
التثنية وهي التكرير لان الفاتحة تكرر في الصلوة وغيرها او من الثناء لما فيها من الثناء
على الله وحدها مثنا او مثنية صفة للاية واما السور والاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص
ولما فيها من الثناء فكانها تثني على الله تعالى بافعاله ومن ما للبيان او التبعيض ان
اريد بالسبع الفاتحة او الطوال وللبيان ان اريد الاسباع والحق انها الفاتحة لما في الحديث
انها السبع المثاني والقران العظيم الذي اوتيته ولان القران كله او الطوال او آل حم
لم يكن نازلا والتاويل خلاف الاصل مع مخالفة الحديث والقران العظيم من عطف
احد الوصفين على الاخر ان اريد الاسباع والا فمن عطف العام على الخاص لا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم اصنافا من الكفار كلام جار مجرى التعليل كانه يقول له اذا اوتيت
القران العظيم الذي يستحقر دونه كل نعمة فعليك به واستغن عن غيره وعن ابي بكر الصديق
رضي الله عنه من اوتي القران فراى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا
وقيل وافت من بصرى واذرعات قوافل سبع ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز و
الجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في
سبيل الله فقال لهم رسول الله اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع واما حديث
من لم يتغن بالقران فليس منا فالظاهر ان المراد به تحسين الصوت في قراءته ولا تحزن عليهم
على فقراء امتك فيؤدي ذلك الى النظر وتمني الدنيا لهم او لا تحزن على عدم ايمان الكفار
او هلاكهم بالعذاب واخفض جناحك للمؤمنين مجاز عن التواضع لان الطير اذا رق على
افراخه يخفض جناحه وقل اني انا النذير المبين الموضح للانذار ببرهان قاطع كما انزلنا
على المقتسمين متعلق بقوله ولقد اتيناك اي انزلنا عليك كما انزلنا على اهل الكتاب
وقوله ولا تمدن عينيك الى آخره اعتراض لان قوله تعالى ولقد اتيناك سبعا من المثاني
كلام مسوق للتسلية عما كانوا ينسبونه اليه من الجنون ومن كونه شاعرا وساحرا فالنهي عن
الالتفات الى دنياهم والامر بالاقبال اليه تعالى تؤكد تلك التسلية او بقوله انا النذير المبين

اى انذر قريشا مثل ما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القران عضين من العضو فانهم
لما قالوا بعضه حق وبعضه باطل فكانهم عضوا اعضاء وهم اليهود والنصارى حيث قالوا
لما يوافق كتبهم انه حق ولما يخالفه باطل او القران ما يقرؤنه من كتبهم فانهم حرفوها
وبدلوها وفيه تسلية لرسول الله من صنع قومه بالقران من قولهم سحر وشعر واساطير
الاولين كانوا يقتسمون مداخل مكة ايام الموسم فيقعدون على الطرقات ينفرون
الناس عن الايمان وقيل هم الذين قصدوا اهلاك صالح واقتسموا على ذلك على ما حكى
عنهم قالوا تقاسموا بالله لنبيتنه واهله وقيل عضين من العضه يقال عضهته اذا بهته
وفى الحديث لا بعضه بعضا وموالهة وعن عكرمة العضه السحر بلسان قريش وانما
جمع جمع السلامة جبرا لما حذف منه فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون عن
اعمالهم سؤال تقريع ومناقشة وعن ابى العالية يسالهم عما كانوا يعبدونه وما اجابوا به المرسلين
والاولى التعميم فاصدع بما تؤمر فاجهر به وابنه ابانة لا تنمحى اثرها الى اخر الدهر كصدع الزجاجة
لا يقبل الالتيام والصدع الزجاجة الاجسام التفريق ومنه الصديع للفجر كانه لشق جيب
الليل والصداع للراس كانه يشقه والمعنى بما تؤمر به من الشرايع فحذف الجار كما فى قوله
امرتك الخير فافعل ما امرت به ويجوز ان يكون ما مصدرية على بناء المفعول اى مامورك
واعرض عن المشركين نسخ باية السيف انا كفيناك المستهزئين عن عروة بن الزبير هم
خمسة نفر ذوو انساب وشرف فى قريش الوليد بن المغيرة والعاص بن وايل والاسود
بن عبد يغوث والاسود بن عبد المطلب والحارث بن الطلاطلة عن ابن عباس رضى الله عنه
ماتوا كلهم قبل بدر جاء جبرئيل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال امرت ان
اكفيكهم فاومى الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق سهم بثوبه فلم ينعطف لاخذه تعظما فاصاب
عرقا فى عقبه فقطعه فمات منه واشار الى اخمص قدم العاص بن الوايل فدخلت شوكة
فيها فقال لدغت لدغت فانتفخت رجله حتى صارت كالرحا ومات واومى الى عين الاسود
بن عبد المطلب فعمى واشار الى انف حارث بن قيس فامتخط قيحا فمات واشار الى الاسود بن
عبد يغوث وكان قاعدا فى اصل شجرة فجعل ينطح راسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك
الى ان مات الذين يجعلون مع الله الها اخر فسوف يعلمون ما اعد لهم من العذاب ولقد
نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون من الطعن فيك وفيما انزل اليك اشارة الى قولهم انك
لمجنون فانتظمت الخاتمة مع الفاتحة وفيه تنفيس عن حبيبه وازاحة لما ناله من الكرب من
تلك المقالة فسبح بحمد ربك نزه ربك عن كل نقيصة ملتبسا بحمده ولا تشتغل بمكافاة اعدائك
فان لك ربا يكافح عنك وكن من الساجدين وعاد الى مقام القرب ومناجاته ومظهر
الفناء عن نفسه واعبد ربك ودم على عبادته فان السير فى الله ليس له امد اذ تغيبت
ابدا وان بدا غيبى حتى ياتيك اليقين اى نزول العذاب بهولاء او الموت وفى الحديث
لما مات عثمان بن مظعون قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم اما هذا فقد جاءه اليقين

وفى الاية دليل على ان التسبيح والعبادة من اسباب النجاة عن ضيق الصدر والكرب
وفى الحديث كان اذا حزبه امر فزع الى الصلوة اللهم انا نسبحك ونحمدك انك محمود ونسالك
ان تكشف عنا كل كرب وهم وغم نجى من انزلت عليه هذه الايات سورة النحل
مكية الا ثلث ايات فى اخرها وهى مائة وثمانية وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم
اى امر الله فلا تستعجلوه قال ابو جهل والنضر بن الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء فقيل لهم اتى امر الله عبر عنه بالماضى لكونه واجب
الوقوع لا محالة وفيه ايقاظ ليكون ما بعده متمكنا فى نفس حاضرة وتمهيد لما يرد من دلايل
التوحيد سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او عن الذى جعلوه شريكا له كانوا يقولون
لو صح ما يقول محمد تشفع لنا الاصنام فكانه قيل جل سرادق كبريائه عن ان يحوم حوله الاشتراك
فضلا عن الهتهم الجمادات وقرا حمزة والكسائى بتاء الخطاب على وفق تستعجلوه والمختار الغيبة
اهانة لهم وابعادا عن ساحة الحضور ينزل الملائكة بالروح من امره اى من القران والوحى
الذى به حيوة القلوب الميتة بالجهل لمن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا وبما سوى فى
الدين كالروح فى الجسد استعارة مكنية وليس وزان من امره وزان من الفجر بعد ذكر
الخيطين فى البقرة وقرا ابن كثير وابو عمرو ينزل مخففا من الانزال وهو اكثر وروا التشديد
اكثر معنى على من يشاء من عباده من اختاره للرسالة ان انذروا بدل من الروح على
انها مصدرية او مفسرة لان تنزيل الملائكة بالروح فيه معنى القول او مخففة بتقدير ضمير
الشان اى بان الشان انذروا فان قلت اذا كان الضمير مقدرا فلا يستقيم الكلام
الا بتقدير القول بعده قلت فى وقوع الانشاء خبرا من غير تقدير القول خلاف على ان ذلك
لا يجرى فى ضمير الشان لانه عين الواقع خبرا كما اذا قلت كلامى اضرب زيدا والانذار
الاعلام مع التخويف وفى الحديث كان اذا خطب علا صوته واحمرت عيناه كانه منذر
جيش انه لا اله الا انا فاتقون ان الشان انحصار الالوهية فى فخافونى التفت الى التكلم
لان ضمير المتكلم اعرف وابعد عن اللبس ومقام التوحيد يلايمه خلق السموات والارض بالحق
دليل على توحده بما يقطع الشبهة اذ لا يقدر احد على انكاره ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله تعالى عما يشركون عن اشراكهم او عما يشركونه قرا حمزة والكسائى بالخطاب
كالاول والتوجيه كما تقدم وفى الاية دليل على انه تعالى ليس من قبيل الاجرام خلق الانسان
من نطفة من ماء يخرج من بين الصلب والترايب فاذا هو خصيم منطيق مبين مفصح
للحجة بعد ما كان جمادا لا حس به ولا حراك فوجوده دليل على قدرته تعالى اشار الى معنى
قوله سنريهم اياتنا فى الافاق وفى انفسهم او بعد ما كان جمادا ثم صار فى احسن تقويم خصيم
لربه منكر قدرته قائلا من يحيى العظام وهى رميم وهو ابى بن خلف جاء الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعظم بال وقال يا محمد يقول ان الله يحيى هذا بعد ما قد رم والانعام
هى الابل والبقر والغنم منصوب بفعل يفسره خلقها لكم او معطوف على الانسان ثم قال

خلقها لكم اي ما خلقها الا لمصالحكم ايها الناس ثم فصل تلك المنافع بقوله فيها دفء ما يدفأ
به لدفع البرد ومنافع اخرى نسلها ودرها واثمانها ومنها تاكلون على الاستمرار فلا يقدح
الاكل من الطيور وانواع الصيد في تقديم الظرف المقيد للحصر وقيل انما قدم محافظة على رؤس
الاي ولحم الخيل عند من اباح اكله خرج بقيد الاستمرار ولكم فيها جمال حين تريحون ترد
ونها من المرعى الى مراحها وحين تسرحون تخرجونها من المراح الى المراعي وانما قدمت الاراحة
على التسريح لان الجمال حين الاراحة اظهر لانها تعود ملأى البطون حافلة الضروع واقعد لمرأى
من اصحابها من الحضاير وتحمل اثقالكم جمع ثقل بفتح القاف متاع البيت الى بلد لم تكونوا
بالغيه مجردين عن الاثقال فضلا عن حملها على ظهوركم الا بشق الانفس الا بكلفة ومشقة
على انه مصدر او بالنصف كانه ذهب نصف قوته بالتعب وفي الحديث اتقوا النار ولو بشق
تمرة ان ربكم لرؤف رحيم كثير الرأفة والرحمة ولذلك خلق لكم هذه النعم الجسام والخيل والبغال
والحمير عطف على الانعام لتركبوها وزينة عطف على محل لتركبوها او مصدر بتقدير فعله اي
وتتزينوا بها زينة وانما غير الاسلوب لان الركوب مقصود والزينة تحصل بالعرض وقيل
لان الاول فعل الخالق والثاني فعل المخلوق ولا دليل في الاية على حرمة لحم الخيل لان
الخيل غرضه منها الركوب والزينة لا اكل اللحم بخلاف الانعام والذي يقطع مادة الشبهة
ان الصحابة اوقدوا النار على لحم الحمر الاهلية يوم خيبر والاية مكية فلو دلت على الحرمة لم
يلتبس عليهم ويخلق ما لا تعلمون من الاشياء النافع او من المخلوقات وما يعلم جنود
ربك الا هو والغرض بيان كمال اقتداره او ما في الجنة مما لم يخطر على قلب بشر ولا يلائمه
لفظ المضارع وعلى الله قصد السبيل هداية الطريق الموصل اليه والتعبير بعلى لكونه واقعا
لا محالة والقصد في الاصل الاعتدال بين الافراط والتفريط والسبيل اريد به الجنس لقوله
ومنها جائر اي ومن جنس السبيل سبيل جائر لم يوصل الى المطلوب غير الاسلوب وان
كان الضلال بمشيئته لانه ذكره بالعرض ليمتاز عن سبيل الحق ولو شاء لهديكم اجمعين
لو تعلقت مشيته بهدايتكم لخلق فيكم الاهتداء وانتفاؤها لانتفاء سببها هو الذي انزل من
السماء ماء استدل اولا على وحدانيته بخلق السموات والارض لانها الاصول ثم بخلق الانسان
وساير الحيوانات ثم باحوال النبات وعجايبه ازاحة للشبهة عن طريق اشرف المطالب
لكم منه شراب الشراب ما يشرب من تبعيضية اي بعض ذلك شراب لكم او اللام تتعلق
بانزل ولا حصر في التركيب حتى يتقدر بان ساير المياه منه لقوله فسلكه ينابيع في الارض
ومنه شجر يتكون من ذلك الماء فيه تسيمون ترعون مواشيكم من اسمت الماشية اذا
رعيتها من السومة وهي العلامة لانها يؤثر في الارض بالرعي ينبت لكم به الزرع قرأ ابو بكر
بالنون على التعظيم التفاتا من الغيبة والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات
بعض جميع الثمرات لان ما في الامكان لم يقع كله بالفعل لا في الدنيا ولا في الجنة والتقديم
ما تسيمون فيه لكونه اتم لا سيما عند العرب لان جل ماكلهم البان الانعام وملبسهم اصوافها

واوبارها

واوبارها واشعارها وفي ترتيب الزرع والزيتون والنخيل والاعناب روعي ذلك ان في
ذلك لاية لقوم يتفكرون ينظرون نظر تأمل واعتبار اذ نسبة العلويات والسفليات
الى الكل سواء فالتخصيص بالاشكال والصور والطعوم المختلفة انما هو بارادة المختار
وسخر لكم الليل والنهار الليل للسكون والراحة والنهار للكسب والسعي في اسباب المعاش
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بارادته قرأ ابن عامر برفع الاربعة على الابتداء
والخبر ووافقه حفص في الاخيرين والباقون بنصب الكل على العطف في الثلثة وعلى
الحال في الرابع ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون عقولهم وما ذرأ لكم في الارض
خلقه لكم من ساير الاجناس مختلفا الوانه بعضه ابيض وبعضه احمر الى غير ذلك ان
في ذلك لاية لقوم يذكرون افرد الاية في الفاصلة الاولى وذكر التفكر لان الانبات
نوع واحد يحتاج الى تأمل وتدبر لان اخراج النبات الخضر النضر من الحبة اليابسة
امر بديع وجمع في الفاصلة الثانية لان الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم يشتمل على انواع
من الدلالات ولما كانت امور محسوسة لا تتوقف الا على توجه العقل جعله الفاصلة
ولما كان اللون وان اختلف اصنافه مسلكا واحدا وهو في غاية الظهور ختم الاية بالتذكر
الذي هو التفات النفس الى الحاصل عنده من دون تجشم كسب وهو الذي سخر البحر
جعله بحيث تتمكن من سلوكه كالبر يشير الى عجايب البحر بعد ما بين بدايع صنعه في العالم
العلوي والسفلي لتاكلوا منه لحما طريا لحم السمك وصفه بالطراوة لانه ارطب اللحوم يسرع
اليه الفساد وتمسك به مالك والثوري على ان من حلف لا ياكل اللحم يحنث باكل
السمك والجمهور على خلافه لان مبنى الايمان على العرف ومن قال لعبده اشتر اللحم
ثم جاءه بالسمك لم يعد ممتثلا بل ينسب الى البلاهة وهذا كما ان الله تعالى سمى الكافر
دابة ومن حلف لا يركب دابة ثم ركب كافرا لا يحنث اجماعا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها
كاللؤلؤ والمرجان جعل اللبس لهم وان كان اللابس نساءهم لان غرض التزين عايد
اليهم وفي المثل كل ما يعجبك والبس ما يعجب الناس وترى الفلك مواخر فيه جمع
ماخرة من مخر الماء اذا شقه لانها تشق الماء بصدرها وعن الفراء المخر صوت الفلك عند
جريها وانما غير الاسلوب وزاد لفظ الرؤية اشارة الى ان الفلك المواخر مع كونها
نعما ايات باهرة على قدرته ولتبتغوا من فضله بالسفر فيها للتجارة عطف على قوله لتاكلوا
وهو مع قوله ولعلكم تشكرون متعلق بمقدر كانه قيل لتستدلوا بها على الصانع الحكيم
ولتبتغوا من فضله ولكي تشكروا نعمته حيث جعل مظنة الهلاك سببا للانتفاع وتحصيل
المعاش على اهون الوجوه فانها تقطع المسافة العظيمة في لمحة الطرف والقى في الارض
رواسي جبالا ثابتة ان تميد بكم كراهة ان تميد بكم فانها خلقت على وجه الماء فلم تستقر
فارسى الجبال فيها فاستقرت فذلك قوله والجبال اوتادا والمائد الداير ومنه مائدة
الطعام لاستدارة شكلها والقول بانها خلقت كرة حقيقية بسيط وكان من حقها

ان يتحرك على الاستدارة كالافلاك فارسيت بالجبال شيء لا اصل له بل هي اصول فلسفية
يصان عنه كلامه تعالى بل مخالف لقوله كل في فلك يسبحون اذ لو كانت الحركة
للافلاك دون الكواكب فاي معنى للسباحة وانهارا عطف على رواسي بجعل المعنى
اي جعل فيها انهارا لان القى يلزمه الجعل وسبلا لعلكم تهتدون لمقاصدكم والسعي
في اغراضكم او تهتدون بالتامل فيها الى معرفته تعالى وعلامات الامارات التي يستدل
بها السابلة من جبل وشجر واحجار وغير ذلك وبالنجم هم يهتدون بجنس النجم وعن السدي
انه الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وانما اخرج الكلام عن سنن الخطاب
لان المراد بهم قريش الذين كان لهم رحلة الشتاء والصيف وغيرهما من الاسفار فكان
الشكر عليهم اوجب ولذلك آثر طريق الحصر كانه قيل بالنجم خصوصا هولاء خصوصا يهتدون
افمن يخلق كمن لا يخلق انكار بعد اقامة البرهان على تفرده بايجاد المبدعات من السموات
والارض وما فيهما كيف تسوي بينه وبين ما لا يقدر على خلق ذرة وكان الظاهر افمن
لا يخلق كمن يخلق الا انه عدل عنه تنبيها على انهم بالاشراك بالله جعلوه مشابها للمخلوق
العاجز واتي بمن لان تلك الاصنام لما عبدت اجريت مجرى اولي العلم او للمشاكلة
او المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولي العلم فكيف بما لا علم له ولا ادراك
وهذا هو الوجه وفي معناه الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين
يبصرون بها يريد انها منحطة عن درجة هولاء فاذا لم يصلح للالوهية فبتلك عنها بمراحل
افلا تذكرون فتعرفوا فساد ذلك وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها عدد النعم العظام
من انواع شتى ثم اشار اجمالا الى سايرها وانها في الكثرة بحيث لا يقدر احد على عدها فكيف
القيام بشكرها ان الله لغفور حيث يتجاوز عن تقصيركم رحيم لا يقطع النعم بترك
الشكر عليها ولا يعاجلكم بالعقوبة ولما ختم الاية في سورة ابراهيم بقوله ان الانسان
لظلوم كفار ختم هنا بقوله ان الله لغفور رحيم ليكون كل من وصفي العبد من الظلم و
الكفران مقابلا بوصف من الغفران والرحمة ايماء الى ان رحمته سبقت غضبه والله يعلم
ما تسرون وما تعلنون من الاعمال والعقايد فيه وعيد وحث على الاخلاص والذين
يدعون من دون الله والمخاطبون بعض من خوطب اولا لعمومه المؤمن والكافر وقرأ
عاصم بالياء لا يخلقون شيئا من الاشياء وهم يخلقون مخلوقون عجزة تحت قدرة خالقهم
ترق في البرهان اموات غير احياء لم تعترها الحيوة قط او ليس لها حيوة بالذات بل
مستفادا ان كان لها حيوة فيشمل الاصنام وكل ما عبد من دون الله ويؤيد هذا الوجه
قوله وما يشعرون ايان يبعثون لان من لم تمسه الحيوة لا يحتاج الى سلب الشعور عنه
وفيه تهكم بالمشركين بان معبوداتهم لا شعور لها بوقت البعث فكيف تقدر على الشفاعة
وايصال الثواب والعقاب واشارة الى ان البعث من لوازم التكليف لئلا تضيع
اجر المحسنين الهكم اله واحد اعاد المدعى بعد اقامة البرهان تقريرا فالذين لا يؤمنون بالاخرة

قلوبهم

قلوبهم منكرة وهم مستكبرون اي بعد ثبوت الوحدانية ووضوحها لم يكن من المشركين
الا عكس مقتضى العقل وهو الانكار بالقلب والاستكبار وطلب الترفع عن حرف
الجوارح الى ما خلق لها لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون فقال ان الله يعلم سرهم
وعلانيتهم فاعد لهم جزاءهم انه لا يحب المستكبرين جنس المستكبرين فضلا عن الذين
يستكبرون عن التوحيد واذا قيل لهم ماذا انزل ربكم ماذا منصوب بانزل بمعنى اي شيء
انزل او مرفوع بالابتداء اي اي شيء انزله قالوا اساطير الاولين اي ما تدعون نزوله
اساطير الاولين اباطيلهم واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين نظيره ويسألونك
ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب والسائل هو بعض المشركين او الوافدون
او المسلمون والمجيب الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون الوفود الى رسول الله اذا سألوهم
عما انزل اليه سموه منزلا تهكما ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيمة اي انما قالوا ذلك القول
اضلالا للناس عن طريق الرشاد فاللام للعاقبة ومن اوزار الذين يضلونهم بعض اوزارهم
لانهم تسببوا اضلالهم بغير علم حال من المفعول اي اضلوهم غير عالمين بان القايلين
يريدون اضلالهم وفيه دلالة على ان الجهل ليس بعذر بل كان عليهم البحث حتى يظهر لهم
الحق من الباطل وفيه ان كيدهم لا يروج على ذوي الالباب بل انما يقلدهم الاغنام
وفيه ذم لهم اذ لم يقدروا الا على اغواء الضعفة المسترشدين الا ساء ما يزرون اي بئس
شيئا يزرونه فعلهم قد مكر الذين من قبلهم من قبل قريش برسلهم فاتى الله بنيانهم
من القواعد جمع قاعدة وهي الاساطين التي تقيم البناء او الاساس فخر عليهم السقف
من فوقهم اذ لا بقاء للسقف بعد ذهاب القواعد واتيهم العذاب من حيث لا يشعرون
لا يحتسبون ولا يتوقعون مثل حالهم في توكيد حيلهم ليمكروا بها رسل الله ببنيان على قواعد
محكمة ليكون سببا لنجاتهم وكانوا آمنين اذ هدم الله عليهم فجاءة فكان ما اعدوه
للنجاة سببا للبوار وفي المثل من حفر لاخيه قليبا وقع فيه وقيل هو نمرود بن كنعان بنى
الصرح طوله خمسة آلاف ذراع فاصاب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا ثم يوم القيمة
يخزيهم يعذبهم بعذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته ويقول اين شركاي اضافهم
الى ذاته تحجيلا وتوبيخا لهم الذين كنتم تشاقون فيهم تعادون المؤمنين في شانهم
وقرأ نافع بكسر النون على انها نون الوقاية حذف معها الياء اكتفاء بالكسرة تنويها
بشان المؤمنين بجعل مشاقتهم مشاقته قال الذين اوتوا العلم هم الانبياء والملائكة
اوتوا العلم جميعا ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين يقولون ذلك شماتة وتشفيا
حكاه الله تعالى لطفا بالسامعين الذين تتوفاهم الملائكة قرأ حمزة بالياء لان التانيث
غير حقيقي والموصول يحتمل الاوجه الثلاثة ظالمي انفسهم بان عرضوها للعذاب المخلد
فالقوا السلم عطف على قوله قال الذين اوتوا العلم اي اذعنوا واستسلموا وجاؤوا بخلاف
ما كانوا عليه والسلم بفتح اللام والسين مصدر بمعنى الاستسلام والانقياد وما كنا نعمل

من سوء كفره وعناده ان يجحدوا ان يكون صدر منهم ما كان صادرا ولذلك قال انظر كيف
كذبوا بلى جواب اولى العلم ان الله عليم بما كنتم تعملون وهذا او ان جزاؤه والقول بان
هذا الكلام الملائكة حين توفى الكفار يرده قوله فادخلوا ابواب جهنم مع ان انكارهم
وقولهم ما كنا نعمل من سوء لا يعني لجريانه مع الملائكة المتوفين لارواحهم خالدين فيها
فلبئس مثوى المتكبرين مثواهم وقيل للذين اتقوا اى المؤمنين ماذا انزل ربكم منهم الوفود
لاستكشاف خبر رسول الله من القبايل ايام الموسم قالوا خيرا المجيب اصحاب رسول الله
فان الوافد كان يقول اذا كفه المقتسمون عن الاتيان الى رسول الله انا بئس وافد ان
رجعت ولم القه ولم استطلع امر محمد النصب هنا والرفع فيما تقدم للفصل بين جواب
المقر وجواب الجاحد فان هولاء لما سئلوا لم يتلعثموا واطبقوا الجواب على السؤال بينا
مكشوفا مفعولا للانزال واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال وقالوا هو اساطير الاولين
وليس من الانزال في شيء ويجوز ان يكون خيرا مفعول قالوا وقوله للذين احسنوا وما بعده
بدلا من خيرا اى انهم اجملوا الجواب ثم فصلوا ايضا كالمتشددين ويجوز ان يكون للذين
احسنوا الكلام مبتدأ اثنا على القايلين في جوابهم وانه من حسناتهم معدودة في جملتها وهذا
الوجه احسن طبا فكان هذا الوعد في مقابلة الوعيد بقوله ليحملوا اوزارهم في هذه الدنيا
حسنة مكافاة على فعلهم ولدار الاخرة خير ولهم في الاخرة خير منها كقوله فاتاهم الله ثواب
الدنيا وحسن ثواب الاخرة ولنعم دار المتقين دار الاخرة حذف المخصوص لتقدم ذكره
جنات عدن خبر مبتدا محذوف اى لهم ويجوز ان يكون المخصوص وان يكون مبتدا
يدخلونها خبره تجرى من تحتها الانهار خبر اخر وعلى الوجهين الاولين حالان اما من فاعل
الظرف او من فاعل نعم لهم فيها ما يشاؤن من المستلذ وفي تقديم الظرف للدلالة على ان الانسان
لا يجد جميع الاماني الا في الجنة كذلك يجزى الله المتقين الكاف في محل النصب على المصدر اى
مثل ذلك الجزاء وهذا ايضا يؤيد الوجه الاخير الذين تتوفيهم الملائكة طيبين طاهرين من
الكفر والمعاصي لانه في مقابلة ظالمي انفسهم او فرحين ببشارة الملائكة فان المؤمن يبشر اذا
احتضر من طابت نفسه او بالتوجه الى حضرة القدس يقولون سلام عليكم من كل ما يخاف منه
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون اذا بعثتم او الان فان قبر المؤمن روضة من رياض الجنة
على ما نطق به من لا ينطق عن الهوى وقيل هذا وفاة الحشر وليس بشيء اذ لا موت بعد البعث
هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة اى الكفار لقبض ارواحهم وذكر المتقين كان بالعرض لزيادة
تبكيت المشركين وتخسيرهم فيه واشارة الى ان الرسول قد ادى ما عليه من التبليغ او ياتى
امر ربك عذابه بالاستيصال او يوم الجزاء كذلك فعل الذين من قبلهم من الشرك والمشاقة
وما ظلمهم الله بتدميرهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بكفرهم المؤدي اليه فاصابهم سيئات
ما عملوا جزاؤها كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن جزاء الاستهزاء
افرده بالذكر لغاية قبحه لبعد مقام الرسل عن الاستهزاء بهم وفيه تسلية رسول الله بان من تربص

الدايرة

الدايرة عليه دايرة السوء وقال الذين اشركوا اى بالموصول موضع الضمير اشارة الى ان قولهم
لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا اباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء انما هو صادر
عن الكفر يستلزم رفع التكليف لكونه جبرا محضا فيلزم منه سلب القدرة والارادة من العبد
وجعله كالجماد ولا يدل على ان المعاصي ليست بمشية تعالى كيف وقد قال ولو شاء الله ما فعلوه
كذلك فعل الذين من قبلهم من الكفار فهل على الرسل الا البلاغ المبين الواضح وقد بينوا
ان الخير والشر بارادته ومشيته وان ذلك لا يوجب الجبر بل التوسط بين طرفي الافراط والتفريط
واليه اشار لما قالت الصحابة ففيم العمل يا رسول الله اعملوا فكل ميسر لما خلق له ولقد
بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت برهان قاطع على فساد ما ادعاه
المشركون من الجبر وذلك ان كل رسول بعث في امة كان مامورا بان يدعوهم الى التوحيد
والاجتناب عن اتباع الشيطان فلو كانت مشيته تعالى رافعة للوم على الشرك والمعاصي
لما كان لارسال الرسل فايدة فمنهم من هدى الله الى طريق الجنة فاتبعوا الرسل ومنهم
من حقت عليهم الضلالة فكذبوهم وفي ايثار حقت عليهم اشارة الى ان البعض وان
كان عاما الا ان سبق العلم والارادة مانعا عن غيره فسيروا في الارض يا معشر قريش فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين للرسل فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا وقيل الخطاب للمؤمنين تسلية
لهم بان ما اصاب اولئك سيصيب هولاء مثله ان تحرص على هداهم يا محمد فان الله
لا يهدي من يضل من يريد ضلاله قرا غير الكوفيين بضم الياء وفتح الدال على بناء المفعول والمعنى
من يضلله الله لا هادي له والباقون بفتح الياء وكسر الدال والاول هو المختار لان الضلال
فرع اضلاله تعالى وما لهم من ناصرين يدفع عنهم العذاب واقسموا بالله جهد ايمانهم
ما بلغه طاقتهم اى بالغوا في الايمان لا يبعث الله من يموت جواب القسم والقسم مع
جوابه عطف على قوله قال الذين اشركوا ايذانا بانهم كافرون بالتوحيد والمعاد جامعون
بين الغريبين بلى رد عليهم وعدا مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان البعث وعد من الله
بقوله كما بدانا اول خلق نعيده حقا صفة اخرى للوعد ولكن اكثر الناس لا يعلمون لاخلالهم
بالنظر ولعدم تصديق الرسل ونسبة المعجزة الى السحر ليبين لهم الذي يختلفون فيه من الدين
والعقايد وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين في قولهم لا يبعث وذلك ايضا من الدواعي
الى البعث وقيل الجار في الموضعين متعلق بقوله ولقد بعثنا في كل امة رسولا اى بعثنا ليبين
لهم الذي اختلفوا فيه وليعلم المشركون انهم كانوا كاذبين على الله انما قولنا لشيء اذا اردناه
ان نقول له كن فيكون تمثيل لسرعة تكون مراده بعد تعلق الارادة كوجود المامور به من المامور
المطيع لامر الامر المطاع ولا قول هناك وقيل بل جرت سنة الله في ايجاد الاشياء باحداث
كلمة كن اولا وقرا ابن عامر والكسائي فيكون بالنصب عطفا على ان نقول او على انه جواب الامر
صورة وان لم يكن هناك حقيقة الامر لاقتضائها مخاطبا ولا موجودا اذ ذاك فضلا عن المخاطب
والباقون بالرفع على الاستيناف اى فهو يكون وهذا برهان على جواز البعث لدخوله

في العموم والذين هاجروا في الله في شأنه فرارا بدينه وهم رسول الله واصحابه هاجروا من مكة الى
الحبشة والى المدينة ثم عام فتح خيبر هاجر من كان بالحبشة الى رسول الله وهو قد فتح خيبر
فاسهم لهم منهم جعفر الطيار وابو موسى الاشعري وقيل هم المستضعفون الذين تخلفوا عن رسول الله
منهم صهيب هاجر بعد رسول الله فاخذه المشركون وآذوه فقال انا رجل غريب وشيخ كبير
لا اضر ولا انفع فافتدى نفسه بماله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه ربح صهيب
افتدى نفسه بماله فلما جاء رسول الله بقباء استقبله عمر بن الخطاب وكان قد اخبر رسول الله
بينه وبين عمر فناداه عمر وقال ربح البيع والله يا صهيب فقال صهيب والله هذا خبر السماء
يا عمر من بعد ما ظلموا بعد الايذاء والاخراج لنبوئنهم في الدنيا حسنة لننزلنهم منزلة حسنة
وهي المدينة او تبوئة حسنة ولاجر الاخرة اكبر من المعجل في الدنيا وعن عمر رضي الله عنه انه كان
اذا اعطى رجلا من المهاجرين عطاء يقول خذ هذا بارك الله لك فيه وما ادخر الله لك في
الاخرة خير من هذا وافضل لو كانوا يعلمون اي لو يعلم الكفار ما ادخر الله لهؤلاء المهاجرين
لرغبوا في دينهم او لو يعلم المستضعفون ذلك لازدادوا اجتهادا في الدين وصبرا على الاذى
ويؤيده الذين صبروا اي على الشدائد رفع او نصب على المدح وعلى ربهم يتوكلون في
امورهم كصهيب فانه صبر على الاذى وخرج من ماله متوكلا وما ارسلنا من قبلك الا
رجالا نوحي اليهم جواب عن شبهتهم بان الله لو بعث رسولا لكان ملكا ولو كان رجلا
كان معه ملك يصدقه وقرا حفص نوحي بالنون وكسر الحاء فاسألوا اهل الذكر اهل الكتاب
يخبروكم ان الله لم يبعث في ساير الامم الا رجالا نوحي اليهم ان كنتم لا تعلمون والحكمة في ذلك
سهولة الاخذ منهم ولذلك قال ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وقيل الا ملائكة متمثلين بصورة
الرجال وليس بشيء لقوله في سورة يوسف الا رجالا من اهل القرى ولا لان رسول الله راى
جبرائيل في صورته لان تلك الرؤية لم يكن في حال الارسال بالوحي بل اراه الله اياه على تلك
الصورة كما اراه ساير عجايب الملكوت بالبينات والزبر متعلق بارسلنا او بنوحي اي
نوحي اليهم بالبينات وقوله فاسألوا اهل الذكر اعتراض او بلا يعلمون على ان الشرط للالزام
والتبكيت كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني اجري مع انه لا يشك في عمله وقيل
متعلق بارسلنا داخل تحت حكم الاستثناء والتقدير ما ارسلنا جماعة من الجماعات بشيء من
الاشياء الا رجالا بالبينات والحق عدم جوازه لابتنائه على جواز تعدد المفرغ والحق عدم
جوازه للزوم الالتباس او وجوب ان كل ما وقع بعد الا محصور فيه وان لا يكون فرق بين
ما ضرب الا زيد عمرا زيدا والفرق واضح جلي وانزلنا اليك الذكر اي القرآن لتسمية بالذكر
لاشتماله على المواعظ او لكونه شرفا له بقوله لقد انزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم لتبين للناس
ما نزل اليهم من الاوامر والنواهي والوعد والوعيد ولعلهم يتفكرون ولكي يتفكروا فيه ويدركوا
اعجازه فيتوسلوا به ونبوة من انزل اليه افأمن الذين مكروا السيئات اي المكرات وهم اهل مكة
واولئك الذين كفروا والذين يحتالون لهلاك الانبياء والاستفهام للتقرير اذ لو لم يأمنوا

لما مكروا

لما مكروا ان يخسف الله بهم الارض كما خسف بقارون او يأتيهم العذاب من حيث
لا يشعرون كما فعل بعاد وقوم لوط او يأخذهم في تقلبهم في اسفارهم ومسايرهم كما فعل
بالحبشة حين قصدوا هدم الكعبة فما هم بمعجزين سابقين القدر او يأخذهم على تخوف
واستشعار بالعذاب كما فعل بقوم صالح مقابل قوله من حيث لا يشعرون والغرض منه
التعميم وقيل التخوف التنقص شيئا فشيئا والمعنى يتنقص منهم شيئا بعد شيء في اموالهم وانفسهم
وقد روي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ
من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص فقال هل تعرف العرب ذلك في اشعارها
قال نعم قال شاعرنا ابو كبير يصف ناقته لقد تخوف منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة
السفن قال عمر عليكم بديوانكم لا تضلوا قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فيه تفسير كتابكم
ومعاني كلامكم فان ربكم لرؤوف رحيم حيث لم يعاجلكم بالعقوبة اولم يروا الى ما خلق الله
من شيء ما موصولة ومن بيانية والاستفهام للتقرير بما دخله النفي وهو الاثبات وقد قيل
انه للانكار والمعنى واحد وقرا حمزة والكسائي اولم تروا بالخطاب وهو المختار لقوله ان
ربكم لرؤوف رحيم يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل الفيء هو الظل الراجع بعد الزوال من
استعمال المقيد في المطلق افرد اليمين وجمع الشمال نظرا الى اللفظ والمعنى لم يعكس لان
قوة اليمين جابرة نقصان الجمع لفظا وقرا ابو عمرو تتفيؤ مؤنثا والتذكير احسن لعدم العامل
سجدا لله حال من الظلال وهم داخرون حال من المجرور لانه في معنى الجمع وفيه ترتيب حسن
فانه لما اوقع السجود حالا عن الظلال جعل الدخور الذي هو انقياد فهو وصفا لاصحابها
او جعلهما حالين من الظلال موات وذلك احسن والعامل في الحال الثانية يتفيؤ ايضا
كما مر في بل ملة ابراهيم حنيفا ولله يسجد ما في السموات وما في الارض من دابة بيان
لما في السموات والارض جميعا على ان في السموات خلقا يدبون كما يدب الاناسي
وساير الحيوانات في الارض او هو بيان لما في الارض وحده والملائكة عطف على
المبين عطف الخاص على العام او هي ملائكة الارض او ما في السموات خلق آخر
وهو الروح الذي اخبر الله عنه بقوله يوم يقوم الروح والملائكة وما قيل من انه من
عطف المجردات على الجسمانيات واستدل به على ان الملائكة ارواح مجردة ومعنى
السجود الانقياد والشامل للعقلاء وغيرهم لفظا ما يشملهم وهم لا يستكبرون حال من الملائكة
يخافون ربهم من فوقهم حال من ضمير يستكبرون او استيناف بيان لنفي الاستكبار
وهذا اولى لئلا يتقيد الاستكبار وليدل على ثبوت هذه الصفة على الاطلاق ومن فوقهم
متعلق يخافون والمعنى يخافون نزول العذاب من تلك الجهة كقوله عذابا من فوقكم
او بربهم حال منه اي يخافونه عاليا عليهم كقوله وهو القاهر فوق عباده وفيه دليل على
ان الملائكة مكلفون وانهم خائفون من عذابه ويفعلون ما يؤمرون فيه دليل على
عصمتهم لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين

وصف الالهين بالاثنين مع ان المثنى نص فى مدلوله كقولك رجلان وثوبان
اشارة الى ان مصب النهى هو الاثنينية فانهما اثنان فى الالوهية ولما احتمل الكلام ان يكون
لخصوصية الاثنين مدخل فى ذلك النهى ازاله بقوله انما هو اله واحد لاشريك له فى
الالوهية راسا ولا خصوصية لعدد بل الوحدانية من لوازم الالهية فاياى فارهبون
التفت الى التكلم لانه ابلغ فى الترهيب وفيه ايماء الى انه ذلك الواحد وله ما فى السموات
والارض من الكاينات الخارجة والداخلة فيهما وله الدين لا لغيره واصبا لازما لتفرده
بالالوهية او من الوصب وهو المشقة اى ذا كلفة ومشقة ولذلك سمى تكليفا والدين الجزاء
الدايم وهو الثواب والعقاب افغير الله تتقون بعد ما تبين لكم انه المتوحد فى الالوهية
والحقيق بالتقوى وما بكم من نعمة فمن الله وما اتصل بكم من نعمة فهو من الله ولما كان
اتصال النعمة بهم سببا للعلم لكونها من الله ادخل الفاء فى خبر الموصول وما قيل هو لا قوم
اعطوا النعم فشكوا فى موليها فكان ذلك سببا للاعلام بانها من الله ففيه ان قوله ثم اذا
مسكم الضر فاليه تجأرون صريح فى انهم عالمون بذلك المولى كيف والخطاب شامل للمومن
والكافر الجوار رفع الصوت بالدعاء وفى الحديث كانى بموسى يجد فى الوادى وله جوار
بالتلبية ثم اذا كشف الضر عنكم اذا فريق منكم بربهم يشركون وهم الكفار فان قوله وما بكم
من نعمة خطاب عام لشمول النعم المومن والكافر وان خص الخطاب بالمشركين فلان منهم
من اعتبر لقوله فلما نجاكم الى البر فمنهم مقتصد ويجوز ان يكون من بيانا كانه قيل فاذا فريق
كافر وهم انتم ليكفروا بما آتيناهم تلك العرفة وكان الواجب عليهم شكر تلك النعم
فبدلوه كفرانا ولذلك جعلوه كالعرض فتمتعوا امر تهديد فسوف تعلمون وخامة ما انتم
فيه ولئن كفرتم ان عذابى لشديد ويجعلون لما لا يعلمون ما لا يعلمون آلهتهم لاعتقادهم
تضر وتنفع فهم جاهلون بها فالعايد محذوف والضمير فى لا يعلمون للآلهة اى لاشياء
لا علم لها بل هى جمادات وضمير العقلاء لادعائهم ذلك فيها نصيبا مما رزقناهم
من الضروع والزروع تقربا اليها تالله لتسألن عما كنتم تفترون من انها يستحق
الالوهية والتقرب ويجعلون لله البنات كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة
بنات الله سبحانه تنزيه او تعجيب ولهم ما يشتهون من الذكور وفيه غاية الوعيد
حيث لم يرضوا لانفسهم البنات وارتضوها لخالق السموات ويجوز فيما يشتهون الرفع
على الابتداء والنصب عطفا على البنات فان قلت قد نقل عن الزجاج ان العرب
لا تقول جعل زيد له ما يشتهى وذلك يدل على عدم جواز النصب قلت قول الزجاج
محمول على جعل الظرف لغوا فيلزم الجمع بين ضميرى الفاعل والمفعول فى غير فعل
القلب واما اذا جعل مستقرا فلا محذور ولا حاجة الى الاعتذار بانه يجوز فى المعطوف مالا يجوز فى المعطوف صح
عليه واذا بشر احدهم بالانثى اخبر عبر عنه بالبشارة اشارة الى انها بشارة وان
كره لان الولد نعمة من الله ذكرا كان او انثى الا يرى الى قوله يهب لمن يشاء اناثا

او سو

او سوء من استعمال احد الضدين فى الآخر ظل وجهه مسودا صار اسود غاية السواد
لاعتراء الغم وتراكم الهم كما يستنير وجه المستبشر عند عروض السرور او ظل من الظلول فانه
وقت اجتماع الناس وحينئذ يقع الخجل وهو كظيم مملو غضبا او كاظم غيضه ساترا اياه
يؤيده قوله يتوارى من القوم يستتر منهم حياء من سوء ما بشر به لاجل قبح المبشر به وكونه
عارا عليه ايمسكه على هون ام يدسه فى التراب فى موضع الحال من فاعل يتوارى والمعنى
مستتر من الناس مترددا فى الحفظ المبشر به ويرضى بالذل والهوان وبين ان يدفنه فى التراب
وهو الوأد الا ساء ما يحكمون حيث يجعلون الولد الذى محله عندهم هذا لمن له ملك
السموات والارض للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء الصفة التى تورث النقص
وهى الاحتياج الى الولد والى كل قليل وكثير وضع الموصول موضع الضمير اشارة الى ان
صدور ذلك القول منهم منشاؤه عدم الايمان بالآخرة ولله المثل الاعلى الشان الاعلى
من كل ما ينسب اليه وله الغنى المطلق وهو العزيز الغالب على كل شئ فلا احتياج له الى
ولد يستظهر به الحكيم فى صنعه ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم بكفرهم ومعاصيهم ما ترك عليها
اى على الارض ودل عليها ذكر الناس وهذا اعم من قوله ما ترك على ظهرها من دابة قط
بشوم معاصيهم وفى الحديث ان الكافر اذا مات استراح منه الناس والدواب وعن
ابن عباس رضى الله عنهما من دابة من مشرك وعلى هذا ذكر الدابة للتحقير ولكن يؤخرهم الى
اجل مسمى لحكمة اقتضت ذلك اما ليتوب بعضهم او يولد له من يؤمن او ليزدادوا اثما ولهم عذاب
مهين فاذا جاء اجلهم المحتوم لا يستأخرون ساعة عنه ولا يستقدمون عطف على الشرطية
والاضافة للظلم الى الناس باعتبار وقوعه منهم فلا يلزم العموم ويجعلون لله ما يكرهون
من البنات والشركة فى الرياسة وبذلهم ارذل الاموال فى الصدقات وابواب البر وتصف
السنتهم الكذب تظهره ان لهم الحسنى بدل من الكذب او بان لهم الحسنى عند الله فى مقابلة ذلك
القبيح كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى لا جرم ان لهم النار بسبب ذلك لهم النار
وانهم مفرطون متجاوزون الحد اسم فاعل من افرط فى الشئ بالغ فيه قرأ نافع مفرطون
بكسر الراء من افرط فى المعصية بالغ فيها وغيره بفتح الراء اسم مفعول من افرطه قدمه لطلب
الماء والمنزل اى مقدمون الى النار او من افرطه تركه ورا ظهره اى منسيون من رحمته وهذا
ابلغ واليق بالمقام لان كونهم متجاوزين قد علم من قوله ويجعلون لله البنات تالله لقد
ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فاصروا على ذلك الى ان ماتوا على
الكفر فهو وليهم اليوم حكاية حال ماضية لانه من تتمة حال الامم المرسل اليها واليوم عبارة
عن زمان الدنيا فيتناول الماضى والمعنى ان الامم السالفة انما كانوا مخذولين فى الدنيا
لكون الشيطان كان وليا لهم وناصرا وفيه تسلية لرسول الله ووعيد للمشركين او اليوم
حكاية حال آتية اى يوم يعذبون بالنار لا ناصر لهم الا الشيطان وفيه تهكم بهم ونفى للناصر
على ابلغ وجه او اليوم هو الزمان الحاضر والمعنى زين للامم قبلك وفرغ من امرهم فهو الآن

في هؤلاء الذين يكذبونك وفيه مزيد التسلي والتشفي ولهم عذاب اليم يوم القيمة
وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه من احوال المبدا والمعاد اصولا
وفروعا وهدى ورحمة لقوم يؤمنون معطوفان على محل لتبين ولم يظهر اللام لانهما فعلا
المنزل بخلاف الاول فان قلت اذا اختص كونه هدى بالمؤمنين فما معنى التبيين للناس
قلت البيان هو الكشف عن موضع اللبس بحيث لا يخفى على احد سواء قبله او عن له ولا
كونه هدى للمؤمنين بمعنى انهم قبلوه والتزموا العمل بموجبه والله انزل من السماء ماء فاحيا به
الارض بعد موتها بعد اقامة البراهين على وجود الصانع ووحدانيته حكى عنهم انواعا
من الكفر والضلالات ثم عاد الى ابداء الدلايل القاطعة ازاحة للعذر وايضاحا للسبيل
لان مقام اثبات الصانع والتوحيد اجل المقامات واسعد المقاصد فهو خليق بذلك
ان في ذلك لاية لقوم يسمعون سماع تدبر لان من لم يتدبر بعد السماع فكانه اصم
وان لكم في الانعام لعبرة دليلا يعبر به الى العلم بوجود صانع حكيم نسقيكم مما في بطونه بيان
لكونه دليلا وعبرة وتذكير الضمير الراجع الى الانعام لكونه مفردا كما نص عليه سيبويه واما تانيث
الضمير في سورة المؤمنين فباعتبار المعنى لانه اسم جمع وقيل الضمير لبعض الانعام لان اللبن
مختص به وقرا نافع وابن عامر وابو بكر بفتح النون وهو اكثر دورا من بين فرث
ودم لبنا متوسطا بينهما اسفل البطن محل الفرث واعلاه مكان الدم لان القلب والكبد
ذات اليمين وذات الشمال مشغلان انه موضعا الدم والضروع ايضا محلها اعلى البطن فعلى
هذا من في من بين فرث ودم متعلق بنسقيكم على انها ابتدائية لان بين الفرث والدم
محل الاسقاء به ومنه التكون والظهور كقولك سقيت من الحوض والاولى تبعيضية لان اللبن
بعض ما في البطون خالصا صافيا لا يشوبه شيء من الفرث والدم يدل على كمال القدرة كقوله
بينهما برزخ لا يبغيان سايغا سهل المرور في الحلق من التسوغ وهو الدخول للشاربين وكره
امتنانا ومن ثمرات النخيل والاعناب ثم عطف على قوله وان لكم في الانعام او من عصيرها
عطف على مجموع السابق لا على ما في بطونه لفظا ومعنى ويتعلق بنسقيكم مقدرا وقوله
تتخذون منه سكرا بيان لكيفية الاسقاء ويجوز ان يكون متعلقا بتتخذون ومنه تكرار للتاكيد
وتذكير الضمير لعوده الى العصير المحذوف والسكر بفتح الكاف مصدر سكر مثل رشد رشدا الخمر
تسمية بالمصدر وفي الحديث حرم السكر من كل شراب والاية منسوخة وقيل السكر الطعام قال
الازهري انكره اهل اللغة والعرب لا تعرفه ورزقا حسنا التمر والزبيب وغيرهما مما عدا الخمر
وفيه اشارة الى ان الخمر مع كونه مباح الشرب ليس من الرزق الحسن ولذلك لم يشربها
الانبياء قط وان فسر السكر الطعام جاز ان يكون رزقا حسنا هو السكر والعطف للتغاير
صفة ومن للتبعيض لان بعضها لا يؤكل طريا ان في ذلك لاية لقوم يعقلون يستعملون عقولهم
في التامل والتدبر في المصنوعات واوحى ربك الى النحل شروع في نوع اخر من الدلايل على
وجود الصانع الحكيم والوحي لغة السرعة وفي الحديث الوحا الوحا ويطلق على الكتابة والرسالة

والاشارة

والاشارة والكلام الخفي والالهام وهو المراد هنا ان اتخذي ان مفسرة او بان اتخذي
والتانيث لان النحل اسم الجمع كالناس من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون بعض
الجبال والشجر وما يعرشون من الكروم والسقوف لانها لا تبتنى في الكل ولا في كل مكان
منها والبيت ما يبيت فيه الحيوان ويأوي اليه انسانا كان او غيره ومنه بيت العنكبوت
فلا احتياج الى التشبيه ببيت الانسان ثم كلي من كل الثمرات ارشدها الى العمل بعد اتخاذ
المنزل والمراد بعض كل الثمرات وفيه طباق بين من ولفظ كل فاسلكي سبل ربك اي الطرق
التي الهمك في عمل العسل او فاسلكي ما اكلت في سبل ربك اي في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته
النور المر عسلا من اجوافك ومنافذ ماكلك واذا اكلت الثمار من المواضع البعيدة من
بيوتك فاسلكي اليها سبل ربك راجعة لا تزل فيها ولا تضلي او اسلكي سبل ربك في طلب
النجعة واكل الثمرات ذللا جمع ذلول من الذل بالكسر وهي اللين صفة الصعوبة حال
من السبل اي مذللة لك او من الفاعل اي وانت مذللة منقادة لما اريد والوجه هو الاول
يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه عدل من الخطاب الى الغيبة لفراغ التعليم المقتضي
له والشروع في المقصود الذي كان ذلك الالهام والتعليم لاجله وهو الامتنان على الانسان
بايصال ذلك النفع البالغ اليه والشفاء القالع للمرض الذي هو غاية الاماني مع كون الدواء
من الذ الاشياء واشهى المشتهيات من ذلك الحيوان الضعيف الذي لا يهتدي العقل
الى تصور المناسبة بينهما فيه شفاء للناس نوع منه فالتنوين للتعظيم وقيل فيه شفاء من
كل داء وقد روي فيه حديث فعلى هذا يكون فيه شفاء الكل داء اما بسيطا او مركبا لا تقتضي
وجود الشفاء في كل وقت بل يعتبر في ذلك مصادفة الدواء الوقت اللايق ونضج المادة
وساير ما يعتبر طبا وبذلك يؤول الحديث الذي رواه قتادة ان رجلا جاء الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال ان اخي يشتكي بطنه فقال اسقه عسلا فقال سقيت وما نفع
فقال اسقه عسلا صدق الله وكذب بطن اخيك كذب البطن عبارة عن عدم
قابلية المحل عبر عنه بالكذب لوقوعه في مقابلة الصدق طباقا ونوعا من المشاكلة وقيل
الضمير للقران وهو بعيد جدا ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون في بدايع صنع الله اين
النحل من تلك الصنعة البديعة في تلك البيوت على ذلك الوضع والشكل المسدس
الذي اقل الاشكال فرجا الذي لا يطلع عليه الا الحاذق في علم الهندسة ولغموض
المعنى والاحتياج الى مزيد التامل ختم الفاصلة بالتفكر الذي يقتضي اعمال الروية وترتيب
المبادي والله خلقكم ثم يتوفيكم عند حلول الاجال ومنكم من يرد الى ارذل العمر اخسه
وهو الزمان الذي ينقص فيه القوى والعقل وفي دعائه صلى الله عليه وسلم واعوذ بك ان
تردني الى ارذل العمر روي عن علي رضي الله عنه انه خمس وسبعون سنة وعن قتادة خمس
وتسعون والحق انه يختلف باختلاف الاشخاص وتفاوت القوى والعقول لكيلا يعلم
بعد علم شيئا كناية عن غاية النسيان وتنكس الاحوال ونقصان القوة الحافظة كالطفل

فانه اذا علم شيئا لم يرث ان ينساه او لا يقدر على كسب علم زايد لوقوف الفهم ونقصان
الدراكة ان الله عليم بالاشياء قدير على ما يشاء والله فضل بعضكم على بعض في الرزق
منكم الغني ومنكم الفقير ومنكم المكثر ومنكم المقل فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت
ايمانهم لم يساووهم فيه ليكون ذلك شكرا لتلك النعمة روى البخاري عن معرور انه راى
ابا ذر وعليه حلة وعلى غلامه حلة فسأله عن ذلك فقال قال رسول الله اخوانكم خولكم
جعلهم الله تحت ايديكم اطعموهم مما تطعمون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل الا
ما يطيقون فهم فيه سواء الموالي والمماليك في ذلك الرزق سواء لان الله هو الرزاق
حقيقة افبنعمة الله يجحدون حيث لا ينفقون على امثالهم مع انهم عباد مربوبون مثلهم
او المعنى انكم لا ترضون بالمساواة مع عبيدكم واماكم مع كونكم تشاركونهم في النوع فكيف
تجعلون لله اندادا من مخلوقاته او ان الموالي والعبيد كلهم عبادي وانا رازقهم فلا يحسبن
الموالي انهم رادون على مماليكهم من الرزق شيئا وفيه اشارة الى ان المن والاعجاب
مقدمتا الكفران وقرا ابو بكر تجحدون بالخطاب والله جعل لكم من انفسكم ازواجا نوع آخر
من دلائل الانفس مع كونها نعما جزيلة اذ بالازواج يحصل الانس والتناسل وقيل اراد
خلق حوا من ضلع آدم وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اولاد الاولاد وقيل بنات
لانهن يسرعن في الخدمة واصل الحفد السرعة ومنها دعاء القنوت واليك نسعى ونحفد
وقيل الخدم مطلقا وعلى هذا من ازواجكم حال من بنين مقدما ورزقكم من الطيبات
بعضها لان كل الطيبات انما يكون في الجنة وما في الدنيا انموذج منها افبالباطل يؤمنون
وهو ما يعتقدونه من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وبنعمة الله هم يكفرون حيث
يحرمون ما احل الله وتقديم الصلة للحصر لان من جعل الموهوم متيقنا وانكر المتيقن وجحده
مع قيام البرهان لا اكفر منه وقيل للمحافظة على الفواصل ويعبدون من دون الله ما لا يملك
لهم رزقا من السموات والارض شيئا نعى عليهم بعد اقامة البراهين على وحدانيته بانهم
اشركوا به جمادات لا حس ولا حراك بها والرزق اسم المصدر بمعنى عمله فشيئا منصوب
او هو بمعنى المرزوق فيكون بدلا منه ومن السموات والارض صلة الرزق ان كان
مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا وصفه ان كان اسما لما
يرزق ولا يستطيعون نفي للامكان بعد نفي الفعل ترقيا وجمع الضمير وافراده باعتبار
لفظ ما ومعناه وقيل ضمير الجمع راجع الى الكفار اي هؤلاء مع كونهم احياء متصرفين في
الامور لا يقدرون على ذلك فكيف بالجمادات ولا حاجة الى تقدير الراجع الى الرزق لان
المعنى على نفي الاستطاعة راسا فلا تضربوا لله الامثال فلا تشركوا به عدل الى المثل لان
من اشرك به شيئا فقد شبهه به ففي النهي عن ضرب المثل له تعالى نهي عن التشبيه به ذاتا
ووصفا وفي لفظ الامثال ليس لا مثل له نعي عظيم على القايل ويستحيل على عباده وليس فيه
ان اسماءه تعالى توقيفية ان الله يعلم قبح ما يقولونه ويعتقدونه وانتم لا تعلمون تعليل للنهي

عن ضرب الامثال او نهي عن ضرب المثل حقيقة فانه يستدعي العلم بحال المشبه والمشبه به وكيفية
وجه الشبه وانتم عراة عن العلم منهمكون في التقليد لا تعرفون حقايق الاشياء بل انما تعبدون
الاسماء من غير نظر الى المسمى ثم علمهم ضرب المثل فقال ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على
شيء ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون مثل حاله تعالى في
كمال قدرته في ما شاء وكيف شاء وحال الاصنام التي جعلوها له شركاء مع انها لا تقدر على
شيء راسا بالمملوك الذي ليس له قابلية الملك والتصرف اصلا والحر الذي اعطي مالا وافرا
وهو مطلق العنان لا حجر عليه ولا حاجز دونه ودون مرامه وقيد المملوك لاخراج الحر فان
العبد يطلق عليهما ولا يقدر على شيء لاخراج المكاتب والمأذون والاية دلت على ان المملوك
ليس محل التمليك كما ذهب اليه مالك ومن في من رزقناه الاولى ان يكون موصوفة لوقوعها في
مقابلة عبدا وقيد الرزق بالحسن لاخراج الحرام اذ لا مدح في انفاقه ويحتمل ان يراد به الكثرة
ليتسع مجال الانفاق منه وجمع الضمير في لا يستوون لارادة الجمع كانه قيل لا يستوي الاحرار و
العبيد لئلا يتوهم ان ذلك التفاوت ناش من الخصوص الحمد لله كل الحمد له لانه المتفرد بالايجاد
والقدرة المؤثرة فلا استحقاق لغيره بل اكثرهم لا يعلمون قيد الاكثر لاخراج الاقل فانهم يعلمون
ويجحدون او ضرب الله مثلا رجلين احدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه ابلغ واوضح
فيما سيق له الكلام من بيان عجز ما يعبدونه من المثل الاول والابكم من ولد الاخرس وقيده
بكونه لا يقدر على شيء ومع ذلك ثقل وعيال على من يتولى امره وحاصله انه عديم النفع مع الضرر
الظاهر اينما يوجهه لا يأت بخير لان مناط الخير القول والفعل وهو عار عنهما هل يستوي
هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم قابل تلك الصفات بنقايضها لان الامر
بالعدل من لوازمه النطق والعلم والقدرة والاستقامة في الاعتقاد والعمل انما قدم الامر بالعدل
وان تأخر عن الاستقامة لتقدمه شرفا ولله غيب السموات والارض علم ما غاب فيهما او علم
ما غاب عنهما اي عن اهلهما بيان لكمال علمه بعد ابطال الشبهة وما امر الساعة الا كلمح البصر او
هو اقرب اذا استهونوا فعل شيء واستقربوه يضربون له بذلك مثلا بيان لكمال قدرته
وتساوي الممكنات بالنسبة اليها والمعنى بل مثل الى مائة الف او يزيدون ان الله على كل
شيء قدير برهان على ذلك لاندراجه في الكلية والله اخرجكم من بطون امهاتكم دليل على
كمال قدرته بما لا ينكرونه وقرا حمزة والكسائي بكسر الهمزة اذا وصل بما قبله للاتباع وزاد حمزة كسر
الميم اتباعا للاتباع وهو المختار للخفة لا تعلمون شيئا من الاشياء وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة آلات الادراك قيل من فقد حسا فقد علما وتقديم السمع لانه يتلقى به اوامر الشارع
لعلكم تشكرون مولي تلك المعارف التي هي اجل النعم بعد ذلك الجهل الذي لا دوا او دوا منه
الم يروا الى الطير من دلائل الآفاق بعد ذكر دليل الانفس مسخرات مذللات للطيران بما
خلق لها من الاسباب المواتية له في جو السماء جو الشيء داخله وجو السماء ما بينه وبين الارض
من الهواء وفي حديث علي فتق الاجواء وشق الارجاء وفي رواية سكائك الهواء جمع سكاكة قيل هي

بعد من الجو ما يمسكهن الا الله اذ لا دعامة منك ولا علاقة والجسد بثقله يقتضي السقوط
ان في ذلك لآيات دالة على علم الصانع وقدرته من وجوه شتى خلق الطير على الحالة التي
يمكن له الطيران وخلق الجو على الوجه الذي يمكن للطير قطعه باجنحته كالماء للسابح وامساك
الطير على خلاف مقتضى الطبع لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بها استدلالا على وحدة الصانع
وقدرته والله جعل لكم من بيوتكم سكنا موضع السكنى فعل بمعنى مفعول البيوت المتعارفة
وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا المتخذة من الادم وكانت العرب تتخذ القباب منها وفي
الحديث نزل عليه الوحي وهو في قبة من ادم تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم تجدونها
خفيفة الحمل في الضرب والنقض وقت النزول في السفر الترحال وفي اوقات السفر والحضر فاليوم
لمطلق الزمان قرا ابن عامر والكوفيون بسكون العين وهو اشهر واخف ومن اصوافها
واوبارها واشعارها الصوف للضان والوبر للابل والشعر للمعز اثاثا ومتاعا عطف على
سكنا والاثاث متاع البيت لا واحد له والعطف باعتبار الصفة وعن ابي زيد الاثاث
المال والغنم والعبيد والمتاع الواحد اثاثة وعلى هذا من عطف الخاص على العام الى حين
مدة مديدة لصلابتها او الى حين انقضاء اعماركم او الى ان تبلى وتفنى والله جعل لكم مما خلق
من الشجر وسائر المستظلات ظلالا تتقون به حر الشمس وجعل لكم من الجبال اكنانا مثل
الكهوف والغيران جمع كن وهو ما يستتر به من كننت الشيء سترته والعرب تسمي العروس
كنة لانها تستر عن الاعين وجعل لكم سرابيل جمع سربال وهو قميص تقيكم الحر خصه بالذكر
لانه اكثر عندهم او اكتفاء باحد الضدين لان دافع احدهما دافع للآخر وسرابيل تقيكم بأسكم
في الحروب كالدروع والجواشن قال كعب بن زهير شم من نسج داود في الهيجا سرابيل كذلك
يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون تؤمنون به وتنقادون لامره اذا نظرتم فيها كيف والكلب
ينقاد ويخضع لمن اطعمه كسرة يابسة فان تولوا اعرضوا ولم يقبلوا ما ارسلت به فانما عليك
البلاغ المبين فقد تمهد عذرك بابلاغ ما وجب عليك ابلاغه ذكر السبب ليدل على المسبب
يعرفون نعمة الله التي عددت ثم ينكرونها باضافتها الى الاصنام وقولهم انما رزق ببركتها
وشفاعتها او لما لم يقدموا الشكر للمنعم فكان ذلك بمنزلة الانكار وقيل النعمة نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم عرفوها بالمعجزات ثم انكروها ومعنى ثم استبعاد الانكار بعد المعرفة واكثرهم
الكافرون الجاحدون وانما قيد بالاكثر اما اقامة له مقام الكل كما في قوله بل اكثرهم لا يعلمون
او لان كفر الاقل ليس عنادا بل تفريطا في النظر وقيل او لانه لم يبلغ حد التكليف وفيه ان ذلك
ليس داخلا في الخطاب فلا يحتاج الى قيد مخرج ويوم نبعث من كل امة شهيدا يشهد عليهم
ولهم بالايمان والكفر ثم لا يؤذن للذين كفروا في الاعتذار فلا حجة لهم وقيل في الرجوع الى
الدنيا لقوله اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون ومعنى ثم انهم بعد شهادة الانبياء يبتلون
فيما هو اطم منها وهو عدم الاذن في الكلام لان الواقع في البلية قد يتنفس بعض تنفس اذا
اذن له في ابداء المعذرة واولى الحجة وان كان موقنا بانه لا يجديه نفعا ولا هم يستعتبون

ولا يطلب

ولا يطلب منهم العتبى وهو الرضا يقال استعتبت فلانا اي طلبت منه ان يرضيني فاعتبني
اي ارضاني وفي الحديث لا مستعتب بعد الموت ورداته لا تكليف حتى يتدارك المعاصي
بالطاعات وانتصاب يوم لمحذوف نحو اذكر وخوفهم واذا رأى الذين ظلموا العذاب عذاب
النار يغتهم جواب الشرط فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون الفا في شدة فضيحة واذا رأى
الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك انما يقولون
هذا الكلام ليدفعوا عن انفسهم العذاب ويوجهوه الى الشركاء لانهم ضلوا بسببها فالقوا اليهم
القول انكم لكاذبون اجابهم الشركاء بهذا القول فان كان من الملائكة وعيسى وعزير
فالمعنى انهم عبدوا الشياطين ودونا كقول الملائكة بل كانوا يعبدون الجن او التكذيب
راجع الى تسميتهم شركاء دون العبادة وان كان قول الاصنام والشياطين فلا امتناع
في كذبها مع احتمال رجوع التكذيب الى التسمية والقوا الى الله يومئذ السلم استسلموا
لقضاء الله بعد تلك المقالة وضل عنهم ما كانوا يفترون من ان آلهتهم ينصرونهم وتشفع
لهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ضموا الى كفرهم اضلال الغير وصده عن الاسلام زدناهم
عذابا بانواع منه وحصة فوق العذاب فوق ما كانوا يستحقونه بما كانوا يفسدون من
الصد عن سبيل الله الموصل اليه واضلوا المسترشدين ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم
من انفسهم نبيهم فان الانبياء كانت تبعث في نسب قومهم اعادة تحذير او زيادة ايقاظ
ولذلك اتى به مطلبا وجئنا بك شهيدا على هؤلاء المشار اليه من بعث اليهم مؤمنا كان
او كافرا ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء مبينا لكل ما يحتاج اليه في الدين
من المصادر الشاذة فان المصادر من باب التفعيل كالتكرار والتذكار انما يكون بفتح
التاء فان قلت كيف يكون الكتاب تبيانا لكل شيء وبعض الاحكام انما يؤخذ من
القياس والاجماع والسنة قلت مرجع الكل اليه فبذلك الاعتبار استقام اما الحديث
فلقوله وما ينطق عن الهوى والاجماع فلقوله ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى
والقياس فلقوله فاعتبروا يا اولي الابصار ومن قال بحجية قول الصحابي وفعله فلقوله اصحابي
كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وهدى للضالين الى الصواب ورحمة لهم توصلهم
الى النعيم الدائم وبشرى للمسلمين المنقادين لاحكامه العاملين بما فيه ان الله يأمر بالعدل
استئناف في غاية الجزالة فانه لما ذكر ان الكتاب تبيان لكل شيء كانه سئل عن
كيفيته فبين ذلك على الاجمال العدل لغة التوسط وعدم الميل والمراد به هنا التوسط بين
الافراط والتفريط اما في العقائد والاصول كالتوحيد المتوسط بين التعطيل والتشريك
والكسب المتوسط بين الجبر المحض والقدر واما في الفروع والاعمال كالتعبد بالطاعات المتوسط
بين البطالة والترهب واما في السجايا والاخلاق كالشجاعة المتوسطة بين الجبن والتهور
والاحسان اي الاخلاص في تلك الامور اصولا وفروعا على ما اشار اليه صلى الله عليه وسلم
بقوله الاحسان ان تعبد الله كانك تراه او الشفقة على خلق الله كما هو المتعارف لقوله ما على

المحتاجين من سبيل وايتاى ذى القربى وعطا ذوى القرابة حقهم من الصلة وينهى عن
الفحشاء الكبيرة التى يفاحش قبحها من الفحش هو التجاوز عن الحد وفى الحديث سئل عن ذم
البراغيث فقال لا باس به وكثيرا ما يراد به الزنا لاشتماله على ذنوب شتى والمنكر وكل ما ينكر
الشرع صغيرا كان او كبيرا والبغى والظلم على الناس وعلى كافة الخلق افرده بالذكر ان
كان داخلا فى المنكر لعظم جرمه وشدة امره فان ما بين العبد وبين الله اهون واسهل يعظكم
لعلكم تذكرون فان قبح الافراط والتفريط يدرك باوايل العقول قيل لو لم ينزل من الكتب
السماوية الا هذه الاية لكفت ماخذا للاصول والفروع لاحتوائها على التعظيم لامر الله
والشفقة على خلق الله واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم مع رسوله ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله وكل من دخل الاسلام فقد بايع رسول الله والحمل على بيعة الرضوان غير مستقيم
لان الاية مكية وقيل هو النذر وقيل الايمان ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها بعد احكامها
وعقد القلب عليها اخرج لغو اليمين وقد جعلتم الله عليكم كفيلا مراقبا ومهيمنا فان
من حلف باسمه تعالى ويصفه من صفاته الزم البر على نفسه فكما ان الكفيل يطالب باداء
الدين فكذلك الحالف مطالب بالبر لئلا يكون استخفافا باسمه ان الله يعلم ما تفعلون
وعيد على بعض العهد ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا هى امراة حمقاء
من قريش ريطة بنت سعد بن كعب بن زيد مناة كانت لها جوار يامرهن بالغزل من
الغدوة الى نصف النهار فاذا انتصف النهار امرتهن بنقض ما غزلن فكان هذا دابها
والانكاث جمع نكث بالكسر كالاوزار جمع وزر نصب على الحال من الغزل او المصدر او مفعول
النقض لانه ضمن معنى الجعل واتى به مجموعا مبالغة وفى تشبيه حال الناقض بحالها تحذير
واشارة الى ان ذلك ليس من فعل العقلاء وان فاعله داخل فى عداد النساء الحمق تتخذون
ايمانكم دخلا بينكم حال من ضمير تكونوا او من المستكن فى الجار اى لا تكونوا متشبهين بامراة هذا
شانها دخلا ثانى مفعولى تتخذون والدخل الفساد واصله الشى الذى لم يكن من جنس ما دخل
فيه وانما كانت الايمان المنقوضة دخلا لوقوع الفتنة بينهم بنقضها ان تكون امة هى اربى
من امة علة لاتخاذهم دخلا اى لاجل ان تكون طايفة اكثر مالا واوفر عددا وذلك ان
قريشا كانوا يعقدون الحلف مع طايفة فاذا راوا اعداء تلك الطايفة اكثر وشوكتهم اوفر
نقضوا العهد وحالفوا اولئك فنهى المؤمنون عن فعل ذلك وكان اما تامة وهى اربى
فى محل الرفع صفة او ناقصة والجملة خبرها ولا يجوز ان يكون الضمير فصلا لان الاسم الاول نكرة
انما يبلوكم الله به اى انما يختبركم الله بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء ام تغترون
بالكثرة فتحقرون عهد الله فالمجرور عايد الى ان يكون وقيل الى الامر بالوفاء وليبينن لكم يوم القيمة
ما كنتم فيه تختلفون عطف على مقدر اى انما يبلوكم به لينظر وليبين وليميز يوم القيمة المحق من
المبطل وفيه وعد لمن حفظ العهد ووعيد لمن غدر ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة متفقة على
الاسلام ولكن يضل من يشاء اضلاله ويهدى من يشاء هدايته ولتسالن عما كنتم تعملون باختياركم

وان كان

وان كان واقعا بمشيته تعالى وفيه اشارة الى ما هو الحق من التوسط بين الجبر والقدر ولا تتخذوا
ايمانكم دخلا بينكم كرر النهى صريحا وضمنا اظهارا لعظم فساده ومبالغة فى التحذير عن ارتكابه
فتزل قدم بعد ثبوتها مجاز عن تبدل الرشد بالغى والصيرورة من الصواب الى الخطا وافراد
القدم وتنكيره اشارة الى ان زلل قدم واحدة عظيم فكيف باقدام كثيرة وتذوقوا السوء فى الدنيا
من القتل والاسر اشارة الى ان المؤمنين وان قلوا فلهم الغلبة والعاقبة بما صددتم عن سبيل الله
اعرضتم من الصدود او منعتم غيركم من الصد ولكم عذاب عظيم فى الاخرة لا يقادر قدره اثر الذوق
فى عذاب الدنيا لانه الموجب لعذاب الاخرة ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا ولا تستبدلوا بعهد الله
عرضا يسيرا وهو ما كان يعد قريش من ارتد من المال والغناء انما عند الله من الثواب
والنعيم الدايم هو خير لكم من المتاع الفانى ان كنتم تعلمون ان كنتم من اهل العلم والتمييز
ما عندكم ينفد يفنى ويزول وما عند الله من الثواب وخزاين رحمته باق دايم لا يزول
برهان على ان ما عند الله خير اذ لا نسبة للفانى مع الباقى ولنجزين الذين صبروا اجرهم
على حفظ العهد ومشاق الطاعة وقرا ابن كثير وعاصم وابن عامر فى رواية ابن ذكوان
بالنون التفاتا وهو ابلغ لنون العظمة باحسن ما كانوا يعملون بارجح اعمالهم كالواجبات
والمندوبات او بجزاء احسن من اعمالهم من عمل صالحا من ذكر او انثى من متناوله لاولى
العلم مطلقا الا ان الاناث لما لم يدخلن فى بعض الاحكام نص على النوعين ترغيبا
للفريقين وهو مؤمن اذ لا اعتداد بعمل دون الايمان فلنحيينه حيوة طيبة اما الغنى فظاهر
واما الفقير فلانه يرجو الثواب الاخرة وقد استحلى مشاق الطاعة فلا يحس بالم الفاقة وقد
جربنا ذلك فى طريق الحجاز من العطش والحر المفرط فان تصور زيارة بيت الله وحرم رسوله
يخفف ذلك ويسهل الامر ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من الطاعات فاذا
قرات القران فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم اذا اردت قراته من اطلاق المسبب على
السبب لما روى جبير بن مطعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول قبل القراة اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم وايضا الشروع فى العمل هو الذى يقتضى الاستعاذة من العدو كالتاهب
قبل اللقاء بعدة الة الحرب لا بعد فراغه بل لو فعل ذلك عد عبثا فان قلت قد نقل عن بعض
الايمة حمل الاية على ظاهرها فما وجه ذلك قلت وجهه ان القارى اذا فرغ من قراته ربما عرض له
اعجاب فى نفسه لا سيما اذا كان عالما بان لكل حرف يثاب عليه عشر حسنات فكانت
الاستعاذة لدفع ذلك الوسواس فان قلت كيف يتلفظ القارى بها قلت يقول اعوذ
بالله ولو زاد صفات التنزيه كالسميع العليم لا باس به وحديث ابن مسعود رضى الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الزيادة لم يصح وتعقيبه بذكر العمل الصالح ايذان
بان القراة منه ويجوز ان يكون متصلا بقوله ونزلنا عليك الكتاب تبيانا وما بينهما اعتراض
يبين ذلك انه ليس له سلطان على الذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون اى ليس له تسلط
على المصدقين بالله المفوضين امورهم اليه بل غاية الوسوسة التى يندفع بالاستعاذة وفيه

اشارة الى ان الاستعاذة انما تنفع اذا قارنت الايمان والتوكل انما سلطانه على الذين
يتولونه يتخذونه وليا ويطيعون اوامره فان قلت قد نفى عنه السلطان في قوله وما كان
لي عليكم من سلطان واثبته هنا بطريقة الحصر فما وجه ذلك قلت اراد بسلطانه عمل وسوسة
ونفاذ دعوته عبر عنه بالسلطان لمشاكلة الازدواج والذين هم به بالله او بالشيطان
او باغوائه مشركون والظاهر ان العطف باعتبار تغاير الصفة او من يقولاء اعم من المشرك
واذا بدلنا اية مكان اية بالنسخ ذكره عقيب الامر بالاستعاذة عند قراءة القران لانه باب
عظيم من ابواب وسوسة يوهم الناقصين انه من البداء والتناقض والله منزه عنهما والله اعلم
بما ينزل من مصالح العباد فلعل ما يكون مصلحة بالامس يكون مفسدة اليوم وقرا ابو عمرو
وابن كثير بتخفيف الزاء والتشديد ابلغ والجملة اعتراض بين الشرط وجزائه وهو قالوا انما انت
مفتر للتوبيخ وبيان خطاء الكفار والتفت من التكلم الى الظاهر لاشعار لفظ الجلالة الدالة
على الالوهية بكمال العلم بل اكثرهم لا يعلمون ليس من اهل العلم فهم بمعزل عن معرفة حكمة الله
في شرع الاحكام قل نزله روح القدس جواب لقولهم انما انت مفتر وروح القدس جبرئيل
لقولهم حاتم الجود وزيد الخير والمراد كمال تلك الصفة فيه واشارة للدلالة على التقدس المنافي
للافتراء من ربك بالحق بالامر الثابت ملتبسا بالحكمة وفيه دلالة على ان النسخ حق ليثبت
الذين امنوا ليثبتهم التثبيتين على الايمان فانهم اذا تدبروا ان نسخ وعلموا ما فيه من الحكمة
ازدادوا اطمانينة ورسخت عقايدهم وهدى وبشرى للمسلمين معطوفان على محل ليثبت
على ان الافعال الثلثة لجبرئيل ويجوز العطف على ما بعد اللام على ان الثلثة فعله تعالى وفي جعل
التثبيت له تعالى وهدى وبشرى فعل جبرائيل نصبا على العلية وان جاز لفظا يفوت حسن
النظم وفي اثبات هذه الصفات لهم وان تم الجواب بقوله قل نزله روح القدس تعريض لحصول
اضدادها لغيرهم ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر اراد واحدا منهم حويطب بن عبد العزى
اسمه عايش وكان قد اسلم وحسن اسلامه وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومي
كان لعامر بن الحضرمي وقيل عبدان جبر ويسار كانا قينين بمكة يقرآن التورية والانجيل
فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع قراتهما وقيل سلمان الفارسي وهو خطأ لان الاية
مكية وسلمان لقي رسول الله بالمدينة لسان الذي يلحدون اليه لغة الذين يميلون اليه من
لحد بالكسر ومنه اللحد للقبر الذي يمال الى جانب القبلة وقرا حمزة والكسائي بفتح الياء والحاء وهما لغتان
والضم اشهر اعجمي وهذا لسان عربي مبين كيف يستقيم ان يكون متعلما منه فدل على ان قولهم
ناشئ عن كمال الجهل وغاية العناد ان الذين لا يؤمنون بايات الله لا يصدقون بها بعد
ظهورها عنادا لا يهديهم الله لا يهديهم الى الحق والطريق الموصل اليه ولهم عذاب اليم تهديد لهم
بعد اماطة الشبهة وقلع دابرها باقوى البراهين انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله
رد لقولهم انما انت مفتر وقلبت عليهم بعد الجواب عنه بقوله قل نزله روح القدس وابلغ من
ان يقال انما انتم مفترون لدلالته على ان منشأ الافتراء عدم الايمان ومن نسبوا الافتراء اليه

ساحقة

ساحقة بريئة عن لوثه وفيه تحاش من نسبة المخاطب الى ما يكره واولئك هم الكاذبون
الكاملون في الكذب لان تكذيب ايات الله من اعظم الاكاذيب او اولئك الذين عادتهم
الكذب لا تحجبهم عنه مروة ولا دين او الكاذبون في قولهم انما انت مفتر او اشارة الى قريش
على معنى ان قريشا هم المقصورون على الكذب نفي الافتراء عنه بطريق البرهان ومن كفر بالله
من بعد ايمانه بدل من الذين لا يؤمنون والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله وبينهما
اعتراض او بدل من اولئك على معنى ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر
والمعنى واولئك هم من كفر بالله بعد ايمانه وعلى الوجوه المراد بالايمان التمكن منه كقوله
اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان استثناء
منقطع او مبتدا خبره محذوف دل عليه قوله فعليهم اي من كفر بالله من بعد ايمانه فعليهم
غضب الا من اكره والوجه ان يكون نصبا على الذم متصلا بقوله ولا تشتروا بعهد الله
ثمنا قليلا فيتسق النظم ويكون تنفيرا عن الاستبدال المنهي عنه بابلغ وجه بعد اقامة البرهان
وازاحة الشبهة ولكن من شرح بالكفر صدرا طابت به نفسه وانبسطت له واصل الشرح
الكشف وازالة الابهام فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم لعظم جرمهم نزلت في
المستضعفين كانت كفار قريش يعذبونهم ويامرونهم بالكفر والارتداد ومنهم عمار بن ياسر وابواه
اما ابواه فصبرا وقتلا على الاسلام واما عمار فانه تكلم بكلمة الكفر فخلوا عنه فاتى رسول الله
وهو يبكي وقال هلكت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا لا هالك ومسح عن عينيه وقال ان
عمارا ملي ايمانا من قرنه الى قدميه وان الايمان قد اختلط بلحمه ودمه والاية دلت على جواز
التكلم في الجملة رخصة والصبر لاعزاز الدين والموت على ذلك هو الرتبة والعزيمة لما صح ان
مسيلمة الكذاب اخذ رجلين من المسلمين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال
فما تقول في قال انت ايضا فخلى عنه وقال للاخر ما تقول في محمد فقال رسول الله فقال ما تقول في
قال انا اصم فاعاد عليه فاعاد مقالته فقتله فبلغ ذلك رسول الله فقال اما الاول فقد اخذ
برخصة واما الاخر فقد صدع بالحق هنيئا له ذلك اشارة الى الكفر بعد الايمان او الى شرح الصدر
بالكفر او الوعيد عليه بانهم استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة اثروها عليها وان الله لا يهدي
القوم الكافرين الذين ذراهم للنار لقوله اولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم
ليس لهم قلوب يعقلون بها ولا اذان يسمعون بها ولا اعين يبصرون بها واولئك هم
الغافلون الكاملون في الغفلة حيث اثروا الفاني على الباقي ولو كانت الدنيا من ذهب
والاخرة من خزف لما اثرها العاقل فكيف والامر بالعكس لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون
الكاملون في الخسران لان من اغتر بالفاني لا اخسر منه هل انبئكم بالاخسرين اعمالا الذين
ضل سعيهم في الحيوة الدنيا ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا بالتعذيب والاكراه على
الكفر وقرا ابن عامر فتنوا على بناء الفاعل اي فتنوا انفسهم بالتلفظ بالكفر او فتنوا غيرهم كما فعل
سهيل بن عمرو بابنه ابي جندل ثم اسلم والضمير للمفتونين في الاسلام اخرى بالرحمة والغفران

ممن عذب المسلم ثم اسلم ثم جاهدوا وصبروا على مشاق الجهاد وبذل المال والنفس ان ربك
ان مع اسمها تاكيد للاولى وقيل الجار والمجرور خبران الاولى كانه قيل ان ربك لهم لا عليهم والثانية
مع خبرها بيان لكونه لهم وقيل لا خبر للاولى لان خبر الثانية اغنى عنه فلا يحتاج الى التقدير
من بعدها من بعد الهجرة والجهاد والصبر لغفور لما صدر منهم رحيم بقبول توبتهم وتبديل سيئاتهم
حسنات يوم تاتى كل نفس كل شخص بقرينة الاتيان تجادل عن نفسها عن ذاتها والنفس
جارية مجرى التاكيد ومجادلتها السعى فى خلاصها والاعتذار بمعاذير كقولهم والله ربنا ما كنا
مشركين ربنا هؤلاء اضلونا حتى يقول العبد عند المحاجة لا اقبل شهادة الملائكة ولا اقبل الا
شاهدا منى فتشهد عليه جوارحه بما كسبت فيقول سحقا لكن عنكن كنت اناضل وتوفى كل نفس
ما عملت جزاؤه وهم لا يظلمون لا ينقصون من الاجر شيئا وضرب الله مثلا قرية اتى الى
عذاب الدنيا اللاحق بسبب الكفر فان النفوس تنزجر به اكثر مما تنزجر بعذاب الاخرة ولذلك
شرعت الحدود والقرية اما مفروضة او قرية من القرى جرى عليها ما جرى فى الازمنة القديمة وهذا
هو الحق لقوله ولقد جاءهم رسول منهم لان ضرب المثل انما تكون بامر بديع فى الشفاعة زجرا
للسامع عن ارتكاب توجيه كانت آمنة مطمئنة اى اهلها فالاسناد مجازى ياتيها رزقها رغدا
واسعا من كل مكان من كل جانب من جوانبها فكفرت بانعم الله ابطرتهم تلك النعم فلم يشكروا
موليها جمع القلة استعمل فى الكثرة بمعونة المقام فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وهما
آفتان باطنتان لا شئ اشد على النفس من احدهما فكيف اذا اجتمعتا شبه اولا ما يدركه الانسان
من الم الجوع والضر بما يدركه من طعم المر البشع ثم شبه ذلك الالم والضر باللباس من حيث
الاشتمال وحذف المشبه وذكر المشبه به وهو اللباس فالاولى استعارة مكنية والثانية تصريحية
واوقع الاذاقة على اللباس دون الكسوة لانه يفيد زيادة التاثير والتاثر ومن هذا علم ان
قولهم ان الترشيح ابلغ من التجريد لم يكن على اطلاقه فان قلت المشبه فى الاستعارة الاولى والثانية
هو ما يدرك من الم الجوع وما يغشى الانسان ويحيط به منه وذاك امر معقول والمدرك بالذوق
لا بد وان يكون محسوسا فكيف يكون الاذاقة تجريدا بل يكون ترشيحا لانه من توابع الطعم المر
البشع قلت الاذاقة لكثرة استعمالها فى البلايا والشدائد بمعنى الاصابة قد جرت مجرى الحقيقة
فبذلك الاعتبار كانت تجريدا وجعل المشبه المستعار له لفظ اللباس انتقاع اللون ورثاثة الهيأة
اللازمين للجوع والخوف يذهب حلاوة الاذاقة بما كانوا يصنعون من الكفر والاخلال بالشكر
ولقد جاءهم رسول منهم اى من اهل تلك القرية فكذبوه نسبوه الى الكذب ولم يؤمنوا به فاخذهم
العذاب عذاب الاستيصال فقلع شافتهم وهم ظالمون فى كفران النعمة وتكذيب رسولهم
وقيل الضمير المنصوب فى جاءهم لاهل مكة وفيه ان هذا المثل انما ضرب لهم قبل اخذ العذاب
اياهم واخذهم ولذلك امرهم بقوله فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمة الله اى قد
استبان لكم ما حل بمن كفر بانعم الله فاجمعوا الكل نعمه مع الشكر لئلا يحل بكم ما حل بهم ان كنتم اياه
تعبدون ان صح انكم لا تريدون بعبادة الالهة الا عبادته وانما تعبدونها لتقربكم اليه زلفى ثم عدد

المحرمات

المحرمات بقوله انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير
باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ليعلم ان ما عداها حل لهم فان قلت تصدير الجملة بانما يدل
على حصر المحرمات وقد حرمت السباع والحمر الاهلية قلت الحصر انما هو بالنسبة الى ما كانوا يحرمونه
من السائبة والوصيلة والحام والمعنى انما حرم عليكم هذه المذكورات لا ما تحرمونه انتم باهوائكم
وقد دل عليه ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام اى لا تقولوا للشئ
الذى تصفه السنتكم بالحل والحرمة من غير سند هذا حلال وهذا حرام فالكذب مفعول تقولوا
وهذا حلال وهذا حرام بدل منه او الكذب مفعول القول الاول ويقدر بعد الوصف قول آخر
اى فتقولوا هذا حلال وهذا حرام واللام فى الوجهين صلة القول وما مصدرية واللام للتعليل
اى لا تقولوا لاجل وصف السنتكم الكذب وكونها ينبوع الاكاذيب هذا حلال وهذا حرام
وهذا مثل قولهم فى الاطراء لمدحه ريق فلان يصف السلافة وعينه تصف السحر وحاصله
انه محل تلك الصفة من باب الاستعارة بالكناية لتفتروا على الله الكذب تعليل خال عن الغرض
ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون وان حصل لهم ما حصل فان عاقبته وخيمة
متاع قليل ما يتوصلون اليه بالافتراء ولهم عذاب اليم فى الآخرة وعلى الذين هادوا على
اليهود خاصة حرمنا ما قصصنا عليك من قبل ما سبق فى سورة الانعام وهو قوله وعلى
الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما وما ظلمناهم بالتحريم
والتضييق عليهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون بالكفر الموجب لزوال النعمة كقوله فبظلم
من الذين هادوا حرمنا ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة غير عارفين بالله وبصفاته
او كانوا عارفين ولكن اتبعوا الشهوات فكانت المعرفة جهالة لعدم الجرى على موجبها
ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا اعمالهم اما افسدوه بالتوبة ان ربك من بعدها لغفور رحيم
اى بعد التوبة يغفر ما سبق منهم ويثبت على التوبة ان ابراهيم كان امة فعلة بمعنى المفعول
كالرحلة لمن يرحل لان الناس كانوا يامونه اى يقصدونه ليتعلموا الدين ومحاسن الاخلاق
او كان منفردا فى زمانه بالدين لم يشاركه احد والرجل المنفرد يسمى امة وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى زيد بن نفيل موحد الجاهلية يبعث يوم القيمة امة واحدة او لاستجماعه
صفات لا توجد الا فى جمع كثير والى هذا اشار ابو نواس فى مدح الفضل بن يحيى البرمكى
ليس من الله بمستنكر ان يجمع العالم فى واحد قانتا لله مطيعا له خاشعا حنيفا مائلا عن
الباطل ولم يك من المشركين صرح به وان لزم من قوله حنيفا تكذيبا لقريش فانهم كانوا
يزعمون انهم على ملته شاكرا لانعمه اثر جمع القلة ايماء الى انه لم يخل بالشكر لو قلت فكيف
وهى من الكثرة بحيث لا تحصى اجتباه اختاره على الخلق بالنبوة وهداه الى صراط مستقيم دين
الاسلام اجابة لقوله واجعلنا مسلمين لك وآتيناه فى الدنيا حسنة ذكرا حسنا اجابة لقوله
واجعل لى لسان صدق فى الآخرين لا ترى اهل ملة الا ويثنون عليه ويزعمون انهم على دينه
او امرأته سارة فانها كانت اجمل النساء واتقاها كما روى عن على رضى الله عنه فى قوله تعالى آتينا

في الدنيا حسنة انها المراة الصالحة وانه في الاخرة لمن الصالحين لقربه في حضرة قدسه في مقعد صدق اجابة لدعائه والحقني بالصالحين وكونه من روساء المرسلين لا ينافيه لانهم في اعلى درجات الصالحين ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم في لفظ ثم اشارة الى ان اجل ما اوتي خليل الله هو اتباع حبيب الله ملته ولا يخفى ما في ذلك من التنويه بشان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم في لفظ اوحينا والهام الملة اشارة الى استقلاله بالاخذ عمن اخذ عنه ابرهيم حنيفا وما كان من المشركين بل كان قدوة الموحدين انما جعل السبت على الذين اختلفوا وبال السبت وهو المسخ وايراده مثل ايراد ضرب المثل بالقرية آنفا لاشتراكهما في الدلالة على ان نعمة الله تنقلب عليهم نقمة بالكفر والعصيان ذكره لطفا بالسامعين فرض السبت اي تعظيمه على اليهود خاصة فان موسى امرهم بتعظيم يوم الجمعة فلم يفعلوه واثروا السبت عليه وقالوا نختار اليوم الذي فرغ الله من خلق الاشياء فيه الا شرذمة منهم رضوا بالجمعة فاوجب الله عليهم تعظيم السبت فوفى بتعظيمه الشرذمة واخل به الاخرون فاصطادوا فيه فعاقبهم الله بالمسخ وان ربك ليحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون يجازي كل فريق بما يستحقه ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن متصل باتباع ملة ابرهيم كانه قال كيف اتبع فاشار الى كيفية ذلك بان بين له مراتب الدعوة بحسب المدعوين لان المخاطب اما كامل القابلية بحسب الفطرة فيخاطب بالمقالة المحكمة اما عيانا او برهانا واما متوسط فيخاطب بالاقناعيات واما عامي صرف او معاند فالمجادلة معه بالرفق واللين كما فعل ابرهيم حين راى كوكبا ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين فلا عليك بعد البلاغ على الوجه الذي وقفت عليه وتقديم الضال لان الكلام فيه وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به نزلت الايات الثلث الى اخر السورة بعد احد وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انقضاء الحرب شرع في دفن الشهداء والتفحص عن القتلى فوقف على عمه حمزة اسد الله فوجده قد بقر بطنه ومثل به انواع المثلات فشق ذلك عليه فحلف ان اظفره الله بالمشركين ليمثلن بسبعين منهم فقيل له ان احكام الدنيا على المقابلة والمماثلة فاذا جازيتهم فمثل فعلهم فقد احدث ثارك ولئن صبرتم لهو خير للصابرين فقال بل اصبر وكفر عن يمينه ونهى عن المثلة فهي محرمة اجماعا في ساير الحيوانات باسرها في الاقطار كلها والضمير في لهو عايد الى صبر المخاطبين والقرينة صبرتم والتعبير عنهم بالصابرين للدلالة على انهم اذا علموا ان الصبر خير لهم فهم كالصابرين بالفعل لعدم اخلالهم بالافضل او الى جنس الصبر والمراد بالصابرين جنسهم ايضا واصبر في المواطن كلها وليس تصريحا بما علم وما صبرك الا بالله الا بارشاده وتوفيقه وربط القلب على لقاء المكروه رجاء ثوابه ولا تحزن عليهم على الكافرين فانه وعدك النصر والعافية وقيل على المؤمنين وما حل بهم يوم احد وفيه فوات حسن النظم مع قوله ولا تك في ضيق مما يمكرون من مكرهم وقرا ابن كثير في ضيق بكسر الضاد وهما لغتان ان الله مع الذين اتقوا المعاصي بالعون والنصر علة للنهي عن الحزن وضيق الصدر والذين هم محسنون مخلصون في تقواهم او المحسنون بالترحم والشفقة على خلق الله وفيه اشارة الى انه بالصبر والتجاوز

عن المعاقبة محسن متفضل وفيه ربط اخر السورة باولها لان قوله اتى امر الله فلا تستعجلوه في المعنى امر بالصبر المحيي للفرج

سورة بني اسرائيل مائة وعشر ايات مكية وعن ابن عباس رضي الله عنه الا قوله وان كادوا ليستفزونك الى قوله سلطانا نصيرا فانها نزلت بالمدينة حين جاء وفد ثقيف

بسم الله الرحمن الرحيم سبحان الذي اسرى بعبده ليلا سبحان علم للتسبيح بمعنى التنزيه والتقديس البليغ من السبح وهو الابعاد في الارض واريد به علما دالا على الحقيقة الحاضرة في الذهن للدلالة على ان ما يرد بعده من الامور البديعة فالله منزه عن العجز عن ايجادها وقيل علم في غير حال الاضافة ولا حاجة اليه لان الاضافة لا تنافي العلمية ونصبه بفعل واجب الترك ونصب ليلا على الظرفية وتنكيره للدلالة على وقوع الاسراء في جزء منه لان الليل وان كان اسما للمجموع الا انه منكرا يقع على البعض فاريد بقرينة السري الذي لا يكون غالبا الا في بعض الليل وما في الباء من معنى الاتصال واضافة العبد الى ضمير الله الدال على انه العبد الحقيقي اشارة الى استحقاقه تلك الرتبة السنية التي لم ينلها احد من المرسلين وان العناية به في اقصى الدرجات ولذلك قال في اخر السورة وكان فضل الله عليك كبيرا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى قد اشتهر وكاد ان يتواتر انه عرج به واختلف في كيفية ذلك فذهب جمع من الصحابة والتابعين ومن بعدهم الى ان ذلك كان مناما ورويا بالنوم والذي عليه المحققون انه اسرى بجسده ولذلك وقع الارتياب والانكار واختلف في وقت الاسراء فقيل كان قبل نبوته والاصح قول الزهري انه اسري به في ليلة السابع والعشرين من ربيع الاول بعد بعثته بخمس سنين وسياق الحديث انه اتاه جبرئيل وهو في الحجر وقيل في الحطيم وقيل في بيت ام هاني والكل محتمل لاختلاف الروايات فشق بطنه وقلبه وغسل بماء زمزم واتى باناء من حكمة وايمان فحشي به صدره ثم اتي بالبراق وهي دابة دون الفرس وفوق الحمار يقع خطوه حيث يقع بصره فركبه واتى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس سمي بالاقصى لغاية بعده من المسجد الحرام اذ لم يكن مسجد ابعد منه في ذلك الزمان قال فربطت البراق في الحلقة التي يربط الانبياء بها ثم صل بي الانبياء فصليت بهم اماما ثم عرج بي الى السموات حتى بلغت السدرة المنتهى وهي النبق ورايت ثمرها كقلال هجر واوراقها كاذان الفيل ولم يقدر احد على نعتها لما غشيها من الانوار ثم تخلف جبرئيل فارتقيت الى مستوى اسمع فيه صريف الاقلام ففرض الله علي وعلى امتي خمسين صلوة فرجعت حتى مررت على موسى بن عمران فسالني فاخبرته فقال ارجع الى ربك واساله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك فاني قد جربت بني اسرائيل قال فرجعت فوضع عني الشطر فرجعت الى موسى فسالني فاخبرته فقال ارجع فاساله التخفيف فلم ازل اتردد بين موسى وربي حتى بلغت خمس صلوات فقال ارجع فقلت قد استحييت من ربي لكن افوض واتوكل فنوديت يا محمد لا يبدل القول لدي هي خمس وهي خمسون الحسنة عندي بعشر امثالها وذكر انه دخل الجنة واتاه مالك خازن النار فسلم عليه وراى في السماء السابعة البيت المعمور وابرهيم مسند ظهره

اليه يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يأتيهم النوبة الى آخر الدهر قال فاصبحت بمكة واخبرت
قريشا فكذبوني وسألوني اشياء من بيت المقدس ما كنت اثبتها فكذبت كذبا شديدا فجلى الله
لي بيت المقدس فطفقت اذكر لهم ما يسألوني وسألوه عن عير لهم كان بالشام فقال يقدم
عيركم يوم كذا مع شروق الشمس يقدمه جمل اورق فخرجوا في ذلك اليوم الى الثنية فقال واحد
منهم هذه الشمس والله قد شرقت فقال الآخر وهذه العير والله يقدمه الجمل الاورق فان
قلت قد ذكر انه رأى الانبياء ووصف خلقهم وشمائلهم حتى قال في يوسف رأيته قد اعطى
شطر الحسن وقال في ابراهيم صاحبكم اشبه الناس به يريد نفسه وهم اموات بلا ريب فكيف
ذلك قلت قد صح عنه ان لحوم الانبياء محرمة على الارض وقد اخبر الله عن الشهداء انهم احياء
يرزقون والانبياء فوق الشهداء اتفاقا فان قلت قال رأيت موسى في قبره عند
الكثيب الاحمر يصلي وفي رواية رأيته ينحدر في الوادي ملبيا وقد ذكر انه رآه في السماء السادسة وتردد
بينه وبين ربه في تخفيف الصلوات وقد رآه في جماعة الانبياء في المسجد الاقصى رآه في تلك
المواضع كلها في اوقات مختلفة فان قلت هل رأى ربه رؤية عين قلت قد اختلف فيه انكرته
عائشة غاية الانكار وقرأت لا تدركه الابصار وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء
حجاب واثبتها ابن عباس وعليه المحققون من الصحابة ومن بعدهم لان هذا القول
لم يكن الا بالسماع والمثبت يقدم على النافي وعائشة لم تقل ذلك نقلا وما استدلت به من
القرآن فالجواب عنه ظاهر الذي باركنا حوله بركات الدنيا والدين لانه موطن الانبياء
ومتعبدهم وفيه الانهار والاشجار وغالب انواع الثمار لنريه من آياتنا ما رآه تلك الليلة
التفت الى التكلم لعظم ذلك انه هو السميع لاقوال عبده البصير باحواله وما يستحقه من سوابغ
نواله وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا استطراد
تمهيد لذكر القرآن ولان موسى معراجه الى الطور ومعراجه الى السدرة المنتهى ووصف كتاب
موسى بانه هدى لبني اسرائيل والقرآن بانه يهدي للتي هي اقوم فوازن بين سبحان الذي
اسرى بعبده وبين وآتينا موسى الكتاب ووصف بين الكتابين يظهر لك تفاوت
الرتب وقرأ ابو عمرو الا يتخذوا بالياء لاحتياج الخطاب الى التقدير ذرية من حملنا
مع نوح نصب على البدل او الاختصاص او النداء في قراءة الخطاب او مفعول اول
لا تتخذوا ومن دوني حال من وكيلا وفي ذكره تذكير بالنعم على آبائهم من الانجاء في سفينة
نوح انه كان عبدا شكورا تعليل للنهي كانه قيل انتم اولاد ذلك العبد الشكور فاقتدوا
واولاد المحمولين معه اولاده وجعلنا ذريته هم الباقين وقيل ثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين
معه فهم متصلون به وليس بذاك لان المساق يأباه وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب
لتفسدن في الارض عبر عن الوحي بالقضاء للدلالة على كونه امرا لازما والكتاب هو التورية
واللام في لتفسدن جواب القسم لان القضاء المبرم جار مجراه او فاغنى عن تقديره مرتين
اولاهما قتل زكريا عليه السلام وتغيير احكام التورية فاستولى عليهم بخت نصر وقتل فيهم

وقتل

وقتل قتلا ذريعا وكان قد عظم ارميا فلم يرفعوا له رأسا ولما اكثر عليهم حبسوه والثانية
قتل يحيى بن زكريا واستيلاء هيرودس وقتله نبي اسرائيل وكان من ملوك الطوائف
او عزمهم على قتل عيسى عليه السلام ولتعلن علوا كبيرا لتكبرن استكبارا وذلك سبب الدمار فان
الملك يدوم مع الكفر ولا يدوم مع الظلم فاذا جاء وعد اولاهما وعد عقاب اولاهما عبر عنه
بالوعد دلالة على لزومه وقوعه بعثنا عليكم عبادا لنا بخت نصر وقيل سنحاريب وقيل جالوت
اولي بأس شديد ذوي قوة وشوكة فجاسوا خلال الديار ترددوا بين الدور كناية عن
التمكن التام الدال على انواع العذاب قيل قتلوا علماءهم واحرقوا التورية وخربوا المسجد
الاقصى وسبوا منهم سبعين الفا اصل الجوس التردد وخلال الشيء باطنه ومنه الخلة وكان
وعدا مفعولا لابد ان يفعل ثم رددنا لكم الكرة عليهم الغلبة يقال الحرب كر وفر وذلك
لما تابوا واخلصوا القى الله الرأفة في قلب بهمن بن اسفنديار فرد اسراهم الى الشام وملك
عليهم دانيال فاستولوا على اتباع بخت نصر او بان سلط داود على جالوت فقتله وامددناكم
باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا مما كنتم معدودا وهو من ينفر مع الرجل من قومه لقضاء
حاجته او جمع نفر كالعبيد او نافر كالحجيج ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اسأتم فلها
لا يتجاوزها وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسأت اليه وتلاها
هذا انذار لهم لئلا يعودوا وان كان في التورية والا فانذار لهذه الامة عن الاتيان
بمثله وانما ذكر اللام مع الاساءة ازدواجا فاذا جاء وعد الآخرة العقوبة الآخرة اثر الآخرة
على الاخرى في مقابلة اولاهما اشارة الى ان لا عقوبة بعدها ان استقاموا فان قلت
لم عطف بالفاء وكان الظاهر الواو لانه تفصيل المجمل قلت للدلالة على ان مجيء وعد
عقاب الآخرة لم يتراخ عن كثرتهم وانهم بطروا سريعا ونسوا ما كان حل بهم فجاءهم
عذاب الله ليسوءوا وجوهكم اي بعثناهم ليسوءوا وجوهكم حذف لدلالة الاول عليه وذكر
الوجوه لان اثر المساءة يظهر فيها ولانها اشرف الاعضاء او عبر بها عن الذوات قرأ
الكسائي بالنون على سنن بعثنا وامددنا وابن عامر وحمزة وابو بكر بالياء وفتح الهمزة
مسندا الى الله او البعث او الوعد والباقون بضم الهمزة بعدها واو مسندا الى ضمير العباد
وهو المختار لقوله وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة متعلق ببعثنا وليتبروا ليهلكوا
من التبار ما علوا ما استولوا عليه تتبيرا قيل دخل امير الجيش مذبح قرابينهم فوجد دما
يغلي فسألهم عنه فقالوا دم قربان لم يقبل فقال ما صدقوني فقتل عليه الوفا وقال ان لم يهدأ
لم اترك منكم احدا فقالوا دم يحيى فقال يا يحيى قد علم ربي وربك ما اصاب قومك
من اجلك فاهدأ باذن الله فسكن الدم عسى ربكم ان يرحمكم بعد المرة الثانية
وان عدتم عدنا هذا ايضا من المقتضي في التورية وقد عادوا فسلط الله عليهم الاكاسرة
وعن قتادة ثم عادوا فسلط عليهم محمدا وامته فهم في ذل الى يوم القيمة يعطون الجزية
عن يد وهم صاغرون وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا حاصرا عن الخروج فقيل يعني

الفاعل ولذلك لم يؤنث ان هذا القران يهدى للتي هي اقوم للطريقة التي هي اقوم
الطرق واسهلها او ليس فيها الاصار والاغلال ولذلك قال لو كان موسى بن عمران
حيا لما وسعه الا اتباعي ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا
قرا حمزة والكسائي بفتح اليا وتخفيف الشين ثلاثيا والباقون بالضم والتشديد وهذا
افصح وابلغ وان الذين لا يؤمنون بالاخرة اعتدنا لهم عذابا اليما عطف على ان لهم اجرا
كبيرا والمعنى يبشر المؤمنين ببشارتين ثوابهم وعقاب اعدائهم او على يبشر بتقدير
اى ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير نزلت
حين قال النضر بن الحارث اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة
من السماء فضرب عنقه يوم بدر وقيل نزلت حين دفع رسول الله اسيرا الى سودة فسمعت
بالليل انينه فسالته فشكا اليها الم الاسار فحلت اساره فهرب فلما اصبح رسول الله
طلب الاسير فاخبر شانه فقال اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها جازمة بقطع يديها
اجابة لدعائه فاخبر بذلك رسول الله فقال انى بشر اغضب كما يغضب البشر وانى سالت الله
ان يجعل دعائى ولعنى على من لا يستحقه رحمة وقيل هو دعاء كل احد على ماله واهله عند
الغضب فيتصل على الوجهين بقوله ان هذا القران يهدى للتي هي اقوم اشارة الى انه
ليس من ذلك الاقوم في شيء وحمله على آدم لا يلايم المقام واللفظ ياباه وكان الانسان عجولا
في اموره ولذلك يدعوا بالشر دعاءه بالخير وجعلنا الليل والنهار آيتين بيان لما يهدى اليه
القران من دلايل التوحيد والمراد غير الليل والنهار فمحونا آية الليل القمر او الليل والنهار
ايتين والاضافة للتبيين كاضافة العدد للمعدود وجعلنا آية النهار مبصرة مضيئة تجعل
الخلق بصراء بالاضاءة عن عمر بن الخطاب ان رجلا قال له يا امير المؤمنين رايت في المنام
ان الشمس والقمر يتحاربان فقال عمر كنت مع من قال كنت مع القمر فقال انك مع آية ممحوة
فوجد في حرب علي مع معاوية لتبتغوا فضلا من ربكم رزقا في بياض النهار ولتعلموا عدد
السنين والحساب بدور القمر في المنازل التي عليه مدار السنة الشرعية والشهور العربية وكل
شيء فصلناه تفصيلا كل شيء تحتاجون اليه من امر الدنيا والدين بيناه بيانا شافيا وكل انسان
الزمناه طائره في عنقه جعلنا عمله لازما له لزوم القلادة والغل فكانه طار اليه من وكر القدر
وجاء على عرفهم في السانح والبارح من التيمن والتشأم وخص العنق لانه محل الزين
بالقلايد والاطواق ومحل الشين بالاغلال والاوهاق ولانه سيد الاعضاء والبارز للناظرين
ونخرج له يوم القيمة كتابا صحيفة اعماله نصب على الحال بتقدير المبتدا من المحذوف العايد
الى الطائر اى نخرج عمله حال كونه كتابا او حمله على النفس المنتقشة بالملكات بمقتضى الاتحاد
المنجح والمخرج مع كونه مخالفا للاحاديث لم يلقاه منشورا لبعد ما كان مطويا خفيا وقرا
ابن عامر يلقاه بالتشديد وعلى الوجهين منشورا حالان من الانسان او للكتاب اقرا كتابك
على ارادة القول يقرا في ذلك اليوم من لم يكن قارئا كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فعل

لمعنى

بمعنى الحاسب كالضريب ولذلك لم يؤنث نصب على التمييز كقولهم لله دره فارسا او بمعنى
الكافي استعمل بمعنى الشاهد تجوزا لان الشاهد يكفي المدعي ما اهمه وعن الحسن لقد انصفك من
جعل نفسك عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
على منوال ان احسنتم احسنتم لانفسكم وفيه دلالة على ان الاطفال لا يعذبون ولا تزر وازرة
وزر اخرى لا تحمل نفس اثم اخرى واصل الوزر الثقل ومنه حتى تضع الحرب اوزارها فان
قلت قد قال وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم قلت ذاك للضلال والاضلال فلا تنافي
وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا يبين الاحكام فيه دليل على ان لا حكم قبل البعثة لانتفاء
لازمه وحمل الرسول على العقل لم يوجد في كلام الشارع قط واذا اردنا ان نهلك قرية واذا
دنى وقت اهلاك قوم لان حين تعلق الارادة الفعل واجب الوقوع امرنا مترفيها ففسقوا
فيها متنعميها من الفسق بان اوسعنا عليهم اسباب الملاذ والوصول الى الشهوات او لما
افاض عليهم النعم ليكون وسايل الطاعات فجعلوها ذرايع المعاصي فكانهم مامورون
بفعل المعصية وفيه اشارة الى انهم عكسوا القضية الواجبة وقيل امرناهم بالطاعة ففسقوا
الفسق وفيه انه حذف بلا دليل لان قولك امرته فقرا لا يفهم منه الا الامر بالقراءة فان
قلت قوله ان الله لا يأمر بالفحشاء قرينة وذكر الفسق بعد الامر ايضا قلت التقييد بالاتراف
وزمان ارادة الاهلاك يأباه فحق عليها القول كلمة العذاب فدمرناها فاهلكناها تدميرا
اهلاكا اى اهلاك استيصال وكم اهلكنا من القرون كم منصوب المحل مفعول اهلكنا والجار
والمجرور تمييز من بعد نوح اذ لم يهلك قبله امة استيصالا وكفى بربك بذنوب عباده
خبيرا بصيرا قد احاط بواطنهم وظواهرهم بالعلم الاتم فلو لم يكونوا مستحقين لذلك العذاب
لما وقع ذكر البصير بعد الخبير تتميما كما في الرحمن الرحيم من كان يريد العاجلة اى يريد
بعمله الدنيا عجلنا له فيها ما نشاء لا ما اراده كل ما يتمنى المريد لمن نريد بدل من له بدل
البعض لان كثيرا منهم لا يعطى شيئا منها خسر الدنيا والاخرة ثم جعلنا له جهنم ماوى ومقرا
يصليها يدخلها او يحترق بها من صليت الشاة شويتها مذموما يلعنه الملائكة والناس
مدحورا مهانا من دحرته اذا دفعته بالاهانة وفي الحديث لم ير ابليس ادحر من يوم
عرفة لما يرى من كثرة عفو الله الا يوم بدر ومن اراد الاخرة اى بعمله وسعى لها سعيها
حق السعي من امتثال الاوامر واجتناب المناهي وهو مؤمن والحال ان ذلك السعي
مقرون بالايمان الذي لا يعتد بعمل دونه وعن بعض الحكماء من لم يكن معه نية صادقة
وايمان راسخ وعلم مصيب لا ينفعه عمل فاولئك كان سعيهم مشكورا مقبولا عند الله
مثاب عليه كلا كل واحد من العاصي والطايع والتنوين عوض المضاف اليه نمد بالعطاء
مرة بعد اخرى ويجعل له الانف مدد السابق هؤلاء وهؤلاء بدل من كلا من عطاء
ربك اسم للمعطي وما كان عطاء ربك محظورا ممنوعا من احد في الدنيا من الحظار وهو
الحجاب وفي الحديث قالت امراة دفنت ثلثة من الاولاد فقال لها قد احتظرت بحظار من

النار انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض النظر بالبصيرة والمخاطب كل من يتأتى منه
وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا اجتمع اشراف قريش يوما بباب عمر فخرج الاذن
لبلال وصهيب ولم يؤذن لهم فشق ذلك عليهم فقال سهيل بن عمرو يا قوم انما اتينا
من قبل انفسنا دعي هؤلاء الى الاسلام ودعينا فاسرعوا وابطأنا واذا كان هذا حالنا في
باب عمر فكيف حالنا في الآخرة فان حسدتموهم على باب عمر فانتم لما اعد الله لهم من المراتب
بالحسد اولى لا تجعل مع الله الها آخر لا تعتقد له شريكا في الالوهية وخواصها الخطاب له
والمراد امته او هو من باب الالهاب لما تقدم ان من سعى انما يعتد سعيه اذا كان مؤمنا شرع
تبيين حقيقة الاسلام ثم فصل فروع ذلك وطرائق السعي فتقعد مذموما يذمك ربك على
اتخاذك له شريكا مخذولا لا ناصر لك من الشريك لعجزه عن نفع نفسه فضلا عن غيره والمنصوبان
خبر تقعد لكونه بمعنى صار وفي لفظ القعود اشارة الى سقوط الرتبة وان لا يليق له الرياسة
بل الخمول والتستر خجلا وقضى ربك حكما حتما لا يقبل المحو والتبديل ان لا تعبدوا الا
اياه ان مفسرة والكلام انشاء او مصدرية بتقدير الباء والكلام نفي وبالوالدين احسانا
واحسنوا او بان يحسنوا احسانا على الوجهين في ان لا تعبدوا والاولى جعله متعلقا باحسانا وعدم
جواز عمل المصدر في الصلة المتقدمة ممنوع اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما اصله ان
زيدت ما المؤكدة ولذلك صح دخول النون المؤكدة وقرأ حمزة والكسائي يبلغان فالضمير
للوالدين واحدهما بدل البعض وكلاهما بدل الكل لا توكيد لان احدهما صارف عنه اذ
لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلا تقل لهما اف لا تضجر ولا تستقذر منهما
ما تستقذر من غيرهما صوت او اسم فعل مأخوذ من الاف على وزن الفرس وهو الشيء
القليل قرأ نافع وحفص بالكسر والتنوين وابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر بالكسر بلا تنوين
وابن كثير وابن عامر بالفتح بلا تنوين والمختار الكسر بلا تنوين لانها جارية على الاصل في تحريك
الساكن ولا تنهرهما ولا تزجرهما اذا تعاطيا ما لا يعجبك وقل لهما قولا كريما مراعاة
للادب قيل ان يقول لهما يا ابتاه ويا اماه كما قال ابراهيم ولا تناديهما باسمائهما مواجهة
واما اذا كانا غائبين فلا بأس به قالت عائشة يا رسول الله ان ابا بكر رجل آسف لا يقدر
ان يقوم مقامك واخفض لهما جناح الذل وتواضع لهما غاية التواضع مشبهة بهيئة الانسان
عند تذلله لوالديه بهيئة الطائر اذا خفض جناحه على افراخه مشفقا عليها وجناح الذل
استعارة بالكناية وتخييل كما في قول لبيد اذ اصبحت بيد الشمال زمامها وذكر الخفض ترشيح
من الرحمة لاجل رحمتك اياهما وقل رب ارحمهما وادع لهما ربك بان يرحمهما رحمته الباقية
ولا تقتصر على الرحمة الفانية كما ربياني صغيرا كما رحماني بالتربية حين كنت احوج خلق الله
اليهما وفي الحديث ان رجلا قال لرسول الله ان ابوي بلغا من الكبر الى ان الي منهما ما و
ليا في الصغر فهل قضيت حقهما قال لا فانهما كانا يفعلان معك وهما يريدان بقاءك
وانت تفعل وتريد موتهما ربكم اعلم بما في نفوسكم حث على الاخلاص وان ما تفعله معهما

يكون

اما كان صحو

يكون خالصا لوجه الله تعالى لا خوفا من لائمة الانسان والآيات والاخبار في بر الوالدين
مستفيضة وقد اسند البخاري ان رجلا راهبا في بني اسرائيل يسمى جريجا كان يصلي
فنادته امه يا جريج فقال يا رب امي وصلوتي فنادته يا جريج فقال يا رب امي وصلوتي
فنادته يا جريج فقال يا رب امي وصلاتي فقالت رب لا تمته حتى تنظر في وجوه المومسات
وكانت بغية من بغايا بني اسرائيل زنت مع راع يأوي الى صومعة جريج فاتت بغلام
فقالوا لها ممن هذا الغلام قالت من جريج فجاؤوا وهدموا صومعته وارادوا قتله فقام
وتوضأ وصلى ركعتين ثم قال يا غلام من ابوك قال ابي الراعي فخضعوا له وقالوا نبني
صومعتك بالذهب قالوا لا اعيدوها كما كانت فاعادوها ربكم اعلم بما في نفوسكم منكم
لان علم البشر يعتريه السهو والنسيان وعد لمن اضمر البر ووعيد لمن خالف ان تكونوا
صالحين كانه قيل كيف تقدر على الوفاء بحقهما والبشرية لا تنفك عن نوع تقصير فقيل ان
قصدتم الصلاح ثم وقعت اساءة فانه كان للاوابين غفورا ستارا لزلاتهم لطفه حاجز
دون عقابه والاواب كثير التوبة من الاوب وهو الجانب فكانه يأتي التوبة من كل الجهات
ووضعه موضع الضمير ليشمل كل جان تائب وآت ذي القربى حقه والمسكين وابن السبيل
ذا القرابة مطلقا تعميم بعد التخصيص والحق يشمل المالي وغيره فان قلت كيف يشمل المالي
والزكاة فرضت بالمدينة قلت اراد ما كان فرضا من المال من المواساة كقوله وآتوا حقه
يوم حصاده وما فرض بالمدينة مقادير الزكوة الا ترى الى قوله فويل للذين لا يؤتون الزكوة
والآية مكية للاختلاف وقيل اراد بذي القربى اقارب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسكين
المحتاج فيشمل الفقير وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا التبذير التفريق ومنه بذر الزرع والمنهي
عنه صرف المال في غير حاجة ولا طاعة الله وفي المثل لا سرف في الخير كما لا خير في السرف
وقصة ابي بكر الصديق مشهور ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين كاخوانهم في الشرارة
او قرنائهم او اصدقائهم تشبيها لقران الصحبة بقران القرابة كانوا في الجاهلية يصرفون
الاموال في غير طاعة الله رياء وفخرا فامرهم بالانفاق في طاعته وبين لهم المصارف ثم
نهاهم عما كانوا يفعلونه فكان الشيطان لربه فلا يدعوا الى الخير علة للنهي عن التبذير اشارة
الى انه بوسوسته واغوائه واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها وان اعرضت
عن هؤلاء لفقد ما ترحمهم به من رزق ربك حال كونك راجيا ان يفتح الله عليك فتسد به
خلتهم فوضع الابتغاء موضع الفقد اقامة للسبب مقام المسبب وفيه لطف وهو ان
ذلك الاعراض لهم مآلا وحقيقة وان كان عنهم حالا وصورة او الاعراض كناية عن
عدم النفع والابتغاء مجاز عن عدم الاستطاعة والمعنى ان لم تقدر على نفعهم لعدم الاستطاعة
فقل لهم قولا ميسورا ذا يسر ولين مثل يفتح الله ويرزقك الله وفي الحديث الكلمة الطيبة
صدقة وقيل ابتغاء رحمة من ربك متعلق بجواب الشرط مقدما عليه اي قل لهم قولا ميسورا
رحمة عليهم مستغنيا بذلك رحمة الله عليك واما يستقيم على مذهب الكوفية لان ما بعد الفاء لا يعمل

فيما قبلها في غيرها عنه غيرهم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط
نهى عن الافراط والتفريط وهما الشح والاسراف ليلزم منه الاقتصاد المحمود وهو الجود
فالغل والبسط كنايتان عنهما روي انه كان عليه قميص لم يكن له غير ذلك فاستكسته
امراة فكساها اياه وقعد عريانا ثم اذن بلال فلم يقدر على الخروج وانتظره الناس فنزلت
فان قلت قد ذكرت انه لا سرف في الخير وقد صح عنه انه قال لو كان عندي مثل احد ذهبا ما اخرت
منه شيئا الا ما ارصده لديني قلت ذاك حيث لا يترتب عليه مفسدة ولا شك ان قعوده
في البيت لعدم القدرة على الخروج فيه فوات مصالح لا تحصى فتقعد ملوما يلومك الناس
لاخلالك بمصالحهم فينسبونك الى سوء التدبير وتلوم نفسك ندما على ما فعلت محسورا
منقطعا عن الناس من حسر بصره اذا كل والقطع او ملوما من حسرت الناقة اذا كلت
واعيت عن السير او من الحسرة وهي شدة التلهف على الفايت ان ربك يبسط الرزق
لمن يشاء ويقدر تسلية له بعد العتاب بان ما فيه من ضيق ذات اليد ليس لهوان منه
عليه تعالى وفيه ايماء الى ان الله تعالى مع سعة رزقه يبسط ويقدر فاستنوا به انتم ايضا
انه كان بعباده خبيرا بصيرا عالما باسرارهم وعلنهم يبسط لمن اقتضت الحكمة له البسط و
يقبض كذلك ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق من خوف الفاقة نحن نرزقهم واياكم
ايضا فلا وجه للقتل اذا ان قتلهم كان خطأ كبيرا لان قتل النفس من اكبر الكباير وفيه
قطع التناسل وعدم الاعتماد على ضمان الرزاق ونسبة العجز اليه والخطأ كالاثم لفظا
ومعنى مصدر خطئ كاثم وقرا ابن ذكوان بفتح الخاء والطاء مصدر خطئ ايضا كورم ورما
ذكره الزجاج وقيل اسم مصدر اخطأ الصواب وقرا ابن كثير بكسر الخاء ومده وهو مصدر
خاطأ بمعنى خطئ كساقى ومصدر الثلاثي كقيام مصدر قام والمختار الكسر مع القصر لوضوح
المعنى وعدم التاويل ولا تقربوا الزنا فضلا عن المباشرة والوقوع فيه انه كان فاحشة
زايدة القبح لاشتماله على انواع من المعاصي وساء سبيلا بئس طريقا طريقه لان غصب
البضع ليس مشروعا في ملة ولا في حالة ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق
الذي شرع وقد بينه بقوله عليه السلام لا يحل دم امرئ مسلم الا باحدى ثلث كفر بعد ايمان
وزنا بعد احصان وقتل مؤمن معصوم وهذا حال الاختيار فلا يشكل بقتل المسلم
في تترس الكفار ولا تقتل الصايل دفعا ومن قتل مظلوما لم يستوجب القتل فقد
جعلنا لوليه لمن يلي امره سلطانا فلا يسرف في القتل القاتل ابتداء بان يقتل عمدا
فيقتص منه او الولي جماعة بواحد او غير القاتل كما كان دابهم في الجاهلية وبعد
اخذ الدية او العفو او لا يراعي المماثلة المعتبرة في القصاص وقرا حمزة والكسائي بالخطاب
على تقدير يا قاتل ابتداء او يا ولي القتيل والياء هو المختار لقرب الولي ولان نهي القاتل
ابتداء قد علم من قوله ولا تقتلوا انه كان منصورا علة للنهي والضمير لولي المقتول
اي لكونه منصورا في الدنيا بتشفيه بالقصاص او للمقتول ظلما نصر بالقصاص بان لم يهدر

دمه

دمه وفي الاخرة بالثواب او القاتل ابتداء خطأ لا يقتل فلو قتل كان اسرافا فيقتل قاتله
ولا تقربوا مال اليتيم فضلا عن اكله الا بالتي هي احسن الا بالطريقة التي هي احسن
الطرق من حسن النظر فيه حتى يبلغ اشده كمال القوة والعقل فيستقل بالولاية واوفوا
بالعهد بينكم وبين الله وبين ساير الخلق ان العهد كان مسئولا مطلوبا من المعاهد
الوفاء به كساير الحقوق من سالت الشيء طلبته او العهد مسئول عن حاله كيف رعى
تخييلا على طريقة واذا الموءودة سئلت او الناكث يسال عن حال العهد ويعاتب عليه
واوفوا الكيل اذا كلتم للناس وزنوا بالقسطاس المستقيم بالميزان المستقيم رومي معرب
فلا يقدح في كون القران عربيا لاجراء احكام العربي عليه وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر
القاف كالقرطاس وهما لغتان ذلك خير واحسن تاويلا مالا وعاقبة تفعيل من آل
الامر الى كذا ولا تقف ما ليس لك به علم لا تتبع شيئا لا تعلمه قولا كان او فعلا من قفوت
الشيء وقفيته اتبعته وفي الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال
حتى ياتي بالمخرج استدل به من نفى الاجتهاد ورد بان الشرع قد اقام غالب الظن مقام
العلم في الفروع وقيل هذا في العقايد والاصول وحيث لا مساغ للاجتهاد ان السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك اي كل هذه الاعضاء واولاء يشار به الى العقلاء وغيرهم سواء قال
جرير والعيش بعد اولئك الايام كان عنه مسئولا ضميره كان عايد الى كل وكذا المجرور في
عنه والجار والمجرور قائم مقام فاعل مسئولا ومنع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه لخوف
اللبس بالمبتدا ولا لبس هنا او في مسئولا ضمير المصدر المدلول عليه بلا تقف والمعنى ان
هذه الاعضاء تسال فيما استعملها صاحبها ولا تمش في الارض مرحا ذا مرح وهو الفرح
الشديد وفي الحديث كان رجل فيمن كان قبلكم يمشي فنظر في عطفه فاعجبته نفسه فخسف
الله الارض به فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال
طولا بما تفعله في تلك المشية تهكم به ونسبة الى السفه ناول رسول الله يوم احد ابا دجانة سيفا
كان بيده فاخرج عصابة حمراء وشدها في راسه وكان تسميها عصابة الموت وتمشى
مرحا مختالا نحو العدو فقال رسول الله هذه مشية لا يحبها الله الا في هذه الموطن كل
ذلك كان سيئه اشارة الى ما ذكر من المامور والمنهي ولفظ كل للشمول والسيئ المنهي
فعله والمامور تركه او هو المنهي والامتياز بالاضافة وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو على لفظ
التانيث منصوبا خبر كان وكل للمنهي وحده وقوله عند ربك مكروها خبر آخر او بدل او
حال من المستكن في كان والتذكير هو المختار لظهور المعنى مع الشمول وكون الفعل مكروها
لا ينافي الارادة كتناول المريض الدواء ذلك اشارة الى ما تقدم من الاحكام مما اوحى
اليك ربك بعض ما اوحى اليك من الحكمة بدل مما اوحى او حال من العايد المحذوف
سميت حكمة لعدم تطرق النسخ اليها فكانت في غاية الاحكام او لان الاحكام الشرعية
كلها حكم وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان هذه الايات مكتوبة في توراة موسى عشر ايات

ولا تجعل مع الله الها آخر كرره للتنبيه على عظم شان التوحيد ورتب عليه اولا ما يترتب
على تركه من الذم والخذلان وثانيا ما يثمره في الآخرة بقوله فتلقى في جهنم كما تلقى الحطب
والحجر ملوما يلومك كل احد او تلوم نفسك نادما مدحورا مدفوعا مبعدا من رحمته
افاصفاكم ربكم بالبنين آثركم بهم من الصفوة الهمزة للانكار نهى عن الشرك ثم اردفه
بما هو رديفه وقرينه وهو نسبة الولد اليه تعالى واتخذ من الملائكة اناثا مفعول اول
والثاني محذوف اي اولادا ويجوز ان يكون متعديا الى مفعول واحد نحو قالوا اتخذ الله
ولدا انكم لتقولون قولا عظيما حيث تنسبون الى الذي ليس كمثله شيء الولد لا سيما وقد
جعلتم له ما تكرهونه لانفسكم ولقد صرفنا في هذا القرآن كررنا القول بعبارات مختلفة
الاشارة الى البعض وهو الآيات المشتملة على ابطال الولد لانه مما كرر او الكل اي ولقد
صرفنا القول في مواضع في هذا القرآن ليذكروا ليتذكروا ويتعظوا فان للتكرار تاثيرا
بليغا وما يزيدهم التكرار والتصريف الا نفورا تجافيا عن الحق وعدم طمانينة به وعن
الثوري انه كان اذا قرا هذه الآية يقول لئن زاد اونك نفورا ما زاد في لك الا خضوعا
وقرا حمزة والكسائي ليذكروا من الذكر بضم الذال وهو ذكر القلب ضد النسيان والذهول
والمعنيان متقاربان الا ان في التذكر زيادة تعمل قل لو كان معه آلهة كما تقولون
قرا ابن كثير وحفص بياء الغيبة اي قل للمشركين مستدلا عليهم في بطلان الشرك لو كان
آلهة كما تزعمون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا لطلبوا اليه طريقا طلب الملك وسعيا في
المغالبة كما هو ديدن عادات الملوك ولذلك آثر لفظ ذي العرش او لو كان معه آلهة لتقربوا
اليه متوسلين الى جوده مستكملين من فضله وفيضه فادعاء الالوهية في المستكمل اعتراف
بالتناقض سبحانه وتعالى تنزيه له عما يقولون عن مثل هذا القول فكيف عن ثبوته و
تحقق مدلوله علوا كبيرا زائد العلو وصف العلو بالكبر الذي هو من اوصاف الاجسام ليدل
على فرطه قرا ابن كثير وحفص بالتاء او الذي بعده قراءة نافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم
تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن يدل على وجوده بحدوثها وامكانها وعلى وحدانيته
باوصافها ونظامها شبه الدلالة بالنطق وعبر عنه بالتسبيح استعارة بالكناية والاسناد
الى ما لا يصح منه النطق قرينة وتخييل ومن جوز استعمال المشترك في المعنيين حمل التسبيح في
المعطوف على الحقيقة لان من اريد به الملائكة والثقلان وان من شيء الا يسبح بحمده
ولكن لا تفقهون تسبيحهم الخطاب للمشركين لانه قدم ذكر قبايحهم ثم نزه ذاته بالغ في
تلك النزاهة ثم اقام البرهان عليها بان الاكوان شاهدة بها ولكن انتم ايها المشركون
ليس لكم فهم تدركون به تلك الشهادة لتوقفها على التدبر والنظر الصحيح وقيل الخطاب
للمؤمنين وعدم الفقه عدم العمل بمقتضى تلك المعرفة لاستيلاء الغفلة على الاكثر والوجه
هو الاول انه كان حليما لا يعاجل بالعقوبة بعد ظهور اسبابها غفورا يغفر لمن تاب
بعدها واذا قرات القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا ذا ستر

مثل

مثل سيل مفعم او هو حجاب لا يرى فهو مستور عن الابصار او حجاب دونه حجاب وجعلنا
على قلوبهم اكنة حكاية ما كانوا يقولون في آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب او ابتداء
كلام تعليل للاعراض والاول الصق بالمقام لان الكلام في عد قبايحهم ان يفقهوه
كراهة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا صمما يمنعهم عن السماع والقرآن معجز بلفظه ومعناه
وانما قدم المانع عن ادراك المعنى وان كان الثاني مقدما في الوجود لكونه اهم واذا ذكرت
ربك في القرآن وحده منفردا عن آلهتهم يقال وحد يحد وحدا وحدة كوعد يعد عدة نصب
على المصدر قائم مقام الحال يقال جبس وحده اي منفردا وفي حديث عايشة تصف عمر
بن الخطاب لله در ام ورثت عليه كان نسيج وحده ولوا على ادبارهم هربوا كالنين
على صفة القهقرى من شدة الانكار نفورا جمع نافر كقعود في قاعد او مصدر بمعنى التولية
نحن اعلم بما يستمعون به بالشيء الذي يستمعون لاجله هازئين بك وبالقرآن الجار والمجرور
في محل الحال او بما يستهزءون به مستمعين اليك على التضمين قيل كان اذا قرا وقف
عن يمينه رجلان من عبد الدار واخران منهم عن شماله يصفقون ويخلطون عليه
بالاشعار اذ يستمعون اليك ظرف لاعلم مبالغة في الوعيد بانه احاط بما فعلوه ولوقته
لم يفعله بعد واذ هم نجوى اي ونحن اعلم بما يتناجون به اذ هم ذوو نجوى او جمع
نجي اذ يقول الظالمون بدل من اذ هم نجوى ان تتبعون الا رجلا مسحورا بيان لما
وقع به التناجي وضع الظالمون موضع المضمر دلالة على ان تناجيهم من باب الظلم
ولا يجوز ان يكون بدلا من اذ الاول لان هذا القول ليس من الاستهزاء بل مما يسر به
بعضهم الى بعض ولما يلزم ان يكون حديث النجوى فاصلا اجنبيا والمسحور من سحر به فاختل
عقله وقيل اذ السحر وهي الرية اي بشرا مثلكم انظر كيف ضربوا لك الامثال مثلوك بالساحر
تارة وبالمسحور اخرى وتارة يقولون انما يعلمه بشر اولا وجه ان يقال ضرب الامثال
له هو قولهم ائذا كنا عظاما الى آخر المقالات الثلث على انه بيان وتفسير لذلك المجمل
فضلوا عن طريق الصواب فلا يستطيعون سبيلا طريقا اليه لانحصاره في الطريق الذي
انت عليه وهم ناكبون عنه وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا عطف على قوله فضلوا اي باب اخر
من ابواب الضلال او على مقدر دل عليه الكلام اي قالوا انك مسحور وقالوا ائذا كنا لما
ذكر استهزاءهم به وبما جاء به اتبعه بالاستهزاء بالذي دل عليه ما جاء به وهو البعث بعد تفتت
الاجزاء والرفات كل ما دق وكسر ائنا لمبعوثون خلقا جديدا انكار منهم ودعوى استحالة
والعامل في اذا ما دل عليه مبعوثون لا نفسه لتصدر الاستفهام وخلقا اما حال بمعنى مخلوقا
او مصدر قل كونوا حجارة او حديدا كانت شبهتهم في دعوى الاستحالة عدم التناسب
بين العظام الرفات وبين الحيوة لانها تقتضي كون المحل غضا طريا وقد استولى اليبس
على تلك العظام ورقت ازاح الشبهة بانه قادر على ايجاد الحيوة فيما هو ابعد مناسبة
من العظام الرفات وهو الحجارة والحديد لان نسبة قدرته الى كل الممكنات سواء

ومعنى الامر الاهانة وقلة المبالاة او خلقا مما يكبر في صدوركم ابعد من الحديد في قبول
الحيوة قيل هو الموت فان الله قادر على احياء الموت وقد صح انه يؤتى به في صورة كبش
فيذبحه يحيى بن ذكريا بين الجنة والنار فسيقولون من يعيدنا ابدوا للبعد شبهة
اخرى تتعلق بالفاعل بعد ازاحة الشبهة عن القابل قل الذي فطركم اول مرة من
العدم وانتم معترفون بذلك فسينغضون اليك رؤسهم يحركونها نحوك تعجبا
واستهزاء يقال نغض راسه اذا حركه وفي حديث ابن الزبير ان الكعبة لما احترقت
نغضت اي تحركت واشرفت على الانهدام ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا
فما اعذركم بعد الوقوع وكل آت قريب ولم يبين لهم الوقت لانه متفرد بعلمه من
الخمس التي لا يعلمها غيره يوم يدعوكم فتستجيبون هو ندا اسرافيل للبعث وهو المنادي
من مكان قريب اسنده الى نفسه اجلالا له وقيل الدعاء والاستجابة واستعارتان
للبعث والانبعاث تنبيها على سرعة وقوعهما وسهولة امرهما مع الدلالة على انهم مطلوبون
للحساب والجزاء بحمده قائلين سبحانك اللهم وبحمدك او منقادين معترفين
بوحدانيته حيث لا ينفع وقيل ابتداء الكلام مع المؤمنين وتظنون ان لبثتم الا قليلا اي
في الدنيا وفي القبور وذلك لما يرون من الهول وقل لعبادي اضافهم الى نفسه تشريفا
لهم يقولوا التي هي احسن الكلمة او الحجة التي هي احسن لخلوها عن الجدال والخشونة
ان الشيطان ينزغ بينهم بالحمل على المخاشنة فعلى المحارم ان لا يغتر بوساوسه ان الشيطان
كان للانسان عدوا مبينا قديم العداوة واشنعها ربكم اعلم بكم ان يشأ يرحمكم وان يشأ
يعذبكم تفسير للتي هي احسن وما بينهما اعتراض اي قولوا هذا الكلام لهم ونظايره ولا تقولوا
انهم اهل النار وامثاله لثوران الفتنة مع عدم العلم بالعاقبة وما ارسلناك عليهم
وكيلا موكولا اليك امرهم ان عليك الا البلاغ والجدال بالتي هي احسن دون المحاقة
والمشاقة وربك اعلم بمن في السموات والارض رد لانكارهم ان يكون يتيم ابي طالب
رسولا بان من اختاره للنبوة علمه محيط بمن في السموات والارض فلو لم يكن اهلا لها لما
اختاره ولقد فضلنا بعض النبيين عن بعض اي فضلناك على ساير الانبيا لعلمنا ان
ليس فيهم من يوازيك واتينا داود زبورا ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض
يرثها عبادي الصالحون ودل على كونه خاتم الرسل وامته آخر الامم ويجوز ان يراد ما بين
الرسل من تفاوت الرتب بحسب ما سبق في علمه تعالى وذكر داود منفردا اشعارا بذكر الزبور
للدلالة على ان فضله وشرفه انما هو بالكتاب والمعارف لا بالملك والامارة ونكره
لانه اراد بعضه وهو المشتمل على تفضيل الرسول وامته او لانه من الاعلام المشتقة كالحسن
فاتي باللام وبدونه وقرا حمزة زبورا بضم الزاء قل ادعوا الذين زعمتم من دونه كالملائكة
والمسيح وعزير فلا يملكون كشف الضر عنكم كرفعه وازالته ولا تحويلا عنكم الى عداكم فهم عن
ايصال النفع ابعد اولئك الذين يدعون يسمونها الهة يبتغون الى ربهم الوسيلة خبر

اولئك

اولئك الذين يدعون صفته ايهم اقرب بدل من واو يبتغون واي موصولة حذف
صدر صلتها والمعنى اولئك المعبودون يطلب اقربهم منه الوسيلة بالطاعة والخضوع
اليه وقيل يبتغون فيه تضمين معنى الحرص اي اولئك المعبودون يطلبون الى ربهم
الوسيلة بالطاعة يحرصون على الاقربية ويغالبون فيها فالابتغاء واقع على الوسيلة و
الحرص على الاقربية ويرجون رحمته ويخافون عذابه كما هو شان العبيد مع المولى فكيف
يصح دعوى الالوهية فيهما ان عذاب ربك كان محذورا حذرا بان يحذره كائنا من
كان لشدة هوله اعاذنا الله منه وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيمة مهلكوا
اهلها بالموت والاستيصال او معذبوها عذابا شديدا بالقتل والسبي وعن مقاتل الصالحة
بالموت والطالحة بالعذاب وقيل المراد قرى الكفار كان ذلك في الكتاب مسطورا
في اللوح المحفوظ لا بد من وقوعه وما منعنا ان نرسل بالايات مجاز عن ترك الارسال
وان مع مدخولها فاعل المنع جواب لقولهم لولا يأتينا باية كما ارسل الاولون الا ان
كذب بها الاولون بالايات المقترحة وقد جرت سنتنا باستيصال من كذب بها وقد
سبقت المشية بايمان بعضهم وان لا نستاصل هذه الامة واتينا ثمود الناقة مبصرة
مضيئة واضحة في كونها اية من ابصر اذا اضاء كقوله والنهار مبصرا او جاعلة اياهم بصراء
من البصيرة جعلته ذا بصيرة افردها لكونها قريبة من ديارهم يشاهدها صادرهم وواردهم
فظلموا بها كفروا بها او ظلموا انفسهم بعقرها الموجب لاهلاكهم وما نرسل بالايات الايات
المقترحة فانها طلايع الاستيصال ان كذب بها او الايات النازلة من القران بعضها
اثر بعض الا تخويفا من الاستيصال او من عذاب الاخرة الساتر مزيدا او في موقع الحال
واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس لقوله سيهزم الجمع وقوله قل للذين كفروا ستغلبون
بشارة بنصره وشفاء صدره والتعبير بالماضي كما في نظايره لتحقق وقوعه وما جعلنا الرؤيا
التي اريناك اي راى في منامه نصره وهلاك عدوه روى مسلم وابو داود عن انس انه لما
ورد ماء بدر فقال هذا مصرع فلان وهذا مصرع فلان ويضع يده على الارض ههنا ههنا
قال فما ماط احد موضع يده فلما تسامعت قريش ضحكوا منه سخرية فذلك قوله الا فتنة
للناس وقيل هو رؤيته عالم الملكوت ليلة الاسرا وبه تعلق من قال انها كانت في
المنام وليس له فيه دليل لعدم اختصاص الرؤيا بالمنام كيف وابن عباس رضي الله عنه
من اعرف الناس باللسان وقد حملها على رؤية العين وقيل انما عبر عنها بالرؤيا لوقوعها
بالليل وقيل هي رؤياه انه دخل مكة التي اخبر الله عنها بقوله لقد صدق الله رسوله الرؤيا
بالحق لتدخلن المسجد الحرام وكون السورة مكية لا يمنع وقوعها بها وحكايتها لهم بالمدينة
وكونها فتنة انه لما صالح قريشا ولم يدخل مكة ورجع اضطرب الناس لذلك حتى قال له
عمر الست اخبرتنا انا ندخلها ونطوف بالبيت فقال هل قلت لك هذا العام فقال
لا فقال انك ستدخلها وتطوف به وقيل راى ان اغلمة من بني امية ينزون منبره نزو القرد

والفتنة ما حدث في ايامهم اعظمها لعنهم علي بن ابي طالب على المنابر والشجرة الملعونة
في القران عطف على الرؤيا وهي شجرة الزقوم لما سمعوا انها شجرة تخرج في اصل الجحيم
فقالوا او عجبا من محمد يقول نار جهنم تحرق الحجارة ثم يقول ان فيها شجرة وهذا الاستبعاد
انما كان لجهلهم بالله وبصفاته اذ ليس نبات الشجرة في النار بابعد من وجود النار
بين اجزاء الشجر الاخضر الغض وهم يعترفون بذلك يتعاطونه فيما بينهم افرايتم النار
التي تورون ولعنها في القران الاخبار بانها طعام الاثيم او اسند اللعن اليها وهو
لاصحابها او لانها في اصل الجحيم وهو ابعد مكان من رحمة الله وقيل هي الشيطان وقيل
ابو جهل وقيل الحكم بن العاص ونخوفهم بانزال الايات او عيد شيئا بعد شيء فما يزيدهم الا
طغيانا كبيرا الا تجاوزا عن الحد مفرطا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم استطرد قصة ابليس
مع ادم اشارة الى ان هولاء من اتباعه الذين لم تجد فيهم الايات والنذر فسجدوا
الا ابليس قال ءاسجد لمن خلقت طينا انكر ان يكون ساجدا لمن هذه صفته تحقيرا له
وطينا نصب على الحال اما من الموصول والعامل فيه اسجد وهو وان لم يكن حالة السجود
طينا الا انه جعله نفس ما كان مبالغة في الاحتقار زاعما ان تلك الذلة لم تزل او من
الراجع المحذوف اليه والعامل خلقت اي خلقته وهو طين او منصوب بنزع الخافض
قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الكاف للخطاب لا محل له من الاعراب والمعنى
اخبرني عن شان هذا الذي فضلته علي لم فعلت ذلك والحال تقتضي عكس ذلك او انا
خير منه حذف لدلالة السابق عليه ثم ابتدا الكلام منتقما منه بقوله لئن اخرتني الى يوم
القيمة لاحتنكن ذريته الا قليلا منهم لم يفد فيهم مكري الاحتناك قلع الشيء من اصله والمراد
حملهم على الكفر الموجب للخلود والعذاب الذي هو بمنزلة الاستيصال وقيل من حنكت الدابة
اذا جعلت حبلا في حنكها الاسفل تسخيرا لها وعلمه بذلك اما من قول الملائكة اتجعل فيها
من يفسد او لما علم وسوسته في ادم او تفرس في خلقه وما ركب فيه من القوى الشهوية
والغضبية قال اذهب اجابة الى ما طلب من الاغواء والتخلية لما هو بصدده فمن تبعك
منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا بين له ما جر اليه سوء اختياره وغلب المخاطب على
الغايب لانه الاصل في ذلك وقيل التفات الى من تبعه ونصب جزاء على الحال الموطئة
او المؤكدة او المصدر لما دل عليه ان جهنم جزاؤكم والموفور الكامل دفع توهم خفة العذاب
لاشتراك الجم الغفير فيه واستفزز من استطعت منهم بصوتك استخف من الفز وهو الخفة
والمراد خفة العقل ونقصان الراي واجلب عليهم بخيلك ورجلك من الجلبة وهي الصياح
والخيل الخيالة اسم جمع وكذا الرجل كركب وصحب وقرا حفص بكسر الجيم على انه وصف كراجل
يقال رجل راجل ورجل ورجلان اي ماش لا صوت ولا خيل ولا رجل وانما الكلام على التمثيل
من تمكنه من الاغواء وازاحة موانعه وتوفير اسباب ما هو بصدده ويحتمل ان يكون له
خيل ورجل من الشياطين وجنده وفي الحديث ان ابليس ينصب عرشه على الماء ثم يفرق

سراياه

سراياه للافساد فاقربهم عنده من فرق بين المرء وزوجه وشاركهم في الاموال كالبحيرة
والسائبة والوصيلة والخيانة وكل تصرف لا ساغ له شرعا والاولاد وتسميتهم الاولاد
بعبد العزى وعبد يغوث وعبد الحارث وتحصيل الولد بالسفاح وعدهم بان الاصنام
تشفع لهم وبتسويف التوبة والاتكال على كرامة الاباء وما يعدهم الشيطان الا غرورا
شيئا يغتر به لا حقيقة له من الغرة وهي الغفلة اعتراض لئلا يغتر بمواعيده ان عبادي
ليس لك عليهم سلطان وهو المخلص الذين قال ابليس الا عبادك منهم المخلصين
دل على التخصيص اضافة التشريف وكفى بربك وكيلا يتكلون عليه من وساوسه ودفع
اغوائه ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر عاد الى دلائل التوحيد وافاضة النعم على غير
الشاكرين والازجاء السوق والمراد تسييرها بارسال الريح لتبتغوا من فضله بالتجارة
والربح وتحصيل ما يحتاجون اليه انه كان بكم رحيما حيث هيا لكم اسباب المعاش
في البحر الذي هو مظنة الهلاك واذا مسكم الضر في البحر خوف الغرق عند تلاطم الامواج
ضل من تدعون لم يهتدوا الى انقاذكم من الضلال ضد الرشاد او ذهب عن خاطركم من تعبدونه
من ضل عني اذا ضاع او من ضلني فلان اذا ذهب وفارقك قال شعر والسائل المبتغي
كرائمها يعلم اني يضلني على الاياه فانه لا يزول في ذلك الوقت عن خاطركم لعلمكم بانه القادر
على الانجاء وقيل الاستثناء منقطع وذلك لانهم ما كانوا يدعون الله الا في الشدائد واما في
حالة السراء فكان دعاؤهم مختصا بالهتهم وحدها فكانه خارج عن المدعوين لذلك الاختصاص
فلما نجاكم الى البر اعرضتم عن التوحيد واختصاصه بالدعاء او اعرضتم في الكفران واتسعتم
فيه من اعرض في كذا اتسع فيه وفي حديث الاعرابي لئن اقصرت الخطبة فقد اعرضت في
المسئلة وقال ذو الرمة عطاء فتى تمكن في المعالي فاعرض في المكارم واستطالا وكان
الانسان كفورا كثير الكفران افامنتم تقرير فيه معنى الانكار والفاء عاطفة على مقدر
اي انجوتم من الغرق فامنتم ان يخسف بكم جانب البر فيجعلكم تحت الارض مقلوبة عليكم
وهو عذاب من جنس الغرق فلا وجه لامنكم مع استواء القدرة على النوعين من العذاب
وانما ذكر الجانب للدلالة على ان الجوانب والجهات كلها مستوية بالنسبة الى قدرته ولو
ذكر البر في مقابلة البحر كما في قوله فلما نجاكم الى البر فاتت تلك الدلالة قراه ابن كثير وابو عمرو
نخسف بالنون وكذلك الافعال المذكورة بعده التفاتا من الغيبة وهو ابلغ في التهديد
او يرسل عليكم حاصبا ريحا من جانب الفوق بالحصباء وهي الحصى الصغار فان القتل بها اشد
عذابا كما ارسل بها ابابيل على اصحاب الفيل ثم لا تجدوا لكم وكيلا يقوم بنصركم ومنه الوكيل
في اسمائه تعالى ام امنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى بان يخلق فيكم دواعي الركوب وتشجعكم
على ذلك نجاتكم في المرة الاولى فيرسل عليكم قاصفا من الريح لا تمر بشيء الا قصفته وكسرته
فيغرقكم بما كفرتم او عد بغرق البحر بعد ايعاده بنوعين من عذاب البر لكونهما قليل الوقوع
فليس للانذار بهما ما للغرق من الهول لاسيما وقد نقضوا العهد الذي عهدوه ان كشف عنهم

حين لا اشراف عليه ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا مطالبا يطالبنا بما فعلت ولقد كرمنا بني
آدم حث للانسان على الشكر بعد ما قدم حفظه وكلاءته له وحملناهم في البر والبحر على الدواب
والسفن ورزقناهم من الطيبات من المستلذات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا
تفضيلا بان سخرنا لهم ما في السموات والارض سيما بالمعاشهم وخصصناهم ببديع الشكل
والصورة والحواس والقوى الدراكة بحيث صار نسخة العالم عن الاصمعي دخلت يوما
على الرشيد وبين يديه جام وخبيص وبيده ملعقة فقال هلم يا اصمعي فساعد قلت يا امير
المؤمنين حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن عبد الله بن عباس
جدك في قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم بالاكل بالايدي فرمى بالملعقة والضمير لبني آدم
الشامل للصالح والطالح وليس في الاية دليل على الافضلية بمعنى الاقربية عند الله على ما
هو المتنازع فيه لا للبشر ولا للملك والذي عليه الجمهور تفضيل رسل البشر على رسل الملائكة على
عامة المؤمنين وتفضيل عامة المؤمنين على عامة الملائكة وقيل بل تفضيل عامة الملائكة
على عامة المؤمنين ومنهم من فضل مطلقا نبيا كان او وليا ومنهم من فضل الكروبين
مطلقا والحق ما عليه الجمهور يوم ندعو كل اناس بامامهم منصوب باذكر او بدل من
يوم ندعوكم او ظرف لما دل عليه قوله متى لما بين كرامة النوع على الاطلاق في الدنيا اشار
الى التفاوت في الدرجات في الاخرة والامام هو الرسول المبعوث الى الامة ينادون
بالاضافة اليه يا امة موسى يا امة محمد وقيل الامام الكتاب ينادي يا اهل القران يا اهل
التورية وقيل هو المقتدى نبيا كان او غير نبي وقيل الامام الام ينادي يا ابن فلانة
اجلالا لعيسى بن مريم والحسن والحسين وسترا على اولاد الزنا فمن اوتي كتابه بيمينه
فاولئك يقرؤن كتابهم فرحا وسرورا بما فيه من الايمان والاعمال الصالحة ولا يظلمون
فتيلا هو ما يكون في شق نواة التمرة يضرب به المثل في القلة ومن كان في هذه اعمى
عن طريق الرشاد والاستدلال بالاكوان على المكون فهو في الاخرة اعمى لا يهتدي الى
حجة واضل سبيلا منه في الدنيا لزوال الاستعداد وفوات المحل وان كادوا ليفتنونك
عن الذي اوحينا اليك قيل نزلت في ثقيف قالوا يا محمد نحن اصهارك وجوارك
اعطنا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبي في الصلوة وكل ربوا لنا
فهو لنا وكل ربوا علينا يكون موضوعا عنا وان تتركنا اللات سنة وان يمنع واديناوج
الطايف كما حرمت مكة وقيل سالته قريش الكف عن سب الهتهم وقيل سالوه
ان يمسح وجوههم ليتمكنوا من استلام الحجر وان هي المخففة واللام هي الفارقة والمعنى
ان الشان قاربوا ايقاعك في الفتنة والاشراك بالله وزلك عن احكام ما انزل اليك
لتفتري علينا غيره غير الذي اوحي اليك واذا لاتخذوك خليلا صديقا واخلالك
في خلال قلوبهم ولولا ان ثبتناك بالعصمة لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا لقاربت
ان تميل الى طلبهم ادنى ميل لشدة كيدهم وغاية احتيالك باجابتهم اذا لاذقناك ضعف

الحيوة

الحيوة وضعف الممات اي لعذاب المضاعف في الحيوة الدنيا في الاخرة حذف
الموصوف لتبادر الفهم اليه والاضافة بمعنى في وقيل ضعف الحيوة حيوة الاخرة وضعف
الممات عذاب القبر والاول هو الوجه لتبادر الفهم الى هذه الحيوة عند الاطلاق ولان
الممات يشمل القبر وما بعده وفي الكلام دلالة على جلالة قدره صلى الله عليه وسلم فان
الركون هو الميل اليسير وقد قيد بادنى ركنه مقرونا بلفظ كاد الدال على القرب دون الوقوع
فهو منزه عن الهم بما دعوه اليه فمن قال انه طلب الكاتب وامره ان يكتب بسم الله الرحمن
الرحيم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون
ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله فقالوا للكاتب اكتب فنظر الكاتب
الى رسول الله فقام عمر فسل سيفه فقال اسعر ثم قلب نبينا يا معشر ثقيف اسعر الله قلوبكم
فقد اخطا في اللغة واسند الى افضل الرسل ما لا يجوز اسناده على مسلم وهو التصميم على الشرع
في تغيير احكام الله بل الرضا بالشرك هذا ما ناله سواء السبيل واعاذنا من مزخرف الاقاويل
ثم لا تجد لك علينا نصيرا يدافع عنك وان كادوا ليستفزونك هم اهل مكة ارادوا اخراجه
واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك يؤيدان الضمير في يفتنونك لهم ودون
ثقيف من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلافك الا قليلا الا زمانا يسيرا وقد
كان كذلك فان صناديدهم بعد سنتين من خروجه قتلوا ببدر وقيل الوعيد كان لما ارادوا
ولم يخرجوه بل خرج بامر ربه وما قيل من ان الارض ارض المدينة فان اليهود رشوا له اسكني
الشام فانها موطن على الانبياء ومهاجر ابيه ابرهيم عليه السلام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
الى اميال فنزلت الاية فرجع الى المدينة فليس له اصل ولا نقله احد يوثق به وكيف يغتر
بقول اليهود وهو بين اظهر المهاجرين والانصار وقرا حمزة والكسائي وابن عامر خلافك
وهما لغتان قال عفت الديار خلافهم فكانما بسط الشواطب بينهن حصيرا سنة من
قد ارسلنا قبلك من رسلنا نصب على المصدر وهي ان كل قوم اخرجوا رسولهم ان يهلكهم
بعذاب عاجل ولا تجد لسنتنا تحويلا تغيرا دل على ان اضافة السنة الى الرسل مجاز
لوقوعها لهم اقم الصلوة لدلوك الشمس قرر التوحيد والالهيات ثم اتبعها بذكر الفروع
وبدا بالصلوة التي هي اعظم الاركان بعد التصديق والدلوك الميل والمراد به زوال الشمس
عن كبد السماء او هو وقت الظهر واللام فيه للتوقيت كما في قولك قدمت لثلث خلون
من شهر كذا وهي اول صلوة صلاها رسول الله خلف جبرائيل حين اقام له اوقات الخمس
الى غسق الليل الى وقت ظلامه يقال غسق واغسق اظلم وقران الفجر صلوة الفجر سميت
قرانا لكون القراءة ركنا فيها كما سميت بالسجود والسجدة والاختصاص لكون القراءة فيها اطول
ان قران الفجر كان مشهودا تشهدها الملائكة وتجتمع عندها ملائكة الليل والنهار او تشهدها
كثير من الناس لعدم الاشتغال وكلما كثر الجمع ازدادت الفضيلة والاية جامعة للصلوات
الخمس وحمل الدلوك على الغروب بعيد بوجوب الفاء ذكر الظهر والعصر ومن الليل فتهجد به

وعليك بعض الليل اغراء او ومن قيل فاياي فارهبون والتهجد ترك الهجود وهو النوم
ويقال تهجد اذا نام فهو من الاضداد وضميره عايد الى القران نافلة لك فريضة زايدة على
الصلوات الخمس لك خاصة دون امتك وقيل كان واجبا عليه وعلى امته ثم نسخ باخر
المزمل عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وهو مقام الشفاعة العظمى لاراحة الموقف
وتمييز الفريقين يرغب اليه الاولون والاخرون ويحمدونه على ذلك نطقت به الاحاديث
وعن جابر بن عبد الله انه قال صلى الله عليه وسلم من قال حين يسمع الاذان اللهم رب هذه
الدعوة التامة والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا حلت له
شفاعتي وانتصاب مقاما على الظرفية لفقد اي فيقيمك في مقام او على تضمين البعث
الاقامة لاستدعائه فعلا يكون فيه معنى الاستقرار فلا يصح ان يكون الفعل المذكور عاملا
فيه قل رب ادخلني مدخل صدق اي في القبر ادخالا مرضيا من قبيل رجل صدق واخرجني
مخرج صدق منه ملقى بالاكرام وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليه واخراجه منها آمنا وقيل ادخاله
الغار آمنا واخراجه منها سالما والحق التعميم في كل ما يلابسه من امر الدنيا والاخرة والصدق
يستعمل في الافعال كما يستعمل في الاقوال ويراد به الاخلاص يقال فعل ذلك الامر بنية صادقة
ومنه قوله ان لهم قدم صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا حجة مؤيدة لعنايتك
تنصرني بها على من عاداني وقيل ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر فاجابه الله بقوله
انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي وقل جاء الحق وزهق الباطل جاء دين الاسلام
وزوال ما سواه من الاباطيل وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل رسول الله مكة يوم الفتح
وحول البيت ثلثمائة وستون نصبا فجعل يطعنها بعود ويقول جاء الحق وزهق الباطل
ان الباطل كان زهوقا كلام مستقل دال على حكم كلي جار مجرى المثل فان كل باطل وان
كان له جولة وصولة يضمحل سريعا وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين من للبيان
قدمت على المبين لاهتمام او للتبعيض لا بمعنى ان بعضه شفاء دون بعض بل المعنى
ننزل ابعاضه الشافية على حسب تجدد الداء اشياء فشيا وانما كان شفاء لانه يزيل عمى الجهل
عن القلب وينجيه عن حيرة الشك ويستشفى ببركاته الامراض ولا يزيد الظالمين
الا خسارا لازدياد الكفر بزيادة المكفور به كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم واذا انعمنا على
الانسان بالامن والعافية وسعة الرزق وتوفير الاسباب اعرض عن ذكر الله
والقيام بالشكر ونأى بجانبه وترفع بنفسه ولفظ الجانب مقحم للدلالة على بعده عن الشكر
وقرا ابن عامر في رواية ابن ذكوان ناء بتقديم الالف على القلب او معناه نهض كما في
بيت امرئ القيس واردف اعجازا وناء بكلكل والمختار قراءة الجمهور لكونها انص في المراد
وهو البعد واذا مسه الشر كان يؤسا شديد اليأس قل كل يعمل على شاكلته على طريقته
التي جبل عليها من شكلت الدابة اذا قيدتها واليه اشار بقوله كل ميسر لما خلق له فربكم
اعلم بمن هو اهدى سبيلا لانه الذي خلقكم على تلك الشاكلة وجبلكم عليها واهدى من هدى

لازما

لازما بمعنى اهتدى ويجوز ان يكون من المتعدي ويسألونك عن الروح قل الروح
من امر ربي سألوه عن الروح الذي به حياة الحيوان فان العقل لا يهتدي الى حقيقته
روى البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنهما انه قال بينا انا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمشي في حرث المدينة وهو متكئ على عسيب فمر على اليهود فقال بعضهم سلوه عن الروح
وقال بعضهم دعوه لا يستقبلكم بشيء تكرهونه فقالوا سلوه فسألوه فامسك رسول الله
فلم يرد عليهم فعلمت انه يوحى اليه فقمت مقامي فلما نزل الوحي قال ويسألونك عن الروح
قل الروح من امري والمعنى انه تعالى استأثر بعلمه لا طريق لاحد الى معرفته ولذلك اردفه
بقوله وما اوتيتم من العلم الا قليلا والروح من الكثير الذي ما اوتيتم علمه وقيل معناه انه
محدث بامر الله وتكوينه وفيه ان هذا معلوم لكل من السائل والمسؤول عنه وقيل
اشار الى ان الروح لا يمكن ادراكه الا بعوارض تميزه ولذلك اقتصر عليه كما اقتصر موسى
في جواب وما رب العالمين على ذكر صفاته وهو قياس للممكن على المستحيل ومال الدليل على
عدم امكان معرفة حقيقته وقيل الروح هو جبرئيل او القران او ملك آخر فان قلت
ما وجه اتصال هذا الكلام بما تقدم قلت ان اريد بالروح القران او جبرئيل فظاهر لقوله
وننزل من القران ما هو شفاء ورحمة وان اريد به ما به الحيوة وهو المختار فهو كلام معترض
لبيان خسارهم فان القران انما كان شفاء لاشتماله على الاحكام الدينية اصولا وفروعا
وهم لا يتدبرون فيه لاقتناصها والسؤال عن ازالة ما فيها من الاشتباه ويشتغلون
بما لا ضرورة تدعوهم اليه لما نزل قوله تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا اعترضت
اليهود وقالوا ما اعجب شان محمد تارة يقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا وتارة يقول
ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا وهذا من قلة علمهم لان ما اوتي البشر من الحكمة قليل
بالنسبة الى علم الله وان كان في نفسه كثيرا على ان الموصوف بالقلة والكثرة في الايتين
ليس شيئا واحدا لان القليل هو العلم والكثير هو الخير المترتب على ذلك العلم القليل نظيره
ليلة القدر خير من الف شهر وما قيل لما قالت اليهود تلك المقالة نزلت ولو ان ما في
الارض من شجرة اقلام فليس بسديد لان سورة لقمان مكية وسورة البقرة مدنية من
اخر القران نزولا ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك ساقه امتنانا وحثا له
على استدامة الشكر بعد ما بين انه شفاء ورحمة ومعنى اذهابه محوه عن الصدور والمصاحف
وعن ابن مسعود رضي الله عنه يسرى على القران فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف
وتنزع ما في الصدور واللام موطئة للقسم المحذوف لنذهبن جوابه نايب مناب جواب
الشرط ثم لا تجد لك به علينا وكيلا كفيلا يضمن رده عليك ويتوكل علينا بالمطالبة
الا رحمة من ربك استثناء متصل اي الا رحمته فانها تقدر على الرد بعد الذهاب والتوكل
بالمطالبة او منقطع والمعنى لكن رحمتنا ادركتك فتركته غير مذهوب به ان فضله كان
عليك كبيرا حيث انزل عليك القران الذي فيه تبيان كل شيء بعد ما لم يكن تدري

ما الكتاب ولا الايمان وقد وصف فضله عليه تارة بالكبر واخرى بالعظم ملاحظة للكم
والكيف ودلالة على كمال عنايته به من كل وجه قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان
يأتوا بمثل هذا القرآن في الفصاحة والبلاغة وحسن النظم استيناف لبيان ذلك
الفضل الكبير لا يأتون بمثله لكونه خارجا عن طوقهم جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة
لجاز ان يكون جواب الشرط لكونه ماضيا كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي
ولا حرم ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا معاونا لم يذكر الملائكة لكونه مبعوثا الى الانس والجن
فهم المخاطبون بالتحدي لا لان اتيان الملائكة بمثله لا يخرجه عن كونه معجزة لان المعجزة
فعل من افعاله تعالى دالة على صدق مدعي الرسالة فلو احتمل اتيان غيره بمثله لم تبق
تلك الدلالة قطعية ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل كررنا باساليب
كل نوع من انواع الحكم التي هي في الحسن والغرابة كالامثال من مباحث المبدا
والمعاد ووقايع الانبياء مع الامم فابى اكثر الناس الا كفورا بهذه الحكم التي هي اجل
النعم صح الاستثناء وان لم يصح ضربت الا زيدا لان ابى في معنى نفي وقالوا لن نؤمن
لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا لعدم الاعتداد بما في القرآن من الاعجاز الظاهر
والمعنى الباهر وقصر النظر على المحجج الفاني من الماء والاراضي والثمار كساير البهايم
قائله نضر بن الحارث او ابو جهل والينبوع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب
الماء اذا زخر والبناء للمبالغة اي عينا كثيرة الماء وقرأ الكوفيون تفجر مخففا واصل
الفجر الشق والتخفيف هو المختار لافراد ينبوعا ولهذا اتفقوا على تشديد الثاني لوقوعه
على الانهار ولان المعجزة تقتضي وجود الفعل لا كثرته او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر
الانهار خلالها تفجيرا اي بستانا يشتمل على هذه الاشياء او تسقط السماء كما زعمت علينا
كسفا قطعا من كسفت الثوب قطعته يريدون قوله ان نشأ نخسف بهم الارض او نسقط
عليهم كسفا من السماء وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بتحريك السين والباقون بالاسكان
فعلى الاول جمع وعلى الثاني اسم جمع او تأتي بالله والملائكة قبيلا كفيلا ضامنا لصحة
ما يدعيه او مقابلا حال من الله تعالى وحال الملائكة حذف للعلم به كما حذف الخبر في قوله
فاني وقيار بها لغريب او حال من الملائكة والقبيل بمعنى الجماعة من الثلثة وما فوقها
او يكون لك بيت من زخرف من ذهب هذا اصله ويطلق على الزينة والتمويه او ترقى
في السماء ولن نؤمن لرقيك وحده لاحتمال ان يكون سحرا حتى تنزل علينا كتابا نقرأه
فيه تصديقك قل سبحان ربي تعجبا من عنادهم وتعنتهم او تنزيها له تعالى عن ان
يشاركه احد في القدرة هل كنت الا بشرا رسولا كساير الرسل وشان الرسل الاتيان
بالمعجزة الدالة على صدق دعواهم مناسبة بحال المرسل اليهم وليس انسب بحالكم من القرآن
معجزة وقد اجاب مفصلا في ساير السور ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم
لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا

انما

انما سكرت ابصارنا وما منع الناس ان يؤمنوا يريد الكفار اذ جاءهم الهدى اي الوحي
او الرسول الا ان قالوا فاعل منع ابعث الله بشرا رسولا انكار منهم ان يكون الرسول
من الله بشرا قل جوابا عن شبهتهم لو كان في الارض ملائكة يمشون كما يمشي الناس
لا انهم يطيرون الى السماء ويأخذون العلم منها لك مطمئنين مستوطنين احتراز من الملائكة
المرسلين لامر الله والسياحين لسماع الذكر لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا من جنسهم
ليسهل الاخذ منه ولذلك كان جبرائيل يتمثل رجلا في اكثر الاحيان وبشرا وملكا يجوز
ان يكونا موصوفين برسولا والاحسن جعلهما حالين لان مصب الغرض انكار كون
الرسول بشرا واعتقاد كونه ملكا والتقديم اوفق داعون قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم
على اني بلغت ما ارسلت به وبذلت الجهد انه كان بعباده خبيرا بصيرا احالهما بسرائرهم
وظواهرهم ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه يقدرون
على هدايتهم ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم لانها اشرف الاعضاء واباؤهم ولانهم
لم يعفروها بالسجدة لربهم تواضعا قيل يا رسول الله كيف يمشي الانسان على وجهه
فقال اليس الذي امشاه على رجليه قادرا على ان يمشيه على وجهه عميا وبكما وصما الكلام على
التشبيه اي لا يرون شيئا تقر به اعينهم ولا يسمعون ما يستلذ اسماعهم ولا ينطقون بما
يقبل منهم او على الحقيقة بان يحشروا كذلك بعد الحساب الى النار لانهم يتكلمون ويرون
ويسمعون قال تعالى يتخافتون بينهم اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا
فسوف يعلمون حين يرون العذاب مأواهم جهنم كلما خبت سكنت زدناهم
سعيرا توقدا يقال سعرت النار اذا هيجتها وزدتها لهبا الظاهر زدناها سعيرا او لما
اوقع الفعل عليهم ذلك جزاؤهم بانهم كفروا باياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا ائنا
لمبعوثون خلقا جديدا يشير الى الحكمة في افنائهم بالنار واعادتهم على الدوام لانكارهم
الاعادة بعد الفناء فجزاهم الله بالذي كانوا يكذبون به اولم يروا ان الله الذي خلق
السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم الاستفهام للانكار داخل على النفي فيفيد
الاثبات اي قد علموا يقينا ان من قدر على خلق السموات والارض قادر على اعادتهم
لفظ المثل اشارة الى ان الاعادة مثل البداء كما بدأكم تعودون وجعل لهم اجلا لا ريب فيه
عطف على اولم يروا لان العطف على الصلة يمنعه الفصل بالخبر وعلى ما بعد ان المصدرية
لا يحسن معنى والاجل يوم القيمة بدليل قولهم ائذا كنا عظاما وقيل هو الموت والمعنى انهم
قائلون بالموت لا محالة ولم يخلقوا عبثا فلا بد من الجزاء وذا لا يكون الا بالاعادة ففيم
الانكار فابى الظالمون الا كفورا جحودا اتى بالمظهر دلالة على انهم ظالمون في الانكار بعد
وضوح الحق قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق انتم فاعل
فعل محذوف يفسره تملكون لان لو الشرطية لا يدخل الا على الفعل والمعنى ان هؤلاء
الذين طلبوا منك ان تفجر لهم من الارض ينبوعا ارادوا به توسعة الرزق عليهم فهم

من الشح بحيث لو ملكوا خزاين رزق الله التى لانهاية لها لبخلوا بها من خوف
الفقر مع علمهم بعدم نفادها شعر ولو ان دارا انبتت لك ارضها ابرا ليضيق بها فناء
المنزل واتاك يوسف يستعيرك ابرة ليخيط قد قميصه لم تفعل قيل لما برز الكلام فى صورة
المبتداء والخبر افاد الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المبالغ قلت وهذا
اذا اقتضاه المقام اولا معنى للاختصاص فى قوله وان احد من المشركين استجارك وكان
الانسان قتورا شديد البخل من قتر على عياله اذا ضيق عليهم النفقة قال الحاكم وهذا
سح قاتر ولجامه ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات متصل بقولهم لن نؤمن لك
حتى تفجر لنا اشارة الى ان موسى قد اتى باعظم مما سالتم ولم يؤمن به فرعون وقومه كما
قال وما منعنا ان نرسل بالايات الا ان كذب بها الاولون والايات التسع هى العصا
واليد البيضاء والجراد والقمل والضفادع والدم وانفجار الماء من الحجر وانفلاق البحر ونتق
الجبل فان قلت نتق الجبل وانفجار الماء من الحجر ليسا من الايات المذهوب بها الى فرعون
قلت ان اريد بيان ما اوتى موسى من المعجزات لا ما تحدى به فرعون الا يرى ان فلق البحر
لم يكن فى معرض التحدى بل بعد ما حق عليه القول ويدل على ذلك قوله بعد هذا ما انزل
هؤلاء لكون الاشارة الى بعضها بالضرورة لان الكل لم يكن موجودة الا على التدريج والتعاقب
وما روى صفوان بن عسال ان بعض اليهود وسال رسول الله عن الايات التسع التى
اوتى موسى فقال هى الا تشركوا بالله ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تزنوا ولا تسحروا ولا تسرقوا
ولا تاكلوا الربوا ولا تمشوا ببرى الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا من الزحف
وعليكم اليهود خاصة ان لا تعتدوا فى السبت فلا يناسب تفسير الاية بها لبنو المقام عنها فاسئل بنى اسرائيل
اذ جاءهم اى قلنا لموسى اسئل بنى اسرائيل من فرعون وقت مجيئه لقوله انا رسولا ربك
فارسل معنا بنى اسرائيل وقيل الخطاب لرسول الله وقوله فقال له فرعون اعتراض من
باب زيد فاعلم فقه والمعنى اسئل يا محمد عما جرى بينه وبين فرعون اهل الكتاب اما لان
تظاهر الادلة يقوى اليقين واما للدلالة على انه امر محقق عندهم وليس القصد منه السؤال
حقيقة بل كونهم من اهل علمه بحيث يؤمر مثلك بالسؤال منهم او متعلق باذكر على الاستيناف
او يخبروك على جواب الامر ولا يجوز تعلقه باتينا لانه لم يؤت التسع وقت مجيئه وضمير هم
لاباءهم فقال له فرعون انى لاظنك يا موسى مسحورا تخبط عقلك حيث تتكلم بما لا يعقل
والظن اما بمعنى العلم بقرينة انه بصدد تكذيبه او على طريقة كلام الملوك فى ان ظنهم لا يكذب
كما ان لعل وعسى عندهم لازم الوقوع قال لقد علمت ما انزل هؤلاء اى الايات التى
اريتها اياه وقراء الكسائى وابو بكر بضم التاء على الاخبار على نفسه تكذيبا لظن فرعون و
الاحسن الخطاب لان علم الخصم بصحة الدعوى ابلغ فى الالزام مثله وقد تعلمون انى
رسول الله اليكم الا رب السموات والارض بصائر يبصرك الحق وصدقى نصب على الحال
وانى لاظنك يا فرعون مثبورا اذ ثبور اى هالكا او مصروفا عن الحق من ثبره حبسه او من حده

اى موسى اتدرى ما ثبرا الناس عن طاعة الله وشتان بين الظنين فان ظن موسى
مستند الى امارة كادت تلحق باليقين وظن فرعون كذب محض وتمويه للترجى
بكا فرو فاراد ان يستفزهم من الارض ان ازعاج موسى وبنى اسرائيل من ارض مصر
واغرقناه ومن معه جميعا اراد بشيا واردنا غيره فكان ما اردنا فاغرقناه فى الماء الذى
كان يفتخر به او لما كان عاليا يقصد الصعود الى السماء جعلناه سافلا تحت الماء وقلنا
من بعده بعد غرقه لبنى اسرائيل اسكنوا الارض التى كان فرعون يريد اخراجكم منها
فاذا جاء وعد الاخرة وعد الدار الاخرة او الحيوة الاخرة جئنا بكم لفيفا من هنا وهنا اللفيف
الجماعات من قبايل شتى واصل اللف الخلط ومنه حديث ام زرع واذا اكل لف
اى خلط من انواع الماكل وبالحق انزلناه وبالحق نزل اى ما انزلنا القران الا بالحكمة
المقتضية لانزاله وبالحق نزل وملتبسا بالحق والحكمة نزل وانزاله بالحق وان كان مستقرا
لنزوله به الا انه ذكره دفعا لتوهم تطرق التبديل اليه بعد الانزال وقيل الوصول اليه
وما ارسلناك الا مبشرا ونذيرا الاستصفا بهاتين الصفتين فلا عليك بعدهما وقرانا
اتيناك دل عليه ولقد آتينا موسى تسع آيات فرقناه بيناه وشرحناه فى محل النصب
على الوصف ويجوز ان يكون مفسر الناصب قرانا اى فرقنا قرانا فرقناه لتقراه على
الناس على مكث متمهلا فانه ايسر وتثبت ونزلناه تنزيلا بحسب الحوادث شيئا
فشيئا قل آمنوا به او لا تؤمنوا ليس معناه الامر والنهى مقابل لاعراض عنهم والازدراء
بهم وعدم المبالاة ان الذين اوتوا العلم من قبله من قبل القران وهم علماء اهل الكتاب
تعليل لآمنوا او لا تؤمنوا كانه قال لهم ان لم تؤمنوا فان من هو خير منكم آمن به وهم
علماء اهل الكتاب فان قلت السورة مكية ولم يكن بمكة من آمن بالقران من اهل
الكتاب وانما آمن به عبد الله بن سلام واضرابه بالمدينة بعد الهجرة قلت هو اخبار بما
سيقع يدل عليه قوله اذا يتلى عليهم او اراد من تنصر من مشركى العرب كورقة بن نوفل
يخرون للاذقان سجدا يسقطون على وجوههم ساجدين شكرا لله على بعثة الموعود المنعوت
فى كتبهم ويقولون قايلين الواو من الحكاية لا المحكى سبحان ربنا عن خلف الوعد
ان كان وعد ربنا لمفعولا ان الشان كل وعد منه واقع لا محالة ويخرون للاذقان يبكون
باكين اعاده لاختلاف الحال والسبب فان الاول للشكر وقت الانجاز والثانى لما اثر
فيهم مواعظ القران حال البكاء فان قلت السجدة انما يكون بالجبهة والانف فما وجه
ذكر الذقن دونهما قلت اراد وصفهم بتمكين الجبهة والتحامل عليها خشوعا حتى انه يلصق
الذقن بالارض ايضا او اراد انهم يسقطون على الذقن مغشيا عليهم سرورا وخشية وبعض
الذقن كناية عن غاية الخشوع وما قيل لان اول ما يلقى الارض من الساجد الذقن خلاف
للواقع واثار اللام والظاهر حرف الاستعلاء لدلالته على شدة الاتصال والالصاق
ويزيدهم سماع القران خشوعا لله تعالى لزيادة يا انهم المقتضى لذلك قل ادعوا الله

او ادعوا الرحمن نزلت لما قرا على المشركين اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن لا نعرف الا رحمن
اليمامة وقيل لما سمع ابو جهل رسول الله يقول يا الله ويا رحمن وقال ان محمدا ينهانا ان نعبد
الهين وهو يدعو الها اخر والدعاء بمعنى التسمية اذ لو كان بمعنى النداء لزم الاشراك ان تغاير
مدلولا الاسمين وعطف الشيء على نفسه ان اتحد والمفعول الاول محذوف اي سموه بهذا
او نداك وقيل لما قالت اليهود لرسول الله ان الله قد اكثر في التورية ذكر الرحمن وما نريك تكثر منه
والغرض التسوية بين الاسمين في الحسن والافضاء الى المقصود ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى
اي اي الاسمين ذكرته فهو من احسن الاسماء وعدل عنه الى المنزل سلوكا لطريق البرهان لان
اسماءه تعالى اذا حسنت كلها اندرج فيها هذان الاسمان ضرورة واو للتخيير والتنوين عوض
عن المضاف اليه وما يؤكد ابهام اي وضمير له للمسمى وحسن اسمائه تعالى لدلالتها على الجلال
والاكرام ولا تجهر بصلوتك بقراءتك في الصلوة لان الجهر لا يوصف به ساير اركانها عن
ابن عباس كان رسول الله وهو مختف بمكة اذا قرا في الصلوة رفع صوته فسمع المشركون
سبوا القران ومن انزله ومن جاء به فقال الله له لا تجهر بقراءتك بحيث يسمع المشركون
ولا تخافت بها بحيث لا يسمع من خلفك اصل الخفت والضعف وفي الحديث نوم المؤمن
سبات وصوته خفات وابتغ بين ذلك سبيلا قراة بين القراتين دون الجهر وفوق
المخافتة روى البخاري عن عائشة انها نزلت في الدعاء وروى ابن جرير عن ابن سيرين مر
رسول الله على ابي بكر وهو يقرا خفيا ومر على عمر وهو يقرا على الجهر وكان جهوري الصوت فقال
لابي بكر لم تقرا هكذا فقال لقد اسمعت من اناجي وقال لعمر لم تقرا جهارا قال اوقظ الوسنان
واطرد الشيطان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل وابتغ بين ذلك
سبيلا بالاخفات نهارا والجهار بالليل وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك
في الالوهية ولم يكن له ولي من الذل ناصر يمنعه من الذل او لم يوال احدا ليدفع به المذلة عن
نفسه وانما محبته لمن احب محض لطف وعناية فانه الغني المطلق وانما بنى الحمد على نفي الاوصاف
الثلثة لكونه كناية عن الوصف بكمال الجود لان الولد مبخلة والشريك مانع من التصرف
والاحتياج الى من يعز به ويذب عنه مع كونه منافيا للالوهية باعث على الامساك والادخار
كما هو شان الملوك مع الجنود والاعوان ولان المانع من العطاء اما من دونه وهو الولد او مثله
وهو الشريك او فوقه وهو الولي فنفى الكل على طريقة الترقي فانحصر الجود فيه تعالى كبرياؤه وعظمت
نعماؤه فلذلك قال وكبره تكبيرا عن كل نقيصة فوافق الخاتمة الفاتحة تقديسا وتنزيها وصلى الله
على مبلغ كلامه ومبين احكامه

سورة الكهف وهي مائة وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي على عبده الكتاب لما كان القران مشتملا على الارشاد والى
اقامة الدين بمعنى التوجه الكلي الى جناب قدسه والاذعان القلبي والاعتراف باللسان وكلا
القسمين من اجل نعمائه رتب انحصار الحمد على انزاله ولم يجعل له عوجا شيئا من العوج والخلل
قال ابن السكيت ما كان ينتصب كالحائط والعود قيل فيه عوج بالفتح وما كان في الارض

او في دين او معاش يقال فيه عوج بكسر العين والمراد نفي الاختلال عنه من جهة اللفظ والمعنى
قيما مستقيما لا زيغ فيه من الحق الى الباطل او قائما بامور الدين كافلا به من قام بالامر ومنه قيم
اليتيم وهو الوجه لقوله تبيانا لكل شيء ولان الاستقامة علمت سابقا منصوب بفعل مضمر
اي جعله قيما او حال من الكتاب ولم يجعل ايضا حال اخر كانه قال منتفيا عنه العوج مستقيما ويجوز
ان يكون ولم يجعل له عوجا عطفا تفسيريا من تمام الصلة كقوله وصد عن سبيل الله وكفر به
والمسجد الحرام على الاوجه هناك لان المراد منه الكتاب الكامل فيكون حالا من الكتاب
لعدم الفاصل بالاجنبي ومن حمله على التقديم والتاخير فقد عدل عن الظاهر من غير نكتة
لينذر باسا شديدا اي الذين كفروا عذابا شديدا حذف المفعول الاول لان الغرض هو انذار
الباس لتعم المؤمن والكافر بدليل اعادة الانذار بعد التبشير مذكورا معه المنذر من لدنه
من عنده في محل النصب حاله او صفة تهويل العذاب وقرا ابو بكر بسكون الدال مع
الاشمام وكسر النون لان لدن كعضد يجوز في مثله اسكان الوسط تخفيفا واشير بالاشمام
الى ان اصله الضم وكسر النون لالتقاء الساكنين والمختار هو الضم لانه الاصل والشايع ويبشر
المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا هي الجنة عبر عنها بالاجر اعتدادا
بالاعمال كرامة منه ماكثين فيه ابدا من غير انقطاع وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا خصهم
بالذكر واعاد الانذار اشارة الى عظم كفرهم وانما لم يذكر المنذر به اكتفاء بما تقدم ما لهم به من
علم بالولد او باتخاذه ولا لابائهم الذين قلدوهم فيه لان المراد نفي العلم بنفي المعلوم لكونه
مستحيلا لا يصح تعلق العلم به لا انه ممكن والجهل في الطريق كبرت كلمة عظمت تلك المقالة
نصب على التمييز تخرج من افواههم صفة لها معنى التعجب كانه قيل ما اكبرها كلمة لان ما
يكون فيه شئين يتعاظم الانسان اذ يتفوه به او وسوس اليه الشيطان فكيف بشبيه من
ليس كمثله شيء بالحيوانات في التوالد المحتاج الى الازدواج وفي تخرج من افواههم اشارة الى
انها مجرد صوت وحروف ان يقولون الا كذبا تصريح بما علم ضمنا واشارة الى ان عدم العلم
لا يخرج الكلام والتكلم عن الكذب اذا كان غير مطابق للواقع فلعلك باخع نفسك
قاتلها من النخاع وهو عرق في صلب الحيوان متصل بعنقه فاذا وصل الذبح اليه كان غاية
على اثارهم شبه توليهم عن الايمان بارتحال احبة الانسان عن منازلهم فهو يتلهف
عليهم ويقتل نفسه وجدا ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اي القران اسفا مصدر في موضع
الحال من فاعل باخع او مفعول له وهو اشد الحزن انا جعلنا ما على الارض زينة لها ما عليها
من زخارفها ازالة لما كان يتعاظمه من بسط الدنيا عليهم مع ذلك الكفر البالغ كما
تعاظم موسى في قوله ربنا انك اتيت فرعون وملأه زينة واموالا لنبلوهم ايهم احسن
عملا نعاملهم معاملة المختبر ليتميز الزاهد فيها من المغتر بها لا ايثار لهم ثم زهد فيها بقوله
وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا نجعله كالارض البيضاء مسحا قيحا باماتة الحيوان وتجفيف
النبات فيتبدل الزين شينا او نجعله حطاما ماسا ويبالا الارض والجرز الارض التي لا نبات بها

وقيل ما كان فيها نبات ثم قطع فلا يقال للبساتين جرز ام حسبت ان اصحاب الكهف
والرقيم كانوا من اياتنا عجبا ذكر ما يشتمل على امهات العجايب في صدر السورة من تزيين
الارض بما خلق فوقها من الانواع والاجناس العادية الحصر ثم احداهما كان لم تغن بالامس
تمهيد الذكر قصة اصحاب الكهف التي كانت من اعاجيب الدهر عندهم وام للاضراب
الدال على ان ذلك اعظم من ابقاء اشخاص احياء مدة متطاولة فان قلت الاضراب انما يحسن
اذا كان الثاني اغرب واعجب وما ذكرته على عكس ذلك قلت تعجبهم من هذا دون ذاك هو
المنكر الاغرب فالاضراب ماش على ذلك السنن الخطاب له والمقصود السائل التعجب اذ هو
صلى الله عليه وسلم يعلم من قدرته ما لا يتعاظمه والرقيم قيل لوح على باب الكهف مكتوب عليهم
اسماؤهم وقيل الوادي الذي فيه الكهف وقيل اسم قريتهم وقيل اسم مكانهم وهو مكان بقرب
فلسطين وقيل اسم كلبهم قال امية بن الصلت وليس بها الا الرقيم مجاورا وصيدهم والقوم
في الكهف هجد وقيل اصحاب الرقيم غير اصحاب الكهف وعجبا وصف بالمصدر اي كانوا اية
عجبا من اياتنا او ذات عجب وسبب النزول ان قريشا ارسلوا النضر بن الحارث وعقبة
بن ابي معيط الى يهود المدينة يتعرفون منهم نعت رسول الله هل هو ذاك المنعوت في التورية
ام لا فقالت اليهود سلوه عن ثلثة اشياء عن رجل ملك مشارق الارض ومغاربها
وسلوه عن الروح وسلوه عن طايفة فارقوا قومهم وفرقوا بينهم ووصفوا لهم اصحاب الكهف
وقالوا ان اخبركم عن الاثنين وسكت عن الروح فهو نبي اذ اوى الفتية الى الكهف شبان
من اشراف الروم وكان ملكهم دقيانوس ارادهم على الكفر فهربوا منه فقالوا ربنا آتنا
من لدنك رحمة من خزاين رحمتك بلا واسطة شاملة للامن والرزق والمغفرة
وهيئ لنا من امرنا الذي نحن بصدده رشدا اصابة الطريق المودي اليه
او اجعل امرنا كله رشدا كقولك رأيت اسدا واصل التهيئة احداث هيأة الشيء
فضربنا على آذانهم انمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم الاصوات كما ترى من القي عليه
نومة ثقيلة يصاح به فلا يسمع ضرب الحجاب كناية عن سد طريق الصوت واستحكامه
فالمفعول الاول محذوف كما في بنى على امرأته اي القبة في الكهف سنين عددا معدودة
اي كثيرة فان القليل يعرف بدون العد او قليلة فان الكثير عند الله قليل ان يوما
عند ربك كالف سنة او بالنظر الى مدة اقامتهم احياء الى آخر الدهر ثم بعثناهم
ايقظناهم لنعلم اي الحزبين احصى لما لبثوا امدا اي ليتعلق علمنا تعلقا حاليا كما
كان متعلقا به تعلقا استقباليا او مجاز عن لازمه وهو التمييز واي لتضمنه معنى
الاستفهام علق عنه العلم فهو مبتدأ واحصى فعل ماض خبره وما في لما لبثوا مصدرية
وامدا مفعول احصى والمعنى ايهم ضبط امدا لاوقات لبثهم فانهم لما استيقظوا اختلفوا
في ذلك وقيل اختلاف الحزبين من غيرهم وقيل احصى افعل التفضيل وفيه ان افعل التفضيل
وان كان قياسا من المزيد عند سيبويه الا انه لا يعمل النصب وتقدير فعله ناصبا تطويل

بلا طايل ونصب امدا بلبثوا لا يساعد عليه المعنى لان الاحصاء والضبط انما هو لمدة اللبث
لا للبث في الامد ولان تساءلهم في وقت الانتباه انما كان عن العارف لا عن الامد
لقولهم ربكم اعلم بما لبثتم نحن نقص عليك نباهم بالحق حديثهم ملتبسا بما هو ثابت
في الواقع انجاز الى ان ما ينقله اهل الكتاب من قصتهم لم يسلم عن اختلال بزيادة
او نقصان انهم فتية آمنوا بربهم قيل كانوا شبانا متقاربي الاسنان من قبيلة
واحدة وزدناهم هدى على الفطرة التي يولد عليها كل مولود وربطنا على قلوبهم اذ
قاموا بين يدي ملكهم والربط تمثيل لافراغ الصبر في قلوبهم وتثبيت جاشهم فقالوا
ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا بعيدا عن الحق
غاية في الظلم من شط الدار اذا بعد وفي الحديث اعوذ بك من الفتنة في السفر والشطط
هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه الهة قالوه سكرا لولا ياتون عليهم بسلطان بين
ببرهان واضح دال على استحقاقهم الالوهية فان العقايد لا يجوز التقليد فيها وما لا دليل
عليه مردود فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا لا اظلم ممن قال ان له شريكا واذ اعتزلتموهم
وما يعبدون الا الله ما موصولة اي ومعبوديهم او مصدرية اي وعبادتهم او نافية اخبار
من الله تعالى كلام معترض ثناء على الفتية بانهم صادقون في الاعتزال فأووا الى الكهف
ينشر لكم ربكم من رحمته جزموا بذلك الهاما من الله تعالى او علموا ذلك من مشاهدة توالي
الرزق على ساير الحيوانات او كان فيهم نبي او اخبرهم نبي موجود في زمانهم ويهيئ
لكم من امركم مرفقا ما ترتفقون به اي تنتفعون من الرفق وهو لين الجانب ضد العنف
اسم آلة كالمفتح والمبرد وقرأ نافع وابن عامر بفتح الميم وكسر الفاء وهما لغتان وفتح
الميم افصح لانها لغة الحجاز وترى الشمس اي حضرت مكانهم الخطاب له او لكل احد
اذا طلعت تزاور عن كهفهم تميل من الزور وهو الميل ومنه الزور للكذب لانه ميل
عن الصدق اصله تتزاور فادغمت التاء في الزاء وقرأ الكوفيون بتخفيف الزاء مضارع
تزاور على وزن تباعد حذفت احدى التائين ابن عامر تزور كتحمر والاتلع ذات اليمين
الجهة المسماة باليمين ولفظ الذات مقحم واذا غربت تقرضهم تتركهم ذات الشمال
قيل كان باب الغار مستقبل بنات النعش فتميل عنهم الشمس عند طلوعها وتتركهم
عند غروبها فلا يصل اليهم حرها وهم في فجوة منه في مكان يصل اليهم روح الهواء او هم
في فجوة من الغار اي مكان متسع معرض للشمس لولا ان الله يحجبها عنهم يؤيده قوله
من ايات الله اي كونهم معرض الشمس ولا تصيبهم وتصيب كل ما كان في ذلك السمت
اية من ايات الله على اختصاصهم بتلك الكرامة وعلى الاول شانهم وحديثهم من ايات الله
من يهدي الله بالتوفيق والارشاد فهو المهتدي الذي سلك طريق الصواب واصاب
الفلاح ثناء عليهم بانهم جاهدوا في الله وصدعوا بالحق او ثناء على الله تعالى بانه الهادي
والولي المرشد لقوله وزدناهم هدى والاول اوجه لان الكلام لبيان حالهم وانهم اهل للولاية

ومن يضلل يخذله فلن تجد له وليا مرشدا يدله على طريق الصواب وتحسبهم ايقاظا
خطاب لكل احد جمع يقظ وهم رقود والحال انهم نيام ونقلبهم ذات اليمين و
ذات الشمال لئلا تاكل الارض اجسادهم قيل في كل سنة تقلبتان وقيل تقلبة
واحدة ليلة العاشورا وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بفنا الغار وقيل العتبة
وقيل الباب وانما نصب باسط ذراعيه لانه حكاية حال ماضية قيل مروا بكلب فتبعهم
فطردوه فقال لم تطردوني انا احب احبا الله ناموا انتم وانا احرسكم وقيل مروا براع
معه كلب فتبعهم يويده قراة جعفر الصادق وكالبهم لو اطلعت عليهم لو نظرتهم لوليت
منهم فرارا ادبرت من خوفهم فرارا مصدر في موقع الحال او مصدر لان التولية فيها معنى
الفرار ومفعول له ولملئت منهم رعبا وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول شعورهم
واظفارهم وعظم اجسادهم والرعب خوف يملا الصدر من رعبت الحوض ملاته قال شعر
بذي هيدب ايما الربى تحت ودقه وانا ما الكل واد فترعب وقرا نافع وابن كثير لملئت
بتشديد اللام وهو ابلغ معنى والتخفيف اشهر روي ان معاوية غزا الروم فمر على الكهف
فقال لو علمنا خبر هولا فقال ابن عباس قد منع الله عن ذلك من هو خير منك
فقال لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فقال لا انتهي حتى اعلم حالهم فبعث جماعة
فلما دخلوا الغار هبت عليهم ريح فاحرقتهم وكذلك بعثناهم اي كما انمناهم تلك
النومة التي تشبه الموت كذلك بعثناهم تلك البعثة التي تشبه احياء الموتى او كما انمناهم
اصحا كذلك بعثناهم من غير نقص في تلك المدة المتطاولة ليتسالوا بينهم ليسال
بعضهم بعضا ويتعرفوا حالهم حتى اذا وقفوا عليها ازدادوا يقينا وشكرا على تلك الكرامة
التي خصوا بها قال قائل منهم كم لبثتم مذ نمتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم كما هو
المتعارف لان اقصى ما ينام الانسان يوما كاملا وعن الحسن دخلوا الكهف غدوة
واستيقظوا وقت الظهيرة فظنوا انه ذلك اليوم او اليوم الذي بعده ومبنى الكلام
على الظن فلا كذب فلما نظروا طول اظفارهم وشعورهم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم لما راوا
الامر ملتبسا اخذوا فيما يهمهم قايلين فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة الورق
الفضة مضروبة كانت او غير مضروبة قرا ابو بكر وابو عمرو وحمزة باسكان الرا وهما
لغتان كفخذ وفخذ الكسر اصل والاسكان اخف والمدينة قيل هي طرسوس وفي حملهم الورق
دلالة على ان حمل الزاد لا ينافي التوكل قيل ان بعض اهل العلم كان شديد الحنين
الى زيارة بيت الله وكان معدما لا استطاعة له فمن علم منه ذلك وكان كلما قصد
فوج من اغنيا بلدة الحج اتوه وبذلوا له لمؤنة الحج من الزاد والراحلة يتعذر بمعاذير فاذا
تولوا عنه قال لمن حضره ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن
فلينظر ايها اي اهلها كقوله واسال القرية ازكى طعاما احل وارخص فلياتكم برزق منه
وليتلطف وليتكلف اللطف فيما يباشره من الشرا لئلا يغبن فان طلب الربح كمال

عرض رسول الله قدما على البيع فقال رجل عندي فيه درهم فابى فقال الاخر عندي فيه
درهمان فقال بعتك او ليتكلف اللطف في التخفي حتى لا يعرف ولا يشعرن بكم احدا
لا يفعل ما يكون موديا الى الاشعار سماه اشعارا لكونه سببا له انهم ان يظهروا عليكم
يطلعوا عليكم من ظهرت على فلان علمته يرجموكم يقتلوكم شر قتلة قيل كان ذلك دابهم
ذلك او يعيدوكم في ملتهم يصيروكم اليها والعادة بمعنى الصيرورة شايعة وقيل كانوا
على دينهم اولا ولن تفلحوا اذا ابدا لان الارتداد اشر انواع الكفر وكذلك اعثرنا عليهم
اي وكما انمناهم وبعثناهم اطلعنا عليهم غيرهم من العثور وهو الاطلاع ليعلموا ان وعد
الله حق اي المعثرون وان الساعة لاريب فيها في وقوعها من عطف الخاص على
العام توكيد الوقوعها لان حال الفتية في نومهم وبعثهم دليل ظاهر على جواز الموت
والبعث لما دخل المبعوث للطعام المدينة واخرج الدراهم فوجد البياع عليها اسم
دقيانوس اتهمه بانه قد وجد كنزا فرفعه الى الملك وكان مومنا بعيسى عليه السلام فساله
الملك فقال من اين لك هذه الدراهم قال خرجت بها امس من هذه المدينة فقال
الملك اظن بك جنونا فقال بعض الشيوخ الحاضرين انا قد سمعنا ان فتية في زمن
دقيانوس هربوا بدينهم منه لعلهم هولا فركب الملك اليهم فوجدهم في الكهف فسالهم
عن حالهم فقصوا عليه القصة ثم قالوا للملك نعيذكم من شر الجن والانس فعادوا
الى مضاجعهم فاماتهم الله تعالى فاتخذ الملك لكل واحد تابوتا من ذهب ثم راهم في
المنام انهم يكرهون التابوت من الذهب فابدلهم تابوتا من خشب وقيل لما
قربوا المكان الذي هم فيه فقال المبعوث للملك مكانك حتى اخبرهم بمجيئك فلما
دخل عليهم القى الله النوم عليهم وعمي الكهف على الملك واصحابه وهذا هو الصواب
لقوله وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ولقوله ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال اذ يتنازعون
بينهم امرهم امر دينهم متعلق باعثرنا او بيعلموا او كان بعضهم يقول انما تبعث الارواح
وبعضهم يقول يبعثان معا او امر الفتية فقال بعضهم ناموا نومهم اول مرة وقال اخرون
بل ماتوا او قال طايفة نبني عليهم بنيانا لئلا يتطرق اليهم الناس كما بني على قبر رسول الله
الحجرة الشريفة فقالوا ابنوا عليهم بنيانا وقوله ربهم اعلم بهم من كلام المتنازعين
فانهم لما تذاكروا احديثهم ولم يهتدوا الى حقيقة الحال احالوا العلم الى الله تعالى او هو
كلام الله تعالى رد لكلام المتنازعين قال الذين غلبوا على امرهم كانوا اولى بهم وهم
الملك وحاشيته لنتخذن عليهم مسجدا يصلي الناس فيه تبركا بمكانهم سيقولون ثلثة
رابعهم كلبهم اخبار بما سيقع بين اهل الكتاب والمومنين في عدتهم روي ان السيد
والعاقب كانا عند رسول الله وهما من نصارى نجران فتذاكروا اصحاب الكهف فقال
السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا
ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب استعارة جعل الكلام الغايب عن القايل علمه

بمنزلة الرجام المرمى به بجامع قلة الاصابة فان الرجام قلما يصيب المرمى على السداد واما
ايثار الرمي في قوله والذين يرمون المحصنات لاعتبار التأثير في العرض تأثير السهم
في الرمية او الرجم بمعنى الظن لشيوع استعماله فيه قال زهير وما هو عنها بالحديث المرجم
ولم يذكر السين اكتفاء بذكره في الاول فان المعطوف في حكمه ويقولون سبعة وثامنهم
كلبهم سبعة خبر مبتدا محذوف اي هم سبعة وثامنهم كلبهم صفة والواو لتأكيد لصوق
الصفة بالموصوف كما في قولهم جاءني رجل ومعه اخر ومررت بزيد وفي يده سيف وذلك
لان الصفة والحال متقاربان الا يرى ان صفة النكرة اذا تقدمت صارت حالا وجدوى
هذه المبالغة والتأكيد ان هذه العدة هي الصواب ولذلك اتبعه بقوله قل ربي اعلم
بعدتهم ما يعلمهم الا قليل قال ابن عباس رضي الله عنه هذه الواو لما جاءت لم يبق بعدها
عدة عاد وانا من ذلك القليل وقال علي هم سبعة نفر اسماؤهم يمليخا ومكشلينيا و
مشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش
وكان يستشير هؤلاء الستة والسابع الراعي الذي تبعهم فلا تمار فيهم في الفتية اهل الكتاب
الا مراء ظاهرا الا مجادلة بالتي هي احسن بان تقص عليهم ما اوحي اليك ولا تستفت
فيهم منهم احدا لان السؤال اما للاسترشاد وقد كفيت عنه واما للتعنت وليس ذلك
من دابك فانك بعثت لمحاسن الاخلاق مبشرا او ميسرا ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك
غدا لم يرد الغد المتعارف بل الزمان المستقبل كقوله سيعلمون غدا من الكذاب الاشر
الا ان يشاء الله متعلق بالنهي اي لا تقل اذا عزمت على فعل في الزمان المستقبل اني
فاعله الا مقرونا بقولك ان شاء الله او لا تقل لشيء افعله غدا الا ان ياذن الله لك
فاذا لم ياذن لك لا تقل او عزمت وعلى هذا المراد بالشيء ما يكون من امر الدين لا ما
يتعلق بافعال الجبلة وكذا قوله ان شاء الله كلمة تأبيد كانه قيل لا تقولنه ابدا ولا يجوز
تعلقه باني فاعل لان استثناء اقتران المشية بالفعل فاسد واستثناء اعتراض المشية
دون الفعل وان صح الا انه لا يتوجه اليه النهي وهذا تاديب له من الله تعالى فانه لما
سأله المشركون عن الروح وعن اصحاب الكهف وعن ذي القرنين فقال اخبركم
غدا ولم يقل ان شاء الله فعاتبه الله على ذلك بان اخر عنه الوحي اياما وكذبته قريش
واذكر ربك اذا نسيت تدارك ما فرط منك بان تقول ان شاء الله اذا تذكرت
انك نسيت ولا دلالة فيه على ما نقل عن ابن عباس من جواز الاستثناء بعد سنة لان
الكلام في التدارك فيما يرجع الى التعويض لا اخراج الحكم عن الجزم روي ان المنصور
لما بلغه ان اباحنيفة خالف ابن عباس في ذلك دعاه وسأله عن ذلك فقال يا امير المؤمنين
ضرر ذلك عائد اليك فانك تاخذ البيعة بالايمان افترضى ان يخرجوا من عندك
ويقولوا استثناء فاستحسن منه ذلك او واذكر ربك بالاستغفار كانه جريمة توجب الاستغفار
لها او واذكر ربك اذا نسيت شيئا فان ذكره يتسبب لتذكره وقد حمل على اداء الصلوة المنسية

لقوله اقم الصلوة لذكري وقل عسى ان يهدين ربي لاقرب من هذا رشدا اي
قل عند نسيان شيء لعل ربي ان يهديني الى ما هو خير من هذا المنسي لقوله ما ننسخ
من اية او ننسها نات بخير منها او هذا اشارة الى خبر اصحاب الكهف اي عسى ان
يهديني ربي الى ما هو اعظم دلالة على صدقي في دعوى الرسالة وقد وقع ذلك حيث اتاه الله
من القصص والاخبار بالمغيبات الى اخر الدهر ما يضمحل نبأ اصحاب الكهف عنده
ولبثوا في كهفهم ثلث مائة سنين وازدادوا تسعا بيان لما اجمل في قوله فضربنا على اذانهم
وفيه اشارة الى ان اهل الكتاب كما اختلفوا في عدة الاشخاص اختلفوا في مدة لبثهم
الى وقت الاماتة ايضا وانما اخر البيان ليكون معجزة استقلالا وقرأ حمزة والكسائي بالاضافة
مائة اشارة الى الاصل والاصل في تمييز مائة الجمع كثلثة واربعة او اوثر المفرد للتخفيف
ومن لم يضف جعل سنين بدلا قل الله اعلم بما لبثوا وقد اخبرك به هذا التذييل كالتذييل
بقوله قل ربي اعلم بعدتهم له غيب السموات والارض علم ما غاب عنكم فيهما وامر
اصحاب الكهف فهو من ذلك ابصر به واسمع فلا تعجب اريد تعجب المخاطبين اي
ما ابصره واسمعه فانه لا يخفى عليه شيء مما يدرك بهما والها يعود الى الله تعالى ومحله الرفع
على الفاعلية عند سيبويه والباء مزيدة واصله ابصر نقل الى صيغة الامر بمعنى الانشاء فبرز الضمير
لعدم قابلية الصيغة له والنصب على المفعولية عند الاخفش والفاعل ضمير المامور وهو كل
احد والباء مزيدة ان كانت الهمزة للتعدية ومعدية ان كانت للصيرورة ما لهم الضمير
لاهل السموات والارض من دونه من ولي من يتولى امورهم ايجادا وكلاءة ولا يشرك
في حكمه احدا من خلقه قرأ ابن عامر ولا تشرك بالخطاب التفاتا على صيغة النهي والنفي
ابلغ واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك فان تلاوته اقرب الوسائل اليه واشرف
العبادات لديه وفيه بيان لكل مشكل وهو اشرف معجزاتك فالواجب عليك القيام
بحقه لا مبدل لكلماته لا احد يقدر على تبديله لكونه معجزا بخلاف سائر الكتب ولذلك
وقع فيها التحريف ولن تجد من دونه من دون الله ملتحدا ملجأ تميل اليه ان هممت
بالتبديل فانهم كانوا يدعونه اليه وقال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقران غير هذا او بدله
واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي وهذا ايضا مما كانوا يدعونه
الى خلافه قالوا ان اردت مجالستنا فاخرج هؤلاء العبيد والصعاليك من عندك
يريدون بلالا وعمارا وصهيبا واضرابهم والغداة والعشي كناية عن جميع الاوقات
وقيل صلوة الفجر والعصر او اريد الدعاء في هذين الوقتين فانهما اشرف الاوقات وقرأ
ابن عامر بالغدوة والوجه انه علم لما قبل الضحى فدخل فيه اللام كما في قوله والزيد زيد المعارك
وعليه الرسم والمختار قراءة الجمهور لعدم التأويل لكونه اسم جنس دخل عليه اللام والرسم لبيان
الاصل كالزكوة والصلوة يريدون وجهه مخلصين له العبادة ولا تعد عيناك عنهم متعد
بنفسه عدي بعن لتضمينه معنى النبو والمعنى لا تقتحمهم عيناك مجاوزين الى غيرهم وفي الحام

العين واسناد الفعل اليه مضمنا معنى فعل آخر ليكون مؤديا لمجموع معنى الفعلين
مبالغة لا تحفى تريد زينة الحيوة الدنيا حال من الكاف كما في قوله واتبع ملة ابرهيم حنيفا
ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا جعلنا قلبه غافلا عنه من اغفلته اذا صيرته غافلا
وجعله من اغفلت الرجل وجدته غافلا لا اصل له ومن اغفلت الدابة اذا تركتها من
غير سمة تردد كلمة عن واتبع هواه ما سولته نفسه وكان امره فرطا متجاوز الحد
من افرط اذا تجاوز الحد في حديث على الجاهل اما مفرط او مفرط وقل الحق خبر مبتدا محذوف
اي ما تلوته عليكم من ربكم حال مؤكدة او خبر بعد خبر او الحق مبتدا ومن ربكم خبره
والاول اوجه لقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر لانه لما امره بتلاوة كتابه والصبر
مع الذين يتلونه حق تلاوته مريدين وجهه ونهاه عن الالتفات الى زخارف الدنيا فكانه
قال هذا الذي اوحي الي هو الحق من ربكم فمن شاء فليدخل في زمرة الفائزين بهذه السعادة
ومن شاء فليكن في رفقة الهالكين منهمكا في الضلالة وانما ابرز الكلام في صورة التخيير
ازاحة للعلل انا اعتدنا للظالمين الكاملين في الظلم نارا احاط بهم سرادقها ما يحيط
بالخيم والبيوت معرب سراپرده قيل هو دخان يحيط بهم قبل دخول النار وقيل حائط
من النار يطيف بهم لا يمكنهم من الخروج وان يستغيثوا من العطش يغاثوا بماء كالمهل
هو النحاس المذاب وعن ابي عمرو هو دردي الزيت وعنه ايضا القيح والصديد يشوي
الوجوه اذا قدم للشرب من فرط حرارته اعاذنا الله منه بئس الشراب انشاء ذم بعد
الاخبار عن الاوصاف مبالغة في الانذار والوعيد وساءت مرتفقا النار والمرتفق
ما يتكأ عليه شبه الوسادة يسمى مرفقة ولا ارتفاق لاهل النار فهو على المشاكلة لقوله وحسنت
مرتفقا وقيل الارتفاق الاتكاء على المرفق وهي هيئة المتحزن ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا ان الثانية بما في حيزها خبر
ان الاولى واستغنت الجملة عن العائد لان من احسن عملا يعم الذين امنوا وعملوا الصالحات
او الخبر اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار وما بينهما اعتراض وعلى
الاول اما استيناف لبيان الاجر او خبر آخر يحلون فيها من اساور من ذهب
من الاولى للابتداء او مزيدة لقوله وحلوا اساور والثانية بيان والاساور جمع اسورة
جمع سوار وتنكيرها لتعظيم حسنها ويلبسون ثيابا خضرا لان الخضرة احسن الالوان ولذلك
استعارها للدنيا في قوله ان هذه الدنيا حلوة خضرة من سندس واستبرق الاشرف
والادنى فان الاستبرق ما غلظ من الحرير معرب استبرك او السندس الظهارة والاستبرق
البطانة لقوله بطائنها من استبرق وهذا اليق متكئين فيها على الارائك جمع اريكة
وهي السرير الذي عليه الحجلة وقيل كل ما يتكأ عليه من وسادة او منصة وفي الحديث عسى
رجل متكئ على اريكته يأتيه الحديث عني يقول بيني وبينكم كتاب الله الا اني اوتيت مثل
القرآن او اكثر نعم الثواب المذكور وحسنت الارائك مرتفقا واضرب لهم مثلا مثل المفتخر

زخارف

بزخارف الدنيا القائلين لك لا نجالسك حتى تطرد الصعاليك والعبيد حالهم
وحال هؤلاء الفقراء بحال رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب قيل كانا اخوين
من بني اسرائيل احدهما كافر واسمه قرطوس والاخر مؤمن اسمه يهوذا قيل هما المذكوران
في قوله قال قائل منهم اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فكان
كلما انفق الكافر في الدور والبساتين والنساء وسائر ما يتمتع به انفق المؤمن في سبيل الله
وابواب البر نظيره راجيا من الله ثوابه وحففناهما بنخل جعلنا الجنتين محفوفتين بالنخل
من حففت الشيء بالشيء اذا احففته به فيتعدى الى مفعول والى الثاني بالباء ويجيء لازما
وترى الملائكة حافين من حول العرش وجعلنا بينهما زرعا لتكونا جامعتين بين
الاقوات والفواكه مع حسن المنظر والترتيب الانيق كلتا الجنتين آتت اكلها ما يؤكل
منها وهو الثمر ولم تظلم منه شيئا ولم تنقص افرد الضمير حملا على لفظ كلتا لكونه مفردا وفجرنا
خلالهما نهرا فانه ملاك الامر ومادة الحسن في الكروم والبساتين وكان له ثمر سائر انواع
الاموال من الذهب والفضة قاله مجاهد وسائر الاثاث قرأ عاصم بفتح الثاء والميم
وابو عمرو بضم الثاء وسكون الميم تخفيف ثمر والباقون بضمتين والمختار قراءة عاصم للخفة
وتناول الجنس الانواع فقال لصاحبه وهو يحاوره يراجعه في الكلام كما يفعله الاصحاب
والرفقة قيل اخذه بيده يريه شيئا فشيئا مفتخرا انا اكثر منك مالا واعز نفرا اسم رهط الانسان
وعشيرته يطلق على الرجال خاصة من الثلثة الى العشرة وقيل اولادا وذكورا لانهم ينفرون
مع الاب دون الاناث فان قلت قد ذكرت انهما كانا اخوين فلم آثر لفظ الصاحب
على الاخ قلت لان المؤمن ليس اخا للكافر وان اتحد به نسبا ودخل جنته افردها اشارة
الى انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المتقون لان الاضافة تفيد الاختصاص وقيل اراد دخوله
لكل واحدة او لاتصالهما كانهما جنة واحدة والاول هو الوجه وهو ظالم لنفسه لان عرضها
بالفاني وعرضها للعذاب الدائم قال ما اظن ان تبيد هذه تفنى ابدا لكمال غفلته وعدم
تأمله في القرون الخالية والقصور الخاوية وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي
على سبيل الفرض والتقدير لاجدن خيرا منها منقلبا مرجعا قرأ نافع وابن كثير وابن عامر
بضمير المثنى عائدا الى جنتين قال له صاحبه وهو يحاوره اكفرت بالذي خلقك من تراب
يريد مادته واصله السابق ثم من نطفة ثم سواك رجلا مستعدا لكامل القوى انما كفره لكونه
شاكا وهو في قيام الساعة والشاك في قيام الساعة كافر من وجوه لكنا هو الله ربي
ولا اشرك بربي احدا اصله لكن انا فنقلت حركة الهمزة الى النون ثم حذفت وادغم النون
في مثلها واثبت ابن عامر الالف في الوصول وحذفها الباقون قال الزجاج اثبات الالف
جيد جبرا للكلمة واشارة الى الاصل قلت المختار حذفه جريا على الاصل في الضمير المنفصل
نحو انا يوسف والوقف يبين الرسم وهو ضمير الشان والجملة بعده خبره وهو مع خبره خبر
انا والاستدراك من اكفرت كانه قال انت كافر لكني مؤمن ولولا اذ دخلت جنتك

وقت وقولك قلت ما شاء الله لا اسه على ترك هذه الكلمة اى ما شاء الله كاين على
ان ما موصولة او اى شئ شاء الله كان على انها شرطية لا قوة الا بالله اعترافا بالعجز
وان ما تيسر لك بارادة الله ومعونته من غير حول ولا قوة منك وفى الحديث من راى
شيأ فاعجبه فقال ما شاء الله لا قوة الا بالله لم يضره شئ ان ترن انا اقل منك مالا وولدا
انا ضمير الفصل ويجوز ان يكون تاكيد المفعول فعسى ربى ان يؤتين خيرا من جنتك فى
الدنيا او فى الاخرة جواب الشرط ويرسل عليها حسبانا من السماء آفة سماوية مثل الصاعقة
والبرد والريح وعن يحيى بن يعمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم لا تجعلها
حسبانا او مصدر بمعنى الحساب والمراد التقدير بخرابها او جمع حسبانة وهى السهام او
الوسايد الصغار والمراد ارسال اشيا اشبهها فتصبح صعيدا زلقا ارضا ملسا لا نبات
بها او يصبح ماؤها غورا غايرا فى الارض مصدران وصف بهما مبالغة ويصبح اما فعل
ناقص والمنصوب بعده خبر واما بمعنى الدخول فى الصباح فان طروق العذاب بالليل
اشد فلن تستطيع له طلبا للماء الغاير جعل طلبه غير مقدور لان طلب المحال كالمحال
لا يصدر عن عاقل واحيط بثمره كناية عن الهلاك راسا من احاطة العدو واختلاف
القراء ذكر آنفا فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها كناية عن غاية الاسف والندم
فان النادم يفعل ذلك ولتضمنه معنى الندم عدا بعلى وهى خاوية على عروشها ساقطة
كرومها على ما كانت معروشة عليه من الاخشاب لزيادة الحزن والكمد او اراها كذلك
واختصاص الكروم لانها اصل الجنة والنخيل الحافة بها كالتوشيح لها ويقول يا ليتنى لم
اشرك بربى احدا اما فى نفسه او جهارا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله احد ينصره
حالة العذاب وانما اثر لفظ الفئة لان اكثر الانتصار بالشبان الاقويا فى الشدايد
وما كان منتصرا ودفع لما يتوسم انه بذلك الندم صار تايبا فيدركه رافة ربه القادر على نصره
فان قلت قوله يا ليتنى لم اشرك بربى احدا ظاهر فى التوبة والايمان وقد قال وكان
حقا علينا نصر المؤمنين قلت ندمه انما كان اسفا على الدنيا وانه لو لم يشرك لم تصب
جنته ما اصابها ولئن كان مخلصا فى توبته فانما لم تقبل لانها كانت بعد ظهور الاية
فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس وقرا حمزة والكسائى بتذكير
الفعل وهو المختار لوجود الفاصل هنالك الولاية الحق اى فى تلك الحالة التى
حل فيها غضب الله لا النصرة ولا القدرة احد غيره وقرا حمزة والكسائى بكسر الواو وعن الفراء
انهما لغتان والمشهور ان الكسر معناه السلطنة والفتح النصرة وهو المختار لقوله وما كان
منتصرا وقرا ابو عمرو والكسائى بجر الحق صفة لله كقوله مولاهم الحق وهو المختار
لسلامته عن الفصل بين الصفة والموصوف وقيل هنالك اشارة الى الآخرة لا تخفى
بعده هو خير ثوابا وخير عقبا قرا عاصم وحمزة بسكون القاف وهما لغتان بمعنى
العاقبة واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا اتبع المثل الاول لمن اغتر بالدنيا وزخارفها

بما هو اظهر فان ذلك كان على طريقة الحكاية دون المشاهدة وهذه امور مشاهدة
لهم على التوالى كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض خالطه بعضه بعضا بسببه
وتكاثف وقيل نجع فى النبات حتى روى ورف لدخول الماء فى اجزائه وكان الظاهر
على هذا فاختلط بنبات الارض وانما عكس مبالغة وصفا للشئ بوصف ما يجاوره
فاصبح هشيما مهشوما مكسورا متحطما والهشم الكسر ومنه قيل لجد رسول الله هاشم واسمه
عمرو وقال شاعر هم عمرو العلى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف تذروه الرياح
تفرقه شبه حال الدنيا فى نضرتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء سريعا بحال النبات
يكون اخضر وارفا ثم يصير عن قريب حطاما يطيره الرياح وكان الله على كل شئ مقتدرا
كامل القدرة وذلك من آثار تلك القدرة المال والبنون زينة الحيوة الدنيا خصهما بالذكر
لانهما مناط الغرور وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا والباقيات الصالحات خير
عند ربك ثوابا الاعمال الصالحة وصف للشئ بوصف اثره وما يترتب عليه لان الباقى
ثوابها قيل هى الصلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله وعن قتادة كل ما اريد به
وجه الله وهو الوجه وخير املا لعدم خيبته لا مل بخلاف امل الدنيا فانه تارات ويوم
نسير الجبال تهويل ليوم القيمة بعد التنفير عن الاغترار بالدنيا وزخارفها وقرا ابن كثير
وابو عمرو وابن عامر بالتاء على بناء المفعول ورفع الجبال والباقون بالنون وهو المختار
لكونه اشد تهويلا ونسير الجبال اما قلعها وطيرانها فى الجو لقوله وترى الجبال تحسبها جامدة
وهى تمر مر السحاب واما اذهابها وجعلها ترابا كقوله وكانت الجبال كثيبا مهيلا وكلا
المعنيين بحسب الاوقات وترى الارض بارزة ليس عليها جبل ولا نبات
وحشرناهم وجمعناهم الى الموقف آثر الماضى اشارة الى تحقق وقوعه كما فى قوله ونادى
اصحاب الجنة وقيل للدلالة على ان الحشر قبل تسيير الجبال وليس ببعيد لقوله تعالى
يومئذ يتبعون الداعى بعد قوله لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولما روى البخارى ومسلم
عن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحشر الناس على ارض بيضاء
عفراء ليس فيها علم فلم نغادر منهم احدا لم نترك ومنه سمى نقض العهد غدرا لكونه تركا
للوفاء وعرضوا على ربك صفا كما تعرض الجنود على الملوك مصطفا لقد جئتمونا
فرادى على اضمار القول وهو العامل فى يوم ويجوز تقديرا ذكر كما خلقناكم اول مرة
حفاة عراة لا مال ولا ولد بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا اضراب الى ما هو اعظم من
التعزز بالاموال وهو انكار البعث ووضع الكتاب اى كتاب كل احد وهو صحيفة
عمله فترى المجرمين مشفقين مما فيه من الذنوب الاشفاق الخوف من الشفق وهو الشفى
اى الردى ويقولون يا ويلتنا يا هلكتنا المختصة بنا تعالى هذا اوانك مال هذا الكتاب
استيناف للتعجب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ضبطها لا يشذ منها شئ فان
قلت كان الظاهر تقديم الكسر كما يقال فلان لا يملك دينارا ولا درهما قلت ليس ربما

واحدا الا ان محل المسامحة الصغيرة فكان مظنة عدم احصائها ووجدوا ما عملوا حاضرا
مكتوبا في الصحف ولا يظلم ربك احدا فيكتب عليه ما لم يفعله واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس بين حال الدنيا وزخارفها وكان الشيطان قد اقسم في بداء
العداوة لازينن لهم في الارض اشار الى ان الاغترار بها من تزيين ذلك العدو كان
من الجن استيناف يجري مجرى العلة كانه قيل لم لم يسجد قيل كان جنيا مطبوعا على
الفسق ففسق عن امر ربه الفاء دالة على سببية ما قبله اي كان فسقه لكونه من الجن
افتتخذونه ابعد ما وجد ذلك منه تتخذونه انكار وتعجب وذريته اولادا ان صح ان له
اولادا او اتباعه مجازا اولياء من دوني بدلا مني وهم لكم عدو حال تؤكد التوبيخ فان
موالاته بدلا من موالاته تعالى منكر وتعجب منه كيف وقد انضم اليه كونه عدوا لكم قديم العداوة
بئس للظالمين بدلا ابليس وذريته ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق
انفسهم لم يحضروا خلق شيء من المخلوقات فضلا عن الاعانة في التاثير فكيف يستحقون
العبادة واشباها وخلق انفسهم اشهادا بعضهم خلق بعض كقوله ولا تلمزوا انفسكم وما كنت
متخذ المضلين عضدا ابليس وذريته وضع المضلين موضع الضمير ذما لهم والعضد مظهر
القوة استعمل في المعوان والنصر كاستعمال الظهر فان قلت الوصف بالاضلال مشعر
بعلية الاسعاف فيوهم جواز الاعتضاد بغير المضلين قلت لا اعتضاد في الايجاد والخلق محال
دلت القواطع عليه واما في اظهار الدين والشرائع فلا مانع منه يا ايها الذين امنوا كونوا
انصار الله وينصرون الله ورسوله ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم ابليس وذريته
او من عبد من دون الله فدعوهم فلم يستجيبوا لهم بل تبرءوا منهم وقالوا ما كانوا ايانا
يعبدون وجعلنا بينهم موبقا مكان هلاك يشتركون فيه يقال المال بين زيد وعمرو
اسم مكان من وبق هلك الموبقات كبائر الذنوب وعن الحسن عداوة في الشدة
كالهلاك وعن الفراء البين الوصل اي جعلنا تواصلهم هلاكا وان اريد بالشركاء الملائكة
وعيسى وعزير فالموبق البرزخ البعيد الذي يهلك فيه الاشواط لفرط بعده وفي المثل
بلد يهلك فيه اشواط الرياح ورأى المجرمون النار رأوها من مكان بعيد لها تغيظا
وزفيرا فظنوا انهم مواقعوها ايقنوا ولا يقين اجلى منه وظنوا مع بعدها انها تاخذهم
في الحال لشدة خوفهم ولم يجدوا عنها مصرفا مكانا يعدلون اليه ولقد صرفنا في هذا
القران للناس من كل مثل كررنا كل معنى في الحسن مثل يضرب به وتقديم القران
على الناس في هذه السورة خاصة دون سائرها للاهتمام لان السورة مصدرة به
وكان الانسان اكثر شيء جدلا امرا بالباطل وعن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
طرقه وفاطمة وهما في الفراش فقال الا تصليان قلت انما نفوسنا بيد الله متى شاء ردها
الينا فضرب بيده على فخذه ثم قرأ وهو مول وكان الانسان اكثر شيء جدلا وما منع الناس
ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى هو القران او من اتى به ويستغفروا ربهم لذنوبهم السالفة الا ان

يأتيهم

يأتيهم سنة الاولين وهو هلاك الاستيصال او لم يبق لهم عذر او يأتيهم العذاب قبلا
معاينة اي عذاب الاخرة وقرأ الكوفيون بضمتين وهو لغة فيه او جمع قبيل بمعنى
انواع والمختار الكسر لخفته وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين للمؤمنين والكافرين
ويجادل الذين كفروا بالباطل عنادا باقتراح الايات بعد ظهور المعجزات ليدحضوا به
الحق ليزيلوه من ادحض القدم ازلقها والدحض المكان الزلق وفي الحديث
دون جسر جهنم طريق ذو دحض واتخذوا اياتي معجزاتي التي صدقت بها رسلي
وما انذروا والذي انذروا به هزوا استهزاء وقرأ حمزة باسكان الزاء والباقون بالضم
وهما لغتان وابدل حفص الهمزة واوا ومن اظلم ممن ذكر بايات ربه فاعرض عنها
لا اظلم منه لانه كفر بعد ظهور الحق مع كونه له لا عليه ونسي ما قدمت يداه من المعاصي
وكان عليه ان يبادر الى قبولها لانه يذهب بالذنوب قل للذين كفروا ان ينتهوا
يغفر لهم ما قد سلف انا جعلنا على قلوبهم اكنة علة للاعراض اذ لا قصور في تلك الايات
ان يفقهوه كراهة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا يمنعهم عن استماع الحق وان تدعهم
الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا لسد طرق الادراك عليهم اذا جواب للرسول على تقدير
سؤال كانه قيل ما لي لا ادعوهم وجزاء لكونهم مطبوعا على قلوبهم فدعوتهم لا تنجع وربك
الغفور ذو الرحمة الواسعة لو يؤاخذهم بما كسبوا من الكفر والمعاصي لعجل لهم العذاب
اي عذاب الاستيصال تعليل لامهالهم بعد ما تحقق انهم من اهل النار بل لهم موعد
لا بد من مجيئه فالتاخير لذلك الوعد لا لاهمال لن يجدوا من دونه موئلا ملجأ يوم بدر
او يوم القيمة وتلك القرى قرى عاد وثمود واصحاب الايكة اليها لانهم شاهدوها اهلكناهم
حين ظلموا كتكذيب الرسل كقريش وجعلنا لمهلكهم موعدا لاهلاكهم مصدر مضاف
الى المفعول او لوقت اهلاكهم اسم زمان وقرأ عاصم في رواية ابي بكر بفتح اللام والميم
مصدر هلك او اسم زمان وفي رواية حفص بكسر اللام مصدرا او اسم زمان على غير
القياس كالمرجع والمختار قراءة الجمهور لقوله اهلكناهم واذ قال موسى لفتاه اذكر
وقت قوله موسى لفتاه يوشع بن نون اورد قصة موسى مع الخضر وان لم يسأل عنها
استظهارا لصدق دعواه النبوة ودلالة على جهل اليهود الذين امتحنوه فان موسى
نبيهم وقصته هذه من اعظم وقائعه وهم لا يعرفونها وقصته على ما رواه البخاري عن
سعيد بن جبير قال كنا عند ابن عباس في بيته اذ قال سلوني قلت اي ابا عباس
جعلني الله فداك بالكوفة رجل قاص يقال له نوف يزعم ان موسى ليس موسى بني
اسرائيل انما هو موسى اخر فقال ابن عباس كذب عدو الله حدثني ابي بن كعب انه
سمع رسول الله يقول ذكر موسى يوما وفي رواية قام خطيبا في بني اسرائيل حتى فاضت
العيون ورقت القلوب فقال رجل اي رسول الله هل في الارض رجل اعلم منك
قال لا فعتب الله عليه اذ لم يرد العلم اليه فقال بلى لي عبد بمجمع البحرين هو اعلم منك

فسأل السبيل الى لقيه فقال اجعل حوتا في مكتل فحيث فقدت الحوت فهو ثمة فقال موسى
لفتاه لا اكلفك الا ان تخبرني بحيث يفارقك الحوت فقال ما كلفت كثيرا فانطلقا
حتى اتيا الى الصخرة فوضع موسى راسه فنام وكان في اصل الصخرة عين الحيوة فاصاب الحوت
منها شيء فاضطرب وانسل من المكتل فسقط في البحر فامسك الله الجرية عن الحوت فصار
عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي فتاه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما
وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
فقال لفتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان
اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال موسى ذلك ما كنا نبغي ولم يجد موسى نصبا في سفره حتى
جاوز الصخرة فارتدا على آثارهما قصصا يقصان اثرهما حتى انتهيا الى الصخرة فاذا رجل مسجى
ببرده وفي رواية كان على طنفسة خضراء على كبد البحر فسلم عليه موسى فقال له الخضر واني بارضك
السلام قال انا موسى قال موسى بني اسرائيل قال نعم اتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال
يا موسى انك على علم علمكه الله لا اعلمه وانا على علم علمنيه الله لا تعلمه انك لن تستطيع معي صبرا
قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسألني
عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت بهما سفينة فكلموهم
ان يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم ووقع عصفور على البحر فاخذ من الماء بمنقاره فقال الخضر
لموسى ما علمي وعلمك وعلم الخلايق الا بمقدار ما غمس هذا العصفور منقاره فلم يفجأ موسى
الا والخضر قد قلع لوحا من الواح السفينة بالقدوم فقال موسى قوم حملونا بغير نول عمدت
الى سفينتهم فخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا
قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا وكانت هذه من موسى نسيانا
ثم خرجا من السفينة يمشيان على الساحل اذ ابصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فاخذه
فاقتلع راسه فقال له موسى اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم
اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه اشد من الاولى قال ان سألتك عن شيء
بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية استطعما
اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه الخضر وقال بيده
هكذا فقام وكان مائلا فقال موسى قوم ابوا ان يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه اجرا
قال هذا فراق بيني وبينك فقال رسول الله وددنا لو صبر موسى حتى يقص الله
علينا من امرهما لا ابرح لا ازال فحذف الخبر لدلالة حال السفر عليه ولقوله حتى
ابلغ مجمع البحرين لان الغاية تستدعي ما هي غاية له اي لا ابرح اسير او لا يبرح مسيري
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فانقلب الفعل من الغيبة الى التكلم
فالخبر حتى ابلغ وليس الاسناد مجازيا كما توهم ويجوز ان يكون تاما اي لا ازول عما
انا عليه من السير ولا يستدعي خبرا او امضي حقبا ثمانين سنة فان ما بعدها ازول عليه

العمر

العمر او دهرا طويلا فلما بلغا موسى وفتاه مجمع بينهما المكان الذي وعده الله وهو ملتقى
بحر الروم وفارس مما يلي المشرق وقيل طنجه وقيل افريقية من بلاد المغرب وتفسير البحرين
بموسى والخضر باطل نسيا حوتهما اي فقداه الناسي فتاه واسناده الى موسى لادنى
ملابسة فاتخذ سبيله في البحر سربا طاقا مفعول ثان لاتخذ وفي البحر حال من السبيل
ويجوز تعلقه باتخذ فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا
اشارة الى سفرهم بعد فقد الحوت لان قبله لم ينصب ولعل الحكمة ان ذلك كان في
طلب العلم وهذا كان خاليا عن الفائدة قال فتاه ارايت اذ اوينا الى الصخرة فاني
نسيت الحوت اي فقدته وما انسانيه الا الشيطان بوسواسه وقرا حفص بضم
الهاء مراعاة للاصل المرفوض ان اذكره بدل من الضمير واتخذ سبيله في البحر من
كلام فتاه عجبا مفعول اي فعجب موسى وفتاه عجبا لما روى البخاري ان رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم قال كان البحر للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا وقيل
مفعول ثان لاتخذ اي اتخذ سبيله في البحر عجبا اي اتخذ عجبا وقيل هو قول موسى اي
قال يا عجبا كيف نسيت بعد تلك المشاهدة وامساك الماء قال ذلك ما كنا نبغ
يريد حيوة الحوت فانه دليل المطلوب فارتدا رجعا في الطريق الذي جاءا فيه على آثارهما
قصصا يتبعان آثارهما من قصصت الاثر اتبعته فوجدا عبدا من عبادنا هو الخضر
كما صرح به في الحديث آتيناه رحمة من عندنا نبوة ان كان نبيا وكرامة ان لم يكن
وعلمناه من لدنا علما علما مختصا بنا لا يمكن الوصول اليه بالاكتساب قال له موسى
هل اتبعك على ان تعلمني على هذا الشرط وانما لم يجزم القول مراعاة للادب مع
العلم لئلا تكون متحكما عليه مما علمت رشدا علما ذا رشد وقرا ابو عمرو بفتح الراء
والشين وهي كالبخل والبخل قال انك لن تستطيع معي صبرا لاني ارتكب ما لا يوافق
شرعك وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا الخبر علم الباطن شعر فلما التقا صدق الخبر الخبر
نصب على التمييز او على المصدر لان الاحاطة بمعنى الخبرة قال ستجدني ان شاء الله صابرا
ولا اعصي لك امرا عطف على صابرا لانه في تاويل المفرد اي غير عاص او على ستجدني
مقولا للقول وانما علق بالمشية لان افعال العباد بمشية تعالى بمعنى اشارة ان الصبر
على ما يخالف الحق بظاهره وان كان في نفسه حسنا جميلا في غاية الصعوبة قال فان
اتبعتني فلا تسألني عن شيء تنكره ويخفى عليك سببه حتى احدث لك منه ذكرا
حتى اكون انا البادي فان المعلم ادرى بحال المتعلم من نفسه كالطبيب مع المريض
ولذلك قال رسول الله دعوني ما تركتكم فاذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم فانطلقا
على هذا الشرط حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها استفهام انكار
وقرا حمزة والكسائي بياء الغيبة وفتح الراء ورفع اهلها والخطاب بضم التاء ابلغ انكارا
لقد جئت شيئا امرا عظيما من امر الامر اذا عظم وكبر وفي حديث هرقل قال ابو سفيان

لقد امر ابن امرا بي كبشة يريد رسول الله قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا ذكره بما
اعتذر اليه قال لا تؤاخذني بما نسيت بالذي نسيته فان النسيان لا تعاتب عليه نسيت
والنسيان مغتفر فان اول ناس اول الناس ولا ترهقني من امري عسرا بالمضايقة
والتكليف ما لا يطاق مفعول ثان يقال رهقه بالكسر اذا غشيه وارهقه اذا غشاه
فانطلقا بعد الخروج من السفينة حتى اذا لقيا غلاما فقتله بان اقتلع راسه كما سبق
وقيل ذبحه وقيل ضرب راسه في الحائط قيل كان اسمه حيسون قال اقتلت نفسا زكية
بغير نفس وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو زاكية وهما لغتان والتشديد ابلغ وعن
اليزيدي الزاكية التي لم تذنب اليك والزكية التي لم تذنب قط فتختلفان والرسم
مختلف لقد جئت شيئا نكرا اي انكر مبالغة في الانكار وهذا اشد من الاول ولذلك
قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا زيادة لك مكافحة اياه بالعتاب على قلة
الثبات بعدم تقدم الوصية ووقوع المخالفة عن قريب وقرا نافع وابن عامر في
رواية ابن ذكوان وعاصم في رواية ابي بكر بضم كاف نكرا والباقون بالاسكان وهما
لغتان قال ان سالتك عن شيء بعدها بعد هذه الواقعة فلا تصاحبني وان
سالت صحبتك قد بلغت من لدني عذرا تعتذر به لفارقتك وقرا نافع وابو بكر
بنون مخففة لان اصله لدن فحركت نونه الساكنة بالكسر واشم ابو بكر الدال الساكنة
ضمة اشارة الى الاصل فانطلقا حتى اذا اتيا اهل قرية انطاكية وقيل هي الايلة
وقيل هي ابعد ارض من السماء وقيل برقة وقيل ارض بربر وقيل جروان وقيل باخروان
استطعما اهلها طلبا طعاما وفي الحديث اهل قرية لئاما بخلاء فابوا ان يضيفوهما يقال
ضافه نزل به ضيفا من ضاف السهم اذا مال وضيفه انزله ضيفا فوجدا فيها جدارا يريد
ان ينقض مشرفا على السقوط من النقض وهو الكسر استعارة تبعية كقوله ان دهر يلف
شملي بسعدي فاقامه بان اشار اليه بيده من غير مباشرة وعلاج قال لو شئت لاتخذت
عليه اجرا لاحتياجنا وعدم استحقاقهم الاكرام بالتبرع وقرا ابن كثير وابو عمرو لتخذت
عليه من تخذ مرادف اخذ وهي لغة هذيل قال تخذ عرسها وقد تخذت رجلي لدى جنب
غرزها وقراءة الجمهور افصح وابلغ قال هذا فراق بيني وبينك اشارة الى الفراق الموعود
او الى وقته او الاعتراض والبين الوصل اي هذا وقت فراق الوصلة او ظرف بمعنى الوسط
اضيف اليه المصدر اتساعا سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا انك الوقايع الثلث
اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر قيل كانوا عشرة خمسة زمنى وخمسة يعملون
في البحر استدل به على ان المسكين يطلق على من يملك شيئا وقيل سموا مساكين
لزمانتهم وعدم القدرة على دفع الملك فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك امامهم
او خلفهم وكان طريقهم في الرجوع عليه ياخذ كل سفينة غصبا ان كل سفينة سالمة لدلالة
الكلام عليه وكان الظاهر تقديمه على ارادة العيب لانه مسبب عنه وعن كون الملاك مساكين

لكن

لكن لما كان مسكنة الملاك هو اقوى الجزئين رتب عليه السبب المعتنى بشانه تنبيها
على ان في التامل ما يدل على الاخر ثم اردفه به على سبيل التتميم او عسى ان لا يهتدي
اليه الخاطر واما الغلام فكان ابواه مؤمنين فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا لنعمتهما
لانه كان كافرا فيوجب حب الابوين والرقة على الدخول فيما هو فيه كذا عن سعيد
بن جبير وابن جريج وعن مقاتل والكلبي كان غلاما طاغيا يقتل ويسرق وكان
ابواه في عز وشرف فاذا طولب بجنايته يحلف ابواه انه لم يفعل وقيل فخشينا
حكاية قوله تعالى والخشية بمعنى الكراهة وكان سوال موسى ومخاطبته مع الله والخضر
واسطة ولا يخفى بعده وكذا ما قيل فخشينا ان يجتمع مؤمنان وكافر في بيت واحد
فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكوة طهارة ونقاء من الذنوب وقرا نافع وابو
عمرو يبدلهما بالتشديد وهو ابلغ واكثر في القران واقرب رحما الرحم الرحمة والعطف
وقرا غير ابن عامر بسكون الحاء وهما لغتان روي انه ولدت لهما جارية فتزوجها
نبي فولدت نبيا فهدى الله على يديه امة من الامم وقيل سبعين نبيا وقيل ولد لهما
ابن مؤمن واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة قيل اسمهما اصرم وصريم
وكان تحته كنز لهما هو مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب
فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب
وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل
وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن لا اله الا الله محمد رسول الله
وكان ابوهما صالحا اشارة الى علة الحفظ وعن جعفر الصادق رضي الله عنه كان بين
الغلامين وبين الاب الصالح سبعة اباء وقيل جرى بين حسين بن علي وبين بعض
الخوارج كلام فقال الحسين ثم حفظ الكنز للغلامين قال بصلاح ابيهما فقال ابي وجدي
خير منه فاراد ربك ان يبلغا اشدهما غاية القوة وهو ما بين ثمانية عشرة الى
ثلثين مفرد وعن سيبويه جمع شدة ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك مفعول له او مصدر
منصوب باراد لانه في معنى رحمهما وقد راعى في المقالات الثلث ما يليق فان خرق
السفينة لما كان عيبا واقعا بمباشرته اسنده الى نفسه وابدال الغلام بما هو خير منه
كان بقتله وانجاء الله اسند الارادة الى نفسه والى الله وبلوغ الغلامين وحفظ الكنز
لما لم يكن له في ذلك مدخل اسنده اليه تعالى وقيل هو باعتبار حال العارف في النظر
الى الوسايط وارتفاعها وما فعلته ما شاهدته عن امري صادرا عن شاني بل بامر الله
ذلك المذكور من الحكم الخفية تاويل ما لم تسطع عليه صبرا اصله تستطع حذف منه التاء
تخفيفا واختص به دون الاول لانه اخر القصة فيدل الاختصار على الاقتصار وهذا من
غامض اسرار كلامه تعالى وسياتي في اخر الشعراء نظيره وقد اشتملت القصة على جملة من
الاداب وهي ان العالم وان كان فريدا في زمانه لا يعجب بعلمه اذ ربما يكون اعلم منه في الشكل

في الرد والجواب وان لا يبادر الى انكار ما لا يستحسنه اذ ربما كان فيه سر لم يطلع عليه
ويراعى الادب مع المعلم ولا يباديه بالسؤال واذا راى خلاف الشرع ينكره وان كان
من صدر عنه اجل منه ويعفو عن صاحب الجريمة اذا رجع واعتذر فان قلت موسى كان
اعظم رتبة ام الخضر قلت بل موسى فانه من اولي العزم والخضر مختلف في نبوته ولا يقدح
في ذلك اتباعه اياه في جزئيات لم يتوقف عليها شريعته وكم من مسئلة استفادها ابوبكر
وعمر من اصاغر الصحابة فان قلت ما تقول في الخضر هل هو حي ام لا قلت العلم عند الله في
ذلك اذ لم يرد نص يدل على حيوته ولا موته وارباب القلوب واصحاب الكشوف متفقون
على حيوته اكثرهم يخبر عن الاجتماع به رزقنا الله الوصول الى ذلك ويسئلونك عن ذي
القرنين ثالث القصص التي امتحنه اليهود بها وذو القرنين هذا كان نبيا او وليا
وليس قابل دارا فانه كافر فلسفي تلميذ لارسطاطاليس قيل كان في زمن ابرهيم وانما سمي
بذي القرنين لانه ملك المشرق والمغرب وقيل لانه راى في نومه كانه آخذ بقرني الشمس
وقيل كان في راسه شبه القرنين وقيل كان له ضفيرتان وقيل كان لتاجه قرنان وسال
ابن الكوا علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقال كان عبدا صالحا احب الله فاحبه ضرب
على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله ثم ضرب على قرنه الايسر فسمي ذا القرنين وفيكم
مثله يريد نفسه فانه ضرب على قرن راسه يوم الخندق وضرب على قرنه الاخر ابن ملجم
لعنه الله او اراد انه يحب الله ويحبه وهو الظاهر لقوله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر لاعطين
الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبهما قل سأتلوا عليكم منه من شانه وحاله ذكرا قرانا
او ما يذكر على وجه الزمان الى اخر الدهر لعدم اختلاله انا مكنا له في الارض جعلناه متمكنا
يتصرف فيها بلا مانع قيل ملك بسيط الارض مؤمنان سليمان وذو القرنين وكافران نمرود
والضحاك وآتيناه من كل شئ سببا ما يتوصل به الى مقصوده من علم وقدرة وساير الالات
فاتبع سببا اراد سفر المغرب فاتبع طريقا يوصل اليه وقرا الكوفيون وابن عامر اتبع من
الافعال معدى الى مفعول كقوله فاتبعه شهاب او احد المفعولين محذوف اي امره او سببا
سببا والافتعال ابلغ مع عدم الحذف حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة
ذات حماة وهي الطين الاسود وقال السدي قرا معاوية في عين حامية فقال له ابن عباس
رضي الله عنه حمئة فقال لابن عمرو كيف تقرا فقال حمئة فارسل الى كعب الاحبار كيف تجدها
في التورية قال تغرب في ثاط وهو الحماة وقد الم به تبع في شعره يصف ذا القرنين فراى
مغار الشمس عند غروبها في عين ذي خلب وثاط ثرمد وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي
وابوبكر حامية من حمي كرضي اي في عين حارة وعن ابي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند غروب الشمس فقال هل تدري اين تغرب الشمس قلت الله ورسوله اعلم قال
انها تغرب في عين حامية وعن ابن عمر ان رسول الله نظر الى الشمس حين غابت فقال في
نار الله الحامية لولا ما يزعها من امر الله لاحرقت ما على الارض ولا تنافي لامكان الوصفين

ووجد عندها قوما كفارا لباسهم جلود الوحش وطعامهم ما لفظ البحر قلنا يا ذا القرنين
ندااوه ان كان بلا واسطة وهو الظاهر فهو نبي والا فبالهام او على لسان نبي اما ان
تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا خيره بين القتل والدعوة الى الاسلام قال اما من ظلم
بالاستمرار على الكفر فسوف نعذبه بالقتل ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا عذاب النار
الذي لم يعهد مثله واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى حسنات اعماله او الكلمة الحسنى
وهي كلمة الايمان وقرا حمزة والكسائي وحفص جزاء منصوبا منونا على المصدر او الحال من
الفاعل او المفعول او تمييز وسنقول له من امرنا يسرا ذا يسر وسهولة لا مشقة فيه ويجوز
ان يكون التخيير بين القتل والاسر واتخاذ الحسن ابقاؤهم واحياؤهم وعلى هذا جوابه من الاسلوب
الحكيم لانه تعرض للايمان الذي خلا عنه التخيير وعلى الوجهين راعى تقديم ما من الله على
ما منه ثم اتبع سببا طريقا موصلا الى المشرق وفي لفظ ثم اشارة الى انه انما توجه بعد تمهيد
جانب المغرب وضبط احواله حتى اذا بلغ مطلع الشمس الموضع الذي تطلع عليه الشمس
اولا من معمورة الارض وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا قيل ارضهم لا تمسك
البناء ولهم اسراب يدخلونها عند طلوع الشمس فانهم لا يقدرون على حرها فاذا ارتفعت
خرجوا وترددوا في امر المعاش روي ان رجلين وصلا اليهم وهم وراء الصين فاذا
احدهم يفترش احدى الاذنين ويتغطى بالاخرى وقيل الستر اللباس وقد شاهدنا نحن
ببلاد مصر ما يجلب من السودان لا لبس لهم اصلا بل وفي طريق الحجاز خلق كثير كذلك
امر ذي القرنين كما ذكر في القوة ورفعة الشان او بلغ مطلع الشمس كما بلغ مغربها او
مثل ذلك القوم الذين تغرب عليهم الشمس في الكفر والضلال ولقد احطنا بما لديه خبرا
زيادة تعظيم لامره على الاول وانه فوق ما وصف له اسباب لا يحيط بها الا العلم اللطيف الخبير
وعلى الثاني تعظيم للاسباب الموصلة له الى ذلك المكان الشاسع الذي لم يصل اليه احد
قبله وعلى الثالث تتميم يؤكد انه سن بهم ما سن باولئك الذين عند مغرب الشمس
ثم اتبع سببا طريقا الى صوب الشمال حتى اذا بلغ بين السدين وهما الجبلان اللذان
بنى السد بينهما قيل هما جبلا ارمنية واذربيجان وقيل بمنقطع ارض الترك من ورائهما
ياجوج وماجوج وقرا ابن كثير وابو عمرو وحفص بضم السين وهما لغتان وعن ابي عبيدة الضم
لفعل الخالق والفتح لفعل المخلوق ويتقاربان وبه استقام وجد من دونهما قوما
لا يكادون يفقهون قولا لغرط جهلهم وقرا حمزة والكسائي بضم الياء وكسر القاف اي لا يكادون
افهام الغير لغرابة لغتهم قالوا يا ذا القرنين ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض اي
في ارضنا هما طائفتان عظيمتان وراء السد روي انه لا يموت احدهم حتى يولد له الف
نفس وهما من ولد يافث بن نوح وقيل ياجوج من الترك وماجوج من الجيل والديلم وقيل ياجوج
الذكران وماجوج الاناث وهما اسمان عجميان كهاروت وماروت وعن الاخفش انهما
عربيان من همز وهو عاصم جعل الالف اصلا فياجوج يفعول وماجوج مفعول ماخوذ من

اجيج النار ومن لم يهمز جعل الالف زايدة فياجوج من يجج وماجوج من مجج وعدم
الانصراف للعلمية والتانيث فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا تحجز
بيننا وقرا حمزة والكسائي نجعل لك خراجا والخرج والخراج واحد كالنول والنوال والحصد والحصاد
وقيل الخرج الجعل والخراج ما لضرب على الارض وقيل الخرج مصدر والخراج اسم وقيل الخرج
ما تبرعت به والخراج ما لزمك وقيل الخراج اعم بناء على ان زيادة البنا لزيادة المعنى
هذا وكل منهما يستعمل في موضع الاخر قال ما مكني فيه ربي خير ما جعلني فيه مكينا من المال و
اليسار خير مما تبذلون لي وقرا ابن كثير مكنني بالاظهار اعتبارا للاصل لان نون الوقاية كلمة
مستقلة وعليه رسم المصحف المكي وعلى الادغام ساير الرسوم فاعينوني بقوة من الصناع
والالات اجعل بينكم وبينهم ردما حاجزا حصينا موثقا من قولهم ثوب مردم اي رقاع فوق
رقاع واردمت الحمى واثمت اتوني زبر الحديد قطع الحديد واحدها زبرة وهي القطعة الكبيرة
من الزبر وهو القوي الشديد وهذا لا ينافي رد الخراج لان الايتا بمعنى المناولة او بمعنى الاتيان
كقوله آتنا غداءنا ويدل عليه قراءة ابي بكر ائتوني بهمزة الوصل حتى اذا ساوى بين الصدفين
بين راسي الجبلين صدف الشيء اعلاه ولا يقال الا اذا قابله مثله كالزوج وقرا ابن كثير وابو عمرو
وابن عامر بضم الدال والصاد وابو بكر بضم الصاد واسكان الدال والفتح لغة الحجاز الافصح
قال انفخوا اي الاكوار والحديد حتى اذا جعله نارا كالنار قال اتوني افرغ عليه قطرا اي نحاسا مذابا
سمي به لانه يقطر وقد حذف مفعول الاول لدلالة الثاني عليه ولم يعكس والا لاضمر في الثاني
على ما هو المختار وقرا حمزة بهمزة الوصل ولابي بكر وجهان قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل
الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينها الحطب والفحم حتى سد ما بين
الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد
فاختلط والتصق بعضه ببعض فصار جبلا صلدا لا يقدرون عليه قيل بعد ما بين السدين
مائة فرسخ فما اسطاعوا ان يظهروه لغاية علوه وما استطاعوا له نقبا لغاية صلابته وثخانته
وقرا حمزة فما اسطاعوا بالادغام اصله استطاعوا مع التقاء الساكنين جرا للوصل مجرى الوقف
روما للخفة قال هذا الردم رحمة من ربي عليكم ليس لي عليكم منه فاذا جاء وعد ربي وقت
خروج ياجوج وماجوج جعله دكا مدكوكا من دككت الشيء كسرته وساويته بالارض وقرا
الكوفيون دكاء فعلاء اي ارضا مستوية وعن الفراسي مصدران كالباس والباسا وكان
وعد ربي حقا ثابتا لا محالة وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض اي وقت مجيء الوعد جعلنا ياجوج
وماجوج يموجون مختلطين من ماج البحر اضطرب وعن ابن عباس ماج الانس والجن يومئذ
ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا للحساب والجزاء وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا شاهدوها
وبرزت الجحيم لمن يرى الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري اي عن النظر في الايات المنبهة
في الافاق والانفس ليؤديهم الى ذكري بالجميل او الذكر هو القران والاعين البصاير والغطاء
التغافل والاعراض عن التامل فيه وكانوا لا يستطيعون سمعا كناية عن الاعراض بلغ مبلغ

صم

صمم لان الاصم اذا صيح به يسمع وهؤلاء سلب عنهم الاقتدار افحسب الذين كفروا
ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء عطف على كانت والمعنى ابعد ذلك التعامي
والتصام يعتقدون ان ولايته الملائكة وعيسى نافعة لهم وضع المظهر موضع المضمر
دلالة على ان منشا ذلك الحسبان هو الكفر وقد نسب الى ابي بكر وهي قراءة علي رضي الله
عنه افحسب الذين كفروا بسكون السين والمعنى افكافيهم ذلك عند ولهم من دون
ساير العقايد وعلى هذا ان مع ما في حيزه فاعل النعت انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا
طعام يهيا للضيف او نزل تهكم واشارة الى ان بعده عذابا يستحقر هذا دونه
وعن الزجاج هو المنزل والماوى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا تمييز جمع للدلالة على
الانواع وان كل نوع كاف لزيادة خسرانهم وقد روى البخاري عن مصعب بن الزبير
قال سالت ابي عنهم اهم الحرورية قال لا هم اليهود والنصارى الذين ضل سعيهم
في الحيوة الدنيا ضاع وبطل خبر مبتدا محذوف لانه جواب سوال او نعت للاخسرين
والجواب اولئك وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا باتعاب انفسهم في انواع العبادات
مع فوات شرايطها اولئك الذين كفروا بايات ربهم بالقران وما فيه من دلايل التوحيد
والنبوة مستانف جار مجرى التعليل ولقائه لعدم اعتقادهم بالبعث فحبطت اعمالهم
سقطت ولم يعتد بها فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا ميزانا لعملهم اذ ليس لسيئاتهم مقابل
بخلاف الموحد وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يؤتى برجل
من امتي فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مثل مد بصره ثم يقول الله هل ظلمك
الحفظة فيقول لا يا رب فيقول هل لك عذر فيقول لا يا رب فيقول ان لك عندنا
امانة فتخرج له بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله فيقول احضر وزنك فيقول يا رب
ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت
السجلات فلا يثقل مع اسم الله شيء او هو كناية عن الازدراء بهم يقال ليس لفلان
عند الملك وزن اي مقدار وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه لياتي الرجل العظيم يوم
القيمة لا يزن عند الله جناح بعوضة فاقروا ان شئتم فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا
ذلك اي الامر ذلك جزاؤهم جهنم مبتدا وخبر او ذلك مبتدا وجزاؤهم خبره وجهنم
عطف بيان او ذلك مبتدا والجملة خبره والعايد محذوف اي به او له بما كفروا واتخذوا
آياتي ورسلي هزوا مهزوا بهم ان الذين امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس
نزلا هو اوسط الجنة روى مسلم والبخاري ان رسول الله قال اذا سالتم الله الجنة فسلوه
الفردوس فانه اوسط الجنة ومنه تتفجر انهار الجنة وفوقه عرش الرحمن خالدين فيها حال
مقدرة لا يبغون عنها حولا لانقطاع الاماني فلا مطلب بعده قل لو كان البحر مدادا
لكلمات ربي المداد اسم لكل ما يمد به والمراد هنا ما يمد به الدواة لنفد البحر جنس البحر
بحيث لم يبق منه شيء قبل ان تنفد كلمات ربي لا تنفد ابدا الا ان هناك تعاودها او مقدار

على ما يتوهم من معنى القبلية وانما عدل اليه في المنزل لمزاوجه وان ما لا يفقد عند العقول
العاقبة يفقد دون نفادها وقرا حمزة والكسائي ينفد بالتذكير والتانيث هو المختار لعدم
الفصل ولو جئنا بمثله مددا عونا اذ لا تنبيه للمتناهي الى غيره قل انما انا بشر مثلكم يوحى
الي انما الهكم اله واحد لا اقدم الا بذلك دفع لطعنهم لما ابطأ في جواب السوال الذي
هو سبب نزول السورة فمن كان يرجوا لقاء ربه روية او ثواب الطاعة عند العرض
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا لا يرى بعمله روى البخاري وابن ماجه واحمد
بن حنبل ان رسول الله قال اذا جمع الله الناس يوم القيمة نادى مناد من كان اشرك
في عمله لله فليطلب ثوابه من عند غير الله فان الله اغنى الشركاء واما اذا حمده الناس من
غير ريا فلا عليه لما روى مسلم عن ابي ذر انه قيل يا رسول الله ارايت الرجل يعمل الخير
ويحمده الناس عليه قال تلك عاجل بشرى المومن تمت والحمد لله كفاء افضاله والصلوة
على محمد وصحبه وآله ما لمع القاع سرابه وآله

سورة مريم عليها السلام ثمان وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم كهيعص اسم السورة او حروف التهجي يعاظا
وتقريعا وامال ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي يا من هذه الحروف والسوسي في وجه
وامال ابو عمرو وابو بكر والكسائي ها وامال نافع الف ها ويا امالة تقلله لان هذه الحروف
اسماء واصل الفها اليا بدليل الانقلاب في التثنية ذكر رحمة ربك خبر مبتدا محذوف
اي فيما يتلى عليك او خبر ما قبله ان جعل اسم السورة عبده مفعول لرحمة او الذكر على ان
الرحمة فاعل على ان الاتساع مثل ذكرني جود زيد زكريا بدل او عطف بيان قرا حمزة والكسائي
وحفص بحذف الهمز مقصورا وهي لغة اذ نادى ربه نداء خفيا لان الخفاء والجهر عند الله
سيان ولانه يشعر بالضعف المناسب للاجابة ولانه ادخل في الاخلاص او لئلا يلام
على طلب الولد في اوان الكبر او لانه خاف من مواليه الذين خافهم من ورائه فاسره فان
قلت النداء رفع الصوت فكيف يستقيم فيه الخفاء قلت النداء هو هو مطلق الصوت
والذي هو مقيد برفعه مقصور قيل نادى وسنه خمس وستون وقيل خمس وسبعون وقيل
خمس وثمانون قال رب اني وهن العظم مني خصه بالذكر لانه عمود البدن واشد ما يركب
منه الجسد فاذا وهن كان سائر اجزائه اوهن وافرده لان الغرض ان هذا الجنس مع
صلابته وشدته تطرق اليه الوهن ولو جمعه لكان المعنى ان الوهن قد اصاب كل
كل فرد منه لا بعضا وليس هو بصدد بيان ذلك لا انه قصد الاستغراق وهو في المفرد
اشمل فانه مع كونه ليس بعرض غير مسلم في العرف واشتعل الراس شيبا شبه انتشار
الشيب في الراس باشتعال النار في الحطب والجامع الفشو والظهور ثم اخرجه في صورة
الاستعارة مبالغة والقرينة اسناد الاشتعال الى الراس او شبه الشيب بالنار والوجه
الانبساط فالاستعارة مكنية والاشتعال تخييل وانما اطنب لان مقام اظهار العجز يقتضيه
ولولا ذلك لكفى ان يقول رب شخت ولم يكن بدعائك رب شقيا قط فيما سلف وطلب

الولد

الولد من مثلي وان لم يكن معتادا ومتعارفا لكن جودك واحسانك وعوائد متعارف
مستمر وقف سائل على كريم فقال له من انت قال انا الذي احسنت اليه وقت كذا فقال
مرحبا بمن توسل الينا بنا واني خفت الموالي من ورائي مواليه بنو عمه كانوا اشرار بني اسرائيل
فخاف ان يبدلوا بعده والجار يتعلق بمعنى الولاية في الموالي لا بخفت لفساد المعنى
وكانت امراتي عاقرا فيما مضى لا تلد فهب لي من لدنك من كمال قدرتك التي تخترع
بها الاشياء وان لم يكن حصول الولد من العاقر والشيخ متعارفا وليا ولدا من صلبي
لقوله من لدنك ذرية طيبة يرثني ويرث من آل يعقوب وقرا حمزة وابو عمرو والكسائي
بالجزم على انه جواب الامر الرفع على الوصف لموت زكريا قبل يحيى على الاكثر او على التقييد
نظيره كما في قوله صلى الله عليه وسلم كل ذلك لم يكن في جواب ذي اليدين اقصرت ام نسيت
مع انه كان ناسيا والحمل على الاستيناف علة للسوال غير داخل في المسئول بعيد والوراثة
النبوة والعلم لا المال لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ويعقوب
هو اسرائيل بن اسحق اراد بالارث من آله الملك او العلم والنبوة ويكون من للتبعيض
لان آله ليسوا كلهم انبياء ولا علماء وقيل يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب
وعمران ابو مريم اخوان من نسل سليمان واجعله رب رضيا مرضيا عندك او راضيا
بقضائك وقدرك يا زكريا انا نبشرك بغلام اسمه يحيى سماه الله باسم غريب من عنده
تشريفا له والبشارة على لسان الملائكة لقوله فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب
ان الله يبشرك لم نجعل له من قبل سميا لم يسم قبله احد بهذا الاسم وكذلك رسول الله
لم يسم احد قبله بمحمد وقيل لم نجعل له من قبل شبيها كقوله هل تعلم له سميا قال رب انى يكون
لي غلام وكانت امراتي عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا استبعد عادة وان كان هو عالما
بان الله قادر على ذلك او الاستبعاد ليس راجعا اليه بل الى غيره فاذا اجيب بما اجيب
ازداد المومنون ايقانا والمبطلون ارتداعا وعن الحسن ليس هناك استبعاد بل انما
سال كيفية الحصول اهو على تلك الحالة او بعد عود الشباب يؤيده قوله واصلحنا له زوجه
والعتي نهاية السن من عتا الشيخ اذا كبر واولى اصله عتو كقعود فاستثقلوا توالي الضمتين
والكسر والتاء فقلبت الواو الاولى ياء لكسرة ما قبلها فاجتمعت الواو والياء وسبقت احدهما
بالسكون فقلبت الواو ياء وادغمت الياء في الياء وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر العين
على الاتباع وهو خلاف المختار لا لاتفاقهم في عصيهم قال كذلك اي الامر على ما ذكرت
قال ربك هو علي هين وان كان مستبعدا عادة ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب
مفعول قال الثاني وهو مع قوله مفعول الاول وقوله هو علي هين مفسر لما اشير اليه بذلك
والخطاب لزكريا لقوله وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا قطا او شيئا يعتد به كقول ابي
الطيب شعر اذا راى غير شيء ظنه رجلا وهذا مجاز شايع فلا يدل على كون المعدوم
ليس بشيء وقرا حمزة والكسائي خلقناك قال رب اجعل لي آية علامة تدل على وقوع البشرة

ليتشمر على القيام بشكره قال آيتك ان لا تكلم الناس ثلث ليال مع ايامها للقول في
آل عمران ثلثة ايام سويا ليس بك آفة من خرس سال الاية ليقوم بالشكر فسلب قدرة
الكلام مع الناس لئلا يشوب بذكر الله غيره فخرج على قومه من المحراب من مصلاه حين
اعتقل لسانه فاوحى اليهم اشار اليهم لقوله الا رمزا وعن ابن عباس كتب على الارض
ان سبحوا بكرة وعشيا صلوا او نزهوا في الوقتين كانهم امروا ان يوافقوه في العبادة ان
تعذر لان الوحي فيه معنى القول يا يحيى خذ الكتاب بقوة قلنا له بعد ولادته وبلوغه
حد الفهم والكتاب هو التورية وآتيناه الحكم صبيا العلم والعقل وفي الحديث الصمت حكم
قيل ودعاه اترابه الى اللعب فقال ما للعب خلقنا او النبوة احكم الله عقله وارسله الى الناس
وحنانا من لدنا رحمة وبركة على الناس يتبركون كما رآى ورقة بن نوفل بلالا يعذب قال
والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا اراد اتخاذ قبره مزارا وزكوة صدقة على ابويه او زكوا به
الناس ويطهرون من الذنوب او جعلناه زكيا طاهرا من قبيل رجل عدل روى ابن جرير
واحمد بن حنبل عن ابن عباس ما من احد الا وعمل سيئة او هم بها الا يحيى بن زكريا وكان
تقيا شديد التقى وبرا بوالديه شديد البر بهما ولم يكن جبارا عصيا عاليا يجبر الناس
على مراده نفي صريحا ما علم ضمنا مبالغة في وصفه وايثار عصيا على عاصيا مع كونه اوفق
مراعاة لرؤس الآي وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا ثناء عليه
واخبار بان خالقه على وفق فطرته التي يولد عليها كل مولود وعن ابن عيينة خصها بالذكر
لانها اوحش المواطن واذكر في الكتاب مريم ابنة عمران اذ انتبذت اعتزلت غير
مبالية بنفسها من النبذ وهو الطرح وانما اتبع قصة زكريا بقصتها لانها اغرب ترقيا
من اهلها مكانا شرقيا شرقي بيت المقدس او شرقي دارها وعن ابن عباس لذلك اتخذت
النصارى المشرق قبلة فاتخذت من دونهم حجابا حائطا ونحوه وكان موضعها المسجد فاذا
حاضت انتقلت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت الى المسجد فارسلنا اليها روحنا جبرئيل
لانه الآتي بالوحي الذي هو سبب الحيوة الابدية فتمثل لها بشرا سويا تام الخلق قيل جاء في
صورة امرد وضيء الوجه جعد الشعر او لو بدا لها في صورته لم تقدر على سماع كلامه وقيل
لتتحرك شهوتها فينحدر الى الرحم قالت اعوذ بالرحمن منك اثرت اسم الرحمن وله موقع
لا يخفى ان كنت تقيا فان التقوى سبب للملاك في مثل ذلك المقام وايثار ان لبعد الرجاء
مع التعرض والدخول عليها في خلوة بعيدة عن الناس من غير اذن قال انما انا رسول
ربك الذي استعذت به لاهب لك غلاما جئت لاكون سببا في هبة الغلام بالنفخ
في الدرع وقرا ابو عمرو وورش ليهب لك بالياء اسند الى المضاف وعليه رسم المصاحف
فان قلت قد ذكر في آل عمران ان الملائكة بشروها بغلام اسمه المسيح وهنا ذكر ان المباشر
لذلك هو جبرئيل وحده قلت كلام الملائكة والبشارة به مع ذكره باسمه ولقبه انما كان
بعد قصة جبرائيل ولذلك اقتصرت على الاستبعاد ولم تستوعب الكلام بذكر البغي وما جرى

بينهما

بينها وبين القوم من المحاورة زكيا طاهرا من الذنوب او ناميا على الخير والصلاح
قالت انى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر يريد النكاح فان السفاح لا يكنى عنه ولذلك
اردفته بقولها ولم اك بغيا فعول اذ لو كان فعيلا لقيل بغية وحمله على المبالغة تشبيها
بفعول او على النسب كطالق وحائض تكلف قال كذلك قال ربك هو علي هين قد
سبق تقريره ولنجعله آية للناس معلله محذوف اي فعلنا ذلك وهو مع العلة معطوف
على قوله هو علي هين وفي ايثار الاولى اسمية دلالة على لزوم الهون ازالة للاستبعاد
قيل او عطف على مضمر اي لنبين به قدرتنا ولنجعله آية وفيه تطويل بلا طائل ورحمة منا
على العباد بارساله وكان امرا مقضيا لا محالة لسبق العلم به او حقيقا بان يكون لكونه
آية من آيات الله فهو من تتمة العلة فحملته بان نفخ في الدرع لقوله فنفخنا فيه من روحنا
فانتبذت به حاملة به كقوله تدوس بنا الجماجم والتربا مكانا قصيا بعيدا من اهلها
قيل كان لها ابن عم يسمى يوسف وقد سميت له فلما ظهر الحمل عليها هرب بها فلما كان
ببعض الطريق حدثته نفسه بقتلها فاتاه جبرائيل فقال انه من روح القدس اياك
ان يفعل فانثنى عزمه فاجاءها المخاض الى جذع النخلة الجاءها وضع الولادة قال الفراء
اصله المجيء وقد جعلته العرب الجاء قال زهير شعر وجار سار معتمدا اليكم اجاءته المخافة
والرجاء والجذع ما بين العرق والغصن واللام للجنس او العهد اذ لم يكن هناك غيرها
قيل كانت نخلة يابسة لا رأس لها ولا خضرة فاخضرت واثمرت رطبا وهو خرسة النفساء
وشان النخل ان لا يثمر بدون التلقيح وكان الوقت شتاء حتى اذا راوا ذلك ارتدعوا
عن اتهامها وايقنوا بان شانها في الولادة من غير زوج شان النخلة من غير تلقيح
من غير اوان الثمر قالت يا ليتني مت قبل هذا حياء من الناس لا كراهة لحكم الله
قرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر مت بضم الميم من مات يموت وهو المختار
الاكثر وكنت نسيا منسيا حقيرا شانه ان ينسى وقيل مصدر سمي به وقرا حمزة وحفص
بفتح النون قال الفراء هما لغتان ومعظم العرب على الكسر منسيا لحقارته لا يخطر
بالبال فناديها من تحتها من تحت ثياب مريم عيسى او جبرائيل فانه كان بمثابة
القابلة لها او من مكان اسفل منها وعن قتادة الضمير للنخلة وقرا نافع وحمزة
والكسائي وحفص بكسر الميم وخفض تحتها في ناديها ضمير عيسى او جبرائيل والفتح هو المختار
لخفته واغنائه عن الاضمار ان لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا نفيسا شريفا هو
عيسى من سرو الرجل سراوة وفي حديث ام زرع تزوجت سريا اي سخيا او جدولا
ما لم يؤيده قوله وهزي اليك بجذع النخلة اميليه اليك والباء صلة للتوكيد وعلى معنى
افعلي الهز كقوله يخرج في عراقيبها نصلي تساقط عليك تساقطا وعمت التاء في السين
وقرا حمزة بحذف التاء ورطبا تمييز على الوجهين وقرا حفص تساقط مضارع ساقط
ونصب رطبا مفعولا والتشديد ابلغ جنيا طريا مجنيا من الشجر قيل ما للنفساء خير من الرطب

ولا للمريض خير من العسل وقيل اذا عسر الولاد لم يكن لذات الطلق خير من الرطب
فكلي من الرطب واشربي من السري او من شراب الرطب وقري عينا طيبي بما يسرك
من الاكل والشرب اشتقاقه من القر وهو البرد فان العين تدمع باردا عند غاية السرور
ومنه قرة عين فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما صمتا او نذرت
صوما فلن اكلم اليوم انسيا وكان الكلام حراما على الصائم اخبرتهم بالاشارة لقوله
فاشارت اليه وقيد البشر لاخراج الملائكة فاتت به قومها بعد ما طهرت من النفاس
تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا بديعا منكرا اصل الفري القطع كانها اخترعته
من عندها يا اخت هارون ارادوا اخا موسى لانها كانت من اعقاب من كان
في طبقته وكان بينهما الف سنة وعن السدي انها كانت من اعقاب هارون
وقولهم يا اخت كقولهم يا اخا العرب اي واحدا منهم وقيل كان في زمانها رجل صالح
يسمى هارون شبهوها به اما حقيقة او تهكما وقيل كان رجلا فاجرا ما كان ابوك
امرا سوء وما كانت امك بغيا من اين سرى اليك هذا الفعل اشارة الى ان ارتكاب
المعاصي من اولاد الصالحين اقبح فاشارت اليه اي اطلبوا الجواب منه فقالوا
لتسخرينا بها اشد علينا من زناها قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا كان صلة
من اي كيف نكلم الذي كان بالامس صبيا ولم يزل عنه الصبا او صفة ما كلمنا موصوفا
بالصبا حتى نكلم هذا والعدول الى الماضي لتصوير الاستمرار او زائدة او بمعنى صار وعلى الوجوه
كيف للتعجب قال اني عبد الله آتاني الكتاب استنطقه زكريا وقيل كان يرتضع فلما
سمع مقالتهم اقبل على لسانه ورفع اصبعه وكان اول ما تكلم به الاقرار بالعبودية تكذيبا
لمن تدعي فيه الالوهية والكتاب هو الانجيل قيل استنبأه في الصبا مثل يحيى وقيل
هو باعتبار المآل وجعلني نبيا وجعلني مباركا واي بركة اعظم من ابراء الاكمه والابرص
واحياء الموتى اعاد الفعل للدلالة على كمال الصفتين حيث استقلت كل واحدة بجعل اينما
كنت حيث ما كنت وايثار الماضي دلالة على تحقق الوقوع واوصاني بالصلوة والزكوة
زكوة المال وطهارة النفس عن الرذايل وايثار الايصاء على الامر للدلالة على اللزوم ما
دمت حيا دوام حياتي وبرا بوالدتي عطف على مباركا وتوسيط الامر بالصلوة والزكاة
للاهتمام ولم يجعلني جبارا متكبرا شقيا عنده والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت
ويوم ابعث حيا اللام فيه للجنس تعريضا باللعن على اعدائه كقوله والسلام على من اتبع
الهدى فانه تعريض بان العذاب على من كذب وتولى وجعله للعهد لتقدم سلام يحيى
غير سديد لان ذلك السلام لايكون لعيسى روى سعيد بن ابي عروة عن قتادة عن
الحسن ان عيسى ويحيى التقيا فقال عيسى ليحيى استغفر لي فقال انت خير مني استغفر لي كيف
اكون خيرا منك وسلم الله عليك وسلمت على نفسي وجعله من قبيل هذا الذي رزقنا
من قبل يرده انقطاع هذا الكلام عن ذلك واستقلال القصة ذلك عيسى بن مريم مبتدا

وخبر

وخبر المقر بالعبودية الموصوف بصفات المخلوقين من الحمل والولادة لا ما يصفه النصارى
بصفات الالوهية ولا ما يصفه اليهود ولد من غير رشدة قول الحق كلمة الله خبر بعد خبر
او بدل او خبر مبتدا محذوف وقرا ابن عامر وعاصم بالنصب على انه مصدر مؤكد اي قلت لكم
في شانه قول الصدق او على المدح والحق هو الله والرفع ابلغ مع سلامته من الحذف الذي
فيه يمترون يشكون او يجادلون اي اليهود والنصارى ما كان لله ان يتخذ من ولد
استيناف لتكذيب النصارى سبحانه نصب بفعل لازم الحذف اذا قضى امرا تعلقت
ارادته به فانما يقول له كن فيكون ومن هذا شانه منزه عن الولد واشارة الى تكون عيسى
وكلمة كن اما حقيقة لان سنة الله جرت بان ايجاد الاشياء تكون مسبوقا بها او لما كان
يكون الاشياء الا ما تعلق ارادته بها شبه ذلك بامر الآمر المطاع اذا ورد على المامور
الممتثل وان الله ربي وربكم قرا الكوفيون وابن عامر بكسر ان على الاستيناف او عطفا على
اني عبد الله والباقون بالفتح عطفا على الصلوة او لان الله ربي وربكم فاعبدوه والكسر ابلغ
هذا صراط مستقيم لا زيغ فيه فاختلف الاحزاب من بينهم الذين عادتهم التحزب على
الانبياء وهم اليهود الذين لم يصدقوه وارادوا قتله او الذين تحزبوا بعد رفع عيسى وهم الفرق
الثلث من النصارى نسطورية قالوا هو ابن الله ويعقوبية قالوا هو الله وملكانية قالوا هو
عبد الله ورسوله وهؤلاء اي كفروا بانكار نبوة محمد فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم من
الشهود مصدرا او زمان او مكان والمعنى من شهود الحساب وهوله فالاضافة بمعنى في على
الاتساع او مكان الشهود فيه وهو الموقف فالاضافة للملابسة او وقت الشهود فالاضافة
بمعنى من او من الشهادة مصدرا او زمان او مكان والمعنى من شهادة الانبياء والسنتهم
وايديهم وارجلهم عليهم بالمعاصي او من وقت الشهادة او من مكانها والاضافة على التفصيل
اسمع بهم وابصر ما اسمعهم في ذلك اليوم وابصرهم بعد ما كانوا في الدنيا صما عميا والمعنى
شانهم حقيق بان يتعجب منه المتعجبون تعجبوا اولا وقيل لا للتعجب بل خطاب له بان يسمعهم
هو عيد ذلك اليوم ويبصرهم والجار والمجرور محذوف من الثاني لدلالة الاول عليه وعن
ابن مالك انه مستتر فيه وانما استقر عند من يجعل المجرور فاعلا وهو مذهب سيبويه واما اذا
جعل مفعولا او جعل الخطاب امرا فلا وجه له يوم ياتوننا يوم القيمة لكن الظالمون اليوم
في ضلال مبين الكاملون في الظلم مستغرقون في الضلال المبين باغفال النظر وانذرهم يوم
الحسرة لعلهم يتفكرون فيه عن ابي سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت
في صورة كبش املح فينادي مناد يا اهل الجنة فيشرئبون فينظرون فيقول لهم هل
تعرفون هذا فيقولون نعم هذا هو الموت وكلهم قد عرفه ثم ينادي يا اهل النار فيشرئبون
فينظرون فيقول لهم هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا هو الموت وكلهم قد راه فيذبح
بين الجنة والنار ثم يقول يا اهل الجنة خلود فلا موت ويا اهل النار خلود فلا موت ثم قرا
رسول الله وانذرهم اذ قضي الامر بدل من يوم او ظرف الحسرة وهم في غفلة عطف على ان الظالمون

في ضلال او حال من الضمير في الظرف وانذرهم اعتراض يؤكد ما هم فيه من الضلال
او متعلق بانذرهم اي انذرهم غافلين غير مؤمنين حالان فيهما معنى التعليل ولا يرد
انما انت منذر من يخشاها لان ذلك بالنظر الى النفع كقوله انما تنذر من اتبع الذكر وهذا
بالنظر الى التنبيه لقوله لتنذر قوما ما انذر آباؤهم وهم لا يؤمنون انا نحن نرث الارض
ومن عليها في ذلك اليوم لا ملك ولا ملك لاحد لمن الملك اليوم والينا يرجعون للجزاء
واذكر في الكتاب ابراهيم قدوة الموحدين تبكيتا لمن يدعي الانتساب اليه من اليهود
والنصارى والمشركين والذاكر ان كان هو الله الا انه اسند اليه لانه المبلغ عنه والناطق
باوامره ونواهيه او الذكر بمعنى التلاوة صديقا بليغ الصدق لانه صدق بكتب الله
ورسله ومن كان كثير التصديق كان كثير الصدق في تصديقه فيفيد المبالغة كما وكيفا
نبيا مخبرا عن الله من باب الترقي لان النبوة اعلى فذكر الصديق تمهيد لها اذ قال
بدل من ابراهيم وما بينهما اعتراض او متعلق بكان اي كان جامعا بين الوصفين
وقت دعوة ابيه او تصديقا وهو وجه حسن لدلالته على كمال صدقه في نصحه لابيه يا ابت
مبدوءة التاء التانيث لحقت المنادى عوضا عن المضاف اليه ووقف عليها ابن كثير وابن
عامر بالهاء على ما هو الاصل في تاء التانيث وابو عمرو بالتاء اتباعا للرسم لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا لم يصح خطابه مع كونه موقنا به سلوكا لطريقة الادب
واستشا القول وصاحبها في الدنيا معروفا وقابل سؤاله سؤال منبه على تماديه في الغي وافراطه فيه
وتناهيه مشيرا الى ان المعبود لو كان سميعا بصيرا نافعا ضارا الا انه يكون مخلوقا كسائر
المخلوقات لا يستحق العبادة لانها غاية الخضوع فلا يستأهل لها الا من له غاية الكبرياء
ونهاية العلو والسناء فكيف بجماد لا شعور له بعبادة من يعبده فضلا عن الثواب
او دفع العقاب ثم دعاه الى الحق مترفقا به متلطفا يا ابت اني قد جاءني من العلم
ما لم يأتك فاتبعني اهدك صراطا سويا لم يسم جاهلا ولا وصف نفسه بالعلم الفائق
بل ان عنده شيئا من العلم وذلك علم الدلالة على الطريق السوي وكانه قال هب
اني واياك في مسير الى مقصد ولي على طريقه فلا تستنكف عن اتباع الدليل فانه امر
متعارف لم يزل ذلك دأب الملوك في قطع الفيافي والمفاوز يقيدون بالادلاء
ولا يرون ان ذلك يعود عليهم بنقص يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحمن عصيا ومن كان عصيا له حقيق بالمعادات فلا تتخذ من كان عدو الله
صديقا واقتصر على كونه عدو الله دون آدم لاستلزامه اياه وقيل لرقيه في الديانة
يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا لم يجزم
بلحوق العذاب بل ذكر خوفه والمس الدال على القلة مع تنكير العذاب المؤذن بتيسير
منه مع استحقاقه اشد العذاب لو استمر على الكفر جريا على مسلك الادب على السنن
السابق واثر ذكر الرحمن لتقدمه اولان ذلك ايضا مشعر بقلته لدلالته على فرط الرحمة

وسبقها

وسبقها الغضب وما قيل ان تنكير العذاب للتعظيم وايثار لفظ الرحمن للمبالغة في ذلك
على ما يقولون نعوذ بالله من غضب الحليم فما ياباه المقام وانما ذكر ولاية الشيطان بعد العذاب
لانها اشد كما ان رضوان الله من الجنة اكبر قال اراغب انت عن آلهتي يا ابراهيم
ناداه باسمه ولم يقابل قوله يا ابت بيا بني والاستفهام للتعجب قيل قدم الخبر لكونه اهم
عنده والاولى جعله مبتدا وانت فاعل سد مسد الخبر لئلا يقع الفصل بين اراغب
ومعموله بالاجنبي لئن لم تنته لارجمنك بالشتم واللعن ومنه الرجيم للشيطان او لاقتلنك
شر قتلة بالحجارة واهجرني عطف على مقدر دل عليه لارجمنك مليا دهرا طويلا من
الملاوة او سالما من لمليت عمري اي استمتعت به قال سلام عليك متاركة الجاهل
بالحسنى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما سأستغفر لك ربي بالتوفيق للتوبة او لم
علم بان الله لا يغفر لمن اشرك به ومنه قول عيسى عليه السلام وان تغفر لهم فانك انت
العزيز الحكيم وهو الوجه لانه نهي عن الاقتداء به وبين ان ذلك كان لموعدة وعدها
اياه والا فالاستغفار بالتوفيق للايمان لا انكار فيه انه كان بي حفيا بالغا في البر والحفاوة
وهي المبالغة والاستقصاء في الشيء ومنه في الحديث امر ان تحفى الشارب واعتزلكم
وما تدعون من دون الله بالمهاجرة الى الارض المقدسة كان بارض بابل وادعو ربي
خاصة ولا اشرك به عسى ان لا اكون بدعاء ربي شقيا اي بعبادته فان الدعاء مخ العبادة
وفي ايثار عسى اشارة الى ان العبادة امارة النجاة لا جزم معها وفيه هضم النفس فلما
اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب عاش حتى رآه ولم
يكن مظنة الولد لكونه شيخا وزوجه عجوز ولذلك لم يذكر اسمعيل وقيل ذكر اسمعيل منفردا
اشارة الى فضله وكلا جعلنا نبيا كلا من الولد والحافد لما هاجر في الله ابدله من الكفار
الاعداء اولادا انبياء ووهبنا لهم من رحمتنا بعضها وهي النبوة وقيل الاولاد والاموال
وجعلنا لهم لسان صدق ثناء حسنا فان اللسان مظهره كاطلاق اليد على النعمة
لذلك عليا دائما الى آخر الدهر في الصلوات على ما ورد في التشهد او عاما في جميع
الملل فانه ليس من محق ومبطل الا وهو يدعي انه من حزبه واذكر في الكتاب موسى
انه كان مخلصا موحدا في عبادته وقرأ الكوفيون بفتح اللام اي مختارا وهو المختار
لكون الاول موقوفا عليه وكان رسولا نبيا بشرا ارسل بالنبوة وناديناه من جانب
الطور الايمن من اليمن والبركة او كان عن يمين وقربناه نجيا رتبة وشرفا كما يقال
فلان مقرب الملك وقيل رفع فوق السموات ولا تعب لان السبعين سمعوا الكلام
معه في الطور ووهبنا له من رحمتنا اخاه نبيا شد به ازره وجعلناه مؤيدا بالمعجزة ردءا
يصدقه واذكر في الكتاب اسمعيل انه كان صادق الوعد عن ابن عباس رضي الله عنه
واعد صاحبا له في مكان فاخلف صاحبه الوعد فانتظره سنة ولانه صبر على الذبح بعد
الوعد به ووصف بما غلب عليه والا فالانبياء كلهم مشتركون في صدق الوعد وكان رسولا نبيا

وفيه دلالة على ان الرسول لا يلزم ان يكون صاحب كتاب او شريعة مستقلة وانما
قدم الرسول لان الانبياء عن الله موقوف على الرسالة منه او ليوافق رؤس الاى
وكان يأمر اهله بالصلوة والزكوة امته لانهم اهل دينه وقيل اهل بيته خاصة كقوله وانذر
عشيرتك الاقربين فانهم اولى بالبر والاحسان ولانهم اذا صلحوا اقتدى بهم غيرهم
وكان عند ربه مرضيا لاتيانه من الافعال بما يرضيه واذكر في الكتاب ادريس اسمه
اخنوخ قيل لقب له لكثرة درسه ويرده انه اعجمي ولذلك منع من الصرف الا ان يكون
من توافق اللغتين انه كان صديقا نبيا ورفعناه مكانا عليا رآه رسول الله في السماء
الرابعة او في السماء السادسة او رفعناه بالنبوة وما يلفقه الدعاة من انه خادع ملك الموت
ومات به ودخل الجنة كذب مختلق لان اول من يدخل الجنة رسول الله وامته قيل انه
اول من خط بالقلم وخاط الثياب وكان قبله يلبس الجلود وانزل الله عليه ثلثين صحيفة
اولئك الموصوفون الذين انعم الله عليهم بانواع النعم الدينية والدنيوية من النبيين
بيان الموصول من ذرية آدم بدل باعادة الجار او من تبعيضية لان ذرية اعم من
الانبياء والكل داخلون في المنعم عليهم وممن حملنا مع نوح ومن ذرية من حملنا مع
نوح ومن ذرية ابراهيم واسرائيل يعقوب وقد دخل عيسى في الذرية لان مريم
من ذرية اسرائيل ولزم منه ان يكون اولاد فاطمة ذرية رسول الله وانما ذكر انسابهم
دلالة على انهم حازوا فضل الحسب والنسب لان من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه وممن
هدينا واجتبينا زيادة مدح لهم كما تقول زيد من اولاد الامراء وهو من الصالحين اذا
تتلى عليهم آيات الرحمن خبر اولئك ان جعل الذين وصفا وان جعل خبرا فاستيناف
لبيان اجتنائهم وخضوعهم لله تعالى مع علو طبقتهم بحيازتهم شرف الحسب الفاخر والنسب
الزاهر خروا سجدا حال مقدرة لان الخر وقيل السجود وبكيا في الحديث اذا تلوتم القرآن
فابكوا فان لم تجدوا البكاء فتباكوا فخلف من بعدهم خلف خلفه اي عقبه والخلف والخلف
صفة منه الا انه بالتحريك يستعمل في الخير وبالتسكين في الشر والمراد بنو اسرائيل من اليهود
والنصارى او اعم فيشمل المشركين من بني اسمعيل اضاعوا الصلوة اما بالترك او
بالتأخير عن الوقت او نقص شئ من ابعاضها واتبعوا الشهوات عن ابن عباس
هم اليهود والنصارى تركوا الصلوة المفروضة وشربوا الخمور واستحلوا نكاح الاخت من
الاب وعن علي رضي الله عنه بنوا المشيد وركبوا المنظور ولبسوا المشهور فسوف يلقون
غيا لكل شر عند العرب غي قال المرقش من يفعل الخير يحمد الناس امره ومن يغو لا يعدم
على الغي لائما وعن الزجاج جزاء غي كقوله يلق اثاما وقيل هو واد في جهنم يستعيذ منه
اوديتها وعن قتادة هو في هذه الامة الا من تاب وآمن وعمل صالحا فاولئك
يدخلون الجنة قرأ ابن كثير وابو عمرو وابو بكر بضم الياء وفتح الخاء من الادخال وهو
ادخل في الاكرام وادفع لقوله وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يظلمون شيئا

ادنى

ادنى شئ لان الايمان والتوبة يجبان ما قبلهما جنات عدن بدل بعض من الجنة
لانها تشمل على جنات ثمانية على ما روى ابن عباس وعدن علم لمعنى الاقامة كأمس
وسحر للوقتين ولولا ذلك لم يقع جنات بدلا لان النكرة لا تبدل عن المعرفة ولم
يوصف بالموصول التي وعد الرحمن عباده بالغيب غائبة عنهم او وهم غائبون عنها
الباء للملابسة والحال عن الضمير المحذوف من الصلة او عن عباده او بايمانهم
بالغيب فالباء للسببية والغيب بمعنى الغائب انه اي الله او الشان كان وعده
مأتيا آتيا فان كل شئ اتيته فقد اتاك او الوعد بمعنى الموعود وهو الجنة فالمأتي
على ظاهره لا يسمعون فيها لغوا فضولا من الكلام وما حقه ان يلقى ويطرح الا سلاما
استثناء منقطع اي ان كان يعد السلام لغوا كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بهن فلول او لكن يسمعون قولا يسلمون فيه من العيب والنقيصة فمنقطع وعن
المبرد السلام دعاء بالسلامة اريد به الاكرام لعشرة فيه لان الدعاء في دار السلام بالسلامة
لا معنى له ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا طرفي النهار على ما هو دأب الافاضل توسطا
بين الزهادة والرغابة او اريد دوامه ودروره تقول انا عند فلان صباحا ومساء تريد
اتصال الصحبة تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا مستقيا من الشرك
لقوله ويغفر ما دون ذلك ومن قال لا اله الا الله دخل الجنة عبر عن الادخال بالايراث
لان الارث ملك لازم لا يمكن رده وقيل لان الجنة جزاء الاعمال الفانية فكانها
ارث وقيل لانهم يرثون من الكفار منازلهم المعدة لهم لو آمنوا وما نتنزل الا بامر ربك
له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا تاركا لك كما زعمت
الكفرة روى البخاري عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبرائيل لولا
تزورنا اكثر مما تزورنا فنزلت وقيل نزلت لما ترك ذكر المشية حين سألوه عن
الروح وذي القرنين واصحاب الكهف وابطأ عليه الجواب وقال المشركون
ودعه ربه وقلاه رب السموات والارض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته تسلية
عما نسب اليه وان مجئ جبرائيل ليس بارادته بل عبد مأمور منقاد لامر ربك فعليك
بعبادته واصطبر على اذاتهم واشار الرب على ساير الاسماء الحسنى اشارة الى ان
ذلك الابطاء تربية له وتكميل وتحته فوايد هل تعلم له سميا شبيها يعدل الى عبادته او
تتوجه اليه وقيل لا شريك له في الاسم فان لفظة الجلالة لم يطلق الا على ذاته المقدسة
وكانه انعكس اليه اشعة التوحيد نكتت اعين المشركين عن الحوم حوله ويقول
الانسان اللام للعهد وهو العاص بن وائل او الجنس لوقوع الفعل منهم كقولهم
بنو فلان قتلوا زيدا قال الفرزدق فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء
عن رأس خالد اذا ما مت لسوف اخرج حيا من الارض او من الفناء او هو من
قولهم خرج فلان في العلم وخرج فلان اذا صار فيه ماهرا وهذا منهم على وجه التهكم والاستهزاء

وتقديم الظرف وايلاؤه حرف الانكار لان انكار الوقت مستلزم لانكار الحيوة فيه
على وجه البرهان وتعلق الظرف بفعل يدل عليه المذكور لان ما بعد اللام لا يعمل فيما قبله
وهي مجردة عن معنى الحال للتوكيد ولذلك صح دخولها على حرف الاستقبال كما جردت
في يا الله عن معنى التعريف وقرا ابن ذكوان في احد الوجهين اذا ما بالاخبار اولا يذكر
الانسان عطف على يقول وسطت الهمزة بين العاطف والمعطوف عليه والاصل
فيهما التقدم عليهما لان الواو للجمع والمقصود انكاره وان ذلك القول لا تجامع التذكر
لان الاعادة اهون من البدء عرفا وقرا نافع وابن عامر وعاصم يذكر من الذكر
ضد النسيان والتشديد ابلغ انا خلقناه مفعول على الاول وتقدر الباء على الثاني
من قبل ولم يك شيئا بل كان عدما صرفا فوربك لنحشرنهم اقسم بنفسه على تحقيق البعث
بعد اقامة البرهان تأكيدا للوقوع واضافه الى نبيه تشريفا له واثر لفظ الرب اشارة
الى ان في الحشر ايصالا الى كماله المتوقع وهو المقام المحمود والشياطين عطف على
الضمير المنصوب وجعله مفعولا معه ابلغ لما في الحديث انهم يحشرون مقرنين في الاصفاد
مع الشياطين مشاة على وجوههم والضمير ان كان للكفرة خاصة فالمعنى ظاهر وان
كان للاناسي عموما فالمعنى انهم يحشرون والكفرة بينهم مقرنين مع الشياطين يتشفى
المؤمنون برؤيتهم ثم لنحضرنهم حول جهنم للكفار او الناس جميعا ليرى السعداء ما نجاهم
الله منه وليشمتوا باعدائهم فيزدادوا مساءة وحسرة جثيا حال مقدرة من المفعول والمعنى
انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم المؤمن والكافر لما يدهمهم من هول المطلع وان
كان الضمير للكفرة خاصة فربما يحشرون جثاة على ركبهم كما كانوا في الموقف لقوله وترى
كل امة جاثية وقرا حمزة والكسائي وحفص جثيا بكسر الجيم على الاتباع اصله جثوي جمع
جاث كقعود جمع قاعد ثم لننزعن من كل شيعة فرقة من المشايعة فان كل واحد
منهم يشايع الآخر ويتابعه ايهم اشد على الرحمن عتيا اي اعصاهم فاعصاهم واعتاهم
فاعتاهم الى ان يحاط بهم من كل شيعة شيعة لان المعنى على استمرار النزع او رؤسا الكفر
والمتهم فلا احاطة ولا استمرار وارتفاع ايهم على الحكاية عند الخليل اي الذين يقال
فيهم ايهم اشد وعن سيبويه بمعنى الاحتياج الى صدر صلته المحذوف وعن يونس معلق
لكون النزع سببا للتمييز والتمييز مسبب عن العلم فاجري مجراه والظاهر ما ذهب اليه
سيبويه ويجوز جعل من التبعيضية مفعولا كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل
شيعة وكان قائلا قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا ثم لنحن اعلم بالذين هم اولى بها
صليا اي بعد نزعهم واجتماعهم نحن اعلم بمراتبهم ودركاتهم فنقدم الاولى فالاولى بالحكم
من العذاب بقدر اعمالهم وقرا حمزة والكسائي وحفص بكسر الصاد على الاتباع وهو مصدر
صلى النار لازمها وان منكم التفات من الغيبة الى الخطاب فان المكافحة بالوعيد
اشد زجرا وهو ابتداء الكلام من غير التفات الى المذكور سابقا الا واردها حاضرها الورود

لغة

لغة الحضور قال تعالى ولما ورد ماء مدين ولا يشك عاقل في ان موسى لم يدخل الماء
وقال تعالى في حق فرعون يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار اي احضرهم من غير
دخول ولذلك قال للملائكة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب وما روي عن ابن عباس
الورود هو الدخول ان صح عنه فالمراد الورود على الصراط فوق جهنم هذا الذي يجب اعتقاده
والا يلزم دخول الانبياء في النار ولا يجري عليه من في قلبه مثقال ذرة من ايمان
فان قلت اذا كان معنى الورود الحضور فاي فايدة في ذكره وقد قال ثم لنحضرنهم
حول جهنم جثيا قلت ان كان الضمير في لنحضرنهم للكفار خاصة فظاهر وان كان
عاما فالمبالغة في الانذار ولذلك غير الاسلوب من الغيبة الى الخطاب وبالغ في
التوكيد بقوله كان على ربك حتما واجبا اوجبه على نفسه مقضيا حكم في الازل لا يمكن
تبديله ثم ننجي الذين اتقوا الشرك ونذر الظالمين الكافرين فيها جثيا كما كانوا
حولها فانها تنهار بهم في النار ويفارقهم المؤمنون الى الجنة واذا تتلى عليهم آياتنا بينات
واضحات المعاني ظاهرات الواجب فيه وفي نظايره الحمل على الحال المؤكدة لان آيات
الله لا تكون الا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا اي في حقهم او معهم مواجهة
اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا اي اذا افحموا ولم يقدروا بعد التحدي على المعارضة
اخذوا في الخرافات التي لا مساس لها بالمقام يفتخرون بما لهم من الزينة والحظوظ
الناقصة والندي والنادي موضع الاجتماع ويطلق على الجماعة المجتمعين ايضا
وفي الحديث ما كانوا ليقتلوا عامرا او بني سليم او هم الندي وعن ابي سعيد الخدري كنا
انداء فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم الانداء جمع النادي وكم اهلكنا قبلهم من قرن
كم مفعول اهلكنا ومن بيان لابهامها وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم
من قرن الشيء وهو اعلاه هم احسن اثاثا ورءيا الاثاث متاع البيت لا واحد له وقال
ابو زيد الاثاث المال والغنم والعبيد والمتاع الواحدة اثاثة وقيل هو ما جد من الفرش
والخرثي ما لبس منها وانشد تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا
والرئي حسن المنظر فعل من الرؤية لمعنى المفعول كالطحن والذبح وقرا قالون وابن ذكوان
بالتشديد بابدال الهمزة ياء ساكنة على قياسه فاجتمع المثلان فادغم الاول في الثاني او هو
من رويت من الماء استعير لحسن المنظر والتنعم والاول هو المختار لكونه نصا في المطلوب
قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا اي فيمد وانظرهم على الغاني واغتروا بما مد الله
لهم في العمر لئلا يبقى لهم عذر يوم القيمة حين يقال لهم اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم
النذير واخرج الخبر في صورة الامر الدال على الوجوب مبالغة وقطعا للمعذرة ويحتمل ان
يكون دعاء كقوله ربنا ليضلوا والمعنيان متقاربان حتى اذا راوا ما يوعدون من
نصر المؤمنين او العذاب غاية المد العمر وقيل غاية لقول الذين كفروا اي يستمر بهم ذلك
القول والافتخار الى ان يروا ما يوعدون والآيتان اعتراض في البين للابقاء وتوكيد الوعيد

وحتى هي التي تحكي الجمل بعدها ولذلك وقعت الشرطية بعدها اما العذاب في الدنيا بالقتل
واما الساعة بدل من ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا اذا عاينوا غلبة
المسلمين وقتلهم شر قتلة وانكشف الغطاء عند قيام الساعة ايقنوا ان الامر على عكس ما كانوا
يقدرونه وانهم شر مقاما واضعف ناصرا لا خير مقاما واحسن نديا وذكر الجند دل على ان المراد
بالندي الجماعة ويحتمل ان يراد به المحل وقابل به الجند لان حسن النادي باجتماع وجوه القوم
فيه واعيانهم وفي الشق الثاني السكان الاول اظهر ويزيد الله الذين اهتدوا هدى
عطف على قوله فليمدد لانه خبر في المعنى كانه قيل من كان في الضلالة يزيد الله ضلالة ويزيد مقابله
هدى والاولى عطفه على الشرطية بعد القول ليكون ذكر المقابل محكيا ايضا اصالة والباقيات
الصالحات الايمان وسائر الاعمال الصالحة خير عند ربك ثوابا مما متع به الكفرة من الحظوظ
المخدجة وسمي عقابهم ثوابا تهكما على طريقة قوله تحية بينهم ضرب وجيع وخير مردا نفعا مصدر
رد نفع يقال هذا الامر ارد اي انفع او من الرد بمعنى الصرف اي عاقبة واسم التفضيل
اما ان يراد به مطلق الزيادة او هو من قبيل قولهم الصيف احر من الشتاء والمعنى ثواب
هؤلاء اكثر من عقاب اولئك ولا تخل بالتهديد لان الكلام ليس هو قاله بل لسان
حال اهل الجنة في مقابلة اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا افرايت الذي كفر باياتنا و
قال لاوتين مالا وولدا كانه قال له بعد ما قصصت حال الكفار في عقابهم اخبر بقصة هذا
الكافر فانها اعجب وانما كانت اعجب لكونها على وجه الاستهزاء ولما كانت مشاهدة
الاشياء من اقوى طرق الاحاطة بها علما والاخبار عن الشيء مسبوقا بالعلم به استعملوا الرؤية
في الاخبار نزلت في العاص بن وائل قال خباب بن الارت كنت قينا في الجاهلية
وكان لي على العاص دين فاتيته اتقاضاه فقال لا اعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا اكفر
به حتى يميتك الله ثم تبعث فقال اني لميت ثم مبعوث قلت نعم حتى اموت ثم احيى فساوفي
مالا وولدا فاقضيك فنزلت وقرا حمزة والكسائي ولدا بضم الواو وسكون اللام وهي لغة
كالبخل والبخل اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا الا يمكن الوصول الى ما ادعاه الا باحد
هذين الامرين الاطلاع هو الاشراف على الشيء فكانه زاعم انه مشرف مستقل على علم
الغيب المخصوص بعلام الغيوب لفرط وقاحته وقيل العهد كلمة الشهادة فانها عهد بين الله
وبين عباده كلا ردع له وتنبيه على انه مخطئ فيما يعتقده سنكتب ما يقول السين لمجرد
التاكيد اي قد كتبنا او سنظهر له مقالته يوم القيمة كقوله اذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة ونمد له
من العذاب مدا نطوله له ما لا نهاية له او نزيده عذابا فوق العذاب من المدد ونرثه
ما يقول مسمى قوله بان نزوي عنه ما هو فيه من الاموال والاولاد فضلا عن الزيادة ويأتينا
فردا منفردا او يحول بينه وبين هذا القول فيأتينا رافضا له منبسطا قوله هذا في ديوان
الكتبة لنضرب به وجهه في الموقف زيادة في حزنه واتخذوا من دون الله الهة ليكونوا لهم عزا
ليتعززوا بهم وصلة بينهم وبين الله فان قلت كانوا كافرين بالبعث فما معنى اتخاذ الالهة

وصلة

وصلة وشفعاء قلت كانوا يقولون ان صح ذلك على سبيل الفرض تشفع لنا وهذا
مقول طايفة وتلك مقالة اخرى وهم الدهرية القايلون ما يهلكنا الا الدهر كلا ردع
وتكذيب لمقالتهم سيكفرون بعبادتهم بقولهم ما كانوا ايانا يعبدون او المشركون ينكرون
عبادتهم لقوله والله ربنا ما كنا مشركين ويكونون عليهم ضدا اي ذلا تعكيسا لرجائهم
او عونا في العذاب توقد بهم النار عليهم والعون يسمى ضدا لانه يضاد المعاند والتوحيد
لوحدة المعنى الذي به مضادتهم كقوله صلى الله عليه وسلم في المؤمنين وهم يد على من
سواهم وان رجع الضمير في سيكفرون الى المشركين فمعنى كونهم ضدا كفرهم بعبادتها
والتبرؤ منها الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين سلطناهم عليهم تؤزهم ازا
تهيجهم وتغريهم على المعاصي قال الحربي الاز ان تحمل انسانا على امر بحيلة ورفق من
الازيز صوت المرجل عند غليانه والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفرة
واغترارهم بتسويلات الشياطين بعد وضوح الايات وتماديهم في الغي وعدم ارعوائهم
فلا تعجل عليهم بان يهلكوا فتستريح انما نعد لهم عدا اي بين ما تطلب وبينك ايام
معدودة وساعات وانفاس محصورة فعن قريب تنقضي وعن ابن عباس انه كان
اذا قرا الاية بكى ويقول اخر العدد خروج نفسك اخر العدد فراق اهلك اخر العدد
دخول قبرك يوم نحشر المتقين الى الرحمن الى من غمرهم بالبر والاحسان نصب باذكر
او بمقدر اي نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف ويجوز تعلقه بلا يملكون وفدا جمع
وافد وهو الوارد على الملوك بالرسالة المنتظرة لعطاياهم ونسوق المجرمين الى جهنم
كما تساق البهايم وردا عطاشا لان الوارد على الماء لا يرده الا لعطش لا يملكون
الشفاعة الطايفتان الا من اتخذ عند الرحمن عهدا امانا بالايمان والعمل الصالح او ما
من عهد اليه بكذا اذن له فيه وامر به وقالوا اتخذ الرحمن ولدا قول المشركين الملائكة بنات الله
لقد جئتم شيئا ادا منكرا عظيما وعن علي رايت رسول الله في المنام فقلت ما ذا لقيت
بعدك من الاد والاد اي الشدة والاعوجاج والتفت الى الخطاب ليكافح بمقالتهم
الشنيعة تكاد السموات قراها نافع والكسائي بالياء والباقون بالتاء لتانيث وهو المختار
لعدم الفاصلة يتفطرن منه وقرا ابو عمرو وحمزة وابو بكر بالنون من الانفطار والتفطر
ابلغ معنى كالتهدم وتنشق الارض وتخر الجبال هدا مكسورة مضعضعة من هده
كسره ان دعوا للرحمن ولدا مجرور بدل من الهاء في منه او منصوب بحذف الجار وافضاء
الفعل اليه لتكاد او لتخر او لهدا او مرفوع بهدا اي هدها دعاء الولد للرحمن والدعاء بمعنى
التسمية او النسبة من الدعوة وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولدا ما يليق به ولا يدخل تحت
الصحة لاقتضاء الازدواج والمجانسة وهو مستحيل في حقه هذا ان اريد تولده وان اريد
التبني فكذلك لعدم احتياجه وفي ايثار لفظ الرحمن اشارة الى ان بقاءهم مع تلك المقالة
يقتضي تلك الرحمة ثم قرر ذلك وبين بقوله ان كل من في السموات والارض الا اتى الرحمن عبدا

آتي اسم فاعل من اتى وهي الطاعة ومن اتى اليه رجع والمعنى كل من الملائكة
والثقلين منقاد مطيع لاوامره يقر بعبوديته اي يكون له ولد لقد احصاهم ضبطهم
وحفظهم وعدهم عدا عد اشخاصهم وافعالهم وانفاسهم لم يخرج عن علمه وملكوته
او علمه شي وكلهم آتيه يوم القيمة فردا وحده لا اتباع ولا اموال معه يقال جاء القوم
فرادى اي واحدا واحدا ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا
محبة في قلوب العباد من غير اكتساب ولا مباشرة اسباب روى البخاري عن
ابي هريرة ان الله اذا احب عبدا نادى جبرائيل اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبرائيل
ثم ينادي جبرائيل اهل السماء ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يوضع له
القبول في الارض والسين لان السورة مكية والمؤمنون كانوا بها ممقوتين بين الكفرة
وقيل ذلك يوم القيمة عند عرض حسناتهم وورود الحديث وعن ابن عباس يحبهم
ويحببهم فالسين للتاكيد فانما يسرناه بلسانك بلغتك وهي العربي المبين كلام
مستانف اشار به الى عظم موقع هذه السورة لما فيها من براهين التوحيد والرد على
فرق الضالين المبطلين ودلائل النبوة وان القرآن كلامه تعالى وانما يتلوه بتيسير منه
فانتظم اخر السورة باولها المشير الى اعجاز القرآن على طريق الايقاظ والباء بمعنى على
او ضمن التيسير معنى الانزال لتبشر به المتقين يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا او لا حاجة
الى تاويل المتقين بالصائرين الى التقوى وتنذر به قوما لدا ونسوق المجرمين الى جهنم
وردا واللد جمع الالد وهو الشديد الخصومة وفي الحديث ابغض الناس الى الله الالد الخصم
وكم اهلكنا قبلهم من قرن ترهيب للكفرة وتشجيع له على التبليغ هل تحس منهم من احد
هل ترى منهم احدا او تسمع لهم ركزا صوتا خفيا فضلا عن القوي علق الرؤية باحد
منهم والسماع بهم مبالغة لان انتفاء الرؤية عن احد يستلزم انتفاءها عن الكل والسماع
بالعكس والركز الخفاء ومنه الركاز للمال المدفون تمت ولله الحمد والمنة والصلوة على
شمس فلك السنة واصحابه نجوم الدجنة

سورة طه مكية وهي مائة واربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم طه امال حمزة وابو بكر والكسائي الف طا من طه وامال ورش
وابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر ها لان اصله ياء بدليل الانقلاب في التثنية والحرفان
اسم السورة او من حروف التهجي للايقاظ والتنبيه على الاعجاز وعن ابن جبير معناه يا رجل
بالنبطية وقيل هي لغة عك بن عدنان وقيل كلمة سريانية وقيل اصله طاها امر من
وطئ والها كناية عن الارض فانه صلى الله عليه وسلم كان يقف على رجل في تهجده حتى
ورمت قدماه فابدلت الهمزة الفا وعلى هذا كتبتهما على صورة الحروف لموافقة اوائل
ساير السور مع ان خط المصحف لا يقاس وقيل الحرفان على حساب الجمل اربعة عشر
فكانه قال يا بدر ما انزلنا عليك القرآن لتشقى جواب القسم ان جعل طه مقسما به واستيناف
ان كانا من حروف التهجي او جملة فعلية ومنادى له ان كانا نداء وخبر مبتدا ان جعلا اسم السورة

غير مقسم بها سواء اريد بالقرآن السورة او الجنس لقيامه مقام العائد للاتحاد والاندراج
والشقاء التعب ومن امثالهم اشقى من رائض مهر ولا لعدم شقي مهر اما لانه كان يتعب
نفسه بالقيام فقيل له ما انزلنا عليك القرآن لتشقى وتتعب هذا التعب المفرط الخارج
عن حد الاعتدال او لما قال له ابو جهل والنضر بن الحارث انك شقي بترك دين آبائك فرد
ذلك بان القرآن سلم الى كل فوز وسعادة فالمراد به الخسران في الدين الا تذكرة استثناء
منقطع علة للفعل المذكور بدون اللام لاجتماع شرائط الحذف او مصدر في موقع الحال
من الكاف او القرآن ولا يجوز ان يكون احد الابدال لان المعنى ما انشقاك بمتاعب التبليغ
ومقاساة المردة بانزال القرآن عليك الا للتذكرة والا حال كونك مذكرا فلا يكون الشقاء
منفيا كقولك ما ضربتك للتاديب الا اشفاقا لمن يخشى لمن في قلبه خشية فانه المنتفع
وقيل لمن علم الله منه الخشية ويؤول امره اليه على منوال هدى للمتقين تنزيلا بدل من تذكرة اذا
جعل حالا لا اذا جعل مفعولا له لفظا والمعنى او نصب باضمار فعله او على المدح او بيخشى ممن
خلق الارض والسموات العلى الى قوله له الاسماء الحسنى صفات سبقت لتفخيم شان المنزل
لانه كلام من هذه صفاته والعلى جمع العليا تانيث الاعلى ووصف السموات دال على عظم قدرة
موجدها ولما قدم الارض لكونها اقرب الى الحس ووصف السموات جبرا لما فاتها من شرف
السبق والتفت من التكلم الى الغيبة لان هذه الصفات انما تاتي سردها مع لفظ الغيبة ولانه
فخم شان المنزل باسناده الى المتكلم الواحد على وجه التعظيم ثم ثنى بالاسناد الى الموصوف بتلك
الصفات فافاد التفخيم من وجهين الرحمن على العرش استوى رفع على المدح والجملة بعده خبر بعد خبر
او خبر مبتدا محذوف والاستواء على العرش كناية عن نفاذ التصرف واجراء تدبير الكائنات
على وفق ما تقتضيه الحكمة كما ان بسط اليد كناية عن الجود له ما في السموات وما في الارض وما بينهما
من الاجزاء الداخلة فيهما والموجودات الخارجة عنهما وما تحت الثرى وما تحت الارض من
الموجودات التي لا يحيط بها الا علمه الشامل والثرى التراب الندي لان ما فوق الارض يعتبره
الحس احيانا ولما كان ايجاد الكائنات وتدبير امرها لا يتم الا بالعلم اشار الى ثبوته باكمل
طريق وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى منه ما خطر بالبال من هواجس النفس والمعنى
فان تجهر بالقول فان الله غني عن جهرك لاستواء الحالات عنده وفيه اشارة الى ان
ذكر اللسان جهرا انما هو لاستعمال العضو فيما خلق له واسماع الغير ليقتدي به ويشهد له
يوم القيمة وايماء الى ان الاخفاء افضل الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى فباي اسم ذكرته
فهو ذكر جميل ذيل به الكلام دلالة على استواء ما به الذكر من اسمائه الحسنى كما استوى عنده
كيفيات الذكر وهل اتيك حديث موسى الاستفهام بمعنى النفي ان كان اول ما نزل
عليه من قصته وان سبق ذكرها فللتقرير والمراد تذكيره ليوطن نفسه على تحمل اعباء النبوة
وتبليغ الرسالة ومقاساة الشدائد لما قضى موسى الاجل استاذن شعيبا في زيارة امه
وكانت بمصر ولم يكن اوحي اليه بعد فاذن له فتوجه باهله وكان له منها ابنان فلما وصل

الى الوادى الايمن وكانت ليلة شاتية ذات مطر وثلج مظلمة اخذت زوجته فى الولاد
فضل الطريق وتفرقت ماشية ولا ماء عنده فطفق يقدح الزند فصلد زنده اذ راى نارا
طرف للحديث لانه حدث يصلح ان يكون متعلقا او منصوب باذكر او مضمر حين راى
نارا كان من الامر كيت وكيت فقال لاهله امكثوا اى اقيموا مكانكم وقرا حمزة بضم الهاء
اشارة الى الاصل والكسر لموافقة ما قبله وهو الافصح انى آنست نارا ابصرتها ابصارا لا شبهة
فيه يستعمل فى مظان الوحشة لعلى آتيكم منها بقبس بشعلة لما كان ابصاره متيقنا بنى
الاخبار على البت والتحقيق والاتيان بالقبس كان متوقعا اذ ربما يحول دونه مانع
لم يجزم به او اجد على النار هدى هاديا يدلنى على الطريق او مرشدا يدلنى الى جناب القدس
فان افكار الابرار مصروفة اليه مغمورة به فى جميع الاحوال ومعنى الاستعلاء الاشراف
عليها من مكان قريب قال الاعشى وبات على النار الندى والمحلق فلما اتاها قيل كانت
نارا بيضاء تتقد فى شجرة خضراء نودى يا موسى انى انا ربك روى انه لما دنى منها بعدت
منه فلما راى ذلك خاف ورجع فلما رجع دنت منه فازداد رعبا فالقيت عليه السكينة
ثم كلم وتكرير الضمير لتحقيق المعرفة واماطة الشبهة وقرا ابن كثير وابو عمرو انى بفتح الهمزة
اى بانى والباقون بالكسر لان النداء ضرب من القول استدل على انه كلامه تعالى بانه
سمعه من الجهات وبجميع اعضائه وعن الاشعرى انه سمع الكلام القديم ولعل فيه تجوزا
والا كيف يعقل سماع ما قام بذاته تعالى فاخلع نعليك انك بالواد المقدس
احتراما للبقعة كما يحترم الحرم والمساجد وساير الاماكن الشريفة وقيل كانتا من جلد
حمار غير مدبوغين والتعليل ناب عنه وقيل نعليك المال والولد وقيل الدارين
وذلك نهاية مقامات العارفين طوى بدل من الوادى علم لذلك المكان نونه ابن
عامر والكوفيون ومن لم ينونه لم يصرفه باعتبار البقعة وقيل معدول عن طاو وانا
اخترتك للنبوة والرسالة وقرا حمزة انا مشددا وادخال ان على الضمير واخترناك
بالنون المختار التخفيف لمناسبة ما تقدم وما تأخر فاستمع لما يوحى اليك من الاحكام
هذا كان اول بعثته صلى الله عليه وسلم اننى انا الله لا اله الا انا فاعبدنى بدل مما يوحى
اليه الكلام وجمع فيه بين العقايد والفروع اهتماما تكميلا للقوة النظرية والعملية واقم الصلوة
افردها بالذكر لانها افضل الاعمال بعد التوحيد لذكرى تعليل لذلك الشرف لكونها مشتملة
على ذكرى الذى هو المقصود من شرع العبادة والذكر هو اللسانى المقرون بذكر القلب روى
البخارى من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه وقيل لذكرى
اى لان اذكرك بالثناء عليك كقوله يقيمون الصلوة اقاموا الصلوة فى معرض المدح او لانى
ذكرتها فى الكتب المنزلة او لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوة وهذا انما يستقيم اذا
كان فى شرعه صلوات موقتة او لذكر صلواتى اذا فاتتك نوما او نسيانا بتقدير المضاف
لما روى انس ان رسول الله صلى الصبح قضاء وقال لا تفريط فى النسيان من نام على صلوة

اولنسيها

اولنسيها فليصليها اذا ذكرها ثم قرا الآية ان الساعة آتية جارى مجرى التعليل للامر فانه وقت
المجازاة اكاد اخفيها عنكم والمعنى ابالغ فى اخفائها فلا اخبر بالاتيان اجمالا كما لم اخبر
بذلك مفصلا وقيل اكاد اخفيها عن نفسى مبالغة فى اخفائها حتى بنى على امر مستحيل
وايد بان الاخفاء عن الغير حاصل فتعين ذلك والحق انه بعيد والاخفاء الواقع انما هو
عن المفصل لتجزى كل نفس متعلق بآتية على الاول وبه او باخفيها على الثانى بما تسعى
بما تعمل فى ايثاره اشارة الى الجد والمسارعة فى العمل فلا يصدنك عنها عن الايمان
بالساعة او اقامة الصلوة من لا يؤمن بها بالساعة او بالصلوة المقصود نهى موسى
عن الانصداد او اطلاقا للسبب على المسبب او العكس لان عدم تصلبه يورث صد الكافر
واتبع هواه لان عدم ايمانه لم يستند الى برهان بل مجرد هوى فتردى من روى بالكسر
تلك من الردى مقصورا وما تلك مبتدا او خبر بيمينك حال والعامل فيه معنى الاشارة
وقيل تلك موصول والجار والمجرور صلته يا موسى تأ واو للاستيناس قال هى عصاى
اتوكأ عليها واهش بها على غنمى اخبط بها الشجر فيتناثر منه الورق فيكون علفا و
اصل الهش الخفة واللين وعن عمر بن الخطاب هششت يوما فقبلت امراتى وانا صايم
ولى فيها مآرب اخرى قيل كان ظاهر الجواب لما سئل ان يقول عصى او هى عصا
وانما اطنب لان الكلام يطال مع الاحبة فكيف به والمخاطب رب العزة والحق انه
لم يقع منه اطناب فانه لم يسال عن ماهية العصا وحقيقتها بل عما فيها من الاوصاف
فاذا ذكرها مستوفاة ثم اوجد الله فيها من الصفات ما يضمحل تلك الصفات بالنظر
اليها ازداد طمانينة بانتظام عين اليقين الى علم اليقين فهو لم يستوف الصفات
تفصيلا بل اجمل بقوله ولى فيها مآرب اخرى رعاية لمقتضى الادب فى تلك الحضرة
التى يحق الخضوع لها والمآرب التى اجملها قيل كانت ذات محجن وشعبتين فاذا
طال الغصن جناه بالمحجن واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه
فعلق عليها ادواته وان كان فى البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها والقى
عليها الكساء واستظل واذا قصر الرشاء وصله بها وكان يقاتل بها السباع وقد ذكروا
اشياء آخر والله اعلم قال القها يا موسى فالقيها فاذا هى حية تسعى السعى المشى بسرعة
وخفة قيل لما القاها انقلبت حية صفراء بغلظ العصا ثم تورمت وعظمت ولذلك
سماها تارة ثعبانا وهى العظيمة وتارة جانا وهى الرقيق من الحيات وتارة باسم الجنس
الشامل لهما وهى الحية قال خذها ولا تخف لما راها حية خاف منها لمقتضى البشرية
قيل لما انقلبت حية تسعى ما كانت تمر بشجر ولا حجر الا ابتلعته سنعيدها سيرتها الاولى
السيرة فعلة من السير ثم اتسع فيها فنقلت الى المذهب والصفة يقال من طابت
سريرته حمدت سيرته وانتصابه على الظرفية او بدل الاشتمال وعلى المصدر اى سنسيرها عصا
كما كانت تسير سيرتها الاولى اى تنتفع بها ما كنت تنتفع سابقا واضمم يدك الى جناحك

مستعار من جناح الطاير شبه يدي الانسان بجناحي الطاير لانه بهما قوام تعيشه والمعنى
اضمم احدى يديك وهي اليمنى تحت الاخرى وهي اليسرى وقيل جناحا الانسان جنباه و
المعنى اضمم يدك الى جنبك تحت العضد تخرج بيضاء قيل كان عليه مدرعة وكان رجلا
آدم شديد السمرة كانه من رجال شنوءة فاخرج يده من تحت المدرعة لها شعاع كشعاع
الشمس تغشى البصر من غير سوء صفة بيضاء او حال من ضميرها او متعلق بتخرج كنى به عن
البرص فانه ابغض شيء عند العرب آية اخرى بدل من الاول او حال من الضمير في بيضاء
او في الجار والمجرور ويجوز ان يكون منصوبا بنحو خذ او دونك لنريك من آياتنا الكبرى
متعلق بهذا المقدر او بما دل عليه الآية او القصة والكبرى صفة آياتنا او مفعول نريك ومن
آياتنا حال منها اذهب الى فرعون بهاتين الآيتين انه طغى تجاوز عن حده قال رب
اشرح لي صدري اجعله واسعا بسيطا يحتمل الاذى ولا يعتريه الملل والضيق مما سالني من
متاعب التبليغ اصله الكشف والبسط ومنه شرح الكتاب ويسر لي امري شأني كله
بتسهيل الاسباب الموصلة الى ذلك المطلوب ابهم في الموضعين ثم فصل لارادة المعنى
الواحد في صورتي الاجمال والتفصيل المشتمل على التكرير المفيد للتوكيد واحلل عقدة من لساني
كان بلسانه رتة وذلك انه حمله فرعون في صباه فاخذ بلحيته ونجز فرعون عن اخراجها
من يده فنتفها فامر بقتله فقالت امرأته طفل صغير لا يفرق بين الجمر والياقوت فاحضر
الجمر والياقوت بين يدي موسى فمد يده الى الياقوت فضرب جبرائيل على يده فوقعت
على الجمر فلزقت بها جمرة فوضعها على فمه كما ترى من يحترق يده ليضع يده على فمه فاحترق
لسانه وبقي به رتة قيل كان الحسين بن رتة فقال رسول الله ورثها من عمه موسى واختلف
في زوال العقدة بعد هذا السوال فقيل زالت بالكلية استدلالا بقوله قد اوتيت سؤلك
وليس ناهض لانه لم يسأل الفصاحة الكاملة بل قدر ما يحتاج اليه في التبليغ يشير اليه
قوله يفقهوا قولي لقول فرعون ولا يكاد يبين من لساني صفة عقدة والتقدير من عقدة
لساني لان العقدة للسان لا منها والظاهر ان اللسان بمعنى القوة النطقية والجار
والمجرور متعلق باحلل واجعل لي وزيرا من اهلي الوزير من الوزر وهو الثقل فانه يقوم
باعباء الملك او من الوزر وهو الملجأ لان الملك يلتجئ اليه في الآراء والتدابير او مأخوذ
من الازر وهو القوة قلبت واوه همزة لكونه بمعنى الموازر فقيس عليه هرون مفعول
اول قدم عليه الثاني عناية لشأن الوزارة فانها المطلوب اولى وزيرا مفعولان وهرون
عطف بيان او بدل من وزيرا واخي على الوجهين بدل من هرون او عطف بيان
آخر من وزيرا اشدد به ازري واشركه في امري في النبوة قرأ ابن عامر بفتح الهمزة
في الاول وضمها في الثاني على انهما صيغتا التكلم والجزم لكونهما جواب الامر والاولى قراءة
الجمهور بالامر فيهما على انهما من جملة دعائه لكونه احرى بحاله وادعى للاجابة كي نسبحك
كثيرا ونذكرك كثيرا فان التعاون في العبادة تهيج الرغبة وتجلب النشاط ولذلك شرعت

الجمع

الجمع والجماعات انك كنت بنا بصيرا باحوالنا وضمايرنا وان هرون نعم المعين
فانه اكبر سنا مني وافصح لسانا واحلم جنانا قال قد اوتيت سؤلك يا موسى مسؤلك
فعل بمعنى المفعول كالاكل بمعنى الماكول ولقد مننا عليك مرة اخرى اذ اوحينا
الى امك ما يوحى ما لا يمكن علمه الا بالوحي او ما ينبغي ان يوحى ولا يخل به لعظم شأنه
والوحي هو الالهام كقوله واوحى ربك الى النحل او ارسل اليها ملكا لا على وجه النبوة
كما ارسل جبرائيل الى مريم واما اخبار نبي في زمانها ففي غاية البعد اذ لم يكن بمصر زمان
فرعون من يدعي النبوة ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم القذف الرمي
ويستعمل بمعنى الوضع كقوله وقذف في قلوبهم الرعب والمراد الوضع في الاول والرمي
في الثاني لقوله فالقيه في اليم فليلقه اليم بالساحل الضماير كلها لموسى لما كانت
مشيته تعالى متعلقة بحصوله بالساحل وما تعلقت به ارادته واجب الوقوع جعل اليم
كانه ذو ارادة وتمييز مأمور بذلك واذا اراد الله شيئا هيأ اسبابه بعد ما صلحت
التابوت ووضعته فيه وقيرته والقته في نيل مصر وكان يدخل منه نهر الى بستان
فرعون وكان فرعون جالسا على شاطئ ذلك النهر اذ دخل التابوت فاخرجه فاذا
فيه صبي من املح الناس فالقى الله محبته في قلبه فابقاه وكان قد امر بقتل الولدان
لما اخبرته المنجمون انه يولد مولود يكون زوال ملكه على يديه فاخذه لعنه الله بجهله بزعمه
لزوال ملكه وكان اجهل الناس لان المنجمين اما صادقون فلا يجدي قتل الاطفال
او كاذبون فاولى واولى والساحل شاطئ البحر من السحل وهو القشر والكشط وفي الحديث
سحلت ام حكيم له كتفا فاكله ثم صلى ولم يتوضأ يأخذه عدو لي وعدو له جواب الامر
ولا تكرار لاختلاف النسبة والقيت عليك محبة مني كاينة نعت لمحبة اي خلقت
حبك في قلوب الناس او متعلق بالقيت اي بان احببتك ومن احبه الله احبه الخلق
فان قلت كيف استقام محبة فرعون له مع اخبار الله بانه عدوه قلت لم يكن حين
احبه عدوا وايضا الحب ميل الطبع واستحسانه فرب محبوب طبعا منكر شرعا كما قال
في وصف الخليل فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ولتصنع على عيني ولتربى بمرأى مني
استعارة تمثيلية فان الامر باتخاذ شيء له به او فرعناية بامر الصانع بان يتخذه بحضرته
ومراه وفي ايثار على اشارة الى كمال العناية كانه فوق عينه لا يمكن تجاوز النظر ولا زيغ
البصر عنه اذ تمشي اختك كان اسمها مريم ارسلتها امه لتكشف اخباره فصادفتهم
وهم يفتشون على مرضعة له فانه ما كان يلتقم ثدي المراضع واذ ظرف لتصنع او بدل
من اذ اوحينا وهو اوفق لما فيه من تعداد النعم في مقام الامتنان ولا يقدح في ذلك
اختلاف لاتساع الوقت والاستقيم تعلقه بالقيت لكونه محجوبا بما قبله وملحوظا فتقول
هل ادلكم على من يكفله قالت فدلتهم على امه فرجعناك الى امك وفاء بقولنا انا رادوه اليك
كي تقر عينها بلقائك ولا تحزن بفراقك وقتلت نفسا هو القبطي الذي استغاثه

عليه الاسرائيلي فنجيناك من الغم الذي اعتراك بقتله خوفا من الله وفرعون بان
غفر لك والهمناك الهجرة الى مدين وفتناك فتونا مصدر كثبور او جمع فتن او فتنة
لترك الاعتداد بالتاء كحجزة وبدور وسأل ابن جبير ابن عباس عن معناه فقال خلصناك
من فتنة بعد فتنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان وهذه فتنة يا ابن جبير والقته
امه في البحر وهم فرعون بقتله وقتل القبطي وآجر نفسه عشر سنين وضل الطريق
وتفرقت ماشيته وكان يقول عند كل واحدة يا ابن جبير فلبثت سنين في اهل
مدين لما آجر نفسه او في اقصى الاجلين ثم جئت على قدر يا موسى على زمان يستنبأ
فيه الانبياء وهو اربعون سنة واصطنعتك لنفسي اخترتك مثل حاله بحال من
يراه بعض الملوك اهلا للتقريب فيقربه ويكل اليه اموره اذهب انت واخوك
باياتي بمعجزاتي التي ايدتكما بها او باحكامي التي ارسلتكما بها ولا تنيا في ذكري اي
لا تفترا عن ذكري من الونى وهو الفتور فان تمشي الامور ليس الا بذكري ايده يا ايها
الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون اذهبا الى فرعون
خصه بالذكر بعد ما تقدم ارسالهما مطلقا فانه القدوة والرعايا تبع له ولذلك كتب
رسول الله الى هرقل فان توليت فعليك اثم الاريسيين انه طغى تجاوز عن حده
فقولا له قولا لينا فانه ادعى له الى الانقياد ومثل ان يقولا له هل لك الى ان تزكى فانه
نصح في صورة المشورة وكان ابو منصور الدوانيقي يطوف بالبيت فلقيه رجل في
المطاف وقال يا امير المؤمنين اني مخاطبك بكلام فيه شدة لا تؤاخذني به فقال
لو قلت شتما من ذلك ضربت عنقك قد ارسل من هو اعلى منك الى من هو اقسى
مني وقيل قولا له قولا لينا وقيل انما امر بذلك لانه كان له حق التربية والابوة لموسى
وقيل كنياه ولا تصرحا باسمه فانه اكثر احتراما وكان له ثلث كنى ابو العباس وابو الوليد
وابو مرة كنية ابليس والوجه هو الاول ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من
حولك لعله يتذكر بانه مخلوق عاجز عن احداث ذرة اني له دعوى الالوهية
او يخشى ان يفضي به الانكار الى الهلاك والاول مقام الراسخين ولذلك قدمه
والجملة في محل النصب على الحال اما من الفاعل اي راجين منه احد الامرين او المفعول
اي مرجوا منه ذلك قالا ربنا اننا نخاف ان يفرط علينا يعجل علينا ويحول بيننا
وبين الدعوة واداء الرسالة من فرط القوم سبقهم وانما عداه بعلى لتضمنه الحمل والتعدي
لم يكن خوفهما من القتل ولحوق ضرر آخر بل ان ينسب الى التقصير وان لا يجدي سعيهما
سعيهما الطائل او ان يطغى يزداد طغيانا ويقول فيك ما لا يليق بجلالك لكبريائك
فان النحس يزداد بالتحريك قبحا قال لا تخافا انني معكما بالحفظ والكلاءة اسمع ما يجري
بينكم من القول وارى ما يسد ومنه من الفعل والاولى ان لا يقدر للفعلين مفعول والمعنى
انني حافظ لكما سامع بصير واذا كان الحافظ سامعا وبصيرا استقل بالحفظ على الكمل

وجه

وجه تتميم للكلام الاول وليس من قبيل ان يرى مبصر ويسمع واع فأتياه فقولا انا رسولا ربك
افرده في الشعراء للاتحاد والمرسل فارسل معنا بني اسرائيل الى الشام موطن آبائهم و
مستقر اسلافهم كانوا تحت يد القبط رعايا يكلفونهم الاعمال الشاقة فان قلت ارسالهما
كان لدعوة فرعون لقوله اذهبا الى فرعون انه طغى وقوله ولقد ارسلنا موسى باياتنا
الى فرعون والآية دلت على انهما ارسلا لطلب بني اسرائيل قلت كان ارسالهما
اصالة الى فرعون وابتداؤهما بقضية بني اسرائيل من قبيل القول اللين والتدرج
من الاهون الى الاشد ولا تعذبهم بالتكاليف الشاقة وقيل الولدان قد جئناك
باية من ربك جار مجرى التعليل للارسال والتفسير لانا رسولا ربك فان دعوة الرسالة
انما تثبت بالحجة وانما وحد الآية ومعه العصا واليد البيضاء لان القصد اظهار الحجة لا
بيان كمية البراهين والسلام على من اتبع الهدى سلامة الدارين لمن اتبع الهدى
او سلام خزان الجنة حين يلقون المؤمنين انا قد اوحي الينا ان العذاب على
من كذب وتولى سلكا معه مسلكا لطيفا بديعا في الدعوة حيث عمما الامر في الطرفين
الهداية والضلالة لئلا يقع مواجهة منهما له بالمكروه وكذلك كان شأن رسول الله في
المواعظ لم يواجه احدا المكروه بل يقول ما بال قوم يقولون كذا ويفعلون كذا وانما
ذكر العذاب مسندا الى الوحي دون السلام لانه المقصود اصالة اكد امره بانه لا خلف
لهما في ذلك وانهما انما جاءا بالوحي وان لهما ربا اوحاه اليهما ولذلك قال فمن
ربكما يا موسى خاطبه وحده لانه الاصل وهرون رده يصدقه او لتعرضه اراد اهانته
لعلمه انه ارت يدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين
قال ربنا الذي اعطى كل شيء كل موجود خلقه صورته وشكله اللائق به من الخلق
بمعنى التقدير او خلقته كل شيء يحتاجون اليه قدم المفعول الثاني لانه ادل على الاقتدار
او اعطى كل شيء زوجه وقرينه من نوعه فهو الفرد الذي لا نظير له ثم هدى بين طريق
الرشاد قال فما بال القرون الاولى كذبوا او تولوا ولم يعذبوا وكان دهريا لم يقل
بالرجوع الى الله ليس عنده العذاب الا عذاب النار قال علمها عند ربي سيجازيهم
بذلك او ما حالهم في السعادة والشقاوة بعد الموت نبأ على زعمك في كتاب
هو اللوح المحفوظ ويجوز ان يكون تمثيلا حال علمه بحال ما كتب واثبت في كتاب
لا يضل ربي ولا ينسى الضلال ان يخطئ طريق الشيء فلم يهتد اليه والنسيان ذهابه
بحيث لا يخطر بخاطرك وفي الحديث قال رجل لبنيه اذا مت ذروني في الريح لعلي اضل الله
اي افوته فلم يدر مكاني وقيل يجوز ان يكون قول فرعون استبعاد الاحاطة علم الله باحوال
الامم الدارجة وتفاصيل الجزئيات المتعلقة بها قياسا على نفسه الخبيثة ويكون معنى
الجواب ان علمه محيط بها لا يفوته شيء الذي جعل لكم الارض مهدا مرفوع صفة لربي
او خبر مبتدأ محذوف والاحسن نصبه على المدح قرأ نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر

مهادا بالالف كالبساط والفراش لفظا ومعنى او جمع كنعل ونعال والكوفيون بالقصر
اسما لما يمهد كمهدى الصبى وعليه صريح الرسم والمختار المد لاتفاقهم فى الذى جعل الارض
مهادا وسلك لكم فيها سبلا جعل لكم فيها طرقا تاخذ من ارض الى ارض تبلغه المنافع
من سلكت الشى فى الشى او خلته فيه وانزل من السماء ماء مطرا فاخرجنا به التفت
الى التكلم لان موسى حاك كلام ربه تعالى بدليل قوله جعل لكم دون لنا وفيه ورد الافتنان
الاشارة بكون العظمة اى انه السلطان المطاع الذى لا تابى على ارادته شى ولا يخرج
عن قدرته ولذلك اخرج بماء واحد ازواجا من نبات شتى اصنافا متفرقة جمع شتيت
كرضى ومريض مختلفة الالوان والطعوم والاشكال والروايح بعضها لكم وبعضها لدوابكم
ومن نعمه تعالى ان ارزاق العباد تحصل بعمل الدواب وا ما لا يصلح لهم يصلح علفا كلوا
وارعوا انعامكم على ارادة القول حال من فاعل اخرجنا ان فى ذلك لايات لاولى النهى
لذوى العقول الناهية عن اتباع الباطل والركون الى ما لا دليل عليه جمع نهيه وفى حديث
ابى وايل لقد علمت ان التقى ذو نهيه منها خلقناكم ابتداء كلام منه تعالى والمراد خلق ادم
او خلق كل احد لما فى الخبر من انه تعالى اذا اراد خلق انسان من نطفة امر الملك بان ياخذ
فى كفه ويعجنها بتربة قبره وفيها نعيدكم بعد الموت ومنها نخرجكم تارة اخرى يوم القيمة
عدد الله عليهم ما علق بالارض من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا يتقلبون عليها وسلك
لهم فيها سبلا يترددون فيها لنظم مصالحهم واخرج لهم منها اصناف النبات اقواتا
لهم وعلوفات دوابهم وهى امهم التى منها تولدوا وهى كفاتهم احياء وامواتا ولذلك
قال الرسول الله صلى الله عليه وسلم تمسحوا بالارض فانها بكم برة تشير الى معنى الاية وكان
يدخل على المريض فياخذ من ريقه ويخلطه بالتراب ويمسح به المريض ويقول ربه ارضنا
بريقه بعضنا يشفى بها سقيمنا ولقد اريناه اياتنا كلها المعجزات التى اوتيها موسى اليد
والعصا وفلق البحر والدم والضفادع والحجر والجراد والقمل وعد نتق الجبل سهو وقد اراه موسى
الجميع فى ابتداء الدعوة الى ان الغرق وقيل المراد بالايات الدلايل التى اقامها موسى عليه
من قوله اعطى كل شى خلقه الى اخر ما ذكره وقيل اراه ما اراه وما عدد عليه من معجزات ساير
الانبياء لانه صادق لا فرق بين خبره وفعله وفيه انه مع بعده ياباه لفظ الاراءة فكذب
بالايات كلها وابى ان يقبل شيا منها او كذب موسى وابى قبول الحق قال اجئتنا لتخرجنا
من ارضنا بسحرك ياموسى كلام ينبى من حسبه ان فرايصه ارتعدت خوفا منه لايقانه
انه الرسول المؤيد الذى لو اشار الى الجبال سارت عن مقرها والا فما قدر ساحر واحد حتى
يخرج ملكا مثله من ارضه بعد ذلك التمكن والعدد والعدد وكذا شان كل مبطل لا تراه
عند الافحام يتشبث الا بما يكون هادما لدليله مبطلا لدعواه فلناتينك بسحر مثله فاجعل
بيننا وبينك موعدا مكان وعد لاجتماع فيه لا نخلفه نحن ولا انت الضمير للموعد المدلول
عليه كما فى اعدلوا هو اقرب والجملة صفة موعدا مكانا ثانى مفعولى اجعل سوى صفة مكانا

عن

عن ابن عباس معروفا وعن مجاهد منصفا يستوى بعده الينا واليك وقرا ابن عامر
وعاصم سوى بضم السين والكسر اخف واشهر قال موعدكم يوم الزينة من الاسلوب
الحكيم لان يوم الزينة لهم فيه مكان معروف يجتمعون فيه كما هو شان الناس
اليوم فى اعيادهم ومواسمهم وقد دل عليه تفسير ابن عباس رضى الله عنه وقيل الموعد مصدر
ومكانا نصب على البدل من المكان المحذوف مضافا الى المصدر الذى اقيم مقامه او
نصب بالمصدر الموصوف والطباق فى الجواب بتقدير مضاف فى الظرف الواقع
جوابا اى وعدكم وعد يوم الزينة وفيه تطويل عنه غنية بما اثرناه وكذا جعل الموعد مكانا
واسناد الاخلاف اليه توسعا وطباق الجواب معنى ويوم الزينة يوم عاشورا او يوم
النيروز او يوم كسر النيل وانما عينه ليظهر الحق على رؤس الاشهاد ويسير به الركبان فى
الافاق وان يحشر الناس ضحى عطف على يوم الزينة على تقدير مضاف اى وقت
جمع الناس فيه فتولى فرعون فجمع كيده ما يكيد به موسى جمع السحرة من اطراف بلاده
ثم اتى الموعد بعد ذلك الجمع ومعه السحرة قال لهم موسى للسحرة ويلكم لا تفتروا على
الله كذبا بجعله ايات الله الى السحرة فيسحتكم بعذاب فيستاصلكم به وقرا حمزة والكسائى
وحفص بضم الياء وكسر الحاء والباقون بفتحتين وهى لغة الحجاز والاول لغة نجد والسحت
الاهلاك والاستيصال ومنه سمى الحرام سحتا لانه يسحت البركة وقد خاب من افترى
وهو فرعون فتنازعوا امرهم بينهم تشاوروا واخذ بعضهم القول من بعض كقوله يتنازعون
فيها كاسا من التنازع لا من النزاع واسروا النجوى فيما بينهم ولم يظهروه لموسى وفرعون
اسم كلام بين متسارين وعن ابن عباس كان نجواهم ان كان غالبا نتبعه وعن
قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله شان وعن وهب لما قال
ويلكم قالوا ما هذا بقول ساحر وقيل تشاوروا فيما يعارضون به موسى فاجالوا الراى كما
ترى اليوم اذا اهتم الملوك امرا قالوا ان هذان لساحران اظهروا بعد النجوى هذا الكلام
تشجيعا لانفسهم كما تقول القران لمن يقابله قد عرفت كنه امرك وقرا ابو عمرو هذين
بالياء كما هو المعروف من نصب المثنى وقرا ابن كثير وحفص بتخفيف ان وهذان
بالالف على ان المخففة غير عاملة نحو ان كل نفس لما عليها حافظ وشدد نونه ابن كثير
كما تقدم فى سورة النساء والباقون شددوا ان مع الف هذان وهى لغة بلحارث
بن كعب وكنانة وبنى هجيم والعنبر وزبيد يجعلون المثنى فى الاحوال الثلث بالالف فالاعراب
عندهم مقدر على الالف قال الاسدى شعر فاطرق اطراق الشجاع ولو يرى مساغا
لناباه الشجاع لصمما وعن سيبويه ان بمعنى نعم وعن على كم سمعت رسول الله يقول
ان الحمد لله وانما اخرت اللام لصورة ان او على لغة من يجوز دخولها الخبر كقوله ام الحليس
لعجوز شهربة يريدان يخرجاكم من ارضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى بمذهبكم الا
مثل بقوله انى اخاف ان يبدل دينكم طريقة الرجل دينه ومذهبه او اشراف قومكم ارادوا

بني اسرائيل فانهم كانوا تمهروا في السحر وطريقة القوم اماثلهم حكاها ابن السكيت عن الفراء
ومنه قوله تعالى كنا طرائق قددا فالوصف بالمثلى من قبيل امس الدابر فاجمعوا كيدكم
فاحكموه وبالاتفاق عليه وقرا ابو عمرو بالوصل على سنن فجمع كيده والقطع ابلغ ثم ائتوا صفا
واحدا فانه اهيب وقيل صفا مصلى يعلم لمكان معروف عندهم وقد افلح اليوم من استعلى
علا وغلب والسين للتاكيد قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون اول من القى
خيروه كما هو شان الاقران عند المبارزة والاعلام لمهرة لدى المناظرة اما لعدم المبالاة
او اظهار الحسن الادب وان مع ما بعده منصوب بفعل مضمر او مرفوع بخبر محذوف اي الامر
القاوها او القاوك قال بل القوا قابلهم بمثل ما بداوه به فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه
من سحرهم انها تسعى اي القوا بعد ما اذن لهم فاذا المفاجاة ظرف زمان والمعنى فاجا موسى
تخيله وقت تخيل سعيها وان مع ما في حيزها قايم مقام فاعل تخيل وقرا ابن ذكوان بالتا
مسندا الى ضمير الحبال والعصي وانها تسعى بدل اشتمال والتذكير اشهر واسلم من التقدير
فاوجس في نفسه خيفة موسى اضمر على طريقة الجبلة وعدم الاختيار فيه كانوا سبعين الفا
وبيد كل واحد حبل وعصا لطخوها بالزيبق والقوها في واد فلما اشرقت الشمس عليها اضطربت
وقيل انما خاف على الناس ان يداخلهم شبهة قبل ظهوره قلنا لا تخف انك انت الاعلى
تعليل للنهي مؤكد بالاستيناف وحرف التحقيق وتعريف الخبر وتكرير الضمير ولفظ العلو
وصيغة التفضيل والق ما في يمينك ابهمه اما تحقيرا اي الق هذا الجرم الصغير الذي في يمينك
او تعظيما اي لا تبال بكثرة والق هذا العظيم الشان الذي بيدك تلقف ما صنعوا
من الحبال والعصي اصله تتلقف حذف منه التاء وقرا ابن عامر في رواية ابن ذكوان
بالرفع على الاستيناف او على الحال المقدرة وحفص بالتخفيف مضارع لقف والاصل
اللقف الخفة واخذ الشيء بالسرعة يقال غلام ثقف لقف اي حاذق خفيف والتشديد
مع الجزم ابلغ واسلم من التقدير انما صنعوا ازوروه كيد ساحر قرا حمزة والكسائي
كيد سحر اي ذي سحر او جعلوا لتوغلهم في السحر عينه او اضافة الكيد للسان كعلم فقه والتنكير
لتنكير المضاف لانه في نفسه معروف كقول العجاج في سعي دنيا طالما قد مدت وانما وحد
لانه اريد الجنس ولذلك قال ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس حيث اتى اي حيث كان سلك
فالقي السحرة اي بعد تلقف العصا ما صنعوا سجدا شكرا لله على ان هداهم وعن عكرمة
لما سجدوا راوا في سجودهم منازلهم في الجنة والفاء دلت على انهم لم يترددوا في الايمان
بعد تلقف العصا قالوا آمنا برب هرون وموسى قدموا هرون لانه ردا يصدق موسى
فالايمان به يستلزم الايمان بموسى من غير عكس وقيل لانه كان اكبر سنا او لان موسى
مربى فرعون ولو قدم لوهم انه ربه قال آمنتم له لموسى انكار منه واللام لتضمين الفعل
معنى الاتباع قبل ان آذن لكم في الايمان انه لكبيركم الذي علمكم السحر استاذكم واهل
مكة يسمون المعلم بالكبير قيل كان شبهة ان السحرة كانوا اثنين وسبعين الفا الا اثنان

من القبط

من القبط وسايرهم من بني اسرائيل قوم موسى فلاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف
اليمنى مع اليسرى من ابتدائية لان القطع الواقع على موضع الخلاف ملابس له فكانه
ابتدا منه ولاصلبنكم في جذوع النخل على جذوعه شبه استعلاء المصلوب باستقرار
المظروف في الظرف بجامع التمكن واللزوم فاستعار له في قيل هو اول من صلب
واختار النخل لكونه اطول الاشجار فالمصلوب عليه اظهر وامره اشهر ولتعلمن اينا
اشد عذابا امني ومن موسى لقوله آمنتم له واللام في كلام الله مع الايمان لم يقع استعما
له وابقى وادوم قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات المعجزات الواضحات
والجمع اما باعتبار احوال العصا من انهم راوها بحرسه وهو نايم واتبلعت تلك الاجرام
ولم تزد حجمها واما لانهم لما سجدوا وانكشف لهم عالم الملكوت راوا امورا خارقة
والذي فطرنا عطف على ما جاءنا قدم عليه اهتماما واعتناء بشان المعجزات او قسم
على عدم ايثارهم اياه وهو معنى حسن فاقض ما انت قاض الذي انت قاضيه
او مدة قضائك وايام حكمك انما تقضي هذه الحيوة الدنيا في هذه الحيوة الدنيا تعليل
لما قبله وتمهيد لما بعده انا امنا بربنا ليغفر لنا خطايانا من الكفر والمعاصي لم يقولوا
امنا برب هرون وموسى كما قالوه اولا بل وصفوه بانه ربهم الذي اوصلهم الى ذلك
الكمال اكرمهم باخر النوال وما اكرهتنا عليه من السحر فانهم لما راوا العصا تحرسه
وهو نايم قالوا ان هذا ليس بساحر فان الساحر اذا نام بطل سحره والله خير وابقى
اي خير ثوابا وادوم عذابا من عذابك الذي توعدتنا به انه الشان من يات ربه
مجرما بان يموت كافرا فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى لا يموت فيستريح ولا حيوة
نافعة ومن ياته مؤمنا قد عمل الصالحات في الدنيا فاولئك لهم الدرجات العلى
المنازل الرفيعة جنات عدن بدل من الدرجات لدلالته على الاقامة التي هي الملاك
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها حالان والعامل فيهما معنى الاشارة وذلك
جزاء من تزكى تطهر من الشرك عن ابن عباس من قال لا اله الا الله قوله انه من يات
الى هنا ابتداء كلام منه تعالى بعد تمام مقالة السحرة ترهيبا وترغيبا او من كلام
السحرة وعلمهم بذلك اما من موسى لما دعا فرعون الى الله واما تلقوه من اسلافهم
من كلام الانبياء ولقد اوحينا الى موسى ان اسر بعبادي لما عالج فرعون واراه
الآيات ولم يزد الا طغيانا امران يسري بني اسرائيل وقرا نافع وابن كثير بالوصل
وهما لغتان سرى واسرى ذهب بالليل والقطع اولى وفاقا للجمع عليه فاضرب لهم
طريقا في البحر اجعل لهم من ضرب له بسهم في ماله وضرب اللبن اتخذها من الطين
يبسا يابسا مصدر وصف به مبالغة لا تخاف دركا لحوقا من فرعون وجنوده ولا تخشى
الغرق حالان من الفاعل وقرا حمزة لا تخف بالجزم خطابا على انه نهي او جواب امر
وعطف لا تخشى اما على لغة من لم يحذف حرف العلة بالجازم كقوله الم ياتيك والانباء

تثنى او الالف للاطلاق كقوله وتظنون بالله الظنونا وحسنه توافق رؤس الآي او الجملة
في محل الحال اي خاشيا الغرق فاتبعهم فرعون بجنوده ادركهم ملتبسا بجنوده والباء للمصاحبة
لقوله اتبعهم فرعون وجنوده يقال اتبع القوم اذا ادركهم بعد سبقهم فغشيهم من اليم
ما غشيهم ما لا يمكن الاحاطة بكنهه تقول اذا اقحمت شيئا وكان من الامر ما كان الضمير لجنوده
لان فرعون التقى الى الساحل واضل فرعون قومه عن طريق الرشاد وما هدى تهكم
لقوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد او ما هداهم في البحر فانه لما رآه منفلقا قال وخلوه فانه قد
انفلق خشية مني يا بني اسرائيل قد انجيناكم من عدوكم خطاب لهم بعد غرق فرعون
وقيل لاعقابهم في زمن رسول الله والاول هو الوجه لانه في اثناء قصة موسى وتعداد
النعم عليهم بعد الانجاء وواعدناكم جانب الطور الايمن لانزال التورية ووصف بالايمن
لكونه موضع المناجاة مع الحق ومنزل التورية ونزلنا عليكم المن والسلوى في التيه
كلوا من طيبات ما رزقناكم على ارادة القول وقرأ حمزة والكسائي انجيتكم وواعدتكم و
رزقتكم بتاء التكلم والنون افخم معنى واقرب مناسبة لقوله ونزلنا ولا تطغوا فيه فيما
رزقناكم بالاخلال بالشكر والتجاوز الى الاسراف فيحل عليكم غضبي فيجب
ويلزم ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى هلك من الهوي وهو السقوط من مكان عال
وقيل هوى وقع في الهاوية وقرأ الكسائي بضم الحاء في الاول واللام في الثاني من حل
بالمكان نزل والكسر اخف ولذلك في اتفقوا ام اردتم ان يحل عليكم ويحل عليه غضب
مقيم واني لغفار لمن تاب من الشرك وآمن بما يجب الايمان ارشدهم الى التوبة
بعد ما بين لهم حلول عقابه بمن عصى وطغى وعمل صالحا ثم اهتدى استقام على التوبة
وما اعجلك عن قومك يا موسى واعده الله تعالى بعد غرق فرعون ان يكلمه الله على الطور
ويؤتيه كتابا فيه تبيان كل شيء وامره باختيار سبعين من نقباء بني اسرائيل ليسمعوا كلام
الله تعالى فاختار النقباء وخلف هرون على بقية بني اسرائيل وكانوا ستمائة الف
فلما فارق موسى بني اسرائيل تعجل شوقا الى الموعود وسبق القوم سأله تعالى عن سبب
العجلة والتقدم على النقباء قال هم اولاء على اثري وعجلت اليك رب لترضى لما كان
السؤال لانكار العجلة التي هي نقيصة يتضمن الانكار على السبب الباعث اجاب اولا
بان ليس هناك ما يسمى عجلة وانما تقدمت بخطى يسيرة كما هو شان الوفود يكون
رئيسهم امامهم واما السبب فرضاك فان المسارعة اليها من اهم الامور وتفسير
القوم بمن تخلف مع هرون يرده لفظ الاثر وان الموعد كان مشروطا بحضور من
من اختاره قال فانا قد فتنا قومك من بعدك مرتب اي عقب تقصيرك ابتلينا قومك
المخلفين كان واعدهم اربعين يوما فلما مضى عشرون عدوها بالعبا وتم اربعين بلياليها
وكان هذا الاخبار لموسى عند مقدمه قبل مضي ذلك العدد بناء على ان ذلك من المترقب
المنزل منزلة المتحقق او اثر ما غاب موسى اخذ السامري في اسباب ذلك فكان بدء الفتنة

موجودا

موجودا واضلهم السامري منسوب الى سامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض
الامور وقيل كان من اهل باجرما وهي قرية بقرب الموصل وقيل كان علجا من كرمان
منافقا اظهر الاسلام واسمه موسى بن ظفر من قوم يعبدون البقر فرجع موسى بعد
ما مضى الاربعون واوتي التورية الى قومه الذين كانوا مع هرون غضبان اسفا
حزينا غضبا او حزنا قال يا قوم الم يعدكم ربكم وعدا حسنا لا خلف فيه او ان يؤتيكم
التورية فيها تبيان كل شيء افطال عليكم العهد يريد زمان مفارقته لهم او ذلك او طال
عليكم زمان العافية وتوالي النعم بعد ان كنتم في اسر فرعون ام اردتم ان يحل عليكم
غضب من ربكم فاخلفتم موعدي وعدكم اياي بالثبات على الايمان واسناد الموعد
باخبار منه
الى موسى بمعنى وجدتم الخلف في وعدي يرده قولهم قالوا ما اخلفنا موعدك بملكنا
قرأ حمزة والكسائي بالضم ونافع بالفتح مصدر ملك فهو مالك والضم مجاز لعدم تحقق
معناه ولكنا حملنا اوزارا من زينة القوم قوم فرعون كانوا استعاروا الحلي منهم لعيد
لهم وخافوا ان ردوها يعلموا بخروجهم ولذلك سموها اوزارا لان مال المستأمن حرام
ولان الغنائم لم تحل الا لهذه الامة قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص بضم الحاء
وكسر الميم مشددة فقذفناها تلك الاوزار في النار فكذلك القى السامري كما القينا وهو
انه كان اخذ من موطئ قدم فرس جبريل قبضة من التراب فامرهم بان حفروا حفرة وقذفوا
فيها الحلي فالقى هو تلك التربة واوهمهم انه انما القى الحلي فاخرج لهم عجلا على صورة العجل
جسدا له خوار كخوار البقر فقالوا السامري ومن افتتن به اول ما رآه هذا الهكم واله موسى
فنسي فنسي موسى ان يطلبه هنا وذهب ليطلبه في الطور او نسي السامري ما كان عليه من
الاسلام وتركه والفاء فصيحة على الوجهين افلا يرون ان لا يرجع اليهم قولا فضلا عن
انشائه ابتداء ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا بوجه ابتداء كلام منه تعالى لبيان غباوة بني
اسرائيل ومحالهم لفقدهم العقل وقول هرون وكفرهم بالله الذي خلقهم واعتقادهم الحلول في
جسم حيوان يضرب بجهله المثل ولقد قال لهم هرون من قبل من قبل ان يقول السامري
هذا الهكم علم من غباوتهم اول ما وقع عليه بصره انهم يقعون فيما وقعوا فبادر الى
تحذيرهم او قبل رجوع موسى يؤيده قوله يا قوم انما فتنتم به وقولهم لن نبرح عليه عاكفين
وان ربكم الرحمن الذي افاض عليكم جلائل النعم فاتبعوني واطيعوا امري بالثبات
على الدين قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى قال يا هرون ما منعك
اذ رأيتهم ضلوا عن طريق الرشاد الا تتبعن في نصرة الدين والمحاماة له لا مزيدة افعصيت
امري اذ قلت لك اصلح ولا تتبع سبيل المفسدين قال يا ابن ام نسبه اليها استعطافا
بانهما كانا في بطن واحد وارتضعا ثدي ام وقيل لانه كان اخاه من امه وقرأ بكسر الميم
ام ابن عامر وحمزة والكسائي وابو بكر لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي كان موسى كما اشتهر عنه
شديد الغضب في الله متصلبا لما رأى بني اسرائيل قد عبدوا العجل بعد ما رأوا الآيات

لم تمالك ان القى الالواح وشاقه شقيقه بما يكره واخذ بلحيته التي اشرف محاسنه كما
يأخذ العدو من عدوه وروي ان هرون يدخل الجنة بلحيته يضرب الى سرته اكراما لها لما لقيت
في الله ما لقيت اني خشيت ان تقول فرقت بين بني اسرائيل ان لو قاتلتهم بمن معي كان
معه ممن لم يعبد العجل اثنا عشر الفا ولم ترقب قولي في الاصلاح فصبرت حتى ترجع اليهم
ورايت ذلك اضم للشمل واحفظ للدما مع اني بالغت في النصح حتى بلغ السيل الزبى
كما اخبر الله عنه ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني قال فما خطبك يا سامري بعد
ان ظهر له عذر اخيه توجه اليه لانه جر توسمه الفساد اي ما كان غرضك فيما فعلت والخطب
الامر الخطير الذي يقع لاجله التخاطب قال بصرت بما لم يبصروا به بصرت بالشي علمته
وقرا حمزة والكسائي على الخطاب يريد موسى ومن كان معه والوجه الغيبة لان الغرض
عدم روية الحاضرين بعد ذهاب موسى فقبضت قبضة من اثر الرسول يريد جبرائيل
وقرى بالصاد فالاول للاخذ بجميع الكف والثاني باطراف الاصابع وانما لم يسمه لانه لم
يعرف انه جبرائيل او اراد تنبيهه على الوقت وهو وقت ارساله ليذهب به الى الطور
او حين ارسل لاغراق فرعون فانه كان راكبا فرس الحيوة وهي الرمكة التي يسمى حيزوم
وكان ركبها يوم بدر مع رسول الله قال قاتل ابي جهل حين ضربته سمعت راكبا يقول اقدم
حيزوم فخر بمقرعة على راسه قال رسول الله ذاك جبرائيل فنبذتها في العجل وكذلك سولت
لي نفسي زينته قال فاذهب فان لك في الحيوة ان تقول لامساس ابتلاه الله بعقوبة عظيمة
وهي انه كان اذا مس رجلا او امراة حصل الحمى للماس والممسوس وكان لم يزل يقول
لامساس خوفا من حصول الحمى فبقي وحيدا طريدا كالوحش وان لك موعدا لن تخلفه
وهو عذاب يوم القيمة وقرا ابن كثير وابو عمرو لن تخلفه بكسر اللام اي لن تجده مخلف
وعده من اخلفت زيدا وجدته مخلف الوعد كاحمدته وجدته حامدا والفتح احسن واشهر
ومال الكسر اليه معنى وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا ملازما على عبادته من الظلول
فخصه بالذكر لانه مشاهد ولانه اذا عكف عليه بالنهار فالليل اولى لانه محل العبادة لنحرقنه
بالنار ثم لننسفنه في اليم نسفا لنذرينه ذري الرماد وهذه كانت عقوبة اخرى له ليشاهد
معبوده رمادا اول من التراب انما الهكم المستحق للعبادة الله وحده الذي لا اله الا
هو المتفرد بالالوهية وسع كل شي علما احاط علمه بكل شي كذلك نقص عليك من
انباء ما قد سبق اي كقصة موسى نقص عليك على ابلغ النظام ساير القصص من
احوال الامم الماضية تكثيرا لمعجزاتك وتاكيدا للحجة على من عاندك وزيادة استبصار لمن
آمن بك وتابعك وقد آتيناك من لدنا ذكرا كتابا فيه ذكر الوقايع الماضية والامم الراجية
او كتابا فيه ذكرك وشرفك كقوله لكتابا فيه ذكركم وفيه اشارة الى ان التفكر فيه يورث
السعادة وتنفيره بالعيب والذكر الجميل لا يلايم قوله من اعرض عنه اي عن القران والاعتبار
والاتعاظ بما فيه فانه يحمل يوم القيمة وزرا عقوبة ثقيلة سميت وزرا لانها جزاوه خالدين فيه

في ذلك

في ذلك الوزر وساء لهم يوم القيمة حملا في ساء ضمير مبهم يفسره حملا والمخصوص محذوف
لدلالة السابق عليه اي ساء حملا وزرهم وجعل ساء بمعنى احزن واللام في لهم للبيان
كما في هيت لك لان خلودهم في النار حزن واي حزن يفوت المبالغة مع ان
الاثم تاب عنه يوم ينفخ في الصور بدل من يوم القيمة لانه اشد هولا وقرا ابو عمرو
بالنون على بناء الفاعل وهو ابلغ تحذيرا لاسناده الى ذاته ما يباشره الملائكة بامره
ونحشر المجرمين يومئذ زرقا زرق العيون لان الزرقة اوحش الالوان عند العرب
ولذلك يقولون في ذم العدو ازرق العين اصهب السبال اسود الكبد او عميا لان
حدقه من ذهب نور عينه تزراق يتخافتون بينهم يخفضون اصواتهم لما يملا صدورهم
من الرعب ان لبثتم الا عشرا يستقصرون مدة لبثهم في الدنيا لما يعاينون من
الاهوال فيتذكرون ما كانوا فيه من الدعة والنعم فيتاسفون عليها وايام السرور
قصار او لانهم يوقنون بالخلود وما نسبة الفاني وان طال الى ما لا نهاية له وقيل ارادوا
اللبث في القبور لقوله ان لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث نحن اعلم بما يقولون
من مدة لبثهم اذ يقول امثلهم طريقة رايا ان لبثتم الا يوما فضله عليهم لكونه اعلم
لفظاعة الامر وشدة العذاب ويسالونك عن الجبال قيل السائل رجل من ثقيف
فقل ينسفها ربي نسفا عن ابي زيد يقلعها قلعا وكذا عن الخليل وابي عبيدة وقيل
يجعلها كالرمل تذروه الرياح فيذرها قاعا تترك مقارها مكانا واسعا يعلوه الماء
صفصفا مستويا لا ترى فيها عوجا ولا امتا اعوجاجا ولا نتوا والوصفان الاولان
باعتبار الحس وهذا باعتبار القياس اي لو قاس ماهر في الهندسة لم يجد عوجا
في اجزائها ولا ادنى ارتفاع ولذلك اثر العوج بكسر العين الذي يكون في المعاني كانه
قيل لا يعقل فضلا عن الاحساس به وقيل لا ترى استيناف لبيان الحالين يومئذ
اي اذ نسفت او بدل من يوم نحشر بدلا ثانيا ويسالونك استطرادا وله موقع حسن
عند ذكر الحشر يتبعون الداعي الى المحشر وهو اسرافيل يقف على صخرة بيت المقدس
وينادي ايها الناس هلموا الى المحشر يقبلون الى صوته من كل اوب لا عوج له اي
لا يعوج عنه مدعو واستعماله باللام لان الفعل كما يختص بالفاعل يقول لا ضرب
لزيد كذلك بالمفعول وخشعت الاصوات للرحمن ذوو الاصوات او مستعار للخفض
فلا تسمع الا همسا صوتا خفيا ومنه الهميس لصوت اخفاف الابل او صوت
اقدامهم كانهم بكم من شدة الخوف يومئذ بدل ثالث من يوم القيمة وفيه ترقي
لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن رفع بتقدير المضاف على البدل اي الا شفاعة
من اذن له الرحمن او نصب على المفعول اي لا تنفع الشفاعة احدا الا من اذن الرحمن
ان يشفع له ورضي له قولا قول الشافع له او في حقه يعلم ما بين ايديهم ما تقدمهم
من الاحوال وما خلفهم وما يستقبلونهم ولا يحيطون به علما بمعلوماته او بذاته او

بمجموع ما ذكر فانهم وان علموا منه شيئا لا يحيطون بتفصيله ولا يخفى ما لو اطن ما علموه
مفصلا وعنت الوجوه للحي القيوم ذلت وخضعت ومنه العاني للاسير وفي الحديث
اتقوا الله في النساء فانها عوان في ايديكم والاسناد الى الوجوه لانها اشرف الاعضاء
او اريد بها الذوات كقوله ويبقى وجه ربك والظاهر العموم وقيل الوجوه عظماء الكفرة
وقد خاب من حمل ظلما كفرا الجملة حالية لكونها في مقابلة قوله وهو مؤمن والاولى جعلها
معترضة والتقابل المعنوي كاف ومن يعمل من الصالحات بعضها وهو مؤمن اذ بدون
الايمان لا يعتد بعمل فلا يخاف ظلما نقصا من ثوابه الموعود وقرا ابن كثير فلا يخف
بالجزم نهيا وقرا الجمهور اوكد لكونها اخبارا من اصدق القائلين ولا هضما هضم
النفس وضعها عن مرتبتها والمعنى لا تخاف نقصان الثواب ولا حط الدرجة والمنزلة
اصله الكسر وقيل الظلم منع الثواب والهضم نقصانه وكذلك انزلناه قرانا عربيا عطف
على كذلك نقص عليك اي ومثل هذه الايات في الوعد والوعيد انزلنا القران كله
عود الى ما بدا به السورة من وصف القران بالصفات الكمالية فان حديث موسى كان
متصلا بقوله ما انزلنا عليك القران لتشقى فانتظم الكلام احسن انتظام وصرفنا فيه
من الوعيد والحال انا قد كررنا فيه ايات الوعيد من بابه لعلهم يتقون يبلغون
به التقوى التي هي نهاية مقامات العارفين او يحدث لهم ذكرى عظة وانزجارا في
الجملة او للتنويع والامر دائر على التحلية والتخلية فتعالى الله في ذاته وصفاته استعظم ان
لا يكون انزال القران وما صرف فيه من الوعد والوعيد بالغا حد الكمال وفيه استدعاء
لمن كان له قلب ان يقبل الى تعظيم كلامه ويتوجه اليه بشراشره الملك الحقيقي النافذ
امره ونهيه وفيه دلالة على ان ما في القران من قوارع الوعيد سياسات الهية من تحاماها
فاز وسلم ومن تخطاها باد وندم الحق الدائم اللازم القيومية في ذاته وصفاته وفيه
اشارة الى ان ما في القران من الوعد والوعيد حق لا يحوم حوم حماه الباطل وان المحق
من كان ممتثلا لاوامره والمبطل من لم يتعظ بزواجره تمهيد للنهي عن العجلة بقوله ولا تعجل
بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه فان ذلك يخل بتعظيمه روى البخاري عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعالج من الوحي شدة وكان
يحرك شفتيه عند تلاوة جبرائيل عليه يبادر الى الاخذ حذرا من فوت شيء منه فنهي عن
ذلك وامنه الله من ذلك الخوف بقوله فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه لانه
نهي عن تبليغ المجمل قبل البيان اذ كم مجمل بلغ قبل البيان ناهيك بيان الخيط الابيض
بالفجر بعد برهة من الزمان والبقرة من اواخر القران نزولا وقل رب زدني علما بدل
العجلة فان ما اوحي اليك محفوظ لا يفوتك منه شيء لم يامر بطلب الزيادة قط الا في هذه
الاية اظهارا لشرف العلم ولقد عهدنا الى آدم اي امرناه ومع ما في لفظ العهد من المبالغة
لدلالته على الحفظ عطف على قوله وصرفنا فيه من الوعيد دلالة على ان عصيان هؤلاء ليس

لنقص

لنقص منك في التبليغ او لنقصان فيما بلغتهم من القران بل ذلك لما اقتضته نشاتهم
كان اباهم آدم خاطبناه كفاحا وبينا له عداوة ابليس صراحا من قبل من قبل هؤلاء
فنسي العهد عن قريب ولم يثبت واغتر بقول العدو حتى تورط فيما تورط ولم نجد له عزما
على ما امر به وتصميما وتصلبا على ما عهد اليه بحيث يؤيس الشيطان عن اقترابه والوسوسة
اليه او لم نجد له عزما فيما اتى به بل كان ذلك خطا منه والوجه هو الاول ولم نجد ان كان
من وجد الشيء علمه فله عزما مفعولاه وان كان من الوجود نقيض العدم فله حال من
عزما كانه قال عدمنا عزمه واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم والمعنى اذكر ذلك الوقت
ليظهر لك نسيانه وعدم كونه ذا عزم مفصلا وفيه اشارة الى ان ما اكرمه به من اسجاد
الملائكة كان من البواعث التامة على التحفظ بالعهد فسجدوا الا ابليس قد سبق الكلام
فيه ابى استكبار استئناف كانه قيل لم لم يسجد فقلنا بعد الاباء يا آدم ان هذا عدو
لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فلا يكون سببا لخروجكما النهي لهما في المعنى عن
اتباعه توكيد الامر بالثبات والعهد السابق فتشقى افرده بالذكر لان شقاءه يستلزم
شقاءها ولان المراد بالشقاء التعب في طلب المعيشة وذلك الى الرجال فانهم قوامون
على النساء وقيل لما اهبط جاءه جبرائيل بثور احمر فكان يحرث عليه ويمسح العرق عن جبينه
ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى لوجود الماكل والملابس من غير سعي ومباشرة اسباب
وانك لا تظما فيها ولا تضحى لوجود الانهار والقصور يقال ضحيت الشمس اذا برزت من الضحى
والضواحي النواحي البارزة عطف على ان لا تجوع مع عدم جواز دخول ان على ان لان الواو
نايب عنه والمنكر دخوله صورة ذكر نقايض مطالبه منفية ولم يأت بتلك المطالب صريحا
لتذكره باسباب الشقاء الذي حذره منه فان قلت لم يذكر الظما مع الجوع الذي هو قرينه
قلت الشبع والكسوة اصلان والاخيران متممان مع ان الشبع اكتفا معنى الاترى الى قوله
شعر فالت عظام امرئ ما كان شبع طايره وقرا نافع وابو بكر وانك بالكسر عطف على
ان لك فوسوس اليه الشيطان انهى اليه الوسوسة ويقال وسوس له باللام فعل الوسوسة
لاجله قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى بيان للوسوسة ولذلك لم
يعطف عليه وشجرة الخلد من اكل من ثمرها لم يمت على زعمه وروى ابو داود وعن ابي هريرة
ان في الجنة شجرة تسمى شجرة الخلد والبلى الضعف والزوال من بلى الثوب بكسر اللام قال
العجاج والمرء يبليه بلاء السربال كر الليالي واختلاف الاحوال فاكلا منها فبدت لهما سوآتهما
وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة طفق يفعل كذا شرع من افعال المقاربة والخصف
الزاق الشيء فوق اخر من خصف النعل خرز عليه الخصاف والورق ورق التين
قيل كان مدورا فصار من تحت اصابعهما على هذا الشكل وعصى آدم ربه بارتكاب
ما نهاه عنه فغوى فاخطا طريق الرشاد حيث اغتر بقول العدو وترك نصح السيد الرؤف
ثم اجتباه قربه من الجباه وهي الجمع فتاب عليه قبل توبته بعد ما تاب اليه او وفقه للتوبة

وهدى ارشده الى الاستقامة وعدم الوقوع فى زلة بعدها وما صدر من آدم وان كان
على سبيل النسيان عبر عنه بالعصيان والغواية اما لان حسنات الابرار سيئات المقربين
واما ليكون لطفا بالسامعين والتغافل لهم فان صفة الذى اسجد الملائكة له وابدا منه
صغيرة تحمل وجه النسيان جرى عليه هذا فانظروا انتم ايها المصرون على الذنوب واعتبروا
قال اهبطا منها جميعا الخطاب لآدم وحوا بعضكم لبعض عدو يريد اولادهما لانهما اصل
البشر فخوطبا مخاطبتهم فاما ياتينكم منى هدى كتاب او رسول فمن اتبع هداى فلا يضل
فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة وعن ابن عباس رضى الله عنه ضمن الله لمن اتبع القرآن
ان لا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة ثم تلا الآية ومن اعرض عن ذكرى الهدى
الذى هو سبب ذكره فان له معيشة ضنكا وذلك ان المؤمن وان قل ماله متوكل على الله
شاغل وقته بعبادته فهو بالاوقى شاكر فرح وصدره منشرح والمعرض عن ذكر الله وان اوتى
مالا لم يزل يكد وساعيا فى الجمع والازدياد ولا يهنا بالعيش محروم لا ينال ما يريده حسر
الدنيا والآخرة ونحشره يوم القيمة اعمى لا يبصر شيئا ولا حجة له قال رب لم حشرتنى اعمى
وقد كنت بصيرا امال حمزة والكسائى الف اعمى اولا وثانيا وامالة ابو عمرو الاول دون
الثانى ليوافق الاول رؤس الآى قال كذلك اى كما تقول فعلت ثم بين ذلك وعلله بقوله
اتتك آياتنا فنسيتها تركتها وتعاميت عنها وكذلك اليوم تنسى تترك على عماك اجزاء لك
من جنس عملك وكذلك نجزى من اسرف اى مثل جزاء هذا القائل نجزى كل مسرف
منهمك فى اتباع الشهوات معرض عن تدبر الآيات ولم يؤمن بآيات ربه بعد مجيئها
ولعذاب الآخرة اشد فظاعته والمى وابقى وادوم من حشره اعمى بعد ضيق العيش
فى الدنيا والحشر اعمى لا يزول اشد من ضنك العيش المنقضى او تركنا اياه فى العذاب
اشد من تركه لآياتنا وابقى وليس بوجه ولا القول بانه اذا دخل النار زال عماه ليرى موضعه
افلم يهد لهم الله ورسوله كم اهلكنا قبلهم من القرون مفعول الهداية معنى كانه قيل اولم
يبين الله لهم مضمون هذا الكلام وقد علق عنه لكونه فى معنى الاعلام او الجملة فاعل لم
يهد او مفسر لفاعله دال عليه وهى الكثرة يمشون فى مساكنهم يريد قريشا يمرون على
آثار الهالكين من عاد وثمود فى اسفارهم ان فى ذلك لآيات لاولى النهى العقول
الناهية عن التغافل والتعامى ولولا كلمة سبقت من ربك بتاخير العذاب لكان
العذاب لزاما لازما لهم لم يفارقهم طرفة عين لتكامل اسبابه قال ابو ذويب فلم ير غير
عادته لزاما اى ملازما واجل مسمى لاعمارهم عطف على كلمة او على ضمير كان المستكن
لوجود الفاصل والمعنى لولا كلمة سبقت بتاخير العذاب لكان العذاب واجل مسمى
لازمين معا ولم ينفرد الاجل عن العذاب العاجل فاصبر على ما يقولون فى الله وفيما جئت
به من القرآن وسبح بحمد ربك نزهه عما لا يليق بجلاله شاكرا نعمة هدايته او صل وانت
حامد ربك الذى اوصلك الى هذا الكمال قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فان الذكر فيهما

الشرف

اشرف لكونهما اشرف الاوقات او صلوة الفجر وصلوة العصر لقوله ان قرآن
الفجر كان مشهودا وقوله صلى الله عليه وسلم من فاته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله
ومن آناء الليل ساعاته جمع انى بالقصر والكسر او انا بالمد والفتح فسبح نزه الله وقدسه
او صل فيها فان الوقت رايق والقلب فيه اجمع لعدم الشواغل والنفس مائلة الى
الاستراحة فالعبادة فيها احمز ان ناشئة الليل هى اشد وطأ واقوم قيلا واطراف
النهار وقبل الطلوع وبعد الغروب فيكرر ذكر صلوة الصبح والمغرب وانما جمع الطرف
وللنهار طرفان لامن الالتباس مع ما فى ذلك من زيادة البيان او لان اراده
جنس النهار او التطوع فى اجزاء الطرفين من نصفى النهار لعلك ترضى بما يعطيك
ربك وقرا الكسائى وابو بكر ترضى على بناء المفعول اى لعل الله يعطيك ما يرضيك او
تكون مرضيا عنده والمختار بناء الفاعل ولعل للتحقيق من الصادق المتفضل لا سيما
والخطاب مع المقرب المفضل وتمام رضاه بقبول شفاعته فى امته ولا تمدن عينيك
الى ما متعنا به نظر عينيك لم ينه عن النظر بل عن مده وتطويله فان من بادر النظر
الى الشئ ليحيط به علما ثم كف النظر غير ملام وانما المنهى استغراق النظر فيه اعجابا به وتمنيا
ان يكون له مثله كما قالت نظارة قارون يا ليت لنا مثل ما اوتى قارون وقال الذين
اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير وقد شدد العلماء اهل التقوى فى النظر الى ابنية الظلمة
ومراكبهم وشاراتهم فانه اغراؤهم على طلب الزيادة والتعمق فيها ازواجا منهم اصنافا
من الكفرة مفعول متعنا ويجوز ان يكون حالا من الضمير المجرور فى به اى لا تمدن عينيك
الى المتمتع به وهو اصناف منهم بعضهم او ناسا منهم على ان من تبعيضية زهرة الحيوة
الدنيا مفعول ثان لمتعنا لتضمينه معنى الاعطاء والباء للسببية اى لا تمدن عينيك الى
المال الذى اعطيناه بسببه اصنافا من الكفرة زهرة الحيوة الدنيا اى بهجتها وزينتها او بدل
من ازواجا بتقدير مضاف او من المجرور فى به والابدال من العايد الى الموصول مختلف
فيه والاحسن نصبه على الذم لاضافتها الى الحيوة الدنيا المذمومة فمن اكتحل بنور الهدى
يرى تحقيرها والازدراء بها من اقرب القرب لنفتنهم فيه لنبلوهم فيه او لنعذبهم فى
الآخرة بسببه ورزق ربك خير وما رزقك من الهدى والنبوة خير من ذلك الحطام
فان الالتذاذ به روحانى مع قطع النظر عن فائدته فى الآخرة وقيل ما ادخر لك من الثواب
وابقى وادوم فان ما بايديهم يصيبه الآفات ويفنى بالانفاق وما لك يزداد وأمر
اهلك بالصلوة اهل بيتك وامتك فانك راع وكل راع مسؤول عن رعيته وفى امرهم
بها اعانة له ايضا فان الجماعة يشد بعضهم بعضا ويزداد الانسان نشاطا بخلاف
الانفراد فانه يورث الفتور ويشاركهم فى الثواب فان الدال على الخير كفاعله واصطبر
عليها تحمل المشاق فى المداومة عليها لا نسألك رزقا ان ترزق نفسك واهلك فان
ذلك علينا ففرغ بالك لامر الآخرة نحن نرزقك ومن وجب عليك القيام بامره عن

عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند الملوك قرأ ولا تمدن عينيك ثم ينادي الصلوة
رحمكم الله والعاقبة للتقوى لذوي التقوى اشارة الى ما هم فيه سريع الزوال وقالوا
لولا يأتينا باية من ربه على عادتهم في التعنت والعناد وعدم الاعتداد بما جاءهم او لم
تأتهم بينة ما في الصحف الاولى يريد القران فانه مع كونه معجزة له دالة على صدق دعواه
برهان على صدق ساير الكتب المنزلة وهم يقرون بصدق تلك الكتب فاقرارهم بهذا كان
اولى واوجب او المراد بينة الصحف الاولى نعته ونعت امته فيها كقوله او لم تكن لهم اية
ان يعلمه علماء بني اسرائيل وقرأ غير نافع وابي عمرو وحفص يأتهم بالتذكير وهو احسن
لوجود الفاصل ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله من قبل مجيء البينة او محمد لقالوا ربنا
يوم القيمة لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك من قبل ان نذل في الدنيا ونخزى في الاخرة
يريدان هؤلاء لا يؤمنون ولو جاءتهم كل اية لانهم معاندون والايات انما تنفع بها
المسترشد والارسال اليهم انما هو لئلا يكون لهم عذر يعتذرون به يوم القيمة قل كل متربص
منا ومنكم فتربصوا انتم فستعلمون عن قريب من اصحاب الصراط السوي القويم ومن
اهتدى بتلك ذلك الصراط من في الموضعين استفهامية علق عنها العلم ختم السورة
بما بدأها كانه يقول له ما انزلنا عليك القران لتشقى مع هؤلاء المعاندين فبعد التبليغ لا تهلك
نفسك ودعهم في اودية الضلال يهيمون فسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تمت
السورة ولله الحمد على نعمه الموفورة والصلوة على من نعته في الصحف مزبوره سورة
الانبياء مكية وهي مائة واثنا عشرة اية بسم الله الرحمن الرحيم اقترب للناس حسابهم
اللام صلة اقترب اي اقترب منهم فان الاختصاص وابتداء الغاية متقاربان او تاكيد
للاضافة والاصل اقترب حساب الناس اي لهم ثم قيل اقترب للناس الحساب للاجمال
والتفصيل ثم قيل اقترب للناس حسابهم باقامة الضمير مقام اللام الاقتراب امر نسبي
والباقي من الدنيا قليل لقوله بعثت انا والساعة كهاتين واشار بالسبابة والوسطى وقوله
بعثت في نسم الساعة او هو باعتبار المتكلم وان يوما عند ربك كالف سنة اولان كل
ات قريب وكل ماض بعيد والوجه هو الاول لوجود الاشراط وهم في غفلة مستقرون
فيها معرضون عن التدبر والتفكر في العواقب خبر بعد خبر وجعل الظرف حالا من المستكن
في معرضون ضعيف ما يأتيهم من ذكر قران يوقظهم عن سنة الغفلة من ربهم المرقي
لهم بانزال ذلك الذكر صفة ذكر محدث انزاله اية عقب اية وسورة اثر سورة الا استمعوه
وهم يلعبون لاهية قلوبهم حالان مترادفان او متداخلان والمعنى ما يأتيهم الذكر المحدث
المشتمل على فنون المواعظ وانواع البصاير في حال من الاحوال الا في حال استماعهم له لاعبين
مستهزئين به يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا قلوبهم شاغلة عن التدبر فيه والتفكر في
غريب اساليبه وبديع لطائفه واسروا النجوى اسم من التناجي ولا يكون الا خفيا فايقاع
الاسرار عليه مبالغة في اخفائها او اريد به نفس الفعل وهو التناجي بحيث لا يفطن له ولا يعلم احد انهم

يتناجون

يتناجون وهذا ابلغ الذين ظلموا بدل من واو اسروا للدلالة على كونهم موسومين
بالظلم في تناجيهم وقيل هو على لغة اكلوني البراغيث وهي لغة ازد شنوءة اول من تكلم
به ابو عمرو الهذلي ووجهه انه اريد بالاكل الاستيلاء والظلم وهو من فعل العقلاء فرشح بالحاق
علامتهم به وقيل منصوب على الذم وقيل مبتدأ قدم عليه خبره هل هذا الا بشر مثلكم
افتأتون السحر وانتم تبصرون عطف بيان للنجوى او بدل منه وكان حق الكلام ان يقال
بل هذا الا ساحر او سحر ثم ترتب عليه الانكار لكن لما كان كون مدعي الرسالة من البشر
ساحرا وكون معجزته سحرا امرا مقررا عندهم وضع المنزل موضعه ليكون ابلغ قل
ربي يعلم القول في السماء والارض القول العام الشامل للجهر والسر والاخفى فيتناول
نجواهم الذي اسروه تناولا اوليا واكثر في الفرقان قل انزله الذي يعلم السر في السموات
والارض لانه رد لما نسبوه اليه من الافتراء على الله فاشار الى ان ما سموه افتراء انزله
من يعلم باطن امره وباطنه ومقالتهم الحمقاء وقرأ حمزة والكسائي وحفص قال اي ذلك البشر
في جوابهم وهو المختار لكونه مدحا له في الاسناد الى هذا الجواب الذي طبق المفصل
وهو السميع العليم برهان على علمه بذلك القول بل قالوا اضغاث احلام بل افتراه
بل هو شاعر اما حكاية مقالاتهم من غير تدرج وترق في اباطيلهم والمراد انهم خالطون
متحيرون فتارة يقولون كذا وتارة كذا واما ابتداء اخبار منه تعالى عنهم ملاحظا
فيه التدرج فان قولهم القران سحر اقرب من كونه تخاليط الاحلام لانه النظم الانيق
الذي ابكم كل منطيق وهو اقرب من كونه مفترى مختلفا لدلالة التواطع على صدقه
وهو اقرب من كونه شعرا لكونه كلاما مختلا لا حقيقة له واين هو من كلام جاز الحقايق
النظرية والدقايق العملية التي نيط بها المبدأ والمعاد وعلق بها صلاح العالم عن
الفساد فان قلت التدرج من الكذب ههنا الى الشعر عكس التدرج من الشعر
الى الكذب في سورة الطور فما وجه ذلك قلت الكلام هنا في الذكر المتجدد النزول فكانه
فكانه قيل قائله كذاب بل شاعر شانه الاتيان بالاكاذيب وما لا حقيقة له بخلافه
هناك فان الكلام في رسالته وكونه شاعرا اقرب من كونه مفتريا لاشتهاره عندهم
بالامانة والصدق فليأتنا باية كما ارسل الاولون كابراء الاكمه والابرص واليد والعصا
وصحة التشبيه لان الارسال يستلزم الاتيان بالمعجزة ما امنت قبلهم من قرية اهل قرية
اهلكناها صفة قرية افهم يؤمنون استفهام انكار واستبعاد دلالة على انهم اعتى من
السابقين وان عدم الاجابة به الى ما اقترحوه انما هو لابقاء عليهم وما ارسلنا قبلك
الا رجالا نوحي اليهم وقرأ حفص بالنون وهو المختار لكونه اوفق للتصديق والنسب
بما ارسلنا فاسئلوا اهل الذكر اهل الكتاب ان كنتم لا تعلمون او لو كان كونه
بشرا منافيا للرسالة كان اهل الكتاب اول مكذب له لذلك وما جعلناهم جسدا
لا يأكلون الطعام رد لقولهم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون وافراد جسدا

لكونه مصدرا في الاصل او بتقدير المضاف او ارادة الجنس او تأويل الضمير بكل واحد وهو
اخص من الجسم لاختصاصه بالمتلون وما كانوا خالدين كانهم كانوا يعتقدون ان
الملائكة لا يموتون او جواب لقولهم بعيش كما نعيش ويموت كما نموت فلا يصلح
للرسالة ثم صدقناهم الوعد اي في الوعد كقوله واختار موسى قومه فانجيناهم و
من نشاء من المؤمنين بهم ومن سبق في العلم ابقائه او ابقاء من يستولد منه واهلكنا
المسرفين المتجاوزين المفرطين ولقد انزلنا اليكم كتابا خطاب لقريش فيه ذكركم
صيتكم وشرفكم لانه بلسانكم منزل على نبي منكم فانتم حملته واليكم المرجع في حل معاقده او
تذكرة وموعظة لكم او فيه ما يحصل به الذكر الحسن والثناء الجميل من مكارم الاخلاق التي
كنتم تسابقون اليها افلا تعقلون ترجعون الى عقولكم فتؤمنون به وكم قصمنا من
قرية كانت ظالمة وصفت بوصف اهلها مبالغة والقصم الكسر مع الابانة كناية عن
الاستيصال لعدم بقاء الالتئام بعده وكم للتكثير وما روي عن ابن عباس انها قرية
ببلاد اليمن اسمها حضور ارسل الله اليهم نبيا فقتلوه فبعث عليهم بخت نصر فقتلهم عن آخرهم
معناه انها من جملة تلك القرى وانشأنا بعدها اي بعد اهلها المهلكين قوما آخرين
وسطه في اثناء القصة اظهار العظمة وكمال اقتداره كقوله ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد
وما ذلك على الله بعزيز فلما احسوا بأسنا شاهدوه اذا هم منها يركضون الركض ضرب
المركوب بالرجل وكانهم حين رأوا مقدمة العذاب هربوا عن دوابهم او عدوهم على
ارجلهم شبهه بالركض بجامع السرعة لا تركضوا على ارادة القول والقائل اما الملائكة والمؤمنون
منهم او لا قول بل هم احقاء بان يقال فيهم ذلك وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش
الرافه الاتراف ابطار النعمة والمترف المكثر من الملاذ الموسع فيها ومساكنكم لعلكم
تسألون عما جرى فتخبرون عن علم مشاهدة او ارجعوا الى مساكنكم وتزينوا في المجالس مباهين
بها حتى يسألكم خدمكم وحفدتكم ماذا تأمرون به من المهمات او يسألكم من يستعين بكم
في الامور المهمة ويستضيء بآرائكم او المحاويج المستمطرون سحائب اكفكم المصرون اخلاف
معروفكم كل ذلك على سبيل التهكم قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين بتكذيب الانبياء فما زالت
تلك دعواهم اي قولهم يا ويلنا سماه دعواه لان المولول ينادي الويل وتلك مرفوع
على تسميته زال ودعواهم نصب على الخبر لانه مثل ضرب موسى عيسى ومن جوز العكس
لم يلتفت الى قاعدة النحاة ميلا منه الى المعنى حتى جعلناهم حصيدا مثل النبت المحصود و
خامدين ميتين من خمدت النار وموضع حصيدا مفعول ثان لجعل لانهما في حكم الواحد
اي جامعين لمماثلة الحصيد والخمود والمتعدد في مثله كالواحد سواء كان واحدا حقيقة
كقولك جعلته حلوا حامضا اي مزا او حكما كما نحن فيه وما خلقنا السماء والارض وما بينهما
لاعبين كما يفعله الجبابرة من رفع السقوف وبناء القصور وفرش الحرير وسائر الزخارف
وانما رفعنا هذا السقف المرفوع وفرشنا هذا المهاد الموضوع وخلقنا بينهما من الخلائق

مشحونة

مشحونة بضروب البدائع ليكون تبصرة للمستبصرين وتذكرة للناظرين مع ما يتعلق لهم
بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي لا تحصى لو اردنا ان نتخذ لهوا ما يتلهى به لاتخذناه
من لدنا مما يليق بنا من الحكم الالهية التي اتخذتموها انتم لهوا والمعنى ان صدور اللهو مستحيل
سوق الكلام لدفع المطاعن السابقة فيه صلى الله عليه وسلم بعد ما سد وبقوله وكم قصمنا
من قرية فان منكر الرسالة جاعل خلق السموات والارض من باب العبث لان خلق السماء
والارض وما بينهما انما هو لمعرفته تعالى وجزاء من قام بها ومن لم يقم ولن يتم ذلك الا
بارسال الرسل وانزال الكتب وحمل اللهو على الولد والمرأة يبعد بذلك لان نفي الولد يجيء صريحا
وقوله وان كنا فاعلين تكرير مبالغة في الاستحالة اي ان كنا نفعل ما يوصف باللهو
فهكذا يكون فعلنا والحمل على النفي ليكون كالنتيجة للسابق ايضا معنى حسن بل نقذف
بالحق على الباطل اضراب عن اتخاذ اللهو وتنزيه لذاته تعالى عنه فيدمغه فيزيله ويقلع
اثره واستعار القذف وهو الرمي البعيد المستلزم لصلابة المرمي والدمغ الذي هو الوصول
الى الدماغ الموجب للهلاك تصوير الابطاله ومحقه كانه جرم صلب قذف به على جرم
رخو اجوف فاذا هو زاهق هالك ذكر ذلك ترشيحا للمجاز ولكم الويل مما تصفون مما تصفونه
به مما لا يجوز عليه من اللهو واللعب وله من في السموات والارض خلقا وملكا ومن عنده
من الملائكة الكروبيين افردهم بالذكر اظهارا لشرفهم ولفظ عند تصوير لقربهم وتمثيل لمن
يكون عند الملوك وامثاله قربة لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون لا يكلون من
الحسور وهو اللغي آثر الاستحسار على الحسور اظهارا لكمال قيامهم باعباء العبادة التي حقيق
ان يستحسر منها يسبحون الليل والنهار ولا يفترون مستمرون على التقديس لا يعتريهم
فتور تقرير وتوكيد لما سبق من نفي اللهو لان من هذا شأنه منزه عن مثل ذلك وتمهيد
لما بعده ام اتخذوا آلهة منقطعة للاضراب والترقي فان اتخاذ الشريك اوغل في الانكار
من انكار النبوة والقدح فيها وانما قدم عليه كونه مالك السموات والارض ومن فيهما المستحق
العبادة منهم وان المقربين عنده قائمون بها حق القيام ليشيد وجه الانكار من الارض
صفة آلهة ومن ابتدائية لان الاصنام متخذة من جنس الارض كما تنحت من الحجر او يعمل
من بعض الجواهر هم ينشرون الموتى من قبورهم والمشركون وان لم يقولوا باقتدار
آلهتهم على ذلك ولكن لازم لادعاء الالهية لها لاقتضائها الاقتدار على كل الممكنات
وفيه تهكم بهم ومبالغة في ذلك زيد الضمير الموهم اختصاص الانتشار بهم لو كان فيهما
آلهة الا الله الا وصف لآلهة حمل على غير كما حمل عليه غير في الاستثناء ولا يستقيم فيه الاستثناء
ولا البدل لفظا ومعنى اما لفظا فلان الاستثناء لا يكون بعد جمع منكر لعدم الشمول واما
البدل فلتفرعه على المفرغ المنفي واما معنى فلان ما سيق له الكلام انتفاء التعدد المفضي
الى الفساد والاستثناء والبدل مفضيان الى ان دخول الاله الحق في عداد الالهة يدفع الفساد
لفسدتا لم تكونا او خرجتا عن النظام للتمانع والتغالب وتحقيق الحق في هذا المطلب

الاجل ان موجد الكائنات خارج عنها واجب ودونها فلو فرض اثنان اما ان يتحدا ماهية
او يختلفا وكل باطل قطعا اما الاول فلا احتياج الى المقوم ولا اقل الى المميز وبطلانه ظاهر
للزوم غناه عند الفرق واما الثاني فلان الاثر الواحد بالشخص اما بهما او بكل منهما او
بواحد منهما والكل باطل وبطلان اللازم يوجب بطلان الملزوم ووجه اللزوم والبطلان
ظاهر هنا ان اريد بالفنا وعدم التكون وان اريد الخروج عن النظام فكذلك لان
حفظها اما بهما او بكل منهما او باحدهما والكل باطل كما تقدم واما بالتوزيع واختصاص
كل بالبعض فلان المخصص من الخارج لاستواء القدرة والامكان وذاك عين البعض
والاحتياج فالاية برهان نير ولا اختصاص له بالفاعل المختار كما ظن فسبحان الله رب
العرش عما يصفون اي اذا دلت السموات والارض على عدم جواز وجود الشريك فانزه
مالك العرش عما يصفون به من الشريك لا يسئل عما يفعل لانه عالم بالخفيات ووجوه
الحكم والملوك الذين يتطرق على آرائهم الخطا والزلل لا يسألون عن تدبير الملك فكيف
بمن علم ما كان وما يكون وهم يسئلون لانهم عبيد مامورون خطاؤن ام اتخذوا من
دونه آلهة انكر اولا الالهة الارضية لظهور فسادها ثم الالهة مطلقا وبنى عليه نفي الحجة بقوله
قل هاتوا برهانكم فان ما لا دليل عليه لا ثبوت له هذا ذكر من معي وهو القرآن ومن معه
امته واضافة الذكر اليهم لانهم متعبدون باحكامه وذكر من قبلي وهو التورية والانجيل
وفيهما دليل على عكس مدعاهم واكتفى بالسمعي لتقدم العقلي قدمه لكونه الاصل في العقايد
بل اكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون اضرب عن اقامة البرهان لكونهم فاقدي التمييز
بين الحق والباطل فاي فايدة في ذلك وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه
انه لا اله الا انا فاعبدون كشف عما كان في ذكر من قبلي ازاحة لما عسى ان يختلج المشركين
شبهة على الوجه الاعم وقرا حمزة والكسائي وحفص بالنون وقد سبق انه ابلغ وقالوا اتخذ الرحمن
ولدا قدم نفي الشريك على نفي اتخاذ الولد ليكون تمهيدا له لانه اشد استحالة لاقتضائه الازدواج
والانفصال الجزء منه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا والاية نزلت في خزاعة حيث قالوا
الملائكة بنات الله سبحانه تنزيه له بل عباد بل هم كسائر العبيد مكرمون مقربون منه
على محل الخطا لا يسبقونه بالقول لا يسبق قولهم قوله وانما نفي السبق عنهم اولا وجعل القول
اداة ليكون اول ما يقرع السمع عدم السبق منهم مطلقا فيكون اشد واقوى في مدحهم نظيره شعر
قد طلبنا فلم نجد لك مثلا وهم بامره يعملون لا بغيره فلا قول ولا فعل الا بامره كما هو شان المقربين
مع الملوك يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم لا يخفى عليه منهم شيء والجملة تقرير وتاكيد لما قبلها
ولا يشفعون مع قرب مكانتهم الا لمن ارتضى ان يشفع له واذن لهم في ذلك وهم من
خشيته مشفقون من خوفه خايفون غاية الخوف من الشفق وهو الستر الرقيق روي انه
تعالى لما طرد ابليس بكى جبرائيل وميكائيل فقال تعالى لم هذا البكا قالا يا ربنا انت اعلم
خشية منك واشفاقه من مكرك فقال هكذا كونا والقول بان الخشية خوف من تعظيم

ولذلك

ولذلك خص به العلماء رده بقوله في حق فرعون لعله يتذكر او يخشى ولا دليل في قوله
انما يخشى الله من عباده العلماء لارادة الكمال كقوله انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت
قلوبهم ومن يقل منهم اني اله من دونه فرضا كقوله لئن اشركت فذلك نجزيه جهنم فكيف
يكون ولدا او هل احد يلقي ولده في نار جهنم كذلك نجزي الظالمين المشركين اولم ير الذين
كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا او مرتوقين ملصوقا احدهما بالاخرى فكشط السموات
عن وجه الارض واوقع بينهما الفضاء او السموات والارض متلاصقة وكذا الارضون
لا فرج بينها ففتقناهما فجعلنا بينها فرجا والرؤية فعل القلب فان قلت اثبات ذلك
العلم على اوكد وجه ومتى كان لابي جهل واقرانه علم بان السموات والارض كانتا رتقا
قلت علمهم باعجاز القرآن المخبر عنه مستلزم عنه وانما اثر هذا الاسلوب وان كان
الاستدلال بالاتحاد كاف بيانا لكيفية الاتحاد والدال على كمال الاقتدار وقيل الرتق العدم
لعدم تمايز الاشياء فيه وقيل فتقنا السماء بالمطر والارض بالنبات والقول بان السموات
فتقت بالتحريكات الفلكية مع سماجة معناه مبني على ثبوت حركة الفلك وانما قال
كانتا لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض وجعلنا من الماء كل شيء حي اي خلقنا
كل حي من نطفة ابيه كقوله والله خلق كل دابة من ماء او لفرط احتياجه الى الماء كانه مخلوق
منه او جعل بمعنى صير اي صيرنا كل شيء حي من الماء متصلا به لا يحيى دونه كقوله صلى الله
عليه وسلم ما انا من دد ولا الدد مني اي لا اتصال بيننا افلا يؤمنون بعد ظهور هذه
الايات وجعلنا في الارض رواسي جبالا ثوابت تنزل معهم باتباع الاظهر الاخفى فان
هذا محسوس وذاك معقول ان تميد بهم كراهة ان تضطرب بهم من مادية بال وجعلنا
فيها في الجبال فجاجا طرقا واسعة سبلا يسلكها السابلة بدل من فجاجا ليدل على انه
خلقها كذلك للسابلة او حال قدمت وان كانت في الاصل وصفا لقوله سبلا فجاجا
للدلالة على انه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فيكون بيانا لما ابهم هناك لعلهم
يهتدون الى مصالحهم وجعلنا السماء سقفا محفوظا من الوقوع والاضطراب والخروج
عن الاوضاع والاشكال مع عظم الجرم وطول الزمان وقيل بالشهب عن استراق
الشياطين الى استماع سكانه وهم عن آياتها المودعة فيها من عظم الجرم بلا عمد وتزيينه
بالكواكب وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب معرضون لا يتفكرون
في شيء منها ليؤديهم الى الايمان بوحدة الصانع وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر
تفصيل لبعض تلك الايات كل كل واحد من الشمس والقمر في فلك يسبحون يسرعون
على سطح الفلك سراع السابح على الماء خبر كل والجملة حال من الشمس والقمر وجاز انفرادهما
بالحال دون المعطوف عليه لامن اللبس والجمع باعتبار كثرة المطالع وبالواو لان
السباحة فعل العقلاء وهو صريح في ان الحركة للكوكب دون الفلك كما زعمه اهل الهيئة
وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون كانوا يتربصون به ريب المنون

كما هو دأب الخصم المحجوج او الم يبق ما يتشبث به سوى تمني هلاك خصمه فقيل ان مت انت كما
يتمنونه فانت وهم في ذلك سواء فقيل للشامتين بنا افيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا
كل نفس ذائقة الموت مرارته برهان على ذلك ونبلوكم بالشر والخير نعاملكم معاملة المختبر
بما لنرى صبركم على البلاء وشكركم على النعم فتنة مصدر من غير لفظ الفعل والينا ترجعون
فنجازيكم على حسب الصبر والشكر واذا راك الذين كفروا ان يتخذونك الا هزوا اهزؤا به
اطلق المصدر مبالغة اهذا الذي يذكر آلهتكم قائلين هذا الكلام والذكر بالخير وبخلافه فارادوا
عيب آلهتهم لان العدو لا يذكر العدو بخير واسم الاشارة للتحقير كما في قول عائشة عجبا لابن
عمرو هذا حين افتى بان على النساء نقض الظفاير للغسل وهم بذكر الرحمن هم كافرون اي
بما يجب ان يذكر به من الوحدانية او بذكر الرحمن من اسمائه حيث قالوا وما الرحمن او بالقران
الذي انزله الرحمن اليك والمعنى وهم بهذه الصفة فهم احق بان يتخذوا هزوا واما انت فمعزول
من ذلك فاعادة الضمير لافادة التخصيص خلق الانسان من عجل عن ابن عباس اراد
بالانسان آدم حين بلغ الروح صدره اراد ان يقوم وقيل لما بلغ الروح عينيه راى ثمار
الجنة فلما دخل جوفه اشتهى الطعام والتحقيق ان المعنى ان العجلة من لوازم الانسان جبلة
لقوله وكان الانسان عجولا فانه عام دل عليه حديث طروق رسول الله فاطمة وعليا والآية
نزلت في النضر بن الحارث وليس فيه ما يدل على جواز تكليف المحال ساريكم آياتي التي
تستعجلون بها فلا تستعجلون ويقولون متى هذا الوعد استبطاء ان كنتم صادقين في
وقوع العذاب اما في الدنيا او يوم القيمة لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون عن وجوههم
النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون جواب لو محذوف اي لو عرفوا القيمة حق المعرفة وما
يحيط بهم فيها لما خسروا على ما جسروا وفي التعبير عنها بحين منكرا وبني العلم المعروف وتصويرها
بالوصف الكاشف تهويل لا يخفى ويجوز ان لا يكون للعلم مفعول اي لو كانوا من اهل العلم
لما استعجلوا وعلى هذا حين منصوب بفعل مضمر على تقدير السؤال كانه قيل متى يعلمون فاجيب
يعلمون حين لا يكفون بل تاتيهم بغتة فجاة مصدر وحال فتبهتهم تجعلهم حيارى مغلوبين
فلا يستطيعون ردها النار او العدة او القيمة لان الحين بمعنى الساعة ولا هم ينظرون
يمهلون وفيه تذكير بامهالهم في الدنيا وتفسيح الوقت عليهم وانه لا انظار بعد ذلك الامهال
الطويل ولقد استهزئ برسل من قبلك لما ذكر الاجوبة الدامغة لمطاعنهم في النبوة وادمج
في ذلك من المعاني التي هي الباب المقاصد سلاه بان له فيما ناله من الاذى اسوة باجلة
الرسل فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن وعده بالنصر في العاقبة قل من
يكلؤكم يحفظكم ويحرسكم بالليل والنهار من الرحمن من باسه وفي ايثار الرحمن اشارة الى
ان لا كالئ لهم الا رحمته الغالبة وايماء الى انه وان عظمت نعماؤه ما اعظم غاد على ما يقال
نعوذ بالله من غضب الحليم والسؤال سؤال تقريع ولذلك اضرب عنه بل هم عن ذكر ربهم
معرضون لا يخطرونه ببالهم فضلا عن ان يخافوا من باسه تسجيلا عليهم بانهم ليسوا اهلا

للسماع

للسماع ام لهم آلهة تمنعهم من دوننا اضراب عن اعراضهم الى ما هو اشد وادخل
في الانكار كانه يقول دع اعراضهم وانظر الى من اعرضوا من ذكر الرحمن والتجاوا
اليه فان هذا اظلم لا يستطيعون نصر انفسهم ولا هم منا يصحبون استيناف
لبيان سخافة عقولهم بان من تركوا ذكر الرحمن له جاهدا لا يقدر على نصر نفسه ولا هو
مصحوب من الله بنصر كيف ينصر غيره بل متعنا هؤلاء وآباءهم حتى طال عليهم العمر
اضراب الى بيان الداعي الى كلاتهم وهو التمتع استدراجا بما قدر لهم من الاعمار فحسبوا
ان لا يزالوا كذلك افلا يرون انا ناتي الارض ننقصها من اطرافها بيان وتقرير
لما هم فيه من الاستدراج وانهم سيخرجون عما هم فيه والرؤية بمعنى العلم لتعلقها
بمضمون الجملة واللام للعهد يريد ارض الكفرة وهذا اخبار بما سيقع من تسليط المسلمين
على الكفرة لان السورة مكية وقد وقع ذلك كما اخبر فالآية معجزة مستقلة افهم الغالبون
لا يكون كذلك قل انما انذركم بالوحي بعد ما ساق الكلام في الاحتجاج على النبوة
والتوحيد كم ارعد وابرق في الوعيد ثم امر ان يقول ان هذا الذي تلوته عليكم وحي
من الله لتكون فذلكه كما يقول احد خواص الملك لمن نصحه بعد ان لم يبق له عذرا
ما قلته لك كلام الملك ولا يسمع الصم الدعاء اذا ما ينذرون الظاهر لا يسمعون ما
ينذرون عدل الى المنزل للدلالة على ان عدم السماع انما هو للتصام لا القصور في الانذار
لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي قرا ابن عامر بالخطاب من
الاسماع والغيبة من السماع ابلغ لدلالته على عدم القابلية اذا النصب بتسمع او بالدعاء
والتقييد بالانذار لان الكلام فيه ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك ادنى شئ منه
من نفح الطيب اذا فاح وفي الحديث ان لربكم في الدهر نفحات فتعرضوا لها وفيها
مبالغات ذكر المس الذي هو اتصال ما والنفح وبناء المرة والتنكير الدال على القلة يا ويلنا
انا كنا ظالمين ندموا حيث لا ينفع ونضع الموازين القسط توزن بها صحايف
الاعمال او هو تمثيل للحساب السوي والقسط هو العدل من اقسط عدل لا من قسط
وافراده لانه مصدر او ذوات القسط روى مسلم ان الله لا ينام ولا ينبغي له بيده القسط
يرفع ويخفض ليوم القيمة اللام للتوقيت كقوله لدلوك الشمس او لاجل اهله فلا تظلم
نفس شيئا من اعمالها وان كان مثقال حبة من خردل اي وان كان العمل في
الحقارة ما يزن تلك الحبة تصوير لكمال عدله وان القليل عنده كثير اتينا بها
احضرناها قرا نافع مثقال بالرفع على كان تامة وقراءة القوم اظهر لان المراد عمل
يوازن الحبة وكفى بنا حاسبين لكمال علمنا وشموله وانما وضع الميزان اظهارا لعدله
ولقد اتينا موسى وهارون الفرقان وضياء وذكرا للمتقين شرع يفصل الرسل الذين
استهزئ بهم الما للتسلية بعد الاحاطة باحوالهم وبدا بذكر موسى عليه السلام لكونه اشبه
برسول الله صلى الله عليه وسلم في كثرة الايات وتكاثف الامة ولم يستوف قصة لتقدمها

في السورة السابقة مستوفاة ثم ذكر قصة ابراهيم لكونه على ملته وكون قصته اغرب
القصص لبلوغه اقصى مراتب المتوكلين والعطف باعتبار الصفات فان التورية
لكونه فارقا بين الحق والباطل فرقان ولاشتماله على الاحكام الدينية ضياء ولكونه موعظة
ذكر وقيل الفرقان النصر لقوله تعالى يوم الفرقان ليوم بدر وقيل فلق البحر بين موسى
وعدوه الذين يخشون ربهم صفة المتقين والاوجه الرفع او النصب على المدح
بالغيب حال من الفاعل والمفعول وهم من الساعة مشفقون خائفون غاية الخوف
وفي تقديم الضمير تعريض بغيرهم وهذا ذكر القران مبارك اودع فيه النماء وزيادة
الخير كلمة جامعة تشمل اوصاف التورية وغيرها انزلناه افانتم له منكرون توبيخ
وتقريع بعد بيان الصارف عن الانكار ولقد آتينا ابراهيم رشده الاهتداء الى
وجوه الصلاح او النبوة والحجة على قومه واضافة الرشد للدلالة على انه رشد له شان
كقوله انزله بعلمه من قبل اي قبل البلوغ حين خرج من السرب وراى الكوكب
او من قبل موسى وهرون او من قبل نبوة محمد عليه السلام وكنا به عالمين بما جبل
عليه من الزكاة وبديع الاسرار وقوة اليقين وكمال التسليم اذ قال لابيه وقومه متعلق
بآتينا او برشده والاحسن تعلقه باذكر مقدرا اي اذكر من اوقاته هذا الوقت فانه
يسليك عما تلقاه من قومك ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون عبر عنها
بالتماثيل التي هي الصور اشارة الى انها خالية عن المعنى واللام للاختصاص لان صلة
العكوف على والاحسن تضمين العكوف معنى العبادة لقوله قالوا وجدنا آباءنا
لها عابدين ولان المنكر عبادتها قال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين
واضح غني عن البيان لان من تمسكه لا يلتفت قصدا الى الحجاج فضلا عن تعقل الوجه
قالوا اجئتنا بالحق ام انت من اللاعبين استبعدوا ان يكون ما هم فيه ضلالا اي
ما تقوله اجد وحق ام لعب وانما آثروا الاسمية في معادلة الهمزة ميلا الى ترجيحه وانه
الذي يليق بحاله وعندي ان ام منقطعة اضرابا عن كون ما جاء به فيه شائبة حق
ولذلك قابلهم بمثل ما بدأوه حيث قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن
اضراب عن ان يكون فيما جاء به شائبة هزل والضمير في فطرهن للتماثيل او للسموات
والارض والاول ادخل في تضليلهم وان كان الثاني اقرب وانا على ذلكم المذكور
من التوحيد من الشاهدين المؤمنين فان علم الشهود اجلى اليقينيات وتالله لاكيدن
اصنامكم في ايثار التاء التي هي للتعجب من حروف القسم ولفظ الكيد الدال على الاحتيال
اشعار منه بان التعرض لها امر خطر وكان كذلك وكفى اذا الله سنى عقد شي تيسرا
بعد ان تولوا مدبرين الى مكان عيدكم روي ان آزر وقومه خرجوا الى عيد لهم فدخلوا
بيت الاصنام وسجدوا لها ووضعوا اطعاما ما بين ايدي الاصنام وقالوا الى ان نرجع
يحصل للطعام البركة فدخل ابراهيم لها وحده بيت الاصنام وكانوا سبعين صنما فاخذ

الفأس

الفأس وكسر الكل الا الكبير لهم وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان فعلق الفأس
في عنقه فجعلهم جذاذا قطعا فعال بمعنى المفعول وقرأ الكسائي بالكسر وهما لغتان وقيل
بالكسر جمع جذيذ كخفاف وخفيف والضم اكثر كحطام ورفات الا كبيرا لهم للاصنام
لعلهم اليه يرجعون الى ابراهيم فانه المنفرد بعداوتها فيبكتهم بها او الى الكبير فانه كبير
المعبودين ورئيسهم فيبكتهم ايضا وجعل الضمير له بعيدا ولا فايدة في القاء الكبير حينئذ
قالوا حين رجعوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين بجراءته وهتك ما كان
يجب توقيره او بتوريط نفسه قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم الفعل الاول
مع فاعله مفعول ثان لسمعنا والثاني صفة فتى ورفع ابراهيم على انه نايب عن
فاعل يقال لان المراد به الاسم لا المسمى وقيل خبر مبتدا محذوف وقيل منادى
قالوا فأتوا به على اعين الناس بمرأى منهم وايثار على للمبالغة في تحقيق الرؤية
شبه ثبوته وتمكنه في اعينهم بتمكن الراكب من المركوب لعلهم يشهدون عليه انه
انكر او يشهدون عقوبته ان ثبت انه الفاعل قالوا اانت فعلت هذا بآلهتنا
يا ابراهيم الاستفهام للتقرير او هو على اصله والاضراب الى قوله قال بل فعله كبيرهم
هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون معناه ان السؤال لا وجه له اذ لا يصلح لهذا الفعل
غيري وهذا النوع من الكلام من الطف المعاريض اثبت لنفسه الفعل على الوجه
الابلغ متضمنا فيه الاستهزاء والتضليل او هو من الاسناد الى السبب فانه لما كان
غيظ كبيرها اشد عليه واكبر تسبب ذلك لحطم البواقي او هو حكاية لما يلزم مذهبهم
كانه قال من يكون الها يجب ان يقدر على هذا واعظم روي انه لما سئل قال فعله
كبيرهم غيظا من الصغار لعدم رضاه بالاشراك معه اشارة الى ان الصنم الكبير اذا
لم يرض بالاشراك فكيف يرضى خالق الكاينات فرجعوا الى انفسهم فقالوا انكم
انتم الظالمون باتخاذ هذه الجمادات معبودا لا من ظلمتموه ثم نكسوا على رؤسهم لقد
علمت ما هؤلاء ينطقون النكس جعل اسفل الشيء اعلاه والمعنى انحرفوا عن تلك
الفكرة الصالحة الى ما كانوا عليه من الضلال بانا علمنا انها لا قدرة لها ومع ذلك
اتخذناها اربابا او رجعوا عن الجدال الباطل الى الجدال بالحق لان قولهم لقد علمت
ما هؤلاء ينطقون اقرار بعدم الالهية وانما عبر عنه بالعكس وان كان حقا لانه خلاف
معتقدهم او النكس عبارة عن غاية اطراقهم رؤسهم خجلا وقولهم لقد علمت ما هؤلاء
ينطقون كلمة حيرة الزموا بها وان كانت حجة عليهم او عن الرجوع عن الجدال عنه في قوله
انكم انتم الظالمون الى الجدال معه بالباطل في قولهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون و
جوابه وهو قال اتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم معللا بما ينافي الالوهية
يؤيد الوجه الاول اف لكم ولما تعبدون من دون الله اف صوت اذا صوت به
علم ان المصوت متضجر واللام للتبيين اي تضجرت لكم قرأ ابن كثير وابن عامر بفتح الفاء

ونافع وحفص بالكسر منونا للتنكير المقيد للتعظيم والباقون بالكسر غير منون لان اصل
بنائه السكون والكسر اصل في تحريك الساكن افلا تعقلون قبح فعلكم قالوا حرقوه
بالنار اذ لا يتصور عذاب فوقه قال صلى الله عليه وسلم لا يعذب بالنار غير الله لعظمه
اختص بمن لا اعظم منه وانصروا الهتكم عطف تفسيري ان كنتم فاعلين ان نصروا
الهتكم كني عنه بالفعل مبالغة هذا داب المحجوج اذا انخزلت حجته وافتضح ياخذ في
المناصبة تاركا عن المعارضة والمشير بالاحراق نمرود وقيل رجل من اعراب فارس
قيل حبسوه شهرا حتى جمعوا حطبا كثيرا واججوا له نارا يكاد يحترق الطير في الجو من وهجها
قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم اما كلمها على سبيل الظاهر او مجاز عن تعلق ارادته
وعن ابن عباس رضي الله عنه لو لم يقل سلاما لاهلكته بالبرد وكانه اخذه من تنوين
العظمة وحمل المصدر واخراج النار عن طبعها خلاف المعتاد فاما ان يكون على الاطلاق
او يختص بمن خصت به وهو ابراهيم ويبقى في غيره على اصلها وعلى الوجهين معجزة له
او ارهاص لنبوته وقيل انه كان عمره ست عشرة سنة وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين
لانقلاب الحجة في المعارضة عليهم وضلال سعيهم في القاء النار واستحقاقهم عذاب
الاخرة ونجيناه ولوطا الى الارض التي باركنا فيها هي الارض المقدسة للعالمين
كافة لانها موطن الانبياء منها انتشرت شرائعهم التي هي مبادي الكمالات الدينية
التي بها نيط بقاء الخيرات الدنيوية وهي محشرهم يوم المعاد وقيل ما من ماء عذب
الا واصله من تحت الصخرة ووهبنا له اسحق لما دعا وطلب الولد بقوله هب لي من
الصالحين ويعقوب نافلة ولد الولد فانه عاش حتى راه او زيادة على سؤاله من
النفل وهو الزيادة ومنه نوافل الطاعات لزيادتها على الفرائض وكلا جعلنا
صالحين للنبوة او صالحين في الدين كاملين وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا ناسهم
مكملين بعد الكمال واوحينا اليهم فعل الخيرات بان يحثوا الناس عليها تكميلا للقوة
النظرية والعملية واقام الصلوة وايتاء الزكوة من عطف الخاص على العام وحذف
التاء من الاقامة لقيام المضاف مقامها وكانوا لنا عابدين لا غير ذكره تنبيها
على شرف العبادة كوصفهم بالصلاح ولوطا نصب على شريطة التفسير اتيناه حكما
وعلما حكمة او نبوة او فصلا بين الخصوم ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث
من الكفر واتيان الذكور وعدم النهي عن المنكر والتضارط في النادي وحذف المارة
بالحصى وصفها بوصف اهلها لقوله انهم كانوا قوم سوء فاسقين وفي اضافة القوم
الى السوء مبالغة كما في رجل صدق وادخلناه في رحمتنا في اهل رحمتنا او في الجنة
لانها محل الرحمة روى ابو هريرة ان رسول الله قال حاجت النار الجنة فقال الله للجنة
انت رحمتي ارحم بك من اشاء انه من الصالحين الذين صلحوا للكرامة ونوحا اذ نادى
من قبل من قبل المذكورين لاهلاك قومه رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا فاستجبنا له

دعاءه

دعاءه فنجيناه واهله من الكرب العظيم من الطوفان وما كان فيه من تكذيب
قومه ونصرناه جعلناه منتصرا من القوم الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوم سوء
فاغرقناهم اجمعين لم ينج الا هو وذريته لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين وداود
وسليمان اذ يحكمان في الحرث في الزرع اذ نفشت فيه غنم القوم رعته ليلا
بلا راع واصل النفش التفرق ومنه نفش القطن وكنا لحكمهم لحكم المتحاكمين والحاكمين
وانما صح وانما نسبة الفعل الى الفاعل بالقيام والى المفعول بالوقوع ارادة المطلق
والاختصاص شاهدين حاضرين علما ففهمناها سليمان الضمير للحكومة حكم داود
بالغنم لصاحب الحرث فقال سليمان غير هذا ارفق بهما وكان عمره اذ ذاك احدى
عشرة سنة فقال داود وكيف يا بني قال ارى يا نبي الله ان تدفع الغنم الى اهل الحرث
ينتفعون بالبانها واصوافها والحرث الى ارباب الغنم يقومون عليه حتى يعود ثم
يترادان فامضى داود حكمه لان حكم داود كان ايضا بالاجتهاد والحمل على انه حكما
بالوحي بعيد لكون سليمان صغيرا دون البلوغ وفي لفظ فهمناها اشارة الى ان
ذلك كان بالاجتهاد فان قلت كيف نقض اجتهاد سليمان اجتهاد داود وقد
ذكر الفقهاء ان نقض الاجتهاد بالاجتهاد غير جائز قلت لم يكن هناك نقض بل
ذلك من توافق الاجتهادين ورجوع داود كما رجع ابو حنيفة عن كثير من اقاويله في قول
صاحبيه بعد ظهور الدليل والقول بان كلا الحكمين كان صوابا وحكم سليمان اصوب غير
سديد ونظير قول داود ما قال ابو حنيفة في العبد الجاني يدفعه المولى بذلك او يفديه ونظير
قول سليمان ما قال الشافعي في العبد المغصوب اذا ابق من يد الغاصب لغرم القيمة
للحيلولة فاذا ظهر العبد يترادان واما حكم المسئلة في شرعنا فابو حنيفة لا يوجب الضمان
الا اذا كان صاحب الدابة معها لقوله صلى الله عليه وسلم جناية العجماء جبار والشافعي
يفرق بين الليل والنهار يوجب الضمان بالليل لان المعتاد ضبط الدواب ليلا ولذلك
قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالضمان لما دخلت ناقة البراء حائطا وافسدته وقال
على اهل الاموال حفظها بالنهار وعلى اهل الماشية حفظها بالليل وكلا اتينا حكما وعلما
مدح لهما بعد ان قدم ان الحق ما قاله سليمان ودلالة على ان المجتهد وان اخطأ ممدوح
لبذله الوسع اجتهد واصاب فله اجران ومن اخطأ فله اجر واحد وسخرنا مع داود الجبال
يسبحن اذ سبح كما سبحت الحصى في يد رسول الله وكما حن اليه الجذع وقيل يسبح بمعنى
سار من السباحة اي يسرن معه حيث سار وفيه بعد وعلى الوجهين اما حال او استئناف
والطير عطف على الجبال او مفعول معه وكنا فاعلين مثل ذلك وان كان بديعا عندكم
اوكنا نفعل مثل هذه الكرامات مع الانبياء وعلمناه صنعة لبوس لكم صنعة الدرع
عن قتادة كانت قبله صفائح الحديد فاول من سردها وضم الحلق بعضها على بعض
داود فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم من باسكم بدل الاشتمال من لكم قرأ ابو بكر بالنون

مسند اليه تعالى وابن عامر وحفص بالتاء مسندا الى ضمير الصنعة او اللبوس بتأويل
الدرع والباقون بالياء مسندا الى ضمير اللبوس وهو الظاهر لكونه حقيقة من غير تأويل
فهل انتم شاكرون بل انتم تشكرون لان اصل دخول هل على الفعل فالعدول عنه
لابراز ما يتجدد في صورة الثابت فكان اول على طلب الشكر ولسليمان الريح اي وسخرنا له
وزيادة اللام هنا دون الاول لان نفعه عائد الى سليمان بخلاف تسبيح الجبال والطير
عاصفة شديدة الهبوب ولا ينافي وصفها بالرخاء وهي اللينة لانها كانت عاصفة في عمل
غدوها شهر ورواحها شهر وفي نفسها رخاء لا تزعزع بل تسير على وفق مراده وكان ذلك
اية الى اية ومعجزة مع معجزة تجري بامره كيف يشاء حال ثانية الى الارض التي باركنا فيها
يعني الشام فانه كان يقيم بها وكنا بكل شيء عالمين فنعلم انه اهل لذلك الاكرام ولذلك
وصفه بكونه عبدا شكورا ومن الشياطين من يغوصون له في البحار ويستخرجون له الجواهر
النفيسة من موصوفة عطف على الريح او مبتدأ خبره ما قبله ويعملون عملا دون ذلك
ويتجاوزون الى اعمال اخر كبناء القصور واختراع الصنائع البديعة وكنا لهم حافظين
ان يوجد منهم فساد او زيغ عن امره او خروج عن طاعته وايوب اذ نادى ربه اني مسني
الضر قيل كان روميا من ولد عيص بن اسحق استنبأه الله تعالى وكثر ماله وولده
ثم هدم البيت على اولاده وذهبت امواله وابتلي بمرض في بدنه حتى اكلت الدود لحمه وبلغ
عظامه واستمرت المرض ثماني عشرة سنة او ثلث عشرة سنة او سبعا وسبعة اشهر وسبع
ساعات روي ان امرأته قالت له لو دعوت الله فقال لها كم كانت مدة الرخاء
فقالت ثمانين سنة فقال استحيي ان اسأله وما بلغت مدة بلائي مدة الرخاء فان قلت
فكيف سأله قلت روي ان الدود اكلت لحمه حتى دخلت الى قلبه فخاف ان تبلغه
فلا يقدر على ذكره تعالى والضر بالضم ما يلحق الجسم من سوء الحال والضر بالفتح يشمل كل
ضرر وانت ارحم الراحمين الطف في السؤال حيث ذكر مس الضر نفسه وربه بغاية
الرحمة ولم يصرح بالمطلوب روي ان عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت
يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي فقال لطفت لاجعلها تثب وثب الفهود
وملأ بيتها حبا فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر واتيناه اهله ومثلهم معهم احيى الله اولاده
ورزقه ضعفهم كذا عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما وقيل ولد له ضعفهم
رحمة من عندنا على ايوب وذكرى للعابدين وموعظة للعابدين بعده ليصبروا
كما صبر فيثابوا به الاجر وحسن العافية واسمعيل وادريس وذا الكفل هو الياس او يوشع
بن نون سمي بذلك لكونه ذا حظ من الله تعالى وقيل لكون عمله كان ضعف عمل الانبياء
في زمانه وقيل هو زكريا لانه كفل مريم او الكفل يحيى لانه رزق في غير اوانه قيل خمسة من
الانبياء لهم اسمان اسرائيل ويعقوب والياس وذو الكفل وعيسى والمسيح ويونس
وذو النون ومحمد واحمد كل من الصابرين على التكاليف ومشاق النوائب وادخلناهم في رحمتنا

في النبوة

في النبوة انهم من الصالحين لها او كاملين في الصلاح لعصمتهم اولئك عليهم
لقيامهم بما اورثهم ذلك وذا النون هو يونس بن متى اذ ذهب مغاضبا لقومه لما
سئم من طول دعوتهم وشدة شكيمتهم قبل ان يؤمر وقيل وعدهم بالعذاب ان لم
يؤمنوا فابوا فخرج من بينهم فتابوا الى الله وامنوا فكشف الله عنهم العذاب فجاء بعد
ثلث فنظر فرآهم على حالهم ولم يعلم بتوبتهم فاستمر واستحيا فظن ان لن نقدر عليه
من القدر وهو الضيق ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما اتاه الله او مثل حاله بحال
من ظن ان لا نقدر عليه بجامع استقلاله وعدم انتظاره لامرنا والقول بجواز ان
يكون ذلك خطرة شيطانية سبقت الى وهمه خطأ لا يجوز اعتقاده وقياسه على قوله
وتظنون بالله الظنونا باطل واطلاق الظن على الخطرة وان صح الا ان المحل ابي عنه
ولو سلم كيف تعاتب على الخطرة التي لا اختيار فيها فنادى في الظلمات في الظلمة
الشديدة كقوله شعر وليل يقول الناس في ظلماته سواء صحيحات العيون وعورها او ظلمة
بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع ذلك الحوت حوت اخر ان لا اله الا انت
انه لا اله الا انت سبحانك ان يعجزك شيء تحني ان كنت من الظالمين واخلا
في عدتهم بالمهاجرة من غير امرك فاستجبنا له عقيب الاعتراف ونجيناه من الغم
الذي كان فيه وكذلك ننجي المؤمنين من الشدائد والغموم اذا دعونا واخلصوا وعنه
صلى الله عليه وسلم ما دعا بها مكروب الا اتاه الفرج قيل لبث في بطنه اربع ساعات وقيل
ثلثة ايام وقرأ ابن عامر وابو بكر نجي بنون مضمومة وجيم مشددة على ان اصله ننجي مضارع
نجى ادغمت النون في الجيم لتجانسهما في الانفتاح والاستعلاء والجهر كما في اجاص واجانة
وعن ابي عبيد هو مضارع نجي حذفت النون الثانية لاجتماع المثلين مع تأتي الادغام
وعليه الرسم وقد صح النقل تواترا والتصحيح الوجه فالقادح مباهت وزكريا اذ نادى ربه
رب لا تذرني فردا وحيدا بلا ولد يرثني وانت خير الوارثين فلا ابالي ان لم ارزق ولدا
فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه بعد ان كانت عاقرا او اصلحنا خلقها لانها
كانت سيئة الخلق وتقديم يحيى وان كان متأخرا عن اصلاحها لانه المقصود انهم
الانبياء المذكورين كانوا يسارعون في الخيرات يبادرون اليها ويدعوننا رغبا ورهبا
راغبين راهبين قدم الرغبة ترجيحا لجانب الرجاء وكانوا لنا خاشعين دائم
الوجل الخشوع فعل القلب والخضوع فعل الجوارح وعن الاعمش سألت عنه ابراهيم
فقال هو بين المرء وبين الله اذا ارخى ستره واغلق بابه والمعنى انهم نالوا من رفعة
المحل والكرامة انما نالوه بهذه الخصال ويجوز ان يكون هذه الاوصاف لزكريا ويحيى
ووالدته تتقدم سائر الانبياء مع اوصافها والتي احصنت فرجها ذكرها بين هؤلاء
الكمل وايثار لفظ الاحصان الدال على كمال التحفظ ينادي على عظم شأنها وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه لما سأل فاطمة رضي الله عنها عن طعام الصبح عندها من اين لك

هذا قالت هو من عند الله الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء العالمين
فنفخنا فيها من روحنا فنفخنا في عيسى في بطنها من الروح الذي هو من امرنا او من
جهة روح القدس وهو جبرئيل اضافه اليه تعالى تشريفا له وجعلناها وابنها آية
للعالمين جنس الآية لان فيهما آيات كثيرة او آية قائمة بهما والبواقي تخص بهذا
او بتلك ان هذه امتكم فعلة بمعنى المفعول لانها تطلب قال وحل يستوي
وذوامة وكفور اشارة الى ملة الاسلام وان لم يتقدم ذكرها لكونها مصورة في الاذهان
ولكمال تميزها لم يوصف اسم الاشارة امة واحدة غير مختلفة بين الانبياء يريد العقائد
دون الفروع التي تتطرق اليها النسخ والتبديل وانا ربكم فاعبدون كان الظاهر
انا الهكم لانه رتب عليه العبادة الا انه آثر لفظ الرب اشارة الى ان دعاهم الى
العبادة تربية لهم ودعاهم بلسان اللطف والبسط وتقطعوا امرهم بينهم وتقسموا امر
دينهم كما يتقسم الشركاء كل يأخذ نصيبا غير نصيب الآخر صرف الكلام من الخطاب الى الغيبة
ابعادا لهم كأنه نعى عليهم صنعهم الى مخاطب آخر وقال انظر الى هؤلاء اي دين افسدوه
واي ضلال ارتكبوه بعد ذلك الارشاد وهذا ابلغ من قوله فتقطعوا بالفاء في سورة
المؤمنين لمجيء الواو للمقارنة ولذلك امرهم بالعبادة وهناك بالتقوى اشارة الى بعد
هؤلاء عن تلك الرتبة كل الينا راجعون فنجازيهم على حسب اعمالهم فمن يعمل من
الصالحات بعضها بعد ذلك التفرق وهو مؤمن اذ بدونه لا يعتد بعمل فلا كفران
لسعيه مثل في حرمان الثواب فان قلت لم ذكر فمن يعمل هنا بالفاء وقد ذكر في السورة
السابقة بالواو قلت لانه ذكر ان بعد ذلك التفرق من عمل صالحا لا يضيع اجره وهناك
ابتداء الكلام ترغيبا بعد اهوال القيمة وانا له كاتبون نكتبه حفظنا وحرام على قرية اهلكناها
عزمنا على اهلاكها وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر حرم بكسر الحاء وسكون الراء وهما لغتان
انهم لا يرجعون الى التوبة لان مراده واقع لا محالة او اهلكناها بالفعل والمراد رجوعهم
الى الدنيا كذا عن ابن عباس وقيل للجزاء ولا صلة على الوجوه والوجه هو الاول لقوله
حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج فانهم في ذلك اليوم يرجعون الى التوبة وحتى هي التي
يحكى بعدها الجملة لا تكون الا ابتدائية وقرأ ابن عامر فتحت مشددا وعاصم الاسمين
بالهمز وامالهما الاصل ان كانا عربيين او جارية مجراها ان كانا عجميين وهم من كل
حدب مرتفع من الارض ينسلون يسرعون من النسلان يقال نسل وعسل اذا
اسرع قيد الحدب لان الاسراع فيه اظهر قيل هم تسعة اعشار بني آدم واقترب الوعد
الحق قيام الساعة فان خروجهم بعد عيسى عليه السلام فاذا هي شاخصة ابصار الذين
كفروا الشخوص البصر ارتفاع اجفانه من شدة الخوف والضمير للقصة تفسره الجملة او مبهم
يفسره الابصار والجملة جزاء الشرطية واذا المفاجأة وان قامت مقام الفاء الا انها اذا
تظاهرتا على ربط الجزاء يكون الاتصال اكد وتوهم اجتماع البدل والمبدل ساقط لان اذا

يراد بهما

٢٠٤

يراد بها معناه فلم تمحض بدلا يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا لم نعتقد بالقول بل كنا
ظالمين اضراب الى ما هو اقبح وهو الاخلال بالنظر انكم وما تعبدون من دون الله
يعني الاصنام وابليس واعوانه لما روي ان رسول الله لما تلاه على كفار قريش قال له
ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة عبد عزير والمسيح وعبد بنو مليح الملائكة فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما عبدوا الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى
ان الذين سبقت لهم منا الحسنى وقيل لما قال له ابن الزبعرى ما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما اجهلك بلغة قومك ما لما لغير ذوي العقول حصب جهنم
عن ابي عبيدة كل ما يلقى في النار حصب من حصبت الشيء اذا رميته بالحصباء انتم لها
واردون لا لغيرها بخلاف المؤمن فانه وان وردها فهو بالعرض لو كان هؤلاء آلهة
كما زعمتم ما وردوها اذ لا يعقل ورود الاله على النار وكل من العابد والمعبود فيها
خالدون كانوا يرجون منها الشفاعة فاذا وجدوا الامر بالعكس لم يكن عليهم عذاب
اشد من مقارنتهم لهم فيها زفير اغتراق نفس من تراكم العذاب كالمخنوق او
هو صوتهم وعويلهم شبه بصوت الحمير فان الزفير اوله وهم فيها لا يسمعون لانهم
يجعلون في توابيت لئلا يرى بعضهم بعضا ولا يسمع صوته وهذا بعد اليأس لقوله
ونادوا يا مالك وقولهم ربنا اخرجنا منها ان الذين سبقت لهم منا الحسنى السعادة
او البشرى تأنيث الاحسن لم يعطف القصة لئلا يشعر بالتبعية اولئك عنها مبعدون
عن النار لا يسمعون حسيسها حال او استئناف لبيان البعد والحسيس الصوت
الخفي وفيه دلالة على غاية البعد فان صوتها يسمع من مسيرة سبعين عاما وهم فيما
اشتهت انفسهم خالدون مستغرقون في النعم مع الخلود والذي هو رأس النعم
لا يحزنهم الفزع الاكبر هو عند النفخة الاخيرة لقوله ويوم ينفخ في الصور ففزع من في
السموات ومن في الارض وعن الحسن عند الانصراف الى النار وعن الضحاك عند
اطباق النار وقيل ذبح الموت وتتلقاهم الملائكة بالتبشير والاكرام هذا يومكم الذي
كنتم توعدون على لسان الرسل يوم نطوي السماء مقدر باذكر او ظرف لا يحزنهم
او تتلقاهم او حال مقدرة من العائد المحذوف من توعدون والطي ضد النشر
كطي السجل للكتب هو الكتاب الكسر وفي الحديث توضع السجلات في كفة ولا اله
الا الله في كفة والمراد به الطومار والمناسب للكتابة النشر الا ان الطي جعل كناية عن
تسويته له حتى اذا احتيج اليه لا يحتاج الى تسويته وقيل السجل اسم ملك يطوي سجل
الاعمال والقول بان السجل اسم كاتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم باطل وقرأ حمزة والكسائي
وحفص بضم الكاف والتاء والافراد اخف ويحصل به الغرض كما بدأنا اول خلق
نعيده جملة منقطعة عن الاول اي نعيد اول كل مخلوق ونوجده بعد العدم كما
اوجدناه سابقا كذلك والمعنى ان تحقق الاعادة مثل تحقق البداء فالمعاد هو الاول

وما كافة او مصدرية والكاف في محل النصب بيدانا تشبيها للاعادة بالبدا وان
جعلت موصولة اي نعيده مثل الذي بداناه فالمعاد هو المثل المطلوب هو العين
وعدا علينا نصب بنعيده لانه عدة بالاعادة انا كنا فاعلين لا محالة او قادرين
ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر في الكتاب الذي انزل على داود بعدان كتبنا في
التورية او في اللوح المحفوظ او في القران فان تاخر نزوله لا يقتضي تاخر الكتبة ويشير
الى ان الزبور مع كونه غير مشتمل على الاحكام بل هو تحميد وتمجيد لم يخل عن هذا الحكم
وقرا حمزة الزبور بضم الزا وهما لغتان او جمع زبر ان الارض يرثها عبادي الصالحون
امة محمد لقوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض او عامة
المؤمنين ان في هذا لبلاغا لموعظة وذكرى اسم بمعنى التبليغ او بمعنى الكفاية
قال شعر رح من وساك بالبلاغ لقوم عابدين همهم العبادة وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين سبب لاسعادهم ومن خالفك لا يلوم الا نفسه كمن منع نفسه
عن شرب الما حتى مات لا يقدح ذلك في كون الما به الحيوة وقيل كونه رحمة للكفار
لانهم نجوا به عن عذاب الاستيصال روي انه صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل قد سماني الله
رحمة للعالمين فهل اصابك منها شي قال والله اني او فرضيا لم ازل كنت وجلا حتى
اثنى علي في سورة التكوير وقد ختم سورة الانبيا بخاتمهم ليكون الختام مسكا قل انما يوحى
الي انما الهكم اله واحد اي ما يوحى الي الا ان لا اله لكم الا الله الموصوف بالوحدانية لمعنى ان
المقصود الاصلي والمقصود الاقصى هو ذلك فعلي انما قصر الصفة على الموصوف وفي انما بالعكس
وان في ليس كليا بل من المقام لقوله وظن داود انما فتناه فهل انتم مسلمون بعد هذا
الوحي المصدق بالحجة وفيه ان التوحيد يصح اثباته بالسمع فان تولوا عن التوحيد فقل
اذنتكم على سواء اعلمتكم من اذن بمعنى علم وقد شاع استعماله في معنى الانذار والمعنى بعد
توليكم فقد اعلمتكم اعلاما شافيا وافيا انتم مستوون فيه ان الغلبة والعاقبة للمسلمين
لا محالة وان ادري اقريب ام بعيد ما توعدون وما ادري متى يكون ذلك لان الله
لم يطلعني عليه وقيل اعلمتكم اي على سواء اي عدل وتوحيد انه يعلم الجهر من القول ويعلم
ما تكتمون فهو مجازيكم على ذلك وان ادري لعله فتنة لكم لعل تاخيره ابتلاء لكم وامتحان
لينظر كيف تعملون ومتاع الى حين الى وقت اقتضته مشيته قل رب احكم بالحق
اسأله انجاز ما وعدك من الوعد الثابت الذي لا خلف فيه وقد فعله يوم بدر رافعايه
قائلا انشدك وعدك حتى سقطت رداؤه وقرا حفص قال اخبارا عن فعله وربنا
الرحمن المستعان على ما تصفون من ان الغلبة لكم وان راية الاسلام تخفق اياما ثم تسكن
تسنون بذلك انفسكم الاماني معرضين عن الذكر لاهية قلوبكم اتصلت المخالة بالفاتحة
والحمد لله حق حمده ما سعد السحاب برعده سورة الحج مكية الا ست ايات من هذان
خصمان الى قوله صراط الحميد وهي ثمان وسبعون اية بسم الله الرحمن الرحيم

يا

يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شي عظيم الزلزلة مضاعف من الزليل
وهو انتقال الشي من مكان الى آخر والمراد بها شدة تحريك الارض وانتقال الاشيا
عن مقارها ومراكزها واضافتها الى الساعة على طريقة المجاز الحكمي او للاتساع في
المفعول فيه واجرائه مجرى المفعول به كقوله بل مكر الليل والنهار واختلف في
وقتها فعن الحسن انها يوم القيمة عن علقمة والشعبي ان ذلك عند طلوع الشمس من
مغربها والاضافة الى الساعة لانه من اشراطها علل الامر بالتقوى بها لما فيها من
الهول حثا على التدرع بلباس التقوى الذي هو الملجأ والمنجا في الشدايد ومن
يتق الله يجعل له مخرجا يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت يوم نصب بتذهل
والذهول الذهاب عن الشي بدهشة آثر مرضعة على مرضع لارادة الحدوث لانها اذا
ذهلت حال الارضاع ملقمة ثديها للرضيع كان الامر في غاية الشدة وما موصولة او مصدرية
وتضع كل ذات حمل حملها في غير اوان الولاد وترى الناس سكارى ظاهرا وما هم
بسكارى حقيقة ولكن عذاب الله شديد فلذلك ذهب عقلهم وطار تميزهم وقرا
حمزة والكسائي سكرى على وزن فعلى وهو مطرد في عاهات البدن كمرضى وحمقى وعن
الفرا جمع سكر كزمن وزمنى والمختار قراءة القوم لان فعالى قياس جمع فعلان
ككسالى ولاجماعهم في لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى ومن الناس من يجادل
في الله بغير علم نزلت في النضر بن الحارث كان جدلا يسافر الى العجم ويتعلم من
اقاصيصهم ويتبع في مجادلته كل شيطان مريد متجرد عن الخير اصل المرودة الملاسة
يقال غصن امرد لا ورق عليه كتب عليه انه من تولاه فانه يضله مثل وتصوير
كان من يتولاه مكتوب عليه اضلاله ويهديه الى عذاب السعير يوصله اليه استعارة
تهكمية يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث في امكانه فانا خلقناكم من
تراب هو خلق آدم لقوله خلقه من تراب ثم من نطفة من مني من النطف
وهو الصب ثم من علقة قطعة دم جامد ثم من مضغة قطعة لحم قدر ما يمضغ فعلة
بمعنى المفعول مخلقة وغير مخلقة خالية عن العيب والنقص وغير خالية يقال
خلق السواك اذا سواه وجعله املس وعلى ذلك الاصل التفاوت بين افراد الناس
طولا وقصرا تماما ونقصانا والمعنى ان ارتبتم في شان البعث فانظروا في هذه
المقدمات ليتبين لكم العلم الجلي بحيث لا تبقى لكم شائبة ريبة عن انس ابن مالك
ان الله وكل بالرحم ملكا يقول يا رب نطفة يا رب علقة يا رب مضغة فاذا اراد
ان يقضي خلقه قال اذكر ام انثى شقي ام سعيد فما الرزق والاجل فيكتب في بطن
امه لنبين لكم بهذا التدريج كمال قدرتنا اذ في كل انقلاب ايات شاهدة بذلك
وايراد الفعل غير معدى الى مفعول اشارة الى ان فعله هذا يتبين به من كمال علمه
وقدرته ما لا يمكن الاحاطة به ونقر في الارحام ما نشاء ان نقر عطف على انا خلقناكم

والعدول الى المضارع لتصوير الحال والدلالة على زيادة الاختصاص الى اجل مسمى
الى وقت ولادة واقله ستة اشهر والاغلب تسعة اشهر ونهايته سنتان عند ابى
حنيفة واربع عند الشافعى ثم نخرجكم طفلا حال من المفعول ووحد فيه الذكر والانثى والمفرد
والجمع قال او الطفل الذين لم يظهروا ثم للترقى رتبة كانه قيل ثم نخرجكم بعد تلك الاطوار
الخفية انشاء بديعا انشانا فى احسن تقويم ثم لتبلغوا اشدكم معلله محذوف
اى ذلك الاقرار والاخراج لتبلغوا الاشد فانه اوان الاستكمال علما وعملا فهو
حقيق بان يكون المقصود من الاقرار والانشاء اللذين هما له كالمقدمة للنتيجة
ولذلك اسندهما الى ذاته المقدسة دونه والاشد تقدم معناه فى يوسف ومنكم من
يتوفى من لا يصل الى بلوغ الاشد ومنكم من يرد الى ارذل العمر الى ان يهرم ويخرف
يستوفى الاقسام بعد الاخراج كما استوفى الاقسام قبله وقدمها نظرا الى الوجود
او لانها ادل على البعث فان قلت لم طوى ذكر الشيخوخة هنا وقد ذكرها فى سورة
المؤمن حين عد اطوار الانسان بعد الاخراج قلت الرد الى ارذل العمر لا يكون بدون
التنحى ورعنها ولم يكن مقصودا كلتا فلما ذكرها هناك لم يبعد ذكرها كما ان الاخراج
طفلا لما لم يكن الا بعد المضغة وقد ذكرها هنا طوى ذكرها هناك كما هو شان
الكلام المعجز فى اشاراته ورموزه لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ليعود الى ما كان عليه
حال الطفولية ضعيف البنية سخيف العقل يشير الى انه قادر على الاشياء واضدادها
على السواء فتارة ترقى الانسان فى مدارج الارتقاء الى اوج الكمال وتارة ينزله
الى حضيض النقصان ودرك الوهاد ولما استوفى ادلة الانفس التى هى اقرب
اخذ ادلة الآفاق وترى الارض هامدة لا نبات بها من همدت النار اذا خمدت
فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت تحركت بالنبات وربت وانتفخت وانبتت
من كل زوج من كل صنف الاسناد الى الارض اسناد الى المحل بهيج ذى حسن وبهاء
من بهج بالضم ذلك المذكور من خلق بنى آدم وما بعده على النمط المذكور بان
الله هو الحق الثابت الوجود وانه يحيى الموتى وانه قادر على احياء الموتى وانه على
كل شىء قدير لاشتراك الامكان واستواء نسبة القدرة وان الساعة آتية لا ريب فيها
لان الصادق قد اخبر بوقوعها وقيل لان التغير دليل الانصرام وفيه ان الجنة
والنار حادثتان متغيران ولا انصرام لهما وان الله يبعث من فى القبور بمقتضى
وعده وزبدة الكلام انما كان ذلك لانه تعالى حق قادر حكيم لا يخل بمقتضى الحكمة
بل لمميز بين الطائع والعاصى والمحق والمبطل فاتيان الساعة وبعث من فى
القبور من روادف الحكمة ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم هو النضر بن
حارث والتكرير للتاكيد كعادة الاقاصيص مع ما زيد من قوله ولا هدى ولا كتاب
منير وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو ابو جهل وقيل الاولى فى المقلدين وهذا فى المقلدين

يؤيده

يؤيده ذكر الاتباع هناك والمراد بالعلم العلم الضرورى وبالهدى النظر والاستدلال
الموصل الى العلم والكتاب المنير الوحى ثانى عطفه كناية عن التكبر والاعراض
عن الحق ليضل عن سبيل الله قرأ ابن كثير وابو عمرو بالفتح وانما جعل جداله خروجا
من الهدى وان لم يكن قط فى شىء منه لتمكنه منه والمختار الضم لقوله وصدوا عن سبيل الله
ولان المختار انها فى المقلدين وهم الرؤساء المضلون له فى الدنيا خزى قتل واسر
ونذيقه يوم القيمة عذاب الحريق الاحراق او النار العظيمة ذلك بما قدمت يداك
من الكفر والمعاصى يقال له ذلك او التفت اليه ليكون التوبيخ كفاحا وان الله ليس
بظلام للعبيد بان يعذب من لا جرم له بناء على ما جرت به سنته ومن الناس من
يعبد الله على حرف شبه حال من لم يطمئن قلبه بالايمان بحال من يكون على طرف
العسكر فى المحاربة فان رأى نصرة وظفرا قر والا فر بقوله فان اصابه خير اطمان به وان
اصابته فتنة انقلب على وجهه عن ابن عباس رضى الله عنه كان الرجل يقدم المدينة
فان ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال هذا دين صالح وان لم تلد امرأته ولم تنتج
خيله قال هذا دين سوء خسر الدنيا والآخرة لانه ارتد لفقد الدنيا ذلك هو الخسران المبين
الجلى اذ لا خسران اظهر من خسران فاقد الدارين يدعوا من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه
اعاد الموصول مبالغة لدلالته على كل من الانتفائين استقلالا والعطف من قبيل الصفات
ذلك هو الضلال البعيد البعد وصف الضال وصف به فعله مبالغة يدعو لمن ضره اقرب
من نفعه نفى الضر والنفع عن الاصنام اولا لانها جمادات لا ادراك بها اثبت كونها سببا
للضر المحقق فى الدنيا والآخرة وهى بمعزل عن النفع الذى كان يترقب منها ويدعوا
بمعنى الزعم والاعتقاد واللام معلقة له او بمعنى القول والجملة بعده محكية والمعنى يقول
الكافر اذا رأى حرمانه من نفعها وقرن معها والقى فى النار لمن ضره اقرب من نفعه
او يدعو تكرير كانه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره ولا ينفعه ثم استانف مخبرا
لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشير فان قلت لا نفع فى الاصنام بوجه
فما معنى الاقربية قلت هذا ونظايره من باب المجازات بناء على زعم الخصم ان الله
يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار ان الله يفعل ما يريد
لا مانع لقضائه ولا يسأل عما يفعل من كان يظن ان لن ينصره الله لما ذكر المجادل
بالباطل بانه لا دليل له نظرية ولا وحى سماوى وبين ماله فى الآخرة اتبعه بذكر من يجادل
عن دين الله بادلة قاطعة وبراهين صادقة وهو الرسول المؤيد اختصر الكلام واشار
اليه بالضمير دلالة على انه العلم المرفوع الذى لا يشتبه وان الكلام معه وله وفيه وان
غيره وان ذكر فالتبع والعرض فى الدنيا والآخرة فليمدد بسبب الى السماء الى سقف
بيته ثم ليقطع ليختنق من قطع اذا اختنق فالمختنق يقطع مجارى نفسه وفى الحديث
اصاب ابن عمر قطاع اى ضيق نفس او فليمدد بحبل الى السماء المظلة فليقطع الوحى

ان ازل عليه وزيدته ان من نغيظ نصره واعلا شانه فليستقص وسعه وليستفرغ جهده
فلينظر فليتأمل هل تذهبن كيده احتياله ما يغيظ وقيل الاية نزلت في طائفة من
المسلمين استبطؤا نصر رسول الله واظهروا القلق فالاية حث لهم على الصبر على اكد
وجه وقيل النصر الرزق من نصر الغيث الارض قال اذا دخل الشهر الحرام فجاوري
بلاد تميم وانصري ارض عامر وعلى هذا المعرض حث المؤمنين على الرضا بما قسم الله
لا كمن يعبد الله على حرف وكذلك انزلناه اي مثل ذلك الانزال في اثبات البعث
قاطعا وابطال الشبهة انزلناه سائر القرآن لاثبات الاحكام والمقاصد آيات بينات
واضحات وان الله يهدي من يريد ولارادة هدايته من يريد هدايته او زيادة هدايته
انزل القرآن كله كذلك ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس
والذين اشركوا افراد الصابئين بالذكر دل على انهم مخالفون للنصارى في عقايدهم
ان الله يفصل بينهم يوم القيمة بان لا يجمعهم في مكان واحد ولا يجازيهم جزاء واحدا
بل تفاوتهم بحسب تفاوت اعمالهم او يقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون ان الله
على كل شيء شهيد حاضر بعلمه لا يفوته الم تر ان الله يسجد من في السموات ومن في الارض
شبه تاتي من فيها وقابليته لاحداث ما اراده وتقتضيه حكمته فيه بادخل افعال المكلف
في الطاعة وادلها على الانقياد واذل الخضوع فوق السجود وتعفر اشرف الاعضاء ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من الله وهو ساجد وفي السجود تقبل شفاعته
في حق العصاة والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب خصها بالذكر لانها اشرف
الاجرام العلوية والسفلية بعد اولي العلم فاذا التفاوت فيستويها اولي وكثير من الناس
من جوز استعمال المشترك في المعنيين نظمه في سلك المذكورات المتناسقة واراد بالسجود
ما وضع الجبهة ومن لم يذهب الى ذلك اما ان يجعله مبتدا خبره محذوف وهو مثاب
او ما في معناه لدلالة مقابله عليه او مرفوعا بمضمر دل عليه الحال او يسجد المذكور ولالة معارم
او مبتدا ومن الناس خبره اي وكثير من الناس الذين هم ناس حقيقة وهم المتقون
اي كاين منهم او كرر كثير منهم مبالغة في تكثير من حق عليه العذاب كانه قيل وكثير
وكثير من حق عليه العذاب والسياق ياباهما لان الكلام لبيان كبريائه وانقياد
الكائنات له احوالا وافعالا وكثير حق عليه العذاب بابائه عن وضع الجبهة له تعالى
طاعة والقول بانه يجوز عطفه على الساجدين بالمعنى العام على معنى ان كثيرا من المسخر
لارادته حق عليه العذاب مع ركاكته يوجب تفكيك النظم ومن يهن الله بالشقاء
فما له من مكرم اشارة الى علة الطاعة والاباء من الفريقين ان الله يفعل ما يشاء
لامنه لصنعه وان اشتمل على حكمة هذان خصمان الخصم مصدر وصف به الفوج او
الفريق ولذلك قال اختصموا نظرا الى المعنى عن ابن عباس راجع الى الاديان
الستة روى البخاري عن ابي ذر رضي الله عنه انه كان يقسم انها نزلت في الذين بارزوا

يوم

يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرث وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن
عتبة وروي ايضا عن علي بن ابي طالب انا اول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة
يوم القيمة وقيل ان اهل الكتاب قالوا للصحابة نحن احق بالله منكم نبينا قبل نبيكم
وقال المؤمنون بل نحن لانا امنا بمحمد ونبيكم فنزلت في ربهم في شانه من صفاته
واحواله او في قربهم منه فالذين كفروا مطلقا وان كان السبب خاصا قطعت لهم
ثياب من نار اشارة الى وجه فصل الخصومة الذي اجمله في قوله ان الله يفصل بينهم
وتقطع الثياب من النار بان يجعل الله النار محيطة بهم طبقات كما كانوا يلبسون
في الدنيا ثياب الخلل وتنكير النار للتهويل يصب من فوق رؤسهم الحميم الماء
الحار لانه الصق واشد نفوذا في الاعماق يصهر به بذلك الحميم اي يذاب ما في بطونهم
من الاحشاء والجلود وفي تقديم ما في بطونهم على الجلود ايماء الى انهما من فرط حرارتها
تؤثر في الباطن قبل تاثيرها في الظاهر لان ذلك ارق واشد تاثيرا وهذا ابلغ من
قوله وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم لان الصب على الرؤس مخش من السقي والاذابة
ابلغ من التقطيع وما في البطون اعم من الامعاء ولهم مقامع من حديد سياط مختصة
بهم من القمع وهو الكف كلما ارادوا ان يخرجوا منها من النار من غم غم عظيم
بعثتهم اعيدوا فيها في النار في اماكنهم وركاتهم بعد قصدهم لان الاعادة رتبت
على الارادة لا الخروج او معنى الخروج هو الظهور لانهم يرتفعون مع اللهب الى ضحضاح
النار فيضربون بالمقامع فيهوون فيها وقيل لهم وذوقوا عذاب الحريق اسماعالهم
ما يكرهونه زيادة في العذاب من كل جهة اعاذنا الله منه بفضل رحمته ان الله يدخل الذين
امنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار قسيم لقوله فالذين كفروا
غير الاسلوب وصدر الجملة باسمه المقدس تنويها بشان المؤمنين واشارة لمحلهم
بان المباشر لذلك هو ذاته تعالى من غير واسطة ملك يحلون فيها حال مقدرة
من اساور جمع اسورة جمع سوار من ذهب بيان ولؤلؤا عطف على ذهب اي
اساور مركبة منهما وهو الترصيع وقرا نافع وعاصم بالنصب عطفا على محل من اساور
اي يحلون اساور ويحلون لؤلؤا وابدل ابو بكر الهمزة واوا والمختار الجر لفظا لرجحان اللفظ
على المحل ومعنى لان المرصع اجمل ولباسهم فيها حرير غير الاسلوب لانه المتعارف
وهدوا الى الطيب من القول هو الكلمة الشهادة وعن السدي هو القرآن وهدوا الى صراط
الحميد الى دين الله والحميد من اسمائه تعالى او المحمود في نفسه والمحمود عاقبته وقيل هدوا
الى الطيب من القول في الجنة مثل قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقولهم الحمد لله
الذي هدانا لهذا والوجه الاول اوجه لفظا ومعنى ان الذين كفروا ويصدون عن
سبيل الله دين الاسلام اثر في المعطوف المضارع للدلالة على الاستمرار والخبر محذوف
لدلالة الكلام عليه اي معذبون وجعله حالا خلاف المشهور في المضارع المثبت بالواو

والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والبادي وذهب اسحق
بن راهويه وابو حنيفة في احدى الروايتين استدلالا بالآية على عدم جواز بيع دور مكة
وذهب الشافعي الى الجواز لان المذكور الموصوف بالسواء المسجد ولما رواه البخاري
عن اسامة قلت يا رسول الله اتنزل غدا بدارك فقال وهل ترك لنا عقيل من دار
ولما ثبت ان عمر اشترى دارا من صفوان بن امية باربعة آلاف وجعلها سجنا ولا
دلالة للآية على عدم الجواز لان المذكور هو المسجد وسواء مصدر بمعنى مستو مفعول
ثان لجعلنا ورفعه حفص على انه خبر العاكف والجملة في محل النصب مفعولا ثانيا او العاكف
مرتفع به وان جعل للناس مفعولا ثانيا فالنصب على الحال والعاكف المقيم والبادي
الآفاقي ومن يرد فيه حذف مفعوله لارادة العموم اي اي مراد كان بالحاد ملتبسا به
وهو العدول عن الحق من اللحد وهو الميل وفي الحديث هو احتكار الطعام فيه والظاهر
انه سبب النزول لعدم المراد لما روي ان ابن عمر كان له فسطاطان احدهما في
الحل والآخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله خرج الى الحل فقيل له في ذلك فقال
كنا نتحدث ان قول الرجل بلى والله ولا والله في الحرم من الالحاد وقيل لم يعلق الوعيد
في نص على ارادة ما نهى عنه الآية بظلم حال ثان او بدل عن الاول باعادة الجار او
صلة له اي بسبب ظلم كالشرك واقتراف الآثام نذقه من عذاب اليم جواب من
واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت اي واذكر لقومك ذلك الوقت وما امرنا به ابراهيم
الذي يزعمون انهم على ملته ليظهر لهم انهم ليسوا على شيء من دينه يقال بوأ اتخذه مباءة
والمباءة المنزل من باء رجع لانه يرجع اليه وقيل اللام زائدة اي نزلناه وجعلنا مكان
البيت مباءة له عن علي بن ابي طالب كان في موضع البيت البيت المعمور وهو
ياقوتة حمراء فرفع في الطوفان فلما امر الله ابراهيم ببناء البيت ضاق به ذرعا ولم
يدر موضع البناء فارسل الله اليه السكينة وهي ريح خجوج فتطوقت موضع البيت
كالحجفة فظهر له الاس فبناه عليه ان لا تشرك بي شيئا تفسير للتبوئة لان الغرض منها
العبادة اي قلنا لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود
لهؤلاء العابدين واذن في الناس بالحج نادهم عن ابن عباس رضي الله عنه لما
فرغ من بناء البيت امره الله ان ينادي الناس بالحج فصعد ابا قبيس وقال يا ايها
الناس حجوا بيت الله فاسمع الله نداءه الارواح في الاصلاب والارحام فكل
من سمع ذلك النداء واجاب يحج لا محالة وعن الحسن ومقاتل بن حيان ان هذا
امر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بان يدعو الناس الى الحج والحق ان
الآية مكية والسياق انما هو لقصة ابراهيم يأتوك رجالا جمع راجل وعلى كل ضامر
اي ركبانا على كل بعير مهزول لبعد السفر يأتين من كل فج طريق عميق بعيد ليشهدوا
منافع لهم نكر المنافع لانه اراد منافع دينية ودنياوية مخصوصة بالحج لا توجد في غيره

وعن

وعن ابي حنيفة رحمه الله انه كان يفاضل بين العبادات فلما حج فضله على سائرها لما
راى تلك الخصائص ويذكروا اسم الله في ايام معلومات في عشر ذي الحجة فانها ايام
العبادة والطواف والاعتكاف وقيل ايام النحر لقوله على ما رزقهم من بهيمة الانعام
المراد ذكر اسم الله عند النحر والذبح وانما عدل عنه الى المنزل دلالة الى ان المقصود
من شرع النحر وسائر الاعمال هو ذكره تعالى واشار بالرزق الى انه محض فضل منه تعالى
وفيه حث على الانفاق وتشويق التقرب بها الى الرازق مع اشتماله على الاجمال
والتفصيل فكلوا منها امر اباحة لان اهل الجاهلية كانوا يتحرجون من اكلها او ندب
مواساة للفقراء واطعموا البائس هو الذي اشتدت حاجته الفقير وصف كاشف له
كان الاعسار كسر فقاره والامر فيه للوجوب ثم ليقضوا تفثهم ليزيلوا ما عليهم من الدرن
وما ينبعه من قص الشارب وقلم الاظفار فان الحاج اشعث اغبر وليوفوا نذورهم
ما نذروا من التقرب الى الله فانه كثير الوقوع في طريق الحجاز وتلك الاماكن الشريفة
وليطوفوا هو طواف الزيارة لانه ركن الحج به دونه او الوداع لانه واجب او مطلقه لانه
افضل الاعمال بالبيت العتيق القديم لكونه اول بيت وضع للناس او العتيق من
تسلط الجبابرة عليه ما قصده جبار الا قصمه الله والحجاج لم يقصد اهانته ولذلك بناه
بعد الانهدام وهو اليوم على ما بناه او الشريف العرب تسمي كل حسن عتيقا كانه عتيق
على الشين والعيوب ذلك الامر ذلك كانه قيل احفظ به ومثله للفصل بين المقاصد
انتقالا من نوع الآخر واكثر ما يقع للكتاب وارباب البلاغة ومن يعظم حرمات الله
كل ما لا يحل انتهاكه جمع حرمة كظلمات وظلمة وقيل ما يتعلق بالمناسك فهو خير له عند ربه
اريد به زيادة مطلقة من غير مفضل عليه واحلت لكم الانعام كلها رفع لقاعدة اهل
الاوثان من تحريم البحائر والسوائب الا ما يتلى لكن ما يتلى عليكم من الميتة والدم والموقوذة
والمتردية والنطيحة وما اكل السبع حرام فاجتنبوا الرجس من الاوثان اي اذا اجتنبتم الانجاس
التي بينت فاجتنبوا الاوثان فانها انجس الانجاس بيانيه بالغ في التنفير عن عبادتها
واجتنبوا قول الزور الكذب قرنه بعبادة الاوثان لفرط قبحه روى الامام احمد ان
رسول الله قال شهادة الزور عدلت بالاشراك ثم تلا الآية حنفاء لله مائلين عن
الباطل مخلصين له غير مشركين به تصريح بما علم ومن يشرك بالله شيئا فكانما خر من
السماء فتخطفه الطير شبه حال المشرك وصوره بحال من يسقط من السماء الى الارض فاختطفه
الطير من كل جانب فتفرق مزعا في حواصلها او شبه الايمان في علو شانه باوج السماء
وتاركه بالساقط من ذلك الاوج الى الكفر الذي لا حضيض بعده وقرأ نافع تخطفه بفتح الخاء
والتشديد الطاء مضارع تخطف وهو ابلغ او تهوي به الريح في مكان سحيق من
نأى او كتب وبحال من عصفت به الريح فهوت به في بعض المطارح البعيدة او شبه
الشيطان الذي يطرحه في مهمه البوار بالريح التي تهوي بما عصفت به الى جهنام بعيدة القرار

ذلك الامر والشان ومن يعظم شعائر الله علايم دينه من الفرائض والسنن والاداب
جمع شعيرة واكثر استعماله في مناسك الحج لانها امور محسوسة او المراد الهدايا فانها من اعظم
شعاير الحج اوفق بما بعده وتعظيمها بان تختارها غالية الاثمان عظايم الاجرام وفي الحديث
سمنوا ضحاياكم فانها على الصراط مطاياكم وقد اهدى صلى الله عليه وسلم في حجته مائة بدنة فيها
جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب واهدى عمر جملا اعطي فيه ثلثمائة دينار فانها من
تقوى القلوب اسناد التقوى الى القلوب اسنادا الى المحل لكم فيها منافع الى اجل مسمى
ثم محلها الى البيت العتيق اي لكم في تلك الشعاير منافع دينية الى وقت معلوم هو
اخر ايام التشريق ثم محلها اي انتهاؤها بالطواف للوداع من حل الاجل انتهى وحمل الاجل
المسمى على الموت والبيت على البيت المعمور او الجنة بعده لا يلائم وان خصت الشعاير بالهدايا
فالمعنى لكم الانتفاع بها درا ونسلا وركوبا الى وقت وجوب النحر من حل الدين وجب والبيت
العتيق هو الحرم كله لعدم الالتباس لقوله صلى الله عليه وسلم كله منحر ولكل امة جعلنا منسكا
مكان نسك او نسكا على انه مصدر واصله الغسل قال شعر ولو نسكت بالماء ستة اشهر ثم
اطلق على العبادة لبنائها على النظافة ثم غلبت على اعمال الحج وقرا حمزة والكسائي بكسر السين
وهي لغة اسد والفتح المصدر في لغة الحجاز ليذكروا اسم الله علة للجعل دال على ان المقصود من
شرع المناسك ذكره تعالى باوصاف الكمال على ما رزقهم من بهيمة الانعام فيه دلالة على
اختصاص الهدي بالنعم فالهكم اله واحد اي بعد علمكم بوحدانيته فله اسلموا اخلصوا في العبادة
وذبح المناسك لا كما كان يفعله اهل الاوثان من الذبح باسماء الهتهم وبشر المخبتين المتواضعين
لاوامره من الخبت وهو المكان المطمئن ومن دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلني لك
مخبتا الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم هيبة منه لاشراق اشعة الجلال عليها والصابرين
على ما اصابهم من النوايب والمقيمي الصلوة في اوقاتها ومما رزقناهم ينفقون وجوه البر
العطف باعتبار الصفات والبدن جعلناها لكم البدن جمع بدنة وهي من الابل ما يتقرب به
ذكرا كان او انثى سميت بذلك لبدانتها فانهم كانوا يسمنون الضحايا والنصب على شريطة التفسير
والبقرة انما قامت مقامها بالسنة فاما من حيث المعنى لا تنا ولا يجب الاسم من شعائر الله من
معالم دينه لكم فيها خير منافع دينية ودنيا فاذكروا اسم الله عليها عند الذبح اي اسم كان من
اسمائه الحسنى والمندوب ان يقول الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك صواف
واقفا على ارجلهن سوا الافضل في ذبح البدنة بخلاف البقر والغنم فاذا وجبت جنوبها
سقطت على الارض بعد النحر فكلوا منها واطعموا القانع السائل من قنع اذا سال والمعتر
المعترض للعطاء من غير سؤال من العرة وهي القذارة كذلك سخرناها لكم اي مثل ما وصفنا
من نحرها صواف سخرناها لكم مع عظم اجرامها وكثرة قوتها ترى الجمل اذا انده ماج لا يقدر عليه
الجم الغفير لعلكم تشكرون نعمته لن ينال الله لحومها ولا دماؤها لن يقع منه موقع الرضا
والقبول ولكن يناله التقوى منكم بان يقصدوا بذلك التقرب اليه من حيث الامتثال

لاوامره

ع

لاوامره كذلك سخرناها لكم اعاده تذكيرا بالنعمة وعلله بقوله لتكبروا الله اي لتذكروه
بالتكبير والتهليل خاصة فان ذكر اللسان اشيع واول ولذلك جعل الحمد راس الشكر
على ما هداكم من المناسك وعلى هدايته اياكم الى مصالح الدين والدنيا وبشر المحسنين
المخلصين في الاعمال ختم به الكلام اشارة الى انه ملاك الامر ان الله يدافع عن الذين امنوا
متصل بقوله ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله وما وقع في البين من بناء البيت
وذكر المناسك وتعظيم الشعاير مستطرد لمزيد تهجين فعلهم لازدياد قبح الصد بازدياد عظم
ما صد عنه وبه ظهر ان التسوية بين العاكف والباد انما هي في المسجد الحرام لان الكلام
في المناسك وقرا ابن كثير وابو عمرو يدفع مضارع دفع وعليه الرسم وقراءة القوم ابلغ
لان المفاعلة مبالغة في المبالغة ان الله لا يحب كل خوان كثير الخيانة كفور شديد
الكفران ستار للنعم علة للدفع عن المؤمنين وايثار بناء المبالغة في الوصفين لان حق
الامانة والشكر عزيز اذن للذين يقاتلون اي في القتال حذف لدلالة يقاتلون عليه
وقرا نافع وابو عمرو وعاصم اذن بضم الهمزة مسند الى الجار والمجرور وقرا نافع وابن عامر
وحفص يقاتلون على بناء المفعول وهو ابلغ لشموله الاذن لمن لا يقدر على القتال بانهم ظلموا
اي بسبب ظلمهم كان المشركون يؤذون اصحاب رسول الله وكانوا بين مضروب و
مشجوج فيامرهم بالصبر وتعرق اكثرهم الى الحبشة والى المدينة وان الله على نصرهم لقدير
وعد لهم بالنصر على سنن كلام الملوك لما ذكر الاذن في القتال وعلله بان الماذون له مظلوم
ثم ذكر النصر على الوجه الاكد لم يبق للمظلوم ريب في انه منصور لا محالة الذين اخرجوا من ديارهم
من مكة بغير حق بموجب للاخراج الا ان يقولوا ربنا الله الا قولهم القول الذي هو اجل
المناقب على طريقة ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتايب ولولا
دفع الله الناس بعضهم ببعض بان سلط المؤمنين على الكافرين فالتنوين في بعض
للتعظيم وقرا نافع دفاع بالالف وكلاهما مصدر دفع لهدمت صوامع وقرا نافع بالتخفيف
والتشديد ابلغ وبيع معابد النصارى وصلوات كنايس اليهود واصله صلوثا اسم للمصلى
بالعبرانية ومساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا صفة للمساجد تفضيلا لها ويجوز ان
يكون عاما في الاربع وكذا يجوز ان يكون المراد تسلط اهل الملل على الكفار في ازمنتهم وان
يكون للمسلمين على المشركين والبقا متعبدات اهل الكتاب الذين لهم ذمة ولينصرن الله
من ينصره ينصر دينه اي وقت كان وكاينا من كان ان الله لقوي قادر عزيز غالب لا يعجزه
شئ الذين ان مكناهم في الارض بدل من الذين اخرجوا اشعار بان تمكينهم في الارض بعد
الاخراج انما هو ليتمكنوا من القيام بما اخرجوا لاجله ولذلك جعل جزاء الشرط اقاموا الصلوة
واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وكذا ان جعل بدلا عن قوله من ينصره
فانه يتناول المخرجين تناولا اوليا وايثار الشرطية لكونه جاريا على سنن كلام الملوك مع الاشارة
الى لزوم الوقوع بايقاعها صلة الموصول التي يستدعي التحقق وفي الاية دليل على صحة الخلافة

للراشدين لان المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم والمكنون في الارض هم الخلفاء منهم
ولله عاقبة الامور اليه مرجعها فيه تاكيد لما وعده من نصرة اوليائه وان يكذبوك فقد كذبت
قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم وقوم لوط واصحاب مدين لما ضمن النصر لمن اخرج
من امته ظلما عقبه بذكر الامم المكذبة للرسل تسلية له واشارة الى انه اولى بالصبر منهم لانه اكملهم
وافضلهم وكذب موسى غير الاسلوب لكون آياته اوفر واشهر وقيل لان قومه لم يكذبوه
بل غيرهم وهم القبط قوم فرعون وفيه انه قيد كذبه من كذبه من قومه قارون ومن تابعه
الا ان يقال تكذيب اليسير كلا تكذيب كما ان تصديق اليسير من هؤلاء الاقوام كلا تصديق
فامليت للكافرين امهلتهم ثم اخذتهم استاصلتهم فكيف كان نكير نكري من النكر
بالضم وهو الانكار من نكره اذا غيره فكاين من قرية اهلكناها اي اهلها وقرا
ابن كثير كاء على وزن فاع وابو عمرو واهلكت بالتاء والنون ابلغ في مقام السخط والمعنى
بعد اولئك الاقوام اهلكنا كثيرا من القرى او بدل من كيف كان نكير لانه للتهويل فاستوقف
فيه على وجه البسط على نحو امدكم بما تعلمون بانعام وبنين وهي ظالمة نصب على الحال
فهي خاوية على عروشها ساقطة عليها بان وقعت السقوف اولا ثم الجدران فوقها من
خوى النجم سقط او خالية من خوى البطن خلا قال شعر لقد كنت اختار الخوى طاوى الحشا
فالجار متعلق بخاوية اي خالية مع بقاء العروش او خبر بعد خبر اي هي خالية وهي على
عروشها اي كاينة على ما كانت عليه ولالة على جدة العهد بالهلاك يؤيده ما بعده من وصف
البئر بالتعطيل دون الخراب والجملة عطف على اهلكناها ولا يجوز ان يكون حالا لان الخلو و
السقوط لم يكن وقت الاهلاك ولا محل لها ان نصبت كاين على شريطة التفسير وان رفعته
بالابتداء فكذلك ان عطفته على الاسمية وان عطفت على الفعلية الواقعة خبرا ففي محل الرفع
وبئر معطلة اي وكم من بئر عامرة في البوادي عطلت باهلاك اهلها وقصر مشيد عال
باق على علوه من شاد البناء رفعه او مجصص من الشيد بالكسر وقيل المراد ببئر بئر بسفح
جبل بحضرموت وبقصر مشيد قصر بسناك كانا لقوم حنظلة بن صفوان وكان نبيا ارسل
الى قوم صالح بعد ان كفروا وعبدوا الاصنام فقتلوه فاهلكهم الله افلم يسيروا في الارض
حث لهم على السفر للاعتبار برؤية مصارع المهلكين فيكون لهم قلوب يعقلون بها
اي قلوب بهذه الصفة تستبصر وتعتبر بعد المشاهدة لان من اليقين الاتقى معه ريبة
او آذان يسمعون بها الاخبار المتواترة الموجبة لزوال الريب والمعنى انهم اذا شاهدوا
ذلك بعين الاعتبار يعقلون ما يجب تعقله من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من
الوحي فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور اي الشان والقصة
لا اعتداد بعمى البصر بل العمى الذي لا عمى غيره هو عمى القلب والمعنى عيونهم سالمة وانما
انفت قلوبهم فعليهم السير في الارض والنظر بعين الاعتبار فانه دواء لذلك المرض
وذكر الصدر لان عمى القلب غير متعارف فاكد وقرر ويستعجلونك بالعذاب الموعود ولن

يخلف

يخلف الله وعده لامتناعه منه وتنزهه عنه وان يوما عند ربك كالف سنة فلذلك
يستقصره وهم يستطيلونه او يوما من ايام عذابه كالف سنة مما تعدون او يوم واحد
من ايام عذابه كالف سنة من سني العذاب لشدته وفظاعته فلم يستعجلون وقرا
ابن كثير وحمزة والكسائي يعدون بالغيب وكاين من قرية وكم اهل قرية عطفه بالواو
دون ما تقدم لان هناك اما تعقيب او بدل من فكيف كان نكير وهنا ما مع ما عطف
عليه كالاعتراض تعليلا لانكار الاستعجال امليت لها وهي ظالمة مثل هولاء ثم اخذتها
بالعذاب للاستيصال والى المصير فجازيتهم بعذاب يستحقونه ذلك الاخذ دونه قل يا ايها
الناس انما انا لكم نذير مبين اقتصر على الانذار لان قوله فالذين آمنوا وعملوا الصالحات
لهم مغفرة ورزق كريم وما بعده تفصيل لمن نجع فيه الانذار فآمن ومن بقي على الكفر
غير ناجع فيه وقيل لان قوله يا ايها الناس نداء للمشركين خاصة وانما ذكر المؤمنين وثوابهم
ليغيظ بهم الكفار والذين سعوا في آياتنا بالرد والابطال معاجزين مسابقين اما من
المفاعلة بمعنى فعل او بمعنى المغالبة وقرا ابن كثير وابو عمرو بلا الف مشددا على انه حال
مقدرة وعليه الرسم اولئك اصحاب الجحيم الذين لم يفارقوها وما ارسلنا من قبلك من
رسول ولا نبي عطف النبي على الرسول ظاهر في المغايرة قيل الرسول من جمع الى المعجزة الكتاب
المنزل عليه وفيه انه ذكر في الكتاب بلفظ الرسول من لا كتاب له كاسمعيل ويونس والاشكل
ما قيل ان الرسول من جاءه الملك بالوحي والنبي يقال له ولمن يوحى اليه في المنام الا اذا تمنى
قرا من الامنية وهي القراءة ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني القى الشيطان في
امنيته في قراءته شيئا يلبس به على السامعين فينسخ الله ما يلقي الشيطان يزيله ويبطله
ثم يحكم الله آياته الدالة على صدق مدعى الرسالة والله عليم كامل العلم يميز الحق من الباطل
حكيم فيما يفعله ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض فيقدحون بذلك
في رسالته او يزعمون انه كلامه والقاسية قلوبهم التي لا تؤثر فيها الايات ولا تلين لذكر الله
وان الظالمين لفي شقاق بعيد عن الحق حيث ينسبون اليه كلام الشيطان ويعتقدون
صدور ذلك منه وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك اي النسخ او القرآن فكيف
يكون فيه مدح الاصنام بل ليس ذلك الا من الشيطان وقد روى ابن اسحق في سبب نزوله
ان رسول الله كان يقرأ سورة النجم حتى بلغ ذكر اللات والعزى خلط الشيطان بقراءته
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتهن لترتجى فظن المشركون انه من القاري وفرحوا بانه مدح
آلهتهم فبين الله ان ذلك من القاء الشيطان وان ذلك ليس مخصوصا به بل ما من نبي
ولا رسول قبله الا وقد القى الشيطان في قراءته لحكمة اقتضت ذلك هذا هو الحق الذي يجب
اعتقاده وما عداه مما ذكره المفسرون من انه تلاه بنفسه سهوا ثم جاءه جبرائيل واخبره به الى غير
ذلك من الخرافات فكذب بحت لا يحل لمسلم ان يتلفظ به على انه لو صحت الرواية انه صلى الله
عليه وسلم تلاه لكانت الاشارة والمدح للملائكة على ما يقتضيه السياق لقوله وان الذين

لا يؤمنون بالاخرة ليسمون الملائكة تسمية الانثى فيؤمنوا به بالنسخ او بالقران فتخبت له
قلوبهم بالانقياد وان الله لهادي الذين امنوا الى صراط مستقيم بتأويل ما تشابه وتخليص
الحق عما القاه الشيطان ولا يزال الذين كفروا في مرية منه من الحق او من القران او من
القاه الشيطان حتى تأتيهم الساعة بغتة فجاءة او يأتيهم عذاب يوم عقيم يوم بدر بقتل
اولاد النساء فيه فتصرن عقما فالاسناد مجازا او يوم لا خير فيه يقال ريح عقيم اذا لم تنشئ
مطرا ولم تلقح شجرا على انه استعارة تبعية شبه ما في اليوم من مانع الخير بالعقم او هو يوم
القيمة اذ لا يوم بعده وكانه قال حتى تأتيهم الساعة او عذابها وهذا اوجه لقوله الملك
يومئذ لله اي يوم قيام الساعة او يوم يزول عنهم الشك يحكم بينهم بين الفريقين
لتقدم ذكرهما ولقوله ان الذين امنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا
وكذبوا باياتنا فاولئك لهم عذاب مهين ايثار الفاء في الخبر هنا دون الاول اشارة
الى ان دخول الجنة بفضل منه تعالى بخلاف دخول النار فانه مسبب عن اعمالهم واما الاتيان
بفي اولا واللام ثانيا فتنبيه على غلبة رحمته لدلالته على الاستقرار والتمكن والذين هاجروا في
سبيل الله في طلب دين الاسلام ثم قتلوا او ماتوا اخف النعم ليرزقنهم الله رزقا حسنا
في الجنة وان الله لهو خير الرازقين لانه رازق حقيقة وغيره سبب ظاهر او لدوام رزقه
ليدخلنهم مدخلا يرضونه وهو الجنة بدل من ليرزقنهم الله وقرا نافع مدخلا بفتح الميم والباقون
بالضم وهو ابلغ روي ان ناسا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله
اصحابنا الذين قتلوا في سبيل الله وقد علمنا ما اكرمهم الله به ونحن ان متنا معك فما يكون حالنا
فانزل الله هاتين الايتين وان الله لهو خير الرازقين كامل العلم بالاحوال حليم لا يعاجل
بالعقوبة ذلك الامر ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ولم يزد على حقه وتسمية الفعل
ابتداء بالعقاب للازدواج والمشاكلة او لانه سببه ثم بغي عليه ثانيا لينصرنه الله ثانيا لا محالة
ان الله لعفو غفور كثير العفو والغفران للمنتصر فانه مندوب الى العفو بقوله ولمن صبر وغفر
فان ذلك لمن عزم الامور وبقوله ولئن صبرتم لهو خير للصابرين وبقوله فمن عفا واصلح
فاجره على الله والمعنى مع انه لم يمتثل ما دعي اليه من الاولى والاجدر لم يؤاخذ بذلك بل
منصور ان بغي عليه ثانيا ولذلك قدم لينصرنه الله على قوله ان الله لعفو غفور مع ان
الظاهر تأخيره اذ كان مظنة ان يخذل لعدم مسارعته الى المندوب اليه وفي الكلام
اشارة الى ان العفو عن الجاني بمكان عند الله فانه من اخلاقه وان خلافه مظنة العقاب
ودلالة على ان المحق منصور من الله في كلتا الحالتين عفى او عاقب وان المبطل
مخذول وايما سلوك في قرن من مكان في مرية حتى تأتيه الساعة او عذاب يوم عقيم
ذلك اي ذلك النصر بان الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل اي بانه قادر
ومن آيات قدرته على الاشياء ايجاده الليل موضع النهار وايجاده النهار موضع الليل
او زيادته في كل واحد ونقصه من الآخر فلا يزال احدهما غالبا والآخر مغلوبا وان الله سميع بصير

والسبب

وبسبب انه يسمع اقوال العباد ويبصر افعالهم فهو عالم بمن يستحق النصر ومن يستحق الخذلان
من تتمة الدليل لان القادر لابد له من الوصفين ذلك الوصف بكمال القدرة واحاطة
العلم بان الله هو الحق بسبب انه الاله الحق الثابت الالهية وان ما تدعون من دونه
هو الباطل فان قلت كونه الاله الحق مستلزم لذلك الكمال قدرة وعلما استلزاما ظاهرا
فمن اين يلزم ان يكون ما يدعون من دونه هو الباطل قلت لان غيره ليس بتلك الصفة
اتفاقا فلا يصلح للالوهية قرا الكوفيون الا ابا بكر وابو عمرو يدعون بالياء الغيبة وهو المختار
لشموله الغايب والحاضر وان الله هو العلي عن صفات النقص الكبير من ان يكون له
شريك ولما دل على كمال قدرته بايلاج الليل في النهار وعكسه وبين احاطة علمه اتبعه
بانواع من الدلايل الدالة على ذلك مع كونها نعما حبا ما قال مقررا الم تر ان الله انزل
من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة اثر الفاء وان كان الظاهر ثم لتراخي الاخضرار عن نزول
المطر لانه يبتدي عقيب نزول المطر وان كان تمامه في مدة ولذلك اثر المضارع على الماضي
ورفعه عطفا على انزل لكونه مسببا عنه ان الله لطيف عليم به فايق الصنع او بار بعباده
خبير ببواطن الامور علة لانزال الماء مع ما يترتب عليه ويجوز ان يكون اللطيف راجعا الى
الانزال والخبير الى اصباح الارض مخضرة له ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا وان الله
لهو الغني مطلقا الحميد في ذاته موصوف بكل كمال حمد او لم يحمد الم تر ان الله سخر لكم ما في الارض
من الدواب مذللة للركوب والحمل وساير الاشياء من المعادن والنباتات والفلك
عطف على ما او اسم ان تجري في البحر بامره حال او استيناف لبيان وجه التسخير ويمسك السماء
بلا عمد بحوله وقدرته ان تقع على الارض كراهة ان تقع الا باذنه بارادته عند قيام الساعة
ان الله بالناس لرؤف رحيم حيث بث ادلة وجوده وتوحيده في الآفاق ولم يخل شيئا
منها عن ضروب من النعم وهو الذي احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا ونطفة وعلقة ومضغة
ثم يميتكم عند حلول الاجل ثم يحييكم يوم القيمة للجزاء ان الانسان لكفور كثير الكفران ولما
كانت ايات الانفس اقرب واظهر في كونها نعما واشمل واوفر ختم الاية بالكفران لكل امة
جعلنا منسكا شرعا ودينا هم ناسكوه متخذوه نسكا مستمرون عليه فلا ينازعنك في الامر
الذي انت عليه والشرع الذي شرع لك لان شانه اظهر من ان يمكن منه النزاع ويجوز
ان يكون نهيا له صلى الله عليه وسلم عن تمكينهم من النزاع على وجه الكناية كقولك لا اريتك
هنا وعن الزجاج نهي له عن منازعتهم لان من نازعك فقد نازعته والاول ابلغ نزلت
في كفار خزاعة قالوا للمؤمنين ما لكم تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله يريدون الميتة
وانما لم تعطف كما عطفت نظيرتها وهي قوله ولكل امة جعلنا منسكا لان تلك في
بيان الشعاير وان المناسك لم تزل تتقرب بها الى الله كساير العبادات وانما هذه
فمسوق الكلام فيها لتعداد الايات الدالة على التوحيد وادع الى ربك الى توحيده
انك لعلى هدى مستقيم طريق موصل الى الحق لا زيغ فيه وان جادلوك بعد ظهور

الحق عبادة فقل الله اعلم بما تعملون وعيد فيه رفق قريب من قوله واعرض عن الجاهلين
الله يحكم بينكم اعاد كلمة الجلال لدلالتها على الالوهية المناسبة للحكم والقضاء يوم القيمة
فيما كنتم فيه تختلفون من امر الدين الم تعلم ان الله يعلم ما في السماء والارض من تتمة
حديث الحكم استشهد بعلمه على ذلك كانه قيل انت تعلم ان الامر كذلك وان جهلوه
ان ذلك في كتاب هو اللوح كتب فيه مقادير الاشياء قبل حدوثها ان ذلك على الله
ان حفظ ذلك عليه يسير لان علمه المتعلق بجميع المعلومات مقتضى ذاته فلا يعزب
عنه مثقال ذرة ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا برهانا يدل على جواز
عبادتها وما ليس لهم به علم علم ضرورة او استدلال بل تقليدا واتباع هوى وما للظالمين
من نصير اذا نزل بهم العذاب او يؤيد مذهبهم والغرض اظهار جهالتهم حيث لم يلتفتوا
الى ايات الآفاق والانفس وانهمكوا في عبادة بلا دليل عليه واذا تتلى عليهم اياتنا من
القران بينات واضحات الدلالة على العقايد الحقة تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر
الانكار لظهور اثاره على صفحاتهم اثر الظاهر على المضمر ودلالة على ان ذلك الانكار ناش عن
كفرهم يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم اياتنا من شدة الغيظ السطو الوثوب
والبطش والجملة حال واستيناف قل افانبئكم بشر من ذلكم الغيظ والسطو النار جواب
سوال كانه قيل ما هو ويجوز ان يكون مبتداء خبره وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير
النار يا ايها الناس ضرب مثل سمي القصة الرايعة المتلقاة بالقبول عند ذوي العقول
مثلا تشبيها لها ببعض الامثال السايرة في الغرابة والحسن فاستمعوا له للمثل استماع
تامل وتدبر ان الذين يدعون من دون الله اي الاصنام لن يخلقوا ذبابا لن يقدروا
على خلقه ولو اجتمعوا له ولو تعاونوا وتعاضدوا على خلق احقر حيوان واذله وان يسلبهم
الذباب شيا لا يستنقذوه منه اي ولو اختطف هذا الحيوان الاذل واجتمعوا على
استخلاصه منه لم يقدروا هذا ادل على العجز وانتفاء القدرة ضعف الطالب والمطلوب
وان كان الطالب اضعف لكونه جمادا والمطلوب حيوانا ذا حس وارادة ولما اجراها
مجرى العقلاء اثبت لها الطلب مع التخية تهكما عن ابن عباس رضي الله عنه كان
المشركون يلطخون الاصنام بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب
فيدخل الذباب من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره ما عظموه حق تعظيمه حيث
جعلوا اذل الاشياء شريكا له في العبادة من قدر الشي يقدره اذا نظر فيه وتدبره منه حديث
عايشة رضي الله عنها فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن ان الله لقوي عزيز ذو قوة وغلبة
لا يغالبه شي وما تدعونه من دونه شي اذل من اذل الحيوانات الله يصطفي من الملائكة
رسلا ومن الناس شرع في الاثبات الرسالة بعد هدم قواعد الشرك واحكام معالم
التوحيد ودلالة على ان له عبادا مصطفين يمكن التوسل بهم الى معرفته تعالى ان الله سميع
عالم باقوال المكلفين بصير باحوالهم يعلم ما بين ايديهم ما مضى منها وما خلفهم وما لم يقع

لا يخفى عليه خافية والى الله ترجع الامور كلها والذي هذا شانه لا يسئل عما يفعل لاحاطة
علمه بكنه الاشياء فقولهم اانزل عليه الذكر من بيننا وقولهم لولا نزل هذا القران على رجل
من القريتين عظيم ناش عن جهلهم ودليل على انهم ما قدروا الله حق قدره وقرا حمزة
والكسائي وابن عامر ترجع على بناء الفاعل يا ايها الذين امنوا اركعوا واسجدوا حث
على الشرايع بعد اثبات الرسالة فانها كالنتايج لها وبداء بالصلوة لانها عماد الدين
وعبر عنها بالركوع والسجود لانهما اعظم اركانها لاحتوائهما على غاية الخضوع والخشوع اللذين
عليهما مدار العبادة وقيل اول ما اسلموا كانوا يركعون بلا سجود ويسجدون بلا ركوع فامروا
ان يكون صلوتهم بركوع وسجود واعبدوا ربكم اخلصوا له الطاعة واقصدوا بها وجهه
وقيل حجوا وصوموا وفيه ان الاية مكية وتلك العبادات مدنية وافعلوا الخير كله من
اغاثة الملهوف وصلة الارحام والامر بالمعروف لعلكم تفلحون حال كونكم راجين
الفلاح فان الاعمال امارات والاية اية السجدة عند الشافعي رحمه الله لما روى
عقبة بن عامر قلت يا رسول الله في سورة الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجد بهما فلا
تقراها وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه اقراني رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس
عشرة سجدة منها سجدتان في سورة الحج وروى مالك عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
ان سورة الحج فضلت بسجدتين وعن ابي حنيفة رحمه الله قرانها بالركوع ودليل على
انها سجدة الصلوة لا سجدة التلاوة والحق انه لا تنافي بين كون السجدة صلوتية و
شرع السجود عند تلاوتها كما دلت عليه الروايات وجاهدوا في الله في احياء دينه حق
جهاده اصله جهادا حقا اضيفت الصفة الى الموصوف مبالغة كقولك زيد عالم حق
عالم واضيف الجهاد الى ضميره تعالى لان الجهاد لوجهه فتلك الملابسة كافية ويجوز ان
يتسع في الظرف كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا هو اجتباكم اختاركم وجعلكم خير امة
وما جعل عليكم في الدين من حرج حيث شرع لكم الرخص والكفارات واحل لكم الغنايم
ووضع عنكم الاصار والاغلال التي كانت على الامم فكمال الطف بكم غاية اللطف جاهدوا
فيه حق الجهاد ملة ابيكم ابراهيم نصب على الاغراء والاختصاص ولما كان ابا الرسول
وهو اب لامته لكونه سببا لحيوتهم الابدية جعله ابا لهم ويجوز ان يكون تغليبا لان قريشا
كانوا من ذريته هو سماكم المسلمين اي الله سماكم بهذا الاسم الشريف من قبل في
ساير الكتب المنزلة قبل القران وفي هذا اي في القران وقيل الضمير لابراهيم ومعنى من
قبل قبل نزول القران وارسال محمد حيث قال ومن ذريتنا امة مسلمة لك ويؤيد الاول قوله
ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فانه يدل على الاجتباء والتسمية
كانا لهذا الغرض لانها بمثابة التزكية فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة شكرا لتلك النعمة
التي لم يشاركم فيها امة واعتصموا بالله استمسكوا به في كل ما تاتون وتذرون وهذا
قصارى الكمال ونهاية التقوى فانتظمت الخاتمة مع الفاتحة هو موليكم متولي اموركم

فنعم المولى ونعم النصير لان من تولاه لا يضيع ومن نصره لا يخذل ولان من نصر
لا ينصر الا اذا اراه فلا ناصر سواه تمت السورة ولله لا لنا الحمد والثناء والصلوة على سيد
الانبياء وعلى آله وصحبه البررة الاتقياء سورة المؤمنين مكية وهي مائة وتسع عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم قد افلح المؤمنون قد تثبت التوقع كما ان لما تعقبه وكان
المؤمنون يتوقعون نوع بشارة منه تعالى فصدر السورة بما دل على ثبوت متوقعهم
على ابلغ وجه بان ادخل قد على الفعل البارز في صورة الماضي الدال على التحقق فكانه
قيل قد تحقق ان المؤمنين من اهل الفلاح والفوز بالاماني ويجوز ان يكون جواب
قسم محذوف فيزداد تاكيدا على تاكيد الذين هم في صلوتهم خاشعون الخشوع فعل القلب
وسرى اثره في الجوارح ولذلك لما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم مصليا يعبث بلحيته
فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ومن الخشوع في الصلوة ان لا يحدث نفسه
بامر لا يتعلق بالصلوة وتوقي كف الثوب والالتفات وقلب الحصا والسدل والاختصار
وتشبيك الاصابع ويلبد النظر بموضع السجود والذين هم عن اللغو معرضون كل ما لا يعنيك
من قول وفعل لغو من لغا الرجل اي بالباطل ومنه لغو اليمين والغى ابن عباس طلاق
المكره اي ابطله ولما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف بالاعراض عن اللغو جمعا لهم
بين فعل ما ينبغي وترك ما لا يعني اللذين عليهما مدار الكمال فهو من تتمة الصلوة فلذلك فصل
بينهما وبين الزكاة والذين هم للزكوة فاعلون اي التزكية فانه اسم مشترك بين العين
والمعنى القائم بالفاعل وعبر عن المزكي بالفاعل تحاشيا عن التكرار مع ان كل فعل يعبر
عن مصدره بلفظ الفعل ضرورة صدق العام على الخاص ومن فسره بالذين يفعلون
ما يفعلون ليزكيهم الله او ليزكوا انفسهم فالصلوة ينادي على بطلان تخريجه وكذا نظيره
في سورة المعارج والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم اي
حافظون فروجهم في الحالات كلها الا في حال تزوجهم او تسريهم والاحسن تعلق الجار
بحافظون من حفظت المال على اليتيم اي حافظون فروجهم على الازواج لا يتعداهن
ثم قيل غير حافظين الا على الازواج تاكيدا على تاكيد فانهم غير ملومين فيه اشارة الى انه
مباح لا ثواب فيه ولا حرج وهذا اذا لم يقصد به عدم الوقوع في الزنى لما روى البخاري
انهم قالوا يا رسول الله اياتي احدنا شهوته ويكون له اجر قال نعم ارايتم لو وضعه في الحرام
اكان له وزر ونكاح المتعة باطل اجماعا فلا وجه لعد المنكوحة متعة من الازواج فمن ابتغى
وراء ذلك المستثنى فاولئك هم العادون الكاملون في العدوان والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون لا يخونون فيما يؤتمنون فيه من حقوق الله وحقوق العباد ويرعون
العهود والمواثيق لا يغدرون ولم يجمعه لانه اسم للحاصل بالمصدر بخلاف الامانة فان المراد
منه الشيء المؤتمن فيه وقرا ابن كثير بالافراد والجمع اولى لتناوله الافراد صريحا والذين هم
على صلواتهم يحافظون اي المفروضة او المشروعة يحافظون يؤدونها في اوقاتها مراعيا

فيه

فيه الاركان والابعاض والهيئات مواظبون على ذلك على الاستمرار وقرا حمزة والكسائي
بالافراد على ارادة الجنس وعليه الرسم والجمع اظهر لظهور تناول الافراد مفروضة كانت اولا
ولا تكرار لان الاول في بيان خشوعهم والثاني في مسارعتهم اليها وقدم بيان الخشوع
لانه الاصل في العبادات اولئك هم الوارثون الموصوفون بالصفات المذكورة احقاء
باسم الوراثة وبان لا يسمى غيرهم وراثا لحقارة ما ورثوه وانما سمي جزاءهم ميراثا
ولانه على كمال الاعتداد بها وان الثواب في مقابلتها امر لازم كالميراث فانه ملك
قهري لا يقبل الرد وقيل لانهم ورثوا منازل الكفار في الجنة لو كانوا مسلمين لما في الحديث
ما من احد الا وكتب له مقعد في الجنة ومقعد في النار الذين يرثون الفردوس ابهم
اولا ثم فسر اظهارا للفخامة والفردوس البستان الواسع الجامع لاصناف الثمار روي
ان الله تعالى بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل خلالها المسك
الاذفر وغرس فيها من جيد الفاكهة والرياحين روى مسلم والبخاري ان رسول الله
قال اذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فانه اوسط الجنة منه تتفجر الانهار هم فيها
خالدون لا موت ولا انتقال اللهم اجعلنا اهل الفردوس ولما بين ان الفائزين
لديه هم المتصفون بتلك الاوصاف المرضية المتحلون بها تلك الاخلاق الزكية اشار
الى اولية وحدانيته واستحقاقه ذلك من عباده بقوله ولقد خلقنا الانسان آدم من
سلالة خلاصة فعالة بمعنى المفعول وبناء فعالة ينبئ عن القلة كالقلامة والقمامة من طين
من بيانية والاولى ابتدائية ويجوز ان يكون ابتدائية ايضا على ما روي عن الحسن انه
خلق من ما بين ظهراني الطين او تبعيضية لان السلالة خلاصة الطين وانما نكر الطين
لكونه طينا مجهول الاجزاء من وجه جميع الارض وهي القبضة التي قبضها ملك الموت
ثم جعلناه نطفة اي نسله نطفة بحذف المضاف في قرار مكين القرار المستقر من الارض
استعير لمحل النطفة ووصف بالمكانة مبالغة في وصف الرحم بالحصانة ثم خلقنا النطفة علقة
قلبنا النطفة البيضاء دما جامدا تعلق بعض اجزائه ببعض فخلقنا العلقة مضغة قطعة لحم
مقدار ما يمضغ فخلقنا المضغة عظاما صلبة فكسونا العظام لحما ساترا لها كالكسوة وقرا
ابن عامر وابو بكر العظم مفردا في الموضعين على ارادة الجنس لعدم اللبس والجمع اظهر ثم انشاناه
خلقا آخر مباينا للخلق الاول بان كان جمادا فصار حيوانا وناطقا بعد ان كان ابكم وسميعا
بعد ان كان اصم وبصيرا بعد ان كان اكمه واودع فيه من القوى الظاهرة والباطنة وانواع
الادراكات التي لا يقدر على درك شيء منها الا عليه الشامل واحتج ابو حنيفة رحمه الله بالاية على ان
من غصب بيضة فافرخت عنده يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق آخر فان قلت لم ذكر
العطف بثم اولا واخيرا ودون المتوسطات مع تساوي المدد كما نطق به الحديث فيكون
اربعين يوما نطفة ثم اربعين علقة ثم اربعين مضغة ثم ينفخ فيه الروح قلت ثم في الموضعين
للتراخي رتبة فان انقلاب النطفة دما جامدا ابعد حالا من انقلاب العلقة مضغة وانقلابها

عظما واما نفخ الروح فظاهر ويجوز ان يكون تفننا في الكلام فان ابتدا كل انقلاب
بتعقب ما تقدمه وان كان انتهاؤه متراخيا فاستعمال الحرفين بالنظر الى الحالتين
فتبارك الله احسن الخالقين تعالى شانه وكثر خيره على المخلوقين حيث اوجده من طين
متدرجا في الاطوار انسانا في احسن تقويم وعن ابن عباس ان عبد الله بن سعد بن ابي
سرح كان يكتب الوحي فلما املى عليه رسول الله هذه الايات وكان بلغ وسمع ما بهر عقله
فلم يتمالك ان قال فتبارك الله احسن الخالقين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب
هكذا انزل فارتاب من ذلك وقال انزل الي مثل ما انزل اليه فارتد مدة ثم عاد الى الاسلام حسن
عود ثم انكم بعد ذلك لميتون لا محالة والفرق بين الميت والمايت ان الاول يدل
على الثبوت والثاني على الحدوث تقول زيد مايت الآن او غدا ولا تقول ميت ثم انكم
يوم القيمة تبعثون للجزاء ولا دلالة للكلام على عدم حيوة اخرى في القبر وانما لم يتعرض لها
لخفاء شانها فلا يحسن ذكرها في معرض الاستدلال على كمال الاقتدار ولقد خلقنا فوقكم سبع
طرايق سبع سموات سميت طرايق لانه طورق بعضها فوق بعض وكل شيئين جعلت
احدهما فوق الآخر فقد طارقت بينهما واصله من الطرق وهي الطبقة او لانها طرق الملائكة
او الكواكب في سيرها وما كنا عن الخلق غافلين عن خلق السموات بل كما اوجدنا نحفظها
عن تطرق الخلل كقوله ولا يؤده حفظهما او عن المخلوقات تحتها فانه جعلها معدن الارزاق
بانزال الرحمة يؤيده وانزلنا من السماء ماء بقدر بمقدار معلوم اقتضته الحكمة فاسكناه في الارض
في اعماقها منه تجري العيون كقوله فسلكه ينابيع في الارض وتخصيصه بالانهار الجمة لا وجه له
وانا على ذهاب به لقادرون لانه اهون في العرف من الانزال وانما نكر الذهاب للدلالة
على كثرة طرقه وتعدد اسبابه مبالغة في الايعاد به وهذا ابلغ في الوعيد من قوله قل ارايتم
ان اصبح ماؤكم غورا قيل ابلغ منه من ثمانية عشر وجها تعرف بالتأمل فانشأنا لكم به
بالماء جنات من نخيل واعناب لكم فيها في الجنات فواكه كثيرة تتفكهون بها ومنها
تأكلون تغذيا كالتمر والزبيب فانهما من الاقوات او تحصلون منها ارزاقكم واسباب
معايشكم يقال فلان يأكل من حرفته اي منها وجه معاشه ويجوز ان يعود الضمير الى النخيل
والاعناب لاشتمال ثمرهما على هذه المعاني كلها فان قلت قد جاء في الزخرف لكم فيها
فاكهة كثيرة منها تأكلون وهنا جمع الفاكهة واتى بالواو العاطفة ما الحكمة في ذلك قلت
تلك في وصف الجنة والنوع الواحد من ثمره يوجد فيه طعم ساير الانواع كما بين في قوله
هذا الذي رزقنا من قبل فاشار بالافراد الى ان نوعا منه فيه غنية عن ساير الانواع
واما عدم العاطف فلان ما يؤكل هناك بعض الثمر لدوامه وعدم انقطاعه ويؤكل
تفكها فلا يوجد معنى آخر يعطف عليه وشجرة عطف على جنات وهي شجرة الزيتون
افردها بالذكر لشرفها قيل هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان وهي الشجرة المباركة تخرج
من طور سيناء جبل نودي منه موسى بفلسطين او بين مصر وايلة والطور لغة الجبل الشاهق

اضيف

اضيف الى سيناء اسم بقعة او هو مركب كبعلبك وحضرموت وهو الطور سينين وسيناء
لفظ عجمي والمنع من الصرف للعلمية والعجمة او عربي ومنع المفتوحة على قراءة الكوفيين وابن
عامر لالف التانيث والمكسورة للعلمية والتانيث المعنوي وليست الفه للتانيث لعدم
النظير واما علبا فالفه للالحاق تنبت بالدهن اي الشجرة ملتبسة بالدهن الجار والمجرور
في محل الحال وجعل التا صلة يفيد المعنى وقرا ابن كثير وابو عمرو بضم التا من الانبات اما
لان انبت لازم كالمجرد وعليه قول زهير رايت ذوي الحاجات عند بيوتهم قطينا بها
حتى اذا انبت البقل او تعدى بالهمزة والمفعول محذوف اي زيتونها وعن ثعلب ان
البا زائدة كقوله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وعليه قوله شربن بماء البحر ثم ترفعت وقراءة
الفتح اقل تكلفا وصبغ للآكلين عطف على الدهن عطف احد وصفي الشيء على الآخر
كانه قيل تنبت بالشيء الجامع بين كونه دهنا وادما وصل الصبغ الغمس ومنه في الحديث
يؤتى بالكافر المترف فيصبغ في النار صبغة فيقال له هل رايت من نعيم قط فيقول لا
وان لكم في الانعام لعبرة ما تعتبرون به وتستدلون على كمال علم الصانع وقدرته نسقيكم
مما في بطونها استيناف لبيان العبرة من ابتدائية اي كائنا من العلف الذي في بطونها
او تبعيضية لان اللبن جزء من العلف متكون منه وقرا نافع وابن عامر وابو بكر
بفتح النون وهما لغتان والفتح افصح واشهر وقد جمعهما لبيد في بيت سقى قومي بني
نجد واسقى نميرا والقبايل من هلال ولكم فيها منافع كثيرة من الركوب والحمل والاصواف
والاوبار ومنها تاكلون من اعيانها وتجعلونها سببا لمعاشكم بالبيع والاجارة وعليها
وعلى الفلك تحملون فان الابل والبقر يحمل عليهما وقيل المراد بالانعام الابل لانها كانت
غالب مال العرب وهي سفاين البر ولذلك قرنها بالفلك قال ذو الرمة يمدح ناقته
المسماة بصيدح سفينة بر تحت خدي زمامها وقال اخر يمدح ناقته وعايم الزور نعمت
زورق البلد ولقد ارسلنا نوحا الى قومه بعد ما شيد اركان التوحيد بايات الآفاق و
الانفس شرح احوال الامم المكذبة وابتدا بنوح فانه اول رسول عذب قومه فقال يا قوم
اعبدوا الله وحده ما لكم من اله غيره استيناف لبيان علة الاختصاص افلا تتقون
باسه وسطوته الاستفهام للحث والطلب مثل فهل انتم شاكرون فقال الملا الذين كفروا
من قومه اي اشرافهم لعوامهم ما هذا الا بشر مثلكم يريد ان يتفضل عليكم فلذلك يدعي الرسالة
ولو شاء الله ارسال الرسول لانزل ملائكة لاعتقادهم ان البشرية تنافي الرسالة ما سمعنا
بهذا في آبائنا الاولين قالوه اما عنادا واما لتطاول الفترة وبعد العهد ان هو الا رجل به
جنة جنون ما يدري ما يقول فتربصوا به حتى حين الى ان يموت او يرجع عن دعواه قال
رب انصرني بما كذبون اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي فان في اهلاكهم نصرته او انصرني بدله والمعنى
ابدلني من غم تكذيبهم سلوة النصرة او ما موصولة والبا للآلة اي بالذي كذبون فيه وهو العذاب
الموعود بقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم اي انجز لي ذلك الوعد فاوحينا اليه ان اصنع

الفلك باعيننا بحفظنا وكلائتنا ووحينا وامرنا بذلك وقدم الحفظ على الوحي وان تاخر
وجوده لكونه الاصل الذي لا يتم شيء بدونه فاذا جاء امرنا باهلاك القوم وفار التنور بالماء
قيل لنوح اذا فار التنور اركب السفينة واختلف في موضعه قيل بمسجد الكوفة عن يمين الداخل
من باب كندة وقيل بعين وردة بالشام وقيل بالهند وعن ابن عباس التنور وجه
الارض وعن علي رضي الله عنه فار التنور طلع الفجر ولعل ذلك لان هلاكهم كان بعد طلوع
الفجر فاسلك فيها فادخل فيها يقال سلك فيها وسلك غيره قال عبد مناف الهذلي
حتى اذا اسلكوهم في قتائدة من كل زوجين من كل صنفين الذكر والانثى اثنين ذكرا وانثى
مفعول اسلك وقرا حفص من كل بالتنوين اي من كل جنس او من كل ذكر وانثى
زوجين مفعول واثنين صفة للتاكيد كامس الدابر واهلك واهل بيتك اذ لم ينج
غيرهم لقوله وجعلنا ذريته هم الباقين الا من سبق عليه القول منهم وهو ابنه الذي
كان من المغرقين ولا تخاطبني في الذين ظلموا في استدفاع العذاب عنهم اذا ادركتك
رقة الجنسية او لا تدعني لاهلاكهم من اخرى بقولك انصرني ولا تذر من الكافرين ديارا
انهم مغرقون لا محالة لسبق بذلك القول فاذا استويت انت ومن معك على الفلك
فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين فان النجاة من العدو وكل نعمة دونه وفيه
اشارة الى علة النهي عن الخطاب في حقهم لان من هلاكهم نعمة يحمد عليها كيف يليق
السعي في خلاصه وقل رب انزلني منزلا مباركا فيه مزيد خير الدارين وقرا ابو بكر منزلا
بفتح الميم من النزول مصدرا او اسم مكان وقراءة القوم اوفق بقوله انزلني وانت خير
المنزلين ثناء اخذ من لفظ الدعاء امره ان يشفع به الدعاء توسلا به الى الاجابة وافراده
لانه سيد القوم لما امر به فهم مامورون به ولان كبرياء الالوهية اجل من مخاطبة اي من
كان بل لا يصلح لذلك الا نبي مرسل او ملك مقرب ان في ذلك في شان نوح وقومه
لآيات كثيرة لمن تامل وتدبر وان كنا لمبتلين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد
او ممتحنين عبادنا لننظر من يتذكر لقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر ثم انشانا من بعدهم
قرنا آخرين هم عاد قوم هود لقوله واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح فارسلنا فيهم رسولا
منهم اليهم وانما جعل القوم موضع الارسال تاكيدا لالزام الحجة لانه منهم ليس اجنبيا حتى
يانفوا عن اتباعه ونشا فيهم وبين اظهرهم يعرفون ديانته وامانته ان اعبدوا الله مالكم
من اله غيره ان مفسرة لارسلنا افلا تتقون سخط الله وقال الملأ من قومه الذين كفروا
وكذبوا بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الثواب والعقاب وانما عطف مقالتهم على مقالة
الرسول هنا ولم يعطف في الاعراف وهود لان الكلام هناك في حكاية المقالة بين
الرسول والمرسل اليه الا ترى الى قولهم انا لنراك في سفاهة وقولهم ما نراك الا بشرا مثلنا وهنا على
ذلك الاستيناف بين كانه قيل ما قالوا في جوابه فقيل كيت وكيت واما هنا لم يخاطبوه بل قال
بعضهم لبعض كلاما فاشير الى الجمع بين قوله الحق وقولهم الباطل فلا مساغ للاستيناف واترفناهم

في الحيوة

في الحيوة الدنيا بكثرة المال والاولاد ما هذا الا بشر مثلكم لا مزية له ياكل مما تاكلون منه
ويشرب مما تشربون بيان لوجه المماثلة والعائد الى الموصول الثاني منصوب محذوف
وتقدير المجرور وحذفه مع الجار ضعيف ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون حيث
تضيعون انفسكم لمن لا يستحق واذا جزاء للشرط وجواب لمن قال من قومه تتبعه ايعدكم
انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما انكم مخرجون من الاجداث او من العدم حسن تكرار انكم
لطول الفصل ومخرجون خبر عن الاول والظرف لغو يتعلق به او انكم مخرجون مبتدأ والظرف
خبره والجملة خبر عن انكم على معنى ايعدكم انكم اخراجكم كائن اذا متم او انكم مخرجون مرفوع
بفعل هو الجزاء للشرط والشرطية خبر انكم كانه قيل ايعدكم انكم اذا متم وقع اخراجكم هيهات
هيهات من الاصوات المبنية لكونها بمعنى الماضي لما توعدون اللام زائدة وما توعدون
فاعله اي بعد ذلك الموعود اي بعد ولذلك اكده او هيهات معناه البعد كما نقل عن
الزجاج والجار والمجرور خبره وفي وجه بنائه على هذا تكلف واللام لبيان المستبعد كانه لما
صوت به قيل لاي شيء هذا الاستبعاد وقيل لما توعدون وفاعل هيهات على هذا ضمير
البعد كانه قيل وقع البعد لما توعدون نظيره لقد تقطع بينكم بنصب بين اي وقع التقطع
وعن ابن جني ان الفاعل مبهم وفيه عدول عن اللام لانه يمنع ان يكون ما توعدون
مفسرا ان هي الا حياتنا الدنيا الضمير لمعهود ذهني عدل عنه حذرا عن التكرار اي ما الحيوة
الا حياتنا الدنيا نموت ونحيي يموت بعضنا ويولد بعض او يحيى ويموت لا حالة تعقل
سواهما قدم الموت لانه مظنة الريب وما نحن بمبعوثين كما تزعم محمد ان هو الا رجل
افترى على الله كذبا اخترعه قصدا اراد ان يغويكم وما نحن له بمؤمنين يوما قال رب
انصرني بما كذبون بسبب تكذيبهم او بدله قال عما قليل ما يؤكد معنى القلة او موصوفه
ليصبحن نادمين حيث لا ينفع الندم فاخذتهم الصيحة بالحق صاح بهم جبرئيل فهلكوا
مكانهم ولا دلالة للصيحة على ان القوم قوم صالح لجواز ان يكون مع الريح صيحة جبرئيل
تغليظا للعذاب كامطار الحجارة على قوم لوط بعد ان جعل عاليها سافلها يؤيده قوله
ونجيناهم من عذاب غليظ اي هود ومن آمن فجعلناهم غثاء شبه الغثاء وهو حميل السيل
شبههم به في البلى وتفرق الاوصال والخروج عن عدم الانتفاع فبعدا للقوم الظالمين
اي ذلك العذاب النازل بهم هلاكا لهم دعاء عليهم للاهانة والاستحقاق كانه ما نزل بهم
نظرا الى ما اعد لهم من عذاب الآخرة وهو من المصادر التي يجب حذف ناصبها يقال بعد
بعدا وبعدا كرشد رشدا ورشدا ثم انشانا من بعدهم قرونا آخرين اي قرونا واجيالا
ما تسبق من امة اجلها على كثرة القرون وما يستاخرون عن الوقت المقدر ثم ارسلنا رسلنا
تترى واحدا بعد واحد من المواترة وهي المتابعة بين الاشياء مع فترة ومهلة والتاء
بدل عن الواو كتجاه وتراث ونونه ابن كثير وابو عمرو على ان الالف للالحاق كلما جاء امة
رسولها كذبوه اضاف الرسول اليهم لوجود الملابسة فاتبعنا بعضهم بعضا وجعلناهم احاديث

فبعدا للقوم لا يؤمنون مثلا كالهم ثم ارسلنا موسى واخاه هرون باياتنا وسلطان مبين
بحجة واضحة قيل هي العصا افردها لكونها اشرف المعجزات باعتبار اشتمالها على معجزات شتى
او هو الايات والعطف باعتبار الصفات الى فرعون وملائه اشراف قومه خصهم بالذكر
لان الرعايا والسوقة اتباع ولذلك قال رسول الله لهرقل فان توليت فعليك اثم
الاريسيين فاستكبروا عن الايمان وكانوا قوما عالين ذوي شرف وعز من علي
بالكسر يعلى علا فهو علي اي شريف او من علوت الرجل غلبته وعلى الوجهين جار مجرى علة الاستكبار
او من علي في الارض تكبر وكانوا قوما دابهم التكبر قالوا انؤمن لبشرين مثلنا يطلق على
الواحد والتثنية والجمع وكذلك المثل وانما افرد وكراهة توالي التثنيين وقومهما لنا عابدين
زعم ان خدمتهم له عبادة لا دعائه الالوهية او اراد بها الانقياد والخضوع فكذبوهما فكانوا
من المهلكين بالغرق ولقد اتينا موسى الكتاب لعلهم يهتدون اي بني اسرائيل لان
التورية نزلت بعد غرق فرعون وقومه وجعلنا ابن مريم وامه اية دالة على كمال القدرة
والعلم افرد الاية لانه اريد ما تعلق بهما من امر الولادة او حذفت الثانية لدلالة الاولى
عليها واويناهما الى ربوة الى ارض مرتفعة هي بيت المقدس لانها اوقع اجزاء الارض
واقربها الى السماء بثمانية عشر ميلا وقيل رملة فلسطين وقيل دمشق وقيل مصر والوجه هو
الاول ذات قرار مستقر من الارض يسكنها الناس لكثرة الثمار ومعين وماء جار من
معن الماء اذا سال بعيد لقوته ومنه امعنت في السير واسم مفعول من عانه ادركه بعينه وجعله
فعيلا من الماعون لا يناسب المقام يا ايها الرسل كلوا من الطيبات المعنى ان كل رسول
خوطب في زمانه وايراده على هذا الوجه ليعتقد السامع ان امرا نودي به جميع الرسل حقيق
بان يؤخذ به ويجوز ان يكون هذا حكاية ما قيل لعيسى واته عند الايواء اي اعلمناهم ان
الرسل كلهم مخاطبون بذلك وفيه ابطال للرهبانية التي ابتدعها النصارى وبعض جهلة
المتصوفة في زماننا والطيبات ما تستلذه النفس من الماكل والفواكه وقيل ما حل من الرزق
وهو ثلاثة اقسام حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله
فيه والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل وعنه صلى الله عليه وسلم كل ما شئت والبس ما شئت
ما اخطاتك خصلتان السرف والمخيلة واعملوا صالحا فانه المقصود من ذلك اني بما تعملون
عليم فاجازيكم على حسبه وان هذه ولان هذه متعلق بفاتقون وقرا الكوفيون ان بالكسر
على الاستيناف او عطفا على اني وابن عامر ان بالفتح مخففة والكسر هو المختار لعدم الحذف
والتقدير امتكم دينكم وملتكم امة واحدة في الاصول والعقايد نصب على الحال على الوجوه
الثلثة وانا ربكم فاتقون في مخالفة امري وقد بينت لكم ان الدين واحد فتقطعوا امرهم
بينهم بعد تلك الوصية خالفوا وتوزعوا الدين وتقسموه زبرا قطعا جمع زبرة او جمع زبور وهو
الكتاب اي كل احد بكتابه وكفر بالاخر فهو حال من امرهم ومن الواو ومفعول ثان لتقطعوا
لتضمنه معنى الجعل كل حزب بما لديهم فرحون معجبون بدينهم معتقدون انهم على الحق

فذرهم

فذرهم في غمرتهم حتى حين الى ان يموتوا او يقتلوا شبه حالهم في استغراقهم في الجهالة بمن
غمره الماء او علاه وكانه قال دعهم في هذا الجهل الذي لا جهل فوقه دلالة على الياس وعدم
نجع القول فيهم واوجح فيه التسلية ببيان الغاية وهو قتلهم او موتهم ايحسبون ان
ما نمدهم به اي نجعله مددا لهم بعد شيئا تقرير مع الانكار من مال وبنين بيان ما
نسارع لهم في الخيرات اكراما لهم وايثارا فيما لهم فيه خير ويجوز ان يراد جزاء الخيرات
كما للمؤمنين في الاخرة والعايد محذوف اي نسارع به لهم بل لا يشعرون لا شعور لهم
لينظروا اهل هم مستوجبون للاكرام ام ذلك استدراج ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون
خايفون غاية الخوف هم اضداد السابقين والذين هم بايات ربهم المنزلة والمنصوبة
في الافاق والانفس يؤمنون يصدقون والذين هم بربهم لا يشركون شركا جليا
ولا خفيا فان كلا منهما يحبط العمل والذين يؤتون ما اتوا يعطون من الصدقات
والبر ما اعطوا وقرء واتوا عليه قليلا كان او كثيرا وقلوبهم وجلة خايفة هل يقبل منهم ام لا
استقلالا لها واعظاما للجناب القدس تعالى انهم الى ربهم راجعون وهو قد حاطهم في
ضمايرهم اولئك يسارعون في الخيرات الباقية سرمدا فيه تعريض لمن تقدم ذكرهم
بان همتهم في المسارعة في الفاني او يسارعون في نيل الخيرات الدنيوية قبل ثواب الاخرة
بتلك الاعمال لقوله فاتاهم الله ثواب الدنيا وهذا وان كان احسن طباقا للاية المتقدمة
فانه اثبت لهؤلاء ما نفي عن اولئك الا انه قاصر لان ثواب الدنيا بالعرض لقوله من
عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حيوة طيبة وهم لها سابقون اي لتلك
الخيرات سابقون الناس او فاعلون السبق او سابقونها اي ينالونها قبل الاخرة
واللام لتقوية الاسم لتقدم معموله ولا نكلف نفسا الا وسعها اعتراض للترغيب لانه
امر سهل لا حرج فيه من تقاعد وهو المقصر والمعنى ان التكليف على قدر الوسع فمن
بذل جهده ولم يبلغ تلك المرتبة فلا عليه ولدينا كتاب ينطق بالحق هو اللوح او كتاب
الحفظة لا يضيع فيه مثقال ذرة لمن لم يتمم همته الى الاول ولا ينبغي ان تقعد به عن الثاني
وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة عقاب الضمير للفريقين بل قلوبهم في غمرة في
غطاء وسترة اضراب عن الاضراب الاول ترقيا في وصفهم بالغفلة فان عدم الشعور
قد يكون لعدم التوجه واما المستور بالغطاء ولا يمكن الوصول اليه ولو توجه وبذل الوسع
من هذا اي مما وصف به المؤمنون ولهم اعمال من دون ذلك الذي وصف به
المؤمنون او متخطية عما وصفوا به من الشرك هم لها عاملون معتادون بها منهمكون
فيها لا يرعوون حتى اذا اخذنا مترفيهم بالعذاب حتى هذه هي التي يبتدا الكلام بعدها
والعذاب قتل المترفين يوم بدر وقيل القحط لما دعا عليهم رسول الله فقال اللهم اشدد وطاتك
على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فقحطوا حتى اكلوا الجيف ويرده قوله اذا هم
يجارون يعرضون بالاستغاثة لا تجاروا اليوم انكم منا لا تنصرون لا تمنعون القحط

قد ارتفع عنهم بدعائه صلى الله عليه وسلم لما جاءه ابو سفيان وقال يا محمد انك تأمر بصلة
الارحام وقد ترى ما اصاب قومك قد عادوا وقال الله تعالى انا كاشف العذاب قليلا
انكم عائدون قد كانت اياتي تتلى عليكم يعني القران الدال باعجازه على انه كلامه تعالى
فكنتم على اعقابكم تنكصون ترجعون القهقرى كالخايف من الشئ اشارة غاية الى الشئ
اعراضهم مستكبرين به بالبيت الحرام زعما منهم انهم ولاة البيت لا يؤاخذون شهرته
اغنت عن سبق الذكر او بالتكذيب او بالايات وتذكير الضمير لانها في معنى الكتاب
والقران او الجار متعلق بقوله سامرا او الضمير للقران والسمر حديث الليل اصله ضوء القمر
فانهم كانوا يجتمعون حول البيت ويأخذون في مثالب القران وسب الرسول تارة
يقولون شاعر وتارة ساحر وتارة يقولون القران اساطير الاولين انما يعلمه بشر والسامر
اسم الجمع يقال هم سمار وسامر تهجرون من الهجر بضم الهاء وهو الفحش من القول او من
الهجر بالفتح وهو الهذيان والتخليط في الكلام وقرا نافع بضم التاء من اهجر اذا اتى بالهجر
اى الفحش او الهذيان فلا تاييد في قراءة نافع لاحد المعنيين افلم يدبروا القول اى القران
ليعلموا انه كلام الله المعجز بل تدبروا مدة متطاولة ام جاءهم ما لم يأت اباءهم الاولين
بل اجاءهم الكتاب والرسول ولم يأت اباءهم الاولين وليس ذلك موضع الانكار
او قد تواتر عندهم مجيء الرسل وانزال الكتب الى ساير الامم او جاءهم من الامن من
عذاب الله ما لم يأت اباءهم الاولين كاسمعيل واعقابه روي عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا ولا الحرث بن كعب
ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا مسلمين وما شككتم في شئ فلا تشكوا في
اسلام تبع فانه كان مسلما على شريعة سليمان بن داود ام لم يعرفوا رسولهم دينه
والامانة وصدق لهجته وشرف نسبه حيث اقتعد غارب المجد وحل في سطة هاشم
فهم له منكرون لفقد شئ من تلك الكمالات ام يقولون به جنة فلا يبال بكلامه كلا
قد كانوا يعلمون انه ارجح الناس عقلا واثقبهم رايا ومن وقف على خطبة ابي طالب
عند نكاح خديجة علم ما كان فيه من صفات الكمال من اول نشاته بل جاءهم بالحق
بالتوحيد الذي لم يالفوه وقد اندرج على الشرك اباؤهم واكثرهم للحق كارهون قيد
بالاكثر لان قليلا منهم ما كان لكره الايمان ولكن لمنعه الاستكبار وخوف لائمة الناس
كابي طالب كان يمدحه ويمدح دينه ومات على الكفر خوفا من لوم الناس ان يقولوا في
كبر سنه تبع بنيه وانما اعاد المظهر لئلا يتوهم عود الضمير اليه ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت
السموات والارض ومن فيهن لفسد النظام لان الاهواء مختلفة والدواعي متباينة
او لو اتبع الحق اهواءهم انقلب باطلا ولا ابقاء للعالم مع الباطل بل اتيناهم بذكرهم
بالكتاب الذي فيه شرفهم او تذكيرهم وعظهم او الذكر الذي كانوا يتمنونه يقولون لو ان
عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله المخلصين فهم عن ذكرهم معرضون جهلا منهم

وعنادا

وعنادا ام تسالهم خرجا قسيم لقوله ام يقولون به جنة وما بينهما اعتراض برهانا على انه
منزه من الجنون بل ما جاء به هو الحق الابلج فخراج ربك خير فالاجر الذي وعدك ربك خير
من الفاني الذي عندهم وقد رضيت بذلك فلا وجه لنفرتهم وقرا ابن عامر بقصرهما
وحمزة والكسائي بمدهما والباقون بقصر الاول ومد الثاني وهما لغتان وقيل الخرج
الجعل والخراج الفريضة وقيل الاول مصدر والثاني اسم والاوجه القصر لانه اخف والمعنى
عليه اظهر وزيادة المباني لزيادة المعاني انما هو عند اتحاد المعنى وعدم المعارض وهو
خير الرازقين لدوام رزقه وسعته وعدم ثبوته لغيره تقرير لكون خراجه خيرا وانك
لتدعوهم الى صراط مستقيم لا عوج فيه وان الذين لا يؤمنون بالاخرة عن الصراط
لناكبون عادلون عنه لان اتباع الحق وسلوك طريقه انما هو من خوف العقاب
ومن لا يؤمن بالاخرة امن من ذلك ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر هو الجوع والقحط
للجوا في طغيانهم لتمادوا فيه يعمهون متحيرون عن الهدى ولقد اخذناهم بالعذاب
بالقحط والجوع فما استكانوا لربهم ما انتقلوا من كونهم الاول الى اخر استفعال من الكون
او افتعال من السكون وما يتضرعون بل استمروا على عتوهم الذي كانوا عليه حتى اذا
فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد وهو القتل يوم بدر او عذاب جهنم اذا هم فيه مبلسون
آيسون من ابلس اذا ايس هذا وتفسير العذاب الشديد بالجوع وقول ابي سفيان
قتلت بعضهم بالسيف يوم بدر وبعضهم بالجوع لما منع ثمامة الميرة عن اهل مكة سهو
لان القحط وقع ورسول الله بمكة ووقعة بدر بعده بالمدينة وكذا اسلام ثمامة رواه البخاري
وهو الذي انشا لكم السمع والابصار والافئدة خص السمع والابصار والافئدة بالذكر لانه
يتعلق بها من المنافع الدينية والدنياوية ما لا يتعلق بغيرها وقدم السمع والابصار لانها
الات الادراك وبها يدرك المعجزات قليلا ما تشكرون تصرفها الى ما خلقت له وهو الذي
ذراكم في الارض بثكم فيها بالتناسل واليه تحشرون تجمعون بعد ذلك التفرق للجزاء وهو
الذي يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار مختص به لا يقدر عليه احد سواه افلا تعقلون
تستعملون عقولكم في النظر والتدبر فيما خلقتم له قبل فوات الوقت بل قالوا مثل ما قال
الاولون اعرض عن خطابهم ناعيا عليهم جهلهم وجهل اسلافهم الذين اقتدوا بهم قالوا
ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون اي انه منكر محال لقد وعدنا نحن واباؤنا
هذا من قبل قبل وجودنا ومجيء محمد يريدون ان ما يقوله قول قيل قبله بدهر وقد ظهر لمن
تقدمنا بطلانه ان هو الا اساطير الاولين الا اكاذيبهم المختلقة جمع اسطورة كالاعجوبة والاضحوكة
وهذا الغباء لما يتلهى به وقيل جمع اسطار جمع سطر كافراس وفرس والسطر صف من
الكتابة والاول احسن واوفق قل لمن الارض ومن فيها من المخلوقات من تغليب العقلاء
ان كنتم تعلمون ذلك اهانة لهم حيث لا يعلمون هذا الواضح الجلي فهم عن علم التوحيد
ودقايقه بمعزل وان كنتم من اهل العلم حيث زعمتم ان ما يقوله من اساطير الاولين

سيقولون لله بلا ريب لانه لا يتوقف على فكر قل افلا تذكرون بعد هذا الاقرار فان
توجه النظر الذى هو ايسر الاشيا كاف فى حل عقدكم قل من رب السموات السبع ورب
العرش العظيم سيقولون لله قرأه ابو عمرو والذى بعده باللام وجرّ الهاء وهو طبق السؤال
معنى او معنى من رب الدار لمن الدار وعليه رسم الامام والبصرى قل افلا تتقون عقاب
من هذا صنعه قل من بيده ملكوت كل شى وهو يجير يغيث ويحرس من يشاء ولا يجار
عليه ولا يغاث منه احد وتعديته بعلى لتضمين معنى النصرة ان كنتم تعلمون اعاده زيادة
فى التوبيخ سيقولون لله قل فانى تسحرون تخدعون عن الرشد مع ظهوره ساق الايات
الثلث على اسلوب بديع ذكر الارض اولا لانها اقرب اليهم ومنها نشأتهم ثم رقى الى
السموات والعرش العظيم التى الارض بالنسبة اليها كلا شى ثم الى من بيده ملكوت
كل شى فانى باعم العام وكلمة الاحاطة ولفظ الملكوت الدال على سعة الملك وغاية الاختصاص
وذكر اليد تصويرا للعظمة وان الكائنات تحت قدرته كلعبة فى يد قادر يقلبها كيف
يشاء وراعى فى الفواصل ايضا ذلك حيث ذكر بعد ذكر الارض التذكر الذى هو ايسر النظر ثم
الاتقاء الدال على الوعيد ثم التعجب من خدع عقولهم وتخييل الباطل حقا والحق باطلا بعد
الاقرار والاعتراف بتلك المقدمات القواطع وكما انها تقرير للسابق من ابطال شبهة
منكرى البعث كذلك تمهيد للاحق من ازاحة اوهام اهل الشرك ورافضى التوحيد
بل اتيناهم بالحق بالبرهان الدال على البعث والتوحيد وانهم لكاذبون فى انكارهما
ما اتخذ الله من ولد لتقدسه عن مماثلة والمجانسة وما كان معه من اله يشاركه فى
الالوهية اذا لذهب كل اله بما خلق جواب لمن حاجه من المشركين وجزاء الشرط محذوف
دل عليه قوله وما كان معه من اله اى لو كان معه آلهة لذهب كل اله بما خلق ولعلا
بعضهم على بعض كما ترون من ملوك الدنيا وقد تقدم الكلام عليه وافيا فى قوله لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا سبحان الله عما يصفون من اتخاذ الولد والشريك عالم الغيب
والشهادة برهان آخر دال على بطلان الشرك لان من يدعون له الالوهية مثلا ليس من
شأنه الادراك فتعالى عما يشركون وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وحفص عالمِ بالجرّ على
الوصف وهو المختار لسلامته عن الحذف قل رب اما تريني ما يوعدون لقولك واما نرينك
بعض الذى نعدهم رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين داخلا فى زمرة المعذبين وهذا
كما امر به هضما لنفسه واظهارا للتواضع والعبودية مع علمه بانه قد غفر له ما تقدم من ذنبه
وما تأخر وكرر لفظ الرب اشارة الى ان التضرع والجؤار عنده بمكان وانا على ان نريك
ما نعدهم لقادرون كانوا يقولون متى هذا الوعد فقيل ان الله قادر على ان ينجز ذلك
الوعد لكن لكل امر وقت مقدر اقتضته الحكمة وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ولان فى
اصلابهم من سبق فى العلم انه سيؤمن ادفع بالتى هى احسن السيئة اى ادفع السيئة بالحسنة
التى هى احسن من غيرها من الحسنات فانها متفاوتة واللايق بك ايثار اكمل الاخلاق وهو الصفح

والاحسان

والاحسان بعده وبذل الوسع فيه ومن عفو ونفسه بهذا بان عليه الصفح عن السيئات
واتباعها الحسنات نحن اعلم بما يصفون اى يصفونك به على خلاف ما انت عليه وفيه
وعد شديد لهم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين وساوسها واغراءاتها على
المعاصى الهمز النخس ومنه مهماز الرايض تشبيه المعقول بالمحسوس لجامع الحث والجمع
اما لتنوع الوساوس او لتعدد المضاف اليه واعوذ بك رب ان يحضرون اى يحوموا
حولى فضلا عن الوسوسة حتى اذا جاء احدهم الموت غاية لقوله ادفع دالة على كون الآية
غير منسوخة وان المداراة مرغب فيها ما لم يؤد الى ثلم دين او ازراء بمروءة او ليصفون على
معنى ان طعنهم فيك وسوء القالة مستمر الى حين الموت وعلى الوجهين ما بينهما اعتراض
يؤكد شأن الاغضاء والصفح مستعينا بالله عن الشيطان ان يستزله عن الحلم او لقوله وانهم
لكاذبون وقوله ما اتخذ الله من ولد الى هنا كالاعتراض يؤكد كذبهم ويحقق استحقاقهم
البراءة منهم قال رب ارجعون اى اذا عاين الموت ادركته الحسرة على ما فرط فيه من
الايمان وعنه صلى الله عليه وسلم اذا عاين المؤمن الملائكة يقولون نرجعك الى الدنيا
فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله تعالى واما الكافر فيقول رب ارجعون
وخطاب الله بلفظ الجمع على قصد التعظيم كقوله الا فارحمونى يا اله محمد ويجوز ان يكون الخطاب
للملائكة ورب جرّ على اضمار حرف القسم لعلى اعمل صالحا فيما تركت اى فى الايمان الذى
تركته او فى المال الذى خلفه كلا ردع له عن تلك المقالة واستبعاد انها كلمة هو قائلها
لا محالة لاستيلاء الندم عليه كما تشاهد الواقع فى بلية يتكلم بما هو مصون بعد قبوله منه والكلمة
طايفة من الكلام ومن ورائهم برزخ امامهم حاجز عن الرجوع البرزخ ما بين كل شيئين
الى يوم يبعثون اقناط كلى او بعد البعث لا رجعة فاذا نفخ فى الصور نفخة البعث فلا انساب
بينهم يومئذ لا نفع لها وانما النافع هى الاعمال الصالحة روى احمد بن حنبل عن المسور ان
رسول الله قال ان الانساب تنقطع يوم القيمة الا نسبى وسببى وصهرى او لفرط الحيرة
لا يتذكر احد نسبه ولا يتساءلون اى لا يسأل بعضهم احوال بعض لشدة الامر كيف ويفر المرء
من اخيه وامه وابيه وهذا فى اول الامر لقوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون وفى الحديث
يشفع المؤمن فى سبعين من اقاربه وخلانه فمن ثقلت موازينه موزونات اعماله الصالحة
فاولئك هم المفلحون الفائزون بكل بغيه ومن خفت موازينه ومن لم يكن له عمل يوزن
لقوله فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا عبر عنه بالخفة لوقوعه فى مقابلة الثقل الذى هو ضده
فيحسن الطباق فاولئك الذين خسروا انفسهم حيث اوردها موارد هلاك الابد وفوتوا حظوظها
فى جهنم خالدون بدل من الصلة لا محل له من الاعراب او خبر آخر لاولئك تلفح وجوههم
النار تضربها على الدوام اللفح والنفح حرّ النار وسمّها والاول اشد وهم فيها كالحون عابسون
تقلص شفاههم وتبدو اسنانهم روى الترمذى تقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط
رأسه والسفلى حتى تبلغ سرته الم تكن اياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون تذكير لهم بما لاجله استحقوا

هذا العذاب وجمع بين عذاب النار وعذاب الندامة قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا
حتى بلغت بنا هذا الحال وقرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بفتح الشين والمد وهما لغتان كالسعادة
والكتابة والقصر اخف واشهر وهي لغة الحجاز وكنا قوما ضالين عن طريق الرشد ربنا اخرجنا
منها من النار فان عدنا الى ما كنا فيه فانا ظالمون لانفسنا قال اخسئوا فيها ازجروا كما
ينزجر الكلاب يقال خسأت الكلب زجرته فخسأ انزجر لازم ومتعد ولا تكلمون في رفع
العذاب او مطلقا وعن ابن عباس رضي الله عنه لهم ست دعوات اذا دخلوا النار نادوا
الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا ربنا امتنا
اثنتين فيجابون ذلكم بانه اذا دعي الله وحده كفرتم فينادون الفا يا مالك ليقض علينا
ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرجنا فيجابون اولم تكونوا اقسمتم من
قبل ما لكم من زوال فينادون الفا اخرجنا نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم ما يتذكر فيه من
تذكر فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسئوا فيها فلا كلام لهم بعد الا الزفير والشهيق
وعواء الكلاب وعن ابن عمر ينادون ربنا غلبت علينا شقوتنا ربنا اخرجنا منها لقدر مدة
الدنيا مرتين لم يجبهم بقوله اخسئوا فيها ولا تكلمون انه كان فريق من عبادي يعني
المؤمنين كافة او الصحابة او اصحاب الصفة يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وانت
خير الراحمين فاتخذتموهم سخريا هزوا وقرأ نافع وحمزة والكسائي بضم السين وهما مصدر سخر
استهزأ وياء النسبة للمبالغة وعن يونس والفراء ان الضم من العبودية والكسر من الاستهزاء
وهو المختار لكونه نصا في المراد واخف حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون اي اشتغلتم
باستهزائكم الى ان جركم الى ترك ذكري في اوليائي فلم تخافوني وفيه دلالة على كمال اختصاص
المسخور منهم اني جزيتهم اليوم بما صبروا على اذاكم وفي هذا الاكرام زيادة خسار لاولئك لاضداد
انهم هم الفائزون ثاني مفعولي جزيتهم وقرأ حمزة والكسائي بالكسر على الاستئناف والمفعول
محذوف اي الخير او الجنة قال كم لبثتم في الارض عدد سنين اي قال الله تعالى او الملك
الموكل بعذابهم وقرأ حمزة وابن كثير والكسائي قل على صيغة الامر قالوا لبثنا يوما او بعض يوم
استقصروا مدة لبثهم لان ايام السرور قصار او لان الممتحن يستطيل ايام المحنة ويستقصر
ايام الدعة او لان المنقضي في حكم ما لم يكن فاسأل العادين الملائكة الذين كانوا يعدون
اعمار العباد او فاسأل من يقدر على العد فانا في شغل شاغل من ذلك الا انا على التخمين
نظنه يوما او بعض يوم قال ان لبثتم الا قليلا لو انكم كنتم تعلمون تصديق لهم على تقال
المدة وتوبيخ على غفلتهم التي كانوا فيها وقرأ حمزة والكسائي قل على صيغة الامر والمأمور من
في النار والافراد لارادة الجنس ووافقهما ابن كثير في الاول وعليه رسم الكوفي والمدني وفق لقوله
قال ان لبثتم افحسبتم انما خلقناكم عبثا تقريرية توبيخ على ظنهم الفاسد وعبثا حال اي عابثين
او مفعول له اي للعبث وانكم الينا لا ترجعون عطف على انما خلقناكم ويجوز عطفه على عبثا
ان جعل مفعولا له اي للعبث ولانكم غير مرجوعين وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء من الرجوع

فتعالى الله الملك الحق الثابت الملك الذي لا يزول ملكه من العبث وكيف يليق به
لا اله الا هو رب العرش الكريم وصفه بالكرم لانه مظهر الاحكام ومعدن البركات او لانه
عرش اكرم الاكرمين وصف بوصفه مجازا كما قال بيت كريم اذا ساكنوه كراما ومن
يدع مع الله الها آخر تشريكا له في الالوهية لا برهان له به صفة ثانية للتأكيد لان في الالهة
ما يجوز قيام البرهان عليه او اعتراض بين الشرط والجزاء فانما حسابه عند ربه فيجازيه
على قدر استحقاقه انه لا يفلح الكافرون ان الشان لا يفلح الكافرون ومفهومه ان
المؤمنين مفلحون كما نطق به صدر السورة فانتظمت الفاتحة مع الخاتمة وقل رب
اغفر وارحم وانت خير الراحمين الامر والمراد امته ليتوسلوا بهذا الدعاء الى ذلك الفلاح
وعن عمر بن الخطاب قال سمعنا دويا كدوي النحل فمكثنا ساعة فاستقبل رسول الله
صلى الله عليه وسلم القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا
ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا ثم قال لقد انزلت علي عشر آيات
من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون تمت السورة ولله الحمد سورة النور
مدنية وهي ثنتان واربع وستون آية بسم الله الرحمن الرحيم سورة
خبر مبتدأ محذوف اي هذه سورة انزلناها صفة او مبتدأ موصوف والخبر محذوف
اي فيما اوحينا اليك سورة انزلناها وفرضناها الزمناكم ما فيها من الاحكام واصل الفرض
القطع والتقدير وشدده ابن كثير وابو عمرو للمبالغة والتوكيد او لان فيها فرايض شتى
ففيه براعة الاستهلال كما في اوفوا بالعقود او بمعنى فصلنا او لكثرة المفروض عليهم
وفيه انه جار في سائر الفرائض وانزلنا فيها آيات بينات واضحات لا يتوقف على
فكر وتأمل لعلكم تذكرون فتتقون المحارم الزانية والزاني مرفوعان على الابتداء والخبر
محذوف عند الخليل وسيبويه اي فيما يتلى عليكم اي جلدهما ويجوز ان يكون فاجلدوا كل
واحد منهما مائة جلدة ودخول الفاء لتضمن الموصول معنى الشرط وقدم الزانية على الزاني عكس
اية السرقة لان بواعث الزنى تبدو اولا منها ولانها المحل فلو امتنعت لم يكن وقوعه
والجلد هو الضرب على الجلد وفيه اشارة الى التخفيف هذا حكم البالغ الحر والعبد يجلد
نصفه واما المحصن فارجم لقوله الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما وكان قرآنا نسخ لفظه
وزاد الشافعي على الجلد تغريب عام على الحر لما روى مسلم والبخاري مرفوعا البكر بالبكر
جلد مائة وتغريب عام ولم يقل به ابو حنيفة لان خبر الواحد لا يزاد به على الكتاب وشرط
ابو حنيفة الاسلام في الاحصان لقوله صلى الله عليه وسلم من اشرك بالله فليس بمحصن
وللشافعي ما في البخاري ومسلم ان رسول الله رجم يهوديين قيل ان المحصن في ذلك
الحديث من يقتص له من المسلم ولا تأخذكم بهما رأفة هي شدة الرحمة وقرأ ابن كثير بفتح
الهمزة وهما لغتان في دين الله في نصره ورفع شأنه ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر
فان الايمان بهما يقتضي ذلك وايثاران وايمانهم مقطوع به لان الجنسية وصل الطبع على

المسامحة والمساهلة وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين فان الحكمة في شرع الحد الزجر عن
المعاودة والنفوس الابية تنزجر بالتشهير اكثر من الضرب والعذاب لا سيما بين قومه
واهل حرفته ولذلك قيد بالمؤمنين والطائفة الجماعة التي يمكن ان يكون حافة حول الشيء
من الطواف وعن ابن عباس من الاربعة الى الاربعين ولا يناسبه هذا ما روي عنه
من واحد فصاعدا لان الغرض هو التشهير ولا يحصل الا بالجمع وذلك بحسب اللغة وهو الطوف
والدوران الزاني لا ينكح الا زانية او مشركة والزانية لا ينكحها الا زان او مشرك عن عائشة
رضي الله عنها ان حكمها باق وان من تزوج بالزانية فهو زان على الدوام وبه قال الامام
احمد وعن سعيد بن المسيب ان الامر كان على ذلك فنسخ بقوله وانكحوا الايامى منكم وقيل
نزلت الاية في اصحاب الصفة كانوا فقراء وكان بالمدينة بغايا موسرات فارادوا انكاحهن
فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت والاصح انه تنفير عن نكاح البغايا وتزهيد
واشارة الى ان اهل الايمان والصلاح لا يليق بهم الرغبة الا في العفائف فان الاخلاق
تسري والمصاحبة تؤثر عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه وتقديم الزاني عكس ما في
صدر السورة لان النكاح صفة الرجال وهم الاصل في ذلك وحرم ذلك على المؤمنين
كراهة تحريم او تنزيه على القولين والذين يرمون المحصنات يقذفون العفائف
من النساء بالزنى دل عليه ذكر الاحصان وتقييد الشهود بالاربعة وقرا الكسائي بكسر الصاد
ثم لم ياتوا باربعة شهداء يشهدون بزنى المقذوفة بانهم راوا ذكر الزاني في فرجها
كالميل في المكحلة فاجلدوهم ثمانين جلدة اذا كان المقذوف محصنا والاحصان
بالبلوغ والحرية والعقل والاسلام والعفة من الزنا ولا فرق بين الذكر والانثى
وتخصيص المحصنات لنزول الايات فيهن او لان قذف النساء اغلب لا يشترط
اجتماع الشهود وكذا لا يقبل شهادة الزوج عند الشافعي خلافا لابي حنيفة فيهما واشد
الضرب التعزير ثم حد الزنى ثم شرب الخمر ثم القذف لتفاوت اسبابها فان قلت
قوله الحدود تدرا بالشبهات يقتضي ان لا يحد القاذف لكون خبره يحتمل الصدق
قلت تلك الشبهة مضمحلة حفظا لاعراض المسلمين التي هي كدمائهم ولذلك اكده بقوله
ولا تقبلوا لهم شهادة اي شهادة كانت زيادة في عقوبته حيث لم يستر ما قال صلى الله
عليه وسلم من ستر على مؤمن ستر الله عليه يوم القيمة ولا يتوقف رد الشهادة على استيفاء
الحد عند الشافعي لان العطف بالواو لا يقتضي الترتيب ولانه قبل الحد اسوا حالا لكون
الحد وكفارات ابدا مدة حياتهم عند ابي حنيفة او ما داموا قاذفين عند الشافعي رحمه الله
واولئك هم الفاسقون الكاملون فيه الا الذين تابوا من بعد ذلك راجع
الى الاخيرة عند ابي حنيفة لانها منقطعة عن الاولين فيتعلق الاستثناء بها لا محالة ولا
مدة حيوة القاذف وعند الشافعي الاستثناء من الضمير المجرور واولئك هم الفاسقون
اعتراض يجري مجرى التعليل غير منقطع عن الاول ولذلك تعين المستثنى والمستثنى منه

يستر على المؤمنين عورة المامور
صح

ويجوز

ويجوز ان يكون الاستثناء عنده ايضا راجعا الى الاخيرة لان الحكم يزول بزوال علته وان
يرجع الى الجمل الثلث كما هو الاصل عنده من ان الاستثناء بعد الجمل المتعاطفة عائد الى الكل
كقولك وقفت على اولادي واولاد اولادي الا الاغنياء منهم فان قلت كيف يستقيم
رجوع الاستثناء الى الجمل الثلث مع ان الجلد لا يسقط بالتوبة اتفاقا قلت الجلد او ما
يقوم مقامه من الاستحلال من تمام التوبة او ان ذلك الاصل ظاهر ترك بالاجماع على
وجوب الجلد او خص منه لانه حق العباد ويؤيده ما ذهب اليه ما رواه البخاري ان عمر
حد ابا بكرة وشبل بن معبد ونافعا حين شهدوا على مغيرة بن شعبة بالزنى ولم يوجد الرابع
ثم قال من تاب منكم قبلت توبته واليه ذهب عمر بن عبد العزيز وطاوس والزهري
والشعبي وشريح وسعيد بن جبير واصلحوا اعمالهم فان الله غفور لما فرط منهم رحيم
بقبول التوبة والذين يرمون ازواجهم ولم يكن لهم شهداء الا انفسهم روى البخاري
عن ابن عباس ان هلال بن امية قذف امراته بشريك بن سحماء فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم البينة او حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق اني لصادق
ولينزلن الله في ما يبرئ ظهري عن الحد فارسل رسول الله الى هلال وامراته فاتيا فتلاعنا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله يعلم ان احدكما كاذب فهل منكما تائب فلما بلغت
المراة الى الخامسة فقالوا لها انها الموجبة فتلكات حتى ظننا انها ترجع ثم قالت لا افضح
قومي ساير اليوم فمضت في الخامسة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابصروها فان جاءت
به اكحل العينين سابغ الاليتين خدلج الساقين فهو لشريك بن سحماء فجاءت به على النعت
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله تعالى لكان لي ولها شان
وروى مسلم والبخاري عن سهل بن سعد ان عويمرا جاء الى رسول الله وذكر انه راى رجلا
مع امراته فوجده وقد نزلت عليه فدعا لهما فتلاعنا فقال عويمر كذبت عليها ان امسكتها
ففارقها فكانت سنة المتلاعنين فقال رسول الله ابصروها فان جاءت به اسحم ادعج
العينين عظيم الاليتين فلا اراه الا قد صدق وان جاءت به احيمر كانه وحرة فلا اراه الا
كاذبا فجاءت به على النعت المكروه فشهادة احدهم اربع شهادات بالله انه لمن
الصادقين فيما رماها به من الزنى قرا حمزة والكسائي وحفص اربع بالرفع على انه خبر شهادة
ونصب على المصدر والخامسة ان لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين فيما رماها به
هذا لعان الرجل وحكمه سقوط الحد عنه وحصول الفرقة بينهما على سبيل الابد لقوله صلى الله
عليه وسلم المتلاعنان لا يجتمعان ابدا وعند ابي حنيفة رحمه الله لا بد من تفريق القاضي
على انه طلاق ويدرا عنها العذاب ان تشهد اربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين
فيما رماها به من الزنا والخامسة ان غضب الله عليها ان كان من الكاذبين قرا
نافع ان مخففة في الموضعين وكسر الضاد وفتح الباء ورفع الله ولولا فضل الله عليكم ورحمته
وان الله تواب حكيم حذف الجواب اي لعاجلكم بالعقوبة او لفضحكم ان الذين جاءوا بالافك

منه ثمانية عشرة آية نزلت في عائشة رضي الله عنها حين قال فيها اهل الافك ما قالوا روى
البخاري عن عروة بن الزبير ان عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سافر
غازيا اقرع بين نسائه من خرجت قرعتها سافرت معه فغزا غزوة فخرج سهمها فسافر بها
فلما قفل ودنى من المدينة آذن ليلة بالرحيل فخرجت وجاوزت الجيش لحاجة الانسان
فلما قضت شانها وعادت انقطع عقد لها فانجست لالتماسه فاحتمل الرهط الذي كان
يرحلون هودجها فرحلوه على البعير وهم يحسبون انها فيه واستمر الجيش فلما عادت الى
مكان الجيش وليس به داع ولا مجيب اقامت بمنزلها الذي كانت به ظانة انهم سيفقدونها
وكان صفوان بن المعطل السلمي من وراء الجيش متخلفا فراى سواد انسان فلما دنى
منه عرفها وكان قد راها قبل الحجاب عظم عليه ذلك وقال انا لله وانا اليه راجعون
حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل من راحلته واناخها ثم وطئه حتى ركبته ام
المؤمنين فجاء بها وهم قد نزلوا في منزل فراها معه وكان في الجيش راس المنافقين
عبد الله بن ابي بن سلول فخاض في حديث الافك واذاعه وبلغ ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابا بكر فصعد رسول الله المنبر وقال ايها الناس ما بال اناس
يخوضون في عرض اهلي والله ما علمت على اهلي الا خيرا ويذكرون رجلا ما علمت منه
الا خيرا فوقع اللغط وهمت الانصار بالقتال واستمر الامر على ذلك حتى نزلت الايات
عصبة منكم هو ابن سلول وحسان ومسطح واخرون والعصبة الرجال من العشرة الى
الاربعين لا تحسبوه شرا لكم اي الافك بل هو خير لكم لاكتسابكم به الثواب العظيم ولكونه
سببا لنزول الايات مشتملة على الحكم ومحاسن الاخلاق لطفا بالسامعين والتالين
الى يوم القيمة الخطاب لمن ساءه ذلك من المؤمنين وخاصة رسول الله وابو بكر وعائشة
وصفوان لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم جزاء له بقدر ما خاض فيه وافاض والذي
تولى كبره معظمه منهم من اولئك الخائضين له عذاب عظيم مكافاة على جنايته العظيمة
لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بانفسهم خيرا باخوانهم واخواتهم جعل المؤمنين
كنفس واحدة كقوله ولا تلمزوا انفسكم روي ان ابا ايوب الانصاري قال لزوجته
يا ام ايوب الا ترين ما يقال فقالت لو كنت انت بدل صفوان اكنت تظن بحرم
رسول الله سوءا قال لا قالت ولو كنت انا بدل عائشة ما خنت رسول الله فعائشة
خير مني وصفوان خير منك وانما التفت الى الغيبة لتوبيخ بالاعراض وليصرح بالايمان
الذي يوجب الاشتراك فيه الاتحاد والمحاماة وقالوا هذا افك مبين صريح جازمين
بذلك حملا على الصلاح كما تقول المستيقن لولا جاؤا عليه باربعة شهداء كما هو الحكم
في مثله فاذ لم ياتوا بالشهداء فاولئك عند الله اي في شرعه هم الكاذبون ولذلك
اوجب عليهم الحد ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والاخرة لولا هذه لامتناع الشيء
لوجود غيره والاولى للتحضيض والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا بضروب

النعم وفي الاخرة بالعفو والمغفرة لمسكم فيما افضتم فيه عذاب عظيم لعاجلكم على ما
خضتم فيه من الافك بعذاب يستحقر دونه الحد واللوم اذ تلقونه بالسنتكم اذ ظرف
لمسكم او افضتم وتلقي القول وتلقفه اخذه من الغير ومنه قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات
وتقولون بافواهكم من غير ان يستند الى ما في القلب ما ليس لكم به علم بل مختص بافواهكم
تجري على السنتكم ليس الا وتحسبونه هينا سهلا وهو عند الله عظيم لزيكم حسبة باسى
عنه برته وقصدكم بذلك القدح في عرضه وهتك رفيع جنابه رتب مس العذاب على
آثام ثلثة تلقي الافك بالالسنة والتحدث به من غير تحقق واستحقار ذلك وعده هينا
لا تقولن لذنب انه حقير فلعله عند الله وهو عندك نقير ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون
لنا ان نتكلم بهذا اي لولا قلتم وقت سماعكم المعنى كان الواجب عليكم اول ما سمعتموه
ان تعرضوا عنه وتقولوا ما ينبغي لنا ان نتكلم به ولا يصح كقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي
بحق سبحانك هذا بهتان عظيم تعجبا من شناعته او تنزيها لله من ان يكون حرم نبيه
موسوما بشين فضلا عما ذكروه فانه ما دام لعرضه منفر عن اتباعه بخلاف الكفر فانه ليس مما
ينفر ولا يعود لشناعته عليه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ما دمتم ان كنتم مؤمنين فان
الايمان يستدعي الاتصاف بما يلائمه من الصفات الجميلة والاداب الحسنة وفيه توبيخ
وتقريع على ما وقع منهم ويبين الله لكم الايات الدالة على الحكم والاداب ومحاسن
الاخلاق والله عليم كامل العلم بالاشياء حكيم في كل ما تعلقت به ارادته ان الذين
يحبون ان تشيع الفاحشة اي تشيعوها عن قصد ومحبة في الذين آمنوا لهم عذاب اليم
في الدنيا بالحد والاخرة بعذاب النار ان لم يتوبوا والله يعلم وانتم لا تعلمون فان
المحبة فعل القلب ولولا فضل الله عليكم ورحمته وان الله رؤف رحيم كرره مع حذف
الجواب لكونه معلوما وفي ايثار الرؤف الرحيم ما يدل على ان هذا الذنب لا يتوسل الى
رفعه الا محض رافته وانه اعظم من ان يرتفع بالتوبة او شتان بين ما يتلقونه بافواههم
وما يحبونه بقلوبهم يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان آثاره وما يدعوكم
اليه من المعاصي قرا بضم الطاء ابن عامر والكسائي وحفص وقنبل وهي لغة الحجاز والباقون
بسكون الطاء وهي لغة تميم والضم افصح واشهر ومن يتبع خطوات الشيطان فانه
يامر بالفحشاء والمنكر علة للنهي عن اتباعه والفحشاء ما افرط قبحه والمنكر ما انكره الشرع
من عطف العام على الخاص ولولا فضل الله عليكم ورحمته بتوفيق التوبة وشرع الحد
ما زكى منكم من احد ابدا آخر الدهر اي ما طهر من دنس الفاحشة التي ارتكبتموها لعظمها
ويجوز ان يكون الخطاب عاما لهم ولغيرهم اشارة الى ان من لم يخض فيها وطهر من
دنسها انما كان بتوفيق الله ولكن الله يزكي من يشاء بتوفيق التوبة او بالعصمة والله
سميع لاقوالهم عليم بالضماير ولا ياتل اولوا الفضل منكم في الدين كان من اهل
الافك مسطح بن اثاثة وكان ابن خالة ابي بكر فلما نزلت الايات في براة عائشة حلف

ابو بكر ان لا ينفق على مسطح وكان ينفق عليه فنزلت والايتلاء افتعال من الالية وهي
الحلف او من الالو وهو التقصير والمعنى لا يحلفوا على عدم الاحسان او لا تقصروا في ان
تحسنوا والسعة في المال ان يؤتوا اولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله
صفات لموصوف واحد وهو مسطح فانه كان جامعا لها ويجوز ان يراد هو ومن يتصف
بها كائنا من كان وليعفوا وليتجاوزوا عما فرط منهم وليصفحوا وليعرضوا عنه ولا نه كره
فانه يورث الوحشة بين المؤمنين الا تحبون ان يغفر الله لكم كما غفرتم لاخيكم المؤمن
ولما قراها رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصديق فقال بلى احب ان يغفر الله لي واعاد
النفقة على مسطح والله غفور لذنوب عباده رحيم بجزل الثواب فتخلقوا باخلاقه ان
الذين يرمون المحصنات العفايف الغافلات عن الفاحشة او سليمات الصدر
النقيات كقوله اكثر اهل الجنة البله المؤمنات بما يجب الايمان به قدم عليه الغافلات
لاقتضاء المقام ذلك لعنوا في الدنيا بين المؤمنين والاخرة عند الله ولهم عذاب عظيم
لا يقادر قدره يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون يوم ظرف لعظيم
او لمعنى الاستقرار في لهم وقرا حمزة والكسائي بياء الغيبة وهو اولى للفصل يومئذ يوفيهم الله
دينهم الحق جزاءهم اللايق بهم الثابت ويعلمون ان الله هو الحق الثابت ذاته المبين
الظاهر الواضح دلت عليه ذرات الوجود ومن هذا شانه ينتقم من الظالم للمظلوم ولقد
بالغ في العادة قذفة عايشة بما لم يوعد به اهل الشرك وعبدة الاوثان حيث اجمل وفصل
وجمع بين انواع العذاب لعن الدارين والعذاب الذي لا يحاط به في الاخرة والتفضيح
الذي كل عذاب دونه في مشهد يوم عظيم وعن ابن عباس انه كان يفسر القران
بالبصرة فسئل عن هذه الايات فقال كل من اذنب ذنبا ثم تاب منه قبلت
توبته الا قذفة عايشة ولعله اراد التغليظ كقوله في قاتل المسلم عمدا انه مخلد في النار
الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات
اي الكلمات الخبيثات مثل القذف وساير اقوال الفحش مختصة بالرجال الخبيثين
وكذلك الرجال الخبيثون مختصون بها وكذلك الطيبات والطيبون هذا الكلام
جار مجرى المثل كقوله ان الباطل كان زهوقا فيتناول العايبة والقايلة فيها تناولا اوليا
او الخبيثات من النسا للخبيثين من الرجال وكذلك الطيبات منهن للطيبين منهم
وعايشة زوجة اسعد الطيبين فاولى ان يكون طيبة اولئك اي اهل البيت او عايشة
ورسول الله وصفوان مبرؤن مما يقولون اي اهل الافك من قالة السوء لهم مغفرة
لذنوبهم ورزق كريم في الجنة قيل برا الله اربعة باربعة برا يوسف بشاهد من اهلها
وموسى من قول بني اسرائيل انه آدر بان فر الحجر بثوبه حتى راوه عريانا ما به باس ومريم
بانطاق ولدها وعايشة بانزال هذه الايات قلت هناك خامس وهو جريج الراهب
حيث جاءت بغية من بغايا بني اسرائيل بولد فقالوا لها ممن هذا قالت من جريج فاتوه

وهدموا

وهدموا صومعته وارادوا قتله فسالهم عن سببه فاخبروه فتوضأ وصلى لله ركعتين
ثم قال للطفل يا بابوس من ابوك قال ابي الراعي فقالوا له نبني صومعتك بالذهب
قال لا اعيدوها كما كانت يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا
كان منشا حديث الافك وجود التخلي في موضع التهمة اردف الحديث بما يلايمه
والاستيناس اما من الانس ضد الوحشة فالمعنى حتى يؤذن لكم وضع الاستيناس موضعه
لانه رادف الاذن او استفعال من آنس اذا ابصر والمعنى لا تدخلوا حتى تستكشفوا
هل يراد دخولكم ام لا ومنه بيت النابغة على مستانس واحد ويجوز ان يكون من
الانس كانه يتعرف هل ثمه انسان ام لا وتسلموا على اهلها في ذلك الاستيذان
بان يقول ثلث مرات السلام عليكم فان اذن له والا رجع لما روى ابو داود ان
رجلا استاذن على رسول الله فقال لخادمه اخرج الى هذا وعلمه الاستيذان فقل له
السلام عليكم اادخل وروى البخاري ان ابا موسى الاشعري استاذن على عمر في
خلافته ثلثا فلم يؤذن له فانصرف فقال عمر الم اسمع صوت عبد الله بن قيس
فقالوا انصرف يا امير المؤمنين فاستدعاه فلما حضر سأله عن الانصراف فقال كذا
امر رسول الله فقال عمر اقم على ذلك بينة والا وجعتك ضربا فجاء ابو موسى الى
جمع من الانصار واستشهدهم فقالوا لا يشهد لك الا اصغرنا فقام معه ابو سعيد الخدري
فصدق مقالة ابي موسى وهذا عام في المحارم والاجانب لما روى ان رجلا قال
يا رسول الله ان امي ليس لها خادم استاذن كلما دخلت قال اتحب ان تراها
عريانة قال لا قال فاستاذن ذلكم خير لكم الاستيذان والتسليم خير لكم من الدخول
بغتة وتحية الجاهلية فانهم كانوا يدخلون بلا اذن ويقولون حييتم صباحا حييتم مساء
كما فعله الجهلة اليوم فربما اصاب الرجل مع امراته في اللحاف لعلكم تذكرون اي
قيل لكم ذلك او انزل عليكم لكي تتعظوا وتعملوا به فان لم تجدوا فيها احدا يأذن لكم
فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم لان المنع عن الدخول ليس منحصرا ضرره في وقوع البصر
على ما لا يحل بل ما له او لان لا يطلع على امور لا يريد صاحب البيت اطلاع احد عليها
ولانه شبه الغصب والتغلب وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا ولا تلحوا فانه يؤذي صاحب
البيت ويجلب الوحشة والحقد هو ازكى لكم اطهر من الدخول بغير اذن والوقوف
على الباب لانه مخل بالمروة والله بما تعملون عليم وعيد ووعد ليس عليكم جناح ان
تدخلوا بيوتا غير مسكونة من الحانات والربط الموقوفة والخرب التي يدخلها الانسان
لحاجته فيها متاع لكم تمتع ومنفعة والله يعلم ما تبدون وما تكتمون تحذير لمن اذن له
في الدخول ان يدخل لغرض غير صالح قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا
فروجهم عن ان يقع عليها بصر من لا يحل نظره وانما زاد من في الاول واطلق الثاني
لان وجوه الحل في الاول اكثر والامر بالحفظ عن الابداء امر بالحفظ عن الافضاء الا على

الازواج ومن في حكمها من الاباء لانه لا يوجد بدون الابداء ولان الابداء انما حرم
لكونه وسيلة الى ذلك الافضاء وعليه ينطبق ما روي عن ابي زيد وابي العالية ان كل ما
في القرآن من حفظ الفروج اريد به الزنى الا هذا فانه اريد به التستر وفي جعل الغض
عن بعض البصر غض بعض البصر كناية لطيفة ذلك ازكى لهم ابعد عن الريبة ووساوس
الشيطان ان الله خبير بما يصنعون فعليهم الاتقاء في كل حركة وسكون ولما في خاتمة الاية
من الجفا فصل الاية بالخبير الدال على العلم ببواطن الاشياء والصنع الذي فيه مزيد
اعتمال وفيه اشارة الى ان النظرة الاولى من غير تعمد لا يواخذ بها كما روى ابو داود
عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي رضي الله عنه الاولى لك والثانية عليك وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن خصهن بالذكر وان كان الحكم معلوما لان
ما يحرم من الرجال يحرم منهن بالطريق الاولى ليترتب عليه ما بعده من الاحكام المختصة
بهن ولا يبدين زينتهن كالحلي والثياب فضلا عن مواضعها الا ما ظهر منها عند
مزاولة الاشياء كالثياب والخاتم وقيل المراد بالزينة مواضعها على حذف المضاف وما ظهر
منها الوجه والكفان عند عامة العلماء ومنع ذلك الشافعي الا عند الضرورة والاصح
ان هذا في الصلوة لا في النظر كما سنذكره مفصلا وما ظهر منها في الصلوة هو الوجه والكفان
وليضربن بخمرهن على جيوبهن ستر الاعناق عن عروة بن زبير عن عائشة رضي الله
عنها قالت رحم الله نساء المهاجرات الاول لما نزل وليضربن بخمرهن على جيوبهن
شققن مروطهن فاختمرن بها ولا يبدين زينتهن مواضعها الا لبعولتهن ازواجهن
فانهم المقصودون بكل زينة او آبائهن او آباء بعولتهن او ابنائهن او ابناء بعولتهن
او اخوانهن او بني اخوانهن او بني اخواتهن لعدم خوف الفتنة لان الطباع تنفر عن
مقاربة الاقارب ولذلك يستحب ان لا يتزوج بقرابة قريبة وما يحل نظر هولاء عليه
ما يبدو في العادة عند الخدمة كالساعدين والساقين وما فوق السرة وتحت الركبة وانما
لم يذكر الاعمام والاخوال اكتفاء بالاخوان لانهم في معناهم او لان الافضل التستر منهم
لئلا يصفوهن لابنائهم فيورث الفتنة او نسائهن اي المؤمنات دلت عليه الاضافة
وعن ابي حنيفة الاطلاق لان المنع للفتنة ولا فتنة في نظر المراة واللفظ لا يساعده اذ لا
فائدة في الاضافة حينئذ او ما ملكت ايمانهن يشمل الاماء والعبيد وبه قال مالك والشافعي
لما روى ابو داود ان رسول الله لفاطمة عبدا وكان عليها ثوب اذا قنعت به راسها
لم يبلغ رجليها واذا غطت رجليها لم يبلغ راسها فقال ليس عليك باس انما هو ابوك
وغلامك وعند ابي حنيفة هو كالاجنبي او التابعين غير اولي الاربة من الرجال كالشيخ
الهم ومن لا حاجة له في النكاح كالمعتوق والبله الذين لا يعرفون شيئا من امور النساء
والاربة الحاجة او العقل والدهاء من ارب الرجل بالضم اذا صار ذا خبرة او الطفل الذين
لم يظهروا على عورات النساء لم يطلعوا عليها ولم يعرفوا ما العورة لعدم التمييز من ظهر على

كذا

كذا اطلع لا من ظهر على كذا قوي عليه بمعنى انهم لم يقدروا على الوطي لعدم توقف الحرمة
على ذلك بل اذا صار مميزا حرم اتفاقا والطفل يقع على الذكر والانثى مفردا كان او جمعا
ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن كانت النساء ذوات خلاخل فلما نهين
على اظهار الحلي نهين عن اظهار صوته ايضا لان الغرض دفع الفتنة وصوت الحلي يثير
الميل اليهن وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون اذ لا يخلو احد من نوع تقصير لان
الاستقامة متعسرة او متعذرة او عما كنتم تفعلونه في الجاهلية فان الاسلام وان جبه
فالاستمرار على الندم لازم الى ان يلقى عبد ربه لعلكم تفلحون تفوزون في الدارين وانكحوا
الايامى منكم خطاب للاولياء والامر للوجوب عند الطلب وظهور الحاجة والا فالنكاح
مستحب ابقاء للنوع وفي الحديث تناكحوا تكثروا فاني ايامي منكم الامم يوم القيمة ولو سقط
ولانه سنة صلى الله عليه وسلم وقد رغب فيه قال النكاح سنتي فمن رغب عن سنتي فليس
مني والايامى جمع ايم على القلب اصله ايايم لان فيعلا لا يجمع على فعال والايم من لا زوج له
ذكرا كان او انثى بكرا كان او ثيبا من آم الرجل اذا فرطت شهوته وفي الحديث نعوذ بالله
من الايمة والعيمة والصالحين من عبادكم وامائكم ذكر الصلاح للترغيب في تحصين من هو
التحصن وليس بشرط كقوله فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا وفي الاية دليل على ان المراة لا تلي
النكاح والعبد بغير اذن مولاه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله اي لا يمنعن فقر الخاطب
والمخطوبة مانعا من الانكاح فان في فضله تعالى ما يغني والمال غاد ورائح وليس الوعد
على اللزوم لا محالة وان كل من تزوج يحصل له الغنى بل مشروط بمشية تعالى لقوله يغنيهم الله
من فضله ان شاء وعن عمر رضي الله عنه ابتغوا الغنى في النكاح والله واسع فضله بيده
الخير كله عليم بمن يصلح له الغنى ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وليستعفف
الذين لا يجدون نكاحا اي ليجتهد في العفة وقمع الشهوة من لا يجد اسباب النكاح روى
مسلم والبخاري عن عبد الله بن عمر ان رسول الله قال يا معشر الشباب من استطاع منكم
الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء
حتى يغنيهم الله من فضله تقدمه وعد لهم من فضله والسعة ان صبروا واستعفوا ومن
يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب امرا ولا يغض البصر ابعادا عن موقع
الفتنة ثم بالنكاح الذي هو سبب التناسل وتحصين الدين ان امكن ثم بالصبر وانتظار
فضل الله الواسع والذين يبتغون الكتاب مما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء فكاتبوهم
ان علمتم فيهم خيرا ترغيب فيه في كتابة من يرى فيه اثار الخير والصلاح وليس بشرط وقيل
المراد بالخير القدرة على اداء بدل الكتابة ويسمى هذا العقد كتابة لانه يكون منجما مؤجلا وجوبا
كما قاله الشافعي او حالا كما قاله ابو حنيفة والمؤجل يكتب غالبا وآتوهم من مال الله الذي
اتاكم مال الصدقة وبيت المال لقوله تعالى وفي الرقاب وهم المكاتبون وعند الشافعي
يجب حط شيء من بدل الكتابة ولا يبعد قران امر الندب لان القران في الذكر ليس قرانا

في الحكم واليه ذهب عمر بن الخطاب وانما حمل امر الكتابة على الندب لان عقود المعاوضة
على الاختيار ولفظ آتوهم يساعد ابا حنيفة لان وضع الدين لا يسمى ايتاء فان قلت من اين
لك نفي وجوب التنجيم وعدم جواز الحلول قلت من ان المكاتب في الحال لا يملك شيئا
ولا يقدر على البدل الا بالسعي والتكسب فلو كان حالا او غير منجم لعسر عليه وللشارع اعتناء
بفك الرقاب ولذلك من اعتق شقصا سرى الى المجموع وعليه حصة شريكه ان كان قادرا
والا سعى العبد في خلاصه بخلاف ما لو باع جزء امة او وهب والاية نزلت في حويطب بن
عبد العزى كان له مملوك سأله الكتابة ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء كانوا في الجاهلية يشترون
الاماء يبغين على مواليهن وكان لعبد الله بن سلول ست جوار معاذة ومسيكة واميمة
وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على الزنى والفتيات جمع فتاة وهي الامة روى البخاري
ان رسول الله قال لا يقل احدكم عبدي وامتي كلكم عباد الله والاماء ولكن ليقل فتاي وفتاتي
ان اردن تحصنا ليس للكلام مفهوم اما لان الاكراه انما يتصور عند ارادة التحصن ولانه معارض
بالاجماع وايثار ان على اذا لان ارادة التحصن من الاماء كالنادر وفيه نعي على من اكرههن
بان امته خير منه ولعله اذ لم يرد التحصن اكتفى ولم يرض ضده لتبتغوا عرض الحيوة الدنيا
علة للنهي لا للمنهي ومن يكرههن فان الله من بعد اكراههن غفور رحيم للمكرهات اوله ان
تاب فان قلت المكره لا يؤاخذ بالاثم فما معنى المغفرة في حقهن اسقاط العقوبة والاسم بعد
الاكراه وفيه اشارة الى ان المكرهة اذا كانت مع قيام العذر بصدد العقاب فما ظنك
بالمكره والقول بان المراد بالاكراه ما لم يبلغ حد الاكراه الشرعي شيء لا يدل عليه الكلام وكذا القول
بان الاكراه لا ينافي المؤاخذة بالذات استدلالا بوجوب القصاص على المكره لانه حق
العباد ولذلك سقط عنه حد الزنى والذي يقول عليه ان حق الله يسقط بالاكراه والخطاء
والنسيان لقوله صلى الله عليه وسلم رفع عن امتي الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه دون
حقوق العباد ولقد انزلنا اليكم ايات مبينات موضحات في الدلالة على الاحكام وقرا
حمزة والكسائي وابن عامر وحفص بكسر الياء اي بين الاحكام والحدود ومثلا من الذين
خلوا من قبلكم وهي قصة ام المؤمنين فانها في الغرابة تشبه غرايب قصص الاولين كقصة
يوسف ومريم وموعظة للمتقين يريد ما وعظ به في تلك الايات من قوله ولا تأخذكم
بهما رافة في دين الله وقوله لولا اذ سمعتموه وقوله يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا وقيل الايات
القران والصفات المذكورة صفاته الله نور السموات والارض اي منورهما من الهادي
لاهل السموات والارض بنوره يهتدي ذو العماية ويرشد ذو الغواية كقولك زيد كرم وجود
عدل اي ذو كرم وعدل ودل عليه مثل نوره بالاضافة اليه كمشكوة فيها مصباح المشكوة
الكوة في الجدار غير النافذة والمصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة قنديل من الزجاج
الزجاجة كانها كوكب دري تشبه كوكبا ازهر اللون منسوب الى الدر لصفائه وتلألؤه كزهرة
وسهيل والمريخ يوقد من شجرة مباركة اي ابتدا ثقوبه من الشجرة المباركة يريد رويت

ای بشعلته

ذبالته بزيتها ومعنى كونها مباركة انها تنبت في الارض المباركة وهي الارض المقدسة
التي بارك الله فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعين نبيا زيتونة لا شرقية ولا غربية فان
الشام بين المشرق والمغرب وقيل لا في مشرق الشمس على الدوام ولا في مغيبها بل تعاقبا
عليها وقيل ليست مما يطلع عليها الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل تصيبها
بالغداة والعشي فهي شرقية وغربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار لفرط صفائه نور على نور
اي نور متضاعف من وجوه قد تناصر فيه المشكوة والزجاجة والزيت والمصباح ولم يبق
مما يزيد النور ويمده بالاضاءة بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان ضيق غير نافذ
كالمشكوة كان اجمع لنوره والقنديل اعون شيء على الاضاءة وكذلك الزيت الموصوف
مثل التوحيد وشرايع الاسلام مما دل عليه السمع والعقل بالنور في الاضاءة ثم بالغ في المشبه
بما لا مزيد عليه دلالة على المبالغة في المشبه فكما ان هذا غاية في المحسوس ما وراءه شيء فكذلك
ذاك ايضا غاية في المعقول ليس اجلى منه معقول واليه اشار علي كرم الله وجهه الله نور السموات
والارض نشر فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره قلوب اهلها وقيل الشجرة المباركة رسول الله
ومعنى كونها لا شرقية ولا غربية عدم اختصاص دينه بقوم دون قوم او مكان غير آخر
والمشكوة صدره والزجاجة قلبه والمصباح معرفته وكما ان نور الزيت لا دخان له فكذلك
عرفانه والحق الذي في قلبه لا يشوبه باطل وقيل الشجرة المباركة ابراهيم لا شرقية ولا غربية
ما كان يهوديا ولا نصرانيا والمصباح المتوقد من تلك الشجرة رسول الله وقيل فيه تأويلات اخر
وهي تخيلات فاعرض عنها يهدي الله لنوره من يشاء اي يوفق من يشاء للاصابة الحق
بالنظر والتدبر ويضرب الله الامثال للناس ابراز المعقولات في صور المحسوسات
توضيحا وتبيينا والله بكل شيء عليم سيان عنده المحسوس والمعقول وانما يصور المعقولات
في صور المحسوسات ليسهل فهمها على الناس قرا ابو عمرو والكسائي دري بكسر الدال والهمز على فعيل
من درء الكوكب دروا اذا طلع بغتة مع توقد اشتعال ضوئه وقرا حمزة وابو بكر بضم الدال والهمز
على وزن فعول كسبوح والباقون بضم الدال والياء المشددة منسوبا الى الدر لصفائه
وبياضه وزنه فعلي والكسر مع الهمز افصح وقرا نافع وابن عامر وحفص يوقد بالياء والتذكير
وحمزة والكسائي وابو بكر بالتاء والتانيث وابن كثير وابو عمرو توقد ماض تفعل في بيوت متعلق
بما قبله اي كمشكوة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما ترى في المساجد
نور المشكوة التي من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له رجال في بيوت
والتكرير للمبالغة والتوكيد كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف نحو سبحوا او يوقد
تقييد للممثل به بما يزيد مبالغة لان قناديل المساجد اعظم ومصابيحها اضوا او للاستيعاب اذا
اريد المساجد الثلثة وحمل التنكير على التعظيم كما قيل اذن الله ان ترفع اي تبنى كقوله
واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت او تعظم وترفع قدرا او اكراما عن الخبث ويذكر
فيها اسمه يشمل كل ذكر حتى المناظرة في العلم او اريد بها اظهار الصواب يسبح له فيها بالغدو

والاصال رجال صفة مدح ثانية لبيوت اي ينزهونه ويقدسونه في هذه الاوقات الشريفة والصلوات
الخمس في الغدوات والعشايا لم يجمع الغدو لكونه مصدرا في الاصل والآصال جمع اصيل كاشراف
وشريف وقرا ابن عامر وابو بكر يسبح بفتح الباء على بناء المفعول مسندا الى احد الظروف الثلثة
واسناده الى الاول اولى ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح كقوله ليبك يزيد ضارع لخصومة
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله التجارة تشمل البيع والشرى للربح وانما افرد البيع لانه
ادخل في الالهاء اذ الربح فيه ناجز متيقن وفي الشراء مظنون مترقب واطلق التجارة على
الشرى اطلاق الجنس على النوع بقرينة ذكر البيع وقيل التجارة الطلب يقال تجر اذا جلب
المتاع نزلت في المهاجرين فانهم كانوا تجارا قال عمر شغلني الصفق بالاسواق وفي الحديث
التاجر فاجر الا من اتقى الله واقام الصلوة حذف التاء التي كانت عوضا عن العين
لقيام المضاف اليه مقامها وايتاء الزكوة المفروضة يخافون حال كونهم خايفين يوما
تتقلب فيه القلوب والابصار تضطرب من الهول كقوله ليوم تشخص فيه القلوب
والابصار او تتقلب من حال الى حال فتفقه القلوب التي كانت في اكنة وتبصر الابصار التي
كانت عليها غشاوة ليجزيهم الله متعلق بيسبح او لا تلهيهم او يخافون احسن ما عملوا
جزاء احسن اعمالهم بان يجزي على الادنى كما يجزي على الاعلى ويزيدهم من فضله فوق جزاء
الاعمال ما لم يخطر ببالهم تفضلا والله يرزق من يشاء بغير حساب تقرير لسعة فضله واشارة
الى كمال قدرته ونفاذ مشيته والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة لما بين حال المؤمن
ونجح سعيه في الدنيا وفي الاخرة من النعيم المقيم اردفه بذكر الكافر الذي يكد في العمل من غير
ان يكون على الشرط من الايمان والاخلاص فشبه تلك الاعمال بالسراب وهو ما يلمع وقت
الظهيرة في الفلوات عند شدة الحر من سرب اذا جرى كانه ما يجري والقيعة جمع قاع وهو
المستوي المنبسط من الارض يحسبه الظمان ماء فيسارع اليه ويحتمل الجهد والمشقة حتى اذا
جاءه لم يجده شيئا من الاشياء لاضمحلاله وبلا شبهة او لم يجد ما كان يظنه من الماء
ووجد الله عنده اي عقابه عند ذلك الموضع الذي كان يظنه ماء فان قلت الضمير في
قوله جاءه ولم يجده ووجد الله للظمان فكيف رتب عليه قوله فوفيه حسابه وذلك انما هو
للكافر يوم القيمة قلت المراد بالظمان هو الكافر الذي غلبه العطش بالساهرة وقد غشيها
السراب من شدة الحر فيحسبه ماء فاذا جاءه لم يجد ماء بل يرى الزبانية فياخذونه الى
جهنم ويسقونه ماء حميما والله سريع الحساب اذ لا يشغله شان عن شان وفي الحديث
يسال الخلائق في مقدار حلب شاة وقيل كناية عن قرب الساعة كقوله اقترب للناس
حسابهم او كظلمات عطف على كسراب واو للتخيير كما في قوله او كصيب شبه اولا تلك
الاعمال بالسراب المرئي من مكان بعيد في عدم النفع مع الجهد البالغ والكد في الطلب
وليته كان كفافا بل وجد خلاف ما كان يرجوه من الحميم والغساق وثانيا بالظلمات المتراكمة
بعضها فوق بعض لخلوها عن نور الايمان وضياء الحق عكس اعمال المؤمنين المؤسسة على الايمان

والاخلاص

والاخلاص التي هي نور على نور في بحر لجي عميق شديد العمق منسوب الى اللج وهو معظم البحر
يغشاه اي البحر موج ما يرتفع عند اضطراب البحر من فوقه موج اعظم منه واعلى من
فوقه سحاب غمام قد ركب الموج وحجب انوار النجوم ظلمات بعضها فوق بعض وقرا ابن
كثير باضافة سحاب وجر ظلمات في رواية البزي وبالتنوين وجر ظلمات على انه بدل
من الاولى في رواية قنبل اذا اخرج يده لم يكد يراها لم يقرب ان يراها فضلا عنها كقول ذي
الرمة اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح والضماير للواقع في البحر وان
لم يجر ذكره لدلالة الكلام عليه ومن لم يجعل الله له نورا لم يرفعه ولم يهده فما له من نور
شئ منه وكما وصف نور الحق بست صفات دالة على كماله وصف ظلام الباطل بست حجاب
دالة على شدة ظلمته وغاية سحقه الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض
استطراد بعد ذكر تسبيح الرجال تسبيح اهل السموات والارض تعميما واظهار العظمة والكبرياء
الاستفهام للتقرير وعلمه بذلك من قوله وان من شئ الا يسبح بحمده وفي ذكر من تغليب
لذوي العقول وقيل المراد الملائكة والانس والجن ويرده قوله والطير صافات اي حال
كونها في الهواء باسطة اجنحتها فاذا كانت تسبح في تلك الحالة وهي مظنة الاشتغال فما
ظنك بغيرها وفيه الدلالة على كمال قدرة الصانع لان وقوف الاجرام السفلية في الجو دليل
ظاهر على ذلك كل قد علم صلوته وتسبيحه كل من المذكورات قد علم الله دعاءه وتقديسه
ولكن لا يفقهون تسبيحهم او كل واحد قد علم صلوة نفسه لله تعالى وتقديسه والله عليم بما
يفعلون لا يعزب عنه شئ تذييل على الاول يؤكد علمه بحالهم وتكميل على الثاني لانه دل
على العلم البالغ بعد ما قدم ما يدل على القدرة الكاملة ولله ملك السموات والارض
مختص به لا شريك له فيه والى الله المصير المرجع الم تر ان الله يزجي سحابا يسوقه ومنه
البضاعة المزجاة لانها غير مرضية يزجيها كل احد الى آخر على كمال صنعه تعالى ثم يؤلف بينه
بين اجزائه المتفرقة ثم يجعله ركاما متراكما بعضه فوق بعض فترى الودق يخرج من
خلاله من فتوقه جمع خلل كجبال جمع جبل والودق المطر من ودق اذا قطر قال شعر
فلا مزنة ودقت ودقها وينزل من السماء من جبال فيها في السماء من برد من الاولى
لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان او الاوليان للابتداء والثالثة للتبعيض
والمفعول محذوف اي ينزل منها بردا فيصيب به بالبرد من يشاء عقوبة له ويصرفه
عمن يشاء سلامته وقيل الضمير للودق اي يسقي به من يشاء سقيه ويصرفه عمن يشاء
حرمانه والاول هو الوجه يكاد سنا برقه ضوء برق السحاب يذهب بالابصار لقوته
يقلب الله الليل والنهار يذهب باحدهما وياتي بالآخر ويخالف بينهما بالطول والقصر
او النور والظلمة او بغير احوال من فيهما ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار لدلالة يعبر بها
الى العلم بوجود الصانع القادر لذوي البصائر والله خلق كل دابة من ماء مثل قوله و
يسقى بماء واحد استدل اولا باحوال السماء والارض على وحدانيته وكمال قدرته وعلمه

وثانيا باحوال الآثار العلوية وثالثا باحوال الحيوانات المختلفة الانواع والاشكال والاحوال
مع اتحاد الاصل والنشا فان قلت كثير من الحيوانات خلق من غير ماء آدم من تراب
وعيسى من نفخ جبرائيل والجن من النار قلت اصل الكل من الماء على ما روي ان الله تعالى
اول ما خلق جوهرة فنظر اليها بالهيبة فذابت ماء ثم من ذلك الماء يكون النار والنور
والهواء والتراب وقيل من ماء صفة دابة وليس صلة خلق والمعنى كل دابة متولدة من ماء
فهي مخلوقة لله تعالى وهذا اوجه حسن واوفق لتنكير الماء المراد به نطفة ابيه والماء المختص
بتلك الدابة فان قلت فعلى هذا المعنى كل دابة متولدة من ماء مخلوقة لله تعالى ومفهومه
ان ما ليس كذلك ليس مخلوقا له قلت ذلك المفهوم ملغي في مقابلة القاطع ولان الماء
الذي به الحيوة اذا كان المتولد منه يحتاج الى الصانع فالغير من باب الاولى فمنهم من
يمشي على بطنه كالحيات ومنهم من يمشي على رجلين كالانسان ومنهم من يمشي
على اربع كساير الحيوانات قدم الابدع فالابدع واطلاق المشي على الزحف لمن كلمة
او استعمال لمقيد المطلق استعارة او مجازا مرسلا يخلق الله ما يشاء مما تعلقت به ارادته
كيف يشاء ان الله على كل شيء قدير كامل القدرة سواء كان الشيء حقيرا او خطيرا لقد
انزلنا آيات مبينات هي المذكورات من قوله الله نور السموات الى هنا قرأ ابن
عامر وحمزة والكسائي وحفص بكسر الياء والله يهدي من يشاء هدايته الى صراط مستقيم
موصل اليه وان كانت الآيات الدالة عامة للكل فان ملاك الامر توفيقه ويقولون آمنا
بالله وبالرسول اشارة قصة المنافقين الى جملة من دلايل التوحيد الدالة على النعم
الجسام والوعيد الشديد تأكيد التوبيخ ثم عاد الى عد طايفة اخرى من مثالهم والآية نزلت
في بشر المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا المنافق
الى كعب بن الاشرف وقيل نزلت في المغيرة بن وايل كان بينه وبين علي بن ابي طالب
كرم الله وجهه خصومة في ماء وارض فقال المغيرة الحاكم الى محمد فانه يبغضني فاخاف
ان يحيف علي وكان يظهر انه مومن به واطعنا اي الله والرسول ثم يتولى فريق منهم
من بعد ذلك ثم الاستبعاد بعد ذلك القول وما اولئك بالمومنين اي القايلون
كلهم لا المتولي وحده وان كان التولي اوغل واغرق في الكفر او من تولى وفايدة الاخبار
عنهم بانهم ليسوا مومنين مع العلم بانهم بعد التولي لا ايمان لهم النعي عليهم بانهم يقولون شيئا
ثم ياتون بالمضادة واذا دعوا الى الله ورسوله ذكر الله للتعظيم والحاكم رسوله لقوله ليحكم بينهم
كقولك اعجبني زيد وكرمه اذا فريق منهم معرضون اذا كان الحق عليهم اذا فجائية دالة
على فرط كفرهم حيث لم يتوقفوا بعد ظهور الحق عليهم لمحة طرف وان يكن لهم الحق ياتوا
اليه الى رسول الله وهو متعلق بقوله مذعنين اي ان بان ان الحق لهم لم يرضوا الا بحكمك
اليك يسرعون لا الى غيرك وهذا وجه دلالة على شدة نفاقهم افي قلوبهم مرض ام
ارتابوا ام يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله منشا الامر في صدودهم ثلثة اقسام

لان

لان الخلل فيهم او في الحاكم والثاني اما موجود او متوقع ومنصب النبوة ينافي الاخيرين
فتعين الاول فالاضراب عن الاخيرين بل اولئك هم الظالمون اشارة الى القسم
الاول واثبات لمرض القلب وهو النفاق على ابلغ وجه او اضراب عن الاخير
وحده بدليل انهم يسارعون اليه اذا كان الحق لهم وذلك ما يقتضي توهم الحيف منه
بل اعراضهم لكونهم منافقين مرتابين او اضراب عن نفس التقسيم والمعنى دع التقسيم
واحكم بانهم الجامعون لتلك الاوصاف الكاملون في الظلم انما كان قول المؤمنين
اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا سواء كان الحق عليهم
او لهم واولئك هم المفلحون لا غير ومن يطع الله ورسوله فيما يأمران به كائنا من
كان اي وقت كان دفع لتوهم اختصاص الفلاح بمن كان في عصره ويخش الله
اي عقابه ويتقه بامتثال اوامره والاجتناب عن المعاصي وعن ابن عباس
رضي الله عنه من يطع الله في فرايضه ورسوله في سننه ويخشى الله على ما مضى من ذنوبه
ويتقه فيما بقي من عمره قرأ ابو عمرو وابو بكر وخلاد عن حمزة في وجه بسكون الهاء لما ان
العرب تسكن هاء الضمير اذا تحرك ما قبلها تخفيفا تشبيها على ما نقل الفراء وحملا على تاء الضمير
على ما قاله الفارسي او اجراء للوصل مجرى الوقف والباقون بالكسر مع الاشباع الا حفصا
وهشاما وقالون بالتخفيف والاشباع هو القياس والنقر وحفص باسكان القاف
قياسا على كتف فاولئك هم الفايزون بكل نعمة واقسموا بالله جهد ايمانهم الضمير
للمنافقين فان ذكر المؤمنين كان استطرادا للتقابل وتباين الاحوال والمعنى استفرغوا
جهدهم في الايمان الكاذبة بعد ذلك التولي والاعراض كما هو دابهم في النفاق وجهد
منصوب بفعل مضمر كضرب الرقاب لئن امرتهم ليخرجن جواب القسم والمعنى انهم
كاملون في الايمان بحيث لو امرتهم بالخروج عن الديار والاموال لفعلوا قل لا تقسموا
كاذبين فان ذلك يحل اثم فوق آخر طاعة معروفة المطلوب منكم طاعة معروفة
لطاعة المخلص او طاعتكم معروفة بانها بالقول دون الفعل فلا حاجة الى الايمان
او طاعة معروفة امثل بكم من هذه الايمان الكاذبة ان الله خبير بما تعملون مطلع على
ضمايركم فيجازيكم عليها قل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واتركوا النفاق لم يقل واطيعوني
اشارة الى ان كونه رسولا هو المقتضي للطاعة فان تولوا فانما عليه ما حمل وعليكم
ما حملتم ابتداء الكلام منه تعالى لقوله فانما عليه دون عليك والمعنى ان توليتم لا تضر
عليه لانه ادى ما عليه وعليكم غضب الله وسخطه باعراضكم وان تطيعوه تهتدوا الى الحق
وتحرزوا نفوسكم وما على الرسول الا البلاغ المبين الموضح لما كلفتم به وعد الله الذين
آمنوا منكم وعملوا الصالحات الخطاب لرسول الله ومن بيانية وقيل تتميم لقوله ان
تطيعوه تهتدوا بما نال لهم في العاجل والآجل ترغيبا ومن للتبعيض وفيه ان آمنوا
ما ما وحمله على المترقب لا يلايم مع ان الخلفاء لم يكونوا امنين اولئك المقسمين فان قلت

لم وسط الجار والمجرور بين الايمان والعمل الصالح منا واخره في سورة الفتح قلت
اشارة الى ان الاصل في الاستخلاف هو الايمان ولذلك لا ينعزل الامام بالفسق ويصح
ولاية ذي الشوكة الفاسق بخلاف المغفرة والاجر الموصوف بالعظيم فان الايمان
والعمل الصالح اصلان فيهما ليستخلفنهم في الارض ليجعلنهم خلفاء فيها جواب قسم
مقدر كما استخلف الذين من قبلهم بني اسرائيل اورثهم ملك فرعون بمصر والعمالقة
بالشام وما بينهم ملك داود وسليمان وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم دين الاسلام
لقوله رضيت لكم الاسلام دينا وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا فان رسول الله واصحابه
لما كانوا بمكة حالهم في الخوف مقاساة الاعداء معروفة ولما كانوا بالمدينة كانوا
خايفين من ملك غسان وكان اهل النفاق يرجفون الاخبار حتى انزل الله فيهم
لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة فانجز الله وعده
ونصر عبده فاورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وارضا لم يطؤها وكان الله على كل شيء
قديرا يعبدونني لا يشركون بي شيئا حال من الذين لتقييد الوعد بثباتهم على التوحيد
او استيناف لبيان مقتضي الاستخلاف والامن ومن كفر بعد ذلك فاولئك
هم الفاسقون الكاملون في الفسق حيث كفروا تلك النعم العظام واقيموا الصلوة
واتوا الزكوة واطيعوا الرسول لعلكم ترحمون عطف على اطيعوا الله والفاصل ليس باجنبي
بل هو وعد على المامور به مع ان الاصل في العطف مغايرة المعطوف للمعطوف
عليه والفاصل يؤكدها اذ في المحاورة مظنة الاتصال وكررت طاعة الرسول مبالغة
في ايجابها ولترتب على الرحمة ثانيا كما رتب عليها الهدى اولا لا تحسبن الذين
كفروا معجزين في الارض خطاب لرسول الله توكيد لذلك الوعد وقرا ابن عامر وحمزة
بياء الغيبة اما باسناد الفعل الى الذين كفروا وعلى ان معجزين في الارض مفعولاه
كانه قيل لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض او على حذف المفعول
الاول اي لا يحسبن الذين كفروا اياهم معجزين او في الفعل ضمير الرسول لتقدم ذكره
والخطاب اوجه لعدم الحذف ولكونه ابلغ تسلية ومن جوز ان يكون الفاعل
في قراءة التاء الذين كفروا لم يصب لان قراءة الخطاب لا احتمال فيها لغير رسول الله
ولا يمكن تانيث الفعل المسند الى الذين ومأويهم النار عطف على مقدر كانه قيل
مقهورون في الدنيا بالاستيصال مجزيون في الاخرة بعذاب النار او في محل النصب
على الحال كانه قيل اني لك او للكافر هذا الحسبان والحال ان النار موعدهم ولبئس
المصير المأوى يا ايها الذين امنوا ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم متصل
بقوله اطيعوا الله واطيعوا الرسول والافراد بالذكر لانه من الاداب فربما تساهل فيه
وقيل رجوع الى الاحكام السالفة التي صدرت السورة بها بعد الفراغ من الالهيات
والوعد والوعيد والخطاب للرجال وتدخل النساء بالطريق الاولى لان التستر لهن اولى نزلت

في عمر بن الخطاب كان قائلا وقت الظهيرة متجردا عن الثياب فارسل اليه رسول الله
صلى الله عليه وسلم مدلج بن عمرو غلاما من الانصار فدخل على عمر من غير اذن فقال عمر
وددت ان الله نهى اولادنا وخدمنا من الدخول في هذه الساعات الا بالاذن فلما
جاء رسول الله وجده قد نزلت عليه وقيل نزلت في اسماء بنت مرشد دخل عليها غلام
كبير لها فكرهت دخوله في ذلك الوقت فشكت ذلك الى رسول الله فنزلت والذين
لم يبلغوا الحلم منكم اي الصبيان من الاحرار الذين لم يبلغوا حد الرجولية فعبر عنه بالحلم
لانه احد دلايله ثلث مرات في ثلث اوقات من قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام
من المضاجع والغالب فيه التجرد عن ثياب اليقظة وحين تضعون ثيابكم للقيلولة
من الظهيرة بيان للحين ومن بعد صلوة العشاء لانه وقت التجرد من الثياب
والالتحاف باللحاف ثلث عورات لكم اي هذه ثلث عورات او ثلث عورات
مبتدا خبره لكم وقرا حمزة والكسائي وابو بكر ثلث عورات بالنصب بدلا من ثلث مرات
وتسميتها بالعورات لكونها مظنة لها وكل عيب وخلل عورة ومنه في الحديث لا يؤخذ
في الزكاة هرمة ولا ذات عوار اي عيب وخلل واعور الفارس اذا وجد منه خلل
في لبسه وسلاحه ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن بعد الاوقات الثلث صفة ثلث
عورات اي قرى بالرفع ابتدا التعليم اي هن عورات مخصوصة بالاستيذان ليس
ورائهن جناح واستيناف يؤكد الامر بالاستيذان في تلك الاوقات ان قرى
بالنصب فان قلت هلا جعل وصفا في قراءة النصب كما في قراءة الرفع قلت اذا امر
بالاستيذان في الاوقات الثلثة فقد حصل الغرض سواء وصفت بان لا حرج ورائها
او لم توصف فيضيع الوصف بخلاف الرفع فان الوصف للخبر المقصود والاستيذان
على اطلاقه كما في النصب والاية في الصبيان والمماليك واية الاستيذان السابقة
في الاحرار البالغين فلا تنافي فلا نسخ طوافون عليكم تعليل لرفع الحرج اذ اكثره المداخلة
مع الاستيذان في الاوقات كلها يوجب الحرج بعضكم على بعض مبتدا خبره اي بعضكم
يطوف على بعض كذلك يبين الله لكم الايات سائر الايات في الوضوح والجلاء
والله عليم كامل العلم حكيم فيما شرع لكم من الاحكام واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستاذنوا
كما استاذن الذين من قبلهم اي الذين بلغوا من قبلهم السن الذي يبلغ فيه الغلام
عند ابي حنيفة ثماني عشر سنة والجارية سبع عشرة والشافعي وعامة العلماء خمس عشرة سنة
في الغلام والجارية وروي عن علي رضي الله عنه انه كان يقدر العامة خمسة اشبار
واليه اشار الفرزدق في قوله فيما ادرك خمسة الاشبار واستدل به من اوجب
الاستيذان على العبد البالغ اذا دخل على سيدته ولا دليل له فيه لان المراد بهم ما عدا
المماليك من الاحرار لتقدم المماليك في الذين ملكت ايمانكم كذلك يبين الله لكم
اياته والله عليم حكيم كرره مبالغة في شان الاستيذان واضاف الايات اليه تعالى

زيادة توكيد لان الاستئذان مما يتساهل فيه وعن ابن عباس رضي الله عنه ثلث آيات
جحدهن الناس الاذن كله وان اكرمكم عند الله اتقاكم واذا حضر القسمة اولوا القربى وعن
ابن مسعود رضي الله عنه عليكم ان تستاذنوا على اباءكم وامهاتكم واخواتكم والقواعد من النساء
جمع قاعدة اي ذات قعود كطالق وحائض وهي المسنة من النساء القعد في البيت
لعدم استطاعة الدخول والخروج اللاتي لا يرجون نكاحا لعدم رغبتهن فيه او لعدم
رغبة الرجال فيهن فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن الثياب الظاهرة
كالجلبات والملحفة ودخول الفاء في الخبر لان اللام في القواعد موصولة غير متبرجات بزينة
الزينة الخفية لسبق العلم باختصاص الحكم بها والتنكير لافادة الشيوع وان زينتها وان
قلت داخلة في الحكم والتبرج التكلف في اظهار الزينة من البرج بفتح الراء وهو سعة
العين او اظهر احداق بياضها سوادها وفي الحديث في وصف عمر بن الخطاب كان
طوال ابرج وان يستعففن خير لهن من وضع الثياب رغب في الافضل والتقوى
بعد بيان الاباحة على نمط الفتوى والله سميع لقولهن عليم باحوالهن تحذير لهن
عن التجاوز في الاقوال والافعال وقدم ما يتعلق بالقول اهتماما كما في الحديث ان معاذ
بن جبل قال يا رسول الله هل نؤاخذ بالقول بالسنا قال ثكلتك امك يا معاذ وهل يكب
الناس في النار على مناخرهم الا حصائد السنتهم لا سيما النساء فان الغالب عليهن كثرة
اللغو في الكلام والخوض فيما لا يعني ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض
حرج كان المؤمنون لا يتحاشون في اوحال ذوي العاهات على اقربائهم واصدقائهم
والطعامهم مما يطعمون ثم كن الطاعم والمطعم ذلك فانه اكل مال الغير بالباطل فتحرجوا
فقيل لهم ليس ذلك من الاكل بالباطل وقيل كان ذوو العاهات يتحرجون من
مواكلة الاصحاء استقذارا لانفسهم لان الاعمى لا يحسن تناوله الطعام عن نوع شين وكذلك
الاعرج في جلوسه والمريض عن كراهة رائحة ونحوها ولان الاعمى لا يرى الطعام والمريض
لا يستوفي الاكل والاعرج لا يتمكن من الجلوس فربما يتحرجوا لئلا يظلموهم وقيل كانوا اذا غزوا
خلفوا على اموالهم وتعلقاتهم القاعدين عن الغزو وكانوا يأذنون لهم في الاكل منها
فيتحرجون حكي ان الحرث بن عمرو خرج غازيا وخلف على امواله مالك بن زيد فلما رجع
راه مجهودا فسأله عن ذلك فقال لم يكن عندي شيء ولم آكل من مالك شيئا وقيل الاية
في القاعدين عن الغزو للاعذار وعلى هذا وجه العطف في قوله ولا على انفسكم ان تأكلوا
من بيوتكم او بيوت اباءكم او بيوت امهاتكم او بيوت اخوانكم او بيوت
اعمامكم او بيوت عماتكم او بيوت اخوالكم او بيوت خالاتكم الجامع بين المعطوف والمعطوف
عليه كون كل منهما منفيا عنه الحرج كما اذا استفتاك مسافر عن جواز الافطار وحاج عن
تقديم الرمي على الحلق قلت ليس على المسافر حرج في الافطار ولا عليك ايها الحاج
في تقديمك فان القضيتين وان تباينتا كل التباين اذ تقاربتا في الاحتياج الى البيان

قرب

قرب الجامع والذي دعا الى ذكر بيوتكم امران ان يعطف عليه غيره والاكتفاء بذكره
عن ذكر بيوت الابناء للحديث المشهور انت ومالك لابيك او ما ملكتم مفاتحه
كناية عما تحت يد الوكيل والقيم والامين او صديقكم يطلق على الواحد والجمع كالخليط
والقطين وهذا اذا دل الحال على الرضا كما كان دأب السلف حكي ان الحسن دخل
داره يوما فرأى جمعا من الصحابة قد اخرجوا من تحت سريره سلالا فيها اطايب الاطعمة
وهم يكبون عليها يأكلون فاستنار وجهه وقال هكذا وجدناهم هكذا وجدناهم يريد
كبراء الصحابة من البدريين وقد روي ان الشافعي كان يذهب الى بيت الزعفراني
ويقيم عنده في بيت الكتب اياما وكان دأب الزعفراني ان يكتب صبيحة كل يوم
ما يطبخ في بيته على ورقة ويناولها جارية ليسلمها الى الطباخ فوجد يوما في السماط طعاما لم
يكن كتبه فسأل عن ذلك فاخبرت الجارية ان الضيف اخذ منها الورقة وزاد فيها
ذلك الطعام فقال ان كنت صادقة فانت حرة لوجه الله علي بالورقة فاتوا بها فوجد
الامر كما اخبرته عليها ملحق بخط الشافعي وعن ابن عباس رضي الله عنه الصديق اكبر
من الوالدين الا ترى ان اهل النار لم يذكروا الاباء والامهات بل قالوا فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم ليس عليكم جناح ان تأكلوا جميعا او اشتاتا نزلت في بني عمرو بن ليث
من كنانة كانوا يتحرجون ان يأكل الرجل وحده وقيل من الانصار كانوا لا يأكلون الا مع
الضيف وقيل كانوا يتحرجون من الاجتماع على الاكل لتفاوت نهمة الناس فاذا دخلتم بيوتا
من هؤلاء البيوت وغيرها ولذلك نكر فسلموا على انفسكم على من فيها فان المؤمنين كنفس
واحدة تحية من عند الله مشروعة باذنه او متعلق بتحية لان السلام دعاء بالسلامة والحياة
للمسلم عليه من الله وانتصابه على المصدر كقعدت جلوسا مباركة يرجى بركتها طيبة يوجب
الانس ويطيب بها قلب السامع ويسكن روى البخاري انه صلى الله عليه وسلم سئل عن
افضل خصال الاسلام فقال اطعام الطعام وافشاء السلام وهذا السلام مشروع سواء
كان في البيت احد او لا وقيل اذا لم يكن فيه احد فليقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد وليس فيه احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
كذلك يبين الله لكم الايات كرره تفخيما للاحكام المذكورة وجعل الفاصلة في الاولين العلم
والحكمة المقتضيان لتبيين الاحكام وهنا ما هو المقصود من ذلك البيان وهو قوله
لعلكم تعقلون اي تفقهون في الدين في البخاري من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين
انما المؤمنون الذين امنوا بالله ورسوله يريد الكاملين في الايمان واذا كانوا معه على امر
جامع وصف الامر بالجامع مجاز والمراد ما يكون الاجتماع لاجله كالجمعة والعيد والمشاورة
في مهم لم يذهبوا حتى يستاذنوه لقوة ايمانهم لا يأتون ولا يذرون الا باذنه ان الذين
يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله صدر الكلام ولا بأس المفيد
للحصر واوقع الموصول خبرا عنه محيطا بالايمانين ثم اعاد الكلام على وجه دل على ان مصداق

الايمان هو الاستيذان وفيه تعريض بان المتوفق المتسلل ليس من الايمان في شي فاذا
استاذنوك لبعض شانهم لمهم تعريض لهم فاذن لمن شئت منهم واستصوبت له الاذن
فوض الامر اليه في الاذن والمنع اجلالا له واستغفر لهم الله مكافاة لهم على بذل الطاعة
لك وفي الحديث من اسدى اليكم معروفا فجازوه بمثله فان لم تقدروا فكافئوه بالدعاء
وقيل الاستغفار لهم على الاذن فانه ترك الافضل لانه اشتغال بامر الدنيا ان الله غفور لفرطات
العباد رحيم بهم حيث بنا امرهم على التيسير وارسل اليهم من يستغفر لهم لا تجعلوا دعاء الرسول
بينكم كدعاء بعضكم بعضا فتنصرفون بغير اذنه تاكيد لامر الاستيذان او لا تجعلوا دعاكم اياه
كما هو المتعارف يا فلان يا فلان تدعونه باسمه يا محمد بل قولوا يا رسول الله ويا نبي الله بالفاظ
تدل على التعظيم كما خاطبه الله بها يا ايها الرسول يا ايها النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر لم يخاطب
الله نبيا من الانبيا الا باسمه العلم يا نوح يا ابرهيم يا موسى الا سيد المختار فانه لم يخاطبه الا
بتلك الالقاب الشريفة او لا تجعلوا دعاء الرسول واستغفاره لكم مثل دعاء بعضكم لبعض
والاستغفار له فانه مستجاب حتما قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا قليلا مثل تدرج
وتدخل مصدر لاذ الرجل اذا استتر بغيره اودخل قد على العلم تحقيقا وتوكيد الثبوته ليكون ذريعة
الى تحقق الوعيد فليحذر الذين يخالفون عن امره يعرضون عن طاعته فيشمل الامر الجامع
وغيره وعن الاخفش ان عن صلة وقيل بمعنى بعد كقوله طبقا عن طبق وقيل يخالفون عن
امره يصدون عنه المؤمنين فحذف المفعول لعدم تعلق المقصود به ان تصيبهم فتنة
في الدنيا بالقتل والاسر او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة ظاهر الاية ان الامر للوجوب عند
عدم الصارف الا ان لله ما في السموات والارض خلقا وملكا قد يعلم ما انتم عليه
الخطاب للمنافقين او عام لهم ولغيرهم ويوم يرجعون اليه اي المنافقون للجزاء التفات
على الاول فينبئهم بما عملوا بالتوبيخ والمجازات والله بكل شي عليم فتح السورة بقوله انزلنا
فيها ايات بينات وختمها بقوله انما المؤمنون اشارة الى ان المنتفع بتلك الايات المؤمن
الذي سلم كله الى صاحب الشريعة لا العدم دون اشارته ولا يجم وقد اورد بعض كبار المشايخ
هذه في بحث اداب المريد مع الشيخ تمت السورة والحمد لله على ما انعم سورة الفرقان
مكية وهي سبعون وسبع ايات بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي نزل الفرقان على عبده
تعالى وتزايد خيره من هذا فعله اصله من برك البعير اذا القى بركه ومنه الصدر فيفيه معنى اللزوم
ومنه البركة لمكان الحرب والبركة لمحبس الماء ولما كان القران الكريم خيره ومنافعه
لا تحصى هو اصل الدين والشريعة الداعية الى انقراض الزمان وصف به من نزله تعالى لا يوصف
غيره ولا ينصرف فيه والفرقان علم للقران لانه يفرق بين الحق والباطل ولانه مفعول بعضه
عن بعض بحسب الاحكام او في النزول منجما ليكون للعالمين نذيرا اي العبد او القران
والثاني اوجه لقولهم بعد اساطير الاولين الذي له ملك السموات والارض بدل من
الموصول الاول لان قوله ليكون تعليل للصلة من تتمتها او مدح مرفوع او منصوب ولم يتخذ

ولدا

ولدا ولم يكن له شريك في الملك كما توهمه اهل الضلال وخلق كل شي احدثه ومراعي فيه التسوية
فقدره تقديرا هياه لما يتعلق به من الافعال والملكات وان شئت فتامل في الانسان كما كان
مكلفا بمعرفة الصانع والقيام بعبادته كيف افاض عليه القوى المدركة والنطق للافهام وقيل
قدره للبقاء الى اجل مسمى واتخذوا من دونه آلهة اليهود والنصارى والمشركون والمجوس لما بين
انه تفرد بالالوهية اخذ في مثالب من ضل عن السبيل واتخذ له شريكا لا يخلقون شيئا قط وهم
يخلقون مخلوقون واثبات الصانع لاستحضار تلك الحالة ولا يملكون لانفسهم ضرا دفع ضر ولا نفعا
ولا جلب نفع قدم دفع الضر لانه اهم عند العاقل وعكس في قوله ويعبدون من دون الله
ما لا ينفعهم ولا يضرهم لان غرض العبد من عبادته هو النفع ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا
واذا لم يقدروا على دفع الضر عن انفسهم وجلب النفع لها فهم عن هذه الامور بمعزل لا يصلح
للالوهية الا من هذا شانه وافعاله وقدم على الاقرب فالاقرب في الترتيب وقال الذين
كفروا ان هذا الا افك كذب مصروف عن وجهه اثر المظهر اشارة الى ان الباعث على هذا
القول هو الكفر افتراه اخترعه قصدا واعانه عليه قوم آخرون ارادوا العداس مولى الحويطب
بن عبد العزى ويسارا مولى العلا بن الحضرمي وابا فكيهة الرومي او قوما اخرين من الذين
قراوا قصايص الامم الدارجة فقد جاؤا ظلما عظيما حيث جعلوا الكلام المعجز مفترى وزورا
حيث نسبوا الآتي به الى الزور وقالوا اساطير الاولين اي ما اتى به جمع اسطورة كاحاديث
جمع احدوثة كانوا حيارى في امره تارة يقولون شعر وتارة يقولون سحر واخرى مفترى واساطير
الاولين وهكذا شان المبطل لا يستقر على حال اكتتبها فهي تملى عليه بكرة واصيلا اراد كتبها
لنفسه فهي تملى عليه طرفي النهار وهو يكتبها او قد كتبها فهي في كتاب عنده تلقى اليه طرفي
النهار ليحفظ قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض مشتملا على المغيبات التي لا يعلمها
غيره مما خلا عنه كتب الانبيا فكيف يكون اساطير الاولين او مختلقا انه كان غفورا رحيما
ولذلك انزله اليك وارسلك به نذيرا او لكونه غفورا رحيما لم يعاجلهم بالعذاب مع استحقاقهم
وقالوا ما ل هذا الرسول تعقبت المصاحف على فصل اللام والوجه فيه ان اللام الجارة كلمة
مستقلة فينبهوا على ذلك في مواضع ياكل الطعام ويمشي في الاسواق كساير الناس وهذه
شبهة واهية ذكروها في مواضع بعبارات مختلفة ردها الله تعالى بانواع الاجوبة القاطعة
منها ما سياتي عن قريب قوله وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم لياكلون الطعام
ويمشون في الاسواق لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا ليتعاونان على الانذار ويكون
مصدقا له او يلقى اليه كنز يستغني به عن السعي في الاسواق والتردد في طلب المعاش
او يكون له جنة ياكل منها اقل الاحوال ان يكون له قوت يكون قوام لبدنه فضلا عن الكنز
وقال الظالمون وضع الظالمين موضع الضمير تسجيلا عليهم بانهم ظالمون في مقالتهم ان
تتبعون الا رجلا مسحورا اصيب بالسحر ولا يدري ما يقول انظر كيف ضربوا لك الامثال
الاقوال الغريبة التي يضرب بها المثل لفرط بعدها عن حالك ورفعة محلك عن الاتصاف بها

فضلوا في تلك المقالات فلا يستطيعون سبيلا الى شيء يستقرون عليه وفضلوا عن طريق الحق
فهم يخبطون خبط عشواء تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك الذي ذكروه من الكنز والجنة
في الدنيا جنات تجري من تحتها الانهار كما وعدك في الاخرة ويجعل لك قصورا واثبات ان
للدلالة على عدم وقوع ذلك في الدنيا وانها ليست محلا له لسرعة الانتقال منها قرا ابن كثير
وابن عامر وابو بكر ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز في جزائه الجزم
والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم او استئنافا
على معنى وهو يجعل لك في الاخرة قصورا والاول اوجه بل كذبوا بالساعة عطف على ما
حكى عنهم من قولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام اضراب الى ما هو اطم فان ذلك تكذيب
الرسول وهذا تكذيبه تعالى او متصل بقوله تبارك الذي ان شاء جعل لك خيرا من ذلك
انكار منهم لذلك على ابلغ وجه فان من كذب بها كيف يصدق بهذا الخبر واعتدنا لمن
كذب بالساعة سعيرا نارا شديدة الاستعار وعن الحسن انه من اسماء جهنم فصرفه باعتبار
المكان او ليوافق الفواصل كما في سلاسلا واغلالا اذا راتهم من مكان بعيد سمعوا لها
تغيظا وزفيرا وروي ان النار تراهم من مسيرة مائة عام ولها تغيظ وزفير قيل شبه
صوت غليانها بصوت المغتاظ وزفيره والحق انه على الحقيقة وقد روى البخاري انه صلى الله
عليه وسلم قال ان النار اشتكت الى ربها فقالت يا رب اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس
في الصيف ونفس في الشتاء فهو اشد ما تجدونه من الحر واشد ما تجدونه من البرد ولما كان
الحق ان البنية ليست بشرط في الحيوة فقد ان تخلق في اي شيء كان واذا القوا منها مكانا
ضيقا كما يلقى الحجر عن ابن عباس رضي الله عنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح ليشتد عليهم
الكرب مقرنين حال كونهم مقرنين في السلاسل قرنت ايديهم الى اعناقهم وقيل يقرن
كل انسان مع شيطانه في سلسلة وفي ارجلهم الاصفاد دعوا هنالك ثبورا هلاكا يقولون
واثبوراه تعالى هذا اوانك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا يقال لهم ذلك او هم احقاء بذلك القول
وادعوا ثبورا كثيرا لعدم انقطاع العذاب او لكثرة انواعه قل اذلك خير ام جنة الخلد التي
وعد المتقون الذين اتقوا الشرك لانهم قوبلوا بالمشركين المكذبين والاستفهام للتقريع
والتفضيل على وجه التهكم كما يقول من يضرب عبده لمخالفته امره هذا الطيب ام ذلك
كانت لهم جزاء ومصيرا اي تكون والتعبير بالماضي لجعل المترقب كالواقع وانما ذكر المصير
مع الجزاء كما في قوله نعم الثواب وحسنت مرتفقا وقوله بئس الشراب وساءت مرتفقا
لان اللذة والنعيم لا يكمل الا اذا انضم اليه طيب المنزل لهم فيها ما يشاؤون كل ما تمنونه فان
قلت الجزاء على قدر الاعمال فكيف يكون ادنى المؤمنين مثل اعلاهم وقد روى ابن عباس
رضي الله عنه ان في الجنة مائة درجة بين كل درجتين مسيرة خمسمائة عام قلت ادنى المؤمنين
اذا كان له مثل ملك الدنيا عشر مرات فيرضى بذلك ولا يشتهي زيادة على ما هو فيه خالدين
حال من فاعل ما يشاؤون كان على ربك وعدا مسؤولا موعودا حقيقا ان يسأل ويطلب

او يسأله

او يسأله الناس في دعائهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك او الملائكة ربنا وادخلهم جنات
عدن التي وعدتهم ويوم يحشرهم اي الكفرة لان ذكر المتقين استطرادا والاظهار مقام الفريقين
على وجه التقابل وقرا ابن كثير وحفص بالياء على ان الفاعل ضمير ربك والباقون بالنون
التفاتا وما يعبدون من دون الله يعم كل معبود سواه واستعمال ما في العقلاء اما لكون وضعه
على العموم او لارادة الوصف كقوله والسماء وما بناها او تغليبا او تنزيلا للعقلاء في مقام الالوهية
منزلة غيرهم فيقول انتم اضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل سؤال تقريع وتوبيخ للعبدة
حتى اذا اجاب المعبودون بما اجابوا ازداد بذلك حسرتهم ويفتضحون على رؤوس الاشهاد
وتقديم المسند اليه لكون الفعل واقعا بلا ريب وانما الكلام في الفاعل وقرا ابن عامر فيقول بالياء
قالوا سبحانك ابعادا له عن الانداد وتعجب من نسبة الاضلال اليهم لانهم اما ملائكة وانبياء
معصومون او جمادات لا حيوة لها ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ما يليق
بنا ان نتولى احدا دونك فكيف نامر احدا بان يتولانا دونك ولكن متعتهم وآباءهم بانواع
النعم حتى نسوا الذكر حتى تسبب ذلك التفضل الذي كان حقه الشكر لنسيان ذكرك بالتوحيد
والتدبر في آلائك وآياتك وكان حق الكلام بل انت اضللتهم بافاضة النعم عليهم ولكن عبروا
عن اللازم بالملزوم تأدبا وكانوا قوما بورا هالكين في قضائك السابق جمع بائر كعوذ وعائذ
او مصدر وصف به فقد كذبوكم ايها العبدة التفت اليهم كفاحا بالتوبيخ والتقريع بما تقولون
اي في قولكم انهم آلهة او هؤلاء اضلونا ويجوز ان يكون الجار والمجرور بدل اشتمال لان كذبته و
كذبت به واحد معنى فما يستطيعون صرفا دفعا للعذاب عنكم بعد ما كذبوكم او حيلة من صرف
اذا احتال وقرا حفص بالتاء خطابا للعبدة والغيبة ابلغ [illegible] لاستلزامه تعجيز من ادعوا
الاستطاعة فيه ولا نصرا ولا اعانة لما انتم فيه ومن يظلم منكم ايها المشركون نذقه عذابا كبيرا
اصل الكلام نذيقه او نذيقكم وضع ومن يظلم موضع الضمير وقيل الخطاب للفرق المكلفين
وما ارسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق جواب
عن شبهتهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام والجملة بعد الا صفة محذوف اي احد كقوله وما منا
الا له مقام معلوم اي احد وجعلنا بعضكم لبعض فتنة محنة وابتلاء اتصبرون حث على
الصبر بعد بيان موجبه كقوله فهل انتم منتهون بعد تحريم الخمر وقيل علة للجعل اي لنعلم ايكم يصبر كقوله
ليبلوكم ايكم احسن عملا وكان ربك بصيرا بمن يصبر ومن لا يصبر او بمن يصلح للرسالة والاصطفاء
وقال الذين لا يرجون لقاءنا جزاءنا على الاعمال الصالحة او رؤيتنا او عقابنا بلغة تهامة على ان
الرجاء بمعنى الخوف لولا انزل علينا الملائكة بالرسالة لعدم اعتقادهم جواز ارسال البشر او
يصدقون محمدا والاول هو الوجه لقولهم لولا انزل اليه ملك فيكون معه نذيرا او نرى ربنا
فيأمرنا وينهانا بلا واسطة ولا حجاب لقد استكبروا في انفسهم اضمروا الكفر في قلوبهم وعنادهم
وعتوا وتجاوزوا الحد عتوا كبيرا تجاوزا مفرطا اللام جواب قسم محذوف كانه قيل ما اشد
استكبارهم وما اكبر عتوهم يوم يرون الملائكة منصوب باذكر او بيعذبون دل عليه ما بعده [illegible]

لولا انزل علينا الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين لكل مجرم او لهم فوضع موضع الضمير ليدل على
عليه عدم البشرى ويقولون حجرا محجورا من المصادر التي يجز ذكر ناصبها والوصف للمبالغة كليل
اليل منه وكلمة كانوا يقولونها عند النوائب وشدايد النوازل في مقام الاستعاذة والمعنى انهم
يطلبون نزول الملائكة واذا انزلت استعاذوا من نزولها فانهم يلاقونهم بما يكرهون وقيل هو
من كلام الملائكة اي حراما عليكم محرما الغفران والجنة او البشرى واصل الحجر المنع ومنه قيل
للعقل الحجر لانه يمنع ارتكاب الرذايل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا كانوا
يسابقون الى المكارم من قرى الضيف وفك العاني وساير انواع البر ويحسبون انها
ذخر لهم عند الله ولما لم يكن لبنائهم اساس اذ الاعمال بدون الايمان كبناء بلا اس رد الله
عليهم في ذلك الحسبان ابلغ رد بان مثل حالهم بحال قوم خالفوا امر سلطانهم واغضبوه
غاية الاغضاب فعمد الى مادبهم واباح ما تحت ايديهم وجعلها كان لم تغن بالامس
والهباء ما يرى من الذرات عند دخول الشمس في الكوة شبه الغبار والمنثور المفرق صفة
هباء او مفعول ثالث لجعلنا على انه في الاصل خبر ثان اي جعلناه جامعا للحقارة والتفرق بحيث
لا يحصل منه على طائل اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا مكانا يستقرون فيه للمحاورة والمفاكهة
مع الاصحاب كقوله على سرر متقابلين واحسن مقيلا مكانا للاسترواح والتمتع بالحور والازواج
وتسميته مقيلا على التشبيه اذ لا قيلولة في الجنة كقوله رزقهم فيها بكرة وعشيا مع ان في الجنة لا ليل
ولا نهار والمقيل عبارة عن الزمان اشارة الى ان مكانهم وزمانهم احسن ما يتصور والتفضيل
اما ان يراد به الزيادة المطلقة او بالاضافة الى ما للمترفين في الدنيا في اثار الحسن مع المقيل
اشارة الى زيادة المحاسن منا من الزخارف والوجوه الحسان كما يكون للملوك في الدنيا اماكن
امثالهم ويوم تشقق السماء بالغمام اي تتشقق بسبب طلوع الغمام منه قيل هو غمام فوق السموات
سمكه مثل سمك السموات وثقله مثل ثقلها فاذا كان يوم القيمة القاه الله على السموات فتشقق
منه قرا الكوفيون وابو عمرو بتخفيف الشين بحذف احدى التائين ونزل الملائكة تنزيلا في ذلك
الغمام بايديهم صحايف الاعمال وقرا ابن كثير ننزل بزيادة النون مضارع انزل ونصب الملائكة
وعليه رسم المكي وعلى حذفه ساير الرسوم الملك يومئذ الحق للرحمن اي الثابت له دون
غيره من الملوك لمن الملك اليوم الملك مبتدا ويومئذ ظرفه والحق نعت وللرحمن خبره
وكان يوما على الكافرين عسيرا اي يكون شاقا عليهم لسقوط حجتهم ويوم يعض الظالم على يديه
كل ظالم كناية عن شدة الندامة فان النادم المتحسر يعض على الانامل ويجمع اليدين اشارة
الى فرطه عن ابن عباس نزلت في عقبة بن ابي معيط كان اذا قدم من سفر اتخذ طعاما ودعا
اليه الناس فدعا من جملتهم رسول الله فلما قدم الطعام ابى ان يتناوله الا ان يشهد له
بالرسالة فشهد له بذلك وهو مضمر الكفر وكان صديقا لابي بن خلف فعاتبه ابي وقال له
صبات فقال ما صبات ولكن كرهت ان يرجع ولم يطعم من طعام دعوته اليه فقال وجهي
من وجهك حرام ان وجدت محمدا ولم تبزق في وجهه ففعل ذلك فعلى هذا اللام في الظالم

للعهد

للعهد والحق انه للجنس وان كان هو سبب النزول اذ لا ظالم الا هو خاص به في ذلك
اليوم يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا طريقا الى النجاة او طريقا واحدا وهو
طريق الجنة فالتنكير للافراد وتخصيصا او طريقا من الطرق اشارة الى ان ما كان يسلكه
لم يستحق ان يسمى طريقا والقصد الى صفة السبيل او ماهيته يا ويلتى اصله ويلتي قلبت الفا
كما في يا حسرتا وامال الفه حيث وقع الدوري عن ابي عمرو وكذا حمزة والكسائي على ما عرف
في اصولهم ليتني لم اتخذ فلانا خليلا فلان كناية عن علم الذكر يريد ابيا ان اريد العهد وان
اريد الجنس فكل من اتخذ خليلا لا بد وان يكون له علم فجعله كناية عنه لقد اضلني عن الذكر
ذكر الله او القران انا نحن نزلنا الذكر او كلمة الشهادة والذكر بمعنى العهد لانه عهد بين الله
وبين عبده بعد اذ جاءني ولم يبق لي عذر وكان الشيطان للانسان خذولا ابي لعقبة
سماه شيطانا لكونه مضلا مثله او ابليس لانه الذي حمله على ذلك او من اضل عن طريق الحق
من الجن والانس شيطان حكاية كلام للظالم او هو ابتداء كلام من الله تحذير للسامع
عن الاغترار والخذلان ضد النصرة وقال الرسول يريد محمدا صلى الله عليه وسلم يا رب ان قومي
اتخذوا هذا القران مهجورا متروكا غير ملتفت اليه او مهجورا فيه من الهجر بمعنى جعلوه هذيانا
وسموه سحرا او اساطير الاولين او خلطوا الهجر فيه به اذا قرئ لئلا يفهمه السامعون وقال الذين
كفروا لا تسمعوا لهذا القران والغوا فيه وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين كما جعلنا
لك اقبل عليه بعد سماع شكواه مسليا له بان هذا شان الرسل مع الكفار لينالوا بذلك
المثوبة العظمى وكفى بربك هاديا الى طريق الانتقام منهم ونصيرا معاونا لك عليهم
فلا تبال واصبر وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران نزل بمعنى انزل كقوله جملة واحدة
والا لكان متدافعا كذلك جواب لهم اي كذلك انزل مفرقا لان قولهم لولا نزل عليه
القران جملة يتضمن انكار انزاله مفرقا لنثبت به فؤادك مفرقا منجما تحديث بكل نجم من
نجومه قوي قلبك وازداد ثبات جاشك ولو انزل جملة واحدة مرة وتحمتهم لم يكن
ذلك الوقع ولا لك الظهور التام واطمئنان القلب وايضا اذا تردد اليه جبرئيل
في الوقايع ازداد بذلك قوة وتوالت عليه الافراح كما يفعله الملوك مع الخواص المقربين
يواصلونهم بالرسايل والكتب وما قيل انه كان اميا بخلاف حاله حال موسى وعيسى وداود
عليهم السلام فانهم كانوا قراء وكتبة فلو القى اليه جملة لعجز عن حفظه فعنه ان انزله قادر
على ان يجعل له القوة على حفظه في لمحة طرف بل كان ذلك معجزة اخرى له ورتلناه ترتيلا
فصلناه بعضه عن بعض في الانزال تفصيلا متناسبا بين البعد والقرب من رتل
الانسان وهو تباعد ما بين الثنايا والرباعيين وقيل رتلناه امرنا بترتيله في القراءة لقوله
ورتل القران ترتيلا ولا ياتونك بمثل بكلام هو مثل في البطلان يجادلونك به الا جئناك
في مقابلته بالحق جوابا عنه واحسن تفسيرا كشفا عن المقصود من الفسر وهو الكشف
وصيغة التفعيل للمبالغة وذلك انهم قاسوا بموسى وعيسى في انزال الكتاب جملة واحدة

وقد جعلوا اما في شريه معرفا من الحكم الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم رفع او نصب
على الذم روى البخاري عن انس ان رجلا قال يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه
يوم القيمة فقال اليس الذي امشاه على الرجلين في الدنيا قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم
القيمة اولئك شر مكانا منزلا واضل سبيلا ممن قدحوا في رسالته اي لو علموا حالهم
ليعلموا انهم شر مكانا وقيل متصل بقوله اصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا ووصف السبيل
بالضلال على طريقة المجاز الحكمي مبالغة في ضلال سالكه ولقد آتينا موسى الكتاب لما سلاه بقوله
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا فصل بعض احوال مشاهيرهم وقدم موسى لان امته اكثر
وعنادا مع الجهال او فرو اشهر وجعلنا معه اخاه هرون وزيرا موازرا له معاونا اياه في
تبليغ الرسالة ولا تنافي بين النبوة والوزارة فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا
فذهبا فكذبوهما فدمرناهم تدميرا استاصلناهم وقلعنا شافتهم ولما كان الغرض التسلية
وانه سينزل بالمشركين ما نزل باولئك اختصر الكلام بذكر طرفي القصة وكذلك سلك في القصص
بعدها وقوم نوح لما كذبوا الرسل كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل او نوحا وحده ومن كذب
رسولا فقد كذب سائر الرسل لاتحاد دعوتهم واشتراكهم وايلهم في الاعجاز اغرقناهم بالطوفان
وجعلناهم للناس آية عبرة الى يوم القيمة واعتدنا للظالمين عذابا اليما لكل ظالم او لهم
وايثار الظاهر للدلالة على علية الحكم وعادا وثمودا عطف على هم او الظالمين لان المعنى
اذ المعنى وعدنا الظالمين وهولا الاعلام في الظلم وقرا حمزة وحفص ثمود غير منون على تاويل
القبيلة واصحاب الرس قوم شعيب والرس اسم بئرهم كذبوا شعيبا فبيناهم حول
البئر جلوس خسف الله بهم الارض وقيل قرية عظيمة بفلج اليمامة قتلوا نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود
وقيل هم اصحاب حنظلة بن صفوان وكانوا مبتلين بالعنقاء وهي طير عظيم سمي بذلك
لطول عنقه وكانت تخطف اولادهم فدعا عليها حنظلة النبي فاصابتها صاعقة ثم انهم قتلوا
حنظلة فاهلكوا وقيل هم اصحاب الاخدود والرس الاخدود وقيل الرس بارض انطاكية
قتلوا فيها حبيبا النجار وقيل اسم بئر وانما سمي رسا لانهم قتلوا نبيهم ورسوه فيها اي دسوه وقرونا
بين ذلك لمذكور كثيرا لا يعلمها الا الله روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلا الآية
قال كذب النسابون يقول الله وقرونا بين ذلك كثيرا وكلا ضربنا له الامثال اي كل
قرن بينا له القصص الغريبة مما جرى على الامم المكذبة للرسل انذارا وتحذيرا وكلا تبرنا تتبيرا
حيث لم يعتبروا ولم ينجع فيهم ذلك الانذار التبار الكسر ومنه التبر وهو قطع الذهب قبل
الضرب وكلا الاول منصوب بما دل عليه ضربنا اي انذرنا والثاني بتبرنا لفراغ الفعل
ولقد اتوا على القرية التي امطرت مطر السوء يريد قريشا في مسايرهم في التجارات
الى بلاد الشام والقرية اسمها سدوم اعظم قرى قوم لوط سميت باسم قاضيها وكان آية
في الظلم والجور حتى صار مثلا هذا اقضى سدوم ومطر السوء الحجارة افلم يكونوا يرونها الاستفهام
للانكار الداخل على النفي فيفيد الاثبات اي قد راوها بل كانوا لا يرجون نشورا فلذلك لم يتاملوا

ولم يتعظوا فان الانسان انما يتكلف النظر والتدبر اذا كان راجيا ثواب الآخرة خائفا
عقابها او لا يخافون على اللغة التهامية واذا راوك ان يتخذونك
الا هزوا اي لم يرضوا بترك الايمان حتى جعلوك مكان هزو وهزوا به اهذا الذي
بعث الله رسولا اسم الاشارة للتحقير كما في حديث عائشة يا عجبا لابن عمرو هذا حين
افتى بنقض الظفاير انما اخرجوا بعثه في معرض التسليم لجعله صلة وهم على غاية الانكار
تهكما به ان كاد ليضلنا عن آلهتنا لكثرة الدعاء الى التوحيد وهذا يدل على انه
صلى الله عليه وسلم قد بلغ الغاية القصوى في الدعوة الى الله حتى شارف زعمهم ان يتركوا
دين آبائهم مع فرط عنادهم وشدة لجاجهم ان المخففة من المثقلة وضمير الشان محذوف و
واللام هي الفارقة لولا ان صبرنا عليها وتثبتنا لولا هذه للدلالة على انتفاء الشيء لوجود
غيره كما في لولا علي لهلك عمر وسوف يعلمون حين يرون العذاب من اضل سبيلا
انت او هم جواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لان من يضل غيره لا بد وان يكون ضالا
في نفسه ارايت من اتخذ الهه هواه تعجيب ممن هذا شانه في الجهل قدم المفعول الثاني
للعناية به والقرينة معنوية كما في قوله بنونا بنو ابنائنا افانت تكون عليه وكيلا مسلطا
تجبره على الاسلام انكار اي لست كذلك بل انت مبلغ ولا اكراه في الدين ام
تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون حتى يسمعوا كلامك او يفهموا خطابك وهذا
اشد مذمة ولذلك اضرب عن الاول قيد بالاكثر لان منهم من كان يأتي عنادا
واستكبارا ان هم الا كالانعام في عدم الادراك وفهم الآيات بل هم اضل سبيلا
من الانعام لانها تفرق بين المحسن اليها والمسيء وتتعلم بالتعلم لا يرى اجهل من الحمار
وقد رايناه قد تعلم انواعا من الحيل وهولاء قد اتبعوا الشيطان وهو عدوهم وهم الذي
تجلب لهم شقاء الابد الم تر الى ربك كيف مد الظل اشارة الى صنعه البديع الدال على
كمال العلم والقدرة بل على الكمال المطلق من كل وجه على احكم وجه بالمحسوسات لان الخصم
بعيد عن ادراك المعقولات والتدبر في عالم الملكوت ولم يخاطبهم بل وجه الكلام اليه
توكيدا لما قدمه من انهم اضل من الانعام فليس من شانهم الخطاب والاستفهام
للانكار دخل النفي فافاد التقرير اي قد رايت صنع ربك كيف بسط الظل لمنافع العباد
ولو شاء لجعله ساكنا لاحقا باصل ذي الظل كالشجر والبناء والجبال وقيل الظل الذي مده
ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فانه اطيب الاوقات اذ الظلمة الخالصة ينفر الطبع
وتسد النظر وشعاع الشمس يسخن الجو ويبهر البصر اصل الكلام الم تر الى الظل كيف
مده ربك وانما عدل الى المنزل اشارة الى ان المعقول من هذا الكلام كالمرئي لوضوح
برهانه ثم جعلنا الشمس عليه دليلا متبوعا يتبعه الظل يزيد به وينقص بنقصه ويتقلص
ثم قبضناه الينا رفعناه بايقاع شعاع الشمس موقعه قبضا يسيرا على التدريج لما في ذلك
للعباد من المصالح وثم في الموضعين للترقي من الادنى الى الاعلى او على اصله وذلك

ان الله خلق السماء كالقبة المضروبة ثم خلق بعد ذلك الشمس وسلطها على ذلك الظل وجعل
تابعا اياها ويجوز ان يراد قبضه يوم القيمة يوم نطوي السماء ولفظ النشار جائية وكذلك يسيرا
كما في قوله حشر علينا يسير وهو الذي جعل لكم الليل لباسا ساترا كاللباس والنوم سباتا
راحة من السبت وهو القطع واستعماله للنوم المريض عند العرب والشيخ المسن قال عمرو
بن مسعود رضي الله عنه لمعاوية لا تسأل عن شيخ نومه سبات وليله هباب او موتا
لقوله وجعل النهار نشورا اي بعثا شبه بعثهم من النوم بالبعث بعد الموت قال
لقمان لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وعلى الاول النشور بمعنى الانتشار
لاسباب المعاش وهو الذي ارسل الرياح بشرا بسكون الشين في قراءة الكوفيين وابن عامر
جمع ناشر وجمع نشور كصبور خفف باسكان العين وابن كثير ونافع وابو عمرو بضمتين على
الاصل وحمزة والكسائي بفتح النون على المصدر لما في الارسال من معنى النشر او على الحال وقرأ
عاصم بالباء جمع بشور بمعنى مبشر كصبر وصبورا وبشير كقلب وقلب وقرا ابن كثير الريح
بالافراد وعلى ارادة الجنس الجمع هو المختار لكون المبشرات ثلثا صبا وشمالا وجنوبا وعليه حمل
قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وهي الدبور قال نصرت بالصبا و
اهلكت عاد بالدبور بين يدي رحمته امامه جعل الريح مبشر القدومه تعظيما له فانه سبب بقاء
العالم وانزلنا من السماء ماء طهورا مطهرا للاحداث والاخباث فعول من طهر اسم لما
كالوقود والسحور لان المأخوذ من اللازم لا يكون متعديا وقول الفقهاء بمعنى المطهر تسامح
وسالب الطهورية عند ابي حنيفة ان كان الماء راكدا وقوع النجاسة قليلا كان او كثيرا وعند
مالك اذا غير طعمه وريحه او لونه وعند الشافعي كابي حنيفة فيما دون القلتين وكمالك اذا بلغ
قلتين والجاري عنده كالراكد وعند ابي حنيفة الجاري لا ينجس اذا لم ير للنجاسة فيه اثر وفي
الاية اشارة الى ان الله تعالى لما اكرمهم بانزال الماء الطهور المزيل للخبث والحدث عن ظواهرهم
فعليهم ان يطهروا بواطنهم التي هي محل الاسرار عن قاذورات الخلق وساير الرذائل لنحيي به
بلدة ميتا بالنبات وتذكير ميتا لكون البلدة في معنى البلد لقوله فسقناه الى بلد ميت او لانه غير
جار على الفعل فالحق بالجامد ونسقيه مما خلقنا انعاما واناسي كثيرا وصف الانعام والاناسي
بالكثرة لان اكثر الناس يسكنون بقرب الانهار والاودية فهم في اكثر الاوقات في غنية
من المطر وكثير منهم سكان البوادي لا يعيشهم وانعامهم الا المطر وماء الغدران وقدم الاهم
فالاهم ووصف الماء اولا بالطهور لان المقصود الاصل من انزاله تطهيرهم ليكونوا في حال المناجاة
مع ربهم على اكمل الاحوال ثم احياء الارض بالنبات لانه ابدع ولانه سبب معاشهم ومعاش
انعامهم ثم قدم الانعام على الاناسي لذلك ولان الماء اذا وجد للارضي والانعام فلهم من
باب الاولى فذكر الاناسي للاستيعاب والاناسي جمع انسي او جمع انسان اصله اناسين قلبت
النون ياء ولقد صرفناه بينهم اي هذا القول بين الناس في القران وساير الكتب والصحف المنزلة
اشارة الى انه من الادلة القاطعة على وحدة الصانع ومن الظهور بحيث لا يختص بهذه الامة التي

فاقت

فاقت ساير الامم في الفهم والذكاء او النظير للمطر والمعنى قسمنا بينهم على ما روي عن ابن عباس
رضي الله عنه ان المطر لا يختلف كل عام قلة وكثرة ولكن يقع تارة هنا وتارة هناك على وفق
ما اقتضته الحكمة ومنه نشا جواب اخر عن تنكير البلدة والانعام والاناسي اي لنحيي به بعض
البلاد وبعض الانعام وبعض الاناسي ليذكروا ليعرفوا لطف الله بهم وعنهم ليعلموا كمال
القدرة وغاية الرافة بهم ليصبروا اذا فقدوا ويشكروا اذا وجدوا او كان من المحسوس الذي
لا يحتاج الى تامل جعل الفاصلة التذكر الذي هو ملاحظة الحاصل المغفول عنه وقرا حمزة والكسائي
ليذكروا بالتخفيف من الذكر فابى اكثر الناس الا كفورا بتلك النعم الجسيمة يراها من الغير
والارضي رأسا بان قالوا مطرنا بنوء كذا واما من يرى الكل منه تعالى ويجعل النوء من
جملة الاسباب والعلامات فذلك لا يقدح في الايمان ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا
ليخف عنك بعض اعباء التبليغ سلاه تعالى غاية التسلية بان جعلهم اضل من الانعام
وانه ليس عليهم بوكيل وعجبه من حال من اتخذ الهه هواه فاشار الى ان عموم رسالته وتكليفه
التبليغ الى كافة الناس اجلال له ليلا يشاركه في منصبه احد فامره بالمصابرة على المجاهدة وجعل
تهالكه على ايمانهم كالطاعة لهم فقال فلا تطع الكافرين وجاهدهم به بالقران جهادا كبيرا فان
الجهاد بالحجة اعظم من الجهاد بالسيف لاستماع السفهاء الذين شانهم المراء والمكابرة قيل رأى
الشافعي يوما مسرورا فساله بعض اصحابه فقال الزمت عاميا قيل له انت اجل من ذلك فقال
لا شيء اشد واشكل من افحام الجاهل وقيل كبيرا موقعه عند الله وهو الذي مرج البحرين نوع
اخر من دلايل التوحيد والمرج الارسال اي ارسلهما وخلاهما متجاورين متلاقيين هذا عذب
فرات قامع للعطش لكاسره وهذا ملح اجاج شديد الملوحة وجعل بينهما برزخا حاجزا من قدرته
غير محسوس وحجرا محجورا احدهما محدودا وهي الكلمة التي يقولها المتعوذ كان كلا من البحرين يتعوذ
من الاخر بهذه الكلمة كقوله بينهما برزخ لا يبغيان لا يظلم احدهما الاخر بالممازجة قيل ان دجلة
تصب في بحر فارس وتذهب فراسخ لا تتغير طعمه وهو الذي خلق من الماء بشرا شرع ايات
الانفس بعد ايات الافاق والبشر ادم خلقه من تراب خلق من الماء فهو اصله ومادته الاولى
او من طين خمر بالماء او اولاده والماء النطفة فجعله نسبا وصهرا اي ذا نسب ينسب اليه فلان بن
فلان اي ذكرا وكانت صهرا ذات صهر اي انثى قال قطرب ما كان من قبل الزوج النسب
واصهار وما كان من قبل المراة احماء وكان ربك قديرا كامل القدرة يخلق من ماء تارة ذكرا
وتارة انثى وتارة يجمع بين النوعين بان يخلق من نطفة واحدة توامين ويعبدون من
دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم بعد ظهور الدلايل وحدة الصانع وكان الكافر على ربه ظهيرا
معاونا للشيطان فعيل بمعنى الفاعل كالكليم بمعنى المكالم وهو ابو جهل فانها نزلت فيه
او جنس الكافر لان الظهير كالصديق يطلق وعلى الجمع كقوله والملائكة بعد ذلك ظهيرا
وهينا لا عبرة به كانه ملقى وراء الظهر قال الاخطل وجدنا بني البرصاء من ولد الظهر وما ارسلناك
الا مبشرا ونذيرا قدم المبشر رعاية للفاصلة قل ما اسالكم عليه على التبليغ من اجر الا من شاء

ان يتخذ الى ربه سبيلا الا فعل من اراد ان يتقرب اليه ويطلب الزلفى لديه جعل الايمان
النجى للمؤمن اجرا له على اداء الرسالة قلعا لشبهة الطمع واظهارا لغاية الشفقة حيث جعل
تعرضهم للثواب وتخلصهم عن العقاب نفعا عائدا اليه وفيه اشعار بان له في ايمانهم
ثوابا جزيلا لانه الدال المرشد قال لعلي بن ابي طالب يوم خيبر حين اعطاه الراية ادعهم
الى الايمان فوالله لان يهدي الله رجلا على يديك خير لك من الدنيا وما فيها وقيل الاستثناء
منقطع اي لكن من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا فليفعل وتوكل على الحي الذي لا يموت فهو
كافيك عن اجورهم اتصل بقوله وجاهدهم به جهادا كبيرا اي فهو ناصرك وحافظك من
شرورهم وسبح بحمده ونزهه عما لا يليق بحضرة قدسه مما يصفه به مولاء الجهلة من الشريك
والولد مثنيا عليه باوصاف الكمال شكرا لسوابق نعمه وطلبا للمزيد وكفى به بذنوب عباده خبيرا
بواطنها وظواهرها فلا عليك بعد التبليغ امنوا ام كفروا الذي خلق السموات والارض وما بينهما
في ستة ايام ثم استوى على العرش نصب على الاختصاص او خبر مبتدا محذوف اي هو الذي
او مبتدا خبره الرحمن ذكر هذه الاوصاف بعد الامر بالتوكل دلالة على ان من هذا شانه
حقيق بالتوكل عليه والمراد بالايام مقدارها لعدم الليل والنهار حينئذ او ايام الاخرة والتقدير
بالستة دون غيرها مما استاثر تعالى بعلمه كعدد الركعات ونصب الزكوات وعن سعيد بن
جبير انما خلقها في ستة ايام وكان قادرا على خلقها في لمحة طرف تعليما للعباد ان يرفقوا في
امورهم ويتحققوا باخلاقه فاسال به خبيرا الباء صلة السوال والمعنى سل عنه رجلا عارفا به
يخبرك عن سعة رحمته قال الاخفش يقال خرجنا نسال عن فلان وبفلان او صلة خبيرا اي
اسال خبيرا به يخبرك او تجريدا اي اسال بسواله خبيرا على معنى انك ان سالته وجدته خبيرا
اي خبيرا او الضمير لما تقدم من خلق السموات والارض وما بينهما امر بالسوال عنها خبيرا كاملا عالما
بما فيها من الاجزاء والصفات والاسرار المودعة فيها حتى يظهر له كمال قدرته ووفور حكمته ونهاية
رافته بعباده حيث خلق لهم الكائنات باسرها مشتملة على حكم لا تحصى ونعم لا تستقصى واذا
قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن سوال عن مسماه فانهم ما كانوا يطلقونه عليه او عن
معناه لانه كان مذكورا في الكتب السالفة وعلى هذا معنى فسال به خبيرا اسال بهذا الاسم
من اهل الكتاب فانهم عارفون به وفي الاية اشارة الى ان الرحمن الذي شملتهم رحمته
اذا ذكر لا يعرفونه انسجد لما تامرنا من غير ان نعلم ما هو وكيف شانه وقرا حمزة والكسائي
يامرنا بالياء للغيبة كانه لما قال لهم اسجدوا للرحمن قال بعضهم لبعض تهكما واستهزاء انسجد
لما يامرنا محمد اي لا يكون ذلك والخطاب احسن حجاجا والغيبة اقعد لما هم بصدده من
الانكار وزادهم نفورا فرارا فاعل زاد ضمير اسجدوا تبارك الذي جعل في السماء بروجا
استئناف لاثبات رحمانيته جهة بدل صدورها على كثرة نعمائه ووفور آلائه ودوامها وعلو
شانه لما تقدم من اشتقاقه والبروج منازل الكواكب السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بروجا لظهورها

واشتهارها

واشتهارها لكونها منازل الكواكب من برج اذا ظهر فان قلت اي فائدة للناس في البروج
حتى ذكرها في مقام الامتنان وتقرير صفة الرحمانية قلت كل الفوائد عليها مدار الفصول التي نيط
بها اسباب المعاش وجعل فيها سراجا الشمس لكمال ضوئها استعار لها اسم السراج وقرا
حمزة والكسائي سرجا على ارادة السيارة والافراد وفق بقوله وقمرا منيرا اذا نور وهو الذي
جعل الليل والنهار خلفة لم يعطف جعل على الصلة بل استانف دلالة على عظم صنعه في اردف
كل من الليل والنهار بالاخر كانه قال وهو المنفرد بهذا الصنع البديع والخلفة اسم بمعنى الاختلاف
اي ذوي اختلاف يخلف احدهما الاخر لمن اراد ان يذكر يتذكر قدرة الصانع الحكيم او اراد
شكورا لبعض آلائه فان مدار امر الدين على اختلافهما فلا نعمة اشمل واكمل منه وقرا حمزة يذكر مضارع
ذكر ثلاثيا والباقون بادغام التاء في الذال مضارع تذكر وهو ابلغ واظهر وعباد الرحمن الذين
يمشون على الارض هونا ذكرهم في مقابلة الذين اذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
والمعنى عباده المختصون به الذين عرفوه بصفة الرحمانية وتخلقوا بها فاورثت لهم هذه الصفات
المتعاقبة والهون الرفق والتؤدة وفي صفته صلى الله عليه وسلم انه يمشي هونا وفي كلام علي بن
ابي طالب كرم الله وجهه احبب حبيبك هونا ما واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما اي
قولا سديدا يدل على المتاركة من غير اثم ولا لغو سواء كان لفظ السلام او غيره لا يخالفه قوله
سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين لانه من القول السديد ولا نسخ باية القتال لان متاركة السفهاء
والاغضاء عنهم من الاداب المستحسنة والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما يقضون ليلهم في
عبادته ساجدين قائمين يقال بات يفعل كذا اذا فعله ليلا وتاخير القيام للفاصلة جمع
قائم او مصدر وصف به والتقييد بالليل لانه اخلى عن شوب الرياء واجلى للقلب واشق
للنفس والمراد اكثر الليل لقوله قليلا ما يهجعون والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب
جهنم ان عذابها كان غراما شرا لازما ومنه الغريم لملازمته الانسان وصفهم بالجد البالغ
في العبادة ثم وصفهم بالوجل والابتهال اليه مع تلك العبادة اشارة الى انهم غير متكلين عليها
بل لا يرون نجاتهم الا نظرا الى كبريائه تعالى انها ساءت مستقرا ومقاما اي بئست وفاعله ضمير مبهم
يفسره مستقرا وانما ذكر مع ان المفسر مؤنث لانه في معنى الدار والمنزل والمخصوص محذوف
اي هي وهذا الضمير هو الذي ربط خبر ان باسمها ويجوز ان يكون ساءت بمعنى احزنت
ومستقرا ومقاما منصوبان على الحال او التمييز ثم هذا وقوله ان عذابها كان غراما تعليلان
يصح ان يكونا متداخلين ومترادفين وان يكونا ابتداء كلام منه تعالى وحكاية لقولهم و
والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا القتر والاقتار والتقتير التضييق والتقليل في الرزق
والانفاق والاسراف الانفاق في المعصية وان قل وقيل التجاوز عن الاعتدال وان جل
اذا لم يكن في القربات وابواب البر يدل عليه قصة الصديق وعثمان رضي الله عنهما ولذلك
قيل لا اسراف في الخير كما لا خير في الاسراف قرا نافع وابن عامر يقتروا بضم الياء وكسر التاء
من الاقتار والكوفيون بفتح الاول وضم التاء وابن كثير وابو عمرو بكسرها وهما لغتان كما في يعكف

وكان بين ذلك قواما بين الاسراف والاقتار والقوام الاعتدال كالسواء لفظا ومعنى
وذلك الذي امر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وهكذا كان حال الصحابة لا ياكلون الا لسد جوعتهم ولا يلبسون الا لستر العورة
وقيل علي بن ابي طالب دخل السوق واشترى قميصا بخمسة دراهم فرأى في كمه طولا فقال
للبايع اقطع من كمه فقال اشتريت قميصا بخمسة دراهم ثم تقطع كمه ايضا انك لمجنون
فقال علي بارك الله فيك سمعت رسول الله يقول لا يكمل ايمان المرء حتى يقال فيه انه مجنون
والمنصوبان اعني بين ذلك وقواما خبران معا ويجوز ان يكون بين لغوا وقواما هو الخبر
وان يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة وما اجازه الفراء من ان يكون بين اسم كان
وانما بني لاضافته الى غير المتمكن مع عدم اطراده ففيه انه من قبيل كان الواهب جارية
صاحبها فليس في الخبر الذي هو محط الفايدة فايدة والذين لا يدعون مع الله الها آخر
ولا يقتلون النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق صفة المصدر المحذوف ومتعلق بيقتلون
ولا يزنون نفي عن الموصوفين بتلك الخلال العظام عظايم الذنوب الموبقات تعريضا
باعداءهم المشركين روى البخاري عن ابن مسعود انه قال سألت او سأل رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي الذنب عند الله اكبر قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان
تقتل ولدك خشية ان يطعم معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزلت هذه
الاية تصديقا له ومن يفعل ذلك يلق اثاما الاثام بالفتح جزاء الاثم وقيل بمعنى الاثم
فالمضاف محذوف يضاعف له العذاب يوم القيمة للمشرك والذنوب التي ارتكبها معه
لان الكفار متفاوتون في الدركات كما ان المؤمنين متفاضلون في الدرجات قرا نافع
وابو عمرو وحفص وحمزة والكسائي بجزم الفعلين مع تخفيف يضاعف وابن كثير بتشديده وجزمهما
وابن عامر وابو بكر برفع الفعلين الا ان ابن عامر يشدد الاول دون ابي بكر ووجه الرفع
الحال والاستيناف والجزم الابدال من يلق كقول ابن الحر متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا
تجد حطبا جزلا ونارا تاججا ويخلد فيه مهانا للاستكبار وعن اتباع الحق الا من تاب وآمن
وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات يمحو الله معاصيهم ويثبت مكانها لواحق
الطاعات ويجعل اعدادها في صحيفة الحسنات بعد محوها من ديوان السيئات وهذا صحيح
روي مرفوعا عن ابي هريرة وسلف فان قلت لم يؤكد الفعل بالمصدر اعني من عمل صالحا الا في
هذه الاية مع كثرة وقوعه قلت لم تقع في القرآن ارجى من هذه الاية فكما بالغ في رافته اشار
الى ان العمل الذي يترتب عليه هذا الجزاء ينبغي ان يكون عملا معتدا به في باب الفلاح على ما
قيل كما تدين تدان وكان الله غفورا رحيما ولذلك يبدل السيئات بالحسنات ومن تاب
عن المعاصي وعمل صالحا واتى بالطاعات فانه يتوب الى الله متابا مرجعا اليه واي توبة اما
على تقدير المضاف او على جعل الرجوع اليه كناية عن نيل ثوابه او فانه يرجع الى الله المتصف
بالاسماء الحسنى وصدق الوعدان الذي يحب التوابين وهو الذي يقبل التوبة عن عباده او متابا

مرضيا على ان التنكير للتعظيم فان قلت ما فايدة هذا التكرير وهل يكون الترغيب باكثر من
جعل السيئات حسنات قلت لا تكرير فان المراد من الاولى جعل اعمال التايب حسنات ومن
الثانية بيان جزاء تلك الاعمال والثواب عليها وقيل الاولى في حق المشرك التايب وهذه
في المؤمن العاصي اذا تاب والذين لا يشهدون الزور اي لا يحضرون مجالس الكذب
تنزها عن مخالطة اهل الاثم وصيانة عن الانسلاك في سلكهم ولان في ذلك تكثير سوادهم
وفيه اغراؤهم على ما هم فيه وقيل لا يشهدون شهادة الزور فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه واذا مروا باللغو ما يجب ان يلغى ويطرح مروا كراما جمع كريم وهو الجامع لانواع
الفضائل وشتات المحاسن واسباب الشرف اي معرضين عنه غير ملتفتين اليه كقوله
واذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقيل اذا سمعوا الشتم من السفهاء صفحوا وتجاوزوا كقوله ولقد امر
على اللئيم يسبني والذين اذا ذكروا بايات ربهم بمواعظه وحكمه لم يخروا عليها صما وعميانا بل
اكبوا عليها والغواشر اسرهم على حفظها والاتعاظ بها باذان واعية وابصار راعية وقلوب خايفة
لا كالذين لهم آذان لا يسمعون بها واعين لا يبصرون بها والذين يقولون ربنا هب لنا من
ازواجنا وذرياتنا قرة اعين سرورا بان نريهم مقبلين على طاعتك مسارعين في اسباب
مرضاتك اصل القرة البرد وقد اريد بها نهاية السرور والفرح وذلك ان العين تدمع من غاية
السرور وهي باردة وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى اهله واولاده
مطيعين لله لان الله سايله عنهم كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته قرا ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر
وذريتنا على التوحيد وهو المختار لدلالته على الكثرة بمادته مع خفته ومن اما بيانية او ابتدائية اي اجعل لنا
قرة اعين من جهتهم وانما نكر قرة مبالغة كانه قيل هب لنا منهم سرورا وفرحا تاما واثر جمع القلة
لقلة المؤمنين الموصوفين بتلك الصفات واجعلنا للمتقين اماما يقتدون بنا لنيل بذلك
زيادة الاجر فان الدال على الخير له مثل اجر فاعله والافراد لعدم اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او لانه
مصدر في الاصل او التقدير كل واحد منا او لان المؤمنين كنفس واحدة كما نطق به من لا ينطق
عن الهوى اولئك يجزون الغرفة العلية جمعها غرفات وغرف ووحدها لارادة الجنس وعدم
اللبس لقوله وهم في الغرفات آمنون وهي على قدر الاعمال والتوحيد انما رتب على هذه الاوصاف
الكاملة وهي منضبطة فالمتصفون بها متحدون في الجزاء اتحادا ما بما صبروا بصبرهم
ويلقون فيها تحية وسلاما تحييهم الملائكة ويسلمون عليهم او بعضهم بعضا وقرا حمزة والكسائي وابو بكر
يلقون من اللقاء اي يصادفون والتشديد ابلغ في الاكرام خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما
في مقابلة ساءت مستقرا ومقاما ومثله اعرابا قل ما يعبؤ بكم ربي عبات بالشيء باليت واعتددت
ما استفهامية في موضع المصدر والمعنى اي اعتداد يعتد بكم واي وزن مقداركم عنده ولولا
دعاؤكم ايمانكم او عبادتكم اي الكمال في التحلي بالملكات النظرية والتخلي عن الشواغل وقطع
العلايق بالتوجه الى جناب قدسه فقد كذبتم خطاب لمشركي قريش خاصة بعد ان خاطب
الجنس المتناول لهم ولغيرهم فانتظم الخاتمة مع الفاتحة لان السورة كانت منعقدة بتكذيبهم

فسوف يكون لزاما عذابا ملازما يوم القيمة وعن مجاهد هو القتل يوم بدر لوزم من القتل لزاما
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خمس قد مضين الدخان والقمر واللزام والبطشة والروم تمت السورة

سورة الشعراء والحمد لله حق حمده والصلوة على نبيه وعبده مكية الا قوله والشعراء
يتبعهم الغاوون الى اخرها وهي مائتان وست او سبع وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم طسم
حروف مبسوطة للايقاظ او اسم للسورة فراحمزة والكسائي وابو بكر بامالة الطا ونافع بين بين
واظهر السين حمزة اشارة الى ان اصل حروف التهجي عدم التركيب والوقوف عليها تلك آيات
الكتاب المبين الواضح اعجازه والمراد السورة او القران باسره والمشار اليه ما دل عليه الحروف
لعلك باخع نفسك قاتل نفسك البخاع بالتاء عرق في القلب متصل بالعنق وهو نهاية الذبح
وبالنون دونه وهو الخيط الابيض ومعنى لعل الاشفاق اي اشفق على نفسك ان تقتلها اسفا على
ما فاتك من ايمان قومك وفيه نهاية مدح له لما قام به من الاجتهاد في التبليغ الا يكونوا مؤمنين
خيفة الا يؤمنون ان نشا ننزل عليهم من السماء آية ملجئة لهم على الايمان فظلت اعناقهم لها خاضعين
منقادين اقحم الاعناق لبيان موضع الخضوع ولما وصفت باوصاف العقلا اجريت مجراهم
في الجمع بالواو والنون والاعناق جمع عنق بمعنى جماعة اي جماعاتهم وفي الحديث لا تزال الناس
مختلفة اعناقهم في طلب الدنيا وفيه ايضا يخرج من النار عنق اي طايفة او رؤساؤهم والعرب
يسمي سادات الناس اعناقا وما ياتيهم من ذكر وحي يذكرهم من الرحمن محدث انزاله التجدد
التذكير الا كانوا عنه معرضين الا استمروا على الاعراض فقد كذبوا حين اعرضوا فسياتيهم انباء
ما كانوا به يستهزؤن ما اصابهم يوم بدر او يصيبهم يوم القيمة وانجاح الانبا لدلالة على عظم ما نزل
بهم فان الواقعة اذا عظمت شاعت في الاقطار والبلدان وسارت باخبارها الركبان فان قلت
ذكر مثله في الانعام مصدرا بسوف وهنا بالسين فما وجه ذلك قلت الوجه والله اعلم ان كلتا
السورتين مكيتان فالظاهر ان اية الانعام سابقة نزولا الاصح لان التراخي في سوف اكثر من السين
او لم يروا الى الارض اولم ينظروا الى عجايبها كم انبتنا فيها من كل زوج من كل صنف
والجمع بين كم وكل لان فائدة الكثرة اجمالا والاستيعاب تفصيلا فكانه قيل انبتنا فيها افرادا كثيرة
من كل صنف كريم شريف مرضي الصفات اما بسيطا او مركبا ان في ذلك لاية افراد
الاية مع كثرة الازواج لدال عليها كم وكل لانه اريد الانبات المتعلق بها او باعتبار واحد
وما كان اكثرهم مؤمنين مع وضوح الاية لكونهم مخلوقين للنار وان ربك لهو العزيز الغالب
على كل شي فينتقم منهم الرحيم حيث ارسل اليهم رسولا بالايات ولم يعاجلهم بالانتقام بعد التكذيب
والانكار واذ نادى ربك موسى بعد ما بين اعراض قومه وتكذيبهم واستهزائهم به وما جاء به اتبعه
بقصص الانبيا مع اقوامهم وما جرى لهم معهم من التكذيب والاستهزا وكيف صبروا على اذاهم ثم
كان لهم العاقبة وشفاء الصدور وقدم قصة موسى لانه اقرب احوالا من رسول الله وامته او هو
الامم بعد هذه الامة ان ائت القوم الظالمين فرعون وقومه كانوا مع شركهم قد استعبدوا
بني اسرائيل يقتلون ابناءهم قوم فرعون بدل من القوم او عطف بيان وفيه دلالة على كون فرعون

علما

علما في الظلم والطغيان لان البدل مقصود بالنسبة ودلالته على المعنى المراد من الكلام او في
الا يتقون استيناف تعجب به من تمادي القوم في الظلم غير ناظرين في عواقب الامور
وجعله حالا من ضمير الظالمين ليكون انكار عدم عدم التقوى توبيخا لهم فيفيد انكار الظلم
من باب الاولى وان عدم التقوى هو الذي حرضهم على الظلم حسن الان دخول الهمزة على
المحال لا يجوز الا توسعا قال رب اني اخاف ان يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني
فارسل الى هرون يكذبون بعد اداء الرسالة ويضيق صدري لما يعتريني من همهم عدم الغضب
ولا ينطلق بعد ذلك لساني على المحاجة والمناظرة معهم مع انهما من ضرورات مدعي الرسالة
وكان هذا من كمال عقله اظهر عجزه واحتياجه الى الموازر والمعين ليكون ذابا الى الخصم على
تغيظه وتوفر عدده واسبابه فاني تتصور منه التعلل بل كان هذا منه عين الطاعة ولهم علي ذنب
فاخاف ان يقتلون به قصاصا وليس لي على دفعه قدرة وانما اخر خوف القتل ووسطه بينه
ثالث العلل فارسل الى هرون لئلا يتوهم من ظاهر كلامه التعلل فان موسى لم يكن في بسطة
المقال وسلاطة اللسان مثل هرون فاستعان به مع انه اخوه الشقيق الشفيق عسى ان يحصل له
شرف النبوة والمعنى فارسل اليه اي بالنبوة والرسالة قال كلا فاذهبا باياتنا اجابة الى ما
سال من ضم اخيه وازال خوفه بقوله كلا اي ارتدع عن ذلك الوهم وعليه عطف فاذهبا بعد
تغليب المخاطب على الغايب انا معكم مستمعون مقاولة الطرفين والمعية معية الحفظ والكلاءة
والنصر وعبر عن السماع بالاستماع الذي هو الاصغاء والاعتنا بشان المسموع اشارة الى كمال
العناية بهم وهو خبر ثان او هو الخبر ومعكم غير مستقر فاتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين
خصه بالذكر بعد قوله ائت القوم القوم الظالمين دلالة على انه قد وتهم والقوم تبع وافراد
الرسول مع كون المخبر عنه اثنين لاتحاد المرسل به او لكونهما اخوين متحدين في الاخوة او على تقدير
كل منا او لانه مصدر وصف به كقوله شعر الا ابلغ ابا عمرو رسولا باني عن فتاحتكم غني ان ارسل
معنا بني اسرائيل الى بلاد الشام ان مفسرة لتضمن الارسال معنى القول فان قلت كان
مرسلا الى القوم الظالمين ليدعوهم الى الله وهذا ظاهر في انه انما ارسل لطلب بني اسرائيل
قلت الغرض الاصل هو دعوتهم وانما بدا بالاسهل والقول اللين لئلا يشمئز ويطغى ولذلك ذكر
رب العالمين ليدخل فيهم فرعون فتحمله الاستكبار عن السوال عنه تجاهلا فيقع المناظرة على
وجه الرفق كما سياتي قال الم نربك فينا وليدا طفلا سمي به لقرب ولادته ولبثت فينا
في منزلنا من عمرك سنين قيل لبث فيهم ثلثين سنة ثم خرج بعد قتل القبطي ولبث في مدين
عند شعيب عشر سنين ثم عاد اليهم يدعوهم الى الله ثلثين سنة ثم لبث رسولا بعد غرق فرعون
خمسين سنة وفعلت فعلتك التي فعلت يريد قتل القبطي عظم قتله لانه كان من خواصه
قيل كان خبازا فرعون واسمه فاتون وانت من الكافرين بنعمتي لان من كان في نعمة
شخص يجب عليه توقيره ورعاية حقوقه او من الكافرين الذين تدعوهم الى الايمان الان او من
الكافرين برب العالمين وذلك افتراء منه لان الانبياء قبل البعثة معصومون من الكباير

كان غرضه من هذه المقدمات تبعيده عما هو بصدده وبان من يكون متلبسا بهذه الرذائل
كيف يترشح للمراتب العلية فضلا عن منصب الرسالة قال فعلتها اذا وانا من الضالين عن
طريق الصواب لا لكونه من خواصك بل لا قدام قبل ان اوان او المخطئين فانه لم يتعمد قتله بل
تأديبه قالت الوكزة الى القتل او فاعلين فعل اولى الجهل اعتراف منه ففررت منكم لما خفتكم
فوهب لي ربي حكما فان الانبياء حكام على الناس او حكمة وهي علم الشريعة وجعلني من المرسلين
فبطل ما تشبثت به وتلك نعمة تمنها علي ان عبدت بني اسرائيل تلك مبتدأ ونعمة خبر
وتمنها وصف وان عبدت عطف بيان والمعنى تلك الخصلة القبيحة وهي تعبيد بني اسرائيل
نعمة تعتدها علي باني قد ربيتك وتجعلني سببا في مقابلة احسانك واعرج الاحسان بل انت
المسيء اذ لو لم تفعل ما تفعل من قتل الابناء اكنت مربى في اهلي وانما افرد الخطاب في تمنها
وجمع في الاولين لان المنة كانت منه وحده والفرار والخوف منه ومن قومه وعن الفرا
ان هذا الكلام اقرار واعتراف من موسى حيث عبد بني اسرائيل ولم يعبده واراد مكافاة
احسانه بارشاده الى طريق الصواب يقال عبده وتعبده اي اتخذه الناس عبيدا قال فرعون
وما رب العالمين لما لم يجد تلك المقدمات اخذ في السوال عن حقيقة من ارسله تعنتا
لا استرشادا قال رب السموات والارض وما بينهما اشارة انه مباين للممكنات لان
موجدها يجب ان يكون واجبا خارجا عنها فلا يمكن تعريفه الا بلوازمه الخارجية لامتناع تعريفه
بنفسه واستحالة الاجزاء لاستلزام التركيب الامكان ان كنتم موقنين ذوي ايقان
محققين الاشياء مطلعين على احوالها بالادلة قال لمن حوله الا تستمعون عجبا لملا حوله
من قوله لانه ساله عما عن حقيقته واجاب باللوازم قال ربكم ورب آبائكم الاولين
ازر بايهم قدم السموات والارضين كما هو مذهب الدهرية وكان فرعون دهريا او لاله
تعالى وظنوا انهم اليه لا يرجعون وانما خلقهم وخلق آبائهم فلا مجال للوهم فيه قال ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون اضافه اليهم لان تسميته رسولا على وجه التهكم قال رب المشرق والمغرب
وما بينهما من الكائنات موجدها وحافظها ان كنتم تعقلون ان كان لكم عقل فقد اجبتكم جوابا
شافيا لقد اسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي قال لئن اتخذت الها غيري
لاجعلنك من المسجونين الداخلين في زمرتهم وقد عرفت حالهم قيل كان اذا سجن انسانا
القاه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق لا يرى شيئا ولا يسمع صوتا وهذا دليل على انه
علم انه محق وخاف ان لو امر بسجنه آفة والا فما وجه التوقف اذ لم يكن على فرعون هيبة اشد
من ان يدعى الى عبادة الغير وهو يقول انا ربكم الاعلى قال اولو جئتك بشيء مبين واضح
الدلالة على صدقي الواو للحال لها الهمزة بعد حذف الفعل اي تفعل ذلك ولو جئت على
هذه الحالة قال فات به ان كنت من الصادقين في دعواك فالقى عصاه فاذا هي ثعبان
مبين واضح لا يشتبه على احد انه ثعبان وهي الحية العظيمة ونزع يده اخرجها من كمه فاذا هي
بيضاء للناظرين قيل لما القى عصاه وصارت ثعبانا قد ميل فاقبلت الى فرعون فاستغاث

بموسى فاخذها فعادت عصا فقال هل من آية غيرها فاخرج له يده فاراها على هيأتها ثم ادخلها
في جيبه فاخرجها بيضاء لها شعاع يسد الافاق ويكاد يغشي الابصار وفي ذكر الناظرين دلالة
على ان بياضها كان شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه قال للملأ حوله مستقرين حوله فهو نصب على
الحال محلا ولفظا نصب بنزع الخافض ان هذا لساحر عليم فائق في سحره يريد ان يخرجكم من
ارضكم بسحره فماذا تأمرون طار عقله من الرعب فنزل عن دعوى الالوهية الى الاسترشاد
والاستقصاء بآراء ملائه ليعلمهم يرشدونه الى الخلاص عما اراد قالوا ارجه واخاه اخره ولا تعجل
وما فيه من القراءات والوجوه تقدم في الاعراف وابعث في المدائن في مدائن ملكك
حاشرين لجمع السحرة يأتوك بكل سحار عليم كامل العلم في فنه فجمع السحرة لميقات يوم معلوم
لما وقت به من ساعات يوم معين وهو وقت الضحى من يوم الزينة لقوله موعدكم يوم الزينة
وان يحشر الناس ضحى فان قلت المأمور به كل سحار عليم والسحرة جمع ساحر فقد حشروا ما لم يؤمروا
قلت الامر كذلك لئلا يقول لهم لم تأتوني بكل سحار وقيل للناس هل انتم مجتمعون القائل
فرعون او من هو من قبله وهو للاستبطاء والمراد حثهم على الاجتماع لعلنا نتبع السحرة ان كانوا
هم الغالبين كناية عن عدم اتباع موسى لان من لوازم اتباعهم لان من يقول انا ربكم
الاعلى كيف يتبع الساحر فلما جاء السحرة الموعد للمناظرة قالوا لفرعون ائن لنا لاجرا ان
كنا نحن الغالبين موسى في سحره قال نعم جزاء الشرط لان قولهم ائن لنا لاجرا دال عليه وانكم
اذا لمن المقربين عطف على جزاء الشرط فاذا جواب وجزاء على اصله زادهم على طلبتهم ترغيبا قال
لهم موسى القوا ما انتم ملقون آثر ما احتقرا لما هم ملقون وليس الغرض امرهم بالسحر بل التوسل
الى الحق فالقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون اقسموا بعزته على
انهم غالبون لفرط اعتقادهم لانهم افرغوا جهدهم في الاتيان باقصى ما يمكن من السحر
واليمين بغير الله وصفاته وافعاله ورد النهي عنه لانه من شعار الجاهلية فالقى موسى عصاه
فاذا هي تلقف تبتلع قرا حفص بالتخفيف ما يأفكون ما يزورونه ويخيلون به الناس
اصل الافك صرف الشيء عن وجهه وصفته التي هو عليها ويجوز ان يكون ما مصدرية تسمية
للمأفوك به افكا مبالغة فالقي السحرة ساجدين تيقنوا انه من عند الله لانها ابتلعت
تلك العصي والحبال ولم يزد حجمها وانما آثر القوا على خروا الذكر وبعد الالقاء مشاكلة
مع دلالة الالقاء على انهم من فرط تيقنهم لم يتمالكوا فكانهم طرحوا كرها وفاعل الالقاء هو الله
او هم اي القوا انفسهم قالوا آمنا برب العالمين حال بتقدير قد رب موسى وهرون
بدل من رب العالمين دفعا لتوهم فرعون انه المراد برب العالمين قال آمنتم له قبل
ان آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر وهذا نهاية جهله او من شدة خجله اراد التلبيس
على الحاضرين والا فالسحرة المتفرقون في النواحي متى تمكنوا من رؤية موسى والمجالسة فضلا
عن التعلم الهمزة الثالثة مقلوبة الفا لكل القراء والثانية محققة لحمزة والكسائي وابو بكر
مسهلة للباقين على اصولهم فلسوف تعلمون وخامة ذلك وعيد لهم لاقطعن ايديكم وارجلكم

من خلاف على التعاكس اليمين مع الشمال او العكس من اليد والرجل ولاصلبنكم اجمعين ليكونوا
زمانا عبرة للناظرين قالوا لا ضير لا ضرر علينا في القطع والقتل والصلب انا الى ربنا منقلبون
بالموت لا محالة فالقتل اهون اسبابه واسهلها وقد اشرف احواله فما هذا شانه مرغوب
لا مرهوب ولا مهروب فكنوا عن الموت بالانقلاب الى ربهم الكريم ولا ترى احسن منها كناية
انا نطمع ان يغفر لنا ربنا خطايانا ان كنا اول المؤمنين من رعية فرعون او من اهل المشهد
فان المسارعة الى الايمان بالرسول بعد دلالة المعجزة من اقوى وسائل العبد الى الله والتقدير
لان كنا وقرئ ان بالكسر اما هضما لانفسهم او بالنظر الى العاقبة وعدم الثقة او على طريقة المدل
بحاله والمتمكن الذي لا يظن به خلافه كقوله تعالى ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي واوحينا الى موسى
ان اسر بعبادي وذلك انه طالت مدة دعوته واراهم الايات ولم يؤثر فيهم امره الله تعالى
بالخروج ببني اسرائيل وقرا نافع وابن كثير ان اسر بهمز الوصل من السرى وهما لغتان انكم متبعون
يتبعكم فرعون وجنوده وهذا علة للامر بالاسراء فارسل فرعون في المداين حاشرين العساكر حين
اخبر بخروجهم ان هؤلاء لشرذمة قليلون قائلا هذا الكلام وانما بالغ في تقليلهم بلفظ الشرذمة
وهي الطائفة القليلة ثم وصف الشرذمة بالقلة ثم جمع القليل الدال على القلة ايضا وكان
ستمائة وسبعين الفا نظرا الى ما له من الجنود والكثرة على ما روي ابن عباس انه خرج بالف الف
حصان سوى الاناث من الخيل وانهم لنا لغائظون يفعلون افعالا توجب غيظنا من خروجهم
بغير الاذن وتركهم طاعتنا واخذهم حلي القبط فانهم استعاروها للعيد لهم ثم ذهبوا ولم يردوها وانا
لجميع حاذرون متاهبون مستعدون وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابن عامر في رواية هشام
حذرون على الصفة المشبهة اي خائفون متحذرون والمعنى بيان المقام فاخرجناهم من
جنات وعيون وكنوز ومقام كريم منازلهم العالية حتى صار مثلا ودور الفراعنة كذلك نصب
على المصدر اي اخرجناهم مثل ذلك الاخراج او جر على انه وصف مقام او رفع خبر مبتدا محذوف
واورثناها بني اسرائيل ملكناهم بلادهم واموالهم فاتبعوهم مشرقين ادركوهم داخلين في وقت
شروق الشمس يقال اتبعت فلانا اذا ادركته بعد ما سبق فلما تراءى الجمعان قال اصحاب
موسى انا لمدركون اي لما راى كل منهما الاخر قالوا هذا الكلام لموسى خوفا قال كلا اي ارتدعوا
عن هذا الكلام ان معي ربي سيهدين طريق النجاة واذا قابلت قوله هذا بقوله صلى الله عليه
وسلم لا تحزن ان الله معنا ظهر لك الفرق بين مقاميهما فان قلت قد فسرت اتبعوهم
بادركوهم فما معنى ردع موسى عن القول بالادراك بعده قلت المراد بالادراك رؤية بعضهم
بعضا وما نفاه موسى ان لحوقهم بحيث يصل شرهم اليهم قيل ان مؤمن ال فرعون كان بين
يدي موسى عليه السلام فقال له البحر امامك وقد غشيك فرعون بجنوده فبماذا امرت قال بالبحر
امرت ولعلي اومر بماذا اصنع فاوحينا الى موسى ان اضرب بعصاك البحر بحر القلزم وذلك
المكان يسمى سويسا معروف عند اهل مصر لا يختلفون فيه تفسيره بنيل مصر فاسد وكيف يتاتى
في نهر نيل ما اخبره الله تعالى عنه بقوله فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم اي الجبل العالي من طاد الشيء اذا ذهب

الى جانب

الى جانب السماء صعودا وفي حديث عائشة رضي الله عنها تصف ابا بكر وذاك طود منيف والفاء في
فانفلق فصيحة والانفلاق الانشقاق والفرق الجزء من الشيء كالفلق لفظا ومعنى وازلفنا قربنا
ثم الاخرين فرعون وجنوده حتى سلكوا مسالك بني اسرائيل في البحر او قربنا بعض ال فرعون
بعضا حتى لا ينجو منهم احد روي ان جبرائيل صلوات الله عليه كان بين بني اسرائيل وبين
ال فرعون يقول لبني اسرائيل ليلحق اخركم باولكم ويستقبل القبط يقول رويدكم حتى يلحق اخركم
[illegible] اسبابه وانجينا موسى ومن معه اجمعين لا يشذ منهم واحد ثم اغرقنا
الاخرين فرعون وجنوده ان في ذلك لاية واية اية وما كان اكثرهم مؤمنين فان القبط الذي
كانوا بمصر بعد ما سمعوا شان فرعون لم يرجعهم ذلك ولم يؤمنوا بموسى وما بنو اسرائيل فلما
اخبر الله عنهم وجاوزنا ببني اسرائيل البحر فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا
الها كما لهم الهة وقولهم ارنا الله جهرة واتخاذهم العجل الها وان ربك لهو العزيز الغالب على
كل شيء المنتقم من اعدائه الرحيم باوليائه واتل عليهم نبا ابراهيم قصته وحديثه مع قومه
اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون سالهم ليعلمهم ان ما يعبدونه لا يصلح للعبادة كما تقول للتاجر
ما مالك فيقول الرقيق جمال لامال قالوا نعبد اصناما فنظل لها عاكفين كان حق الجواب
اصناما وانما اطنبوا افتخارا وابتهاجا لم يرضوا بتعقيب الجواب بالجواب حتى افتخروا به وانما اثر نظل لانهم
كانوا يعبدونها بالنهار اشتهار العبادة ثم كما يفعله الجهال المراد ان او من اطلاق المقيد على المطلق
قال هل يسمعونكم اي دعاءكم حذف لدلالة اذ تدعون عليه او ينفعونكم جزاء العبادة لكم او يضرون
من اعرض عن عبادتها قالوا بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون اعرضوا عن ظاهر الجواب
تحاشيا عن الاعتراف بعدم شيء من صفات الالوهية فيها قال افرايتم ما كنتم تعبدون انتم
واباؤكم الاقدمون اخبروني عن شان ما استمروا على عبادته من تقدم من ابائكم فان التقادم
العهد لا يجعل الباطل حقا فانهم عدو لي اي عدو ولكم اضاف عداوتها الى نفسه تصويرا للمسالة
في نفسه مبالغة في اظهار النصح وانه لا يرضى لهم الا ما يرضى لنفسه ولانه من باب التعريض والتعريض
اكثر جدوى من التصريح وادعى الى القبول حكي ان رجلا واجه الشافعي رحمه الله بكره وقال لو كنت
بمكانك لاحتجت الى التاديب وراى علي بن مسعود وكان من المجاورين بمكة ناسا يتحدثون
في الحجر فقال هذا ليس بيتي ولا بيتكم ومعنى العداوة ما اشار اليه بقوله سيكفرون بعبادتهم
ويكونون عليهم ضدا افرد لاطلاقه على الجمع كالصديق والظهير الا رب العالمين استثناء
منقطع لانهم كانوا يشركون ويزعمون انها شفعاء اذ لا يقول احد بان الحجارة صانع العالم
الذي خلقني فهو يهدين الذي عقب خلقه هدايته للتعلقة ابتداء وهدايته اذ كان جنينا الى
امتصاص دم الحيض وانتهاؤها سلوك طريق الجنة والفوز برضوان الله ولذلك اثر الاسمية
مع كون الخبر مضارعا والذي هو يطعمني ويسقين اي يكفيني من الطعام والشراب بان خلق
في الشهوة والقوى والارادة والعقل لهاديا الى ايثار النافع واذا مرضت فهو يشفين من
مرضي وفي ايثار اذا على كلما اشارة الى ان مرض الموت محتوم لا شفاء منه وغير الاسلوب

حيث لم يقل واذا امرضني لانه بصدد تعداد النعم فلم يلائم اسناد الامراض اليه وقيل لان كثيرا
من الامراض انما تحدث من تخليط الانسان في المطاعم والمشارب قال شعر فان الداء اكثر ما تراه
يكون من الطعام او الشراب فهو من روادفهما والوجه هو الاول والذي يميتني عده في النعم لانه
وسيلة لقاء الله تعالى ثم يحيين يوم القيمة والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين قاله
تواضعا وهضما لنفسه كقوله ان لي ثلث كذبات ولم يكذب قط بل كانت معاريض وهي ترك
الاولى والافضل فان حسنات الابرار سيئات المقربين فان قلت لم اتى بضمير الفصل في الافعال
الثلثة الاول ولم يات به في الاخيرين حيث لم يقل هو يميتني ثم هو يحييني والطمع ان يغفر لي هو خطيئتي
قلت لان الاسباب الظاهرة لها دخل في تلك الافعال فدفع بضمير الفصل كون تلك الاسباب
اسبابا مؤثرة بخلاف الاحياء بعد الموت ومغفرة الخطيئة يوم الدين اذ لا يتصور هناك سوى قدرة
وارادته تعالى رب هب لي حكما علما احكم به بين الناس ومواعظ وامثالا انفع بها الناس وفي
الحديث الصمت حكم وقليل فاعله ومنه الخلافة في قريش والحكم في الانصار يريد العلم والفقه فان
اكثر فقهاء الصحابة منهم والحقني بالصالحين اي وفقني لعمل انتظم به معهم او احشرني في زمرتهم
ولقد اجابه الله تعالى فقال فانه في الاخرة لمن الصالحين واجعل لي لسان صدق في الاخرين
اي ذكرا حسنا وثناء جميلا وقد اجيب الى ذلك لا ترى احدا من اهل الملل الا وهو يحبب اليه
فان قلت ما النفع في هذا ولم طلبه وهل هذا الا طلب الشهرة والاتقياء منزهون عن ذلك فضلا
عن جلة الانبياء قلت انما سال ذلك ليقتدى بسيرته السامعون الى اخر الدهر فانه اذا اثنى عليه بمحاسن
اخلاقه وكريم صفاته كان ذلك باعثا للسامعين على طلب اكتساب امثالها وقيل اراد من يجيء على
دينه صادقا في اقواله وهو رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم واجعلني من ورثة جنة النعيم داخلا في زمرتهم
واغفر لابي انه كان من الضالين طريق الحق دعا له لانه كان وعده ان يستغفر له بقوله لاستغفرن
لك قال تعالى وما كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه والقول بان هذا الدعاء
ان كان بعد موته فلعل ابرهيم كان يظن ان اباه مؤمن وانما يخفي ايمانه تقية من نمرود بعيد
عن الصواب ودل عليه مناظرته كما تقدم في سورة مريم ولو كان كذلك لحكى كما حكى ساير احواله
ولا تخزني يوم يبعثون من الخزي وهو الهوان والذل او من الخزاية وهو الخجل والحياء وقد روى
البخاري ان ابرهيم يرى اباه في النار فيقول يا رب انك وعدتني ان لا تخزني واي خزي اعظم
من ان يكون ابي في النار فيقول الله يا ابرهيم اني حرمت الجنة على الكافرين ثم ينظر اليه فيراه
في صورة ضبع قد مسخ فيعرض عنه يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم خالص
عن الشرك وساير الرذائل والمعنى لا ينفعان الا من قلبه بهذه الصفة او لا ينفعان الا من هذا
شانه حيث انفق ماله في مرضات الله وارشد بنيه الى طريق الحق وقيل الاستثناء من الكلام الجنسي المعنى
كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من قلبه بهذه الصفة كما ورد في الحديث انما الغنى غنى القلب او
الاستثناء منقطع اي لكن من اتى الله بقلب سليم تنفعه سلامة قلبه ولا حاجة الى تقدير المضاف
قبل من لان وصف القلب بالسلامة يغني عنه وعن الجنيد شيخ الطائفة ان السليم هو اللديغ بالحب

فلا قرار له وعن القشيري هو السالم عن ذكر غير الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين في ذلك
اليوم وهم بعد في عرصة القيمة تعجيلا للسرور اليهم وبرزت الجحيم للغاوين جعلت مكشوفة
لهم يرونها والتخصيص بالغاوين لان المؤمنين لا يرونها لان نفس رؤيتها مما يكدر ويسوء
ولم يصفها بالقرب كما وصف الجنة لان قربها يؤذي اهل المحشر من المؤمنين لما في الحديث
من ان ريحها ونتنها ليسري مائة عام وقيل اشارة الى غلبة رحمته وسبقه غضبه وقيل لهم
اينما كنتم تعبدون من دون الله فان هذا وقت نفع العبادة سؤال توبيخ هل
ينصرونكم بدفع العذاب عنكم او ينتصرون بدفعه عن انفسهم استفهام انكار تقريع لهم فكبكبوا
فيها هم والغاوون اي الالهة ومن عبدها والكب القاء الشيء على وجهه معكوسا والكبكبة
تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ دليلا على تكرير المعنى وتكثيره فانه اذا القي فيها انكب مرة
بعد اخرى هكذا الى ان يصل الى قعرها فان طبقتها السفلى للمشركين وجنود ابليس اجمعون
من اتبعه من الانس والجن لقوله لاملان جهنم منك وممن تبعك منهم قالوا وهم فيها يختصمون
تالله ان كنا لفي ضلال مبين واضح بعبادة غير الله والضمير في يختصمون للعبدة اي يخاصم
الاتباع الرؤساء لقوله واذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا
او لهم ولمن عبدوه من الاصنام لقوله اذ نسويكم برب العالمين فان الخطاب لها
وما اضلنا الا المجرمون الكاملون في الاجرام وهم الرؤساء الذين دعوهم فما لنا من
شافعين كما للمؤمنين يشفع لهم الانبياء والملائكة والعلماء والاتقياء ولا صديق
حميم رؤف شفوق من الاحتمام وهو الاهتمام لفظا ومعنى الا انه ابلغ منه او من
الحامة وهي خاصة الانسان وفي الحديث انه قال صلى الله عليه وسلم اللهم هؤلاء اهل بيتي وحامتي
اذهب عنهم الرجس وانما جمع الشفيع دون الصديق لكثرة الشفعاء وقلة الصديق قال شعر
صديق صحيح وكالكيميا معا لا يوجدان فدع عن نفسك الطمعا او لانه يطلق على الجمع كالواحد
مثل العدو والظهير فلو ان لنا كرة رجعة الى الدنيا ولو في مثله للتمني لان في كل واحد منهما تقدير
غير الواقع واقعا فلذلك يصح التجوز فنكون من المؤمنين جواب التمني ان في ذلك لاية
اي فيما ذكر من مقالة ابرهيم فان العاقل يتعظ بها ويستبصر وما كان اكثرهم مؤمنين لعدم
التدبر وان ربك لهو العزيز الغالب الرحيم بارسال الرسل كذبت قوم نوح المرسلين
القوم من اسماء الجموع يطلق على الرجال خاصة ففيه تغليب وتانيث الفعل باعتبار معنى الجماعة
ويقال في تصغيره قويم بالتذكير والمراد بالرسل نوح كقولهم فلان يركب الخيل او هو وساير من
معه من المؤمنين او لان من كذب رسولا فقد كذب الجميع لاتحاد دعوتهم واشتراكهم
اذ قال لهم اخوهم نوح سماه اخا لاتصال نسبه بهم كقول العرب يا اخا بني فلان لواحد منهم
الا تتقون الشرك وعبادة الاوثان اني لكم رسول امين كان مشهورا بينهم بالامانة فاتقوا الله
واطيعون في التوحيد وما اسالكم عليه على اداء الرسالة من اجر جعل ان اجري الا على
رب العالمين فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد والتقرير في نفوسهم كما هو شان الناصح الشفوق

وفي الحديث كان رسول الله اذا تكلم بكلام اعاده ثلثا ولانه علق الاول بكونه امينا والثاني
بحسم طمعه قالوا انؤمن لك واتبعك الارذلون اي الفقراء الذين لا مال لهم ولا جاه
وهذا كما قال المشركون لرسول الله يا محمد ما نرى معك الا الاعبد والرعاة قال وما علمي
بما كانوا يعملون واي علم لي بما كانوا يعملون لاجله فهم من كلامهم انهم يطعنون في ايمانهم
بانهم آمنوا لغرض دنيوي فاجاب بانه انما يطلب الايمان بناء على الظاهر ان حسابهم
الا على ربي فهو المطلع على الضماير ويجوز ان يكون حمل الرذالة في قولهم على الرذالة في الدين
وان لم يقصدوها اشارة الى ان الرذالة المعتدة بها رذالة الدين لو تشعرون لعلمتم ذلك
وما انا بطارد المؤمنين دفع لما اوهم كلامهم وايثار المظهر موضع المضمر ايماء الى ان وصف
الايمان ينافي الطرد ان انا الا نذير مبين ما علي آمنتم او لم تؤمنوا او ما علي ان كان ايمانهم
لغرض قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين بالحجارة او الشتم وهذا دأب الجاهل
المحجوج قال رب ان قومي كذبون فيما ارسلتني به لم يدع الله لما اصابه من اذاهم بل لتكذيبهم
فافتح بيني وبينهم فتحا احكم بيننا باظهار الحق واذهاب الباطل من الفتاحة وهي الحكومة
لان الحاكم يفتح المشكل في الدين وما استغلق على الناس ونجني ومن معي من المؤمنين
من اذاهم او من العذاب الذي يرسله عليهم فانجيناه ومن معه في الفلك المشحون المملو
من الناس وساير الحيوانات التي حملها نوح معه ثم اغرقنا بعد بعد انجائه الباقين وهم
الكفار ان في ذلك لاية اية آية شاعت وتواترت ولا قصة اشهر من طوفان نوح
وما كان اكثرهم مؤمنين بل اقلهم وهم ثمانون نفسا وان ربك لهو العزيز الغالب الذي
لا يغالب الرحيم بعباده حيث لا يعاجل بالعقوبة كذبت عاد المرسلين انثه باعتبار
القبيلة وهو في الاصل اسم رجل اذ قال لهم اخوهم هود الا تتقون اني لكم رسول امين فاتقوا الله
واطيعون وما اسألكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتبنون بكل ريع آية
علامة والريع المكان المرتفع وعن عمارة هو الجبل اسم جنس واحده ريعة والجمع رياع وهو
الطريق ايضا ومنه قول المسيب بن علس ريع يلوح كانه سحل تعبثون عابثين بالمارة
لا غرض لكم سواه وقيل تبنون ابراج الحمام وقيل كانوا عارفين بعلم النجوم يهتدون بها
في اسفارهم وكانوا يبنون تلك الاعلام الطوال عبثا وتتخذون مصانع المباني والقصور العالية
وقيل هو اضع الماء الحاصل من المطر جمع مصنعة لعلكم تخلدون ترجون الخلود في الدنيا
او حالكم شبه حال من يخلد واذا بطشتم اخذتم بالعنف بطشتم جبارين قاتلين على الغضب
والجبار من يقتل اذا غضب فاتقوا الله واطيعون فيما ادعوكم اليه من الايمان وترك القبائح
واتقوا الذي امدكم بما تعلمون امدكم بانعام وبنين وجنات وعيون بالغ في التبليغ
انكر عليهم ثم دعاهم للتقوى بحسب الفطرة ومقتضى العقل ثم ذكر انه رسول من الله صادق امين
فامرهم بالتقوى صريحا وبين ان فعله ليس لغرض يتعلق بالدنيا ثم ذكر لهم ما هم فيه من القبائح
وامرهم ثانيا بتقوى الله وطاعته ثم امرهم بالتقوى ثالثا وعلقه بالموصول الدال صلته على ان

من

من يطلب منهم تقواه امدهم بنعم مستندة اليه علمهم محيط بها لا يجهلون شيئا منها ثم فصل ذلك المجمل
مبالغة في الوعظ والنصح ثم اشار بقوله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم الى انهم ان لم يمتثلوا
ما امرهم به يلحقهم عذاب لا يوصف ولما كانوا ممن طبع على قلوبهم قالوا سواء علينا اوعظت
ام لم تكن من الواعظين فان وعظك وعدمه عندنا سيان غير الاسلوب في النفي لانه
ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه ان هذا الا خلق الاولين اي ما هذا الذي جئتنا به من الاكاذيب
الا عادة امثالك من الماضين او ما هذا الذي نحن عليه من الدين والموت الا عادة اسلافنا
وآبائنا الاولين وقرأ ابن كثير وابو بكر والكسائي بفتح الخاء وسكون اللام اي ما هذا الذي
جئتنا به الا كذب اختلقه الاولون من اضرابك او ما خلقنا الا كخلق الاولين نحيا ونموت
ولا بعث وما نحن بمعذبين في الدنيا او في الاخرة فكذبوه فاهلكناهم بسبب تكذيبهم ان في
ذلك لاية واية اية بين كيفية هلاكهم في موضع آخر وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم كذبت ثمود المرسلين اذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسألكم عليه على اداء الرسالة من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اتتركون فيما ههنا آمنين انكار لبقائهم على ذلك الحال او تذكير للنعمة قبل فوت اوان الشكر
عليها في جنات وعيون وزروع تفصيل بعد الاجمال كما في قصة هود ونخل طلعها هضيم افرد النخل
لزيد فضله او اراد وصف طلعه وهو ما يطلع منه على مثال نصل السيف ثم ينشق فيخرج منه ثمره وهو
الجمار الذي جاء في الحديث ان رسول الله اتي بجمار والهضيم هو الكثير كانه منكسر من تراكمه وهو
من حسن الفواكه عند العرب وعن ابن عباس هضيم يانع كانه قال ونخل قد ارطب ثمره وطاب
وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين حاذقين من الفراهة وهي الحذق او اشرين بطرين
وقرأ ابن كثير ونافع وابو عمرو فرهين على الصفة المشبهة وهذا ابلغ لدلالته على تجدد الاشر والبطر
ساعة فساعة فاتقوا الله واطيعون كرره للتاكيد ولا تطيعوا امر المسرفين اوقع الاطاعة
على الامر وهي للآمر لما بينهما من التلبس او استعيرت الاطاعة للامتثال لما بينهما من الشبه
الذين يفسدون في الارض مستمرون على الافساد ولا يصلحون لا يوجد منهم اصلاح
قط كساير المفسدين يخلطون بالافساد اصلاحا قالوا انما انت من المسحرين الذين سحروا
كثيرا حتى غلب على عقلهم ما انت الا بشر مثلنا اي تنزلنا عن كونك مسحورا انت بشر مثلنا
اي لك رتبة الرسالة فأت باية ان كنت من الصادقين في دعواك قال هذه ناقة اختصر
القصص لان الغرض تسلية رسول الله وهو قد نبهنا عليها في مواضع اخر فاكتفى بطرفها لها شرب
حظ من الماء كالقسمة من القوت والسقي من السقي ولكم شرب يوم معلوم فلا تتجاوزوه
ولا تمسوها بسوء فضلا عن القتل والضرب فيأخذكم عذاب يوم عظيم عظم اليوم لعظم العذاب
الواقع فيه على طريق المجاز الحكمي حتى كان شدة العذاب سرت الى الوقت فعقروها
اسند العقر اليهم والعاقر واحد وهو قدار لرضى الكل به روي انه لم يعقرها حتى داروا على المخدرات
ورضيت كلهن بذلك فاصبحوا نادمين على فعلهم خوفا من العذاب لا تصديقا لقول صالح

والا لنجوا كما نجا قوم يونس او ندموا بعد فوات الوقت وبعد ايمان الباس فاخذهم
العذاب صيحة جبرائيل ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك
لهو العزيز الرحيم قيل انما لم يصب قريشا ما اصاب تلك الامم ببركة من آمن منهم
بسنده لا بقوله وما كان اكثرهم مؤمنين وفيه ان رسول حين خرج من بينهم لم يكن
من قريش الا قليل بل انما لم يصبهم ما اصاب اولئك لعدم اتيانه باياتهم المقترحة
كذبت قوم لوط المرسلين اذ قال لهم اخوهم لوط الا تتقون اني لكم رسول امين
فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين اتاتون
الذكران من العالمين الجار والمجرور حال من الذكران والمراد بالعالمين الناس اي ان
اياتي الذكر منهم خاصة فالجمع بالواو والنون على اصله وخروج الملائكة والجن بقرينة
العقل او متعلق بتاتون فالمراد كل من يتاتى منه الاتيان من سائر الحيوانات
والجمع بالواو والنون للتغليب وخروج غير الانسان بتلك القرينة وتذرون ما خلق
لكم ربكم من ازواجكم من اما بيان لما واريد به جنس الاناث او تبعيض ومراد بما خلق
المحل المباح منهم وفيه اشارة الى انهم كانوا ياتون من نسائهم في غير موضع الحرث
بل انتم قوم عادون متجاوزون الحد في انواع المعاصي وهذه الجريمة من ذلك
او انتم احقاء بان توصفوا بالعدوان لارتكابكم هذه العظيمة وهذا اوجه لدلالته على ان
هذه الجريمة كل العظائم ولذلك لم يلاحظ متعلق العدوان قالوا لئن لم تنته يا لوط
عن مقالتك لتكونن من المخرجين من بيننا هددوه بالاخراج لان مفارقة
الوطن من اشد العذاب قال اني لعملكم من القالين من المبغضين اشد البغض
فلا ابالي بالخروج من بينكم وهذا ابلغ من ان يقول اني لعملكم قال لدلالته على انه داخل
في زمرتهم معدود من جملتهم رب نجني واهلي مما يعملون من شؤم عملهم فنجيناه واهله
اجمعين حكمنا بنجاتهم الا عجوزا في الغابرين الباقين في العذاب وهي امرأته استثنيت
من الاهل لشموله اياها ثم دمرنا الاخرين اهلكناهم وامطرنا عليهم مطرا يعني الحجارة لقوله
وامطرنا عليهم حجارة من سجيل فان قلت اهلاكهم كان بقلب القرية عليهم كما تقدم
من قوله فجعلنا عاليها سافلها فما فائدة الامطار عليهم قلت اظهار القهر وشدة الغضب
كما اهلكت عاد بالريح مع الصيحة وعن قتادة امطر الله الحجارة على شذاذ القوم ولا ينافي
الامطار على الحاضرين لقوله وامطرنا عليها حجارة فان الضمير للقرية فساء مطر المنذرين
مطرهم فالمخصوص محذوف واللام في المنذرين للجنس ليصح وقوع ما اضيف اليه فاعل
ساء ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين بل قليلهم وهم الذين مع لوط وان
ربك لهو العزيز الرحيم كذب اصحاب الايكة المرسلين الايكة الغيضة التي فيها ناعم الشجر
الملتف وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ليكة على وزن ليلة وهما لغتان كمكة وبكة كذا
من ابن عباس والخليل فمن قال ان ليكة اسم لا يعرف انما شهد على النفي قال ابو عبيده

رسمت هنا وفي سورة ص ليكة في الامام وفي الحجر وق الايكة وهم طائفة من اهل مدين
ضاقت بهم البلد فخرج منها ارباب الاموال والمكنة الى ايكة هناك وبنوا بين تلك
الاشجار وما قيل ان شعيبا ارسل الى اهل مدين وهم قومه والى اهل الايكة ولم يكونوا قومه
ولذلك قال اذ قال لهم شعيب الا تتقون ولم يقل اخوهم فقد وهم كيف وفي الحديث
انما كان يبعث النبي الى قومه وبعثت الى الاحمر والاسود فان قلت فلم لم يذكره باسم
الاخ كما في سائر قصص الانبياء قلت كثر في هذه السورة ذكر الاخ وكانت قصة شعيب
اخر القصص فحذف لذلك وليكون فيه اشارة الى ان القصص قد تمت وقد رمز الى
ذلك بحذف التاء اي كذب ايضا وهذا من غوامض اسرار القرآن واختصاره اني لكم
رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسئلكم عليه من اجر ان اجري الا على رب العالمين
اوفوا الكيل اذا كلتم للناس اتموه ولا تكونوا من المخسرين حقوقهم بالتطفيف تصريح بما
علم ضمنا ولم يذكر الزيادة لانها غير واجبة ولا محرمة بل من الجميل فان تفعل فيها والا فلا عيب
وزنوا بالقسطاس المستقيم الميزان السوي عن الحسن هو القبان والقفان كان روميا
كما قيل فالوزن فعلال والا فمن القسط وهو العدل فالسين زائدة والوزن فعلاس
وليس من التضعيف والا لكان وزنه فعلاع وقرأ حمزة والكسائي وحفص بكسر القاف
ولا تبخسوا الناس اشياءهم لا تنقصوها من بخس الشيء نقصه وهو عام في كل حق ينقصهم
غصبا وسرقة وغيرهما ولا تعثوا في الارض لا تفسدوا فيها بالقتل والغارة وقطع الطريق
مفسدين حال مؤكدة واتقوا الذي خلقكم والجبلة الاولين الجبلة الاولين مصدر بمعنى المفعول
من جبله الله خلقه ذكره تأكيدا لاستحقاقه للتقوى لانه خلق الاولين الذين هم اصولكم واباؤكم
وسميت موالا كما امات اولئك قالوا انما انت من المسحرين وما انت الا بشر مثلنا ادخل الواو
بين الوصفين للدلالة على منافاة كل منهما الرسالة استقلالا بخلاف قصة ثمود مع صالح
فتكذيب قوم شعيب ابلغ واقوى من اولئك وان نظنك لمن الكاذبين في دعواك
فاسقط علينا كسفا من السماء ان كنت من الصادقين هذا غاية انكار منهم كما قالت
كفار قريش ان كان هذا الحق من عندنا فامطر علينا حجارة من السماء وقرأ حفص كسفا
بالتحريك والباقون بالاسكان وكلاهما جمع كسفة وهي القطعة قال ربي اعلم بما تعملون
فيجازيكم عليه وبوقت ذلك باسقاط الكسف وغيره فكذبوه فاخذهم عذاب يوم الظلة قيل
اخذهم بالحر الشديد ومنع عنهم الهواء البارد حتى قلقوا وخرجوا الى الفضاء فاظلتهم سحابة
فوجدوا البرد والروح منها فامطرت عليهم نارا وكان ذلك اشد لمجيء العذاب من مظنة
الرحمة كما فعل في قوم هود فلما راوه عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو
ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم انه كان عذاب يوم عظيم وصف اليوم بالعظم لعظم
الواقع فيه على طريقة المجاز ان في ذلك لاية وما كان اكثرهم مؤمنين وان ربك لهو العزيز
الرحيم كرر في اوايل القصص واخرها ما كرر لانها تليت على الصم البكم الذين لا يعقلون فلا جدر

التكثير والتكرير بالوعظ والتذكير ازاحة للاعذار واشاعة للابلاغ والانذار وانه لتنزيل
رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك خص القلب لانه محل العلوم ومدرك
المعقولات والروح الامين جبرائيل لانه واسطة بين الله وبين الرسول في تبليغ الاحكام
وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وحفص نزل مخففا والباقون ونزل مشددا ومسندا الى ضمير الله
والروح الامين منصوبا لتكون من المنذرين وخلافي زمرتهم بلسان عربي مبين واضح
لئلا يقولوا لولا فصلت اياته اعجمي وعربي متعلق بنزل وقيل يجوز تعلقه بالمنذرين بناء على
ما قيل ان هودا وصالحا وشعيبا واسمعيل من العرب وهذا لو فرض صحته يعني ركيك
وانه اي القران لفي زبر الاولين اي ذكره او معناه وقد يستدل به لابي حنيفة ان القران
هو المعنى دون النظم ولذلك جوز القراءة بالفارسية والتحقيق ان المنزل هو النظم المنزل
للاعجاز ولذلك صح رجوع الامام الى قول الجمهور اولم تكن لهم اية ان يعلمهم اي القران
علماء بني اسرائيل بنعته في كتبهم وكانت كفار قريش يسالون اهل الكتاب عن احوال
رسول الله والمراد عبد الله بن سلام واضرابه ممن آمن لامن حرف الكلم من بعد مواضعه
وقرا ابن عامر تكن مونثا ورفع اية على ان كان تامة واية فاعلها وان يعلمه بدل من الفاعل
او خبر مقدرا والتقدير بان يعلمه اولان او ناقصة واسمها ضمير القصة واية ان يعلمه اسمه
مقدمة الخبر خبرها والخبر لهم اية وان يعلمه على الوجوه الثلثة او هو من قبل مزاجها عسل وماء وفيه
ضعف والاولى التذكير والنصب لعدم الاضمار والتقدير ولو نزلناه على بعض الاعجمين
اي القران كما هو وبلغة العجم والعجمة لغة اللكنة ولما كان من يتكلم بغير لسان العرب لا يفقهون
كلامه سموه اعجم والاعجمين جمع اعجمي بتخفيف الياء لا اعجم لان افعل فعلاء لا يجمع بالواو والنون
كذا نقل عن الزجاج والحق ان اللفظ منقول فلا مانع فقراه عليهم ما كانوا به مؤمنين لعدم
فهمهم ولفرط عنادهم واستنكافهم كذلك سلكناه في قلوب المجرمين ادخلناه اي الكفر والتكذيب
ودل عليه ما كانوا به مؤمنين او القران عرفوا باعجازه وانكروه ويؤيده قوله لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم حين لا ينفع الايمان فان قلت لم اثر في سورة الحجر سلكه بلفظ
المضارع قلت لانه فرعه على قوله ما ياتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن الدال على استمرار
الامم المكذبة على الاستهزاء والكلام هناك في كفار قريش المختوم على قلوبهم فياتيهم بغتة في الدنيا و
في الاخرة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون تاسفا على مقدار طرفة عين لا سهم فيه اليوم
والفاء للترتيب الرتبي فان مفاجاة العذاب اشد من رؤيته افبعذابنا يستعجلون رد
لقولهم امطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم والهمزة للانكار والفاء المرتبة على الكلام
السابق والمعنى ايستعجل بمثل هذا العذاب عاقل ويقال لهم يوم القيمة توبيخا لهم حكي لنا
لطفا والمضارع على هذا المعنى للماضي واوثر لاستحضار تلك الصورة او يقدر كانوا ثم قال
افرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون مرتب
على الاستهزاء والاستعجال تعجيبا من حالهم وهذا كما يقول لمن اغتر بكثرة العشاير والاموال نسب

انك بلغت فوق ما تامل ابليس بعد الموت والخطاب عام اشارة الى ان هذه القصة
من حقها ان يخبر بها احد يتعجب منها كل سامع وعلى الاول متعلق بقوله هل نحن منظرون
وقوله افبعذابنا يستعجلون معترض للتبكيت وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون من
الانبياء والرسل ذكرى نصب على المصدر بمعنى تذكرة لان ذكر وانذر متقاربان او مفعول له
اي لاجل الموعظة او حال من ضمير منذرون اي ذوي تذكرة او رفع خبر مبتدأ محذوف
بمعنى هذه ذكرى والجملة اعتراضية او صفة لمنذرون اما بتقدير مضاف اي ذوو ذكرى
او جعلوا نفس الذكرى لمبالغتهم في التذكير وامعانهم فيه او متعلق بيقدر والمعنى ما اهلكنا
من قرية الا بعد الزام الحجة ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لمن يفعل مثل فعلهم وهذا اليق بالمقام
لدلالته على وعيد المستهزئين وانهم احقاء بان يجعلوا عبرة لمن بعدهم وما كنا ظالمين بان
نهلك قبل الانذار وهذا على التعارف اذ لا يتصور الظلم من المالك الموجد تعالى وما تنزلت
به الشياطين كما يزعم الكفار انه من القاء الشياطين الى الكهان وما ينبغي لهم لتنافيه لحالهم
وما يستطيعون وما يقدرون على ذلك انهم عن السمع لمعزولون كانوا يسترقون السمع
الى الملائكة ويأخذون منهم الاخبار ويلقونها الى الكهنة فلما بعث رسول الله حجبوا ورجموا
وهذا ما قالوا انا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا فلا تدع مع
الله الها آخر فتكون من المعذبين الخطاب له والمراد غيره فان شان الملوك خطاب
الخواص بما لا يتصور وقوعه منهم مبالغة في زجر العامة او هو من باب الالهاب لازدياد الاخلاص
وانذر عشيرتك الاقربين الاقرب فالاقرب ليكون تبليغه بعد ذلك في الابعد انجع ولان
عشيرته ربما اعتمدوا على قرابته فقطع دابر شبهتهم روى البخاري عن ابن عباس انها لما نزلت
صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عبد مناف لبطون
من قريش وكان الرجل اذا لم يستطع ان يخرج ارسل رسولا لينظر ما هو فجاء ابو لهب
وقريش فقال رسول الله ارايتكم لو اخبرتكم ان خيلا بالوادي تريد ان تغير عليكم اكنتم مصدقي
قالوا نعم ما جربنا عليك الا صدقا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب
تبا لك سائر اليوم الهذا جمعتنا فنزلت تبت يدا ابي لهب وتب ما اغنى عنه ماله وما كسب
واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين خفض الجناح مثل في التواضع ولين الجانب
فان الطائر عند الانحطاط يكسر جناحه من بيانية لان من اتبعه اعم من المؤمنين ومن
اتبع لغرض آخر وتبعيضية والمراد بالمؤمنين المشارفون والمصدقون باللسان دون
القلب فان عصوك عشيرتك والمؤمنون فقل اني بريء مما تعملون من عملكم لم يقل منكم
اشارة الى ان المجانبة عارضة بخلاف قول ابليس اني بريء منكم لان المباينة ذاتية والعداوة
صلبة وتوكل على العزيز الرحيم فوض امرك الى من هو غالب لا يغالب يقهر اعداءك وينصرك
اولياءك وقرا نافع وابن عامر بالفاء عطفا على جزاء الشرط او على قوله فلا تدع او بدل من جواب
الشرط والواو اظهر وعليه رسم العراقي والمكي وعلى الفاء المدني والشامي الذي يراك حين تقوم

للتهجد وتقلبك في الساجدين لما نسخ قيام الليل طاف تلك الليلة على بيوت اصحابه
لينظر ما يصنعون حرصا على طاعتهم فوجدها كبيوت الزنابير ما بين تال ومصل وذاكر وقيل
اراد قيامه وقعوده وسجوده اذا امهم في الصلوة روي ان قتادة سال اباحنيفة رحمه الله هل تجد
في القران ذكر الصلوة جماعة فقال لم يحضرني فقرا عليه قتادة هذه الاية وقيل اراد انتقال
نوره في اصلاب الانبياء وبطون الامهات الطاهرة وعلى الوجوه علته لاستحقاقه قهر اعدائه
ونصر اوليائه انه هو السميع لما تقوله العليم بنيتك واخلاصك هل انبئكم على من تنزل
الشياطين تنزل على كل افاك اثيم كثير الكذب والعصيان كالكهنة والمتنبئة مثل شق وسطيح وطليحة
ومسيلمة ومحمد نبي معصوم لا مناسبة بينه وبين الشياطين يلقون السمع واكثرهم كاذبون اي
يستمع الشياطين الى الملائكة كما مر ويخطف كلمة فيقرها في اذن وليه كما تقر الدجاجة فيخلط وليه
فيها اكثر من مائة كذبة او يلقون المسموع الى اوليائهم والضماير لكل افاك اي يستمعون الى
الشياطين فيتلقون وحيهم او يلقون ما سمعوه منهم الى الناس والضمير في اكثرهم ان كان
للشياطين فقصد الاكثر لاخراج من يصدق في الكلمة المخطوفة وان كان للافاك فلانه لا يلزم
ان يكون كاذبا في كل ما يتكلم به فالاكثر به باعتبار اقوالهم وقيل يريد بالاكثر الكل ومحل يلقون النصب
على الحال او جر صفة افاك او استيناف كانه قيل لم تنزل الشياطين على كل افاك فقيل يفعلون
كيت وكيت والشعراء يتبعهم الغاوون ما يتبعهم الا الضالون واتباع محمد علماء صديقون
فكيف يكون شاعرا كما تزعمون الم تر انهم في كل واد يهيمون في كل نوع من الكلام مدحا
او ذما او نسيبا او غزلا يلفقون مخيلات باطلة واكاذيب صريحة فذكر الوادي والهيام تمثيل
وانهم يقولون ما لا يفعلون سمع سليمان بن عبد الملك قول الفرزدق شعر وبتن بجانبي
مصرعات وبت افض اغلاق الختام قال يا فرزدق وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين
قد درا الله عني بقوله انهم يقولون ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا
الله كثيرا استثناء للشعراء المؤمنين كحسان وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك الانصاري
وكعب بن زهير المهاجري وفي وصفهم بذكر الله كثيرا اشارة الى انهم وان وقع منهم في اشعارهم
شي من الغلق على ما هو داب الشعر غير مواخذ به لكونه مغمورا بذكر الله وانتصروا من بعد ما ظلموا
كما فعل شعراء الصحابة حين هجا كفار قريش رسول الله فقابلوهم بالهجاء ومدح رسول الله
بما هو اهله روى البخاري ومسلم والترمذي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تعالى يؤيد حسان بروح القدس ما نافح عن رسوله وسيعلم الذين
ظلموا اي منقلب ينقلبون وعيد شديد لمن القى السمع وهو شهيد واطلق الظلم ليتناول
كل ظلم ويدخل فيه من كذب بالقران واعرض عنه وهو الذي صدر به السورة فانتظم
الفاتحة مع الخاتمة وفي ابهام اي منقلب من التهويل ما لا يخفى ولما ايس الصديق من
الحياة استكتب عثمان بن عفان كتاب العهد هذا ما عهد ابن ابي قحافة الى المؤمنين في الحال
التي يؤمن فيها الكافر اني استخلف عليكم عمر بن الخطاب فان عدل فذاك ظني به وان لم

بعدل

بعدل فسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون تمت السورة والحمد لله على الائه
سورة النمل مكية وهي ثلث او اربع وتسعون اية بسم الله الرحمن الرحيم طس
اسم السورة او حروف مقطعة عددت اتعاظا وامال الف طا حمزة والكسائي وابو بكر
تلك ايات القران وكتاب مبين تلك اشارة الى اي السورة والكتاب المبين اما
اللوح وابانته كونه مبينا للناظرين ما خط فيه واما السورة او القران وابانتهما اظهار ما اودع
فيهما من الحكم والاحكام او كون اعجازهما بينا مكشوفا وفيه احتمالات اخر ذكرت في اول
الحجر والعطف ان اريد به القران باعتبار الصفات والتنكير للتفخيم وتقديم القران هنا
وتاخيره في سورة الحجر قد اشير الى وجهه هناك هدى وبشرى للمؤمنين حالان من الايات
اي هادية ومبشرة والعامل معنى الاشارة او رفعا على خبره محذوف او البدلية او الخبرية
بعد الخبر الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة اي الذين يعملون الصالحات كلها اكتفا
بامهات الاعمال البدنية والمالية وهم بالاخرة هم يوقنون اعتراض توكيد ما وصفوا به الايقان
بالاخرة يستلزم الخوف المستلزم لتحمل مشاق التكليف ولذلك كرر فيها الضمير كانه قيل بالاخرة
يوقنون لا بغيرها وهم المؤمنون لا غيرهم او هو من تتمة الصلة وتغيير النظم للدلالة على كمال
يقينهم والواو عاطفة لا حالية ان الذين لا يؤمنون بالاخرة زينا لهم اعمالهم اتبع ما
للمؤمنين من البشرى بما للكفار من سوء العذاب وتزيينها جعلها مشتهاة لهم وقوله زين لهم
الشيطان اعمالهم مجاز باعتبار الوسوسة فهم يعمهون حائرون بعد ذلك لا يدركون
ما فيها من الضر والنفع اولئك الذين لهم سوء العذاب في الدنيا بالقتل والاسر
وضرب الجزية وهم في الاخرة هم الاخسرون لانهم خسروا جوار الله في دار النعيم وقرنوا
مع الشياطين في النار وانك لتلقى القران من لدن حكيم عليم لتعطاه من تلقيت
الشي اخذته وذكر العليم بعد الحكيم تعميم بعد التخصيص اشارة الى اشتمال القران على البراهين
والخطابات او التنكير للتعظيم كانه قيل اي حكيم واي عليم اذ قال موسى لاهله امكثوا نصب
باذكر او متعلق بعليم كانه قال ما اعلمه اذ فعل موسى ما فعل وما يتوهم من تقييد العلم بالوقت
مندفع لانه مفهوم اللقب وانما جمع الضمير في امكثوا باعتبار لفظ الاهل اذ لم يكن مع موسى
سوى امراته اني انست نارا ابصرتها سآتيكم منها بخبر من حال الطريق واتيان السين
لان النار بالليل وان ترى قريبة ربما كانت بعيدة او اتيكم بشهاب شعلة من النار
قبس مقبوسة يقال اقتبست العلم وقبست النار وقرا الكوفيون بالتنوين بدلا او صفة
لعلكم تصطلون تستدفئون بها فانها كانت ليلة شاتية من صليت اللحم شوية ولا تدافع
بين قوله سآتيكم منها ولعلي اتيكم في طه لان الراجي اذا قوي رجاؤه يقول سافعل ذلك
باعتبار الوقتين واختار او على الواو بناء على انه ان لم يظفر بكلتا البغيتين فلن يعدم
احديهما ولم يخطر بقلبه انه فايز بما دونه كل الاماني من رتبة الرسالة فلما جاءها اي المكان
القريب منها نودي ان بورك من في النار اي في البقعة التي فيها النار وهم موسى

والملائكة الحاضرون ومن حولها ومن يسكن حولها في الارض المقدسة يتناول كل من
يسكن بالشام وفي الحديث الشام كنز الله في ارضه وبها كنزه من عباده وقيل من في
النار الملائكة فانها كانت في نفس النار ومن حولها موسى والاول هو الوجه لان تصدير
الكلام به عند مجيء موسى بشارة بانه قد قضي امر عظيم تنتشر بركته سبحان الله رب العالمين
من تمام النداء تنزيها له تعالى عن التشبيه المتوهم من ايجاد الصوت والحروف وتعجيبا
لموسى من ذلك وايذانا بان المقضي له من جلائل الامور وعظائمها لانه اثر تكوين رب
العالمين وجعله من كلام موسى تعجبا منه بعيد لان قوله والق عصاك من كلام الله
تعالى معطوفا على بورك وايضا لو كان من كلامه لكان الظاهر ترك الواو وقد اظهر
حرف التفسير في القصص في قوله تعالى وان الق عصاك وحذفه هنا وكل منهما شايع
تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شئت قلت ان حج واعتمر يا موسى انه
الشان انا الله العزيز الغالب الحكيم الذي لا يفعل الا ما فيه حكمة تمهيد لما اراده من قلب
العصا واليد البيضاء فلما راها تهتز اي القاها وصارت حية فلما راها تتحرك يقال هتز
حركة فاهتز كانها جان حية سريعة ولى مدبرا اعرض هاربا ولم يعقب ولم يرجع بعقب
كناية عن غاية الخوف يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار وانما خاف لظنه ان قلب
العصا لحية لامر اريد به اذ كان ذلك اول الامر ولم يدر انه بغى ولذلك قال يا موسى
لا تخف اي لا تخاف لدي المرسلون لانهم مكرمون مقربون وانت منهم الا من ظلم
نفسه منهم بترك الافضل او بارتكاب خلاف الاولى او بترك المامور سهوا فانه خايف
ثم بدل حسنا بعد سوء تدارك ما فرط منه بالانابة كما قال يونس سبحانك اني كنت من
الظالمين وكما قال موسى رب ظلمت نفسي فاغفر لي وفيه تعريض لطيف بموسى حيث
قال القبطي من غير اذن من الله تعالى وان كان كافرا حربيا فاني غفور تجاوز عما فرط
منه رحيم تفضل عليه بعد التوبة وادخل يدك في جيبك قيل كان عليه مدرعة صوف
لا كم لها واريد بالجيب القميص لانه من لوازمه تخرج بيضاء من غير سوء آفة برص في تسع
ايات كلام مستانف اي اذهب الى فرعون وقومه في تسع ايات كقوله شعر فقلت
الى الطعام فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما وهي الطوفان والجراد والقمل والضفادع
والدم والطمسة والجدب واليد والعصا او متعلق بالمذكور اي الق عصاك وادخل
يدك في تسع ايات اي في عدادها وجملتها واما نتق الجبل وفلق البحر فليسا من الايات
التي بعث بها الى فرعون وقومه انهم كانوا قوما فاسقين تعليل للارسال فلما جاءتهم
اياتنا مبصرة اي بينة بجعلهم بصراء او وصفت بوصفهم لانهم بسبب منها بنظرهم وتاملهم
على طريقة المجاز الحكمي او صفت كانها تبصر فتهدي لان الاعمى لا تهتدي فضلا عن
الهداية على طريقة الاستعارة المكنية قالوا هذا سحر مبين ظاهر لا اشتباه فيه وجحدوا بها الجحد
هو الانكار مع العلم ضمن معنى التكذيب فعدي بالباء واستيقنتها انفسهم الواو للحال

وقد مضمرة اي جحدوا باللسان موقنين بالقلب والاستيقان ابلغ من الايقان
ظلما وعلوا حالان من فاعل جحدوا او منصوبان على العلة والعلو الترفع وقرئ غلوا
بالمعجمة وهو التجاوز فانظر كيف كان عاقبة المفسدين تامل يا محمد عاقبتهم وهي الاغراق
في الدنيا ويوم القيمة يردون الى اشد العذاب والاتيان بالظاهر لبيان العلية
ولقد اتينا داود وسليمان علما طائفة من العلم وهي علم الشرائع والاحكام او علما
عزيزا او انا اورد قصة داود وسليمان عقيب قصة موسى لان موسى ابتلى بصبر وهما
اعطيا فشكرا اشارة الى حسن الاقتداء بهما في السراء والضراء وقالا الحمد لله الذي فضلنا
على كثير من عباده المؤمنين لم يعطف بالفاء كما تقول لما اعطيته فشكر لانه عطف على
مقدر كانه قيل فعملا بذلك العلم قلبا وجوارحا وقالا الحمد لله اشارة الى ان شكر اللسان
انما يحسن اذا كان مسبوقا بعمل القلب وساير الجوارح ففيه استيعاب لانواع الشكر على
احسن وجه وهذا احسن مما قيل تفويض الترتيب الى العقل لان المقام يستدعي مزيد الشكر
وانما قيدا بالكثير لان قليلا فضل عليهم وهم خواص الانبياء من اولي العزم وفي الاية دلالة
على فضل العلم واهله وان ملك الدنيا باسره على الكل وجه كما كان لداود وسليمان دونه
وان من اوتي علما ينبغي ان يتواضع ويعلم انه وان فضل على بعض فقد فضل عليه
البعض وورث سليمان داود ورث العلم والنبوة والملك ومعنى الوراثة
فيها قيامها مقام داود في تلك الصفات وعن الحسن ورث المال لان النبوة
عطية مبتداة ان صح عنه ذلك فلعله لم يبلغه الحديث نحن معاشر الانبياء لا نورث
ما تركنا صدقة وقال يا ايها الناس علمنا منطق الطير نادى الناس اظهارا للنعمة
ودعاء لهم على التصديق بالمعجزة التي هي فهم كلام الطير والمنطق هو الكلام المركب
من الاصوات مفردا كان او مركبا قال شعر فلما التقينا ما نطقت ولا حرفا وفهمه
كلام الطيور مثل فهمنا كلام الناس الا انا نفهم ذلك بالفاظ موضوعة والانبياء يفهمون
من غير سبق وضع وتعلم بل باعلام الله تعالى كما وقع لرسول الله صلى الله عليه وسلم
من كلام الضب والظبي والبعير وتسليم الحجر روي ان سليمان مر بطاوس يصيح فقال
هل تدرون ما يقول قالوا لا قال يقول كما تدين تدان وسمع صياح هدهد فقال يقول
استغفروا الله يا مذنبون واوتينا من كل شيء كناية عن الكثرة وايتاء اوتينا باعتبار ملكه
وملك داود او على طريقة الملوك ان هذا لهو الفضل المبين الواضح اذ كل من العلم
والنبوة والملك فضل ظاهر فكيف بالجمع وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير
الحشر الجمع من كل اوب وتقديم الجن لانهم اعتى وابعد من التسخير فهم يوزعون يحبسون
اي يحبس ساق الجيش حتى يلحق التوالي وفيه دلالة على انهم مع كثرتهم كانوا مسوسين
مضبوطا احوالهم لئلا يتاذى احد منهم او بهم روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة موزعا
على الانواع خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون

للوحش وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة مهرة وسبعمائة سرية
وكان له بساط من الذهب والحرير نسجته الجن فرسخا في فرسخ وكان له منبر من
الذهب يوضع في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ستمائة الف كرسي من الذهب والفضة
فيقعد على كراسي الذهب الانبياء وعلى كراسي الفضة العلماء وكان يامر فتحمل سريره
الريح العاصف وتسيره الرخاء وكان لا يتكلم احد بشيء الا القى الريح ذلك الى مسامعه
حتى اذا اتوا على واد النمل اي ساروا الى ان وصلوا ذلك الوادي وهو واد بالشام كثير
النمل وتعدية الاتيان بعلى اما لان اتيانهم كان من جانب الاعلى واما لانهم قطعوا الواد
من قولهم اتى على الشيء اذا بلغ نهايته قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم قيل
كانت نملة عرجاء اسمها طاخية فسمع سليمان كلامها من ثلثة اميال وما نقل عن قتادة
انه دخل الكوفة فقال سلوني عما شئتم وكان ابو حنيفة اذ ذاك شابا احدثا فقال سلوه
عن نملة سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة رحمه الله كانت انثى
فقيل له من اين لك قال من التاء في قالت ولو كانت ذكرا لم يلحق التاء ففيه
ان التاء لا تدل على تانيث المسمى بل هي تاء الوحدة يقع على القبيلين يقال حمامة ذكر
وحمامة انثى ولو استدل بالضمير من قولها لكان اسلم لا يحطمنكم سليمان وجنوده لا يكسرنكم
واصل الحطم الازدحام ومنه حطيم الكعبة وهو ما بين الباب والركن لازدحام الناس
فيه ولا يحطمنكم اما جواب الامر فدخول النون لكونه نهيا في المعنى واما بدل من الامر لانه
في المعنى نهي لان قوله ادخلوا مساكنكم في معنى لا تكونوا حيث انتم وهم لا يشعرون
علمت ان نبي الله واتباعه لا يقتلون ظلما وقيل فهم سليمان قولها وهم لا يشعرون
فتبسم ضاحكا من قولها تعجبا من اهتدائها الى الحذر والتحذير مع صغر جثتها او سرورا بما
اتاه الله من الملك الجسيم والعدل العظيم من حيث ان الحيوان العجم يعلم ذلك و
ضاحكا نصب على الحال اي شارعا في الضحك وهذا ضحك الانبياء وما روي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه كناية عن التبسم الكامل لدلالة سائر الاحاديث
عليه وقال رب اوزعني الهمني من الوزع وهو التقدم ان اشكر نعمتك التي انعمت
علي وعلى والدي ادرج ذكر والديه اما لان النعمة على الولد نعمة على الوالدين لا سيما الدينية
فانه اذا كان برا تقيا نفعهما بدعائه وشفاعته ودعاء المؤمنين لهما اذا راوا منه خيرا بل
الاجداد والاسلاف يقولون رحم الله اجدادك واسلافك واما لان النعمة على الوالدين
نعمة على الولد كما تقدم في قصة بني اسرائيل في اوائل البقرة وان اعمل صالحا ترضاه
بقية عمري وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ادخلني الجنة في عدادهم وذكر رحمته
اشارة الى ان دخول الجنة بفضل رحمة الله كما ورد في الحديث وتفقد الطير التفقد طلب الشيء
بعد غيبته فقال ما لي لا ارى الهدهد نظر الى مكانه فلم يره فتعجب ام كان من الغائبين
ام منقطعة اضرب عن تعجبه واخذ يقول اهو غائب كانه يريد تحقيق ما لاح له لاعذبنه عذابا شديدا

بعدما

بعد ما تبين له انه غائب والعذاب الشديد بالجمع مع غير جنسه في قفص وقيل نتفه والقاؤه
في الشمس وقيل نتفه والقاؤه بين النمل لتاكله وقيل التفريق بينه وبين الفه وقيل الزامه
بخدمة اقرانه او لاذبحنه سياسة لئلا يتجرى على فعل مثله آخر من جنسه او لياتيني بسلطان
مبين بحجة واضحة دالة على عذره والحلف عليه هو احد الاولين والثالث في معنى
الاستثناء وقرا ابن كثير او لياتينني بنونين نون التاكيد والوقاية والاول احسن لسقوطها
بالمؤكدة وعليه رسم المصاحف سوى المكي فمكث غير بعيد زمانا قليلا دل على سرعة
عوده وقرا عاصم فمكث بفتح الكاف والضم اشهر وقصة الهدهد ان سليمان عليه السلام
لما زار البيت الحرام سار على طريقة الملوك غدوة الى جنوب اليمن وكانت الريح
تحمل سريره وكانت كما اخبر الله تعالى غدوها شهر ورواحها شهر فرأى سليمان ارضا
حسنا محضرة الجنبات فنزل وطلب الماء وكان الهدهد يعرف منابط الماء لخاصية
خصه الله بها يرى الماء تحت الارض كما يراه احدنا في الزجاجة فتفقد الهدهد فلم يوجد وكان
حين نزل سليمان رأى الهدهد واحدا من ابناء جنسه ذكر له ملك بلقيس وما اوتيت من
الاسباب قيل كان تحت يدها اثني عشر الف قايد تحت كل قايد مائة الف فذهب
معه لينظر صدق مقالته ولما تفقد سليمان الطير ولم ير الهدهد فسال عريف الطير عنه وهو
النسر فلم يعلم خبره فقال لملك الطيور وهو العقاب علي به حيث كان فارتفع العقاب
الى الجو فرآه مقبلا فانقض عليه فقال الهدهد ناشدتك الله الذي اقدرك علي واعطاك
هذه القوة الا ترحمني فقال ويلك يا هدهد ان نبي الله عليك غضبان وقد حلف ليعذبنك
قال وما استثنى قال بلى فلما قرب من سليمان ارخى جناحه تواضعا فلما دنى منه
اخذ رأسه ومده فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان فقال احطت
بما لم تحط به الاحاطة ادراك الشيء من الجهات كلها بحيث لا يبقى منه خافية الهم الله
الهدهد هذا الكلام فكافح به سليمان ابتلاء له لئلا يظن انه ليس احد اعلم منه وجئتك
من سبا قرا ابو عمرو وابن كثير في رواية البزي بفتح الهمزة غير منون على انه اسم القبيلة
وفي رواية قنبل باسكان الهمزة حملا للوصل على الوقف كما في منسأته وعوجا وقرا الباقون
بكسر الهمزة منونا على انه اسم الحي وهو لقب لعبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان
قيل سمي بذلك لانه اول من سبا وفي الحديث سال رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن سبا اهو رجل ام جبل ام واد فقال بل رجل ولد عشرة الاسد وحمير وكندة وانمار و
الاشعرون ونشام ولخم وجذام وغسان وعاملة وما في الاية اريد به الناحية التي
كانت مساكنهم او القبيلة بنبا يقين اي بخبر مشتمل على العلم الذي لا شك فيه
كرجل صدق بالاضافة وبنبا مع سبا من التجنيس اللاحق اني وجدت امراة تملكهم
اي سبا واهلها وهي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان وكان الملك في
اباءها اربعين جدا ولم يكن لابيها ولد ذكر فولوها الملك وفي الحديث لن يفلح قوم تولى

عليهم امرأة واوتيت من كل شيء من اسباب الملك ولها عرش عظيم
العرش سرير الملك قيل كان ثمانين ذراعا في ثمانين وسمكه ثمانين وكان من
الذهب والفضة مكللا بالجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر وزمرد
وعليه سبعة ابيات وعلى كل بيت باب مغلق وجدتها وقومها يسجدون للشمس
من دون الله كانوا عبدة الشمس وزين لهم الشيطان اعمالهم من السجود لغير الله
وغيره من القبائح فصدهم عن السبيل عن طريق الحق فهم لا يهتدون الى الصواب
بعد ذلك الصد الا يسجدوا لله بدل من اعمالهم اي زين لهم عدم السجود او عن
السبيل ولا صلة اي فصدهم عن ان يسجدوا او مفعول يهتدون ولا صلة او مفعول له
اي فصدهم لئلا يسجدوا او رفع خبر مبتدا مقدر اي الاعمال ان لا يسجدوا او السبيل
ان يسجدوا وقرأ الكسائي الا يسجدوا بالتخفيف حرف التنبيه والمنادى محذوف
اي الا يا قوم وعلى هذا يتم الوقف على يهتدون قيل على هذا هو ابتداء كلام من الله
تعالى او من سليمان وقيل هو من تمام كلام الهدهد والتشديد اوجه لسلامته عن الحذف
وعليه صريح الرسم ويفهم وجوب السجود على الوجهين اما من الامر او الذم على الترك
الذي يخرج الخبء في السموات والارض الخبء مصدر بمعنى المفعول وهو النبات
من الارض والمطر من السماء وغيرهما من الاشياء المستورة في غامض علمه ويعلم
ما يخفون وما يعلنون قرأ حفص والكسائي بالخطاب فيهما اما الكسائي فقد جرى
على النسق الاول لان المنادى مخاطب واما حفص فعلى الالتفات تهديدا الله لا اله
الا هو رب العرش العظيم الذي يستحقر دونه عرش بلقيس كلام مستأنف للدلالة
على استحقاق العبادة دون غيره المتفرد بالالوهية قال سننظر سنعلم لان النظر
من اسباب العلم او سنتأمل ونتفحص اصدقت ام كنت من الكاذبين اي
ام كذبت والعدول الى التنزيل للمبالغة لانه اذا كان منخرطا في سلك الكاذبين
يكون كاذبا بالمحالة اذهب بكتابي هذا فالقه اليهم اي اليها ومن تحت حكمها
قرأ عاصم وابو عمرو وحمزة باسكان الهاء ثم تول عنهم الى مكان قريب ليكونوا
بمسمع منك فانظر ماذا يرجعون يرجع بعضهم الى بعض القول اي يدفعه عند
التشاور او هو من الرجعان اي ما يستقر عليه آراؤهم قالت يا ايها الملأ اي
بعد ما ذهب والقى اليهم الكتاب اني القي الي كتاب كريم وصفوا بالكرم لانه كان
من ملك وارث له الانس والجن والوحش او لشرف معناه وحسنه او لانه
مصدر باسم الله او لانه مع وجازته كان وافيا بالمقصود او لكونه مختوما وفي الحديث
كرم الكتاب ختمه وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به
انه من سليمان استئناف جوابا كانه قيل ممن هذا الكتاب الكريم ثم بين مضمونه فقولها
وانه بسم الله الرحمن الرحيم ان لا تعلوا علي واتوني مسلمين واذا كان قولها انه

من سليمان

من سليمان بيان عنوان الكتاب سقط سؤال تقديم اسمه على اسم الله وقيل الكتاب ايها
من الكوة وهي نائمة مغلقة عليها الابواب وقيل القى اليها وهي على العرش جالسة و
حولها الملوك والعادة والجنود فان قلت الدعاء الى احد من الانبياء انما يكون بعد
اظهار المعجزة فكيف استقام هذا من سليمان قلت الدعاء الى الاسلام لا يتوقف على اظهار
المعجزة وانما يجب الاظهار او الطلب مع ان مجيء الطير بالكتاب على الوجه المذكور من
ابهر المعجزات قالت يا ايها الملأ افتوني في امري في شأني وما يليق لي من جواب
الكتاب الفتوى والفتيا جواب الواقعة من الفتاء وهو حداثة السن او من الفتوة
وهو الارتفاع لان الناس يترافعون اليه في الفقه ما كنت قاطعة امرا حتى تشهدون
كما هو دأب الملوك لا يعزمون على شيء الا بعد المشاورة مع ذوي الآراء قيل كان
اهل مشورتها ثلثمائة ملك كل ملك تحت يده عشرة آلاف قالوا نحن اولو قوة
بالاجساد والآلات والعدد واولو بأس شديد نجدة وشجاعة والامر اليك بعد
هذا فانظري تأملي ماذا تأمرين فانا منقادون له قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية
افسدوها بالقتل والاسر وجعلوا اعزة اهلها اذلة بنهب اموالهم وقتل اولادهم
وتخريب ديارهم وكذلك يفعلون اي ذلك وانهم المستمر كانت تعلم ذلك من
المشاهدة والسماع لانها كانت ملكة بنت الملوك وابتداء الكلام من الله تعالى دون
كلامها تصديقا لها واني مرسلة اليهم بهدية سنية تليق بالملوك فناظرة بم يرجع المرسلون
من اخباره واحواله فانبني على ذلك من الحرب والصلح ما كان اوفق فلما جاء سليمان
قيل ارسلت برسم الهدية خمسمائة غلام في زي الجواري وخمسمائة جارية في زي الغلمان
وحقة فيها درة عذراء وجزعة معوجة الثقب وبعثت من اشراف قومها المنذر بن
عمرو وآخر ذا رأي وقالت ان كان نبيا يفرق بين الجواري والغلمان ويثقب الدرة
ثقبا مستويا ويسلك الخيط في الجزعة فاخبره جبرئيل بذلك فامر الجن فضربوا اللبن
من الذهب والفضة وفرش بها ميدانا طوله سبعة فراسخ وامر الشياطين فربطوا الدواب
حول الميدان على فرش الذهب والفضة وامر باولاد الجن فاقيم في اليمين واليسار
منهم خلق كثير واصطفت الانس والشياطين فراسخ وجلس على الكرسي ثم
استعرض الرسل فوقفوا بين يديه بالهدية فامر باحضار الماء وامر الغلمان والجواري
بان يغسلوا وجوههم فكانت الجارية تأخذ الماء في احدى يديها وتصبه في الاخرى ثم تضرب
بها وجهها والغلام كما يأخذ الماء يضرب به وجهه ثم طلب الحق وقال ان فيه كذا وكذا
ثم استخرج الدرة وامر الارضة فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجر وامر دودة
بيضاء فاخذت الخيط بفيها ونفذت في الجزعة ثم نظر في وجه الرسل بوجه طليق قال
اتمدونني بمال تنكير انكار عليهم ذلك قرأ حمزة بنون واحدة مدغما وهو موافق والرسم
على الاصل فما آتاني الله من الدين الذي هو الحظ الاوفر والنبوة والملك الذي لا مزيد

عليه خير مما آتاكم من بعض الحطام بل انتم بهديتكم تفرحون اي بما يهدى اليكم
من اضافة المصدر الى المفعول او الى الفاعل والمعنى انتم تفرحون بهذه الهدية مفتخرين
بها على الملوك او تفرحون بها اذا رددت اليكم لانكم لا تعلمون الا ظاهرا من
الحيوة الدنيا ارجع اليهم خطاب للمنذر عمرو رئيس الرسل وقيل للهدهد محمل
كتاب آخر فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها لا طاقة لهم بها فعل بمعنى المقابلة وفي الحديث
ان الله تعالى خلق آدم وكلمه قبلا اي مقابلة ولنخرجنهم منها اذلة كما قالت
وجعلوا اعزة اهلها اذلة وهم صاغرون والحال انهم مستمرون على الذل في الاسر ان
ان يكونوا اسوقة بعد ان كانوا ملوكا قال يا ايها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان
يأتوني مسلمين اراد ان يريهم ما خصه الله تعالى به من المعجزات الظاهرة والعجائب
الباهرة وما قيل انه اراد ان يأخذ العرش قبل اسلامها فانها اذا اسلمت لا يحل اخذها
ففيه ان الغنائم مخصوصة برسول الله وامته قال عفريت من الجن خبيث مارد
من العفر وهو التراب لانه يعفر اقرانه والياء للالحاق بقنديل انا آتيك به
قبل ان تقوم من مقامك اي مجلسك للحكومة وكان يجلس الى نصف النهار واني عليه
لقوي على حمله امين لا اخون في شيء منه فانه كان مكللا بالجواهر قال الذي عنده
علم من الكتاب هو سليمان نفسه واثره في النظم على سليمان اشارة الى ان
بلوغه تلك الرتبة انما هو بشرف العلم انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
الطرف تحريك الجفن وهو مقدمة النظر كما انه مقدمة الرؤية والخطاب للعفريت
كانه استبطأه فقال له ذلك وقيل القائل جبرائيل او آصف بن برخيا وزير سليمان
او كاتبه او رجل كان عنده الاسم الاعظم او هو الخضر فلما رآه مستقرا عنده قايما على
هيأته بين يديه قال هذا من فضل ربي تلقيا للنعمة بالشكر ليبلوني ليعاملني معاملة
المختبر أأشكر ام اكفر بدل من الياء وقد انسلخ عنه الاستفهام ومن شكر فانما يشكر لنفسه
لانه بالشكر يرتبط العتيد ويستجلب المزيد ولذلك قيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد
للمفقودة ومن كفر فان ربي غني عن شكره كريم لا يعاجله بالعقوبة ولا يقطع عنه
بره وافضاله قال نكروا لها عرشها غيروه عن هيأته بان تجعلوا اسفله اعلاه ومقدمه
مؤخره ننظر جواب الامر أتهتدي ام تكون من الذين لا يهتدون الى معرفته و
الى الجواب الصواب وانما غير الاسلوب بعد ام المعادلة لان معرفة الشيء بعد
تغيير هيأته غير عسير على ذوي الفطانة وكانت قد ذكرت لسليمان بسخافة العقل او
الى الايمان اذا رأت العرش قد تقدمها وكانت قد غلقت عليه الابواب ووكلت
به الحرس فلما جاءت قيل أهكذا عرشك القائل سليمان او احد الحاضرين ولم يقل أهذا
عرشك بل أتى بكاف التشبيه اختبارا لعقلها قالت كأنه هو لم تجزم به لاحتمال ان
يوجد الله مثله فدل ذلك على كمال عقلها واوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين عطف على

مقدر

مقدر كانه لما اصابت في الجواب اثنوا عليها وقالوا معترفين بما انعم الله تعالى
عليهم من العلم والايمان قبل اتيانها وبما فضلوا به على مثلها او من كلامها كانها قالت
قيل قبل هذه الواقعة قد صح عندنا نبوة سليمان وقدرة الله تعالى على كل شيء وصدها
ما كانت تعبد من دون الله عن التقدم الى الاسلام ابتداء الكلام منه تعالى وصدها
الله او سليمان عما كانت تعبد من دون الله على نزع الخافض انها كانت من قوم
كافرين استيناف جار مجرى التعليل على الوجهين قيل لها ادخلي الصرح القصر
المرتفع من الصراحة وهو الظهور او عرصة الدار فالصرحة بالتاء فلما رأته حسبته لجة وكشفت
عن ساقيها روي ان سليمان امر الجن قبل قدومها فبنوا قصرا من الزجاج واجرى
تحته الماء والقى فيه دواب البحر لما قيل له انها شعراء الساقين وفي عقلها شيء فاختبر
عقلها بتنكير العرش وساقيها باتخاذ الصرح على الوجه المذكور واراد ان يريها عظم ملكه
وامرا غريبا لم تره في ملكها وتحقيرها بان لبس عليها كما لبست هي عليه في الجواري
والغلمان فاهتدى هو ولم تهتد هي فظهر له الفضل من كل وجه وقرأ ابن كثير في رواية
قنبل ساقيها بالهمز على انها لغة كالؤوا واو حملا للمفرد على الجمع وهو سؤق او على نظيره وهو
الكأس قال انه صرح ممرد من قوارير كان جالسا على السرير في صدر القصر فلما نظر الى
ساقيها ولم يكن بها بأس اخبرها بالواقع الممرد الاملس قالت رب اني ظلمت نفسي
بعبادة غيرك او بظني بسليمان فانها لما ظنت الزجاج لجة تخيلت انه اراد قتلها بالغرق
وقيل انها كانت من جنية فخشي الجن ان تتزوجه لئلا يطلع سليمان على اسرار الجن
واسلمت مع سليمان لله رب العالمين آثرت لفظ الجلالة الدالة على الالوهية الموجبة
للعبادة ولقد ارسلنا الى ثمود اخاهم صالحا ان اعبدوا الله بان اعبدوه فاذا هم فريقان
يختصمون ففاجؤوا الاختصام والتفرق منهم من آمن به ومنهم من كفر كما هو شأن الرسل
في اول البعثة او المؤمن صالح والكافر قومه والوجه هو الاول لقولهم اطيرنا بك وبمن معك
والخصام التنازع قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة اي بالعذاب قبل
الايمان حيث قالوا يا صالح ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين وقيل كانوا
يقولون ان وقع ما يعدنا به صالح آمنا فخاطبهم على وفق اعتقادهم ثم قال لولا تستغفرون الله
قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون اذ حين وقوع العذاب لا ينفع الايمان والتوبة
قالوا اطيرنا بك وبمن معك تشاءمنا بكم لوقوع الشدائد منذ اخترعتم هذا الدين مأخوذ
من زجر الطير وهو البارح الذي يمر من اليمين الى الشمال قال طائركم عند الله اي مقدر
من عنده ليس لاحد فيه تأثير بل انتم قوم تفتنون باعقاب السراء والضراء او بوسوسة
الشيطان اليكم الطير وكان في المدينة تسعة رهط الرهط من الثلثة الى العشرة والنفر
من الثلثة الى التسعة وافراده وان كان تمييز تسعة جمعا لاشتماله على معناه يفسدون
في الارض ولا يصلحون اي كانوا مقصورين على الافساد البحت لا يخلطون به شيئا من

الاصلاح قالوا تقاسموا بالله ای لیقسم بعضکم لبعض علی انه امر ویحتمل الحال بتقدیر قد
علی انه ماض لنبیتنه ای لنهلکنه واهله باللیل مباغتة انتهازا للفرصة وعن الاسکندر
انه قیل فی بیات العدو فقال لیس من ایین الملوک استراق الظفر ثم لنقولن لولیه
قرا حمزة والکسائی بتاء الخطاب فی الفعلین علی ارادة قول بعضهم لبعض والنون
او فوق بقوله ما شهدنا مهلک اهله ان نقسم علی عدم حضورنا وذلک فضلا عن
المباشرة قرا السبعة الا عاصما بضم المیم علی انه مصدر اهلک او اسم مکان
عنه وفتح المیم مع اللام عاصم فی روایة شعبة علی انه مصدر هلک او اسم مکان
منه وکسر اللام فی روایة حفص علی المصدر او اسم مکان علی غیر القیاس
کالمرجع وانا لصادقون واطال صادقون فی الحلف لانا لم نشاهد هلاک اهله
وحدهم ونامیک بفتح الکذب ان الکفار مع کفرهم احتالوا فی الاجتناب عنه ویجوز
ان یکون داخلا فی المقسم علیه فلا یحتاج الی التکلف ومکروا مکرا بهو ما دبروه
ومکرنا مکرا من باب المشاکلة وهم لا یشعرون ان ما دبروه وباله عاید الیهم وذلک
انهم دخلوا دار صالح باللیل وکانت داره ممتلئة بالملائکة فقتلوهم عن آخرهم وقیل
خرجوا بالنهار یظهرون السفر وعادوا باللیل فتسوروا جدران داره فرمتهم الملائکة
بالحجارة فقتلهم وقیل کان لصالح مسجد فی الشعب یصلی فیه باللیل فلما دخلوا الشعب
قاصدین قتله لیعودوا بعد قتله الی اهله فارسل الله علیهم صخرة فطبقت علیهم فلم یدر احد
این ذهبوا ولم یدروا ما فعل بقومهم فعذب الله تعالی کلا فی مکانه فانظر کیف
کان عاقبة مکرهم یا محمد او یا من تاتی منه النظر انا دمرناهم وقومهم اجمعین استیناف
لبیان عاقبتهم وکان اما تامة او ناقصة کیف خبرها وقرا الکوفیون انا بفتح الهمزة
علی ان کان تامة وعاقبة فاعلها وکیف حال او ناقصة وکیف خبرها وحال او الخبر
انا او بدل من الفاعل ان کان تدمیرنا او خبر مبتدا مقدر فتلک بیوتهم خاویة
نصب علی الحال والعامل فیه معنی الاشارة ای خالیة من خوی البطن او ساقطة
من خوی النجم خیا اذا سقطت ولم یمطر فی نوئها بما ظلموا بسبب ظلمهم ان فی ذلک
لآیة لقوم یعلمون حقایق الاشیاء فانهم المتعظون وانجینا الذین آمنوا وکانوا
یتقون احدثوا الایمان واستمروا علی ذلک ولوطا اذکر لوطا او وارسلنا لوطا لدلالة
ولقد ارسلنا علیه اذ قال لقومه بدل علی الاول ظرف علی الثانی اتاتون الفاحشة
وانتم تبصرون ای تبصر بعضکم بعضا کقوله وتاتون فی نادیکم المنکر ولا شک ان الجهر
بالمعصیة اشد فحشا روی ان بعض اکابر الاشراف کان له ابن یجاهر بالخمر فقال
یا بنی الم تسمع قول الحکیم اذا بلیت فاستتر فقال فی جوابه یا ابا دامی عبادة حتی یکون
فی الخلوات وقد الم به ابونواس حیث قال فبح باسم ما تاتی وذرنی من الکنی فلا خیر
فی اللذات من دونها ستر او وانتم عالمون من بصر القلب فان قبح الذنب من العالم

اشد

اشد ائنکم لتاتون الرجال شهوة بیان لاتیانهم الفاحشة وتعلیله بالشهوة اشارة
الی انه من فعل البهایم لان الحکمة فی المواقعة طلب النسل وقضاء الوطر داع الیه ومقصود
بالعرض من دون النساء بل انتم قوم تجهلون مستمرون علی فعل القبیح کمن یجهل قبحه
او تجهلون العاقبة وایثار الخطاب والموصوف هو القوم لیکافحهم بالجهل فانه اشد
توبیخا فما کان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوا آل لوط من قریتکم انهم اناس یتطهرون
عن افعالنا ویستقذرونها وعن ابن عباس انما قالوا ذلک هزوا کما قال قوم شعیب
انک لانت الحلیم الرشید فانجیناه واهله الا امراته قدرناها من الغابرین الباقین
فی العذاب وامطرنا علیهم مطرا فساء مطر المنذرین مطرهم قل الحمد لله وسلام علی
عباده الذین اصطفی لما قص علیه ما انعم علی اخوته من الرسل من الاصطفاء بالرسالة
واهلاک اعدائهم امره بان یحمد وعلی تلک النعمة شکرا لله تعالی اشارة الی انه ما وصل
الیهم وصل الیه فان المؤمنین کنفس واحدة فکیف بالانبیاء وبان یسلم علیهم لحسن
اصطبارهم علی شداید ذوی الجهال وقیامهم باعباء التبلیغ وجعل ذلک تمهیدا للتخلص
الی قصته مع المشرکین ایماء الی ان العاقبة له تقویة لجاشه فی اقامة البراهین علی
وحدانیته تعالی بقوله الله خیر اما یشرکون ساق الکلام هذا المساق تبکیتا لهم الزاما
وتنبیها علی الخطاء المفرط والجهل المورط والا کیف یلتبس تکون الکاینات بالجمادات
امن خلق السموات والارض تفصیل لذلک الخیر وام منقطعة وذکر السموات والارض
تمهید لقوله وانزل لکم من السماء ماء فانبتنا به حدائق ذات بهجة الحدائق جمع حدیقة
وهی البستان الذی له حایط من الاحداق وهو الاحاطة وافراد الذات علی ارادة
الجماعة کقولک النساء ذهبت والبهجة الحسن من بهج بالضم ویجوز ان یکون من بهج
بالکسر بمعنی السرور لان صاحبها یسر بالنظر الیها وانما التفت الی التکلم فی الانبات اشارة
الی انه فعله الخاص الذی لا یمکن اسناده الی غیره ولذلک اکده بقوله ما کان لکم ان
تنبتوا شجرها فضلا عما فیها من المنافع واصناف الفواکه المختلفة لونا وطعما وشکلا وریحة
ولما اثبت الاختصاص به علی الوجه الابلغ قال ءاله مع الله بل هم قوم یعدلون منکرا
ان یکون له شریک وجعل القایل بالشرک عادلا عن نهج الصواب او عادلا به من
لا یستحق امن جعل الارض قرارا مکانا یستقر فیه الحیوان بدل من امن خلق السموات
ترقی الی ما هو اعظم من انبات الحدایق بل لولاه لا یتم الانبات وجعل خلالها انهارا
جاریة وجعل لها رواسی جبالا ثابتة کالاوتاد تمسکها من الاضطراب مع ما فیها من
سایر المنافع وجعل بین البحرین حاجزا بین العذب والملح ءاله مع الله بل اکثرهم لا یعلمون
فلذلک یشرکون به امن یجیب المضطر اذا دعاه خص به اجابتهم عند الاضطرار
ویکشف السوء والمضار ترقی عما تقدم لکونه لصیقا بهم دون واسطة ویجعلکم خلفاء
الارض تنتفعون بها علی ای وجه شئتم مباشرة وامرا ونهیا وهذا اتم واجل موقعا

ولذلك قال أإله مع الله قليلا ما تذكرون فجعل الفاصلة التذكر الذي لا يحتاج الا الى
التفات النفس أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر اذا سافرتم فيها بالنجوم في السماء
وعلامات في الارض ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وهذا من متممات أم
الخلافة لاشتماله على اجابة المضطر وكشف السوء وجلب المنافع الكثيرة وقرأ حمزة والكسائي
وابن كثير الريح بالتوحيد والكوفيون وابن عامر نشرا بسكون الشين وفتح نونه حمزة والكسائي
وعاصم بالباء مكان النون ونافع وابن كثير بضم النون والشين أإله مع الله يقدر
على شيء من ذلك ولما في ذلك من تأثير القدرة القاهرة مع المجاهد تعالى الله عما يشركون
أمن يبدأ الخلق ثم يعيده والاضراب عن ذلك الاسلوب الى ذكر نعمتي الايجاد والاعادة
اللتين كل نعمة دونهما وهما مبدأ لكل نعمة في الدارين والكفرة وان كان بعضهم منكرا
للاعادة الا انه لظهور الادلة بحيث لا يعتد بانكاره فهو محجوج ومن يرزقكم من السماء والارض
اجمال لما تقدمه كقولك القصة أإله مع الله يفعل ذلك قل هاتوا برهانكم على شيء يخالف
ما ذكرنا ان كنتم صادقين في اشراككم تسجيل عليهم بالكذب وان ما يقولون مختلق
وهو النفس قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله اشار الى انه كما تقرر
بالقدرة التامة كذلك متفرد بالعلم الشامل والاستثناء منقطع ورفعه على اللغة التميمية
لظهور انه تعالى منزه عن المكان والحيز وايثار الرفع للدلالة على انه تعالى ان كان ممن
في السموات والارض ففيهم من يعلم من يعلم الغيب مبالغة في نفي علم الغيب عنهم ويجوز
الاتصال بضرب من التأويل اي من تعلق علمه بها واطلع عليها فانه عام فيه تعالى
وما يشعرون ايان يبعثون اي وقت بعثهم الذي هو اهم الامور عندهم تأكيد لنفي علم
الغيب عنهم وايان بمعنى اي فعال من آن بنين والضمير لمن بل ادارك علمهم في
الآخرة افتعال من الدرك وهو الوصول واللحوق وهي قراءة نافع وابن عامر والكوفيين
والمعنى ان ما تتابع علمهم به واستحكم بمعنى استحكام اسبابه وظهور الادلة ان القيامة كائنة
لا محالة وهم عن ذلك معرضون لا علم لهم فانهم من علم الغيب وقرأ ابن كثير وابو
عمرو ادرك على وزن اكرم اي انتهى وتكامل والمعنيان متقاربان ويجوز ان يكون الكلام
على سبيل التهكم لانهم اذ لم يعلموا ما دلت عليه الحجج فيهم عن علم الغيب بمراحل وما روي عن الحسن
ان معنى ادرك علمهم اضمحل يناسب التهكم لان ماله النفي عليهم بل هم في شك منها تحيرون
لا يجزمون بشيء بل هم منها عمون لا يدركون شيئا من دلائلها والاضرابات الثلث
لبيان احوالهم وصفهم اولا بعدم الشعور بوقت البعث ثم ترقى الى انهم لا يوقنون بالآخرة
راسا ثم الى انهم خابطون في شأنها خبط عشواء ثم الى ما هو اسوء حالا وهو عمى البصيرة وقيل
باعتبار الغرق وهذا مختص بالمشركين واسناده الى من في السموات والارض لوقوعه فيهم
كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وقال الذين كفروا أئذا كنا ترابا وآباؤنا أئنا لمخرجون اثر الظاهر
موضع المضمر اشارة الى منشأ ذلك العمى لا غير ولذلك كانت هذه الآية كالبيان للاولى

والعامل في اذا معنى الاخراج الذي دل عليه مخرجون لا هو لان الاستفهام وان واللام
كل منها مانع من العمل فكيف بها مجتمعة لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل اي قبل
محمد والمشار اليه البعث قدم هذا على نحن هنا واخره في سورة المؤمنين لان ما قبله ههنا
أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما فيه دلالة على بقاء بعض الاجزاء على صورتها واما هنا فلا دلالة
على ذلك وقد ضموا الى انفسهم اباءهم ولا شك ان هذا البعد عندهم فاستلزم زيادة
الاعتناء فصار اهم بالتقديم ان هذا الا اساطير الاولين الا فيهم الذي لا حقيقة لها
كالاسمار قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين اي المكذبين والتعبير
بالاجرام ليكون لطفا بالسامعين في ترك الجرائم ولا تحزن عليهم لعدم اتباعهم اياك
ولا تكن في ضيق في حرج صدر وقرأ ابن كثير بكسر الضاد وهما لغتان مما يمكرون لاجل
مكرهم فان الله عاصمك ويقولون متى هذا الوعد اي العذاب الموعود استعجالا
منهم ان كنتم صادقين في قولكم ان لم تؤمنوا تعذبوا قل عسى ان يكون ردف
لكم بعض الذي تستعجلون اي تبعكم كل شيء تبع آخر فهو ردفه ومن ثم سمي الليل والنهار
ردفين واردف لغة منه قال شعر اذا الجوزاء اردفت الثريا وعسى ولعل وسوف
في كلام الملوك تدل على الوقوع قطعا والمراد ما وقع عليهم يوم بدر من القتل والاسر وان
ربك لذو فضل على الناس بتأخير العذاب ولكن اكثرهم لا يشكرون نعمة الامهال ويستعجلون
العذاب وان ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون من المكايد وانواع المكر تسلية للرسول
وتقوية لجاشه بعد ان قدم قوله ولا تكن في ضيق مما يمكرون وما من غائبة في السماء والارض
الا في كتاب مبين برهان على احاطة بما يكن صدورهم لانه من جزئيات ذلك الغائب
والتاء للمبالغة كما في الراوية او للنقل من الوصفية الى الاسمية كما في الذبيحة والنطيحة والوجه
الاول والكتاب المبين اللوح او علمه الشامل ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل
اكثر الذي هم فيه يختلفون لما كان القرآن اعظم معجزاته وكان الاعجاز فيه من وجوه اشار
الى الوجه الذي هو اعرف في الاعجاز وهو الاخبار عن احوال الكتب السماوية فان المنزل
عليه امي لم يزاول دراسة الكتب وما اختلفوا فيه احوال الجنة والنار وامر عيسى وعزير قيد
بالاكثر لان بعضه باطل في بادي الرأي فلا حاجة الى ابطاله وانه لهدى ورحمة للمؤمنين
لانهم المنتفعون به ان ربك يقضي بينهم بين من آمن ومن كفر بحكمه اي بعدله او بحكمته
وهو العزيز الغالب فلا يرد قضاؤه العليم بالامور كما هي فتوكل على الله بعد ما تبين
انك رسول بالكتاب الذي هو ابهر معجزاتك انك على الحق المبين علة للتوكل فان
صاحب الحق مؤيد انك لا تسمع الموتى كلام مستأنف تسلية لرسول الله وانه قد بلغ الرسالة
فلا عليه بعد ذلك فانهم مختوم على قلوبهم شبه بحال الميت حيث لا يسمعون سماع تدبر وقيل
تعليل ثان للامر بالتوكل كأنه قيل اتباعهم اياك امر قد ايس منه فلم يبق الا الاستظهار عليهم
والاستغناء اثرهم فان قلت روى البخاري ان رسول الله وقف على قليب بدر ونادى القتلى

باسمائهم وقال هل وجدتم ما وعد ربکم حقا فانی قد وجدت ما وعدنی ربی حقا فقال له عمر تنادی اجسادا لا ارواح لها فقال ما انتم باسمع منهم ولکن لا یقدرون علی الجواب فکیف التوفیق بینه وبین الآیة قلت بناء الکلام هنا علی المتعارف تسلیة لرسول الله الا تری انه قد شرع السلام علی المقابر واذا کان له احساس بالعذاب فما المانع من السماع ولا تسمع الصم الدعاء قرا ابن کثیر یسمع بیاء الغیبة مضارع سمع ورفع الصم والباقون بالخطاب من اسمع مسندا الی النبی وهو اوفق بالمقام واقوی معنی اذا ولوا مدبرین فان اسماعهم فی تلک الحالة ابعد وفیه اشارة الی غایة بعدهم عن الایمان وما انت بهادی العمی عن ضلالتهم لان اهتداء الاعمی مستحیل قرا حمزة تهدی العمی بالفعل المضارع ونصب العمی ان تسمع الا من یؤمن بآیاتنا فانه یسمع سماع تدبر وینظر نظر اعتبار فهم مسلمون مخلصون ظاهرا وباطنا واذا وقع القول علیهم اسند فی الایة التوحید والمبداء والمعاد ونبوة المخبر الصادق افاض فی بیان احوال القیمة وآیات الساعة والقول هو الوعد بقیام الساعة والمعنی وقوعه ثبوت معناه ووجوبه اخرجنا لهم دابة من الارض ای دابة عظیمة المنظر والشان وقد ذکر فی وصفها اشیاء والذی صح فی الحدیث انها دابة طولها ستون ذراعا ذات قوائم اربع فیها الوان الحیوانات یتصدع جبل الصفا فتخرج منه والناس سائرون الی منی او فی روایة تخرج من ارض الطایف معها عصی موسی وخاتم سلیمان لا یدرکها طالب ولا یعجزها هارب تضرب بالعصا فی وجه المؤمن یکتب فیه مؤمن وتطبع وجه الکافر بخاتم سلیمان یکتب فیه کافر تکلمهم یا فلان ویا فلان بلسان عربی وقیل ان الناس کانوا بآیاتنا لا یوقنون کلامها عند خروجها تحکی کلام الله الدال علی وقوع آیات الساعة التی هی منها او هی کلامها حکاه الله تعالی تقدیر حذف المضاف ای بآیات ربنا او لکونها من خواص خلقه اضافة الآیات الی نفسها کما یفعله خواص الملوک من اضافة لملوک الی انفسهم وقرا الکوفیون بالکسر استینافا او جارا مجری العلة ویوم نحشر من کل امة فوجا جماعة ممن یکذب بآیاتنا بیان للفوج ومن الاولی للتبعیض فهم یوزعون یحبسون لیلحق بهم اواخرهم والمعنی ان الله یحشر من کل امة رؤساءها بین یدیهم الی شفیر جهنم حتی اذا اجتمعوا کبکبوا کلهم فیها وعن ابن عباس رضی الله عنه ابو جهل والولید بن المغیرة وشیبة بن ربیعة یساقون بین یدی مشرکی مکة حتی اذا جاؤا الی المحشر قال اکذبتم بآیاتی ولم تحیطوا بها علما الواو للحال ای کذبتم بآیاتی مفاجاة من غیر تدبر فیها لیظهر لکم انها جدیرة بالتکذیب ام التصدیق ام عاطفة ای جمعتم بین التکذیب وعدم النظر والتامل فیها فان من ورد علیه کتاب من صاحب وان لم یصدق بانه کتابه لا یقصر عن الاحاطة بما فیه فالنکر فی الوجه الاول التکذیب بادی الرای وفی الثانی التکذیب وعدم القاء الذهن ام ماذا کنتم تعملون الظاهر ام صدقتم عدل الی المنزل دلالة علی انتفاء الشق الثانی وانه انما جیء به للتبکیت کانه قیل اما بعد من التکذیب ام حدث امر آخر ولذلک ادخل ام علی ما الاستفهامیة الدالة علی الشک

والتردد

والتردد وصفا ووقع القول علیهم بما ظلموا ای العذاب بسبب ظلمهم فهم لا ینطقون لشغلهم بالعذاب وهذا حین وقوع العذاب فلا ینافی محاجتهم قبله کقوله انظر کیف کذبوا علی انفسهم بعد قولهم والله ربنا ما کنا مشرکین الم یروا انا جعلنا اللیل لیسکنوا فیه بالنوم والاستراحة والنهار مبصرا مجاز حکمی لان الابصار لمن فی النهار ان فی ذلک لآیات لقوم یؤمنون حملهم الایمان والاستدلال بآثار الصانع الدالة علی وجوده ووجوبه وتوحده وذلک ان من قدر علی ترتیب اللیل والنهار وابدال النور من الظلمة وبالعکس علی هذا النظام والنمط قادر علی ابدال الموت بالحیوة مع ان النوم نوع من الموت والشمس روح العالم فای دلالة اوضح من هذه الدلالات ویوم ینفخ فی الصور هو القرن الذی بید اسرافیل وقیل لانبعاث الموتی بانبعاث الجیش اذا نفخ فی البوق ففزع من فی السموات ومن فی الارض عبر بالماضی لتحقق وقوعه لکونه کلام من لا خلف فی قوله الا من شاء الله بان یثبت قلبه قیل هم جبرائیل ومیکائیل واسرافیل وملک الموت وقیل الحور والخزنة وحملة العرش وقیل الشهداء فانهم احیاء عند ربهم وقیل موسی ولا یستقیم الا اذا کانت نفخة الفزع نفخة الصعق علی ان النفخات ثلث ودل علیه حدیث لطم الیهودی وهی نفخة الفزع فانهم یموتون من شدة الخوف ونفخة البعث هذا ما ذکروه والظاهر من لفظ یصعقون ویوم القیمة ولفظ نعق انه لیس لموت کل اتوه ای الموقف بعد النفخة الثانیة او الله بالانقیاد والرجوع الیه وقرا حمزة وحفص اتوه علی صیغة الفعل واسم الفاعل هو المختار لکون الاصل فی الافراد مع قوة المعنی داخرین صاغرین اذلاء وفی الحدیث لم یر الشیطان احقر من یوم عرفة لما یری من کثیر عفو الله عن عباده الا ما کان من یوم بدر وتری الجبال تحسبها جامدة ثابتة فی مکانها وهی تمر مر السحاب ای تسیر سیرا حثیثا فان الاجرام الثقال اذا تحرکت فی سمت لا یکاد یظهر حرکتها والیه اشار النابغة فی وصف جیش کثیف بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج والرکاب تهملج صنع الله مصدر مؤکد لقوله تمر مر السحاب وقیل مصدر مؤکد لناصب یوم ینفخ تقدیره ویوم ینفخ فی الصور اثاب الله المحسنین وعاقب المجرمین ثم قال صنع الله ای الاثابة والعقاب وهذا لا یستقیم باعتبار امتداد ذلک الیوم الذی اتقن کل شیء احکمه انه خبیر بما تفعلون مستانف کانه قیل ماذا یکون بعد تلک الاهوال فقیل انه خبیر بمواطن افعالکم فیجازیکم علی قدرها وقرا ابن کثیر وابو عمرو وهشام عن ابن عامر یفعلون بیاء الغیبة جریا علی سنن اتوه والخطاب احسن لقرب وتری الجبال ثم فصل ذلک المجمل بقوله من جاء بالحسنة فله خیر منها اذ اقل ما یقابلها عشر امثالها الی سبعمائة الی ما شاء الله تعالی وهم من فزع یومئذ آمنون ای من الخلود فی النار علی ما روی عن ابن عباس رضی الله عنه ان الحسنة هی کلمة الشهادة او الهول العظیم لقوله لا یحزنهم الفزع الاکبر قرا الکوفیون فزع منونا وهو احسن للتهویل

بالابهام وقرا نافع والكسائي بفتح الميم في يومئذ لكونه مبنيا لاضافته الى المبني ومن
جاء بالسيئة اي بالشرك فكبت وجوههم في النار القوا فيها منكوسين ويكون اول
ما يصل الى النار اشرف اعضائهم التي استكبروا ان يعفروها بالسجود ولله وفي الكبت
معنى اللزوم والازدحام ولذلك سميت الحجامة كبة هل تجزون الا ما كنتم تعملون
على الالتفات او بتقدير القول وفايدته الاعلام بان الله ليس بظلام انما امرت ان
اعبد رب هذه البلدة الذي حرمها امره بهذا الكلام اشارة الى انه قد ادى ما عليه
فلم يبق له شان الا الاستغراق في العبودية التي هي اشرف صفات العبد وفي وصف
البلد بالتحريم اشعار بانه اولى بتعظيم قدره فانهم سكانه وبه يفتخرون على ساير الناس
واسم اشارة القرب للتعظيم وانما وصف ذاته تعالى دون البلدة لان اجراء
الوصف عليه تعالى يدل على عظم الوصف وعظم ما تعلق به الوصف ولا كذلك لو
وصفت البلدة وله كل شيء خلقا وملكا لا البلدة وحدها وامرت ان اكون من المسلمين
المنقادين لاوامره المخلصين له الدين وان اتلو القرآن وان اداوم على تلاوته ليظهر لي
اسرار كنوزه او اتبعه من التلو اي اتبعه لقوله واتبع ما يوحى اليك فمن اهتدى بعد البيان الشافي
فانما يهتدي لنفسه فان نفعه لا يتجاوزه ومن ضل فقل انما انا من المنذرين لا غير فلا علي من
وبال ضلالته شيء وقل الحمد لله على ما خصني به من رتبة الرسالة او وفقني له سيريكم آياته
القاهرة من القتل والاسر تهديد لهم فتعرفونها انها آياته لكونها من الخوارق التي لا يقدر عليها
غيره وقيل هو كقوله سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم على هذا التهديد وما ربك بغافل عما
تعملون وعد لمن آمن وشكر ووعيد لمن تولى وكفر قرا نافع وابن عامر وحفص بالخطاب
جريا على الخطاب سورة القصص مكية وهي ثمان وثمانون آية في [illegible]
بسم الله الرحمن الرحيم طسم اسم للسورة او حروف مقطعة للاتعاظ تلك آيات الكتاب
المبين اي آيات السورة آيات الكتاب الواضح اعجازه نتلو عليك بلسان جبرائيل من نبا
موسى وفرعون بعض نباهما بالحق او ملتبسا به محقين لقوم يؤمنون لانهم المنتفعون بذلك جاء
شيعهم ويعلموا ان العاقبة لهم ان فرعون علا في الارض استئناف كانه قيل كيف نباهما
والارض ارض مصر لم يتجاوز حكمه منها وجعل اهلها شيعا فرقا يشيعونه فيما يريد ويطيعونه او يجعلهم
اصنافا في خدمته يعين لكل طايفة نوعا او جعلهم احزابا بان اغرى بعضهم على بعض والقى
بينهم العداوة لئلا يتفقوا عليه يستضعف طايفة منهم هم بنو اسرائيل حال من فاعل جعل او صفة
شيعا او كلام مستانف يذبح ابناءهم ويستحيي نساءهم بدل من يستضعف انه كان من
المفسدين ولذلك كان يقتل بلا فايدة لان الكاهن الذي اخبره انه يولد منهم مولود يكون
ذهاب ملكه على يديه ان كان صادقا فاي فايدة في قتل الاطفال وان كان كاذبا فلا وجه له
ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ارض مصر عطف على قوله ان فرعون علا
في الارض وداخل تحت النبا ولا يجوز عطفه على نتلو لاستلزامه خروجه عنه وهو منه بل عطفه واسمه

وكذا

وكذا عطفه على يستضعف سواء جعل حالا عن ضمير جعل او صفة لشيعا او كلاما مستانفا وقيل
حالا من ضمير يستضعف بناء على ان ارادة الله يجوز تعلقها بتكوين شيء مترتب الوجود وفيه
ان المضارع المثبت لا يقع حالا مع الواو وتقدير المبتدا تكلف ونجعلهم ائمة يقتدى بهم
في الدين وعن قتادة ولاة لقوله وجعلكم ملوكا ونجعلهم الوارثين ملك فرعون وقومه
ونمكن لهم في الارض ارض مصر والشام تمكنت لشيء جعلت له مكانا ثم استعمل في التسلط و
الاطلاق في التصرف ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون من زوال
ملكهم على يد مولود من بني اسرائيل وقرا حمزة والكسائي يرى بفتح الياء والف ممالة مضارع راى
ورفع الاسماء الثلثة على الفاعلية والنون اشد تهويلا واوفق بالافعال السابقة واللاحقة
واوحينا الى ام موسى بالهام او رؤيا وعن الامام الماتريدي يجوز ان يكون بارسال
ملك كما ارسل جبرائيل الى مريم وكلمها شفاها ان ارضعيه ما امكنك فاذا خفت عليه فالقيه
في اليم في نيل مصر ولا تخافي عليه ضيعة والخوف لشدة او لا خوف القتل ولا تحزني لفراقه
الخوف غم يلحق الانسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع او فايت انا رادوه اليك
تسلية لها وجاعلوه من المرسلين بشارة بارسالها غبطة وسرورا روي انها لما ضربها الطلق
دعت قابلة من الموكلات بحبالى بني اسرائيل وكانت مصافية لها فلما وضعته رأت
القابلة نورا ساطعا بين عينيه واحبته حبا شديدا وقد تقدم في قوله تعالى والقيت عليك محبة
مني انه لم يره احد الا احبه فقالت لام موسى كنت ما جئت الا لاخبر فرعون بولادته ولكن
دخل في قلبي حبه فاحفظيه لئلا يراه عيون فرعون وسعاته فاخفت شانه وارضعته ثلثة
اشهر فلما الح فرعون في طلب المواليد اوحى الله تعالى اليها فجعلته في تابوت والقته في اليم
فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا لم يلتقطوه الا ليكون لهم قرة عين لكن لما لم
يترتب على الالتقاط الا ذلك شبه بما يكون مقصودا او غرضا من الفعل فاستعير له اللام
كما استعار الاسد لمن يشبه الحيوان المعروف في الجراءة وقرا حمزة والكسائي حزنا بضم الحاء
واسكان الزاي وهما لغتان والفتح لغة الحجاز الشايعة ان فرعون وهامان وجنودهما
كانوا خاطئين مستمرين على خلاف الصواب فليس ببدع منهم ان ربوا من يكون زوال
ملكهم على يديه بعد ان قتلوا الوفا من خوفه او كانوا مجرمين من الخطاء وهو الاثم ولذلك
عاقبهم الله بان ربى على يديهم من يكون سببا لهلاكهم فالكلام مستانف للتعليل واللام على هذا
جارية على اصلها كانه قال وتربى من دبر ليكون لهم موسى عدوا وحزنا لانهم كانوا مجرمين احقاء
بذلك وقالت امراة فرعون قرة عين لي ولك اراد قتله قالت له ذلك وجزمت به
لانها رأت منه مخايل النجابة وقيل كانت لفرعون بنت برصاء فعجزت الاطباء عن علاجها
وقالوا شفاؤها من ريق حيوان في البحر شبه الانسان فلما اخرجوه من البحر لطخوها بريقه فبرئت
عن العوذ لا تقتلوه الخطاب لفرعون والجمع للتعظيم او للموكلين بقتل الولدان عسى ان
ينفعنا لما رأوا فيه من دلايل اليمن واثر النجابة وساطع البرهان او نتخذه ولدا نتبناه فانه خليق

لان يكون من اولاد الملوك وهم لا يشعرون حال من آل فرعون اي التقطوه وهم لا يشعرون
انهم على خطأ عظيم في ذلك وقوله ان فرعون اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه
مؤكد خطائهم واصبح فؤاد ام موسى فارغا خاليا من العقل لما سمعت بوقوعه في يد فرعون
وفيه دليل على ان القلوب مراكز العقول ان كادت لتبدي به اي بامر موسى من فرط
الوله والضجر لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر القلب وسط الفؤاد وانما ذكر الفؤاد اولا
لان فراغه يستلزم فراغ القلب ولم يكتف به في الربط مبالغة في سلب القلق والاضطراب
عنها او اصبح فؤادها فارغا من الحزن حين سمعت بان فرعون عطف عليه وتبناه
وكادت تظهر شانه فرحا وسرورا لولا ان الله سكن جاشها واذهب قلقها لتكون من
المؤمنين المصدقين بوعد الله حين قال لها انا رادوه اليك او لتكون واثقة بحفظ الله
وكلاءته لا بتبني فرعون وقالت لاخته مريم قصيه تتبعي اثره لتعلمي ما يفعل به فبصرت به عن
جنب فقصت اثره فراته من بعيد وهم لا يشعرون انها جاءت لتقص اثره او انها اخته
وحرمنا عليه المراضع من قبل قبل مجيئها مجاز عن المنع فان من حرم عليه شئ فقد منع عنه
والمراضع جمع مرضع وهي المرأة التي ترضع او مرضع اسم مكان او مصدر فقالت هل ادلكم على
اهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون لا يقصرون في تربيته روي ان هامان قال انها لتعرفه
فقالت انما اردت انهم للملك ناصحون وما يقال ان مرجع الضمير مختص بلغة العرب ساقط
لعدم الاختصاص ولان فرعون كان من العمالقة وهم كانوا يتكلمون بالعربية فرددناه
الى امه روي انها لما جاءت وجدت على يد فرعون يعلله فناولته منه والتقمه الثدي
فقال فرعون من انت منه فانه ابى كل ثدي الا ثديك فقالت اني امرأة طيبة الرائحة
طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها والكلام في انها كيف اخذت
الاجر مبني على اختلاف الشرائع بل المذاهب في ذلك مختلفة او انه كان مال حربي كي تقر
عينها ولا تحزن بفراقه ولتعلم ان وعد الله حق علما زال معه الشبهة ولكن اكثرهم
لا يعلمون ان وعد الله حق فيرتابون استدراك مما وقع بعد العلم وفيه تعريض بام موسى
حيث اصبح فؤادها فارغا بعد سبق وعد الله تعالى او من العلم اي ولتعلم ان الرد انما كان
لهذا الغرض وهو علمها بصدق وعد الله وما عداه من قرة العين وذهاب الحزن مع
ولما بلغ اشده المبلغ الذي لا يزيد عليه نشؤه وذلك اربعون سنة مفرد على وزن الجمع وعند
سيبويه جمع شدة واستوى اعتدل جسمه وعقله اتيناه حكما نبوة وعلما علم الشرايع واحوال
الامم هذا حال في القصة فلا ينافي كون نبوته بعد مراجعته من عند شعيب وكذلك
نجزي المحسنين وكما جازينا موسى وامه على احسانهم نجزي سائر المحسنين ودخل المدينة مدينة
فرعون وهي مصر فان قلت اين كان حتى قال ودخل المدينة قلت كان ياجرهم بعد الله
خاليا كما كان يفعله رسول الله بغار حراء ولا دخل الا الضرورة مستخفيا ولذلك قال على
حين غفلة من اهلها اي بين العشائين او وقت القيلولة وقيل لما كان ايام قصر

فرعون

فرعون وقيل من الاسكندرية فوجد فيها رجلين يقتتلان يختصمان في الدين هذا من
شيعته وهذا من عدوه اي احدهما من قبطي والاخر سبطي واسم الاشارة لتصوير الحكاية
في صورة الحاضر فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى عليه السلام
بعد ما دعاه الى الحق فلم يرعو والوكز الضرب بجمع الكف وفي حديث المعراج فجاء جبرائيل
فوكز بين كتفي فقضى عليه قتله اصل القضاء اتمام الشئ قولا او فعلا قال هذا من عمل الشيطان
اي قتل القبطي سماه عمل الشيطان لانه لم يكن مامورا بقتله او لكونه مامونا بينهم وذلك لا يقدح
في عصمته لانه كان خطأ لم يقصد به كره القتل واستغفاره وعده ظلما وعمل الشيطان وتسمية
نفسه ضالا على دأب المقربين في عد المحقرات عظائم انه عدو مضل مبين لا اشتباه فيه
قال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له بعد الاستغفار انه هو الغفور كثير الغفران الرحيم
وافر الرحمة قال رب بما انعمت علي من المغفرة وغيرها لاتوبن قسم محذوف الجواب او استعطاف
اي بحق ما انعمت علي اعصمني فلن اكون ظهيرا للمؤمنين لمن اعانته تؤدي الى الاجرام
كمظاهرة الاسرائيلي وقيل اراد مظاهرة فرعون فانه كان يركب معه ويكثر سواده فاصبح
في المدينة خائفا يترقب المكروه من الاستقادة وغيرها مما يقال فيه فاذا الذي استنصره بالامس
يستصرخه يستغيث به على قبطي اخر يشاجره قال له موسى انك لغوي مبين شديد الغواية
ظاهرها لانك بالامس تسببت في هلاك رجل والان يسعى في هلاك اخر فلما ان اراد ان
يبطش بالذي هو عدو لهما لموسى وللاسرائيلي قال يا موسى اتريد ان تقتلني كما قتلت
نفسا بالامس اي قال الاسرائيلي لما سماه غويا وهم بالبطش به ظن انه يقصده
فنم عليه او القبطي لما سمع قول موسى للاسرائيلي انك لغوي مبين وكان قتل القبطي قد
اشتهر ولم يعلم قاتله ففهم انه القاتل ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض تقتل الناس
على الغضب او متكبرا لا يتواضع لامر الله وما تريد ان تكون من المصلحين بين المتخاصمين
فان شان المصلح الدفع بالاحسن لا قتل احد الخصمين وجاء رجل من اقصى المدينة يسعى
بعد وصفه رجل او حال من الرجل لانه نكرة موصوفة فان قلت في سورة يس وجاء من
اقصى المدينة رجل يسعى بتقديم الجار والمجرور على عكس ما وقع هنا فما وجه اختصاص كل بموضعه
قلت الكلام هنا جار على اصله وانما غير هناك لان مساق الحديث لبيان سوء معاملة
اهل القرية الرسل فكان مظنة ان يتردد السامع هل هناك من فيه خير ام الكل على الباطل
فلذلك قدم ذكر الرجل الداعي الى اتباع الرسل قال يا موسى ان الملأ اي اشراف قوم
فرعون يأتمرون بك اي يتشاورون لاجلك الائتمار التشاور لان كلا من المتشاورين
يأمر صاحبه بما يظهر له من الرأي ليقتلوك قصاصا عن القبطي الذي قتلت فاخرج اني لك
من الناصحين اللام للبيان كما في سقيا لك وليست صلة للناصحين لان معمول الصلة
لا يتقدم على الموصول فخرج منها من مصر خائفا يترقب اللحوق به قال رب نجني من القوم
الظالمين خلصني منهم ولما توجه تلقاء مدين صوبه وما يحاذيه مأخوذ من اللقاء ومدين

قرية شعيب سميت باسم بانيها مدين بن ابراهيم وبينها وبين مصر ثمان او سبع مراحل
قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل اى الطريق السواء والسواء العدل الذى لا انحراف
فيه كان قاصدا مدين ولم يعرف الطريق وقيل لم يكن قاصدا لمكان معين بل اخذ
طريقا يوصله الى اى بلد كان فسنح له ثلث طرق فاخذ فى اوسطها فجاء الطلب فى اثره
فاخذوا فى الاخيرين ولما ورد ماء مدين بئر لهم معروفا يقال وردت الماء اذا جئت للشرب
والورود بكسر الواو ذلك الماء وجد عليه اى على مكان قريب منه امة من الناس جماعة
من ناس مختلفين يسقون اى مواشيهم ووجد من دونهم اى فى ادنى مكان منهم
امرأتين تذودان تمنعان اغنامهما عن الورود حذف المفعول لمجرد الاختصار وقيل
لان الفعل هو المقصود وذلك لان الترحم انما كان لكونهما على الذود واما ان مذودهما غنم
او غيره فلا دخل له فى ذلك وهذا اذا لم يلاحظ اضافة المفعول واما اذا لوحظ فلا شك ان
ترحمه انما كان لكونهما على ذود غنمهما والقوم على سقي مواشيهم حتى لو كان القوم على سقي غنمهما
وهم على ذود مواشيهم لم يكن للترحم وجه قال ما خطبكما اى ما الموجب لمنعكما الخطب الامر
المهم الذى يقع الخطاب فى شأنه قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء الصدر بفتح الدال
الرجوع بعد الورود وقرأ نافع وابن كثير والكوفيون بضم الياء وكسر الدال من الاصدار وهو
رد المواشي بعد الارواء والفتح اولى لان الغاية رجوع القوم تارة المواشي وللسلامة عن
الحذف وابونا شيخ كبير لا يستطيع الخروج للسقي فيه استعطاف ورفع لما يتوهم من العار فى
استرعاء العواتق فانه مخل بالمروة فسقى لهما ثم تولى الى الظل ظل سمرة فقال رب انى لما انزلت
الى من خير فقير اى لاى شئ انزلته من قليل وكثير محتاج وانما عدى الفقير باللام لتضمينه معنى
السؤال قيل ما قال هذا الكلام الا وكان يرى خضرة البقل فى بطنه من الهزال والمعنى انى
لاجل ما انزلت الى من المعرفة بك وبصفاتك صرت فقيرا من خير الدنيا فعلى هذا يكون
تبجحا منه وسرورا بالحالة كما هو دأب النفوس القدسية فجاءته احديهما تمشى على استحياء على
وجه الحياء والخفر مغطية رأسها كما هو دأب العواتق لا سيما بنات الانبياء قالت ان ابى
يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا لم يكن اجرا حقيقة بل ارادت المكافاة على الاحسان
ولو كان اجرا لم يقدح فى كمال موسى لانه كان محتاجا وقيل بل لم يتناول طعامه لما قدم
اليه وقال انا اهل بيت لا نأخذ على المعروف ثمنا فقال شعيب كذلك عادتنا مع كل
وارد علينا فلما جاءه وقص عليه القصص مصدر كالعلل بمعنى المقصوص اى ما جرى
من امره قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين فرعون وقومه فان حكم فرعون لم يتجاوز
بلدة قبطا قالت احديهما وهي التى دعته الى ابيها وهي الكبرى واسمها صفرا واسم الصغرى ع
صفيرا يا ابت استأجره لرعي الغنم ان خير من استأجرت القوي الامين قال ابوها
من اين علمت قوته وامانته قالت اما قوته فحيث رفع الحجر من رأس البئر وحده وكان
لا يقله الا جماعة واما الامانة فانى كنت امشى امامه فقال امشى خلفى وانعتي لى الطريق وانا

جعل

جعل خيرا اسما مع كون القوي الامين اعرف عناية لجعلته الاجير واثرت الماضي للدلالة
على انه امر مجرب معروف وعن ابن مسعود رضى الله عنه افرس الناس ثلثة صاحب
يوسف حيث قال عسى ان ينفعنا وبنت شعيب وابو بكر حين استخلف عمر قال
انى اريد ان انكحك احدى ابنتى هاتين على ان تأجرنى ثمانى حجج اى نفسك ثمانى
سنين جمع حجة سميت السنة بها لاشتمالها عليها وهذا كان مؤامرة بينهما لا نكاحا واما
اجارة الحر فى المهر قال به الشافعى ومنعه ابو حنيفة رحمهما الله ولعل الشرائع فى ذلك
مختلفة او كان المهر شيئا آخر وانما اراد ان يكون راعى غنمه لامانته وقوته فان اتممت
عشرا فمن عندك تفضلا وهذا يدل على ان المهر كان اجارة نفسه وما اريد ان اشق
عليك بان اكلفك ما يوقعك فى التعب ويحرجك وهذا شأن الانبياء فى
امورهم ومعاملاتهم وعن السائب بن يزيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
شريكى فكان خير شريك لا يدارى ولا يمارى ولا يشارى ستجدنى ان شاء الله
من الصالحين الوافين بالعهد مع حسن المعاشرة ولين الجانب قال ذلك
بينى وبينك اى الذى شارطتنى عليه قائم بيننا لا اخرج عنه انا ولا تخرج انت
ايما الاجلين قضيت فلا عدوان على بطلب الزيادة اى كما انى ان قضيت الاطول
الاجلين لا اطالب بالزيادة فكذا ان قضيت اقصرهما لا تطالبنى بالزيادة والله
على ما نقول وكيل شاهد حفيظ فلما قضى موسى الاجل اطول الاجلين رواه البخاري
روى ان شعيبا كان عنده عصى الانبياء فامر موسى ان يدخل البيت ويأخذ احديها
فدخل فخرج بواحدة وكان شعيب قد كف بصره فمسها فوجد العصا الذى هبط بها
آدم من آس الجنة فقال ردها وخذ غيرها فردها سبع مرات فلم يقع فى يده غيرها
وعن الكلبى انها كانت من الشجرة التى نودى منها شجرة العوسج وعن الحسن
ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا ولما اصبح قال له شعيب اذا وصلت
الى مفرق الطريق فلا تأخذ ذات اليمين لان هناك تنينا اخاف عليك منه
فلما وصل اخذ الغنم ذات اليمين فلم يقدر على كفها فتبعها فاذا ارض وارف لم ير
مثله فنام موسى فاقبل التنين فحاربته العصا فقتلته فاستيقظ موسى فابصر العصا دامية
فرجع الى شعيب واخبره الخبر ففرح بذلك وعلم ان لموسى وللعصا شأنا ثم قال انى
وهبت لك نتاج غنمى هذا العام كل ادرع ودرعاء فجاء النتاج كله على الصفة المذكورة
فوفى له بالشرط وسار باهله قاصدا مصر وكان بها هارون واخته مريم وامه وسائر اقربائه
آنس من جانب الطور نارا اى من الجهة التى فى صوب الطور الايناس الابصار
فى الموضع الذى لا يعهد قال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بخبر بخبر الطريق
او جذوة من النار هى العود الغليظ سواء كان فيه نار او لا والشعلة من النار ايضا
وقرأ حمزة بضم الجيم وعاصم بالفتح والباقون بالكسر وهى لغات لعلكم تصطلون تستدفئون

بها فلما اتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن شاطئ الوادي جانبه ولا يجمع والايمن
الذي يقع في صوب اليمين والوادي المقدس يقع في جانب يمين الذاهب الى مصر
في البقعة المباركة حال من الشاطئ او صلة نودي من الشجرة من ابتدائية والجار
والمجرور بدل من قوله من شاطئ بدل الاشتمال ان يا موسى اي يا موسى اني انا الله
رب العالمين فان قلت قد قال في طه اني انا ربك وفي النمل انه انا الله وهنا
اني انا الله بالفاظ مختلفة والقصة واحدة قلت قد خاطبه في ذلك الموطن بهذه
الالفاظ كلها وذلك انه كان ابتداء رسالته فبسط الكلام معه وعرفه بعض صفاته
العليا ونقل بالمعنى في بعض المواضع وان الق عصاك فلما رآها تهتز تضطرب
كانها جان حية صغيرة في السرعة وان كانت ثعبانا عظيم الهيئة ولى مدبرا ولم يعقب
هرب ولم يرجع من شدة الخوف يا موسى اقبل ولا تخف انك من الآمنين نودي
بهذا الكلام ليسكن روعه اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء من غير آفة
برص واضمم اليك جناحك كناية مستعار من ضم الطائر جناحه لعدم الخوف
فان الطائر اذا خاف نشر جناحه وما قيل ان يديه كانتا مبسوطتين يتقي بهما الحية
ففيه انه لما رآها تهتز ولى مدبرا ولم يتقابل الحية من الرهب اي لاجل الرهب وقرأ
ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي بضم الراء والكوفيون وابن عامر باسكان الهاء
والتخفيف فذانك برهانان العصا واليد قرأ ابن كثير وابو عمرو فذانك بنون مشددة
زادوا على نون التثنية نونا آخر بدلا عن لام ذلك والباقون بفتح الراء والهاء
هو الشائع المختار من ربك كائنا او مرسلا بهما منه الى فرعون وملائه انهم كانوا
قوما فاسقين خارجين عن طاعة ربهم فهم احقاء بالانذار قال رب اني قتلت
منهم نفسا فاخاف ان يقتلون واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي
ردءا يصدقني الردء العون والناصر قرأ نافع ردا بنقل حركة الهمزة وقرأ عاصم
وحمزة يصدقني بالرفع والباقون بالجزم لكونه جواب الامر وهو المختار لبقاء الردا
على الاطلاق في التصديق اي اخاف ان يكذبون في دعوى الرسالة فان قلت
اذا كذبوا موسى مع العصا واليد البيضاء فما فائدة تصديق هارون قلت ليس المراد
من تصديقه ان يقول صدقت بل المراد قال سحبان وائل وباقلا فيه سواء بل التصديق
مجاز عن تلخيص الحجة وازاحة الشبهة لكونه افصح من موسى او المراد تصديق المرسل
اليهم اي يصدقوني واسناده الى هارون اسناد الى السبب ويؤيده اني اخاف
ان يكذبون قال سنشد عضدك باخيك سنقويك به من باب الكناية لان اليد
يشتد بالعضد لانه قوامها والشخص يشتد باشتدادها واستعارة تمثيلية بان شبه
حال موسى في تقويه باخيه بحال اليد في اشتدادها بالعضد ونجعل لكما سلطانا غلبة
او حجة واضحة فلا يصلون اليكما بمكروه باياتنا متعلق بنجعل او نسلطكما بآياتنا او بلا يصلون

على معنى

على معنى تمتنعون منهم باياتنا او هو قسم محذوف الجواب لدلالة لا يصلون عليه
او القسم الذي يتوسط الكلام فلا يحتاج الى الجواب او صلة لما بعده انتما ومن اتبعكما
الغالبون لا له لعدم جواز تقدم الصلة على الموصول فلما جاءهم موسى باياتنا بينات
قالوا ما هذا الا سحر مفترى اختلقه من تلقاء نفسه صفة مخصصة او ظاهر افتراؤه لاشتباهه
بالمعجزة من باب نعجة انثى او مفترى كسائر انواع السحر وصفه بالافتراء تغليب لانه
من صفة الاقوال والسحر اعم وما سمعنا بهذا في آبائنا اي كائنا في زمانهم حال من
هذا والمشار اليه اما النبوة على معنى انكار ان يكون الرسول بشرا او السحر والمراد تقطعه
وكونه سحرا لم ير مثله ولم يسمع وقال موسى ربي اعلم بمن جاء بالهدى من عنده
فهو عالم اني محق وانتم مبطلون وقرأ ابن كثير قال بحذف الواو على الاستئناف عليه
رسم المكي والباقون بالواو على العطف حكاية للقولين ليميز السامع بين الصحيح والفاسد
منهما وعليه سائر الرسوم وهذا التعد معنى ومن يكون له عاقبة الدار هذه الدار
لانه المنزل الاول وعاقبتها الجنة لقوله اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن
انه لا يفلح الظالمون في الدارين لهم خزي في الحيوة الدنيا بالقتل والاسر وضرب
الجزية وفي الاخرة عذاب النار وقال فرعون ما علمت لكم من اله غيري جعل عدم
علمه مستلزما لعدمه لانه يدعي الالوهية فلو كان هناك اله لعلمه وقيل اراد بنفي
العلوم وهذا انما يصح في العلوم العقلية لكونها لازمة لتحقق معلوماتها فيلزم من
انتفائها انتفاؤها فاوقد لي يا هامان على الطين نادى هامان وهو وزيره باسمه
وامره بالايقاد على طريقة الجبابرة ولم يقل اطبخ لي الاجر لانه اول من وضع صنعة الاجر
روي ان عمر بن الخطاب لما دخل الشام ورأى القصور المشيدة قال ما كنت اظن
ان احدا يبني بالآجر غير فرعون فاجعل لي صرحا قصرا عاليا لعلي اطلع الى اله موسى ما اجهله
ظن ان الاله جسم في مكان ثم لو فرض انه كما ظن من اين يلزم ان يكون في محاذاة
قصر فرعون ولو سلم من اين علم ان القصر يبلغ السماء ولو سلم من اين له انه اذا بلغ
السماء يجد في ذلك طريقا اليه واني لاظنه من الكاذبين في ان له الها غيري وهذا
ايضا جهالة اخرى حيث ظن ان هناك الها آخر بعد علمه بان لا اله غيره واستكبر
هو وجنوده في الارض بغير الحق تجاوزوا عن طورهم لان الكبرياء رداء الله وظنوا
انهم الينا لا يرجعون كانوا دهرية لا يقولون بالمعاد ولذلك اقدموا على ذلك الاستكبار
والطغيان قرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وعاصم يرجعون بضم الياء وفتح الجيم
فاخذناه وجنوده اخذ عزيز مقتدر فنبذناهم في اليم كما ينبذ الشيء الحقير فما ظنك
بمن الارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه فانظر تأمل كيف
كان عاقبة الظالمين الكاملين في الظلم وسوف ترى عاقبة مكذبيك وجعلناهم
ائمة يدعون الى النار الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيمة لا ينصرون بدفع العذاب

كما يدفع الاتباع عن الهدى وتولى الدنيا واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة لعن الناس
لا ترى احدا من الناس الا ويلعن فرعون وقومه او طردا من رحمته حيث اهلكهم
عن آخرهم ويوم القيمة هم من المقبوحين المطرودين يقال قبحه الله اى نحاه وطرده
او ممن قبح وجوههم ومن قرأ هذه الاية ثم قال بايمان فرعون فهو اكفر من فرعون
ولقد آتينا موسى الكتاب التورية من بعد ما اهلكنا القرون الاولى من قوم
نوح الى فرعون بصاير للناس ذلك الكتاب لاشتماله على المعارف التي هي انوار
القلوب وهدى اى طريق الجنة ورحمة لان من عمل به يصل الى رحمة الله لعلهم
يتذكرون ليكونوا على حال يرجى منهم التذكر وما كنت بجانب الغربي بالوادي الذي
في الجانب الغربي من الطور اذ قضينا الى موسى الامر ارسلنا اليه الوحي وما كنت
من الشاهدين للوحي او عليه وهم السبعون المختارون للميقات وهذا اوجه لان
الحضور قد علم من قوله وما كنت بجانب الغربي ومساق الاية للدلالة على ان اخباره
بتلك الوقايع ليس الا باعلام الله ولكنا انشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر لكنا اوحينا
اليك لانا انشأنا قرونا كثيرة من بعد موسى وتطاول الزمان وتحرفت الاخبار
وخفت اعلام الشرايع فارسلناك مجددا فحذف المستدرك واقيم سببه مقامه
وما كنت ثاويا مقيما في اهل مدين قوم شعيب تتلو عليهم اياتنا تتعلم منهم يقال
تلوت على فلان القران اذا تعلمت منه ولم تكن انت مرسلا اليهم تتلو عليهم اياتنا
بل كان شعيبا فاخبارك باعلام الله وقيل الضمير لاهل مكة ولكنا كنا مرسلين اياك
وما كنت بجانب الطور اذ نادينا موسى حين قربناه نجيا او استنبأناه وهذا اولى
لتقدم ذلك ولكن رحمة من ربك اعطاكها والتفت الى الغيبة لدلالة لفظ الرب
على الربوبية الملائمة للرحمة لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك لوقوع الفترة بينك
وبين عيسى وهي خمسمائة وخمسون سنة وقد روى البخاري عن سلمان انها ستمائة عام
متعلق بالفعل المقدر لعلهم يتذكرون اذا تلوت عليهم تلك الوقايع فيعلمون انك
رسول من عند الله ولولا ان تصيبهم مصيبة بما قدمت ايديهم فيقولوا ربنا لولا ارسلت الينا
رسولا لولا الاولى امتناعية والثانية بمعنى هلا تحضيضية والمعنى لولا انهم قائلون اذا
عوقبوا بما قدمت ايديهم من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا لما ارسلنا
اليهم رسولا وكان الظاهر دخول حرف الامتناع على القول وانما دخل على العقوبة
لانها السبب لذلك القول والقول هو السبب لارسال الرسل وانما لم يكتف بذكر القول
بل ذكر سببه منبها على ان قولهم هذا ليس تاسفا على فوات الايمان بل لما نالهم
من العقوبة وفيه دلالة على استحكام كفرهم ولما كان في التحضيض معنى الامر لكونه باعثا
على الفعل دخل الفاء في قوله فنتبع آياتك جوابا له كما يجاب الامر بالفاء ونكون من
المؤمنين بتلك الآيات فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى يريدون

الكتاب

الكتاب جملة او العصا واليد البيضاء تعنتا اولم يكفروا بما اوتي موسى من قبل يريد
ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم من العناد والتعنت وعن الحسن قد كان للعرب اصل
في ايام موسى وذلك ان فرعون وقومه كانوا من اولاد العمالقة وهم عرب فعلى
هذا يتعلق الجار والمجرور باولم يكفروا وهذا وجه حسن لدلالته على ان مشركي مكة لهم قدم
راسخ في الكفر وعرق اصيل في العناد واحسن منه ان كفار مكة كانوا كافرين بموسى
فلما طلبوا من رسول الله معجزات موسى رد الله عليهم بانهم قبل محمد كانوا كافرين
بموسى قالوا ساحران اى موسى وهارون او موسى ومحمد تظاهرا تعاونا على السحر
وقرأ الكوفيون سحران على حذف المضاف او على المبالغة او ارادوا الكتابين
التورية والقران لقوله لولا اوتي مثل ما اوتي وعليه الرسم وهو ابلغ معنى وان
كان الاول اشهر قالوا انا بكل كافرون اى بكل واحد من الرسولين او الكتابين
وقيل بكل الانبياء والاول مستقيم لان كفار مكة لم يكفروا بابراهيم واسمعيل قل فأتوا
بكتاب من عند الله هو اهدى منهما من الكتابين وهذا يؤيد ان السحرين هما
القران والتورية والساحران موسى ومحمد اتبعه ان كنتم صادقين انا ساحران
الاتيان منهم مستحيل وحرف الشك ارخاء للعنان تبكيتا فان لم يستجيبوا لك
فان لم يستجيبوا دعاءك الى الكتاب الاهدى فحذف المفعول لان الغالب
ان فعل الاستجابة اذا عدي الى الداعي باللام يحذف الدعاء فاعلم ازدد علما
او دم على علمك انما يتبعون اهواءهم اذ لم يبق لهم شبهة فضلا عن الحجة ومن
اضل ممن اتبع هواه اى لا اضل منه بغير هدى من الله في موضع الحال للتوكيد
لا للتقييد بناء على ان هوى النفس قد يوافق الحق لعدم الاعتداد بتلك الموافقة
ان الله لا يهدي القوم الظالمين المجبولين على الظلم المنهمكين فيه ولقد وصلنا
لهم القول اى اتبعنا بعض القران بعضا في الانزال متواصلا وعدا ووعيدا
وقصصا ونصايح وهذا جواب عن قولهم لولا اوتي مثل ما اوتي موسى لعلهم يتذكرون
بعد التفكر في ذلك المنزل المتواصل الذين آتيناهم الكتاب من قبله اى من
قبل القران او محمد عليه السلام هم به يؤمنون تقديم هم للاختصاص وبه للاهتمام نزلت
في مؤمني اهل الكتاب كسلمان وعبد الله بن سلام وعن رفاعة بن قرظة في عشرة
وانا منهم اثنان وثلثون من الحبشة قدموا في السفينة مع جعفر وثمانية قدموا من
الشام فهذا اخبار بما سيقع لان السورة مكية وعن محمد بن اسحاق هؤلاء عشرون
رجلا بعثهم النجاشي ورسول الله بمكة فقرأ عليهم القران فآمنوا وعن سعيد بن جبير
هم سبعون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به اى بانه كلام الله تعالى انه الحق من ربنا
تعليل للايمان به لان كونه من عند الله حقيق بان يؤمن به انا كنا من قبله مسلمين
استيناف لبيان ان ايمانهم به ليس محدثا بل كانوا سمعوا من آبائهم وقرأوا في كتابهم

انه منزل كتاب نعته كذا والمسلم اسم لكل موحد يؤمن بالله وكتبه ورسله اولئك
يؤتون اجرهم مرتين ضعف اجر من آمن بمحمد من المشركين روى البخاري ومسلم عن
ابي موسى الاشعري ان رسول الله قال ثلثة لهم اجران رجل آمن بنبيه وآمن بمحمد
وعبد مملوك ادى حق الله وحق مواليه ورجل له امة فادبها فاحسن تاديبها ثم اعتقها فتزوجها
بما صبروا على اذى الكفار او على تكاليف الشرايع ويدرؤن بالحسنة السيئة ويدفعون
ما ينالهم من المكروه من الشتم والسخرية بالقول الجميل والمعاصي بالطاعات لقوله
صلى الله عليه وسلم اتبع الحسنة السيئة تمحها ومما رزقناهم ينفقون في وجوه الخير ثقة بوعد
الله الثواب واذا سمعوا اللغو الباطل وما لا طائل تحته اعرضوا عنه تكرما وقالوا لنا
اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم امان منا لكم عن المقابلة بالمثل لا نبتغي الجاهلين
لا نرضى بالتخلق باخلاقهم عن محمد بن اسحق هذا كلام بعث النجاشي فانهم لما آمنوا
اعترضهم ابو جهل ونفر من قريش وقالوا اخيبكم الله ارسلكم صاحبكم لتعلموا خبر الرجل فما
استقر بكم المجلس حتى فارقتم دينكم انك لا تهدي من احببت لا تقدر على ادخال الايمان
في قلبه ولكن الله يهدي من يشاء بخلق الايمان روى البخاري عن سعيد بن المسيب
عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ابي طالب حين حضرته الوفاة وعنده
ابو جهل وعبد الله بن ابي امية فقال اي عم قل لا اله الا الله كلمة احاج لك بها عند الله
فقال ابو جهل وعبد الله اترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل رسول الله يعرضها عليه
ويعيدان تلك المقالة حتى قال ابو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وابى
ان يقول لا اله الا الله فانزل فيه انك لا تهدي من احببت وعن ابن عباس رضي الله
عنه قيل له انت شفيع الجنان لا شريك الهداية وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين له
وقالوا ان نتبع الهدى معك نتخطف من ارضنا نخرج منها سريعا قالته قريش وقال
القائل الحرث بن عثمان بن نوفل واسناده اليهم لو توجه منهم تعللوا بعلة باطلة
فرد الله عليهم بقوله اولم نمكن لهم حرما آمنا اي جعلنا مكانهم حرما ذا امن يجبى اليه
ثمرات كل شيء تجلب اليه ثمرات اكثر الاشياء كقوله واوتيت من كل شيء واذا
كان هذا حالهم وهم على الشرك فكيف لو ضموا الى حرمة البيت شرف الايمان وقرا نافع
تجبى بالتاء والياء احسن لوجود الفاصل رزقا مصدر لان تجبى في معنى يرزق او
مفعول له وان جعلته بمعنى المرزوق فهو حال من الثمرات لتخصصه بالاضافة من لدنا
تفضلا من غير استحقاق منهم ولكن اكثرهم لا يعلمون ذلك مع ظهوره لكونه مختوما على
قلوبهم وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها اهلكنا كثيرا من اهل القرى كان حالهم
كحال هؤلاء في الامن ولين العيش والبطر شدة الفرح بالدنيا والغفلة عن شكر المنعم وفيه
تخويف بليغ لاهل مكة وانتصاب معيشتها اما بحذف الجار كقوله واختار موسى قومه
او بحذف الزمان المضاف اي ايام معيشتها او بتضمين بطرت معنى كفرت فتلك

مسا

مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلا من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المار
ساعة للاستراحة وقيل لم يسكنها الا الطيور والوحوش او لم يسكن من سكن الا
قليلا بشوم معاصيهم سرايته الى كل ساكن وكنا نحن الوارثين بان تركناها بلا نفع واثره
وبذلك تدخل في عداد خالص ملك الله لانقطاع تعلق الغير وما كان ربك مهلك
القرى حتى يبعث في امها رسولا يتلو عليهم آياتنا الزاما للحجة وقطعا للمعذرة اي ما كان
الله ليهلك القرى التي على وجه الارض الا بعد ان يرسل في امها رسولا وهي مكة او
كل قرية عظيمة في كل وقت سائر القرى توابعها وما كنا مهلكي القرى الا واهلها ظالمون
اي ما كنا في الزمان السالف مهلكي قرية الا والحال ان اهلها ظالمون بتكذيب الرسول
المبعوث اليهم وفيه تخويف لاهل مكة بانهم سلكوا الصفة فهم بصدد ذلك وما اوتيتم
من شيء فمتاع الحيوة الدنيا وزينتها اي شيء كان وان كان ملأ الارض ذهبا
ليس الا متاعا قليلا لانه في مقابلة الباقي الذي اشار اليه بقوله وما عند الله خير وابقى
لانه ابدي وفي الحديث لو كانت الدنيا من الذهب والآخرة من الخزف لاختارها
العاقل فكيف والامر بالعكس ولذلك عقبه بقوله افلا تعقلون لان ايثار الفاني على
الباقي ليس من افعال العقلاء وقرا ابو عمرو بياء الغيبة على الالتفات وهو اشد ذما و
الخطاب ابلغ موعظة افمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه تقرير وايضاح لما تقدم المعنى
ابعد ذلك التفاوت الظاهر بين الفاني والباقي يسوي بين ابناء الدنيا والآخرة
والوعد الحسن الوعد بالجنة والفاء الثانية للدلالة على سببية الاول كمن متعناه متاع
الحيوة الدنيا ثم هو يوم القيمة من المحضرين الى النار وثم لبيان تراخي حال الاحضار
عن حال التمتع لا للتراخي في الذكر لكونه معلوما لا طائل في ذكره وقرا نافع في رواية قالون
والكسائي ثم هو بسكون الهاء لان الواو والفاء تنزلا من هو منزلة الجزء لعدم استقلالهما
فصار هو كعضد فخفف ثم علينا بجامع العطف ويوم يناديهم منصوب باذكر فيقول
اين شركائي الذين كنتم تزعمون اضافة الشركاء الى نفسه على زعمهم تهكما بهم ومفعولا
زعم محذوفان اي زعمتموهم شركائي والدال على الحذف تقدم الذكر قال الذين
حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه وهو الخلود في النار ربنا هؤلاء الذين
اغوينا اي اغويناهم فحذف الراجع اغويناهم كما غوينا خبر هؤلاء والكاف
في موضع المصدر ومعنى التشبيه انهم غووا باختيارهم والمعنى اغويناهم فغووا غيا
باختيارهم مثل ما غوينا وان كان ذلك بتسويلنا ويجوز ان يكون اغويناهم
استئنافا والذين اغوينا خبرا تبرأنا اليك من كفرهم واختيارهم ما كانوا ايانا
يعبدون بل كانوا يتبعون اهواءهم والجملتان مقررتان للكلام السابق ولذلك
خلتا عن العاطف وجعل ما مصدرية حذف عنها الجار ليتعلق بتبرأنا تكلف وقيل
ادعوا شركاءكم فدعوهم من فرط الحيرة فلم يستجيبوا لهم لعجزهم عن الاستجابة والنصرة

وراوا العذاب وتيقنوا انهم صائرون الى النار لو انهم كانوا يهتدون لوجه
من الحيل يدفعون به العذاب لدفعوا او لو كانوا يهتدون فى الدنيا لما راوه وتمنوا
الاهتداء لما راوا العذاب وتحيروا ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين وبخهم اولا
على اتخاذ الشركاء ثم بما يقوله الشيطان او انفسهم حين تبرؤا منهم ثم بما يشبه الشماتة والتهكم
بهم لما امرهم بدعائهم والاستغاثة بهم بعد التبرء منهم ثم بالسوال عما اجابوا به الرسل ازاحة
للعلل وتبكيتا فعميت عليهم الانباء يومئذ اصله فعموا عن الانباء وانما عكس مبالغة
كان عماهم سرى الى الانباء فلم تجد اليهم سبيلا والمراد عمى القلب وتعدى الفعل بعلى لتضمنه
معنى الخفاء فهم لا يتساءلون اى لا يسال بعضهم بعضا لتساويهم فى عمى الانباء عليهم
فاما من تاب من الشرك وامن بما يجب الايمان به وعمل صالحا بعد الايمان
فعسى ان يكون من المفلحين ترغيب فى الاقلاع فكانه قال ما ذكر حال المصر واما التائب
فمن الفائزين وعسى الكرام انجاز فما ظنك باكرم الاكرمين ويجوز اتصاله بقوله افمن وعدناه
وحديث الشركاء استطراد لذكر الاحضار وربك يخلق ما يشاء ويختار من هدايته احد الفريقين
واضلال الاخرى فان قلت ما الفرق بين المشيئة والاختيار حتى جمع بينهما قلت الاختيار
هو القصد الى ايجاد ما تعلقت به الارادة وترجيح احد الطرفين بعد ملاحظة الاخرى ما كان
لهم الخيرة بيان لقوله ويختار ولذلك لم يدخل العاطف والخيرة من التخير كالطيرة من
التطير رد لقول الوليد بن المغيرة حين قال لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين
عظيم وقيل ما موصولة والمعنى ويختار للعباد الذى لهم فيه الخيرة كخلق الانبياء ودلايل
الافاق والانفس وعلى الوجهين لا يلزم سلب الاختيار عنهم فى افعالهم الجزئية سبحان الله
تنزيها له عن منازع او مزاحم فيما شاء وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او ما يشركون به
وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون من عداوة رسول الله والطعن فيه وهو الله
لا غيره ولا اله الا هو لا يستحق الالوهية غيره وتوكيد وتقرير لذلك له الحمد فى الاولى والاخرة
لانه مولى النعم فى الدارين يحمده المؤمنون فى الاخرة تلذذا وابتهاجا كما يحمدونه فى الدنيا
تعبدا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن الحمد لله الذى هدانا لهذا الحمد لله الذى صدقنا
وعده وروى مسلم وابو داود عن جابر ان رسول الله قال اهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون
ولا يتفلون يلهمون التسبيح والتهليل كما يلهمون التنفس وله الحكم لا حاكم غيره واليه
ترجعون للمجازاة لا الى غيره قل ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيمة
لما ذكر تفرده بالالوهية واستحقاقه الحمد فى الدارين اردفه بنعمتين لا يمكن الانتفاع بساير
النعم بدونهما ولا يشك احد انهما منه اذ لا مجال لتوهم مشاركة الغير والسرمد الدايم من
السرد وهو المداومة على الشىء من اله غير الله ياتيكم بضياء قدم ذكر الليل لان الكشافه
عن النهار بالنير الاعظم ابلغ فى المنافع واجلب للمصالح ولذلك اخر ذكر الضياء على النهار
مع كونه ظاهرا فى التقابل للدلالة على ان المقصود من النهار والانتفاع بالنهار من روادفه

ولذلك

ولذلك جعل الفاصلة افلا تسمعون لان مدرك العقل بواسطة السمع اكثر من مدركات
البصر او ما لا يمكن ادراكه بحاسته يمكن ان يعبر عنه بعبارة مفهمة قل ارايتم ان جعل الله
عليكم النهار سرمدا الى يوم القيمة من اله غير الله ياتيكم بليل تسكنون فيه لم يقابل الضياء بالظلام
لكونه غير مقصود فى نفسه مع اشتماله التنفس من مساعده فى معرض الامتنان وذكر السكون
فى الليل ولم يقابل بالتصرف فى النهار لانحصار نفع الليل فيه دون النهار فى التصرف
والتوبيخ فى افلا تسمعون ابلغ منه فى افلا تبصرون ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا
فيه ولتبتغوا من فضله لف ونشر مرتب وهو من محسنات الكلام ولعلكم تشكرون
ولكى تعرفوا نعمة الله فتشكروه وجعل ذلك ويوم يناديهم فيقول اين شركائى الذين كنتم
تزعمون ونزعنا من كل امة شهيدا اخرجنا وهو نبيهم لان الانبياء شهداء على الامم
فقلنا بعد احضار النبى هاتوا برهانكم على الشرك وتكذيب الرسل فعلموا ان الحق لله
فى الالوهية وضل عنهم غاب غيبة الضايع ما كانوا يفترون من الباطل وتحكم اولا على
اتخاذ الشركاء لقوله ويوم يناديهم فيقول اين شركائى ليبكتهم بعدم صلوحها ولذلك عقبه
بقوله ادعوا شركاءكم تهكما بهم وثانيا بقوله اين شركائى الذين كنتم تزعمون وعقبه بقوله
وضل عنهم ما كانوا يفترون ليدل على ان ذلك الاتخاذ لم يكن له حقيقة وقيل الاول
لبيان فساد رايهم والثانى لبيان ان ذلك لم يكن له سند ان قارون كان من
قوم موسى لما كان افتخار المشركين بما كان لهم من الاموال والبنين وما كان فيه
رسول الله والمؤمنون من ضيعة ذات اليد هددهم الله اولا بقوله وكم اهلكنا من قرية
بطرت معيشتها واردفه بمن ضرب به المثل فى الثروة والغنا وما ال اليه امره وجر عليه غروره
وكيف صار هلاكه عبرة لاولى الابصار واشار فى اثناء القصة الى انه قد اهلك قبله من كان
اشد منه قوة واكثر مالا قال الكلبى كان ابن عم موسى وعن محمد بن اسحق كان عم موسى
وعن ابن عباس كان ابن خالته فبغى عليهم بان طغى وخرج عن اتباع موسى وذلك
ان موسى جعل الحبورة والقربان لهرون فقال قارون الامر لكما ولست على شىء قال
موسى هذا صنع الله وقيل بغى اى ظلم وذلك ان فرعون كان جعله واليا على بنى اسرائيل
فظلمهم وقيل تكبر بكثرة الاموال والاولاد واتيناه من الكنوز من انواع الاموال المدخرة
من الكنز وهو الجمع ما ان مفاتحه جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به او مفتح بالفتح وهو خزانة
المال لتنوء بالعصبة اولى القوة يقال ناء به اذا اثقله والعصبة الجماعة الكثيرة وقيل من
عشرة الى اربعين من العصوبة وهى الاحاطة ومنه عصبة الميت وقد بولغ فى اظهار
الكثرة حيث ذكر الكنوز والنوء والعصبة وذى القوة قيل كان يحمل مفاتيح خزاينه ستون
بغلا وكان كل مفتاح لا يزيد على اصبع اذ قال له قومه ظرف لتنوء لا تفرح بالدنيا التى
حبها هو راس كل خطيئة ان الله لا يحب الفرحين بزخارف الدنيا وابتغ فيما اتيك الله
الدار الاخرة فانها دار الاقامة والمال نعم الوسيلة اليها وفى الحديث نعم المال الصالح للرجل

الصالح ولا تنس نصيبك من الدنيا بان تخرج من مالك كله بل خذ منه قدر كفافك كقوله
ولا تبسطها كل البسط او ما تصلح به آخرتك فانه نصيب المؤمن من الدنيا كقوله صلى الله عليه
وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت
او تصدقت به فابقيت ويؤيده قوله واحسن كما احسن الله اليك اي انعم على المحاويج
كما انعم الله عليك ولا تبغ الفساد في الارض لا تطلبه فضلا عن الوقوع فيه ان الله
لا يحب المفسدين العاقل لا يدخل نفسه في زمرتهم قال انما اوتيته على علم عندي اي
على علم كاين عندي استوجبت به التفوق على الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل
بالتورية وقيل اراد علم الكيميا فانه كان تعلمه من موسى وقيل علم التجارة والمكاسب وقيل
علمه بكنوز يوسف والوجه ان عندي جملة مستانفة تقرر ما ذكره اي هذا الامر عندي وفي
اعتقادي اولم يعلم ان الله قد اهلك من قبله من القرون من هو اشد منه قوة واكثر جمعا
اي قد علم ذلك قراءة في التورية وسمع من المورخين اخبار نمرود والضحاك وما كانوا فيه
فكيف لم يتنبه واغتر بما فيه ولم يقس حاله على اولئك ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون
لان سوال الاستعلام محال في حقه تعالى وسوال المعاتبة يكون بين الاحبة منذه مقدمة
يدل على هلاك قارون بغتة فخرج على قومه في زينته مفتخرا عليهم في زينة المخصوص به قيل
كان راكب بغلة شهباء وعليه الارجوان وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف
من الغلمان على زيه وقيل ثلثمائة غلام عن يمينه وثلثمائة جارية عن يساره وعليهن الحلي
والديباج وقيل في تسعين الفا وعليهم المعصفر قال الذين يريدون الحيوة الدنيا وهم عوام
المؤمنين يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون تمنوا مثله لئلا يكون حسدا وعن قتادة تمنوه
ليتقربوا به الى الله تعالى ويصرفوه في وجوه الخير وقيل بل كانوا كفارا انه لذو حظ عظيم
بحظ النصب والبخت في المثل الدنيا احاظ وجدود وقال الذين اوتوا العلم بسرعة زوال
نعيم الدنيا ودوام الآخرة ويلكم اصله الدعاء بالهلاك لم يرد وامعناه بل التعجب من
تمنيهم وتشنيع الغافل ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا مما اوتي قارون بل من
الدنيا وما فيها ولا يلقيها الا الصابرون على الطاعات عن الشهوات والضمير لما
قاله العلماء لانها كلمة عرفا او للثواب لانه بمعنى المثوبة او للجنة او للايمان والعمل الصالح
لانه في معنى السيرة والطريقة فخسفنا به وبداره الارض كان مع بغيه يداريه موسى
للرحم الذي بينهما حتى طالبه بزكوة ماله وشارطه على دينار من كل الف فاستكثره فجمع
بني اسرائيل وقال ان موسى يريد اخذ اموالكم فقالوا انت سيدنا فامرنا بما رأيت
فقال تدبرت له مجعل لبغي من بغايا بني اسرائيل الف دينار وقيل بل حكمها
في ماله فقام موسى يوم عيد خطيبا فقال يا معشر بني اسرائيل من سرق منكم قطعناه
ومن زنى غير محصن جلدناه وان كان محصنا رجمناه فقال قارون وان كنت وانك
الرجل قال بلى قال ان بني اسرائيل يزعمون انك زنيت بفلانة فاحضرها موسى فناشدها الله

بالذي فلق البحر وانزل التورية فقالت كلا ولكن جعل لي قارون جعلا لافتري
عليك فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت لك رسولا فاغضب لي
فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فقال موسى خذيهم يا ارض وكان تبعه رجلان
وبقية بني اسرائيل قد اعتزلوا عنه مع موسى فاخذتهم الارض الى الركب ثم نادا ها
خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم نادا ها خذيهم فاخذتهم الى الاعناق وكان في اثنا
ذلك يناشد بالرحم ويستغيث به وموسى لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم نادا ها فانطبقت
عليهم فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين قيل ناداه ربه بعد
هلاك قارون ما اقسى قلبك يا موسى استرحمك مرارا فلم ترحمه وعزتي لو دعاني
مرة لاجبته ثم اصبحت بنو اسرائيل يتناجون ان موسى لم يدع على قارون الا
طمعا في ماله فانه لم يكن له وارث غيره فدعا الله ان يخسف بداره فخسف به بعد
ثلث فما كان له من فئة من اعوان من فارجع لان بعضهم يرجع الى بعض
عند الانتصار والمحاماة ينصرونه من دون الله من دونه عذابه وما كان من
المنتصرين وما كان من الممتنعين بغيرها من الاسباب واصبح الذين تمنوا مكانه
الذين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون بالامس يقولون قبل هلاكه
بقليل ويكان الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر بمقتضى مشيته
لا لكرامة المرزوق ولا لهوان الذي قدر عليه وي صوت بقوله المتندم والمتعجب
قال الخليل هذا قول قوم تنبهوا ونبهوا والكاف جردت عن التشبيه كقوله صلى الله
عليه وسلم كانك بالدنيا ولم تكن وبالآخرة ولم تزل وعليه قول امرئ القيس كاني
لم اركب جوادا للغارة ولم اتبطن كاعبا ذات خلخال وعند الكوفيين اصله ويلك
حذفت اللام تخفيفا لكثرة استعمال هذه الكلمة وعليه قول عنترة ويك عنتر اقدم
وفتحت ان لتقدير العلم وعن قطرب لتقدير اللام وسمت مركبة لتوقف المعنى
عليه وقد وقف الكسائي على اليا وابو عمرو على الكاف والباقون على النون
لولا ان من الله علينا لخسف بنا كما خسف بقارون حيث تمنينا ان نؤتى مثل
ما اوتي وقرا حفص خسف على بناء الفاعل ويكانه لا يفلح الكافرون لامحالة تلك
الدار الآخرة اشارة تعظيم التي بلغك خبرها وبلغت شانها العجيب نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض غلبة وقهرا كما اراد فرعون ولا فسادا ظلما كما اراد قارون
وعلق بالارادة مبالغة في الردع عنهما والعاقبة للمتقين اي الجنة او العاقبة المحمودة
وهذا التذييل يدل على ان ملاك الامر هو التقوى ولا يكفي في النجاة عدم تلك الارادة
من جاء بالحسنة فله خير منها ذاتا وقدرا ووصفا ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين
عملوا السيئات وضع المظهر موضع المضمر للدلالة على ان لا فرق بين من ارتكب سيئة
او سيئات وانما يفيد تكرار الاسناد من تقبيح حال المسيء المقتضي لتنفير السامعين

الا بالكناية يعملون الا مثله وانما حذف المضاف مبالغة في المماثلة كما بولغ في
جانب الحسنة بلفظ الخير الدال على الكثرة ان الذي فرض عليك القرآن اي تلاوته
وتبليغه والزمك مشاقه لرادك الى معاد اي معاد وهو المقام المحمود الذي خصك به
وقيل اراد مكة وتنكيره لان فتح مكة كان له شأن روي انها نزلت في مهاجره حين
بلغ الجحفة واشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم قل ربي اعلم من جاء بالهدى
ومن هو في ضلال مبين امره ان يقول للمشركين ان الله اعلم بمن هو على الهدى
وله الثواب في المعاد ومن هو بضد ذلك وان اريد بالمعاد فتح مكة فالمعنى ان
ذلك ادنى ما اوتيته وانما النعمة العظمى ما توعده في العقبى واشار اليه بالهدى المثمر له
والضلال المثمر ضده لاعدائه فان قلت قد قام موسى بهذا القول ايضا وزاد الباء ومن
عنده قلت كلام موسى كان جوابا لهم حيث قالوا ما هذا الا سحر مفترى فكان خليقا
بالتاكيد وهنا الكلام مذكور ابتداء لبيان رفعة شانه وما يؤول اليه امره فاقتصر على ما
يؤدي الغرض وما كنت ترجو ان يلقى اليك الكتاب كنت اميا ناشيا بين الكفار
الذين لا يقرؤن كتابا ولا يدينون دينا اين كنت من القرآن المعجز وهذا دفع لما
يختلج في الوهم من استبعاد رده الى معاد الا رحمة من ربك لكن رحمة ربك القاه
ويجوز ان يكون استثناء محمولا على المعنى كانه قال وما القي عليك الكتاب الا رحمة
من ربك لان نفي الرجاء نفي للالقاء على ابلغ وجه فلا تكونن ظهيرا للكافرين عونا
لهم في امرهم فانه اغراهم ولا يصدنك عن آيات الله عن تلاوتها وتبليغها بعد اذ انزلت
اليك اذ لم ينزل الا للتلاوة والعمل وادع الى ربك الى توحيده ولا تكونن من
المشركين بترك الدعوة الى التوحيد ولا تدع مع الله الها آخر من باب الالهاب
وقطع اطماع المشركين لا اله الا هو استئناف كالبرهان على عدم صلوحية الغير كل شيء
هالك الا وجهه ذاته كقوله كل من عليها فان وقيل كل ممكن قابل للعدم وقيل كل
عمل باطل الا ما اريد به وجهه له الحكم القضاء النافذ واليه ترجعون للجزاء تمت والحمد لله
على نعم عمت

سورة العنكبوت وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم اسم السورة او حروف مقطعة اتعاظا احسب الناس
انكار الحسبان لتعلق بما بعده وهو ان يتركوا لكونه سادا مسد مفعوليه ان يقولوا آمنا
متعلق بيتركوا بتقدير اللام والترك بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع وثاني مفعوليه
محذوف لدلالة الحال عليه اي كما هم وهم لا يفتنون اي غير مفتونين وقيل ان يتركوا
مفعول اول وان يقولوا ثاني المفعولين بتقدير اللام وهم لا يفتنون ثاني مفعولي يتركوا
وفيه قلق لدخول الواو على الخبر والفصل بين مفعولي يتركوا بثاني مفعولي حسب وهو
ان يقولوا والمعنى انكار حسبان الناس بعد اجراء كلمة الايمان على السنتهم ان يخلوا
بذلك عن كل آفة في هذه الدار مع انها دار الشقاق نحو قوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة

ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ولقد فتنا الذين من قبلهم اي سنة الله في
المؤمنين ان يمتحنهم روى البخاري عن خباب بن الارت قال شكونا الى رسول الله
ما نلقى من المشركين فقلنا الا تستنصر لنا الا تدعو لنا فقال قد كان من قبلكم يؤخذ
الرجل فيحفر له في الارض ثم يجعل فيها ويؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين
ويمشط بامشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه فليعلمن الله الذين
صدقوا وليعلمن الكاذبين علما حاليا به يقع التمييز بين الصادق في ايمانه والكاذب
او اريد لازمه وهو التمييز او المجازاة ام حسب الذين يعملون السيئات جميعا
من الكفر والمعاصي ان يسبقونا ان يفوتونا فلم يجدوا ثواب انفسهم ولكن لتماديهم
في الغفلة كانهم طامعون وذلك صلته ان لاشتمالها على المسند والمسند اليه سدت مسد
مفعولي الحسبان كما اشرنا اليه في الاول ويجوز ان يكون حسب بمعنى قدر ومعنى
ام الاضراب للدلالة على ان هذا الحسبان ابطل من الاول لان شرف الايمان
ربما يخيل ان من اتصف به يسلم عن الآفات والشرور بخلاف ظن عدم المجازاة
على سيئ العمل فانه ظاهر البطلان ولذلك اردفه بقوله ساء ما يحكمون اي بئس الذي
يحكمونه او حكما يحكمونه حكمهم هذا فحذف المخصوص من كان يرجو لقاء الله حقيقة في الجنة
لما روى البخاري انكم سترون ربكم كما ترون الشمس في الظهيرة ليس دونها سحاب
او الوصول الى الحساب والجزاء مثلت تلك الحالة بحال عبد قدم بعد عهد طويل الى مولاه
فان اجل الله لآت اي الموت كائن لا محالة وهو الطريق الى تلك الحالة كما يقول
من يرجو لقاء الامير فان العيد قريب اذ يعلم انه يقدم فيه والمعنى فليبادر الى ما يصدق
رجاءه ويحقق امله وهو السميع لاقوال العباد العليم بافعالهم فهو حقيق بالتقوى
والخشية ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه نفع مجاهدته مقصور عليها وانما الترغيب والحث
عليها لكمال رأفته بالعباد ان الله لغني عن العالمين تصريح بما علم ضمنا وتوكيد لذلك
المفهوم والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم احسن الذي
كانوا يعملون لما بين ان العمل الصالح لا يتعدى نفعه العامل بين كيفية جزاء المجاهد
ترغيبا وهي تكفير ما مضى من السيئات والمجازاة باحسن الجزاء بان يجازيه في مقابلة
ادنى عمله ما يجازيه على افضله تفضلا منه ووصينا الانسان بوالديه حسنا لما بين حكم
الايمان والعمل الصالح اشار الى بعض ما يتعين للانسان فيه الوصية بالشيء الامر به
مؤكدا من وصيت الشيء بكذا اذا وصلته به ويقال وصيت الارض اذا اتصل
نباتها والمعنى امرناه بايتاء والديه حسنا او ما هو في ذاته حسن لفرط حسنه ويجوز نصبه
بفعل مفسر للوصية اي قلنا افعل بهما حسنا فعلى هذا يحسن الوقف على بوالديه
وعلى الاول يقدر القول في قوله وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم
وان امراك بالاشراك وبلغا طاقتهما فلا تطعهما اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

وانما نفى العلم والمراد نفي المعلوم اشارة الى ان ما لا يعلم لا يجوز اتباعه فضلا عما علم
بطلانه فان قلت قد ذكر في سورة لقمان وان جاهداك على ان تشرك بعلى وهنا
باللام فما وجه اختصاص كل بموضعه قلت الكلام في سورة لقمان معترض في اثناء
وصية لقمان ويدل على شدة الاهتمام بعد الاشراك وعلى يدل على القسر والالجاء اي
وان قسراك عليه فلا تطعهما وما في الاية انما شرع بها الصارف عن الايمان
الذي سبق له الكلام الي مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون المؤمن منكم والمشرك وعد
ووعيد والاية نزلت في سعد بن ابي وقاص وامه حمنة بنت ابي سفيان بن امية
بن عبد شمس وكانت مشركة فلما اسلم سعد قالت صبأت يا سعد فحلفت لا تاكل
ولا تشرب ولا يظلها ظل حتى يرجع سعد عن الاسلام فبقيت على ذلك حتى غشي عليها
فنزلت والذين امنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين الكاملين في الصلاح
وهم الانبياء فالصلاح صفة جامعة لساير الكمالات ولذلك طلبها الانبياء قال سليمان
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين ويوسف توفني مسلما والحقني بالصالحين
وابراهيم رب هب لي حكما والحقني بالصالحين ومن الناس من يقول امنا بالله
فاذا اوذي في الله هذا اخبار عما يكون في المستقبل لان الاية مكية ولم يكن بها نفاق
ولا قتال ولا غنيمة وانما اعاد لفظ الجلالة اشارة الى ان الايذاء في الله حقيق بان
يحتمل جعل فتنة الناس كعذاب الله كما ان عذاب الله صارف المؤمن عن
الكفر فكذلك عذاب الناس صارف المنافق عن الايمان ولئن جاء نصر من ربك
فتح وغنيمة ليقولن انا كنا معكم في الدين فيتوسلون بذلك الى سهم الغنيمة اوليس الله
باعلم بما في صدور العالمين تكذيب لهم على ابلغ وجه اي لو كان في صدورهم ايمان
لعلمه وليعلمن الله الذين امنوا وليعلمن المنافقين اي ليميزن بين الفريقين بحيث
لا يشتبه بعضهم ببعض وكذلك وقع كما قال قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم قد نبأنا الله
من اخباركم وقال الذين كفروا للذين امنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم مقالة صناديد
قريش قالوا لمن امن منهم ان كان بعث على ما يزعم محمد فانا نحمل عنكم الاثام ان اتبعتمونا
علقوا الحمل بالاتباع وامروا طريقة الامر مبالغة في التشجيع ولذلك بالغ في الرد عليهم بقوله
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء انهم لكاذبون من الاولى بيانية والثانية
تبعيضية اي ادنى جزء منه ونقل مزيد التكذيب راجع الى الوعد بالضمان لان الانشاء
لا يتصف بالكذب او انهم كاذبون عند انفسهم بمعنى انهم يعلمون ان ذلك الوعد
غير مطابق للواقع وليحملن اثقالهم اوزارهم التي اقترفوها واثقالا مع اثقالهم
بسبب الاضلال فان الدال على الشر كفاعله من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من
عمل بها الى يوم القيمة وليسألن يوم القيمة عما كانوا يفترون سوال توبيخ ولقد ارسلنا
نوحا الى قومه فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما ذكر بعد مقالة المشركين بعض قصص

الانبياء

الانبياء تسلية لرسول الله وابتدا بنوح اذ لم يكابد من الانبياء ما كابد واحد ولبثه في قومه
هذه المدة كان بعد بعثته فانه بعث على راس اربعين سنة وعاش بعد الطوفان
ستين سنة وعن وهب انه عاش الفا واربعمائة سنة وعن عون بن شداد الفا وستمائة
وخمسين سنة وانما اثر ما في التنزيل على تسعمائة وخمسين لئلا يتوهم تجوز مع كونه اخصر واعذب
ولكون الالف اشد ابانة عن طول المدة فهو اوفق فاخذهم الطوفان الطوفان لما
والمطر الغالب بحيث يغشى كل شيء من طاف حول الشيء قال الخليل وقد شبه العجاج
ظلام الليل بذلك شعر وعم طوفان الظلام الاثابا وهم ظالمون بالكفر فانجيناه
واصحاب السفينة قيل كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم اناث وعن
ابن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقد روي انه صلى الله عليه وسلم
انهم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلثة سام وحام ويافث مع اهليهم وجعلناها اية
للعالمين اي السفينة او الواقعة يضرب بها المثل وابراهيم عطف على نوحا او
نصب باضمار اذكر اذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ظرف لارسلنا على الاول وبدل
اشتمال على الثاني ذلكم خير لكم من عبادة الاصنام ان كنتم تعلمون الخير والشر وتميزون
بينهما واثاران للدلالة على ترجيح عدم العلم انما تعبدون من دون الله اوثانا و
تخلقون افكا في تسميتها الهة يصرفون به الناس عن سبيل الحق ان الذين تعبدون
من دون الله لا يملكون لكم رزقا شيا مما يطلق عليه اسم الرزق ودليل ثان على بطلان
ما هم عليه ابلغ من الاول لان اقل درجات المعبود ان يكون له نفع في الحال فابتغوا
عند الله الرزق كله فانه القادر واعبدوه وتوسلوا بالعبادة الى مطالبكم واشكروا له على
اولاكم اليه ترجعون وعد ووعيد وان تكذبوا اي تكذبوني فقد كذب امم من قبلكم
اي كذبوا الرسل ولم يضرهم تكذيبهم بل ضروا انفسهم وما على الرسول الا البلاغ المبين
الواضح او الموضح المزيح للشبهة هذه الاية وما بعدها الى قوله فما كان جواب قومه اما قول
ابراهيم لامته والامم المكذبة قوم شيث وادريس ونوح او ابتداء كلام من الله تقريش
وساير العرب اعترض به في اثناء قصة ابراهيم وذلك ان ذكر هذه القصص انما هو
لتسلية رسول الله فكانه قال ان تكذبوا يا معشر العرب محمدا فقد كذب ابراهيم قومه
ومني بنحو ما مني به محمد وكذا ساير الرسل قبله وبعده اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق
اي علموا علما واضحا كالرؤية بالباصرة والبصيرة وكيف مسلوب عنها معنى الاستفهام
وقرا حمزة والكسائي وابو بكر بالخطاب اما من ابراهيم او منه تعالى بناء على ما تقدم و
لا حاجة الى تقدير القول ثم يعيده عطف على اولم يروا لا على يبدئ لان الرؤية
ليست بواقعة على الاعادة لان الابداء ايضا كذلك والرؤية بمعنى العلم يصح تعلقه
بهما بل لان العلم بالابداء دليل على العلم بالاعادة ومستلزم له فلا يحسن نظمها في
سلك واحد ان ذلك على الله يسير ولا يحتاج الا الى تعلق الارادة قل سيروا في الارض

اى قل يا ابرهيم او قل يا محمد فانظروا كيف بدا الخلق تاملوا فى عجايب صنعه فى انواع
مخلوقاته يدلكم ذلك على سهولة امر الاعادة عليه ولما كان دليل الانفس اقرب
من الافاق اشر فى الاول الى الرؤية وفى الثانى الى النظر ولذلك قيل الاول حدسى والثانى
فكرى ثم الله ينشئ النشاة الاخرة اى بعد بعثهم ثانيا كما ابدعهم اولا واصل النشا
الارتفاع يقال نشا فى بنى فلان فكان الله بالانجا اخرجهم من حضيض العدم
الى اوج الوجود وقرا ابن كثير وابو عمرو النشاءة بالالف بعدها همزة مفتوحة على انهما
لغتان او النشا فى اسم المصدر والقصر احف وانما ابرز اسمه لكونه الاسم الجامع الدال
على الاوصاف المعتبرة فى الابدا من العلم والقدرة والحكمة فكانه قال ذلك
الموصوف هو الذى ينشئ النشاة الاخرة ان الله على كل شئ قدير لاستواء نسبة
القدرة الى الكل دليل على المدعى يعذب من يشاء ويرحم من يشاء واليه تقلبون
تردون فيجازى كلا على وفق ارادته وما انتم بمعجزين الله فى الارض بالتوارى
والهبوط فى مهاويها ولا فى السماء التى هى افسح وابسط لو قدر صعودكم اليها او القدر
ولا من فى السماء فحذف كما فى قول حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره
سواء وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير لا فى الارض ولا فى السماء اى لا تقدرون
انتم على دفع قضائه ولا لكم من تلجاون اليه فى ذلك والذين كفروا بايات الله
الدالة على وحدانيته ولقائه والبعث وما يعقبه من الجزاء اولئك يئسوا من رحمتى
ييأسون يوم القيمة لان المنكر للبعث لا يوصف باليأس لانه شان من يوصف
بالرجاء او المراد بيان مباينة حالهم حال المؤمنين فذكر اليأس لمقابلته او استعارة
تبعية شبهوا بمن مات على الكفر او بمن ايس فرضا اشارة الى توغلهم فى الكفر وانما التفت
الى التكلم اشارة الى قوله ورحمتى وسعت كل شئ ولذلك لم يصف العذاب فى قوله
واولئك لهم عذاب اليم فما كان جواب قومه اى قوم ابرهيم الا ان قالوا اقتلوه
او حرقوه قابلوا نصحه بابلغ مكروه وهو القتل والحرق واثر واصيغة التفعيل الدالة على التكثير
والمبالغة فانجاه الله من النار بان قال لها كونى بردا وسلاما فصارت روضة وانما
اختصر كيفية الانجاء لان الغرض بيان مال حال من امنه ليكون تسلية لرسول الله ان
فى ذلك لايات هى احماؤها دفعة وانقلابها روضة مكانها وسلب الحرارة عنها واحداث
البرودة مكانها لقوم يؤمنون لانهم بالتامل فيها يزدادون ايمانا ويوقنون بان
العاقبة لهم وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم فى الحيوة الدنيا قرا نافع
وابن عامر بتنوين مودة ونصب الكلمتين على ان مودة مفعول له وبينكم ظرف اى
اتخذتموها لتتوادوا وتتواصلوا لاجتماعكم على عبادتها كما ترى اليوم اهل كل مذهب
كذلك او مفعول ثان كما فى قوله اتخذوا ايمانهم جنة وقرا ابن كثير وابو عمرو والكسائى
مودة مرفوعا مضافا الى بينكم على الاتساع كقوله يا سارق الليلة اهل الدار على ان ما موصولة

والعابد محذوف ومودة خبرها او مصدرية اى ان سبب اتخاذكم اوثانا او لان
مودة او كافة ومودة خبر مبتدا مقدر اى انعكافكم عليها مودة او مبتدا وفى الدنيا خبره اى تواصلكم
فى الدنيا وعلى هذين الوجهين الجملة صفة اوثانا وقرا حمزة وحفص مودة بينكم منصوبا
مضافا والمختار نصبه منونا لظهور المعنى والاستغناء عن التقدير والجرى على الاصل
ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا اى بعض العبدة يلعن بعضا
كقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او العبدة والاصنام لقوله
ويوم القيمة يكونون عليهم ضدا ومأويكم النار وما لكم من ناصرين فان قلت لم لم يذكر هذا
قبل جواب قومه ليكون كلامهم عليهم منتظما فى سلك واحد قلت ما تقدم كان نصحى و
ارشادا وهذا وعيد وتهديد وما يؤل اليه امرهم فلم يحسن نظمه معه فامن له لوط هو
اول من به حين راى النار لم تؤثر فيه وهو ابن اخيه وقال انى مهاجر الى ربى الى حيث
امرنى انه هو العزيز الذى يمنعنى من اعدائى الحكيم الذى لا يامر الا بما فيه حكمة كان
بكوثى فسافر الى حران بديار بكر ثم الى الشام وفلسطين ثم صعد الى مصر وملك مصر هو الذى
اعطاه هاجر ونزل لوط سدوم ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة حين يئس من الولد ولذلك
لم يذكر اسمعيل وجعلنا فى ذريته النبوة والكتاب جنس الكتاب فيدخل تحته الكتب الاربعة
واتيناه اجره فى الدنيا اجر الهجرة من الثناء الحسن لا ترى امة الا وهم ينتمون اليه وانه
فى الاخرة لمن الصالحين لمن الجامعين لمحاسن الافعال والاخلاق ولوطا عطف
على ابرهيم ان نصب باذكر وعلى عطف عليه ان كان معطوفا على نوحا اذ قال
لقومه انكم لتاتون الفاحشة الفعلة البالغة فى القبح قرا انكم بالاخبار نافع وابن كثير
وابن عامر وحفص اكتفاء بالثانى ما سبقكم بها من احد من العالمين استيناف
مقرر لزيادة القبح فيها حيث اشمأزت الطباع باسرها عن ارتكابها فى سالف الدهر
ائنكم لتاتون الرجال وتقطعون السبيل تتعرضون للسابلة اتفق السبعة على الاستفهام
هنا للانكار والتعجب وتاتون فى ناديكم المنكر من اللواط فى المجلس والتضرط والحذف
ورمى البندق وفرقعة الاصابع وحل الازرار فما كان جواب قومه الا ان قالوا
ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين فى دعوى النبوة او فى نزول العذاب
قال رب انصرنى على القوم المفسدين بانزال العذاب وصفهم بالافساد ولتسلا
بذلك على استعجال نزول العذاب ولما جاءت رسلنا ابرهيم بالبشرى بالبشارة
بالولد والنافلة او باهلاك قوم لوط قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية اشارة الى قرية
سدوم وفى المثل اجور من قاضى سدوم ان اهلها كانوا ظالمين مصرين على الظلم
فى الزمن الماضى قال ان فيها لوطا بيان للمانع وسؤال عن كيفية الاهلاك
مع وجود من بين اظهرهم وهو برئ عما كانوا يفعلون قالوا نحن اعلم بمن فيها تسلية
على ابلغ وجه بانهم اعلم بعدم استحقاقه العذاب لننجينه واهله الا امرأته كانت

من الغابرين الباقين في العذاب لكونها كافرة مثلهم وقرأ حمزة والكسائي لننجينه
مخففا من الانجاء والتشديد ابلغ ولما ان جاءت رسلنا لوطا سيء بهم ان صلة لتقييد
تقييد اتصال الفعلين كانه قيل لما جاءت الرسل فاجأه المساءة من غير ريث خوفا
عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا كناية عن فقد القدرة على تدبيرهم وذلك ان
طويل الذرع ينال ما لا يناله قصير الذرع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة وقيل في
ضده رحب الذراع وقالوا لا تخف ولا تحزن لما رأوا فيه اثر الضجرة انا منجوك واهلك
الا امرأتك كانت من الغابرين كانت في علم الله تعالى في عدادهم وقرأ ابن كثير
وحمزة والكسائي وابو بكر منجوك مخففا والتشديد ابلغ ونصب اهلك بالعطف على محل
الكاف منجوك انا منزلون على اهل هذه القرية رجزا من السماء الرجز والرجس القلق
والاضطراب اطلق على العذاب لاضطراب المعذب وقرأ ابن عامر منزلون مشددا
بما كانوا يفسقون على الاستمرار ابلغ من قولهم ان اهلها كانوا ظالمين ولقد تركنا منها
اية بينة لقوم يعقلون فان آثارهم باقية ماؤها اسود وهو نطق القرآن بسوء حالهم وتواترت
بها الاخبار والى مدين اخاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الاخر ما ترجون
به ثوابه فاقيم المسبب مقام السبب او هو على اصله والرجاء بمعنى الخوف ولا تعثوا
في الارض مفسدين فكذبوه فاخذتهم الرجفة الزلزلة الشديدة او صيحة جبرئيل لان
القلوب ترجف منها فاصبحوا في دارهم في ارضهم او في ديارهم اكتفى بالواحد جاثمين
باركين على الركب ميتين وعادا وثمود منصوبان باضمار اهلكنا لان قوله فاخذتهم
الرجفة يدل عليه وقرأ حمزة وحفص وثمود غير منصرف بتأويل القبيلة وقد تبين لكم
من مساكنهم منازلهم وخرابها فان اهل مكة كانوا يمرون عليها في اسفارهم وزين لهم
الشيطان اعمالهم من الكفر والمعاصي فصدهم عن السبيل عن طريق الحق وكانوا
مستبصرين ذوي بصائر عاقلين بحقية الدين ولكن لجوا حتى هلكوا او كانوا متمكنين
من الاستبصار ولكن تغافلوا وقارون وفرعون وهامان عطف على عاد وتقديم
قارون لشرف نسبه وتأخيره في سورة غافر نظرا الى الوجود ولقد جاءهم موسى بالبينات
فاستكبروا في الارض وما كانوا سابقين فائتين امر الله فيهم بل ادركهم لا محالة فكلا اخذنا
بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ريحا? الحصباء او ملكا رميهم بها الضمير لقوم لوط
ومنهم من اخذته الصيحة كمدين وثمود ومنهم من خسفنا به الارض كقارون ومنهم
من اغرقنا كقوم نوح وفرعون وجيشه وما كان الله ليظلمهم ليعاملهم بالعذاب
ويعاملهم معاملة الظالمين ولكن كانوا انفسهم يظلمون بان عرضوها للعذاب مثل
الذين اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتا فيما اتخذوه
معتمدا ومتكلا في دينهم بما هو مثل عند الناس في الوهن والغرض من التشبيه تقرير وهن
دينهم وانه بلغ الغاية التي لا غاية بعدها ومداره تشبيه من لا يحصل من سعيه على طائل بالراقم

على الماء من تشبيه المركب بالمركب وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
تذييل تقرير الغرض لو كانوا يعلمون جهلهم اولا في الاتخاذ ثم زادهم تجهيلا بانهم لا يعلمون
هذا الجهل البين ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء ما نافية ومن زائدة او
استفهامية ومن بيان والعلم معلق توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه
شيئا ويجوز ان يكون مصدرية او موصولة والعائد محذوف وقرأ نافع وابن كثير وابن
عامر وحمزة والكسائي بتاء الخطاب على اضمار القول والغيبة احسن لجريه على سنن
السابق وعدم التقدير وهو العزيز الغالب على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا
الا وفيه حكمة وفي الوصفين رمز الى غباوتهم حيث تركوا عبادة الموصوف بهما وعبدوا
من لا يطلق عليه اسم الشيء وتلك الامثال نضربها للناس اي هذا المثل ونظائره
كشفا للحجب عن وجوه محاسن الفرائد وتقريبا للمعاني الدقيقة الى الافهام وما يعقلها
الا العالمون تعريض بالمشركين الطاعنين في القرآن لاشتماله على ضرب المثل
بالذباب والعنكبوت وعن رسول الله انه تلاها وقال العالم من عقل عن الله
وعمل بطاعته واجتنب سخطه خلق الله السموات والارض بالحق ملتبسا به
والمعنى خلقها لتكون مساكن عباده ودلائل قدرته وحكمه وعظم شأنه ولذلك
قال ان في ذلك لاية للمؤمنين المنتفعين منها اتل ما اوحي اليك من الكتاب
تقربا الى الله تعالى بتلاوته فانه من افضل الاعمال وعنه صلى الله عليه وسلم من رونه
عن ربه شغله لسانه تلاوة القرآن عن دعائي ومسئلتي اعطيته افضل ما اعطي السائلين
واقم الصلوة ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر اذ اشتغاله بها والمحافظة على شرائطها
ومراقبة اوقاتها يمنعه عن الاشتغال بغيرها او لان الصلوة معراج العبد فاذا واظب
عليها وذاق حلاوة المناجاة ينسى سائر اللذات فلا يكون له همة سواها ولكن شرط
ذلك ان يقبل عليها بقلبه ويطرح ما سوى الله وراء ظهره روي ان فتى من الانصار
كان مسرفا على نفسه لا يدع شيئا من المنكر الا ارتكبه فوصف لرسول الله فقال كيف
صلاته فقالوا هو يصلي الصلوات مع رسول الله فقال ان صلوته ستنهاه ثم تاب
عن قريب ولذكر الله اكبر اي الصلوة اكبر الطاعات وعبر عنها بالذكر اشارة الى ما
هو العمدة فيها بل في سائر العبادات وهو ملاحظة كبرياء المذكور او ولذكر الله اكبر من
الصلوة لقوله افضل ما قلت انا والنبيون قبلي لا اله الا الله او ولذكر الله اياكم برحمة
اكبر من ذكركم اياه والله يعلم ما تصنعون لا يخفى عليه منه شيء وفي اثبات الصنع على العمل
حث على العمل عنه بالقلب والجوارح لابانته عن زيادة تعلق وتكلف ولا تجادلوا اهل
الكتاب الا بالتي هي احسن لابلغ الغاية القصوى في بيان طريق ارشاد المشركين
شرع في بيان مجادلة اهل الكتاب والمناظرة معهم والجدال بالاحسن هو مقابلة
الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالاناة وقيل منسوخ باية السيف

وليس كذلك لانه مشروط بعدم نفع الجدال بالاحسن وقيل المراد ذوو العهد
منهم وقيل الداخلين في الذمة ولا يصح الا بالتاويل لان السورة مكية الا الذين
ظلموا منهم افرطوا بنسبة الولد اليه تعالى ووصفه بالبخل كقولهم يد الله مغلولة وقولوا
امنا بالذي انزل الينا وانزل اليكم من جنس المجادلة بالتي هي احسن روى البخاري
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم
وقولوا امنا بالله وكتبه ورسله والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون منقادون لا لغيره
تعريض باهل الكتاب وكذلك انزلنا اليك الكتاب اي ومثل ذلك الانزال
انزل اليك الكتاب مصدقا لما بين يديه من الكتب فالذين اتيناهم الكتاب
يؤمنون به وهم عبد الله بن سلام واضرابه ومن هؤلاء العرب من يؤمن به
وهم الصحابة وقيل الذين اتيناهم الكتاب هم المتقدمون على البعثة ومن هؤلاء هم
اهل الكتاب الذين في عهد رسول الله وما يجحد باياتنا الا الكافرون المتوغلون في الكفر
لانها من الظهور في اقصى الدرجات وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك
وهذا ان سلم عندهم اذا لارتاب المبطلون وقالوا انه تعلمه من غيره وكان لذلك
للارتياب في الجملة وجه ان اريد بالمبطلين مشركو مكة وان اريد بهم اهل الكتاب
لكان لهم ان يقولوا الست بالموعود اذ شرطه ان يكون اميا فان قلت على ذلك التقدير
ليسوا مبطلين لان نعته في الكتابين انه امي فكيف سماهم مبطلين قلت لان مدار
النبوة على المعجزة وكونه اميا لا يخط ليس مما يتوقف عليه امره فكانه قال هؤلاء المبطلون
في كفرهم لو لم يكن اميا لارتابوا اشد الريب لارتيابهم مع كونه اميا بل هو اي القران
ايات بينات في صدور الذين اوتوا العلم يحفظونه عن التحريف والتبديل بخلاف
سائر الكتب وما يجحد باياتنا الا الظالمون لان التكذيب بعد ازاحة الشبهة في غير
موضعه وقالوا لولا انزل عليه اية من ربه كمائدة موسى عنادا منهم بعد ما الزموا
قل انما الايات عند الله لو شاء انزلها قرا نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص ايات
من ربه لموافقة الثاني وانما انا نذير مبين مقصور على الانذار ليس لي قدرة على
انزال ما تقترحونه اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم شفاها يتاملون
معانيه وسلاسة الفاظه وجعل الضمير لليهود بعيد لكون السورة مكية والاستفهام للتقرير
ان في ذلك الكتاب الموصوف لرحمة لنعمة عظيمة وذكرى وموعظة لقوم يؤمنون
لقوم قصدهم الايمان لا التعنت قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا بصدقي بالمعجزة
الدالة على نبوتي او كفى شهيدا باني قد بلغت ما ارسلت به واديت الامانة يعلم ما في
السموات والارض برهان على كونه كافيا والذين امنوا بالباطل هي الاوثان وكفروا
بالله اولئك هم الخاسرون في صفقتهم استعارة تبعية ويستعجلونك بالعذاب بقولهم
متى هذا الوعد ولولا اجل مسمى مدة موقتة لعذابهم لجاءهم العذاب اذ لا مانع سواه وليأتينهم

بغتة فجاة كوقعة بدر وهم لا يشعرون باتيانه يستعجلونك بالعذاب وان جهنم
لمحيطة بالكافرين اعاد ذكر استعجالهم وساقه مساق التعجب واثر الظاهر موضع
المضمر للدلالة على موجب الاحاطة والمراد احاطتها بهم يوم القيمة او الان لتكامل
اسبابها من الكفر والمعاصي يوم يغشاهم العذاب ظرف لمحيطة على الاول ومنصوب
بمضمر على الثاني اي كان كيت وكيت من فوقهم ومن تحت ارجلهم اي من جميع
الجوانب ويقول الله او بعض ملائكته الموكل بعذابهم وقرا ابن كثير وابن عامر
وابو عمرو بنون العظمة اسنادا مجازيا اذ لا يكلمهم الله يوم القيمة ذوقوا ما كنتم تعملون
اي جزاءه يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون كان
المؤمنون بمكة لا يقدرون على اظهار دينهم والقيام به على الوجه الاكمل ناداهم الله اضافهم
الى ذاته تشريفا لهم وبين لهم ان الاقامة بين اعداء الله المانعين من عبادته لا وجه لها
مع اتساع بلاد الله والفاء في فاياي فاء التسبيب عن قوله ان ارضي واسعة كما تقول
زيد اخوك فاكرمه وفي فاعبدون فاء الجزاء كل نفس ذائقة الموت تتجرع مرارتها فعلى
العاقل المبادرة الى العمل قبل فوات الفرصة ثم الينا ترجعون للجزاء ثم للتراخي رتبة
فان اول الجزاء بعقب الموت وقرا ابو بكر يرجعون بياء الغيبة والذين امنوا وعملوا الصالحات
لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة غرفا علالي وقرا حمزة والكسائي لنثوينهم من الثواء وهو
الاقامة وعلى هذا انتصب غرفا على تضمين معنى الانزال او بتقدير في او بحمل المكان
المعين على المبهم تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نعم اجر العاملين المخصوص
محذوف دل عليه ما قبله الذين صبروا على مفارقة الاوطان واذى المشركين وعلى
ربهم يتوكلون في جميع الامور وكاين من دابة لا تحمل رزقها لضعف بنيتها او لا تدخره
توكلا على الله الله يرزقها واياكم بان اقدركم على الكسب تشجيع لهم على هجرة الاحباب
ومفارقة الاوطان وان لا يهمهم امر المعيشة وهو السميع لقولكم حين قلتم كيف نقدم
بلدا ليس لنا فيه اسباب المعيشة العليم بضمائركم ولئن سالتهم من خلق السموات
والارض وسخر الشمس والقمر الضمير لاهل مكة وايراده لتوكيد ما تقدم كانه قال ان الذي
اوجد ابتداء احرى بان يكون قادرا على الابقاء فكما اوجد بلا مادة هذه الاجرام يقدر
على تيسير الرزق على هؤلاء الضعاف من غير اسباب ليقولن الله لما تقرر في العقول
بحيث لا يقدر احد على انكاره فانى يؤفكون كيف يصرفون عن التوحيد بعد هذا
الاقرار تعجيب من حالهم الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له فكم من
ساع لا يقدر على قوت يومه وكم من فارغ البال ياتيه الارزاق من كل اوب
ويجوز ان يكون الموسع عليه والمضيق واحدا والبسط والقبض على التعاقب ان الله
بكل شيء عليم يعلم من يصلح له البسط او القبض او وقت كل منهما ولئن سالتهم
من نزل من السماء ماء فاحيا به الارض بعد موتها ليقولن الله اعترافا منهم بانه الموجد

للكائنات قل الحمد لله اي اذا كان الكل منه فالحمد مختص به لا يشاركه فيه احد
وفيه رد على المشركين وتسفيه لهم لانهم مقرون بالمقدمات وينكصون عند النتيجة
وامتنان عليه صلى الله عليه وسلم حيث عصم عن مثل تلك الضلالة ووفق لاظهار
الحجة بل اكثرهم لا يعقلون فلذلك يناقضون اضراب عن جهلهم الخاص الى ما
هو ابلغ وهو انهم مسلوبو العقول وقوله قل الحمد لله اعتراض لتقرير الاستحقاقه العبادة
والزامهم او لا يعقلون لما ذا الحمد عند مقالهم الحمقاء فهو من تتمة قل الحمد لله ومعنى
الاضراب انهم اذا لم يفطنوا لتلك المناقضة الظاهرة فبالاولى ان لا يفطنوا لمكان
حمدك وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب اشارة بهذه الى الدنيا الدنية التي لا يساوي
عند الله جناح بعوضة فهي كالشيء الذي يتلهى به الصبي ويلعب ثم يتركه بعد لحظة
وان الدار الآخرة لهي الحيوان اي الحيوة الدائمة وكما بالغ في تحقير الدنيا بالغ في تعظيم
الآخرة بتأكيد الجملة انواع تأكيدات تصديرها بان وادخال اللام وايثار المصدر الدال
على انها نفس الحيوة ثم ايثار الحيوان على الحيوة لما في بناء فعلان من معنى الحركة
والاضطراب اللازمين للحيوة لو كانوا يعلمون لو كانوا من اولي العلم لما استبدلوا
بالشريف الخسيس والباقي الفاني فاذا ركبوا في الفلك نوع آخر من جهالاتهم
متصل بما قبله بما دل حالهم عليه دعوا الله مخلصين له الدين لعلمهم بان لا قدرة لغيره
فلما نجاهم الى البر نجاهم من الغرق واصلين الى البر اذا هم يشركون فاجاؤوا الشرك
من غير تمكث ليكفروا بما آتيناهم من النعمة وهي النجاة من الغرق وكان الواجب
عليهم شكرها واللام فيه لام كي ويحتمل ان يكون لام الامر لقوله وليتمتعوا بسكون اللام
وهي قراءة ابن كثير وحمزة والكسائي وقالون لان لام كي لا يجوز اسكانها لحذف
ان بعدها وضعف عوامل الافعال ويؤيد هذه القراءة قوله في سورة الروم ليكفروا
بما آتيناهم فتمتعوا فسوف يعلمون وخامة العاقبة اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا
اي قررا وتوبيخ لان مكة خاصة بين المشركين لاختصاصهم بهذه النعمة وهي الامن
في اشرف البقاع ويتخطف الناس من حولهم التخطف سلب الشيء خفية وكان
هذا شان العرب لم يزالوا في التجارب والتناهب افبالباطل يؤمنون بعد
وضوح هذه النعمة تعجب من حالهم وبنعمة الله يكفرون بالاشراك به وتقديم الصلتين
للاهتمام او الاختصاص مبالغة ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اي لا اظلم منه
وفي الحديث ليس الكذب علي كالكذب على احد واذا كان الكذب على رسول الله
لا يشبه كذبا فعلى الله من باب الاولى او كذب بالحق لما جاءه اي بالرسول او
الكتاب والتعبير عنه بالحق للدلالة على المدح ولما نظيرة اذا الفجائية في الدلالة على
انهم كذبوه من غير توقف كما يفعله العقلاء المراجيح عند سماع الخبر اليس في جهنم
مثوى للكافرين استفهام تقرير كقول جرير الستم خير من ركب المطايا والمعنى الا يستوجبون

الثواء فيها وقد افتروا على الله او قد صح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين ومع ذلك قد
اجترؤا على الافتراء لذا الاول على تبيين حالهم للغير واستحقاقهم والثاني على توبيخهم
تذكيرا لما صح عندهم والذين جاهدوا فينا خاصة من غير اشراك جعل ذاته مستقرا
لمجاهدة واطلق المجاهدة ليتم الظاهرة والباطنة لنهدينهم سبلنا الطرق الموصلة الينا
وسبل الحق وان كان واحدا الا انه جمع باعتبار انواع المجاهدة وفي الحديث من
عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وان الله لمع المحسنين المخلصين في عباداتهم تقوية
لجاش المجاهد في العبادة بان الله معه بالنصر والاعانة تمت السورة والحمد لله على الاحسان
والصلوة على خير البرية وعين الانسان انسان العين

سورة الروم مكية وقيل الا قوله فسبحان الله وهي ستون وقيل تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الم غلبت الروم في ادنى الارض اي ارض العرب لانها
المعهودة عندهم وهي اذرعات وبصرى من بلاد دمشق وبها كانت غلبة فارس
على الروم او في ادنى ارضهم اي ارض الروم الى العدو وهي الجزيرة والروم من اولاد عيص
بن اسحاق وهذه الطائفة من ذريته وكانوا على ملة عيسى بن مريم والفرس كانوا
مجوسا والمشركون عبدة الاوثان ولما بلغهم الخبر فرحوا بغلبة الفرس لانهم ليس لهم
كتاب كالمشركين فنزلت الآية وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ففرح
بذلك المؤمنون وكثر التشاجر بينهم وبين المشركين حتى راهن ابو بكر رضي الله عنه
ابي بن خلف على عشر قلائص ان لم يغلب الروم الفرس في سبع سنين فذكر ذلك
لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع من الثلث الى التسع فزايده في الخطر والمدة
فرجع ابو بكر رضي الله عنه الى ابي بن خلف وتوافقا على تسع سنين ومائة قلوص فلما دخل
السنة السابعة غلبت الروم وجاء الخبر بذلك ورسول الله بالمدينة وكان ابي قتل يوم
احد فاخذ ابو بكر رضي الله عنه القلائص من ورثته وكان ذلك قبل تحريم القمار
لان آية الميسر في المائدة وهي القرآن نزولا وكان هذا من دلائل النبوة وباهر آياته
لله الامر من قبل ومن بعد اي له الحكم والارادة من قبل كونهم غالبين وهو وقت
كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين ويومئذ يفرح
المؤمنون بنصر الله الروم لانهم اهل كتاب وشريعة مثلهم وفي ذلك تفاؤل لهم
وعن ابن عباس رضي الله عنه والثوري ان غلبة الروم على فارس كانت يوم بدر
وعن قتادة وعكرمة والزهري انها كانت يوم الحديبية سنة ست من الهجرة وهذا اقرب
لما روي ان هرقل كان قد نذر لئن نصره الله على الفرس ليزورن بيت المقدس
فلما انتصر ذهب الى بيت المقدس لقيه دحية بن خليفة الكلبي بكتاب رسول الله يدعوه
الى الاسلام ينصر من يشاء وهو العزيز الغالب يذل من اراد بالخذلان الرحيم يعز من
يشاء بالنصر وعد الله مصدر مؤكد كقولك له علي الف اعترافا لا يخلف الله وعده لكونه

كذبا وهو عليه محال والدلالة على العجز وعدم العلم بعواقب الامور تعالى عن ذلك علوا
كبيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك لعدم النظر الصحيح يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا
بدل من لا يعلمون بدل الكل او فى ابداله المقصود والدلالة على ان العلم بظاهر الحيوة
كلا علم لان الغرض من الدنيا باطنها وهو انها مزرعة الاخرة وانما نكر ظاهرا اشارة
الى كمال بلادتهم وانهم لم يعلموا من ظاهرها الا نزرا قليلا فان من العلم بظاهرها معرفة
حقايقها وصفاتها وكيفية الصدور منها والتصرف منها وهم عن كلها بمعزل وهم عن
الاخرة هم غافلون هم الثانية تكرير للاولى او مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر
الاولى وعلى الوجهين تحقيق لغفلتهم اولم يتفكروا فى انفسهم توبيخ على عدم التفكر فيما يعود
نفعه بدل اشتغالهم بالبحث عن نضر المحسوس وفرحهم بذلك والمعنى هلا احدثوا التفكر
فى انفسهم الفارغة عنه والفكر لا يكون الا فى النفس فذكرها لتصوير الحال كقولك ابصره
بعينيه ويجوز ان يكون فى صلة يتفكروا كقولك تفكر فى المسئلة واجال الرأى فيها والمعنى
ان انفسهم اقرب الاشياء اليهم وقد اشتملت على نظاير ما يعرف فى الكاينات من
العالم العلوى والسفلى فلم يتفكرون فيها ما خلق الله السموات والارض وما بينهما
الا بالحق متعلق بمقدر اى فيعلموا بعد التفكر ان خلق هذا العالم ليس عبثا بل لحكمة بالغة
وهى الابتلاء بالمجازى المحسن والمسيء والباء فى بالحق مثلها فى اشتريت الفرس بلجامه
دالة على المقارنة واللزوم واجل مسمى ينتهى لا يتجاوزه وان كثيرا من الناس بلقاء
ربهم لكافرون جاحدون لكونهم دهرية لا يقولون بالمعاد اولم يسيروا فى الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كعاد وثمود وقوم لوط استفهام تقريرى
قد وقع ذلك السير والنظر مع عدم التفاتهم اليه وتاملهم واعتبارهم كانوا اشد منهم قوة
فى الحديث خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا فلم يزل ينقصون الى يومنا واثار
واثاروا الارض وعمروها اكثر مما عمروها قلبوا الارض لزرع النبات وطلب المعادن
وغرس الاشجار واكثر مما فعل اهل مكة لطول اعمارهم وقوة اجسادهم وكثرة اموالهم واولادهم
فلم يقدروا على دفع العذاب النازل فكيف بمكان واد غير ذى زرع لا تبسط لهم فى
المال ولا تسلط على البلاد وجاءتهم رسلهم بالبينات المعجزات الواضحات فلم يبق
لهم عذر يعتذرون به فما كان الله ليظلمهم بعد ذلك الارسال وقطع الاعذار ولكن كانوا
انفسهم يظلمون بتعريضها لسخط الله ثم كان عاقبة الذين اساؤا السوأى اى كان
عاقبتهم العقوبة السوأى وهى جهنم وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان تلك
العقوبة السوأى جزاء لاساءتهم ان كذبوا بايات الله وكانوا بها يستهزؤن اى لان
كذبوا ويجوز ان يكون مفسرة للاساءة لانها تكون قولية وفعلية والسوأى مفعول اساؤا
اى اكتسبوا الخطيئة القبحى وان كذبوا عطف بيان والخبر محذوف اى جهنم وقرا ابن
عامر والكوفيون عاقبة بالنصب على خبرية كان فالسوأى اسمه بمعنى العذاب او دخول

جهنم

جهنم او هى مفعول اساؤا وان كذبوا الاسم الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم اليه ترجعون
للجزاء ثوابا وعقابا فيه وعده ووعيد ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون يياسون من
الابلاس وهو الياس ومنه ابليس للشيطان او يدهشون ويتحيرون ومنه الم
تر الجن وابلاسها ولم يكن لهم من شركائهم اى ممن اشركوه بالله فى الالوهية شفعاء
كما كانوا يزعمون وكانوا بشركائهم كافرين اى يكفرون بهم فى ذلك اليوم واتيان الماضى
لتحقق وقوعه او للاتباع اى كانوا كافرين فى الدنيا بسببهم ويوم تقوم الساعة يومئذ
يتفرقون اى المؤمنون والكافرون لقوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون وقوله فاما الذين
امنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة ارض ذات ازهار وانهار واشجار وثمار
يحبرون يسرون ويتنعمون من الحبرة وهى البهاء والحسن فى كل شىء ومنه حديث
ابى موسى الاشعرى لما استمع رسول الله لقراءته واستحسنه لو كنت اعلم انك تستمع لحبرته
تحبيرا واما الذين كفروا وكذبوا باياتنا ولقاء الاخرة فاولئك فى العذاب محضرون لا يغيب
عنهم وما هم عنها بمخرجين وانما لم يكتف بالكفر بل اضاف اليه التكذيب بايات الله
ولقاء الاخرة لكونه فى مقابلة الذين امنوا وعملوا الصالحات فسبحان الله حين تمسون
وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والارض وعشيا وحين تظهرون كانه قال اذا
صح عندكم حال المعرضين عن عبادته والمقبلين على طاعته فسبحوه فى هذه الاوقات
هربا من ويل عقابه وطلبا لنيل ثوابه وانما صدر الكلام بالتنزيه واوقع الحمد اعتراضا لان
الكلام ها مع المشركين فالتقديس هو الغرض المسوق له الكلام وخص الاوقات
المذكورة به لظهور الائها على باهر قدرته سئل ابن عباس رضى الله عنه هل تجد فى القران
ذكر الصلوات الخمس فقال نعم وقرا الاية وذلك ان تمسون يدل على المغرب والعشاء
وتصبحون على الصبح وعشيا على العصر وتظهرون على الظهر وما روى عن الحسن ان الاية
مدنية والصلوات الخمس فرضت بالمدينة منكر لانها فرضت ليلة المعراج بلا خلاف
وابن عباس رضى الله عنه من قرا هذه الاية ادرك ما فاته فى يومه ومن قراها حين
امسى ادرك ما فاته فى ليلته ثم استانف بما يدل على استحقاقه التقديس والتحميد بقوله
يخرج الحى من الميت الانسان من النطفة او المؤمن من الكافر او العالم من
الجاهل ويخرج الميت من الحى فى عكس ذلك ويحيى الارض بعد موتها باخراج انواع
النبات منها مع عدم التجانس وكذلك تخرجون منها اذ لا فرق بين اخراج النبات
الاخضر واخراج البشر بل الثانى اظهر لكون تلك الاجزاء كانت محل الاية مدة وقرا حمزة
والكسائى بفتح التاء وضم الراء ولامن وكوان وجهان ومن اياته لبعض اياته الدالة
على العلم والقدرة ان خلقكم من تراب اى اصلكم وهو ادم او كل واحد لما فى الحديث
من ان النطفة التى يخلق منها الانسان يعجن بالتراب الذى يدفن فيه اذا مات
ثم اذا انتم بشر تنتشرون اى خلق كثير متفرقون فى اقطار الارض واكناف البلاد لاسباب

المعايش وسائر الاعراض فان قلت كيف استقام الجمع بين ثم واذا الفجائية مع
تنافي مقتضاهما قلت لا تنافي لان ثم للدلالة على بعد سنه والكثرة من ذلك الاصل الواحد
الكاين من تراب ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا اي من جنسكم اناثا او من
نطفكم او لان حوا خلقت من ضلع آدم وسائر النسا خلقن من اصلاب الرجال
لتسكنوا اليها لتميلوا اليها وتطمئنوا اليها فان في الوحدة وحشة وفي اختلاف الجنس تنافر
وجعل بينكم مودة بواسطة شهوة ركبها في كل من الزوجين ورحمة لرقة الجنسية والفة الازدواج
وعن الحسن الرحمة الولد لقوله تعالى ورحمة منا ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون
في ذلك ومن اياته خلق السموات والارض واختلاف السنتكم لغاتكم لعربي وسائر
اللغات بان علمها آدم بالهام او خلق علم ضروري كما قاله الاشعري او بالاقدار على
وضعها كما قاله غيره والاول هو الظاهر والوانكم في اصولها كالبياض والسواد والحمرة وما
يتركب منها لا ترى بين افراد البشر التحادي في لون قط ان في ذلك لايات للعالمين
من الملك والانس والجن وقرا حفص بكسر اللام والفتح ابلغ لان الايات وان لم
يعقلها الا العالمون الا انه اعم مفهوما ومن اياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من
فضله اي في النهار وكان ظاهر اللف ان يقول ومن اياته منامكم وابتغاؤكم
من فضله بالليل والنهار الا انه عدل عنه اهتماما بالظرف لان الاية انما يحصل به
وقدم المنام لكونه اهم تعلقه مع قطع النظر عن الليل بخلاف الابتغاء ان في ذلك
لايات لقوم يسمعون سماع تدبر ومن اياته يريكم البرق الفعل مقدر بان وبعد
حذفه نزل الفعل منزلة المصدر وازيل اثره في تسمع بالمعيدي وقوله شعر وقالوا ما تشا
نعقات الهوى الا الصباح اثر ذي اثير او التقدير ومن آياته ما يليكم ثم بين بقوله
يريكم البرق وقيل حال من البرق مقدم اي ويريكم البرق خوفا وطمعا حال كونه من
اياته وقيل صفة حذف موصوفه اي ومن اياته اية يريكم بها البرق خوفا من الصاعقة
او من الاخلاف وللمسافر وطمعا في المطر وللحاضر ونصبهما على العلية بتقدير مضاف
اي ارادة خوفكم او الخوف بمعنى الاخافة ويجوز كونهما حالين اي خائفين طامعين
كقوله كلمته شفاها وينزل من السماء ماء فيحيي به الارض بالنبات مجاز حكمي بعد موتها
يبسها وذهاب نضارتها مجاز لغوي ان في ذلك لايات لقوم يعقلون يستعملون
عقولهم ولما كان خلق الازواج للالفة والاطمئنان اليها وايقاع المودة والرحمة
بين الزوجين الذي لا يتم امر التعيش الا به غموض يحتاج الى تامل وتدبر جعل الفاصلة
التفكر وخلق السموات والارض واختلاف الالسن لما كان محسوسا لا يحتاج الا ان
يكون الناظر فيهما من اولي العلم والعقل فصل الاية به ولما كان وجه الحكمة في تعاقب
الليل والنهار للاستراحة وكسب المعاش في غاية الظهور اكتفى فيهما بالسماع وفي ارادة
البرق وانزال الما لاحيا الارض بالنبات بعد ذهاب نضارتها وكيفية تكونهما لظهور

كمال

كمال قدرة الصانع نوع خفا يحتاج الى توجيه العقل نحوه اوقع الفاصلة يعقلون
واما قيام السما والارض بامره فامر بين فلم يحتج الى ذكر شي من ادوات الادراك
ولذلك قال ومن اياته ان تقوم السما والارض بامره ثم اذا دعاكم دعوة من
الارض اذا انتم تخرجون اذا الاولى شرطية والثانية فجائية داخلة على الجزاء قائمة
مقام الفا والجملة الجزائية في تاويل المفرد معطوفة على ان تقوم وانما غير الاسلوب
اشعارا بان هذه الاية خارجة عن جنس تلك الايات مستقلة مقصودة في ذاتها
ومن مقدماتها من الارض متعلق بدعاكم كقولك دعوته من المسجد اذا كان المدعو
فيه ولا يجوز تعلقه بتخرجون لان ما بعد اذا لا يعمل فيما قبلها والداعي هو اسرافيل
لقوله يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ولما روي ان اسرافيل يقف
على صخرة بيت المقدس وينادي ايتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور
المتفرقة ان الله يامركم بالحضور للقضا وقيل هو الله تعالى وذكر دعوة اشارة الى سرعة
خروجهم وانه لا يتوقف الا على مجرد ما ينطلق اسم الدعا والعطف ثم للدلالة على عظم
ذلك الامر وكمال اقتدار الله ويجوز ان يكون للتراخي زمانا وله من في السموات
والارض خلقا وملكا كل له قانتون نافذ فيهم امره طوعا وكرها اصل القنوت
الطاعة وقد جا بمعنى الدعا والخشوع والصلوة والقيام وطول القيام والسكوت
كما في حديث زيد بن ارقم كنا نتكلم في الصلوة حتى نزل قوله تعالى وقوموا لله قانتين
فسكتنا وعن ابي سعيد مرفوعا كل قنوت في القران بمعنى الطاعة وهو الذي يبدا
الخلق ثم يعيده وهو اهون عليه من البدي في مجاري عرفكم وان كان الكل تحت
قدرته على السوا وفيه تسفيه لهم حيث جهلوا هذا القياس الجلي وعن ابن عباس
الاهون بمعنى الهين وقيل الضمير في عليه للخلق ويرده ما رواه البخاري من الخبر
القدسي كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك بقوله لن يعيدني كما بداني وليس اول
الخلق باهون علي من اعادته وله المثل الاعلى الوصف العجيب الشان عن
ابن عباس هذا مثل قوله ليس كمثله شي يريد ان ذاته لا تشبه الذوات ولا صفاته
تماثل الصفات وعن قتادة هو قول لا اله الا الله يريد التوحيد في السموات والارض
يتعلق بالاعلى او بالخبر الذي يتعلق به الجار اي يشهد له من فيهما من الاشخاص وما فيهما
من الاجزا اما نطقا او دلالة وهو العزيز الغالب الذي لا يغالب الحكيم الذي
لا يفعل شيئا الا لحكمة ولذلك ضرب لكم مثلا من انفسكم منتزعا منها فان للامثال
شانا في ابراز المعاني وتقريرها في النفوس لاراءتها المعقول في صورة المحسوس لا سيما
اذا كان المثل حالا من احوال الممثل له هل لكم مما ملكت ايمانكم من العبيد والاماء من شركا
فيما رزقناكم من الاموال فانتم فيه سوا تتصرفون فيه على السوا تخافونهم كخيفتكم انفسكم كما
يخاف الاحرار بعضهم من بعض من الاولى ابتدائية والثانية للتبعيض والثالثة مزيدة لتاكيد

النفي او انكم تخافون عن مشاركة ما ملكتم وانتم وهم سواء في البشرية فكيف تجوزون
ذلك لرب الارباب خالق السماوات والارض والممالك كذلك نفصل الايات مثل
هذا التفصيل الجلي نفصل ساير الايات لقوم يعقلون يتدبرون بعقولهم في الامثال
وعن ابن عباس كان المشركون يقولون لبيك لا شريك لك الا شريكا هو
لك فنزلت بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم اي لا خفاء في هذا المثل ولكن
المشركين اتبعوا اهواءهم جاهلين لا علم لهم يكفهم عن ذلك فمن يهدي من اضل الله
اي لا احد يقدر على هداية من اراد الله ضلالته وما لهم من ناصرين لامتناع وقوع
خلاف مراده والحال ان لا هادي لهم في الدنيا لا ناصر لهم في الاخرة من العذاب
فاقم وجهك للدين حنيفا اي بعد ما بلغت اصرف كلك الى طاعته مايلا عن غيره
غير ملتفت الى سواه والتعبير بالوجه لان من اهتم بشيء سدد اليه نظره وقوم له
وجهه مقبلا عليه ويحتمل ان يكون حنيفا حالا من الدين فطرة الله اي عليكم والزموا
فطرة الله هي ما جبلوا عليه من القابلية والتمكن من الايمان التي فطر الناس عليها
لما روى ابو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد الا على الفطرة
فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه ولما رواه عياض ان الله تعالى يقول خلقت
عبادي كلهم حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وقيل الفطرة العهد في عالم الارواح
لا تبديل لخلق الله خبر في معنى الانشاء اي لا تغيروا تلك الفطرة او اعتراض كانه
قيل الزموا تلك الفطرة او لا قدرة لكم على هداية من خلق شقيا ذلك الدين القيم
اي الدين المامور به هو الدين الذي لا عوج فيه ولكن اكثر الناس لا يعلمون ذلك
لاخلالهم بالنظر الصحيح منيبين اليه حال من ناصب فطرة او من فاعل اقم ومعنى كون
خطابه خطابا للامة باعتبار الحكم وشموله والانابة الرجوع الى الله بالتوبة مرة بعد
اخرى من التوبة واتقوه واقيموا الصلوة ولا تكونوا من المشركين معطوفات على
ذلك المضمر الناصب من الذين فرقوا دينهم بدل من المشركين اي امنوا ببعضه
وكفروا ببعضه او كل ذهب الى راي وقرا حمزة والكسائي فارقوا بالالف بعد الفاء اي
تركوه وهذا ابلغ وكانوا شيعا فرقا كل فرقة شيعة امامها الذي اضلها كل حزب بما لديهم
فرحون مبتدا وخبر اي مسرورون بدينهم حقا كان او باطلا او كل حزب مبتدا و
الذين فرقوا خبره فيختص بالدين الباطل وفرحون خبر بعد خبر وقيل صفة كل وفيه
انه لبيان الكمية فلا يوصف الا ما دخل عليه فلا يقول كل عالم فاضل في الدار برفع
فاضل واذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين اليه راجعين اليه بالتوبة ثم اذا
اذاقهم منه رحمة شفاء من المرض ونجاة من الشدة اذا فريق منهم بربهم يشركون
فاجاء فريق منهم الاشراك وفي اختيار لفظ الرب زيادة توبيخ لهم ليكفروا بما اتيناهم
اللام للعاقبة او تعليل لما دل عليه الكلام اي افاض عليهم ليكفروا او لام الامر للتهديد كقوله

اعملوا

اعملوا ما شئتم بدليل قوله فتمتعوا وقد التفت مبالغة فسوف تعلمون وبال تمتعكم
ام انزلنا عليهم سلطانا اضراب الى ما هو ابعد فهو يتكلم بما كانوا به يشركون اي
بكونهم مشركين بالله ويجوز ان يكون ما موصولة والتكلم مجاز عن الدلالة او يقدر
مضاف اي ذا سلطان اي ملكا واذا اذقنا الناس رحمة نعمة وعافية يريد
بعضهم لقوله في سورة هود الا الذين صبروا فرحوا بها بطرا وان تصبهم سيئة شدة
بما قدمت ايديهم بسبب معاصيهم اذا هم يقنطون فاجاؤوا القنوط لا كالمؤمنين
الشاكرين في السراء والضراء اولم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر
تتميم للانكار على من بطر بالنعمة ويئس عند زوالها وقد علم ان القابض هو الله
فعلا مرجع اليه بالتوبة يبعدها ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون بان الكل
منه تعالى اذا سلبوا النعمة ذكروا الله فات ذا القربى حقه يا محمد ومن بسطه اذا
علمت ان البسط وضده من الله فاثر الاحسان على سؤاله ولا يكون مخلا لاحسان
الله اليك واستدل به ابو حنيفة على وجوب نفقة المحارم اذا كانوا فقراء وفيه
ان ذي القربى يعم المحارم وغيرهم وحقه ساير انواع البر والمسكين وابن السبيل
حقهما من الزكوة ذلك خير للذين يريدون وجه الله اي يقصدون بمعروفهم اياه
خالصا او جهة التقرب اليه لا جهة اخرى وقيل النظر الى وجهه واولئك هم المفلحون
الفائزون وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس ما اعطيتم اكله الربا زيادة
على حقهم ولا يربو فلا يزكو اولئك عند الله ولا يبارك فيه لكونه حراما وعن ابن
عباس هذا في الربا المباح وهو ان يهدي الرجل اليك مريدا ان تثيبه اكثر
من هديته واستدل بقوله تعالى ولا تمنن تستكثر وبالحديث المستغزر يثاب من هبته
وقرا ابن كثير اتيتم بالقصر من الاتيان بالفعل ونافع لتربوا بضم التاء واسكان
الواو وخطابا من الارباء اي لتزيدوا في اموالهم او لتزدادوا انتم وما اتيتم من
زكوة تريدون وجه الله تشمل الواجب والنفل فاولئك هم المضعفون ذووا
الاضعاف من الثواب لم يجر الكلام على السنن السابق كانه يعرف ملائكته
وخواص عباده حالة المتصدقين عنده ولما في اسم الاشارة من الاشعار بعليه
الوصف ويجوز تقدير الكلام فمؤتوه اولئك وكم بين الوجهين الله الذي خلقكم
ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء الله مبتدا
والذي خلقكم خبره او صفته وهل من شركائكم هو الخبر والرابط اسم الاشارة هذه
خواص الالوهية اثبتها لذاته بكلام خال عن التوكيد لكونها امورا مسلمة لا نزاع
لهم فيها من الاولى للتبعيض تقيدان ما منهم فاعل قط والثانية ايضا كذلك لتفيد
ان بعضا من تلك الافعال لا ياتي من احد من شركائهم فضلا عن الكل والثالثة
مزيدة لتوكيد شمول النفي اي ما يطلق عليه اسم الشيء ولما بين انتفاء الشركاء قدس

وانه قابل سبحانه وتعالى عما يشركون عن اشراكهم او ما يشركونه ظهر الفساد في البر
والبحر بما كسبت ايدي الناس عن ابن عباس عنه البر هو المفازة والبحر المدن والقرى
لما روي البخاري ان رسول الله صالح ملك ايلة وكتب له ببحره اي ببلده وقيل هما
البر والبحر المعروفان ومعنى ظهور الفساد فيهما محق البركات وقلة المنافع في كل
صنف من اصناف الاموال وانواع الحرف بشوم الظلم والمعاصي وفي الحديث
او اماتة الفاجر استراح منه العباد والبلاد والشجر والدواب وعن الامام احمد
بن حنبل وجد في زمن ابن زياد صرة فيها البر كل حبة مثل نوى التمر مكتوب على
الصرة هذا نبت في زمن العدل ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون انما
فعل بهم ذلك ليذيقهم في الدنيا بعض جزاء تلك المعاصي عسى ان يعتبروا ويقلعوا
عنها قرا ابن كثير في رواية قنبل لنذيقهم بالنون وهو اشد تهويلا قل سيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل اي اذا قصر ادراككم عن المعقولات
سيروا في الارض لتشاهدوا بالابصار آثار الامم المكذبة وما حل بهم فتلك بيوتهم خاوية
بما ظلموا كان اكثرهم مشركين منهم فاقم وجهك للدين القيم الشديد الاستقامة
من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله لا يقدر على رده احد الخبار متعلق بياتي ويجوز
تعلقه بمرد لانه مصدر بمعنى الرد اي لا رد له من جهة لا برام القضاء بعد تعلق الارادة
يومئذ يصدعون يتفرقون تفرقا لا اجتماع بعده فريق في الجنة وفريق في السعير
من كفر فعليه كفره لا يتجاوزه الى آخر ومن عمل صالحا فلانفسهم يمهدون يسوون
المنزل ويفرشونه في الجنة كمن اراد الرقاد في مكان لا يبقى فيه شيئا مما يؤذي الراقد
او يشفقون على انفسهم كناية عن كمال شفقتهم وفي المثل ام فرشت فانامت قال
قراو ابن عومه وكنت لهم عما لطيفا ووالدا رؤفا واما فرشت فانامت ليجزي الذين
آمنوا وعملوا الصالحات تعليل ليمهدون ودل بمنطوقه على اختصاصهم بالجزاء وبمفهومه
على انهم اهل الزلفى والمحبة من فضله اي ذلك تفضل منه لا واجب عليه انه لا يحب
الكافرين دل صريحا على ان عدم المحبة المقتضي حرمانهم وبمفهومه على ان مقتضي الجزاء
هو فراضداده فيلزم منه محبة المؤمنين ومن آياته ان يرسل الرياح مبشرات
بالمطر وهي الصبا والشمال والجنوب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلها رياحا
ولا تجعلها ريحا يريد به الدبور فانه للعذاب قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
وليذيقكم من رحمته عطف على مبشرات كانه قال ليبشركم وليذيقكم او على علة محذوفة
دل عليها مبشرات او على يرسل باضمار فعل معلل دل عليه ولتجري الفلك بامره بارادة
لا بالبحر والرياح اذ ليس كل ريح مواتيه وقيل بارادته من امور والمخاصمة التي لا يقدر عليها
غيره ولتبتغوا من فضله هو تجارة البحر ولعلكم تشكرون ولكي تشكروا نعمة الله فيها
ولقد ارسلنا من قبلك رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فانتقمنا من الذين اجرموا

اي فكذبوهم فانتقمنا من المجرمين وكان حقا علينا نصر المؤمنين على
المجرمين رفع من شان المؤمنين وباهلهم للكرامة حيث جعلهم مستوجبين للنصر منه
وقد يوقف على حقا اي كان ذلك الانتقام حقا ثم يبتدئ علينا نصر المؤمنين اي
في كل اوان وعن ابي الدرداء ان رسول الله قال ما من امرئ مسلم يرد عن عرض
اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم ثم تلا هذه الآية الله الذي يرسل الرياح
فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء اشار الى كيفية انشاء السحاب ترى السماء صاحية
فيرسل ريحا فتثير سحابا اما انشاء من العدم او من البحر كما قيل فيكثره متشابها ويمده
كيف يشاء متصلا ومتفرقا كثيفا ورقيقا وقرا ابن كثير وحمزة والكسائي الريح مفردا لارادة
الجنس ويجعله كسفا قطعا جمع كسفة كقطع في قطعة وقرا ابن عامر في رواية ابن ذكوان
وهشام في روايته بالسكون اما لانه مخفف بالاسكان او مصدر فترى الودق
اي المطر يخرج من خلاله في تلك الحالات فاذا اصاب به من يشاء من عباده
اي بلادهم واراضيهم اذا هم يستبشرون وان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله
لمبلسين كرر لفظ قبل للتاكيد ودلالة على ان ابلاسهم وقنوطهم كان في غاية الاستحكام
ليكون الاستبشار الواقع بعده في اقصى الدرجات فانظر الى آثار رحمة الله من النبات
والاشجار والثمار اشارة الى تحقيق طرف المعاد وبعد البرهان على طرف المبدا من
ارسال الرياح وانشاء السحاب وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وابو بكر اثر بالافراد والجمع
احسن لشيوع الاثر كيف يحيي الارض بعد موتها بعد يبسها ان ذلك لمحيي الموتى اي ان الذي
احيا الارض هو الذي يحيي الموتى لان احياءهم اعادة للحياة في تلك المواد كما ان احياء
الارض اعادة للنضارة واحداث القوى النامية بعد تلاشيها وهو على كل شيء قدير
برهان على ذلك لانداجه في هذه الحكاية ولئن ارسلنا ريحا فراوه اي اثر الرحمة
وهو الزرع او الريح لانه اذا كان مصفرا لا غير مصفرا لظلوا من بعده يكفرون
اللام الاولى موطئة والثانية داخلة على جواب القسم الساد مسد الجوابين والريح
المصفر هو الذي يضرب الزرع بالصفار وهو آفة يصفر منه الزرع ذم المشركين بانهم
لا يستدلون بالايات على وحدانيته ولا يشكرون نعمه ولا يصبرون على بلائه
فهم احقاء بالانتقام وفي ذلك تسلية له ووعد بالنصر فانك لا تسمع الموتى ولا تسمع
الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين وما انت بهادي العمي عن ضلالتهم لما اكثر في البراهين
القاطعة والادلة النيرة الساطعة ولم يزدادوا الا طغيانا جعلهم موتى لا حس لهم وصما
لا سامعة لهم وقيد الادبار الى شدة الامتناع فان الاصم اذا كان مقبلا ربما فهم
بالاشارة وعميا لا يبصرون وفي هذا الترتيب تنزل من الاقوى الى الاضعف
مع اشتراك الكل في الاستحالة وقرا ابن كثير ولا يسمع بالياء الصم والخطاب ابلغ
مع موافقته للاول ان تسمع الا من يؤمن باياتنا لصحة فهم القوى والحواس الى

التدبر في آيات الله ويجوز ان يراد المشركون فانهم مسلمون منقادون لاوامره
ولما لم ينجع فيهم آيات الآفاق تلا عليهم آيات الانفس في اطوارها من اول النشاة
الى الانتهاء فانها اول دليل واعدل شاهد على الصانع القدير الله الذي خلقكم
من ضعف بني عليه اساسكم لقوله خلق الانسان ضعيفا او من نطفة لقوله ماء مهين
وقرأ عاصم في رواية ابي بكر واحد وجهي حفص وحمزة بفتح الضاد وهما لغتان والفتح
لغة تميم والضم لغة الحجاز ثم جعل من بعد ضعف قوة وذلك وقت البلوغ واوان الشباب
ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة بالشيخوخة والتنكير في المعاد للتغاير وهو العليم القدير
كامل العلم والقدرة ولذلك يحدث في مادة اطوار امثاله ويوم تقوم الساعة
يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة في الدنيا او في القبور لاستعظامهم عذاب يوم القيمة
او فيما بين فناء الدنيا والبعث لما روي ان لا تعذب اذ ذاك والساعة الاولى
علم ليوم القيمة كالنجم للثريا والكوكب للزهرة والثانية ما يتعارفه الناس من الزمان
كذلك كانوا يؤفكون يصرفون في الدنيا عن الحق ويبنون امرهم على الباطل
بيان لحال المجرمين في الجهل المفرط واشارة الى ان ما اغتروا به من زخارف الدنيا
لبس الا ساعة باعترافهم وقال الذين اوتوا العلم والايمان من الملائكة والانس
لقد لبثتم في كتاب الله في اللوح او علمه او قضائه والتعبير الكتاب للدلالة على عدم
التبدل كالشيء المكتوب او القرآن لقوله ومن ورائهم برزخ الى يوم البعث فهذا
يوم البعث الذي انكرتموه ولكنكم كنتم لا تعلمون انه كائن لعدم تصديقكم الرسل
والكتب فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم اعتذارهم لفوات وقته وقرأ الكوفيون
لا ينفع بالتذكير وهو حسن لوجود الفاصلة ولا هم يستعتبون يدعون الى الاستعتاب كما
كانوا يدعون اليه في الدنيا يقال استعتبني فلان اي طلب مني ازالة العتاب فاعتبته
اي ازلت عتابه ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل من كل نوع من
انواع الدلائل الدالة على التوحيد وكمال الصفات وصدق الرسل هي كالامثال
في الحسن والغرابة ولئن جئتهم باية من آيات القرآن دالة على شيء من تلك
الامثال ليقولن الذين كفروا من قسوة قلوبهم واستهجانهم حديث الآخرة ان انتم
الا مبطلون مقصورون على التزوير لا تحظونه كذلك مثل ذلك الطبع يطبع الله
على قلوب الذين لا يعلمون لا يسعون في تحصيل العلم بزوال اسبابه فاصبر ان وعد الله
حق فهو ناصرك ومظهر دينك ولا يستخفنك الذين لا يوقنون لا يحملنك على الجزع
والقلق تكذيبهم وعده بالنصر في اول السورة واوسطها وخاتمتها وامره بالصبر اشارة
الى ان بين يدي ذلك شدائد يليق بمثله ان يتحملها ليوطن نفسه على تلقيها بالصدر
رحيب اذا وقعت صلى الله عليه صلوة توازي عناه وتجازي غناه والحمد لله على الشدة
والرخاء في كل صباح ومساء سورة لقمان عليه السلام مكية وهي ثلث وثلثون اية

بسم

بسم الله الرحمن الرحيم الم تلك آيات الكتاب الحكيم اي آيات السورة آيات الكتاب ووصف
الكتاب بالحكيم لاشتماله على الحكم او لكونه كلام الحكيم او لكونه محكما آياته هدى ورحمة
للمحسنين المخلصين في الدين لانهم المنتفعون به او الذين يعملون الحسنات او جميع
ما يحسن من الاعمال الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم بالآخرة هم يوقنون
وصف كاشف على الاول والاستئناف موقعه اولئك على هدى من ربهم وعلى
الثاني الموصول مبتدأ وخبره اولئك على هدى وهو استئناف بذكر الصفة الموجبة
للاستبهال كاملة وللصفة المادحة محل حسن واولئك هم المفلحون الفائزون بالبغية
لاجل تلك الاوصاف ومن الناس من يشتري لهو الحديث ما يلهي الاضافة بيانية
وهو الحديث المنكر من كل ما يصد عن ذكر الله وفي الحديث الحديث في المسجد ياكل الحسنات
وروى الترمذي عن ابي امامة ان الآية نزلت في ناس كانوا يشترون المغنيات
والاضافة بيانية كما ثم الحديد وقيل الاضافة بمعنى من التبعيضية على ان المراد بالحديث
مطلقه فلا يجب تقييد الحديث بالمنكر كما في الوجه الاول لان الغرض تمييز اللهو
القولي والغرض تعجيب السامعين ممن يختار اباطيل الحديث على الآيات والحكم
ليضل عن سبيل الله كما كان يفعله النضر بن الحارث يقول ان كان محمد يحدثكم
باحاديث عاد وثمود فانا احدثكم ايضا مثله ويحكي لهم حروب الفرس من وقايع رستم
واسفنديار وقرأ ابن كثير وابو عمرو بفتح الياء وهو ابلغ لاستحقاقه العذاب بمجرد الضلال
والسلامة من الحذف والمراد زيادة الضلال والاستمرار او اريد به الاضلال لان
الضلال المضاعف لا ينفك عنه بغير علم اي بجهله واثما آثر ما في التنزيل لدلالته على
فقده اشرف الاشياء ويتخذها اي سبيل الله هزوا سخرية وقرأ حمزة والكسائي وحفص
ويتخذ بالنصب وهو اولى لقرب المعطوف عليه والباقون بالرفع اما استئنافا او
عطفا على يشتري اولئك لهم عذاب مهين جزاء من جنس عملهم لاستهانتهم بالدين
واذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كان لم يسمعها مترفعا شامخا انفه كان في اذنيه
وقرا ثقلا لا يقدر على السماع فالاول حال من المستكن في مستكبرا الاولى والثاني من
المستكن في لم يسمعها لا بدلا من الحال الاولى لفوات المبالغة المقصودة وذلك
انه شبه المتكبر بمن لم يسمع ولما احتمل عدم السماع لعدم الالتفات سلب عنه
القابلية بطريان الآفة في الآلة وقرأ نافع باسكان الذال فبشره بعذاب اليم
اثر التبشير على الاعلام والاخبار تهكما ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم
جنات النعيم كما ان للاضداد منهم العذاب الاليم خالدين فيها حال من ضمير لهم
او من جنات ان جعل فاعل الظرف وعد الله حقا مصدران مؤكدان الاول
لنفسه لان الاخبار السابق وعد بلا احتمال واما كونه حقا اعم مفهوما فهو مؤكد غيره
وهو العزيز الغالب لا يمنعه شيء عن انجاز الوعد الحكيم الذي لا يفعل الا

ما اقتضته حكمته من مجازاة الفريقين على وفق اعمالهم خلق السموات بغير عمد احتجاج
على من يشرك به ترونها استيناف يؤكده اذ لا علم اجلى من المحسوس ويجوز ان
يكون في محل الجر صفة عمد والاول هو الوجه لابهام الثاني نفي المركب من حيث هو
والقى في الارض رواسي ان تميد بكم جبالا ثوابت كراهة ان تميل لان جرم الارض
بالنسبة الى الماء في غاية الصغر فلا يخلو عن اضطراب وبث فيها من كل دابة
من كل نوع من انواع ما يدب على الارض وانزلنا من السماء ماء التفت الى
التكلم لان انزال الماء من جهة العلو ابدع واغرب فانبتنا فيها من كل زوج
كريم من كل صنف كثير المنافع هذا خلق الله مخلوقه فاروني ماذا خلق الذين
من دونه ممن يشركون به بكتهم بالامحال لهم عن ردّه بل الظالمون في ضلال
مبين جلي لا يخفى على ناظر آثر المظهر للدلالة على الاشراك بعد هذه الحجة النيرة كمال
الظلم ولقد اتينا لقمان الحكمة كان المشركون يرجعون الى اهل الكتاب في امر
رسول الله وقصة لقمان ونهي ولده عن الاشراك مشهورة عندهم فكانت حجة على
المشركين ولقمان هذا عبد حبشي وقيل نوبي كان اولا راعيا فاتاه الله الحكمة
فكان قاضيا في بني اسرائيل الى ان بعث داود فترك القضاء فقيل له في ذلك فقال
كيف لا اتركها وقد كفيت بغيري وقيل لم يكن عبدا بل كان من اولاد آزر عاش
الى زمن داود وعمر الف سنة اتفق المفسرون من الصحابة والتابعين على انه لم يكن
نبيا الا ما تفرّد به عكرمه ومجاهد وعن قتادة انه خير بين النبوة والحكمة فاختارها فقيل له
في ذلك فقال خفت ان اضعف عن القيام بحق النبوة وروي ان مولاه امره
بذبح شاة وقال له ائتني باطيب المضغتين منها فاتى بالقلب واللسان ثم امره بذبح
شاة اخرى بعد ايام وقال ائتني باخبث المضغتين منها فاتى بهما ايضا فقال له كيف
وجه ما فعلت فقال هما اطيب شي اذا طابا واخبث اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب
انه وقف عليه اسود فقال له لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلثة من السودان
لقمان وبلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب والحكمة العلم المشفوع بالعمل وهذا معنى
استكمال النفس بحسب القوة النظرية والعملية ولذلك فسرها بقوله ان اشكر لله
ليتناول اعتقاد الجنان وعمل الاركان والقول باللسان ومن يشكر فانما يشكر لنفسه
لان نفعه لا يتخطاه ويجوز ان يكون مما قيل للقمان وان يكون اعتراضا حثا على الشكر
ومن كفر فان الله غني لا ينقص بذلك عن ملكه شي حميد في ذاته حمد وانه قبل حمد
الحامدين او حميد بلسان الحال حيث افاض الوجود على الماهيات واثار بفيضانه
الكائنات واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه اسمه اشكم وقيل انعم وقيل ماثان كان
هو وامه كافرين فلم يزل يعظهما حتى اسلما يا بني تصغير اشفاق وقرأ حفص بفتح الياء في
الكل ووافقه البزي في الثالثة للدلالة على حذف الالف المقلوبة من الياء واسكن الاول

وكسر

وكسر الثانية وقيل باسكان الطرفين تخفيفا وكسر الاوسط ونافع وابو عمرو وابن عامر
وحمزة والكسائي وابو بكر بالكسر بحذف ياء المتكلم اكتفاء بدلالة عليه لا تشرك بالله في
الوهيته ان الشرك لظلم عظيم لا يحاط بكنهه فلجا اذ ليس من يخلق كمن لا يخلق والوقف
على لا تشرك وجعل بالله قسما ضعيف ووصينا الانسان بوالديه عطف على ولقد اتينا
لقمان الحكمة دفع لما يتوهم من عدم جواز القيام بحقهما لانه يشبه العبادة وقيل هو
كلام معترض في قصة لقمان للدلالة على ان شكر الوالدين مقرون بشكر الله ومع
ذلك لا يجوز ارتكاب الشرك رضاهما فكيف بالغير وقيل عطف على مضمر اي وقلنا له
ووصينا الانسان حملته امه وهنا على وهن اي لم يزل يتضاعف ضعفها منذ حملته
الى حين الوضع اعتراض يؤكد حق الام روى البخاري ومسلم عن ابي هريرة ان
رجلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابر قال امك ثم امك ثم امك ثم اباك
وفصاله في عامين لانه اقصر مدة الرضاع لقوله يرضعن اولادهن حولين كاملين
ان اشكر لي ولوالديك تفسير للوصية او بدل اشتمال من والديه او علة لوصينا
الي المصير وعد ووعيد وان جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم اي ما ليس
لبشي حقيقة ولا يصح ان يتعلق به العلم حقر شان الشريك في جعله دون المعدوم
فلا تطعهما في ذلك اذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وصاحبهما في الدنيا معروفا صحابا
يرتضيه الدين والمروة واتبع سبيل من اناب الي في التوحيد والاخلاص ثم الي مرجعكم
للجزاء فانبئكم بما كنتم تعملون فاجازيكم على وفق اعمالكم نزلت في سعد بن مالك حين
اسلم حلفت امه لا تاكل ولا تشرب ولا تقعد في ظل حتى يرتد ولذلك قيل من اناب
الي هو ابو بكر لان اسلام سعد كان على يده يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل
اي الفعلة من الحسنة والسيئة مثقال الشي ما يوازنه والخردل نبت حبه يضرب به المثل
في الصغر وقرا نافع مثقال بالرفع والتانيث لان الفاعل مضاف الى المؤنث اولان
المراد به الحسنة او السيئة فتكن في صخرة او في السموات او في الارض الصخرة هي التي عليها
الثور وهي خارجة عن السموات والارض او المراد داخل الصخرة واعماقها والغرض
بيان احاطة علمه بها وان كانت في اخفى مكان يتصور يات بها الله يوم القيمة
ان الله لطيف يصل علمه الى الشي وان دق مسلكه خبير ببواطن الاشياء يا بني اقم
الصلوة فانها عماد الدين ودل هذا على انها عبادة قديمة في ساير الملل وامر بالمعروف
وانه عن المنكر فانه كمال وتكميل روى الترمذي عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لتامرون بالمعروف ولتنهون عن المنكر ليبعثن الله عليكم عذابا من
عنده واصبر على ما اصابك من المكاره في الاوقات كلها لا سيما عند الامر والنهي
اذ قل ان يسلم من اذى الاشرار ان ذلك من عزم الامور اي المذكور من اقامة
الصلوة الى آخره من الامور المعزومة المقطوعة ومنه الحديث سجدة ص ليست من عزائم

السجود وقوله اذا سالت فاعزم المسئلة مصدر بمعنى المفعول او بمعنى الفاعل من
عزم الامور اذا جد ولا تصعر خدك للناس لا تولهم صفحة وجهك كما يفعله المتكبرون
وفي الحديث يأتي على الناس زمان ليس فيهم الا اصعر او ابتر والصعر داء يصيب
البعير يلوي منه عنقه وقرا نافع وابو عمرو وحمزة والكسائي تصاعر بالمد وهي لغة الحجاز
تفضي اعلى نمط تسافر ولا تمش في الارض مرحا بطرا وهو شدة الفرح غرورا حال
او مصدر اي تمرح مرحا او للمرح وفي الحديث كان رجل يمشي وعليه برد فنظر في عطفه
فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة ان الله لا يحب كل مختال في
مشيته فخور على الغير تنكر لما تقدم وتغيير الترتيب لتوافق رؤوس الاي واقصد
في مشيك اي توسط بين الاختيال والتخافت فيكون مشيا بين مشيين وفي
الحديث نظرت عائشة رجلا كاد يموت تخافتا فقالت ما لهذا فقالوا رجل من القراء
فقالت كان عمر سيد القراء وكان اذا مشى اسرع واذا قال اسمع واذا ضرب
اوجع وفي وصف مشيته صلى الله عليه وسلم كان اذا مشى كانه ينزل من صبب
واغضض من صوتك وانقص منه ولا ترفع صوتك الا مقدار ما تسمع جلساءك
اصل الغض الخفض والكسر ومنه في الحديث كان اذا فرح غض طرفه لئلا يكون اشرا
ان انكر الاصوات اقبحها لصوت الحمير بالغ في التحذير عن الافراط في رفع
الصوت باخراج الكلام مخرج الاستعارة وآثر لفظ الجمع لان الصوت المنكر اذا
توافقت عليه الحمير كان انكر هذا مع ان الحمار مثل في الذم حتى ان اهل الادب
يكنون عنه بطويل الاذنين تحاشيا عن لفظه فان قلت من الاصوات ما هو
اشد نكرا من صوت الحمار قلت اذا كان المراد بالانكر القباحة ليس اقبح منه
صوت هذا مع ان ساير الحيوانات انما تصوت عند اصابة مكروه والحمار لا يصوت
الا بطرا الم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحاب
اسبابا لمنافعكم وما في الارض من الاشجار والانهار والزروع والثمار واسبغ
عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ما تتعلق بظاهر الانسان مثل الاستقامة وما في الخلقة من
المحاسن والباطنة هي القوى المدركة ونتايجها من المعارف وما في اعماق الاجسام
من الاشيا التي لا شعور للانسان بها وقرا نافع وابو عمرو وحفص بكسر النون
وفتح العين على صيغة الجمع مضافا الى الضمير وهذا ابلغ واشمل ومن الناس من
يجادل في الله بغير علم مستفاد من طريق العقل ولا هدى ولا هداية من رسول
ولا كتاب منير انزله الله ارشادا واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل قالوا بل نتبع ما وجدنا
عليه اباءنا انما كان في التقليد اولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير عطف
على مدخول الاستفهام توبيخا اي ايتبعونهم ولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب النار
والمنصوب في يدعوهم امالهم او اباءهم ويؤيد الثاني قوله ولو كان اباؤهم لا يعقلون

شيئا

شا ولا يهتدون ومن يسلم وجهه الى الله اي ذاته بالكلية الفرق بين اللام
في قوله بلى من اسلم وجهه لله وبين الى كما في الاية ان اللام تفيد الاختصاص اي
جعل نفسه خالصة لله لا شركة فيها لاحد والى تفيد التفويض كما يسلم الرجل متاعه الى الغير
وهو محسن في عمله كانه يرى ربه فقد استمسك بالعروة الوثقى مثل حال المتوكل بحال
من اراد الارتقاء الى شاهق فاستمسك باوثق حبل مامون الانقطاع والى الله
عاقبة الامور فيجازيه بما يليق بكرمه ومن كفر فلا يحزنك كفره اذ عليك البلاغ وقد
وفيت به وقرا نافع يحزنك بضم الياء وكسر الزاء من احزن والباقون بفتح الياء وضم
الزاء وقال الخليل حزنه جعل فيه حزنا واحزنه جعله حزينا كادخله جعله داخلا فالاول ابلغ
وعن الفرا انهما بمعنى فالقول بان احزن ابلغ منقوض وهم الينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا
فنجازيهم عليه ان الله عليم بذات الصدور فمخفيات الضماير اثر في الالتفات لفظ
الجلالة لان الالوهية مستلزمة للاحاطة بالسر واخفى نمتعهم قليلا لزواله وانما عبر عنه
بالقليل لان الفاني وان طال قليل بالنسبة الى الدائم ثم نضطرهم الى عذاب غليظ
استعار الغلظ من الاجرام اشارة الى شدته كانه يجسد من غلظه ولئن سالتهم من خلق
السموات والارض ليقولن الله لا يقدرون على غير ذلك لغاية الظهور قل الحمد لله على
هذه النعمة اذ في اقرارهم الزام لهم وقلع لشبهتهم بل اكثرهم لا يعلمون اضراب الى
جهل هو اقوى من الاول او المعنى ان جهلهم انتهى الى انهم لا يعرفون ان قولك الحمد لله
انما هو لالزامهم لله ما في السموات والارض من الجزئيات الخارجة والاجزاء الداخلة
ان الله هو الغني المطلق الحميد بلسان الحال وان لم يحمد مقالا لان الكل خلقه وملكه
ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله
قرا السبعة الا ابا عمرو والبحر مرفوعا عطفا على محل ان ومعموليها اي لو ثبت كون الاشجار
اقلاما وكون البحر ممدودا بسبعة ابحر او رفعا بالابتداء والواو للحال وقرا ابو عمرو بالنصب
اما عطفا على اسم ان او بفعل يفسره يمده وهو المختار لرجحان عطف اللفظ على المحل وعدم
الاحتياج الى التقدير والمعنى لو ان اشجار الارض اقلام والبحر المحيط ممدود وسبعة
ابحر وكتبت تلك الاقلام بذلك المداد كلمات الله لما نفدت كلماته ونفدت تلك
الاقلام والمداد وانما اثر جمع القلة اشارة الى ان ذلك لا يفي بالقليل فكيف بالكثير
كذا قيل وانما يستقيم اذا لم يجعل الجمع المضاف مستغرقا اذ عند ذلك لا تفاوت بين الجموع
ان الله عزيز غالب لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج عن علمه شيء ما خلقكم ولا بعثكم الا
كنفس واحدة لاستغنائه عن الاسباب والالات بل علة وجود الاشيا انضمام الارادة
الى القدرة الشاملة ان الله سميع جميع المسموعات في آن واحد بصير يبصر المبصرات
كذلك فكما لا يشغل سمعه وبصره شيء عن شيء فكذلك الخلق والبعث الم تر ان الله
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل من النيرين يجري لاجل مسمى

وان يتعاقب الليل والنهار وزيادتهما ونقصانهما وجرى كل من النيرين في فلكيهما
كل ذلك على حساب وتقدير على عظيم قدرته وكمال حكمته وايقاع الى صلة الجرى معناه
الانتهاء واللام الاختصاص ولما كان الثاني ابلغ كثر في القران ولم يقع الا في هذا
الموضع والمراد بالاجل اخر السنة في الشمس واخر الشهر في القمر وعن الحسن هو يوم القيمة
لانقطاع جريهما حينئذ وان الله بما تعملون خبير يعلم بواطن اعمالكم ذلك بان الله
هو الحق ذلك الوصف العجيب من كمال القدرة وباهر الحكمة لاجل انه الثابت الالوهية
التي من لوازمها الكمال المطلق في كل وصف يليق بكبريائه وان ما يدعون من دونه
الباطل لعجزه عن الاتصاف بوجوده الا من ذلك الحق قرا ابو عمرو والكوفيون
الا ابا بكر يدعون بالياء وهو المختار لاخراجهم عن شرف خطابه اذ عبدوا غيره الباطل
فان قلت قد زاد في مثل هذا الاستدلال ضمير الفصل في قوله وان ما تدعون من دونه
هو الباطل في سورة الحج فما الوجه في تركه هنا قلت الكلام هناك كان في نصر المظلوم
والمشركون كانوا يزعمون ان الهتهم تنصرهم ولذلك لما انهزم المسلمون يوم احد نادى
ابو سفيان باعلى صوته اعل هبل فكان المقام خليقا بالتاكيد وان الله هو العلي الكبير
العلي شانه الكبير سلطانه وما عداه حقير صغير تحت قهره الم تر ان الفلك تجري في البحر
بنعمة الله بالريح المرسلة التي هي نعم الله لقوله ان يشا يسكن الريح فيظللن رواكد
ليريكم من اياته من عجايب البحر كما اراكم بدايع البر ان في ذلك لايات لكل صبار
شكور اي لكل مؤمن لان الصبر على البلاء والشكر على النعماء من صفاته كناية بهذا وبها
الموصوف وفي ايثارها اشارة الى ان الوصفين هما عمدتا الايمان واذا غشيهم موج
كالظلل جمع ظلة وهي كل ما اضلك اراد الامواج المتراكبة عند هيجان البحر دعوا الله
مخلصين له الدين لزوال ما ينازع الفطرة من شدة الخوف فلما نجاهم الى البر فمنهم
مقتصد متوسط في كفره قد خفض من غلوائه او مؤمن موحد باق على ذلك الاخلاص
وفي الكلام شائبة انكار اذ بعد النجاة من تلك المهالك كان اللايق به ان يكون
من الكمل الساقين وما يجحد باياتنا الا كل ختار الختر شدة الغدر قال شعر وانك لو رايت
ابا عمير ملات يديك من غدر وختر كفور بنعم الله يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما
لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا لما شيد اركان البراهين
على قيام الساعة بما لم يبق للترتيب فيه مجال حذر كافة الناس بان لا يتكل احد على
احد فان اقرب الناس واجدرهم بالنفع الوالد والولد واذا لم يقدر احدهما على
نفع الاخر فالغير بالاولى وغير النظم في جانب الولد عن السنن الاول مؤكدا بضمير الفصل
لان المولود لا يقال الا لمن ولد منك بخلاف الولد فانه يطلق على الحافد واذا لم يشفع
من ولد منه فالحافد من باب الاولى ان وعد الله حق لا بد من وقوعه فلا تغرنكم الحيوة
الدنيا بالاشتغال بزخارفها ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بالاغراء على المعاصي قائلا

اعل هبل

ان الله

ان الله غفور رحيم وبالتسويف عن التوبة ان الله عنده علم الساعة لا عند غيره وكفى بك
عنده زيد الخير وينزل الغيث يعلم وقت نزوله دون غيره لانه معطوف على المختص به
وبقرينة المقام لان المسوق له الكلام شمول العلم والاختصاص لا القدرة على الانزال
ويعلم ما في الارحام من الكمية والكيفية وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس
باي ارض تموت عطف على جملة ان الله عنده علم الساعة ولما كان الكلام مسوقا
للاختصاص لا لافادة اصل العلم لزم من النفي على سبيل الاستغراق اختصاصه به على الوجه
الابلغ كناية وفي ايثار الدراية من جانب العبد اشارة الى انه لا يعلم وان بذل مجهوده
في الحيل ان الله عليم كامل العلم بالاشيا كلها خبير عالم ببواطنها كما يعلم ظواهرها تمت
سورة لقمان والحمد لله على الانعام والاحسان والصلوة على المبعوث من عدنان
سورة السجدة مكية وهي ثلثون اية وقيل تسع وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم الم
مبتدا خبره تنزيل الكتاب ان جعل اسم السورة او القران وان جعل تعديدا للحروف
اتعاظا تنزيل الكتاب خبر مبتدا محذوف او مبتدا خبره لا ريب فيه او من رب العالمين
ولا ريب فيه اعتراض وهو الوجه لان قوله ام يقولون افتريه انكار على الزاعم انه من
عند غير الله وتعجب من ذلك القول مع وجود ما في الريب فيحسن موقع الاعتراض
وبعد انه لا التفات الى شغب المكابر ثم اضرب عن ذلك الى اثبات كونه هو الحق
بعد اماطة الشبهة بقوله بل هو الحق من ربك وفي اضافة الرب اليه بعد اضافته الى العالمين
تخلص الى اثبات نبوته وفيه اشارة الى انه العبد الذي جمع فيه ما فرق في العالمين
وفي اسلوب الترقي اشارة الى ان الكمال فيه اتم مما في كل العالم لتنذر قوما ما اتاهم من
نذير من قبلك اي بعد الضلال لقوله وان من امة الا خلا فيها نذير ولانهم كانوا يزعمون
انهم على ملة ابرهيم واما دعوة موسى وعيسى فلم تكن عامة لعلهم يهتدون راجيا
هدايتهم الله الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش
دليل على استحقاقه العبودية دون غيره تعالى ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع اي
ما لكم مجاوزين رضا الله ولي يتولى امركم ولا شفيع على ان من دون حال من ضمير
المخاطبين او الشفيع مجاز عن الناصر ومن دون الله حال مقدم كانه قيل ما لكم ولي
ولا ناصر غير الله افلا تتذكرون بهذه المواعظ الجلية يدبر الامر من السماء الى الارض
اي المامور به من الطاعات ضمن معنى الانزال ثم يعرج اليه في يوم كان مقداره الف
سنة مما تعدون العروج هو الصعود والمعنى لا يصعد اليه ذلك المامور به خالصا الا في
مدة متطاولة لقلة العباد المخلص فذكر الالف للاستطالة لانها نهاية العقود ثم للاستبعاد
ويدل على هذا الوجه قليلا ما تشكرون او امر الدنيا كلها من السماء الى الارض فالامر
بمعنى الشان والعروج مجاز عن الثبوت في صحف الملائكة والمعنى انه لكل يوم من ايام الله
وهو الف سنة تدبير شان الدنيا ثم على التدريج يقع ذلك في الوجود ثم اذا تمت تلك المدة

وتدبر الف اخر وهلم جرا الى قيام الساعة فكانه قيل يجدد هذا التدبير مستمرا و هو
الوحي ومقدار ما بين السماء الى الارض خمسمائة سنة فيقع النزول والعروج في الف سنة
ولا ينافي هذا قوله في يوم كان مقداره خمسين الف سنة لان ذلك خروج الى العرش
او المراد امر الدنيا الى قيام الساعة فالامر بمعنى الشان والظرف متعلق بالعروج
كانه قيل يدبر الامر الى يوم القيمة ثم في ذلك اليوم الذي مقداره الف سنة يصير اليه
ذلك الامر كله فيحكم بموجبه والتوفيق بينه وبين قوله خمسين الف سنة على هذا التفاوت
في الاستطالة بحسب الشدة وقيل فيه خمسون موطنا وكل موطن الف سنة ذلك عالم
الغيب والشهادة اي ذلك المدبر يعلم الغائب والشاهد بلا تفاوت وهذا يدل
على كمال اتقانه في ذلك التدبير العزيز الغالب على امره الرحيم بعباده يراعي
مصالحهم تفضلا الذي احسن كل شيء خلقه ما يليق به واقتضته حكمته بدل اشتمال من كل
شيء وقرا نافع والكوفيون خلقه بفتح اللام على انه ماض ومحل الجملة النصب على انه صفة
كل او جر صفة شيء وهذا ابلغ وبدا خلق الانسان من طين سواه ثم جعل نسله
ذريته سميت نسلا لانها تنسل اي تنفصل من سلالة فعالة بمعنى المفعول اي مسلولة
من ماء مهين هي النطفة لانها مستقذرة او نحسة ثم سواه قومه بتصوير الاعضاء في
احسن تقويم ونفخ فيه من روحه اضافه تشريف كقوله في جبرائيل فارسلنا اليها
روحنا وحديث من عرف نفسه على تقدير صحته لا يدل الا على ان النظر يوجب العلم
بالصانع كالنظر في الافاق لقوله وفي انفسكم افلا تبصرون وجعل لكم السمع والابصار
والافئدة آلات الادراك ليستنبطوا الكليات من المحسوسات والتفت الى الخطاب
مكافحة بقوله قليلا ما تشكرون شكرا قليلا تشكرون وقالوا اءذا ضللنا في الارض
صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا نتميز بين اجزائنا واجزائها قرا ابن عامر اذا
بدون الاستفهام ائنا لفي خلق جديد الاستفهام في الموضعين للتعجب مقالة كلهم
وقيل القائل ابي بن خلف وقرا نافع والكسائي بالاخبار وما دل عليه هو العامل
في الظرف المتقدم بل هم بلقاء ربهم كافرون اضراب الى ما هو اعظم من انكار البعث
وهو جميع ما يكون بعد الموت من الحشر والحساب والمجازاة قل يتوفيكم ملك الموت
الذي وكل بكم لا كما تزعمون نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر ولا ينافي هذا قوله
تتوفيهم الملائكة لانهم اعوانه قيل ينزعون الروح الى الحلقوم فاذا بلغه قبضه ملك
الموت والتوفي اخذ الشيء بتمامه وكذا الاستيفاء لان التفعل والاستفعال يلتقيان
كثيرا ثم الى ربكم ترجعون للمجازاة ولو ترى يا محمد او يا من يتاتى منه الرؤية اذ المجرمون
ناكسوا رؤسهم عند ربهم من الخجل والخزي لرايت امرا فظيعا والمراد وجود الرؤية فلا
يقدر له مفعول ويجوز ان يكون تمنيا لرسول الله ليشمت بهم حين تجرع الغصص ولو
واذ وان اختصاص بالماضي والآن لان المترقب في كلامه تعالى كالثابت قطعا

ربنا

ربنا ابصرنا وسمعنا ابصرنا ما وعدته وسمعنا تصديق رسلك منك او كنا عميا وصما
فابصرنا وسمعنا فلا يقدر مفعول فارجعنا نعمل صالحا انا موقنون اذ لا يعلم لنا من
المشاهدة ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ما تهتدي به الى الايمان بخلق قدرة
الطاعة فيها ولكن حق القول مني ثبت وتحقق الحكم ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن
والانس لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين هذا الازم لذلك الحكم او القول
هو هذا فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم اي بترككم النظر والتدبر فيه ترك الناسي
هذا اي ما انتم فيه من الخزي مفعول ذوقوا وقيل صفة يومكم والاية صريحة في ان الله
لم يرد ايمانهم بناء على التوسط الذي هو مناط التكليف وكون الامر بين الامرين
لا جبر ولا قدر انا نسيناكم تركناكم في العذاب ترك المنسي وفي الاستيناف وبناء
الفعل على ان واسمها اشارة الى شدة الانتقام وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون
من الكفر وساير المعاصي الخطاب للمشركين فلا يدخل فيه اصحاب الكباير انما يؤمن
باياتنا الذين اذا ذكروا بها وعظوا وفي ايثار التذكير اشارة الى انها من الوضوح
بحيث لا يحتاج الى تامل خروا سجدا لله وفي لفظ الخرور اشارة الى انهم لم يتمالكوا حين
ذكروا وسبحوا قدسوا الله عما لا يليق به بحمد ربهم متلبسين بحمده على التوفيق وهم
لا يستكبرون تصريح بالحلم وتعريض بالمشركين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ترتفع
وتتبعد مستمرين على ذلك يدعون ربهم خوفا من عقابه وطمعا في ثوابه عن اسماء
بنت زيد قالت قال رسول الله اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيمة نادى
مناد بصوت يسمع الخلايق سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي
ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم فيقومون وهم قليل ومما رزقناهم ينفقون
في وجوه الخير جمعا بين انواع ما يتقرب به فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين
مما تقر به اعينهم والفاعل هو الله تعالى وانما ابهم لعدم ذهاب الوهم الى الغير وقرا
حمزة اخفي بسكون الياء مضارع اخفي وما موصولة او استفهامية والعلم بمعنى المعرفة
جزاء بما كانوا يعملون اي جزوا جزاء او اخفي جزاء عن الحسن اخفوا عن الناس
اعمالهم اخفى الله جزاءهم لم يطلع عليه لا نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى اعددت لعبادي
الصالحين ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتكم عليه
اقرؤا ان شئتم فلا تعلم نفس افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا خارجا عن
الدين ردا لما كانوا يزعمون ان لو كان بعث فنحن احسن حالا من هؤلاء الصعاليك
قياسا للدار الآخرة على الدنيا وعن عطاء بن يسار والسدي انها نزلت في علي بن
ابي طالب وعقبة بن ابي معيط وقيل في علي والوليد بن عقبة وليس بصواب لان
المراد بالفاسق هنا الكافر ولان السورة مكية فنزول الاية بعد بدر غير مستقيم لا يستوون

في الرتبة وجمع الضمير بالنظر الى المعنى اما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات
المأوى لانها دار الاقامة فهي المأوى حقيقة والدنيا كمنزل المسافر وقيل جنة
المأوى جنة مخصوصة عن يمين العرش تأوي اليه ارواح الشهداء نزلا طعام
يعد للنازل ثم صار عاما في كل عطاء بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم واما الذين فسقوا
فمأويهم النار كلما ارادوا ان يخرجوا منها اعيدوا فيها فهم خالدون فيها لما في كل من
التكرار وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون يقال لهم هذا زيادة
في العذاب بتوفير حظ حاسة السمع كقول ابي نواس الا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر
ولنذيقنهم من العذاب الادنى في الدنيا من القحط والاسر دون العذاب الاكبر
اي عذاب الآخرة لعلهم يرجعون بالتوبة وعن مجاهد العذاب الادنى عذاب القبر ومعنى
لعلهم يرجعون يطلبون الرجوع من باب فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا
او الترجي راجع اليهم ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم اعرض عنها اي لا اظلم منه
وثم للاستبعاد والاعراض مع الجلاء كقول الحماسي يرى غمرات الموت ثم يزورها انا من
المجرمين منتقمون ظرا فكيف بالظلم ولقد آتينا موسى الكتاب كما آتيناك فلست
ببدع من الرسل فلا تكن في مرية من لقائه من لقاء الكتاب وان ما اوتيته
نظر ما اوتي موسى وقيل من لقاء موسى الكتاب وقيل من لقائك موسى يوم القيمة
او ليلة الاسراء والاول هو الوجه لقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل
الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وجعلناه هدى لبني اسرائيل اي كتاب موسى
او موسى وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس بامرنا بتوفيقنا او بامرنا اياهم بذلك
وفي الحديث اخذ الله العهد على العلماء كما اخذ على الانبياء ليبيننه للناس ولا يكتمونه
لما صبروا على الطاعات وقرأ حمزة والكسائي لما بكسر اللام وتخفيف الميم اي بصبرهم
ومآل الوجهين واحد وكانوا بآياتنا يوقنون لتدبرهم فيها فكانوا احقاء بالامامة
لكمال قوتيهم العملية والنظرية وتقديم الاول لكونه المقصود من العلم ان ربك
هو يفصل بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون اي يميز بين المحق والمبطل من سائر
الامم او من بني اسرائيل اولم يهد لهم اي لا حول لكنه عطف على منوي مثل الم
يكشف والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا من قبلهم من القرون اي كثرة المهلكين
او هذا الكلام بمضمونه كقولك لا اله الا الله يعصم الدماء والاموال وقيل فيه ضمير الله
يمشون في مساكنهم في اسفارهم وهي مساكن عاد وثمود وقوم لوط ان في ذلك
لآيات افلا يسمعون سماع تدبر فان قلت كان الظاهر بعد ذكر المشي في مساكنهم
ورؤية غضب الله تعالى افلا يبصرون قلت تلك الرؤية كانت وقت مرورهم
وقد ذهلوا عنها فلما ذكرهم بآيات هذا رأيهم ذهول عنها بان حثهم على سماع الاتعاظ اولم
يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز التي انقطع نباتها لعدم المطر من جرز الشيء

قطعه لا الارض التي لا تنبت لقوله فنخرج به زرعا والمراد كل ارض هذه صفتها عن
ابن عباس ارض اليمن وذلك لانها مربع الانعام اهل مكة تأكل منه انعامهم
من التبن والاوراق وانفسهم من الحب والثمر افلا يبصرون ابصار اعتبار
فيستدلون به على ان من قدر على ذلك قدر على الاحياء ويقولون متى هذا
الفتح ان كنتم صادقين يوم الفتح يوم القيمة لقوله قل يجمع بيننا ربنا ثم
يفتح بيننا من الفتاحة وهي الحكم وقيل يوم بدر او يوم فتح مكة وعلى هذا
معنى قوله قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا ايمانهم ولا هم ينظرون هم المقتولون
في ذلك اليوم وانطباق هذا الجواب على سؤالهم من حيث التهكم والاستهزاء
بهم كما كانوا يستهزؤن في سؤالهم وتستعجلهم فكأنه قال كأني بكم وقد جاء ذلك
اليوم الذي لا ينفع فيه ايمانكم ولا تنظرون اذا استنظرتم فاعرض عنهم بعد ما
بلغت الغاية القصوى من التبليغ والانذار وانتظر النصر الموعود انهم منتظرون
ما تمنيهم انفسهم من العاقبة والغلبة تمت السورة والحمد لله على آلائه الموفورة والصلوة

سورة الاحزاب مدنية على محمد ذي الآيات المشهورة وهي ثلث وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اتق الله لم يناده الا ملقبا بما يدل على رفعة
محله من الرسول والنبي والمزمل بخلاف سائر الانبياء من قوله يا موسى ويا آدم
اجلالا له واما ذكر اسمه في قوله محمد رسول الله وقوله وما محمد الا رسول فللحكم عليه
بالرسالة الا ترى الى قوله لقد جاءكم رسول وقوله آمنوا بالله ورسوله اتق الله
دم على التقوى او ازدد او المسافة غير متناهية ولا تطع الكافرين والمنافقين
روي ان ابا الاعور السلمي وابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل قدموا المدينة
فنزلوا على ابن ابي رأس المنافقين وجد ابن قيس فاتوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقالوا ادع ذكر اللات والعزى وقل ان لها شفاعة فقال عمر يا رسول الله
ائذن لي في قتلهم فقال قد اعطيتهم الامان فنزلت وقيل نزلت في بني قريظة
والنضير ويهود بني قينقاع كان ناس منهم آمنوا على النفاق وكان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يلين لهم الجانب ويتجاوز عنهم اذا اتاه قبيح منهم وقيل ان
اهل مكة دعوا رسول الله الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وان يزوج
شيبة بن ربيعة ابنته ان الله كان بما تعملون خبيرا بما هم فيه من المكر حكيما
في عدم معاجلتهم بالعذاب واتبع ما يوحى اليك من ربك لا تعدل عنه تأكيد
للنهي ان كان بما تعملون خبيرا فيوحي اليك ما تصلحون به اعمالكم انت وامتك
وقرأ ابو عمرو بالياء على انه وعيد للكافرين والمنافقين وتوكل على الله في مجامع
امورك وكفى بالله وكيلا حافظا موكولا اليه الامور ما جعل الله لرجل من قلبين
في جوفه عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قام يوما

رجل والمنافقون يصلون معه فسهى في صلوته فقال المنافقون ان له قلبين قلب
معكم وقلب مع اصحابه وعن الزجاج ان عبد الله بن خطل كان يقول ان لي قلبين
وقيل هو ابو معمر وكان من احفظ العرب وقيل هو جميل بن اسد الفهري فلما انهزم
المشركون يوم بدر ولى هاربا فمر بابي سفيان فقال ما فعل القوم قال هم بين مقتول
وهارب وكان قد علق احدى نعليه في يده والاخرى في رجله فقال له ما بال احدى
نعليك في يدك فقال ما ظننت الا انهما في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وضرب ذلك
اصلا بنى عليه نفيان لا حقيقة لهما وهما التبني والظهار وذكر الجوف زيادة التصوير
والتقوية للانكار وما جعل ازواجكم اللائي تظاهرون منهن امهاتكم كان الظهار
في الجاهلية طلاقا وحقيقته ان يقول الرجل لزوجته انت على كظهر امي وكان الام
ساير المحارم فاخبر الله تعالى بان ذلك القول لا اصل له ولم يثبت له حكم في علم الله
تعالى لكمال متعلق ارادته بخلق القلبين في جوف وقيل ان هذا يؤدي الى التناقض
وان يكون كل منهما اصلا لكل القوى وغير اصل ولان الام مخدومة والزوجة خادمة
لان الامين اقوى والكل ولكون الحسن شرعيا لتضمن الظهار معنى التجنب عدى
بمن قرا الكوفيون وابن عامر واللائي بهمزة مكسورة بعدها ياء ساكنة على الاصل والباقي
في روايه سعرما ورش بهمزة مكسورة مسهلة في الوصل ويقف بياء ساكنة ولابي عمرو والبزي
وجهان الياء الساكنة ومختلسة الكسر وقرا قالون وقنبل بهمزة مكسورة لا ياء بعدها وقرا
ابو عمرو والرميان بفتح التاء في تظاهرون والهاء وتشديدها والظاء بلا الف وابن
عامر بالفتحتين وتشديد الظاء وتخفيف الهاء والالف بينهما وعاصم بضم التاء وكسر الهاء
وحمزة والكسائي بالفتحتين والالف وتخفيف الهاء فيهما والوجه في الكل والفتح لكن التخفيف
اشهر وما جعل ادعياءكم ابناءكم جمع دعي وهو الذي يدعى ابنا من غير ولادة وهذا هو
المقصود من سوق الكلام وذلك ان رسول الله كان وجد زيد بن الحارثة ابنا قبل
النبوة لانه كان قد سبي ووقع في يد حكيم بن الحزام فوهبه لخديجة زوج رسول الله فوهبته
فجاء بعد ايام ابوه وعمه في طلبه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم احبه فلما طلباه منه
قال رسول الله تخيره فان اختاركم فهو لكم وان اختارني دعوه قالوا رضينا ظنا منهم بانه
لا يختار على الله احدا فلما خير اختار رسول الله وقال اني رايت منه شيئا لم يره احد من
ابويه فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد زيد واخرجه الى المسجد الحرام ونادى يا معشر
قريش ان زيد بن الحارثة ابن لي فلما تزوج زينب قدح المنافقون وقالوا كيف
يتزوج زوجة ابنه وهو ينهى عن ذلك فرد الله ذلك بان الادعياء ليست ابناء
ذلكم قولكم بافواهكم من غير ان ترتب عليه امر في الاحكام الشرعية والله يقول الحق
وسواه باطل ويهدي السبيل طريق الحجة وقد اوقع النظم في رد مقالتهم احسن موقع
وذلك بان بناه على قضيتين مما كالشاهدين مسلمتين عندهم ثم اتى بالعدلة للدلالة

وتخفيفها الالف بينهما صح

على ان

على ان الثالث معهما مزوزق وان بلا انفصام ثم ذيل الكل بقوله والله يقول الحق
وهو يهدي السبيل تاكيدا على تاكيد وتمهيدا لما بعده من قوله ادعوهم لآبائهم الى
اخر السورة فانه تفصيل لقوله الحق وهداية السبيل هو اقسط عند الله اي النسبة الى الآباء
هو القول الصواب اسم التفضيل اريد به الزيادة المطلقة فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم
في الدين لقوله تعالى انما المؤمنون اخوة ومواليكم واولياؤكم فيه فقولوا يا اخي ويا مولاي
وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به قبل ورود النهي او بعده على سبيل الخطا وسبق
اللسان ولكن ما تعمدت قلوبكم مجرور عطف على ما اخطاتم او مبتدا خبره محذوف
اي ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح ويجوز ان يراد العموم في الخطا والعمد كقوله
صلى الله عليه وسلم لا الخطا اخشى عليكم ولكن العمد وعلى الوجهين ذكر مما يؤكد امتثال
ما ندبوا اليه وكان الله غفورا للمخطي رحيما بقبول توبة العامد النبي اولى بالمؤمنين من
انفسهم فيجب عليهم وقايته بالارواح والمهج وايثار رضاه على رضاهم ولذلك حرم
مرغوبته على زوجها وفي الحديث لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده
والناس اجمعين وهذا دفع لما عسى يقال وان لم يكن الدعي ابنا فليس في المروة
نكاح زوجته او المعنى اراف بهم من انفسهم لما روى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وانا اولى الناس به في الدنيا والاخرة فاقرؤا ان
شئتم النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم فايما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا
وان ترك دينا او ضياعا فليأتني فانا مولاه وازواجه امهاتهم في الاحترام والتعظيم
وحرمة النكاح لا في تحريم بناتهن وامهاتهن وفي قراءة ابي وهو اب لهم وقيل
لا يقال لرسول الله ابو المؤمنين لقوله ما كان محمد ابا احد من رجالكم والصواب الاول
واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض في التوارث نسخ توارث الموالاة بين المهاجر
والانصار في كتاب الله في اللوح او في القرآن وهي آية الانفال او هذه الآية
من المؤمنين والمهاجرين من بيان اي اولوا الارحام الذين هم مولاه بعضهم
اولى ببعض في التوارث من الاجانب او ابتدائية او تبعيضية اي اولوا الارحام
الكائنين من مولاه او هم بعضهم الا ان تفعلوا الى اوليائكم معروفا ايراد احسانا
استثناء من اعم العام كقوله لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد والمراد بالاولياء المؤمنين
والمهاجرون من اقامة المظهر مقام المضمر على تقدير الابتداء والتبعيض دون البيان
لان الاجانب مدلول عليهم سياقا اذ ذاك كان ذلك في الكتاب مسطورا اي
الذكر والميثاق اخذ العهد عليهم بان يبلغوا رسالته ومنك ومن نوح وابراهيم
وموسى وعيسى بن مريم هو لاء اولوا العزم من الرسل فردهم بالذكر تنبيها على عظم
شانهم وقدم سيدهم اشارة الى انه المقدم رتبة وان تاخر زمانا وعن الزجاج هو
اولهم خلقا وان كان اخرهم بعثا وتاخره في قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا

اي المذكور من الاحكام والكتاب ما ذكر آنفا واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم صح

لان المراد بيان اصالة دينه وتقدم عهده واخذنا منهم ميثاقا غليظا هو ذلك الميثاق
استعار الغلظ من الاجرام اجلالا له وقيل هو العهد المؤكد باليمين ليسأل الصادقين عن
صدقهم اي الانبياء عن صدق عهدهم في اداء الرسالة او عن تصديق الامم اياهم
تبكيت لمن كذب من وضع المظهر موضع المضمر مدحا للرسل بالصدق او المؤمنين الذين
صدقوا في عهدهم حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم ليشهد لهم الانبياء بوفاء العهد
واداء الامانة التي حملوها او تصديقهم الرسل فان تصديق الصادق صدق واعد للكافرين
عذابا اليما عطف على اخذنا من النبيين معنى لان المقرر اكد الله العهد على الانبياء في
اداء الرسالة لاثابة المؤمنين واعد للكافرين عذابا اليما او على ما دل عليه ليسأل الصادقين
كانه قال فاثاب هؤلاء واعد لهؤلاء او ذلك لان سؤال الصادقين عن صدقهم اثابة
لهم وعنه ان لكل خبر اذ لا يسأل المجرمون يومئذ يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمة الله عليكم
اذ جاءتكم جنود وهم قريش وقائدهم ابو سفيان وغطفان وقائدهم عيينة بن حصن وانضم
اليهم بنو قريظة والنضير من اليهود وذلك في شوال سنة خمس من الهجرة وسبب هذا
الاجتماع ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اجلى بني النضير من المدينة الى خيبر فذهب اشرافهم
الى ابي سفيان واتفقوا على حرب رسول الله وبذلوا في ذلك وسعهم فاتوا واحاطوا بالمدينة
وامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق حول المدينة باشارة سلمان الفارسي فارسلنا
عليهم ريحا وجنودا لم تروها وذلك بعد ان اقاموا على محاصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
قريبا من شهر فارسل الله عليهم ريح الصبا والفا من الملائكة فكبروا حول عسكرهم وقطعوا
اطناب خيامهم والقوا قدورهم وسفت الريح في وجوههم والقى في قلوبهم الرعب فقال
طلحة بن خويلد الاسدي اما محمد فقد بدأكم بالسحر النجا النجا فنادوا بالرحيل وانصرفوا خائبين
وكان الله بما تعملون بصيرا لا يخفى عليه شيء اذ جاؤكم من فوقكم من اعلى الوادي بنو
غطفان من شرق المدينة ومن اسفل منكم من جهة الغرب وهم قريش وكانوا عددا
كثيرا قريبا من اثني عشر الفا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلثة آلاف واسند ظهره
الى سلع وحصن الذراري والنساء في آطام المدينة واذ زاغت الابصار عن مستوى نظرها
حيرة او مالت عن كل شيء وشخصت نحو العدو وبلغت القلوب الحناجر جمع الحنجرة وهي
منتهى الحلقوم وهذا مثل في اضطراب القلوب من شدة الخوف وقيل اذا خاف الانسان
او غضب انتفخت الرية وارتفعت الى الحنجرة وارتفع القلب بارتفاعها وتظنون بالله
الظنونا فظن المؤمنون ان الله سينجز ما وعده رسوله من النصر ولكن خائفون ضعف
الاحتمال والمنافقون يظنون ان الكفار يستأصلون محمدا واصحابه حتى قال معتب بن قشير
كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر واحدنا لا يقدر ان يذهب الى الغائط او المؤمنون الذين
في ايمانهم ضعف وليس لهم فيه قدم راسخ يقولون لو كان الله اراد نصر المؤمنين لما بلغ الامر
في الشدة والضيق هذا المبلغ قرأ ابو عمرو وحمزة الظنون بالقصر في الحالين وابن كثير وحفص

والكسائي

والكسائي بالقصر وصلا والمد وقفا ونافع وابن عامر وابو بكر بالمد في الحالين مناسبة
للفواصل وعليه الرسم والقصر هو الاصل هنالك ابتلي المؤمنون امتحنوا فتميز الثابت
من المتزلزل وزلزلوا زلزالا شديدا روى مسلم باسناده الى حذيفة بن اليمان ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قام يصلي تلك الليلة التي رحلت الاضطراب ثم قال
من يأتيني بخبر القوم ويكون له الجنة حتى اعاد الكلام مرارا فلم يجبه احد ثم قال لي
يا حذيفة فلم اجد بدا من الجواب فقمت وبي من البرد والجوع ما لا يعلمه الا الله فقال
يا حذيفة ادخل في القوم وانظر ما يفعلون ولا تحدث شيئا قال فقمت فمشيت كانما
امشي في الحمام ولا ارى اثر الجوع فلما دخلت فيهم رأيت ابا سفيان يصلي ظهره بالنار
فوضعت سهما في كبد القوس ثم ذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحدث شيئا
فرجعت واخبرت رسول الله بخبر واخذني البرد الذي كان بي اولا فالبسني رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضل عباءة كان يصلي فيها فنمت حتى الصباح فقال لي رسول الله
قم يا نومان واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض من عطف الصفات كقوله
الى الملك القرم وابن الهمام او من في قلبه مرض وضعف اعتقاد ما وعدنا الله ورسوله
الا غرورا باطلا لا حقيقة له واذ قالت طائفة منهم يا اهل يثرب لا مقام لكم قاله اوس
بن قيظي ومن وافقه على رأيه وعن السدي قاله ابن ابي ويثرب اسم المدينة
في الجاهلية سميت باسم رجل من العمالقة نزل بها ثم ورد النهي عن تسميتها بذلك وسماها
رسول الله صلى الله عليه وسلم طابة وقرأ حفص مقام بضم الميم من الاقامة والباقون
بالفتح وهذا ابلغ والمعنى لا قيام لكم او لا اقامة او لا مكان لكم عند رسول الله في وجه
العدو فارجعوا الى بيوتكم او فارجعوا عن دينه واسلموه الى عدوه ويستأذن فريق
منهم النبي ويقولون ان بيوتنا عورة اي معرضة للعدو واصل العورة كل عيب وخلل
يستحيى منه وما هي بعورة تكذيب من الله لهم ان يريدون الا فرارا من القتال
ولو دخلت عليهم من اقطارها من جوانب المدينة ولم يذكر الفاعل اذ لم يتفاوت الحال
سواء كان الداخل هؤلاء او غيرهم ثم سئلوا الفتنة الردة عن الاسلام لاتوها لاعطوها
وما تلبثوا بها الا يسيرا ريثما يسئلوا لعدم ذوقهم حلاوة الايمان او لم يلبثوا في المدينة بعد
الردة الا زمانا يسيرا ويطلع الله شأنهم وقرأ الكوفيون وابو عمرو وابن عامر آتوها بالمد
بمعنى الاعطاء والقصر ابلغ ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الادبار هم بنو حارثة
لما نزل في الفارين يوم احد ما نزل عاهدوا الله ان لا يفروا بعدها وقيل هم السبعون
الذين عاهدوه ليلة العقبة ان يمنعوا عن رسول الله ما يمنعوا عن انفسهم وقيل هم طائفة
غابوا عن بدر عاهدوا الله تعالى لئن حضروا قتالا ليقاتلن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وليكشفوا الكربة عن وجهه والكل خلاف الظاهر والظاهر انه في المنافقين وكان عهد الله
مسئولا عنه للمجازاة قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من الموت او القتل فالموت لا بد منه

اما حتف انف او قتل واذا لا تمتعون الا قليلا جواب وجزاء اى وان نفعكم الفرار
لا يكون ذلك الا زمانا قليلا لا يرغب العاقل فى مثله قل من ذا الذى يعصمكم من الله
ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة اى لا احد يقدر على خلاف مراده وكان اصل الكلام او يصيبكم
بسوء ان اراد بكم رحمة كقوله متقلدا سيفا ورمحا فاختصر الكلام او حمل الثانى على الاول
لما فى العصمة من معنى المنع وهذا مقرر ومؤكد لعدم نفع الفرار ولا يجدون لهم من دون
الله وليا ولا نصيرا فى حال من الاحوال قد يعلم الله المعوقين منكم المانعين من العون
وهو المنع والتفعيل لتكثير الفعل والمبالغة فيه وقد للتحقيق وهم المنافقون المثبطون
للمسلمين عن القتال والقائلين لاخوانهم من اهل المدينة من الانصار هلم الينا قربوا
انفسكم منا وتمتعوا الظلل الاشجار واكل الثمار وما محمد واصحابه الا اكلة راس وهلم اسم الفعل
يطلق على الواحد وما فوقه عند اهل الحجاز وعند تميم يثنى ويجمع ولا ياتون البأس الا
قليلا الا اتيانا قليلا يوهمون بذلك انهم مع المؤمنين اشحة عليكم بخلاء بالمعاونة او الانفاق
فى سبيل الله وقيل اشحاء انكم مشفقين عليكم متحننين كما يفعله الذاب عن المناضل عنه
والشح البخل اذا قارنه الحرص ونصب على الحال او الذم فاذا جاء الخوف رايتهم ينظرون
اليك تدور اعينهم احداقهم لا يستقر فى مكانها من شدة الخوف كالذى يغشى عليه من
الموت كمن وقع فى سكرات الموت فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنايم سلقوكم بالسنة
حداد ستقبلوكم سالقين السلق رفع الصوت ومنه فى الحديث لعن الله الحالقة والسالقة
اشحة على الخير على الغنيمة كانهم عين اموالهم ويقولون لولا نحن وشوكتنا لم تظفروا
بشئ نصب على الحال ايضا او على الذم اولئك الموصوفون لم يؤمنوا قط
لان الايمان فعل القلب فاحبط الله اعمالهم لم يعتد بها وجعلها هباء منثورا
لعدم الاساس وكان ذلك على الله يسيرا لكونها حقيقة بالاحباط لا صارف عنه
يحسبون الاحزاب لم يذهبوا وقد انقضوا بذهابهم وذلك من غاية جبنهم وغلبة
الوهم على القوة العاقلة فان يأت الاحزاب مرة اخرى يودوا لو انهم بادون
فى الاعراب ساكنوا البدو وبين الاعراب لا يبالون بفراق المال والوطن يسالون
عن انبائكم كل قادم من جانب المدينة او يسال مولاه القائلون لاخوانهم
هلم الينا عما جرى بينكم وبين الاحزاب ولو كانوا فيكم فى جيشكم حاضرين ما قاتلوا
الا قليلا رياء او خوفا ثم يفرون لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة الاسوة
ما يؤتسى به اى يقتدى والمعنى انه فى نفسه اسوة حسنة اى قدوة كما تقول فى البيضة
كذا منا من الحديد اى هى فى نفسها عشرون منا او فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها
وقرا عاصم بضم الهمزة وهى لغة تميم والكسر لغة الحجاز الفصحى لمن كان يرجوا الله
واليوم الاخر اى يامل ثوابه او يخاف عقابه وخصوصا اليوم الاخر فان هوله شديد
والجار صلة حسنة لا اسوة لان المصدر الموصوف لا يعمل او مع المجرور بدل من لكم

بدل

بدل البعض اى لمن كان يرجوا الله منكم وامتناع الابدال من المتكلم والمخاطب
انما هو فى بدل الكل وايضا ذلك فى الابدال عن الضمير وهذا ابدال الجار والمجرور
وذكر الله كثيرا فى احيانه جامعا بين الرجاء والذكر وهذه كانت صفة المقتدى به
صلى الله عليه وسلم فيحصل بها كمال التاسى ولما راى المؤمنون الاحزاب قالوا هذا
ما وعدنا الله بقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم ورسوله
حيث قال ان الاحزاب سائرون اليكم فى اخر تسع ليال او عشر فلما راوهم زلزلوا
زلزالا شديدا ايقنوا بالنصر والعاقبة وصدق الله ورسوله اى ظهر صدق خبرهما وحمدا
واظهار المظهر فى الاسمين للاستلذاذ ولان اسناد الصدق الى الصريح ابلغ وما زادهم
ذلك الا ايمانا بصدق وعد الله وتسليما لقضائه والقائه من المؤمنين رجال
صدقوا ما عاهدوا الله عليه لما ذكر صدق وعده اردفه بذكر صدق العهد من عباده
الذين قد تخلقوا باخلاقه نزلت فى انس بن النضر لم يكن شهد بدرا فقال اول مشهد
شهده رسول الله غبت عنه لئن شهدت معه مشهدا ليرين الله ما اصنع فلما كان يوم احد
نادى سعد بن معاذ يا ابا عمرو واها لريح الجنة اجدها من قبل احد قال سعد فاردت
ان اصنع مثل ما يصنع فلم اقدر فقتل شهيدا قالت اخته ما عرفته الا ببنانه ووجدت
فيه بضعا وثمانين من ضربة وطعنة فمنهم من قضى نحبه كانس وحمزة ومصعب بن
عمير النحب النذر اريد به الموت لانه لازم لزوم النذر ومنهم من ينتظر كطلحة وعثمان
والزبير وما بدلوا تبديلا كما فعل المنافقون الذين عاهدوا الله من قبل ليجزى الله
الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين ان شاء او يتوب عليهم متعلق بالمثبت
والمنفى على سبيل النشر والمعنى قصد الذين صدقوا الصدق لهم العاقبة الحسنى والمبدلون
العذاب وعكس ذلك وجعل التبديل للعذاب مجازا كقوله فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا وبعد الاستعارة انسلاك فى سلك الحقيقة ان الله كان
غفورا لما فرط من الصادقين رحيما بقبول توبة المنافقين ان تابوا ورد الله
الذين كفروا اى الاحزاب بغيظهم متلبسين لم يفارقهم لم ينالوا خيرا قط بوجه
مع ما خسروا من الاموال ومشاق السفر ثم ولوا هاربين بيان لسبب الغيظ وكفى الله
المؤمنين القتال بارسال الريح والملائكة عليهم وهذا زيادة امتنان على المؤمنين
حيث انجاهم من تلك البلية العظمى من غير حول منهم ولا قتال وكان الله قويا عزيزا
ذا قوة بالغة لا يغالب وانزل الذين ظاهروهم من اهل الكتاب اعانوهم وهم
بنو قريظة كانوا معاهدين رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا العهد من صياصيهم من
حصونهم جمع صيصية وهى ما يدفع به الشئ ويحصن ولذلك يقال لقرون البقر صياصى
وقذف فى قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتاسرون فريقا تقتلون الكبار وتاسرون
الصغار والنساء وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لما رجع من مقاتلة

الاحزاب ودخل بيت ام سلمة رضي الله عنها ووضع السلاح وشرع يغتسل تبدى له
جبرائيل معتجرا بعمامة فقال اوضعت السلاح قال بلى قال لكن الملائكة لم تضع السلاح
وهذا الآن رجوعي من طلب القوم اخرج اليهم واشار الى بني قريظة وكان بعد صلوة
الظهر فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسير اليهم وقال لا يصلين العصر الا في
بني قريظة فصلى بعضهم في الطريق وقالوا لم يرد الا سرعة النهوض اليهم ولم يصل آخرون
امتثالا لقوله فلم يعنف على احد فحاصرهم خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فرضوا
بان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ وكانوا حلفاءه ويرجون ان يستطلقهم من رسول الله
صلى الله عليه وسلم كما فعل ابن ابي بيهود بني قينقاع وكان سعد قد جرح يوم احد في
اكحله فاتوا به راكبا على حمار فلما قرب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قوموا الى سيدكم
فقاموا فانزلوه فقال رسول الله ان هؤلاء قد نزلوا على حكمك فاعرض عن رسول الله
اجلالا وقال قد حكمت بان تقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم ونساؤهم فكبر رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله فوق سبع ارقعة ثم امر بالاخاديد فخدت في الارض
ثم قدمهم وضرب اعناقهم وكانوا بين سبعمائة الى ثمانمائة واورثكم ارضهم بلادهم و
وديارهم بيوتهم واموالهم ساير ما يملكون من الصامت والناطق وارضا لم تطؤها
بعد بشارة بفتح مكة وقيل خيبر وقيل فارس والوجه انها كل ارض تفتح الى يوم القيمة
وكان الله على كل شيء قديرا لا يعجزه شيء يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن
تردن الحيوة الدنيا وزينتها اي متاع الحيوة الدنيا وزخارفها فتعالين امتعكن
اعطكن المتعة واسرحكن اطلقكن سراحا جميلا من غير بدعة ولا مضارة عن جابر
رضي الله عنه ان ابا بكر وعمر رضي الله عنهما دخلا على رسول الله وحوله نساؤه وهو
واجم فقال عمر لاقولن كلاما اضحك به رسول الله فقال يا رسول الله لو رأيتني اليوم
وقد سألتني بنت زيد نفقة فقمت فوجأت عنقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهن حولي يطلبن النفقة فقام ابو بكر الى عايشة وعمر الى حفصة يريدان ضربهما فمنعهما
رسول الله فنزلت فبدأ بعايشة وقال يا عايشة اني ذاكر لك امرا فلا تستعجلي حتى تستأمري
ابويك فتلى عليها الاية قالت ففي هذا استأمر ابوي اني اختار الله ورسوله وقالت
له لا تذكر لازواجك اني اخترت الله ورسوله فقال لا تسألني واحدة الا اخبرتها
انما بعثت مبلغا ولم ابعث متعنتا والتخيير نفسه ليس بطلاق لقول عايشة خيرنا رسول الله
فلم يكن ذلك طلاقا واما اذا اختارت نفسها قبل الاشتغال بما يدل على الاعراض
فطلقة رجعية عند الشافعي وباينة عند ابي حنيفة رحمهما الله وعنده لا متعة حيث لا مهر او كان
كل المهر عند ابي حنيفة رحمه الله اذا لم يكن مدخولا بها ولم يعرض لها في العقد شيء متعتها
واجبة وساير المطلقات متعتهن مستحبة وتقديم التمتيع على التسريح المسبب عنه استمالة لهن او
من محاسن الاخلاق وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الاخرة فان الله اعد للمحسنات منكن

من

من بيان لانهن كلهن محسنات وايثار المظهر موضع المضمر للدلالة على اختيار الله
ورسوله والاحسان اجرا عظيما لا يحاط به ولا نسبة بينه وبين زخارف الدنيا يا نساء
النبي من يأت منكن بفاحشة كبيرة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين اذ الذنب
منهن اقبح وكما ان ثوابهن يضاعف فكذلك العذاب قرأ نافع والكوفيون يضاعف
بالياء والفتح والتخفيف ورفع العذاب وكذا ابو عمرو الا انه قصر وشدد وابن كثير وابن
عامر بالنون والقصر وكسر العين والتشديد ونصب العذاب والمأثور المختار لعدم التصريح
بالفاعل في تضعيف العذاب بخلاف ايتاء الاجر مرتين المقابل له جريا على سنن سبق
رحمته وكان ذلك على الله يسيرا لا يمنعه اما الله واحترامكن انما هو لطاعة الله ورسوله
فاذا خرجتن ذلك زال موجبه ومن يقنت منكن لله ورسوله تطع لاوامره وتعمل
صالحا من الاعمال والتذكير في احد الفعلين والتأنيث في الاخر بالنظر الى لفظ من ومعناه
نؤتها اجرها مرتين مرة على فعل الطاعة ومرة لكونها في شرف صحبة رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقرأ حمزة والكسائي يعمل ويؤتها بالياء باعتبار من في الاول ولفظ الجلالة في الثاني
واعتدنا لها رزقا كريما زايدا على ذلك الاجر تفضلا يا نساء النبي لستن كاحد من النساء
همزة احد اصله واو وهو اسم لمن يخاطب مفردا كان او اكثر مذكرا كان او مؤنثا والمعنى
لستن كجماعة من النساء التطابق المشبه لان الغرض تفضيلهن من حيث كونهن نساء
النبي على ساير النساء لا تفضيل كل واحدة منهن على كل واحدة ومثله لا نفرق بين احد
ومامنكم من احد عنه حاجزين ان اتقيتن ان صح ما توصفن به من التقوى سوقا
للعموم مساق المجهول وان اردتن التقوى فكيف وانتن متقيات فلا تخضعن بالقول
لا ترخمن اصواتكن في خطاب الاجانب فيطمع الذي في قلبه مرض ريبة وفجور
وقلن قولا معروفا بعيدا عن الريبة وقرن في بيوتكن ملازمات للطاعة فانه افضل
واستر وفي الحديث صلوة المرأة في مخدعها خير من صلوتها في بيتها وصلوتها في بيتها
خير من صلوتها في حجرتها قرأ نافع وعاصم وقرن بفتح القاف اما لانه من قررت بكسر العين
والامر منه اقررن حذفت الراء الاولى استثقالا بعد نقل حركتها الى القاف ثم حذفت
الهمزة استغناء عنها او امر من قار يقار كخاف يخاف اذا اجتمع والامر منه قر كخف
والباقون بكسر القاف اما من قر بفتح العين يقر بكسرها وحذف الراء والنقل كما تقدم
واما من وقر وقارا فالامر منه قر كعد من وعد ولا تبرجن لا تظهرن زينتكن
تبرج الجاهلية الاولى قيل هو بين نوح وادريس عليهما السلام وقيل بين آدم ونوح
وقيل زمن ولادة ابراهيم وقيل بين داود وسليمان عليهما السلام وكانت المرأة
تلبس درعا من اللؤلؤ ثم تمشي فيه تعرض نفسها على الرجال والجاهلية الاخرى ما بين
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعيسى عليه السلام او جاهلية في الاسلام تشبه جاهلية
الكفر لما في حديث ابي ذر قال ساببت رجلا فعيرته بامه فقال لي رسول الله اعيرته

يا ام انك امرء فيك جاهلية قلت جاهلية الكفر قال نعم واقمن الصلوة وآتين الزكوة
واطعن الله ورسوله في ساير الطاعات وافراد الصلوة والزكوة بالذكر لانافة محلهما
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت اي ما يريد الله بهذه الاوامر والنواهي
الا اذهاب الاثام عنكم ولما استعار الرجس الذي هو النجس للاثم لانه يدنس العرض
رشحه بقوله ويطهركم تطهيرا مبالغة في التطهير واهل البيت نصب على النداء او على المدح
وهذا النص على ان نساءه اهل بيته والاتفاق الحمل على انهن سبب النزول وما روته
ام سلمة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه كساء اسود فجاء علي وفاطمة وابناه
الحسن والحسين فجلس ولف عليهم الكساء وقال اللهم هؤلاء اهل بيتي فلا يقتضي الحصر
والحق ان كل من حرمت عليه الصدقة من نسائه وآل علي وآل جعفر وآل عقيل وآل
عباس رضي الله عنهم كلهم داخلون في اهل البيت على ما رواه زيد بن ارقم واذكرن
ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة اي اشكرن هذه النعمة وهي الكتاب الجامع
بين كونه معجزة دالة على النبوة وعلم الشرايع وانتن قارات في مهبطه وخبر تنزيله بالوحي
خلال منازلكن فمن اولى بالشكر منكن ان الله كان لطيفا يدق مسالك علمه ولذلك جعل
الكلام معجزا خبيرا بمواطن الامور ولذلك جعله مع الاعجاز مشتملا على الحكم والشرايع
ان المسلمين والمسلمات المنقادين لاوامر الله المتوكلين عليه والمؤمنين والمؤمنات
المصدقين بما يجب التصديق به والقانتين والقانتات المداومين على الطاعة
والصادقين والصادقات في القول والعمل والصابرين والصابرات على
مشاق الطاعات وترك المعاصي والخاشعين والخاشعات المتواضعين لله بالقلوب
والجوارح والمتصدقين والمتصدقات الصدقة المفروضة او اعم والصائمين والصائمات
ما فرض عليهم والحافظين فروجهم والحافظات عن الحرام والذاكرين الله كثيرا والذاكرات
بالقلب واللسان وفي الحديث سيروا فقد سبق المفردون قالوا يا رسول الله ما المفردون
قال الذاكرون الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة لما فرط منهم واجرا عظيما
على طاعتهم وعن ابي سعيد سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم من افضل العباد قال الذاكرون
الله كثيرا قلت ومن الغازي قال لو ضرب بسيفه حتى تكسر وتخضب دما وعن ام سلمة
رضي الله عنها قلت يا رسول الله ذكر الله الرجال ولم يذكر النساء فما لنا لم نذكر فنزلت وقيل
لما نزل في ازواج النبي ما نزل قالت النساء ما لنا لم نذكر فنزلت وعطف الاناث
على الذكور في الآية لا بد منه لتغاير الذوات والقصد الى الاشتراك في الحكم واما عطف
الزوجين فلا لاتحاد الذوات وكما في قوله تائبات عابدات وانما عطف اشعارا
باستقلال كل من اتصف بتلك الصفات بالخير ويجوز تركه اعتمادا على الالتيام وشدة
الاتصال معنى وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله امرا ان يكون لهم
الخيرة من امرهم نزلت في زينب بنت جحش الاسدية خطبها رسول الله صلى الله عليه

وسلم لزيد بن حارثة فاستنكفت فلما نزلت رضيت بقضاء الله ورسوله وعن
عبد الرحمن بن زيد بن اسلم نزلت في ام كلثوم بنت عقبة بن ابي معيط اول من هاجر
الى رسول الله بعد الحديبية مع اخيها فخطبها رسول الله لزيد بن حارثة بعد فراق زينب
فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فلما نزلت استسلم لقضاء الله ورسوله
وعن انس بن مالك ان امرأة من الانصار خطبها رسول الله لجليبيب فابت امها فقالت
الجارية لا تردوا على رسول الله قد رضيت لجليبيب فزوجها اياه فلم ينفق ايم في الانصار
والمعنى ما صح في الدين مخالفة رسول الله في امر اراده وذكر الله للتعظيم والاشعار بان قضاءه
قضاء الله وجمع الضمير المجرور نظرا الى المعنى لوقوع النكرة في سياق النفي والخيرة على وزن
العنبة المختار من الشيء يقال محمد خيرة الله في خلقه وقرأ الكوفيون وهشام عن ابن
عامر يكون بالتذكير وهو المختار لكون المؤنث غير حقيقي مع وجود الفاصل ومن يعص الله
ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا جليا لا يخفى على احد واذ تقول للذي انعم الله عليه بتشرف
صحبتك والاسلام والخروج عن الرق وانعمت عليه بتقريبه ورفع شأنه هو زيد بن حارثة
عبدك الذي تقدم ذكره امسك عليك زوجك وذلك ان رسول الله راى زينب بعد
ما تزوجها زيد فوقعت في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وكما القى محبتها في قلبه
القى بغضها في قلب زيد لما اراد الله واقتضت الحكمة ان لا يأبى احد نكاح زوجة دعيه
ولا يستقبح فشاور زيد في فراقها فقال له هل رابك منها شيء قال لا ولكن تفتخر علي بشرفها
فقال لا تفعل امسك عليك زوجك واتق الله فان الطلاق من غير ضرورة
ابغض المباحات الى الله وتخفي في نفسك نكاحها ان طلقها زيد وقيل تعلق قلبه بها
وقيل مودته فراق زيد والاول هو الوجه لقوله ما الله مبديه ولم يبد سوى نكاحها ولما
روى ابن ابي حاتم عن الامام زين العابدين ان الله كان اعلمه انه سيزوجها
له بعد فراق زيد فعاتبه الله على قوله امسك عليك زوجك بعد علمه بان ذلك واقع
لا محالة وعن عائشة رضي الله عنها لو كتم رسول الله شيئا مما انزل اليه لكتم هذه الآية وتخشى
الناس ان يقولوا تزوج امرأة ابنه والله احق ان تخشاه وقد اعلمك انها زوجتك
بعد زيد هذا على الوجه الاول واما ان كان فيه ما تخشى والواو للحال وعلى هذا المعاتبة
ليس على الاخفاء وحده فانه مستحسن بل على الاخفاء مخافة قالة الناس واظهار خلاف
ما في الضمير فلما قضى زيد منها وطرا حاجة الرجال من النساء وطلقها زوجناكها اي بعد
انقضاء عدتها وعن الشعبي ان زينب قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني ادل
عليك بثلاث ليس احد بها في نسائك جدك وجدي واحد وزوجنيك الله من فوق السماء
وجبرائيل كان السفير وقد روى البخاري عن انس رضي الله عنه ان زينب كانت تفتخر
على ساير ازواجه زوجني الله وزوجكن اهاليكن لكيلا يكون على المؤمنين حرج في
ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا علة للتزويج وفيه دليل على ان حكمه حكم ما لم

يقم دليل وكان امر الله مفعولا مكونا لا محالة مثل لما اراده من تزويج زينب ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قسم له وقدره سنة الله في الذين خلوا من قبل اي سن ذلك سنة بالانبياء وهو انه لا حرج عليهم فيما اباح لهم من النساء والسراري روي ان سليمان كان له ثلثمائة مهيرة وسبعمائة جارية وكان امر الله اراده او تعلقت بشيء قدرا مقدورا قضاء مبتوتا وهذا ابلغ من الاول الذين يبلغون رسالات الله بدل من الذين خلوا او رفع او نصب على المدح وما بينهما اعتراض ويخشونه ولا يخشون احدا الا الله وحده وفيه تعريض كما ظن لانه لم يكن ما اضمره مما امر بتبليغه ولذلك قالت عائشة لو كتم شيئا لكتم هذه الاية كيف وقد قال انا اخشى الناس واتقاهم وهو اصدق القائلين الذي ما ينطق عن الهوى وكفى بالله حسيبا كافيا للمخاوف فلا ينبغي ان تخشى غيره او محاسبا على الصغير والكبير ما كان محمد ابا احد من رجالكم حقيقة يريد بالولادة فلا يثبت فيه التبني لزيد ولا كونه جد الحسنين واما اولاده الذكور فلم يبلغوا مبلغ الرجال بل ماتوا صغارا او ما قيل لو عاشوا لكانوا انبياء لا يساعده النقل والعقل ولكن رسول الله وخاتم النبيين لا نبي بعده وقرا عاصم وخاتم بفتح التاء وهو ما يختم به وقراءة العموم اولى يؤيدها قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وختم النبيين وكان الله بكل شيء عليما كامل العلم وقد علم انه يليق به ان يكون خاتم الرسل يا ايها الذين امنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا في اغلب الاوقات يعم ذكر القلب واللسان بانواعه وسبحوه بكرة واصيلا خصوصا في هذين الوقتين الشريفين كالتسبيح فانه اشرف الاذكار لكونه تنزيها عما لا يليق بكبريائه وقيل الفعلان موجهان اليهما وعن ابن مسعود رضي الله عنه اريد بالتسبيح الصلوات الخمس في اوقاتها هو الذي يصلي عليكم يترحم وملائكته لانهم يستغفرون للمؤمنين مجابوا الدعوة فكانهم مترحمون او اريد بالصلوة مطلق العناية باصلاح الاحوال وقيل الصلوة لاشتمالها على الركوع والسجود استعيرت للانعطاف المعنوي والحنو ليخرجكم من الظلمات الى النور من ظلمة المعصية الى نور الايمان والطاعة حيث امركم بالذكر واكثاره والتوفر على الصلوة والطاعة وكان بالمؤمنين رحيما بليغ الرحمة حيث لم يكتف برحمته حتى يشغل ملائكة المقربين به تحيتهم يوم يلقونه اضافة المصدر الى المفعول واللقاء بعد الموت او عند الخروج من القبر او عند دخول الجنة سلام اخبار بالسلامة عن كل مكروه واعد لهم اجرا كريما الجنة وما فيها من النعيم روي انه لما نزل قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما خصك الله بشرف الا واشركنا فيه فنزلت يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا على من بعثت اليهم بالتصديق والتكذيب ومبشرا بالجنة لمن آمن ونذيرا بالنار لمن كفر وداعيا الى الله باذنه بتيسيره وفيه اشارة الى ان الدعوة الى التوحيد امر صعب لا يتاتى الا بتيسيره فان قلت كونه داعيا الى الله هو عين كونه مبشرا ونذيرا فما وجه الجمع قلت روعي في الجمع حال المرسل والمرسل اليه صريحا وان كان كل منهما مستلزما للاخر وسراجا منيرا

يستضا

يستضاء به في ظلمات الجهل وكما يؤيد نور السراج نور الابصار كذلك مد الله بنور نبوته نور البصائر وانما وصف السراج بالانارة لان من السراج ما لا يضيء كما اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلامهم ثلثة تضني القلب رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر عليها من يجيء وقيل السراج هو القران والمعنى وذا سراج او تاليا سراجا ويجوز ان يكون عطفا على كاف ارسلناك اي ارسلناك والقران اما على سبيل التبعية واما من باب متقلدا سيفا ورمحا وبشر المؤمنين عطف على مقدر اي فراقب احوال امتك وبشرهم بان لهم من الله فضلا كبيرا على سائر الامم وفي الحديث تقدكم سبعون امة انتم خيارها او فضلا زائدا على مقدار الجزاء ولا تطع الكافرين والمنافقين اي دم واثبت على ما انت عليه من التهييج والالهاب ودع اذاهم ما يؤذونك لا تلتفت اليه او ما تؤذيهم به مجازاة او مؤاخذة على الكفر مصدر مضاف الى الفاعل او الى المفعول وعن ابن عباس رضي الله عنه نسخت باية السيف وتوكل على الله فان فيه كفاية وكفى بالله وكيلا موكولا اليه الامر وصف خير خلقه بصفات خمس ثم قابل كلا منها بما يناسبه قابل الشاهد بالمراقبة وحذفه لان ما بعده دال عليه مفصلا والمبشر بالامر ببشارة المؤمنين والنذير بالنهي عن طاعة الكفار وعدم المبالاة بهم والداعي الى الله بتيسيره بالامر بالتوكل عليه والسراج المنير بالاكتفاء به لان من جعله نورا اضاء الشرق والغرب جدير بان يكتفى به يا ايها الذين امنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل ان تمسوهن النكاح لغة الوطء واطلاقه على العقد اطلاق على السبب وتقييد المؤمنات اشارة الى ما هو الاولى بالمؤمن من ان يؤثر لنطفته وان لا يجمع فراشه ولي الله وعدوه وثم لدفع ما عسى يتوهم من ان طول المدة يؤثر في ايجاب العدة والمس كناية عن الوقاع وجعله ابو حنيفة رحمه الله اعم منه ومن المس بالشهوة وجعل الخلوة الصحيحة قائمة مقامه فما لكم عليهن من عدة تعتدونها تستوفون عددها من عددت الدراهم فاعتدها بنفسه كقولك اكتاله واتزنه وفي اللام وعلى دلالة على ان وجوب العدة انما هو للرجال وكونه من حقوقهم فمتعوهن من شطر المهر ان كان لها فرض والا فالمتعة الواجبة ومن جوز استعمال المشترك في اكثر من معنى او الجمع بين الحقيقة والمجاز فالتمتع يشمل الواجب والمسنون عنده وسرحوهن سراحا جميلا اخرجوهن من غير ضرار ولا منع حق يا ايها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي اتيت اجورهن مهورهن سماه اجرا لكونه في مقابلة البضع والتقييد بايتاء الاجر وان صح النكاح بدونه اشارة الى ايثار الافضل على ما هو اللايق به كما في قوله وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك اي غنمك فان الجارية اذا كانت مما غنمها بسيفه احل واطيب من المشتراة من شق الجلب وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك توسط بين الافراط والتفريط فان اليهود ينكحون بنت الاخ وبنت الاخت والنصارى لا ينكحون الا ابعد السبعة اجداد

وافراد العم والخال للتخفيف وايثار سماع ذلك للشرف نظيره عن اليمين والشمائل وفي
ذلك ايماء الى اختيار الاقتصار بصيغة الجمع اللاتي هاجرن معك من قبل الاول كما تقدم
لان غير المهاجرات لا تحل وقيل لم تحل له غيرهن لما روي ابن ابي حاتم باسناده
الى ام هانئ انها قالت خطبني رسول الله فاعتذرت اليه فعذرني ثم انزل الله هذه الاية
فلم اكن احل له لاني كنت من الطلقاء وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبي ان اراد
النبي ان يستنكحها اي واحللناك باحلال امرأة مؤمنة ان وقع انها تهب واستنكحها
انت وايثار لفظ النبي اشارة الى ان علة هذا الاحلال شرف نبوته ولذلك عدل
الى الخطاب في خالصة لك من دون المؤمنين وعن الشافعي ان النكاح لا ينعقد
بلفظ الهبة لان اللفظ تابع للمعنى والمعنى مختص به وعند ابي حنيفة رحمه الله الاختصاص
في المعنى دون اللفظ ولا لزوم بين اللفظ والمعنى لان دلالة الالفاظ وضعية واختلف
في انه هل قبل نكاح واهبة نفسها ام لا والحق انه لم يثبت وقيل قبل اربعا ميمونة بنت
الحارث وزينب بنت خزيمة وام شريك وخولة بنت حكيم وخالصة مصدر مؤكد كوعد الله
اي خلص لك احلال الواهبة او صفة مصدر اي هبة خالصة قد علمنا ما فرضنا عليهم
في ازواجهم من اشتراط الولي والشهود والمهر والحصر في الاربع وما ملكت ايمانهم لا يملكون
شيئا الا ارثا وهبة او بالعوض وانك صفي المغنم ما شئت لكيلا يكون عليك حرج
متعلق بخالصة وما بينهما اعتراض يؤكد معنى اختصاصه بما اختص به وان هذه الاثرة
ما يليق بنبيه ناشئة عن علم تام بحال من فضل عليه من المؤمنين وقيل خالصة
مصدر مؤكد للاحلالات الاربع ولكيلا يكون عليك حرج متعلق به والاعتراض بحاله
وفيه ان ما عدا الواهبة ليس من خصائصه لتساوي امته معه في الاحلال واولوية ايثار
الافضل وكان الله غفورا لما يقع مما يعسر التحرز عنه رحيما بالتوسعة في مظان الحرج
ترجي من تشاء منهن تؤخرها وتترك مضاجعتها وتؤوي اليك من تشاء وتضم اليك
من تشاء من ازواجك او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم لمن تشاء
او تترك تزوج من تشاء وتتزوج بمن تشاء من نساء امتك فلا ارجاء ولا ايواء
باطلاقهما وانما هذه الاقسام وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر ترجئ بالهمز
والباقون بالياء ومن ابتغيت ممن عزلت وتراجع من تشاء من المطلقات فلا جناح
عليك في شيء من ذلك وفي الاية دليل على انه لم يجب عليه القسم بين زوجاته واول عليه
ما روت معاذة عن عائشة رضي الله عنها لما نزلت هذه الاية كان يستأذن المرأة
منا بعدما نزلت ما كنت تقولين قالت كنت اقول ان كان ذاك الي فاني لا اوثر عليك
احدا ذلك ادنى ان تقر اعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن اي ذلك
التفويض اليك اقرب الى قرة عيونهن وقلة حزنهن ورضاهن كلهن لانك ان
قسمت علمن ان ذلك الذي تفعله انما تفعله تفضلا منك واحسانا وان لم تقسم لم يجدن

عليك

عليك لعلمهن بانه حكم الله والله يعلم ما في قلوبكم من الميل الى البعض وقد روت عائشة
رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقسم بين نسائه ثم يقول اللهم
هذا فعلي فيما املك فلا تلمني فيما تملك ولا املك وكان الله عليما بالمصالح حليما
لا يعاجل بالعقوبة حقيق بان يتقى لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن
من ازواج عن مجاهد والضحاك وابن عباس رضي الله عنهم انها نزلت بعدما اختارت
نساؤه الله ورسوله كرامة ومجازاة لهن فلم يكن له بعد نكاح امرأة لكن له التسري وعن
عائشة وام سلمة رضي الله عنهما انه احل له ونسخت هذه الاية بقوله ترجي من تشاء فانها
وان تقدمت في ترتيب المصحف فهي المتأخرة نزولا وقيل انما حرم عليه غير الاجناس
المذكورة من الاعرابيات في ازاء المهاجرات والغرائب في ازاء القرائب والكتابيات
بازاء المؤمنات ونكاح الاماء اكتفاء بما ملكت يمينه وعن ابي بن كعب انما نهى عن التبدل
الذي كان في الجاهلية كان يقول احدهم انزل عن زوجتك لي وانزل عن زوجتي لك
روى البزار باسناده ان عيينة بن حصن دخل على رسول الله وعنده عائشة رضي الله عنها
فقال له رسول الله اين الاستئذان يا عيينة فقال ما استأذنت على احد من مضر منذ ادركت
يا رسول الله ثم قال ما هذه الحميراء الى جانبك فقال عائشة ام المؤمنين فقال انزل لي عنها
وانزل لك عن احسن الخلق قال ان الله قد حرم ذلك فلما ادبر قالت عائشة من هذا
قال احمق مطاع في قومه ولو اعجبك حسنهن حال من فاعل تتبدل او من المجرور في من
ازواج لانه في سياق النفي مستغرق فكما يصلح مبتدأ يصلح ذا حال الا ما ملكت يمينك
استثناء من النساء وكان الله على كل شيء رقيبا تحذير عن تخطي حدوده يا ايها الذين امنوا
لا تدخلوا بيوت النبي الا ان يؤذن لكم الا وقت ان يؤذن لكم الى طعام متعلق بيؤذن
لانه في معنى يدعى غير ناظرين اناه حال من ضمير لكم وقيل حال من ضمير لا تدخلوا والاستثناء
واقع على الوقت والحال كانه قيل لا تدخلوها الا وقت الاذن ولا غير ناظرين اذ في
بعد الاستثناء المفرغ كلام وهذا مختص بطائفة كانوا يتحينون طعام رسول الله والاناء
دخول بيوته الا اذا اذن للطعام واني الطعام ادراكه يقال انى الطعام انى كقلاه قلى
ومنه قوله من حميم آن اي بالغ غاية الحرارة ولكن اذا دعيتم فادخلوا فاذا طعمتم فانتشروا
تفرقوا ولا مستأنسين لحديث ولا تطيلوا الجلوس لاستئناس بعضكم ببعض لحديث او ان
تستأنسوا حديث اهل البيت بالتسمع وتحسسا مجرور معطوف على ناظرين او نصب على
الحال من مقدر اي ولا تدخلوها مستأنسين لحديث كما لم تدخلوها ناظرين اناه الطعام ان
ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم فيحتمله ولا يظهر لكم حياء والله لا يستحيي من الحق وهو اخراجكم
وكان حقا ان يلح وليس لهم الجلوس في بيته بغير رضاه طرفة عين فكيف وقد تأذى بذلك
وهو اعز الخلق واكرمهم على الله تعالى والمعنى لا يتركه ترك من يستحيي نزلت في وليمة زينب
بنت جحش لما بنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم لها وليمة لم يولم على امرأة وليمة مثلها

دون البعض صح

حفيظا ومهيمنا صح

ذبح شاة واشبع الصحابه خبزا ولحما فخرج القوم بعد الطعام وتخلف ثلثة نفر يتحدثون
في بيته فثقل ذلك عليه واستحيى منهم فخرج ودار على حجر نسائه وسلم عليهن ودعت
كل واحدة منهن له بالبركة في اهله وعاد فوجدهم في الحديث فثقل ذلك عليه فاحسوا بذلك
فخرجوا فقال انس كنت باسكفة الباب حين نزلت عليه فتلاها وارخى الحجاب وحرم
النظر الى نسائه وهذه هي اية الحجاب وعن ابن ابي حاتم باسناده الى عايشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يتعشى وانا آكل معه فمر عمر فدعاه الى الطعام فاصاب اصبعه
اصبعها فتاذى وقال لو اطاعني فيكن ما رأتكن عين وذلك انه كان يحث رسول الله
على ضرب الحجاب على نسائه ويقول يراهن البر والفاجر فلما وقع اصبعه على اصبع عايشة
وقال ما قال نزلت الاية واذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب لحرمة
النظر اليهن وان كن امهات احتراما واجلالا ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن من الهو
اجس النفس وخواطر الشيطان الجاري من الانسان مجرى الدم وما كان لكم ان تؤذوا
رسول الله في وقت من الاوقات توبيخ لهم على عدم احتياطهم والتوجه الى مراقبة احواله
حتى يدركوا بالقراين ما يرضاه ويبادرون اليه ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا فانهن
ازواجه حيا وميتا واختلف فيمن فارقها في حياته ولم يمسها والحق جوازه ان ذلكم كان
عند الله عظيما ذنبا لا يعادله ذنب احلالا له من ان يطأ فراشه غيره وتصل يد الغير الى
حرمه ان تبدوا شيئا او تخفوه فان الله كان بكل شيء عليما كامل العلم الحال ان عنده سواء
وعنده شديد لمن يخفي في صدره شيئا مما يؤذيه وان لم يقله او يفعله لا جناح عليهن في آبائهن
ولا ابنائهن ولا اخوانهن ولا ابناء اخوانهن ولا ابناء اخواتهن لما نزل الحجاب سأل
الاقارب عن حالهم في الحجاب فنزلت وانما لم يذكر الخال والعم لانهما بمنزلة الوالدين
وعن عكرمة والشعبي لانهما يصفان لابنائهما وهم غير محارم فكره ذلك سدا لمسالك
الشيطان ولا نسائهن اي نساء المؤمنات ومن المؤمنات ولا ما ملكت ايمانهن
من الارقاء ذكورا واناثا وعن سعيد بن المسيب اناثا لا ذكورا واتقين الله في السر
والعلن ان الله كان على كل شيء شهيدا حاضرا فخافوه في السر كما تخافونه في العلن ان الله
وملائكته يصلون على النبي لما شيد اركان شرف رسول الله بما اختصه به بين عباده المؤمنين
من خصايص الاحكام بما عسى يذهب الوهم الى انه لا مزيد على هذا في الاكرام اشار الى انه
قد بلغت كرامته الى انه تعالى وملائكته المقربون من الملأ الاعلى والكروبيين مستمرون على
اظهار شرفه والاعتناء بتبجيل شأنه يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما بجهدكم بما في
وسعكم وقد روى البخاري باسناده الى كعب بن عجرة قلنا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك
فكيف نصلي قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
انك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك
حميد مجيد وجملة الكلام ان الله تعالى امر العالم العلوي والسفلي بالاشتغال بما فيه يحصل له كمال

بما في وسعه وكان في ذلك اشارة الى انه المقصود والنتيجة وبها المقدمتان اللتان رتبهما
العلام الحكيم ولذلك كان مقدما خلقا وان تأخر بعثا وقد اختلف في وجوب الصلوة عليه
اما مرة في الدهر فاتفاقا واما كلما جرى ذكره فقيل لا يجب والحق وجوبه لتظاهر الاحاديث
الكثيرة ولدلالة يصلون على الاستمرار والتجدد واما الصلوة على غيره من الانبياء فالافضل
ان يصلى عليهم عند جري ذكرهم واما غيرهم من الصحابة والتابعين فلا يجوز الا تبعا لانه
صار شعار الرفضة ان الذين يؤذون الله ورسوله ذكر الله للتوطئة اشعارا بان ايذاء رسوله
ايذاؤه وايذاؤه نسبة ما لا يليق بجلاله وكبريائه اليه لما روى ابو هريرة رضي الله عنه يؤذيني
ابن آدم يسب الدهر وانا الدهر اقلب الليل والنهار وايذاء رسوله ما يقولون ساحر وشاعر
وما يفعلون كما كسروا رباعيته وشجوا رأسه الى غير ذلك لعنهم الله في الدنيا بالقتل والاسر والآخرة
بعذاب النار واعد لهم عذابا مهينا مجازاة على ما انتهكوا من حرمة رسوله وهذا فيمن آذاه قصدا واما
ايذاء المؤمنين لم يكن كذلك بل عن غفلة والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير
ما اكتسبوا بغير جناية توجب ذلك قيده لان ايذاء المؤمن قد يكون حقا بخلاف ايذاء الله
ورسوله فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا ظاهرا يشمل السب والغيبة والروافض اول داخل فيه
نزلت في المنافقين الذين كانوا يؤذون علي بن ابي طالب وقيل في الزناة الذين كانوا
يتبعون او يتعرضون للعفايف ومن كارهات وهذا اوفق بقوله يا ايها النبي قل
لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن كانت بيوت المدينة
لا كنف لها وكانت النساء يخرجن لقضاء حاجة الانسان الى المنافع اذا اختلط الظلام
وكان الفساق والشطار يتعرضون لهن لاشتباههن بالاماء فامر الله رسوله بان يأمر
نسائه وبناته ونساء المؤمنين بلبس الجلباب وهو ازار فوق الخمار او ملحفة ليمتاز سماتهن
عن سمات نساء الجاهلية والاماء ومن تبعيضية اي بعض الجلابيب وعن ابن سيرين
سألت عبيدة السلماني عن معناه فغطى وجهه وابرز عينه اليسرى ذلك ادنى ان يعرفن
فلا يؤذين لعدم اللبس وكان الله غفورا لما سلف رحيما يراعي مصالح عباده لئن لم
ينته المنافقون عن النفاق والذين في قلوبهم مرض وهم الزناة واهل الفجور لقوله
فيطمع الذي في قلبه مرض وقيل قلة ثبات في الايمان والمرجفون في المدينة ناس من
المؤمنين يخبرون عن سرايا رسول الله اخبار السوء من القتل والانهزام وغير ذلك
من الرجفة وهي الزلزلة لانه خبر متزلزل قلوب المؤمنين لنغرينك بهم لنسلطنك عليهم
من الغراء وهو ما يلصق به الشيء بالشيء ولذلك عدي بالباء ثم لا يجاورونك فيها الا
في المدينة الا قليلا عطف على لنغرينك جوابا للقسم وايثار ثم للدلالة على ان جلاءهم عن الوطن
اعظم المصايب عندهم ملعونين نصب على الشتم او الحال والاستثناء شامل له ايضا ولا يجوز
تعلقه بقوله اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله سنة الله في
الذين خلوا من قبل من الامم الماضية مصدر مؤكد كوعد الله ولن تجد لسنة الله تبديلا او

لا يقدر احد على تبديله وما تعلق به ارادته كاين لا محالة يسألك الناس عن الساعة عن
وقت قيامها والسايل المشركون استهزاء او اليهود تعنتا لما في التورية وساير الكتب انه
علم مما استأثر الله به قل انما علمها عند الله لا عند غيره وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا
شيئا قريبا او يكون عن قريب تهديد للمستعجل كقوله ماذا يستعجل منه المجرمون والسكات للممتحن
ان الله لعن الكافرين واعد لهم سعيرا نارا ذات هيجان ولهب خالدين فيها ابدا
اي ما لا نهاية له لا يجدون وليا من يتولى حفظهم ولا نصيرا يدفع العذاب يوم تقلب
وجوههم في النار تصرف فيها من جهة الى اخرى كما ترى البضعة من اللحم في القدر حال
غليانها او تغير هيأتها او يطرحون منكوسين والتعبير بالوجه لانه اشرف الاعضا يقولون
يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا تمنيا على ما فات وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا
اشرافنا وعلماءنا فاضلونا السبيلا بما زينوه لنا يقال ضل السبيل واضله غيره والخلاف
في الرسولا والسبيلا كالخلاف في الظنونا والتوجيه ما تقدم ربنا اتهم ضعفين من العذاب
للضلال والاضلال والعنهم لعنا كبيرا اي مرة وقرأه عاصم بالباء الموحدة اي اشد اللعن
واعظمه وقراءة القوم اوفق لدلالة الضعفين على التعدد يا ايها الذين امنوا لا تكونوا
كالذين اذوا موسى فبرأه الله مما قالوا روى البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال موسى بن عمران كان رجلا حييا وكان بنو اسرائيل يغتسلون
عراة وكان موسى لا يغتسل الا متسترا فقالوا ما يمنعه ان يغتسل معنا عريانا الا انه
آدر فاغتسل يوما ووضع ثوبه على الحجر ففر بثوبه فاخذ العصا وعدا خلف الحجر وهو ينادي
ثوبي حجر ثوبي حجر فوقف الحجر على ملأ من بني اسرائيل فقالوا والله ما لموسى من بأس
وقيل اتهموه بقتل هارون وقيل اتهمه قارون عليه بالزنا كما مر في القصص
وكان عند الله وجيها ذا مكانة ورتبة فلذلك كان جديرا بان يبرأه عما يشينه وشتان
ما بين وجاهة الكليم والحبيب يا ايها الذين امنوا اتقوا الله في كل الامور لا سيما
فيما يؤذي رسول الله وقولوا قولا سديدا جوابا مستقيما لا اعوجاج فيه فيشمل قضية زينب
وغيرها يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم جواب للامر اي اذا فعلتم ما امرتم به حصل لكم
ما هو غاية طلبة كل عاقل وهو تقبل حسناتكم او التوفيق لمجيء اعمالكم في المستقبل مرضية
وهذه الاية مقررة لما تقدمها مع اشتمالها على الوعد كاشتمال تلك على الوعيد فيقوى
الصارف عن الاذى ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما النجاة من عذاب
الدارين ونيل ما لا عين رأت انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال
فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان لما علق بالطاعة الفوز العظيم
عظم شانها وفخم امرها وعبر عنها بالامانة اشارة الى انها لازمة الرعاية واجبة الاداء
والمراد منها ما يعم اللايق بالجماد من حيث كونه مسخرا لما اريد منه ولم يمتنع عن المشية
وبالانسان من الانقياد للاوامر والنواهي فبحيث جرت تلك الاجرام واستمرت على ما سخرت

والانسان

والانسان خاس به ولم يف بما كان في وسعه فحكم عليه بالجناية من قولهم حمل فلان
الامانة اي اصر على حملها ولم يؤدها الى صاحبها فعلى هذا الاباء والعرض والاشفاق
مجاز او متفرعة على تمثيل حال الجماد كالمامور الذي اذا ورد عليه امر سيده المطاع بادر بالامتثال
وفيه تعريض بالانسان وانه كان احق بذلك انه كان ظلوما في ترك الاداء مع
التمكن جهولا شديد الجهل بوخامة العاقبة لتفويته الفوز العظيم وتوريطه نفسه في العذاب
المقيم واشارة الى عظم شان الطاعة حيث كان ما يشبهها مما يحبا واليه التجا وقيل
اريد بها الطاعة حقيقة والامر مبني على الفرض والتصوير وذلك بان مثلت حال التكليف
في صعوبته وثقل محمله وما في المحافظة على الامانة الى حين الاداء على الوجه الاتم لو كان
في هذه الاجرام العظام لاقويا فهم وادراك الخطاب وعرضت الامانة عليها
لما حملتها ولا اثرتها اختيارا والانسان الذي خلق ضعيفا اثره واحتمله وكان ظلوما
واضعا لنفسه غير موضعها لحمله عليها ما عجزت عنه السموات والارض والجبال جهولا
بوخامة العاقبة وان ترك حفظها مع الامكان يورث الهبوط من اوج السعادة
الى حضيض الشقاوة وقيل الامر على ظاهره وان الله تعالى لما خلق هذه الاجرام خلق فيها
فهما واهلية خطاب وقال اني فرضت فريضة وخلقت جنة لمن اطاعني ونارا لمن
عصاني فقلن نحن مسخرات لما خلقتنا لا نحتمل فريضة ولا نبغي ثوابا ولا نرضى لانفسنا
عقابا والاوجه ان يقال العرض مجاز عن نسبة الامانة اليها واباء الحمل عن عدم الاستعداد
والقابلية لها وحمل الانسان عن استعداده وكمال القابلية واصل نشأته على ما اشير
اليه بفطرة الله التي فطر الناس عليها وبكل مولود يولد على الفطرة وكان ظلوما حيث
افسد تلك الفطرة التي هي بمثابة الاكسير جهولا شديد الجهل بما يترتب على ذلك مهملا
حافظ على القوة العاقلة التي هي بمثابة الملك على ساير القوى ويقهر بها جنود القوة
الغضبية والشهوة التي هي بمنزلة الشياطين ليعذب الله المنافقين والمنافقات
والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات التعذيب نتيجة
حمل الامانة مجازا كما ان التأديب نتيجة الضرب حقيقة والمعنى ليعذب الله الخاين في
الامانة الخايس في ضمانه ويتوب على الامين الوافي بحق الامانة القايم بما ضمنه وفي
هذا نوع آخر من عذاب الخاين الغادر وكان الله غفورا لفرطات المؤمنين رحيما
متفضلا بثواب طاعاتهم تمت سورة الاحزاب والصلوة على من انزل عليه الكتاب
واله واصحابه مدى الليالي الى يوم الحساب

سورة سبأ مكية وهي اربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض ما دخل في قوامها
وما يكون فيها والشكر فان كل ذلك نعمة دنيوية يحمد موليها وله الحمد في الاخرة على تلك
النعم فكأنه قال هو المحمود على نعم الدارين لا غير وكما دل على الاختصاص هنا تقديم الصلة
دل عليه ها هنا اولا فقط ما قيل قدم الصلة هنا لان نعم الدنيا قد يكون بواسطة من يستحق

الحمد الاثري الى قوله في سورة القصص له الحمد في الاولى والاخرة بتقديم الصلة
فيهما مع ان قوله نعم الاخرة لا يكون بواسطة من يستحق الحمد ممنوع واي واسطة اقوى
من شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والملائكة والصالحين وانما سمي مقام شفاعته
مقاما محمودا لانه يحمده الاولون والاخرون كما رواه البخاري وهو الحكيم المتقن امر
الدارين الخبير ببواطن الامور وفي الوصفين اشارة الى ان كل ذلك انما هو على وجه
الحكمة وعلم تام بموضع الاستحقاق يعلم ما يلج في الارض من الامطار والدفائن والاموات
وساير ما له الارض كفاتا وما يخرج منها من الاشجار والفلزات وانواع النبات
وما ينزل من السماء من الامطار والثلوج والملائكة باصناف البركات وما يعرج فيها
من الاعمال والعبادات تقرير لوصف الخبرة وتفصيل لما اجمل في قوله ما في السموات
وتعميم لانواع النعم الكلية وهو الرحيم المتفضل بافاضتها الغفور لفرطاتهم وتقصيرهم
في شكرها وتقديم وصف الرحمة لان الانعام فذاك اوفق بالمقام وقال الذين كفروا السلام
لا تاتينا الساعة انكار لمجيئها واستبطاء سخرية كقولهم متى هذا الوعد قل بلى وربي لتاتينكم
رد لكلامهم واكده بالقسم ثم اكده التاكيد بقوله عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض ولا اصغر من ذلك ولا اكبر لان هذا الوصف بمنزلة الشاهد
على وقوع المقسم عليه من غير مجال ريب واوثر من بين صفاته العلى احاطة علمه بالمغيبات
في العالم العلوي والسفلي لان العلم بوقت الساعة من امهات الغيوب فاذا وصف
بالعلم الشامل دخل ذلك تحته ففيه رعاية حسن الاقسام قرا حمزة والكسائي علام على صيغة
المبالغة بالجر ونافع وابن عامر بالرفع على انه خبر مبتدا او مبتدا خبره ما بعده والباقون
بالجر وقرا الكسائي لا يعزب بكسر الزاء الا في كتاب مبين هو اللوح وجعل الضمير في عنه
للغيب على معنى لا ينفصل عن الغيب شيء الا مسطورا في اللوح لا يلايم المقام ليجزي الذين
امنوا وعملوا الصالحات علة لقوله لتاتينكم رد لانكار صدق المخبر المؤكد خبره بالقسم البالغ
كانه قيل له القدرة التامة على ايجاد العالم والعلم الشامل بجليات الاشياء وخفياتها
والحكمة تقتضي جزاء المحسن والمسيء وهذا ايضا مركوز في غرايزهم فقدم المقتضي وارتفع
المانع اولئك لهم مغفرة ورزق كريم لا تعب فيه ولا من والذين سعوا في اياتنا في
ابطالها والصد عنها معاجزين مسابقين في زعمهم يقال عاجز فلان اذا ذهب فلم يوصل
اليه وقرا ابن كثير وابو عمرو وبلاه ومن التعجيز هو المختار لانه ابلغ اولئك لهم عذاب
من رجز من عذاب اليم من بيان اي لهم خصة من العذاب الاليم وقرا ابن
كثير وحفص برفع اليم والجر اولى لعدم الفصل ولانه اكمل معنى ويرى الذين اوتوا
العلم عطف على قال الذين كفروا اي الصحابة ومن بعدهم او علماء اهل الكتاب
الذين امنوا الذي انزل اليك من ربك هو الحق مفعول لايرى وهو ضمير
الفصل ويجوز عطفه على ليجزي والمعنى يعلم الذين اوتوا العلم فوا عاينوها علم لا مزيد

عليه

عليه في الانجيل ويحتج به على من انكرها ويعلم من لم يؤمن بها من الاحبار فيزدادوا
حسرة وغما ويهدي الى صراط العزيز الحميد الذي هو دين الاسلام وقال الذين كفروا قال بعضهم
لبعض هل ندلكم على رجل نكرة ومتجاهلين به كانه غريب جاء بامر بديع لا يقبله العقول
ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق اي كل تمزيق على انه مصدر او ذهبت بكم السيول وصرتم
في اجواف الطير وسفت بكم الريح على انه مكان انكم لفي خلق جديد باول عليه
هو العامل في اذا كما تقدم في سورة السجدة والجديد فعيل بمعنى الفاعل كالحديد وعند
الكوفيين بمعنى المفعول لقولهم ملحفة جديد والجواب انه من قبيل رحمة الله قريب افترى
على الله كذبا ام به جنة حصر واخبره الكاذب في الكذب قصدا وغير قصد اذ لا اعتقاد
لهم في صدقه والعدول عن الفعل في الثاني ايماء الى انه الكاذب اذ لم يجربوا عليه كذبا
قبل النبوة بل الذين لا يؤمنون بالاخرة في العذاب والضلال البعيد اضراب عن
ذلك الحصر الباطل الى ما هو الحق وتقديم العذاب على الضلال المتقدم عليه اشارة الى
الى تحقيق استحقاقهم وتوفر اسبابه ووصف الضلال بالبعيد وهو للضال على طريقة المجاز
الحكمي مبالغة فيه وانهم لا يرجى خلاصهم افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء
والارض ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء اي اعموا فلم ينظروا
الى السماء والارض المحيطين بهم حيث كانوا اسفروا حضرا والمعنى قد علموا ذلك ولهم علم
باننا ان نشا نخسف بهم الارض كما خسفنا بقارون او نسقط عليهم قطعة من السماء
نهلكهم بها واذا علموا ذلك وايقنوا فهلا استدلوا بذلك على القدرة على الانشاء والاعادة
ثانيا وقرا حمزة والكسائي الافعال الثلثة بالياء اسنادا الى ضمير الله والباقون بالنون
وهذا ابلغ وعيدا لقوله ولقد اتينا وقرا حفص بفتح السين في كسفا ان في ذلك لاية
لكل عبد منيب راجع الى الله بالتوبة فانه الناظر في ايات الله ثم ذكر ما يرغب في الانابة
وما تفضل الله على المنيب بما اتبعه من قصة داود لاشتمالها على انابته وما ترتب عليها
ولقد اتينا داود منا فضلا يا جبال اوبي معه اي قلنا يا جبال اوبي معه اي رجعي معه
في التسبيح لقوله انا سخرنا الجبال معه يسبحن والترجيع هو الرجوع الى الصوت الاول ومنه
ترجيع الاذان والغرض لبيان الجمع من النبوة والملك وتسبيح الجبال الراسيات والطيور
السارحات وقيل كانت تسير معه بالنهار حيث سار والتاويب سير النهار والطير
بالنصب معطوف على محل يا جبال او على فضلا او مفعول مقدر مثل وسخرنا والنا له الحديد
كالشمع يفتله بيده من غير نار والة ان اعمل سابغات اي امرناه بعمل الدروع الواسعة
من سبغ الشيء اذا وفى وكمل ان مفسرة او مصدرية وقدر في السرد في النسج بان
يناسب بين الحلق ومنه سرد الصوم اذا تابع الايام وقيل قدر في السرد اي اجعل
المسمار على قدر الحلق لا دقيقا فيقلق ولا غليظا فيخرق واعملوا صالحا الخطاب له ولاهله
اني بما تعملون بصير فاجازيكم عليه من وهب بن منبه ان داود كان يتنكر ويسال الركبان

عن حال داود وكانوا يثنون عليه فارسل الله ملكا في صورة رجل فسأله فقال هو خير الناس
لولا انه يأكل هو واهله من بيت المال فسأل الله ان يعلمه صنعة يأكل منها هو واهله
فعلمه الله عمل الدرع ليكون سببا لمعاشه وآلة للجهاد فكان كل يوم يفرغ من درع ويبيعه
باربعة آلاف وقيل بستة آلاف ينفق على نفسه واهله منه ثم يصرف الباقي الى مصالح
بني اسرائيل ولسليمان الريح اي وسخرنا له الريح غدوها شهر جريها مسيرة شهر بالغدوة
ورواحها شهر سيرها آخر النهار كذلك كان يغدو من دمشق الى اصطخر فيتغدى به ثم
يروح الى كابل فيتعشى به وكل من المسافتين شهر ويحكى ان رجلا وجد مكتوبا كتبه بعض
اصحاب سليمان عليه السلام بناحية دجلة نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا
من اصطخر فقلناه ونحن رائحون منه فبائتون بالشام ان شاء الله تعالى واسلنا له
عين القطر النحاس المذاب جعله تنبع نبوع الماء وكان ذلك باليمن ببلدة صنعاء
ومن الجن من يعمل بين يديه مبتدأ وخبر او من يعمل عطف على الريح ومن الجن
حال تقدمت اهتماما لان كونه من الجن هو المستغرب باذن ربه بامره وتيسيره وفيه
اشارة الى ان تسخيرهم امر في غاية البعد لولا تسهيله لما تيسر ومن يزغ منهم عن امرنا
عما امرناه به من طاعة سليمان نذقه من عذاب السعير الحريق يعملون له ما يشاء من
محاريب قصورا حصينة ومساكن شريفة لانها تحارب عنها ويذب وتماثيل صور الملائكة
والانبياء ليروها على تلك الصور تذكيرا للناس بحالهم ليعبدوا اعبادتهم وتحريم الصور شرع
مجدد او كانت بلا رأس او لم يكن صور حيوان لان التمثال كل ما صور على صورة غيره
وجفان كالجواب كالحياض جمع جابية لان الماء يجبى فيها اي يجمع قال الاعشى تروح
على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقي تفهق وقدور راسيات ثابتات في اماكنها لعظمها
لا تنزل من الاثافي اعملوا آل داود شكرا حكاية لما قيل لآل داود وشكرا نصب على العلية
لان العمل لله تعالى للشكر وفيه اشارة الى ان العبادة يجب ان تؤدى شكرا او مصدر لان
اعملوا معناه اشكروا او مفعول به اي اعملوا انتم شكرا الان الجن تعمل لكم ما شئتم وقليل من
من عبادي الشكور المتوفر للشكر باللسان والجنان والاركان الباذل وسعه في القيام
وعن ابن عباس رضي الله عنه الشكور من يشكر على الاحوال كلها وقيل من يشكر على الشكر وقيل
من يرى العجز عن الشكر وقد روى البخاري ومسلم رحمهما الله باسنادهما الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال احب الصلوة الى الله تعالى صلوة داود وكان ينام نصف الليل ويقوم
ثلثه وينام سدسه واحب الصيام اليه صيام داود وكان يصوم يوما ويفطر يوما وقيل لم يخل
بيت آل داود من قائم يصلي لا ليلا ولا نهارا فلما قضينا عليه الموت على سليمان ما دلهم
على موته اعاد المظهر لئلا يتوهم عود الضمير الى سليمان الا دابة الارض ودويبة تسمى سرفة
والارض فعلها ولذلك يقال لها الارضة تأكل منسأته عصاه لانه ينسأ بها اي يطرد ويؤخر
وقرأ نافع وابو عمرو بالالف بدلا عن الهمزة من غير قياس مبالغة في التخفيف وابن ذكوان

عن ابن

عن ابن عامر باسكان الهمزة تخفيفا من الخفيف اي الاخف وهي لغة الحجاز فلما خر تبينت الجن
علمت علما جليا ان لو كانوا يعلمون الغيب كما كانوا يزعمون ويوهمون الناس ذلك
ان مع صلتها بدل من الجن بدل اشتمال ما لبثوا في العذاب المهين وذلك ان داود
اسس بيت المقدس مكان فسطاط موسى ثم مات قبل تمامه فوصى به سليمان فاستعمل
فيه الشياطين فلما دنى موته ولم يكمل بعد سأل ربه ان يعمي موته على الجن حتى يتموا
المسجد فامر الجن ان يبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب واتكأ على المنسأة يصلي
فقبض في الصلوة على تلك الهيئة فاكلت الارضة العصا فخر على الارض فوضعوا الارضة
على العصا فاكلت يوما وليلة مقدارا فقاسوه فكان موته منذ سنة وكان عمره حين
ملك ثلث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلث وخمسين سنة وابتدأ بناء المسجد لاربع
مضين من ملكه لقد كان لسبأ وهو سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان اريد به القبيلة
لقوله في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال اي كان لكل رجل له بستانان احدهما
عن يمين مسكنه والاخر عن شماله او كانت البساتين عن الجانبين متصلة متضامة
كانها جنتان قرأ ابو عمرو والبزي سبأ بفتح الهمز من غير تنوين لارادة القبيلة وقنبل
باسكان الهمزة اجراء للوصل مجرى الوقف والباقون بالكسر والتنوين باعتبار الحي وقرأ
حمزة والكسائي وحفص مسكن بفتح الكاف مفردا لارادة البلد او مسكن كل واحد
والكسائي بالكسر على الشذوذ كالمسجد والباقون جمعا على التوزيع وهو الظاهر كلوا
من رزق ربكم حكاية لما قال لهم نبيهم قيل بعث اليهم احد عشر نبيا او قيل لهم بلسان
الحال او احقاء بان يقال لهم ذلك واشكروا له طلبا للمزيد ومحافظة على العتيد
بلدة طيبة ورب غفور استيناف لبيان موجب الشكر وعن ابن عباس كانت
اخصب البلاد واطيبها كانت تخرج المرأة وعلى رأسها المكتل فتسير بين الاشجار
لا جنيها فيمتلئ مما يتساقط فيه وقيل لم يكن فيها ذباب ولا بعوض ولا برغوث
فاعرضوا عن الشكر فارسلنا عليهم سيل العرم هو الجرذ الذي نقب السد الذي كان بناه
بلقيس الملكة بالصخر والقار يجتمع فيه ماء العيون والامطار وكانت جعلت فيه ثقبا
على قدر الحاجة تفتح في وقت وقيل العرم السكر وهو السد وقيل المطر الشديد وقيل اسم
واديهم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط ثمر مر بشع عطف بيان او صفة
وقرأ ابو عمرو بالاضافة على ان الخمط هو الشجرة وشجر الاراك عن ابن عباس وقيل كل
شجر ذي شوك مر وعن الزجاج كل شجر مر واثل هو الطرفاء عطف على اكل لا على خمط
لان الطرفاء لا ثمر له وشيء من سدر قليل عطف على خمط وهو النبق وله ثمر حسن والحكمة
في تقليله زيادة العذاب عليهم كلما رآه تذكروا ما فاتهم ولذلك قلله وتسمية ما بدلوا
بجنتين تهكم او مشاكلة ذلك جزيناهم بما كفروا اي ذلك الجزاء الذي جزيناهم لاجل
كفرهم النعمة والرسل بالتكذيب وهل نجازي الا الكفور اي لا نجازي ذلك الجزاء البالغ

الا البالغ في الكفر والمراد والجزاء عقابا وما يصيب المؤمن تمحيص لذنوبه ولانه اريد العقاب
على جميع ما فعله من السوء ولا كذلك المؤمن لان حسناته تذهبن السيئات وقرأ نافع
وابن كثير وابو عمرو وابن عامر وابو بكر بالياء على بناء المفعول والباقون بالنون وهو
ابلغ تهويلا وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها هي قرى ظاهرة هي قرى الشام
وقيل قرى بصنعاء قرى ظاهرة متواصلة يظهر بعضها لبعض او راكبة متن الطريق
ظاهرة للسابلة وقدرنا فيها السير على ما يلائم المسافر بقيل الغادي في قرية والرائح
يبيت في اخرى سيروا على ارادة القول حالا او مقالا ليالي واياما آمنين لا يختلف
الامن باختلاف الاوقات ليلا ونهارا او سيروا فيها مدة اعماركم فقالوا ربنا باعد
بين اسفارنا اشروا النعمة وسئموا العافية ونظروا وسالوا الله خراب تلك القرى ليكون
مكانها مفاوز يركبون فيها الرواحل ويتزودون الازواد كما استبدلت بنو اسرائيل
الثوم والبصل بالمن والسلوى وقرأ ابن كثير وابو عمرو وهشام عن ابن عامر بعد
بتشديد العين وهما لغتان بمعنى [illegible] وظلموا انفسهم حيث عرضوها للشقاء بعد
النعيم والرخاء فجعلناهم احاديث يتحدث بعدهم بما جرى عليهم ويضربون بهم
الامثال اذا بالغوا في وصف القوم بالتفرق قالوا ذهبوا ايدي سبا ومزقناهم كل
ممزق فرقناهم كل تفريق لحق غسان بالشام وانمار بيثرب والاسد بالبحرين
وخزاعة بتهامة والازد بعمان والاية والتي قبلها تفصيل لما تقدم من حال الجنتين
واربابها وما جرى على سبيل النشر وقدم جعلهم احاديث على التمزيق لانه الغرض
ان في ذلك لآيات لكل صبار شديد الصبر على البلايا شكور كثير الشكر على النعم
والمزايا ولقد صدق عليهم اي على اهل سبا ومن هو على طريقتهم ابليس ظنه
تحقق ظنه وتبينه لما كفروا وكذبوا الرسل هو الظن الذي حصل له لما وسوس الى آدم
وحواء ولاسيما بغروره او لما سمع مقالة الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء
وقرأ غير الكوفيين صدق مخففا على ان ظنه مفعول فيه او مفعول مطلق لمقدر فاتبعوه
الا فريقا من المؤمنين من بيان اي الا فريقا هم المؤمنين او تبعيض اي الا
فريقا من المؤمنين وهم المخلص يؤيد الاول قوله لاملان جهنم منك وممن تبعك
منهم وما كان له عليهم من سلطان من تسلط واستيلاء بالاغواء والوسوسة الا لنعلم
من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك اي لتمييز بين المؤمن والشاك او ليعلمهما
موصوفين بالصفتين او على يترتب عليه الجزاء او المؤمن من قدر ايمانه والشاك من
قدر ضلاله فالمراد من حصول العلم ما تعلق به مبالغة وفي اسلوب نظم الصلتين
اشارة الى نكتة لا تخفى وربك على كل شيء حفيظ مراقب فعيل بمعنى الفاعل وعد
ووعيد قل ادعوا الذين زعمتم اي زعمتموهم آلهة حذف المفعولان لطول الصلة من
دون الله صفة آلهة والاصح ان يكون هو المفعول الثاني لعدم الالتئام مع الاول

لايملكون

لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الارض اي في العالم العلوي والسفلي ولا يعبد
المعبود الا لجلب نفع او دفع ضر وفيه تبكيت لهم وانهم لا ينطقون بغير سند او ما لهم فيهما
في العالمين من شرك لا خلقا ولا ملكا وما له منهم من ظهير من عون يعينه في امر
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له دفع لما كانوا يتوهمون من الشفاعة ان لو كان
بعث ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله والمعنى لا تنفع الشفاعة الا لمن اذن الله
له ان يشفع او يشفع له فاللام هي المقدرة في شفاعة زيد اما فاعلا او مفعولا ويجوز ان
يكون لام العلة اي الا لمن وقع الاذن للشفيع لاجله كقولك اذنت لزيد لعمرو اي
لاجله وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي اذن على بناء المفعول بضم الهمزة والفتح اولى واخف
ولذلك اتفقوا عليه في لمن اذن له الرحمن حتى اذا فزع عن قلوبهم غاية لمقدر دل عليه
المقام اي يتربصون فزعين فهم في ذلك الفزع يتوقفون يلقى عليهم ردا الهيبة حتى
اذا كشف عنهم ذلك الفزع بالاذن في الشفاعة سال بعضهم بعضا وقرأ ابن عامر فزع
على بناء الفاعل وهو اولى لكونه الاصل واخف قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو الاذن
في الشفاعة والاختيار لفظ الرب شان لا يخفى وما روى ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله امرا في السماء ضربت الملائكة اجنحتها خضعانا كانه سلسلة
على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وكذا روي عن ابن مسعود
رضي الله عنه مثله فلا تنافي بينهما وكلاهما واقع واما ان ذلك تفسير للآية فلا لعدم
الارتباط ومن قال به انما نظر الى طباق اللفظ ضمنا وتقدم الملائكة ضمنا لا يجدي وهو
العلي شانه الكبير سلطانه يحق له ان لا يتكلم احد الا باذنه قل من يرزقكم من السموات
والارض تقرير لقوله لا يملكون مثقال ذرة قل الله اذ لا جواب سواه وان سكتوا
مخافة الالزام وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين بعد البرهان النير والتقرير
البالغ في التبليغ تنزل ورد للامر بين الفريقين بان الحق واحد وفاقا فيتامل من
المصيب منا ومن المخطئ ومثله يسمى كلام المنصف لان من سمعه من موال ومخالف
يقول للخصم قد انصفك ولا يرى اشد تبكيتا منه للخصم ولا اوصل بالناظر الى الغرض ولا
اهجم منه بالغلبة ولا ادفع لشغب المكابر ومنه بيت حسان يخاطب ابا سفيان اتهجوه
ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء وانما خالف بين الصلتين لان المحق كانه عال
جواد يركضه حيث يشاء والمبطل كانه مرتبك في ظلمة لا يدري اين يتوجه قل لا تسالون
عما اجرمنا ولا نسال عما تعملون فاذا لا غرض لي في دعائكم الا النصح وفيه تنزل ابلغ
من الاول حيث عبر عما نسب الى انفسهم بالاجرام وعما نسب الى الخصم بالعمل قل
يجمع بيننا ربنا المحاج والخصام ثم يفتح بيننا بالحق يحكم ويجازي المحق والمبطل كلا على حسبه
وهو الفتاح الحاكم بالصواب العليم لا يحتمل تطرق الخلل الى حكمه قل اروني الذين
الحقتم به شركاء كان يراهم ويعرفهم ولكن اراد التنبيه على خطائهم وقياسهم كلا ليس الامر كما زعموا

بل هو الله العزيز الحكيم اين تلك الجاوات من هذه الصفات والضمير لله او للشأن
وما ارسلناك الا كافة للناس صفة مصدر اي الا رسالة عامة بكف خروج احد منهم
وعن الزجاج حال من الكاف والتاء للمبالغة كعلامة والمعنى كافا لهم اي جامعا في
الابلاغ والانذار كقوله بعثت الى الاحمر والاسود وعن ابن مالك حال من المجرور بشيرا
ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون لعدم التدبر في شأنك او علمهم كلا حمل حيث قاده
الانكار ويقولون متى هذا الوعد المبشر به والمنذر عنه ان كنتم صادقين خطاب له
والامة قل لكم ميعاد يوم وعد او زمان وعد لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون
جواب تهديد موافقا لما قصدوه بسؤالهم من التعنت والانكار فلوحظ المقصود دون
ما يعطيه ظاهر اللفظ وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القران ولا بالذي بين يديه من
الكتب الدالة على قيام الساعة ونشر الاموات وذلك ان كفار مكة سألوا اهل الكتاب
نعت رسول الله فاخبروهم انهم يجدونه في كتبهم فاغضبهم ذلك فكفروا بها جميعا وقيل الذي
بين يديه يوم القيمة الذي دل القران على وقوعه ولو ترى اذ الظالمون موقوفون عند ربهم
في ذلك اليوم الذي ينكرونه يرجع بعضهم الى بعض القول يتجاوبون في الحوار كلما غضب الكذب
في الاخر يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا الرؤساء لولا انتم اي اضلالكم لكنا
مؤمنين باتباع الرسل قال الذين استكبروا للذين استضعفوا انحن صددناكم عن الهدى
بعد اذ جاءكم ادخلوا همزة الانكار على الاسم لان الغرض انكار كونهم صادين عن الايمان
لا انكار الفعل من اصله وانما اضيف بعد الى اذ وهو لازم الظرفية كما يضاف الزمان
الى الجمل اتساعا بل كنتم مجرمين بسوء اختياركم وقال الذين استضعفوا للذين
استكبروا كروا عليهم ثانيا وابطلوا اضرابهم بقولهم بل مكر الليل والنهار اذ تأمروننا
ان نكفر بالله ونجعل له اندادا اي عن مكركم بالليل والنهار واياما وحملكم ايانا على الكفر
بالله اتخاذ الانداد واضافة مكرهم الى الليل والنهار للملابسة والاتساع في الظرف
باجرائه مجرى المفعول به او جعل الليل والنهار ماكرين على الاسناد المجازي واسروا
الندامة لما رأوا العذاب اي كل من الضال والمضل مخافة التعيير او اظهروها وازالوا
سترها ونظيره في الوجهين تشكى كقوله شعر فما زالت الايام الاشكاه وما زالت
الايام تشكى ولا تشكى وجعلنا الاغلال في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم والاظهار
للدلالة على الموجب هل يجزون الا ما كانوا يعملون اي لا شيء سوى ذلك ومحل ما
نصب بنزع الخافض او بتضمين الجزاء معنى القضاء وما ارسلنا في قرية من نذير الا
قال مترفوها بعد استيفاء الدلائل على التوحيد والرسالة وضرب الامثال بالقوارع
التي اصابت من لم يقابل النعم بالشكر سلى رسوله بان من قبلك من الرسل كل قد
قد كابد من الجهلة ما كابده انا بما ارسلتم به كافرون عنادا وجحودا من غير شبهة في الطريق
فضلا عن امارة او برهان وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا [illegible] الدنيا وما نحن بمعذبين

في الاخرة

في الاخرة قياسا على الدنيا جهلا وسفاهة ولم يدروا ان الدنيا يحذ اخرها لا يساوي عند
جناح بعوضة وتلك الدار في جواره واوليائه واهل عزه فكيف يقاس احدهما على
الاخرى قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر اي حظوظ الدنيا انما هي بمقتضى مشيئة الله
وحكمته في البسط والقبض ولا يلاحظ فيها القرب والمحبة بخلاف الثواب والجزاء فانهما في
مقابلة الايمان والعمل الصالح ولكن اكثر الناس لا يعلمون ليبيؤا في زمرة العلماء فيجرون
على احد النقيضين بالحجة على الاخر وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى اي
قربة مفعول مطلق اي وما اموالكم واولادكم تقرب عندنا زلفى وقربا او التي كناية عن
التقوى اي ما اموالكم ولا اولادكم بالتي هي التقوى حتى تقربكم عندنا زلفى ولا مقرب
سواها الا من امن وعمل صالحا استثناء من مفعول تقربكم اي الا مال من امن فانه يقربه
يصرفه في وجوه البر وعلى الثاني استثناء من اموالكم على معنى الا مال من امن وفيه مبالغة
حيث جعل مال المؤمن وولده نفس التقوى ولا يصح الاستثناء على هذا من مفعول تقربكم
لانه فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا اي الموصوفون بالايمان والعمل الصالح يجازون
اضعاف استحقاقهم واقله العشر واكثره لا يعلمه الا الله وهم في الغرفات امنون في القصور
امنون عن المكاره وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ان في الجنة قصورا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها فقال اعرابي لمن
يا رسول الله قال لمن اطعم الطعام وادام الصيام وطيب الكلام وقرا حمزة الغرفة على ارادة
الجنس كقوله يجزون الغرفة والذين يسعون في اياتنا معاجزين مغالبين وقرا ابن
كثير وابو عمرو بالقصر مشددا وقد سلف انه ابلغ اولئك في العذاب محضرون على الدوام
لا يغيبون قل ان ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يوسع عليه تارة ويضيق
اخرى الاول في رد مقالتهم وهذه في الحث على الانفاق بدليل قوله وما انفقتم من شيء
فهو يخلفه فلا تكرار اي وما انفقتم مما يصدق عليه اسم الشيء فانه تعالى يجعل له خلفا في
في الدنيا فقللوا او كثروا وفي الحديث المشهور ان لله ملكين ينزلان كل صباح ينادي
احدهما اللهم اعط كل منفق خلفا والاخر ينادي اللهم اعط كل ممسك تلفا وهو خير الرازقين
او من عداه انما يكون رازقا مجازا كانه قيل فلينفق فان الله يرزقه من حيث لا يحتسب
ويوم نحشرهم جميعا الرؤساء والضعفاء والعابدين والمعبودين ثم نقول للملائكة خصوصا
لكونهم اشرف من عبدوه ولانهم ما عبدوا الاصنام الا لانها صور الملائكة اهؤلاء اياكم كانوا
يعبدون الغرض من هذا السؤال تقريع المشركين وزيادة تعذيب بان من عبدوه ليكون
شفيعا تبرأ عنهم مواجهة وتكذبهم احوج ما كانوا قالوا سبحانك تنزهك عن الشريك انت
ولينا من دونهم متجاوزين عنهم لا ولاية ولا مودة لنا الا لك بل كانوا يعبدون الجن
حيث اطاعوهم وقيل كانوا يعبدون الاصنام والجن تدخل في اجوافها فيعبدون بعبادتها
وقيل صورت الشياطين صور الجن وقالوا هذه صور الملائكة اكثرهم اي كلهم بهم مؤمنون

الضمير الاول للمشركين والثاني للجن فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعا ولا ضرا اذ الامر
في ذلك اليوم ولا نافع الا الله وتقديم النفع اهتماما لانه الغرض من عبادتهم ونقول
للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون عطف على لا يملك مبين للغرض
من تمهيده واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا اي محمد الا رجل يريد ان يصدكم
عما كان يعبد آباؤكم اراد والنفي رسالته وحصر اوصافه في هذا الغرض الفاسد وقالوا
ما هذا اي القرآن الا افك كذب لا يطابق الواقع مفترى في نسبته الى الله تعالى
وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم اي القرآن او لكل ما جاء به رسول الله ان هذا الا
سحر مبين واضح لانشراه به وفي اتيان المظهر موصولا وما في لما من معنى المبادرة على
التكذيب من غير تامل انكار شديد له كأنه قال او لتكرة المتمرد دون قالوا لذلك
الحق المنير قبل وذوق معناه ليس شيئا سوى السحر وما آتيناهم من كتب يدرسونها
ليكون لهم في قولهم الباطل متشبث كاهل الكتاب وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير
يدعوهم الى ترك الشرك ويتوعدهم بالعقاب على تركه فهم جبلة عميون ثم توعدهم
بقوله وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناهم اي كذب الذين من قبل
هؤلاء وما بلغ كفار مكة عشر ما آتينا اولئك من المال والقوة او ما بلغ اولئك
معشار ما آتينا كفار مكة من الآيات والهدى فكذبوا رسلي عطف المقيد على المطلق
وما بينهما اعتراض وجعل الاول للتكثير عايدا الى الاطلاق او عطف على بلغوا من
تتمة الاعتراض والضمير لاهل مكة وتكذيبهم الرسل هو تكذيب محمد عليه السلام فانه
تكذيب لهم من وجهين فكيف كان نكير الجاري عليهم بالتدمير تنزيلا للفعل منزلة
القول قل انما اعظكم بواحدة بخصلة او صفة ان تقوموا لله تفسير لواحدة الجار والمجرور
في محل النصب اي مخلصين من غير اتباع هوى ولا تقليد والقيام اما هو المتعارف
او النهوض بالرأي والهمة مثنى اثنين اثنين وفرادى واحدا واحدا لان الكثرة
تشوش الخاطر وتفرق البال والاثنان كل منهما يعرض رأيه على الآخر والواحد يؤامر
نفسه ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة فتعلموا ان ليس به جنون وذلك ان ما ادعاه من
الشأن الذي دون ملك الدارين لا يدعيه الا احد رجلين مجنون لا يدري ما يقول
او مؤيد من عند الله بالمعجزة باهرة اذ العاقل لا يرضى بافتضاحه لدى المعارضة ومحمد
بريء من الجنون قد صاحبتموه دهرا وتبين لكم انه اصدق الناس لهجة واحجاهم عقلا
وارزنهم حلما بل هو مركز دائرة الفضائل والمحامد وهذا وقد ايده الله بمعجزات باهرة
من انواع شتى لا تبقي شبهة في امره ويجوز ان يكون ما بصاحبكم استئنافا منه تعالى
تنبيها لهم على وجه النظر وهذا احكم واشد طباقا وما نافية لا استفهام وجه حسن اي اي
شيء فيه من آثار الجنون ان هو الا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قدامه قال بعثت
في نسم الساعة قل ما سألتكم من اجر فهو لكم اي اي شيء سألتكم من الاجر تجاوزت عنه

وتركه

وتركته لكم نفي لسؤال الاجر على ابلغ وجه ويجوز ان تكون ما موصولة والذي سألته
منهم هو قوله لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى وقوله ما اسألكم عليه الا من شاء
ان يتخذ الى ربه سبيلا ولا شك انه لهم لا له ان اجري الا على الله الذي ارسلني وهو
على كل شيء شهيد مهيمن يعلم صدق مقالتي وضميري قل ان ربي يقذف بالحق
القذف الالقاء بدفع واعتماد ويستعار للالقاء والانزال ويقذف به الباطل فيدمغه
علام الغيوب لا يخفى عليه شيء فهو يعلم من يستحق الاصطفاء او ما هو جدير بالدمغ ولا وها
وقرأ حمزة وابو بكر بكسر العين لمناسبة الياء والباقون بالضم على الاصل كالقلوب
قل جاء الحق وهو القرآن او دين الاسلام وما يبدئ الباطل وما يعيد الباطل ما عبد
من دون الله تعالى لا يقدر على الانشاء ولا على الاعادة اللذين هما من لوازم الالوهية
او كناية عن الهلاك كقولهم لا يأكل ولا يشرب كناية عن الميت فان الحي يبدئ الفعل
ويعيده وقيل الباطل ابليس لانه ذو الباطل او لانه هالك وفيه تقرير لما تقدمه لانه اثبات
للحق وهذا ازالة للباطل وعن الزجاج ان ما استفهامية قل ان ضللت فانما اضل
على نفسي عليها وزرها لانها الامارة بالسوء فكل ضرر امرت به وبالها لا تتخطاها وان
اهتديت فبما يوحي الي ربي فبهداية الله وتوفيقه وان كان لها مدخل في اكتسا
به هذا وان خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد دخل تحته كل مكلف انه سميع
قريب لا يخفى عليه شيء من مقال ولو ترى اذ فزعوا يوم القيامة او عند الموت
او يوم بدر فلا فوت منا واخذوا من مكان قريب من الموقف الى النار او من
ظهر الارض الى بطنها او صحراء بدر الى القليب وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت
في خسف البيداء وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يغزو جيش الكعبة حتى
اذا كانوا بالبيداء خسف بهم قالت عائشة رضي الله عنها فقلت كيف بمن كان
مستكرها قال يخسف بكلهم ثم يبعثون على نياتهم واخذوا عطف على فزعوا او على فلا
فوت على معنى فلم يفوتوا واخذوا والاول اوجه لانه يقتضي اعادة فلا فوت تقديرا
فيفيد تأكيدا ولو واذ والافعال الواقعة بعدها من فزعوا واخذوا وحيل وان كانت
للمضي اريد بها المستقبل لان فعله المستقبل كالواقع وقالوا آمنا به واني لهم التناوش
هو التناول السهل اي قال الكفار حين اخذوا آمنا بمحمد لتقدم ذكره في ما بصاحبكم
من جنة من مكان بعيد مثل حالهم بحال من يريد تناول الشيء مع بعد المكان
وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي وابو بكر التناؤش بهمزة مضمومة من نأش تناول
من بعد والباقون بالواو من ناش ينوش والمعنى واحد وقد كفروا به من قبل
اي اوان التكليف ويقذفون بالغيب يرجمون به عطف على كفروا والمضارع
لحكاية الحال من مكان بعيد وذلك قولهم في رسول الله شاعر او ساحر وفي القرآن
شعر واساطير الاولين اذ لا مظنة للالتباس مثل حالهم بحال من يقذف شيئا من بعيد

لا يظن لحوقه او قولهم ان كان هناك بعث نحن احسن حالا من اصحاب محمد قياسا
بلا جامع مع ظهور الفارق وحيل بينهم وبين ما يشتهون حيث آمنوا حين لم ينفع
منهم او ما كانوا يتصورون من انهم احسن حالا كما فعل باشياعهم من قبل باشباههم
من الامم المكذبة الذين كانوا يشيعونهم في الاعتقاد انهم كانوا في شك مريب موقع
في الريبة او شك ذا ريب كلاهما اسناد مجازي والوجه مختلف تمت السورة والحمد لله
على جزيل نعمه والصلوة على من فاق البرية باخلاقه وشيمه سورة فاطر وهي
خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله فاطر السموات والارض
خالقهما من فطر الشيء شقه كانه شق العدم واخرجهما منه والاضافة محضة ولذلك
وصف به المعرفة جاعل الملائكة رسلا بينه وبين عباده في الانبياء وكتبه الاعمال
اولي اجنحة ذوي اجنحة والاولو جمع ذو من غير لفظه كالمخاض وهي حوامل النوق مفردها
خلفة مثنى وثلث ورباع نعتها على الوصف غير منصرفة للعدل والوصف في الاختلاف
في الحكمة تنبيه على تفاوت رتبهم فلا دلالة فيه على عدم الزيادة ولذلك اردفه بقوله
يزيد في الخلق ما يشاء من الاجنحة وغيرها على ما اقتضته الحكمة رأى رسول الله صلى الله
عليه وسلم جبرائيل في صورته الحقيقية له ستمائة جناح بين كل جناحين ما بين المشرق
والمغرب والآية باطلاقها يتناول كل ما قيل في تفسير الزيادة بالوجه الحسن والصوت
والخط الحسن والملاحة وغيرها من السجايا والمزايا ان الله على كل شيء قدير فالموجب
للتخصيص تعلق الارادة ما يفتح الله للناس ما يرسله ويطلقه عبر بالسبب عن
المسبب من رحمة نعمة سماوية او ارضية كالمطر والامن والعافية فلا ممسك لها
لا يقدر احد على منعها وما يمسك فلا مرسل له من بعده بعد امساكه وتذكير الضمير
العايد الى ما تارة وتانيثه اخرى نظرا الى المعنى واللفظ واوثرها في التنزيل دون
العكس لان الاول فسر بالرحمة فحسن التانيث وفي ذلك اشارة الى سبق رحمته
وترك تفسير الثاني لدلالة الاول عليه او اطلق ليتناول كل ما يمسكه من غضبه ورحمته
وهو العزيز الغالب يرسل ويمسك على وفق مشيته الحكيم لا يفعل الا ما اقتضته
الحكمة يا ايها الناس اذكروا نعمة الله عليكم بالقيام بشكرها وصرف القلب والجوارح
الى طاعة موليها هل من خالق لتلك النعم او مطلقا فيتناولها تناولا اوليا والاستفهام
الزام وتبكيت غير الله صفة خالق على المحل او بدل وقرأ حمزة والكسائي بالجر
على اللفظ يرزقكم مستانف فلا يمنع اطلاق الخالق على غيره تعالى وان
جعل صفة رفعا او جرا او فسر الرافع من خالق محلا امتنع لاختصاصه بالرازق
من السماء والارض لا اله الا هو مستانف كيرزقكم في الوجه الاول ولو جعل صفة
لخالق لزم التناقض لان هل من خالق غير الله اثبات الخالقية له تعالى فاذا
وصف ذلك الخالق بانه لا اله الا هو كان تناقضا فانى تؤفكون فكيف تصرفون

عن

عن التوحيد بعد هذا البيان وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فصبروا
فاصبر انت فانك اولى بذلك لانك سيدهم المقدم والى الله ترجع الامور فيجازيكم
على قدر النصب وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بفتح الياء وكسر الجيم يا ايها الناس ان
وعد الله حق ثابت لا محالة تقرير لما تقدمه فلا تغرنكم الحيوة الدنيا التمتع بلذاتها بعد
علمكم بزوالها عن قريب ولا يغرنكم بالله الغرور الشيطان بالاغواء على المعاصي والوعد
الكاذب ان الشيطان لكم عدو قديم عداوته عادى اباكم قبل كونه بشرا سويا فاتخذوه
عدوا واحذروا عن كيده ولان ازالة عداوته غير ممكنة انما يدعو حزبه شيعته ومن يتبع
خطواته بالوسواس وتزيين المعاصي ليكونوا من اصحاب السعير الملازمين لها
اللام للعاقبة الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة
واجر كبير بعد التحذير عن اتباعه بين حال حزبه وحزب الله ترغيبا وترهيبا وفي وصف
العذاب بالشديد اشارة الى ان مخالفة الهوى ليس امرا شاقا بالنسبة الى ذلك
العذاب افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا اي رأى القبيح حسنا كقوله يحسبون انهم يحسنون
صنعا والجواب محذوف اي كمن وفق وهداه الله حذف لدلالة قوله فان الله يضل
من يشاء ويهدي من يشاء وعليه وعن الزجاج ان الكلام على التقديم والتاخير
اي افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم حسرة فحذف لدلالة فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات والمعنى اذا علمت ان الاضلال والهداية بيده تعالى فلا تتاسف ولا تذهب
نفسك وتفارقك للحسرات على عدم اهتدائهم والاوجه ان يكون حالا كان نفسه
صارت عين الحسرات وفي ايثار الجمع مبالغة كان له حسرات بعدد كل شخص منهم
او بعدد كل سيئة الجار والمجرور متعلق بتذهب او بحسرات وتقديم معمول المصدر شايع
ان الله عليم بما يصنعون فيجازيهم عليه والله الذي ارسل الرياح من جهات مختلفة
فتثير سحابا حكاية للحال تصويرا لتلك الهيئة البديعة ولان المراد بيان احداثها تلك
الخاصية ولذلك اسند الفعل اليها ويجوز ان يراد باختلاف الافعال الاستمرار وقرأ ابن
كثير وحمزة والكسائي الريح بالافراد على الجنس فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض
اي بالمطر ودل عليه ذكر السحاب او بالسحاب لانه سبب السبب او لما كان في الفعلين
مزيد صنع التفت الى ضمير المتكلم لانه ادخل في الاختصاص وقرأ ابن كثير وابو عمرو وابن
عامر وابو بكر ميت مخففا بعد موتها بعد يبس نباتها وذهاب نضارتها كذلك النشور
في محل الرفع مثل احياء الموات احياء الاموات وعن ابي رزين قلت يا رسول الله
كيف يحيي الله الموتى قال هل مررت بوادي قومك ممحلا ثم مررت به
يهتز خضرا قلت بلى قال فكذلك يحيي الله الموتى وقيل الكلام في الكيفية المخصوصة لما روي انه
ينزل مطر من تحت العرش مثل المني ينبت منه الموتى من كان يريد العزة الرفعة
والشرف فلله العزة جميعا في الدارين فليطلبها منه فان الشيء يطلب عند مالكه ونظيره

والمؤمنين عزته تعالى رد لتعززهم بالاصنام لقوله واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا
لهم عزا الا ترى الى ابى سفيان يوم احد لما رمى بالمسلمين اضطرابا كيف نادى لنا
عزى ولا عزى لكم ثم قال اعل هبل اعل هبل اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح
يرفعه اشارة الى ما ينال به العز من عند الله تعالى وهو الايمان والعمل الصالح
روى الطبرى باسناده الى ابن مسعود ان الكلم الطيب سبحان الله والحمد لله ولا اله
الا الله والله اكبر اذ قال العبد اخذهن الملك تحت جناحه لا يمر على الملائكة في السموات
الا استغفروا للقائلهن فيجيء بها وجه الرحمن وعن ابن عباس رضي الله عنه العمل
الصالح اداء الفرائض فمن ذكر الله وادى الفرائض حمل عمله ذكره ومن لم يؤد
رد ذكره فعلى هذا المستكن في يرفع للعمل وقيل للذكر اذ لا يقبل العمل الا من الموحد
وقيل الرافع هو الله والحق ان الكلم الطيب يتناول كل كلمة صالحة وقراءة القرآن
افضل من الذكر والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد حث على الاخلاص
في العمل الصالح فلا يدنسه بالرياء قاله مجاهد وسعيد بن جبير وقيل هم المشركون
الذين اداروا الرأى في شأنه صلى الله عليه وسلم لقوله واذ يمكر بك الذين كفروا
ليثبتوك اخبار بالغيب قبل وقوعه ونصب السيئات على المصدر لان يمكر فعل
لازم اى المكرات السيئات ومكر اولئك هو يبور لا غيره وهو مكر الله حيث استدرجهم
الى الدرك الاسفل او الى قليب بدر ثم الى العذاب السرمد والله خلقكم من تراب
اى آدم ثم من نطفة سائر ذريته ثم جعلكم ازواجا ذكرانا واناثا وما تحمل من
انثى ولا تضع الا بعلمه اى ملتبسة بعلمه محفوظا احوالهما اشار بقوله والله خلقكم من
تراب الى الحول الكامل وبهذا الى العلم الشامل ثم الى القضاء والقدر بقوله وما يعمر
من معمر ولا ينقص من عمره خطابا بالافراد للانسان اى ما يمد في عمر احد ولا ينقص
من عمر آخر الا في كتاب الا في علمه او في اللوح وقيل التعمير والنقص راجع الى
شخص على الفرض والتقدير وذلك انه كتب عمره اربعين ان لم يتصدق بكذا
وستين ان تصدق لما روى ان الصدقة وصلة الارحام تزيدان في العمر
وعن سعيد بن جبير نقص العمر ما يمر من عمره والكتاب كتاب الحفظة يكتب فيه مضى
يوم مضى يومان وهكذا وعن قتادة المعمر من بلغ عمره ستين والمنقوص من
مات دونه وهذا راجع الى الوجه الاول الا انه اشار الى غالب الاعمار ان ذلك
المذكور على الله يسير لحصوله بمتعلق الارادة لا غير وما يستوى البحران هذا عذب
فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج العذب الحلو والفرات ما يكسر العطش من
الفرط والسائغ السهل الانحدار والاجاج الذى تحرق بملوحته مثل ضربه الله
للمؤمن والكافر ثم استطرد وصف البحرين بما نيط بهما من المنافع بقوله ومن كل
تاكلون لحما طريا وتستخرجون حلية تلبسونها لان الكلام في ادلة وحدانيته وكمال قدرته

وقيل

وقيل هو من تتمة المثل تفضيل المشبه به على المشبه بسنده كالدعوى الاشتراك في الملح
خاصة لاشتماله على فوائد لم توجد في المشبه فلا ترشيح وقيل هو من تتمة التمثيل على معنى
ان البحرين وان اشتركا في بعض الفوائد لكن خالف احدهما ما افسده فطرته الاصلية
كذلك المؤمن والكافر وان اتفقا في بعض الاخلاق والمكارم تفاوتا فيما هو الاصل
لبقاء احدهما على الفطرة دون الآخر وترى الفلك فيه مواخر شواق من مخر شق
وقيل هو صوت جريها وتاء تقدم الجار والمجرور هنا واخره في النحل لان الكلام هناك
في تعداد النعم وكون الفلك ماخرة سبب قريب لها وهنا وقع استطرادا وتتمة للغرض
لتبتغوا من فضله بالمسافرة للتجارة ولعلكم تشكرون تلك النعم حرف الترجي باعتبار
ظاهر حالهم يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى
لاجل مسمى هو تمام دوره او منتهاه او هو يوم القيمة ذلكم الموصوف مبتدا الله ربكم
له الملك اخبار مترادفة وفي اسم الاشارة اشارة الى علية الوصف لثبوت الاخبار
ويجوز ان يكون له الملك كلاما مبتدا في قران قوله والذين تدعون من دونه
ما يملكون من قطمير للدلالة على تفرده بالالوهية والقطمير لفافة النواة واما ايقاع اسم
الجلالة صفة لاسم الاشارة فلا يصح لفظا لكونه علما ولا معنى لان الغرض انه متفرد
بالالهية لا ان المتفرد بالالهية هو ربكم وكذا عطف البيان لايهامه تخيل الشركة ان
تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا فرضا اذ كانوا من جهلهم يزعمون ذلك
ما استجابوا لكم لعدم القدرة وهذا المحسوس لا يكابرون فيه ويوم القيمة يكفرون بشرككم
ينكرون عبادتكم كقوله ويكونون عليهم ضدا انتفى النفع وثبت الضرر ولا ينبئك
مثل خبير اى لا يخبرك بالامر مخبر مثل عالم خبير بحقائق الاشياء وبواطنها وهو الله
تعالى وفيه تحقيق وتقرير لما اخبر به عن حال آلهتهم يا ايها الناس انتم الفقراء
الى الله في ذواتكم واحوالكم وتعريف الفقراء لافادة ان فقر غيرهم كلا فقر لشدة احتياجهم
من باب ذلك الكتاب وحاتم الجواد والله هو الغني في ذاته وصفاته وافعاله
الحميد المحمود على الآية من باب التكميل اذ ليس كل غني جوادا وسوق هذا الكلام لدفع
توهم ان دعاءهم الى التوحيد والعبادة ليس للاحتياج ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق
جديد بان يفني عالما آخر ومن يوجده وما ذلك على الله بعزيز متعسر ولا تزر
وازرة وزر اخرى الوزر الثقل اريد به الاثم اى لا تحمل نفس آثمة نفس اخرى والآية سيق
للدلالة على ان الله غني عن عبادتكم ورسوله لا يحمل وزركم فليس ارساله ودعاؤه الى
الايمان الا رحمة لكم وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء اى ان تدع الكل نفس
مثقلة بالاوزار كل من يمكن ان يكون مدعو الحمل بعض الاوزار لا يجيبها اى ذلك المدعو لم
لشدة الهول فالاولى دلت على كمال العدل وهذه على شدة الهول ولو كان ذا قربى
اى المدعو دل عليه ان تدع المفعول ذو القرابة في يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه

انما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب اى لا يفيد الا على انذار هولاء لانتفاء القابلية عن
غيرهم ومحل بالغيب نصب على الحال من الفاعل اى غايبين او من المفعول اى غايبا
عنهم والباء صلة اى فى خلواتهم واقاموا الصلوة حفظوا امرهم بالعبادات كما زينوا
بواطنهم بالخشية والايمان بالغيب والاكتفاء بالصلوة لاستجلابها ساير الطاعات
ومن تزكى تطهر ظاهرا وباطنا اعتراض مؤكد لما تقدم فانما يتزكى لنفسه نفعه لا يتخطاها
والى الله المصير للجزاء وعد لهم وما يستوى الاعمى والبصير مثل للكافر والمؤمن او للصنم
والمعبود بالحق فعلى الاول عطف على قوله وما يستوى البحران وعلى الثانى من تتمة
قوله ذلكم الله ربكم له الملك والاول اولى لانها اشبها ولا بالبحرين ثم فضل الملح على
الكافر ثم بالاعمى والبصير ففيه ترق ولا الظلمات ولا النور ولا الشبهات الكفر ولا الاسلام
ولا الظل ولا الحرور الحرور هو السموم وقيل الحرور بالليل والسموم بالنهار وما يستوى
الاحياء ولا الاموات المؤمنون والكفار ترق ثان منه وكلمة لا فى ولا الظلمات
ولا الظل مذكر للنفى مؤكد له كما فى ولا الضالين واما التى فى ولا النور ولا الحرور
ولا الاموات فليست كذلك اذ لا يصح تقدير الفعل بعدها لان الفاعل مجموع المتقابلين
فهى زايدة للتأكيد وقيل قصد بها نفى الاستواء من كل منهما مقيسا الى الاخر فان قلت
لم لم يعد لا المؤكد فى البصير كما اعادها فى ساير المعطوفات قلت لانه تمهيد للترقى الى
التشبيه بالاحياء والاموات الا ترى كيف اعاد وما يستوى وما بينهما من التمثيلين مقصود ان
وانما فلذلك اعيدت وانما وسطا لما بين فقدان نور البصر والنور الخارجى من التلازم
ان الله يسمع من يشاء هدايته وما انت بمسمع من فى القبور ترشيح لتشبيه المصرين على
الكفر بالاموات ان انت الا نذير قد انذرت وليس عليك الاسماع انا ارسلناك
بالحق محقين او محقا حال من الفاعل او من المفعول او منهما او صفة لمصدر او متعلق بقوله
بشيرا ونذيرا بالوعد الحق والوعيد الحق وان من امة اهل عصر الا خلا فيها نذير
اى ليس من امة الا بعث اليها نذيرنا فاذا ذهب واندرست اثاره بعث اخر ويجوز
ان يكون النذير اعم من النبى والعالم القايم مقامه وانما اكتفى بالنذير لكونه قرين
البشير غالبا وتقدم ذكره انفا ولم يعكس لان الانذار هو الاهم وان يكذبوك فقد
كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات الشواهد على نبوتهم وبالزبر الصحف
وبالكتاب المنير كالتورية والانجيل والزبور والمجئ بالكتاب لا يقتضى الاتيان به اصالة
لقوله يحكم بها النبيون وقيل الاسناد الى الكل بمعنى شمول البعض للكل كالبنات واختصاص
البعض بالبعض ثم اخذت الذين كفروا بالاستيصال وقلع شافتهم فكيف كان نكير
انكارى تعجب مما صنع بهم الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به ثمرات مختلفا الوانها
انواعها واصنافها ومنه تلوين الكلام ورجل متلون او المتعارف من الحمرة والصفرة و
وغيرهما كقوله واختلاف السنتكم والوانكم ومن الجبال جدد ذو جدد اى خطط جمع جدة

من الجدد

من الجد وهو القطع لانها مقطوعة من ساير الالوان وعن ابن عباس رضى الله عنه
من الطرايق بيض وحمر مختلف الوانها فى الشدة والضعف يقق وقان ودون
وغرابيب سود اى متحد اللون جمع غربيب وهو الذى تناهى سواده وصفة لمضمر تفسيره
سود ولا يجوز ان يكون سود تاكيدا له او هو بدل منه ومن الناس والدواب
كل ما يدب او الخيل والبغال والحمير والانعام الابل والغنم والبقر من عطف الخاص
على العام على الاول مختلف الوانه اى بعض منها مختلف الوانه كذلك كاختلاف
الثمرات والجبال نصب على المصدر او رفع اى الامر كذلك ولما خاطبه وعدد عليه
دلايل التوحيد من العالم العلوى والسفلى ومن البسايط والمركبات من الحيوان
والنبات وساير الهيئات من الالوان والصفات قال انما يخشى الله من
عباده العلماء كانه قال انما تخشاه ومثلك او من بذلك فى المعرفة من الذين قدروا
الله حق قدره وسلك فى ذلك طريق الكناية كقولهم العرب لا يخفر الذمم ولانه
على ان العلم صفة تناسب الخشية وراعى فى ذلك براعة المطلع بذكره باية ان الله
عزيز لا يغالب غفور لفرطات من خشيه ان الذين يتلون كتاب الله يداومون
تلاوته فانها من افضل الاعمال او يعملون بما فيه وقيل اريد به جنس الكتب ثناء على
المصدقين من الامم واقاموا الصلوة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية اى فى الاوقات
كلها وقيل السر فى التطوع والعلانية فى الفرض واثر فى التلاوة المضارع دون
التابعين اشارة الى استغراقهم الماضى والمستقبل بالطاعات يرجون تجارة لن تبور
لن تكسد من البوار وهو الهلاك خبر ان ليوفيهم اجورهم علة لما دل عليه لن تبور اى
تنفق عند الله ليوفيهم بها اجورهم ويزيدهم على ما يقابل اعمالهم من فضله كقوله
ويؤت من لدنه اجرا عظيما ذلك ان يجعل يرجون حالا عن فاعل ما تقدمه اى فعلوا
جميع ذلك راجين لهذا الغرض وخبر ان انه غفور شكور اى غفور لفرطاتهم شكور لطاعاتهم
والذى اوحينا اليك من الكتاب من للبيان ان اريد بالكتاب القران وللتبعيض ان
اريد به الجنس هو الحق مصدقا لما بين يديه حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا
التصديق ان الله بعباده لخبير بصير كامل العلم ببواطن احوالهم وظواهرها فلو لم يكن
اهلا لهذا الكتاب المعجز المهيمن على ساير الكتب لما اثرك به وتقديم الخبير اهتماما لان
الاطلاع على الخفايا والسراير هو المختص به تعالى وذكر البصير على طريقة التتميم وقيل لان
العمدة فى ذلك الامور الروحانية عند اهل الحق ثم اورثنا الكتاب حكمنا بتوريثه
منك او نورثه وانشاء الماضى كما فى نظايره لتحقق وقوع ما اخبر به اورثناه من الامم
السالفة ان جعل الذين يتلون ثناء على المصدقين من الامم والذى اوحينا اليك
اعتراضا لبيان كيفية التوريث الذين اصطفينا من عبادنا وهم امة محمد كنتم خير امة
اخرجت للناس وقيل العلماء او برده قوله فمنهم ظالم لنفسه بترك الاعمال وارتكاب المحرمات

ومنهم مقتصد متوسط خلط عملا صالحا وآخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات بالاتيان
بالطاعات وترك المنكرات باذن الله بتوفيقه وتيسيره وهذا الذي عليه اكثر المفسرين
من الصحابة ومن بعدهم ودل عليه التعظيم بالايراث والاصطفاء وكيف لا وقد اشار
الى القسم بعده بقوله والذين كفروا لهم نار جهنم وبه فسر من انزل عليه الكتاب روى
الشيخ هدى باسناده الى ابي سعيد ان رسول الله لما تلا هذه الاية قال هؤلاء كلهم بمنزلة
واحدة وكلهم اهل الجنة وقد وافقه روايات اخريها وان تتواتر وترتيب النظم على هذا
لان الظالم الكثر والمقتصد كثير والسابق قليل وقيل الظالم هو الكافر والضمير عائد الى
عبادنا ذلك هو الفضل الكبير اشارة الى الايراث والاصطفاء جنات عدن يدخلونها
مبتدا وخبر والضمير للفرق الثلث بدل عن الفضل الكبير يحلون فيها خبر آخر او حال مقدرة
من اساور من ذهب من الاولى تبعيضية والثانية للبيان ولؤلؤا عطف على اساور
في قراءة نافع وعاصم بالنصب وعلى لفظ ذهب في قراءة غيرهم والمعنى من ذهب
مرصع باللؤلؤ او من ذهب في صفاء اللؤلؤ ولباسهم فيها حرير على الدوام بخلاف الاسورة
ربما تنزع كما هو المتعارف في الدنيا وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن جنسه او كل
حزنه مما يتفق منه في الدنيا والاخرة وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في القبور ولا في النشور وكاني بهم ينفضون التراب يقولون
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور لكثير الغفران شكور لليسير الذي احلنا
دار المقامة من فضله اذ لا يستحق العبد على مولاه اجر العمل لا يمسنا فيها نصب مشقة او
لا تكليف منه كد ولا اذى ولا طلب رزق واذا لم يوجد المس فكيف ما فوقه ولا يمسنا
فيها لغوب فتور يعتري الانسان من النصب وانما نفاه صريحا مبالغة والذين كفروا
لهم نار جهنم تحكم بهم لا يقضى عليهم بالموت فيموتوا ثانيا ويستريحوا نصب باضمار
ان ولا يخفف عنهم من عذابها طرفة عين كذلك مثل ذلك الجزاء نجزي كل كفور مبالغ في الكفر او
في الكفران وقرأ ابو عمرو ويجزى بالياء على بناء المفعول والنون اشد تهويلا وهم يصطرخون
فيها يتصارخون من الصراخ وهو الصياح بشدة استعمل في الاستغاثة لان المستغيث
يجهد في الصياح ربنا اخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اذ كان في حسبانهم انهم على
عمل صالح قال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا والمراد التحسر على ما فاتهم من العمل
الصالح فالوصف على الاول مميز وعلى الثاني مؤكد اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر جواب
منه تعالى على وجه التوبيخ والاسقاط وجاءكم النذير وهو النبي الصادق لقوله وان
من امة الا خلا فيها نذير احتجاجا عليهم بالعمر القابل للعمل مع الرسول المزيح للشبه
وقيل الشيب والعقل وموت الاقارب فذوقوا فما للظالمين اي لكم والاظهار للاشارة
الى العلة من نصير يدفع عنهم العذاب ان الله عالم غيب السموات والارض لا يخفى
عليه شيء وقد علم انهم اهل الطبع وانهم لو ردوا لعادوا لما نهوا عنه انه عليم بذات الصدور

وهي

وهي الضمائر التي لم تبرز واذا علمها فعلمه بغيرها اولى هو الذي جعلكم خلائف في الارض
جمع خليفة وهو الذي استخلف على الشيء والقي اليه مقاليد التصرف فيه وفيه تقرير
لقوله اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر فمن كفر فعليه كفره اي جزاؤه ولا يزيد الكافرين
كفرهم عند ربهم الا مقتا لانهم كلما ازدادوا اجراما بالاصرار ازدادوا بعدا وعكس ذلك
المؤمن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم خير الناس من طال عمره وحسن عمله والمقت
اشد البغض ولا يزيد الكافرين كفرهم الا خسارا في الاخرة لا ازديادا والعذاب بازدياد
الاثام والتكرير لافادة استقلال الكفر باقتضاء كل من الامرين قل ارأيتم شركاءكم
الذين تدعون من دون الله اخبروني عن حالها هل يستحق الشركة واضافتها
اليهم لانهم المثبتون لها اروني ماذا خلقوا من الارض اي جزء من اجزائها بدل
الاشتمال من ارأيتم ام لهم شرك في السموات بان شاركوه في خلقها فيشاركونه في
الالوهية ام آتيناهم كتابا ينطق بذلك فهم على بينة منه على حجة واضحة والكلام على الترقي
في اثبات الشركة لان الاستقلال بخلق شيء من الارض شركة ما والاشتراك معه في
خلق السموات ادل ثم انزال كتاب بانهم شركاؤه ادل وادل ويجوز ان يكون على
التدرج من الاستقلال الى الشركة ثم الى حجة مكتوبة بها وان يكون الضمير في آتيناهم
للمشركين كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا وقرأ نافع وابن عامر وابو بكر والكسائي بينات
بصيغة الجمع وفيه ايماء الى ان الشرك امر خطير لا بد له من دلايل والافراد ابلغ لان
الكلام مسوق للتبكيت وان ليس لهم في ذلك شبهة فضلا عن دليل وعليه الرسم
بل ان يعد الظالمون بعضهم بعضا الا غرورا اضراب عن تلك الاقسام الى ما هو
الواقع وهو قول الرؤساء للاتباع هؤلاء شفعاؤنا عند الله ان الله يمسك السموات
والارض ان تزولا كراهية زوالها قبل اوانها لما بين عجز الشركاء عن خلق ذرة في
العالم العلوي والسفلي اتبعه بما يدل على كمال قدرته وفيه دلالة على ان الممكن حال
بقائه يحتاج الى مبق ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده من بعد الزوال
او من بعد الله من الاولى زائدة والثانية ابتدائية انه كان حليما لا يعاجل بالعقوبة
وفيه ايماء الى ان دعوى الشريك له مما يزيل هذه الاجرام عن مقارها لولا حلمه
كقوله تكاد السموات يتفطرن منه غفورا لمن تاب عن الشرك ما قد سلف واقسموا
بالله جهد ايمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن اهدى من احدى الامم هذه كانت مقالة
مشركي العرب قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدحون في الامم المكذبة من
اليهود والنصارى وغيرهم فكذبهم الله في تلك المقالة ومعنى احدى الامم افضلها
كقولهم زيد واحد القوم وقول لبيد او يرتبط بعض النفوس حمامها او بعض الامم
من غير تعيين فلما جاءهم نذير محمد ما زادهم شيئا الا نفورا تباعدا عن الحق استكبارا
في الارض مفعول له او بدل من نفورا ومكر السيء برسول الله ومن آمن به عطف على

استكبارا او على نفورا واصله وان مكروا السيئ اى المكر السيئ ثم حذف الموصوف
استغناء بوصفه ثم بدل ان مع الفعل بالمصدر ثم اضيف وقرا حمزة ومكر السيئ اولا
باسكان الهمزة اجراء للوصل مجرى الوقف ولا يحيق المكر السيئ الا باهله اى لا يحيط
وكذا كان يوم بدر ومن امثالهم من حفر لاخيه قليبا ومن حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا
فهل ينظرون ينتظرون الا سنة الاولين من الامم المكذبة وان ينزل بهم مثل ما
نزل بها ولذلك فلن تجد لسنة الله تبديلا تغييرا بان يجعل مكان العقاب ثوابا
ولن تجد لسنة الله تحويلا بان ينقل عقاب العاصى الى المطيع اولم يسيروا فى
الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اى قد ساروا وشاهدوا فى اسفارهم
الى العراق والشام واليمن آثار تلك الامم ولا يقين اعلى واجلى من المشاهدة فكان
ينبغى ان يعتبروا ويعلموا لصدق مقالتك وكانوا اشد منهم قوة عددا واجسادا واموالا
وما كان الله ليعجزه من شئ ليسبقه ويفوته فى السموات ولا فى الارض انه كان عليما
كامل العلم قديرا تام الاقتدار اشارة الى ان امهالهم بعد الاصرار مع كمال الاقتدار
لما فى علمه الشامل من الحكم ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا من المعاصى ما ترك على
ظهرها اى على ظهر الارض من دابة ما يدب على الارض من سائر الحيوانات بشوم
المعاصى وقيل الدابة الانسان وعن انس بن مالك ان الضب ليموت فى جحره
هزلا بذنب بنى آدم وفى رواية ان الحبارى ليموت ولكن يؤخرهم الى اجل مسمى
آخر اعمارهم او يوم القيمة فاذا جاء اجلهم فان الله كان بعباده بصيرا فيجازيهم على
حسب حالهم تمت والحمد لله حق حمده والصلوة على رسوله وعبده وآله وصحبه الذين قاموا بشكره وحمده

سورة يس مكية وآيها ثلث وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يس اسم السورة او حروف مقطعة كما تقدم وعن ابن عباس
معناه يا انسان بلغة طى ووجهه الاقتصار على شطر الكلمة لكثرة الاستعمال بعد ان صغر
على انيسان وعن ابن جنى حروف معجمة وقائمة مقام انسان كما نقل عن ابن
عباس الم معناه انا الله اعلم ونحوه وحمزة والكسائى وابو بكر يا وادغم النون
فى الواو ابن عامر وابو بكر والكسائى وورش والقرآن الحكيم ذى الحكمة على
معنى النسبة كلابن او ناطق بالحكمة استعارة مكنية او وصف بوصف صاحبه مجاز
حكمى انك لمن المرسلين على صراط مستقيم خبر ثان او حال من المستكن فى الجار
والمجرور وهو التوحيد ودين الاسلام والمرسل وان كان من لوازمه ان يكون على صراط
مستقيم الا ان الغرض وصفه ووصف ما جاء به صريحا وتنكير الصراط للتعظيم منهاجه
على طريق الرسل لكونه حنفية سمحا تنزيل العزيز الرحيم خبر مبتدا محذوف وقرا ابن
عامر وحمزة والكسائى وحفص بالنصب على المصدر المقدر او على المدح وهذا ابلغ واولى
وقرئ بالجر لتنذر قوما متعلق بتنزيل او بمعنى لمن المرسلين ما انذر آباؤهم اى الادنون

كقوله

كقوله وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير فلا ينافى قوله وان من امة الا خلا فيها نذير
او ما موصولة اى لتنذر قوما الذى انذره آباؤهم او مصدرية اى انذارا آباءهم
فهم غافلون متعلق بالنفى على الاول يعنى ان سبب غفلتهم عدم انذار آبائهم وبقوله
انك لمن المرسلين لتنذر على الثانى بمعنى الباعث كقولك اسقه ماء فانه عطشان
لقد حق القول على اكثرهم بانهم يموتون على الكفر لقوله ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من
الجن والانس وقوله خلقت هؤلاء للنار ولا ابالى فهم لا يؤمنون نتيجة ذلك
القول وفيه تسلية لرسول الله انا جعلنا فى اعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان اى واصلة
اليها والغل قد يجمع به الايدى الى العنق ولذلك يقال له الجامعة ويكون ملتقى
طرفيه تحت العنق فيه عمود يمنع المغلول من ان يطاطئ راسه ولو طى قذاله فهم
مقمحون من قمح البعير رفع راسه اى تركب الاغلال رؤسهم مرتفعة من الضيق
وهذا مثل ضربه الله لمنع التوفيق ولبيان حالهم من التصميم على الكفر والاعراض وعدم
التامل فى آيات الله استكبارا بالمغلول الذى لا يقدر على النظر خلفه ولا قدامه ثم قرر
ذلك واكده بقوله وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا حاجزا قرا ابن كثير
وحمزة والكسائى وحفص بفتح السين والباقون بالضم وعن ابى عبيدة الضم لفعل
الخالق والفتح لفعل المخلوق ويتقارضان فاغشيناهم فهم لا يبصرون شيئا اما الاغشاء
فلان السدين قد احاطا بهم واما السدين فلان الشئ اذا قرب غاية لا يمكن رؤيته
وسواء عليهم ءانذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون لانهم اهل الطبع انما تنذر من اتبع الذكر
اى الانذار الذى يترتب عليه الغرض لان مطلق الانذار عام لهم ولغيرهم والذكر القرآن
او اعم وخشى الرحمن بالغيب حال كونه ملتبسا بالغيب لا خبارك او بقلبه الذى هو
غايب عن الخلق وفى ذكر الرحمن مع الخشية اشارة الى ان لا يغتر برحمانيته فانه شديد
العقاب فبشره بمغفرة واجر كريم لا من فيه ولا تعب انا نحن نحيى الموتى نبعثهم
للجزاء او بعده وعيد وعن الحسن نخرجهم من الشرك الى الايمان ونكتب ما قدموا من
الاعمال الصالحة والطالحة قال حكيم بن حزام يا رسول الله رايت اشياء كنت اتحنث
بها فى الجاهلية فقال اسلمت على ما اسلفت وآثارهم التى بعدهم من علم علموه
وولد صالح تركوه وسنة حسنة سنوها واضدادها من السيئات وقيل الآثار هى الخطى الى
المسجد لما روى جابر ان بنى سلمة ارادوا الانتقال الى قرب مسجد رسول الله فقال يا بنى
سلمة دياركم تكتب آثاركم ودياركم تكتب آثاركم وكل شئ احصيناه فى امام مبين
فى اللوح المحفوظ واضرب لهم مثلا لنفسك ولهم من قولهم عندى من هذا الضرب
كذا اى اذكر لقومك قصة عجيبة اصحاب القرية اى قصة اصحاب القرية وهى انطاكيه
اذ جاءها المرسلون بدل اشتمال من اصحاب القرية اذ ارسلنا اليهم اثنين هما يحيى ويونس
وعن ابن اسحاق تاروص وماروص وعن مقاتل تومان وماروص واسناد الارسال

اليه لانه فعل رسوله فرسل باذنه فكذبوهما فعززنا بثالث هو شمعون اي قوينا هما من
عزز المطر الارض لبدها وقرأ ابو بكر مخففا من عزه غلبه والتشديد ابلغ وانما حذف
المفعول لان الغرض ذكر المعزز به فقالوا انا اليكم مرسلون وذلك ان اهل انطاكيه
كانوا عبدة الاصنام فارسل اليهم عيسى اثنين يدعوانهم الى عبادة الله فلما قربا المدينة
رايا حبيبا النجار يرعى غنماله فاخبراه فقال هل معكما آية قالا نعم نشفي المريض ونبرئ الاكمه
والابرص وكان له ابن مريض فمسحاه فشفي ثم شفي على يديهما خلق كثير ونما خبرهما
الى الملك فدعاهما وسالهما فاخبراه الخبر فامر بحبسهما ثم ارسل عيسى شمعون فدخل
متنكرا وصاحب حاشية الملك حتى اتصل به ونال مكانه عنده وكان يدخل معه بيت
الاصنام ويتذلل لها فقال يوما للملك سمعت انك حبست رجلين فقال نعم قال
هل سمعت مقالتهما قال لا قال لو سمعت فارسل فدعاهما فاخبراه الخبر فقال ما آيتكما
فقالا ما تتمنى فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله فشق له بصرا فاخذا بندقتين فوضعا
موضع العينين فصارتا مقلتين فقال له شمعون ايها الملك لو سالت آلهتك حتى
تفعل مثل هذا لكان شرفا لك قال ليس لي عنك سر ان آلهتنا لا تبصر ولا تسمع
ولا تنفع ولا تضر ثم قال الملك ان قدر الهكم على احياء ميت امنا به فدعيا بغلام
مات منذ سبعة ايام فدعوا فقام وقال اني ادخلت سبعة اودية من النار وانا
احذركم ما انتم فيه وقال اني نظرت الى السماء ففتحت ابوابها فرايت شابا حسنا يشفع
لهؤلاء الثلثة فلما راى شمعون ان القول قد اثر فيه دعاه الى الله فامن وامن معه
جمع وصاح جبرائيل على من لم يؤمن فهلكوا قالوا ما انتم الا بشر مثلنا لا مزية لكم زعما
ان البشر لا يكون رسولا وما انزل الرحمن من شيء من الوحي لا اليكم ولا على غيركم
ان انتم الا تكذبون تصريح بالعلم ضمنا قالوا ربنا يعلم انا اليكم لمرسلون اكدوا الكلام
بان واللام وما يجري مجرى القسم لما قوي الانكار منهم وما علينا الا البلاغ المبين الواضح
المؤيد بالمعجزات قالوا انا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم اي بما سمعنا منكم نخاف ان يسخط علينا
الهتنا وقيل حبس عنهم المطر لئن لم تنتهوا لنرجمنكم بالحجارة او بالشتم وليمسنكم منا عذاب اليم
مولم قالوا طائركم معكم شؤمكم داير معكم لسبب كفركم ائن ذكرتم جواب الشرط محذوف
اي تطيرتم انكروا ان يكون التذكير الذي هو سبب السعادات كلها جالبا للشؤم بل انتم
قوم مسرفون دابكم الاسراف في العصيان وذلك اجلب شيء للشؤم او اضراب عن
مجموع الكلام اي انتم قوم مسرفون في الضلال وذلك جعلتم سبب السعادة من اسباب
الشؤم والشقاء وجاء من اقصى المدينة رجل يسعى هو حبيب النجار وكان في غار يعبد الله
فلما بلغه ان القوم عزموا على قتل الرسل سعى اليهم وجاء بالاسلام ليشتغلوا به عن الرسل
قال يا قوم اتبعوا المرسلين اضاف القوم الى نفسه واطلق الرسل اظهارا للنصح
اتبعوا من لا يسئلكم اجرا بدل من الاول وادل بالمقصود وهم مهتدون الى النفع

فلا

فلا خسار لكم في الدنيا ولا في الآخرة وما لي لا اعبد الذي فطرني اي ما لكم لا تعبدون
بدليل قوله واليه ترجعون وانما اسنده الى نفسه ابرازا له في معرض المناصحة وانه
لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه أأتخذ من دونه آلهة ان يردن الرحمن بضر لا تغن
عني شفاعتهم شيئا اي كيف افعل وكيف اترك خالق عبادة من بيده ملكوت
كل شيء الى عبادة من لا يغني في الدارين شيئا ولا ينقذون بالنصر والمغالبة
اني اذا لفي ضلال مبين واضح لا يخفى على احد اني آمنت بربكم فاسمعون اي اسمعوا
قولي واطيعوا فقد ارشدكم بالامر يد عليه وقيل لما ارادوا قتله خاطب الرسل اي اسمعوا
كلامي واشهدوا لي عند الله قيل ادخل الجنة استيناف كانه قيل ماذا كان جزاؤه
بعد ذلك التصلب والتسخي بنفسه في نصر دينه فقيل قيل له ادخل الجنة وانما حذف له
لان الغرض بيان عظم المقول لا المقول له وكونه معلوما قال يا ليت قومي يعلمون
بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين ليكون ذلك باعثا لهم الى اكتساب الايمان
وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه
للعالم ان لا يشتغل بالشماتة باعدائه الجهلة ويتلطف معهم لعل ان يتقيدوا به الا ترى
الى هذا العبد كيف تمنى الخير لقتلته الساعين لدمه وقيل تمنى ان يعلموا انهم على خطاء
وانه كان على الحق وقد فاز ليكون ذلك زيادة في سروره والاول اوجه للحديث
المرفوع وللتنبيه المذكور وما مصدرية او استفهامية او موصولة وما انزلنا على قومه من
بعده من جند من السماء لاهلاكهم والانتقام منهم بل كانوا احقر من ذلك او كفى ذلك
صيحة جبرئيل بهم وما كنا منزلين وما صح في حكمتنا ذلك وفيه اشارة الى ان انزال
خمسة آلاف من الملائكة مسومين او الف مردفين انما كان اجلالا لقدرك واعظاما
لرتبتك التي لم يؤهل لها احد من اولي العزم فضلا عن حبيب النجار الا ترى كيف
دمغ جبرئيل مدائن لوط بريشة من جناحه ان كانت الا صيحة واحدة اي ما كانت
الاخذة الا صيحة واحدة من جبرئيل وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه زقية واحدة من
زقا الطير يزقو اذا صاح فاذا هم خامدون كما يخمد النار استعارة تبعية اي ميتون
يا حسرة على العباد اي المشركين كانه قال تعالى فان هذا اوانك وهو ما دل عليه
ما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزءون فان من استهزأ بالناصح والدال على خير الدارين
حقيق بان يتلهف عليه او الملائكة والمؤمنون يتحسرون عليهم كما تمنى حبيب ايمان
قومه بعد موته والتحسير من الله تعالى على عظم ما جنوه على انفسهم كالتعجب والضحك على سبيل
الاستعارة الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون اي قد علموا ذلك فما لهم لا يعتبرون
والفعل قد علق عن العمل في كم لان الخبرية اصلها الاستفهام انهم اليهم لا يرجعون
بدل من كم اهلكنا معنى كانه لم يروا كثرة اهلاكنا اياهم غير راجعين وان كل لما جميع لدينا
محضرون ان مخففة واللام هي الفارقة وما مزيدة وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة لما مشددا

بمعنى الا وان نافية وانما جمع بين كل وجميع لافادة كل معنى الاحاطة وجميع الاجتماع
كقوله ذلك يوم مجموع له الناس لانه فعيل بمعنى مفعول ولدينا ظرف له او لمحضرون
وآية لهم الارض الميتة وقرأ نافع مشددة احييناها استئناف لبيان كونها آية او صفة
الارض اذ لم يرد بها معينة او خبر الارض والجملة خبر آية واخرجنا منها حبا جنس الحب
لانواع شتى فمنه ياكلون قدم الصلة للدلالة على ان الحب اعظم واعم معاشهم وجعلنا
فيها جنات من نخيل واعناب لم يذكر التمر مع الحب والاعناب لاختصاص شجره
بمزيد النفع وكثرة المنافع وفي الحديث انه مثل المسلم وفجرنا فيها من العيون صفة
محذوف اي شيئا من العيون او من زائدة كما قاله الاخفش ليأكلوا من ثمره اي ثمر
المذكور او ثمر النخيل ويعلم حال الاعناب منه او الاصل من ثمرنا فالتفت الى الغيبة
اشارة الى انحطاط التمر عن الحب وقرأ حمزة والكسائي ثمره بضمتين لغة فيه او جمع ثمار وما
عملته ايديهم ما موصولة او موصوفة اي شيء عملته ايديهم ولهم فيه صنع وهو ما يتخذ من الثمار
كالدبس واشباهه او نافية اي ليس ذلك الثمر بكسبهم وان غرسوا وسقوا بل هو خلق الله
كقوله وانتم تخلقونه ام نحن الخالقون وهذا انسب لكونه آية وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر
بحذف الهاء الجائز حذف المفعول عائدا كان او غير عائد وليس فيه تأييد للوجه الاول
لان حذف العائد الى الموصول او الموصوف انما يكون احسن اذا لم يعارضه قوة المعنى
ومناسبة المقام افلا يشكرون ابلغ من الامر لانه انكار على الترك سبحان الذي
خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم نزه ذاته عن الشريك لتفرده بخلق ما
في الآفاق والانفس من الاجناس والاصناف ومما لا يعلمون ماهياتها وخواصها
مفصلة وانما اعلمهم بها مجملة للدلالة على كمال القدرة روي ان موسى سأل ربنا تعالى
الملك لما قلت للسموات والارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين لو قالتا
ائتيا ما كان عقابهما قال كنت آمر دابة تبلعهما قال يا رب واين تكون تلك الدابة قال
في مرج من المروج قال يا رب واين يكون ذلك المرج قال في غامض علمي وآية لهم
الليل نسلخ منه النهار نزعه ونكشطه عن مكانها وملقى ظلها والكلام في الاعراب ما سبق
في وآية لهم الارض الميتة فاذا هم مظلمون داخلون في الظلام والشمس تجري لمستقر لها
لمكان استقرار لها من فلكها وهو ما تنتهي اليه في آخر السنة شبه بمستقر المسافر او منتهى
المشارق والمغارب وهو اقصى ما تنتهي اليه منها ثم ترجع او لحد من مسيرها كل يوم
وهو المغرب او الوقت الذي ينقطع فيه جريها عند خراب العالم ويؤيد هذا ما روى
ابو ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الشمس اذا غربت تذهب فتسجد تحت العرش
فيقال لها اذهبي فاطلعي حيث كنت تطلعين ويوشك ان تستأذن فلا يؤذن لها
ويقال ارجعي حيث جئت فتطلع من مغربها ذلك الجري على هذا المنوال تقدير العزيز
الغالب القادر العليم المحيط علمه بالاشياء ودقائق احوالها التي يدهش منها الفطن

والقمر

والقمر قدرناه منازل ذا منازل او سيره في منازل نصب باضمار المفسر وقرأ نافع
وابن كثير وابو عمرو بالرفع على الابتداء وما بعده خبر والعطف على السابقة وهو المختار
للتقوي والسلامة عن التقدير ويجوز انتظامه في سلك الآيات كانه قيل ومن آياته الشمس
ومن آياته القمر وهي ثمانية وعشرون موزعة على اثني عشر برجا ثم يستتر الى ان يهل
حتى عاد كالعرجون القديم العرجون فعلون من الانعراج وهو الانعطاف وهو ما
عليه حبات الرطب بمثابة العنقود من العنب والقديم ما تقادم عهده ويدق ويصفر
وينحني فشبه به من ثلثة اوجه لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر فتزيل سلطانه ويبطل
ما نيط به من الفوائد ولا الليل سابق النهار اي آيته اذ الكلام فيهما يدل عليه السابق
واللاحق وانما آثر طريق الكناية ليدمج فيه الاشارة الى اختلاف الليل والنهار
ايضا ولما ذكر في الشمس الادراك الدال على انها طالبة للحاق اردفه بلا ينبغي المصحح
ذلك لها ولما نفى السبق في القمر لانه اسرع سيرا اكده بالجملة الاسمية فلم يبق لذكر الابتغاء
وجه وكل في فلك اي كل واحد والتنوين عوض يسبحون يسيرون سريعا من
سبح الفرس اذا جرى او من السباحة في الماء وهذا صريح في ان الحركة للكوكب خلاف
ما عليه اهل النجوم وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون المملوء من شحن السفينة
اوقرها وهي سفينة نوح عليه السلام وانما ذكر ذريتهم دون انفسهم لانه ابلغ في الامتنان
او اريد سائر السفن والذرية اولادهم ونساؤهم فان الذرية يطلق عليها اطلاق
السماء على المطر وقرأ نافع وابن عامر ذرياتهم بالجمع وخلقنا لهم من مثله ما يركبون
اي من مثل سفينة نوح ومن الابل فانها سفائن البر وان نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم
فلا مغيث لهم مصدر في الاصل كالصراخ ولا هم ينقذون ينجون من الموت لشيء
الا رحمة منا الا رحمة ومتاعا ولتمتع بالحيوة او لكن رحمة وتمتيعا الى حين الى وقت
آجالهم التي لا بد لهم منها واذا قيل لهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم ما تقدم وما تأخر
من الذنوب او نوائب السماء والارض او عذاب الدنيا والآخرة او ما تقدم من
عقابات الله للامم المكذبة ان ينزل بكم مثلها وما تأخر من عذاب الآخرة لعلكم ترحمون
لتكونوا راجين رحمة الله وجواب اذا محذوف دل عليه قوله وما تأتيهم من آية من
آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين اي دأبهم الاعراض عند مجيء كل آية واذا قيل لهم
انفقوا مما رزقكم الله هم الدهرية قال الذين كفروا اي الذين قيل لهم للذين آمنوا
اي في شأنهم انطعم من لو يشاء الله اطعمه تهكما بالمؤمنين القائلين بانه متصف بالمشية
والاقتدار ولما كان مدار الايمان على تعظيم الله والشفقة على خلقه سلب عنهم
الوصفين في الآيتين ان انتم الا في ضلال مبين من كلام الكفار او جواب
المؤمنين او قول الله تجهيلا لهم ويقولون متى هذا الوعد هو الذي اشير اليه
بقوله وما خلفكم اي عذاب يوم القيمة ان كنتم صادقين في دعواكم ما ينظرون

ومن آية الليل صح

الا صيحة واحدة هي نفخة الفزع وهي الاولى تأخذهم وهم يخصمون اي تأخذهم
وهم غافلون مشتغلين بالخصومات في متاجرهم ومعاملاتهم او تأخذهم وهم
يخصمون المؤمنين بدليل تخصمهم الفاسدة على ان لا بعث وقرأ ابن كثير وورش
عن نافع وهشام عن ابن عامر بفتح الخاء وتشديد الصاد على ان اصله يختصمون
فادغمت التاء في الصاد للتقارب وابو عمرو وقالون كذلك الا انهما اختلسا فتحة
لكونه اخف وكافيا في تحريك الساكن وقرأ عاصم والكسائي وابن ذكوان عن
ابن عامر بكسر الخاء وتشديد الصاد تحريكا للساكن بالكسر الذي هو الاصل فيه وحمزة
باسكان الخاء وتخفيف الصاد فلا يستطيعون توصية في امر من امورهم ولا الى
اهلهم يرجعون بل يموتون حيث اخذتهم وقيل تحيط بهم النار وتسوقهم احياء الى
المحشر تبيت معهم حيث باتوا كما جاءت به الاحاديث ونفخ في الصور نفخة البعث
فاذا هم من الاجداث جمع جدث وهو القبر الى ربهم ينسلون يسرعون قالوا يا ويلنا
من بعثنا من مرقدنا موضع نومنا لانهم لما شاهدوا اهوال القيمة عدوا عذاب القبر
راحة وعن مجاهد والحسن وقتادة يرفع الله عنهم العذاب بين النفختين فيهجعون
هجعة هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون مبتدأ وخبر وهذا مرقدنا وما وعد الرحمن
مبتدأ وخبره محذوف اي ما وعده الرحمن وصدق فيه المرسلون حق او هو خبر
محذوف وما موصولة او مصدرية وهو من كلام الكفار اقرارا حين كذبوا به من قبل او
كلام الملائكة او المؤمنين او كلام الفريقين معا والسؤال وان كان عن الباعث
الا انهم عدلوا عن التنبيه الظاهر تخطئة لهم حيث حسبوه بعث النائم كانهم قالوا
الباعث معلوم وليس ذلك البعث الذي تظنونه بل هو بعث اخر ذو الاهوال
والافزاع الذي جاءت به الرسل والكتب ان كانت الا صيحة واحدة هي النفخة الاخيرة
فاذا هم جميع لدينا محضرون بمجرد الصيحة تهوين لامر الساعة وانها لا تحتاج الى اسباب
فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون تصوير لذلك الموعود في صورة
الموعود الحاضر تمكينا له في النفوس وترغيبا للسامعين ولطفا بهم وكذلك قوله ان اصحاب
الجنة اليوم في شغل فاكهون الفاكه والفكه المتنعم ومنه الفكاهة وهي حديث
ذوي الانس والعشرة والتنكير في شغل للتعظيم اي في اي شغل عن ابن عباس رضي الله
عنه هو افتضاض الابكار وضرب الاوتار وعن ابن كيسان التزاور وعن الحسن
عن اهل النار وعذابهم وقيل في ضيافة الله تعالى وروى ابن ماجه باسناده الى اسامة
بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الا مشمر الى الجنة ورب الكعبة نور
يتلالا ودار سلامة وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وزوجة جميلة وحلل كثيرة قالوا
يا رسول الله نحن مشمرون قال قولوا ان شاء الله وقرأ الكوفيون وابن عامر بضم الغين
هم وازواجهم في ظلال جمع ظل كقوله وظلالهم وقرأ حمزة والكسائي في ظلل جمع ظلة وهو

الساتر الغالي كقوله في ظلل من الغمام على الارائك متكئون على السرر وهي هيئة
جلوس اهل النعمة والفراغ هم مبتدأ وازواجهم عطف عليه وفي ظلال خبره كقولك
زيد وعمرو منطلقان وعلى الارائك جملة مستأنفة او خبر ثان لهم فيها فاكهة
ما يتفكهون به ويتلذذون لان الاكل هناك ليس لدفع الجوع ولهم ما يدعون
لانفسهم من اللذائذ كقولك اكتال واتزن اذا كال ووزن لنفسه والمعنى لهم
كل ما يطلبه احد لنفسه لا ان هناك طلبا او لهم الطلب والاجابة فان الاجابة من
المالك المفضل بعد الطلب توجب لذة سنية او يدعون بمعنى يتداعون كقولك
ارتموه بمعنى تراموه والمعنى كل ما يصح ان يطلب احد من صاحبه فهو حاصل لهم
او الدعاء بمعنى التمني اي لهم ما يتمنونه وما موصولة او موصوفة سلام بدل منها لانه
موصوف بقوله من رب رحيم اي سلام يقال لهم قولا من رب رحيم او ما يدعون
مبتدأ وخبره سلام اي لهم ما يدعون سلام خالص لا شوب فيه او صفة لما بعد
صفة وقولا مصدر مؤكد او نصب على المدح وهو احسن الوجوه والمعنى يسلم الله عليهم
بواسطة الملائكة او بلا واسطة مبالغة في اكرامهم ولذلك اثر من اسماء الرب الرحيم
وامتازوا اليوم ايها المجرمون عطف قصة المجرمين على قصة المؤمنين كقولك زيد
يعاقب بالقيد والارهاق وبشر يا فلان عمرا بالعفو والاطلاق والانشاء في معنى
الخبر كقوله ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون واوثر صورة الطلب لانه ابلغ في
التهويل كقوله اصلوها وعن قتادة معناه اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر
بيت ينفرد به لقوله في عمد ممددة والقولان في ايثار الطلب كما تقدم الم اعهد اليكم
يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان من جملة ما يقال لهم في ذلك اليوم توبيخا لهم
وقطعا للمعذرة والعهد التوصية والمراد به ما نصب لهم من الحجج العقلية والسمعية وعبادة
الشيطان الاغترار بوسواسه او عبادة غيره وجعلها عبادة الشيطان لانه الآمر بها
والمزين انه لكم عدو مبين ظاهر العداوة تعليل للنهي وان اعبدوني هذا صراط مستقيم
اشارة الى عبادته او الى العهد والتنوين للتعظيم ويجوز التبعيض اي لو كان بعض
الصراط المستقيم لكفى ذلك في انتهاجه فكيف وهو الحق الذي ليس بعده الا الضلال
ولقد اضل منكم جبلا كثيرا افلم تكونوا تعقلون فتحذروه قرأ نافع وعاصم بكسر الجيم
والباء وتشديد اللام جمع جبلة كقوله والجبلة الاولين بمعنى الخليقة وحمزة والكسائي
بضمها والتخفيف جمع جبل بمعنى مجبول كسبيل وسبل وابو عمرو وابن عامر بالضم والاسكان
مخفف جبلا هذه جهنم التي كنتم توعدون على لسان الرسول يقال لهم اذا برزت
الجحيم للغاوين اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون ذوقوا حرها بكفركم في الدنيا اليوم
نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون عن انس بن مالك
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الكافر يا رب اني لا اجيز على الا شاهدا مني

نفسي فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا فيختم على فيه ويقال لاركانه انطقي
فتشهد عليه بما عملت فيقول سحقا لكن فعنكن كنت اناضل وتاويل الكلام والشهادة
ظهور اثار المعاصي على الاعضاء مستغنى عنه ولو نشاء لطمسنا على اعينهم مسحنا عليها
ومحونا اثارها فاستبقوا الصراط اي الى الصراط بحذف الجار وايصال الفعل او ضمن
الاستباق معنى الابتدار او نصب على الظرف اي استبقوا في الطريق ومفعول
اي جاوزوه من قولهم استبق الصراط خلفه اي لو نشاء اعميناهم فلو ارادوا سلوك
طريق غير الذي الفوه ما قدروا عليه كما ترى العميان لا يقدرون الا على سلوك الطرق
المألوف دون غيرها فانى يبصرون كيف يبصرون بعد ذلك والغرض ان الله
تعالى سلب ابصارهم فقد طريق الاخرة فلو شاء سلب ابصارهم فلم يقدروا على
الاستداد الى مقاصدهم لكن لم يفعل ذلك لاقتضاء الحكمة امهالهم ولو نشاء لمسخناهم
على مكانتهم المسخ تحويل الصورة الى ما هو اقبح منها والمكان والمكانة بمعنى كالمقام
والمقامة والمعنى لو تعلقت ارادتنا لجعلناهم جامدا في مكانهم وعن ابن عباس جعلناهم
قردة وخنازير وعن قتادة جعلناهم زمنى والاول اشد وعيدا واوفق بقوله فما استطاعوا
مضيا ولا يرجعون ولا رجوعا اثار المضارع للدلالة على الاستمرار وليوافق الفواصل
ومن نعمره ننكسه في الخلق اي من نطل عمره نقلبه ونرده من قوة الشباب ونضارته
الى ضعف الهرم وانتقاص القوى وانعدام الادراك وسوار ذل العمر وقرا عاصم وحمزة
ننكسه مضارع التفعيل اشارة الى كثرة المراتب من الصبا الى الشباب الى الكهولة الى
الشيخوخة الى الهرم افلا يعقلون ان من قدر على انشاء منه والاطوار قدر على الطمس
والمسخ ولذلك عطف عليه عطف العلة على المعلول وما علمناه الشعر رد لقولهم شاعر
قال قتادة والقائل عقبة بن ابي معيط قاله عنادا او اي يلتبس بالشعر كلام مشتمل على
تلخيص امر المبدا والمعاد واخبار القرون الخالية لتحصيل المنافع الدينية والدنيوية
وعلى اسلوب المحكم لكل منطق وما ينبغي له وما يليق به ان يكون في طبعه وسجيته ان يكون
شاعرا ليكون ابعد من مخايل الشبهة لكونه اميا الا ترى الى قوله وما كنت تتلوا من قبله
من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون وما صدر منه من الكلام الموزون
انما وقع اتفاقا فالحجب السليقة كما وقع مثله في القرآن من سائر الابحر وشرط الشعر
ان يكون موزونا مقفى بالقصد وما روي عنه من ذم الشعر وذمه محمول على ما يتعلق
من الغرض كهجا المشركين ومدح الله ورسوله والتغزل بالحسان والاكاذيب ان هو
الا ذكر وقرآن مبين واضح اعجازه والعطف باعتبار الصفات ذكر لما فيه من الموعظة
والارشاد وقرآن يتعبد بلفظه يتلى في الصلوات وغيرها وبمعناه من الاحكام النظرية
والعملية لينذر من كان حيا عاقلا ساعيا في امر الاخرة والعاقل المعرض كالميت ويحق
القول على الكافرين اي كلمة العذاب وقرا نافع وابن عامر لتنذر بالخطاب التفاتا

وهو احسن

وهو احسن او هو المنذر حقيقة ولا تفاقهم في اول السورة فضل الخاتمة عودا الى الفاتحة
ثم لانتقال من حديث المعاد الى كون الرسول والقرآن منذرا لا يرى احسن مخلصا
منه اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا اي قد علموا ذلك توبيخ لهم على الاشراك
بعد العلم بذلك وذكر الايدي على طريقة التمثيل وزيادة التصوير وفي ايثار الشيء
اشارة الى كمال الاقتدار انعاما خصها بالذكر لكثرة وجودها عندهم وهي لمراى منهم
على الدوام في طرفي النهار الا ترى الى قوله ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون
ولما فيها من بدايع الفطرة وكثرة المنافع التي فصل بعضها بقوله فهم لها مالكون
لا يزاحمهم فيها احد ولهم في ذلك عز وسرور او متمكنون من ضبطها بتسخيرنا كقوله
اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير ان نفرا ويؤيد الاول قوله وذللناها لهم
انما للنعمة اذ لو كانت مملوكة وحشية لم تتم النعمة فمنها ركوبهم مركوبهم كقوله وتحمل اثقالكم
ومنها ياكلون ما يوكل منها يفرع على كونها مذللة ولهم فيها منافع اخر من جلودها واصوافها
واوبارها واشعارها ومشارب وما يشرب من اللبن وما يتخذ منه ويجوز ان يكون اسم
مكان وهو ما يتخذ من جلودها من الروايا والقرب والمراد افلا يشكرون واتخذوا من
دون الله الهة لم يرضوا بترك الشكر على تلك النعم حتى اشركوا في الوهية جمادات لعلهم ينصرون
رجاء ان ينصروا لا يستطيعون نصرهم الذي كانوا يتوقعونه وهم لهم جند محضرون والمشركون
جند لالهتهم يخدمونهم ويذبون عنهم كقولهم حرقوه وانصروا آلهتكم وهذا كمال السفاهة والالهة
جند واتباع محضرون يوم القيمة ليكونوا وقود النار عليهم فلا يحزنك قولهم في الله مما تنزه
عنه جناب قدسه وقرا نافع بضم اليا من احزنه انا نعلم ما يسرون من العقائد وما يعلنون
من الافعال والاقوال فنجازيهم على ذلك اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا
هو خصيم مبين ظاهر الخصومة وضرب لنا مثلا امرا عجيبا بان شبهنا بالمخلوق حيث
سلب القدرة عنا على الاعادة ونسي خلقه من تلك النطفة القذرة التي لم يكن حل فيها
حياة قط فضلا عن ان يكون انسانا مكرما في احسن تقويم فاهما ناطقا قال من يحيي
العظام وهي رميم القائل ابي بن خلف او عاص بن وايل كان جمع من قريش
جلوسا قال احدهما ان محمدا يزعم ان الله يبعث الموتى فاخذ عظما باليا وقال لاصيرن
اليه والرميم بمعنى الرمة والرفات اسم لما بلي من العظام وليس بفعيل حتى يسال
لم لم يؤنث وبه استدل الشافعي على نجاسة عظم الميتة لان الحياة تحله والجواب ان
المراد بالحيوة ردها الى ما كانت عليه غضة طرية قل يحييها الذي انشاها اول مرة
فان نسبة القدرة لا تختلف وفي العرف الاعادة اهون كما اشار اليه بقوله وهو اهون
وهو بكل شيء عليم بكل مخلوق كامل العلم باجزائه وصفاته فاذا تقرر عندكم انه قادر على
كل شيء عالم بكل احواله فما وجه انكاركم للمعاد ثم انتقل من الدليل العقلي الى المحسوس
الذي لا يمارون فيه بقوله الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا وهو المرخ والعفار

الذكر والعفار الانثى او بالعكس يكون بارض الحجاز وفى المثل استمجد المرخ والعفار فاذا اتم
منه توقدون لا تشكون فى انها نار قيل يؤخذ منه قضبان رطبان فيحك الذكر على
الانثى فيسيل منه الماء ومن ذلك الماء تحصل الحقيقة النارية وهل بعد يتوهم البعد
من ما بين النار والماء فالذى قدر على ذلك كيف لا يقدر على ايجاد الحيوة فى الاجزاء
التى هى مادة لها مدة من العمر ثم ترقى هل الى دليل آخر اجلى واظهر من كل جلى وقال
اوليس الذى خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم اى لو لم يكن تلك
الاجزاء باقية حتى يعيد فيها الحيوة من خلق هذه الاجرام العظام وفطرها من العدم
كيف لا يقدر على ايجاد صغير حقير وهل يتوقف فى هذا من به مسكة اولئك كالانعام
بل هم اضل وهو الخلاق العليم بل قادر على ذلك واشار الى الوصفين اللذين هما
العمدة فى الايجاد وهما الاقتدار الكامل والعلم الشامل ثم اشار الى ان الايجاد والانشاء
الذى يعدونه مستبعدا بل مستحيلا فى مقام كبريائه اهون شئ ولا توقف له الا على تعلق
ارادته واقتضاء حكمته بقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فان كلمة
كن مجاز عن سرعة التكون بعد تعلق الارادة فسبحان الذى بيده ملكوت كل شئ تنزيه
وتعجيب عما قالوا من نفى قدرته على هذا الشئ اليسير مع تلك البراهين القواطع والملكوت
من الملك بضم الميم يدل على مبالغة الاستيلاء على كل ما يطلق عليه الشئ فى العالم
العلوى والسفلى فهو تحت قهره وسلطانه اخذ بناصيته واليه ترجعون للجزاء فاختاروا
بعد هذا البيان ما شئتم وتحته وعد ليس فوقه وعيد ولذلك التفت الى الخطاب
مكافحة به روى ابو داود والنسائى واحمد بن حنبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لكل شئ قلب وقلب القران يس من قراها يريد بها وجه الله غفر له وانما كانت
قلب القران لان لب كل شئ وخلاصته قلب ذلك الشئ وانزال الكتب وارسال
الرسل مقدمات بل خلق العالم والنشأة لمعرفة المعاد ولا شك ان السورة تشتمل
على فنون من الدلائل الدالة على تحقق ذلك بلا مرية عند من له قلب والقى السمع
وهو شهيد فكان هذا معنى تلك الاشارة منه عليه الصلوة والسلام تمت السورة
والحمد لله على نعمه وصلى الله على افضل الخلق واشرف امه سورة الصافات
مكية وايها اثنان وثمانون آيه بسم الله الرحمن الرحيم والصافات صفا
اقسم تعالى بطوايف من الملائكة قدسية الكل الواقفين فى مقام العبودية صفا على
وجه الخشية لان هيأة الصف واجتماع الانفاس والهمم واتحاد توجه الكل له
شان عند الله تعالى ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه الا تصفون كما تصف
الملائكة عند ربها فالزاجرات زجرا يزجرون السحاب ويسوقونه الى حيث امر
بالامطار فيه من البقاع او الناس بالهام الخير وفى الحديث ان للملك لمة وهى
ايعاده بالخير فالتاليات ذكرا آيات الله تعالى من كتبه المنزلة وغيرها يتلونه تعبدا

او تلذذا

او تلذذا او يتلونه على الانبياء فهو جبرائيل واتباعه من المقربين او بطوايف العلماء
الراسخين الصافين فى عبادته تعالى متفقين على اعلاء كلماته التالين لكتابه
المتدبرين فى رموزه واسراره او بنفوس الغزاة الصافين عند اللقاء الزاجرين الخيل
فى الكر والفر التالين للذكر لا يشغلهم الخوف والحوز عند اللقاء والبارزة وهذه كانت
صفة على بن ابى طالب علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول عند اخذ المضجع ثلثا
وثلثين تسبيحة وثلثا وثلثين تحميدة وثلثا وثلثين تكبيرة قال ما تركتها منذ سمعتها قيل
له ولا ليلة الصفين قال ولا ليلة الصفين والعطف لتغاير الصفات ان قدر الموصوف
متحدا والا فباعتبار الذات والفاء تفيد الترتب فى الرتبة يحتمل ان يكون الفضل
للصف ثم للزجر ثم للتلاوة او العكس وقيل الصافات الطير لقوله والطير صافات
والزاجرات كل ما زجر عما نهى الله تعالى والتاليات كل من تلا كتاب الله او عم حمزة
وفاقا لابى عمرو التاء فى الكلمات الثلث ان الهكم لواحد جواب القسم رب السموات
والارض وما بينهما ورب المشارق دليل على تحقق المقسم عليه لانهم مسلمون انه
مستقر بخلق السموات والارض وجمع المشارق لان للشمس فى كل يوم مشرقا والاكتفاء
به لدلالته على المغارب وايثارها دون العكس لانه ابلغ فى النعمة واكمل فى القدرة
واظهر انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب من اضافة المصدر الى المفعول بان زان الله
الكواكب وحسنها فزينت السماء بحسنها او الى الفاعل بان زانت الكواكب السماء
وقرا حمزة وحفص بزينة الكواكب بالتنوين وجر الكواكب على انه عطف بيان او بدل
والزينة على هذا اسم ما يزان به او جعلت الكواكب نفس الزينة مبالغة وابو بكر بالتنوين
ونصب الكواكب على انها مفعول المصدر او على ان الزينة اسم والكواكب يدل على موضع
او نصب باعنى والمختار الاضافة لانها اخف واعم والسماء الدنيا القربى وهى فلك
القمر وتزيين الكواكب بالاضواء والاشكال والاوضاع والشروق والغروب ولا يلزم
ان يكون محلها لعدم توقف الزينة على ذلك وحفظا عطف على المحل ومعه مقدر
من كل شيطان مارد خارج عن الطاعة كقوله وجعلناها رجوما للشياطين لا يسمعون الى
الملأ الاعلى صفة لكل شيطان على معنى لا يكون من السماع مع الاصغاء او لا يتمكنون
من التسمع مع سعيهم فى ذلك الجملة فى محل الحال مع المبالغة كما هو قراءة حمزة
والكسائى وحفص بالتشديد او استيناف عن سؤال كيفية ما يكون عند الحفظ فان قوله
وحفظا مما يحرك الخاطر له فقيل لا يسمعون وقيل كلام مبتدأ منتظر البيان حالهم بعد
الحفظ وقراءة الجمهور لا يسمعون من السماع ابلغ لقوله فمن يستمع الآن يجد له شهابا
وقوله انهم عن السمع لمعزولون واستعماله بالى لتضمن معنى الاصغاء وهو امالة الاذن
للسماع فيفيد مبالغة فى نفيه ويقذفون من كل جانب من جوانب السماء دحورا علة
للرمى والدحور الطرد ومصدر ليقذفون كقعدت جلوسا او حال ولهم عذاب واصب

في الآخرة دائم من وصب الأمر دام أو من الوصب وهو المرض أي شديد إلا من
خطف الخطفة اختلس كلام الملائكة استراقا ومن محل الرفع بدل من واو يسمعون
فاتبعه شهاب ثاقب نجم مضيء والانقضاض الكوكب من مركزه ممكن وقيل شعلة
من النار وقوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح لا ينافيه لأن كل ما في الجو من المنيرات
مصباح والأول هو الظاهر من السياق ولقوله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون في
الجاهلية إذا انقض كوكب واتبعه بمعنى تبعه أدركه وفي الحديث يحرقه كما روى
ابن عباس كانت للشياطين مقاعد في السماء يستمعون الوحي فلما بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان إذا قعد شيطان مقعده جاءه شهاب فلم يخطه حتى يحرقه وقيل مغواهين
وله فاستفتهم بعد ما تلوت عليهم هذه الآيات والاستفهام للإنكار إلا أنه لوحظ معناه
قيل فاستفتهم أهم أشد خلقا أي أصعب وأشق إنشاء بعد الرفات أم من خلقنا من العالم
العلوي والسفلي وما فيهما من الأجرام والأوضاع ومن تغليب الأول العقل وقيل من
عاد وثمود وسائر الأمم الدارجة من المكذبين لما أدراهم الآيات وكذبوا بها فكأنه قال
لهم انتظروا الهلاك كمن قبلكم ويرده قوله إنا خلقناهم من طين لازب إذ لا فرق بين
السابق واللاحق في ذلك ويدل عليه الإطلاق أيضا اكتفاء بالبيان السابق واللازب
اللزج الذي يلزق بعضه ببعض وفيه رد للإنكار ولأنهم خلقوا منه ابتداء ولم يكن لهم مثال
فكيف ينكرون الإعادة وتلك الأجزاء المائية والأرضية بحالها والمقتدر الذي أنشأ
أشد منهم خلقا قدرته كما كانت لأنها ذاتية بل عجبت ويسخرون إضراب من الاستفتاء
لأنهم لا يجيبون بما هو الحق أي بل مثلك يقرئه ويتعجب من تلك الدلائل الدالة على
كمال الاقتدار أو من إنكارهم الوحي أو من إنكارهم البعث وهم يسخرون من البداء وقرأ
حمزة والكسائي عجبت بصيغة التكلم والتعجب انفعال يعتري النفس عند رؤية شيء
خفي سببه وهو على الله محال فالمعنى أن حالهم حقيقة بأن من يراها يقول عجبت
أو قل أنت عجبت أو هو على الغرض من الله تعالى استعظاما لإنكارهم أو ويسخرون
هم من تعجبك بكمال سفاهتهم ثم قرر ذلك بقوله وإذا ذكروا لا يذكرون أي
دأبهم أنهم إذا وعظوا لا يتعظون فإذا لم يقدروا على الخطابيات فهم عن تحقيق
القطعيات بالبراهين بمعزل وإذا رأوا آية أي إذا شاهدوا بالأبصار معجزة
يستسخرون يبالغون في السخرية أو طلب بعضهم من بعض أن يسخر بها وإذا كان
حالهم في المحسوسات بالبصر هذا فلا يبعد منهم إنكار البعث وقالوا إن هذا إلا سحر
مبين ظاهر سحريته أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون أصله أنبعث
إذا متنا فبدلوا الفعلية بالاسمية وقدموا الظرف وكرروا الاستفهام مبالغة في الإنكار
لأن البعث في هذه الحالة عندهم أشد استحالة وقرأ ابن عامر بطرح الهمزة الأولى
وقرأ الجمهور الجميع أو آباؤنا الأولون وهذا البعد عطف على محل إن واسمها أو على المستكن

في

في مبعوثون للفصل بالهمزة وقرأ نافع في رواية وابن عامر بسكون الواو على الترديد
والباقون بفتح الواو على إعادة همزة الإنكار أو فوق بقوله أئذا كنا ترابا وآباؤنا
قل نعم وقرأ الكسائي بكسر العين وأنتم داخرون صاغرون إذ لا كما تزعمون
إن كان البعث نحن أحسن حالا من صعاليك المؤمنين فإنما هي زجرة واحدة
جواب شرط مقدر أي إذا كان ذلك والضمير منهم يفسره الجملة بعده والزجرة الصيحة
من زجر الراعي بغنمه صاح بها قال نابغة زجرا أي عوء السباع إذ أشفق أن يختلط
بالغنم فإذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين الجزاء الذي أنكرناه وكذبنا
فيه الرسل هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون هو كلام بعضهم لبعض أو جواب
الملائكة والفصل قضاء الله بين عباده احشروا الذين ظلموا وأزواجهم أمر الله للملائكة
أو الملائكة بعضهم لبعض وأزواجهم أخواتهم من الشياطين أو أضرابهم عابد الصنم مع
عابد الصنم والزاني مع الزاني والسارق مع السارق وفي الحديث يحشر المرء على دين خليله
فلينظر أحدكم من يخالل ونساؤهم اللاتي كانت على دينهم وما كانوا يعبدون من دون الله
من الآلهة وخرجت الملائكة وعيسى بقوله إن الذين سبقت لهم منا الحسنى فاهدوهم
إلى صراط الجحيم عرفوهم طريق النار وهذا يدل على أن الحشر من الموقف إلى النار
وقوله وقفوهم إنهم مسئولون لا ينافيه لأن الواو لا ترتيب فيه وتقديم الحشر إلى
النار لأنه أشق وأوحش على السمع من الوقوف للسؤال ما لكم لا تناصرون بنصر
بعضكم بعضا تهكم بهم إذ كانوا في الدنيا يقولون نحن جميع منتصر بل هم اليوم مستسلمون
منقادون خاضعين لا يقدرون على المكابرة وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون
تساؤلوا اختصام وتوبيخ قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين أي قال الضعفاء للرؤساء
بيان للتساؤل الواقع بينهم واليمين أقوى الجانبين وأشرفه ولذلك سمي يمينا
من اليمن وكان على هذا أهل الجاهلية يؤثرون لليمين الأفعال الحسنة ويحسبون اليمن
الخير اليمن وقرره الشارع وأيده لأن الحكمة اقتضت المناسبة وفي الحديث كان
يمين رسول الله للطيبات كالأكل والشرب والسواك فاستعيرت لجهة الخير والمعنى
كنتم تأتوننا من تلك الجهة وتصدوننا عن الإيمان والخير أو اليمين مجاز عن القهر
والتسلط قالوا بل لم تكونوا مؤمنين أجابهم الرؤساء بأن ما وقعوا فيه من الضلال
لم يكن بصدهم إياهم عن طريق الخير بل لم يكونوا مصدقين في عقائدكم وما كان
لنا عليكم من سلطان قهر وإجبار بل كنتم قوما طاغين شأنكم الطغيان والتجاوز
عن الحق وعدم الاكتراث به فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون فأغويناكم إنا كنا
غاوين أقروا على أنفسهم بأنهم الذين سبقت كلمة الله فيهم أنهم أصحاب النار وتيب
على ذلك أنا أغويناكم ودعوناكم إلى الضلال فآثرتم باختياركم إنا كنا غاوين جاريا
مجرى التعليل فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون كما اشتركوا في الدين والعقائد

وان زاد المضل على الضال في العذاب انا كذلك نفعل بالمجرمين بكل
مجرم منهم ومن غيرهم انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون عن الاقرار
بالتوحيد بيان لاجرامهم ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ويقدحون
في المؤيد بالمعجزات والكلام الذي جاء به بانه مجنون وما اتى به شعر مجنون لا يدري ما يقول
بل جاء بالحق الابلج وصدق المرسلين بقران عربي مصدق لما بين يديه فكيف يكون
مثله شعر مجنون انكم لذائقوا العذاب الاليم لا محاله وما تجزون الا ما كنتم تعملون من
انكار الحق بعد ظهوره بالبراهين القاطعة الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع اي
لكن حال المخلصين المختارين من عباده بخلاف هؤلاء اولئك لهم رزق معلوم
حاله انه للتلذذ لا للتقوت ودفع الم الجوع فواكه بيان له لان الفاكهة لا تقصد باكلها
الا التنعم او معلوم باوصاف وخصايص من طعم ورايحة مميز له عن ارزاق الدنيا
وفواكه على انه مع تميزه بذلك فواكه وهم مكرمون ينالهم ذلك الرزق من غير سعي
وتعب في جنات النعيم ظرف مكرمون او حال من مستكنه او خبر اولئك على سرر
حال او خبر متقابلين لا ينظر احد في قفا احد بكمل لذتهم بالمشاهدة يطاف عليهم بكاس
يدار عليهم بالقدح او بالشراب كقول الاعشى وكاس شربت على لذة واخرى تداويت
منها بها من معين يجري كانهار الدنيا لقوله وانهار من خمر والمعين الجاري وفيه
اشارة الى كمال لطافته باق على خلقته لم تمسه يد ولا فراوله بيضاء تلتذ حاسة البصر
برؤيتها لذة للشاربين هي عين اللذة لا يشوبها خمار ولا يعتري شاربها ما يعتري
شارب الخمر لا فيها غول صداع وسلب عقل تقرير له والتقديم الظرف للاختصاص
ولا هم عنها ينزفون بضم الياء وفتح الزاء يسكرون من انزف الخمر اسكر وقرأ حمزة
والكسائي ينزفون بكسر الزاء من انزف الرجل سكر كقوله لعمري لئن انزفتمو او
صحوتم او من انزف بعد اي لا ينفد شرابهم بل دايم وعندهم قاصرات الطرف
على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم عين نجل العيون كانهن بيض مكنون مصون
في الكن عن الغبراء ونحوها باق على صفائه من البياض المشوب بادنى صفرة كما يكون
في بيض النعام وهو احسن الوان البدن بخلاف البياض المفرط فاقبل بعضهم
على بعض يتساءلون عما جرى لهم في الدنيا كما هو عادة الندامى اذا جلسوا على الشرب
قال واذا جلست على المدام وشربها فاجعل حديثك كله في الكاس وقال الاخر
وما بقيت من اللذات الا احاديث الكرام على المدام قال قائل منهم في اثناء
المحاورة اني كان لي قرين مجالس في الدنيا يقول ائنك لمن المصدقين بالبعث
منكرا على موبخا ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمدينون لمجزيون باعمالنا اي لا يكون ذلك
قال القايل المذكور هل انتم مطلعون الى ريكم ذلك القرين او القائل هو الله اي ان
شئتم اريكم لتعرفوا منزلتكم وبعض الملائكة فاطلع فراه في سواء الجحيم في وسطه قال تالله

على هذا بل ودانه صحيح

ان

ان كدت لتردين ان هي المخففة واللام فارقة والمعنى كنت قاربت اهلاكي بالاغوا
اي التعجب كيف تجاسرت ولولا نعمة ربي بالتوفيق لكنت من المحضرين معك في
العذاب افما نحن بميتين عطف على محذوف اي انحن مخلدون فما نحن بميتين
اي ممن شانه الموت الا موتتنا الاولى التي في الدنيا ويتناول لما في القبر بعد الاحياء
لانه في حكم الدنيا كذا قيل والحق ان ذلك لا يسمى موتا لانه اما منعم او معذب
وما نحن بمعذبين ان هذا لهو الفوز العظيم اذ لا طيب للعيش مع مراقبة الموت
هو كلام القائل او الكل او كلام الله تعالى وكذا قوله لمثل هذا فليعمل العاملون
في الاحتمالات اذلك خير نزلا ام شجرة الزقوم عاد الى ذكر الرزق المعلوم بعد استطراد
مقالة المؤمن لان الكلام يجر الكلام والشيء بالشيء يذكر والنزل ما يعد للنازل من
الرزق كالسكن وهو الرزق المعد لساكن البيت واصله الريع وما يحصل من
الشيء ومنه في الحديث العسل ليس من انزال الارض وبه استدل الشافعي على عدم
الزكوة فيه لانه من انزال الطير والتفاضل بين النزلين على التهكم اذ لا خير في نزل
اهل النار ونصبه على التمييز او الحال وهذا اوجه لان المفاضلة بين الرزقين في هذه
الحال لا بين الوصفين وشجرة الزقوم شجرة صغيرة الورق مرة كريهة الرايحة تكون
بتهامة انا جعلناها فتنة للظالمين عذابا لهم في الاخرة او سبب ضلالهم فانهم لما
سمعوا قالوا ما اعجب هذا ان محمدا يقول نار جهنم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر
وعن ابن عباس رضي الله عنه لما سمع ابو جهل ان شجرة الزقوم طعام الاثيم خلط التمر
بالزبد وقال تزقموا وذلك لان الزقوم كان اسم طعام لهم من التمر والزبد فانزل الله
تعالى انها شجرة تخرج في اصل الجحيم في قعرها وترتفع اغصانها الى دركاتها في مقابلة
طوبى لاهل الجنة طلعها كانه رؤس الشياطين في تناهي القبح ونهاية الكراهة لما
تقرر في النفوس ان الشيطان اقبح الاشياء كما ان الملك احسنها والطلع ثمر النخلة استعير
لثمر الزقوم تخييلا على وجه التهكم وقيل الشياطين حيات هايلة في النار لها اعراف
فانهم لاكلون منها لغاية الجوع او اجبارا وقسرا فمالئون منها البطون اي من الشجرة
او من ثمرها ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم ماء حار مخلوط بصديد والاتيان بثم
للتراخي زمانا لانهم لا يسقون منه الا بعد زمان ليتناهى عطشهم تعذيبا لهم او رتبة
اشارة الى ان كراهية ذلك الحميم وبشاعته فوق الزقوم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم
اي بعد ذلك الاكل والشرب مصيرهم اليها فان ذلك نزلهم قبل الاستقرار في
دركاتها وقيل يخرجون من مقارهم الى شجرة الزقوم فاذا ملاوا بطونهم اوردوا على
الحميم ثم يرجعون الى تلك المقار وقيل الحميم خارج عن الجحيم لقوله هذه جهنم التي يطوفون
بينها وبين حميم آن ولا دليل فيه انهم الفوا اباءهم ضالين فقلدوهم تعليل لما هم
فيه فهم على آثارهم يهرعون يسرعون من اهرع اسرع وبناؤه للمفعول مبالغة كانهم

يزعجون قسرا فلا التفات لهم الى التأمل والنظر ولقد ضل قبلهم اكثر الاولين من
الامم ولقد ارسلنا فيهم منذرين الرسل فانظر كيف كان عاقبة المنذرين تسلية
له وتحذير لقومه فانهم سمعوا اخبارهم وشاهدوا آثارهم الا عباد الله المخلصين في
التوحيد والايمان استثناء من الاولين او من المنذرين وقرأ نافع والكوفيون بفتح
اللام وهو المختار كما تقدم ثم اورد احوال مشاهير الرسل مع المكذبين وبدأ بنوح لانه
ابو البشر ثانيا واول رسول عذب قومه فقال ولقد نادانا نوح حيث قال اني مغلوب
فانتصر فلنعم المجيبون نحن حذفه لدلالة الكلام عليه واللام جواب القسم والفاء تدل
على سرعة الاجابة ونجيناه واهله من الكرب العظيم وهو الغرق او اذى قومه وجعلنا
ذريته هم الباقين لم يبق احد ممن كان معه في السفينة الا بنوه الثلثة وهم سام
ابو العرب وفارس والروم وحام ابو القبط والسودان ويافث ابو الترك ويأجوج
ومأجوج وتركنا عليه في الآخرين سلام على نوح اي هذا القول حكي به على صورة الحكاية
اي يسلمون عليه وقيل هو من الله تعالى ومفعول تركنا محذوف في العالمين دعا
بالثبات كانه قيل ثبت هذه التحية وادامها في الملائكة والثقلين انا كذلك نجزي
المحسنين تعليل لاكرامه تلك الاكرامات دلالة على ان موجب ذلك احسانه
لا غير ترغيبا فيه انه من عبادنا المؤمنين بيان لاحسانه اشارة الى شرف الايمان
وجلالته وانه مستجلب للكل كمال ثم اغرقنا الآخرين وان من شيعته لابراهيم ممن
شايعه في اصول العقائد والتصلب في الدين ومصابرة الاعداء المكذبين ويجوز
توافق شرعيهما في اكثر الاحكام وكان بينه وبين نوح الفان وستمائة سنة وقيل
الف ومائة واثنان واربعون سنة اذ جاء ربه متعلق بما في الشيعة من معنى الفعل
اي شايعه في دينه حين جاء ربه بقلب سليم عن آفات القلوب من الشرك والغل
والحقد وهذا ما اشار اليه ابن عباس رضي الله عنه كان يحب للناس ما يحب لنفسه
او بقلب حزين من قولهم للديغ سليم تفاؤلا وذكر المجيء على التمثيل كانه جاء به متحفا اذ قال
لابيه وقومه ماذا تعبدون بدل من الاول ائفكا آلهة دون الله تريدون افكا
مفعول له قدم على المفعول به وولي همزة الانكار لان الغرض مكافحتهم على الباطل
او هو مفعول به وآلهة بدل منه على انها نفس الافك مبالغة او في موقع الحال
اي آفكين وتقدير مضاف اي عبادتها فما ظنكم برب العالمين حتى اتخذتم له
شريكا او توحده في الالهية اظهر من ان تختلج فيه شبهة او اي شيء من الاشياء
ظننتم حتى جوزتم ان يكون له الاصنام شريكا او ما ظنكم بعقابه حتى اجترأتم على ذلك
فنظر نظرة في النجوم فقال اني سقيم قال ابن عباس انما نظر في النجوم لان قومه
كانوا يتعاطون علمها فاوهمهم بذلك ليتمكن من التخلف او النظر بمعنى التأمل في علم
لذلك الايهام فقال اني سقيم اي من كونكم على الشرك بعبادة غير الله او ساسقم كقوله

انك

انك ميت او مزاجي خارج عن الاعتدال وما رواه ابو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم غير ثلث كذبات ثنتين في ذات الله تعالى
قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا فالمراد بها المعاريض لقوله في المعاريض مندوحة
من الكذب فهو كقوله نحن احق بالشك من ابراهيم فان قلت ما تقول بقوله في
حديث الشفاعة حيث اعتذر بقوله لست لها ويذكر كذباته فلو كانت معاريض لم يكن له
كذب حقيقة حتى يعتذر به قلت هو من قبيل حسنات الابرار سيئات المقربين ولما
كانت صورتها صورة الكذب عدها كذبات فتولوا عنه مدبرين الى معبدهم فراغ الى
آلهتهم مال اليهم خفية من روغان الثعلب واصله الميل بحيلة فقال الا تأكلون وذلك
انهم كانوا وضعوا قدامها من اطعمة العيد لتتبرك عليها ما لكم لا تنطقون قاله تهكما واشارة الى
انحطاطها عن درجة عبدتها فراغ عليهم ضربا باليمين ضربا مصدر راغ لانه بمعناه او لمقدر
اي يضربهم ضربا او حال اي ضاربا وذكر اليمين لانها اقوى الجارحتين وقوة الآلة تستلزم
قوة الفعل واليمين هو الحلف اي بسببه وهو قوله وتالله لاكيدن اصنامكم فاقبلوا اليه
يزفون يسرعون من زفيف النعامة وقرأ حمزة يزفون من ازف اذا دخل في الزفيف كأصبح
او معدى اي يزف بعضهم بعضا ثم اسند الى الكل لان كلا منهم حامل ومحمول قال اتعبدون
ما تنحتون الذي تنحتونه من الاصنام والله خلقكم وما تعملون الذي تنحتونه فان جوهرها
بخلق الله وليس لكم فيه الا التشكيل والتصوير فكيف يجوز عبادة مخلوق لآخر محتاج اليه
وقيل ما مصدرية اي وعملكم وفيه فوات الاحتجاج لان الغرض المسوق له الكلام كون
المخلوق عابد الآخر والمناسبة لان ما في ما تنحتونه موصولة والاستدلال بالمصدرية بناء
على ان فعلهم اذا كان بخلقه تعالى فالموقوف عليه وهو المفعول من باب الاولى
لا يجدي لان الخصم قائل بان العبد وارادته وقدرته بخلقه تعالى والفعل المتوقف
عليها بخلق العبد والحق ان القوم ما كانوا ينكرون ان تلك الاجرام قبل الصنع مخلوقة
له تعالى ولا تصلح للالوهية وانما يصلح لذلك بتأثيرهم فيها فكانه قيل لهم ذلك التأثير
ايضا بخلقه تعالى فلم تزد بذلك الا بعدا عن تلك الرتبة فيتم الحجاج سالما واما ترجيح
المصدرية على الموصولة وجعل العمل بمعنى المعمول بسلامتها عن الحذف والمجاز فمعارض
بكثرة الموصولة وكون المصدر بمعنى المفعول مجازا مشهورا قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه في
الجحيم كل نار عظيمة في مهواة فهي جحيم واللام بدل الاضافة اي جحيمه ذلك البنيان فارادوا
به كيدا لما قهرهم بالحجة قصدوا احراقه فجعلناهم الاسفلين بان جعلنا نارهم عليه بردا
وسلاما وكان ذلك برهانا على علو شانه وقال اني ذاهب الى ربي حيث يتأتى
لي عبادته سيهدين الى ما فيه صلاح حالي وانما بت القول لسبق وعد الله له بذلك
او لفرط توكله او لبنائه على عادته معه او لانه تعالى تجلى له بصفة الرحمة وتجلى لموسى بصفة
الغنى ولذلك قال عسى ربي ان يهديني سواء السبيل رب هب لي من الصالحين

بعض الصالحين ليؤنسني في الغربة اراد الولد لان الهبة شايعة فيه فبشرناه
بغلام حليم انطوت البشارة على ثلث بشارات كون الموهوب له ذكرا وكونه
يبلغ اوان الحلم فان الصبي لا يوصف بالحلم وكونه حليما فيه ستر من ابيه شاهد
لطهارة اصله ولم يوصف من الانبيا احد بالحلم غيره وغير ابيه وحالهما المذكور بعده
يكشف عنه الغطا فلما بلغ معه السعي اي وان ان يسعى مع ابيه في اشغاله وذكر الاب
لانه ارفق به فانه كان ابن ثلث عشرة سنة لم يستحكم قواه ومتعلق معه لا يجوز ان يكون
يبلغ لاقتضائه ان يكون بلوغهما حد السعي معا ولا بالسعي لان معمول المصدر لا يتقدمه
لا سيما وهو معرفة فبقي ان يكون بيانا كانه قيل فلما بلغ حد السعي معه قال يا بني
اني ارى في المنام اني اذبحك قيل لما طلب الولد وبشرته الملائكة به قال هو ذبيح الله
فلما بلغ حد السعي معه قيل له في المنام اوف بنذرك فلما اصبح روى في ذلك اليوم
فسمي يوم التروية فراى ذلك المنام في الليلة القابلة فلما اصبح عرف ان ذلك من الله
تعالى فسمي يوم عرفة وفي اليوم الثالث عزم على نحره فسمي يوم النحر وانما راى في المنام
دون ان يؤمر به في اليقظة ليعلم بذلك تساوي حاليه في الاحكام الشرعية ولذلك
كانت رؤيا الانبيا وحيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام عيناي ولا ينام قلبي
وانما شاوره مع انه كان امرا لازما امضاؤه ليوطن نفسه على شدة تلك البلية ويتلقاها
بصدر رحب وليكون المشاورة سنة بعده وفي المثل ما خاب من استشار ولو شاور
آدم الملائكة لما اصاب الخطيئة فانظر ماذا ترى المراد النظر بالبصيرة وترى من الراي
لا بمعنى الفكر وقرا حمزة والكسائي بضم التاء وكسر الراء قال يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني
ان شاء الله من الصابرين اجابه بانه ليس من مجاز المشاورة بل يجب المبادرة اليه
فلما اسلما انقادا لامر الله تعالى اسلم وسلم واستسلم بمعنى اصله من سلم المال لفلان
اذا خلص له عن منازع وتله للجبين صرعه على احد الجبينين وانما القاه على مبدا
الوجه لئلا يشاهده فيرق له وناديناه ان يا ابرهيم قد صدقت الرؤيا بمباشرة
المقدمات وقيل امر السكين على الذبح فصار صفحة نحاس وقيل كلما قطع مكان
التحم وليس بشي اذ لو كان كذلك لم يحتج الى الفدا وجواب لما محذوف اي
كان من الامر ما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من السرور والحبور وذلك الفدا
انا كذلك نجزي المحسنين المخلصين الصابرين على البلا الشاكرين في الرخا
ان هذا لهو البلاء المبين الاختبار الجلي الذي لا يكون فوقه اختبار ولذلك قال في
حقه وابرهيم الذي وفى او المحنة التي لا محنة اشد منها او النعمة العظمى وهي نجاة
الولد من الذبح وفديناه بذبح ما يذبح بدله عظيم قدره من كباش الجنة ارسله تعالى
تحفة من عنده وعطا الملوك جليلة القدر وان قلت كما ترى الان اذ القى الملك
لاحد خواصه تفاحة فرآه قابلا وربما قبل الارض له وليس الا افتخارا بان الملك اعطاه من العناية

وايضا فداء ابن خليل وابو حبيب الله واي عظم فوق ان يكون كبشا وقاية لتلك
النفس الزكية والشجرة المثمرة وعن قتادة وكان الكبش يتردد بابل وكان يرعى
في الجنة ويرتقي لهذا المقصد المنيف وفي كون هذا من قبيل النسخ قبل الفعل
كلام طويل الذيل قال به الشافعية وانكره الحنفية وتركنا عليه في الاخرين الذكر
الحسن والثنا الجميل سلام على ابرهيم كذلك نجزي المحسنين اعادة توكيد لما سبق
من حسن استسلامهما وانعامه وان من المحسنين واخلاص في زمرتهم وقولا
اوليا انه من عبادنا المؤمنين الكمل الذين يؤثرون رضا الله في كل الاحوال
ثم الولد الموصوف هو اسمعيل لانه اكبر من اسحق اتفاقا ولانه الذي نشا ببلاد الحجاز
وبنى البيت مع ابرهيم والذي تفجرت له بئر زمزم ولكونه وصف بصدق الوعد
وهو قوله ستجدني ان شاء الله من الصابرين واثنى عليه تعالى بالصبر في قوله واسمعيل
واليسع وذا الكفل كل من الصابرين ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين
ولقوله وبشرناه باسحق ومن وراء اسحق يعقوب ومن بشر بانه يولد له ابن اسمه
فلان كيف يكلف بذبحه وهو غلام مراهق ولقوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من
الصالحين بعد استيفاء ذكر صفاته والذي وقع لبعض انه اسحق من تخاليط اهل الكتاب
حسدا منهم ان يكون الذبيح من اجداد رسول الله صلى الله عليه وسلم وباركنا عليه وعلى
اسحق بان وهبنا ابرهيم اسحق واخرجنا انبيا بني اسرائيل من نسله وبان افضنا
عليهما بركات الدنيا والدين ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه بالكفر والمعاصي
مبين ظلمه وانما قيد الظلم بالظهور لان النفوس الكاملة قل ما يخلو عن ادنى خطرات او ارتكاب
خلاف الاولى وفي بيان كون ذريتهما منقسما الى المحسن والظالم اشارة الى ان ظلم
اعقابهما لا يعود عليهما بضر فان المرء لا يؤاخذ بسوء فعل غيره كائنا من كان ولقد
مننا على موسى وهرون بالنبوة التي كل نعمة دونها ونجيناهما وقومهما من الكرب
العظيم ظلم فرعون وطغيانه وقتل الانبيا ونصرناهم اي ونا نصرهم فكانوا هم الغالبين
على عدوهم وهذا ابلغ في الامتنان من الانجا اذ ان في هلاك العدو حسم مادة الايهام
والامن الكلي وآتيناهما الكتاب المستبين الواضح الجلي او المبين للاحكام يقال
استبان الشي واستبنته وهديناهما الصراط المستقيم وهو دين الاسلام وسبيل الذين
انعم الله عليهم وفيه تعريض باليهود والنصارى واللام للعهد وتركنا عليهما في الاخرين
سلام على موسى وهرون اي هذا الكلام او ورد على وجه الحكاية انا كذلك نجزي المحسنين
انهما من عبادنا المؤمنين وان الياس لمن المرسلين هو الياس بن ياسين من
سبط هرون وقرا ابن ذكوان عن ابن عامر بالوصل على ان الاسم ياس واللام للتعريف
والباقون على انه عجمي غير منصرف الا تتقون من الشرك اتدعون بعلا اسم صنم لهم
والبعل لغة المالك وكانهم سموا ما عبدوه بعلا لذلك المعنى وهم اهل المدينة المشهورة ببعلبك

وتذرون أحسن الخالقين أي عبادته وفيه إشارة إلى علة الإنكار وكونه أحسن الخالقين لا يقتضي جواز كون غيره خالقا لقوله هل من خالق غير الله الله ربكم ورب آبائكم الأولين الله ربكم مبتدأ وخبر ورب آبائكم عطف على الخبر وقرأ حمزة والكسائي وحفص بنصب الأسماء الثلثة على البدل أو البيان في الأول والنعت في الثاني والعطف في الثالث فيحسن الوقف على الخالقين في الوجه الأول ويقبح في الثاني فكذبوه فإنهم لمحضرون في العذاب وإنما أطلقه لاشتهاره في الشر إلا عباد الله المخلصين مستثنى من واو فكذبوه لا من المحضرين وقرأ الكوفيون ونافع بفتح اللام وتركنا عليه في الآخرين سلام على إل ياسين تحسر لهم قطعا هو الياس المذكور لغة فيه كطور سيناء وطور سينين وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكوفيون إل ياسين كآل محمد عليه السلام وهو المختار لكثرة الفائدة وزيادة الدلالة على شرف المضاف إليه وقيل الياسين صيغة الجمع أراد به نفسه وأتباعه وقيل ياسين محمد أضيف إليه أو القرآن وذكرها ياسين لأنه قلب القرآن والوجهان لا يناسبان نظم سائر القصص إنا كذلك نجزي المحسنين إنه من عبادنا المؤمنين أي إلياس وإن لوطا لمن المرسلين إذ نجيناه وأهله أجمعين إلا عجوزا في الغابرين سبق ذكره ثم دمرنا الآخرين أهلكناهم من الدمار وهو الهلاك وإنكم يا أهل مكة لتمرون عليهم أي على منازلهم وآثارهم فإن قرى لوط على طريق الشام مصبحين داخلين في الصباح وبالليل وتعيين الوقتين لأن السيارة أكثر ما يكون سائرا أول النهار وبالليل ويستريح في أثناء النهار ولعلها كانت تقرب منزلا يمر بها المرتحل عنه صباحا والقاصد لها مساء أفلا تعقلون وتحذرون عن سخط الله وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق أي كان رسولا زمان إباقه إلى الفلك المشحون المملوء فساهم فقارع من في السفينة وذلك أن زعم البحاري هو أن السفينة إذا كان فيها آبق لا تجري فكان من المدحضين مغلوبين في المقارعة من الإدحاض وهو الإزلاق فالتقمه الحوت وهو مليم نفسه على ما فعل أو واقع في الملامة فلولا أنه كان من المسبحين أي المصلين أو الذاكرين الله بالتقديس وفيه دلالة على أن المعرفة السابقة والعمل الصالح ينفعان في المضايق وقد دل عليه دلالة صريحة حديث الثلثة في الغار الذي رواه البخاري ولذلك إيمان فرعون لم يقبل لعدم سابقة المعرفة وعمل هذا دأب الملوك مع خدمهم إذا جنى أحد منهم يجعلون سالف خدمته سببا للعفو عن تلك الجريمة يقولون لولا أن لك على هذا العتب بك كذا وكذا أو قيل أراد تسبيحه في بطن الحوت حين نادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون حيا وقيل ميتا فنبذناه بالعراء بالمكان الخالي عن الشجر والنبات وذلك حين استجيب دعاؤه وأراد الله إنجاءه فأمر الحوت أن يلقيه إلى البر واختلف في مدة لبثه فقيل أربعون يوما وقيل عشرون وقيل سبعة وقيل

ثلثة

ثلثة وقيل بعض يوم وفي شعر أمية بن أبي الصلت وأنت بفضل منك نجيت يونسا وقد بات في أضعاف حوت لياليا وهو سقيم بدنه مما ناله في تلك الواقعة الهائلة أو قلقه مما ارتكبه من الخروج والذهاب بغير إذن الله تعالى وأنبتنا عليه شجرة من يقطين كل ما انبسط على الأرض من النبات والشجر كالقثاء والدباء من القطن وهو الإقامة وروي أنه صلى الله عليه وسلم قال في الدباء إنها شجرة أخي يونس عليه السلام والحكمة في إنباتها أن ورقها يستظل به ولا يقربها الذباب ويؤكل نيا ومطبوخا وقيل شجر الموز وقيل التين وقيل سخر الله له ظبية تختلف إليه يشرب من لبنها ويحكى أن المسك أول ما خلق في تلك الظبية مكافأة لها وأرسلناه إلى مائة ألف هم قومه أهل نينوى وبها قبره الآن يزار في الموصل يقطع بينهما الشط قيل أرسل إليهم ثانيا فآمنوا به وقيل أرسل إلى آخرين أو يزيدون بل يزيدون عن ابن عباس رضي الله عنه كانوا مائة وثلثين ألفا وروى الترمذي عن أبي بن كعب أنه سأل رسول الله فقال يزيدون عشرين ألفا فآمنوا فمتعناهم إلى حين آجالهم آمنين وإنما لم يسلم على لوط ويونس كما يسلم على من تقدم من الرسل لأنه تكرر فاختصر الكلام ولقوله وسلام على المرسلين في آخر السورة فيتناولهما وقيل تفرقة بين أرباب الشرائع وأولي العزم وفيه أن إلياس ليس منهم فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون عطف على فاستفتهم في أول السورة وما بينهما أخذ بعضه بحجزة بعض وذلك أنه استفتاهم أولا حين أنكروا البعث بقوله أهم أشد خلقا أم من خلقنا من السموات والأرض تبكيتا لهم وإلزاما وأورد بقصص المكذبين بين المنكرين للبعث تسجيلا على المشركين بأنه سيحل بهم ما حل بأولئك ثم استفتاهم ثانيا عاطفا على الأول إشارة إلى أن كونه خالق السموات والأرض كما يدل على توحده وكمال اقتداره يدل على تنزهه عن الولد ألا ترى إلى قوله بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ثم لم يرضوا بإثبات الولد مطلقا بل أثبتوا له أخس النوعين وهو الأنثى التي لا يرضى بها وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وقد زادوا على الشرك أنواعا من الكفر التجسيم فإن الولد يستلزمه وتفضيل أنفسهم ونسبة الملأ الأعلى إلى الأنوثة التي يأنف منها أدنى الناس بل كل عيب دونها أم خلقنا الملائكة إناثا لم يذكر كونه منزها عن الولد بل نفى الأنوثة عن الملائكة لأن استحالة الولد منه تعالى جلي لا يتوقف فيه إلا من هو كالأنعام بل هم أضل وهم شاهدون تهكم واستهزاء بهم فإن العلم بوصف الأنوثة لا يمكن إلا بإخبار صادق ولم يصدقوا رسولا أو باستدلال عقلي ولا سبيل للعقل إليه أو بالمشاهدة ولا يشكون في انتفائها ومبالغة في وصفهم بالكفر أي يجترئون على هذا القول الذي تكاد السموات يتفطرن منه كأنهم شاهدوا ذلك ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله أي بعض الكاذبين هذا القول وفيه تقرير لسفاهتهم وأن من أسند إلى الله الولد لا يستبعد منه جهله أن يثبت للملائكة ما لا يليق بهم من وصف الأنوثة وإنهم لكاذبون

في ذلك القول اصطفى البنات على البنين اي آثرها واختارها على الذكور وهل
يفعل ذلك من به مسكة ولذلك قال جهلهم بقوله ما لكم كيف تحكمون يعتقدون شيئا
لا يقدر العاقل على اخطاره ببال فضلا عن ان يتخذه دينا افلا تذكرون تتعظون
بعد هذا البيان ام لكم سلطان مبين نزل عليكم نص قاطع لا يمكنكم العدول
عنه وان كان معناه غير معقول كبعض نصوص الشارع فأتوا بكتابكم ان كنتم صادقين
في دعواكم وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا حيث قالوا ان الملائكة بنات الله وانما عبر
بالجنة لاستتارهم عن الابصار وفيه دلالة على حطه مقدارهم عن مجانسة الاله وفي جعله
وانهم مقربون وعباده المكرمون واشارة الى ان ما من شأنه الاستتار الذي هو
من خواص الاجسام كيف يجانس المنزه عن سمات الحدوث وقيل كانوا من غاية
سفاهتهم يقولون ان الله صاهر الجن فخرجت الملائكة وقيل كانوا يقولون الشيطان
والرحمن اخوان ولقد علمت الجنة انهم لمحضرون في العذاب اي الكفرة الذين يعبدونهم
لكذبهم وافترائهم او الانس والجن ان فسرت الجنة بغير الملائكة سبحان الله عما يصفون
الا عباد الله المخلصين استثناء منقطع من المحضرين او متصل من ضمير وان فسر باعمهم
وما بينهما اعتراض او من واو يصفون فانكم وما تعبدون ما انتم عليه بفاتنين [illegible]
شأنهم وما هم عليه من الاضلال اي انتم يا ايها الكافرون ومعبودكم لا تقدرون على
من عباده بالاغواء والاضلال الا من هو صال الجحيم الذي خلق للنار صال مثلكم من
قولهم فتن على فلان امرأته افسدها ويجوز ان يكون الواو بمعنى مع وسادا مسد الخبر كقولك
كل رجل وضيعته اي انتم وما تعبدون لا تبرحون قرناء ثم قال ما انتم عليه بفاتنين اي
على معبودكم حاملين على عبادته الا من يكون ضالا مخلوقا للنار مثلكم وما منا الا له
مقام معلوم تتمة سبحان الله عما يصفون اي منا من كلام الملائكة فانهم كذبوا من
نسبهم الى الله واستثنوا من ذلك المخلصين ثم عنوا شأن الكفرة بانهم لا يقدرون
الا على اغواء مثلهم ثم اعترفوا بانهم عباد منقادون لامر الله لكل واحد منهم مقام في
العبودية لا يتجاوزه وقوله فانكم وما تعبدون التفات كقوله فقد كذبوكم بما تقولون
ويجوز ان يكون حكاية قولهم وان يكون قول رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قيل
فاستفتهم وقل وما منا الا له مقام معلوم اي انع عليهم مثالبهم في كفرهم وانعت
لهم ما انت واصحابك متصف به من اضدادها وموقعه الاستطراد على مذاق قوله
وان كانوا ليقولون وانا لنحن الصافون في طاعته تعالى على الاقدام منا قائم
وراكع وساجد او صافون باجنحتنا مذعنين لاوامره خاشعين من هيبته او صافون
حول العرش يستغفرون للذين آمنوا روى مسلم باسناده عن حذيفة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فضلنا على الناس بثلث جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة وجعلت
لي الارض مسجدا وطهورا وقال يوما لجلسائه اطت السماء وحق لها ان تئط ما فيها موضع

قدم الا عليه ملك راكع او ساجد وقال لاصحابه الا تصفون كما تصف الملائكة عند
ربها قالوا وكيف ذلك قال يتمون الصف الاول فالاول وانا لنحن المسبحون المقدسون
عما لا يليق بكبريائه وان كانوا ليقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله
المخلصين ان هي المخففة واللام الفارقة اي كانوا يؤكدون كلامهم قاطعين ان لو
اتاهم كتاب من الله تعالى لتلقوه وعملوا بما فيه مخلصين نفسهم لا كاهل التورية
والانجيل المخالفين لما فيه من الاوامر والنواهي فكفروا به اي بذلك الكتاب الذي
كانوا يتمنونه وفي الفاء دلالة على انهم كفروا به بغتة من غير روية فسوف يعلمون ما يحل
بهم من الانتقام ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين وهي قوله انهم لهم المنصورون
ولا يقدح في ذلك ما يقع من الانهزام في بعض المواضع لان الامور بخواتيمها وعن
الحسن لم يقتل نبي في حرب ولا غلب وكذلك شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم يول في حرب قط وعن ابن عباس رضي الله عنه ان لم ينصروا في الدنيا نصروا
في الآخرة وان جندنا لهم الغالبون هم الطائفة التي تقاتل في سبيل الله بالسيف او
بالحجة سواء كان فيهم نبي او لا والمذكور وان كان كلمات سماها كلمة لانتظامها في
معنى واحد كما تقول يتبعث ثمرة بستاني وان كان فيه ثمرات فتول عنهم بعد ما افرغت
جهدك في التبليغ حتى حين الى زمان قريب تؤذن لك في القتال او هو يوم بدر
او وقت الموت او يوم القيمة وابصرهم وما يقضى عليهم من القتل والاسر وفي ايثار
الابصار والامر تنفيس عنه وتقريب للمذكور كانما يحل بهم قدام عينيه فسوف يبصرون
ما يكون لك من النصرة والتأييد او الدرجات العلى في الآخرة وسوف للوعيد لا للتبعيد
افبعذابنا يستعجلون اي السلب عقولهم فبعذابنا الذي يحق له ان يستعاذ من شره
يستعجلون فاذا نزل بساحتهم بفنائهم مثله شبهه بعذابه النازل اعاذنا الله منه بجيش
اغار على قوم انذرهم بعض نصحائهم فلم يلتفتوا اليه فاجاءهم وقطع دابرهم فساء
صباح المنذرين صباحهم توشيح للاستعارة والصباح من اسماء الغارة ومن دابهم
اذا وقعت الاغارة ينادون واصباحاه وذلك انهم كانوا يغيرون في الصباح
عن انس بن مالك ان رسول الله لما اصبح بخيبر قال الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا
بساحة قوم فساء صباح المنذرين وتول عنهم حتى حين وابصر فسوف يبصرون
تسلية بعد تسلية وتأكيد الى تأكيد واطلاق الفعلين للدلالة على ان ما يبصر ويبصرون
من انواع المسرة والمساءة مما يضيق عنه نطاق البيان وقيل الاول ما يبصرون
في الدنيا وهذا في الآخرة سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين
سوق الكلام من اول السورة الى هنا لاثبات التوحيد وازاحة شبه المشركين وابطال
ما نسبوا اليه تعالى مما تقدس ساحة عزه ومقام كبريائه عنه فنزه ذاته المقدسة بهذه
الآية التي هي من الجوامع الكوامل فذلكة ذلك واثنى على المرسلين الذين قدروه حق

قدره وجاهدوا في اعلاء كلمته حق جهاده ثم ختم بالختام المسكي بقوله والحمد لله رب
العالمين اشارة الى اختصاص المحامد كلها به تعالى وان ثناءه على الرسل تفضل منه
او هو الذي اختارهم ووفقهم لما اكتسبوا به الثناء الجميل فسبحان الذي يعطي ويثني عن
زيد بن ارقم عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال في دبر كل صلوة سبحان
ربك رب العزة الى اخره ثلث مرات فقد اكتال بالجريب الاوفى وعن علي بن ابي
طالب من سره ان يكتال اجره يوم القيمة بالمكيال الاوفى فليقل اخر مجلسه سبحان
ربك رب العزة عما يصفون الى اخر الاية تمت والحمد لله رب العالمين
سورة ص مكية وآياتها ست وثمانون بسم الله الرحمن الرحيم ص بالسكون على الوقف
حرف من حروف الهجاء للتحدي والايقاظ والقرآن قسم حذف جوابه لدلالة التحدي
عليه كانه قيل والقرآن المؤلف من هذه الحروف لمعجز او اسم السورة خبر مبتدأ كانه
قال هذه السورة اعجزت العرب والقرآن كقولك هذا حاتم والله تريد انه ذلك المشهور
بالسخاء ويجوز ان يكون مقسما بها اسما للسورة والقرآن والعطف باعتبار تغاير
الصفات والجواب محذوف اي انه لمعجز ذي الذكر اي الشرف كقوله وانه لذكر لك
ولقومك او الموعظة او ذكر ما يحتاج اليه في الدين والدنيا من الشرائع والقصص
بل الذين كفروا في عزة وشقاق اي انه لمعجز ومن كفر به انما كفر استكبارا ومشاقة مع الله
ورسوله وتنكير الاسمين مع ايراد في الدال على الاستقرار اشارة الى كمال اتصافهم بالوصفين
واستغراقهم فيهما وايماء الى ان من لم يكن بهذه المثابة لا ينكر ذلك الامر الجلي كم اهلكنا
من قبلهم من قرن اي كثيرا من القرون المكذبة اهلكنا قبل هؤلاء فنادوا ورفعوا اصواتهم
بالاستغاثة والجؤار ولات حين مناص ذهب الخليل وسيبويه الى انها لا التي شبهت
بليس زيدت عليها التاء كما زيدت في رب وثم لتأكيد النفي وحدث لها احكام بعد
هذه الزيادة اختصاصها بالاحيان وبروز احد جزئي مدخولها دون الاخر وعن الاخفش
انها النافية للجنس زيدت عليها التاء وحين منصوب به كانك قلت ولا حين مناص
لهم وعنه ان ما ينتصب بعده بفعل مضمر اي ولا ارى حين مناص لهم وعندهما ان
النصب على ولات الحين حين مناص وعجبوا ان جاءهم منذر منهم كائن من انفسهم
يعرفون صدق قوله وامانته وقال الكافرون هذا ساحر كذاب لم يقل قالوا اشارة الى
ان هذا القول بعد ذلك الاعجاز لم ينشأ الا عن كفر بواح وانهماك في الغي اجعل الالهة
الها واحدا روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه لما مرض ابو طالب دخل عليه
مشيخة قريش وقالوا ان ابن اخيك يشتم آلهتنا فلو نهيته فبعث اليه ابو طالب فلما حضر
قال ابن اخي ان قومك يشكونك انك تشتم آلهتهم فقال يا عم اني اسألهم كلمة
تدين لهم بها العرب وتؤدي الجزية اليهم العجم فقالوا ما هي تلك الكلمة نعم نعطيك عشرا
قال تقولوا لا اله الا الله فقاموا ينفضون ثيابهم يقولون اجعل الالهة الها واحدا فنزلت

هذا بعد اسلام عمر ان هذا لشيء عجاب بليغ العجب مخالف لما اطبق عليه اباؤنا الاولون
ولم يكونوا ينكرون ان مدبر الكائنات وموجدها سواه ولئن سألتهم من خلق السموات
والارض ليقولن الله فلا وجه لما قيل انما قالوا لان الواحد لا يفي علمه وقدرته بالاشياء وانطلق
الملأ منهم ان امشوا اي انطلق اشراف قريش بعد ما سمعوا مقالته وان بمعنى اي
لان المنطلقين عن مجلس التقاول لا يخلون عن تقاوض واصبروا على آلهتكم على عبادتها
والتمسك بها ان هذا الامر الذي انتم فيه لشيء يراد يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وان
هذا الشيء ارادة الله تعالى فلا محالة كائن او ان هذا الذي يطلبه من الترفع على كافة الخلق
مراد كل احد او هذا من ريب الدهر ونوائبه الذي اريد بنا فلا بد منه وتوجه ما سمعنا بهذا
في الملة الاخرة اي ملة النصارى التي هي آخر الملل يريدون ان لو كان التوحيد حقا لم يثلثوا
او ملة قريش التي ادركوا عليها آباءهم او في الملة الاخرة حال اي كائنا في الملة وليس متعلقا
بسمعنا اي لم نسمع من احد من اهل الكتاب ولا الكهان ان يحدث في الملة الاخرة
القول بالتوحيد ان هذا الا اختلاق افتراء مختلق لم يسبق له نظير أأنزل عليه الذكر من بيننا
انكروا اختصاصه بشرف النبوة مع كونه واحدا منهم بل وفيهم من له الاسباب من الاموال
والاولاد والحشم اكثر منه ولهذا قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وهذا
منهم منشأه الحسد لا غير وتلك الخرافات التي تقدمت ناشئة منه بل هم في شك من ذكري
اي جزمهم باختلاق ليس عن اعتقاد وبت بل قول بافواههم او الشك لا حكم له فان قلت
الشك في الذكر وهو القرآن لا ينافي الجزم بان التوحيد مختلق قلت بل ينافيه لاشتماله على الادلة
والبراهين فيها شك فيه بل لما يذوقوا عذاب اضراب عن حديث الحسد والشك والمعنى
انهما لا يزولان الا ان يذوقوا العذاب كقوله فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم ام عندهم خزائن
رحمة ربك العزيز الوهاب بل اعندهم وتحت تصرفهم خزائن من اتصف بالغلبة والفيض
المطلق حتى يجعلوها لمن شاؤا اضراب عن قولهم أأنزل عليه الذكر نظير قوله اهم يقسمون
رحمة ربك وفي وصفه بالعزة اشارة الى بطلان ما هم فيه من الترفع والتجبر على من خص
بالنبوة لانهم تحت قهر غالب لا يغالب وبالوهاب الى ان النبوة محض موهبة ربانية فلا دخل
للمشاقة وذكر الوهاب يناسب الخزائن وفيه اشارة الى ان النبوة ليست عطية واحدة بل
عطايا جمة ام لهم ملك السموات والارض وما بينهما يريد ان ملك السموات والارض شيء
من خزائنه الدنية لان العالم الجسماني لا يقاس بعالم الروحانيات واذا كانوا عاجزين
عن التصرف فيه فهم عن غيره اعجز ثم بين عجزهم بقوله فليرتقوا في الاسباب الموصلة الى
العرش والاستيلاء عليه وانزال الوحي الى من يختارونه ثم حقر شأنهم وقضاءهم بقوله جند
ما هنالك مهزوم من الاحزاب ما مزيدة للتقليل وهنالك ظرف مهزوم اشير به الى
المحل والرتبة كقول الخليل عليه السلام في حديث الشفاعة لست هناك والمعنى هؤلاء
الكفار اعوان وانصار قليلون من الذين يتحزبون على الانبياء عما قريب مكسورون في المحل

الذي وضعوا انفسهم فيه اين هم من التعرض لتلك المقالة والاعتراض على مالك الملك والملكوت
وقيل هنالك اشارة الى حيث يوم بدر او يوم الخندق او يوم فتح مكة والاول هو الوجه كذبت قبلهم
قوم نوح وعاد وفرعون ذو الاوتاد وهولاء الاحزاب الذين اهلكهم منهم وصف فرعون بذي
الاوتاد واشارة الى طول مدته استعارة من اوتاد البيت المطنب لثبات كقوله في ظل ملك
ثابت الاوتاد وقيل كان تعذب بالاوتاد يجعل اعضاؤه الاربعة اي اربعة اطراف ويشد
على كل واحد وتدا ويتركه الى ان يموت وكان يرسل عليه وهو كذلك الحيات والعقارب
الاوتاد مجاز عن الجموع لان بعضهم يشد بعضا وثمود وقوم لوط واصحاب الايكة قوم شعيب
والايكة الغيضة وقرا نافع وابن كثير وابن عامر وليكة على وزن ليلة اولئك الاحزاب اي
الاحزاب الذين منهم جندهم وهم هولاء والمعنى المشار اليهم هم الذين يقال لهم الاحزاب
لقوتهم بالاموال والاسباب وطول الاعمار لا جند مكة تقول بعد ذكر زيد وعمرو زيد الرجل ان
كل الا كذب الرسل اعاد التكذيب ثانيا على اوكد وجه او هو طريقة وافاد ان كل واحدة
من تلك الامم كذبت كل رسول لها لان تكذيب واحد منهم تكذيب لسايرهم لان بعضهم
يصدق بعضا فحق عقاب بعد ذلك الافراط في التكذيب وما ينظر هولاء اي اهل مكة الا صيحة
واحدة هي النفخة وقيل العذاب الفاجي من قولهم صاح الزمان بفلان قال صاح الزمان
بال برمك صيحة خروا لشدتها على الاذقان ما لها من فواق من لبث ماخوذ من فواق
الناقة وهو ما بين الحلبتين فانها لا تدر دفعة بل تتركه او في زمان وقرا حمزة والكسائي بالضم
الفاء وهي لغة وقالوا ربنا عجل لنا قطنا القط القسط من الشيء من القط وهو القطع اي نصيبنا
الموعود من العذاب يريدون تكذيبه او نصيبنا من الجنة لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما وعد المومنين الجنة قالوا هذا الكلام استهزاء قبل يوم الحساب قبل يوم القيمة ولمن
به كقولهم لن نومن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا
داود ذا الايد اي تحمل واصبر واذكر لهم قصة داود فانه لم يكن في زمان نبوته على وجه الارض
اكرم على الله ولا اعز منه ومع ذلك كله جرى عليه من ذي خطرة خطرت له ما جرى وبكى على ذلك
مدة طويلة ونقش خطيئته في باطن كفه حتى لا ينساها فاظن بهولاء المسرفين المستهزئين بالله
وباياته او اصبر على ما يقولون واذكر لنفسك حال داود وحافظ على تذكرها لئلا يقع لك في العبارة
ما تعاتب عليه كما عوتب ذلك وعلى هذا الذكر ذكر القلب ذا الايد والقوة في الدين وتحمله
على الطاعات بدليل قوله انه اواب وقوله صلى الله عليه وسلم افضل الصيام صيام داود
كان يصوم يوما ويفطر يوما وافضل الصلوة صلوة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه
وينام سدسه والان الاوبة لا يدخل لها في قوة البدن انا سخرنا الجبال معه يسبحن على الدوام
بالعشي والاشراق اي في هذين الوقتين يقال شرقت الشمس شروقا طلعت واشرقت
اضاءت وصفا اشراقها عن ابن عباس رضي الله عنه انه لما سمع ام هاني تقول جئت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة فوجدته يغتسل وفاطمة تستره فلما اغتسل التحف بثوب وصلى ثمان

ركعات

ركعات وذاك ضحى فقال قد ظننت ان لهذه الساعة صلوة وتلاها فان قلت كيف
دل تسبيح الجبال معه على الصلوة في تلك الساعة قلت لما روي في الحديث ولان تسبيح
الجبال مجاز فحمل تسبيح داود على المجاز لان المجاز بالمجاز انسب والطير محشورة جملة
واحدة ولذلك لم يراع المطابقة بين الحالين اذ حشرها على هذا الوجه ادل على كمال
الاقتدار كل له اواب رجاع الى الله رجوعا بعد رجوع ويلزمه الذكر والتسبيح فكانه قال
كل معه تسبيح على الدوام والرجاع كناية عن المرجع ومعلوم ان الترجيع في التسبيح لا في
فعل آخر وشددنا ملكه قويناه بالرجال والعدد وقيل كان يحرس محرابه اربعون الفا
من ذوي اللامة وقيل كان القي عليه المهابة وذلك ان رجلا ادعى على آخر بقرة فانكر
المدعى عليه فاوحي الى داود ان اقتل المنكر فقال له فقال لم يواخذني الله بهذا بل في
قتلت اباه غيلة فامر بقتله فهابه الناس واتيناه الحكمة النبوة وعلم الشرع كل كلمة و
او قول الحق فهي حكمة وفصل الخطاب المفصول الذي يتبينه من يخاطب به ولا يلتبس
عليه مصدر بمعنى المفعول او الفاصل بين الحق والباطل في القضايا والتدابير فانه اذا
انضم الى العلم والحكمة يجمل شان الحاكم والتحقيق انه كانت كاملا في البلاغة يورد لكل كلام
على ما يقتضيه الحال خاليا عن الاملال والاخلال ويدخل فيه كل ما ذكر من الوجوه وهذا
مثل ما جاء في وصف كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نزر ولا هذر وهل اتيك نبا الخصم
اذ تسوروا المحراب الاستفهام للتشويق والدلالة على انه من الامور المستغربة التي العلم
بها امر خطير والخصم مصدر في الاصل يقع على الواحد والجمع مثل الضيف كقوله حديث ضيف
ابراهيم المكرمين تسوروا المحراب تصعدوا والسور حايط المدينة اراد حايط مسجده والمحراب
الغرفة وصدر المجلس واذ متعلق بالنبا لانه وان كان بمعنى القصة لانه في الاصل مصدر
والظرف يكفيه رايحة من الفعل او متعلق بمقدر اي تحاكم الخصم او تعلقه باتاك لا يستقيم
اذ دخلوا على داود ظرف تسوروا او بدل من اذ والضمير للخصم ففزع منهم لانهم نزلوا من
الحايط من غير اذن وهم ناس اجانب لا يعرفهم وكان خاليا للعبادة وكان جزا الزمان
جعل يوما للعبادة ويوما للقضاء ويوما يعظ فيه بني اسرائيل ويوما يشتغل فيه بخاصته
قالوا لا تخف لما شاهدوا منه اثار الخوف خصمان اي نحن فوجان بدليل قوله تسوروا
اذ دخلوا فهو كقوله خصمان اختصموا ولا ينافيه ان هذا اخي لانه قول بعضهم بغى بعضنا على
بعض وهذا على التمثيل والغرض فلا يمتنع صدوره عن الملائكة فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط
ولا تجر في الحكم من الشطط وهو مجاوزة الحد في كل شيء وفي الحديث لها مهر مثلها لا وكس
ولا شطط واهدنا الى سواء الصراط الى وسط الطريق اي الحق الذي لا شك فيه ان هذا
اخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة هي الانثى من الضان يكنى بها عن المراة والكنى
عن لينها وضعف جنبها وكثيرا ما يطلق اهل مصر على الرجل الجبان الخوان نعجة فقال اكفلنيها
اي اجعل امرها الي لاكفلها كما اكفل ما تحت يدي وحقيقته القيام بامرها كقوله صلى الله عليه وسلم

اناوكان فى السيم كهاتين واشار بالسبابة والوسطى وعزنى فى الخطاب غلبنى فى الجدال
لا اقدر على رده وقيل غلبنى فى الخطبة وينافيه ولى نعجة وقوله لقد ظلمك فى سؤال نعجتك او قوله
اكفلنيها او لا يخاطب به المخاطب بل ولى المخطوبة الا ان يجعل مجازا قال لقد ظلمك
بسؤال نعجتك جواب قسم محذوف وانما اقسم مبالغة فى الانكار حكم عليه بالظلم اما اعترافه
او على تقدير صدق المدعى والسؤال مصدر مضاف الى المفعول الى نعاجه ضما اياها وان
كثيرا من الخلطاء من الاصدقاء الشارفين كقوله ان الخليط اجدوا البين فانصرموا
ليبغى بعضهم على بعض فلا عجب مما شجر بينكم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم
اى غاية القلة ما زايدة وهذا الكلام منه على طريق الموعظة والترغيب فى ابتهاج مسلك
ذلك القليل وايثار عادتهم والتدرع بلباسهم وحمل الخلطاء على الشركاء حديث الحلايل
باب عنه وظن داود انما فتناه اى امتحناه انما ابتليناه استعار الظن لليقين لان الظن
الغالب يدانيه فاستغفر ربه وخر راكعا ساجدا لله لان الركوع وحده ليس بعبادة فاطلق
على السجود لانه مبداه او يدانيه فى الخضوع او اراد به الصلوة مجازا واناب رجع اليه بالاستغفار
وانما بدا بالسجود او الصلوة المشتملة عليه لانه مظنة الاجابة واليه اشار بقوله صلى الله عليه وسلم
اقرب ما يكون العبد الى الله وهو ساجد وهذا من عزايم السجود وعند ابى حنيفة رحمه الله
لما روى ابن عباس رضى الله عنه سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ص وقال سجدها
داود توبة ونسجدها شكرا واستدل الشافعى بما رواه ابن عباس سجدة ص ليست من
عزايم السجود ولكن رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يسجد فيها فقال بها استحبابا فان قلت
ما صدر عن داود حتى اوجب هذا الابتلاء والانبياء عن الصغاير قصدا فضلا عن الكباير
منزهون قلت هذا على طريقة حسنات الابرار سيئات المقربين وغاية ما يمكن فى حقه
انه راى بغتة امراة اوريا وهو رجل من غزاته بلقاء فسأله ان ينزل له عنها فاستحى
فنزل وهى ام سليمان وقيل لم يكن امراته بل خطب على خطبته فعوتب فى ذلك وقيل له
ما كان ينبغى لشانك ان يمد عينيه الى متاع الدنيا مع ما اوتيناك من الملك المديد وكثرة
النساء كيف تسأل رجلا له امراة واحدة ان ينزل لك عنها بل كان الواجب عليك
ان لو سالك هو ان تنزل عنها الآباء الكلى وقهر النفس ومغالبة الهوى كما فعله سيد
الرسل حين شاوره زيد فى فراق زينب هذا ان صح عنه كان مباحا غايته انه خلاف
الاولى وقد روى البخارى عن عبد الرحمن بن عوف انه لما نزل على سعد بن الربيع
قال له لك نصف مالى وانظر اى امراتى اعجبتك نزلت لك عنها وان كان
امرا اخر لم يحكه الله مفصلا بل ستره عليه فنحن اولى بذلك فما لنا وللخوض فيه
ولذلك لما حكى عند عمر بن عبد العزيز رجل قاص على غير هذا الوجه من تلك الخرافات
التى لا يجوز اشاعتها وكان رجل من اهل المعرفة حاضرا فقال ايها الرجل ان كانت
القصة على ما فى كتاب الله فاعظم ما ذكرت فهو وان كانت كما ذكرت وقد سترها الله

على عبده

على عبده فكتمت اولى بذلك فقال عمر لسماعى لهذا الكلام احب الى مما طلعت عليه
الشمس وعن سعيد بن المسيب ان على بن ابى طالب قال من حدثكم بحديث داود على
ما يحكيه القصاص جلدته مائة وستين وقيل ما وقع منه هو قوله لقد ظلمك بمجرد قوله
قبل ان يسال المدعى عليه ويؤيده قوله بعد هذا فاحكم بين الناس بالحق فغفرنا له
ذلك بعد الانابة وان له عندنا لزلفى قربة ومكانة لم يحصل له بتلك الجناية تنزل
وحسن مآب مرجع هو جوار الله فى اعالى الجنان يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض
يقال استخلف على كذا اذا جعله واليا متصرفا فيه كقوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
او خليفة عن الانبياء الذين تقدموا فاحكم بين الناس بالحق الذى امرك الله اى
بحكم الله ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله طريقه الموصل اليه ان الذين يضلون
عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب اى ذلك الضلال بسبب عن
نسيان ذلك اليوم اذ لو تذكر وراقب احواله واعماله لعرفوه فى ذلك اليوم على
العلام الخبير لم يرتكب ضلالا قال عبد الملك بن مروان يوما لابى زرعة انك قرات
الكتاب الاول والقران فهل وجدت ان الخلفاء لا يجرى عليهم القلم فقال يا امير المؤمنين
الخلفاء اعظم ام الانبياء ثم تلا هذه الاية وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا
عبثا خاليا عن الحكمة كقوله وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين بل انما خلقنا
هما لتبلوكم بالتكاليف والشرايع ذلك ظن الذين كفروا اى كونهما مخلوقين باطلا
مظنون الكفار فويل للذين كفروا من النار من بيان او ابتدائية ام نجعل الذين
امنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الارض انكار لذلك وكيف يستوى الحكم
بين المؤمن والكافر ام نجعل المتقين كالفجار من المؤمنين كالفجار كالفساق منهم
او تكرير للاول باعتبار الوصفين واذا كان التساوى منكرا وليس هذا الجزا
ولذلك ترى اكثر اهل الدين والتقوى ناقصة حظوظهم فيها فلا بد وان يكون
دار اخرى تقع فيها المجازاة كتاب انزلناه اليك مبارك لتابين حجة من المقاصد
الصحيحة التى تذعن لها العقول الصريح اردفه بوصف الكتاب المشتمل عليه بالبركة وانى
بركة اعظم من الارشاد الى البقاء السرمدى فيما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر ليدبروا اياته وليستنبطوا منها دقايق حكمه وليتذكر اولوا الالباب ذوو العقول
الخالصة المبرّاون عن العوايق المؤيدين بالتوفيق الناظرون بنور الله فان تلك
الدقايق كالمعلوم عندهم لا يحتاج الا الى التفات الذهن ووهبنا لداود سليمان
اردف قصة الوالد بقصة الولد لانه فتن مثل ما فتن واناب مثل ما اناب عبر عن اعطائه
بالهبة اشارة الى جلالة قدره نعم العبد حذف المخصوص بالمدح اى سليمان انه اواب
رجاع الى الله او مؤوب اى مسبح لا يكون الا اوابا اذ عرض عليه بالعشى الصافنات
الجياد الصافن من الصفون وهو الوقوف على ثلث قوايم قال الصفون مجاز الى

كانه مما يقوم على الثلث كثيرا والجياد جمع الجواد من الجودة بضم الجيم الفرس الواسع الجري
وهو الواسع العطاء ايضا من الجود بفتح الجيم وصفها بالصفون والجودة جمعا لمحاسن
في حاليتها كانه قال ساكنة عند الوقوف سريع عند الجري وقيل الصفون وصف لها
بالاصالة فانه يكون في العراب دون الهجن قيل غزا سليمان دمشق فاصاب الف
فرس وقيل ورثها من ابيها واصابها ابوه من العمالقة وقيل خرجت من البحر وكانت
ذات اجنحة وهذا هو الوجه اذ في الارث والاصابة غنيمة اشكال لقوله صلى الله عليه وسلم
نحن معاشر الانبياء لا نورث ولقوله اوتيت خمسا لم يؤت احد من قبلي وعد منها
حل الغنائم فقال اني احببت حب الخير عن ذكر ربي استعمال احببت بعن لتضمين معنى
اثرت او الجار متعلق بمقدر حالا اي معرضا والخير المال لقوله تعالى ان ترك خيرا الوصية
للوالدين والمراد به الصافنات المذكورة وكان اصله احببت الخير وانما اقحم الحب اشارة
الى فرط المحبة كانه احبها حتى احب حبها حتى توارت بالحجاب الشمس فاتته صلوة العصر
وقيل توارت الخيل بالحجاب اي بظلام الليل ردوها علي فطفق مسحا بالسوق
والاعناق اي شرع يقطع اعناقها وعراقيبها قربانا في سبيل الله وخصها بذلك لانها
كانت سببا في الاشتغال وهذا كقطع يد السارق لانها اله الخيانة وفي الحديث سمع
رسول الله رجلا يقول لناقته يا ملعونة فقال ردوها لا يصحبنا دابة ملعونة ولما فاتته صلوة
الصبح ارتحل من ذلك الى مكان اخر ثم قضاها كراهة له حيث نام عن الصلوة فيه
وقيل مسح اعرافها وعراقيبها احتراما وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح اعراف الخيل
وقال الخيل معقود في نواصيها الخير الى يوم القيمة من اعزها اعزه الله ولقد فتنا سليمان
والقينا على كرسيه جسدا روى البخاري باسناده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان سليمان قال يوما لاطوفن الليلة على اربعين امراة تاتي كل واحدة بغلام يجاهد
في سبيل الله فقال له الملك قل ان شاء الله فلم يقل فما حملت الا واحدة اتت بشق
ولد فوالذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا فرسانا وروي انه كان له ابن
يخاف عليه من الجن فكان يربيه في السحاب فكان يوما جالسا فوقع على كرسيه ميتا
فعلم انه كان تاركا لما هو الاليق من التوكل ثم اناب رجع الى الله تعالى بالتوبة وما ذكره
بعضهم من ان خاتمه وقع في يد صخر الجني وانه استولى على ملكه اربعين يوما وما يضمون
الى ذلك من الخرافات فلا يجوز ذكرها لانها اكاذيب لا يساعدها عقل ولا نقل قال رب
اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي كان ناشئا في بيت الملك فسال معجزة تناسب
حاله وقيل كان شفقة على اخوانه النبيين حيث راى الدنيا تاخذه ادوا لاسيما ابهة الملك فطلب
من الله ان يزويه عن غيره ويخصه به وقيل لم يرد الا سعة الملك وعظمه لا الاختصاص ويرده
قوله صلى الله عليه وسلم انفلت علي البارحة شيطان فقصدت ان اربطه بسارية من سواري
المسجد فيلعب به صبيان المدينة ثم تذكرت دعوة اخي سليمان قيل للحجاج انك حسود فقال احسد

منى

منى سليمان حيث قال رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي وقد كفر في ذلك كما كفر في
قوله طاعتنا اوجب من طاعة الله لان الله تعالى قال فاتقوا الله ما استطعتم وقال واولي
الامر منكم فاطلق وقد عمي في كفره لان اولي الامر عطف على طاعة الله ورسوله فكيف يكون
احدهما مطلقا والاخر مقيدا وايضا ما استطعتم قيد الاطلاق انك انت الوهاب لا غير
فسخرنا له الريح تجري بامره رخاء لينة من الرخاوة وهو الخصب او طيبة وفي ذلك تمام
النعمة كالفرس الذلول حيث اصاب قصد حكى الاصمعي عن العرب اصاب الصواب
فاخطأ وقصد روبة الشاعر رجلان اشكل عليهما هذا اللفظ فقال اين تصيبان قالا هذا
الجواب والشياطين كل بناء وغواص في البحار لاستخراج الدراري والجواهر واخرين
مقرنين في الاصفاد في القيود وكفا لشرهم جمع صفد بالتحريك وهو العطاء ايضا لربطه
المنعم عليه بالمنعم قال ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا ويروى من بركاته ومن
جفاك اطلقك والفعل للعطاء اصفد وللقيد صفد عكس وعد واوعد هذا عطاؤنا اشارة
الى ملكه لمدنو فامنن اعط ما شئت منه او امسك بغير حساب حال كونك غير
محاسب بل الامر مفوض اليك تتصرف كيف تشاء كما هو شان الملوك وعنه صلى الله عليه
وسلم خيرني الله بين ان اكون عبدا نبيا او نبيا ملكا فاشار الي جبرئيل ان تواضع فاخترت
ان اكون عبدا نبيا ولذلك كان مامورا لم يطلق له التصرف قال انما انا قاسم والله
المعطي ولما تواضع ولم يلتفت الى ملك الدنيا عوضه المقام المحمود وان له عندنا لزلفى
قربة ومنزلة وحسن ماب مرجع في جوارنا ولم ينقص ملك الدنيا شيئا من مكانته
واذكر عبدنا ايوب هو ايوب بن عيص بن اسحق لما ذكر اولي النعم والالاء اردفه
بذكر ذوي العاهات والبلاء ليعلم انهم كانوا مع الله في السراء والضراء ولذلك قال بعد
شرح ملك سليمان ونصب ايوب في كل منهما نعم العبد ومن ذلك افترق اهل
الحق في الغني الشاكر والفقير الصابر ايهما اقرب الى الله اذ نادى ربه بدل اشتمال
اني مسني الشيطان بنصب تعب ومشقة في بدني وعذاب اليم في القلب وقيل
الاول في البدن والثاني في المال والاولاد وانما نسبه الى الشيطان وان كان الكل
ذلك بخلق الله تعالى تادبا ولان ما حصل له بفعل ترتب على وسوسته او اعجب بكثرة
المال او استغاثه مظلوم فلم يغثه او كانت مواشيه في ناحية كافر فداهنه او كان يغره
على الجزع والقنوط وان لو كان له عند الله منزلة لما ابتلاه اركض برجلك اضرب
بها اي فقيل له ذلك اتاها واسطة او بواسطة هذا مغتسل بارد وشراب وانما قدم
البارد لانه احسم للمرض المجرور ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح
جهنم فابردوها بالماء وان صح ما يقال لما ركض برجله نبعت عينان حارة وباردة
فتقديم البارد للفواصل وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم بينا ايوب
يغتسل خر عليه رجل من جراد ذهب ووهبنا له اهله ومثلهم معهم اي اضعاف ما كان

رحمة منا عليه وذكرى وموعظة لمن يسمع بحاله فيصبر على بلائه لاولي الالباب
لارباب العقول الخالصة عن شوائب الاوهام ومن الامثال لكل شئ اخر والصبر نعم
الناصر وخذ بيدك ضغثا حزمة من حشيش او ريحان او غيره واصله الاختلاط ومنه
اضغاث الاحلام فاضرب به ولا تحنث في يمينك فان زوجته كانت ذهبت
في حاجة فابطأت عليه فحلف ليضربنها مائة ضربة فحلل الله تعالى يمينه وهون عليه
وتلك السنة باقية في الحد وانا وجدناه صابرا ولا ينافيه الشكوى الى الله تعالى واختلف
في مدة بلائه وقد تقدم في سورة الانبيا نعم العبد انه اواب رجاع بالذكر والتوبة
واذكر عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب هؤلاء ايضا اهل البلاء وقدم ايوب لانه علم
في ذلك وقرأ ابن كثير عبدنا بالافراد اما لقصد الجنس او لارادة ابراهيم عليه السلام اشارة الى
شرفه والجمع هو المختار لقوله آبائك ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار
ذوي القوة في الاعمال والبصاير لنفوذ في التدبر والافكار وفيه تعريض بالبطلة الجهال بانهم
كالزمن والعمي انا اخلصناهم جعلناهم خالصا اصفيا لا كدر فيهم ثم بينه بقوله بخالصة
اي بخصلة لا شوب بها هي ذكرى الدار بيان لتلك الخصلة وحاصله نزعنا من قلوبهم حب
الدنيا فليس لهم الا هم الدار الاخرة وانما اطلقها لان الدار حقيقة وانما الدنيا كمنزل الركب
اراح عشا وفي الصبح راحل وقرأ نافع وهشام بالاضافة اما الى الفاعل اي بان
خلصت ذكرى الدار لهم ولم تشب بغيرها او الى المفعول على ان الخالصة مصدر متعد بمعنى
الاخلاص اي بان ذكروا الناس ورغبوهم في الاخرة وزهدوهم وهذا الوجه احسن لانه
تكميل يستدعي سبق الكمال وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار جمع خير بسكون الخا كشر
واشرار او بفتح الخا جمع خير مشددا او مخففا كميت واموات المصطفين بها اذ المختار
لا يكون خيرا واذكر اسمعيل واليسع وذا الكفل هما ابنا عم وكل من الاخيار اي كلهم هؤلاء
هذا ذكر اي القرآن شرف تذكرون به او هذا ذكر من مضى من الانبيا او لما اريد
نقل الكلام من ذكر الانبيا الى ذكر الجنة وهما نوعان من الكلام قال هذا ذكر كما يقول
الكاتب اذا فرغ من باب واراد الشروع في باب اخر هذا وان للمتقين لحسن
مآب مرجع جنات عدن بدل او عطف بيان وهو من الاعلام الغالبة مفتحة
لهم الابواب حال والعامل فيه هو العامل في الجار والمجرور والتقدير جنات عدن
استقرت للمتقين حال كونها مفتحة لهم الابواب بدل اشتمال بلا راجع اكتفاء بدلالة
المعنى كما في بدل البعض ضرب زيد اليد او الرجل متكئين فيها يدعون فيها
بفاكهة كثيرة وشراب حالان مترادفان من ضمير لهم او متداخلان وايثار المضارع
في الثانية دون الاولى للتجدد والدعاء بها دون الاتكاء والاقتصار على الفاكهة
والشراب لان ما يتناول في الجنة انما هو للتلذذ لا لدفع الم الجوع وعندهم قاصرات
الطرف لا ينظرون الى غيرهم ازواجهن اتراب متفقات في السن او لازواجهن فان

التحاب

التحاب بين اللدات اشد جمع ترب بمعنى المتارب كالمثل بمعنى المماثل لان
التراب يمسهن معا هذا ما توعدون ليوم الحساب اي لاجله فان الحساب علة
الوصول الى الجزاء وقرأ ابن كثير وابو عمرو يوعدون بالياء جريا على سنن ما تقدم وليبعد
بالخطاب التفاتا وهو احسن معنى واوفق لقوله وانتم فيها خالدون بعد قوله
يطاف عليهم ان هذا لرزقنا ما له من نفاد انقطاع هذا تقدم الوجه فيه آنفا وان
للطاغين لشر مآب جهنم بدل او بيان يصلونها فبئس المهاد وهو مستعار من
فراش النائم هذا فليذوقوه حميم هذا مبتدأ وحميم خبره وفليذوقوه اعتراض على نحو
زيد فافهم رجل صالح او هذا فليذوقوه بالاضمار على الشريطة او خبر مبتدأ اي العذاب
هذا وغساق عطف على حميم وهو ما يسيل من صديد اهل النار من غسق الدمع
نطف قيل هو شراب يحرق بالبرودة كما ان الحميم يحرق بفرط الحرارة وعن الحسن
عذاب لا يعلم عظمه الا الله تعالى مقابل لما اعده لاهل الجنة الذي اشار اليه بقوله
فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقرأ حمزة والكسائي وحفص مثقلا عن الفراء
هما لغتان وقيل الاول اسم كالنكال والعذاب والمشدد صفة او نسبة كالتمار
واخر من شكله من مثل هذا المذوق عطف على حميم وغساق ازواج صفة للثلاثة
او لاخر لانه ضروب واجناس وقرأ ابو عمرو واخر بالضم جمع اخرى ككبر وكبرى وازواج
خبره ومن شكله صفة المفرد اخف والجمع اظهر ولا يخفى ما في ابهام اخر من التهويل هذا
فوج مقتحم معكم كلام الرؤسا من الطاغين للاتباع حين دخول النار كقوله كلما دخلت امة
لعنت اختها الا ان الاغلب هناك من الاتباع وهنا بالعكس والاقتحام الدخول في الشيء
عنفا وقيل هو كلام الخزنة وقوله لا مرحبا بهم انهم صالوا النار كلام الرؤسا تعليل لاستيهال
الاتباع هذا الدعاء وقيل الكل كلام الخزنة قالوا اي الاتباع بل انتم لا مرحبا بكم انتم
قدمتموه لنا بالاغواء والاغراء فانتم احق بهذا الدعاء فبئس القرار مكاننا قالوا ربنا من
قدم لنا هذا فزده عذابا ضعفا في النار اي مضاعفا للضلال والاضلال كقوله ربنا
هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار وان جعل قوله لا مرحبا بهم من كلام الخزنة فوجه
قوله بل انتم لا مرحبا بكم ان يكون كلام الاتباع للرؤسا لما دعا عليهم الخزنة صرفوا
الدعاء اليهم لانهم السبب وقالوا ما لنا لا نرى رجالا كنا نعدهم من الاشرار استفهام
تعجب وتحسر اتخذناهم سخريا صفة رجالا ام زاغت عنهم الابصار ام منقطعة او متصلة
بقوله ما لنا لا نرى كانهم لما لم يروهم في النار وتعجبوا من ذلك قياسا على حظوظ الدنيا
سلوا انفسهم ببعض التسلي وقالوا بل زاغت عنهم الابصار فلا نريهم في النار وهم فيها
وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير وعاصم بالاستفهام انكارا على انفسهم كيف اتخذوا
سخريا من كان اعلى شانا منهم ثم اضربوا الى قولهم بل زاغت عنهم الابصار او متصلة
ومعادلها اتخذناهم على انكار الامرين جميعا كانهم قالوا منكرين على انفسهم اي الفعلين

نعتا لهم السخرية او الازدراء والتحقير اذ المسخور منه ربما كان محبوبا وفي اسناد الزيغ
الى الابصار اشارة الى شدة الازدراء بهم كانهم لفرط كراهتهم تحجبهم الاعين وان قدرت
همزة الاستفهام في الوجه الاول لدلالة ام عليه يستوي القراءتان وقرا نافع وحمزة
والكسائي سخريا بالضم السين وعن مجاهد ان الضمير في قالوا لصناديد قريش ولا دليل له
فالوجه التعميم في كل طاغ ان ذلك لحق اي ما ذكر من التقاول كائن لا محالة تخاصم
اهل النار بيان له وكان الظاهر ان ذلك التخاصم حق وانما قدم الحق اهتماما قل
يا محمد لمشركي مكة انما انا منذر لا ساحر كذاب كما تقدم منهم في اول السورة وهذه الدعوى منه
بعد ما تقدم ما يدل على كونه رسولا باثبات كون القران معجزا وما اردفه به من ذكر الانبياء
مع اممهم مما يستقل بنوع من الاعجاز وما من اله الا الله الواحد القهار اي مبعوث
بهذين الامرين الانذار والى التوحيد او المعنى انما انا منذر وليس لي علم بمقدار عقاب
من هذا شانه فالانذار هو المبعوث به والدعوة وهذا التحقيق له تتمة والاول هو الوجه لقوله
رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار اذ التعقيب بهذه الصفات
دليل على كون الدعوة مقصودة ولان هذا المخصص ما تقدم ومن ذلك قولهم اجعل الالهة
الها واحدا قل هو نبا عظيم اي ما اتيت به من الانذار والدعوة الى التوحيد وقيل
يوم القيمة وقيل القران انتم عنه معرضون لتماديكم في الغفلة ما كان لي من علم
بالملا الاعلى دليل على كونه رسولا اذ يختصمون يتعلق بمقدر اي بكلامهم في ذلك الوقت
ان يوحى الي الا انما انا نذير مبين اي الا لانما انا نذير كقولك لرسل في امر ما كلفك
الا انك حكيم مرشد ولم اومر الا بهذا الامر المشتمل على الامور كلها صريحا او التزاما ولم
اومر الا بهذا الانذار دون الهداية اذ قال ربك للملائكة اني خالق بشرا من طين
بدل من اذ يختصمون فان قلت اذ يختصمون ظرف لكلام الملائكة وهذا الكلام بعد
فكيف يصح ابداله منه قلت ذلك زمان ممتد وقع فيه الفعلان فان قلت ما كان
ذلك الاختصام قلت هو تقاولهم في شان ادم واباء ابليس فان قلت الملا
هم الاشراف وذلك التقاول انما كان من جميع الملائكة كما صرح به في البقرة بقوله
واذ قال ربك للملائكة وقوله قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء قلت ذلك
القول نسب الى الكل لكونه صادرا عن البعض كما يقال بنو فلان قتلوا زيدا او لانك
ان المتصدي لجواب الله انما هو الاشراف فان قلت الملا اسم الجمع فلم وصف
بالمفرد قلت بالنظر الى اللفظ وما قيل من الجائز ان يكون مقاولة الله والملائكة اياهم
بواسطة الملك وان يكون الملا شاملا لله والملائكة فلا يخفى بعده من غير ضرورة
دعوى ارتكابه هذا والوجه ان يكون المراد باختصام الملا الاعلى ما في الحديث
وهو قوله رايت ربي في احسن صورة فقال لي فيم يختصم الملا الاعلى قلت لا اعلم
فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها في صدري فعلمت ما في السماء والارض ثم قال لي فيم

تختصم

تختصم الملا الاعلى قلت في الكفارات والحدود ثم اشار سبحانه الى قصة البعد
والغرب بقوله اذ قال ربك للملائكة ومما يؤيده قوله ان يوحى الي الا انما انا نذير
مبين فاصلا في البين فاذا سويته عدلت خلقه ونفخت فيه من روحي الاضافة
للتكريم فقعوا له ساجدين من غير تراخ لم يذكر جواب الملائكة لانه تكرر مرارا ولان
مصب الغرض هنا حديث ابليس اشارة الى انه لمخالفة امر من الاوامر جرى عليه
ما جرى عليهم فكيف بهم وهم مغمورون في الكفر وانواع المعاصي وايماء الى انه امامهم
في الدنيا لانه اول من سن العصيان وفي الاخرة فادعهم الى النار فسجد الملائكة
كلهم اجمعون التاكيد بكل واجمعين للمبالغة في الاحاطة والشمول وقيل للدلالة على
ان سجود الكل كان في زمان واحد وذلك لملاحظة المعنى الاصلي في لفظ اجمع وان
كان علما من اعلام التاكيد والمناسبة المقام لان الاحاطة على وجه الاجتماع
في زمان اتم واكثر مدحا للملائكة واشد تقريعا لابليس الا ابليس استكبر ترفع عن قدره
لم يذكر اباءه لان الاستكبار يستلزمه وكان من الكافرين في علم الله في الازل
او صار بين الملائكة كافرا قال يا ابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ذكر
اليد تمثيل وتصوير والتثنية للدلالة على كمال الاعتناء بشانه وان لو كان خلقه مما يحتاج
الى الجارحة واستعمال الالة لكان من العظم بحيث لا يزاول الا باليدين استكبرت
ام كنت من العالين اي ترفعت من غير استحقاق ام كنت من العالين
بعضا ما شابهم بعد وامن جملتهم قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
هذه الشبهة الفاسدة لم يلاحظ شان الامر وانه المالك المتصرف له ان يامر الاشرف
بخدمة الاخس وان الحسن ما حسنه والملائكة الذين هم الملا الاعلى لم يتجسسوا عن
حال المادة ولا نظروا الى التفاضل بين الاصلين بل بادروا بعد الامر الى ما امروا به
هذا وهم مخلوقون من النور وجواب ابليس اختيار للشق الثاني ودعوى انه في
نفسه من العالين معللا بكونه مخلوقا من النار وقد بينا فساد تعليله في الاعراف
قال فاخرج منها فانك رجيم مرجوم مطرود من دار الكرامة ومحل الانس لان
العادة رجم المطرود بالحجارة او مرجوم بالشهب وان عليك لعنتي البعد من
جواري ذكرها بعد الرجم اشارة الى كمال خسرانه ببعده من الله الى يوم الدين اي
انقطاع التكليف وحرف الغاية ليس للانقطاع بل لانه يرى بعدها من العذاب
ما ينسى الظلم قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم
الوقت المعلوم اجابة لسؤاله وانما عبر عنه باليوم المعلوم اشارة الى ان ذلك
كان في علم الله قبل سؤاله بل في الازل وقيل لم يجبه الى ما سال اذ قصد ابليس ان
يوم البعث لا موت فيه فيتخلص منه قال فبعزتك بصفات جلالك التي انا من
مظاهرها ومحل حلولها لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قرا نافع

والكوفيون بفتح اللام وهو المختار قال فالحق والحق اقول بنصب الاسمين على ان
الاول مفعول مطلق اي احق الحق او على الاغراء اي الزموا او على حذف حرف
القسم وايصال الفعل كقوله ان عليك الله ان تبايعا تؤخذ كرها او تجي طائعا
وجوابه لاملان والثاني نصب باقول والجملة اعتراض بين القسم وجوابه تؤكيدا
وقرا عاصم وحمزة الاول بالرفع مبتدا خبره لاملان او معنى كقوله الحق من ربك
او خبرا انا اي انا الحق نحو قتعالى الله الملك الحق او قولي الحق نحو قوله الحق لاملان
جهنم منك وممن تبعك منهم اجمعين تؤكيد للضمير المجرور في منهم على معنى اي
لاملان بمن تبعك من الناس كائنا من كان وترك ذكر التابع من الشياطين
اكتفاء اذهم اولى بذلك من الناس لقوله ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن
والانس او تاكيد لضمير منك اي من جنسك والمجرور في من تبعك فيشمل الكل
والاول اوجه لان التقاول بينه تعالى وبين ابليس انما هو في شان عباده الذين
عادى اباهم ولعن لاجلهم قل ما اسالكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين بان
اتقول على الله واقول شيئا ليس عندي وليس الغرض من قوله هذا اعلامهم بفايدة
هذا الخبر بل استشهاد بمعرفتهم حاله على صدق مقاله ان هو الا ذكر للعالمين
اي القران موعظة للثقلين وهذا ابلغ من قوله ذي الذكر في اول السورة فانتظم
الخاتمة مع الفاتحة ولتعلمن نباه بعد حين بعد الموت او قيام الساعة او ظهور
الاسلام وفيه تهديد ووعيد شديد تمت السورة والحمد لله سورة زمر وهي اثنتان
وسبعون اية مكية الا قوله قل يا عبادي الذين اسرفوا الى آخر ثلث ايات
بسم الله الرحمن الرحيم تنزيل الكتاب مبتدا اخبر عنه بقوله من الله العزيز الحكيم
او خبر مبتدا محذوف اي هذا والجار صلة التنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف
او حال عمل فيه معنى الاشارة لان المقدر كالملفوظ والكتاب على الاول القران
لاطلاق اللفظ وفخامة المعنى وعلى الثاني السورة لقرينة الاشارة والاول اوجه
لما ذكرنا ولقوله انا انزلنا اليك الكتاب بالحق ملتبسا به او بسبب اظهاره فاعبد الله
مخلصا له الدين محرجا له الدين عن شوب الشرك والريا الا لله الدين الخالص
اي تنبهوا ايها السامعون بان الذي يجب ان تخلص له الدين هو لا غير لانفراده
بصفات الجلال والجمال والاطلاع على الاسرار والذين اتخذوا من دونه اولياء المستكن
في اتخذوا للموصول وهم العابدون والخبر يقولون مقدرا قبل قوله ما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى او الخبر ان الله يحكم بينهم والقول حال او الموصول للمعبودين والمستكن
للمشركين وان لم يسبق ذكرهم لدلالة السياق والعايد الى الموصول محذوف اي الذين
اتخذهم المشركون اولياء ويتعين ان الله يحكم بينهم للخبرية والقول المقدر حال وقيل بدل
من الصلة وليس بذاك اذ حذف البدل مناف للمقصود منه فيما هم فيه يختلفون

اي العابدون

اي العابدون والمعبودون واختلافهم انهم يلعنونهم ويتبرؤن منهم وهم يرجون
تقريبهم الى الله او الفريقان من المؤمنين والكفار واختلافهم ظاهر والحكم فيهم ادخال
المحق الجنة والمبطل النار ان الله لا يهدي لا يوفق من هو كاذب كفار اي
لا يهديهم والاتيان بالمظهر تعليل الحكم واثار صيغة المبالغة في الوصف الثاني
لانه منشا الاول لو اراد الله ان يتخذ ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء اي لو اراد اتخاذ
الولد لامتنعت تلك الارادة اي تعلقها لان الاتخاذ محال والارادة صفة ترجح
بعض الممكنات فحذف الجواب وجي بدله لاصطفى اشارة الى ان الممكن في حقه
هو هذا لان المخلوق لا يماثل الخالق فلا يتاتى التوالد حقيقة فلو مثنا مثلها في قوله لو
كان فيهما الهة الا الله لفسدتا ثم اشار الى دليل الامتناع بقوله سبحانه هو الله الواحد
هو الاله لا غير فلو كان له ولد لكان شريكا له لكان جزءا منفصلا منه والواحد الحقيقي
من كل جهة لا يعقل فيه ذلك ولانه يماثل الوالد في تمام الماهية فيمتاز كل منهما بتعين
ولا يستند ذلك التعين الى الماهية والا لانحصرت في فرد فيكون بسبب منفصل
وهو عين الاحتياج تعالى عن ذلك القهار الذي لا يغالب وكل شي تحت
قهره وفيه نفي الزوال المحوج الى الولد الذي يقوم مقامه ثم بين ذلك بما لا مزيد عليه بقوله
خلق السموات والارض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل التكوير
اللف من كار العمامة وكورها لفها على راسه ولما كان الليل والنهار خلفة يعقب
كل منهما الآخر شبه احاطة كل منهما بالآخر اي بمكانه بان يصير اسود مظلما بعد ما كان
ابيض مشرقا وبالعكس باللباس الملفوف على صاحبه او شبه تغيبه كل منهما
الاخر بستر الشي الظاهر عن مطامح الانظار او لما كر كل منهم على الآخر كرورا متتابعا
كتتابع اكوار العمامة شبه به وهذا اوجه لاشتماله على الزيادة وهي الاطراد والدال على
على كمال الاقتدار ولا يضر كون الاكوار في العمامة متظاهرة وفيهما متعاورة وسخر الشمس
والقمر كل يجري لاجل مسمى منتهى دوره ومنقطع حركته الا هو العزيز الغفار لما كان
الدليل الذي ساقه لحسم مادة توهم الولد بل الشركة مشتملا على كمال الاقتدار مدمجا فيه
معنى الرافة بما اشار اليه من التكوير الذي هو مدار الراحة والتكسب ذيله بالوصفين
ترغيبا للمذنب في التوبة وترهيبا للمصر بالعقاب خلقكم من نفس واحدة ثم
جعل منها زوجها قدم دلايل الآفاق لكونها احد وقد يقدم دلايل الانفس لكونها
اغرب وابدع باعتبار المقامات وفيها ثلث دلالات الاول خلق ادم من
تراب ولم يصرح به لشهرته الثاني اخراج حوا من ضلعه الاقصر وثم للتراخي رتبة
لان خلقها على النمط المذكور ابدع من تشعب الخلق الكثير من ام واب او عطف
على مقدر اي خلقكم من نفس واحدة خلقها ثم خلق منها زوجها وقيل خلقكم اشارة الى
اخراجهم في عالم الذر وخلقها في هذا العالم وانزل لكم من الانعام ثمانية ازواج هي

التی عدها فی الانعام من الابل اثنین ومن البقر اثنین ومن الضان اثنین
ومن المعز اثنین والانزال اما انزال الماء الذی هو سبب تعیشها او لان قضایاه
تعالی توصف بذلک لانها مسطورة فی اللوح او لانه انزل هذه الاجناس من الجنة
والزوج اسم لکل شیء معه آخر من جنسه فاذا انفرد فهو فرد و وتر یخلقکم فی بطون
امهاتکم بیان لکیفیة خلق ما ذکر خص الانسان لانه المقصود ویعلم حال البواقی منه
او علی طریقة التغلیب خلقا من بعد خلق بشرا سویا من بعد عظام مکسوة
لحما من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف فی ظلمات ثلث ظلمة البطن
والرحم والمشیمة او الصلب والبطن والرحم ذلکم الموصوف الله ربکم الذی هو
له الملک السلطان دون غیره لا اله الا هو فانی تصرفون کیف یعدل بکم بعد
هذا البیان الی الشرک تعجیب ان تکفروا فان الله غنی عنکم لان ذاته کافیة
فی کل کمال تعالی عن ان ینتفع بخیر او یتضرر بشر ولا یرضی لعباده الکفر لکل عبد
فان الرضی ایثار الشیء مع الاستحسان فهو اخص من الارادة ویقابل السخط والارادة
الکراهة فهما غیران بالضرورة ثم فی العدول من الخطاب اشارة الی ان کونهم عبیدا له
یقتضی ان لا یرضی لهم بذلک وانهم اذا اتصفوا بالکفر خرجوا عن ربقة العبودیة
حکم اشار الی مزید الاختصاص بقوله وان تشکروا یرضه لکم قرأ ابو عمرو فی روایة
السوسی وهشام عن ابن عامر والدوری عن ابی عمرو فی احد الوجهین باسکان الهاء
لما نقل القراء ان العرب تسکن هاء الضمیر اذا تحرک ما قبلها وضم بلا صلة عاصم وحمزة
وهشام فی وجه ونافع وبالضم والصلة ابن کثیر والکسائی وابن ذکوان والدوری
فی الوجه الآخر وهو الاصل لوقوع هاء الضمیر بین متحرکین ولا تزر وازرة وزر اخری
ثم الی ربکم مرجعکم فینبئکم بما کنتم تعملون انه علیم بذات الصدور بمضمراتها واذا مس
الانسان ضر دعا ربه منیبا الیه راجعا الیه لانحطاط ما له غیره وزوال ما نازع العقل
ثم اذا خوله اعطاه مالا وملکه من الخول وهو العطاء الذی لا یقصد به عوض اذا کان
له وقع لان اصله التعاهد والحفظ یقال فلان خایل مال اذا اصلحه و قام بامره
ومنه حدیث ابن عمر کان رسول الله یتخولنا بالموعظة کراهة السآمة علینا او من
الخول وهو الافتخار والتکبر ومنه الخیال لانه یوقع فیما لا حقیقة له نعمة منه کانه منه
نسی ما کان یدعوا الیه من قبل قبل الضر الذی کان یدعوا الله الی کشفه او الله الذی
کان یتضرع الیه وما زید بها الصفة کما فی قوله والسماء وما بناها وجعل لله اندادا لیضل
عن سبیله تعلیل للجعل وان لم یکن غرضا وقرأ ابن کثیر وابو عمرو ویضل بفتح الیاء
والضمیر یبغ ذا ما اذ کل مضل ضال قل تمتع بکفرک قلیلا امر تهدید یراد منه وجود
الفعل انک من اصحاب النار اقناطا له عن نعیم الجنة امن هو قانت آناء اللیل
قایم بوظائف الطاعات فی ساعات اللیل لان القیام فیها اشق واستر والبعد من الریا

واقرب

واقرب الی الاجابة ام متصلة ومعادلها محذوف لتقدم ذکر الکافر والقوله قل
هل یستوی الذین یعلمون والذین لا یعلمون والاستفهام للتبکیت کانه بعد ما خص
الموجب لاخلاص الدین له قال سلهم هل من اثر الکفر کمن قام بشکر النعمة ویجوز
ان یکون منقطعة کانه قال اعرض عن بیان الموجب لانه جلی وقل اهذا خیر ام
ذاک وقرأ نافع وابن کثیر وحمزة امن مخففا علی انها همزة استفهام دخلت
علی من الموصولة والمعادل محذوف لما تقدم ساجدا او قائما لان یحذر الآخرة
ویرجوا رحمة ربه حال اخر او استیناف للتعلیل قل هل یستوی الذین یعلمون والذین
لا یعلمون ای هل یستوی القانت وغیره وانما آثر ما فی التنزیل دلالة علی ان
ذلک مقتضی العلم وان العلم اذا لم یقرن بالعمل لیس بعلم سواء جعل من اقامة
المظهر مقام المضمر او استینافا فالسؤال للتبکیت ویجوز ان یکون علی طریقة التشبیه ای
کما لا تساوی بین العالم والجاهل فکذا بین القانت وغیره ولا ارتیاب لبیب
فی الثانی لانه مرکوز فی الطباع وقیل همزة امن حرف النداء کانه قیل یا من هو قانت
آناء اللیل قل لهم هل یستوی الذین یعلمون والذین لا یعلمون علی ان المنادی
رسول الله صلی الله علیه وسلم والوجه هو الاول لوفور فوایده انما یتذکر اولوا الالباب
العقول الخالصة من شوایب الوهم قل یا عبادی الذین آمنوا اتقوا ربکم او فقد
علمتم ان الطایع لیس کالعاصی للذین احسنوا فی هذه الدنیا ای اخلصوا الدین
لله فیها حسنة وای حسنة وارض الله واسعة اعتراض لدفع ما عسی یتعلل به
المفرط انما یوفی الصابرون اجرهم بغیر حساب من تتمة الاعتراض کانه لما ازاح
علتهم بان فی ارض الله سعة حال فی علدهم هل یمکن ان یکون الانسان فارغ البال
فی غیر بلدته اجیبوا بان اجر الصابرین بغیر حساب انما هو لارتکاب مشقة الهجرة
ومفارقة المحاب وعن السدی ان حسنة مبتدأ وفی هذه الدنیا بیان وللذین احسنوا
الخبر والمعنی ان لهم فی هذه الدنیا حسنة یسیرة هی الصحة والعافیة وتمام توفیه
الاجر فی الآخرة قل انی امرت ان اعبد الله مخلصا له الدین جواب لقریش لما دعوه
الی ملة عبد المطلب وامرت لان اکون اول المسلمین وامرت بذلک الاخلاص
لاکون مقدما فی الدنیا والآخرة حائزا قصب السبق ویجوز ان یکون اللام مزیدة
یدل علیه قوله امرت ان اکون اول من اسلم اول المؤمنین اول المسلمین وفایدتها
تاکید الطلب والارادة ولا تزاد الا مع ان خبرا لما فات من الاصل والاصل
فی المفاعیل صرایح الاسماء والمعنی امرت ان اکون اول الذین دعوتهم الی الاسلام
اسلاما ویلزم ان یکون اول مسلم فی زمانه ومن قومه واول من دعا نفسه الی ما دعا
الیه غیره قل انی اخاف ان عصیت ربی عذاب یوم عظیم بترک الاخلاص
قل الله اعبد له مخلصا له دینی ولیس فیه تکرار لان الاول للاخبار بانه مامور بالاخلاص

واللام في امر بالاخبار باختصاصه تعالى به دون غيره فاعبدوا ما شئتم من دونه امر
تهديد كما تقدم قل ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيمة اي ان
الكاملين في الخسران الذين اوردوا انفسهم واهليهم في النار او خسروا اهليهم
بان فارقوهم مفارقة لا رجوع بعدها ان كان من اهل الجنة او اهليهم في الجنة ان
لو كانوا مؤمنين وفي الحديث ما من عبد الا وله مقعد في الجنة ومقعد في النار
الا ذلك هو الخسران المبين استيناف صدر بحرف التنبيه والمبتدا اسم الاشارة ووصف
الخسران بالمبين بعد توسيط الفصل وتعريف الخبر مبالغة في خسرانهم ثم زاد عليه بقوله
لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل اي يحيط بهم النار المتكاثفة من جميع
الجهات واطلاق الظلل على الاطباق السفلى من اطلاق اسم الضد او لمماثلتها لما فوقها
في الحرارة وقيل لانها ظلل لاخرين ويرد عليه اهل الدرك الاسفل مع ان التكاثف
هناك اشد ذلك يخوف الله به عباده اي ذلك العذاب المذكور يخوف الله به عباده
يا عباد فاتقون اي عبادي المؤمنين فاتقوا العذاب المعد للكافرين والذين
اجتنبوا الطاغوت اصله طغيوت او طغووت من الطغيان قدم اللام على العين
ففيه مبالغات من حيث البناء والتسمية بالمصدر والقلب اولا يصار اليه الا للمبالغة
يطلق على الشيطان حقيقة لانه راس في الضلال وعلى غيره مجازا ان يعبدوها
بدل الاشتمال وانابوا الى الله اقبلوا اليه بشراشرهم لهم البشرى من الله على لسان الرسل
والملائكة عند الموت فبشر عبادي الذين يستمعون القول اي فبشرهم واظهار المظهر
لبيان تعدد موجب الاستحقاق فيتبعون احسنه اي احسن الجارين بايثار الراجح
كالعفو على القصاص والاغضاء على الانتصار والاخفاء على الابداء فهو خير لكم وحاصله
حراص على ايثار الافضل فالافضل نقادا وفيه تحقيق الانابة وعن ابن عباس هو
الرجل يسمع الحديث فيه الحسن وغيره فيحدث بالحسن ويكف عما سواه اولئك الذين
هداهم الله ووفقهم لذلك الايثار وكرر امتنانا واولئك هم اولوا الالباب العقول
الخالصة عن شوائب الوهم ثناء عليهم بانهم لم يدنسوا الفطرة افمن حق عليه كلمة العذاب
افانت تنقذ من في النار جملة شرطية عطفت على مقدر اي انت مالك امرهم فمن
حق عليه العذاب فانت تنقذه وكررت الهمزة لتاكيد الانكار لان الشرط والجزاء
جملة واحدة والاستفهام انما يتوجه الى مضامين الجمل ويجوز تنزيله على الجملتين
تقديره افمن حق عليه كلمة العذاب فانت تخلصه افانت تنقذ من في النار على ان
الثانية استيناف يدل على الجزاء المحذوف وحاصل الوجهين انه نزل استحقاقهم
العذاب وهم في الدنيا منزلة دخول النار امالان ضلالهم موصل اليه او تمثلت حاله
صلى الله عليه في المبالغة معهم بحال من يريد انقاذ من في النار لكن الذين اتقوا
ربهم لهم غرف من فوقها غرف قصور عالية مقابل لقوله لهم من فوقهم ظلل من النار

ومن

ومن تحتهم ظلل مبنية محكمة كالعلالي الدنيا يكون اضعف من الاسفل تجري من
تحتها الانهار لان الماء الجاري جالب للسرور وعد الله مصدر مؤكد لا يخلف الله
الميعاد لانه كذب وعجز تعالى عنه وعن علي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ان في الجنة غرفا يرى بطونها من ظهورها وظهورها من بطونها فقال له اعرابي لمن
هي يا رسول الله فقال لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وصلى بالليل والناس نيام
وعن ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان اهل الجنة يتراءون
اهل الغرف كما تتراءون الكوكب الدري في الافق الشرقي او الغربي فقالوا
يا رسول الله اولئك النبيون قال والذي نفسي بيده واقوام امنوا بالله ورسله
الم تر ان الله انزل من السماء ماء المطر او ساير المياه لما روي انه نزل تحت الصخرة
ثم يقسمه الله فسلكه ينابيع في الارض ادخله في اعماق الارض حال كونه عيونا تجري
في المجاري كالعروق في الجسد ثم يخرج به زرعا مختلفا الوانه انواعه واصنافه من بر
وشعير وساير الحبوب او اشكاله وهيئاته من السواد والبياض ثم يهيج ييبس
فتراه مصفرا من غاية اليبس ثم يجعله حطاما فتاتا ان في ذلك لذكرى تذكرة تدل
على ان للعالم صانعا مدبرا وعلى ان هذا مثل الدنيا وسرعة زوال نعيمها فيكون تنفيرا
عنها بعد الترغيب في الاخرة لاولي الالباب اذ غيرهم لا يتذكر افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه اشارة الى علة عدم قبول المشركين ما يدعوهم اليه من الايمان
وان ذلك ليس لقصور في الدلايل والالغاء وفتور في المبلغ بل لما استاثر الله به من
الهداية وفي الحديث ان الله خلق الخلق في ظلمة ثم القى عليهم نوره فمن اصابه من ذلك
النور اهتدى ومن اخطاه غوى وشرح الصدر كناية عنه لانه محل القلب الذي به الادراك
واليه اشار بقوله اذا دخل النور القلب انشرح له الصدر فقيل هل لذلك علامة قال نعم
التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والتاهب لما بعد الموت وهو مثل
امن هو قانت في حذف الخبر والدال عليه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله في اسناد
شرح الصدر اليه تعالى والقسوة الى قلوبهم اشارة الى سبق رحمته اولئك في ضلال مبين
ظاهر بادي لمن تامل نزلت في حمزة وعلي وابي لهب وولده الله نزل احسن الحديث
عن ابن مسعود رضي الله عنه ملوا ملة فقالوا له حدثنا يا رسول الله فنزلت ثم ان ايقاع
اسم الجلالة مبتدا وبناء نزل عليه دليل على احسنيته لصدوره ممن لا يتصور الخلل منه فهو
احسن حديث صدر من الخلل متكلم كتابا متشابها بدل من احسن اي متشابها بعضه
في الصحة والاحكام والابتناء على الصدق والحق وتناسب الالفاظ وتجاوب النظم وتاليفه
في الاعجاز مثاني جمع مثنى من التثنية او مثنى مفعل من الثني لان اقاصيصه واحكامه
ومواعظه تكررت في اساليب مختلفة وفيه رمز الى نوع اعجاز وذلك ان كل حديث اعيد
يسمج في المسامع بخلاف القران فانه كلما اعيد حلا وازداد تجملا فكان الوصف به مؤكدا

لاحسنيه او جمع مثنية لاشتماله على الثناء على الله والرسل والملائكة والمؤمنين
وانما وصف الكتاب باعتبار تفاصيله لقيام المعنى بها لا بالجملة ويجوز ان يكون
مثانى بيانا لمتشابها كقولك رايت رجلا احسن شمائل فيتقيد التشابه والاول املا
معنى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم تصوير لخوف بذكر اثاره وتشبيه حاله
باخرى على طريقة التمثيل او ذكر له بذكر لازمه او هو تحقيق الواقع وانهم اذا سمعوا تلاوة
القران تعتريهم تلك الحالة والاقشعرار انقباض الجلد وقف الشعر ثم تلين جلودهم
وقلوبهم الى ذكر الله اى رحمة الواسعة وانما لم تذكر لاشتهاره وتعالى بسبق الرحمة فلا يسبق
من ذكر الله الى الخاطر غيرها وقد دل عليها لين الجلود والقلوب ايضا وانما لم يذكر
القلوب اولا لان اقشعرار الجلد منشأه خشية القلب وقدم الجلود ثانيا اشارة
الى فرط رحمته وشدة سراتيها ذلك هدى الله يهدى به من يشاء ذلك الكتاب
والمنعوت نفس الهداية التى يوفق الله بها كقوله هدى للمتقين وفى ايثار من يشاء
على الضمير تفخيم لشانهم كانهم ممتازون من ساير العباد ولكونهم مصب المشية ومن
يضلل الله فما له من هاد او خلاف مراده ومحال افمن يتقى بوجهه سوء العذاب مثل اخر
للمؤمن والكافر كقوله امن هو قانت وقوله افمن شرح والمقابل محذوف للعلم به
اى كالامن وذكر الوجه لان الكافر يلقى فى النار منكوسا مغلولة يداه الى عنقه فلا يقدر
ان يتقى الا بوجهه يوم القيمة متعلق بيتقى او هو من تتمة سوء العذاب والمعنى
افمن يتقى عذاب يوم القيمة كالمصر على الكفر ويجوز ان يراد بالوجه الجملة والاصل العذاب
السوء وصفا بالمصدر ثم قدم الوصف واضيف مبالغة على مبالغة وقيل للظالمين
يقال لهم وايثار المظهر للتسجيل عليهم بالظلم والاشعار بالموجب والواو للحال ذوقوا
ما كنتم تكسبون اى وباله كذب الذين من قبلهم ثم بين هدهم بعد ضرب الامثال
وشرح مبانيه الاحوال وما للكفار من الويل والاهوال كانه يقول ان لم يكن لهم قلوب
يعقلون بها فلا اقل من ان يدركوا المحسوس فاتاهم العذاب من حيث لا يشعرون
فجاءهم بغتة من جهة لا يتصورون مجيئه منها وذلك افظع لان توطين النفس على الشدة
قبل اللقاء مما يهون فاذاقهم الله الخزى فى الحيوة الدنيا بالقتل والسبى والخسف وغيرها
ولعذاب الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون اولئك او هؤلاء لاعتبروا ولقد ضربنا للناس
فى هذا القران من كل مثل مما يحتاج اليه تتميم لما تقدم من الامثال وتمهيد لما سيضربه
لعلهم يتذكرون لان المثال يجعل المعقول كالمحسوس قرانا عربيا حال موكدة لان ذكر
الموصوف للتمهيد كانه قال عربيا محققا غير ذى عوج لا عوج فيه بوجه قط لانه فى سياق
النفى وهو ابلغ من قولك لا عوج فيه لانه يحتمل المبالغة كما فى لا فتى الا على ولذلك
اوثر على مستقيما وغير معوج والاختصاصه بالمعانى لعلهم يتقون بعد ذلك التذكر ضرب الله
مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل ارشده الى طريق المحاججة والتبكيت فى اوانها

فكانه قال اضرب لقومك هذا المثل وقل لهم ما يقولون فى عبد مشترك بين شركاء
مختلفين فيه متغالبين فيه يسعى فى خدمة كل منهم على حسب اغراضهم ثم هو مع هذا
التعب متحير فى شانه لا يدرى على من يعتمد وممن يطلب مؤنته ودايما ضايع الحال مضطرب
فهمه شعاع وقلبه اوزاع واخر لواحد من غير شركة فيه فهو فارغ البال رضى الحال
احواله مضبوطة ومقاصده بالنجاح منوطة فهذا مثل من يثبت الهة شتى يتغالبون فيه
فلا يدرى على ايهم يعتمد ولا احد منهم يقوم بامره ومن لا يثبت الا الها واحدا يقوم بما
يكلفه به والمولى راض عنه ملاحظ له بعين عنايته قرا ابن كثير وابو عمرو سالما بالف
بعد السين اسم فاعل اى خالصا عن الشركة والباقون بفتح اللام من غير الف مصدرا
بمعنى الخلوص اما بتقدير مضاف او جعل عينه مبالغة كرجل عدل وعليه الرسم هل
يستويان مثلا نصب على التمييز اى هل يستوى المثلان مثلين كلا لا يستويان وهم
معترفون بذلك فهم اذا محجوبون مبكتون مثلا الحمد لله اى قل الحمد لله على ما انعم عليك
بل اكثرهم لا يعلمون انك لم تحمد الله او لا يعلمون ان المحامد مختصة به لا يشاركه فيها
احد انك ميت وانهم ميتون اثر الميت على المايت مع ان المعنى على الاستقبال
لان من كان الموت طوق عنقه فحيوته عين موته وان طال المدى ثم انكم يوم القيمة
غلب المخاطب عند ربكم تختصمون بالبرهان على انك اجتهدت وبالغت وعيدوا ان
بالاباطيل تحته مثل قولهم انا وجدنا اباءنا وقولهم انا اطعنا سادتنا وكبراءنا وقيل
الاختصام اعم من ان يكون بينه وبينهم او بين المؤمنين والكفار والمؤمنين بعضهم
مع بعض وهذا منقول عن جل الصحابة والتابعين وذلك لان ضرب المثل للقبيلين
ولعموم الموت والتقييد فى قوله بل اكثرهم واما قوله فمن اظلم ممن كذب على الله وكذب
بالصدق وقوله والذى جاء بالصدق انما يدل على دخوله معهم دخولا اوليا والكذب على
بنسبة الولد اليه والصدق ما جاء به محمد جعل نفس الصدق مبالغة اذ جاء من غير تامل
بل عنادا ومكابرة اليس فى جهنم مثوى للكافرين فهو كاف لهم مجازاة والذى جاء
بالصدق وصدق به هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وصدق به ابو بكر وفيه ان
تقدير الموصول غير جايز ويجوز ان يراد الجنس او يقدر قبله او فريق ليوافقوا اولئك هم
المتقون والاحسن ان يراد رسول الله والاتباع يدخل بدلالة السياق كقوله ولقد اتينا
موسى الكتاب لعلهم يهتدون لهم ما يشاؤن عند ربهم من انواع الكرامة ذلك
جزاء المحسنين كل محسن ليكفر الله عنهم اسوء الذى عملوا ويجزيهم اجرهم باحسن الذى
كانوا يعملون اضافة الاسوء والاحسن من اضافة الشئ الى ما هو بعض منه كما فى حلم قريش
والاشج اعدل بنى مروان من غير مشاركة المضاف اليه فى اصل المعنى مع قصد
التفصيل على معنى ان الزلة المكفرة عندهم هو الاسوء لاستعظامهم المعصية والحسن الذى
يعملونه هو الاحسن عند الله حيث جازاهم على الحسن مجازاته على الاحسن اليس الله بكاف عبده

رد لمقالة المشركين حيث خوفوه ان محمدا سيصيبه آفة لذمه آلهتهم وهمزة الانكار دخلت
على النفي فافادت تقرير الاثبات اي كاف وقرأ حمزة والكسائي عباده اي الانبياء
كلهم او رسول الله واتباعه والافراد اوفق لقوله ويخوفونك بالذين من دونه وقوله انا
كفيناك ومن كفايته كفاية امته فهو اصوب الوجه وعليه الرسم ويؤيده انها نزلت حين
ارسل خالدا لكسر العزى فقال له سادنها احذركها يا خالد ومن يضلل الله يخذله فما له من
هاد ومن يهدي الله فما له من مضل اذ لا راد لقضائه ولا شيء دون ارادته اليس الله بعزيز
غالب ذي انتقام من اعدائه فانهم يخوفونك بعد علمهم بهذا ثم استدل على ذلك بقوله
ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله لا يقدرون على غير هذا القول
قل افرأيتم ما تدعون من دون الله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره او ارادني
برحمة هل هن ممسكات رحمته اي افرأيتم بانه المتفرد بالخلق فاخبروني عن حال
آلهتكم ان اراد ذلك الموصوف المتفرد ايصال ضر او خير الي هل يقدر على منع شيء من
ذلك وانما انث الضمير بعد قوله بالذين من دونه تحقيرا او تبعيدا عن رتبة الضر والنفع
لان الانوثة تنبئ عن الرخاوة والعجز وتقدم الضر لان دفعه اهم واهون وقرأ ابو عمرو
كاشفات ممسكات منونا ناصبا ما بعده لانه اسم فاعل معتمد على صاحبه روي انه لما سألهم
عليهم سكتوا فنزل قل حسبي الله اي كافي عليه يتوكل المتوكلون لتفرده بايجاد الضر والنفع
قل يا قوم اعملوا على مكانتكم المكانة ترادف المكان شاعت في الاحوال والرتب استعارة
محسوسة لمعقول وقرأ ابو بكر بالجمع للتوزيع اني عامل لم يقل على مكانتي ليقابل به مكانتهم
لعدم استمراره على حاله بل شانه في الزيادة كل يوم وقد دل عليه قوله فسوف تعلمون من
يأتيه عذاب يخزيه في الدنيا ويحل عليه عذاب مقيم دايم في الآخرة فانه اشارة الى كونه منصورا
مظهرا دين الله على الدين كله انا انزلنا عليك الكتاب للناس لاجل نفعهم بالحق بالتوحيد
والدين الثابت فمن اهتدى فلنفسه اذ نفعه لا يتجاوزه ومن ضل فانما يضل عليها كذلك
وما انت عليهم بوكيل بمسلط تجبرهم لكن عليك البلاغ وقد تمت به قيام الايد الله يتوفى
الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها تقرير لما تقدم من تفرده بالالوهية والاشارة
الى ان الاضلال والهداية كالاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والنفس ترادف الروح
وهي الجسم النوراني في البدن باتصاله الحيوة وبانفصاله الممات فان قلت التوفي اخذ
الشيء كملا فكيف يستقيم في النايم قلت للنايم والميت في عدم الحس والارادة سواء ولفظا
التعلق لا يمنع ذلك الاطلاق وما روي عن ابن عباس ان في ابن آدم نفسا وروحا بينهما
مثل شعاع الشمس فالنفس التعقل والتمييز وبالروح التحرك فالمقبوض عند النوم النفس دون
الروح لم يوافق عليه دلالة في ذلك برهان والله اعلم بصحة النقل عنه فيمسك التي قضى عليها
الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى الوقت المضروب لموته وقرأ حمزة والكسائي قضي
على بناء المجهول ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون في نوعي الامانة والامساك والارسال

ام

ام اتخذوا من دون الله شفعاء تشفع لهم قل اولو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون اي
او يشفعون ولو كانوا جمادات لا قدرة ولا علم لها قل لله الشفاعة جميعا لا يملك احد منها
شيئا الا باذنه كانوا يقولون ان الاصنام تماثيل لاناس مقربين عند الله او الملائكة
رد وذلك بان اولئك ايضا لا يملكون شيئا من الشفاعة لاختصاصه به تعالى له ملك
السموات والارض تقرير لذلك الاختصاص ثم اليه ترجعون يوم القيامة والملك
في ذلك اليوم على ابلغ وجه لانقطاع التعلقات كلها لقوله لمن الملك اليوم واذا
ذكر الله وحده اشمأزت انقبضت من التوحيد من شمز بهمزة زايدة وعن ابي زيد
اشمأز ذعر قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه مما يعبدونه
اذا هم يستبشرون فاجاءوا الاستبشار وامتلأوا سرورا لشدة غفلتهم واغراقهم في الكفر
حتى لم يوازوا مبدع الكائنات بتلك الجمادات قل اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة بلغ غلوهم في الكفر وشدة شكيمتهم الى ان لم يبق الا الالتجاء
الى رب العباد وبان يحكم بينه وبينهم وفيه اشارة الى ان ما اتي به من بذل الجهود وبلوغه
اقصى الغايات بطل ان عند الله حيث امر بهذه المقالة انت تحكم بين عبادك
في اشارة على قوله احكم بيني وبينهم مبالغة اخرى وكذا في اجراء الاوصاف الداله على كمال
الاقتدار واحاطة علمه بالجناية ايماء الى الانتصار والبطش الشديد فيما كانوا فيه يختلفون
من التوحيد والشرك او الحق والباطل ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه
لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة اجابة لدعائه بانه قد اعد لهم عذابا لو كان لاحدهم
الدنيا ومثلها معها وافتدى نفسه بها لم يقبل منه وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون
من العذاب الذي لم يخطر على قلب بشر كما لاهل الجنة ضد ذلك وقيل من اعمال
عملوها على انها حسنات فاذا هي سيئات قال ابن دريد يقال احسبت كذا اجرا
عند الله وبدا لهم سيئات ما كسبوا من اعمالهم حين عرضت الصحائف او جزاؤها
كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون احاط بهم جزاؤه فاذا
مس الانسان ضر دعانا لكشفه والعطف بالفاء دون ما تقدم اول السورة لسببية
ما قبله كانه قال اذا ذكر الله وحده اشمأزوا واذا مسهم ضر والم دعوا الذي كانوا اشمأزوا
من ذكره ونسوا ما كانوا يستبشرون بذكره وما بينهما اعتراض مؤكد لانكار ذلك عليهم
ثم اذا خولناه نعمة منا كاينة منا تفضلا وتحقيق معنى التخويل تقدم في اول السورة قال
انما اوتيته اي ذلك الحظ من النعمة وما في انما موصولة والضمير لها على علم مني بوجوه
كسبه او باني ساعطاه لما في من الاستحقاق او لعلمه تعالى بذلك بل هي فتنة ابتلاء
وامتحان ليتميز الشاكر من الكافر وتانيث الضمير باعتبار اللفظ او الخبر كقولهم ولكن
اكثرهم لا يعلمون ذلك دليل على ان الانسان للجنس او الاكثر بمعنى الكل كالقليل
بمعنى المعدوم قد قالها الذين من قبلهم اي مقالة مثل مقالة هولاء وهم قارون

والذين قالوا نحن اكثر اموالا واولادا فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون من ملك الاموال
فاصابهم بعد تلك المقالة عمن قريب سيئات ما كسبوا جزاؤها والذين ظلموا من هؤلاء
المشركين سيصيبهم سيئات ما كسبوا كما اصاب اولئك وما هم بمعجزين اولم يعلموا
ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر باعتبار الاوقات فدل ذلك على ان البسط ليس لدناءة
وانما هو بمشيته تعالى ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون بان المؤثر في الكائنات هو الله
ولما شدد في الوعيد وهدد اردفه بما يدل على رحمته الواسعة لكل شئ السابقة غضبه بان
امر رسوله بان يسكن خوف المؤمن والكافر بقوله قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم
افرطوا في الظلم جانين عليها لا تقنطوا من رحمة الله روى البخاري ومسلم ان ناسا من
اهل الشرك كانوا قتلوا فاكثروا وزنوا فاكثروا قالوا يا محمد ان ما تدعوا اليه لحسن لو علمنا
ان لما عملنا كفارة فنزلت فسقط ما قيل ان اضافة العباد اليه تخصص بالمؤمنين
ثم توسيط ان الله يغفر الذنوب جميعا مصدرا باسم الجلالة الدال على الالوهية المستلزمة
للغنى المطلق فانه لا يبالي في كل ما يفعل ويحكم بين المعطوف والمعطوف عليه وتعقيبه
بقوله انه هو الغفور الرحيم الدال على انحصار الغفران والرحمة فيه مع كون الجمع المحلى باللام
مفيد الاستغراق نص على ان شرط التوبة كلام من حاد عن الحق هذا وله نظاير كقوله
يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشاء وتقييد المشية بالتوبة كنسج العنكبوت وقرا ابو عمرو والكسائي لا تقنطوا بكسر النون
وقد تقدم انهما لغتان وانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل ان ياتيكم العذاب ثم لا تنصرون
اي توبوا الى الله واخلصوا له العمل قبل فوات وفيه ان مغفرته لغير التايب ليست بلازمة
والعاقل يفر من مظان الآفة واتبعوا احسن ما انزل اليكم القران لانه احسن الحديث
او الناسخ منه او المامور به دون المنهي عنه او العزايم دون الرخص من ربكم من
سيدكم المربي لكم بالارشاد الى الكمال من قبل ان ياتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون
بمجيئه ان تقول نفس كراهة ان تقول والتنكير لان القايل بعض الانفس وهي
الكافرة او النفس الممتازة بشدة الكفر او عظم العذاب او للتكثير يا حسرتا على ما فرطت
في جنب الله في طاعته مستعار من الجارحة لما يلزم الشئ كقول سابق البربري اما
تتقين الله في جنب عاشق له كبد حرى عليك تقطع وان كنت لمن الساخرين
كانه قال فرطت وانا ساخر والواو للحال او تقول لو ان الله هداني لكنت من المتقين
الشرك والمعاصي او تقول حين ترى العذاب لو ان لي كرة فاكون من المحسنين
ثم وجه هذا الترتيب ان النفس اوان اهوال يوم القيمة عند تطاير الصحف ومجازاة
الناس باعمالهم تتحسر على التفريط ثم تتعلل بان التقصير لم يكن منها ثم تتامل في ان
هذا لا يجدي نفعا لوقوع التقصير منها فتاخذ في تمني الرجوع واو التقرير هذا اعلم ان او هنا
مثل او في او كصيب دلالة على ان كل واحد يكفي صارفا عن وداعيا الى اتباع الحسن

ما انزل

ما انزل بلى قد جاءتك اياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين رد للقرينة
الثانية وهي قوله لو ان الله هداني وانما فصل عنها لئلا يتفكك نظم القراين ولو اخرت
الثانية لاختل الترتيب الذي عليه الوجود كما تقدم آنفا وتذكير الخطاب على ارادة
الشخص ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله كل كذاب على الله وجوههم مسودة
جملة موضحة لحال من تعلق به الرؤية او حالية وقيل في محل النصب مفعول ثان
لان الرؤية رؤية القلب وفيه ان الغرض بيان فضاحتهم فلا يلايم رؤية القلب
اليس في جهنم مثوى للمتكبرين اي لهم وابراز المظهر للاشعار بالعلية والاستفهام
للتقرير وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم بفلاحهم اسم مصدر من فاز بكذا ظفر به واسم
مكان بمعنى النجاة لان النجاة من اعظم الفلاح او المراد العمل الصالح والايمان
من اطلاق اسم المسبب على السبب وقرا الكوفيون غير حفص بصيغة الجمع لمطابقة
المضاف اليه لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون استيناف لبيان الفوز على الوجه الاول
حال على الثاني الله خالق كل شئ عاد الى ادلة التوحيد بعد توفيه مقام الوعد والوعيد
حقه وهو على كل شئ وكيل حافظ رقيب له مقاليد السموات والارض كناية عن
كونه مالك الامور فيهما بيده ازمتها لان حافظ الخزاين هو الذي بيده مقاليدها
جمع اقليد معرب اكليد على الشذوذ كالمذاكير جمع ذكر وقد روى ابن ابي حاتم عن
عثمان انه سال رسول الله عن المقاليد فقال له يا عثمان ما سالني احد قبلك
هي لا اله الا الله والله اكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة الا
بالله هو الاول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير
ولعل المراد ان من مجده بها فاضت عليه سجال نواله والذين كفروا بايات الله
اولئك هم الخاسرون متصل بينجي الله الذين اتقوا والتقدير وينجي الله المتقين
والذين كفروا بايات اولئك المخصوصون بعدم النجاة او بما يليه كانه قيل له مقاليد
السموات والكافرون يجحدون ذلك اولئك هم الخاسرون وهذا احسن لقربه
ولان قوله وينجي الله متصل بقوله ويوم القيمة ترى الذين كذبوا فلا يحسن ان يتخلل
بعده والذين كفروا كذا وكذا والمراد بايات الله دلايل قدرته قل افغير الله تامروني
اعبد ايها الجاهلون اي اترون هذه الدلايل فغير الله تامروني اعبد وانتصاب
غير اما باعبد وتامروني اعتراض والمعنى افغير الله اعبد بامركم ولولا هذا التقرير
لما صح لان ما في حيز المصدر لا تقدمه او بما دل عليه تامروني اعبد اي تعبدونني
بمعنى تقولون لي اعبد غيره والاصل ان اعبد فحذف ان كما في قوله الا ايهذا
الزاجري احضر الوغى قرا نافع تامروني بنون واحدة اكتفاء بها وابن عامر بنونين
الاولى بنون الاعراب والاخرى نون الوقاية والباقون مشددا بادغام الاولى
في الثانية ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك من الرسل لئن اشركت

ليحبطن عملك اللام الاولى موطئة والثانية لام جواب القسم الساد مسد الجوابين
وهذا الكلام على سبيل الفرض في الرسل لايقاظ المؤمنين واقناط الكفار والمعنى
اوحي اليك والى كل واحد من الرسل هذا القول لئن اشركت ليحبطن عملك
ولتكونن من الخاسرين وحبوط عملك مقيد بالموت عليه لقوله فيمت وهو كافر
او في الدنيا بعد الكفر اتفاقا والسابق عليه ايضا عند طائفة والقول بان هذا
من خصايصهم لاسند له مع فوات الغرض وهو تحذير الامة بل الله فاعبد
رد لما كانوا يدعونه اليه من استلام اوثانهم اي اقصر عبادتك عليه وكن من الشاكرين
على هذا التوفيق وما قدروا الله حق قدره من عرف قدر شيء عظمه على حسبه فعبر
عن اللازم بالملزوم ثم نبه على عظمته وكبريائه بقوله والارض جميعا قبضته يوم القيمة
والسموات مطويات بيمينه ولما دلت البراهين على انه منزه عن الجارحة والقبض
بها فاما ان يؤول المفردات بمعان مجازية تناسب المقام او يؤخذ زبدة الكلام
من غير التفات الى المعاني الحقيقية ولا المجازية بان يراد كمال اقتداره وتحقير
الافعال العظام التي تحير فيها الافهام والاوهام بالنسبة الى قدرته على طريقة التمثيل
والتخييل فان قلت اللفظ المستعمل في المعنى لايخلو عن كونه حقيقة او مجازا فما وجه ماذكرتم
قلت المراد عدم الالتفات الى معاني المفردات بالنظر الى الموصوف المجري عليه
وهو الله تعالى شانه اخذا لزبدة الكلام ولايقدح ذلك في استعمال المفردات في احد
المعنيين من حيث هي والارض اي الارضون السبع لقوله والسموات ولاقتضاء
المقام ذلك ولذلك اكده وقيل مجيء الخبر بقوله جميعا ومنه يظهر ضعف ارادة الابعاض
البادية والغامرة قبضته والقبضة مرة من القبض اطلق على المقبوض تسمية بالمصدر
كما روي انه صلى الله عليه وسلم نهى عن خطفة السبع وكقولهم الجزور اكلة لقمان وايثار
لفظ اليمين في السموات لدلالته على زيادة الاقتدار الملايم لعظمهن روى البخاري
باسناده الى ابن مسعود رضي الله عنه ان حبرا من احبار اليهود قال يا محمد ان الله تعالى
يجعل السموات على اصبع والارضين على اصبع والشجر على اصبع والماء على اصبع
والثرى على اصبع والخلايق على اصبع فيقول انا الملك فضحك رسول الله ثم قرا
الاية سبحانه وتعالى عما يشركون به من الجمادات ما ابعد ما راموا ثم بعد ما اثبت
ربه في ادلة التوحيد بضرب الامثال في طرق شتى حتى وضح الصبح لذي العينين
شرع في المقصود وهو بيان كيفية وقوع الساعة وما فيها من الاهوال بقوله ونفخ
في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله هذه هي النفخة الاولى
التي يموت فيها كل حي الا الحي القيوم وقيل هي الثانية لمغايرتها نفخة الفزع والمستثنى
جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت ثم يموت ميكائيل واسرافيل ثم جبرائيل
وملك الموت وايهما مقدم خلاف وقيل الشهداء وقيل موسى عليه السلام لما تقدم

في سورة

في سورة النمل ثم نفخ فيه اخرى وهي نفخة البعث فاول من يحيى بعد الصعق اسرافيل
صاحب الصور والعطف بثم لما روي ان بين النفختين اربعين يوما فاذا هم قيام
ينظرون ينتظرون ما يفعل بهم او يقلبون ابصارهم حيرة كالمبهوت واشرقت الارض
بنور ربها عبر عن الحق والكتاب والدليل بالنور الذي هو الظاهر في نفسه المظهر
لغيره وقد استعير هنا للعدل الذي يقيمه في ذلك اليوم وقد دل على ذلك اضافته
الى اسمه ثم اضافة اسمه الى الارض او نشر العدل وبسطه رونقها وكما افتتح الاية
ختمها بنفي الظلم ولقوله صلى الله عليه وسلم الظلم ظلمات يوم القيمة ولان ما عطف عليه
من وضع الكتاب وما بعده تفاصيل العدل وعلاماته وقيل هو عرض يخلقه في الارض
من غير شمس ولا قمر وقيل هو نور التجلي الجلالي او الجمالي باعتبار الاوقات ووضع
الكتاب ديوان القضاء وهو اللوح المحفوظ فيه كل حركة وسكون او كتاب الحفظة
واكتفى باسم الجنس وجيء بالنبيين والشهداء المؤمنين من امتهم يشهدون لهم بالتبليغ
او الكتبة او من استشهد في سبيل الله فانهم كانوا حول العرش طائفين متقلدي السيوف
فيحضرون ذلك اليوم وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقضي بينهم بالحق
بين العباد وهم لايظلمون بنقص حق او زيادة عقاب ووفيت كل نفس ما عملت
جزاؤه تقرير لما تقدم لان القضاء بالحق لايكون الا كذلك وهو اعلم بما يفعلون
من الاعمال وصفاتها من الاخلاص والرياء وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا
ساقتهم الملائكة بعد القضاء الى جهنم سوق الدواب بالعنف عطاشا عميا والزمر جمع
زمرة الجمع القليل شاة زمرة قليلة الشعر ورجل زمر قليل المروة ولعله بالنظر الى الجميع
والمراد طوائف الكفار مع ما عبدوه ويتبعونه الى النار حتى اذا جاؤها فتحت ابوابها
حين وصولهم بلا لبث وقال لهم خزنتها على وجه التوبيخ الم يأتكم رسل منكم من
جنسكم استفهام تقرير يتلون عليكم ايات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا اي لقاء
ما فيه من الجزاء وفيه دليل على ان لاتكليف قبل البعثة قالوا بلى ولكن حقت كلمة
العذاب على الكافرين اي علينا وذكر المظهر للاشعار بالعلية والكلمة قوله لاملان
جهنم اعترفوا بان لم يكن للرسل تقصير ولا في الايات من خفاء وانما الصارف
القضاء الازلي الذي لايتبدل قيل ادخلوا ابواب جهنم طبقاتها لقدر مراتبهم في الكفر
وابهم القائل تهويلا اذ من حقهم ان يقول لهم هذا القول كل قائل خالدين فيها
مقدرين الخلود فبئس مثوى المتكبرين جهنم اللام للجنس لان كل من ستر الحق
وانكره فهو متكبر وفي الحديث التكبر هو الترفع على الناس وغمط الحق وسيق
الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا طوائف النبيين والشهداء والعلماء والزهاد وسوق
هولاء سوق مراكبهم ليصلون الى الحور والقصور سريعا كما كانوا يسارعون الى الخيرات
حتى اذا جاؤها وفتحت ابوابها وجدوها مفتحة الابواب قبل مجيئهم اكراما واجلالا كما ترى

الملوک فی الدنیا کذلک وقال لهم خزنتها سلام علیکم من کل مکروه طبتم
فادخلوها خالدین ای طهرتم عن الذنوب فادخلوا طبقاتها علی مراتبکم وترتیب
الدخول علی الطیب والطهارة اشارة الی انه لا یدخل الجنة الا من طهر عن دنس
الآثام اما ابتداء او بالتوبة او بالشفاعة او بعد تمحیص الذنوب ویجوز ان یکون
دعاء من الملائکة کما تقول لمن یکون فی سرور طاب عیشک وقالوا الحمد لله
تلذذا لا تعبدا الذی صدقنا وعده بقوله ان المتقین فی جنات واورثنا الارض
ارض الجنة ترابها المسک نتبوأ منها حیث نشاء لغایة اتساعها فنعم اجر العاملین
الجنة من کلام الله او من کلامهم بعد الدخول وتری الملائکة حافین من حول العرش
محدقین به دائرین حوله اجلالا من مزید تقرب یسبحون بحمد ربهم ملتبسین به حال اخری
او مقیدة للاولی والمعنی ذاکرین فی طوافهم صفات جلاله وجماله وقضی بینهم بالحق
ای بین العباد کلهم وقیل الحمد لله رب العالمین اعادة لان الحمد الاول علی التفریق
بینهم فی الوعد والوعید والسخط والرضا وهذا علی التفریق فی الابدان فریق فی الجنة
وفریق فی السعیر وقیل القضاء الثانی بین الملائکة والحمد منهم علی تخصیص کل منه
بمنزلته ومقامه اللائق به والقائل هو المقضی بینهم او الکون کله ولذلک ابهم
تمت سورة الزمر والصلوة علی خیر البشر واصحابه اشرف الزمر من اهل المدر
والوبر سورة المؤمن مکیة آیها اثنان وثمانون آیة بسم الله الرحمن الرحیم حم
امال الحاء حمزة والکسائی وابوبکر وابن ذکوان لان الفها تنقلب یاء فی التثنیة
اسم السورة امتنع صرفه للعلمیة والتانیث او للترکیب والعلمیة او لکونه علی وزن
العجمی کقابیل وهابیل او حروف مقطعة واما امالة صغری ورش وابو عمرو
تنزیل الکتاب خبر حم او مبتدأ خبره من الله العزیز العلیم ایثار الوصفین للدلالة
علی ان من یجادل آیاته جاحد مقهور غافر الذنب وقابل التوب الاتیان
بالواو للدلالة علی ان التائب فائز بالطلبتین غفران الذنوب وقبول التوبة
الذی هو من اعظم المقاصد ولا یمنع ذلک غفران غیر التائب والتوب مصدر
کالتوبة وقیل جمعه والاضافة حقیقیة لارادة الاستمرار شدید العقاب اضافته
لفظیة تعد تنکیره للدلالة علی زیادة الانذار کقوله عند ملیک مقتدر لکمال الاقتدار
ای لا یوصف ملکه ولا یکتنه اقتداره فهو بدل علی ما نقل عن الزجاج وحده او
الکل ابدال ووصف بنیة اللام کما قال الخلیل فی قولک ما یحسن بالرجل خیر منک
ان یفعل کذا انه علی نیة اللام ذی الطول ذی الفضل الوافر من الطول بالضم الطول
الامتدادین وفی توحید صفة العذاب وتکثیر صفات الجمال دلالة علی تغلیبه
رحمته وانها مغمورة بها لا اله الا هو الا ذلک الموصوف الیه المصیر للجزاء الا الی
غیره فلا یعبد غیره ما یجادل فی آیات الله الا الذین کفروا بعد ما بین ان القرآن تنزیل

من الله

من الله الموصوف بالجلال والجمال اشار الی ان الجدال فیه کافر والمراد الجدال
بالباطل لقوله وجادلوا بالباطل ولقوله صلی الله علیه وسلم ان جدالا فی القرآن کفر
اراد او نوعا منه وهو المراد واما الجدال فیه لایضاح مشکله وازاحة الشبهة وتکثیر الفوائد
واستخراج الفوائد فهو شأن رسول الله والراسخین فی العلم فلا یغررک تقلبهم فی البلاد
فی رحلتی الشتاء والصیف الی الشام والیمن بالتجارات النافعة والمکاسب
المربحة والفاء السببیة ما قبلها ای اذا تبین انهم کفار عند الله فلا ینبغی لاحد ان یلتفت
الی ما هم فیه من الحطام او لک ایها الرسول کقوله فلا تمدن عینیک الی ما متعنا به
ازواجا منهم کذبت قبلهم قوم نوح رسولهم کما کذبوک هؤلاء والاحزاب من بعدهم
الذین تحزبوا علی الرسل کعاد وثمود وفرعون وهمت کل امة برسولهم لیأخذوه
قتلا او اسرا والقتال للاسیر اخیذ وجادلوا بالباطل لیدحضوا به الحق لیزیلوه عن مقره
وفی لفظ الحق اشارة الی عدم امکان ادحاضه فاخذتهم ای لم یتم لهم ما راموه
وتسبب ذلک لاخذی ایاهم جزاء مثلا لما هموا به فکیف کان عقاب تعجبوا منه
ایها السامعون فانکم قد شاهدتم تلک الآثار وفیه مزید تسلی رسوله بانهم مأخوذون
عما قلیل وکذلک حقت کلمة ربک علی الذین کفروا قضاؤه انهم اصحاب النار
بدل من کلمة والمعنی کما ثبت للکفار العذاب المستأصل فی الدنیا کذلک ثابت لهم
عذاب النار والموصول معهود وهم کفار قریش واللام محذوف وفیه من ان و[illegible]
الی الامم المتحزبة ای کما حق اهلاکهم فکذلک اهلاک هؤلاء لانهم معاندون
مجادلون بالباطل یأتون بما هو کذلک فالعلة متحدة وانما لم یعلل بتلک الصفات
لان کونهم اصحاب النار اخراها ونتیجتها الذین یحملون العرش ومن حوله وجه الفصل
بما تقدم هو ان الجامع بین من یجادل من هؤلاء وبین الاحزاب الکفر وبین
هؤلاء والملائکة المقربین وبین المؤمنین هو الایمان یسبحون بحمد ربهم یقدسون
عما لا یلیق بکبریائه مثنین علیه بکل کمال وانما جعل التسبیح اصلا والحمد حالا لان الحمد
مقتضی حالهم دون التسبیح لانهم مظهر الجمال ویؤمنون به حامل العرش لمقدس
الحامد لا یکون الا مؤمنا وانما ذکر لاظهار شرف الایمان وللدلالة علی ان ایمانهم
وایمان غیرهم سیان فی کونها بالدلیل والبرهان دون المشاهدة والعیان و
والمانع خارج عن الطریق السواء ویستغفرون للذین آمنوا ربنا قائلین ربنا
وسعت کل شیء رحمة وعلما توسلوا الیه برحمته الواسعة وعلمه الشامل وجعلوها تمهیدا
لما طلبوا بقولهم فاغفر للذین تابوا ای رحمتک واسعة وعلمک محیط بما اخفوه وما اعلنوه
وهم لنقصان ذلک وفیه اشارة الی طهارتهم من کدر الریاء والهوی فان قلت ای
فرق بین هذا وبین قوله ویستغفرون لمن فی الارض قلت یحتمل ان یکون هذا
مفسرا لذلک وان یکون من عاما فی المؤمن والکافر والمراد ترک المعاجلة بالعقا

وادرار الرزق والارتفاق بما خلق من المنافع وان كان المؤمنون هم الاحق
فى ذلك فان قلت هل لحمل التوبة على التوبة من الشرك وجه قلت لا لتقدم ذكر
المؤمن ولان التوبة عند الاطلاق تنصرف الى التوبة عن الذنوب فان قلت
التايب المتبع سبيل الحق اى حاجة له الى استغفار الملائكة والتايب من الذنب
كمن لا ذنب له قلت ليس فايدة الاستغفار منحصرة فى طلب الغفران بل لاظهار
شرف الايمان وان المؤمنين بمكان عند الله حتى ان حملة العرش والمقربين
من الكروبين يشتغلون بالدعاء لهم الا ترى انا مامورون بالصلوة على رسول الله
الذى يصلى الله عليه وملائكته وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر واتبعوا سبيلك
الطريق الموصل الى رحمتك التوبة اشارة الى التخلية وهذا الى التحلية وقهم عذاب
الجحيم تصريح بما علم ضمنا فان المغفور له لا عذاب عليه والتقييد بالجحيم لشدة هوله ربنا
اعادة تلذذا بذكره وتذللا لعزه وتوسلا به الى ما طلبوه وادخلهم جنات عدن التى
وعدتهم ومن صلح من اباءهم وازواجهم وذرياتهم عطف على هم الاول اى وادخلهم
مع هؤلاء ليتم سرورهم كقوله الحقنا بهم ذرياتهم او على الثانى لعموم الوعد انك انت
العزيز الذى لا يمتنع عليه مقدور الحكيم الذى لا يفعل الا الحكمة ومنه الوفاء بالوعد
وقهم السيئات العقوبات او على تقدير مضاف اى جزاء السيئات تعميم بعد
التخصيص لان عذاب الجحيم منها وقد علم ان الغرض اظهار شرف المؤمنين
فلا يقدح ان الكباير مكفرة بالتوبة والصغاير باجتناب الكباير او الضمير لمن صلح
او المعاصى فى الدنيا لقوله ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته اى ومن وقيته
فى الدنيا فقد رحمته فى الاخرة وذلك هو الفوز العظيم لانه ملك لا يد بعمل يسير
ان الذين كفروا ينادون يوم القيمة لمقت الله اكبر من مقتكم انفسكم اذ تدعون
الى الايمان المقت اشد البغض واذ تدعون ظرف لمقت الاول ولا يمنعه فصل
الخبر لان اتساع فى الظروف والمعنى ان مقت الله لكم فى الدنيا حين دعاكم الرسل
الى الايمان فتكفرون فكفرتم بابعه وكذبتم الرسل اشد من مقتكم انفسكم الان
وايثار المضارع للدلالة على استمرار الرسل على الدعوة واستمرارهم على الكفر او مقت الله
يوم القيمة اكبر من مقتكم فيه واذ تدعون تعليل للثانى لانه لم يكن حين الدعاء
قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين الاماتة الاولى السابقة على افاضة الحيوة
على النطفة والثانية عند انقضاء الاجال والاحياءة الاولى هى المتعقبة لتلك الاماتة
والاخرى الابدية التى بعد البعث وطوى ذكر الاماتة والاحياءة فى القبر لان المنكر
الحيوة بعد البعث منكر لهما كذا عن ابن عباس وابن مسعود واليه اشار بقوله وكنتم
امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم والتحقيق ان الاماتة لا يستدعى سبق الحيوة لان صرف
المصنوع عن احد الجايزين كصغر عنه كما يقولون للراسم اوسع الدايرة هذا ومن قال

ان

ان الاماتتين هى الاولى المعروفة والتى فى القبر لزمه ثلث احياءات فان
اجاب بان احياء القبر واحياء البعث نوع واحد وهم ينكرونه بقيمه فلذلك اقتصر
على احدهما ورد عليه ان الاماتة فى القبر على ما قاله دليل على ان التعدد تشخصى اللهم
الا ان يقال المراد بالاحياءتين احياء القبر واحياء البعث لانهما المنكرتان وتفرع
عليه قولهم فاعترفنا بذنوبنا وهو التكذيب بالاماتة والاحياءتين فهل الى خروج
من سبيل من طريق نسلكه سريعا او بطيئا كلام القانط بقوله تعللا وتحيرا ولذلك
اجيبوا بقوله ذلكم اى ما انتم فيه بانه اذا دعى الله وحده كفرتم بالتوحيد وان يشرك
به تؤمنوا بالاشراك مستمرين على ذلك الايمان لا ارعواء ولا تدبر فالحكم لله بعد ما
اعتزفتم العلى الكبير ذى العظمة والكبرياء فلا يكون عذابه لمن كفر به الا ابدا سرمدا
لوقوع افعاله على اتم الوجوه وهو اللايق بجبروته هو الذى يريكم اياته وينزل لكم
من السماء رزقا المطر الذى هو سبب الماكل والمشرب وما يتذكر وما يتعظ الى هذا
الامر الجلى الا من ينيب يرجع عن الانكار والتقليد ويتدبر فادعوا الله مخلصين
له الدين خطاب للمنيبين مسبب عن الانابة التفت اليهم تقريبا لهم وتنشيطا لاقبالهم
على العبادة او مسبب عن قوله هو الذى يريكم يعم المؤمن والكافر وما يتذكر الا من
ينيب اعتراض يفيد ان الانتفاع بتلك الايات انما هو لمنيب ولو كره الكافرون
ولو غاظ ذلك اعداءكم فكان قد حصل ذلك ووقع التضاد بينهم رفيع الدرجات
ذو العرش خبران اخران لهو او لمبتدأ محذوف والدرجات مصاعد الملائكة او معارجهم
ذى المعارج ورفعها دليل على عزة وملكوته كما ان ذى العرش كناية عن ملكه وسلطانه
او درجات ثوابه التى ينزلها اولياءه وهذا انسب بقوله فادعوا الله مخلصين
له الدين كما ان قوله يلقى الروح من امره على من يشاء من عباده انسب بالاول
والروح هو الوحى الذى به الحيوة الابدية ولذلك اوثر عليه ومن بيانية للوحى
فالامر هو الحث على الخير كفا او امتثالا لان تلك الحيوة انما تكون بعد التخلى والتحلى
لينذر يوم التلاق اى الله او الروح او الملقى اليه وهو الرسول وهذا اقرب لفظا
واسد معنى ويوم التلاق يوم القيمة لتلاقى الخلايق والعابد والمعبود باطلا كان
او حقا يوم هم بارزون بدل من الاول اى خارجون من قبورهم او ظاهرون
لا يسترهم شئ حفاة عراة او اعمالهم وسرايرهم لقوله يوم تبلى السراير لا يخفى على الله
منهم شئ من ذواتهم وصفاتهم واعمالهم لمن الملك اليوم لله الواحد القهار
قد سبق فى حديث موت الخلق طرا ان الله يقول ثلث مرات لمن الملك اليوم
ثم يجيب نفسه تعالى بقوله لله الواحد القهار وقيل ينادى مناد فى اهل المحشر
لمن الملك فيجيبونه بقولهم لله الواحد القهار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم
ان خيرا فخير وان شرا فشر ولا ظلم بنقص ثواب او زيادة عقاب ان الله سريع الحساب

اذ يشغله شان عن شان منه وسائر تفرده بالملك في ذلك اليوم والتقييد بذلك اليوم
لانقطاع العلائق المجازية فيه وانذرهم يوم الآزفة يوم القيمة سميت بها لازوفها
اي قربها او الخطة الآزفة وهي حال مشارفتهم دخول النار كقوله فلما راوه زلفة سيئت
وجوه الذين كفروا اذ القلوب لدى الحناجر مرتفعة الى حلوقهم زائلة عن اماكنها من
شدة الخوف كاظمين عليها من كظم القربة اذا ملاها وشد فاها والمعنى ممسكين انفاسهم
حابسين اياها على القلوب لئلا يخرج معها او حال من القلوب اي كاظمة على الغم
والجمع بالواو والنون لاسناد فعل العقلاء اليها ما للظالمين اللام فيه للجنس المشار به
الى الكمل في الظلم وهم الكفار من حميم قريب مشفق ولا شفيع يطاع اذ التوجه النفي
الى القيد اما لنفي القيد وحده كما اذا كان عندك كتاب لا تريد بيعه فيقول ليس عندي
كتاب ابيعه وتارة ايتوجه الى اصل الكلام فينتفي القيد مع المقيد كما في الآية اذ لا شفيع لهم
راسا لقوله ولا يشفعون الا لمن ارتضى وفائدة ذكر القيد ثم سلبه مع المقيد الاستدلال
بانتفاء الموصوف على انتفاء الصفة كانه قيل كيف يتصور الاطاعة ولا شفيع لهم يعلم خائنة
الاعين الخائنة صفة النظرة وهي النظرة الثانية قصدا الى غير المحارم او مصدر كالعافية
وجعله صفة للعين لا يلايم وما تخفي الصدور اي مضمراتها والله يقضي بالحق لانه الغني
العليم الحكيم ولذلك اتحاد الاسم الجامع والذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء
تهكم بهم لان الجماد لا احراك به فضلا عن الحكم والقضاء وقرا نافع وهشام بالخطاب على
الالتفات تقريعا وهو حسن ان الله هو السميع البصير تقرير لعلمه خائنة الاعين ومضمرات
الصدور ووعيد لهم بان ما يفعلونه ويقولون براى منه ومسمع وفيه اشارة الى ان
شرط القاضي ان يكون سميعا بصيرا اولم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة
الذين كانوا من قبلهم اي قد ساروا ونظروا فما بالهم لا يعتبرون حتى لو لم يكن عذاب
الآخرة كان الواجب ان يحذروا عذاب الدنيا كانوا هم اشد منهم قوة احسادا وعددا
وايقاع ضمير الفصل بين اسم كان وافعل من لمضارعته المعرفة في امتناع دخول
اللام قرا ابن عامر منكم تغليبا وعليه رسم مصحف الشام وآثارا في الارض كالقلاع
والحصون والمدن الحصينة او اكثر آثارا كقولك تقلدت سيفا ورمحا فاخذهم الله بذنوبهم
وما كان لهم من الله من واق من عذاب الله ذلك الاخذ بانهم كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات المعجزات الظاهرة فكفروا فاخذهم الله انه قوي شديد العقاب وقد
دل عليه تلك الآثار ولقد ارسلنا موسى باياتنا معجزاتنا لما ذكر انه اهلك اشد منهم
قوة اردفه باشدهم وهو فرعون وهامان وقارون فرعون بالعتو وهامان بالدهاء
وقارون بالمال وسلطان مبين حجة واضحة العطف باعتبار الصفات او اريد
اشهرها كاليد البيضاء والعصا الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب
جعلوا افعاله سحرا واقواله كذبا فلما جاءهم بالحق من عندنا بالرسالة قالوا اقتلوا ابناء الذين

آمنوا

امنوا واستحيوا نساءهم عن ابن عباس اعيدوا القتل فانه كان امر اولا بالقتل خوفا
من المولود الذي اخبره به الكهان فلما مضت تلك السنة وضع القتل فلما جاء موسى
واظهر المعجزات اعاد القتل غيظا له وتخويفا لبني اسرائيل عن مظاهرته وما كيد الكافرين
الا في ضلال اي كيدهم وايثار المظهر لذمهم بالكفر ويقاس عليه كيد كل كفار وبشارة
الى ان كيد قريش كذلك وقال فرعون ذروني اقتل موسى وليدع ربه كان
سفاكا للدماء في اهون شيء فكيف بمن جاء ليثل عرشه ويهدم ملكه ولكنه يتيقن
من اياته انه رسول العزيز المقتدر وخاف انه لو هم بقتله ان يعاجل بالهلاك وتعلق بهذا
الكلام وهو انه لا يبالي بموسى وربه اني اخاف ان يبدل دينكم الذي شرعته لكم كان
قد امر باتخاذ الاصنام وامر بعبادتها ليتقربوا بذلك اليه فانه الرب الاعلى او ان يظهر
في الارض الفساد من التهارج والتحارب وابطال اسباب المعايش قرا الكوفيون
او على معنى الخوف من احد الامرين والباقون بالواو لقصد الجمع بين الامرين وهو
اوفق بالمقام اذ قصده التنفير عنه وقرا نافع وابو عمرو وحفص بضم ياء يظهر وكسر الهاء
ونصب الفساد والباقون بفتحهما والاول ابلغ واوفق بالتقدم وقال موسى اني
عذت بربي وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب لما خاطب فرعون قومه
مستشيرا ايهم ليجيلوا الراي في شانه خاطب موسى قومه ايضا واضاف الرب اليهم
حثا لهم على الاقتداء واشار الى ان الاعتماد في هذه القضية على الالتجاء الى الله وآثر لفظ
الرب ولاته على ان المرتي يراعي احوال مرباه والمنكر ليعم المتكبر ذكره على طريقة
التعريض لئلا يقيس جلد التمرد وعدم ايمانه بيوم الحساب هو الذي بعثه على هذه الجراة
وكان لعنه الله دهريا وقال رجل مؤمن من آل فرعون من اقاربه يكتم ايمانه
من فرعون وقيل من آل متعلق بيكتم وهو اسرائيلي والاول هو الصواب لقوله
يا قوم مكررا ولقوله رجل مؤمن لكثرة مؤمني بني اسرائيل وقد دل عليه قول فرعون
ابناء الذين امنوا معه واختلف في اسمه فقيل سمعان بالمهملة او المعجمة وقيل حبيب وقيل
غيرهما والله اعلم اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله اتقصدون قتل من هو بهذه
الصفة التي هي واسطة العقد ومجمع المناقب واشار الى اثبات مدعاه بقوله وقد جاءكم
بالبينات من ربكم حججا متكثرة قواطع فلا وجه لانكاركم على من ثبت انه رسول ربكم
ثم تنزل معهم وقال وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي
يعدكم اي لا تتعرض الا انه كاذب اثم كذبه لا يتجاوزه ولا يصيبكم من اثمه وضراره
شيء ويحتمل ان يكون محققا اقل ما يصيبكم بعض ما يعدكم وهذا يقتضي ان يكون المقدم
على قتله مقدما على فعل ليس له فيه متشبث الا العناد ان الله لا يهدي من هو
مسرف كذاب رجح جانب صدقه بانه لو كان مسرفا كذابا لما عضده الله بالبينات
ويحتمل ان يريد انه كان مسرفا كذابا كما تزعمون فيضمحل امره عن قريب لان الباطل

كثار العبث وفيه تعريض بفرعون بانه مسرف كذاب وهو قاتل لشي شانه يا قوم
لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض ارض مصر فمن ينصرنا من بأس الله ان جاءنا
ادخل نفسه معهم لما كان ينصح قال فرعون ما اريكم الا ما ارى اي ما اشير اليكم الا ما ارى من
استصواب قتله وما اهديكم الا سبيل الرشاد وما ادلكم عليه من قتله هو الصواب
كان يعلم انه كاذب في قوله وان ما يدل عليه انما هو عين الهلاك وانما كان يقول
ما يقول جبنا ومكابرة وقال الذي آمن يا قوم اني اخاف عليكم مثل يوم الاحزاب افرد
اليوم اختصارا لدلالة المضاف وعدم اللبس كقوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا ولان جمعه
بقوله مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والمعنى جزاء ما كانوا دائبين عليه لازمين
من الكفر والتكذيب وساير المعاصي والذين من بعدهم كقوم لوط وما الله يريد ظلما
للعباد واذا لم يرد فعن ارتكابه ابعد ولذلك كان ابلغ من وما ربك بظلام للعبيد
او لا يريد الظلم للعباد اي لا يترك الظالم حتى ينتقم منه والى كلا المعنيين اشار في الحديث
القدسي يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وحرمته فيما بينكم ويا قوم اني اخاف عليكم
يوم التناد يوم القيمة ينادي بعضهم بعضا استغاثة او ينادوا اهل الجنة واهل النار
واصحاب الاعراف كما تقدم او لما دعوا بالويل والثبور او ينادوا انهم مالك ليقض
علينا ربك يوم تولون من الموقف يؤيد الاول مدبرين منصرفين الى النار
وعن مجاهد فارين من النار ما لكم من الله من عاصم زيادة تهديد ومن يضلل الله فما له
من هاد لما راهم لا يلين شكيمتهم بعد ذلك الارشاد والتناصح البليغ عرض بانهم
الذين ختم الله على قلوبهم ولقد جاءكم يوسف هو يوسف بن يعقوب على ان فرعون
يوسف قد عاش الى زمن موسى وقيل هو يوسف بن ابرهيم بن يوسف الصديق
عاش فيهم قبل موسى عشرين سنة من قبل بالبينات بالمعجزات فما زلتم في شك
مما جاءكم به حتى اذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا ليس هذا اقرارا برسالته
بل الغرض تكذيب من يدعي الرسالة بعده وضموا الى تكذيب رسالته كذلك يضل الله
مثل هذا الاضلال من هو مسرف في العصيان مرتاب في المعجزات الذين
يجادلون في آيات الله بدل من من لانه في معنى كل مسرف بغير سلطان اتيهم
بل بالتقليد واتباع هوى كبر مقتا عند الله وحد الضمير باعتبار من لان الذين
بدل منه لا باعتبار التذكير والتانيث في قوله ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل
صالحا او الذين يجادلون مبتدا بتقدير مضاف اي جدال الذين وضمير كبر عائد
اليه او الذين مبتدا وبغير سلطان خبره وفاعل كبر ضميره وعند الذين آمنوا ايضا
كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار استيناف لبيان موجب الجدال وقرا ابو عمرو
وابن ذكوان قلب منونا بقطع الاضافة وهو الوجه لانه محل الكبر وساير الاوصاف
النفسانية والجملة انما توصف بها بالواسطة وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا بناء

وصفه

وصفه بالتكبر افعاله الدالة عليه والصرح القصر العالي الظاهر من صرح الشيء ظهر
لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات الطرق الموصلة اليها ابهم ثم فسر لما
في الابهام ثم الايضاح من المبالغة وتشويق السامع ليعطيه حق السماع لانه امر بديع
فاطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا وقرا حفص فاطلع بالنصب حملا للترجي على التمني
بجامع عدم التحقق وكذلك زين لفرعون سوء عمله المزين هو الشيطان لقوله
زين لهم الشيطان او الله تعالى لقوله زينا لكل امة عملهم وصد عن السبيل الفاعل
هو الفاعل في الاول وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر وابن كثير صد على بناء الفاعل
وهو فرعون الذي صد الناس عن اتباع موسى وهو المختار لان الحديث عنه
والسوق لعد مثالبه وما كيد فرعون الا في تباب في خسار من تب هلك مبالغة
في خسرانه وقال الذي آمن يا قوم اتبعون اهدكم سبيل الرشاد دله ورد ما اراه
بايراد الكلام في الحجاج لما لم يرعو فرعون عن غوايته وجهله المفرط صرح بمعارضته وانه
الدال على سبيل الرشاد دونه يا قوم انما هذه الحيوة الدنيا متاع شيء يتمتع به
يسيرا وان الآخرة هي دار القرار لخلودها من عمل سيئة فلا يجزى الا مثلها ان لم
تعف فلا تزيد الا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر او انثى بيان في جزاء العمل الفاضل
كما في الدنيا وهو مؤمن اذ لا عبرة بالعمل دونه ولذلك اوقعه قيدا فاولئك يدخلون
الجنة بتلك الاعمال وقرا ابن كثير وابو عمرو وابو بكر يدخلون على بناء المفعول وهو
ابلغ معنى واوفق بقوله وادخل الذين آمنوا يرزقون فيها بغير حساب تفضلا منه
تعالى ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار كرر نداهم لما لاح له
انهم مستغرقون في بحر الغفلة اعاد الواو هنا دون الثاني لانه بيان لما اجمل لانه
ذم الدنيا وعظم الآخرة وهو عين الارشاد والدلالة على سبيل الرشاد واما قوله
ويا قوم ما لي ادعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار فللموازنة بين دعوته التي ثمرتها الجنة
ودعوتهم التي ثمرتها النار فليس من تفسير الارشاد تدعونني لاكفر بالله بدل عن
الاول والدعاء كالهداية يتعدى باللام والى واشرك به ما ليس لي به علم ما ليس
باله نفي للمعلوم على طريق الكناية وانا ادعوكم الى العزيز الغفار المستجمع للصفات
فانهما مستلزمان للعلم والارادة المسبوقان بالحيوة لا جرم انما تدعونني اليه ليس له
دعوة في الدنيا ولا في الآخرة او لما تدعونه اليه والاستدلال على بطلان صلوحه للاشراك
اي حق بطلان دعوته لانه لا يدعو الى دعوته في الدنيا وشان المعبود ان يدعو عباده
الكرمين كالانبياء او لانه يدعو بعضهم بعضا وفي الآخرة اذا خلق الله فيه الادراك
يلعن العبادة ويتبرأ منهم او ليس له استجابة دعوة في الدارين تسمية للاستجابة باسم الدعوة
كما يسمى الفعل المجازى عليه باسم الجزاء يؤيده قوله والذين يدعون من دونه لا يستجيبون
لهم بشيء او جرم بمعنى كسب والفاعل مستكن اي كسب ذلك الدعاء مشكله ان لا دعوة

لما تدعونني اليه بمعنى انه لم يظهر الا بطلان دعوته او معناه لا بد فعل من التبديد
وهو التفريق اي لا قطع لبطلان دعوة الاصنام بل هو مستمر وقد سبق في النحل ان
هذا اصله لكن كثر استعماله في معنى حق ولذلك يجاب باللام كما يجاب القسم
وان مردنا الى الله بالموت وان المسرفين المبالغين في العصيان كالسفك
الدماء بغير موجب تعريض بالقتل به من قوله اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله
هم اصحاب النار الملازمون لها ملازمة المالك ملكه فستذكرون ما اقول لكم
اذا جاء باس الله اما في الدنيا كوقت الغرق او عند معاينة عذاب الاخرة
وافوض امري الى الله لما راهم لا يدعون وقد بان لهم انه على دين موسى التجا
الى الله في دفع مكرهم ان الله بصير بالعباد فيجازي كلا على حسب حاله فوقيه الله
سيئات ما مكروا شدائد مكرهم قيل فر منهم كما امر فرعون بطلبه فوجدوه يصلي والوحوش
حوله فرجعوا الى فرعون فقتلهم وحاق بال فرعون سوء العذاب اي العذاب
السوء النار بدل منه وقوله يعرضون عليها غدوا وعشيا حال منها او من الال
او خبر مبتدا محذوف كانه قيل ما سوء العذاب فقيل هو النار او مبتدا خبره يعرضون
عليها وابتيا لقه بيانا وتفسيرا لقوله وحاق بال فرعون سوء العذاب وهذا وجه
الابهام والتفسير ولافادة الاولى احاطة سوء العذاب والثانية ان لا سوء من
ذلك المحيط وهو النار المعروض هم عليه غدوا وعشيا وتخصيص الوقتين لانهما اطيب
الاوقات فاذا ذاقوا فيهما سوء العذاب كان اقطع وما بينهما مسكوت عنه لانهم
يعذبون بذلك العذاب ايضا او بجنس اخر او ينفس عنهم وقيل كناية عن الدوام
لقوله ويوم تقوم الساعة اي هذا دايم الى ذلك الوقت وفيه دليل على ان عذاب
القبر حق دليل على عذاب القبر ادخلوا ال فرعون اشد العذاب وهي جهنم
عذابها وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص بقطع الهمزة وكسر الخاء والوصل ابلغ
لكونه لحظ السامع من العذاب فانه نوع آخر منه واذ يتحاجون في النار اي
واذكر لقومك محاجة اهل النار لعلهم يرعوون فيقول الضعفاء اي الاتباع تفصيل
للمحاجة للذين استكبروا وهم الرؤساء انا كنا لكم تبعا اتباعا كخدم جمع خادم او ذي
تبع فهل انتم مغنون عنا نصيبا من النار بالرفع او بالحمل ونصبا مفعول ما دل عليه
مغنون او له على التضمين او مصدر كشيئا في قوله لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم
من الله شيئا قال الذين استكبروا انا كل فيها نحن وانتم سواء فكيف نغني عنكم ان الله
قد حكم بين العباد فريق في الجنة وفريق في السعير لا تبديل لحكمه وقال الذين في النار
لكلهم التابع والمتبوع لما ايس الاتباع من نصرة الرؤساء والاختصار على الحزن له
لخزنة جهنم للموكلين بها واثبات جهنم للتهويل وقيل لان جهنم ابعد طبقات النار قعرا
من قولهم بئر جهنام وهذا انما يستقيم ان لو كان اللفظ عربيا والاكثر على انه عجمي

ادعوا

ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب شيئا من الاوقات قالوا اولم تك تاتيكم
رسلكم بالبينات المعجزات الدالة على صدقهم وينذرونكم لقاء يومكم هذا استفهام
توبيخ وتقريع قالوا بلى قالوا فادعوا انتم اذ لا نقدر على الشفاعة الا بشرط ان يكون
المشفوع له مؤمنا ويؤذن لنا في الشفاعة وما دعاء الكافرين الا في ضلال في ضياع
لا يؤثر له انا لننصر رسلنا مبني السورة على بيان مجادلة الكفار مع الرسل ولما اشتد
الكلام في الرد عليهم عاد الى تسلية رسوله وانه منصور لا محالة والذين امنوا لانهم
اتباع الرسل في الحيوة الدنيا ويوم يقوم الاشهاد اي في الدارين وان وقع
لبعض فتور في شانهم فذلك امتحان ولهم العاقبة والاشهاد جمع شاهد وهم الذين
يشهدون على الناس من الملائكة والانبياء والمؤمنين والتعبير عن يوم القيمة
بيوم يقوم الاشهاد للتهويل ولذلك ابدل عنه يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم
ظاهره انهم يعتذرون ولا يقبل منهم والحق انه مبني على الغرض اي لو اتوا المعاذير
لا ينفع لقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقرا الكوفيون ونافع ينفع بالتذكير وهو
احسن لوجود الفصل ولهم اللعنة البعد من رحمة الله ولهم سوء الدار هو ما يسوؤه
من النار تقرير لعدم قبول المعذرة او من كان هذا حاله كيف يرجى قبول عذره
ولقد اتينا موسى الهدى التورية وسائر ما يحتاج اليه في باب الدين واورثنا
بني اسرائيل الكتاب اي جعلناهم متصرفين فيه تصرف الوارث في مال مورثه
وفي ذكر الكتاب اشارة الى ان ما عداه ذهب بذهابه عليه السلام وان الكتاب
كاف لقوله هدى وذكرى لاولي الالباب اي هاديا ومذكرا لذوي العقول وهذا
مثل قوله في هذه الامة ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا وفيه بيان نصر المؤمنين
في الدنيا بالحجة بعد ذهاب الانبياء فاصبر ان وعد الله وهو قوله انا لننصر رسلنا
وقوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون حق كاين لا محالة
وقد سمعت حال موسى ومن كذبه واستغفر لذنبك لذنب امتك لقوله واستغفر لهم
او تهييج لامة او لما وقع منك من خلاف الاولى بحاله وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار
طرفي النهار لشرف الوقتين او دوام على ذكره بصفات الجلال والجمال في جميع
الاوقات او المراد الصلوات الخمس وقيل كان بمكة الواجب ركعتين بكرة وركعتين
عشيا ولا يسند له مع انه يوهم ان الخمس وجبت بالمدينة والاجماع انها وجبت بمكة
ليلة المعراج ان الذين يجادلون في ايات الله بغير سلطان اتيهم ان في صدورهم
الا كبر اعاد ذكر المجادلين لبيان الموجب لجدالهم وهو الكبر والترفع خوفا من زوال
الرياسة او النبوة بسبب كل ملك ورياسة ما هم ببالغيه ببالغي موجب
ذلك الكبر وهو ما تعلقت به ارادتهم من الترؤس او دفع الايات فاستعذ بالله
من شرهم انه هو السميع البصير لاقوالكم وافعالكم نزلت في المشركين وقيل في اليهود

قالوا سيخرج صاحبنا المسيح بن داود وتسير معه الانهار ويبلغ سلطانه البر والبحر يريدون
به الدجال لعنهم الله ويؤيد الاول قوله لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
فانه استدلال به على من انكر البعث واليهود لا ينكرونه ولكن اكثر الناس لا يعلمون
ذلك لاغفالهم النظر الصحيح وما يستوي الاعمى والبصير ضربا مثلا للحسن والمسيء
والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء عطف الموصول بما عطف عليه على
الاعمى والبصير لتغاير الوصفين في المقصود او الصراحة والتمثيل ولا المسيء مذكره
واذا لم يتساويا فلا بد من مجازاة وليس ذلك في الدنيا فلا بد من ان يكون بعد
البعث قليلا ما يتذكرون الضمير للناس او الكفار والقلة بمعنى العدم لقوله
وما يتذكر الا من ينيب وقرا الكوفيون بالخطاب اما تغليبا او امر الرسول بالمخاطبة
او التفاتا وهذا اوفق لان العدول الى الخطاب في مقام التوبيخ اشد تعييبا
وابلغ في الانكار ان الساعة لآتية لا ريب فيها لا ارتياب في وقوعها لما تقدم
من الادلة ولكن اكثر الناس لا يؤمنون بذلك لقصور النظر وقال ربكم
عطف على ان الذين يجادلون عطف قصة على اخرى ادعوني اعبدوني
استجب لكم لقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي ولما روي عن الثوري
انه قيل له ادع الله فقال ان ترك الذنوب هو الدعاء اراد ان ترك الذنوب
من اجل العبادات وسئل الحسن عنه فقال اعملوا وابشروا والدعاء الاستجابة
على اصلهما وقوله ان الذين يستكبرون عن عبادتي معناه عن دعائي لان
الغرض من العبادة الخضوع ولا شك ان ذلك في الداعي اظهر وايقاع العبادة
صلة الاستكبار مما يؤيد هذا ان الداعي مستكين خاضع سيدخلون جهنم داخرين
صاغرين وابن كثير وابو بكر بضم الياء وفتح الخاء وهذا ابلغ امانه الله الذي
جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا اي خلق الليل باردا مظلما ليؤدي الى
ضعف المحركات وهدو الحواس ولما كان السكون والاستراحة علة غائية في
الليل دون الابصار في النهار بل العلة ابتغاء الفضل صرح به في الاول واشار
اليه في الثاني رمزا مع ما افادة الاسناد المجازي من المبالغة حتى كان الابصار
سرى في نهار المبصر ان الله لذو فضل على الناس نكرة اي فضل لا يوازيه فضل
ولذلك نكره واثره على المفضل ولكن اكثر الناس لا يشكرون نعم الله تكرير الناس
لايقاع عدم الشكر على صريح اللفظ ذلكم الموصوف بصفات الالوهية الله ربكم
خالق كل شيء لا اله الا هو اخبار مترادفة او كل بدل عن سابقه ان جوز البدل
عن البدل والا فالكل عن الاول فان قلت قد وقع مثل هذا التركيب في سورة
الانعام خالق كل شيء مؤخرا عن كلمة التوحيد وقدم هنا فما وجه ذلك قلت وجهه
والله اعلم ان خالقية لكل شيء دليل توحيده وفي الانعام قدم قوله خلق كل شيء

وهو بكل شيء عليم فكان نتيجة المقدمتين لا اله الا هو ثم اردفه بقوله خالق
كل شيء على سبيل التقرير والتوكيد وهنا لم يتقدم مثله فكان حقه ان يقدم
ليكون كلمة التوحيد نتيجة له فانى تؤفكون من اي وجه تصرفون عن عبادته
انكار وتوبيخ كذلك يؤفك الذين كانوا بايات الله يجحدون مثل صرف
هؤلاء صرف الذين كانوا قبلهم ينكرون ايات الله عنادا وهم على اثارهم مقتدون
الله الذي جعل لكم الارض قرارا يستقرون فيها احياء وامواتا والسماء بناء قبة
العرب تسمى القباب ابنية على التشبيه وصوركم فاحسن صوركم خصكم باحسن
الصور في احسن تقويم وفي الحديث خلق الله تعالى آدم على صورته طوله ستون ذراعا
ورزقكم من الطيبات لذائذ الانواع طعاما وشرابا وفاكهة ذلكم الله ربكم اي الموصوف
الممتاز فتبارك الله رب العالمين فان ما سواه مربوب مفتقر ولما كانت الادلة
المذكورة من الافاق والانفس مع كونها ادلة نعما جساما عقبها بقوله فتبارك الدال
على كثرة نعمائه وتوفر آلائه هو الحي لا غير لان من عداه اما ميت او بصدده لا اله الا هو
لان من يعتريه الموت كيف يصلح للالوهية فادعوه مخلصين له الدين فكما انفرد
بالالوهية افردوه بالعبادة لانه المستحق الحمد لله رب العالمين قولوا الحمد لله رب
العالمين وعن ابن عباس من قال لا اله الا الله فليقل بعده الحمد لله وذلك للدلالة على
انحصار الحمد فيه كانحصار الالوهية قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون
الله لما جاءني البينات من ربي شملا ادلة العقل والنقل والايات الدالة على
صدقه فانها كلام معجز يؤيد الادلة العقلية وتناصر الادلة اقوى في ابطال مذهبهم وامرت
ان اسلم لرب العالمين انقاد له اشار الى انه لا يريد بهم الا ما را لنفسه هو الذي
خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا لما امتن عليهم بانه خلقهم
في احسن الصور اشار الى بدء خلقهم من التراب الذي هو مادة ابيهم آدم او مادة كل واحد
منهم لما ورد ان النطفة تعجن بالتربة التي يكون مضجع الميت ثم بعده الانقلابات
البديعة الدالة على كمال الاقتدار وافرد طفلا لارادة الجنس او كل واحد ثم لتبلغوا
اشدكم اللام تتعلق بمقدر اي يبقيكم ثم لتكونوا شيوخا قرا نافع وابو عمرو وهشام
وحفص بضم الشين اتباعا لضم الباء ومنكم من يتوفى من قبل قبل الشيخوخة او قبل
هذه الاحوال كما اذا وقع سقطا والاول هو الوجه ولتبلغوا اجلا مسمى اي وفعل ذلك
لتبلغوا اجلا مسمى هو وقت الموت او يوم القيمة والاول اوجه لقوله اذا جاء اجلهم
واوفق بالسياق ولعلكم تعقلون ما في ذلك من الدلائل لكمال الصانع والعبر هو الذي
يحيي ويميت اي القادر الذي نقل النطفة من الاطوار بعضها الى بعض هو الذي
شانه الاحياء والاماتة ثم هون شان ذلك بقوله فاذا قضى امرا توجهت ارادته
اليه فانما يقول له كن فيكون بلا احتياج الى آلة وتعلق كان اسرع شيء وقرا ابن

تمام يكون بالنصب بتقدير ان الم تر الى الذين يجادلون في آيات الله انى يصرفون
كرره لان مبنى السورة على رد المجادلين في آيات الله الدالة على التوحيد والبعث
يفنون مختلفة من الدلائل ولما استوفى تلك الفنون ولم تؤثر فيهم عجب السامع
من حالهم الذين كذبوا بالكتاب بالقرآن او بجنسه وبما ارسلنا به رسلنا من
الآيات يؤيد الوجه الثاني فسوف يعلمون جزاء تكذيبهم اذ الاغلال في اعناقهم
ولا تنافى بين سوف واذ لان المترقب في كلامه تعالى كالكائن والسلاسل
عطف على الاغلال يسحبون في الحميم الماء الشديد الحرارة حال من الفاعل او خبر سلاسل
ان لم يعطف بحذف العائد ثم في النار يسجرون يحرقون اى ظاهرها ليراهم
اهل الجنة من سجرت التنور اذا وقدتها واصله الملء يقال سجرت الشيء اذا ملأته
من الحطب والمعنى ملؤا نارا ظاهرا وباطنا كقوله نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة
ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا يقال لهم توبيخا ومعنى
ضلوا عنا غابوا ولا ينافى قوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لجواز كونهم
غيبا اوان التوبيخ او لما لم ينفع حضورهم كانهم غيب بل لم نكن ندعوا من قبل شيئا
لعدم غنائهم كانهم ليسوا بالشيء او قالوا كذبا على انفسهم كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين
كذلك يضل الله الكافرين اى مثل ضلال آلهتهم يضلهم الله في الدنيا عن طريق الحق
وقيل يضلهم عن آلهتهم حتى لا يتصادفوا ولو تطالبوا وفيه نظر ذلكم بما كنتم تفرحون
في الارض بغير الحق وهو الشرك والطغيان وبما كنتم تمرحون تبطرون وتفرطون
في الفرح والعدول الى الخطاب لكونه ابلغ في التقريع ادخلوا ابواب جهنم طبقاتها
على قدر الاعمال كقوله لكل باب منهم جزء مقسوم خالدين فيها مقدرين الخلود فبئس
مثوى المتكبرين مثواكم او جهنم فاصبر على اذيتهم وجدالهم بالباطل ان وعد الله حق
في نصركم واتمام ما ارسلت به فاما نرينك ان شرطية وما زائدة للتوكيد ولذلك
لحقه نون التاكيد وجواب الشرط محذوف اى فذاك بعض الذي نعدهم من
العذاب كالقتل والاسر يوم بدر او نتوفينك قبله فالينا يرجعون فنريهم
اشد العذاب فان قلت قد تقدم مثل هذا التركيب في الرعد ولم تقدر لكل واحد
من المعطوف والمعطوف عليه جزاء فهلا تلك الطريقة قلت مساق الكلام هنا
لانجاز الوعد بالنصر وهم رسول الله والمؤمنين معقود به فاقتضى تقدير الجزاء
مستقلا تعجيلا للمسرة بخلاف ما في الرعد فان الكلام في ايجاب تبليغه وانه ليس
عليه الا ذلك كيف ما دارت القضية ولقد ارسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا
عليك منهم من لم نقصص عليك دل على انه لم يخبر بتفاصيل سائر الانبياء وقد روى
ابو ذر انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عدتهم فقال مائة وعشرون الفا
الرسل منهم ثلثمائة وثلثة عشر او خمسة عشر جما غفيرا وما كان لرسول ان يأتي بآية الا باذن الله

بارادته

بارادته وتيسيره وهو جواب لاقتراحهم الآيات عليه كانه قيل لهم اذ كان الامر في
الآيات الى الله تعالى ولم يكن لاحد ممن تقدم ان يأتي بآية فمن اين لي ان آتي
بآية فاذا جاء امر الله بالعذاب قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون اى او جاء
يوم القيمة الذي هو يوم الفصل قضي بينك وبينهم بالحق وخسر اولئك المبطلون
في الاقتراح المجادلون عنادا الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها ومنها تأكلون
من جنسها ما يؤكل كالغنم وما يؤكل ويركب كالابل والبقر ولكم فيها منافع كالالبان
والجلود والاوبار ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم من المسافرة لمقاصدكم وعليها
في البر وعلى الفلك في البحر تحملون وانما قال على الفلك دون فيها كما في قوله
قلنا احمل فيها لان الفلك وعاء ما فيها وحمولة له مع ما في ذلك من المزاوجة
مع ما قبله من المزاوجة وانما غير النظم في الجمل الاربع لان الركوب وبلوغ الحاجة
قد يكون في مهم ديني واجب او مندوب بخلاف الاكل وسائر الانتفاعات
فكانا اولى بدخول اللام الدال على العلية والغرض وقيل فرقا بين العين والمنفعة
وانما جعلا مكتنفين بما خلا عنه اشارة الى قصوره عنهما وعن الزجاج ان الانعام
هي الابل خاصة وعلى هذا يتضح الوجه لان الركوب وبلوغ الحاجة من اتم الغرض
منها ويريكم آياته فاى آيات الله تنكرون لم يقل اية لان التفرقة في غير الصفات
بالتاء نحو حمار وحمارة غريب وهي اى لو ضعه على الابهام اغرب افلم يسيروا في الارض
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا اكثر منهم واشد قوة وآثارا في الارض
قصورهم المشيدة ومصانعهم المحكمة وقيل مشيهم بالاقدام لعظم اجرامهم وبعد ولاح
فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون ما الاولى نافية او استفهامية منصوبة المحل والثانية
موصولة او مصدرية اى مكسوبهم او كسبهم رفع على الفاعلية فلما جاءتهم رسلهم بالبينات
فرحوا بما عندهم من العلم بامور الدنيا واسباب المعاش يعلمون ظاهرا من الحيوة
الدنيا او علم الفلاسفة والدهرية ويدفعون به علوم الانبياء كما روى ان
سقراط كان في زمن موسى فقيل له هلا تتبعه فقال نحن مهذبون او سمى جهلهم المفرط
علما اى لم يفرحوا بعلم الرسل وفرحوا بجهلهم المفرط سماه علما على طريقة التهكم او المراد
علم الرسل وفرحهم بما اوتوه من العلم بسوء عاقبة الكفار وشكرهم لله على ما منحهم وفيه
تفكيك الضمائر او المعنى فرح الكفار بما عند الرسل من العلم فرح ضحك واستهزاء ويؤيده
قوله وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن الا ان في الدلالة على هذا المعنى غموضا فلما راوا
بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين البأس شدة العذاب لقوله
بعذاب بئيس فلم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا لفوات وقته والوجه في ترتيب الفاءات
ان قوله فما اغنى نتيجة ما كانوا فيه من التكاثر بالاموال والاولاد وقوله فلما جاءتهم
رسلهم الى قوله وحاق بهم ايضاح لذلك المجمل وكيف انقلب الحال بهم الى عكس ما املوه وقوله

فلما راوا باسنا مترتب على قوله فلما جاءتهم تابع له كانه قال لما جاءتهم رسلهم كفروا فلما راوا باسنا امنوا الا انه فصّل ذلك الكفر المشتمل على سوء معاملة الرسل وكفرا اعظم نعم الله وكذا فلم يك مع الايمان سنة الله التي قد خلت في عباده اي سن الله ذلك سنة ماضية في العباد مصدر مؤكد وخسر هنالك الكافرون هنا مستعار من المكان للزمان اي خسروا وقت رؤية البأس لزوال ما كانوا فيه من النعيم ولزوم الخلود في عذاب الجحيم تمت سورة غافر والحمد لله على فضله الوافر والصلوة على سيد الاوايل والاواخر واله وصحبه

سورة السجدة اياتها ثلث او اربع وخمسون

ذوي المحاسن والماثر

بسم الله الرحمن الرحيم حم ان جعلته اسم السورة كان مبتدا وتنزيل من الرحمن الرحيم خبره وان جعل تعديدا فتنزيل خبر مبتدا محذوف كتاب بدل من تنزيل او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف او تنزيل مبتدا لتخصصه بالصفة وكتاب خبره فصلت اياته جعلت تفاصيل في معان مختلفة من احكام وامثال ومواعظ ووعد ووعيد او ميزت باعتبار اللفظ والمعنى قرانا عربيا نصب على المدح او الحال وفي كونه عربيا امتنان لسهولة تلاوته وفهم معناه ولانه افصح اللغات لقوم يعلمون صفة اخرى لقرانا اي كائنا لقوم يعلمون العربية او لاهل العلم والنظر وقيل يتعلق بتنزيل وفيه الفصل بين المتعلقين وهو كتاب الى قوله عربيا وبين الصفات ايضا لان بشيرا ونذيرا صفتا قرانا وقيل بفصلت وفيه التفريق بين الصفات والفصل بين الصلة وموصولها ايضا بشيرا ونذيرا للمقبل والمعرض فاعرض اكثرهم انكروا اعجازه ولم يقبلوا بشارته ونذارته فهم لا يسمعون لا يذعنون له مع العلم بانه الحق وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه في اغطية جمع كنان وفي اذاننا وقر صمم واصله الثقل اي جمعوا بين الاعراض وهذا القول مبالغة في الانكار فان قلت هلا قيل على قلوبنا اكنة كما في سورة بني اسرائيل والكهف قلت لمراعي في البلاغة جانب المعنى وهو كذلك في الاسلوبين لان الاستعلاء والاحتواء من واد واحد مع رعاية النقض فان قلت كان العكس محصلا لذلك فلا بد من اختصاص كل لموضعه من نكتة قلت الكلام في بني اسرائيل والكهف منسوب اليه تعالى فالاستعلاء والقهر انسب وهنا حكاية مقالهم فالاحتواء اقرب ومن بيننا وبينك حجاب البين هو الوسط بالسكون يصدق على كل جزء من المسافة استوعب اولا فزيد من ليدل على الاستيعاب الذي هو غرضهم وذلك لان من الابتداء الغاية الذي هو طرف المتكلم فيقع الطرف الاخر غاية فاعمل اننا عاملون اعمل في دينك او في ابطال ديننا فانا على ديننا او ابطال دينك قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد كان انكارهم نبوته لكونه بشرا مثلهم فلقن عليهم القول بان البشرية هي التي يناسب الرسالة ولو جعلنا ملكا لجعلناه رجلا انما الهكم اله واحد اشارة الى ما هو الغرض من البعثة

وهو التوحيد فاستقيموا اليه فاستقيموا على التوحيد والاخلاص متوجهين اليه واعرضوا عن اعراضكم معرجين على تقليد ابائكم الضالين واستغفروه واطلبوا الغفران منه على ما صنعتم فيه الاعمار من عبادة الحجارة وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكوة تاكيد للامر بالاستقامة وترغيب فيه وترهيب على الشرك قرن به الزكوة من بين ساير الاعمال لانها شقيقة الروح والمعيار على الايمان المستكن في القلب والزكوة على هذا الوجه المقرر في الاحاديث والفروع وان فرض بالمدينة الا ان اخراج طائفة من المال على وجه القربة كان شائعا اطلاق اسم الزكوة عليه في الجاهلية ايضا كما وقع في شعر امية بن ابي الصلت الفاعلون للزكوات والى ذلك اشار في اخر المزمل واقيموا الصلوة واتوا الزكوة والمزمل من اوائل القران نزولا وهم بالاخرة هم كافرون دهرية لا يقولون بالمعاد ولا يعترفون بالجزاء وفيه اشارة الى علة منع الزكوة فان قلت اذا كانوا دهرية فلم كانوا يعبدون الاصنام قلت تبركا بها في در الارزاق ودفع البلايا ولو فرض وقوع المعاد كانت شافعة ان الذين امنوا وعملوا الصالحات لهم اجر غير ممنون غير مقطوع او غير مشوب بمنة لان الواهب غني عن ذلك مقابل لسابقه كانه قال ويل للمشركين وطوبى للمؤمنين ومنهما من التحذير والترغيب ما يؤكد امر الايمان والاستقامة تاكيدا لا يخفى وقيل نزلت في المرضى والهرمى فانه يكتب لهم من الاجر على قدر طاعتهم حال العافية ولا ينقطع من ذلك شيء قل ائنكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين بعد تقرير دليل التوحيد والامر بالاستقامة انكر على من يعلم منه مبدء الصفات ثم يعدل الى عبادة غيره ثم اعترض في البين بقوله وتجعلون له اندادا اي من لا يتصور له ند واحد اتخذتم له اندادا ذلك الذي خلق الارض في يومين رب العالمين موجد الكائنات كلها وجعل فيها رواسي عطف على خلق مقدرا او استئناف اذ لا يعطف على خلق المذكور للزوم الفصل بين اجزاء الصلة من فوقها مرتفعة بارزة للنظار ليتنبهوا واما فيهما من ضروب الاستبصار اظهارا لاتمام النعمة وكمال الاقتدار وخص بالذكر هنا لانه اتم موضع تفصيلا لهذا البيان في القران وبارك فيها بان جعلها منابع المياه ومنابت الاشجار ومراتع الحيوان وقدر فيها اقواتها اقوات اهلها بان عين لكل نوع ما يليق به او خص كل قطر بنوع منه تحسينا للنظام في اربعة ايام سواء فذلكة ما تقدم ومجمل ما فصل كانه قال كل ذلك في اربعة ايام كوامل مستوية ولو قال يومين اخرين لاحتمل الاطلاق على الاكثر سيما تجوزا وقال الزجاج في اربعة ايام اي في تتمة اربعة وهما يومان والاول اولى اذ فائدة بلا تقدير حذف والمراد المقدار الذي وقع فيه الخلق لا اليوم المصطلح قرا حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب للسائلين متعلق بمقدر اي هذا الحصر للسائلين عن المقدار او بقدر

اي قدر فيها الاقوات للطالبين للرزق او انما استقيم على تقدير الزجاج ثم استوى
الى السماء توجهت ارادته الى ايجادها من قولهم استوى الى كذا قصده قصدا
لا يلوي الى غيره وثم على اصله من التراخي زمانا لا رتبة استدلالا بان وجود الارض
متاخر لقوله والارض بعد ذلك دحاها لان خلق الاقوات فيها قبل الدحو غير
ممكن فان قلت التقدير لا يستلزم الخلق بالفعل قلت فسره قوله في سورة البقرة
قوله خلق لكم ما في الارض جميعا فان قلت يحمل الخلق على التقدير قلت لا يلايم مقام
الامتنان فالوجه ان دحاها ليس عاملا في بعد ذلك بل هو جملة مستانفة كما تقدم
الاشارة اليه في سورة البقرة قيل كان عرش الرحمن على الماء فصعد منه دخان
فخلق منه الارض ثم فتقها ارضين وخلق من ذلك الدخان السماء فقال لها
وللارض ائتيا اي كونا مسخرين لما اريد منكما بان يكون احديكما مقلة والاخرى
مظلة وابرازها او وعمّا من الاوضاع المختلفة والكاينات المتنوعة او تكونا
على ان معنى الخلق اولا التقدير والكلام على التمثيل بان مثل حالهما في سرعة
التكون على وفق الارادة ومقتضى الحكمة بحال المامور المطيع المبادر الى امتثال
الامر المطاع طوعا او كرها مثل للزوم تاثير قدرته فيهما وامتناع عدم حصول ما اريد
منهما وحاصله تصوير كمال عظمته وكبريائه وعدم تخلف مراده في شيء استدلالا
بالعالم العلوي والسفلي قالتا اتينا طائعين منقادين اجرى عليهما وصف العقلاء
لما جعلهما مخاطبين كقوله رايتهم لي ساجدين فقضيهن سبع سموات الضمير للسماء
على المعنى كقوله اعجاز نخل خاوية او مبهم فسر بسبع سموات تميز على خلق الاول
حال في يومين خلقهن وما فيهما في يومين فتم شان العالمين في ستة ايام خلق
الارض يوم الاحد ويوم الاثنين وخلق الجبال يوم الثلثاء وخلق الاشجار والماء
يوم الاربعاء وخلق السماء يوم الخميس وخلق الشمس والقمر والنجوم والملائكة يوم
الجمعة في ثلاث ساعات وفي اخر ساعاته خلق ادم قيل هي الساعة التي تقوم
فيها الساعة واوحى في كل سماء امرها ما امر به ودبرا واوحى الى اهلها بما اراد وزينا
السماء الدنيا بمصابيح وحفظا وحفظناها حفظا من ان يقع فيها خلل او معمول له
على المعنى كانه قال وخصصنا السماء الدنيا بمصابيح زينة وحفظا وانما قدم اليومين
مع ان ما ذكر بعدهما من تدبير امر السموات واقع فيهما لاهتمام اشارة الى ان
العالم العلوي الذي نسبة السفلي اليه نسبة الحلقة الى الفلاة تكون وتم امره في
اقصر من مدة تكونه فيعلم ان ايقاع هذه الافعال على وجه التدريج انما هو لارشاد
العباد الى التاني في الامور والا فامره تعالى في الايجاد انما هو بين الكاف والنون
ذلك تقدير العزيز العليم اي المذكور صنع الغالب على كل شيء العالم به فان اعرضوا
بعد هذا البرهان النير فقل انذرتكم صاعقة عذابا شديدا شبيه الصاعقة في الرفع

والشدة

والشدة مثل صاعقة عاد وثمود ومثل ذلك العذاب في الشدة كان ابو جهل
في ملا من قريش فقال قد التبس علينا امر محمد فهل منكم احد ياتينا ببيان منه قال
عتبة بن ربيعة انا لكم فاني قد علمت من السحر والشعر والكهانة ما لا يخفى فاتى رسول الله
ودعاه الى ترك سب الاصنام وذكر اباءهم فلما فرغ من كلامه تلا عليه السورة
الى ان بلغ صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك عتبة على فيه وناشده
بالرحم ان يكف وولى هاربا اذ جاءتهم الرسل صفة صاعقة الثانية لا الاولى
والاظرف انذرتكم لفساد المعنى من بين ايديهم ومن خلفهم من كل جانب
واجتهدوا في كل حيلة وعن الحسن انذرهم بالوقايع في الامم الماضية وبعذاب الاخرة
او ان يعبدوا وصالحي كل منهما وعاقريه الى الايمان به ولمن تقدم من الرسل
ولمن ياتي من بعد فان الايمان بالكل واجب فكان الكل قد جاؤا والحمل على
الكثرة كما في قوله ياتيها رزقها رغدا من كل مكان لا يستقيم لاختصاص كل قوم
بنبيهم الا تعبدوا الا الله ان مخففة حذف منها ضمير الشان او مفسرة قالوا لو شاء
ربنا ارسال الرسل لانزل ملائكة بالرسالة فانا بما ارسلتم به كافرون ليس
اقرار بالرسالة بل قالوه تهكما والخطاب لهما ولمن دعوهم الى الايمان به من
ساير الرسل فاما عاد فاستكبروا في الارض بغير الحق بغير استحقاق وذكرا والاكثرهم
ثم بين ما خص كل طايفة وقالوا من اشد منا قوة اي لا احد كانوا اطوالا غلاظا
شدادا حتى كان الرجل منهم يقتلع الصخرة من الجبل بيده فاغتروا بذلك اولم يروا
يعلموا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة اذ هم لا يقدرون على مثله فصحيح انه اقوى
واقدر وكانوا باياتنا يجحدون اي كانوا يعلمون ذلك الاقتدار منا وغيره من الايات
الا انهم كانوا ينكرون عنادا وعتوا فارسلنا عليهم ريحا صرصرا ريحا باردة تهلك
باصابته اي تقبضه وتشده ومنه الصرة لانه تجمع الدراهم او من الصرير وهو
صوت هبوبها في ايام نحسات هي الثمانية في قوله تعالى سبع ليال وثمانية ايام
والنحس ضد السعد وقراه الكوفيون وابن عامر بكسر الحاء والباقون بالاسكان
والكسر اولى لانه قياس الصفة من فعل كحذر وفهم ونهم وروى امالة السين عن
الكسائي لنذيقهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا اي الذل صفة للعذاب وصف
به العذاب كشعر شاعر على الاسناد المجازي مبالغة كان الخزي يسري من المعذب
الى العذاب ولعذاب الاخرة اخزى لكونه اشد واعم وهم لا ينصرون في الدارين
بدفع العذاب واما ثمود فهديناهم بنصب الادلة وارسال الرسول فاستحبوا
العمى على الهدى اي هديناهم على طريق الضلالة والرشاد لقوله فهديناه النجدين
وفيه دلالة على ان الهداية لا يستلزم الاهتداء وفي الاستحباب اشارة الى عدم
استقلال العبد بالايمان لان ايقاع الحب في القلب ليس بقدرة العبد وان كان اشارة

العمى حبا باختياره وهذا مما يلقم القدرية حجرا فاخذتهم صاعقة العذاب الهون
صاعقة من السماء والهون الهوان والكلام في اضافة العذاب اليه كما تقدم
في عذاب الخزي بما كانوا يكسبون من الكفر ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون
من تلك الصاعقة ويوم يحشر اعداء الله الى النار اراد وبيان عذاب الاخرة بعد
ذكر عذاب الدنيا وقرأ نافع بالنون على نظم ونجينا ونصب اعداء والباقون بالياء
على بناء المفعول والنون اشد تهويلا فهم يوزعون يحبس اولهم حتى يلحق آخرهم كناية
عن الكثرة حتى اذا ما جاؤها ما مزيدة للدلالة على ان وقت مجيئهم لا محالة وقت
الشهادة شهد عليهم سمعهم وابصارهم وجلودهم بما كانوا يكسبون وفي الحديث ان
الكافر يقول يوم القيمة يا رب أليس قد وعدت انك لا تظلم فيقول بلى فيقول
اني لا اقبل الا شاهدا من نفسي فيختم الله على فيه وينطق جوارحه بالاعمال التي صدرت
منه فيقول سحقا لكن فعنكن كنت اناضل وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا توبيخا لهم على
عدم مراعاة الصحبة مع ان العذاب مشترك والخطاب للجلود وحدها لشمولها لسائر
الاعضاء قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء اعتذروا بان ذلك لم يكن باختيار
منهم بل ممن انطق كل حي وهو خلقكم اول مرة واليه ترجعون اي الذي انطقنا هو الذي
انشأكم ابتداء واليه تردون للجزاء فلا عجب منه اذا انطقنا ويجوز ان يكون ابتداء
كلام الله تعالى يؤيده قوله ترجعون وقوله وما كنتم تستترون ان يشهد عليكم سمعكم ولا ابصاركم
ولا جلودكم اي ما كان استتاركم وقت فعل القبائح خيفة من شهادة الجوارح
كيف وانتم منكرون للبعث ولكن ظننتم ان الله لا يعلم كثيرا مما تعملون اي لكن كان
استتاركم من الناس دونه لانكم ظننتم انه غير عالم بخفيات اموركم وذلكم الظن
ظنكم الذي ظننتم بربكم ارديكم اهلككم خبران لذلكم او ظنكم بدل عنه اي ما اهلككم الا ذلك
الظن الكاذب فاصبحتم من الخاسرين داخلين في الكاملين في الخسران وعلى
العاقل ان يكون في خلواته اشد حياء واتم ادبا واوفر تحفظا لعلمه بانه لم يزل عليه منه
تعالى عين كالئة ورقيب مهيمن فان يصبروا فالنار مثوى لهم فيقاسون حرها
واحراقها وان يستعتبوا يطلبوا العتبى وهو الرضا عنهم فما هم من المعتبين من
الذين يعطون الرضا ويفوزون به والعدول الى الاسمية من لم يعتبوا مبالغة في
اخراجهم عن زمرة المعتبين وقيضنا لهم قرناء قدرنا لهم شياطين يشابهونهم فصاروا
اخدانا واحبابا واصل القيض المساواة يقال ثوبان قيضان اذا كانا متكافئين
ومنه القشرة البيض القيض لانها بقدره وكذا المقايضة لتقدير تساوي الثمن في
البدلين فزينوا لهم ما بين ايديهم وما خلفهم ما تقدم من قبائحهم وما هم عازمون عليها
في المستقبل او ما بين ايديهم من امر الدنيا واتباع الشهوات وما خلفهم من امر الآخرة
بان لا بعث فاقترفوا اللذات قبل فواتها وحق عليهم القول كلمة العذاب في امم

قد خلت

قد خلت من قبلهم من الجن والانس في جملتهم واولئك الذين كانوا على مثل اعمالهم
ليكونوا في العذاب قرناء كما كانوا في الدنيا اجنة واخلاء انهم كانوا خاسرين في
استبدال الضلالة بالهدى تعليل لاستحقاق العذاب واشارة الى ان ذلك
الشقاء نتيجة هذا الخسران وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه
كانوا يعلمون فصاحة الفاظ القرآن وحلاوة معناه وانه جلاب للقلوب
سلاب للعقول والنهى ومن سمعه سماع تأمل وتدبر آمن به وايقن انه ليس
بشعر ولا سحر وانه خارج عن طوق البشر فتواصوا بانهم اذا سمعوا قاريا يقرأه
يحيزون اللفظ والاباطيل حتى لا يفهم ويتشوش القاري لعلكم تغلبون الخصم
فلنذيقن الذين كفروا عذابا شديدا هم هؤلاء او ايقاع الكفر صلة اشارة الى علة
العذاب او عامة الكفار ولنجزينهم اسوأ الذي كانوا يعملون اي اسوأ جزاء
اعمالهم او جزاء العمل الاسوء والاول اولى لقوله ذلك جزاء اعداء الله فانه خبر
عن الاسوء النار عطف بيان او خبر مبتدأ محذوف لهم فيها دار الخلد هي
دار الاقامة كما تقول لك في هذه الدار دار سرور على طريقة التجريد جزاء بما كانوا
بآياتنا يجحدون يكذبون بها حالين عنادا ولذلك جوزوا الاوفى وفيه اشارة
الى ان عذاب الاخرة كله اسوء بالنسبة الى عذاب الدنيا وقال الذين كفروا
ربنا ارنا الذين اضلانا من الجن والانس الشياطين على قسمين كما اشار اليه
بقوله من الجنة والناس وبقوله وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس
والجن وقيل هما ابليس وقابيل سنا الكفر والقتل نجعلهما تحت اقدامنا انتقاما
منهم كقوله هؤلاء اضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار ليكونا من الاسفلين
لكونهما اشد كفرا للضلال والاضلال ان الذين قالوا ربنا الله آمنوا به معترفين
بربوبيته ثم استقاموا ولم يزل قدمهم عن طريق العبودية قلبا وجوارحا وهذا
مقام عزيز واليه اشار صلى الله عليه وسلم بقوله شيبتني هود واضرابها وروى
الامام احمد عن سفيان بن عبد الله الثقفي انه قال يا رسول الله حدثني بامر
اعتصم به فقال قل ربي الله ثم استقم تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا
وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ان مفسرة بمعنى اي او مخففة حذف منها
ضمير الشان الخوف يكون من مكروه مترقب والحزن على فائت في الماضي والمعنى
لا تخافوا على ما تقدمون اليه ولا تحزنوا على ما خلفتم من الاهل والمال وابشروا
بالجنة التي كنتم توعدون على لسان الرسل قيل تبشرهم الملائكة في ثلثة مواطن
عند الموت وفي نزول القبر وعند البعث والظاهر ان ما في الاية هو الاول
لقولهم نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا بالمحافظة عن الشياطين والهام الخير
وفي الحديث ان للملك لمة وللشياطين لمة اما لمة الملك فايعاد بالخير واما لمة

الشيطان فايعاد بالشر وفي الآخرة بالشفاعة والتلقي بالاكرام متولا في
مقابلة القرناء للكفار ولكم فيها ما تشتهي انفسكم من اللذائذ ولكم فيها ما تدعون
تطلبون من الدعاء بمعنى الطلب اعم من الاول وحمل الدعاء على التمني لا يلايم
المقام نزلا من غفور رحيم حال من الضمير في لكم لانه خبر ما تدعون اي المدعي
كاين لكم حال كونه نزلا من المحذوف العايد الى ما لان الادعاء والتمني ليسا
في حال كونه نزلا وفيه اشارة الى ان هذا نزل الضيف وله بعده الذي لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ومن احسن قولا ممن دعا الى الله
الى عبادته وعمل صالحا اي وافق فعله قوله وقال انني من المسلمين اي اتخذ
الاخلاص دينا كما تقول هذا قول ابي حنيفة اي معتقده وما يدين به وقيل قاله
مفتخرا به وهذه الرتبة اعلى من الايمان والاستقامة فانها الكمال وتلك كمال
ولذلك قيل هو رسول الله والحق انها عامة وهو اول واحق فيها وما روي انها
نزلت في المؤذنين يرده كونها مكية والاذان شرع بالمدينة ولا تستوي الحسنة
ولا السيئة اي الحسنات تتفاوت الى حسن واحسن وكذلك السيئات اي السيئ
والاسوء ادفع بالتي هي احسن اي ادفع السيئ والاسوء باحسن الحسنتين كما
اذا قدرت على من اساء اليك فالحسنة ان تعفو عنه والاحسن ان تحسن اليه
مقام اسائته وانما ترك الفاء لان الاستيناف اقوى الوصلين فهو على تقدير
قائل وقيل لا مزيدة والمراد نفي المساواة بين الجنسين والاعلام بان فيهما بونا
بعيدا وكان الظاهر ادفع بالحسنة السيئة عدل الى المنزل لان من دفع بالاحسن
هان عليه الدفع بالحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
اي اذا جاريت المسيء بالاحسان صار عدوك الميثاق كانه ذو قرابة تشفقا
وفي معناه قال شعر ان العداوة تستحيل مودة بتدارك الهفوات بالحسنات
وما يلقيها الا الذين صبروا اي ما يعطي هذه الخليقة الا من حبس نفسه على الكره
وما يلقاها الا ذو حظ عظيم من الحلم وكمال النفس وعن الحسن ما عظم حظ والله
دون الجنة واما ينزغنك من الشيطان نزغ النزغ هو النخس اريد به وسوسته
وبعثه على الشر وهو الانتقال والدفع بالاسوء وقيل من قبيل جد جده وصف
للشيطان بالمصدر على طريقة التجريد فاستعذ بالله من شره انه هو السميع لاستعاذتك
العليم بقصدك ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر الدالة على اقتداره ووحدانيته
ذكر ان لا احسن قولا من الداعي الى الله ثم ارشده الى ما يدعو به من ادلة الآفاق
لا تسجدوا للشمس ولا للقمر كانوا يسجدون للكواكب على قصد التقرب الى الله فنهوا
عن ذلك واسجدوا لله الذي خلقهن فانه المستحق وحده والضمير للاربعة لان حكم جماعة
ما لا يعقل ان كنتم اياه تعبدون ان كنتم موحدين غير مشركين فان استكبروا

عن

عن الامتثال فالذين عند ربك الملائكة المقربون يسبحون له بالليل والنهار
يداومون على تقديسه وهم لا يسأمون لا يملون هذا موضع السجود عند ابي
حنيفة والشافعي في اصح الوجهين لانه تمام المعنى واحتياطا لانه ان كان عند
يعبدون فالفصل يسير والتقديم غير جائز وفي وجه يعبدون لاتصاله بقوله واسجدوا
ومن آياته انك ترى الارض خاشعة يابسة اصله الانخفاض من قولهم اكمة
خاشعة اي لاطية فاذا انزلنا عليها الماء اهتزت وربت انتفخت وتزخرفت
بالنبات كالمختال في زيه بعد ما كانت كالذليل في اطمار رثة ان الذي احياها
بالنبات النضر البهيج لمحيي الموتى لا محالة انه على كل شيء قدير كامل الاقتدار
ان الذين يلحدون في آياتنا الحد ولحد مال عن الاستقامة استعير لصرف الكلام
عن وجهه وقرأ حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء لا يخفون علينا وعيد لهم افمن
يلقى في النار خير ام من يأتي آمنا يوم القيمة تهديد لمن يلحد في آيات الله بانه كما
انحرف في تاويل الآيات كذلك يعدل به عن الصراط الموصل الى النعيم
الى الجحيم اعملوا ما شئتم اذ قد علمتم حال الرجلين ونهيا الامر للتهديد لا للايجاب
العقل انه بما تعملون بصير فيجازي على وفق ما علم ان الذين كفروا بالذكر لما جاءهم
بدل من الذين يلحدون اشارة الى ان الحامل على الالحاد هو كفرهم وفيه اعداد
التحذير بوضع الذكر موضع الآيات تحسير الهم وبما في لما من الدلالة على انهم
كفروا اول ما قرع سمعهم من غير تدبر وتمهيد للحديث عن كمال الكتاب بقوله
وانه لكتاب عزيز شريف جم المنافع او غالب لا يأتيه الباطل من بين يديه
ولا من خلفه مثل حاله بحال الشيء المحمي من جميع الجوانب فلا يمكن للعدو الوصول
اليه وفيه اشارة الى انه محفوظ من حين النزول الى آخر الدهر كما قال انا نحن
نزلنا الذكر وانا له لحافظون ورد لالحاد الملحدين فيه بان سعيهم في ذلك كالرقم
على الماء تنزيل من حكيم اي حكيم حميد افعاله واقواله على وجه الايقان
والكمال فكيف يتطرق الباطل الى وحيه ما يقال لك الا ما قد قيل للرسل من
قبلك اي ما يقول لك كفار قريش الاشياء قيل لمن تقدمك من الرسل مثله
كقوله وان كذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ان ربك لذو مغفرة لانبيائه
وذو عقاب اليم لاعدائه او ما يقول لك الله الا ما قد قال للرسل قبلك وهو
الوعد بالمغفرة لمن آمن وبالعقاب لمن كفر وانما وصف العقاب دون المغفرة
لان الكلام في الترهيب ولو جعلناه قرآنا اعجميا اي لو فرض كذلك لقالوا
لولا فصلت آياته بينت بلسان عربي نفهمه والغرض ان تعنتهم لا سبيل الى دفعه
ءاعجمي وعربي اي هذا امر منكر والاعجم هو الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من اي
لغة كان والياء للنسبة والعجمي منسوب الى الطايفة المعروفة والآتي بالرفع

ان المنزل عليهم امة العرب لان القصد بيان تنافر ما التي الكتاب والمكتوب
اليه فلو جمع كان اثباتا بالا مدخل له في الغرض وهذا اصل كلي في الاثبات والحذف
والاطلاق والتقييد الى غير ذلك في كل كلام بليغ وقرا حمزة والكسائي وابو بكر
بتحقيق الهمزتين على الاصل والباقون بتسهيل الثانية تخفيفا سوى هشام فانه
قرا باسقاط الاولى اما على الاخبار على معنى لولا نوعت اياته فيكون بعضها
اعجميا وبعضها عربيا ليكون لكل طايفة منه حظا او على حذف وتقدير فيوافق
الاولى قل هو للذين امنوا هدى وشفاء هادى الى كل خير وشفاء عن الجهل
والشبه والذين لا يومنون في اذانهم وقر عطف على المجرور اى هو للذين امنوا
هدى وشفاء وللذين لا يومنون وقر في اذانهم بيان لمحل الوقر او حال من
المستكن في الظرف عايد الى وقر وهو من العطف على عاملين مختلفين او مبتدا
ما بعده خبره اى والذين لا يومنون هو في اذانهم وقر او وقر منه في اذانهم فحذف
الرابط وهو عليهم عمى استولى على بصايرهم ولم يتعرض لحال القلب لانه علم مما
في شفاء من التعريض انه مريض بعلة الطبع اولئك ينادون من مكان بعيد
لا يمكن لحوق الصوت اليهم تمثيل لبعدهم عن الحق ولقد اتينا موسى الكتاب
فاختلف فيه فقال بعضهم حق وكذب البعض وكذلك حالك وحال من ارسلت
اليه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم باستيصال المكذبين وانهم اى اليهود
او الذين كفروا لفي شك منه من التورية او القران مريب موقع للقلق والاضطراب
من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها لا يتجاوزها خيره وشره وما ربك بظلام للعبيد
بان يواخذ من غير جرم والكلمة السابقة هي العدة بالفصل يوم القيمة وفيه تخلص
الى ذكر الساعة بقوله اليه يرد علم الساعة ارشادا للمومنين الى الجواب ان سيل
احدهم عنها بان يقول لا يعلمها الا الله وما تخرج من ثمرة من اكمامها وما تحمل
من انثى ولا تضع الا بعلمه الاكمام جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة والاستثناء من
الحمل اى لا يحدث شيء من هذه الاشياء الا ملتبسا بعلمه وليس من الاستثناء
المتعقب للجمل لاختلف في متعلقه لاتحاد المقصود ولاختصاص ذلك بغير المفرغ
وقرا نافع وابن عامر وحفص من ثمرات بالجمع لاختلاف الانواع ويوم
يناديهم اين شركاءي قالوا اذناك ما منا من شهيد اى اعلمناك ان احد منا
لا يشهد اليوم انهم شركاؤك فانك اعادة السوال عليهم زيادة للتوبيخ او ما منا
احد يشاهدهم لقوله وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل او معناه انك علمت
بواطننا انا لا نعتقد الان فيك شريكا فالاعلام بلسان الحال واذناك
انشاء فلا يقتضي سبق اعلام ويجوز ان يكون من كلام المعبودين والضلال مجاز
عن عدم النفع وفيه تفكيك الضماير وظنوا ما لهم من محيص ايقنوا بان لا مهرب

الظن

الظن معلق بحرف النفي لا يسام الانسان من دعاء الخير من طلب
السعة في المال والجاه وان مسه الشر في بعض الاوقات فيؤس
كثير اليأس قنوط ظاهر عليه آثاره فالاول فعل القلب والثاني للجوارح بولغ
فيه بناء وتكريرا وهذا شان الكافر ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته
ليقولن هذا لي لان كنت مستحقه ولا يرى في ذلك منة المنعم والايقاع بالشكر
عظم الرحمة بالشكر والوصف وحقر الضراء بلفظ المس وما اظن الساعة قائمة
جلب له الاغترار بذلك سوء الاعتقاد في المعاد ولئن رجعت الى ربي ان
لي عنده للحسنى اى لو فرض ذلك ان لي عند الله الحالة الحسنى قياسا امر الاخرة
على الدنيا فلننبئن الذين كفروا بما عملوا بعكس ما اعتقدوه ولنذيقنهم من عذاب
غليظ مفرط في الغلظ وفق جهلهم المفرط واذا انعمنا على الانسان اعرض
عن شكر المنعم ونأى بجانبه تكبر ولفظ الجانب مجاز او اشارة الى تعاظمه كقول
الكتاب الجناب العالي والمجلس السامي او على اصله فانه عند الاعراض
يثني عطفه كقوله تولى بركنه وقرا ابن ذكوان وعن ابن عامر ناء بتقديم الالف
على الهمزة مقلوب نأى او من ناء ينوء نهض والقلب اولى ليوافق الاولى
في معنى البعد زايدا على الاعراض واذا مسه الشر فذو دعاء عريض كثير استعير
عما له عرض وهو ابلغ من الطويل فانه اقصر الامتدادين فاذا كان كذلك
فالطول اولى ذكره اولا على شدة حرصه على الجمع وغاية جزعه على الفقد وثانيا بطيشه
المتولد عن الاستكبار عند وجود النعمة والاستكانة عند فقدها لا في حالة السعة
شاكرا ولا في حال الفقد صابرا محتجا فيه الاشارة الى غاية حماقته فان اليأس
والقنوط ينافيان الدعاء العريض واين ادعاء استحقاقه الحسنى عند الله من
هذا بل هو كالتزريق في السلك قل ارايتم ان كان من عند الله ثم كفرتم به من
اضل ممن هو في شقاق بعيد اى اخبروني ان صح ان القران من عند الله
فانكم لستم على حجة في انكاره وقد كفرتم به من يكون اعرق في الشقاق منكم
وايثاركم البيان بعد الكفر بالقران والا فقد كذبوا به لما جاءهم من غير تلعثم
او رده على اسلوب كلام المنصف حثا على التامل واستدراجا الى الاقرار ثم
تمم بقوله سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اى عن
قريب نريهم ما يدل على ان القران حق لا ريب فيه او الرسول او التوحيد بما جرى
على يدي رسولنا ومن بعده من الخلفاء وساير الصحابة من الفتوح في مشارق
الارض ومغاربها لا سيما في ناحية العرب وساحتها وفي ذلك من الدلالة
على قوة الاسلام واهله ووهن الباطل وحزبه ما يحقق صدق قوله ليظهره على الدين
كله ولو كره المشركون وبه يتبين انه الحق الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد يعلم الاشياء على شهود ويستوي عنده
كل غيب وشهادة تحقيق لتلك الاراءة فانها نزلت والمؤمنون في غاية الضعف
والقلة كذا عن مجاهد والحسن والسدي وعن عطا ايات الافاق والانفس
ما في اقطار السماء والارض وما في الانسان من بدايع الصنع ولطايف الحكم
والالتفات الى التكلم لزيادة الاختصاص تحقيقا لثبوت الاراءة ومعنى يتبين
لهم انه الحق اي الله ذاتا وصفة وقولا وفعلا فهو الحق من كل وجه واذا تبين
لهم ذلك تبين حقية القران فانه كلامه ثم قيل او لم يكف بربك شهوده على كل
شيء فانه يشهد الاشياء على التحقيق لانه استدلال بالمؤثر على الاثر على طريقة البرهان
اللمي وهو اقوى من الاستدلال بالاثر وفي اضافة الرب اليه اشارة الى ان
ذلك ليس للعمل فيه مدخل بل محض عناية كما اشير اليه جذبة من جذبات
الرحمن توازي عمل الثقلين الا انهم في مرية من لقاء ربهم لعدم ذلك الشهود
فهم في ظلمة متكاثفة الا انه بكل شيء محيط علما وقدرة فمن شهده شهد كل شيء تمت
والصلوة على من به سورة الشورى مكية وهي ثلث وخمسون تمت دايرة الرسالة
بسم الله الرحمن الرحيم حم عسق مقطعات لالفاظ او اسمان للسورة ولذلك
فصل بينهما اوليوافق ساير الحواميم كذلك يوحي اليك والى الذين من قبلك
اي مثل المعاني التي في هذه السورة اوحى الله اليك في ساير السور والى الرسل
من قبلك في ساير الكتب امثالها في التكرير من التقرير والتذكير والدلالة على
انها امور مهمة وايثار المضارع حكاية الحال الماضية لافادة الاستمرار وان ايحا
مثله عادته وقرأ ابن كثير يوحى بالفتح على ان كذلك مبتدا ويوحى خبره والله
مرتفع بما دل عليه يوحى كارتفاع رجال في يسبح بفتح البا كانه قيل من الموحي
فقيل يوحي الله على انه قوله العزيز الحكيم وصفان له او يوقف على من قبلك
وقف التمام والله مبتدا والاسمان بعده خبران او الاول خبر والثاني نعته
او كلاهما نعت والخبر ما بعدهما وايثار الوصفين للدلالة على انه غالب على امره
يختار من يشاء لرسالته حكيم في افعاله يوحي الى رسله ما العبادة فيه خير الدارين
له ما في السموات وما في الارض مالكهما وخالقهما وهو العلي شانه العظيم سلطانه
تكاد السموات قرأ نافع والكسائي بالياء والتانيث اولى لعدم الفصل
يتفطرن يتشققن وقرأ نافع وابن كثير والكسائي وحفص يتفطرن بالتاء المفتوحة
وتشديد الطاء من التفعل وهو اولى لدلالة الصيغة على المبالغة اللايقة بالمقام
والانفطار اما من عظمة الله وكبريائه كما دل عليه العلي العظيم او من نسبة الولد
له كما في قوله ام اتخذوا من دونه اولياء وكقوله في سورة مريم تكاد السموات
يتفطرن منه وتنشق الارض ان دعوا للرحمن ولدا والاول اولى بالمقام من فوقهن

من جهة

من جهة الفوق كالعرش والكرسي ولانه على ان كل ما عظم وعلا من الكاينات
يتضع لجلال جبروته او من اعالي سطوحهن فان الكلمة الفظيعة وهو اتخاذ الولد
جاءت من تحتها فحيث اثرت في جهة الفوق كان تاثيرها في جهة التحت من
باب الاولى والملائكة يسبحون بحمد ربهم مداومون على تقديسه وتحميده خاضعين
لكبريائه حامدين على ما اولاهم او يقدسونه عن اضافة الولد اليه حامدين له على ما
عصمهم عن موجبات سخطه ويستغفرون لمن في الارض اي للمؤمنين لقوله ويستغفرون
للذين امنوا او لاهل الارض قاطبة حرصا على نجاة الخلق بان لا يعاجلهم بالعذاب
عسى ان يتوب المسيء الا ان الله هو الغفور الرحيم حث على الاستغفار وان
الناس اولى بذلك من الملائكة ولذلك صدر الكلام بحرف التنبيه والذين اتخذوا
من دونه اولياء الله حفيظ عليهم رقيب فيجازيهم على وفق عملهم وما انت عليهم بوكيل
موكول اليه امرهم وكذلك اوحينا اليك قرانا عربيا وذلك اشارة الى كونه رقيبا
وحده وهذا المعنى يتكرر في القران والكاف مفعول به وقرانا عربيا حال منه او الى
مصدر الايحا اي مثل ذلك الايحا اوحينا اليك قرانا عربيا بلسانك لتفهمه
لتنذر ام القرى وهي مكة لان الارض دحيت من تحتها فهي اصلها ومن حولها
من العرب انذره وانذر به لبعض وتنذر يوم الجمع يوم القيمة لاجتماع الخلق فيه
او الارواح والاجساد او العامل وعمله افرده بالذكر لعظم اهواله ولموقع عليه
لفظ الانذار صريحا لا ريب فيه اعتراض لا محل له فريق في الجنة وفريق في السعير
اي من المجموعين لدلالة الجمع عليه والمعنى بعد الجمع والقضاء يتفرقون ولو شاء الله
لجعلهم امة واحدة في الهدى او الضلال ولكن يدخل من يشاء في رحمته وهم المؤمنون
بالتوفيق والظالمون المتخذون من دونه وليا اي بالظاهر ليكون علة لقوله
ما لهم من ولي ولا نصير او عام فيدخلون دخولا اوليا وتغيير المقابلة للمبالغة
في الوعيد لان الكلام في الانذار ام اتخذوا من دونه اولياء انكار لاتخاذهم
اولياء من دونه وما بين الاتحادين اعتراض فالله هو الولي جواب شرط مقدر
اي ان ارادوا وليا بحق فالله هو ذلك الحق ارشاد الى من يصلح بعد انكار
من لا يصلح وفيه شد لعضد الانكار وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ومن
هذا شانه حقيق بالولاية وما اختلفتم فيه من شيء من امور الدين انتم والكفار حكاية
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحكمه الى الله مفوض اليه يثيب المحق ويعاقب
المبطل او ما وقع بينكم ايها المؤمنون من الحكومات فتحاكموا الى رسوله او ما تشتبه
من الكتاب ردوه الى المحكم او في المجتهدات لجواز الاجتهاد في زمانه وبحضرته وقد
عليه حكم الصديق في سلب ابي قتادة على ما رواه البخاري من غير معارض ذلكم الله
ربي عليه توكلت في اموري واليه انيب في حل المعضلات فانتم اولى بذلك

فاطر السموات والارض خبر اخر او مبتدأ وخبره جعل لكم من انفسكم من جنسكم
ازواجا نساء ومن الانعام ازواجا اناثا للتوالد والتناسل يذرؤكم يكثركم
الذرء والذر اخوان فيه اى فى هذا التدبير والجعل الضمير لما دل عليه الفعل
وفى يذرؤكم تغليب العقلاء والخطاب ليس كمثله شىء نفى لمن يماثله على طريق الكناية
وذلك ان البرهان دل على نفى مثله فلو كان لمثله مثل لكان مثلا له وهذا اسلوب
معروف بين البلغاء يقولون انفعت لذاته وبلغت اترابه وفى المدح بالجود مثلك
لا يبخل ولا فرق بينه وبين قولك انت لا تبخل الا ما تعطيه الكناية من المبالغة
وتبيين الدلالة على موجب عدم البخل والثانى ادخاله فى زمرة من لا يبخل فهو اول
على عدم البخل وقيل حرف التشبيه للتاكيد والوجه ما تقدم وهو السميع لكل المسموعات
البصير بكل المبصرات تقرير لنفى المماثل له مقاليد السموات والارض خزاينها
او مفاتيحها تضمن ذكر ساير الصفات الذاتية وافراد السمع والبصر لانهما اخص
اوصاف المعبود من حيث انه معبود الا ترى الى قول ابراهيم عند تناصح ابيه
يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر يوسع ويضيق
فى وقتين انه بكل شىء عليم فيغنى ويفقر على حسب علمه شرع لكم من الدين
ما وصى به نوحا والذى اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى
تفصيل لما اوحى اليه والى الذين من قبله وهو باب الالهيات والعقايد التى
لا تتبدل لا الفروع لقوله لكل جعلنا منكم شرعة ان اقيموا الدين بدل من مفعول
شرع او استيناف جواب ما ذا شرع ولا تتفرقوا فيه اى فى هذا الاصل كبر
على المشركين ما تدعوهم اليه من التوحيد الله يجتبى اليه من يشاء ويهدى اليه
من ينيب الضمير لله والاجتباء الاصطفاء وقدمهم على اهل الاهتداء وان اتحدوا
فى التوحيد لشرفهم او للدين والاجتباء من الجباية وهى الجمع لانه لما نهى عن
التفرق وان ذلك شاق على المشركين اردفه بان الله يجمع على دينه من
يشاء بتوفيقه على زعم المشركين والاول اعلى فائدة لدلالته على ان الله عباداهم
صفوته ولان الاجتباء فى الاصطفاء اظهر والثانى اوفق بالمقام وما تفرقوا الا
من بعد ما جاءهم العلم اى لم يتفرق الامم بعد موت الانبياء من لدن نوح الا
بعد علمهم ان الفرقة ضلال وفساد او وما تفرق ابناء الموحدين الا بعد العلم
من الانبياء بان التفرق ضلال لان الناس كانوا بعد الطوفان امة واحدة
مؤمنين فاختلفوا او ما تفرق اهل الكتاب الا بعد ما جاءهم العلم من المبعوث
المصدق لكتابهم آمن بعضهم وكفر اخرون بغيا بينهم ظلما فيما بينهم لطلب الدنيا
ولولا كلمة سبقت من ربك الى اجل مسمى هى العدة الى قيام الساعة لقضى بينهم
باستيصال المبطل وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم اعقابهم الذين

كانوا

كانوا فى عهده لفى شك منه من كتابهم ضميرا الى التفرق الشك فى الكتاب
الذى هو اصل دينهم وعلى الثالث هم مشركو مكة اورثوا القرآن فهم فى شك منه
مريب معلق فلذلك فادع اى لاجل تشعب الكفر فى الامم فادع الى الملة
الحنيفية القديمة والاتفاق عليها والاشارة الى مضمون شرع وما يتصل به
اى لاجل ما شرع كتبت مع اولئك الرسل من الامر باقامة الدين والنهى
عن التفرق فادع واستقم كما امرت على الدعوة ولا تتبع اهواءهم الباطلة
وقل آمنت بما انزل الله من كتاب اى كتاب انزله فانهم امنوا ببعض وكفروا
ببعض وامرت لاعدل بينكم ان تحاكمتم الى فالاول اشارة الى القوة النظرية
وهذا الى العملية الله ربنا وربكم لا اله غيره لنا اعمالنا نجازى بها ولكم اعمالكم
كذلك تجازون فانظروا لنفسكم لا حجة بيننا وبينكم لا حجاج لان الحق قد ظهر والمراد
ترك المقاولة الله يجمع بيننا يوم القيمة واليه المصير لا الى غيره والذين يحاجون
فى الله اى فى دينه من بعد ما استجيب له من بعد ما استجاب له الناس ودخلوا
او استجاب الله لرسوله بالنصر والوعد باظهار دينه حجتهم داحضة عند ربهم ساقطة
هم المشركون الذين كانوا يصدون عن سبيل الله بان ما اتى به محمد شعر او سحر
وقيل هم اليهود لكانوا يقرون بنبوته ويستفتحون به فلما جاءهم كفروا فان قلت
التقييد بقوله من بعد ما استجيب له يدل على ان قبل الاستجابة كانت حجتهم ناهضة
قلت لا دلالة فيه بل انما ذكر اشارة الى فرط جهلهم اذ بعد ظهور تباشير النصر وشروق
شمس الحق لا وجه للانكار او الانكار بعد الاقرار حماقة فهم فى ذلك كالراقم على الماء
وعليهم غضب واى غضب ولهم عذاب شديد ملايم لشدة جهلهم الله الذى انزل
الكتاب بالحق والميزان تهديد للكفار بعد ظهور الحق والميزان العدل والمعنى
الله الذى انزل جنس الكتاب مشتملا على الحق وامركم باقامة العدل بينكم وما يدريك
لعل الساعة قريب فيفاجئكم اليوم الذى يحاسبكم فيه ويوفى لمن وفى ويطفف
لمن طفف والساعة فى تاويل البعث ولذلك قيل قريب او على تقدير المجئ
يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها يقولون متى هذا الوعد والذين امنوا مشفقون
منها خائفون منها غاية الخوف كيف وهو يوم يجعل الولدان شيبا ويعلمون
انها الحق الذى لا مرية فيه يؤكد الاشفاق الا ان الذين يمارون فى الساعة
يجادلون فى وقوعها من المراء ومن المرى يقال مرى الفرس اذا استخرج
ما عنده من الجرى فان كلا من المتناظرين يستخرج من قريحته ما يقدر عليه لفى ضلال
بعيد عن الحق لتوافق العقل والنقل على وقوعها الله لطيف بعباده بليغ البر بهم
ولذلك اخر العذاب عن منكرى الساعة مع تحقق استحقاقهم واللطف ايصال
نفع له موقع بدقة يرزق من يشاء ما يشاء مترتب على السابق ترتب الانواع على الجنس

فالكل للكل يخص هذا بنعمة وذاك باخرى وهو القوي العزيز بليغ القدرة الغالب
على ما اراد ولما شمل رزق الدارين قال من كان يريد حرث الاخرة الحرث القاء
البذر في الارض شبه به العمل الذي يطلب به الثواب فان الدنيا مزرعة الاخرة
نزد له في حرثه اي في ثواب عمله الحسنة بعشر امثالها الى ما شاء الله تعالى ومن
كان يريد حرث الدنيا نؤته منها شيئا منها وهو المقدر له اذ ليس لكل ما يتمناه يدركه
ولم يذكر ما للمؤمن من الدنيا لحقارته ولانه ليس مرادا له بل وسيلة الى المراد كانيا
بالعرض وما له في الاخرة من نصيب اذ لم يزرع لها شيئا ام لهم شركاء شرعوا لهم
من الدين ما لم ياذن به الله من الشرك وانكار البعث وقصر النظر على حرث
الدنيا الهمزة في ام للتقرير والتوبيخ اضراب عن قوله شرع لكم من الدين وما في
البين اعتراض تتميما للاوامر وتاخير الاضراب عنه ليدل على ان ما شرعوه مخالف
لشرع الله من كل وجه ولولا كلمة الفصل اي القضاء السابق بتاجيل العذاب
او العدة بان الفصل يكون يوم القيمة لقضي بينهم بين المؤمنين والكافرين او
بين المشركين وشركائهم وان الظالمين لهم عذاب اليم يوم القيمة وكل آت قريب
ثم هول شانه بقوله ترى الظالمين في ذلك اليوم مشفقين مما كسبوا من وباله
وهو واقع بهم لا محالة اذ قد فات وقت التلافي والذين امنوا وعملوا الصالحات
في روضات الجنات في انزه اماكن الجنة واشرفها لهم ما يشاؤن عند ربهم عند
ربهم نصب بالظرف لا بيشاؤن لفوات غرض المبالغة لانك اذا قلت لي عند فلان
ما شئت افاد ان كل مطالبك ثابتة عنده واذا قلت ما شئت عند فلان فهو ثابت
لا يفيد حصول كل مطلوب والاول جعله خبرا آخر وانما اخره قياما من الادنى وذلك ان
الوافد الكريم ينزل اولا في انزه الاماكن ثم يقدم اليه الذ ما يتناول ثم يقربه رب المنزل
وجعله حالا يفيد هذا المعنى ايضا الا انه ضعيف ذلك هو الفضل الكبير اي ما يعطي المؤمن
هو الذي يصغر دونه كل فضل ذلك الذي يبشر الله عباده الذين امنوا وعملوا
الصالحات اي به حذف الجار ثم العايد او ذلك التبشير الذي يبشر الله
عباده وقرا ابن كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي بفتح الياء واسكان الباء
وضم الشين مخففا والتشديد ابلغ قل لا اسئلكم عليه اجرا على تبليغ الرسالة
الا المودة في القربى الا ان تودوني لقرابتي منكم وذلك انه لم يكن في
قريش بطن الا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة كذا رواه
البخاري عن ابن عباس لما سئل عن تفسير القربى في الاية وقيل الا التقرب
الى الله بالطاعة وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا اسئلكم عليه اجرا قط لكن اسئلكم
المودة وفي القربى حال اي ثابتة متمكنة في حق القرابة وما يروى انها لما نزلت قيل
يا رسول الله من هؤلاء الذين امر الله بمودتهم قال فاطمة وعلي وابناهما فحديث منكر

لان

لان الاية مكية اتفاقا وعلي انما تزوج فاطمة بعد بدر وما رواه مسلم باسناده الى
زيد بن ارقم انه صلى الله عليه وسلم قال في خطبة اذكركم الله في اهل بيتي
اذكركم الله في اهل بيتي اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي ولن
يفترقا حتى يردا علي الحوض ففيه كفاية في ايجاب حب اهل بيته واجلال قدرهم
وايثارهم على الارواح والمهج واذا كان الحب في الله بين المؤمنين من
الايمان فكيف بحب ذريته اللهم اني احبهم واحب من يحبهم اللهم الحقني على
محبتهم واحشرني في زمرتهم اللهم اشدد وطأتك على من عاداهم وآذاهم
ومن يقترف حسنة يكتسب طاعة وعن السدي هي المودة في القربى والحق
عمومها لكن تناولها اولى لانضمامها بما نزد له فيها حسنا بمضاعفة ثوابها ان الله
غفور لمن اذنب شكور مجاز عن اعتداده بالطاعة ام يقولون افترى على الله
كذبا اضراب اخر اعظم من الاول فان شرع الشركاء لهم الدين وان كان
شرا الا انه لا يبلغ فحاشة رتبة الافتراء على الله من مدعي الرسالة والاستفهام
للتوبيخ كانه قال ايقدرون على اجراء هذه الكلمة على افواههم ولا يخافون ان
تصيبهم قارعة من السماء فان يشا الله يختم على قلبك لتكون مثلهم اشارة الى
ان الفرية التي اليه تعالى شان من كان مختوما على قلبه وفيه تعريض بهم ويمح الله
الباطل ويحق الحق بكلماته استيناف يؤكد مفهوم السابق اي كيف يكون افترا
وعادة الله القذف بالحق على الباطل وازهاقه وما اتى به يزداد كل يوم فهو
الحق الذي يؤيده بوحيه او قضائه وقيل هو عدة لرسول الله بالنصر ومحق باطلهم
بالقران فهو اعتراض يؤكد كونهم مبطلين في نسبة الافتراء الى من هو اصدق
الناس لهجة جاء باصدق حديث من اصدق متكلم وعن قتادة يختم على قلبك
يقطع الوحي عنك او يربط الصبر على قلبك حتى لا يشق عليك قولهم فيك انه عليم
بذات الصدور مضمراتها فيجازيهم على ما اضمروه من بغضهم وحسدهم اياك فعلا عما
اظهروه وهو الذي يقبل التوبة عن عباده لما عظم جرمهم ودعاهم الى التوبة اشارة
الى ان الذنب وان عظم فعفوه اعظم واضافهم اليه ايماء الى انهم لم يخرجوا بالذنب
عن حوزته ولم ينقطع بذلك العلاقة وحقيقة التوبة الاقلاع عن الذنب خوفا منه
تعالى واما الندم على ما مضى والعزم على ان لا يعود فمن شرائطه ويعفو عن
السيئات لمن يشاء صغيرها وكبيرها الا ما استثناه من الشرك ويعلم ما تفعلون
من خير وشر وقرأ حفص وحمزة والكسائي بالتاء الخطاب التفاتا مقبلا عليهم ليكون
ادعى لهم الى الرجوع ويستجيب الذين امنوا وعملوا الصالحات اي يستجيب لهم بحذف
الصلة وايصال الفعل او دعاءهم بحذف المضاف ويزيدهم من فضله زيادة
على ما سألوه وقيل الاستجابة فعل المؤمنين حين دعاهم الى التوحيد وما روي عن

ابراهيم بن ادهم قدس سره انه قيل له ما لنا ندعو فلا نستجاب قال لانكم دعيتم فلم
تجيبوا ثم قرأ والله يدعوا الى دار السلام ويستجيب الذين امنوا يويده ويهو من
قبيل كما تدين تدان ومن تقرب الى شبرا تقربت اليه باعا ويزيدهم من فضله على
هذا معطوف على مقدر اى فيوفيهم اجورهم ويزيدهم والكافرون لهم عذاب شديد
بدل ما للمؤمنين من النعيم ولو بسط الله الرزق لعباده بان يفيض عليهم فوق
حاجتهم لبغوا فى الارض لافسدوا فيها بطرا او اشرا فان المال مبطرة مأشرة
وكفى بحال قارون عبرة وفى الحديث والله لا الفقر اخشى عليكم ولكن اخاف
ان يبسط عليكم فتنافسوا فيها كما تنافس من قبلكم وفيه عنه تعالى ان من عبادى
من لا يصلح له الا الفقر والمراد البغى الذى يختل به النظام فلا يرد ان البغى كاين
والحال هذه ولكن ينزل بقدر ما يشاء بتقدير جرت به المشية واقتضته الحكمة
انه بعباده خبير بصير يعلم بواطنهم وظواهرهم تقرير للسابق وهو الذى ينزل الغيث
المطر النافع الذى يغيثهم وقرأ نافع وابن عامر وعاصم بالتشديد من بعد ما قنطوا
ايسوا بعد العهد وعدم ظهور العلامات وينشر رحمته بركات الغيث ومنافعه
او رحمته من ساير الوجوه قيل شكى الى عمر قحط المطر فقال مطروا واشار الى الاية وهو الولى
الحميد السيد الذى يستحق ان يحمد ومن اياته خلق السموات والارض فانها لدالة
على انه صانع حكيم وما بث فيهما من دابة ما مرفوع او مجرور اى من اياته ما بث
او خلق ما بث وقيل نسبة الدابة الى السموات والارض مع اختصاصها بالارض
نسبة اللؤلؤ الى العذب والاجاج وكقولهم بنو فلان فعلوا كذا ولا داعى الى هذا لوجود
الدواب فيها حقيقة دل عليه حديث البراق وكبش اسمعيل ومراكب اهل الجنة
وهى كاينة الآن فى السما وهو من مفردات القران لبناء السورة على بيان
كمال الاقتدار وفى تغليبها على العقلاء اشارة الى كثرة الانواع والاصناف وما علم
جنود ربك الا هو وهو على جمعهم اذا يشاء قدير اى وقت اراد واذا يدخل المضارع
دخولها على الماضى كقوله والليل اذا يغشى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم
من المعاصى فتلك كفارة لها وعن بعض العارفين انى اذا ارتكبت معصية
اعرف ذلك من خلق دابتى وذكر الايدى متجوز لان اكثر الاعمال بها وقرأ نافع
وابن عامر بدون الفاء لان ما الموصولة لا يستلزمها فيؤتى بها تارة ويحذف اخرى
حطا للشبه عن الشبه به مع ما يفيد به الباء من معنى السببية والنظم لا تدل على الحصر
فما يصيب اهل العصمة كالانبياء والاطفال فلرفع درجاتهم ودرجات ابائهم
بالصبر ويعفو عن كثير لا يواخذ به وما عفى عنه فهو اكرم من ان يرجع عن عفوه
ولذلك قال على رضى الله عنه هى ارجى اية وما انتم بمعجزين فى الارض بفائتين
ما قضى عليكم وما لكم من دون الله من ولى يتولى امركم ولا نصير يدفع ما قضاه فلولا

لطفه

لطفه بكم لما عفا عن كثير ومن اياته الجوار فى البحر من ايات كمال اقتداره
السفن الجارية فى البحر مسخرة تحت امره كالاعلام كالجبال كقول الخنساء كانه علم
من فوقه نار ان يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره ان يصرن واقفا
على ظهر البحر من ركد الما سكن ان فى ذلك التصرف لايات لكل صبار شكور
اى لكل مؤمن لانهما صفتاه حالتى الضراء والسراء او يوبقهن بما كسبوا يهلك
السفن بسبب معاصيهم عطف على يسكن الريح وايقاع الايباق عليهما مع
الغرض ايباقهم للدلالة على ان شؤم معاصيهم قد سرى الى تلك الجمادات
ويعف عن كثير عطف على يوبقهن بمعنى ان يشأ يهلك بالريح العاصفة ناسا
وينج اخرين وقيد الكثرة فى مقام الانتقام اشارة الى سبق رحمته ويعلم الذين
يجادلون فى اياتنا ما لهم من محيص استيناف او عطف على مجموع الشرطية
كانه قال يعترف باياتنا الشديدة تردون ويعلم المجادلون فيها ما لهم من محيص
او على ومن اياته الجوار وما بينهما اعتراض بما يدل على وعيد المجادل فيها
مع الاشارة الى اشتمال تلك الاية ايات وقرأ نافع وابن عامر بالنصب
عطفا على تعليل مقدر نحو لينتقم منهم وكم مثله فى القران نحو ولتجزى كل نفس وقدر
الزجاج ان ناصبة ولم يستحسن سيبويه بتقدير ان بعد الواو والفاء فى مثل ان
تاتنى اتك واكرمك او فاكرمك لكونه عدولا عن الاصل بلا فائدة فما اوتيتم
من شىء فمتاع الحيوة الدنيا وما عند الله من الثواب خير افضل وابقى
وادوم للذين امنوا وعلى ربهم يتوكلون عن على رضى الله عنه كان عند ابى بكر
مال فتصدق به فلامه المسلمون فنزلت والذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش
عطف على للذين امنوا وكذا ما بعده اى الكباير من هذا الجنس وقرأ حمزة
والكسائى كبير الاثم اى الشرك لما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما
او الجنس اولان فعيلا يقع موقع الجمع نحو وحسن اولئك رفيقا والجمع اظهر
واذا ما غضبوا هم يغفرون اى هم اخصاء بالغفران والتجاوز عن المسىء او لا يغلب
احلامهم الغضب والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلوة نزلت فى الانصار
لما دعاهم رسول الله بعد ان دعا ساير العرب فلم يجيبوه وامرهم شورى بينهم
ذو شورى بمعنى التشاور كانوا على ذلك قبل مقدم رسول الله فلذلك عطف
الاسمية على الفعلية او بالغ بجعل الامر نفس الشورى ومما رزقناهم ينفقون
اى بعضه فى وجوه البر والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون اى هم مخصوصون
بالانتصار وهو الاقتصار على قدر الاستحقاق دون غيرهم فانهم يعتدون
لانهم ينتصرون ولا يغفرون لما تقدم وجزاء سيئة سيئة مثلها والثانية سيئة
لانها تسوء من تنزل به وقيل للازدواج وفيه اشارة الى ان طريق الانتصار

غير مأمون العثار لانه انما يحمد بشرط رعاية الاحتياط وهي عسيرة ولذلك فرع
عليه فمن عفى واصلح تجاوز عن خصمه واصلح ما بينه وبينه فاجره على الله لا يقادر
قدره انه لا يحب الظالمين فليحذر المنتصر عن التجاوز لئلا يدخل في زمرة الظالمين
فقد ارشد الى ايثار الاحسن على ابلغ وجه ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم
من سبيل لان مؤثر الحسن لا عتب عليه بترك الافضل لا حالا ولا مالا
انما السبيل على الذين يظلمون الناس ابتداء مستمرين عليه ويبغون في الارض
بغير الحق يتكبرون ويفسدون اولئك لهم عذاب اليم على بغيهم ولمن صبر
وغفر لمن ظلمه ان ذلك لمن عزم الامور المطلوبة المرغوبة وهذا اذا لم
يزد طغيان الظالم بالعفو عنه لما روي عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنهم
وقعت على زينب وهي غضبى فاغلظت الكلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثم اقبلت علي فاعرضت عنها حتى قال رسول الله دونك فانتصري فاقحمتها حتى
يبس ريقها في فيها ومن يضلل الله فما له من ولي من بعده متولى امره عطف على
اولئك لهم عذاب اليم كني به عن الظالم تسجيلا عليه بالضلال وما في البين
اعتراض تحذيرا عن الظلم وترى الظالمين لما راوا العذاب يرونه والماضي
لكونه لازم التحقق والخطاب عام يقولون هل الى مرد من سبيل الى الدنيا
وتريهم يعرضون عليها على النار ودل عليه العذاب خاشعين من الذل متخضعين
لما لحقهم من الذل ينظرون من طرف خفي من تحريك الاجفان كالمصبور ينظر
الى السيف وقال الذين امنوا ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم بالتعريض
للعذاب يوم القيمة يتعلق بخسروا على ان قول المؤمنين في الدنيا او بالقول
على طريق التنازع بينه وبين خسروا والاصل انهم والعدول الى المنزل للتسجيل عليهم
بالكمل الخسران والقول كالرؤية وان كان عاما الا انه اسند الى المؤمنين لابتهاجهم
بالنجاة الا ان الظالمين في عذاب مقيم تمام من كلام المؤمنين او تصديق
من الله وما كان لهم من اولياء ينصرونهم من دون الله ومن يضلل الله فما له من
سبيل الى الهدى او النجاة استجيبوا لربكم اذ لم يبق في البيان موضع اشتباه
من قبل ان يأتي يوم لا مرد له من الله صلة مرد اي بعد ما قضى به لا يرده او يتعلق
بيأتي اي اذا اتى لا يقدر احد على رده ما لكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير انكار لحدى
وذلك بعد شهادة الجوارح عليهم فان اعرضوا بعد الدعاء عن الاستجابة فما
ارسلناك عليهم حفيظا رقيبا تضبط احوالهم حتى تهالك على هدايتهم ان عليك
الا البلاغ وقد تمت به قيام الايه وانا اذا اذقنا الانسان منا رحمة فرح بها
فرح بطر لا استبشارا بالتفضل به متلقيا اياه بالشكر وان تصبهم سيئة افة في المال
او في البدن بما قدمت ايديهم لشوم ما اكتسبوا من الكفر والمعاصي فان الانسان كفور

بليغ الكفران والمراد به المجرم لما تقدم فاللام للعهد وانما اوقع موقع المضمر للدلالة
على ان هذا الجنس موسوم بالكفران مثل قوله ان الانسان لظلوم كفار وايثار
اذا في الحسنة وان في السيئة لتحقق الحسنة وشيوعها وندرة السيئة ووقوعها
لله ملك السموات والارض فيذيق تارة الحسنة واخرى السيئة كما يشاء بيده الالاء
والبلاء وفيه اشارة الى انه كان يجب عليه عند اذاقة الرحمة الاستكانة شكرا
لموليها لا البطر والاشر وعند اذاقة ضدها الرجوع بالتوبة الى مسيلها لا الجزع والجحود
يخلق ما يشاء احوال الكائنات من الالاء والبلاء ثم بينه بامر مسلم لا يكادرون
فيه فقال يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور ولما كان الكلام فيما
لا يهواه الانسان ولم يكن عندهم بلاء اعظم من الاناث وحديث واد
البنات اصدق شاهد قدم الاناث وجبر ما فات الذكور من رتبة
التصدير بان عرف اشارة الى انه الحاضر في خواطرهم او لكل حاضر
ثم اعطى بعد انقضاء هذا الوطر كلا منهما حقه بقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا
ولم يعد لفظ المشية لتركه من الاولين واعاد في قوله ويجعل من يشاء عقيما
لا يولد له اصلا لانه قسمها انه عليم قدير وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا
او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء يشير الى انه كما خص
من يشاء بما شاء من الاناث والذكور كذلك تكليمه لخواص البشر اطوار على
مقتضى المشية والظاهر الحصر في الاوجه الثلثه واراد بالوحي ما يعم الالهام
كما لام موسى والمنام كما لابراهيم ومن وراء حجاب كما كلم موسى او يرسل
رسولا ملكا كاكثر احوال رسول الله صلى الله عليه وسلم او رسولا من البشر الى الامم
وهم الرسل ووحيا وان يرسل [illegible] ومن وراء حجاب احوال من فاعل يكلمه
او مفعوله والثالث موضوعه موضع حالا لان الوحي كلام خفي والارسال
كلام على السنة الرسل او التقدير بان في الثلثة هذا وليس في الاية دليل
لنفي الرؤية ولا اثباتها بل انها لو وقعت لم يكن في احد الاحوال الثلثة
وعليه الكمل الواصلون اذ في مقام الشهود يرتفع حجاب المخاطبة لكون
اللقاء منه تعالى وفي ايرادها روعي اسلوب الترقي وقرا نافع او يرسل
بالرفع خبر مبتدا اي هو يرسل وكذا فيوحي انه علي متعال في ذاته وصفاته
وافعاله فلذلك كان كلامه على النعت المذكور حكيم يضع كل شيء موضعه
وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا كما اعلمناك مراتب الكلام اوحينا
اليك القران الذي تحيى به القلوب الميتة بداء الجاهل وقيل هو جبرئيل
ارسل بالوحي ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي شرايعه وتفاصيله
او كان الكمل المؤمنين قبل النبوة اما تعبدا بالاجتهاد او بشرع ونفس الايمان

فان الذي نفى هو العلم به لا وجوده ولا تلازم بينهما ولكن جعلناه نورا نهدي
به من نشاء من عبادنا بالتوفيق وانك لتهدي الى صراط مستقيم لا عوج فيه
صراط الله شرعه الذي شرعه لكم الذي له ما في السموات وما في الارض وبما
يكون هذا شانه صراطه قوم السبيل الا الى الله تصير الامور ويرى كل حوادثها
الشورى والحمد لله في الاخرة والاولى سورة الزخرف مكية وعن مقاتل الا قوله
واسئل من ارسلنا وهي تسع وثمانون آية بسم الله الرحمن الرحيم
حم والكتاب المبين انا جعلناه قرآنا عربيا اقسم بالقرآن على انه جعله قرآنا
عربيا وهو من بدايع الايمان لتناسب الظاهر وللاشارة الى انه لا شيء اعلى
منه يقسم به ولا انتم من وصفه فيقسم عليه مثله قول ابي تمام وثناياك انها
اغريض المبين الواضح لمن تدبره او الموضح طريق الهدى او ما يحتاج اليه
في الدين او باعجازه صدق الرسول به وجعل بمعنى صير معدى الى مفعولين
او خلق فالى واحد وقرآنا عربيا حالان والاول اوفق اذ لم يقع الكلام في
كونه مخلوقا بل في كونه دالا وعلى اسلوب كلامهم ليدركوا اعجازه لعلكم تعقلون
لكي تفهموا معانيه وانه في ام الكتاب في اللوح لانه اصل الكتب منه تنقل وقرأ حمزة
والكسائي بكسرة همزة ام لدينا لعلي شانه ذو شرف او عال على ساير الكتب
باعجازه او عن تطرق التحريف ووجوه الفساد وانا له لحافظون حكيم ذو حكمة
او محكم لا ينسخ ابدا وهما خبران وفي ام الكتاب يتعلق بعلي واللام غير مانعة
لاتساع الظروف ولدينا بدل منه او حال من الكتاب افنضرب عنكم الذكر
صفحا عطف على مقدر اي انترككم وننحي عنكم انزال القرآن وتنحية تمثيل شبه
حال الذكر وتنحيته بحال غرايب الابل وذودها كقول طرفة اضرب عنك الهموم
طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس والمعنى انكار ان يكون الامر على خلاف
ما تقدم من انزال القرآن عربيا ليعقلوه وصفحا مصدر من غير لفظه او حال اي
صافحين او مفعول له او ظرف بمعنى الجانب اي ننحيه عنكم جانبا ان كنتم
قوما مسرفين لان كنتم وقرأ نافع وحمزة والكسائي ان بالكسر شرطا لقصد
التحقيق وان كان العلم بكونهم مسرفين قطعيا كقول الاجير ان عملت لك
فاعطني حقي وكم ارسلنا من نبي في الاولين في الامم وما ياتيهم من نبي حكاية
الحال الماضية ولانه على استمرارهم الا كانوا به يستهزؤن فاهلكنا اشد منهم بطشا
من المسرفين صرف الخطاب عنهم بعد الانكار ومضى مثل الاولين قصتهم
وحال ما نزل بهم من الامر العجيب الذي ينبغي ان يسير مسير المثل وسينزل بهؤلاء
مثله سنة الله في الذين خلوا من قبل وقيل مضى سلف في القرآن ذكر قصتهم
في مواضع ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم

الوصفان وما بعدهما من الصفات من كلامه تعالى لقوله الذي جعل لكم
الارض مهدا ولقولهم خلقهن الله في مواضع والمعنى ليسندن خلقها الى الموصوف
بهذه الصفات كما لو سميت لمخاطبك رجلا باسمه العلم ليبلغه عنك كلاما
فسماه عند التبليغ بلقبه الدال على المدح وقيل هما من كلامهم وما بعده استيناف
الذي جعل لكم الارض مهادا فراشا وقرأ الكوفيون مهدا اسم لما يمهد راجع
الى الاول وجعل لكم فيها سبلا طرقا تسلكونها لتقضوا الاوطار وما يوصلكم بالنظر
فيها الى الصانع ووحدانيته لعلكم تهتدون لكي ترشدوا والذي نزل من
السماء ماء بقدر بمقدار وحد اقتضته الحكمة لا افراط ولا تفريط فانشرنا به بلدة
ميتا غلبها اليبس وفارقها النضارة ولعل تذكير ميت باعتبار المكان كذلك
تخرجون من القبور اذ كل منها نوع حياة وانما وسط بين الصفات استينافا
لكونها الغرض المسوق له الكلام وليكون محاطا بالادلة واشارة الى ان كلا
من السابق واللاحق كاف على حياله دليلا وقرأ حمزة والكسائي تخرجون بفتح
التاء والذي خلق الازواج كلها الاصناف بلا واسطة وجعل لكم من الفلك
والانعام ما تركبون تركبونه يقال ركب في الفلك وركب الانعام فغلب المتعدي
لقوته وتقديم الفلك لكونه اعرق في كونه نعمة لتستووا على ظهوره ظهر المركوب والضمير
لما باعتبار اللفظ ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه بالقلب واللسان وذلك
اثره على الحمد والمراد مقابلة تلك النعمة بالشكر وفي ثم اشارة الى انه لا يفوت وقته
بالتراخي لو وصل عند الركوب وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له
مقرنين مطيقين لولا تسخيره واصله من القرن وهو الجمع ومنه الاقران
لاجتماعهم في الزمان والصفات عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بدابة فلما اراد الركوب قال بسم الله
فلما استوى عليها قال الحمد لله الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين ثم ضحك
فقلت مما تضحك يا رسول الله قال تعجب الرب من عبده اذا قال رب اغفر لي
فيقول علم عبدي ان له ربا يغفر الذنوب وانا الى ربنا لمنقلبون بعد الموت
تذكر لسير الحقيقي وركوب الجنازة ولانها حالة اغترار وللنفس في ذلك الوقت
شموخ فيذكرها الموت والرجوع اليه تعالى حافيا عاريا لا مركب له سوى العمل
الصالح هذا في ركوب الدابة ويقول عند ركوب السفينة بسم الله مجريها
ومرسيها وجعلوا له من عباده جزءا متصل بقوله ولئن سألتهم حال من فاعل
ليقولن اي بعد ذلك الاعتراف لما في هذا القول ارتكبوه ولم يخشوا وصمة
التهافت والتناقض وهو قولهم الملائكة بنات الله وعبر بالجزء لان الولد
بضعة من ابيه كقوله صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني وفيه اشارة الى استحالة

مقالتهم لان الواحد الحقيقي لا يعقل له جزء بوجه وقرأ ابو بكر باسكان الزاي
وهما لغتان كالكفؤ والعقب ان الانسان لكفور مبين ظاهر الكفران ام
اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين انكار وتعجيب من فرط جهلهم حيث
اثبتوا له اخس الصنفين ثم بين ذلك بقوله واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا
بالبنات سماه مثلا لانه بلغ في الشناعة الى حيث جدير بان يسير مسير الامثال
ظل وجهه مسودا صار اسود كآبة من شدة الحياء وهو كظيم مملو غيظا او كاظم
على غيظه او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام انكار اخر اشد من الاول لشرح
حال ذلك الاخس والمعنى اجعلوا له من يربى في الزينة والحال انه لا يقدر على اقامة
برهان عند الجدال والحجاج فالاول اشارة الى ضعف البنية والثاني الى نقصان
العقل وقيل ما تصدت امراة الى محاجة الا اتت بما هو عليها وقرأ حمزة والكسائي
وحفص ينشؤا بضم الياء وتشديد الشين وهو اولى لدلالته على زيادة الاحتياج
وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا اي جعلوا عباده المكرمين والملأ
الاعلى المقربين اناثا مع ان ادنى مخلوق يستنكف من هذا الاسم والغرض
من ذكره على وجه الاعراض الدلالة على ان ما هم عليه من اعتقاد الولد مثل
ما هم عليه من تانيث الملائكة وانه مع عدم ملاحظة نسبة الولد اليه في نفسه
كفر عظيم وتحقير لما عظمه الله وافتراء على سكان ملكوته وقرئ العباد [illegible] اي بكذبهم
وقرأ نافع وابن عامر وابن كثير عند الرحمن كقوله الذين عند ربك والمراد
قربهم رتبة وهو ابلغ ذا اشهدوا خلقهم وذلك لم يكن قط ولا دليل لهم عقلا
ولا يساعدهم نقل فليس ذلك الا افتراء وقرأ نافع أأشهدوا بزيادة همزة مضمومة
مسهلة كالواو وسكون الشين ولقالون عنه وجه اخر هو الفصل بينهما بالالف
ستكتب شهادتهم على الملائكة اي تكتب لا محالة والسين للتأكيد ويسألون
سؤال تقريع وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم قالوه استهزاء ولو قالوه جادين
لكانوا مؤمنين لما تقرر ان لا كاين دون مشيته هذا والحق انهم لم يكفروا بمجرد
قولهم ان الكفر بمشيته تعالى بل لقولهم انه اذ شاء ذلك لا يجوز منه الامر بالايمان
ولذلك جهلهم بقوله ما لهم بذلك من علم لاعتقادهم عدم الانفكاك بين الامر
والارادة مع تحققه ان هم الا يخرصون يكذبون ويجوز ان يكون الاشارة
الى جميع ما سبق من قوله وجعلوا له من عباده جزءا والاول اقرب للقرب
والتعقيب كل بانكار مستقل ولطابقه ما في الانعام ام اتيناهم كتابا من قبله
ابطال لطريق النقل في ذلك بعد ابطال طريق العقل فهم به مستمسكون معتصمون
لا يقدرون على تركه بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون
اي ليس لهم في ذلك دليل عقلا ونقلا بل مبنى امرهم على تقليد ابائهم الغالين

الا امة

والامة الطريقة التي تقصد من الام كالرحلة لمن يرحل اليه ثم اشار الى ان هذا
الضلال طريقة اسلافهم في تكذيب الرسل بقوله وكذلك ما ارسلنا من قبلك في
قرية من نذير الا قال مترفوها انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون
وفي ذكر المترفين دون غيرهم اشارة الى ان التنعم يوجب البطالة وعدم النظر
في العواقب او لان غيرهم اتباع لهم كقوله صلى الله عليه وسلم لهرقل فان توليت
فعليك اثم الاريسيين قل اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم اي اتقتدون
بهم ولو جئتكم بما اهدى من دين اباءكم وهذا على زعمهم اذ لا هداية من اباءهم
والمخاطب رسول الله او النذير ويؤيده قراءة ابن عامر وحفص قال قالوا انا
بما ارسلتم به كافرون كناية عن الثبات على دين ابائهم واشارة الى ان
مقصودهم غير حاصل ولو انتقلوا من دين ابائهم لانهم كافرون بما ارسلوا به
فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين فتأمل وتسل فانك سترى مثله
فيمن كذبك واذ قال ابراهيم لابيه وقومه اي اذكر لقومك وقت قوله [illegible]
انني براء مما تعبدون من الاصنام كيف ترك التقليد وتبرأ منه وهم يفتخرون
بالانتماء اليه فهلا اتبعوه ومن انهم لا يرجعون عن تقليد الاباء فلكان تقليد الاب
الافضل الاعلم اولى واحق وبراء كسماع مصدر وصف به الا الذي فطرني استثناء
منقطع او متصل لشمول المعبود الحق والباطل ويجوز ان يكون بدلا لان معنى
قوله انني براء مما تعبدون لا اعبد ما تعبدون فانه سيهدين يثبتني على الهداية
او يزيدني وجعلها كلمة باقية في عقبه اي كلمة التوحيد كقوله ووصى بها ابراهيم بنيه
او الضمير لله لعلهم يرجعون يرجع المشرك عن الاشراك بدعاء الموحد بل متعت
هؤلاء واباءهم بطول العمر وبسط الرزق والعافية ما اشتغلوا به عن التوحيد والنظر
في دلائله حتى جاءهم الحق ورسول مبين واضح الرسالة بالمعجزات ولما جاءهم
الحق اي القران قالوا هذا سحر وانا به كافرون اي لما جاءهم الرسول بالحق
لينبههم عن سنة الغفلة ويزجرهم عن الانهماك في الملاذ عكسوا فجعلوا ما هو سبب
التنصل موجبا للتوغل فضموا الى الشرك والغفلة هذه القبايح بعد مجيئه بالقلع
عن اصله وقالوا لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم باب اخر
من كفرهم احدثوا في التحكيم والاعتراض على العلام الخبير كانوا ينكرون ان
يكون الرسل من البشر فلما تكرر عليهم الحجج قاسوا امر النبوة على حظوظ الدنيا اي
لو كان الامر كذلك كان اللائق بهذه الرتبة رجل من مكة او من طايف
ذو مال ووجاهة قيل ارادوا الوليد بن المغيرة وعروة بن مسعود الثقفي وقيل
الوليد وحبيب بن عمرو الثقفي وقيل عتبة بن ربيعة وابن عبد ياليل وعن ابن
عباس رضي الله عنه جبار من جبابرة قريش وهذا اظهر اهم يقسمون رحمة ربك

وهى النبوة انكار وتعجيب من تحكمهم نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحيوة الدنيا
ما يعيشون به ويتمتعون ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات فى المال والجاه
والقوة والضعف فمنهم الموال ومنهم الخدام ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ليستخدمه
فى اشغاله ويستعمله فى خدمه واعماله حتى يتم النظام ويحصل بينهم التآلف والتضام
واذا كانوا عن تدبير المنزل عاجزين فاين هم من تدبير الدارين واختيار من يكون
واسطة بين الله وبين عباده ورحمة ربك النبوة والدين خير مما يجمعون
من الحطام الفانى ثم حقر شان ما هم فيه من الدنيا وزخارفها بقوله ولولا ان
يكون الناس امة واحدة فى الكفر لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة
ومعارج جمع معرج وهى المصاعد عليها يظهرون الى العلالى والسطوح واللام فى
الثانى لوجود الاول وهو كراهة اجتماع الكل على ملة الكفر الثانى للحكمة لبيوتهم
بدل اشتمال وقرا ابن كثير وابو عمرو سقفا بفتح السين مفرد الدلالة جمع البيوت
ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكئون ترفها وزخرفا اى ولجعلنا لهم زخرفا زينة من
الذهب فى كل شىء من الاوانى والالات ويجوز عطفه على محل من فضة اى بعضها
ذهبا والغرض تحقير زهرة الدنيا وفى معناه قوله صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا
تساوى عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرا شربة ماء وان كل ذلك لما متاع الحيوة
الدنيا شىء يتمتع به وان هى المخففة واللام هى الفارقة وقرا حمزة وعاصم وهشام بخلاف
عنه لما بتشديد الميم بمعنى الا وان نافية والاخرة عند ربك للمتقين الكفر والمعاصى
ومن يعش عن ذكر الرحمن يقال عشى الرجل اذا صار لا يبصر بالليل دون النهار
فهو اعشى واذا نظر نظر الاعشى ولم يكن به آفة يقال عشا يعشو نقيض له شيطانا
يزين له المعاصى ويوسوس اليه فهو له قرين مصاحب ملازم وانهم اى الشياطين
ليصدونهم عن السبيل الطريق الموصل الى الله وجمع الضمير لارادة الجنس لقوله وقيضنا لهم
قرناء ويحسبون انهم مهتدون باتباع الشياطين كذلك يضل الله من يشاء حتى اذا جاءنا
العاشى وقرا نافع وابن كثير وابن عامر وابو بكر بلفظ المثنى اسنادا للفعل الى
القرينين والاول اولى لان الآتى قصدا هو العاشى يريده قال يا ليت بينى وبينك
بعد المشرقين القائل هو العاشى والمعنى بعد المشرق من المغرب لانه غاية البعد
لا بعد بعدها من شىء آخر فاقتصر لامن اللبس وفيه تغليب الاشرف فبئس القرين
انت ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم انكم فى العذاب مشتركون اى لا ينفعكم اشتراككم
فى العذاب كما ينفع الواقعين فى بلية اشتراكهم تحمل الاعباء وتقسيم العناء لان
لكل منكم قد حمل ما لا يبلغه طاقته او لا ينفعكم هذا التمنى لان حقكم ان تشتركوا فى العذ
كما اشتركتم فى سببه وانكم تعليل او ليس لكم ما يجده المكروب من الروح والتاسى اذا
رأى من يشاركه فى العذاب كقول الخنساء اعزى النفس عنه بالتاسى واذ بدل من اليوم

بتقدير

بتقدير ماض اى تبين ووضح افانت تسمع او تهدى العمى انكار وتعجب من ان يكون هو
القادر على ذلك فانه من خواص مقام الربوبية وفيه مدح له حيث بالغ فى تحصيل
هدايتهم الى ان بلغ هذا الحد شبههم بالاعشى نظرا الى البداية وحكم بالصمم والعمى بعد
التمرن ومن كان فى ضلال مبين مستغرقا فيه ولا يرجى خلاصه عطف على العمى
باعتبار الوصف وفيه اشارة الى ان ذلك الاستغراق هو علة العمى والصمم
فاما نذهبن بك قبل نصرك واهلاكهم فانا منهم منتقمون اشد انتقام فى الآخرة
لا محالة او نرينك الذى وعدناهم او ننجز فى حياتك العذاب الموعود لهم فانا عليهم
مقتدرون لانهم تحت ملكتنا لا يفوتوننا فاستمسك بالذى اوحى اليك سواء
عجلنا لك الظفر او اخرنا لا تضجر وتمسك بما اوحى اليك وتصلب على الحق كما تصلبوا
هم على الباطل انك على صراط مستقيم استئناف فى موضع التعليل وانه لذكر لك
ولقومك اى القرآن مع كونه هاديا الى سبيل السعادة شرف لك ولقومك فى الدنيا
وسوف تسئلون عن معاملتكم اياه وهل وفيتم بحقه واسئل من ارسلنا من
قبلك من رسلنا كان انكارهم عليه انه ينهى عن عبادة الاوثان اجعل الآلهة
الها واحدا ان هذا لشىء عجاب فاستشهد عليهم باجماع الرسل على التوحيد وانه
قديم والمراد سؤال اتباعهم الذين امنوا كقوله فان كنت فى شك مما انزلنا اليك
فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك اجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون
سل اذ تابعك فى ملة من الملل ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين الى
فرعون وملائه فقال انى رسول رب العالمين كما قلت فكذبوه كما كذبوك وافتخروا
بما اوتوا من زهرة الدنيا كما افتخرت قريش فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون
اى فاجأوا وقت مجيئها الضحك من غير تأمل ليظهر لهم الصدق من الكذب ولذلك
لم يصفها بالبينات لان فائدة ذلك انما تظهر لمن تدبر وما نريهم من آية الا هى اكبر
من اختها اخت الاية ما يكون مشابها ولما كان فى سياق النفى افاد ان كل واحدة
اكبر من البواقى اذا نظر الى فرد فرد مفصلا وان لوحظ الكل يتوقف كقوله الاغاره
فى سهما الكلمة وقول الحماسى من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم مثل النجوم التى
تسرى بها السارى والمعنى ان الكل موصوفات بالكبر لا تفاوت بينها فى افادة
المقصود على التمام واخذناهم بالعذاب الطوفان وما بعده اجمله لانه بصدد بيان
كونهم لا يبالون لعلهم يرجعون لكى يرجعوا وقالوا يا ايه الساحر ادع لنا ربك بما
عهد عندك من النبوة او من استجابة دعائك او كشف العذاب عمن امن بك
او بما عهد اليك من الايمان والطاعة فوعيت انا لمهتدون لا ينافى هذا تسميتهم
اياه ساحرا لانهم لفرط حيرتهم سبق لسانهم الى ما تعودوا به او لان السحر كان عندهم
فضيلة يسمون العالم الماهر ساحرا وقيل هذا كان هذا من حماقتهم وقيل لكم انا لمهتدون

وعهد منوي فيه الاخلاف فلذلك سموه ساحرا وكلاهما بعيد اذ حالة التضرع تنافي اظهار
الاخلاف والجحود فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون فاجاوا نكث عهدهم
ونادى فرعون في قومه لما حشرهم او امر بان ينادى في المجالس والاسواق والاسناد
مجاز يا قوم اليس لي ملك مصر تقرير للنداء وهذه الانهار تجري من تحتي تحت امري
او قصري او بين يدي في جناني وحدائقي الواو اما عاطفة للانهار على الملك فتجري
حال منها او هذه الانهار مبتدا موصوف وتجري هو الخبر افلا تبصرون ام انا خير
ام متصلة وذلك انه لما قدم ذكر اسباب التقدم عقبه بافلا تبصرون اشارة الى
انه من الوضوح بحيث لا يخفى على ذي بصر ثم وضع ام انا خير مكان ام تبصرون
دلالة على ان هذا الشق هو الواقع كانه يحكيه على لسانهم وفيه من اقامة
المسبب مكان السبب لان تلك الاسباب سبب ان يقال فيه انت خير وقيل
لان علمهم بانه خير مستفاد من الابصار من هذا الذي هو مهين يريد موسى من المهانة
وهي القلة ولا يكاد يبين لا يقرب من بيان المقصود واراد ما كان به من الرتة
فلولا القي عليه اسورة من ذهب كناية عن اسباب الملك فانهم كانوا اذا ملكوا
رجلا سوروه وطوقوه وقرا حفص اسورة جمع سوار وقرئ اساورة جمع
الجمع او نحو لان المعنى على الكثرة او جاء معه الملائكة مقترنين حافين به
يعينونه ويصدقونه فاستخف قومه استخف احلامهم واستزل عقولهم فاطاعوه وعن
الرشيد لما تلي اليس لي ملك مصر قال لاولينها اخس عبيدي فولاها خصيبا وكان
على وضوئه وعن عبد الله بن طاهر لما ولي مصر سار اليها فلما اشرف عليها قال هذه
القرية التي ادعى فرعون الربوبية بملكها والله لهي اقل عندي من ان ادخلها فثنى
عنان فرسه انهم كانوا قوما فاسقين فلذلك اطاعوا ذلك الفاسق فلما اسفونا اغضبونا
من الاسف وهو شدة الغضب انتقمنا منهم اي ما الانتقام فاغرقناهم اجمعين
التابع والمتبوع فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين قدوة في العذاب لمن عمل مثل
عملهم وحديثا عجيبا يضرب به المثل كما ترى في الالسنة اطلاق فرعون على كل جبار متمرد
وقرا حمزة والكسائي سلفا بضم السين واللام جمع سلف كاسد واسد وسليف كرغيف
ورغف او سالف كصابر وصبر ولما ضرب ابن مريم مثلا باب اخر من كفر قريش
وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا عليهم قوله تعالى انكم وما تعبدون من
دون الله حصب جهنم قال ابن الزبعرى النا ولالهتنا يا محمد ام عامة فيمن عبد من
دون الله قال بل عامة فقال خصمتك ورب الكعبة عبدت الملائكة والمسيح فسكت
رسول الله حتى نزل ان الذين سبقت لهم منا الحسنى اولئك عنها مبعدون وقيل
لما سمعوا ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم خلقه من تراب فقالوا ان النصارى
وهم اهل الكتاب قد عبدوه او هو مخلوق من تراب ونحن عبدنا الملائكة وقيل لما سمعوا

ان مثل

ان مثل عيسى عند الله كمثل ادم قالوا يريد محمد ان نعبده كما عبد عيسى وليس بظاهر
وفيه نكث الضماير وقيل لما انكر عليهم عبادة الملائكة فقالوا لم نفعل بدعا فان النصارى
ايضا قد عبدوا عيسى المعاني الغريبة والحجج البديعة تسمى مثلا لانها تسير مسيرها اذا
قومك منه يصدون يضجون من الصديد وهي الجلبة واللغط في الكلام وقرا نافع
وابن عامر والكسائي بضم الصاد وهو الاعراض والاول ابلغ وعن الفراء هما لغتان
وقالوا االهتنا خير ام هو اي عيسى او محمد ما ضربوه لك الا جدلا لاجل الجدل وجيد
ابطال لقولهم اجمالا اشارة الى ان قالوه لم يكن اعتقادا بل عنادا اذ لا يقولون بان
عيسى والملائكة في النار ومسكة لكن التعصب يغطي على الابصار والبصائر بل هم
قوم خصمون شداد الخصام ان هو الا عبد انعمنا عليه بالرسالة رد لما ادعته
النصارى وما قرفه به اليهود وجعلناه مثلا لبني اسرائيل شانه بديعا اشارة الى وجه
افتتان النصارى واليهود فيه ولو نشاء لجعلنا منكم ولدنا من الانس ملائكة في
الارض يخلفون كما يخلفكم اولادكم تذييل لدلالته على كمال اقتداره والاشارة الى
بعد المسيح عن ذلك الافراط والتفريط وانه لعلم للساعة شرط من اشراطها
يعلم به دنوها روى البخاري مرفوعا يوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا
يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل الا الاسلام او لانه كان يحيي
الموتى فدل على جواز البعث فلا تمترن بها فلا تشكوا جاحدين بها واتبعون هداي
او رسولي او قل واتبعون فلا يحتاج الى التقدير هذا صراط مستقيم اشارة الى ما
ذكره من الجواب وبيان شان المسيح ولا يصدنكم الشيطان عن اتباعي انه لكم عدو
مبين ظاهر العداوة من لدن ادم والبغض والحب متوارثان ولما جاء عيسى بالبينات
المعجزات الواضحات او الاحكام الجلية قال قد جئتكم بالحكمة الانجيل او الشريعة ولابين
لكم بعض الذي تختلفون فيه ما يتعلق بامر الدين عطف على مقدر اي لادعوكم
الى الله فاتقوا الله واطيعون فيما امركم به ان الله هو ربي وربكم فاعبدوه وحدوه
وايثار ضمير الفصل هنا دون غيره لان الكلام في كونه عبدا من دون الله فكان المقام
جديرا بالتاكيد هذا صراط مستقيم من كلامه عليه السلام او من كلامه تعالى ثناء عليه
ودلالة على ما يقتضي اتباعه فاختلف الاحزاب من بينهم الذين تحزبوا بعد عيسى
وهم الملكانية واليعاقبة والنسطورية وقيل اليهود والنصارى الضمير لمن خاطبه عيسى فويل
للذين ظلموا من عذاب يوم اليم وعيد للاحزاب بعد الجواب عن شبهتهم اشارة الى
ان حال عيسى مع من ارسل اليهم مثل حالك ودعاهم الى الله فاختلفوا فيه كما اختلف
فيك قريش ثم هددهم بقوله هل ينظرون الا الساعة اي لا ينتظرون شيئا سواها لقيام
البراهين وازاحة الشبه ان تاتيهم بغتة بدل من الساعة وهم لا يشعرون غافلون
في اشتغالهم قيد لاتيان لجواز اجتماع البغتة والشعور الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو

الا المتقين شرع بعد ترهيبهم بمجيء الساعة يبين بعض احوالها والمعنى ان
في ذلك اليوم تنقطع المحبات وتنقلب عداوة ويلعن بعضهم بعضا الا محبة المتقين
الذين احبوا الله واتقوا ان يشوب حبهم غرض غير الهي فان ذلك باق
لانه من اوثق عرى الايمان يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا انتم تحزنون
حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون في الله وعن معتمر بن سليمان اذا كان
يوم القيمة ينادى بها فيرجوها كل احد ثم يتبعها والذين امنوا باياتنا فييأس
غير المؤمنين فالعام مخصوص اما بالسابق او باللاحق والاول اوثق
وكانوا مسلمين مخلصين حال من الواو ادخلوا الجنة انتم وازواجكم تحبرون
تسرون من الحبار وهو الاثر او تنعمون من الحبرة وهي المبالغة فيما وصف
به الجميل يطاف عليهم بصحاف من ذهب اواني الكل جمع صحفة قصعة
تشبع خمسة واكواب جمع كوب كوز لا عروة لها على ما يتعارفه اهل السكر
من السراحيات وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين اي يتوافق فيه
العين والقلب وهو الغاية والعين رايد القلب وكنت اذا ارسلت
طرفك رايدا لقلبك يوما اتعبتك المناظر وهو كما سائر الشاعر ادرج في مدرك
القلب وانتم فيها خالدون هذا راس النعم بل لا نعمة بدونه قال لا طيب
للعيش ما دامت منغصة لذاته بادكار الموت والهرم وتلك الجنة التي اورثتموها
بما كنتم تعملون اي الموصوفة هي الجنة التي اورثتموها بجزاء اعمالكم والتعبير بالايراث
مبالغة لان ملك الارث لازم لا يمكن رده وقيل لان المؤمن يرث ما كان
معدا للكافر لو امن لقوله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وله مقعد من الجنة
ومقعد من النار لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون من الفاكهة تأكلون لا من
غيرها او الكل اهل الجنة لا يكون الا تفكها وقيل من تبعيضية لانهم لا يأكلون
الا بعضها ان المجرمين في عذاب جهنم خالدون اردف الوعد بالوعيد
على العذاب المستمر والمراد الكاملون في الاجرام لا يفتر عنهم لا يخفف من
عذابها من فترت الحمى سكن حرها قليلا ومن قال بعضا دون ما يأكلون فقد
كذب القران وهم فيه في العذاب مبلسون آيسون وما ظلمناهم ولكن
كانوا هم الظالمين مر بعينها للسخط ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك بالموت
فنستريح ولا ينافيه الابلاس لاختلاف الاوقات وله نظاير او لشدة ما بهم
لا يدرون ما يقولون كما ترى الواقع في شدة يتناقض كلامه معترفا بذلك
قال انكم ماكثون اقام الملك مقام الخلود والاستعارة بالانقطاع تهكما والقايل
هو الله تعالى لقوله لقد جئناكم بالحق اي الارسال او انزال الكتب ولكن اكثركم
للحق كارهون لما فيه من ترك الترؤس ومفارقة المالوف واحتمال اعباء

التكليف روى ان اعشى اراد القدوم الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
فلقيه احد المشركين فسأله عن حاله فقال يأمر وينهى فقال عما ذا ينهى قال ينهى
عن كذا وكذا حتى بلغ الخمر فقال ان للنفس فيه لذاذة واقضي منه الوطر هذا
العام وانا قادم في القابل فمات قبل تمام السنة ام ابرموا امرا احكموا واتقنوا
تهكمهم بان ما هم فيه من انواع المكر وما يخترعونه من الحيل رقم على الماء
فانا مبرمون ندبر لمجازاتهم ام يحسبون انا لا نسمع سرهم ما في انفسهم قبل
التكلم به ونجواهم وتناجيهم في شان رسول الله بلى نسمع ورسلنا لديهم يكتبون
يكتبون كل حركة وسكون ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قل ان كان للرحمن
ولد فانا اول العابدين ان صح ببرهان ان له ولدا فانا اول من يعظم ذلك
الولد وهذا على الفرض لغرض المبالغة في نفي الولد تعليقا بالمحال وقيل اول
الجاحدين لقولكم الموحدين لله وقيل اول الانفين من عبد بالكسر استنكف واشتد
انفه وقيل ان نافية اي ما كان له ولد يؤيده ما روي انه لما نزلت فقال النضر
قد صدق الله فقال له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن
ولد ثم نزه ذاته المقدسة بقوله سبحان رب السموات والارض رب العرش
عما يصفون اي من هذا الشأن فكيف يكون جسما يتولد منه آخر وان هذه الاجسام
لما كانت اصولا وذات استمرار تفرعت عن التوالد فكيف بمبدعها الذي ليس
كمثله شيء فذرهم يخوضوا في اباطيلهم ويلعبوا في دينهم ودنياهم كالصبيان
والسفلة الذين لم يجر عليهم القلم وفيه اشارة الى انهم اهل الطبع حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون يوم جزائهم وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله اي المعبود
فيهما ولذلك صح تعلق في السماء وفي الارض به والعايد محذوف لطول الصلة
وزاده طولا ان المعطوف داخل في خبر الصلة ويجوز ان يكون في السماء صلة
الذي واله خبر مبتدأ محذوف على ان الجملة بيان للصلة وان كونه في السماء
الالهية لا بمعنى الاستقرار وهو الحكيم في صنعه العليم كامل العلم وتبارك الذي
له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة مختص به متصل بعلمه
حتى يلاقوا يومهم مسوق للوعيد واليه ترجعون وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي
بياء الغيبة على سنن السبق والخطاب على الالتفات اشد تهويلا ولا يملك
الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق بالتوحيد استثناء متصل
ان اريد بالموصول كل ما عبد من دون الله لشموله الملائكة وان خص
بالاصنام فمنقطع وهم يعلمون ما يشهدون به عن يقين مخلصين ولئن سألتهم
من خلقهم ليقولن الله لا يقدرون على غيره قدم السوال عن الافاق ثم عن
انفسهم وذكر الجواب عنهم متحدا ثم عجب من حالهم بقوله فانى يؤفكون يصرفون

عن التوحيد بعد هذا الاقرار وقيله يا رب الضمير لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
والقيل والقال والقول مصادر وجره عاصم وحمزة عطفا على الساعة اى عنده علم
قيله ونصبه الباقون عطفا على محل الساعة واثره الزجاج ولا يقدح وجود الفاصل
لاتصال معنى وارتباط اللاحق بالسابق او مفعول مطلق او عطف على سرهم ونجويهم
او النصب على حذف حرف القسم والجر على اضماره وان هؤلاء قوم لا يؤمنون
جوابه والاقسام بقوله تعظيم لجنابه فاصفح عنهم اعرض آيسا من ايمانهم وقل سلام
متاركة لا تحية فسوف يعلمون عاقبة امرهم تسلية له ووعيد لهم وقرا نافع وابن عامر
بالخطاب من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اوفق لعدم الفصل واشفى
لعليله والكل لخضرته والحمد لمن بنعمه تمت والصلوة على من به المكارم تمت

سورة الدخان مكية وايها خمس او سبع او تسع وخمسون اية بسم الله الرحمن الرحيم

حم والكتاب المبين الواو للقسم ان جعلت حم تعديدا او اسم السورة خبر مبتدا
محذوف وللعطف ان جعل حم مقسما به انا انزلناه في ليلة مباركة جواب القسم
وهي ليلة القدر لقوله انا انزلناه في ليلة القدر ولقوله شهر رمضان الذي انزل فيه
القران وكونها في رمضان كما دل ان يتواتر وكونها مباركة لكثرة منافع الدين
والدنيا فيها ولكفى بانزال القران فيها بركة وقيل هي ليلة النصف من شعبان
وليس له دليل سوى حديث مرسل ومعنى انزاله فيها انزاله الى السماء الدنيا جملة
كما تقدم في شهر رمضان الذي انزل فيه القران انا كنا منذرين استئناف
لتعليل الانزال اي انزلناه لان شأننا الانذار والتحذير فيها يفرق كل امر حكيم
جواب عن تخصيص الانزال بتلك الليلة كانه قال هي جديرة بذلك لان ليلة
اثرها يفصل كل امر محكم لا يبدل من الارزاق والآجال وغيرها من شئون الكائنات
الى القابلة فيدفع نسخة الارزاق واسبابها الى ميكائيل ونسخة الحروب وما يليها
من الزلازل والطواعن الى جبرائيل ونسخة الموت والمصايب الى ملك الموت
ونسخة الاعمال الى اسمعيل صاحب سماء الدنيا امرا من عندنا نصب على
الاختصاص وما فيه من التنكير والوصف والاختصاص يزيد فخامة الامر الحكيم
والمعنى امرا كائنا من لدنا كما اقتضاه تدبيرنا ويجوز نصبه على المصدر لان يفرق
بمعنى يؤمر كانه قيل يؤمر فيها بكل شان على وجه الحكمة امرا وان يكون حالا من
فاعل انزلناه او مفعوله والفاصل بين الحال وصاحبه ليس باجنبي انا كنا مرسلين
بدل من انا كنا منذرين اي انا انزلناه لان من عادتنا ارسال الرسل بالكتب
رحمة من ربك اي لاجل الرحمة على العباد وابراز لفظ الرب للدلالة على ان
مقام الربوبية اقتضت ذلك لانه من اجل انواع النعم وافراده بالخطاب اشارة
الى ان كونه ربك وارسلك رحمة للعالمين اقتضى ارسال الرحمة او علة ليفرق

اوامر

او امرا او رحمة مفعول به والمعنى في تلك الليلة تفصل كل امر او تصدر الاوامر من
لدنا لان من شاننا ان نرسل الرحمة ولا يستقيم ان يكون على هذا مفعولا له انه هو السميع
لاقوال عباده العليم بحاجاتهم وبها تحقق الربوبية رب السموات والارض وما بينهما
ان كنتم موقنين في قولكم حين تسألون من خلق السموات والارض الله كالدليل
على ان الانزال للرحمة وان المنزل في غاية الشرف لانه كلام من هذا شانه وقرأ
الكوفيون رب بالجر بدلا من ربك او صفة والباقون رفعا بدلا من السميع
العليم او صفة وهو المختار لعدم الحذف والفصل لا اله الا هو يحيي ويميت ربكم
ورب اباءكم الاولين والنعمة على الاصل او مضال على الفرع بل هم في شك يلعبون
رد لكونهم موقنين ثم سجل عليهم بالشك قطعا لانهم وان اقروا لم يكن
اقرارهم عن علم ولذلك الحدوا في صفاته واشركوا به ولما لم ينتفعوا بالمنزل عليه
وقابلوا النعمة بالكفران اردفه بقوله فارتقب يوم تاتي السماء بدخان مبين
دلالة على انهم اهل السخط والخذلان لا اهل الرحمة والغفران عن ابن مسعود
رضي الله عنه ان قريشا لما ابطأت عن الاسلام فدعا عليهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم سبعا كسبع يوسف فاصابتهم السنة حتى اكلوا الجيف وكان الرجل ينظر الى السماء
ويرى كهيئة الدخان من غاية الجوع ثم قال مضت خمسة الدخان والروم والقمر والبطشة
واللزام وقيل الدخان مرتقب بعد لما روى حذيفة بن اسيد الغفاري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات قبلها فعد منها الدخان
يمكث اربعين يوما وليلة ما بين المشرق والمغرب اما المؤمن فيأخذه كهيئة الزكام
واما الكافر فكالسكران ولا تنافي لجواز الامرين الا ان السابق بما رواه ابن مسعود
اشد ملاءمة يغشى الناس يحيط بهم هذا عذاب اليم ربنا اكشف عنا العذاب
مقدر بقول وقع حالا انا مؤمنون وعد بالايمان على تقدير الكشف انى لهم الذكرى
بكشف العذاب وقد جاءهم رسول مبين واضح الشان باهر البرهان ثم تولوا عنه
وقالوا معلم مجنون اعرضوا عنه ولم يكتفوا بالاعراض حتى قال بعضهم يعلمه غلام
اعجمي وبعضهم لما راى ان صدور مثله عن الاعجمي محال قال انه مجنون انا كاشفوا العذاب
قليلا انكم عائدون الى الكفر في ذلك الزمان القليل اشارة الى ان ذلك الايمان
لم يكن عن ايقان بل كان اضطرارا عن خوف العذاب هذا على قول ابن مسعود
ظاهر وعلى قول حذيفة هو مثل قوله ولو ردوا لعادوا يوم نبطش البطشة الكبرى يوم بدر
او يوم القيمة ونصب يوم بما دل عليه انا منتقمون لا به لان ان حاجزة ولقد فتنا
قبلهم قوم فرعون بان وسعنا عليهم الارزاق واسباب البطر من العافية وطول
العمر وجاءهم رسول كريم على الله او على المؤمنين او في نفسه شريف النسب كريم
الحسب ان ادوا الي عباد الله وهم بنو اسرائيل الذين استعبدهم القبط كقوله ان ارسل

معنا بني اسرائيل ان مفسرة لان الرسالة في معنى القول او مخففة اي بان
ويجوز ان يكون عباد الله منادى والمعنى ادوا حق الله من الايمان وقبول
الدعوة اني لكم رسول امين على وحي الله قد بان بالمعجزات صدقي وان
لا تعلوا على الله لا تتكبروا اني آتيكم بسلطان مبين علة للنهي ولا يخفى حسن
المراعاة في ذكر الامين مع الاداء والسلطان مع العلاء واني عذت بربي وربكم
ان ترجمون ضربا او شتما وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون لا لي ولا علي واكفوا
شركم عني الى ان يفعل الله ما يشاء فدعا ربه ان هؤلاء قوم مجرمون اي بان
هؤلاء الجار صلة الدعاء كما يقال دعا بهذا الدعاء وقيل هو قوله ربنا اطمس على
اموالهم واشدد على قلوبهم او قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين وقوله ان
هؤلاء قوم مجرمون من كلامه تعالى بيانا لما استوجبوا به الدعاء من موسى
والاجابة منه وانه ما دعا الا بعد اليأس فاسر بعبادي ليلا انكم متبعون
بقطع الهمزة وقرأ نافع وابن كثير بالوصل وهما لغتان والتقدير فقال اسر
او بتقدير شرط اي ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي بني اسرائيل اضافة
تشريف واترك البحر رهوا ساكنا قارا على حاله ليدخله فرعون وجنوده
فانه اراد بعد العبور ان يضربه بالعصا ليعود الى ما كان لئلا يلحقه القبط
او مفتوحا من رها بين رجليه اذا فتح انهم جند مغرقون لا محالة كم تركوا
من جنات وعيون وزروع ومقام كريم كم خبرية للتكثير والمقام الكريم
منازلهم الحسنة او المنابر ونعمة كانوا فيها فاكهين ناعمين وقرئ فكهين
بطرين كذلك مثل الاخراج اخرجناهم الكاف في محل النصب او مرفوعة
اي الامر مثل ذلك وهي مقحمة للدلالة على ان الوصف لا يفي به فكانه قال
الامر مثل ذلك وما شبهه واورثناها قوما آخرين اجانب لا قرابة بينهم
بنو اسرائيل لقوله واورثناها بني اسرائيل فما بكت عليهم السماء والارض
تمثيل على سبيل التهكم وعدم الاكتراث بهم او اهل السماء والارض من
المؤمنين والملائكة او هو حقيقة لما روى ابو يعلى عن انس بن مالك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات العبد المؤمن بكت السماء والارض
عليه وتلا هذه الآية وابن جرير اذا مات المؤمن بارض غربة وغابت عنه
بواكيه بكت عليه السماء والارض وعن ابن عباس رضي الله عنهما تبكي عليه
الارض اربعين صباحا وما كانوا منظرين طرفة عين بسنة الله في الذين
خلوا ولقد نجينا بني اسرائيل من العذاب المهين حلم نجاتهم من هلاك عدوهم
الا انه ذكر ليثني عليه ما خولهم به من النعم من فرعون بدل من العذاب
المهين جعل نفس العذاب لافراطه ولذلك علله بقوله انه كان عاليا من المسرفين

متكبرا متجاوزا في عتوه خبر ان او الاول خبر والثاني حال من المستكن في الاول
ولقد اخترناهم على علم بانهم احقاء بذلك او مع علم بانه قد تفرط منهم فرطات
على العالمين عالمي زمانهم كقوله في موسى اني اصطفيتك على الناس او على الكل
من حيث ان فيهم الانبياء فلا ينافي تفضيل الآحاد عليهم وآتيناهم من الآيات
ما فيه بلاء مبين نعمة ظاهرة سميت بلاء لوقوع الاختبار بها او اختبار ظاهر
وجعله على المحنة لا يلايم لانه في مقام الامتنان ان هؤلاء ليقولون ان هي
الا موتتنا الاولى اشارة الى كفار قريش الذين هم في شك يلعبون وقصة
موسى كانت استطرادا والموتة الاولى هي التي اشير اليها بقوله وكنتم امواتا
فاحياكم وذلك انهم لما قيل لهم لكم حيوة بعد الموت قالوا لا نعرف الا الموتة
الاولى التي تعقبها الحيوة والاظهر ان الموتة الاولى هي التي بعد الحيوة الدنيا
وهي المتبادرة المتعارفة وذلك انهم انذروا بان في القبر احياء ثم موتا الى وقت
البعث فانكروا موتة القبر وما بعدها بقولهم وما نحن بمنشرين على ان الاولى
لا تقتضي ان يكون لها ثانية كما تقول قتله باول ضربة وصرعه اول مسكة
فأتوا بآبائنا ان كنتم صادقين في ان هناك حشرا احيوا لنا واحدا ممن سلف
لنسأله عما بعده ونثق به وقيل سألوه ان يحيي قصيا لنعتقد ورد على ينبغي ام لا اهم خير
ام قوم تبع ملك اليمن اسمه اسعد بن كرب اول سلاطين بني قحطان وكان
مسلما وقد اسلم قومه على يده ثم بعده كفروا وقيل انه عاش ملكا ثلثمائة سنة وهو
اول من سن كسوة الكعبة وكان قد عزم على تخريب الكعبة ثم ندم وتاب
وقرب قربانا كثيرا واحسن على اهل مكة مات قبل البعثة بسبعمائة سنة ولما
اجتاز بالمدينة قالت له احبار اليهود ان نبي آخر الزمان هذه البلدة مهاجره
قال في ذلك ابيات توارثها اهل المدينة وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال لا تسبوا تبعا فانه كان مسلما ولا ادري اكان نبيا ام لا والذين
من قبلهم كعاد وثمود والتفاضل في الخيرية ولا خير في الكل انما هو باعتبار القوة
والاسباب اهلكناهم استئناف او بتقدير قد انهم كانوا مجرمين بيان
للموجب الجامع وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين من غير
حكمة بل لا بد من محاسبة ومجازاة لا يفوت مثقال ذرة كقوله افحسبتم انما خلقناكم
عبثا ما خلقناهما الا بالحق الا خلقا ملتبسا بالحق هو الايمان والطاعة كقوله
وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ولكن اكثرهم لا يعلمون هذه الحكمة
لاغفالهم النظر والتأمل ان يوم الفصل يوم القضاء بين المحق والمبطل او يوم
الفصل بين المرء واحبائه ميقاتهم اجمعين يجمع هؤلاء المشركين واولئك المتقدمين
يوم لا يغني بدل من ميقاتهم او صفته او بدل من الفصل او معمول لما دل عليه

الفصل لا له لوجود الفاصل مولى صديق اى صديق كان من قرابة او غيرها
عن مولى شيئا عن اى صديق كان شيئا نزرا يسيرا من الاغناء ولا هم ينصرون
لو طلبوا النصر الضمير لمولى الاول والجمع لانه عام الا من رحم الله بالعفو عنه
او بقبول الشفاعة رفع على البدل من واو ينصرون او نصب على الاستثناء
انه هو العزيز الرحيم الغالب لا ينصر من خذله ولا يسعد من اشقاه ذكر رسول الله
ان طعام اهل النار هو الزقوم واهل اليمن اكل الزبد والتمر يسمونه الزقوم
فدعا ابوجهل بزبد وتمر وقال تزقموا اى ما يخوفكم محمد فنزلت ان شجرة الزقوم
طعام الاثيم الكافر الكثير الاثام كالمهل كالحديد او النحاس الذى اذيب في النار
حتى ذاب وقيل هو دردي الزيت يغلي في البطون فبراخ والمستكن في فيه
للطعام دون المهل لفساد المعنى وقرأ ابن كثير وحفص بالياء التانيث مسندا
الى ضمير الشجرة والاول احسن لكونه اقرب والسلامة عن الحذف كغلي الحميم
الماء الحار الذى انتهى غليانه خذوه فاعتلوه فجروه والعتل الاخذ بتلابيب
الرجل بعنف وغلظة ثم جره الى مكروه الى سواء الجحيم الى وسطه واقبح اماكنه
ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم جعل العذاب مصبوبا دون الحميم كما في قوله
يصب من فوق رؤسهم الحميم ايثارا للابلاغ وهو طريق الاستعارة لانه في مقام
الكبرياء واظهار السخط العظيم وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر فاعتلوه بضم التاء
وهما لغتان ذق انك انت العزيز الكريم امر اهانة تهكما به والقاء الحق حاسة
السمع من العذاب نزلت في ابي جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليس
بين جبليها اعز ولا اكرم مني ان هذا ما كنتم به تمترون تشكون ضمن معنى
التكذيب ان المتقين في مقام امين هو موضع القيام ثم اتسع فيه فاستعمل
في مطلق المكان والامين من الامانة ضد الخيانة استعير لما لا مكروه فيه في جنات
وعيون بدل من مقام لدلالته على المأكل والمشارب التي بها قوام الملاذ
يلبسون من سندس ما رق من الديباج واستبرق ما غلظ منه معرب
وبالتعريب صار عربيا بالتصرف واجراء احكام لفظ العرب عليه على ان وقوع
الالفاظ اليسيرة لا يخرجه عن العربي متقابلين ينظر بعضهم بعضا في مجالس الانس
كذلك وزوجناهم بحور عين زوجات حسان الحور شدة بياض العين
مع شدة سوادها وعن ابي عمرو هو ان يكون العين كلها سوادا كعين الظباء
في الانسان على التشبيه والعين جمع العيناء والسعة العين يدعون فيها
بكل فاكهة اى نوع ارادوا في اى وقت كان آمنين من كل المكاره لا يذوقون
فيها الموت هذا راس النعيم كلها الا الموتة الاولى التي في الدنيا من التعليق
بالمحال لان الموتة الدنيا لا يمكن ذوقها في الجنة او لان المؤمن لا يموت حتى

يرى

يرى مقعده من الجنة فكان موته فيها والضمير للاخرة والموت اول احوالها او الاستثناء
منقطع ووقاهم عذاب الجحيم اى والحال انهم حفظوا من عذاب النار ولا ينافي
دخول بعض المؤمنين لان الكلام في المتقين فضلا من ربك اى اعطوا كل ذلك
تفضلا لا لسابقة وجوب اذ العبد لا يستحق على المولى اجرا ذلك هو الفوز العظيم
لانها نعم خالصة عن شوب كدر فانما يسرناه بلسانك فذلكة للسورة تذكيرا
بما سلف من انزال الكتاب وما ترتب عليه واجمال بعد التفصيل لعلهم يتذكرون
يتعظون به فارتقب فانتظر ما يحل بهم انهم مرتقبون منتظرون ما يحل بك
روى الترمذي باسناده الى ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك وباسناده ايضا من
قرأها في ليلة الجمعة غفر له تمت سورة الدخان والحمد لولي الاحسان والصلوة
على المبعوث من عدنان وآله وصحبه السابقين الى الايمان سورة الجاثية
مكية سبع وثلثون آية وقيل ست بسم الله الرحمن الرحيم حم حروف مقطعة
تنزيل الكتاب مبتدأ من الله العزيز الحكيم خبر او اسم السورة مبتدأ او بتقدير
مضاف اى تنزيل حم فان اريد بالكتاب السورة فمن اقامة الظاهر مقام
المضمر اشارة الى انه الكتاب الكامل وان اريد به القرآن فللاشعار بان تنزيله
كانزال كله في غرض التحدي والهدى فان قلت فلم لم يؤثر هذا الاسلوب
في حم تنزيل من الرحمن الرحيم قلت افاد هذا المعنى بقوله كتاب فصلت مع
الافتنان في الكلام ان في السموات والارض لايات للمؤمنين اى في
انفسهما لما فيهما من فنون الدلالة على القادر الحكيم او فيما خلق فيهما من
الكواكب والجبال وساير الكيفيات والاول ابلغ وفي خلقكم عطف الخاص
على العام على الثاني وما يبث فيها من دابة اى وخلق ما يبث لان
العطف على المجرور بدون اعادة الخافض غير فصيح آيات لقوم يوقنون
قرأ حمزة والكسائي بنصب آيات عطفا على لفظ الآيات والباقون رفعا على
الابتداء اما عطف مفردا وعطف جملة واختلاف الليل والنهار وما انزل الله
من السماء من رزق من مطر لانه سبب الرزق فاحيا به الارض بعد موتها
بنبت النبات بعد اليبس وتصريف الرياح تغيرها من جهة الى اخرى قرأ حمزة
والكسائي الريح على ارادة الجنس لايات لقوم يعقلون عطف على معمولي عاملين
مختلفين رفعت الايات ونصبت كقراءة حمزة والكسائي ففي الرفع الابتداء
وفي النصب ان وفي فاجازه الفراء والكوفيون مطلقا والاخفش اذا تقدم
المجرور المعطوف ومنعه سيبويه والبصريون معللين بقصور الحرف عن نيابة
العاملين فالوجه عندهم النصب والرفع على الاختصاص او يقدر في بعده

في الاولين وفي ترتيب الفواصل رعى الترقي في الدليل والمدلول وذلك
ان السموات والارض اظهر للكائنات جعلت دليلا على اصل الايمان ثم نظر
الانسان في حاله وحال سائر الحيوان لكثرته وتكرره اوغل في نفي الشك
واجلب للاطمئنان القلب جعل دليلا على الايقان الذي هو اعلى درجات
الايمان ولما كانت التأمل في الاختلاف والتصريف وما بينهما ادل على استحكام
اليقين لانه يتجدد حسنا فحسنا ويتجدد وفيه النظر والاعتبار جعل دليلا على التعقل
الذي هو مدار الايمان واليقين تلك آيات الله اي الآية الدالة على وحدته وكمال
اقتداره نتلوها عليك حال الفاعل والعامل معنى الاشارة بالحق ملتبسا به
او ملتبسين فباي حديث بعد الله وآياته يؤمنون اي بعد آيات الله
وتقديم الاسم الاعظم لتعظيم الآيات كقولك اعجبني زيد وعلمه والدلالة على انه
لا بيان ازيد من هذا البيان ولذلك اشار اليها بما وضع لاكمل التمييز
واضاف الآيات الى ضميره اخرى او بتقدير مضاف اي بعد حديث الله
وهو القرآن وحسن الاضمار لتقدمه وعطف الآيات عليه عطف المفصل على
المجمل او اريد بها فيه من الدلالات وقرأ ابن عامر وابو بكر وحمزة والكسائي
بالخطاب وهو ابلغ تقريعا ويل لكل افاك كذاب اثيم كثير الاثم
يسمع آيات الله تتلى عليه ليتأملها ويؤمن بما فيها ثم يصر يقيم على كفره
من اصر الحمار او لعه مستكبرا عن الايمان وثم لاستبعاد الاصرار بعد سماعها
كقوله يرى غمرات الموت ثم يزورها ويجوز ان يكون على اصله لان اصراره
يكون بعد تردد كأن لم يسمعها حال فاعل مستكبرا اي مثل غير السامع
وكأن مخفف كأن حذف منه ضمير الشأن كقوله كأن ظبية تعطو الى ناضر
السلم فبشره بعذاب اليم استعار البشارة تهكما واذا علم من آياتنا شيئا
اتخذها هزوا ترقى من الاصرار الى الاستهزاء بآيات الله بعد علمه بانها
آيات الله ولم يقل اتخذه اشارة الى افراط في طغيانه بانه اذا علم شيئا ما
من الآيات خاض في الكل ولم يقتصر على ما بلغه او اذا علم ادنى شيء من الموضع
التي يمكن التلبيس والمغالطة فيها كما فعله ابن الزبعرى والنضر جعله وسيلة
للمباقي وزعم ان الكل من هذا القبيل فالاول قبل التأمل وهذا بعده والضمير
للآيات او الشيء لانه في معناها اولئك لهم عذاب مهين لاهانتهم بآيات الله
من ورائهم جهنم قدامهم او خلفهم اي بعد آجالهم والوراء اسم لما يواريه الشخص
من قدام وخلف ولا يغني عنهم ما كسبوا شيئا من العذاب ولا ما اتخذوا
من دون الله اولياء من الاوثان ولهم عذاب اليم لا يتحمله هذا هدى
اي القرآن لان الكلام فيه والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز اليم

لهم

لهم من العذاب اليم وقرأ ابن كثير وحفص بجر اليم على انه صفة الرجز
وهو اشد العذاب اي لهم عذاب من هذا الجنس وهو ابلغ واوفق لعدم
الفصل الله الذي سخر لكم البحر بان خلقه على وجه يمكن الانتفاع به ليجري
الفلك فيه بامره باذنه وتسهيله ولتبتغوا من فضله بالتجارة والغوص
على اللآلي والصيد وغيرها ولعلكم تشكرون عقب به الآيات المتلوة زيادة
في توبيخهم ولذلك رتب عليه الاغراض العاجلة التي يستجلب بها الشكر من
الكافر غالبا فكانه قال تلك اولى بالشكر من هذه وسخر لكم ما في السموات
وما في الارض جميعا منه حالان من فاعل سخر او منه خبر مبتدأ اي هي منه
والمعنى كما ان التسخير منه كذلك الايجاد والتكوين او وسخر لكم تاكيد الاول
والعطف لتعقيبه بقوله ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون لان التفكر
يزداد ايقانا بلكان الثاني غير الاول وعلى هذا ما في السموات مبتدأ خبره
منه قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله وقايعه وانزال
بأسه بالمكذبين يقال ايام العرب لوقايعها او الاوقات التي وقتها الله
للجزاء من الثواب والعقاب في ابتداء الاسلام كانوا مامورين بالصفح وقيل
نزلت في عمر بن الخطاب شتمه رجل من غفار والقول بنزولها في غزوة بني
المصطلق وهو ليجزي قوما بما كانوا يكسبون من الغفران والصبر عليه للام وتنكير
قوما للتعظيم كانه قيل قوما واي قوم نفى هذا التنكير لكمال التعريف ايماء الى انهم
لا يخفون عرفوا اذ نكروا مع العلم بان الجزي لا يكون الا الغافر ومن حمل قوما
على الكفار او على الشيوع استبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير وقرأ ابن عامر والكسائي
وحمزة لنجزي بالنون التفاتا ليكون اشد تعظيما من عمل صالحا فلنفسه ومن
اساء فعليها تقدم مرارا ثم الى ربكم ترجعون للجزاء ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب
التورية والحكم والنبوة اي الحكمة او الفقه او فصل الخصومات ورزقناهم
من الطيبات المن والسلوى وسائر المأكل والثمار وفضلناهم على العالمين
بالملك والنبوة لم يجتمعا في غيرهم وآتيناهم بينات من الامر معجزات دالة
على حقه وبينهم فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم جعلوا ما هو سبب
الالفة موجب الاختلاف ظلما وحسدا ان ربك يقضي بينهم يوم القيمة
فيما كانوا فيه يختلفون ويجازي المحق والمبطل ثم جعلناك على شريعة من الامر
على منهاج خاص من امر دينك والتنوين للتعظيم كما اشار اليه بقوله
جئتكم بالحنيفية السمحاء ولو كان ابن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي فاتبعها
اي اثبتها على سلوكها ولا تتبع اهواء الذين لا يعلمون بدع الجهال كانوا يدعونه
الى ملة عبد المطلب انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ان خالفت امره ومن

قبل الالهاب والتهييج وان الظالمين بعضهم اولياء بعض اذ الجنسية علة
الضم والله ولي المتقين يتولاهم وانت امامهم فعليك بموالاته هذا بصاير
للناس اي القران والمراد ما فيه من المعارف والحكم بصاير للقلوب كما
جعلت روحا وحيوة وهدى من الضلالة ورحمة من العذاب لقوم يوقنون
وايقن ام حسب الذين اجترحوا السيات اكتسبوا ومنه جوارح الطيور لكواسبها
ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات نصيرهم مثلهم سواء محياهم ومماتهم
كالمؤمنين انكر حسبان المجترحين تساوي حاليهم على معنى انهم وان ساووا
المؤمنين في الحيوة الدنيا في شمول الرحمة لم يساووهم موتا لانهم في النعيم وهؤلا
في الجحيم او على معنى ان لا تساوي في الحالين لان حياتهم في الطاعة وهم
في المعصية وفي الاخرة هم اهل الزلفى والرضوان وهؤلاء اهل الخذلان والخسران
وعلى التقديرين ان كان الضمير للموصول الاول فالجملة بدل من الكاف وان
كان للفريقين فاستيناف يدل على ان المشابهة بمعنى التشابه والتساوي
دون التفاضل ويجوز ان يكون كلاما مستانفا غير داخل في حكم الانكار يبين
حال المؤمنين في الحالين خاصة وكذلك حال المجترحين فهو تعليل للانكار ودال
على عدم المماثلة في الحالين لان المؤمنين تساوي حالاتهم كما ان اولئك
كذلك وان اختلف وجه التساوي وقرا حمزة والكسائي وحفص سواء بالنصب
على انه حال من الضمير المنصوب او من الكاف وما اضيف اليه ساء ما يحكمون
بئس حكمهم هذا وخلق الله السموات والارض بالحق دليل على الحكم الاول لان
العدل يقتضي عدم تساوي المسيء والمحسن وليس ذلك في المحيا ولابد وان
يكون في الممات ولتجزى كل نفس عطف على علة محذوفة مثل ليعدل او ليدل
على قدرته او على بالحق لكونه في معناها بما كسبت وهم لا يظلمون بنقص ثواب
او زيادة عقاب وقد تقدم مرارا ان مثله جار على التعارف لانه لو فعله من
كان ظلما لعدم امكانه افرايت من اتخذ الهه هواه هواه تعجيب من حال
تبع ما يهواه من غير نظر وتامل كما كان المشركون عليه يعبد واحد منهم حجرا
ثم اذا راى حجرا احسن منه رمى الاول بعد تغيير وجهه له زمانا واضله الله على علم
اي على علم منه تعالى بانه يستحق الاضلال لكونه مخلوقا للنار او بعد بلوغ العلم اليه وقيام
الحجة عليه وختم على سمعه وقلبه فلا يلقى سمعه الى ما يتلى ولا يوجه عليه الى التدبر
في ايات الله وتقديم السمع على القلب عكس ما في البقرة لان الكلام في المعرض
عن الهدى التبع لما يهواه المستكبر عن الايات كان لم يسمعها وما في البقرة
ابتدا الكلام منه تعالى اشارة الى الجبلة والقلب هو الاصل في ذلك وجعل على
بصره غشاوة فلا يجتلي ايات الله بعين الاستبصار وقرا حمزة والكسائي غشوة وهما

لغتان

لغتان والاول اشهر ولذلك اتفقوا عليه في البقرة فمن يهديه من بعد الله
استفهام انكار اي لا احد افلا تذكرون ان الكل منه تعالى وفيه نهي لرسول الله
صلى الله عليه وسلم عن تهالكه على ايمانهم وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا ما الحيوة الا
هذه التي نحن بها نموت ونحيى نموت بعضنا ونحيى بعضنا او يكون نطفا ونحيى
بعد ذلك او نموت نحن ونحيى اولادنا او يصيبنا الامران وما يهلكنا الا الدهر
الزمان كساير الاشجار والنبات في الاصل امم لمدة بقاء العالم من المبدا الى
الانقضاء وقوله تعالى انا الدهر انا الخالق لحوادث الدهر وما لهم بذلك من
علم ان هم الا يظنون تقليدا لابائهم واذا تتلى عليهم اياتنا بينات الدالة على
عكس ما يظنونه لعلهم يرشدون ما كان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بابائنا ان كنتم
صادقين سماها حجة تهكما او على زعمهم قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة
لاريب فيه اجاب عن حجتهم بما هو اثبات للمطلوب وذلك انهم مقرون بان
الاحياء والاماتة منه تعالى ومن سلم قدرته على هذا يلزمه ان يسلمه على ذلك
وعدم الاتيان بالاباء لحكمة اقتضت ذلك ولكن اكثر الناس لا يعلمون
لاخلالهم بالنظر والتدبر في الايات المبثوثة في الافاق والانفس ولله ملك
السموات والارض هو الخالق لهما والمدبر ومن هذا شانه فالاعادة منه اهون
ما يكون ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون المنكرون لها سماهم مبطلين
لان انكار الحشر ابطال لحكمة تعالى العامل في يوم يخسر ويومئذ بدل منه وترى
كل امة جاثية باركة على الركب من شدة الخوف او للخصومة ومنه قول علي بن
ابي طالب انا اول من يجثو بين يدي الله للخصومة او مخففة لما روي ابن عمر ان
الناس يكونون جثا كل امة تتبع نبيها كل امة تدعى الى كتابها كتاب اعمالهم
كقوله ووضع الكتاب اليوم تجزون ما كنتم تعملون على تقدير القول كقوله ينبا
الانسان يومئذ بما قدم واخر هذا كتابنا اضافة اليهم اولا لانه صحايف اعمالهم
وثانيا اليه تعالى لانه كتب بامره ينطق عليكم بالحق ما هو ثابت في نفس الامر
من غير زيادة ولا نقصان انا كنا نستنسخ على ايدي الكتبة ما كنتم تعملون من نقير
وقطمير تقرير وتوكيد لشهادته بالحق فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم
في رحمته في الجنة ذلك هو الفوز المبين الجلي لا يحتاج الى [illegible] واما الذين
كفروا افلم تكن اياتي تتلى عليكم جوابه محذوف اي فيوبخون ويقال لهم هذا القول
وفيه دلالة على ان اهل الجنة يدخلون الجنة وهم في الموقف بعد كذا قيل وفيه
نظر لان الواو لا تدل على الترتيب والحديث يخالفه فاستكبرتم عن الايمان
وكنتم قوما مجرمين والمراد بالاجرام اشارة الى علة الاستكبار واذا قيل ان
وعد الله حق كاين لا محالة والساعة لاريب فيها افردها بالذكر اهتماما بشانها

لمن ايقن

وقراها حمزة بالنصب عطفا على اسم ان والرفع احسن للاستقلال والتاكيد حاصل
لانه راجع الى المؤكد قلتم ما ندري ما الساعة تجاهلتم كانكم ما تعلمون معناها ان
نظن الا ظنا اي ظنا ضعيفا او لا اعتقادا او لا فعل اطلاقا كالخاص على العام او ما
الثابت الا ذلك الظن اشارة الى ان الكل مظنون وقيل لنفي ظنهم فيما
سوى ذلك مبالغة ولا دلالة للكلام عليه وما نحن بمستيقنين تاكيد للظن بسلب
نقيضه يؤيد الوجه الاول وبدا لهم سيئات ما عملوا اي جزاؤها من اطلاق السبب
على المسبب وما يسوؤهم والالتفات الى الغيبة لحكاية حالهم بعد تمام التوبيخ وحاق
بهم ما كانوا به يستهزؤن احاط بهم جزاء استهزائهم بحيث لا مخرج عنه وقيل اليوم
ننساكم ان نترككم في العذاب لان من نسي شيئا تركه او نجعلكم بمنزلة الشيء المنسي
على الاستعارة التمثيلية كما نسيتم لقاء يومكم هذا اي كما تركتم الاستعداد له ولم تكترثوا
به واضافة اللقاء الى اليوم اضافة المصدر الى الظرف اما اجراء له مجرى المفعول
واما مجرى الفاعل لان ما لقيته لقد لقيك ومأواكم النار وما لكم من ناصرين
يدفعون عنكم العذاب ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا اي انما تركتم الاستعداد
لاستهزائكم بآيات الله ولم تتفكروا فيها وغرتكم الحيوة الدنيا فظننتم ان لا حياة
بعدها فاليوم لا يخرجون منها لسبق القول وقرا حمزة والكسائي بفتح الياء والضم
ابلغ واوفق بقوله ولا هم يستعتبون يطلب منهم ان يعتبوا ربهم لفوات وقته
يقال استعتبه ارضاه والمعنى ازال عتباه والتفت الى الغيبة بعد تمام التقريع كانه
غير بهم سوء جزائهم لبعثهم فلله الحمد رب السموات ورب الارض رب العالمين
اي له الحمد كلها نطقا وحالا سواء احمد الحامدون او لا اذ الكائنات كلها منه و
بقاؤها وله الكبرياء في السموات والارض لا يشاركه فيهما احد ولا يليق الا بجلال
جبروته وهو العزيز الغالب الذي لا يغالب تقرير كبريائه الحكيم المتقن
لكل شيء فلا يحمد غيره او له الكمال المطلق ختم السورة بما افتتح به وله الحمد والكبرياء
والصلوة على افضل اهل الارض والسماء واصحابه البررة الاتقياء

سورة الاحقاف مكية وهي اربع وثلثون آية بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب
من الله العزيز الحكيم الكلام في اعرابه كما تقدم في اول السابق ما خلقنا
السموات والارض وما بينهما الا بالحق الذي تقتضيه الحكمة المستدعية لاثابة المحسن
وعقاب المسيء واجل مسمى وبتقدير اجل مضروب وهو يوم القيمة الذي
ينتهي اليه امر الكل وقيل كل واحد وهو اخر بقاء مدته ولا يلائم لان الكلام
في تقرير ما ينكره المشركون من البعث والذين كفروا عما انذروا به من هول
ذلك اليوم او عن انذاره على ان ما مصدرية معرضون لا يتفكرون فيه
ولا يستعدون لحلوله قل ارايتم ما تدعون من دون الله اروني ماذا خلقوا من الارض ام لهم

شرك

شرك في السموات اي اخبروني عن حال الاوثان التي تعبدونها هل
خلقت جزءا من اجزاء الارض او مما نشأ منها من النبات والحيوان اشيروا
اليه فانه بمرأى منكم ام لكم دليل على ان لها شركا في شيء من السموات وقيل
تخصيص الشرك بالسموات احترازا عما يتوهم ان للوسائط شركة في ايجاد
الحوادث السفلية قلت فعلى هذا كان اللازم قطع ذلك الوهم كما في سورة
الرعد يسقى بماء واحد ومع ذلك لا يسلم لقوله في سبا وما لهم فيهما من شرك
ائتوني بكتاب من قبل هذا اي القرآن اذ ليس فيه ما دل على ذلك
او اثارة من علم بقية من علوم الانبياء من اثر الحديث نقله ومنه الاثار
للاخبار ان كنتم صادقين في دعواكم ولما بكتهم نعى عليهم بقوله ومن اضل
ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيمة لا يقدر على الجواب
لكونه جمادا فضلا عن كشف ظلمه او دفع بليته وهم عن دعائهم غافلون لانهم
اما جمادات او ملائكة مكرمون ليس لهم علم بعبادتهم هذا وهم في عبادتهم
في الدنيا واذا حشر الناس فالامر اظلم كانوا لهم اعداء العبادهم او العباد لهم
يلعن بعضهم بعضا وكانوا بعبادتهم كافرين قائلين كانوا يعبدون الجن والعباد
يقولون والله ربنا ما كنا مشركين واذا تتلى عليهم آياتنا بينات واضحات
قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين نوع آخر من كفرهم عنادا وكان
الاول كان جهلا عبر اولا بالبينات وثانيا بالحق واتى بالمظهر الدال على علة
العناد ولما الدال على كفرهم كما جاء من غير تدبر كما هو شان اللبيب الحازم لانه
على اغراقهم في الكفر ام يقولون افتراه اضراب عن تسمية السحر الى ما هو اجل
في الانكار وذلك ان السحر امر خارق لا يقدرون على الاتيان به مع انه كان
عند طيفة ذم واما الكذب فكان عندهم اقبح ما يوصف به كما دل عليه حديث
ابي سفيان مع هرقل لا سيما الكذب على الله قل ان افتريته فلا تملكون لي من الله
شيئا ان اراد عقوبتي فكيف اجترئ على الافتراء واي فايدة لي في ذلك
هو اعلم بما تفيضون فيه اي تخوضون في الحديث اندفع فيه من غير روية كفى به شهيدا
بيني وبينكم يشهد لي بالتبليغ وعليكم بالتكذيب وهو الغفور الرحيم ترغيب لهم
في التوبة مع الاشعار بحلمه عنهم مع عظم جريمتهم قل ما كنت بدعا من الرسل
بديعا مثله خف بمعنى خفيف والمعنى لست اول رسول حتى يشتبه عليكم شاني
بل قد تقدمني رسل دعوى الكل واحدة وكلهم من البشر ولم يقدر احد على الاتيان
بآية الا باذن الله وما ادري ما يفعل بي ولا بكم مفصلا لانه غيب وعن ابن عباس
والحسن وعكرمة وقتادة رضي الله عنهم نسخت بقوله ليغفر لك الله ما تقدم من
ذنبك وما تاخر ولما نزلت قال المؤمنون هنيئا لك يا رسول الله فما لنا فنزلت

سبقا

ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات وعن ابي هريرة ان هذا في امر الدنيا وما يؤول اليه حاله معهم يؤيده قوله ان اتبع الا ما يوحى الي لا اقدر على الاتيان بما تقترحون وما انا الا نذير مبين لا ساحر ولا كذاب قل ارأيتم ان كان من عند الله اي القران وكفرتم به عطف على فعل الشرط وشهد شاهد من بني اسرائيل عطف على الشرط وما عطف عليه على مثله على المعاني المطابقة لما في القران من التوحيد والوعد والوعيد فامن بالقران واستكبرتم انتم والشاهد من بني اسرائيل موسى او عبد الله بن سلام فان قلت الاية مكية وعبد الله بن سلام بالمدينة قلت نزل ما سيكون منزلة الواقع وتحقيقه ان مناط الالزام ايمان شاهد من بني اسرائيل لما راه موافقا للتوراة اي لو وقع ذلك الستم اضل الناس ثم امن عبد الله بعد مدة فكان هو ذلك الشاهد هذا تأويل ما روي انها نزلت فيه ان الله لا يهدي القوم الظالمين دليل على الجواب المحذوف واشعار بان ضلالهم ناشئ من ظلمهم وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي قالوا في حقهم ولاجلهم اراذل عمارا وبلالا وصهيبا واضرابهم من فقراء الصحابة وقيل قاله غطفان وبنو عامر واشجع واسد طوائف من الاعراب لما اسلم غفار واسلم ومزينة وجهينة واذ لم يهتدوا به ظرف لمحذوف اي ظهر لعدم جواز تعلقه بقوله فسيقولون لتدافع دلالتي المضي والاستقبال وليس من قبيل فسوف يعلمون اذ الاغلال في اعناقهم نظما للمستقبل في سلك المقطوع لان عدم الهداية محقق ولا تأويل سيقولوا بمعنى قالوا والعدول للاستمرار لكون السين مانعا هذا افك قديم كقولهم اساطير الاولين ومن قبله كتاب موسى مبتدا وخبر اماما ورحمة نصبا على الحال والعامل الظرف وهذا القران كتاب مصدق لكتاب موسى ولغيره لسانا عربيا حال من فاعل مصدق وفيه دلالة على انه كما دل على صدقه كتاب موسى دل باعجازه على انه في نفسه كلام الله لينذر الذين ظلموا اي القران وقرا نافع وابن عامر والبزي في وجه بالتاء اسنادا الى رسول الله او الله وبشرى للمحسنين اي هو بشرى او عطف على محل لينذر مفعولا له لما استشهد شاهد بني اسرائيل على صدق القران وكونه كتاب الله استظهر كتاب موسى بانه والقران متطابقان كل منهما يصدق الاخر ولذلك كان شهد الشاهد او لم يشهد وتقديم من قبله للاستشهاد بان انزال الكتاب امر مسلم او تنزيلوا منزلة من لا يعرف ان كتاب موسى انزل من قبله لعنادهم تقدم ا تخصيصا ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا على ما يلزمهم اعتقادا وعملا فلا خوف عليهم من لحوق مكروه ولا هم يحزنون على فوات محبوب اولئك اصحاب الجنة خالدين فيها حال من المستكن في اصحاب جزاء بما كانوا يعملون يشمل العقائد لانها عمل

القلب ووصينا الانسان بوالديه افرده بالذكر بعد اندراجه تحت الاستقامة اهتماما لان طاعتهما سابقة طاعة الله حسنا فعلا واحسن وقرا الكوفيون احسانا وعليه رسم مصحفهم وهو اسلم من الحذف حملته امه كرها ووضعته كرها ترجيح لجانبها في البر على الاب اي ذات كره او حملا ذا كره وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو وهشام بالفتح وهما لغتان والضم في المشقة اشهر والفتح في الاجبار وحمله وفصاله ومدة حمله وفطامه ثلثون شهرا وفيه علم اقل مدة الحمل ستة اشهر بقوله حولين كاملين في مدة الرضاع ولذلك عبر عن الفطام بالفصال اذ بذلك يعظم قبل الرضاع التام حتى اذا بلغ اشده ثلثا وثلثين سنة وبلغ اربعين سنة وتكامل قواه واستحكم عقله ولذلك لم يبعث نبي الا بعد اربعين سنة وذلك لان القوى الشهوانية تأخذ في الانتقاص فيقل نزاعها مع العقلية قال رب اوزعني الهمني واصل الايزاع الاغراء بالشيء ان اشكر نعمتك التي انعمت علي بالتوفيق لدين الاسلام وعلى والدي كذلك قيل نزلت في ابي بكر فانه اسلم هو ووالداه واولاده واولاد اولاده ولم يتفق في المهاجرين والانصار اربعة بطن صحابيون غيرهم وما يقال لم يكن في المهاجرين والانصار من اسلم هو وابوه غيره سهو في المهاجرين ابن عمر وابوه ابن عباس وابوه وفي الانصار جابر وابوه وغيرهم وان اعمل صالحا ترضيه تقبله واصلح لي في ذريتي اجعلهم مكانا للصلاح وموقعه اني تبت اليك واني من المسلمين المخلصين جعله وسيلة اولئك الذين نتقبل عنهم احسن ما عملوا اجمع حسناتهم كقولهم الاشج اعدل بني مروان او غير المباح فانه حسن لا ثواب عليه ونتجاوز عن سيئاتهم ذكرها لان قبول العمل لا يستلزم العفو عن الزلل في اصحاب الجنة كائنين في زمرة الاخيار والصديقين الشهداء والصالحين وعد الصدق الذي كانوا يوعدون مصدر مؤكد لان يتقبل ونتجاوز في معنى الوعد وقرا حفص وحمزة والكسائي الفعلين بالنون ونصب احسن والياءات وهو حسن لكونه نصا على الفاعل مع التعظيم والذي قال لوالديه اف لكما هذا العاق ضد ذلك الصالح والمراد به الجنس الذي هذا شانه يدل عليه الاخبار باولئك وما قيل انها نزلت في عبد الرحمن بن ابي بكر كذب لان عبد الرحمن من كبار الصحابة وقد اخبر في الاية ان هذا حق عليه العذاب ولما روي البخاري ان عائشة رضي الله عنها لما بلغها ان مروان بن الحكم هو الذي قال هذا القول لما طلب من عبد الرحمن البيعة ليزيد وابى عبد الرحمن قالت والله عبد الرحمن ليس بذلك ولكن انت لعنك رسول الله صلى الله عليه وسلم وانت في ظهر ابيك اراد الحكم بن العاص

طريد رسول الله الى الطايف وقرا ابن كثير وابن عامر اف بفتح الفاء والباقون
بالكسر ونونها نافع وحفص تنكيرا والكسر احسن لانه الاصل عند التقاء الساكنين
اتعدانني ان اخرج من القبر وقرا ابن عامر في رواية هشام بالادغام وقد خلت
القرون من قبلي ولم يخرج واحد منهم وهما يستغيثان الله من شره ويسألانه
او ان يوفقه ويلك آمن اصل الويل الدعاء بالهلاك اريد به الحث على الايمان
للدلالة على ان مرتكبه جدير بان يدعى عليه بالهلاك ان وعد الله حق في قيام
الساعة والجزاء على الاعمال فيقول ما هذا الا اساطير الاولين الا اباطيل التي
سطرها الناس اولئك الذين حق عليهم القول بانهم اهل النار في امم
قد خلت من قبلهم من الجن والانس كقوله في ضده في اصحاب الجنة انهم كانوا
خاسرين استيناف لتعليل الحكم ولكل درجات اي لكل من الفريقين والدرجات
على التغليب او لكل مؤمن ويعلم حال المقابل منه او اريد مراتب اعمالهم
مما عملوا من جزاء اعمالهم وليوفيهم اعمالهم اي جزاءها وقرا نافع وحمزة والكسائي
وابن ذكوان بالنون وهو اول على التعظيم وهم لا يظلمون بنقص ثواب او زيادة
عقاب تعليل حذف معلله كانه قيل ليوفيهم اعمالهم ولا يظلمهم قدر لهم جزاء اعمالهم
على مقاديرها ولما كان مبنى السورة على تهديد الكفار ومن مقابلهم ذكر اعتراضا
شرح حالهم بقوله ويوم يعرض الذين كفروا على النار العرض على النار
التعذيب بها يقال عرضه على السيف اذا قتله به وعن ابن عباس رضي الله عنهما
تكشف لهم عنها اذهبتم استوفيتم هو العامل في يوم وقرا ابن كثير وابن عامر
بالاستفهام تقريرا طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها تمتعتم تمتع الانعام
فاليوم تجزون عذاب الهون عذاب الهوان بما كنتم تستكبرون في الارض
تتكبرون بغير الحق ولم يكونوا اهلا له لان الكبرياء رداء الله وبما كنتم تفسقون
تخرجون عن الطاعة والاحسن رد الفسق الى العذاب والهون الى الكبر نشرا
بعد اللف واذكر اخا عاد اي حالهم مع قومه ليتعظ قومك فان غلوهم واغراقهم
في الكفر يشبه اغراق اولئك اذ انذر قومه بالاحقاف بدل اشتمال الاحقاف
جمع حقف وهو الرمل المستطيل الذي فيه انحناء من احقوقف الشيء اعوج عن علي
بن ابي طالب رضي الله عنه واد بحضرموت يلقى فيه ارواح الكفار وعن قتادة
مكان بسلاوين يقال له الشحر وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه حال
من الفاعل اي معلما اياهم انذار الرسل او المفعول اي عالمين بذلك اما اعلاما
او بالتواتر عندهم فان قلت من لم يات من الرسل كيف يصدق عليه قد خلت
قلت لعله اتى في سلك الماضي للتحقق وتوجه او اعتراض بين المفسر والمفسر
او المعنى اذكر لهم اخا عاد وساير الرسل الذين قبله والذين بعده وغير الاسلوب

اشارة

اشارة الى ان المذكور حاله قوم هود وهذا اسلم من التكلف في الجمع بين
الماضي والمستقبل ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم
هايل قالوا اجئتنا لتافكنا عن آلهتنا لتصرفنا عن عبادتها فاتنا بما تعدنا ان كنت
من الصادقين في وعدك العذاب كما قال في حق قريش يستعجلونك بالعذاب
قال انما العلم عند الله ما يعلم ذلك الوقت الا هو وابلغكم ما ارسلت به مالم يات
العذاب وكنت نبيكم وقرا ابو عمرو ابلغكم مخففا ولكني اريكم قوما تجهلون غارقين
في الجهل مستمرين لا تجدي فيكم الايات والنذر وهل يكون اجهل ممن يطلب حلول
باس الله به سريعا قال معاوية لم يكن اقل عقلا من اهل سبا حيث ولوا عليهم
امراة فقال رجل من اهل سبا بل اقل عقلا منهم من قال اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم فلما راوه
عارضا مستقبل اوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا لما استمروا على تكذيبه امسك الله تعالى
عنهم الغيث فارسلوا رجلا منهم يسمى قيلا ليستسقي لهم عند الكعبة فلما استسقى ظهرت
لهم سحابة فظنوا انه سحاب ممطر على ما تعارفوه والعارض السحاب الذي يعرض
في افق السماء والضمير في راوه اما عائد الى ما تعدنا او مبهم يفسره عارضا حالا او تمييزا
وهذا احسن للاجمال والتفصيل والاضافة في مستقبل وممطرنا اضافة الصفة الى معمولها
بل هو ما استعجلتم به من العذاب القايل هود وقيل كلام الله تعالى وفيه تكلف الاضمار
مع ان المناظرة بينهم وبين هود ريح بدل من ما فيها عذاب اليم صفتها تدمر كل
شيء بامر ربها تهلك كل شيء تمر به من اموالهم وانفسهم عام خاص واضافة
الرب اليها للدلالة على انها في تصريفه وتحت ارادته وان شان المربي ان
يكون في طاعة المربي ساعيا في قضاياه وعن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لم يفتح على عاد من الريح الا قدر موضع الخاتم ثم عتت
على خزانها فلا يعلم قدر ما خرج الا علام الغيوب قيل اول ما راوها تطير بمواشيهم
واهل الحرث بين السماء والارض كالجراد وخلوا البيوت واغلقوها فخربت
البيوت وامالت عليهم الاحقاف فبقوا سبع ليال وثمانية ايام تحت الرمل لهم
انين ثم اخذتهم والقتهم في البحر فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم ايها الرائي او يا محمد
وقرا عاصم وحمزة بياء الغيبة اي لا يرى المار بديارهم والخطاب ابلغ واسلم
كذلك نجزي القوم المجرمين كل مجرم كامل ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه
ما موصولة وان نافية والمعنى مكنا عادا في شيء من الاسباب والاموال ما مكناكم
فيه ولم يعطكم ما اعطيناهم اولئك وقد علمتم حالهم وما جرى عليهم وقيل ان شرطية
اي ان مكناكم فيه كنتم اكثر بغيا منهم وقيل صلة والوجه هو الاول لقوله كانوا اشد
منهم قوة واثارا في الارض وجعلنا لهم سمعا وابصارا وافئدة ليستدلوا بها على وجود

النعم ويقابلوا بل نعمة بالشكر فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شئ
اى شئ من الاغناء اذ كانوا يجحدون بايات الله اذ منصوب باغنى جار مجرى
التعليل لان مؤدى التعليل والظرف واحد كقولك ضربته لاساءته وضربته
اذ اساء الا ان اذ وحيث خصتا بذلك دون ساير الظروف وحاق بهم ما كانوا به
يستهزءون من العذاب ولقد اهلكنا ما حولكم من القرى اى اهل القرى وهم عاد
بحضرموت وسبا باليمن وقوم شعيب بمدين وثمود بالحجر وقوم لوط بسدوم
وكانوا يمرون على الكل فى اسفارهم وصرفنا الايات كررناها عليهم قبل الاهلاك
فلم تبق لهم حجة لعلهم يرجعون فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا الهة
فهلا نصرهم لما جاءهم باسنا كما كانوا يزعمون انهم شفعاؤهم وما نعبدهم الا ليقربونا
الى الله زلفى احد مفعولى اتخذوا العائد المحذوف والثانى الهة وقربانا حال او
مفعول له وجعله مفعولا ثانيا والهة بدلا منه غير سديد لان المنكر اتخاذهم الهة دون الله
يتقربون بهم لاتخاذهم قربانا دون الله اذ ليس من شان الله ان يكون قربانا
حتى يكون اتخاذ غيره منكرا بل ضلوا عنهم غابوا عن نصرهم وقت الاحتياج وذلك
افكهم وما كانوا يفترون اى وذلك الامتناع عن نصرهم اثر افكهم وصرفهم عن الحق
وهو الاتخاذ واثر افترائهم على الله واذ صرفنا اليك نفرا من الجن اى اذكر لقومك
وقت صرفنا اليك نفرا من الجن كيف لم يتوقفوا فى الايمان لما سمعوا القران روى البخارى
ومسلم عن ابن عباس رضى الله عنه انه لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
حيل بين الجن وبين خبر السماء فقالوا ما هذا الا لامر حدث فاضربوا مشارق الارض
ومغاربها فانصرف نفر منهم نحو تهامة فوافوا رسول الله بنخلة فى طايفة من اصحابه
عامدين سوق عكاظ يصلى بهم الصبح ببطن نخلة فلما سمعوه قالوا هذا الذى حال
بيننا وبين خبر السماء والنفر ما بين الواحد الى العشرة قيل كانوا تسعة مقدمهم زوبعة
يستمعون القران استيناف او حال اى مقدرين استماعهم فلما حضروه اى القران
او الرسول قالوا انصتوا اى قال بعضهم لبعض الانصات السكوت لقصد الاستماع
فلما قضى ولوا الى قومهم منذرين بما فهموا من كلام الله قالوا يا قومنا انا سمعنا
كتابا انزل من بعد موسى كانوا يهودا امنوا بموسى ولم يسمعوا بعيسى او لم يكن شرعه
ناسخا بل كان اكثر احكامه بالتورية وهذا وجه مصدقا لما بين يديه من الكتب
السماوية يهدى الى الحق اى الثابت من العقايد التى لا تتبدل والى طريق مستقيم
شريعة لا عوج فيها يا قومنا اجيبوا داعى الله وامنوا به يغفر لكم من ذنوبكم بعض
ذنوبكم ولا ينافى قوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف لانها فى الحربى وهولاء كانوا مؤمنين
بنبيهم ثم برسول الله والمؤمن لا يسقط عنه تبعات الناس الا بالاداء او الاستحلال
مع ان غفران البعض لا ينافى غفران الكل فانه مفهوم اللقب ويجركم من عذاب اليم

استدل

استدل به من قال ان الجن لا يدخل الجنة اذ لم يذكروا الا النجاة من العذاب
وهو يروى عن الامام ابى حنيفة رحمه الله والحق دخولهم لانهم مكلفون بما كلف
به الانسان ولقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان فباى الاء ربكما تكذبان
ومن لا يجب داعى الله فليس بمعجز فى الارض لا ملجا له وليس له من دونه من
دون الله اولياء اولئك فى ضلال مبين حيث اعرضوا عن الحق بعد ظهوره
او لم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن صدر السورة
بما يحقق به المبدا وختمها بما يحقق المعاد وقرر بينهما التوحيد والنبوة وهذه هى
المقاصد وما عداها فروع وتوابع يقال عيى بالامر اذا كل ولم يهتد لوجهه بقادر
على ان يحيى الموتى خبر ان وادخل الباء لان المقصود اثبات القدرة ولهذا
عجب من رؤيتهم كانه قال اليس الله بقادر ولذلك اجاب بقوله بلى انه على
كل شئ قدير تقرير لها ويوم يعرض الذين كفروا على النار نصب بقول مضمر مقوله
اليس هذا بالحق والمشار اليه العذاب لقوله قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب
بما كنتم تكفرون معنى الامر الاهانة فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل اولوا الثبات
والجد من بيان فيشمل الرسل كلهم او تبعيض لقوله فى ادم فنسى ولم نجد له عزما وفى
يونس فلا تكن كصاحب الحوت وهم اصحاب الشرايع الذين جدوا وسعوا فى تقريرها
وصبروا على اذى المعاندين ومشاهيرهم نوح وابراهيم وموسى وعيسى وقيل الصابرون
على البلاء وهم نوح كان يضرب حتى يغشى عليه وابراهيم حتى القى فى النار وامر
بذبح ولده واسمعيل صبر على الذبح ويعقوب على فقد يوسف ويوسف على السجن
وايوب على الضر وموسى على طغيان فرعون عن عايشة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم صام ثلثة ايام مواصلا ثم قال يا عايشة ما ينبغى الدنيا لمحمد ولا لال محمد ان الله
لم يرض من اولى العزم من الرسل الا الصبر وقد كلفنى ما كلفهم فقال فاصبر كما صبر
اولوا العزم من الرسل وانى لاصبرن كما صبروا ولا تستعجل لهم لكفار قريش كانهم
يوم يرون ما يوعدون من العذاب لم يلبثوا الا ساعة من نهار استقصروا
المدة من هول العذاب بلاغ اى هذه السورة او هذا الذى وعظتم به كفاية فى
الموعظة لمن كان له قلب او القى السمع او تبليغ من الرسول وقيل مبتدا خبره
لهم وما بينهما اعتراض والمعنى لهم وقت يبلغونه فاذا بلغوه ورأوا ما فيه استقصروا
مدة لبثهم فهل يهلك الا القوم الفاسقون اى بعد هذا البلاغ لا يهلك الا الخارج
عن الطاعة تمت سورة الاحقاف والحمد لمن له المن والالطاف والصلوة على
من جلت عن نعته الاوصاف واله وصحبه اهل التقى والانصاف

سورة محمد وتسمى سورة القتال مكية وقيل مدنية وهى ثمان او تسع وثلثون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله اى اعرضوا عن الاسلام

او منعوا الغير عن الدخول فيه والاول اوفق بقوله والذين امنوا عن ابن عباس
هم المطعمون يوم بدر وعن مقاتل اثنى عشر رجلا من اهل الشرك وقيل هم اليهود
واضل اعمالهم المكارم التي كانوا ياتمون بها من فك الاسارى وصلة الرحم
وقرى الاضياف والذين امنوا وعملوا الصالحات يشمل كل مؤمن وقيل ناس
من قريش وقيل من الانصار وقيل مؤمنوا اهل الكتاب يؤيده قوله وامنوا
بما نزل على محمد وعلى الاول افراده اشعار بتعظيمه وانه الاصل الذي لا يعتد باعتقاد
ولا بعمل دونه ولذلك اكده بقوله وهو الحق من ربهم اي الثابت الذي لا يعقبه
نسخ كفر عنهم سيئاتهم سترها خبر ثان او حال بتقدير قد واصلح بالهم وسدد حالهم
في الدين ذلك اشارة الى ما مر من اضلال طائفة وتكفير سيئات اخرى مبتدا
خبره بان الذين كفروا اتبعوا الباطل وان الذين امنوا اتبعوا الحق من ربهم اي
ذلك كائن بسبب اتباع هؤلاء الباطل وهؤلاء الحق او خبر مبتدا محذوف اي الامر
ذلك والجار والمجرور منصوب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة والباطل ما لا ينتفع
به وعن مجاهد هو الشيطان كذلك مثل ذلك الضرب يضرب الله للناس امثالهم
اي امثال الناس او امثال المذكورين للناس ليعتبروا وذلك بان جعل اتباع
الباطل مثلا لعمل الكفار واتباع الحق مثلا لعمل المؤمنين او جعل الاضلال مثلا
لخيبة الكفار وتكفير السيئات مثلا لفوز المؤمنين فالمثل على هذا مستعار وبناء الوجهين
على اختلاف المشار اليه بذلك فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب اي
بعد ما علمتم من ضرب المثل اذا حاربتم الكفار واللقاء اسم الحرب فاضربوا الرقاب
حذف الفعل واقيم المصدر مقامه اختصارا مع ما يفيده من التاكيد والمراد به
القتل كيف كان واشارة لما جرت العادة بان من يقتل يضرب عنقه مع
ما في اللفظ من الغلظة وتصوير القتل باشنع صورة واطارة الراس الذي
هو رئيس الاعضاء وزاد على هذه الغلظة في قوله فاضربوا فوق الاعناق
واضربوا منهم كل بنان حتى اذا اثخنتموهم اكثرتم القتل من الشيء الثخين وهو
الغليظ فشدوا الوثاق شدوا الاسرى بالوثاق وهو ما يوثق به فاما منا بعد
واما فداء اما تمنون عليهم بالاطلاق او هم يفدون فداء ويفكون رقابهم وهذا
دليل على ان الاية نزلت بعد بدر اذ لو نزلت قبلها لم يكن رسول الله صلى الله
عليه وسلم يجتهد في اخذ الفداء وعند ابي حنيفة رحمه الله المن مأول بالاسترقاق
او بان يخلى سبيله ليكون ذمة للمسلمين ولا فداء عنده وعند الشافعي رحمه الله
الامام مخير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء لما روى البخاري
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من على ثمامة بن اثال وفادى رجلا من المسلمين
رجلين من المشركين وقتل عقبة بن ابي معيط والنضر بن الحارث بعد

الاسر

الاسر حتى تضع الحرب اوزارها الاتها من السلاح والكراع سميت اوزارا
لان الحرب لا تستقل بدونها فكانها حاملة لها وقيل اثامها حتى لا يبقى لاهل الشرك
شوكة غاية لما تقدم من الضرب وما بعده والمعنى ان هذه الاحكام جارية فيهم
حتى لا يكون حرب مع المشركين وقيل ذلك عند نزول عيسى لما في الحديث
ان الجهاد ماض من امتي حتى يقاتل في اخرهم الدجال ذلك الامر ذلك
او افعلوا ذلك اشارة الى ضرب الرقاب وما بعده ولو شاء الله لانتقم منهم
استاصلهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض بان يستوجب المؤمنون الاجر العظيم ويذيق
الكفار على ايديهم بعض العذاب كي يرتدع اخرون والذين قاتلوا في سبيل الله
فلن يضل اعمالهم لن يضيعها ترغيب في الجهاد وقرا ابو عمرو وحفص قتلوا اي
استشهدوا وعليه الرسم وهو المختار لما روى قتادة انها نزلت في قتلى احد سيهديهم
طريق الجنة ويصلح بالهم حالهم الذي افسد بالقتل من ان يبدل لهم اعضاء خيرا
من اعضائهم ولذلك سمى جعفر بن ابي طالب الطيار لان الله تعالى عوضه
عن يديه المقطوعتين في الحرب جناحين مرصعين يطير بهما في الجنة ويدخلهم
الجنة عرفها لهم من العرف وهو الرائحة اي طيبها لهم او اعلمهم طريقها وعن مقاتل
الملك الذي وكل بعمله يتقدمه حتى يدخل الجنة وعنه صلى الله عليه وسلم والذي
نفسي بيده ان احدهم لاعرف بمنزله في الجنة منه بمنزله في الدنيا وذلك لانه
يفتح له في قبره باب الى منزله في الجنة فقدر اي منزله بدا سقطا وله يا ايها الذين
امنوا ان تنصروا الله تنصروا رسوله ودينه ينصركم على عدوكم في مواقف القتال
ويثبت اقدامكم في القيام بحقوق الاسلام فلا يعتريكم شكوك وريب والذين
كفروا فتعسا لهم عثورا وسقوطا في مقابلة التثبيت للمؤمنين نصب على المصدر اي
فتعس الذين كفروا وعثارا من الله دال على استحقاقهم الهلاك وتحققه ويقال في
عكسه والدعاء بالسلامة لعا قال شعر لحى الله قوما لم يقولوا لعاثر ولا ابن عم
ناله الدهر لعا واضل اعمالهم جعلها ضايعة عطف على ناصب تعسا اما
دعاء او على تقدير فقضى تعسا لهم ذلك الهلاك بانهم كرهوا ما انزل الله من
الاحكام والشرايع لكونها على خلاف ما الفوه من اطلاق العنان للانهماك
في الشهوات والملاذ فاحبط اعمالهم كرره اشارة الى شدة اللزوم وعدم
الانفكاك ومبالغة في التحذير افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان
عاقبة الذين من قبلهم اي قد ساروا وشاهدوا فما لهم لا يعتبرون دمر الله
عليهم يقال دمره اهلكه ودمر عليه اهلك كل ما له من نفس ومال وولد ومنشاؤه
حذف المفعول وجعله نسيا مع الاتيان بكلمة الاستعلاء وللكافرين امثالها
اي لهم امثال تلك العاقبة او السنة لقوله سنة الله التي قد خلت وجمع الامثال

للدلالة على ان لكل من هؤلاء امثال عاقبة اولئك لغلظ جنايتهم لان كفرهم
بمحمد والقران ليس كالكفر بساير الانبياء والكتب او على التوزيع ذلك بان الله
مولى الذين امنوا ناصرهم وان الكافرين لا مولى لهم لا ناصر لهم ومعنى قوله
ثم ردوا الى الله مولاهم الحق اى مالكهم وسيدهم فلا تنافى لما راى ابو سفيان
يوم احد بالمؤمنين بعض انهزام نادى باعلى صوته اعل هبل اعل هبل ثم قال
لنا عزى ولا عزى لكم قال رسول الله لاصحابه وهو جالس يداوى جرحه الا تجيبونه
قالوا ماذا نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم ان الله يدخل الذين امنوا
وعملوا الصالحات جنات تجرى من تحتها الانهار تقرير لتوليه والذين كفروا
يتمتعون اياما قليلا ويأكلون كما تأكل الانعام غالسين فى الكفر غافلين عن
العاقبة غفلة الانعام عما هى بصدده من النحر والربح والنار مثوى لهم ماوى
ومقام النصب على الحال وكاين من قرية هى اشد قوة من قريتك التى اخرجتك
وقرا ابن كثير وكاء على وزن فاع بعد بيان ما للفريقين التفت اليه مسليا اى
وكم من اهل قرية كانوا اشد قوة من هؤلاء واكثر اسبابا واموالا اهلكناهم
لما كذبوا الرسل فلا ناصر لهم اى لم يكن لهم من ينصرهم والعدول الى المنزل
لاجراله مجرى الحال المحكية كانه قيل فهم لا ينصرون افمن كان على بينة من ربه
اراد به رسوله والبينة ما معه من القران المعجز الدال على الوعد والوعيد او كل
مؤمن لقوله افمن يعلم ان ما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى كمن
زين له سوء عمله هم مشركوا مكة واتبعوا اهواءهم لا شبهة فضلا عن حجة مثل الجنة
التى وعد المتقون مبتدا وخبره كمن هو خالد فى النار مرتب على الانكار السابق
فى افمن كان والمعنى امثل الجنة التى وعد المتقون كمثل جزاء من هو خالد
فى النار فحذف المضاف لدلالة ما تقدم عليه وفايدة التعرية عن حرف الانكار
الدلالة على ان من اشتبه عليه الاول فانه فى مثله واذ ذاك يسقط عن رتبة
الخطاب فيها انهار من ماء غير اسن تكرير للصلة وتفصيل للموعود ولذلك لم يدخل
العاطف او حال مؤكدة او استيناف بتقدير مبتدا كانه قيل ما مثلها فقال
مثلها كذا وكذا والجملة خبر المبتدا وعن سيبويه فيما قصصنا عليك مثل الجنة
وعلى الوجهين كمن هو خالد خبر مبتدا محذوف اى ليس المتقى الذى له الجنة
كالخالد فى النار وقرينة المحذوف وعد المتقون والاسن المتغير من اسن وقرا
ابن كثير اسن على فعل والاول ابلغ لان نفى العام يستلزم نفى الخاص دون
العكس وانهار من لبن لم يتغير طعمه لم يحمض وغيرها وانهار من خمر لذة للشاربين
اى لاجل لذة الشاربين خاليا من آفات خمر الدنيا من ذهاب عقل وغول
وخمار تانيث لذ ولذ وجدة او مصدر وصف به مبالغة وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم

من سأل منكم الجنة فليسأل الله الفردوس فانه اوسط الجنة منه تفجر الانهار
وانهار من عسل مصفى خلق كذلك لا يخالطه شمع ولا روايح نوره ولهم فيها من
كل الثمرات ما عدا المذكور ومغفرة من ربهم من سيئاتهم هذا اجل من تلك
النعم او لا تواري رضى الله شيئ كمن هو خالد فى النار وسقوا ماء حميما بالغا فى الحرارة
يشوى الوجوه فقطع امعاءهم من شدة الحرارة ومنهم من يستمع اليك حتى اذا
خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال انفا كان المنافقون يحضرون
خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومجالس تذكيره ومواعظه ولا يلقون السمع الى
مقالته ولا يكترثون به فاذا خرجوا من عنده سألوا الصحابة ماذا قال محمد فى اول
الساعة القريبة منا استهزاء واعلاما بانهم يحضرون بابدانهم دون قلوبهم وقرا ابن
كثير فى رواية البزى انفا مقصورا قال ابو على انهما لغتان كفاكه وفكه اولئك
الذين طبع الله على قلوبهم فلا يكيهم ادراك مقالتك واتبعوا اهواءهم فلذلك
يستهزؤون ولا يبالون بها والذين اهتدوا اى الى الايمان وادراك المعارف
والحكم زادهم هدى بالتوفيق والالهام والايمان بما يتجدد من الوحى والاحكام
واتاهم تقويهم جزاء تقويهم او منحهم تقويهم الخاص وهو ربط السر على الله وكما
ان المعاصى بالمداومة عليها يؤدى الى الطبع والرين فكذلك الطاعات تؤدى
بالسالك الى الفناء عن وجوده فيكون الرب تعالى سمعه وبصره فهل ينظرون
الا الساعة ان تأتيهم بغتة بدل اشتمال من الساعة اى ما ينظرون الا اتيانها
فقد جاء اشراطها علة للانتظار كانه قال ما ينظرون الا اتيان الساعة بغتة لان
اشراطها قد جاءت وبعد مجيئها لا بد من مجيء الساعة والاشراط جمع شرط بفتح
الراء بمعنى العلامة والمراد بها رسول الله وما فتح على المسلمين من الاموال
والاسباب وكثرة السبايا وعن سهل بن سعد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يشير باصبعه الوسطى والتى تليها بعثت انا والساعة كهاتين ثم عجب من نفع
التذكر بعد وقوعها بقوله فانى لهم اذا جاءتهم ذكريهم توبيخا على ترك التشمر لها
قبل فوات الوقت فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك مسبب عن جملة
ما سبق من اول السورة من حال الفريقين كانه قال اذا علمت ذلك قدم على
على موجبات السعادة وتمسك بها وللمؤمنين والمؤمنات واطلب لذنب
متبعيك المغفرة من الله تعالى [لقال صح] استغفر لذنبه ومن ذنبه والاول ابلغ كانه قيل
لانك مذنب وفى اعادة الجار دلالة على ان ذنوبهم نوع اخر اذ لا يجوز فى حقه
الا ترك الاولى نادرا والله يعلم متقلبكم بالنهار فى حوايجكم ومثواكم واستقراركم
بالليل كقوله الا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون فراقبوه فى
الاحوال كلها او فى حيوتكم وفى القبور او فى اعمالكم ومثواكم فى الجنة فاخلصوا له العمل

وفيه اشارة الى فضل العلم وان لا عمل بدونه وان فضله انما يظهر اذا شفع بالعمل
ويقول الذين امنوا لولا نزلت سورة قبل الاذن في القتال حين كانوا مامورين
بالصبر فاذا انزلت سورة محكمة في شان القتال لم يعترها نسخ ولا اشتباه وذكر
فيها القتال اي امر به رايت الذين في قلوبهم مرض هم المنافقون لقوله في قلوبهم
مرض فزادهم الله مرضا ولقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت
فاولى لهم اي فاهلكهم الله بما كان اقرب من كل شيء ولا يكون هذا في حق مؤمن
ضعيف الايمان طاعة وقول معروف امثل لهم او امرهم طاعة استيناف
او مقول قولهم قبل القتال لقوله ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت
طايفة منهم غير الذي يقول فاذا عزم الامر جد وهو فعل صاحب الامر اسند اليه مجازا
كقولهم قام الحرب فلو صدقوا الله اي المنافقون لكان خيرا لهم فهل عسيتم ان
توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم نقل الكلام معهم الى الخطاب
ليكون ابلغ واشد توبيخا والاستفهام للتقرير والمعنى انكم يقولون كيف نقاتل
العرب وهم من جلدتنا تظهرون هذا من ديانتكم ووفور مروتكم وكمال فتوتكم فلو
تولى الامر اليكم وتوليتم واستقام لكم الامر بلا منازع هل يتوقع منكم الا افساد في الارض
وقطع الرحم الذي لا شيء اقبح عند العرب منه ولا في الشرع اشنع منه وان كان
بعض الكبائر اكبر منه وهذا منه تعالى على لسان العباد كانه قال يقول لكم قائل هذا
الكلام ثم كشف عن حالهم بالامر يزيد عليه بقوله اولئك الذين لعنهم الله فاصمهم
واعمى ابصارهم طردهم عن مظان رحمته ومهاب نسيم لطفه وازال حاسة السمع
عنهم فلا يستطيعون تلقي المعارف والحكم ولم يصل بصاير الوحي الى شغاف قلوبهم
وازال ابصارهم فلا يدركون الايات المبثوثة في الافاق والانفس فهذا التقرير
يرشدك ان الكلام كله بعضه مرتبط ببعض في شان الكاملين في النفاق ولا مجال
لتوهم ارادة ضعفاء المؤمنين الغير الراسخين في الايمان مع هذا الغضب الشديد
على ان الالتفات لا يقع موقعه الا اذا كان الكلام مع المنافقين افلا يتدبرون
القران الفاظه الرايقة ومعانيه المونقة التي لو انزلت على جبل لرايته خاشعا
متصدعا من خشية الله ام على قلوب اقفالها ام بمعنى بل والهمزة لتقرير لهذا
الشق من الترديد وان القلوب مقفلة مختوم عليها والتنكير في القلوب اما للتهويل
وتفظيع شانها في القسوة كانه لا يمكن تعريفها ولا يقادر قدرها او لانها قلوب متميزة
عن ساير القلوب وهذا ايضا معنى حسن واما اضافة الاقفال فهي التي لا تجوز
غيرها لانها تفيد ان تلك الاقفال مختصة بها لا رفع لها ابدا ان الذين ارتدوا على
ادبارهم هم المنافقون من بعد ما تبين لهم الهدى ظهر لهم بحيث لم يبق شبهة
الشيطان سول لهم اي سهل لهم ارتكابه وهونه من السول الجوف واوي وقيل

من

من السول مهموز العين بمعنى التمني وفي صحته تعريفا واشتقاقا نوع تكلف
واملى لهم ارخى لهم العنان ومد لهم في العمر ومناهم الاماني والامال قرا ابو عمرو
املي على بناء المجهول ماضيا ذلك بانهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله القائلون
هم المنافقون والذين كرهوا ما نزل الله هم اليهود لقوله تعالى بئسما اشتروا
به انفسهم ان يكفروا بما انزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء
وقيل القائل يهود والذين كرهوا المنافقون وقيل قول المنافقين لقريظة
والنضير او احد الفريقين للمشركين والوجه هو الاول كما اشير اليه مرارا
سنطيعكم في بعض الامر وهو المهم الذي يحتاج الى التظاهر والتعاون كعداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم والاتفاق على تكذيبه والتكذيب بالتوحيد والله
يعلم اسرارهم فان هذه من تلك الاسرار وقرا حمزة والكسائي وحفص
اسرارهم بكسر الهمزة مصدر اسر وهذا ابلغ وذاك اظهر وانسب بالفواصل
فكيف اذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم اي حال لهم حال
كونهم يضرب اشرف اعضائهم واخسها ذلك بانهم اتبعوا ما اسخط الله وكرهوا
رضوانه اتبعوا الطاغوت وكرهوا الكلام المنزل وسماه رضوانا مبالغة لانه سبب
رضوانه او الاسلام او رسول الله فاحبط اعمالهم اسقطها عن درجة الاعتبار
وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ام حسب الذين في قلوبهم مرض
ان لن يخرج الله اضغانهم اي بل كان حسبانهم ذلك اذ لو علموا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يطلعون على ما هم فيه من النفاق لم يرتكبوه
ولو نشاء لاريناكهم لعرفناك زيهم وسيماتهم فلعرفتهم بسيماهم بتلك العلامات
التي اعلمناك ولتعرفنهم في لحن القول جواب قسم محذوف ولحن القول
اسلوبه ومجراه واصله امالة الكلام من ظاهره الى نحو من الانحاء قال ولقد
لحنت لكم لكيما تفقهوا واللحن يعرفه ذووا الالباب ومنه اللحن في الاعراب
لانه عدول عن الصواب وعن ابن عباس رضي الله عنهما هو قولهم ما لنا من
الثواب ان اطعنا ولم يقولوا ما علينا من العقاب ان عصينا وعن عثمان
رضي الله عنه ما اسر احد سريرة الا ابداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه
والله يعلم اعمالكم ولنبلونكم بالاوامر والنواهي الدالة على التكاليف الشاقة
حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين على مشاقها علما متعلقا بوقوعها ونبلو
اخباركم اي اعمالكم فان الخبر على وفق المخبر عنه ان حسنا فحسن وان قبيحا فقبيح
واذا تميز الخبر الحسن عن الخبر القبيح فقد تميز المخبر عنه كذلك فصح ان يكون
بلاء الاخبار كناية عن بلاء الاعمال وقرا ابو بكر الافعال الثلاثة بالياء ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله وشاقوا الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى قريظة

والنضر والمطعون يوم بدر لن يضر الله شيئا لا ينقص ذلك من ملكه شيئا او رسوله
عليه الصلوة والسلام ولفظ الجلالة مقحم وسيحبط اعمالهم يبطلها ولا يثبت عليها
او مكايدهم وحيلهم التي بيتوها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فلا يصلون
الى مقاصدهم منها يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول ولا تبطلوا اعمالكم
كما ابطل هؤلاء بالنفاق اي لا تاتوا بها على وجه لا يثاب عليها بان تقرنوها بالعجب
والمن والاذى عبر عن ذلك بالاحباط بجعل ما كان بصدد الثبوت كالثابت
مبالغة في التحذير وعن ابن عمر كنا معشر اصحاب محمد عليه السلام نرى كل حسنة مقبولة
حتى نزل لا تبطلوا اعمالكم فقلنا ما هذا الذي يبطل اعمالنا حتى نزل ان الله لا يغفر ان
يشرك به ولا دليل فيه لمن يقول الكبيرة تحبط العمل ولذلك اردفه بقوله ان الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم اذ مفهومه ان من
لم يمت على تلك الحالة جاز ان يغفر له كائنا ما كان من ذنوبه فلا تهنوا اي بعد
ما علمتم ان الغرض من الامر بالقتال وساير التكاليف تعلق علمه بالمجاهدين
الصابرين فلا يكن منكم وهن بل تجلد لتنالوا اجر الصابرين وتدعوا الى السلم
الصلح وترك القتال ابتداء فانه يطمع العدو ولا ينافي ما صالح عليه في الحديبية
اذ لم يكن ذلك الابتداء المشركين وقرا حمزة وابو بكر بكسر السين وانتم الاعلون
والحال انكم الغالبون في الوقايع والحروب والله معكم بالنصر والاعانة فلا وجه
لوهن ولن يتركم اعمالكم ينقصكم من ثوابها شيئا وقع لما يتوهم من ان النصر اذا
كان منه تعالى فاي اجر لهم يقال وترت الرجل اذا قتلت له قتيلا قريبا كالولد
والاخ فافتك افرده عن قريبه فشبه به الافراد عن العمل في عظم المصيبة ومنه قوله
صلى الله عليه وسلم من فاتته صلوة العصر فكانما وتر اهله وماله ولا بد من تضمين معنى
السلب ليتعدى الى المفعول الثاني انما الحيوة الدنيا لعب ولهو اللعب ما يجلب
السرور واللهو ما يدفع به الغموم والهموم وان تؤمنوا تداوموا على الايمان وتتقوا
مخالفة اوامره ونواهيه يؤتكم اجوركم كاملة ولا يسالكم اموالكم عطف على الجزاء وفيه
مقابلة حسنة من اعطاء الاجور كلها واخذ بعض المال وهو العشر او ربع العشر اليسير
ان يسالكموها فيحفكم يجهدكم الاحفاء المبالغة في السؤال من احفيت الشارب اذا
استاصلته تبخلوا باعطاء جميع المال ويخرج اضغانكم تظهر كراهتكم ومقتكم لمحمد ولدينه
لذهابه باموالكم والضمير في يخرج لله تعالى او للبخل فانه سبب الاضغان ها انتم هؤلاء
هذا شانكم ايها المخاطبون وصفكم تدعون استيناف كانهم قالوا ما وصفنا ويجوز
ان يكون هؤلاء موصولا تدعون صلته لتنفقوا في سبيل الله في الجهاد والغزو ويشمل
الزكوة فمنكم من يبخل بهذا القدر ومن يبخل فانما يبخل عن نفسه اذ ضرره لا يتعداها
والبخل لتضمنه المنع والتضييق يعدى بعن نظرا الى الاول وبعلى الى الثاني ثم قرر ذلك

بقوله

بقوله والله الغني وانتم الفقراء اي كما ان الغنا لازم ذاته لا ينفك عنها كذلك
الاحتياج لكم قال فالفقر وصف لذاتي لازم ابدا كما ان الغنى ابدا وصف لذاتي
وان تتولوا تعرضوا عطف على تؤمنوا يستبدل قوما غيركم كقوله ان يشأ يذهبكم
ويأت بخلق جديد ثم لا يكونوا امثالكم بل يكونوا سامعين مطيعين روى ابن جرير
باسناده الى ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا هذه الاية
قالوا من هؤلاء يا رسول الله فضرب بيده على كتف سلمان وقال هذا وقومه ولو كان
الدين بالثريا لتناوله رجال من الفرس تمت سورة القتال والحمد لمولى النعم والنوال
والصلوة على سيد المفضال واله وصحبه خير صحب وآل

سورة الفتح مدنية وهي تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم انا فتحنا لك فتحا مبينا نزلت
بعد صلح الحديبية بكراع الغميم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قصد زيارة البيت
قبل الفتح سنة ست قبل الهجرة فحالت كفار قريش بينه وبين البيت واجتمعوا بالحديبية
وهي بئر بقرب مكة فوقع بينهم الصلح على ان يدخل في القابل مكة ويطوف بالبيت
ويقيم بها ثلثة ايام فلما تلاها على الناس قال عمر بن الخطاب افتح هو يا رسول الله
قال اي والذي نفسي بيده وانما كان فتحا لانه تسبب لفتوح كثيرة لانه تفرغ لقتال
ساير العرب وفتح في تلك السنة خيبر وامن الناس واجتمع المؤمن بالكافر والصديق
بالصديق وسمعوا القران واسلم بشر كثير وانتشر العلم والايمان وقيل هو فتح مكة
والتعبير بالماضي على داب اخباره تعالى وفيه فخامة حيث جعل المترقب كالمتحقق
وان الازمنة كلها عنده على السواء فاذا اخبر عن حادث فهو كائن لا محالة ليغفر لك الله
ما تقدم من ذنبك وما تاخر علة للفتح من حيث انه مسبب عن الجهاد والسعي في ازاحة
الكفر وتكميل النفوس واعلاء كلمة الله او مع ما بعده معلول الفتح من حيث المجموع فانه
علة للنصر العزيز والذنب المغفور له مما لا يخلو البشر عنه من خلاف الاولى وقيل
ما تقدم تحريم مارية وما تاخر افشاء قصة زينب وفيه ان قصة زينب متقدمة ويتم
نعمته عليك نعمة الاسلام واعلاء الكلمة ويهديك صراطا مستقيما موصلا لا عوج فيه
وهي الملة الحنيفية بشرعية الغزو وينصرك الله نصرا عزيزا تغلبه على العدو ومع العز او
النصر قد يتخلف عنه وذلك صلح الحديبية لانه كان بسؤالهم لما القى الله في قلوبهم من
الرعب او العز للنصر فالاسناد مجازي هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين
لما اصطلحوا امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحر الهدي انكر اصحابه ذلك وقالوا اكان
يعدنا انا نطوف بالبيت حتى قال لهم ذلك ثلث مرات لم يتحرك منهم احد فدخل
على ام سلمة وشكا اليها ما راى منهم فقالت انحر هديك واحلق راسك حتى يتبعوك
ففعل فاتبعوه فالسكينة هي الطمانينة التي كانت بعد القلق والاضطراب او انزل السكون
الى ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشرايع ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم ولم يكن

فى بدء الاسلام الا التوحيد ثم نزلت الصلوة والزكوة وسائر الشرائع قالت
عائشة رضى الله عنها لو نزلت الفرائض جملة لم يؤمن منهم احد ولله جنود السموات
والارض لو اراد اهلاك اعدائه لاهلكهم طرفة عين ولكن اجرى الامور على وفق
حكمة ومن ذلك قضية الحديبية وما كان فى ذلك من الحكم وكان الله عليما كامل
العلم حكيما فى كل ما دبر ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها
الانهار خالدين فيها متعلقه محذوف اى دبر ما دبر وقضى ما قضى ليعرف المؤمنين
نعمة عليهم فيشكروها ونالوا بها هذه الرتبة او بدل اشتمال ليزدادوا ويكفر عنهم
سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما اى هو منتهى المطالب وغاية الغايات
عنده حال من المستكن فى عظيما ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات
عطف على ليدخل الا اذا جعل بدلا فعطف على المبدل وتقديم المنافقين لان
عز الاسلام واهله كان اغيظ لهم الظانين بالله ظن السوء وهو ان الله لا ينصر
رسوله والمؤمنين او ان الله لا يعلم كثيرا مما يعملون والسوء الفساد والذم والاضافة
فيه كرجل صدق والمعنى ظن الشئ الفاسد عليهم دائرة السوء اى ذلك الفساد
الذى ظنوه بالمؤمنين الدائرة ما احاط بالشئ من جميع جهاته خيرا كان او شرا
غلبت فى الشر كغلبة الدولة فى الخير فالاضافة للبيان كشمس النهار وقرا ابن
كثير وابو عمرو بضم السين وهو الشر والعذاب والبلاء وهو ابلغ واصرح
وغضب الله عليهم اراد الانتقام منهم لان الصارف قد لا يكون مغضوبا عليه
ولعنهم طردهم عن رحمته اذ الغضب ربما لا يؤدى الى الطرد ثم اشار الى ما لهم
فى الاخرة بقوله واعد لهم جهنم وساءت مصيرا ولم يعطف الاخيرين بالفاء
مع ان كل واحد مسبب عن سابقه اشارة الى استقلال الكل بالوعيد ولله
جنود السموات والارض فلو شاء الانتقام منهم واستأصلهم كما فعل بعاد وثمود
وكان الله عزيزا حكيما غالبا لا يغالب حكيما فى تاخير العذاب لما فيه من المصالح
انا ارسلناك شاهدا على امتك ومبشرا ونذيرا على الطاعة والمعصية
لتؤمنوا بالله ورسوله اى المرسل اليهم وتعزروه والتعزير النصر القوى وتوقروه
تعظموه وتسبحوه تنزهوه بكرة واصيلا دائما او فى هذين الوقتين لانهما اشرف
الاوقات وعن ابن عباس رضى الله عنهما يريد صلوة الصبح والظهر والعصر الضماير
لله وقرا الكوفيون ونافع وابن عامر بتاء الخطاب فى الافعال الاربعة والمخاطب
رسول الله وامته لانه مؤمن بما جاء به قبل كل احد فغلب على الغائب ان
الذين يبايعونك المضارع لتصوير الماضى بصورة الحال انما يبايعون الله
لانك رسوله والواسطة بين الله وبينهم يد الله فوق ايديهم اراد يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم عند المبايعة والله منزه عن الجارحة بل هو سبيل التخييل وان العقد والميثاق

مع رسوله انما هو معه وهذه البيعة هى بيعة الرضوان واهلها كلهم فى الجنة وهم
الف وثلثمائة او اربعمائة او خمسمائة وسببها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عمر
بن الخطاب ليرسله الى كفار قريش ورئيسهم ابو سفيان ليخبرهم انه انما جاء
زائرا لا يريد حربا فقال عمر يا رسول الله قد علمت كفار قريش ما كان منى من
الغلظة وليس بمكة من بنى عدى من يحمينى ولكن ادلك على من ترسله عثمان
بن عفان فانه من بنى امية فارسله رسول الله صلى الله عليه وسلم فارجف الناس
ان الكفار قتلوا عثمان فعند ذلك دعاهم الى البيعة واختلفت الرواية فى
كيفية البيعة عن سلمة بن الاكوع انهم بايعوه على الموت وعن جابر انهم بايعوه
على ان لا يفروا ولما بايع الحاضرين رفع يده وقال هذه يد عثمان ووضعها
على الاخرى ثم قال كلكم فى الجنة الا صاحب الجمل الاحمر قال جابر فابتدرناه
فقلنا يقال بايع رسول الله وكان قد اضل جملة فقال لان اصيب جملى خير لى
من ان ابايع صاحبكم فمن نكث فانما ينكث على نفسه اى لا يعود ضرره الا اليها
قال جابر ولم ينكث احد منا ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجرا عظيما
لا يحاط به قرا حفص بضم هاء عليه وقرا نافع وابن كثير وابن عامر بالنون التفاتا
وهو ابلغ فى الترغيب سيقول لك المخلفون من الاعراب هم المنافقون منهم
بنو لحيان وغطفان وعصبة والديل وبنو غفار واسلم ومزينة وجهينة غير سديد
لانهم خلص استغفرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة الحديبية حذرا من قريش
ان يحاربوه او يصدوه عن البيت فاعتذروا بالاموال والاهل ولما رجع رسول الله
قالوا شغلتنا اموالنا واهلونا ثم لم نجد من يقوم مقامنا فاستغفر لنا قالوه نفاقا
واستهزاء يقولون بالسنتهم ما ليس فى قلوبهم تكذيب لهم فى الاعتذار والاستغفار
قل فمن يملك لكم من الله شيئا ان اراد بكم ضرا او اراد بكم نفعا اى قل لا احد
يدفع ضره ولا نفعه فليس التشغل بالمال والاهل عذرا اذ لا يرد ذلك من القضاء
شيئا ولا معارضة العدو يمنع النفع ان اراده واللام اما للبيان كما فى هيت لك
او صلة وقرا حمزة والكسائى بضم الضاد وعلى انهما لغتان او هو للاذى وسوء
الحال وبالفتح ضد النفع مصدر وهو اوفق واخف ثم ترقى الى التهديد بقوله
بل كان الله بما تعملون خبيرا بما اكننتم فى انفسكم ثم كشف الغطاء عنه بقوله بل ظننتم
ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وذلك انه عليه السلام
لما استنفرهم قالوا اغزوه فى المدينة وقتلوا اصحابه وتشاوروا على قتله كيف ينقلب
اليهم وزين ذلك فى قلوبكم المزين هو الله حقيقة والشيطان سبب وظننتم ظن
السوء الفساد وهو ان لا ينصر الله رسوله وكنتم قوما بورا هلكى وصف بالمصدر
مبالغة او جمع باير كعائذ وعوذ وقال كعب عوذ مطافيل ومن لم يؤمن بالله ورسوله

فانا اعتدنا للكافرين سعيرا اى لمن لم يؤمن بالله ورسوله ظاهرا وباطنا فانا اعتدنا لهم
وضع الظاهر موضع المضمر وتنكير سعيرا لانها نار مخصوصة كما فى لظى ولله ملك السموات
والارض يتصرف فيه كيف يشاء يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء اذ لا علة لصنعه
وفيه ترغيب لمن نافق وتخلف فى التوبة وكان الله غفورا رحيما كثير الغفران والرحمة
سيقول المخلفون عن الحديبية اذا انطلقتم الى مغانم لتاخذوها هى غنائم خيبر وعد الله
رسوله والمؤمنين ان يعوضهم عن غنائم قريش بشرط ان لا يشاركهم فيها احد والتعبير
بالمغانم والاخذ اشارة الى سهولة حصولها ذرونا نتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله
حكمه السابق لاهل الحديبية بان يكون غنائم خيبر لهم دون شريك الا ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اعطى جعفر بن ابى طالب ومن قدم معه من الحبشة فانهم جاؤا
ورسول الله على خيبر قرا حمزة والكسائى كلم الله جمع كلمة وقراءة الجمهور اولى اذ لا بد من
تاويل هذا اى الكلام قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل هو ذلك الوعد فسيقولون
بل تحسدوننا يكذبون كلام الله كما هو دابهم بل كانوا لا يفقهون الا قليلا اضراب عن
اضافة الحسد الى المؤمنين الى ما هو اقبح منه وهو الجهل وعدم الفهم الذى كل واد دونه
ولذلك نسبوا الحسد اى من طلق الدنيا وزينتها وما زاغ البصر الى شئ دون جناب
القدس وما طغى قل للمخلفين من الاعراب كرر هذا الاسم لبشاعته تقبيحا للمساعين
ستدعون الى قوم اولى باس شديد فيخبرانكم قيل هم هوازن وثقيف قاتلهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الفتح وقيل فارس والروم وعن الضحاك هم بنو حنيفة
قوم مسيلمة الكذاب قاتلهم خالد بن الوليد فى خلافة الصديق تقاتلونهم او يسلمون
مستانف وليس بصفة قوم لانهم دعوا الى قتال قوم لا الى قتال قوم موصوفين بالمقاتلة
والايراد بانه لا بد من تاويله بالامر اذ قد يتركوا الاسدى او هدنة غير قادح اذ الكلام فى قوم
مخصوصين وقد وقع الانقياد على اى تقدير فسر القوم اما ايمانا او جزية او للتنويع والحصر
اولا ثالث فان تطيعوا يؤتكم الله اجرا حسنا الغنيمة فى الدنيا والجنة فى العقبى وان
تتولوا كما توليتم من قبل عن الحديبية يعذبكم عذابا اليما ليس على الاعمى حرج ولا على
الاعرج حرج ولا على المريض حرج استثنى المعذورين عن المخلفين ووعيدهم ومن يطع الله
ورسوله كائنا من كان يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار ومن يتول يعذبه عذابا اليما
قرا نافع وابن عامر ندخله ونعذبه وهو ابلغ ترغيبا وترهيبا لقد رضى الله عن المؤمنين
اذ يبايعونك تحت الشجرة هى السمرة نوع من شجر الطلح عن سعيد بن المسيب ان اباه
اخبره انهم خرجوا فى العام القابل فنسوها اعليها فلم يطلعوا بها وكان ذلك حكمة من الله
لئلا يفتتن بها اقوام فعلم ما فى قلوبهم من الاخلاص فانزل السكينة عليهم الطمانينة الى قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عمر لما عاهد قريشا على ان يرد اليهم من جاء مسلما قلت
الست رسول الله حقا قال بلى قلت الست تعدنا ان نطوف بالبيت قال بلى قلت

فلم

فلم نعطى الدنية فى ديننا قال انى رسول الله ولن يضيعنى الله هل قلت لك انك
تطوف بالبيت فى هذا العام قلت لا قال فانك آتيه ومطوف به واثابهم فتحا
قريبا ومغانم كثيرة ياخذونها وكان الله عزيزا غالبا حكيما راعى حالكم وافلاكم
وعدكم الله مغانم كثيرة هى ما يفيئ الله على المؤمنين الى يوم القيمة تاخذونها ذكر
الاخذ فى الموضعين للدلالة على سهولة الحصول فعجل لكم هذه غنائم خيبر كانت ارضا
ذات عقار واموال فقسمها عليهم وكف ايدى الناس عنكم اهل خيبر وحلفائهم
اسد وغطفان جاؤا لنصرهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فنكصوا خاذلين او اهل
مكة بالحديبية حين سالوا الصلح ولتكون اية للمؤمنين اى هذه الكفة ليعلموا انهم بمكان
من الله وعين كالئه والعطف على علة محذوفة مثل لينفعكم بها او ليكون الكف
اية للمؤمنين فعل ذلك ويهديكم صراطا مستقيما اذا وجدتم وعد الله ورسوله صادقا
ازددتم ايقانا وتفويضا اليه لانه العالم بعواقب الامور واخرى لم تقدروا عليها
قد احاط الله بها عن ابن عباس رضى الله عنهما هى الفتوح التى تفتح الى يوم القيمة
اخرى مجرور برب او مرفوع على الابتداء وقد احاط الله الجملة خبره وقيل عطف على
هذه والمراد بها غنيمة هوازن يوم حنين ومعنى لم تقدروا عليها انهم انهزموا
والمعنى غنمكم الله من غير حول وقوة وفى جعلها من الغنيمة المعجلة وهى فتح مكة وهذا
ابعد اذ لم يكن فيها غنيمة سواء قلنا فتحت صلحا او عنوة وعن ابن ابى ليلى انها
الروم والفرس وكان الله على كل شئ قديرا لا تفاوت لنسبة الممكنات الى قدرته
ولو قاتلكم الذين كفروا لولوا الادبار ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله مصدر
مؤكد اى سن غلبة انبيائه التى قد خلت من قبل فى الامم الماضية ولن تجد لسنة الله
تبديلا تغييرا كتب الله لاغلبن انا ورسلى تشجيع لهم ليثبتوا فى مواطن الحرب بعد ان
علموا ذلك وهو الذى كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة روى انس بن
مالك ان ثمانين رجلا من المشركين نزلوا من جبل التنعيم يوم الحديبية يريدون
غرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذهم المسلمون فاتوا بهم رسول الله فقال هل
ترلتم على عهد احد من اصحابى قالوا لا وكذا عن سلمة بن الاكوع وعكرمة مولى ابن
عباس الا ان فى رواية سلمة سبعين وفى رواية عكرمة اربعين فعفا عنهم وقال دعوهم
يكن بدء الفجور منهم وثناؤه وقيل ان عكرمة بن ابى جهل خرج فى خمسمائة فارس يوم
قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل اليه خالد بن الوليد فهزمه حتى ادخله حيطان
مكة وفيه ان خالدا لم يكن اسلم يوم الحديبية بل كان طليعة المشركين كما رواه البخارى
وقيل كان ذلك يوم الفتح وبه استدل على ان مكة فتحت عنوة ولا يستقيم اذ لم يكن
يوم الفتح مع رسول الله هدى بل جاء فى جيش كثيف محاربا من بعد ان اظفركم
عليهم وكان الله بما تعملون من الاعمال البر ومحاسن الاخلاق بصيرا لا يخفى عليه

بعد وقيل فتح مكة صح

وقرا ابو عمرو يعملون بيا الغيبة والخطاب اوجه لان الكلام في مناقب المؤمنين
هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفا ان يبلغ محله الهدى
ما يهدى الى الكعبة من الانعام معكوفا محبوسا عن البلوغ الى محله المعهود وهو منى
لقوله صلى الله عليه وسلم نحرت هنا ومنى كلها منحر واستدل به الشافعي رحمه الله على ان
المحصر ينحر حيث احصر كما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديبية وقال ابو حنيفة
رحمه الله يبعثه الى الحرم لان الاراقة قربة فلا يقع موقعها الا في زمان ومكان اعتبره
الشارع وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاج مكة كلها منحر وكان مضارب
رسول الله في الحل ومصلاه في الحرم فدل على انه نحرها في الحرم ولولا رجال مؤمنون ونساء
مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤوهم اي تهلكوهم وتستأصلوهم اصله الدوس بالقدم
عبر به عن الاهلاك لان من وطئ برجله على شيء فقد استقصى في هلاكه قال شعر
ووطئتنا وطأ على حنق وطأ المقيد نابت الهرم وفي حديث خولة بنت حكيم انه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر وطأة وطئها الله بوج فتصيبكم منهم معرة بغير علم
مشقة وكراهة من العر وذلك انهم لو قاتلوا القتل من بمكة من المستضعفين
وكان يجب بقتلهم الدية والكفارة ولاشاع المشركون ان محمدا قتل من آمن به
في الحرم والجار والمجرور متعلق بان تطؤوهم على انه حال من ضمير المخاطبين والاكثر
سوا جعل ان تطؤوهم بدل اشتمال من رجال ونساء او من المنصوب في لم تعلموهم
لان عدم العلم في الاول بالايمان وفي الثاني بالاهلاك وجواب لولا محذوف
دل عليه الكلام وفي حذفه اشارة الى شدة غضب الله اي لولا حق المؤمنين ومكانهم
عند الله لاوقع بمن صدكم عن بيته ما لا يدخل تحت الوصف ليدخل الله في رحمته
من يشاء كان ذلك الكف وذلك بان يسلم المؤمنين من القتل ويدخل في الاسلام
من رغب فيه ممن كان مشركا لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا اليما لو تفرقوا
وامتاز بعضهم عن بعض من زال يزيل كماز يميز لفظا ومعنى ومنه قوله تعالى فزيلنا
بينهم ويجوز ان يكون لو تزيلوا كالتكرار لقوله لولا رجال مؤمنون لان مآلهما واحد
ويكون لعذبنا هو الجواب اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية ظرف لعذبنا او
صدوكم او نصب باذكر حمية الجاهلية التعصب الباطل لا الحمية الاسلام من المحافظة
على حرمات الله فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين اي الوقار والطمانينة
وقد تقدم ما كان من عمر واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الامتناع
عن نحر الهدى ولما كتب علي كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما قاضى
عليه محمد رسول الله اهل مكة فقال سهيل بن عمرو اما الرحمن فلا نعرفه اكتب باسمك
اللهم ولو عرفنا انك رسول الله ما قاتلناك اكتب محمد بن عبد الله فقال لعلي
امح رسول الله قال والله لا امحاه ابدا فاخذه منه ومحاه وكتب محمد بن عبد الله

والز

والزمهم كلمة التقوى الوفاء بالعهد وذلك انه لما وصل الى الحديبية بركت
ناقته فقالوا خلأت القصواء فقال والله ما خلأت وليس ذاك لها بخلق
ولكن حبسها حابس الفيل والله لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله
الا اعطيتهم فكل ذلك كان وفاء بما عاهد الله عليه وقيل كلمة الشهادة وقيل
بسم الله الرحمن الرحيم اختارها لهم وللمؤمنين وان ابى المشركون والاضافة
الى التقوى لانها سببها وكانوا احق بها واولى من غيرهم لا من غيرها كما
توهم واهلها والمستأهل لها وكان الله بكل شيء عليما فيعلم استحقاقهم لها وانهم
اهل للهداية لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام رأى
رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الحديبية في المنام انه دخل هو واصحابه المسجد
الحرام وطافوا وحلقوا او قصروا فقصها على اصحابه ففرحوا بذلك وايقنوا انه يكون
ذلك في تلك السنة فلما كان من امر الصلح ما كان تغيرت خواطرهم ووسوس
اليهم الشيطان حتى قال عمر ما قال واجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اجاب
فانزل الله ان ذلك المنام حق ولا بد من وقوعه على الوجه الذي رآه وما قيل
ان عبد الله بن ابي وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث قالوا والله ما حلقنا
وما قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام لا يستقيم لانه لم يكن معه في الحديبية منافق الا
صاحب الجمل الاحمر كما تقدم بالحق صفة مصدر اي صدقا ملتبسا بالحق اي الحكمة
البالغة من الابتلاء او حال من الرؤيا اي لم يكن من اضغاث الاحلام
او قسم اما باسمه تعالى او بنقيض الباطل وقوله لتدخلن المسجد الحرام جوابه وعلى
الاولين جواب قسم محذوف ان شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين
كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير تبدل ولا نقصان والتقييد
بالمشية تعليم للعباد في العزم على المترقب واشارة الى ان ذلك بمجرد مشيته
تعالى لا بجلادتهم او هو حكاية ما قاله ملك الرؤيا او رسول الله صلى الله عليه
وسلم حين قص الرؤيا وقيل المعنى بامركم ان لم يمت منكم احد او يغب
ويرد عليه ان علمه تعالى ينافي ذلك لا تخافون اي بعد الدخول حال مقيدة
لان الاحوال المتقدمة احوال مقدرة فعلم ما لم تعلموا من الحكمة الفاء للتعقيب
في الذكر فجعل من دون ذلك فتحا قريبا صلح الحديبية لما تقدم ان عمر رضي الله
عنه قال افتح ذلك قال اي والذي نفسي بيده وقيل فتح خيبر هو الذي
ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ملتبسا بالهداية ودين الله الذي ارتضاه لهم
او دين الحق اضيف اليه مبالغة كرجل صدق ليظهره على الدين كله يجعله
غالبا بحيث لا يبقى لتلك الاديان بقاء واذا كان عناية الله معه في هذه الرتبة
فكيف يستبعدون فتح مكة ودخول المسجد الحرام آمنين وكفى بالله شهيدا على نفسه

في انجاز هذه المواعيد محمد رسول الله صرح باسمه العلم دفعا لتوهم غيره من لفظ
الرسول اى ذلك الرسول الموصوف محمد ورسول الله عطف بيان ولا يكون
تركيب ابلغ منه ويجوز ان يكون مبتدا ورسول الله خبره والذين معه اشداء
على الكفار رحماء بينهم وصفهم بكمال الرجولية والحكمة حيث وضعوا كل شئ موضعه
وفي الحديث المؤمنون في توادهم وتراحمهم كالجسد الواحد اذا اشتكى عضو منه
تداعى له ساير الجسد بالحمى والسهر ولما تمشى ابو دجانة في القتال بتبختر فنظر اليه
الناس وهو يختال في مشيته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه مشية يكرهها الله
الا في هذا الموطن تريهم ركعا سجدا هذه معاملتهم مع الله وتلك معاملتهم
مع الناس يبتغون فضلا من الله ورضوانا الثواب والرضا الذي هو اعلى
المطالب وفيه تعريض بالمنافقين الذين يراؤن الناس سيماهم في وجوههم
من اثر السجود والسيما العلامة من السومة والياء بدل من الواو ومن بيان
اى سيماهم التي هي اثر السجود وقد روى ابن ماجه باسناده من صلى بالليل حسن
وجهه بالنهار واليه اشار صلى الله عليه وسلم في قوله الصلوة نور ولذلك ترى تارك
الصلوة على وجهه ظلام ولو فعل من البر ما فعل وعن منصور سالت مجاهدا فقال
هو الخشوع فقلت ما ارى الا الاثر في الوجه فقال ربما كان ذلك بين عيني من
هو اقسى قلبا من فرعون ذلك الوصف العجيب مثلهم في التورية ومثلهم في
الانجيل في الكتابين اللذين لم ينزل قبل القران اعظم منهما ثم ابتدا فقال كزرع
اى هم كزرع وقيل تم الكلام في قوله مثلهم في التورية ثم ابتدا بقوله ومثلهم
في الانجيل كزرع اخرج شطأه فرخه والجمع اشطاء ما يخرج حول السنبلة من الفروع
وقرا ابن كثير وابن عامر في رواية ابن ذكوان بفتح الطاء لغة منه فآزره
فقواه واعانه من الازر او من الموازرة وقرا ابن ذكوان ازره كنصره ولغة
والمد اشهر واكد فاستغلظ صار من الدقة الى الغلظة او استحكم غلظه فاستوى
على سوقه على قصبه جمع ساق مبالغة في استحكامه وقرا ابن كثير في رواية قنبل بالهمز على
انه مفرد مهموز كالكاس يعجب الزراع بقوته وحسن منظره اى مثل محمد في قيامه
وحده في مكة ودعواه الرسالة ثم تأيده بالصحابة كسنبلة هذا شانها ليغيظ بهم
الكفار تعليل لما دل عليه الكلام اى كونهم بهذه الصفة ليغيظ الكفار وبحبو حلقهم
او لقوله وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة واجرا عظيما من
بيان كقوله واجتنبوا الرجس من الاوثان تمت والحمد لمن الاؤه جمت والصلوة
على من عليه الاملاك صلت

سورة الحجرات مدنية وهي ثمانية عشر اية

بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله التقديم
جعل الشئ متقدما فاتاه ان يجعل مفعوله محذوفا ليذهب النفس كل مذهب نسيا يحيى

ويميت وجاء بمعنى تقدم ومنه مقدمة الجيش والاول ابلغ واشهر يقال فلان
بين يدي زيد اذا كان قريبا منه بين الجهتين المسامتتين ليمينه وشماله وذكرهما
مع الله على سنن المجاز المسمى تمثيلا وفيه تصوير لشناعة ما نهوا عنه والمعنى لا تقطعوا امرا
دونهما ولا تحكموا به من دون اذن الله ورسوله والاولى ان يجعل ذكر الله توطئة
من قبيل اعجبني زيد وكرمه لان الكلام مسوق لاجلال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي ذلك من قوة الاختصاص والمكانة ما لا يخفى وهو الموافق لقوله تعالى فما
اتاكم الرسول فخذوه ودعوه اذا علم شان التقديم بين يديه علم شان التقديم بين يدي
من باب الاولى واتقوا الله فان التقوى ملاك الامر ومن تمسك بها جاز كل باب
وجانب كل شبهة وريب ان الله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمايركم يا ايها الذين
امنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي اذ من كان مقامه ومكانته عند الله
من القرب والحظوة ما تقدم كان حقيق خفض الصوت والتخافت بالكلام بين يديه
او في ما يجب له من التوقير والاجلال ولذلك اعاد النداء حثا على الاستبصار والايقاظ
عن سنة الغفلة تذكيرا واعتبارا روى البخاري باسناده الى ابن ابي مليكة قال كاد
الخيران ان يهلكا ابو بكر وعمر رفعا اصواتهما عند رسول الله لما قدم عليه ركب بني تميم
اشار الصديق بان يؤمر القعقاع بن معبد عليهم واشار الفاروق الى الاقرع بن
حابس فارتفعت في ذلك اصواتهما فنزلت فقال ابو بكر والله لا اكلمك بعد هذا
الا كاخي السرار وكان عمر اذا خاطب رسول الله لا يسمعه حتى يستفهمه ولا تجهروا له بالقول
كجهر بعضكم لبعض فضلا عن رفع الصوت فوق صوته ان تحبط اعمالكم فان الاستخفاف
به كفر محبط للعمل والمعنى انتهوا عن ذلك خشية من حبوط العمل على ان المنهى معلل او الفعل
لاجل الحبوط منفي على ان الفعل منهي لانه لما ادى اليه فكانه فعل لاجله ولما نزلت
افتقد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس الانصاري فذهب اليه عاصم
بن عدي فوجده يبكي في بيته فاخبر بذلك رسول الله فدعاه فقال ما يبكيك يا ثابت
فقال قد خفت ان يكون قد حبط عملي وكان جهوري الصوت قال لست منهم تعيش
حميدا وتموت شهيدا قال انس لما كان يوم قتال مسيلمة الكذاب تحنط ولبس كفنه
فقاتل حتى قتل في كفنه وانتم لا تشعرون بذلك وعنه صلى الله عليه وسلم ان الرجل
ليتكلم بكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يكتب له بها الجنة وان الرجل ليتكلم بكلمة
من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي به في النار ابعد ما بين السماء والارض ان الذين
يغضون اصواتهم عند رسول الله يخفضونها كل شئ كففته فقد غضضته اولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى اى علم انها اتقياء على احتمال التكاليف والمشاق لان
الامتحان سبب المعرفة والجار والمجرور حال اى كاينة للتقوى خليقة بها كقولك انت لهذا
الامر اى مختص به لا يتجاوزك او ضربها بانواع المحن ليظهر تقواها لان حقيقة التقوى لا تعلم

الا عند الابتلاء او اخلصها للتقوى من امتحن الذهب اذا اذابه وخلص ابريزه من
عما وضب شهوتها ثم في جعل اسم ان الموكدة موصولا مشيرا بصلته الى وجه بناء الخبر
وتعريفه والاتيان باسم الاشارة والاشارة باللام الى الاختصاص والاستيناف
في لهم وابهام الجزاء وتنكيره في مغفرة واجر عظيم احماد وارتضاء لمن تأدب بهذا
الادب وسلك مع رسول الله سبيل التوقير والاجلال وتعريض بالضد اوهم نزلت
في الشيخين ايضا ان الذين ينادونك من وراء الحجرات ناس من بني تميم مقدمهم
الاقرع بن حابس نادوه باسمه وهو في حرمة الحجرات بيوت ازواجه جمع حجرة فعلة
بمعنى المفعول من الحجر وهو المنع ووراء وان كان حقيقة في الخلف والقدام لا انها
لم يراد بخصوصها لان مناط الانكار نداؤه على الوجه المذكور في اي جهة كان والجمع
لانها كانت متصلة فالمنادى من وراء احدها مناد من وراء الكل او تفرقوا فيها
او على التعاقب وانما علم انه كان داخل الحجرات من زيادة من اذ لا بد ان تختلف
المبدأ والمنتهى اكثرهم لا يعقلون اي كلهم واطلاق القلة على النفي والعدم غير عزيز
او يكون فيهم من لم يرض ذلك ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم
في الدنيا لان الآداب مغناطيس القلوب والآخرة فان توقيرك من اجل الطاعات
والقربات وفي التقييد باليهم اشارة الى ان خروجه لو لم يكن اليهم بل لامر اخر لم يكن
لهم ان ينادوه بالخطاب فضلا عن ندائه على ذلك الوجه والله غفور رحيم واثر الغفران
والرحمة ترغيب لهم في التوبة ولما ارشدهم الى طريق السلوك معه وشدد اركان
اجلاله بما لا مزيد عليه شرع يبين معاملة المؤمنين بعضهم مع بعض بقوله يا ايها
الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا نزلت في الوليد بن عقبة بن ابي معيط ارسله
رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني المصطلق لاخذ صدقاتهم فاستقبلوه اكراما له لانه
رسول رسول الله وكان بينه وبينهم مشاحنة فظن انهم مقاتلوه فكر راجعا واخبر انهم منعوا
الزكوة وارادوا قتله فبعث اليهم بعثا فلما كانوا بالطريق راوا الحرث بن ضرار
وهو ابو ميمونة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه فسألوا البعث فقالوا جئناك
مقاتلين اردت قتل الوليد ومنعت الزكوة فقال معاذ الله فورد مع قومه الى
رسول الله وحلف له فنزلت وروى انه بعث بعد الوليد خالدا فراهم مواظبين
على الطاعات فاتى بصدقاتهم وقصد تنكير فاسق ونبأ العموم اي اي فاسق كان
باي نبأ كان فان النكرة في الشرط تعم والفسق الخروج عن الطاعة باتيان الكبيرة
والاصرار على الصغيرة وفي تركيب هذه الحروف معنى الخروج كيف ركبت وقرا حمزة
والكسائي فتثبتوا بالثاء وقراءة الباء اوفق لانه المقصود من التثبت ولما روي انه
قال بعد نزولها الا ان التبين من الله فتبينوا وفيه دلالة على رد خبر الفاسق وقبول خبر
العدل ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين كراهة اصابتكم قوما بمكروه

وهم براء عن موجبه حال كونكم جاهلين بحقيقة الحال فتصبحوا ذوي ندم وهو الغم اللازم
اما لقوته او لعدم غيبة موجبه او لكثرة تذكره كالتائب العاشق في توبته وتركيب
الحروف يدل على الدوام ومنه النديم والدمنة والادمان واعلموا ان فيكم رسول الله
نعى عليهم ما فرط من الوليد وما كان من بعض المؤمنين من حث رسول الله على
الايقاع ببني المصطلق قبل التثبت ونزلهم منزلة من لم يعلم انه بين اظهرهم وبعدما
قد تقدم لهم النهي عن التقديم بين يدي الله ورسوله لو يطيعكم في كثير من الامر لعنتم
نصب على الحال من المستكن في الفعل او البارز المجرور اي هو فيكم على حالة يجب
تغييرها وهي ارادتكم استتباع رايه لما يظهر لكم في كثير من الامور وذلك مما يوقعكم
في المشقة وفي ايثار لو اشارة الى ان ما ارادوه حقه ان يكون مفروضا كالمستحيل
وايده بالمضارع تصويرا لاستهجان ما كانوا عليه من ارادة الاستمرار فيما حقه ان يكون
مفروضا وبالعنت الذي هو الكسر بعد الجبر الى اشد المحذور مع الرمز الى انه ليس باول
بادرة منهم وتعميم الخطاب ليكون تعريضا وهو اروع لمرتكبه وازجر لغيره فان قلت
اذا نزلوا منزلة الجاهل كان قوله واعلموا ان فيكم رسول الله كلاما مفيدا وكان
الاستيناف في لو يطيعكم ظاهرا كان قائلا قال ماذا فعلوا حتى نسبوا الى ذلك
التفريط ويجاب بانهم يريدون ما لو وقعهم في العنت بسبب استتباع من تخطى
على المجرة في الكمال وتقضى الى الشمس دون رايه لدى الظهيرة قبل الزوال قلت
ذاك وجه حسن لولا ارتباط الكلام بما تقدم من شأن الوليد ومبادرة البعض
الى تصديقه وحث رسول الله على الايقاع فيفوت التعريض وينفك النظام
ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان
استدراك ببيان عذرهم وهو ان فرط حبهم للايمان وكراهتهم الكفر وما يخالف
طاعة الله ورسوله حملهم على ذلك او بصفة من لم يفعل ذلك منهم احمادا له وزجرا
لغيره وتعريضا اولئك هم الراشدون يؤيد الثاني والكفر عدم الايمان والفسوق
الكبائر والعصيان الصغائر وكل ما انكره الشرع والرشد الاستقامة على الحق
من الرشادة وهي الصخرة فضلا من الله ونعمة متحدان ذاتا الاول بالنظر الى
المنعم والثاني الى المنعم عليه ونصبه على المصدر لان الرشد فضل او مفعول له
للمقدر اي جرى ذلك فضلا او لحبب وما عطف عليه واولئك هم الراشدون
اعتراض او للراشدين لان الرشد لما كان بتوفيقه فكان فعله ولا يخلو عن
تعسف والله عليم باحوال الناس حكيم يتفضل وينعم على من اقتضت حكمته
وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الجمع باعتبار المعنى فان لكل طائفة جمعا
ان مع كثرة الاقتتال اشارة الى ان الايمان حقيق بان لا يوجد معه الاقتتال
الا نادرا فاصلحوا بينهما بين الطائفتين فان بغت احديهما على الاخرى تعدت

فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله ترجع الى حكمه وايثار المضارع لان المقابلة
باعتبار البغي الحالي فان فاءت رجعت فاصلحوا بينهما بالعدل قيده بالعدل
دون الاول اشارة الى ان الباغي بعد البغي حكمه حكم العادل والتائب من
الذنب كمن لا ذنب له لاسيما وكانت لهم شبهة واقسطوا في ساير الامور او تاكيد
للاصلاح بالعدل ان الله يحب المقسطين يثيبهم على فعلهم وفي الحديث المقسطون
على منابر من نور يوم القيمة يقال قسط ظلم مصدره القسط بالفتح واقسط ازال القسط
من القسط بالكسر العدل نزلت في الاوس والخزرج ركب رسول الله صلى الله عليه
وسلم حمارا يعود سعد بن عبادة ثم مر على مجلس فيه الانصار وابن ابي المنافق
فاخذ بانفه وقال لا تؤذني بنتن حمارك فقال عبد الله بن رواحه ان حماره اطيب
ريحا منك فوقع بين الطائفتين القتال بالايدي والنعال انما المؤمنون اخوة
في الدين اتى بالحصر اهتماما لشانها واشارة الى ان مع الايمان زالت الاجنبية
وهي اشرف من اخوة النسب لا انقطاع لها الانساب يوم القيمة واخوة الدين
باقية ابدا صافية لاكدر فيها بخلاف اخوة النسب اذ قل ما تخلو عن كدورة ومحانة
فاصلحوا بين اخويكم ان وقع شنئان وايثار المثنى لان اكثر ما يكون بين الاثنين
ولانه اذا وجب الاصلاح بينهما ففي الاكثر اوجب والزم واتقوا الله في مجامع اموركم
او في ترك الاصلاح بين الاخوين فانه كثيرا ما يتساهل فيه لعلكم ترحمون حال كونكم
راجين رحمة الله يا ايها الذين امنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم
ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيرا منهن القوم الرجال خاصة ولذا قوبل بالنساء
ولانهم قوامون على النساء ولقول زهير اقوم آل حصن ام نساء وقوم نوح ونظايره
تغليب او لانهن توابع مصدر في الاصل لقولهم اذا اكلت طعاما احببت نوما وابغضت
قوما اي قياما وجمع قايم كزور في زاير والتنكير لارادة البعض او الشيوع ولم يقيم
على التوحيد لان السخرية اكثر ما يكون في المحافل والراضي بها كالساخر ولم يعطف
عسى بالفاء لكونه مستانفا جوابا عن سؤال الموجب للنهي ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب
بعضكم بعضا لان المؤمنين كنفس واحدة كقوله ولا تقتلوا انفسكم او لا تفعلوا ما تلمزون
بسببه كقوله صلى الله عليه وسلم لا يسبن احدكم اباه قالوا وهل يسب احد اباه قال
نعم يسب ابا احد فيسب اباه واللمز في الاصل الاشارة بالعين شاع في القول كالهمز
في الفعل ولا تنابزوا بالالقاب النبز بالتحريك اللقب والمراد به ما يسوء الانسان
وفي الحديث على المؤمن ان يدعو اخاه باحب اسمائه وقد غير رسول الله صلى الله
عليه وسلم كثيرا من الاسماء بئس الاسم الفسوق بعد الايمان المراد بالاسم الذكر يقال
طار اسمه في الافاق اي ذكره والفسوق مصدر فصحح الحمل والمعنى ذم الاجتماع فان
الايمان يأبى ذلك كما يقول خبث الصبوة بعد الكبر او ذكر المرء بالفسق بعد اتصافه بضده

كما لو قيل لمن اسلم من اليهود يا يهودي او بئس الاسم الفسوق بدل الايمان تغليظا
كانه بذلك يخرج عن الايمان والاية نزلت في الانصار كانوا يتنابزون بالالقاب
رواه ابو داود وقيل في نساء النبي عليه السلام عيّرن زينب الهلالية بالقصر وصفية
شكت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نساءك يقلن لي يا يهودية بنت اليهوديين
فقال هلا قلت ان ابي هرون نبي وعمي موسى نبي وانا زوجة نبي ومن لم يتب
فاولئك هم الظالمون الكاملون في الظلم لاستمرارهم على الباطل بعد العلم به
يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن اي كونوا في جانب منه ونكر كثيرا ليحتاط
على اي ظن لكان بعد التامل ولو عرفه لكان المنهي عنه الظن الموصوف بالكثرة
ان بعض الظن اثم الاثم ذنب يوجب العقاب من الوثم وهو الكسر الهمزة بدل
من الواو وعن مالك عن ابي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن
فانه اكذب الحديث وعن عمر رضي الله عنه لا تظن بكلمة تسمعها من اخيك سوءا وانت
تجد لها محملا ولا تجسسوا ولا تفتشوا على عورات المسلمين من الجس وهو الاختبار
باليد شاع في الشر كالتحسس بالحاء في الخير كقوله فتحسسوا من يوسف واخيه وعن ابن
مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من ستر على مسلم عورته فكانما احيا موؤودة
من قبرها ولا يغتب بعضكم بعضا الغيبة ذكر المسلم بما كان فيه مما يكرهه وان لم يكن
فيه فبهتان وعن عائشة رضي الله عنها ذكرت صفية عند رسول الله بالقصر فقال لقد
قلت كلمة لو مزجت بالبحر مزجته وعنه عرض المؤمن كدمه الا اذا كان المغتاب
مجاهرا بالفسق كما روي عن الحسن لما مات الحجاج قال اللهم امته فاقطع سنته اخيفش
اعيمش لا من الله يتقي ولا من الناس يستحيي او احتيج اليه للجرح او استشير فيه
وما لم يبلغ المغتاب او اتيب عنه سقط الاثم ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا
تصوير وتمثيل لما يناله المغتاب من عرض اخيه على افحش وجه بابلغ طرق استفهام
التقرير الذي لا يكون الا في كل مسلم عند كل سامع وجعل اكره الاشيا محبوبا وتخصيص
لحم الانسان الذي تنفر منه الطباع حال كونه ميتا من غير ذكوة وكون ذلك من
اخيه واسناد الفعل الى احد دلالة على ان احدا من الآحاد لا يرضى بذلك وقرأ نافع
مشددا فكرهتموه لا محالة انتم قائلون به فقد تم الالزام والفاء فصيحة مثل فقد جئنا
خراسانا وعن ابي هريرة لما رجم ماعز فقال رجلان قد ستر الله عليه فلم يستر على نفسه
حتى رجم رجم الكلب فمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما معه حتى مر بجيفة حمار فقال
ابن فلان وفلان فقالا ها نحن يا رسول الله فقال انزلا فكلا من لحم هذا الحمار فقالا
يغفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل لحم هذا فقال ما نلتما من عرض اخيكما اشد من
هذا وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة فنام
يوما عن شانه فبعثاه الى اسامة وكان على طعام رسول الله يطلب لهما ادما فقال ما عندي

شئ فقالا له بعثنا الى بئر سميحة لتغار ماءها فانطلقا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ارى خضرة اللحم فى افواهكما قالا ما اصطبحنا طعاما منذ نزلنا قال قد اغتبتما سلمان وفى لفظ
اسامة وزيادة التعجيب لانه من خواص لحم الجيفة فنزلت واتقوا الله ان الله تواب رحيم
شديد الاعتناء بقبول التوبة وافر الرحمة بعد الاسراف ومراطه بلا اذا تاب قبل الغرغرة
بلحظة تبدل معاصيه طاعات يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى آدم وحوا
او كلا منكم من اب وام فلا وجه للتفاخر وجعلناكم شعوبا وقبائل للعرب فى الانساب
مصطلح حصر وهى ست مراتب الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة على
هذا الترتيب اعلاها الشعب فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم
فخذ والعباس فصيلة لتعارفوا الانساب فلا يعتزى احد الى غير ابيه وتسهل نقل الاخبار
فلان بن فلان ورعاية الاصول فى صلة الارحام ومراعاة الاكفاء فى الازواج وتحمل
الدية ان اكرمكم عند الله اتقاكم لا دخل للانساب فى امر الآخرة من ابطأ به عمله لم
يسرع به نسبه روى البخارى باسناده الى ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سئل عن اكرم الناس عند الله قال اتقاهم وعنه لا فضل لاحد على احد الا بالتقوى
ان الله عليم خبير يعلم حقيقة التقوى تحذير عن شوب الرياء بعد حصر الكرامة فيها
قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا لما ذكر ان ملاك الامر هو التقوى
اشار الى ما به قوامه وهو الايمان الذى لا يعتد بعمل دونه وساق الكلام لهذا الغرض
مساقا بديعا حيث اودعه فى عرض آخر وهو توبيخ من زعم انه احاط بهذا المطلب الشريف
وهو عنه بمراحل ولم يصرح بتكذيبهم لئلا يقلبوا حماليقهم ويلبسوا جلد النمر وهو شان المنزل
عليه فى سلوك هذا المنهج مع الجاهلين وكون احدى الجملتين خبرية والاخرى انشائية
ونفى الايمان ومقابلة اثبات الاسلام دون الامر به لا يقدح فى الغرض بعد وجود
المطابقة المعنوية مع ما فيها من الفوائد والزوائد ولما يدخل الايمان فى قلوبكم فى
موقع الحال من واو قولوا اى قولوا اسلمنا والحال ان الايمان غير داخل محله كونه
لما للتوقع لا يستلزم وقوع ما دخله وان تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من اعمالكم شيئا
لا ينقصكم من لاته نقصه ومنه الحمد لله الذى لا يفات ولا يلات لغة اسد والحجاز وقرا
ابو عمرو فى رواية الدورى يالتكم من الت السلطان حقه وهى لغة غطفان
ان الله غفور لما فرط منكم من الدعوى المجردة رحيم حيث ارشدكم الى طريق الصواب
انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا فى هذا الحصر تعريض وكشف
عن حقيقة الايمان ومعنى ثم انهم استمروا على ذلك ولم يعترهم ما ينافى الايمان
من الارتياب بل هم على ثلج الصدر ودوام حياتهم او هو من عطف جبرائيل على الملائكة
واشار ثم لدلالته على ان حالهم فى الايمان على الترقى والازدياد الى الكمال او فى حصول
الايقان عند القائل بالزيادة والنقصان ومن لم يقل به فبانضمام العيان

الى البيان وجاهدوا باموالهم وانفسهم فى سبيل الله لتشمل سائر العبادات لانها
اما مالية او بدنية او مركبة ثم اما ان يؤدى مجاهدا كالشيطان والهوى او يكون فاعل
بمعنى فعل جئ به على صيغة المبالغة ليكون ابلغ واقوى وفى تاخير الانفس رعاية الترقى
اولئك هم الصادقون اى الذين لم يكذبوا والذين ايمانهم ايمان جد وثبات
على ان الصدق شامل للقول والفعل والعقد وعلى الوجهين تعريض بالاعراب
والثانى احسن واوفق بقوله لم تؤمنوا لانه فى معنى كذبتم قل اتعلمون الله بدينكم
توبيخ لهم على تلك الدعوى المجردة اى ااخبرون ان دعواكم اشتبهت علينا لان
الايمان محله خفى فكيف شانكم مع الله تعلمونه ما لا يعلم والله يعلم ما فى السموات
وما فى الارض والله بكل شئ عليم اعاد لفظ الجلالة مبالغة فى احاطة علمه لاقتضاء
الالوهية ذلك ودل على ان خارج السموات والارض اشياء لا يحيط بها الا علمه
يمنون عليك ان اسلموا اى ذلك الايمان الذى ليس شيئا وراء الاسلام الذى هو
الانقياد ويمنون عليك به قل لا تمنوا على اسلامكم باسلامكم على نزع الخافض وفى
اضافته اليهم اشارة الى خساسته وانه شئ يليق بامثالهم بل الله يمن عليكم ان
هداكم للايمان ولكم على ما ادعوا ايمان حقيقة ولم يضفه اليهم لعدم الملابسة ولذلك
اكده بقوله ان كنتم صادقين دلالة على ان ذلك كذب واختلاف والجواب
محذوف لدلالة ما قبله عليه ان الله يعلم غيب السموات والارض يطلعك على
ما يخفى عليك ويفيض من المعارف والحكم ما ليس لك اليه سبيل والله بصير
بما تعملون عيان عنده سركم وعلانيتكم وقرا ابن كثير يعملون بياء الغيبة مسندا الى ضمير
السائلين تمت سورة الحجرات والحمد لخالق الارض والسموات والصلوة على المبعوث
باهر المعجزات واله وصحبه ذوى المكارم واولى الكرامات سورة ق مكية
خمس واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم ق حرف الهجاء او اسم السورة
مقسم به والجواب محذوف اى الآتى به لصادق والقرآن المجيد عطف على القسم
او قسم والمجد الشرف المتسع من مجدت الابل اذا رعيتها فى مرعى واسع فهو ابلغ
من قوله ذى الذكر ولذلك عقبه بقوله بل عجبوا ان جاءهم منذر منهم انكار لتعجبهم
والا على جهلهم لان التعجب يكون من شئ خفى سببه وكونه مجيدا امالا نافيه على
سائر الكتب او وصف بنعت منزله اولان من احاط به علما مجد فقال الكافرون
هذا شئ عجيب فى اضمار ذكرهم ثم اظهاره اشارة الى ان اقدامهم على هذا
القول ناشئ من الكفر وهذا اشارة الى الرجع الدال عليه الانذار ائذا متنا وكنا
ترابا مستانف لبيان موجب تعجبهم وعولوا على المنذر به دون التعرض للمنذر لانه
ادخل فى الانكار لاستقصارهم القدرة بخلاف كون واحد منهم رسولا فانه مجرد
استبعاد ذلك رجع بعيد من كلامه تعالى مصدر بمعنى المفعول تخطئة لهم

في المناظرة اي مرجوع كلامهم ومحصل جوابهم بعيد عن الصواب لكون ما انكروه
اهون مما يشاهدونه لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس ويجوز ان
يكون من كلامهم وذلك اشارة الى انذا متنا والناصب لاذا البعث
الدال عليه قد علمنا ما تنقص الارض منهم تاكل من اجسادهم وهو القدرة على
الانشاء مسلمة عندهم فالانكار لماذا وعندنا كتاب حفيظ ضابط للحوادث
ما كان وما يكون فلو فرض خروج شيء من علمنا بناء على جهلهم لم يخرج من ذلك
الكتاب او محفوظ عن التبدل وفيه كما بدانا اول خلق نعيده وعدا علينا
بل كذبوا بالحق لما جاءهم بالنبوة راسا فان انكارها انكار المنبا به الذي البعث
وما يتبعه من جزئياته او الاخبار بالبعث فان التكذيب به اسوء من التعجب
منه او القران فان قوله بل عجبوا اضراب عن حديث القران ومجيده وما يدل
عليه اعجازه من صدق من اتى به فالانكار حقيقة ادخل في الانكار من انكار ما يلزم
منه من النبوة والبعث وعلى كل تقدير الاضراب الثاني ابلغ فانهم من
الاول فهم في امر مريج مختلط تارة يسمون المؤيد بالمعجز الباهر ساحرا وتارة
شاعرا الى غير ذلك من جزافاتهم افلم ينظروا الى السماء فوقهم كيف بنيناها
من غير سبق مثال فيدلهم ذلك النظر على ان اعادة امثالهم اهون شيء اي
قد نظروا ولكن يعمى القلوب التي في الصدور وزيناها بزينة الكواكب وما لها من
فروج فطور وفتوق بان خلقت ملساء ولا شك ان هذا الصنع اتقن من ذي
خشونة ومسام والارض مددناها بسطناها والقينا فيها رواسي جبالا ثوابت
شامخات اوتادا لها وانبتنا فيها من كل زوج بهيج من كل صنف بهيج حسنه
ورواته تبصرة وذكرى لكل عبد منيب راجع الى الله في التدبر في بدايع صنعه
علتان للافعال المذكورة الاولى للراسخين والثانية للقاصرين ونزلنا من
السماء ماء مباركا كثير الخير والنافع فانبتنا به جنات اشجارا ذوات ثمار وحب
الحصيد ما شانه ان يحصد مما تقتات وافرده لقلته عند العرب فان اكثر ما
يعيشهم الماء والتمر ولذلك عقبه بقوله والنخل باسقات لها طلع نضيد
بعد تناول الجنات اياها الباسق الطويل والطلع ثمر النخل والنضيد المنضود
اما انه اكمه لكثرته او لكثرة ثمره رزقا للعباد علة للانبات او مصدر لان معنا
واحيينا به بلدة ميتا ارضا يابسة بالتحي والنبات والنضارة فيها ولم يؤنثه
باعتبار المكان والبلد كقوله والبلد الطيب كذلك الخروج الخروج من القبور
مثل ذلك على انه مبتدا والكاف خبر وقيل عكسه والاول اظهر والثاني ابلغ
كانه قال مثل هذا المحسوس الخروج الذي يستحيلونه والمشار اليه خروج النبات لا الاحياء
كذبت قبلهم قوم نوح واصحاب الرس قوم شعيب وثمود وعاد وفرعون اي قومه

وانما

وانما ذكره ولانه على كونه السبب لتكذيبهم والداعي اليه فاستخف قومه فاطاعوه
واخوان لوط اي قومه كقوله واذكر اخا عاد والاختلاف للتفنن واصحاب
الايكة وقوم تبع كل كذب الرسل اي كل فرد او كلهم وافراد الضمير باعتبار اللفظ
فحق وعيد فحل بهم واستقر افعيينا بالخلق الاول العي عدم الاهتداء الى وجه
المطلوب ضمن معنى الارسال فعدي بالباء والمعنى انهم معترفون بالاقتدار
على الخلق الاول لا ينكرونه ومن اعترف بذلك لزمه الاعتراف بالثاني بل هم
في لبس من خلق جديد مستغرقون في الحيرة لاجل ذلك انكروا وتنكير الخلق ووصفه
بالجديد تنبيه على مكان شبهتهم الناشية من الوهم الحاكم استحالة العظم الرميم
انسانا في احسن تقويم ولذلك قلع شارفة شبهتهم بقوله ولقد خلقنا الانسان
ونعلم ما توسوس به نفسه ما تحدث به من الهواجس من وسوسة الحلي الصوت
الخفي ومن علمه بخفيات المعقولات كيف باجزاء الاجسام اجلى اصغر ما يكون
والقدرة قد شاهدوا اثارها في الافاق والانفس ويجوز ان تكون ما مصدرية
والباء للتعدية والمعنى ان النفس تجعل الانسان قائما به الوسوسة فالانسان
هو المحدث والوسوسة حديثه كقول لبيد واكذب النفس اذا حدثتها ونحن اقرب
اليه من حبل الوريد تمثيل لعلمه او من اطلاق السبب وارادة المسبب لان القرب
من الشيء سبب لعلم به والوريدان عرقان يكتنفان بصفحتي العنق سميا بذلك
لانهما يردان من الراس او لان الروح يرد فيهما واضافة الحبل اليه بيانية
كشجر الاراك او هو في الاصل للعاتق اضيف اليه للمجاورة اذ يتلقى المتلقيان
عن اليمين وعن الشمال قعيد ظرف لاقرب وان لم يكن افعل التفضيل
عاملا في المظهر فاعلا او مفعولا للاتساع في الظرف والمعنى نحن اقرب من
حبل الوريد في تلك الحالة فليس توكيل الملكين لاستفادة علم بل لطفا
بالانسان فانه اذا علم بذلك وان ما يعمله يلزم في عنقه يخرج له يوم القيمة
كتابا يلقاه منشورا كان ازجر له ويجمح لعنانه الا يرى انه اذا ارتكب معصية
يتستر من الناس مع علمه بان الله تعالى يراه ولذلك كان ظلوما جهولا ويجوز
تعلقه باذكر والقعيد بمعنى المقاعد كالجليس بمعنى المجالس حذف احدهما لدلالة
الاخر عليه ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد حافظ حاضر لا يفوته شيء وتخصيص
القول مع ان المراقبة عامة لان الشاق في حديث الانسان نفسه ولفظ
ما مع زيادة من يدلان على كتابة كل شيء ذكره قال الحسن وقتادة وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ما كان من خير وشر وصاحب اليمين امين على صاحب
اليسار فاذا اذنب الانسان ذنبا لا يمكنه من كتابته الى سبع ساعات لعله يستغفر
وجاءت سكرة الموت بالحق بعد ما اثبت ما انكروه من امر المعاد وما دل على شمول

علمه بالجزئيات واحاطة قدرته بالممكنات اشار الى ان هذا المنكر انتم لاقوه عن
قريب فخذوا حذركم والباء للتعدية كقولك جاء زيد بعمرو اى احضرت الامر الذى
بعثت الرسل لاجله او جلية الحال من السعادة والشقاء او من ان كل نفس ذائقة
الموت صح او لملابسة اى ملتبسة بحقيقة الامر وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل ذلك
ما كنت منه تحيد اشارة الى الموت والخطاب للكافر لان الكلام معه وفى احواله
او للانسان اتفاقا والحيد الميل والنفرة وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وفيه فك النظم وركاكة التعلق ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد اى وقت
ذلك يوم الوعيد والاشارة الى مصدر نفخ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
ملكان احدهما يسوقه الى المحشر والاخر يشهد عليه او ملك واحد جامع للوصفين ومحل
معها سائق النصب على الحال من كل لكونه فى معنى كل النفوس لقد كنت فى غفلة
من هذا مستغرقا فيها لا ترى شيئا فكشفنا عنك غطاءك اى رفعنا الساتر بينك
وبين الحق فبصرك اليوم حديد شديد الرؤية نافذ وقال قرينه الملك الموكل
هذا ما لدى عتيد صفة ما ان كانت موصوفة وبدل ان كانت موصولة وفيه
ابدال النكرة من المعرفة او خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف اى هذا الذى عملته
محفوظ عندى حاضر بلا زيادة ولا نقصان او الشيطان الذى قرن به تقول هذا
الذى فى ملكى اعددته لجهنم باغوائى ولا ينافيه قوله ربنا ما اطغيته لانه مثل قول ابليس
وما كان لى عليكم من سلطان بعد قوله وعدتكم فاخلفتكم القيا فى جهنم كل كفار
عنيد خطاب للسائق والشهيد فان كان واحدا فالالف بدل نون الخفيفة
اجراء للوصل مجرى الوقف كقول الحجاج يا حرسى اضرب عنقه او نزل تثنية الفاعل
منزلة تثنية الفعل للدلالة على تعدده فى قام الزيدان لما بينهما من شبه الاتحاد
لفظا ومعنى كانه قيل الق الق او لان العرب اكثر فى خطابها ان تلفظ المثنى خليلى
صاحبى الى غير ذلك فنسج هذا على ذلك المنوال كقوله فان تزجرانى يا ابن
عفان انزجر وان تتركانى احم عرضا ممنعا مناع للخير كثير المنع عن البر والمعروف
او الاسلام على ما روى انها نزلت فى الوليد لما منع بنى اخيه عن الاسلام والاوجه
الاول لتناوله الاسلام لانه راس الخير معتد متجاوز مريب شاك فى دين الله
تعالى الذى جعل مع الله الها آخر رفع او نصب على الذم فالقياه فى العذاب
الشديد من ذكر الخاص بعد العام او الذى جعل مبتدا تضمن معنى الشرط
فالقياه خبره او بدل من كل كفار فالقياه توكيد للاول والفاء للدلالة على ان
الالقاء لتلك الصفات المذكورة قال قرينه ربنا ما اطغيته جواب للكافر حين
ادعى على القرين انه السبب فى ضلاله كقوله لقد اضلنى عن الذكر بعد اذ جاءنى و
ولذلك لم يعطفه بخلاف الاول فان العطف فيها لازم للدلالة على الجمع بين

مجيء كل نفس وقول قرينه ولكن كان فى ضلال بعيد حيث ترك الحق بعد ظهوره
بوسوستى ووعد كاذب قال لا تختصموا لدى استئناف كانه قيل ماذا قال تعالى
فى جوابه والمعنى ان دار الجزاء ليس محل الخصام لعدم الجدوى وقد قدمت اليكم
بالوعيد والحال انى لم ابق لاحد حجة وقد صح عندكم ذلك والباء فى بالوعيد مزيدة
مثلها فى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة او صلة قدم على انه بمعنى تقدم او الجار والمجرور
حال من الفاعل او المفعول مقدما عليه والفعل واقع على قوله ما يبدل القول لدى
اى بينت لكم مضمونه وما انا بظلام للعبيد اى لا احد شيئا من الظلم والمبالغة اما
بالنظر الى الافراد واما لانه لو ظلم لكان كسائر صفاته وافعاله فى غاية الكمال يوم
نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد يوم ظرف ظلام او نصب باذكر
او انذر او ينفخ واشار بذلك الى اليوم كانه قيل ذلك اليوم اى يوم القول يوم
الوعيد وفيه بعد لوقوع الفصل بالاجنبى اعتراضا على ان زمان النفخ ليس يوم
القول الا على فرض الامتداد وقرأ نافع وابو بكر يقول بالياء التفاتا والنون
ابلغ ترهيبا روى البخارى عن انس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى فى النار
من يلقى وهى تقول هل من مزيد حتى يضع الجبار فيها قدمه فتقول قط قط بعزتك
فعلى هذا الاستفهام على اصله وما روى عن ابن عباس رضى الله عنه وعكرمة هل من
مزيد هل بقى لى من مكان اى لم يبق فى موضع ابرة وذلك لما روى مسلم عن
ابى سعيد ان الله تعالى وعد لكل من الجنة والنار ملأها فمحمول على ما بعد وضع
القدم ولا ضرورة من صرف السؤال والجواب عن الحقيقة وقيل هو من التخييل
الذى يقصد به التصوير والتبيين وازلفت الجنة للمتقين قربت لهم غير بعيد
مكانا غير بعيد نصب على الظرف او على الحال وتذكيره لانه على زنة المصدر كالزئير
والوجيب او على حذف الموصوف اى شيئا وعلى كل تقدير توكيد لازلفت معنى
هذا ما توعدون جملة اعتراضية وقرأ ابن كثير بالياء لكل اواب رجاع الى الله بدل
من المتقين باعادة الجار حفيظ على حدوده من خشى الرحمن بدل بعد بدل
او من موصوف اواب ان جوز حذف المبدل ولا يجوز ابداله من اواب
لان من لا يوصف به او مبتدا خبره ادخلوها بسلام او منادى حذف حرف
النداء منه جعله بمنزلة الحاضر عناية ورفعا لمحله واثار الرحمن من بين اسمائه تعالى
وجعله مقرونا بالخشية للثناء على الخاشى بانه يخشاه مع علمه بسعة رحمته او لعله بشدة
عقابه فلم يأمن ولم يغتر بكثرة رحمته بالغيب زيادة فى الثناء اى يخشاه وهو غائب
عنه حال من المفعول او من الفاعل اى خلواته غائبا عن اعين الناس او بسبب
الغيب الذى اوعده به وجاء بقلب منيب تائب والاقتصار على القلب لان
الجسد وساير الحواس آلات وجنود وفى الحديث ان فى الجسد مضغة اذا صلحت

صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله الا وهي القلب ادخلوها بسلام امنين
سالمين من العذاب او من زوال النعم او مسلما عليكم ذلك يوم الخلود
اي يوم تقدير الخلود لان ذلك اشارة الى زمان الدخول ويجوز ان يشار به
الى ما بعده بنحو هذا اخوك او يجعل يوم الخلود وجزءا ممتدا من حين الدخول فيستغنى
عن التقدير لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد الذي لم يخطر ببالهم روى مسلم
عن صهيب انه النظر الى وجه الله تعالى وكم اهلكنا قبلهم من قرن اي قبل قومك
هم اشد منهم بطشا كعاد وفرعون فنقبوا في البلاد اي نقروا في البلاد وجالوا في
الارض من كل مجال حذرا هل من محيص من الله او منجا من عقاب الله او اهلاكه
ويجوز ان يراد اهل مكة وتنقيبهم اسفارهم ومسايرهم على ديار المهلكين كقوله
فسيروا في الارض والغرض انهم وان عموا عن دلايل البعث فكان عليهم
الحذر من العقاب العاجل لما شاهدوا من حال امثالهم ان في ذلك
فيما ذكر من حال الامم او ما ذكر في السورة لذكرى موعظة واعتبارا لمن
كان له قلب فاهم عن الله او القى السمع اي من له ذلك الاستعداد ادا
مستفيدا منه وهو شهيد اي حاضر بقلبه متهيئ للتفطن او غيره بمثابة الغائب
ويجوز ان يكون من الشهادة اي القى السمع والحال انه مؤمن بما يلقى عليه
او من الذين قال الله فيهم لتكونوا شهداء على الناس والاول اوجه والصق
بالمقام ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من
لغوب اي في تعب تكذيب لليهود في قولهم بدا خلق العالم يوم الاحد ووقع
الفراغ يوم الجمعة واستراح يوم السبت فاصبر على ما يقولون اي المشركون
او اليهود والاول اوجه وسبح بحمد ربك نزهه حامدا قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
لشرف الوقتين ومن الليل فسبحه في جزء من الليل ايضا وهو الثلث الاخير
وقيل المراد بالصلوة قبل طلوع الشمس الصبح وقبل غروبها العصر والظهر ومن
الليل العشاءان وادبار السجود واعقاب الصلوة روى مسلم باسناده انه صلى الله
عليه وسلم قال من قال في دبر كل صلوة ثلثا وثلثين تسبيحة وثلثا وثلثين تحميدة
واربعا وثلثين تكبيرة غفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر وعن علي
رضي الله عنه ركعتان بعد المغرب وعن ابن عباس رضي الله عنهما الوتر
وقرا نافع وابن كثير وحمزة وادبار بكسر الهمزة مصدر ادبر انقضى تقدير مضاف
اي وقت انقضاء السجود واستمع يوم يناد المناد اي استمع لما اخبرك
من احوال يوم القيمة وفيه تهويل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لمعاذ استمع ثم اخبره بعد سبعة ايام والمنادي اسرافيل ينفخ في الصور وينادي
ايتها العظام البالية والاوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة هلم لفصل

القضاء

القضاء وقيل اسرافيل ينفخ في الصور وجبرائيل ينادي وقرا ابن كثير ينادي بالياء
اثبات في الوقف لانها جزء الكلمة وحذفها الباقون اتباعا للرسم من مكان
قريب من صخرة بيت المقدس وهي اقرب ارض الى السماء باثني عشر ميلا
وهي وسط الارض او من تحت اقدامهم او من منابت شعورهم يوم يسمعون
الصيحة بدل من يوم ينادي وانتصابهما بما دل عليه الخروج اي يخرجون من القبور
يوم ينادي المنادي بالحق متعلق بالصيحة والمراد به البعث والصيحة النفخة
الثانية ذلك يوم الخروج من اسماء يوم القيمة انا نحن نحيي ونميت والينا
المصير للجزاء او جردوا عن الدليل لما تقدم من الادلة مستوفاة يوم تشقق الارض
عنهم بدل بعد بدل او ظرف للمصير او نصب بما دل عليه حشر علينا وقرا نافع وابن
كثير وابن عامر بتشديد الشين لان اصله تتشقق والباقون مخففا بحذف
احدى التائين سراعا مسرعين حال من المجرور ذلك حشر علينا يسير تقديم
الظرف للاختصاص او لا يتيسر ذلك الا لامر البديع الا لمن امره بين الكاف
والنون نحن اعلم بما يقولون تسلية له وتهديد لهم وما انت عليهم بجبار
بقهار تكرههم على مرادك انما انت منذر لا غير وقد وفيت بما ارسلت به فذكر
بالقران من يخاف وعيد اذ لا ينتفع به غيره فان الدواء لا يجدي الا اذا صادف
محلا قابلا للشفاء تمت سورة ق والحمد لمن لا يليق الحمد والاوصاف والصلوة على
خير خلقه واله وصحبه اولي المكارم والانصاف والاسعاف سورة الذاريات
مكية وهي ستون اية بسم الله الرحمن الرحيم والذاريات ذروا الرياح التي
تذرو التراب وغيره وادغم ابو عمرو وحمزة التاء في الذال فالحاملات وقرا
السحاب لانها تحمل المطر فالجاريات يسرا السفن الجارية في البحر جريا ذا سهولة
فالمقسمات امرا الملائكة تقسم الامور كل واحد موكل بشان جبرائيل بالوحي
واهلاك المكذبين وميكائيل بالارزاق واسبابها وملك الموت بالارواح
واسرافيل بالنفخ وملك الجبال بالجبال وملك البحار بالبحار الى غير ذلك مما
لا يحيط به الا علمه الشامل هذا هو المروي عن عمر بن الخطاب وعلي والترتيب
باعتبار ما سبق له الكلام من الدلالة على كمال القدرة المحقق لما اقسم عليه من صدق
الوعد بالبعث الاظهر فالاظهر لان الكلام مع الجاحد وقيل الكل صفات الرياح
لانها تثير السحاب وتحمله وتجري به في الجو وتقسمه على الاماكن على ما امرت به
فالعطف باعتبار الصفات انما توعدون من البعث الجملة لتعينه لصادق مطابق
للواقع والوعد الصادق كعيشة راضية وان الدين الجزاء لواقع والسماء ذات
الحبك ذات الطرائق وهي طرائق النجوم في مسيرها او ارادة النظار الذين يتفكرون
فيها من حبك الريح الرمل والماء اذا اثرت فيه بالتجعيد والتكسير قال زهير يصف

غدير مكلل بأصول النجم تنسجه ريح خريق بضاحي ماء حبك ولما كان في ذلك
التكسر حسن منظر قال الحسن الحبك النجوم لأنها زينة السماء وقيل صفاتها
من حبك النساج إذا أحكم النسج وعن ابن الأعرابي كل شيء أحكمته فقد حبكته
جمع حبيكة كطريقة وطرائق أو حباك كمثال ومثل إنكم لفي قول مختلف
في الرسول منكم مكذب ومنكم مصدق أو منكم من يقول شاعر ومنكم من يقول
ساحر أو في القرآن كذلك وقد روعي في القسم أولا وثانيا ملائمة المقسم عليه
وذلك أن المقسم عليه أولا لما كان البعث وما بعده جعل القسم ما ينشأ
من القدرة من الآثار والأطوار وثانيا كونهم مختلفين فيما لا يقبل الاختلاف
جعل المقسم به ذات الطرائق مختلفة يؤفك عنه من أفك يصرف عنه من صرف
الضمير للرسول أو للقرآن ولما أسند الفعل إلى الموصوف به جاءت المبالغة
أي صرف لا يكون أشد منه كقوله فغشيهم من اليم ما غشيهم أو المعنى يؤفك عنه
من أفك في علم الله لا يمكن عنه الارعواء فيكون إشارة إلى الختم ويجوز عود
الضمير إلى ما يوعدون أو الدين أقسم أولا على وقوعه ثم على كونهم مختلفين فيه
وقيل الضمير للقول المختلف أي بصدد إفكهم عن القول المختلف وفيه تعسف وفوا
ت المبالغة قتل الخراصون لعن الكذابون أي سولا المكذبون بالدين
والعدول إلى المنزل لأن تكذيبهم من جملة الكذب وأصله الدعاء بالقتل ثم
شاع في اللعن لأنه فوق القتل الذين هم في غمرة في جهل عظيم غارقون فيه
وأصله الماء الساتر ما تحته ساهون غافلون عما أمروا به يسألون أيان يوم
الدين تكذيبا به واستهزاء والمعنى أي زمان زمانه أو في أي زمان وقوعه
بأن يجعل الزمان لكونه مرتقبا منتظرا زمانيا ملحقا بالزمانيات وهذا شايع في
كل زمان له شأن كيوم العيد والنيروز يوم هم على النار يفتنون يحرقون
يقال للحرة فتين لأن حجارتها السود كأنها محرقة ويوم منصوب بما دل عليه السؤال
أي يقع أو مفتوح لإضافته إلى الجملة والعامل فيه ذلك الفعل المدلول عليه وخبر
مبتدأ أي هو يوم هم وعلى أي تقدير كان قائم مقام الجواب ذوقوا فتنتكم
عذابكم بتقدير القول هذا الذي كنتم به تستعجلون ويجوز أن يكون بدلا من فتنتكم
والموصول صفته إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم أي
قابلين لكل ما أعطاهم راضين به من أخذت أخذ فلان سرت سيرته الحسنة
والمعنى أن كل ما أعطاهم حسن مرضي إنهم كانوا قبل ذلك محسنين تعليل
لاستحقاقهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون بيان لإحسانهم وما مزيدة وقليلا صفة
مصدر محذوف أي يهجعون هجوعا قليلا ومن الليل صفة أي مبتدئا منه أو لغو متعلق
بيهجعون أو موصولة أو مصدرية فاعل قليلا ومن الليل حال مقدم على الأول

بيان على الثاني لأن معمول المصدر لا يتقدم ولا يجوز أن تكون نافية لأن ما بعدها
لا يعمل فيما قبلها وفيه مبالغات لفظ الهجوع الذي هو القليل من النوم وتأكيده
بالقلة وذكر الليل الذي هو محل الراحة ولفظ كان الدال على الاستمرار وبالأسحار هم
يستغفرون يستقصرون علمهم كأن ما فعلوه من الطاعات في تهجدهم جرائم
وفي بناء الفعل على الضمير إشعار بأنهم الأحقاء بالاستغفار دون غيرهم لكمال خشيتهم
وعنه صلى الله عليه وسلم إذا بقي الثلث الأخير من الليل ينزل ربنا إلى السماء
الدنيا ويبسط يده ويقول هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له
إلى طلوع الفجر وذلك كل ليلة وفي أموالهم حق للسائل والمحروم المستجدي والذي
لا يسأل إما لعدم قدرته على السؤال أو لمنعه الحياء وعنه صلى الله عليه وسلم ليس المسكين الذي
يرده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان إنما المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه ولا يفطن له
فيتصدق عليه وعن الحسن بن علي رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال للسائل حق وإن جاء على فرس وفي الأرض آيات للموقنين عطف على إنما
توعدون لصادق وقصة المنافقين معترضة وفي تخصيص الموقنين مع أن الكلام
مع الجاحدين لأنهم الذين تجدي عليهم الآيات والنذر وآيات الأرض ما فيها
من الصفات وما عليها من النبات والحيوان وما اشتملت عليه من الأشكال
والألوان والخواص التي يفوتها الحصر وفي أنفسكم من الآيات إذ ليس في العالم
شيء إلا وفي الإنسان نظيره بل هو الذي اختص به من بدائع الأوصاف وغرائب
المعاني والمعقولات ولذلك أفنى بعض العارفين العمر في التأمل في قوله
أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ولم ينقص منه أفلا تبصرون
تنظرون نظر اعتبار والتعبير بالإبصار إشارة إلى غاية الظهور وفي السماء رزقكم
أسبابه من الأمطار والثلوج والكواكب وما توعدون ثواب أعمالكم والجنة
فإنها فوق السماء السابعة وسقفها عرش الرحمن فورب السماء والأرض إنه لحق
الكل ما تقدم من أول السورة وقيل الضمير لما توعدون مثل ما أنكم تنطقون كما لا يشك
أحدكم في نطقه فكذلك لا يجوز له أن يشك في حقيته وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر
مثل بالرفع صفة حق والباقون بالفتح لبنائه بالإضافة إلى المبني محله الرفع على
الوصف أو نصب صفة مصدر أي حقا مثل نطقكم أو حال من المستكن في حق وعن الأصمعي
أن بدويا سمعني أقرؤها قال من ذا الذي أغضبه حتى حلف له بذاته لم يصدقوه حتى ألجأوه
إلى اليمين قالها ثلاثا وخرجت روحه هل أتاك حديث ضيف إبراهيم لما استوفى
أدلة المعاد دل على كمال الاقتدار وبحيث لم يبق ريبا لذي عينين مهد لإثبات نبوته
وفخم شأن الحديث إشارة إلى أنه من العلم الذي لا يمكن الوصول إليه إلا بالوحي
نقل من تلي عليه الاتباع لمن أتى به لأنه صادق مؤيد بهذا المعجز الباهر وتضمن فيه تسلية

المنزل عليه من تكذيب من ارسل اليه بان له اسوة حسنة في قدوة الانبياء وتهديد لمؤذيه
خليل رب العالمين قيل كانوا اثني عشر وقيل ثلثة والضيف في الاصل مصدر ولذلك
يطلق على الجمع وسموا ضيفا لانهم كانوا في صورته المكرمين عند الله او عند ابراهيم
حيث خدمهم واخدمهم زوجته وعجل لهم القرى اذ دخلوا عليه ظرف للحديث او الضيف
او نصب باذكر او بما في المكرمين من الاكرام ان فسر باكرام ابراهيم فقالوا سلاما
اي نسلم سلاما قال سلام اي عليكم سلام حياهم باحسن من تحيتهم لما في الرفع من الدلالة على
الدوام لمعونة المقام قوم منكرون اي انتم لم يكونوا على اشكال الناس المعهودين
او لان السلام تحية الاسلام ولم يكن بارضه كقول الخضر لما سلم عليه موسى واني بارضك
السلام او كان على طريق السؤال اي عرفوني فاني لا اعرفكم فراغ الى اهله فذهب اليهم
خفية من الضيف اذ ليس من المروءة اعلام الضيف خفية انه يسعى في قراه فجاء بعجل
سمين وكان عامة ماله البقر وقيل لحمه خير اللحوم فقربه اليهم قال الا تاكلون لما رآهم
لم يتناولوا او شكا عليهم او لهمزة للعرض على ما هو ادب الضيف فاوجس منهم خيفة
اضمر وهو بدا الاول وكذا قوله فلما راى ايديهم لا تصل اليه قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم
كامل العلم اذا بلغ مبلغ الرجال وهو اسحق فاقبلت امرأته لما سمعت حديث الغلام
في صرة في صيحة من صرير القلم والباب فصكت وجهها قيل لطمت وجهها على دأب
النساء عند سماع امر غريب وقالت عجوز عقيم ليس من شانها الولادة او انه كيف
تلد بعد سن الياس قالوا كذلك قال ربك ليس هذا من عندنا انه هو الحكيم المتقن
في صنعه العليم بالاشياء واوقاتها فلا استبعاد ولا وجه له قال فما خطبكم ايها المرسلون
اي فما الامر العظيم الذي جئتم بسببه فان الاجتماع وهذه الهيئة ليست الا لذلك قالوا
انا ارسلنا الى قوم مجرمين اراد وا قوم لوط لقوله انا ارسلنا الى قوم لوط لنرسل
عليهم حجارة من طين طبخ حتى تحجر وهو السجيل مسومة معلمة من السومة كتبوا على كل حجر
اسم من يهلك به او علامة انها حجر العذاب او انها ليست من حجر الدنيا عند ربك
بعلمه واذنه فيه تهويل للمسرفين المجاوزين الحد سماهم مجرمين ومسرفين وتارة مجاوزين
تنويها واشعارا باستحقاقهم العذاب فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين امرناهم
بالخروج لقوله فاسر باهلك فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين اي اهل بيت هو وبناته
وفيه دلالة على اتحاد الايمان والاسلام صدقا لا مفهوما لان المعنى اخرجنا من كان فيها
من المؤمنين فلم يكن المخرج الا اهل بيت وفي ايرادهما والاتيان بمن دلالة على استقلال
كل سببا للنجاة الموصوف بهما كائنا من كان اين كان وتركنا فيها اية علامة ما
اسود ومنتن لا ينتفع به بعد ان كانت ارضا ذات اشجار للذين يخافون العذاب الاليم
لان غيرهم لا يتدبر ولا يعتبر وفي موسى عطف على وتركنا فيها اية او على وفي الارض
ايات والاول اولى لقربه ولدخوله فيما يسلي به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في سائر السور

مع ان الثاني لا يستقيم الا على تقدير وجعلنا في موسى كقوله علفتها تبنا وماء باردا
اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين معجز ظاهر ولم يذكر الا في معجزة موسى
ولعل الحكمة فيه انه مشتق من السلاطة وهو القهر المناسب لمن ارسل اليه من فرعون
وقومه فتولى بركنه كناية عن الاعراض كما في بجانبه وثاني عطفه والباء للتعدية
اي بلائه وجنوده لانهم كالركن للشيء جانبه الاقوى وما به قوامه فالباء للمصاحبة
وقال ساحر او مجنون اي ما به من الجن اما تعلق او اصابه دون اختيار فاخذناه
وجنوده فنبذناهم في اليم في البحر وهو مليم آت بما يلام عليه من الاثام الرجل
اي بما يلام عليه قال ومن يخذل اخاه فقد لاما وفي المثل رب لائم وهو مليم
حال من ضمير اخذناه وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم سمي لانه بو على عاد واباد
البخاري نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وسميت عقيما لانها لا تلقح سحابا ولا شجرا
او لانها خربت ديارهم واهلكت اثارهم من قولهم الملك عقيم لانه لا يوم
بعد ما تذر من شيء اتت عليه الا جعلته كالرميم كل بال وتفتت من عظام
ونبات وغير ذلك فهو رميم وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ثلثة ايام
لقوله تمتعوا ثلثة ايام فعتوا عن امر ربهم استكبروا عن امتثاله مرتب على تمام القصة لا على
تمتعوا لقوله فعقروها فقال تمتعوا فاخذتهم الصاعقة النار النازلة من السماء وقرأ
الكسائي الصعقة مقصورة وهي الصوت الذي مع النار لقوله ومنهم من اخذته الصيحة
وهم ينظرون لانها جاءت معاينة بالنهار ولا يقدرون على دفعها فما استطاعوا
من قيام اي قياما من صرعة بل ماتوا جاثين مكانهم ولا يقدرون على دفعه من قام
بالامر اذا كفاه ومنه قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وما كانوا
منتصرين بوجه لا مباشرة ولا معاونة وقوم نوح من قبل قبل هؤلاء المذكورين
عطف على معمول فاخذتهم معنى اي اهلكناهم واهلكنا قوم نوح او على معمول نبذناهم
اي اغرقناهم واغرقنا قوم نوح وفيه لطف ونصب باذكر وقرأ حمزة والكسائي
وابو عمرو بالجر على تقدير الجار اي وفي قوم نوح انهم كانوا قوما فاسقين علة للاهلاك
والسماء بنيناها بايد بقوة مصدر او اشتقة وقوى وانا لموسعون ذو استطاعة وقدرة
على كل شيء فضلا عن بناء السماء من اوسع صار ذا وسع وطاقة وفيه رد لوهم
الجارحة او لموسعون الرزق المطر النازل من السماء او لموسعون ما بين السماء
والارض والارض فرشناها فنعم الماهدون نحن ومن كل شيء خلقنا زوجين
صنفين ليل ونهار ظلام وضياء شمس وقمر بر وبحر موت وحياة سعادة وشقاوة
ارض وسماء وقيل من كل حيوان ذكرا وانثى لعلكم تذكرون بالتدبير فيهما وتعلمون
ان موجدها واحد ليس كمثله شيء وان من قدر على هذا لا يعجز عن الاعادة ففروا
الى الله اي قل لهم يا محمد بعد ما علمتم من كمال قدرته وما حل بمن تقدمكم من الامم

ويوم القيمة عقيم

اعتصموا به والتجأوا اليه اني لكم منه نذير مبين واضح امره ولا تجعلوا مع الله الها
آخر اني لكم منه نذير مبين كرّر لاتصال الاول بالامر والثاني بالنهي وقيل الاول
انذار بترك العمل والثاني بالتوحيد كقوله واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ولا يدل
على عدم نفع المجرد وكذلك الامر مثل ذلك تقرير وتوكيد لما تقدم او فصل خطاب
اي مثل اختلافهم فيك على ان ذلك اشارة الى القول المختلف في الرسول عليه السلام
ثم بينه بقوله ما اتى الذين من قبلهم من قبل هؤلاء من رسول الا قالوا ساحر او مجنون
فاختلفوا فيه اتواصوا به اي اوصى الاولون الآخرين استفهام انكار ولذلك اضرب
عنه بقوله بل هم قوم طاغون اي ليس الجامع التواصي بل الطغيان والعناد فتول
عنهم لان المناظرة لا تجدي مع المكابرة فما انت بملوم بعد الابلاغ وذكر فان
الذكرى تنفع المؤمنين المستعدين للايمان او الراسخين فيه زيادة وتثبتا وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي بحيث يتأتى منهم العبادة بسلامة الاسباب
والدلالة على انها غاية كمالية وراءها غاية الغايات وعدم وصول البعض لعائق لا يقدح
وقيل ليقروا بالعبادة طوعا او كرها ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله
وقيل المراد منهم المؤمنون ويرده ما اريد منهم من رزق لاختلال مفهومه وابعد منه
الا لامرهم بالعبادة وما اريد ان يطعمون كما هو شأن السادات مع العبيد وتقديم
الرزق وتكريره وتأخير الاطعام وتخصيصه به تعالى فيه ترق اي لا اريد منهم تحصيل
الرزق ولا تقديم الحاصل اي كما هو دأب الملوك مع خواص خدمهم ان الله
هو الرزاق حقيقة وغيره اسباب واعادة المظهر لدلالة لفظ الجلالة على الالوهية
المستلزمة لذلك ذو القوة القدرة التامة المتين من المتانة وهي الصلابة
تأكيد بعد تأكيد فان للذين ظلموا رسول الله بالتكذيب ذنوبا مثل ذنوب
اصحابهم الذين تقدموهم في تكذيب الرسل والذنوب دلو ملآن تمثيل لتوفر
حظهم من العذاب فلا يستعجلون بقولهم متى هذا او قولهم اللهم ان كان هذا
هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء فويل للذين كفروا من يومهم
الذي يوعدون من يوم القيمة او يوم بدر فالموصول معهود وتمت سورة الذاريات
والحمد لمن آلاؤه متواليات والصلوة على المؤيد بالبينات سورة
الطور مكية ثمان واربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم والطور
وطور سينين جبل كلم الله موسى عليه وقيل ما طار من عالم الغيب الى عالم الشهادة
من المعارف والاشتقاق لا يساعده وكتاب مسطور مكتوب في رق منشور
الجلد الذي يكتب فيه اي والقرآن او التورية او ما في اللوح او ما في قلب العارف
من المعارف والحكم او صحيفة الاعمال والبيت المعمور بالعبادة هو الذي كان
في الارض بياقوتة حمراء رفع في الطوفان الى السماء السابعة يدخله سبعون الف

ملك كل يوم لا يأتيهم النوبة الى آخر الدهر والسقف المرفوع والبحر المسجور
المملوء او الموقد به كذا فسّره باب العلم كرّم الله وجهه ان عذاب ربك لواقع
لا محالة اقسم عليه بامور متعلقة بالمبدأ والمعاد وكلها دالة على كمال اقتداره
مع اشارة الى ذلك لاقامة العدل لانه يدوّن في الكتاب كما تدوّن
الحقوق ما له من دافع قط او غيره لا يقدر او هو لا يريد يوم تمور السماء مورا
تدور من مار يمور جار وذهب وقيل المور تحرك في تموج وتسير الجبال سيرا مسرعا
تمر مر السحاب فويل يومئذ للمكذبين يوم وقوعه الذين هم في خوض يلعبون
اصله دخول الماء ثم غلب على الشروع في الباطل كالاحضار في العذاب
يوم يدعون الى نار جهنم دعّا يدفعون اليها بعنف يؤخذ بالنواصي والاقدام
ويلقون فيها على وجوههم زخا في اقفائهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون اي
يقال لهم توبيخا وتوفيرا لحظ الاسماع من العذاب افسحر هذا كما انتم تقولون
للوحي ام انتم لا تبصرون ما انتم فيه هذا كما تقول لمن يجادلك في مسئلة بعد ظهورها
فادرت عليه ما لا مجال له لدفعه افتذكر هذا اصلوها فاصبروا او لا تصبروا لا بد من
صلاها سواء عليكم مبتدأ حذف خبره او بالعكس انما تجزون ما كنتم تعملون تعليل
للاستواء فان الجزاء لما كان واجب الوقوع فالصبر وعدمه سيان ان المتقين
في جنات ونعيم اي جنات ونعيم اي نعيم او جنات مخصوصة بهم ممتازة من غيرها
ولذا نكّرت فاكهين ناعمين متلذذين بما آتاهم ربهم بالذي او بالايتاء ووقاهم
ربهم عذاب الجحيم اعاد المظهر الدالة على استقلال كل نعمة عطف على جنات او آتاهم
ويقدر في المعطوف عائد ان كانت ما موصولة او حال باضمار قد من المستكن
في الظرف او من فاعل آتى او مفعوله او منهما كلوا واشربوا يقال لهم هنيئا اكلا
وشربا هنيئا او طعاما وشرابا هو الذي لا غصة فيه او مصدر اي هنأكم هنيئا كقول
كثير هنيئا مريئا غير داء مخامر لعزة من اعراضنا ما استحلت وقيل فاعله بما كنتم تعملون
على ان الباء زائدة وفيه ان زيادتها لا تسمع في غير كفى متكئين على سرر على طريقة
المتنعمين مصفوفة ليقع المواجهة مع الاخوان والاحباب وزوجناهم بحور عين
بيض نجل العيون والذين آمنوا عطف على حور ان فسّر زوجناهم بقرناهم والا
فمبتدأ خبره الحقنا بهم واتبعتهم ذريتهم اعتراض لتعليل الحكم وقرأ ابو عمرو واتبعناهم
وهو ابلغ واوفق بالسابق واللاحق بايمان الحقنا بهم ذريتهم اي بايمان
رفيع المحل وهو ايمان الآباء او بايمان يسير لولا كرامة الآباء لم يكونوا اهلا لتلك
المنزلة فان قلت هذا حال الذرية فما حال الاصول ان قصرت عن رتبة الفروع
قلت هم بذلك اولى لزيادة استحقاق الكرامة وكثرة الحقوق واليه يشير قوله وكم
اب قد علا بابن له شرفا كما علت برسول الله عدنان وقد روى ابو هريرة ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يرفع المؤمن في الجنة درجة يستقصر نفسه دونها
فيقول يا رب اني لي هذا فيقول بدعاء ولدك واستغفاره وقرأ الكوفيون وابن كثير
ذريتهم بالتوحيد لدلالة الكل على الكثرة وما التناهم من عملهم من شيء اي ما نقصنا الآباء
في شيء بل كان ذلك تفضلا واكراما لهم كل امرئ بما كسب رهين مرهون عند الله
العمل ما افترض عليه فان اداه فكه والا اوبقه كقوله كل نفس بما كسبت رهينة الا
اصحاب اليمين فانهم فكوها وامددناهم بفاكهة زدناهم وقتا بعد وقت ولحم مما
يشتهون يستلذون يتنازعون فيها كأسا يتعاطون متجاذبين فيه كما هو دأب
اهل الشرب يتنادمون بكثرة الشرب لا لغو فيها ولا تأثيم لا يتكلمون بسقط الكلام
ولا بما يورث اثما كما يقع امثاله في الدنيا من متعاطي الخمر بل يشكرون الله على ما خولهم
وقرأ ابن كثير وابو عمرو والاسمين بالفتح غير منون ويطوف عليهم غلمان لهم [illegible]
مخصوصون بهم كأنهم لؤلؤ مكنون مصون في الصدف في غاية الصفاء والطراوة
او مخزون محفوظ لكماله وشرفه واقبل بعضهم على بعض يتساءلون عما جرى لهم في الدنيا
كما يفعله السكارى اذا اخذت منهم الخمر قالوا انا كنا قبل في اهلنا مشفقين خائفين
استئناف لبيان تساؤلهم فمن الله علينا بما نحن فيه من اللذة والسرور ووقانا
عذاب السموم النار التي تدخل في المسام انا كنا ندعوه من قبل قبل هذا في الدنيا
انه هو البر الرحيم المتفضل بالنعم قرأ نافع والكسائي بالفتح بتقدير اللام والكسر ابلغ
فذكر قدم على التذكير فان الذكرى تنفع المؤمنين ولا تبال فما انت بنعمة ربك
بحمد الله بكاهن ولا مجنون كما زعم من يحسدك او خالك مباين لحال الكهنة والمجانين
ام يقولون شاعر نتربص به ريب المنون ام منقطعة وتدل على ان هذا هو الراجح
عندهم والمنون الدهر لانه مقطع الاعمار من المن وهو القطع قال الاعشى ا ان
رأت رجلا اعشى اضر به ريب المنون ودهر مفسد خبل او الموت لانه يقطع العلائق
والاسباب قل تربصوا فاني معكم من المتربصين بكم ما تتربصون بي من الدوائر
باب مجاز او الخصم ام تأمرهم احلامهم بهذا عقولهم وكانت سكان مكة بين العرب
تدعى اولي الاحلام لنورهم ولاهل الآفاق عليهم واكتساب الاخلاق والاداب
منهم وفي الكلام تهكم بهم لتناقض كلماتهم ام هم قوم طاغون مجاوزون طور
العقل عنادا ام يقولون تقوله اختلقه بل لا يؤمنون بشيء ولذلك اضطربت قولهم
فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين انه شاعر او كاهن جواب عن كل ما تقدم
او عن التقول فانه اوغل في الانكار لاشتهاره عندهم بالصدق والامانة فلا افتراء منه
ابعد شيء والاول اوجه ام خلقوا من غير شيء احدثوا من غير خالق موجد لهم والا ما لهم
البحث عنه وعن صفاته وافعاله او المعنى ام خلقوا سدى من غير خطاب ولا تكليف
ام هم الخالقون ولذلك عملوا انك شاعر او كاهن او متقول ام خلقوا السموات والارض

او خالقهم

او خالقهم في الكبر والعلو يشبه شأن من يكون هذا فعله كناية عن نهاية عنادهم وتماديهم
في الاستكبار والا لم تصدر عنهم هذه المقالات صريحا لا يوقنون امرا فلذلك في
ريبهم يترددون لا يعقلون على شيء كل يوم في محال ام عندهم خزائن ربك
خزائن رحمته فيختاروا للنبوة من شاؤوا او يعلموا انك متقول لانهم لم يرسلوك
رسولا للناس والاول اوجه لما سيشير الى خزائن العلم في قوله ام عندهم الغيب
ام هم المسيطرون الارباب الغالبون الذين يدبرون امر العالم كيف شاؤوا
يقال سيطر عليه وقرأ ابن كثير وابن عامر في رواية هشام وقبل بالسين على الاصل
وحفص بالوجهين وحمزة في رواية خلف باشمام الصاد وفي رواية خلاد [illegible]
والرسم بالصاد ولما ابطل مقالتهم بالدليل العقلي ولم يبق لهم الا [illegible] والعناد
اشار الى بطلانه على وجه التهكم بقوله ام لهم سلم يصعدون به الى السماء يستمعون
فيه كلام الملائكة وما يوحى اليهم فليأت مستمعهم بسلطان مبين بدليل واضح
على ذلك او مثل هذا الامر العظيم لا يثبت الا بمثل ذلك ام له البنات ولكم
البنون ومن يكن هذا حاله في الجهالة حتى جعل لرب الارباب ما لا يرضاه لنفسه
لا يبعد منه تلك الخرافات وكانه قال له ناهيك بذلك تشنيعا ولما لم يكن مقالة
اشنع منها ولا محال اجلى منه التفت اليهم في مقام السخط مكافحا بها ضاربا في وجوههم
المسودة ام تسألهم اجرا فهم من مغرم مثقلون فلذلك زهدوا فيك واعرضوا
المغرم التزام ما لا يلزم وفيه تقرير بحمدهم لان من برئت ساحته عن لوث الطمع
فلا وجه لاتهامه ام عندهم الغيب خزائن علمه تعالى فهم يكتبون منه ما شاؤوا
من غير مانع فاستدلوا بذلك على عدم نبوتك ولما كان العلم اشمل مورد اخره
جريا على سنن الترقي ثم اضرب عن الانكار الى الاخبار عن حالهم بقوله ام يريدون
كيدا اي بك حين يحملون الرأي في دار الندوة فالذين كفروا اي هم هم المكيدون
المصابون بوبال كيدهم ويحتمل الموصول العموم ثم حقق ذلك بقوله ام لهم اله
غير الله ينجيهم من عذابه سبحان الله عما يشركون به او عن اشراكهم وان يروا
كسفا من السماء ساقطا جواب لقولهم اسقط علينا كسفا من السماء [illegible] على
[illegible] يقولوا سحاب مركوم تراكم بعضه فوق بعض وليس ما شأنه لفرط
عنادهم فذرهم اذ لا مناظرة مع المكابرة حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون
يموتون فيعرفون ما اعد لهم وقرأ ابن عامر وعاصم يصعقون على بناء المفعول امن
الصعقة او صعقه يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا من الاغناء بدل من يومهم ولا هم
ينصرون من عذاب الله بوجه آخر وان للذين ظلموا بالتكذيب عذابا دون ذلك
قبل عذاب القيمة بالقحط والقتل والاسر ولكن اكثرهم لا يعلمون وقيد الاكثر
لان بعضهم كان يعلم ذلك واختار الكفر على العناد واصبر لحكم ربك [illegible]

وعد ركاين فانك باعيننا جمع العين مبالغة في العناية بكلائه فان الكلام على
التمثيل لا ترى كيف افرد في قوله ولتصنع على عيني في قصة موسى ليمتاز بذلك
مقام الحبيب عن مقام الكليم وسبح بحمد ربك حين تقوم اي من اي مكان
تقوم منه او من منامك فان النوم شاغل ومفاتك وعلو شانك يقتضي
استيعاب الازمان بذكره او للصلوة ومن الليل فسبحه في بعضه فان العبادة
فيها اشق واحل وابعد عن الريا واقرب الى القبول وادبار النجوم بعد
طلوع الفجر فانه وقت شريف ان قران الفجر كان مشهودا واتفق السبعة
على كسر الهمزة تمت سورة الطور والحمد لله على فضله المعفور والصلوة على رسوله
واله وصحبه سورة النجم مكية احدى وستون اية واثنتان وستون الى يوم النشور
بسم الله الرحمن الرحيم والنجم اذا هوى اقسم بالثريا فانه ابدع الكواكب صنعا
والنجم علم غالب له عند العرب وفي امثالهم اذا طلع النجم عشاء ابتغى الراعي
كساء وقيل جنس النجوم لانها زينة السماء ورجوم الشياطين وهوى من الهوى
بفتح الهاء وهو السقوط او بضمها وهو الطلوع لانه ادل على كمال الاقتدار كقوله
والليل اذا عسعس او نجم القران لانه نزل منجما وهذا اوفق لوجود نظايره ووصف
بقوله ما ضل صاحبكم وما غوى الضلال ضد الاهتداء والغواية ضد الرشد وهما
جواب القسم اي ليس هو كما تزعمون ضالا غاويا في ترك دين ابائه وفي لفظ
الصاحب والاضافة توبيخ لهم حيث عرفوا امانته وصدق لهجته ثم نسبوه الى الضلال
وما ينطق عن الهوى في امر الدين والدعوة اليه وفي الاتيان به مضارعا بعد قوله
ما ضل وما غوى اشارة الى انه اذا لم يكن له سابقة ضلال قبل النبوة فبعدها ابعد
ان هو الا وحي يوحى استدل به من منع اجتهاده وليس بتام لانه اذا قال له
تعالى تقدس ما ظننت فهو حكمي يكون اجتهاده وحيا لا بالوحي وغيره وليس كذلك
علمه شديد القوى جبرائيل والاضافة لفظية اي قواه الجسمانية من البطش والسمع
والبصر ذو مرة عقل كامل وراي وافراتي به في اسلوب الترقي فاستوى
على صورته الحقيقية وهو بالافق الاعلى مطلع الشمس وانما ظهر له في تلك الصورة ليتحقق
انه ذلك اذا تاه في غير تلك الصورة ثم دنى فتدلى قرب من محمد فتعلق به
فكان قاب قوسين او ادنى اي كان البعد بينهما مسافة قوسين او اقرب
في مراكم لو رايتم القاب والقيب كالقاد والقيد هو المقدار وقيل القاب ما بين
المقبض الى السية فلكل قوس قابان او ادنى على تقديركم كقوله او يزيدون وهذه
الروية كانت بعد مجيئه بحراء اول ما بعث لما فتر الوحي على ما روي انه لما اشتد
الكرب من تكذيب قريش حتى قالوا حجر شيطانه قال فاردت ان القي نفسي من شاهق فلما
خرجت فاذا هو جالس على كرسي بين السماء والارض وقال لا تفعل فانك رسول الله

حقا فرعبت منه فرجعت الى اهلي فقلت دثروني فنزلت يا ايها المدثر قم فانذر
فهذا معنى الدنو والتدلي والقرب لانه تمثيل لعروج به فاوحى الى عبده
الوحي هو جبرائيل وضمير عبده لله لا لبس فيه والقول بان الضماير لله فالدنو
والتدلي على التاويل خلاف الظاهر بعيد عن السياق ما اوحى لم يات
بالضمير تفخيما لشان المنزل وانه مما يجل عن الوصف الى يتوهم التشابه بالشعر
والكهانة وكما فخم شان المنزل كذلك شان المنزل اليه بايثار لفظ العبد
المضاف اليه تعالى اشارة الى انه العبد الحقيقي الكامل الذي لا يذهب الوهم
منه وايماء الى انه حقيق بالخلوة والاصطفاء ما كذب الفؤاد ما راى اي ما راه
من صورة جبرائيل اي لم يكن قلبه منكرا له اذ اراه مرة اخرى في غير صورته
وقيل ما راه من جلال الله تعالى لما روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم راى ربه بفؤاده مرتين والحق ان ذلك
ليس تفسيرا للاية وان صح افتمارونه على ما يرى تجادلونه من المراء اصله مري
الحال مريت الناقة اذا جذبت ضرعها لتدر وقرا حمزة والكسائي افتمرونه
على المغالبة من ماريته فمريته ولقد راه نزلة اخرى فعلة من النزول اي مرة
اخرى ولذلك نصبت على الظرف عند سدرة المنتهى ليلة الاسراء وهي
شجرة النبق كل نبقة كقلة من قلال هجر واوراقها كاذان الفيلة وقد غشيها من
الانوار ما لا يقدر على نعتها الا الله وسميت بالمنتهى لانتهاء علم الخلايق اليها
وهي في السماء السابعة كذلك رواه البخاري عندها جنة الماوى الجنة التي
تاوي اليها ارواح الشهداء او المتقون اذ يغشى السدرة ما يغشى من الانوار
والالوان ما يجل عن الوصف وقيل ملائكة كالغربان حل على كل ورق ملك
يسبح ما زاغ البصر ما مال عن سنن الاستقامة وما طغى وما تجاوز عن المرئي
لما قرر ان الفؤاد لم يكذب ما راى ازال شبهة من يتوهم ان الة الادراك
قد تخطى في الادراك كما بين في موضعه او ما مال البصر لا تجاوز عن مطلبه وهو الحق
تعالى وهذا مقام مخصوص لم يتيسر لفرد من البشر ولقد راى من ايات ربه
الكبرى استيناف لوكد ما تقرر اي قد راى من عجايب الملكوت ما لا يكن
وصفه فضلا عن روية جبرائيل ويجوز ان يكون الكبرى مفعول الروية اي راى
كبرا من ربه يتمسك من اثبت الروية اذ لا اكبر منها اية افرايتم اللات
والعزى ومناة الثالثة الاخرى هذه اصنام كان اهل الجاهلية يعبدونها
اللات كان بالطايف يعبده ثقيف والعزى سمرة بنخلة يعبده غطفان
ومناة صنم كان على الساحل يعبده هذيل وخزاعة وقد همزه ابن كثير جعله
مفعلة من النوء لانهم كانوا يستمطرون عنده بالانواء ومن لم يهمزها اخذها من

منى اراق فانهم كانوا يريقون دماء النسائك عليها والعزى تأنيث الاعز
قطعها خالد بن الوليد فخرج منها شيطانة ناشرة شعرها تدعو بالويل فضربها خالد
بالسيف وقال كفرانك يا عزى لا سبحانك فاخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد بعد اليوم ابدا واللات اسم رجل كان
يلت لها السويق وعن مجاهد اسم رجل كان يلت السمن ويطعمه فلما مات
اتخذوا قبره وثنا والمعنى ابعد هذه البيانات تستمرون على الضلال فترون هذه
الاصنام آلهة تستحق العبادة وتجعلونها شركاء الله الاخرى صفة ذم اي الوضيعة
فانهم كانوا يرون التقدم للات والعزى الكم الذكر وله الانثى وانتم تستقلون
الاناث ولا ترضونها تانفون منها عارا فكيف تجوزون ان يكون اولادا له
وشركاء في الالوهية واذا كان شأنكم في الجاهلية والضلال هذا فكيف تضللون
من يدعو الى التوحيد والى عبادة من له الخلق والامر تلك اذا قسمة ضيزى جائرة
من ضازه يضيزه اذا ظلمه اصله ضوزى لان فعلى صفة لم يثبت على ما ذكره سيبويه
الا مع التاء كعزهات فكسر الفاء ليسلم الياء كما فعل ببيض وقرأ ابن كثير بالهمز
من ضأزه اذا ظلمه ان هي اي الاصنام الا اسماء سميتموها اي لا حقيقة لها باعتبار
الالوهية انتم وآباؤكم ما انزل الله بها من سلطان برهان يدل على جواز
اطلاق اسم الاله عليها وفيه تهكم بهم بان العقل لا يجيز اطلاق الاله على الجماد
لو فرض ذلك لم يكن الا تعبدا محضا من الله ان يتبعون الا الظن يقلدون
آباءهم ولا اعتبار للظن في العقائد ولا التقليد وما تهوى الانفس انفسهم
ولقد جاءهم من ربهم الهدى الرسول والكتاب الذي هو مناط الايقان ام
للانسان ما تمنى ام منقطعة ومعنى همزتها الانكار اي ليس للانسان ما يتمناه
حاصلا له وهو طمع هولاء في شفاعة تلك الجمادات او ما كانوا يقولون لئن كان
هناك بعث نحن احسن حالا من محمد واصحابه كقوله ولئن رجعت الى ربي ان لي
عنده للحسنى ولولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم او هو قول عاص
بن وائل لاوتين مالا وولدا فلله الآخرة والاولى يعطي ما يشاء لمن يشاء وليس
لاحد فيهما شركة وقدم الآخرة لان الكلام فيها وكم من ملك في السموات لا تغني
شفاعتهم شيئا اي شيء مع جلالتهم وقربهم عند الله تستشفع هذه الجمادات التي هي
اخس الكائنات والمراد اشراف الملائكة ليدل بالاولوية على انتفائها من غيرهم
ولذلك نكر الملك وجمعهم في السموات الا من بعد ان ياذن الله لمن يشاء
اي يشفع ويشفع له ويرضى بتلك الشفاعة اي يكون مقبولا لان الاذن في
الشفاعة لا يستلزم القبول ان الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية
الانثى حيث قالوا هم بنات الله قالوا تزوج سروات الجن فولدت له الملائكة

بالآخرة

بالآخرة اشارة الى فرط جهلهم بانهم يعتقدون ان الانسان يترك سدى ومن
كان هذا شانه لا يبعد منه تلك المقالة وما لهم به من علم اي بما يقولون ان يتبعون
الا الظن لما سمعوه من آبائهم وان الظن لا يغني من الحق الذي لا يمكن تبدله
باختلاف الشرايع وتبدل الاعصار وهي المسائل الاصلية والمباحث الالهية
شيئا او شيء فاعرض عن من تولى عن ذكرنا اعرض عنه ولم يتأمله والمراد
به القرآن في اضافته الى نفسه اشارة الى انه كان حقيقا بالاقبال ولم يرد الا الحيوة
الدنيا الا هذا الخسيس لان ذلك كان لعائق آخر ذلك مبلغهم من العلم
اعتراض يؤكد الامر بالاعراض لان السعي في الارشاد انما يجدي لمن له قابلية
الترقي ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بمن اهتدى يعلم من
يجيب ومن لا يجيب وقد علم ان هولاء اهل الطبع وفي اعادة العلم تأكيد مبالغة ودلالة
على كمال تمايز الحزبين عنده ولله ما في السموات وما في الارض خلقا وملكا نفى به توهم
الاهمال وتركهم سدى من قوله فاعرض ولذلك عقبه بقوله ليجزي الذين اساؤا بما عملوا
بجزاء اعمالهم ويجزي الذين احسنوا بالحسنى غير النظم للدلالة على ان جزاءهم ليس على
قدر اعمالهم ويجوز ان يتعلق ليجزي بقوله ان ربك هو اعلم وقوله ولله ما في السموات
اعتراض يؤكد حديث الجزاء بانهم تحت ملكه الذين يجتنبون كبائر الاثم بدل من
الذين احسنوا او صفة او نصب او رفع على المدح اي الكبائر من الاثم فانه جنس الذنوب
والكبيرة ما توعد عليه الشارع بخصوصه كالقتل والزنى او كان قبحه ازيد منه او مساويا
وقرأ حمزة والكسائي بالافراد على ارادة الجنس والفواحش ما زاد قبحه من الكبائر
من عطف الخاص على العام الا اللمم ما قل قبحه فانه مغفور عنه اذا اجتنب الكبائر وهو
ما دون الكبيرة كمقدمات الزنى والسرقة والقتل قبل الوقوع واصل التركيب يدل
على القلة ومنه اللمة لشعر جاوز الاذن والمام الضيف قال لقاء اخلاء الصفاء لمام
وهو استثناء منقطع او صفة كانه قيل كبائر الاثم غير اللمم لان المضاف الى المعرف
الجنس في حكم النكرة ان ربك واسع المغفرة حيث يتجاوز عن الصغائر التي قل
ان يخلو عنه الانسان واليه اشار صلى الله عليه وسلم ان تغفر اللهم تغفر جما واي
عبد لك ما الما هو اعلم بكم منكم اذ انشأكم من الارض لما خلق اباكم آدم واخرجكم
من ظهره ذرية واذ انتم اجنة في بطون امهاتكم فعلمكم الآن وما يصدر منكم اجلى
واظهر فان قلت اراد ان علمه لا يتفاوت بجلاء المعلوم وخفائه كما هو شان العلم
الحادث فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى فان محل التقوى هو القلب والوقوف
على احواله واسراره ينقطع دونه القوى والمنهي تزكية النفس تمدحا لا شكرا او ترغيبا
للغير ويجوز ان يراد مدح المؤمن اخاه لما روى ابو بكرة ان رجلا مدح رجلا عند رسول الله
فقال قطعت عنق صاحبك فاذا كان احدكم مادحا اخاه فليقل احسبه كذا ولا ازكي على الله

اعدا افرايت الذى تولى اى اعرض عن اتباع الحق والثبات عليه ... ان الله هو اعلم بحال الانسان منه بنفسه
فيخبر عن حال من اراد فى سلوك سبيل الاخرة والوصول الى الله استقلالا لا يحب منه
واعطى قليلا واكدى وامسك بعد وعن الخبر الكفار بذلك القليل اصله اكداء الحافر
وهو ان يلقاه كدية اى صخرة فيمسك عن الحفر والاية نزلت فى الوليد بن المغيرة اراد
ان يتبع رسول الله فعيره بعض المشركين وقال تترك دين الاشياخ فقال انى اخاف
عذاب الله فقال اعطنى بعض مالك وانا احمل عنك العذاب ففعل معتقدا ذلك
وقد نزلها فى عثمان وتفسير التولى بالفرار يوم احد باطل لان السورة من اول ما نزل بمكة
اعنده علم الغيب ما فيه العلم بالمغيبات وهو اللوح فهو يرى يشاهد ما فيه فلذلك
اكتفى به واستغنى عن اتباع الرسول ام لم ينبأ بما فى صحف موسى وابرهيم الذى وفى
الا تزر وازرة وزر اخرى والمعنى ان هذا شرع قديم ليس من خواص ما جاء به محمد
فهلا استغنى فى ذلك علماء اهل الكتاب ليخبره وبجلية الحال وتقديم موسى لكون كتابه
اشهر والاطلاع على ما فيه اكثر والا ينافيه قوله ان هذا لفى الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى
لان العرض هناك تقرير كون الاخرة خيرا وابقى وذلك مما سطر فى صحف ابرهيم فقط
عن التورية الذى هو اعلى واجل ولما تاخر ذكره زاد وصفا وهو التوفية المبالغة
فى الوفاء واطلقه ليتناول كل وفاء من تبليغ الرسالة والقيام بسائر المكارم من
ذبح الولد والصبر على نار نمرود وقيل كان عاهد الله ان لا يسال غيره فلما القى الى النار
لقيه جبرائيل فقال له هل من حاجة يا خليل الله فقال اما اليك فلا فقال سل ربك قال
علمه بحالى يغنيني عن سؤالى وروى الترمذى عن ابى ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الا اخبركم لم سمى الله ابرهيم الذى وفى كان اذا اصبح يقول كل يوم سبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون الى اخر الاية وليس معنى الحديث انه بمجرد هذا الذكر بلغ
تلك المرتبة بل اشارة الى انه كان يحافظ على محاسن الاعمال وان ليس للانسان
الا ما سعى الا سعيه اى كما لا يؤاخذ احد بذنب غيره وكذلك لا يصل اليه ثواب عمله وما قيل
الى المؤمن من ثواب دعاء المؤمنين واستغفار الملائكة والصدقة له هو ايضا من سعيه
لانه اعم من المباشرة والتسبب واليه يشير قوله صلى الله عليه وسلم من دعا الى هدى
فله اجر فاعله وان سعيه سوف يرى يوم القيمة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ثم يجزيه
يجزى العبد سعيه اى على سعيه نصب على نزع الخافض الجزاء الاوفى من استحقاقه
ولذلك يرى عمله الحقير نصب على المصدر ويجوز ان يكون البارز المنصوب ضمير الجزاء
المدلول عليه والجزاء الاوفى بدل منه وان الى ربك المنتهى انتهاء الخلائق كلهم وهذا
وما بعده ايضا من جملة ما فى الصحف وانه هو اضحك وابكى اى خلق الضحك والبكاء او اسبابهما
وانه هو امات واحيى خلق الموت والحياة وفيه مراعاة التطبيق مع اللف النشر وانه
خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى تدفق يقال منى وامنى او يقدر من منى

المانى اى قدر واكد فى الاولين بضمير الفصل لئلا يتوهم المغير لا يرى الى قول من حاج
ابرهيم انا احيى واميت وقولهم اضحكنى الدهر ودون هذه اذ لا مجال لذلك التوهم
وان عليه النشاة الاخرى وفاء به بوعده وقرا ابو عمرو وابن كثير بالمد كلاهما مصدر
نشاه وانه هو اغنى بالمال واقنى اى اعطاه ما يقتنيه زيادة على قدر حاجته من القنية
وهى المال المحفوظ لا للتجارة او ارضاه من القنا وهو الرضا وعن ابى زيد تقول العرب
من اعطى مائة من المعز فقد اعطى القنا ومن اعطى مائة من الضان فقد اعطى الغنا
ومن اعطى مائة من الابل فقد اعطى المنا وعن ابى عبيدة اقنى واله اعطاه ما يقتنى
من المال والنشب وانه هو رب الشعرى كوكب معروف يتبع الجوزاء وهو كوكب
وقاد يقال له مرزم الجوزاء كانت الخزاعة تعبده واول من عبدها ابو كبشة احد اجداد رسول الله
صلى الله عليه وسلم من جهة امه يسمى ابا كبشة ولهذا لما ادعى رسول الله النبوة وفارق
دين آبائه سموه ابن ابى كبشة كما جاء فى حديث هرقل من قول ابى سفيان وفيه اشارة
الى رد قولهم الباطل فانه وان وافق جده فى مخالفة دينهم فقد خالفه ايضا فى عبادتها
وانه اهلك عادا الاولى والكلام فى تاكيد الاولين بضمير الفصل وتركه فى الاخير كما تقدم فقال
وعادا الاولى قوم هود والثانية ارم وقيل الاولى القدماء لانهم اولى الامم هلاكا بعد
قوم نوح او المتقدمون الاشراف وثمود اعطف على عادا لان ما بعده ما النافية لا يعمل
فيما قبلها فما ابقى اى من الفريقين احدا كقوله فهل ترى لهم من باقية وقرا عاصم وحمزة
وثمود بغير تنوين والوقف بالالف لمن قراه بالتنوين وقوم نوح من قبل من قبل
عاد وثمود ونصب بانتصابه انهم كانوا هم اظلم واطغى من الفريقين لانهم وان لم يؤمنوا
بنبيهم فلم يؤذوه كما آذى قوم نوح نوحا اذ قد تواتر انهم كانوا يضربونه ويقرعونه حتى
يغشى عليه فاذا افاق قال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون والمؤتفكة قرى قوم
لوط ائتفكت انقلبت قلبها عليهم جبرائيل جعل عاليها سافلها اهوى اسقطها بعد ان
رفعها الاسناد الى الله لانه الآمر فغشيها ما غشى فباى آلاء ربك تتمارى المذكورات
بعضها وان كانت نقما لا قوام فهى نعم للانبياء واتباعهم قال ابو الطيب بذا حكم الايام
ما بين اهلها مصائب قوم عند قوم فوائد تتمارى تتشكك الخطاب لرسول الله صلى الله
عليه وسلم الهابا وتهييجا وتعريضا بالغير او للانسان على الاطلاق وهذا او فوق هذا
نذير من النذر الاولى اى هذا القرآن من الانذارات الاولى اى من جنس الكتب المنزلة
فذلكة لما عدد من الآى والاحكام التى اشتمل عليها الصحف او لما افتتح به السورة او الرسول
قل ما كنت بدعا من الرسل ازفت الازفة قربت القريبة وهى الساعة المخبر عن قربها
فى قوله اقتربت الساعة واقترب للناس حسابهم ليس لها من دون الله كاشفة
لا يعلمها غيره كقوله لا يجليها لوقتها الا هو او ليس نفس يقدر على كشفها اذا وقعت الا هو
لكنه لا يكشفها او ليس احد يقدر على كشفها الان بالتاخير ولو وقعت ويجوز ان يكون كاشفة

مصدر كالعافية افمن هذا الحديث تعجبون اي من القران وتضحكون استهزاء
ولا تبكون وكان الواجب عليكم ذلك كما يفعله الموقنون يخرون للاذقان يبكون
وانتم سامدون مستكبرون من سمد رفع راسه تكبرا او لاهون من سمد البعير في سيره
فاسجدوا لله واعبدوا بعد هذا البيان والترتيب اعبدوه ولا تعبدوا غيره
تمت النجم والحمد لكاشف الغم والصلوة على من فضله اعم سورة القمر مكية
وهي خمس وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم اقتربت الساعة اي قد قرب
قيام الساعة وانشق القمر وانشقاقه من آياتها روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود
رضي الله عنه ان اهل مكة سألوا رسول الله ان يريهم آية فاراهم القمر شقتين حتى رأوا
الحراء بينهما وان يروا آية اهل مكة وان لم يسبق لهم ذكر للعلم بهم كقوله توارت عليها
الظلام رواق يعرضوا ويقولوا سحر مستمر دائم اي ليس هذا وحده من سحر محمد بل كم له
من هذا يريدون ما سبقه من المعجزات او محكم من استمر مريره او مر غاية لا تقدر على
اساغته من استمر الشيء توبيت مرارته او مار لا يبقى له يسلون بذلك انفسهم ويمنونها
وكذبوا واصروا على التكذيب ودفع الحق واتبعوا اهواءهم ما سولت لهم انفسهم
وكل امر مستقر اي كل امر له نهاية يثبت فيه كلام مستقل جار مجرى المثل كقوله لكل شيء له
آخر والصبر نعم الناصر اي كل امر منتهي اما الى الساعة او الى الشقاوة او كل من امره
وامرهم مستقر على حال من خذلان او نصر وقرأ ابو جعفر مستقر بالجر عطفا على الساعة
اي اقتربت كل امر مستقر على ان انشق القمر حال بتقدير قد وان يروا آية اعتراض
وفي قراءة زيادة تسلية وتهويل ولقد جاءهم من الانباء في القران مما نزل بامثالهم
ما فيه مزدجر ازدجار افتعال من الزجر قلبت تاؤه دالا لتناسب الدال والزاء حكمة بالغة
غايتها في الاحكام بدل من ما او خبر مبتدا محذوف فما تغني النذر بعد ما نفي او
استفهام انكار اي اي غناء تغني النذر بعد وصول الامر الى الغاية فتول عنهم اعرض
يوم يدع الداع اسرافيل نصب بيخرجون او باذكر اثبت ياء الداع البزي عن
ابن كثير في الحالين وابو عمرو وورش وصلا الى شيء نكر منكر تنكره النفوس لفظاعته
قرأ ابن كثير بضم الكاف خشعا ابصارهم كناية عن الذل لان العز والذل تظهر آثارهما
في العيون واسنادا وجمع الى الظهر فاش فصيح وقرأ ابو عمرو وحمزة والكسائي خاشعا
وهو المختار ولم يؤنث لعدم التفاصل وانتصابه على الحال من فاعل يخرجون
من الاجداث وقرئ خشع بالرفع على الخبرية فيكون الجملة حالا كانهم جراد منتشر
في الكثرة والتفرق مهطعين الى الداع مسرعين مادين اعناقهم اثبت ابن
كثير ياء الداع في الحالين ونافع وابو عمرو في الوصل يقول الكافرون هذا يوم عسر
نبات كذبت قبلهم قوم نوح تسلية وترتيب فكذبوا عبدنا تفصيل لما اجمل وكذبوه
تكذيبا اثر تكذيب كلما مضى قرن تبعه آخر او كذبوا الرسل رأسا فكذبوه لانه من

جملتهم

جملتهم وقالوا مجنون اصابه الجنون وازدجر زجر وشتما وضربا عطف على قالوا او اوثر
بناء المفعول تطهيرا الالسنة عن ذكرهم ودلالة على ان فعلهم اسوأ من قولهم وللتوافق
الفواصل او هو من قولهم انه مجنون وقد ازدجرته الجن والاول اوجه واوفق لقوله
فدعا ربه اني مغلوب بعد ما يئس وجرب الاولاد والاحفاد فانتصر انتقم
ففتحنا ابواب السماء اي بعد الامر باتخاذ السفينة والفراغ منها وركوبه ومن معه
بماء منهمر منصب بكثرة وتتابع مطاوع همر قيل لم ينقطع اربعين يوما وفجرنا الارض
عيونا جعلنا الارض كلها كانها عيون اصله فجرنا عيون الارض عدل الى المنزل
مبالغة فالتقى الماء على امر قد قدر اي ماء الارض وماء السماء فالتقيا على مقدار
سوا بسواء او على امر قدر في اللوح من هلاك قوم نوح او على امر قدره الله تعالى
واقتضته حكمته وحملناه على ذات الواح ودسر اي السفينة عبر بالوصف عن الموصوف
كناية كقولهم في الانسان حي مستقيم القامة عريض الاظفار وفيه فخامة ليس في
الاصل واشارة الى كمال الاقتدار ببعد حال الخشب والحديد عن دفع ذلك الطوفان
العظيم والدسر جمع دسار وهي المسمار من الدسر وهو الدفع تجري باعيننا محفوظة
بكلائتنا جزاء لمن كان كفر علة للفتح وما بعده والذي كفر نوح لان كل نبي نعمة من الله
او على حذف الجار وايصال الفعل اي كفر به ولقد تركناها آية اي الفعلة او السفينة
تواتر خبرها في اقطار الارض في الاعصار كلها الى آخر الدهر فهل من مدكر معتبر يتعظ بها
فكيف كان عذابي ونذر وانذاري جمع نذر بمعناه استفهام تعجيب وتهويل ولقد يسرنا
القران للذكر للاتعاظ لاشتماله على انباء الاولين والآخرين وبيان ما اصاب من
كذب الرسل واستهلاكه للسلامة او لانه عربي مبين يتلوه اهل كل لسان او حفظه دون
سائر الكتب او بان انزلناه على سبعة احرف بحسب لغة القبائل تيسيرا على العرب
وازاحة لعذرهم والاول اوفق بالمقام ولذلك اعاده مرارا فهل من مدكر متعظ
كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر وانذاراتي لهم قبل نزول العذاب وبعده ولمن بعدهم
انا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا باردة من الصر بكسر الصاد او شديدة الصوت من الصرير في يوم
نحس شؤم مستمر شؤمه او اليوم على ارادة الحين لانه كان سبع ليال وثمانية ايام او على
اشخاصهم لم يدع صغيرا ولا كبيرا او شديد مرارته تنزع الناس تقلعهم بان شؤمه
كانهم اعجاز نخل منقعر اصول نخل منقلع من مغارسها وتذكير الصفة باعتبار لفظ النخل
وتأنيثه في قوله اعجاز نخل خاوية باعتبار المعنى روي انهم كانوا يصطفون آخذا كل واحد
بيد الآخر فيدخلون في الشعاب ويحفرون فتقرعهم وتدق رقابهم وقيل تقلع رؤسهم
وتبقى الجثث ساقطة على الارض فكيف كان عذابي ونذر كرره للتهويل او الاول لما
حاق بهم في الدنيا والثاني لما يحيط به في الآخرة لقوله في شأنهم لنذيقهم عذاب الخزي
في الحيوة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر كذبت ثمود بالنذر

بالانذارات او بالايات او بالرسل فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انكروا ان يكون
الرسول بشرا لا سيما وهو ليس من طائفة اخرى ليكون له مزية موصوفا بالوحدة والانفراد
فكيف يتبعه الجم الغفير ونصب بشرا بمضمر على شريطة التفسير وفي مثله يختار النصب لمكان
الاستفهام انا اذا لفي ضلال وسعر وجنون يقال ناقة مسعورة اي مجنونة او عكسوا
عليه لما دعاهم الى التوحيد لئلا يقعوا في سعر قالوا ان اتبعناه وقعنا فيها
على ان السعر جمع سعير ءالقي الذكر عليه من بيننا وفينا من هو اكثر اموالا واسبابا
كقول قريش لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم بل هو كذاب
شديد الكذب حتى اخترع هذا الكتاب البديع اشر بطر حمله عليه بطره سيعلمون
غدا من الكذاب الاشر اي يوم القيمة فان الدنيا والاخرة يومان وقرا ابن عامر
وحمزة بالتاء على حكاية قوم صالح او التفات من الله تعالى اليهم كانهم حضور شعر
عليهم جنايتهم ثم حكاه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودلالة على انهم كانوا احقاء بذلك الوعيد
انا مرسلوا الناقة فتنة لهم امتحانا وذلك بعد ان سالوها فارتقبهم فانتظرهم مراقبا
احوالهم مع الناقة واصطبر على اذاهم ونبئهم ان الماء قسمة بينهم ذو قسمة لهم شرب
يوم ولها شرب يوم معلوم وفي الضمير تغليب العقلاء كل شرب محتضر يحضره صاحبه
خاصة فنادوا صاحبهم قدار بن سالف اشقى الناس نطق به القران وقال رسول الله
اشقى الناس رجلان عاقر الناقة وقاتل علي فتعاطى اجترأ على تعاطي الامر العظيم
من باب يعطي ويمنع او تعاطى قتل الناقة او السيف والتعاطي تناول الشي بتكلف
فعقر اي الناقة فكيف كان عذابي ونذر انا ارسلنا عليهم صيحة واحدة صاح بهم
جبرئيل فكانوا كهشيم المحتظر كالشجر المتكسر اليابس الذي مر عليه زمان طويل المحتظر
من يعمل الحظيرة لماشيته او هو الحشيش الذي يجمعه لعلفها به في الشتاء ولقد يسرنا القران
للذكر فهل من مدكر لم يعد حديث الانذار كما اعاده في قصة هود اكتفاء به وكذا لم يعده
في قوم لوط لانهم بذلك اولى او هم اظلم واطغى وترك راسا في قصة لوط لتكرره مرارا وترك
ذكر التيسير والادكار في آل فرعون لانها اخر القصص فاختصر ليدل الاختصار على الاقتصار
فهذا من اسرار التنزيل لله دره كذبت قوم لوط بالنذر انا ارسلنا عليهم حاصبا ريحا
تحصبهم اي ترميهم بالحجارة وقد جمع الله عليهم انواعا من العذاب قلب الارض وامطار
الحجارة عليهم والرمي بالحصباء الا آل لوط نجيناهم بسحر هو قبيل الصبح صرف لانه لم يرد به
معين والا لعلم وعدل وقد يطلق على ما بعد انصداع الفجر فيقيد الاول بالاعلى ومنه حديث
عائشة رضي الله عنها ما الفاه السحر الاعلى عندي الا نائما وذلك ليكون في صلوة الصبح
على نشاط بخلاف ما اذا وصل بين التهجد وبينها نعمة من عندنا انعاما عليه تفضلا
كذلك نجزي من شكر بالايمان والطاعة كما نجينا من كان ولقد انذرهم بطشتنا اخذتنا
بالعذاب فتماروا بالنذر كذبوا بها متشاكين ولقد راودوه عن ضيفه جبرئيل ومن معه

من

من الملائكة فطمسنا اعينهم مسحناها بحيث لم يبق لها اثر بل بقيت كساير اجزاء الوجه
طمسها جبرئيل لما دخلوا بيت لوط بقيوا اي ترددوا في الازقة لا يهتدون الى منازلهم
وشرعوا يتهددون لوطا ان اصحابنا لنفعلن بك كذا وكذا فكانوا وقت الصبح في معظم
اخره فذوقوا عذابي ونذر على تقدير القول من الملائكة ولقد صبحهم بكرة اول طلوع الفجر
عذاب مستقر بهم لا يفارقهم حتى يسلمهم الى النار فذوقوا عذابي ونذر الاول قيل لهم
عند الطمس وهذا عند قلب الارض ولقد يسرنا القران للذكر فهل من مدكر اعاد في كل
قصة تجديدا للايقاظ وحثا على الاتعاظ لئلا يستولي عليهم الغفلة وهكذا شان كل تكرير
في القران ولقد جاء آل فرعون النذر الانذارات واكتفى بالآل للعلم بانه اشد منهم
كذبوا باياتنا كلها مع كثرتها وهي الايات التسع ثم يعطفه بالفاء اكتفاء بالاتصال معنى
واشارة اي اشد كفرهم كان تكذيبهم كان مع مجي تلك الايات فاخذناهم اخذ عزيز
مقتدر بان طبق البحر على ذلك الجيش الكثيف في لمحة طرف كان لم يكونوا اكفاركم
يا اهل مكة خير من اولئكم المهلكين زينة واموالا وقوة واسبابا او الين شكيمة وعنادا
اي ليس الامر كذلك بل هؤلاء اقل اسبابا واكثر كفرا وعنادا ام لكم براءة في الزبر بان
لا عذاب عليكم الزبر الكتب السماوية جمع زبور من زبره كتبه ام يقولون نحن جميع منتصر
افرد الضمير باعتبار لفظ الجميع وعدل عن الخطاب كانه يحكي جهلهم لغيرهم كما يقول لمن
بعد استيفاء عتاب عبده او به جنون سيهزم الجمع ويولون الدبر الادبار افرده
لارادة الجنس او باعتبار كل واحد روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوم بدر من القبة يثب في درعه وهو يتلو سيهزم الجمع
ويولون الدبر وعن عكرمة ان عمر قال كنت اقول اي جمع سيهزم فلما رايت رسول الله
يوم بدر يثب في الدرع وهو يتلوها عرفت تاويلها بل الساعة موعدهم والساعة
ادهى وامر من القتل والاسر والداهية والامر واوله لها ولذا اعاد لفظ الساعة تهويلا
ولئلا يتوهم عود الضمير الى وقعة بدر ان المجرمين في ضلال في الدنيا وسعر ونيران في
الاخرة او في ضلال وجنون ناقة مسعورة اي مجنونة يوم يسحبون في النار على وجوههم
ظرف لسعر او بدل اشتمال منه ذوقوا مس سقر اي يقال لهم هذا القول في ذلك الحين
تقريعا وايفاء الحق لما مسهم من العذاب والمس مستعار للايلام كما يقال ذاق طعم
الموت وسقر علم لنار الاخرة من سقره وصقره اذا لوحه قال ذو الرمة اذا ذابت الشمس
اتقى صقراتها بافنان مربوع الصريمة معبل انا كل شي خلقناه بقدر منصوب بمضمر يفسره
اي خلقنا كل شي ووجدناه ملتبسا بما سبق من التقدير في الازل وسطر في اللوح روى مسلم
والترمذي انها نزلت في اهل القدر وعن زرارة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها
قال نزلت في اناس من امتي يكونون في اخر الزمان يكذبون بالقدر وما امرنا الا واحدة الا
فعلة واحدة دفعة بلا آلة واسباب كلمح البصر في سرعة التكون كقوله كن فيكون ولقد اهلكنا

اشياعكم اشباهكم ممن شايعكم في الاعتقاد فهل من مدكر متعظ بمصيبة اولئك وكل
شيء فعلوه في الزبر ثابت فيه مسطور فيجازون به وكل صغير وكبير قولا كان او فعلا
او اعتقادا مستطر مكتوب لا محالة ان المتقين في جنات ونهر وضياء وسعة او
في انهار واكتفى باسم الجنس في مقعد صدق بدل من في جنات سميت به لانها
منزل الصادقين او لانها مكان مرضي كما يقال رجل صدق اي مرضي الخصال
محمود الفعال عند مليك مقتدر حال من المستكن في الخبر اي مقربين ذوي رتب
عند سلطان كامل الاقتدار ولا الذ للنفس من قرب الملوك ولذا يبذل الاموال
والارواح دونه مع ملوك الدنيا تمت سورة القمر ولله الحمد في الآصال والبكر والصلوة
على صفوة عدنان ومضر واله وصحبه من هاجر واوى ونصر سورة الرحمن مكية
ست وسبعون آية بسم الله الرحمن الرحيم الرحمن علم القرآن هذه السورة مقصورة
على بيان نعم الدارين التي لها شان لان احصاء الكل محال فلذلك صدرها بالاسم
الدال على جلايل النعم براعة للاستهلال وبدا باجلها ونعم الدين ثم اختار اعلاها
شانا واسناها مكانا وهي القرآن الحاوي لاصول الدين وفروعه الموضح للسبل
المصدق لساير الكتب والرسل ولما كان كمال الانسان في تكميل قوته النظرية
وهو الغاية المطلوبة من خلقه قدم تعليم القرآن ثم اردفه بما يتوقف عليه بقوله
خلق الانسان علمه البيان المنطق الفصيح المعرب عما في الضمير الذي لا يمكن
تعلم القرآن وتعليمه الا به واتى بالجمل الثلث على نمط التعديد اشارة الى تقاعد
الانسان عن الوفاء بشكرها كما تقول لمن قصر في مكافاة معروفك يا هذا كنت
صغيرا ربيتك محتاجا اعطيتك ضايعا آويتك ثم بعد قضاء الوطر من هذا الاسلوب
اخذ في تعداد النعم واحدة اثر اخرى على النمط المعروف بحرف النسق مراعيا
التقارب والتناسب بقوله الشمس والقمر بحسبان تجري كل منهما في منازله وبروجه
بلا اختلال لينضبط بذلك احوال الكاينات وتتميز الفصول والاوقات والنجم
والشجر يسجدان ينقادان لامره فيما خلقا له شبه ذلك بسجدة المكلف والنجم نبت
لا ساق له والشجر ما له ساق وارتباط الجملتين بالتقدم معنوي وذلك انه لما رمز
الى تقاعده في الشكر اخذ في تعداد نعم اخرى حثا له على ما طلب منه ولو عطف
لم يفد هذا الغرض وفيهما اشارة الى ان ما في العالم العلوي والسفلي قايم بما خلق له
والانسان مع كونه المقصود من الكون خص بذلك وكان ظلوما جهولا والسماء
رفعها شرفا ورتبة لانها منشا احكامه ومصدر قضاياه ومتنزل اوامره ونواهيه
او مكانا فوق الارض كقوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا ودل به على علو شانه وعظم
كبريائه وسلطانه مع كونه مبدا جوده واحسانه ووضع الميزان قانون الشرع الذي
به النظام والوفاق بين الانام الذي هو لافعال المكلفين كالمكيال والمقياس الذي

يعرف

يعرف به الاشياء والامثال ان لا تطغوا في الميزان لا تجاوزوه بالزيادة والنقصان
فيورثكم الندم والخسران واقيموا الوزن بالقسط اجعلوا وزن اعمالكم قويما لا عوج
به بالعدل السوي وهو ما قننه الشارع ولا تخسروا الميزان لا تنقصوا ما وجب عليكم
عن حقه اعادة ومبالغة في التوصية والارض وضعها للانام ثم بسطها مدحوة لئلا
يشق عليهم التصرف والتردد في اكتساب المعاش والمعاد والانام الانس
والجن كذا عن الحسن او كل ذي روح فيها فاكهة ضروب مما يتفكه به والنخل
ذات الاكمام جمع كم بالكسر وهو وعاء الطلع او اريد به كل ما يغطي من ليفه وسعفه
وكفراه وبالجملة ليس في شجر النخل ما لا ينتفع به ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان من الشجر شجرة مثلها كمثل المسلم ثم قال انها النخلة وعلى هذا ذكرها بعد
الفاكهة ليس كذكر جبرائيل بعد الملائكة والحب ذو العصف كالبر وساير الحبوب
والعصف ورق النبات والريحان لب الحب وما يوكل منه ولذلك فسر بالرزق
استوعب اقسام ما يتناول في حالة الرفاهية لانه اما للتلذذ وهو الفاكهة او له وللتغذي
وهو ثمر النخل او للتغذي وهو ثمر النخل وحده وهو الحب وفي ذكرها على هذا الاسلوب
ترق من الادنى الى ما سوى وفضل في الامتنان وقرا ابن عامر الثلثة بالنصب
عطفا على الفعلية بتقدير خلق وعليه رسم الشام ونافع وابن كثير وابو عمرو وعاصم
برفعها عطفا على الاسمية اي فيها فاكهة وفيها الحب وعليه بقية الرسوم وقرا حمزة
والكسائي بجر الثالث ورفع الاولين اي ذو العصف والريحان اصله روحان
قلبت واوه ياء للتخفيف او ريوحان حذفت واوه بوزنه فباي الاء ربكما تكذبان
الخطاب للثقلين لما تقدم ذكرهما في الانام وبقوله ايها الثقلان عن جابر قرا رسول الله
صلى الله عليه وسلم علينا سورة الرحمن الى اخرها ثم قال قراتها على الجن كانوا احسن ردا
منكم كلما اتيت الى فباي الاء ربكما تكذبان قالوا ولا بشيء من آلائك نكذب ربنا خلق
الانسان من صلصال من طين يابس له صلصلة اي صوت كالفخار كالخزف وعبر
عنه بالطين اللازب والحما المسنون والتراب ايضا باعتبار انقلابه في الاطوار وخلق
الجان ابا الجن وهو ابليس من مارج من نار اي من نار صافية او مختلطة بالدخان
ومنه الامر المريج من بيان او من نار مخصوصة ممتازة عن هذه النيران فلذا نكره ومن
ابتدائية فباي الاء ربكما تكذبان اذ افاضة الوجود اجل الانعامات واولاها رب
المشرقين ورب المغربين مشرقي الشتاء والصيف ومغربيهما فباي الاء ربكما تكذبان
لما في ذلك من الفوائد التي لا تحصى مرج البحرين يلتقيان ارسلهما متلاقيين من مرجت
الدابة ارسلتها بينهما برزخ لا يبغيان حاجب من قدرته يمنع احدهما من التعدي على
الاخر بالاختلاط فباي الاء ربكما تكذبان اذ في ذلك من الآيات ما يدل على كمال اقتدار
المرسل الى الايمان الذي كل نعمة دونه وتفسير الالتقاء بتماس السطوح ثم تفسير البرزخ بحاجب

من الارض وحمل البحرين على بحري فارس والروم غير سديد يخرج منهما اللولو والمرجان
احدهما ابيض يقق والآخر احمر قانئ وهما من خواص الملح دون العذب وانما قال
منهما لالتقائهما في المرأى والقول بانهما يخرجان من مجمع البحرين يرده المشاهدة وقرأ نافع
وابو عمرو بضم الياء وفتح الراء والباقون بالعكس والاولى الاصل والثانية تعدية بالالزام
فباى الاء ربكما تكذبان وكونهما من نواخر النعم غنى عن البيان وله الجوار السفن
الجارية في البحر المنشآت المرفوعات الشرع وقرأ حمزة بالكسر اى الرافعات الشرع
او الموج او السير انشاءها المبتدئات في الفعل من انشأ شرع في الفعل كالاعلام
كالجبال الشامخة قالت الخنساء كانه علم من فوقه نار فباى الاء ربكما تكذبان لما في ذلك
من الدلائل الدالة على كمال علمه تعالى واقتداره وما في ضمنه من منافع العباد كل من
عليها فان اى على الارض من الموجودات ومن للتغليب العقلاء كقوله كل شئ هالك
الا وجهه والاقتصار على من على الارض لانه في تعداد النعم واشار الى العموم بقوله ويبقى
وجه ربك اى ذاته تجوز به اولا عن الجملة كاليد والعين ثم اشتهر حتى صار حقيقة فاستعمل
فيمن تنزه عن الاجزاء ذو الجلال والاكرام اى الذى يجله الموحدون وينسبونه الى الكرم
او الذى جدير بان يقال ما اجله وما اكرمه قيل او لم يقل وتقديم صفة السلب لانه في
مقام الجلال وقهر الخلق بالفناء فباى الاء ربكما تكذبان لما في ذلك من العلم بكمال
الصانع وكبريائه مع الوصول الى الجزاء والحيوة الابدية يسأله من في السموات والارض
لافتقار الكل اليه ابتداء وبقاء روى انه تعالى لما لعن ابليس وطرده من جواره وكان
من الحافين بالعرش بكى جبرائيل وميكائيل فسألهما الرب تعالى وهو اعلم بهما
لم تبكيان قالا يا ربنا من خوفك فقال هكذا كونا راهبين كل يوم هو في شأن يبعث
ويشفي ويحيي ويميت ويغني ويفقر شؤون يبديها لا شؤون يبتديها فباى الاء ربكما تكذبان
لما في ذلك من دفع الضر وجلب النفع والاعتبار والتذكر المنجي من عقابه سنفرغ لكم
ايها الثقلان كناية عن التوفر للانتقام وتوجه الارادة اليه او تمثيل بان مثل حاله تعالى
بعد انتهاء الشؤون الى واحد وهو الاخذ بالجزاء بحال من له سابقة اشتغال عن شئ
ثم فرغ له والثقلان الانس والجن لان الارض لهما كالحمولة قرأ حمزة وابو بكر في وجه سيفرغ
بالياء فباى الاء ربكما تكذبان لما في هذا الترهيب من الحث على الطاعة يا معشر الجن
والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض من ملكوتي لتنجوا بذلك
من قهري فانفذوا امر تعجيز وفي معناه ام حسب الذين يعملون السيئات ان يسبقونا ساء
ما يحكمون وقيل المراد به يوم الحشر فان الملائكة تحدق بهم سبعة صفوف يقول الانسان
يومئذ اين المفر وتقديم الجن لانهم اعتى واشد قوة لا تنفذون الا بسلطان وانى
لكم ذلك يرسل عليكما شواظ لهب مركب من النار والدخان وعن ابن عباس نار
لا دخان فيه وقرأ ابن كثير شواظ بكسر الشين من نار ونحاس صفر مذاب يحشر الناس

الى

الى الموقف وقرأ ابن كثير وابو عمرو بالجر عطفا على المجرور اى من نار ومن نحاس
على ان المراد به الدخان وانشد يضيئ كضوء السراج السليط لم يجعل الله فيه نحاسا وقرئ
ابلغ واليه ذهب ابن عباس فلا تنتصران فباى الاء ربكما تكذبان فان في التهديد
كبح عنان العاصي وحث الطائع على المزيد فاذا انشقت السماء فكانت وردة قطعة
حمراء كلون الورد وعن ابن عباس رضي الله عنهما الوردة ادم احمر كالدهان كالزيت
المذاب الذى يدهن به كقوله يوم تكون السماء كالمهل والمعنى انها تذوب من حر نار
جهنم والدهان كل ما يدهن به كالحزام واللثام والختام كالزيت المذاب فباى الاء
ربكما تكذبان فيومئذ لا يسأل عن ذنبه انس ولا جان هذا في اول الحال قبل شفاعة
رسول الله صلى الله عليه وسلم للفصل والقضاء فلا ينافي فوربك لنسألنهم اجمعين والهاء
للانس والجان لتقدمهما رتبة فباى الاء ربكما تكذبان لما في ذلك الوقت من النعيم
في ظل عرش الرحمن لا خوف ولا هم يحزنون يعرف المجرمون بسيماهم بعلاماتهم سواد
الوجه وزرقة العين فيؤخذ بالنواصي والاقدام مجموعا بينهما او على التعاقب فباى الاء
ربكما تكذبان هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن بلغ نهاية
الحرارة يحترقون بالنار ويشربون من ذلك الحميم فباى الاء ربكما تكذبان ولمن خاف
مقام ربه الموقف بين يديه يوم يقوم الناس لرب العالمين كقوله ذلك لمن خاف
مقامي او لفظ المقام مقحم اى لمن خاف الله كقول الشماخ ونفيت عنه مقام الذئب
كالرجل اللعين جنتان فباى الاء ربكما تكذبان اى لكل واحد احديهما للاعتقاد والاخرى
للعمل او احديهما لترك المعاصي والاخرى لفعل الطاعات او جعل احديهما للخائف من الانس
والاخرى للخائف من الجن بعيد مخالف للاحاديث ذواتا افنان جمع فنن وهو الغصن
خصها بالذكر لانها التي يتفرع بظلالها وثمارها وحسن المنظر باوراقها او جمع فن اى انواع
من الثمار فباى الاء ربكما تكذبان حيث اعد لكم هذا وانتم بعد في العدم فيهما عينان
تجريان كيف شاؤا احديهما التسليل والاخرى التسنيم روى انهما تجريان من جبل من
مسك والوصف بالجريان لتوفير حظ الباصرة فان النظر الى الماء الزلال اجلب شئ
للسرور فباى الاء ربكما تكذبان فيهما من كل فاكهة زوجان صنفان مما تعلمون ومما
لا تعلمون او رطب ويابس للاكل فباى الاء ربكما تكذبان واى نعيم افضل من هذا
التنويع متكئين على فرش بطائنها من استبرق من حرير غليظ وظهايرها من سندس نصب
على المدح او حال من فاعل خاف لانه في معنى الجمع وجنى الجنتين دان قريب يناله
القاعد والمتكي اسم بمعنى المجني فباى الاء ربكما تكذبان فيهن اى في الجنان التي لكل واحد
منهما جنتان او في الجنتين لاشتمالهما على اماكن او في الآلاء المعدودة قاصرات الطرف
على ازواجهن لا ينظرن الى غيرهم لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فهن ابكار كما خلقن وقرأ
الكسائي في رواية الدوري هنا بضم الميم وكسرها في الثانية وفي رواية الليث عنه بالعكس

وفي رواية خير الكسائي بين ضم احديهما وكسر الاخرى على التعاقب وهذا احسن جمعا
بين اللغتين بلا ترجيح من غير مرجح كانهن الياقوت والمرجان في صفاء الياقوت
وبياض المرجان روى مسلم عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لكل واحد زوجتان يرى مخ ساقهما من وراء اللحم وفي رواية ابن مسعود رضي الله
عنه من وراء سبعين حلة فباي آلاء ربكما تكذبان هل جزاء الاحسان الا
الاحسان اي لا يكون الا ذلك فباي آلاء ربكما تكذبان ومن دونهما جنتان
دون الجنتين الاوليين في الشرف هما للمقربين وهاتان لاصحاب اليمين
روى البخاري عن عبد الله بن قيس عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وفي اللفظ دلالة
على مزية الاوليين فباي آلاء ربكما تكذبان مدهامتان سوداوان من الري في
مقابلة ذواتا افنان فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما عينان نضاختان فوارتان
عينان تجريان والنضخ الفوران اقل من الجري فباي آلاء ربكما تكذبان فيهما
فاكهة ونخل ورمان افردهما لبيان فضلهما على ساير الفواكه كانهما جنسان اخران
او لاشتمالهما على غير التفكه كالتغذي في التمر والتداوي في الرمان ولذلك ذهب
ابو حنيفة رحمه الله الى ان من حلف لا يأكل الفاكهة لا يحنث بأكل احدهما والوجه
هو الاول اذ هذا انما يتصور في فاكهة الدنيا لان كل ما يتناول في الجنة لا يتناول
الا على وجه التفكه فباي آلاء ربكما تكذبان فيهن خيرات حسان جميلات حسان
الاخلاق مخفف خيرات صفة لا اسم تفضيل اذ ذاك لا يجمع هذا الجمع فباي
آلاء ربكما تكذبان حور مقصورات في الخيام مخدرات لا يخرجن او مقصورات الطرف
على ازواجهن فباي آلاء ربكما تكذبان لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان فباي
آلاء ربكما تكذبان متكئين على رفرف خضر وسائد من حرير اخضر لانه لون مفرح
ويقال ايضا للبسط ولاطراف الخيمة وكل ثوب اخضر وعبقري حسان بسط
حسنة منسوب الى عبقر تزعم العرب انه اسم بلد للجن فينسبون اليه كل شيء
عجيب ومنه في وصف عمر فلم ار عبقريا يفري فريه والمراد به الجنس ولذلك جمع وصفه
فباي آلاء ربكما تكذبان تبارك اسم ربك تكثر خيره وازداد او اراد لفظ الرحمن
الذي يعقبه هذه النعم او كل اسم له فانه لا يبدا به شيء الا صار ذا بركة ويمن
ذي الجلال والاكرام تقدم الكلام فيه وقرأ ابن عامر ذو مرفوعا صفة للاسم وفيه
مبالغة حسنة تمت سورة الرحمن والحمد لمن له الفضل والاحسان والصلوة على
المبعوث الى الانس والجان وآله وصحبه ذوي الرتب والشان سورة الواقعة
مكية وهي سبع وتسعون آية بسم الله الرحمن الرحيم اذا وقعت الواقعة
اي القيمة عبر عنها بالواقعة دلالة على تحقق وقوعها لا محالة كقولك حدثت الحادثة

واذا ظرف لليس او نصب باذكر او لمقدر اي اذا وقعت يكون كيت وكيت وهذا
اجود ليس لوقعتها كاذبة نفس تكذب في الاخبار عن عدم وقوعها كاليوم كقوله
لما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله او من كذبته نفسه عند الخطب اذا شجعته على امر لا طاقة
له به كانه قال هذا الخطب ليس من الخطوب التي تقدر ان تقدر نفس على الكذب مع
صاحبها في احتماله وعلى الوجهين اللام للوقت مثلها في قدمت لحيوتي او هو كلام
على طريقة التمثيل اي بعد وقوعها ليس نفس تكذب بلسان الحال او المقال
وتقول لها لم تكوني او مصدر بمعنى الكذب كما يقال حمل عليه حملة صادقة اي ذات
صدق خافضة لاقوام رافعة لاخرين لقوم ويل ولقوم نيل اذا رجت الارض رجا
حركت تحريكا عنيفا كقوله اذا زلزلت الارض وبست الجبال بسا سيرت وفي الحديث
اذا فتحت العراق بالتي قوم يبسون باهليهم او فتت لقوله فكانت هباء غبارا منبثا
منتشرا وكنتم ازواجا اصنافا ثلثة فاصحاب الميمنة ما اصحاب الميمنة اي اصحاب
الجنة هل تدري ما صفتهم وما هم فيه اقام المظهر مقام المضمر لما فيه من الفخامة والميمنة
الجهة التي سامت اوي الجانبين من اليمين وهو البركة والعرب يتيمنون بالميامن
وتتشاءم بالشمال وليتيمنوا بها الشومى او لان اهل السعادة يؤخذ بهم ذات اليمين
واهل الشقاوة ذات الشمال واصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة اي ما هم
وما صفتهم سبيل التعجب والسابقون السابقون مبتدا وخبر اي السابقون الى الايمان
هم الذين بلغك خبرهم في علو الرتبة ورفعة الشأن كقوله انا ابو النجم وشعري شعري
لتخصيصهم بالانبياء محالا وجه له اولئك المقربون في جنات النعيم اي الموصوفون
بالسبق هم الذين قربت درجاتهم من الله تعالى واعليت منازلهم في الجنة استيناف
لبيان ذلك الابهام ثلة من الاولين جماعة كثيرة من الثل وهو القطع والهدم
خبر محذوف اي هم وقليل من الاخرين وفي تفسير الاولين وجهان قيل السابقون
على هذه الامة من لدن آدم الى محمد عليه السلام فالسابقون من اولئك اكثر من
سابقي هذه الامة وردوا هذا عن الحسن وهذا قول لا سند له بل السابقون والاكثرون
من هذه الامة وذلك لما صح ان اهل الجنة مائة وعشرون صفا ثمانون من هذه
الامة واربعون من ساير الامم وقد نطق القران بان هذه الامة خير الامم روى
البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال نحن اقل عملا واكثر اجرا فكيف يكون السابقون
من اربعين اكثر من السابقين من ثمانين مع ان هؤلاء اجرا من اولئك بنص
القران والحديث بل الاولون هم اوايل هذه الامة الذين اشار اليهم بانهم خير
القرون السابقون الاولون من المهاجرين والانصار على سرر موضونة منسوجة
بالدر واليواقيت وادخل بعضها في بعض كحلق الدرع وقيل متدانية او في بعضها
من بعض متكئين عليها متقابلين حالان من الضمير في على سرر يطوف عليهم ولدان

مخلدون مبقون على تلك الهيأة ابدا لا يعتريهم تغير وتبدل من كبر سن او في
اذانهم الخلدة وهي القرطة وعن الحسن هم اولاد الكفار والحق انهم اهل الجنة وقيل
هم الاولاد والاطفال الذين ماتوا من غير عمل باكواب واباريق متعلق بيطوف
والكوب ما ليس له عروة ولا خرطوم والابريق عكس ذلك وهذا التنويع على طريقة
اهل الشرب في الدنيا وكاس من معين هو القدح الذي يشرب به والمعين
الجاري اي ليس مثل خمر الدنيا توخذ من مجاورة الدن لا يصدعون عنها لا يحصل
لهم بشربها صداع ولا ينزفون يسكرون يقال انزف سكر قال لعمري لئن انزفتم
او صحوتم لبئس الندامى كنتم آل ابجرا او لا ينفد شرابهم من انزف نفد والمعنى لا ينفد
عقولهم ولا شرابهم وقرا غير الكوفيين بفتح الزاء على بناء المفعول من انزفه السكر وهذا
اوفق بقوله لا يصدعون وفاكهة مما يتخيرون يرتضون ولحم طير مما يشتهون يستلذون
وحور عين بيض نجل العيون عطف على ولدان معنى اي لهم ولدان وعندهم
حور او على فاعل متكئين لوجود الفاصل كقوله ما اشركنا ولا اباؤنا وقرا حمزة والكسائي
بالجر عطفا على جنات اي في جنات ومعاشرة حور عين وعن الزجاج عطف على
باكواب اي يطوف عليهم الولدان بالحور كما هو دأب الملوك ياتي الخادم بجلاء باسم
الى اماكن انسهم وعن الفراء الجر على الجوار كامثال اللؤلؤ المكنون في الصدف في
الصفاء والطراوة والمخزون لشرفه ونباهته جزاء بما كانوا يعملون مفعول له اي هذا الذي
اتحفناهم به جزاء اعمالهم لا يسمعون فيها لغوا كلاما باطلا ولا تاثيما ولا اثما لو كان
في الدنيا اوجب اثما كما يقع من اهل السكر في مجالسهم الا قيلا قولا سلاما سلاما عن
ذلك سلاما بدل منه او الا سلاما ما اثر سلام تحيتهم فيها سلام واصحاب اليمين
ما اصحاب اليمين اي لهم شان واي شان ثم شرع في تفصيله في سدر مخضود وعن الشوك
كانه خضد وقيل هو موقر بالحمل من خضده اذا ثناه وامالة وطلح منضود نضد بالثمر من اسفله
الى اعلاه وهو شجر الموز او ام غيلان وقيل شجر في البادية والظاهر انه انما خصا بالذكر
لكثرتهما في ارض العرب وليس لها ثمر فاخر فاشار الى انهما في الجنة ليسا على ما كانا عليه
وقيل انما ذكر المعنى التفاضل دون الثمر وليس بوجه لذكر الظل بعده ولكون الوصف
بالخضد والنضد غير ملايم وقيل هذا الكلام مع اهل البدو وام غيلان له رايحة طيبة وله
شوك فاشار الى ان ما في الجنة لا شوك له مع كونه مثمرا بالثمر وظل ممدود لا فرج فيه
ولا تقلص كما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وماء مسكوب على الدوام كيف شاؤا
وفاكهة كثيرة الانواع لا مقطوعة في وقت كفاكهة الدنيا ولا ممنوعة من الوصول
اليها وفرش مرفوعة على السرر او نضد بعضها فوق بعض فارتفعت روى الترمذي
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في تفسير فرش مرفوعة ارتفاعها
كما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام او هو كناية عن الحور انا انشاناهن انشاء

اي

اي خلقناهن خلقا جديدا ابتداء او من الحور او نساء الدنيا والضمير للفرش ان كانت
كناية عن النساء او لما دل عليه ذكر الفرش وان لم يسبق له ذكر وعن ام سلمة رضي
عنها سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله انا انشاناهن قال هن اللاتي
كن في الدنيا شمطا رمصا عجايز فجعلهن من ابكارا عربا جمع عروب متحببات الى
ازواجهن وقرا ابو بكر بسكون الراء مخففا اترابا لدات سن والازواج في سن ثلث
ثلثين وطول آدم ستين ذراعا في عرض سبعة اذرع لاصحاب اليمين متعلق بانشانا
او صفة اخرى لابكارا ثلة من الاولين وثلة من الاخرين خبر مبتدا محذوف واصحاب
الشمال ما اصحاب الشمال في سوء الحال في سموم في نار تنفذ في المسام وحميم
وماء تناهت في الحرارة وظل من يحموم دخان اسود من الحمة وهي السواد لا بارد
ولا كريم ليس فيه برد وروح كساير الظلال اثبت لهم الظل ثم نفى برده وروحه تهكما
وتعريضا بان ذلك انما يستحقه اضدادهم انهم كانوا قبل ذلك مترفين منعمين
اذهبوا طيباتهم في الحيوة الدنيا من اترفه النعمة اطغته وكانوا يصرون على الحنث
العظيم الكفر بالله وكانوا يقولون ائذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون
منكرين ذلك مكذبين للرسل نافين لقدرة المقتدر اوآباؤنا الاولون مع تقادم
العهد هذا اشد بعدا والعطف على المتمكن في مبعوثون لوجود الفاصل او على محل اسم
ان وقرا ابن عامر وقالون بسكون الواو ومتعين العطف على المحل قل ان الاولين
والاخرين لمجموعون الى ميقات يوم معلوم الميقات ما وقت به الشيء ومنه ميقات
الاحرام اي الى وقت معين من يوم معلوم الاضافة بمعنى من ثم انكم ايها الضالون
المكذبون بالبعث قدم الضلال لانه منشأ الكذب لاكلون من شجر من زقوم
من الاولى لابتداء الغاية والثانية بيان فمالئون منها البطون لغلبة الجوع
فشاربون عليه من الحميم الماء المتناهي في الحرارة وتانيث الضمير اولا ثم تذكيره
ثانيا باعتبار اللفظ والمعنى وحمل التذكير على الاكل يفكك الضماير فشاربون شرب
الهيم جمع هيماء وهي الناقة التي لا تروى من العطش لداء بها قال ذو الرمة فاصبحت
كالهيماء لا الماء مبرد صديها ولا يقضي عليها هيامها او جمع هيام وهو الرمل الذي
لا يمسك الماء والعطف باعتبار الصفة لان شربهم الحميم لدفع العطش بديع كما
ان شربهم كشرب الهيم عجيب وقرا ابن كثير وابو عمرو وابن عامر والكسائي بفتح
الشين وهما لغتان والضم اشهر هذا نزلهم يوم الدين هو ما يعد للضيف
النازل واذا كان هذا النزل فما بعده اعظم نحن خلقناكم لا تشكون في ذلك فلولا
تصدقون بالاعادة فانها اوضح من البداء افرايتم ما تمنون تلقون في الارحام
من النطف اانتم تخلقونه ام نحن الخالقون هب انكم لا تعلمون خلق انفسكم
فهلا تشاهدون ان ما تولد منكم نحن قدرنا بينكم الموت قضينا بذلك وسوينا كم فيه مع

الاختلاف في الاعمار كالارزاق وما نحن بمسبوقين على ان نبدل امثالكم يقال
سبقته على كذا اغلبته عليه وننشئكم فيما لا تعلمون ما هو وما عهد ثم مثله قدرنا على
الامرين سواء ولقد علمتم النشأة الاولى فلولا تذكرون فانها في غاية الظهور لاحتياج
الى ترتب مقدمات افرءيتم ما تحرثون تشقون الارض وتلقون فيها من البذر
ءانتم تزرعونه تنبتونه وتوصلونه الى الكمال ام نحن الزارعون الفاعلون لذلك
لو نشاء لجعلناه حطاما متكسرا فظلتم تفكهون فصيتم بها ركم تتعجبون او تندمون على
تعبكم فيه او على المعاصي التي تسبب له وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال لا يقل احدكم زرعت وليقل حرثت انا لمغرمون لذاهب
رزقنا من الغرام او ملزمون بغرامة ما انفقنا فيه من الغرامة وقرا ابو بكر ءانا على الاستفهام
تعجبا والاخبار ابلغ بل نحن محرومون مصابون بالحرمان والشقاء افرءيتم الماء
الذي تشربون عذبا فراتا ءانتم انزلتموه من المزن جمع مزنة السحاب الابيض
فان ماءه اعذب ام نحن المنزلون لو نشاء جعلناه اجاجا مرا زعاقا لا يسوغ فلولا
تشكرون هذه النعمة وانما حذف اللام لتقدمها قريبا مع اشتهار لو بها ولان المترتب
ثمه لما كول ليدل على ان فقده اهم والاهتمام به اتم افرءيتم النار التي تورون
تقدحون بالزند والزندة ءانتم انشأتم شجرتها الموقدة فيها النار ام نحن المنشئون
نحن جعلناها تذكرة تدل على قدرتنا على الاعادة والنموذجا من نار الاخرة ومتاعا
للمقوين النازلين بالقواء ممدود ومقصور من القي وهو المكان القفر وخص بالذكر
لفرط الاحتياج فيه او من القوي وهو الخلو فيعم المسافر والمقيم فسبح باسم ربك العظيم
نزهه عما لا يليق بجلاله بذكر اسمه العظيم شكرا للعظيم الائه او اذكره باسم العظيم تعجبا
ممن يرى هذه النعم ثم يكفر والباء للاستعانة او للملابسة فلا اقسم بمواقع النجوم
بمساقطها او في ذلك الوقت زوال سلطانها فيكون ادل على وجود الصانع
وعن الحسن انكدارها يوم القيمة وقيل منازلها وقيل اوقات نزول القران
ولا مزيده وقرا حمزة والكسائي بموقع النجوم لارادة الجنس وانه لقسم لو تعلمون
عظيم اعتراض فيه اعتراض لما في المقسم به من كمال القدرة او نهاية
الرافة انه لقران كريم شريف نيط به امر المعاش والمعاد او كريم عند الله
وانما بالغ في القسم وجعل القران مقسما به لكون السورة مصدرة بامر المعاد
وقد استوفي فيها ادلته الافاق والانفس على وجه يحار فيه الالباب في كتاب
مكنون مصون عن يد الاغيار لم يقع فيه شائبة تبديل لا يمسه الا المطهرون
من دنس الاثام وهم السفرة الكرام البررة والمطهرون من الاحداث
رواه مالك وابو داود فالنفي بمعنى النهي تنزيل من رب العالمين مصدر نعت
بصفة اخرى للقران افبهذا الحديث انتم مدهنون متهاونون من الدهن

ولا يبقى لذي العينين ارتياب صح

فان المتهاون يلين جانبه وتجعلون رزقكم شكر ما رزقكم من نعمه او رزقكم الذي
بين في السورة من نعم الدارين انكم تكذبون به وقيل الرزق المطر وتكذيبهم بنسبته
الى الانواء فلولا اذا بلغت الحلقوم اي النفس والخطاب للذي حول المحتضر وانتم
حينئذ تنظرون نظر المحتاج العاجز ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ذلك
فلولا ان كنتم غير مدينين مربوبين مملوكين من دان السلطان رعيته ساسها
ترجعونها النفس الى البدن ان كنتم صادقين في ان لا صانع وانكم تتركون سدى
وهملا وان لم يصح هذا بقي الصانع الا ان تكذيبهم الرسل وانكار البعث
والجزاء موقوف اليه ثم استطرد ذكر الازواج الثلثة التي صدر بها السورة زيادة في
الترغيب والترهيب وليتجاوب طرفاها رد العجز على الصدر قال فاما ان كان
من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم راحة ورزق ومقام كريم تقدم الاتم
فالاتم واما ان كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين اي
من اخوانك المؤمنين من ابتدائه وقيل سلم انك منهم واما ان كان من
المكذبين الضالين اي من اصحاب الشمال عبر عنهم بالوصف ولالة على ان
ذلك الوصف اورثهم الشقاء فنزل من حميم وتصلية جحيم في ذكر النزل تهكم بهم
ان هذا ما ذكر في السورة او في شان الازواج لهو حق اليقين حق اليقين
لا يقين فوقه كقولك امين حق امين فسبح باسم ربك العظيم اي بعد ما بلغ
هذا البلاغ المبين نزه ربك عما لا يليق بجلاله مستعينا باسمه الاعظم وذرهم في خوضهم
يلعبون تمت سورة الواقعة والحمد لمن رحمته واسعة والصلوة على من شفاعته شايعة
وعلى اله وصحبه **سورة الحديد مكية وهي تسع وعشرون اية** واتباعه
بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات والارض جاء بلفظ الماضي في مواضع
والمضارع اخرى دلالة على ان شان من اسند اليه الفعل الاستمرار في جميع الازمان
وحيث كانت هذه الطول ما صدرت بلفظ التسبيح لم يبعد الجار في المعطوف بخلاف
سايرها ولم يغلب العقلاء اشارة الى انهم في القلة مغمورون في جملة لا يحصى كثرة
ففي كل شيء له اية تدل على انه واحد وهو العزيز الغالب القاهر الحكيم المتقن
في صنعه فهو حقيق بالتسبيح له ملك السموات والارض يحيي ويميت مرفوع خبر مبتدا
او منصوب حال من المجرور او استيناف مقرر لما تقدم وهو على كل شيء قدير كامل القدرة
احياء واماته وغيرهما هو الاول قبل كل شيء والاخر الباقي بعد فناء كل شيء والظاهر
في كل شيء والباطن عن كل شيء لا يحيط به شيء علما ولا دليل فيه لنافي الرؤية
وتفسير البطون بعدم ادراك الحواس قصور بل بطونه عدم ادراك كنهه ازلا وابدا
حسا وعقلا تعالى عن ذلك علوا كبيرا والواو الاولى والثالثة لعطف المفرد على
المفرد والوسطى لعطف المركب على المركب والمعنى انه جامع لهذه الصفات ازلا

وابدا اولما احتجب بطونه عن الاشعار لطونها عنه كما في الشاهد رفعه بقوله وهو بكل
شيء عليم يستوي في علمه الظاهر والباطن هو الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش لتدبير الكائنات تمثيل يعلم ما يلج في الارض
من ماء وحب وما يخرج منها من نبات وزرع وما ينزل من السماء من مطر
وثلج وبرد واقدار واحكام وما يعرج فيها من الملائكة والارواح والاعمال
وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون بصير شاهد لا يخفى عليه الاخلاص والرياء
ودعاه وقوه الجلالة دلالة على ان ذلك من لوازم الالوهية له ملك السموات والارض
اعاده ليقرن به امر المعاد كما قرن به المبداء والى الله ترجع الامور فيجازي كلا على حسبه
يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وهو عليم بذات الصدور بمضمراتها ابلغ
من قوله بما تعملون بصير آمنوا بالله ورسوله اذ لم يبق لكم شبهة وانفقوا مما جعلكم
مستخلفين من الاموال التي بايديكم اذ هي في الحقيقة له تعالى وانتم بمنزلة الوكلاء
والخزان فانتم تحت امره فكما يامركم به يجب عليكم الامتثال ولا ينبغي ان يشق عليكم
او لا اخس ممن يشح بمال الغير فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير مع كونكم
مالكين لكم اجر لا يحاط به ترغيب ووعد فيه مبالغات بناء الخبر على الموصول واعادة
الايمان والانفاق وتنكير الاجر والوصف بالكبير وما لكم لا تؤمنون بالله ما تصنعون
غير مؤمنين بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم حال من ضمير لا تؤمنون وهو من
تصنعون حالان متداخلان وقد اخذ ميثاقكم حال من احد ضميري يدعوكم او حال
بعد حال من ضمير تؤمنون والحال انه قد اخذ عليكم الميثاق قبل الرسول بما ركب فيكم
من العقل ونصب الادلة فقد ازاح الشبهة عنكم من كل وجه وقرا ابو عمرو واخذ على
بناء المفعول ان كنتم مؤمنين لموجب الايمان فقد بان لكم الموجب بالامر به عليه
كقولك لتارك الصلوة صل هذا الماء والجواب ان كنت تصلي والعتاب عام لمن
يؤمن ومن آمن ولم ينفق هو الذي ينزل على عبده آيات بينات واضحات
الاعجاز والدلالة على الاحكام ليخرجكم اي الله او الرسول والاول اولى لقوله
تعالى الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور من الظلمات الى النور
وان الله بكم لرؤف رحيم حيث بين لكم واوضح وما لكم ان لا تنفقوا في سبيل الله
فيما يكون قربة اليه من الجهاد والصدقة على المحاويج ولله ميراث السموات والارض
هو الباقي بعد فناء من في السموات والارض فاي فائدة في الامساك بل ما يقدم
العاقل ماله بين يديه ويشتري بالفاني الباقي عنه صلى الله عليه وسلم يقول ابن
آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت به فابقيت
لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح فتح مكة وقيل حديبية في حال شدة الاحتياج
ومن بعد وحذف لوضوح الدلالة عليه وقاتل بيان لتفاوت الانفاق وحث

على طلب

على طلب المحل القابل وتقديم الاولى والاحوج اولئك المنفقون اعظم درجة
من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا بعد فتح مكة وكلا وعد الله الحسنى اي من المنفقين
السابقين واللاحقين موعوده بالجنة وان تفاوت حالهم وقرا ابن عامر وكل
بالرفع على الابتداء والفعلية خبر بحذف العائد والنصب احسن لعدم التقدير
والله بما تعملون خبير يعلم نية المنفق اخلاصا ورياء وقيل نزلت في الصديق انفق
ماله في سبيل الله حتى تخلل بعباءة فجاء جبرائيل فقال لرسول الله يقول الله تعالى
قل لابي بكر هل هو راض عني في فقره وسلم عليه مني من ذا الذي يقرض الله قرضا
حسنا مثل حال المنافق في سبيل الله بحال من اقرض انسانا ما يؤديه اليه وقت
احتياجه والقرض الحسن ما لا يجر نفعا ولا يطلب فيه زيادة فيضاعفه له اضعافا لا يعلمها
غيره وقراه بالنصب ابن عامر وعاصم بان مضمرة بعد الفاء جوابا للاستفهام معنى
وقرا ابن كثير وابن عامر يضعفه مشددا وكما زاد كما فكذلك عظم كيفا لقوله وله اجر
كريم شريف لا كسائر الاجور يكون مع مهانة يوم ترى المؤمنين والمؤمنات
مقدر باذكر فانه يوم عظيم او ظرف ليضاعفه او له اجر كريم يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم اي يسرع نورهم قدامهم وعن اليمين والشمائل على قدر سيرهم منهم من
سيرهم كالبرق الخاطف ومنهم كالريح ومنهم كاجاويد الخيل وكذلك انوارهم
على قدر اعمالهم حتى ان فيهم من يقوم ويقع لضعف نوره وفي لفظ الايمان تغليب
بشراكم اليوم اي يقول لهم الملائكة الذي تبشرون به اليوم جنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها خبر بشراكم ذلك هو الفوز العظيم اي الفوز الذي بشروا به
من كلامه تعالى يوم يقول المنافقون والمنافقات بدل من يوم ترى للذين
آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم بعد القضاء بين العباد ويؤخذ بالكفار الخلص
الى النار وبالمؤمنين الى الجنة ويتبعهم المنافقون كما كانوا في الدنيا يعدون انفسهم
منهم ويعطون نورا مجازاة لخداعهم فاذا توسطوا الصراط انطفى نورهم نادوا المؤمنين
انظرونا او انظروا الينا نأخذ ضياء اي شعلة من نوركم كما يفعله الاصحاب في الدنيا
اذا انطفى مصباح احدهم قيل ارجعوا وراءكم الى الدنيا القايل المؤمنون او الملائكة
فالتمسوا نورا آخر لانه محل الاعمال التي صارت اليوم انوارا وقرا حمزة انظرونا بهمزة
القطع اي امهلونا وهو قريب من الاول فضرب بينهم بسور هو الاعراف حائط
الجنة له باب يدخل منه المؤمنون الجنة باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب
وتغيير الاسلوب للدلالة على ان داخله كله نعيم بخلاف ظاهره لبعد النار عنه
ينادونهم الم نكن معكم في الدنيا متفقين في الدين قالوا بلى ولكنكم فتنتم انفسكم
محنتموها بالنفاق وتربصتم بالمؤمنين الدوائر وقلتم ريح الاسلام تهب ساعة
ثم تسكن وارتبتم في امر الساعة وقلتم ما الساعة ان نظن الا ظنا وغرتكم الاماني الكاذبة

وقيل ان كان بعث يستغفر لنا حتى جاء امر الله قيام الساعة او امره بدخول
النار وغركم بالله الغرور الشيطان بوعده الكاذب فاليوم لا يؤخذ منكم فدية
ان لكان لكم ما تفدون به قرا ابن عامر بالتاء والتذكير احسن للوجود والفصل
ولا من الذين كفروا ظاهرا وباطنا مأواكم النار مقامكم هي مولاكم اي اولى بكم
من غيرها لما معكم ما يلابسها من الاعمال او هي التي تتولى امركم او ناصركم تهكما
وبئس المصير مصيركم الم يأن للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل
من الحق اي القران من عطف العام على الخاص او عطف باعتبار الصفة
وقرا نافع وحفص نزل مخففا والتشديد ابلغ يأن من انى يأنى الامر اذا جاء اناه
اي وقته والهمزة للاستبطاء كقولك الغلام الم او تحك والمعنى ليس للمؤمنين
عذر في عدم خشوع قلوبهم وما رواه مسلم عن ابن مسعود رضي الله عنهم لم يكن بين
اسلامنا وبين ان عاتبنا الله الا اربع سنين وما رواه قتادة عن ابن عباس
رضي الله عنهم ان الله عاتب المؤمنين على راس ثلث عشرة من نزول
القران يدل على ان السورة مكية فان قلت اذا كانت السورة مكية فما وجه
قصة المنافقين والنفاق انما نجم بالمدينة قلت اخبار بما يقع كسائر الاخبار عن
المغيبات ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل عطف على تخشع ويجوز
ان يكون نهيا لهم عن مماثلة اولئك فطال عليهم الامد الزمان فقست قلوبهم
تغلب عليها القسوة والجفاء لتراكم الذنوب وظلمات المعاصي فاحدثوا
التحريف والبدع وكثير منهم فاسقون خارجون بالكلية عن لفرط قسوتهم اعلموا
ان الله يحيي الارض بعد موتها مثل حال القلوب القاسية عن الخشوع ثم تأثرها
من ذكر الله وما نزل من الحق بحال ارض غلب عليها اليبس ثم اصابها الغيث
فاحضرت قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون في تصدير الكلام باعلموا وختمه بلعلكم
تعقلون نوع عتاب اذ كان الاولى بهم التدبر بدون هذا الحال ان
المصدقين والمصدقات واقرضوا الله قرضا حسنا عطف على المصدقين لكونه
في معنى الذين صدقوا وفيه تغليب لئلا يقع فصل بالاجنبي والمعنى الذين تصدقوا
واخلصوا في ذلك واخرجوه من مالهم الطيب وقرا ابن كثير وابو بكر بتخفيف
الصاد من التصديق اي امنوا بالله ورسوله والتشديد اولى لذكر الايمان بعد
يضاعف لهم ولهم اجر كريم تقدم تفسيره انفا والذين امنوا بالله ورسله اولئك
هم الصديقون والشهداء عند ربهم اي بمنزلة هؤلاء وان كانوا قاصرين تنزلوا عنهم
لهم اجرهم ونورهم اي مثل اجرهم ونورهم لا في الاضعاف اي جميع ما يحصل
لهم من الاجر والاضعاف بل مثل مجرد اجر الصديقين وحده فان قلت فاي
ترغيب في ذلك قلت كل ترغيب لان احاد المؤمنين اذا جعل ثواب عمله

مثل ثواب عمل الصديق فاي احسان فوق ذلك واما الاضعاف فذلك
ليس راجعا الى الاعمال بل ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ويجوز ان يكون
الشهداء مبتدا ولهم اجرهم خبره وليس بقوي والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب الجحيم الذين لا يفارقونها لافادة الكلام الحصر اعلموا انما الحيوة الدنيا
لعب ولهو لما ذكر ما للفريقين في الاخرة حقر امر الدنيا بان حصر ما فيها في امور
خالية قليلة النفع ترغيبا فيما عنده وتحذيرا عن الاغترار بها واللعب ما يجلب
واللهو ما يدفع الهم وزينة بالاموال والبنين وتفاخر بينكم انا ابن فلان وانت
ابن فلان وتكاثر في الاموال والاولاد انا لي كذا مالا وولدا وانت لا تملك ما املك
كمثل غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج فتريه مصفرا ثم يكون حطاما مثل حال الدنيا
في قلة جدواها وسرعة تقضيها بحال نبات انبته الغيث فاستوى على سوقه
اخضر ناضرا وارفا واعجب الزراع شانه او الكفار بالله لقصور نظرهم الى الدنيا
والمؤمن اذا راه علم ان ما عند الله هو الباقي وان هذا عن قريب زايل ثم
اصفر بعد ذلك النضارة وتبدل حاله ثم تكسر وذهب كان لم يكن وفي الاخرة
عذاب شديد تنفير عن الركون اليه ومغفرة من الله ورضوان حث على العمل
المثمر لذلك وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور الا شيء يسير ونفع قليل يغتر به سابقوا
الى مغفرة من ربكم مسابقة الفرسان الى احراز قصب السبق وجنة عرضها
كعرض السماء والارض انما ذكر العرض لانه اقصر الامتدادين فاذا كان حاله
كذلك فما ظنك بالطول والمراد جنس السماء لقوله عرضها السموات والارض
فان قلت ايهما ابلغ قلت الثاني لحذف اداة التشبيه والتصريح بما يدل على العدد
فان قلت لم اختص كل بموقعه قلت لان الثاني في ال عمران وهو متاخر نزولا
فلو عكس لم يبق فايدة في ذكره اعدت للذين امنوا بالله ورسله الاستدلال
على ان مجرد الايمان كاف ليس بناهض لقوله في ال عمران اعدت للمتقين
الذين نعتهم كيت وكيت ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده من غير
ايجاب لان العبد لا يستحق على المالك اجرة والله ذو الفضل العظيم لا يحاط
بفضله خلق وبدى واعطى ما لم يخطر على قلب من غير وجوب ولا استحقاق
ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب في اللوح من قبل
ان نبراها نخلقها اي الانفس او المصيبة والاول اوجه لما روى مسلم ان الله
كتب مقادير الخلايق قبل خلق السموات والارض بخمسين الف عام وكان
عرشه على الماء ان ذلك على الله يسير لعلمه بالاشياء قبل وقوعها كعلمه بها حال
وقوعها ثم اشار الى الحكمة في ذلك بقوله لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم فان
من علم ان ما اصابه من الضر كان مقدرا عليه في الازل لم يحزن الحزن الشديد لانه

قد وطن نفسه على ذلك وكذا في جانب الخير لانه كان مترقبا والمراد بهما ما يخرج
الى الجزع وعدم الصبر والفرح المطلق المفضي الى البطر لا ما يعتري الانسان من الهم
والسرور شكرا لنعمة الله وقرا ابو عمرو اتاكم مقصورا اي جاءكم وهي قراءة حسنة لتشاكلها
لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم والله لا يحب كل مختال فخور متكبر فخور على الناس
بكثرة المال واكتفى باحد الشقين لدلالته على الاخر واثر الثاني لانه اشد تكبرا الذين
يبخلون ويامرون الناس بالبخل بدل من كل مختال واو في منه لدلالته على
ان عز المال وحبه بلغ حدا يشح بمال الغير وقرا حمزة والكسائي البخل بفتح البا
وهما لغتان كالرشد والرشد ومن يتول يعرض ولم ينفق عما نهى الله فان الله هو
الغني لا يحتاج الى انفاق المنفق الحميد محمود في ذاته وان تولوا عن شكره
وقرا نافع وابن عامر بحذف ضمير الفصل وعليه رسم مصحف المدينة والشام الاثبات
اكد وعليه بقية الرسوم لقد ارسلنا رسلنا بالبينات اي الملائكة الى الانبياء بالمعجزات
او الانبياء الى الناس لقوله وانزلنا معهم الكتاب والميزان قانون الشرع يشمل
الميزان الذي به تعامل الناس وكل ما يعرف به الانصاف من امور المعاش والمعاد
وذلك علة لقوله ليقوم الناس بالقسط بالعدل وانزلنا الحديد فيه باس شديد
يتخذ منه آلة الجهاد والقتل وفيه اشارة الى ان امر الشرع لا يستقل بدون السيف والسنان
الظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعله لا يظلم وعنه صلى الله عليه وسلم رزقي تحت
ظل رمحي ومنافع للناس اذ لا صنعة الا وللحديد فيه مدخل وليعلم الله من ينصره
ورسله عطف على محذوف دل عليه السياق اي لينفعهم وليعلم الله وفي الحذف اشارة
الى ان الثاني هو المطلوب بالذات بالغيب حال من المستكن في ينصره اي غائبا
عنه عن ابن عباس رضي الله عنه ينصرونه ولا يبصرونه ان الله لقوي ذو قدرة بالغة
عزيز غالب على كل شيء وانما انزل الحديد وامر بالقتال لينالوا بذلك القربة عنده
والزلفى ولقد ارسلنا نوحا وابراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب اي الوحي
المتلو اشارة الى ان قانون الشرع والامر بالقسط بين الناس قديم من لدن نوح
الى محمد عليهما السلام واقتصر على نوح لانه ابو البشر ثانيا ليس في الدنيا الا ذريته فمنهم
مهتد وكثير منهم فاسقون غير الاسلوب للدلالة على ان الغلبة لاهل الضلال
ثم قفينا على اثارهم برسلنا اي اثار نوح وابراهيم والجمع للتعظيم او لهما ومن عاصرهما
من الرسل ومن ارسلا اليه وقفينا بعيسى ابن مريم اي انتهى ارسال الرسل اليه
واتيناه الانجيل وجعلنا في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة ورهبانية مصدر رهب
وهو شدة الخوف والمراد تعبدهم في الجبال والمغاير والكهوف وذلك ان بني اسرائيل
بعد صعود عيسى افترقوا اثنين وسبعين فرقة ثلث فرقة على الحق والباقون على الضلال
فدعوا الملوك والجبابرة الى دين عيسى فقاتلوهم حتى لم يبق منهم الا قليل فلم يقدروا على المقاومة

فتفرقوا

فتفرقوا في الجبال ابتدعوها اخترعوها من عند انفسهم ما كتبناها عليهم ما فرضناها عليهم
الا ابتغاء رضوان الله استثناء منقطع اي لكن ابتدعوها طلبا لمرضاة الله فما رعوها حق
رعايتها ما قاموا بها حق القيام وفيه اشارة الى ان التعمق في العبادة وفوق ما شرعه
الله ورسوله مذموم وقد روى البخاري عنه صلى الله عليه وسلم ان الدين يسر ولن
يشاد احد الدين الا غلبه فان بني اسرائيل شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم فتلك
بقاياهم في الصوامع رهبانية ابتدعوها وانتصابها بفعل مضمر وجعلها من المجعولات
عدول عن الظاهر مخالف للاحاديث فاتينا الذين امنوا منهم اجرهم الذين
وفوا بما نذروا وكثير منهم فاسقون لم يحافظوا على ما عاهدوا الله عليه يا ايها الذين
امنوا احدثوا الايمان اتقوا الله في اوامره ونواهيه وامنوا برسوله محمد عليه السلام
عن ابن عباس والضحاك رضي الله عنهم انها نزلت في مؤمني اهل الكتاب
ويدل عليه قوله يؤتكم كفلين من رحمته وذلك لما رواه البخاري ومسلم رحمهما الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلثة يؤتون اجرهم مرتين رجل امن بنبيه
وامن بمحمد وعبد مملوك ادى حق الله وحق مواليه ورجل له امة فادبها ثم اعتقها
فتزوجها والكفل الحظ الوافر والنصيب الكامل كانه تكفل بالكفاية ويجعل لكم نورا تمشون به
على الصراط يسعى بين ايديكم وبايمانكم او نورا ينقذكم به عن ظلمات الجهل ويغفر لكم
ما سلف لكم والله غفور رحيم عن سعيد بن جبير رضي الله عنهما افتخر مؤمنو اهل الكتاب
بان لهم الاجر مرتين فانزل الله تعالى لمؤمني هذه الامة وزادهم النور والمغفرة
ويؤيده ما رواه البخاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مثلكم ومثل اهل
الكتابين مثل رجل استاجر قوما فعملوا الى الظهر واستاجر اخرين فعملوا الى العصر
ثم استاجر قوما فاكملوا بقية اليوم فاعطاهم مثل اجر الفريقين فغضبوا وقالوا نحن
اكثر عملا واقل اجرا فقال هل نقصتكم مما شرطت لكم قالوا لا قال فذلك فضلي
اوتيه من اشاء وما قيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارسل جعفرا يدعو النجاشي
الى الايمان فامن به وارسل سبعين رجلا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاؤا
ورسول الله قد تهيا لوقعة احد كلام لا اصل له وجعفر انما قدم مع من هاجر الى الحبشة
ورسول الله في محاصرة خيبر بعد احد بثلث سنين رواه البخاري مكررا في مواضع
لئلا يعلم اهل الكتاب الا يقدرون على شيء من فضل الله لا مزيدة والمعنى على
الاول انما وعدنا من امن من اهل الكتاب كفلين من رحمتنا ليعلم الذين
لم يؤمنوا منهم ان ايمانهم السابق لا يورثهم شيئا من فضل الله قط وعلى الثاني
اثبتوا ايها المؤمنون على ايمانكم واتقوا الله يؤتكم ما وعد من امن من اهل الكتاب
من الاجر مرتين ويزدكم النور والمغفرة وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء وقيل
لا غير مزيدة والمعنى انما فعلنا كذا وكذا لئلا يعتقد اهل الكتاب ان رسول الله

والمؤمنين لا يقدرون على حصر فضل الله فيمن آمن بمحمد وقوله وان الله ذو الفضل العظيم
عطف على لا يعلم ولا يخفى بعده تمت والحمد لله على التأييد ونسأله من فضله المزيد والصلوة
على الماجد الفريد وآله وصحبه الذين فلقوا بالحديد هام كل جبار عنيد

سورة المجادلة مدنية وهي اثنتان وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم قد سمع الله
قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي الى الله عن عائشة رضي الله عنها تبارك الذي وسع
سمعه كل شيء لقد جاءت المجادلة خولة بنت ثعلبة زوجة اوس بن صامت الانصاري
الى رسول الله تشتكي زوجها وانا في ناحية البيت يخفى علي بعض كلامها وكان اوس
ولاج الخوالف وكان به حدة فدعاها الى الفراش فابت فظاهر عنها فاستفتت فقال
حرمت عليه فقالت ان لي منه صبية ان ضممتهم اليه ضاعوا وان ضممتهم الي جاعوا
فقال قد حرمت فقالت اشكو الى الله فاقتي فنزلت وروي انها استوقفت عمر بن
الخطاب رضي الله عنه يوما زمانا طويلا فدنا منها واصغى اليها فقال رجل يا امير المؤمنين
حبست رجالات قريش على هذه العجوز قال ويحك هذه خولة التي سمع الله تعالى
شكواها من فوق سبع سموات لو لم تنصرف لوقفت معها الى الليل وفي قد دلالة على
ان رسول الله والمجادلة كانا يتوقعان ان الله تعالى سينزل في شأنها ما يفرج كربها
والله يسمع تحاوركما تراجعكما في الكلام ان الله سميع بصير للاقوال والاحوال الذين
يظاهرون منكم من نسائهم الظهار كان طلاقا في الجاهلية مؤكدا باليمين وفي اقحام
منكم توبيخ للعرب وتصوير لزيادة التهجين لانه كان مخصوصا بهم وقرأ حمزة والكسائي
بفتح الياء والهاء والتشديد من اظاهر وعاصم بضم الياء وكسر الهاء والتخفيف من
ظاهر ما هن امهاتهم حقيقة بكسر التاء قراءة السبعة على ان ما عاملة ان امهاتهم الا اللائي
ولدنهم والمرضعات وازواج الرسول ملحقات بهن احتراما قرأ الكوفيون وابن عامر
اللائي بالهمز والياء وابو عمرو وابن كثير في رواية قنبل بالياء ساكنة ونافع في رواية
ورش كالياء مكسورة وفي رواية قالون وابن كثير في رواية البزي بالهمز وانهم
ليقولون منكرا من القول وزورا باطلا منحرفا عن الصواب اذ بين الزوجات
والامهات ابعد مما بين الضب والنون فان قلت الظهار كالطلاق فكيف
يوصف بالزور الذي هو من خواص الخبر قلت باعتبار ما تضمن من الحاقها بالام
وان الله لعفو غفور والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا الظهار
قول الرجل لزوجته انت علي كظهر امي او كرأسها او كجسدها وسائر المحارم كالام
الا انه الاولى في ذم المظاهر وهذه في بيان حكمه ثم العود عند الظاهرية ان العود
الى لفظ الظهار فيكرره وعند ابي حنيفة رحمه الله باستباحة ما حرم ولو بالنظر بالشهوة
وعند الشافعي رحمه الله بان يمسكها زمانا يمكنه ان يفارقها وعند الامام احمد رحمه الله
ان يعود الى الجماع او يعزم عليه وعند مالك العزم على الوطي او الامساك فتحرير رقبة

اي فكفارته تحرير رقبة وقيده الشافعي رحمه الله بالمؤمنة بناء على اصله من حمل المطلق على
المقيد والفاء للسببية وفائدتها الدلالة على تكرر الكفارة بتكرر الظهار من قبل ان يتماسا
يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر لعموم اللفظ وان يجامعها وفيه دليل على حرمة
ذلك قبل التكفير ذلكم التكفير على هذا الوجه توعظون به تزجرون به لان المظاهر
اذا علم بوجوب الكفارة وهي اعتاق رقبة ينزجر والله بما تعملون خبير حث
على الاتيان به على الوجه الاكمل فمن لم يجد ما يعتق به رقبة ومن ماله غائب واجد
فلا يعدل عن العتق فصيام شهرين متتابعين فان افطر يوما لغير عذر او نسي النية
او مرض بطل تتابعه دون الحيض والقربان بالليل يقطعه عند ابي حنيفة ومالك
دون الشافعي رحمهم الله من قبل ان يتماسا فمن لم يستطع لهرم او شبق او لمرض
لا يرجى زواله فاطعام ستين مسكينا وهو نصف صاع من بر او صاع من شعير اعتبارا
بالفطرة وعند الشافعي رحمه الله مد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو رطل وثلث
وكل خمسة ارطال وثلث ستمائة درهم وثلاثة وتسعون درهما وثلث درهم والدليل للشافعي
حديث الاعرابي الذي جامع في رمضان وانما لم يعد التماس لتقدمه مكررا او لجوازه في
خلال الاطعام كما قال ابو حنيفة رحمه الله وجوزه بعضهم على الظاهر ذلك لتؤمنوا بالله
ورسوله اي فرض ذلك لتصدقوا بالله ورسوله فيما شرع من الاحكام وترفضوا
ما كنتم عليه في الجاهلية وتلك حدود الله اي الاحكام المذكورة فلا تتجاوزوها وللكافرين
الذين لم يصدقوا عذاب اليم جزاء كفرهم ان الذين يحادون الله ورسوله يعادونهما
من الحد لان كلا من المتعاديين في حد او يقابلونهما في شرع الحدود وخلاف ما شرعا
كبتوا كما كبت الذين من قبلهم اخزوا واهلكوا مثلهم قيل الضمير في كبتوا لبني قريظة فان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلهم وسبى ذراريهم بعد الخندق ومن قبلهم المشركون يوم
بدر وقد انزلنا آيات بينات واضحات لا لبس بها وللكافرين بتلك الآيات
عذاب مهين لاستكبارهم عن الايمان بها يوم يبعثهم الله جميعا ظرف لمهين
لان الخزي في الجمع الكثير اشنع او منصوب باذكر فينبئهم بما عملوا من التكذيب وسائر
المعاصي على رؤس الاشهاد تكميلا للخزي والاهانة ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا
على ربهم احصاه الله علمه مفصلا ونسوه لكثرته او تهاونهم والله على كل شيء كل ما يطلق عليه
اسم الشيء من الذوات شهيد حاضر يعلمه عيانا ثم اقام البرهان عليه بقوله الم تر
ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض من الاجزاء والجزئيات والخطاب عام
ما يكون من نجوى ثلثة اسم من النجو وهو القطع لان السر منقطع عن الغير او من النجوة
وهي الارتفاع لعدم ثلثة اي من اهل نجوى فحذف الاهل وجعل نفس النجوى مبالغة
الا هو رابعهم في العلم والاحاطة الا هو سادسهم كذلك وتخصيص العددين اما لخصوص
الواقع وهو ما روي انها نزلت في حبيب وربيعة ابني عمرو وصفوان بن امية كانوا

وصول العين الى المعنى ما يكون من نجوى ثلثة تقرر على ان نجوى مضاف الى الثلثة او موصوف بها صح

يتناجون باحوال المؤمنين وذكر منه الخمسة لتناسب الوتر اولان النجوى انما يكون
من ذوي الاحلام والنهى وهم قليلون في الاغلب لا يعدون عشرة فذكر الوترين
لان الله وتر يحب الوتر ثم اشار الى الطرفين بقوله ولا ادنى من ذلك ولا اكثر
على انه لو ذكر الاربعة لم يتناول الادنى الاثنين الا على التوسع الا هو معهم اينما كانوا
اذ علمه بالاشياء لا يتفاوت والقرب والبعد منه محالان ثم ينبئهم بما عملوا يوم
القيمة اي يجازيهم عليه او يوبخهم به تفضيحا ان الله بكل شيء عليم الم تر الى الذين نهوا
عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه تعجيب للسامع لوقاحتهم عن ابن عباس
رضي الله عنهما نزلت في المنافقين وعن مجاهد في اليهود كانوا اذا راوا المؤمنين
سار بعضهم بعضا وغمزوهم فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهاهم فلم ينتهوا
ويتناجون بالاثم والعدوان ومعصية الرسول بالكذب والظلم ومخالفة الرسول
بيان وكشف عن حال نجواهم بما يوكد ذمهم اذ لو كان تناجيهم بما فيه خير كان امر
الرسول موجبا للانتهاء والامتثال وقرا حمزة ويتنجون مقصورا عن الفرا وكلاهما بمعنى
واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله فيقولون السام عليك والسام هو الموت
ويقول الله وسلام على عباده الذين اصطفى روى البخاري ان يهودا اتوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعايشة رضي الله عنها عنده فقال السام عليك فقالت عايشة
وعليكم السام واللعن فقال رسول الله لا تكوني فحاشة قالت الم تسمع ما قالوا قال
اولم تسمعي ما قلت قلت وعليك فيستجاب لي ولا يستجاب له ويقولون في انفسهم
لولا يعذبنا الله بما نقول ان كان نبيا كما يزعم حسبهم جهنم كافيهم في العذاب
يصلونها يدخلونها فبئس المصير جهنم والفا للسببية مبالغة في استحقاقهم وليس في القران
غيره يا ايها الذين امنوا اذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول
صح بما علم ضمنا ليرتب عليه قوله وتناجوا بالبر والتقوى بما فيه الثواب والاتقاء
عن معصية الرسول واتقوا الله الذي اليه تحشرون في مجامع اموركم انما النجوى
من الشيطان اي نجوى المنافقين ليحزن الذين امنوا الشيطان او النجوى وقرا
نافع يحزن بضم اليا على انهما لغتان وقال الخليل احزنه ادخل فيه الحزن فهو بليغ
وليس بضارهم شيئا الا باذن الله فعلى المؤمن اذا راى شيئا من ذلك ان لا يحزن
وعلى الله فليتوكل المؤمنون لعلمهم بان لا ضار ولا نافع غيره يا ايها الذين اذا قيل لكم
تفسحوا في المجالس توسعوا وتباعدوا عن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في موضع
الحرب كانوا يتنافسون فيها وعن مقاتل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصفة
يوم الجمعة فجاء البدريون والصفة غاصة بالناس فلم يجدوا موضع الجلوس فوقفوا
فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم طايفة حتى جلس البدريون فنزلت روى البخاري
ومسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقيم احدكم اخاه ثم يجلس مكانه ولكن تفسحوا

وقرا

وقرا غير عاصم المجلس مفردا وعليه الرسم فافسحوا يفسح الله لكم المجلس قيل لم يضيق
المكان قط عمن جاء بعد التفسح او في اموركم كلها بركة الامتثال واذا قيل
انشزوا فانشزوا عن الحسن انهضوا الى الحرب وعن قتادة الى كل معروف
وعن ابن زيد ارتفعوا عن مجلسه وقرا نافع وابن عامر وحفص بضم الشين
وابو بكر بخلاف عنه وهما لغتان والكسر اخف يرفع الله الذين امنوا منكم
جزم على الجواب اي ان امتثلوا امر الله يرفع الله لهم المنزلة لاجل تواضعهم والذين
اوتوا العلم خاصة درجات للجمع بين العلم والعمل وفي الحديث فضل العالم
على العابد كفضلي على ادناكم والله بما تعملون من الامتثال خبير فمكين ذلك
عن اخلاص وصفاء قلب يا ايها الذين امنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين
يدي نجواكم صدقة كان يخاطبه المؤمن والمنافق واجلاف البوادي والاتباع
والبعيد ويبرمون فيما لا طايل تحته فاراد الله اظهار كرامته فاوجب لمن اراد ان
يناجيه ان يتصدق امام النجوى ثم يتناجى فبقي الامر على ذلك عشرة ايام وقيل ساعة
ثم نسخ بالذي بعدها وعن علي بن ابي طالب لم يعمل بها غيري كان معي دينار
فصرفته وكنت اذا ناجيت تصدقت قبله بدرهم وعن ابن عمر كانت في علي ثلث
لو كانت في واحدة كانت احب الي من جميع النعم صهارة رسول الله بفاطمة والنجوى
والراية يوم خيبر ذلك خير لكم اي التصدق من الامساك واطهر فان الصدقة
طهرة للذنوب لا سيما في مناجاة رسول الله فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم
اباح المناجاة من غير تقديم صدقة ءاشفقتم ان تقدموا بين يدي نجواكم صدقات
اي اخفتم مما امرتم به من الصدقة بين يدي النجوى والجمع باعتبار كثرة المخاطبين الهمزة
للتقرير ولم يرد نص على اظهارهم الخوف ولكن الله اخبر عما حدثت به انفسهم فاذ
لم تفعلوا وتاب الله عليكم بان رخص لكم ترك الصدقة امام النجوى الجمهور على ان
هذا ناسخ لوجوب الصدقة وقيل نسخت بوجوب الزكوة فاقيموا الصلوة واتوا الزكوة
مسبب عما قبله كانه قال لا تقصروا في اداتها كما قصرتم في الصدقة وفيه نوع تعبير لهم
واطيعوا الله ورسوله في ساير الامور وان كانت شاقة عليكم والله خبير بما تعملون
ظاهرا او باطنا فيجازيكم على حسب ذلك الم تر الى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم
تعجب من حال المنافقين يتولون اليهود والذين غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم
اي المنافقون ليسوا من المسلمين ولا من اليهود ويحلفون على الكذب الذي هو
ادعاء الاسلام وهم يعلمون انهم كاذبون فيتعمدون الكذب وهي اليمين الغموس
اعد الله لهم عذابا شديدا نوعا منه متفاقما انهم ساء ما كانوا يعملون في الازمنة
المتطاولة او هو حكاية ما يقال لهم يوم القيمة اتخذوا ايمانهم جنة تسترون بها
ويدفعون اطلاع المؤمنين على حالهم فصدوا عن سبيل الله الذين يريدون الاسلام

يؤمنون امر الاسلام وانه لا بقاء له عن ابن عباس رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم جالسا في نفر من اصحابه رضي الله عنهم في ظل حجرة من حجره فقال
سياتيكم الآن رجل ينظر بعين شيطان فدخل عليه عبد الله بن نبتل فقال له
رسول الله على ما تشتمني انت واصحابك فجاء باصحابه فحلفوا انهم لم يفعلوا فنزلت
فلهم عذاب مهين لكفرهم وصدهم وقيل الاول عذاب القبر وهذا عذاب
الآخرة لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا من عذاب الله او شيئا
من الاغناء وذلك انهم كانوا يقولون لنا الاموال والاولاد ان كان القول
محمد اصل نفتدي بها يوم القيمة اولئك اصحاب النار الملازمون لها هم فيها
خالدون ابدا يوم يبعثهم الله جميعا مجتمعين فيحلفون له انهم مؤمنون حقا كما
يحلفون لكم في الدنيا ويحسبون انهم على شيء ان تلك الايمان تروج عنهم كما
راجت في الدنيا جاهلين بعلم علام الغيوب الا انهم هم الكاذبون البالغون
في الكذب كان من عداهم ليس بكاذب استحوذ عليهم الشيطان استولى على
قلوبهم بأن لذلك الكذب المفرط فانساهم ذكر الله فلا يتأملون في صفاته
ليتميز لهم ما لا يليق بكبريائه اولئك حزب الشيطان جنده الا ان حزب الشيطان
هم الخاسرون اعاده الكاملون في الخسران ان الذين يحادون الله ورسوله ليفصل
اعمالهم المجلة في كتبوا ويقرن بها احوال اضدادهم المؤمنين حزب الرحمن اولئك
في الاذلين في زمرة هم اذل خلق الله كتب الله في اللوح لاغلبن انا ورسلي بالسيف
والبرهان وذكر الله ببيان ان ارسل عنده بمكان كانه معهم في المناظرة والمحاربة
ان الله قوي ذو قدرة كاملة عزيز غالب قاهر لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم
الآخر يوادون من حاد الله ورسوله لانه جمع بين الضدين قال قوعدي ثم تزعم
انني صديقك ليس النوك عنك بعازب والمعنى لا يوجد او لا ينبغي ان يوجد وانما عبر عنه به مبالغة
لان الواقع عدم الاتقاء لا الوجدان فصور بصورته ابرازا لما لا ينبغي ممتنعا ولو كانوا
اباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم كما فعل ابو عبيدة بن الجراح قتل اباه يوم
بدر وكان اسيرا وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يليق به فضرب عنقه وابو بكر
دعا ابنه على البراز يوم بدر ومصعب بن عمير قتل اخاه يوم بدر ولما استشار رسول الله
صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الاسرى قال هؤلاء رؤس الكفار
لكني من فلان لقريب له وتمكن عليا من عقيل وفلانا من فلان ليعلم المشركون
ان لا موادة في قلوبنا اولئك كتب في قلوبهم الايمان اثبته فيها الزام المكتوب
في الرق وايدهم بروح منه بقوة من عنده حتى اجتروا على قتل اعزتهم او بنور الايمان
فانه حيوة للقلوب او من كان ميتا فاحييناه وفيه دليل على ان الايمان فعل القلب
ويدخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها رضي الله عنهم قبول طاعاتهم ورضوا عنه

بما حاربهم به اولئك حزب الله جنده الا ان حزب الله هم المفلحون اولئك هم
الفائزون في الدارين بالغلبة في الدنيا والجنة في العقبى تمت المجادلة والحمد
لمن الا له ذو شأنه والصلوة على سيد الزمرة الكاملة وآله واصحابه وايمة متواصلة
سورة الحشر مدنية وآيها اربع وعشرون آية بسم الله الرحمن الرحيم
سبح لله ما في السموات وما في الارض وهو العزيز الحكيم سبق الكلام عليه
هو الذي اخرج الذين كفروا من اهل الكتاب من ديارهم لاول الحشر والمراد بنو
النضير وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جاء الى المدينة صالحهم الى الايمان
وابو صالحهم لان لا يكونوا له ولا عليه حتى قتل عمرو بن امية رجلين من بني عامر
خطأ فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بني النضير يستعين بهم في دية الرجلين وكان
بنو عامر حلفاء بني النضير فقالوا نفعل ذلك يا ابا القاسم واجلسوه في ظل جدار
واخذوا في المشاورة وقالوا ما نرى فرصة احسن من هذه فانتدب عمرو بن جحاش
لقتله بان يصعد ويلقي عليه صخرة فاتاه خبر السماء بكيدهم فكر راجعا وكان معه ابو بكر
وعمر وعلي رضي الله عنهم فتجهز لقتالهم وسار اليهم وكانت لهم حصون منيعة فتحصنوا
بها على ما يفصل بعد كان بعد احد وقيل بعد بدر بستة اشهر لاول الحشر اللام للتوقيت
مثل قدمت لخمس خلون ومعنى اول الحشر انهم لم يصبهم جلاء واول جليهم من
الشام الى ارض العرب كان باختيار منهم او انهم اول من اخرج من جزيرة العرب
او ان هذا اول حشر اهل الكتاب والثاني اجلاء عمر اهل خيبر او آخر حشرهم يوم
القيمة حاصرهم ستة ايام ثم اتفقوا على ان لهم ما حملت الابل فاجلاهم الى الشام ولحق
بعضهم بخيبر واسلم منهم رجلان يامين بن عمرو وابو سعد بن وهب واستدلال بكرم
بالاية على ارض الشام لبقي المحشر غير تام ما ظننتم ان يخرجوا ايها المؤمنون لكثرة عددهم
وعددهم وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله كان الظاهر وظنوا ان لا يخرجوا فالعدول
الى المنزل لما في تقديم الخبر ثم اسناد الجملة الى الضمير من الدلالة على ان ظنهم قارب
اليقين لا كظن المؤمنين فاتاهم الله من حيث لم يحتسبوا اي بأسه ولم يكن ذلك في
حسابهم لاعتمادهم على شدة باسهم وحصانة حصونهم وقذف في قلوبهم الرعب
الخوف الذي يملأ الصدر واكده بلفظ القذف الدال على القوة يخربون بيوتهم بايديهم
عن قتادة وكانوا يخربونها ليسدوا به ما انهدم من السور او كانوا يفعلون ذلك لئلا يبقى
للمسلمين جنة وايدي المؤمنين لانهم تسببوا لذلك فاعتبروا يا اولي الابصار ولا تخالفوا
امر الله ورسوله او لا تعتمدوا على قواكم واتكلوا على الله في اموركم وفيه دليل على جواز
القياس فيما لا نص فيه بشرائطه المعلومة في موضعه وقرأ ابو عمرو بالتشديد وهو ابلغ
لدلالته على التكثير ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء الذي هو اشق لعذبهم في الدنيا
بالقتل والسبي الذي كما فعل ببني قريظة ولهم في الآخرة عذاب النار الذي القتل

والجلاء عنه واهون شئ ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله اى ذلك النصب الذى
اورثهم عذاب الدارين لاجل انهم عادوا رسول الله وكذبوه وذكر الله تعالى
للدلالة على ان مشاقة رسوله مشاقته ولذلك اكتفى به فى قوله ومن يشاق الله
فان الله شديد العقاب وفيه تهديد لغيرهم ما قطعتم من لينة هى النخلة ما عدا العجوة
والبرنية من اللون سميت به لاشتمالها على الالوان قلبت الواو ياء لكسرة والجمع
لين او تركتموها قائمة على اصولها فباذن الله لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بقطعها وتحريقها وقع فى قلوب المؤمنين وسوسة وقيل ارسلت قريظة يقول يا محمد
كنت تنهى عن الفساد فنزلت وفيه يقول حسان بن ثابت وهان على سراة
بنى لوى حريق بالبويرة مستطير وانما ابقوا العجوة والبرنية لانها احسن وليخزى
الفاسقين اليهود اذ شاهدوا ذلك والمعلل محذوف اى اذن لكم وما افاء الله
على رسوله منهم فما اوجفتم عليه من خيل ولا ركاب لقرب حصونهم ولم يقع منهم
قتال الايجاف الاسراع والركاب الابل التى يسار بها لا واحد له من لفظه
ولكن الله يسلط رسله على من يشاء بالقاء الرعب فى قلوب عدوهم نزلت
حين طلبوا منه قسمة اموالهم كما قسم اموال المشركين ببدر والله على كل شئ قدير
يفعل بالملائكة وبدونها ما افاء الله على رسوله من اهل القرى لم يدخل العاطف
لانه بيان الاول شامل لمال بنى النضير ولسائر اموال الفئ الى يوم القيمة
فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل هذه مصارف
مال الفئ وهى مصارف خمس الغنيمة فلما قطع عنه مطامع انظار اهل الغز
و امر ان يضعها هذه المواضع فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ من
ذلك قوت سنة لاهله ثم يصرف الباقى فى هذه المصارف وكذلك فعلت
الخلفاء مع امهات المؤمنين وذكر الله للتعظيم وقيل يصرف سهمه فى عمارة
الكعبة شرفها الله ولسائر المساجد وذهب الشافعى الى ان المصروف فى هذه
المصارف فى زمانه كان اربعة اخماس الخمس واما الاخماس الاربعة مضافا اليها
خمس الخمس كانت خالصة لرسول الله يأخذ منه نفقة اهله ويصرف الباقى الى
الكراع والسلاح وهى الآن تصرف الى المرتزقة واستدل بحديث رواه البخارى
عن عمر بن الخطاب كى لا يكون دولة بين الاغنياء منكم اى انما بينا مصارف
الفئ كيلا يكون جدا وحظا بين الاغنياء يتكاثرون به والدولة ما يدول مع الانسان
من الحظ اى يدور فعلة بمعنى الفاعل او كيلا يكون دولة جاهلية وكان اهل الشوكة
يختصون بها ويقولون من عز بز او بمعنى المفعول اى يتداولونه يتعاورونه
كالغرفة لما يغترف وقرأ هشام فى احد الوجهين بتأنيث الفعل ونصب دولة على ان
كان ناقصة وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا لا تخالفوه فى شئ ولا تتهموا فى افعا

واتقوا الله

واقوالا غير الحق واتقوا الله بطاعة رسوله ان الله شديد العقاب فيتحقق بان
يتقى للفقراء المهاجرين بدل من لذى القربى باعادة الجار لا من الرسول
وما عطف عليه لخروجه عنهم بقوله وينصرون الله ورسوله ولكونه اجل من ان
يطلق عليه اسم الفقير ولان المبدل فى حكم السقوط وذلك مخل بتعظيم الله
لان الاسم الاعظم وان كان مذكورا توطئة وتمهيدا الا انه لا يليق ان يقال
انه فى حكم السقوط الا يرى انه لا يقال له علامة لمكان ان الذين اخرجوا من
ديارهم واموالهم استولى عليها المشركون يبتغون فضلا من الله الجنة ورضوانا
ورضا وحال مقيدة وينصرون الله ورسوله بدينهما اولئك هم الصادقون
فى دعوى الايمان لتنور دعويهم بالبرهان والذين تبوؤا الدار والايمان
هم الانصار عطف على المهاجرين اى دار الهجرة ودار الايمان فاللام فى الاول عوض
عن الاضافة وحذف المضاف من الثانى او اخلصوا الايمان كقوله علفتها
تبنا وماء باردا او جعل الايمان مستقرا وموطنا على انه استعارة مكنية وهذا ابلغ
الوجوه واطلاق الدار حينئذ للتنوية كانها الدار التى يحق لهم ان تسمى دارا
من قبلهم من قبل هجرة المهاجرين وقيل سبقوا المهاجرين بالتبوء والايمان
او سبق الانصار بالايمان على كل من هاجر غير مسلم ولا يستقيم الا بتقدير الاضافة
يحبون من هاجر اليهم ولا يعدونه كلا قال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخا بينهما كما آخا بين المهاجرين والانصار
اشاطرك مالى وانظر اى زوجتى اعجبتك اطلقها فتزوجها ولا يجدون فى صدورهم
حاجة مما اوتوا مما اعطى المهاجرون وذلك ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم
لم يعط من مال بنى النضير الانصار شيئا الا ابا دجانة وسهل بن حنيف والحارث
بن الصمة وقد بالغ فى مدحهم حيث نكر الحاجة وذكر الصدر والوجدان ثم لم يخطر
بخاطرهم ما يسمى حاجة فضلا عن توجه النفس الى طلبها ولذا اوثر الوجدان دون
العلم ويؤثرون على انفسهم اى يختارون المحتاج على انفسهم بما لهم فكيف يطمع
الى شئ ليس لهم ولو كان بهم خصاصة فقر وحاجة من خصاص الاثافى الفرج
بين احجارها روى البخارى عن ابى هريرة رضى الله عنه جاء رجل الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقد اصابه الجهد فارسل الى نسائه فلم يجد شيئا فقال الا رجل
يضيف هذا فقام رجل من الانصار فقال انا يا رسول الله فذهب به فقالت
امرأته ما اجد الا قوت الصبية قال نومى الصبية وقدمى الطعام ثم قومى كأنك
تصلحين السراج فاطفئيه ليأكل وحده فانه ضيف رسول الله ففعلت فلما اصبح
جاء الى رسول الله فقال لقد عجب الله منكم فنزلت ومن يوق شح نفسه الشح
البخل مع الحرص واضافته الى النفس لانه غريزتها اى ومن يحفظ عن هذه الرذيلة

فاولئك هم المفلحون الفائزون بالثناء من الله عاجلا والثواب آجلا والانصار
واخلصوا اول دخول والذين جاؤا من بعدهم اى من بعد الفريقين وهم
الذين اتبعوهم باحسان الى يوم الدين وقيل الذين هاجروا بعد السابقين
الاولين وفيه انه لا يستوعب مستحق الفئ ويرده قوله ربنا اغفر لنا ولاخواننا
الذين سبقونا بالايمان لان اللاحق بهجرة يجوز ان يكون اسبق ايمانا ولا تجعل
فى قلوبنا غلا للذين آمنوا غشا وحقدا من الغلل وهو الماء بين الاشجار وعن
مالك ان ساب السلف لا يستحق من الفئ شيئا لعدم اتصافه بما فى الآية ربنا
انك رؤف رحيم حقيق باجابة دعائنا الم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم
الذين كفروا من اهل الكتاب ابن ابى راس المنافقين ومن تبعه دسوا الى
اهل الكتاب بما اخبر الله به رسوله والمراد بالاخوة توادهم واتفاقهم فى الكفر قولا
تودد لهم منكم ولا منهم لئن اخرجتم من دياركم لنخرجن معكم او لا نعيش لنا
بعدكم ولا نطيع فيكم فى قتالكم احدا ابدا محمدا وغيره وان قوتلتم لننصرنكم لا محالة
والله يشهد انهم لكاذبون فى كل ما قالوه ثم رد مقالتهم مفصلة بقوله لئن اخرجوا
لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم فرضا وتقديرا ليولن
الادبار انهزاما ثم لا ينصرون اى المنافقون بل تهلكون لظهور نفاقهم وقيل الضمير
لليهود وليس بوجه لان سوق الكلام لذم المنافقين لانتم اشد رهبة فى صدورهم
من الله اى مرهوبية والمعنى يخافونكم فى السر اكثر من تخوفهم من الله او من
اظهارهم الخوف من الله لكم اذ لم يكن لهم خوف من الله ذلك بانهم قوم لا يفقهون
عظمة الله ليعلموا انه الحقيق بان يخاف لا يقاتلونكم جميعا المنافقون واليهود
الا فى قرى محصنة لضعف قلوبهم واستيلاء الجبن عليها او من وراء جدر جمع
جدار لحصرهم و[illegible] وقرأ ابن كثير وابو عمرو جدار مفردا لقصد الجنس او ارادة السور
الجامع والجمع اظهر واوفق بالقرى بأسهم بينهم شديد اذا تقاتلوا واما اذا
حاربوا الله ورسوله اجبن من صافر تحسبهم جميعا ذوى الف واتحاد وظاهرا
وقلوبهم شتى جمع شتيت متفرقة هؤلاء عبدة الاصنام واولئك اهل الكتاب
ذلك بانهم قوم لا يعقلون ان تشتت القلوب والآراء مما يورث الفشل
والوهن كمثل الذين من قبلهم اى مثل اليهود فى محاربة رسول الله كمثل المشركين
يوم بدر وعن ابن عباس بنو قينقاع اجلاهم رسول الله قبل هؤلاء قريبا اى فى
زمان قريب وانتصابه على الحال اى وجد مثل هؤلاء مثل وجود مثل اولئك
قريبا لم ينطمس بعد اثره فكان لهم عبرة فيهم ذاقوا وبال امرهم بيان للمشبه يقرره
وفيه زيادة تجهيل لليهود والوبال سوء العاقبة من قولهم مرعى وبيل اى وخيم ولهم
عذاب اليم فى الآخرة كمثل الشيطان لما مثل حال اليهود بحال اهل بدر مثل المنافقين

بحال الشيطان يوم بدر جاءهم فى صورة سراقة سيد كنانة وقال للمشركين انى
جار لكم فلما تراءى الجمعان نكص على عقبيه هاربا وقال انى برئ منكم اذ قال
للانسان اكفر فلما كفر قال انى برئ منك انى اخاف الله رب العالمين والمراد
بالانسان الجنس [فلما كفر] او كفار قريش وقيل راهب حمله على الفجور بامراة قيل قصة
يرويها القصاص فكان عاقبتهما انهما فى النار خالدين فيها نصب على الحال
والظرف خبر كان وفيها تأكيد وذلك جزاء الظالمين كل كامل فى الظلم
وهم الكفار يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد ليوم القيمة
سماه غدا لقربه او لان اليوم يومان وتنكيره لاستقلال الانفس النواظر
كانه قال ولتنظر نفس واحدة او للتعظيم وهى النفس المطمئنة كانه قال لتنظر
النفس التى لها قدر واما جعله من قبيل علمت نفس فيأباه المقام لان سوق
الكلام لبيان استيلاء الغفلة والقسوة على الانسان وتنكير الغد للتعظيم اى
غد واى غد واتقوا الله تكرار ولان الاول فيما قدم من الاعمال وهذا جار مجرى
الوعيد ولذا عقبه بقوله ان الله خبير بما تعملون وفى مجيئهما مطلقين من الفخامة
ما لا يخفى ولا تكونوا كالذين نسوا الله نسوا حقه فانساهم انفسهم حتى لم يرشدهم
الى طريق الهدى او اراهم يوم القيمة ما انساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون
الكاملون فى الفسق لا يستوى اصحاب النار واصحاب الجنة كأن الناس
لاستيلاء الغفلة عليهم لم يفرقوا بين الفريقين فاحتاجوا الى الاعلام كقوله وما يستوى
الاعمى والبصير واستدل الشافعى بالآية على ان المسلم لا يقتل بالذمى وذلك لانه
لما نهى المؤمنين ان يكونوا كالذين نسوا الله اشار الى عدم مساواة الجرمين
فى احكام الدارين وان كان الملحوظ بالقصد الاول احكام الآخرة ولذلك عقبه
بقوله اصحاب الجنة هم الفائزون بما لم يخطر على قلب بشر لو انزلنا هذا القرآن
على جبل لرايته خاشعا متصدعا من خشية الله تمثيل وتصوير لزواجر القرآن
وما فيه من الوعيد والآيات الدالة على شدة سخطه على من كفران لو كان فى
الجبل فهم وكان هو المكلف والمخاطب لتكسر وتفرقت اجزاؤه من الخوف
وتلك الامثال هذا المثل ونظايره نضربها للناس لعلهم يتفكرون وفيه من
الدلالة على قسوة قلبه وعدم تدبره ما لا يخفى هو الله الذى لا اله الا هو لما اثنى
على القرآن واعلى شانه بما لا مزيد عليه اقام البرهان على ذلك بانه كلام من
هذه اوصافه ونعوته عالم الغيب والشهادة ما غاب عن الحس وما شاهده
او الموجود والمعدوم او الدنيا والآخرة او السر والعلن هو الرحمن الرحيم هو الله
الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلطان المنزه عن وصمة النقص والزوال
واختلال ملكه كسائر الملوك السلام ذو السلامة عن الآفات كانه عينها المؤمن

الجاعل غيره آمنا المهيمن الرقيب الحافظ من الامن الا انه ابلغ منه وهاؤه
منقلبة من الهمزة وقيل من الامانة لان الامين الحافظ العزيز الغالب الجبار
الذي جبر الخلق على ما اراد او كثير الجبر للمنكسرين ما كسر الا وجبر المتكبر البليغ الكبرياء
كلت العقول عن ادراك ذاته سبحان الله عما يشركون ليس كمثله شيء فكيف
يكون له شريكا هو الله الخالق المقدر للاشياء على وفق حكمة البارئ الموجد لها
بريئة عما لا يريد بل جارية كما اراد المصور المفيض المصور للصور والاشكال على
المواد القابلة له الاسماء الحسنى الدالة على صفات الجلال ونعوت الكمال وهذه
نبذة منها عن ابي هريرة رضي الله عنه ان لله تسعة وتسعين اسما من حفظها
دخل الجنة وقيل انما تسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنينا لانه لم يعرف
بهذه الاسماء ولم يؤمن بها يسبح له ما في السموات والارض من الاجزاء والجزئيات
وان من شيء الا يسبح بحمده وهو العزيز الغالب الحكيم المتقن في صنعه
فذلكة للسورة ورمز الى اجلاء اليهود وايراث اموالهم لرسول الله والمؤمنين روى الامام
احمد بن حنبل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح اعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم ثلث مرات ثم قرا ثلث ايات من آخر الحشر
وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه الى ان يمسي وان مات في يومه مات
شهيدا تمت سورة الحشر والحمد لمؤلف البر والصلوة على المؤيد بالعز والنصر وآله
وصحبه سورة الممتحنة مدنية وآيها ثلث عشرة آية الى آخر الدهر
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم هادن قريشا سنة الحديبية ثم نقضوا العهد فاراد ان يغزوهم وكان
وقت الفتح الموعود فقال اللهم اعم عن المشركين شاننا فكتب حاطب ابن ابي بلتعة
وهو رجل من المهاجرين ولم يكن من قريش بل كان حليفا لعثمان رضي الله عنه
وكان قد تخلف عنه اهله وماله كتابا الى اهل مكة يخبرهم بامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقصده اياهم واعطاه العجوز من عجز مزينة وقيل لسارة مولاة ابي المطلب فلما توجهت
اخبر جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وسلم بشانها فارسل عليا والزبير وابا مرثد والمقداد
بن الاسود وقال ائتوا روضة خاخ فان بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها قال
علي رضي الله عنه فذهبنا تعادى بنا خيلنا فادركناها فقالت ليس معي كتاب فقلت
ما كذب رسول الله لتخرجن الكتاب او لاجردنك فاخرجته من حجزتها وكانت محتجزة
بكساء وفي رواية اخرجته من عقاصها فاتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فطلب حاطبا
وقال ما هذا الكتاب قال يا رسول لا تعجل فوالله منذ اسلمت ما ازددت الا ايمانا
ولكن كان من هاجر من اصحابك لهم قرابات يحمون بها اهليهم وكنت لصيقا فيهم فاردت
اذ فاتني ذلك ان اصطنع يدا عندهم يحمون بها قرابتي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد

قد صدقكم فلا تقولوا له الا خيرا فقال عمر يا رسول الله منافق دعني اضرب عنقه فقال
يا عمر وما يدريك ان الله قد اطلع على اهل بدر وقال افعلوا ولا حرج قد غفرت
لكم ففاضت عينا عمر فنزلت والعدو فعول من عدا جاوز ولكونه على زنة المصدر
كالقبول يطلق على الجمع وفي تقديم عدوي اشارة الى انه المهم وان فرض ان لم
يكن عدوا لهم تلقون اليهم بالمودة حال من فاعل لا تتخذوا او صفة اولياء جرت
على غير من هي له من دون الابراز لكونها فعلا او استيناف والباء مزيدة للتوكيد
كما في ولا تلقوا بايديكم او للسببية والمفعول محذوف اي اخبار رسول الله بسبب المودة
وقد كفروا بما جاءكم من الحق حال من فاعل تلقون ان جعل مستانفا والاجاز
ان يكون منه او من فاعل لا تتخذوا يخرجون الرسول واياكم ان تؤمنوا بالله
ربكم استيناف جار مجرى التفسير كانه قيل كيف كفروا فقيل كفروا اشد الكفر لاخراجهم
الرسول والمؤمنين لا لايمانهم بالله مولاهم خاصة لا لغرض آخر وهذا املا فايدة
من جعله حالا من فاعل كفروا ان كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي
حذف جواب الشرط لدلالة ما قبله عليه تسرون اليهم بالمودة جواب لسؤال
مقدر كانه قيل ماذا فعلوا حتى عوتبوا بما عوتبوا ولذلك اوثر ان على اذ ويجوز ابداله
من تلقون والباء فيه كما في تلقون وانا اعلم بما اخفيتم وما اعلنتم منكم واطلع رسولي
عليه فاي فائدة في الاسرار بعد علمكم بهذا واياكم به ومن يفعله منكم فقد ضل سواء
السبيل الطريق القويم ان يثقفوكم يكونوا لكم اعداء ان يظفروا بكم يظهر لكم منهم نتيجة
العداوة من الاضرار بانكايهم ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء بالقتل والشتم
جار مجرى تفسير العداوة وودوا لو تكفرون ردتكم كفارا وايثار الماضي والمضارع
لابتغاء ثان بعد وقوعها جزاء الشرط للاشارة الى ان ودادتهم كفر المؤمنين اسم
لالتحام مادة العداوة وارتفاع المنافاة حينئذ والمراد وداده مقارنة للقدرة
على ردهم كفارا فلا يرد ان ودادتهم مستمرة فلا يفيد التقييد بالشرط ليوثر العطف
على الشرطية لا الجزاء كما في ثم لا ينصرون في سورة الحشر لن تنفعكم ارحامكم قراباتكم
ولا اولادكم الذين توالون الكفار لاجلهم خطاهم اولا في موالاة من هو خالص
العداوة لهم ثم في من يوالون لاجله ثم بين وجه ذلك بقوله يوم القيمة يفصل
بينكم يفرق بينكم يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه فاي فائدة في موالاة اعداء الله
لمن لا بقاء ولا نفع في ودده قرا غير عاصم بضم الياء وكسر الصاد وشدده حمزة
والكسائي وابن عامر وهو ابلغ واوفق بالمقام والله بما تعملون بصير مشاهد له
قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه الاسوة اسم لما يؤتسى به كالقدوة
لفظا ومعنى كسر همزته عاصم اذ قالوا لقومهم ظرف لخبر كان وهو لكم انا برآؤا منكم
جمع بري كظرفاء جمع ظريف ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم اي بحل شيء يلتبس بكم

وشتا وان كان الماضي
صح

مما يدان به والكلام على المشاكلة والتهكم او الكفر انما يكون بالحق وما اتى به الرسل وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده فتنقلب العداوة موالاة والبغضاء حبا الا قول ابراهيم لابيه لاستغفرن لك مستثنى من اسوة حسنة لانها عبارة عن قولهم انا برآء الى اخره وما املك لك من الله من شيء بدا وان صح ان يكون من الاسوة لكونه كلاما حقا الا انه جعله تابعا للاستغفار مبالغة في تحقيق الوعد كانه قال ابذل جهدي ولو ملكت غير الاستغفار لفعلته ربنا عليك توكلنا واليك انبنا واليك المصير كلام مستانف التجاء الى الله بعد اظهار العداوة والتبرؤ عنهم في كفاية شرهم او تعليم من الله للصحابة بعد النهي عن موالاة الكفار والامر بالاقتداء بابراهيم عليه السلام تتميما للوصية كقوله انتهوا خيرا لكم ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا محل فتنة بان تسلطهم علينا فيفسدوا علينا دينا واغفر لنا ما فرط ربنا انك انت العزيز الحكيم حقيق باجابة الدعاء وتحقيق رجاء المتوكلين لقد كان لكم فيهم اسوة حسنة كرره مبالغة في الحث على الايتساء ولهذا اكده بما هو غاية في التوكيد وهو القسم وابدل عن قوله لكم لمن كان يرجوا الله واليوم الاخر اشارة الى ان من توقف ليس بمؤمن بالاخرة وعقبه بقوله ومن يتول فان الله هو الغني الحميد فلا يضره توليه بل ضر نفسه عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة تاكيد للامر بالتصلب وتهوين عليهم بان ذلك عن قريب سينقلب مودة وسببا للسعادة او لك بدخولهم في الايمان عكس ما كانوا يودونه من كفر المؤمنين وليظهر ان حزب الله هم الغالبون ولفظ عسى على دأب الملوك في المواعيد التي لا يخلفون في انجازها والله قدير على ذلك والله غفور لما فرط من موالاتكم سابقا رحيم تجمع بينكم في الايمان عن قريب لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم كالنساء والصعفة ان تبروهم بدل من الذين بتقدير مضاف اي مبرة الذين وتقسطوا اليهم تعاملوهم بالعدل فيما بينكم من الحقوق ان الله يحب المقسطين روى البخاري ومسلم عن اسماء بنت ابي بكر انها قالت يا رسول الله امي قدمت وهي راغبة افاصلها قال نعم صلي امك وارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر حلة من حرير فكساها اخا مشركا بمكة انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم سعى بعضهم في الاخراج وعاون عليه البعض ان تولوهم بدل اشتمال من الذين ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون الكاملون في الظلم اذ لا عذر له بعد هذا البيان يا ايها الذين امنوا اذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن عن ابن عباس رضي الله عنه كان الامتحان ان يقول لا اله الا الله محمد رسول الله ثم تقول بالله ما خرجت من بغض زوجها ولا رغبة في ارض عن ارض بل حبا لله ولرسوله وكان

الذي يتولى الامتحان عمر بن الخطاب رضي الله عنه الله اعلم بايمانهن منكم وانما امركم بالامتحان لاجراء الحكم وعدم اللبس فان علمتموهن مؤمنات بالامارات او الظن واطلاق العلم عليه شايع وفايدة الامعان في الامتحان فلا ترجعوهن الى الكفار لان رسول الله صلى الله عليه وسلم شرط في صلح الحديبية ان من جاء مسلما يرده اليهم فجاءت نساء مؤمنات وهو باسفل الحديبية على ما رواه الزهري فنزلت فكانت ناسخة للسنة وقيل كان ذلك منه اجتهادا واجتهادا والخطأ لا يقرر وعن عروة والضحاك ان الشرط كان في الرجال خاصة لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن اي الحل مرتفع من الجانبين لا كما كتابية مع المسلم واتوهم ما انفقوا ما دفعوا اليهن من المهور وكان هذا مخصوصا بتلك الواقعة في المهاجرات وبعد الفتح لا هجرة فانتهى الحكم بانتفاء سببه ولا جناح عليكم ان تنكحوهن المهاجرات لوقوع البينونة وعدم حلهن لازواجهن اذا اتيتموهن اجورهن مهورهن لان المهر اجر البضع وانما تعرض له لئلا يظن ان ما اعطى الازواج بدل ما انفقوا يغني عن المهر وبه استدل ابو حنيفة رحمه الله على ان من اسلمت من الحربيات وتخلف زوجها في دار الحرب وقعت الفرقة ولا عدة واوجب الشافعي رحمه الله بان عدم التعرض للعدة ليس تعرضا لعدمها وعدم العدة يؤدي الى اختلاط المياه ولا تمسكوا بعصم الكوافر اللاتي تخلفن في دار الكفر جمع عصمة وهي النكاح يقال هي في عصمة الزوج اي في نكاحه عن المسور بن مخرمة ان عمر طلق يومئذ قريبة بنت امية فتزوجها معاوية وام كلثوم بنت عمرو فتزوجها ابو جهم واسئلوا ما انفقتم من مهور المشركات وليسئلوا ما انفقوا من مهور المهاجرات اعاده توكيدا لئلا يتهاونوا به من حيث انهم مشركون ولذلك امرهم بالسوال فانه حق من حقوقهم ذلكم حكم الله اي ما ذكر من الحكم يحكم بينكم مستانف او حال والله عليم باحوال العباد حكيم فيما شرع وان فاتكم شيء من ازواجكم الى الكفار راجعة عن الاسلام كان في صلح الحديبية ان من ذهب اليهم لا يردونه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جاءكم منا فسحقا له ولذلك نكر الشيء استهانة بالراجعة وقيل لزيادة العموم فعاقبتم جاءت عقبتكم اي نوبتكم فاتوا الذين ذهبت ازواجهم مثل ما انفقوا عن الزهري ان المؤمنين لما سالوا ما انفقوا ابى المشركون فكان الحكم ان ما كان يعطي زوج المهاجرة من المهر يعطى زوج المرتدة وعن ابن عباس رضي الله عنه فعاقبتم غنمتم امروا بان يعطوا زوج الراجعة ما انفق من الغنيمة وهو الوجه واتقوا الله الذي انتم به مؤمنون فان الايمان به حامل على التقوى يا ايها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا من الاشياء ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن اولادهن

كما كان الوائدات يفعلن ذلك ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن
وارجلهن كانت احديهن تلتقط لقيطا وتقول لزوجها ولدته منك وما بين
ايديهن وارجلهن البطن والفرج ولا يعصينك في معروف هذا القيد مع ان
امره لا يكون الا بالمعروف للدلالة على ان لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
ولو فرض ان يكون انت فبايعهن على هذه الشرايط روى البخاري عن ابن
عباس رضي الله عنه خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفطر ثم شق الرجال
واتى النساء فقرا عليهن هذه الاية ثم قال انتن على ذلك فاجابته واحدة ثم قال
تصدقن فنثرن يلقين الخواتم والاقراط في ثوب بلال وعن ام عطية لما قال
ولا يعصينك في معروف قالت امراة ان فلانة اسعدتني تريد النياحة وانا اريد
ان اجزيها فذهبت ثم عادت فبايعت وعن عايشة رضي الله عنها والله ما مست
يده امراة قط وانما بايعهن بهذه الاية واستغفر لهن الله عما سلف ذنوبهن ان الله
غفور رحيم يا ايها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم روى ان بعض فقراء
المؤمنين كانوا يوالون اليهود ليصيبوا منهم بعض ثمار قد يئسوا من الاخرة
لعنادهم بنبوة محمد عليه السلام مع علمهم انه الموعود في التورية كما يئس الكفار من
اصحاب القبور من بيان اي كما يئس من مات على الكفر من رحمة الله او كما يئس
الكفار من الموتى لعدم اعتقادهم الحشر تمت سورة الامتحان ولله المن والاحسان
والصلوة على المبعوث من عدنان واله وصحبه الى انصرام الزمان سورة
الصف مدنية وآيها اربع عشرة بسم الله الرحمن الرحيم سبح لله ما في السموات
وما في الارض وهو العزيز الحكيم يا ايها الذين لم تقولون ما لا تفعلون الاستفهام
للانكار ولم مركب من الجار والمجرور ولشدة الاتصال كشي واحد حذف منه الالف مثل عم وبم
ويوقف عليه بالاسكان وبهاء السكت عن مقاتل تمنوا احب الاعمال فنزلت ان الله
يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا فولوا يوم احد عوتبوا بهذه الاية وعن قتادة
كانوا يقولون قتلنا ضربنا ولم يكونوا فعلوا ذلك روى ان صهيبا قتل كافرا شديدا
نكاية في المسلمين ورآه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتحل آخر قتله فقال عمر ذلك
لصهيب فقال انما قتلته لله ويشمل كل قول خالف الفعل وبه استدل مالك على ان
الوعد ملزم وحمله الجمهور على امر الاخرة كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون بالغ
في التعجب لما كبر من معنى التعجب المراد منه تعظيم الجناية واسناده الى القول او الاثم تمييزه
بالمقت وتقديره وجعله عند الله مع كون المقت اشد البغض ان الله يحب الذين
يقاتلون في سبيله صفا صافين فانه اهيب في عين العدو واشد تقوية لقلب المقاتل
كانهم بنيان مرصوص محكم من الرصاص وهو الآنك حال من المستكن في الحال واذ قال
موسى لقومه يا قوم لم تؤذونني اي اذكر للمؤمنين ذلك الوقت وقد تعلمون اني رسول الله اليكم

والذنب

والذنب مع العلم اشد فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم صرفها عنه والله لا يهدي القوم
الفاسقين لا يوفقهم لانهم اهل الدين الذين خلقوا للنار واذ قال عيسى ابن مريم
يا بني اسرائيل لم يقل يا قوم تذكيرا لهم بانهم اولاد اسرائيل الذي وصى بنيه ان
لا يعبدوا الا الله لا انهم ليسوا من قومه لانه لا نسب له فيهم لدخوله في ذرية امه الهم
كما تقدم في الانعام اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدي من التورية ومبشرا
برسول الله يأتي من بعدي اي انا على ما عليه سائر الرسل من تقدم ومن تأخر مبدا
كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنت بدعا من الرسل وانتصاب مصدقا ومبشرا
على الحال والعامل فيه معنى الرسالة في رسولا لا في اليكم لان حروف الجر اذا وقعت
صلة ليس فيها معنى الفعل اسمه احمد قيل كذا كان مكتوبا في الانجيل ولعل ذلك
لما فيه من الاشارة الى انه اكمل الرسل روى البخاري عن جبير بن مطعم عن ابيه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان لي اسما انا محمد وانا احمد وعن ابي اسحق انا دعوة
ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي فلما جاءهم بالبينات كاحياء الموتى وابراء
الاكمه والابرص قالوا هذا سحر مبين اي ما جاء به او عيسى مبالغة ويؤيده قراءة
حمزة والكسائي ساحر والرسم على الاول ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب وهو
يدعى الى الاسلام اي لا احد اظلم منه اذ لا جناية فوقه مع عدم العذر وزوال الاشتباه
والله لا يهدي القوم الظالمين الكاملين في الظلم يريدون ليطفئوا نور الله بافواههم
هم اليهود والذين حرفوا الكلم وبدلوا النعت مثل حالهم بمن يريد اطفاء نور الشمس ينفخ
بنفخه في الهواء والاصل يريدون ان يطفئوا كما في سورة براءة وانما جيئ باللام تاكيدا
لارادة لما في اللام من معناها والله متم نوره لا محالة وقرا نافع وابو عمرو وابن عامر
وابو بكر منونا ناصبا ما بعده ولو كره الكافرون الساترون نعمة الله هو الذي
ارسل رسوله بالهدى ودين الحق الذي لا يتطرقه نسخ ولا تبديل ليظهره على الدين
كله اذ لم يات احد بما جاء به وضع الاصر والاغلال بالحنيفية السمحة ولو كان موسى
بن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي ولو كره المشركون عباد الاوثان واليهود القائلون
عزير ابن الله والنصارى المثلثون يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم
من عذاب اليم قرا ابن عامر بتشديد الجيم وهو ابلغ تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون
في سبيل الله باموالكم وانفسكم استيناف كانهم قالوا كيف نعمل فقال تؤمنون ايثاره
على آمنوا مبالغة في الحث عليه كانهم امتثلوا فهو يخبر عنهم وهذا سبيل كل وعد اتى
بصيغة الاخبار ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون انه خير لكم اي لو علمتم لسعيتم في تحصيله
ببذل الاموال والانفس يغفر لكم ذنوبكم ما بينكم وبينه جزم جوابا للامر المدلول عليه
بلفظ الخبر او شرط مقدر اي ان تؤمنوا او استفهام اي هل تتجرون بدلالة ان
يغفر لكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك

المذكور الفوز العظيم الذي لا يحيط به الوصف واخرى تحبونها اي ولكم نعمة اخرى
لذيذة بالنسبة الى الاولى وفي الوصف بالمحبة بعد الدلالة على انها دون الاولى نوع
تعيير لهم وفي ايثار الاسمية مع العطف على الفعلية وهي يغفر لكم الدالة على ان هذه [illegible]
المتمكن في نفوسهم وهي ايها الميل نصر من الله بدل او بيان وفتح قريب فتح
مكة وعن الحسن فارس والروم وبشر المؤمنين عطف على تؤمنون لانه بمعنى
آمنوا او على الجنس باجنبي كانهم قالوا دلنا يا ربنا على تلك التجارة فقال
امنوا وبشر انت يا محمد وفيه تنويع الخطاب وايقاع المظهر موقع المضمر فهو على
فائدة من تقدير فابشر يا محمد وبشر والعطف على قل مقدرا والقول بان ذاك
انما يحسن اذا اعيد حرف النداء لا سند له ولو سلم فلعدم تعين المخاطب بدونه واما
اذا تعين فذكره وطيه سيان يا ايها الذين امنوا كونوا انصار الله انصار دينه
كما قال عيسى بن مريم للحواريين من انصاري الى الله من جندي متوجها الى نصرة
دينه وقرا نافع وابن كثير وابو عمرو انصارا لله منونا والمعنى كونوا من جملة من ينصر الله
والاضافة اقوى معنى واخف لفظا ولذلك اتفقوا عليه في ال عمران قال الحواريون
نحن انصار الله الاضافة الاولى اضافة احد المتشاركين والثانية اضافة الفاعل
الى المفعول والتشبيه بحسب المعنى اي قل لهم كقول عيسى او كونوا ايها المؤمنون
انصار الله كالحواريين وقت قول عيسى عليه السلام كانوا اثني عشر رجلا قصارين
يقصرون الثياب ولذا قيل لهم حواريون وعنه صلى الله عليه وسلم لكل نبي حواري
وحواري الزبير فامنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة بعيسى فايدنا
الذين امنوا على عدوهم على الكافرين وايثار لفظ العدو للاشعار بالتشفي فاصبحوا
ظاهرين غالبين بالسيف والحجة عليه لاخفاء بها تمت السورة والحمد لمن الاؤه
منشورة والصلوة على من سيره مشكورة وآله وصحبه الذين آثارهم مشهورة
سورة الجمعة مدنية وهي عشر آية بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات
وما في الارض الملك القدوس البليغ التنزه عن وصمة النقص والشين العزيز الحكيم
الغالب البالغ حكمه توطئة لقوله هو الذي بعث في الاميين رسولا لفرط احتياجهم
اليه لانهم لا يكتبون ولا يقرؤن منهم يعرفون صدقه وامانته وكونه اشفق بهم
وارفق يتلو عليهم آياته مع كونه اميا مثلهم اشارة الى معجزته الموقوفة نبوته عليها
ويزكيهم من الاخلاق الذميمة او عند الله حيث يشهد لهم بالايمان يوم القيمة
ويعلمهم الكتاب والحكمة الشرايع وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ظاهر
يعبدون الحجر ويأكلون الجيف ويطوفون بالبيت عراة واخرين منهم عطف
على الاميين اي وفي اخرين من الاميين لما يلحقوا بهم بعد وسيلحقون لما في لما من معنى
التوقع روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنهما لما نزلت سالت رسول الله

سلي

صلى الله عليه وسلم من هم هؤلاء وفينا سلمان فوضع يده عليه وقال هم قوم هذا
لو كان الايمان بالثريا لناله رجال من هؤلاء وليس فيه منع الغير فيناول كل من
ياتي بعد الصحابة رضي الله عنهم الى اخر الدهر وهو العزيز الحكيم في تمكينه من هذا
الامر العظيم واختياره له ذلك فضل الله كونه رسولا للاولين والاخرين وفي
ايثار اسم الاشارة بلفظ البعيد واضافة الفضل الى كلمة الجلالة اشارة الى ان كل
فضل دونه يؤتيه من يشاء تفضلا والله ذو الفضل العظيم الذي لا يحاط به
مثل الذين حملوا التورية تعلموها ثم لم يحملوها لم يعملوا بها ولا حملوها على محاملها
كمثل الحمار يحمل اسفارا كتبا كبارا من كتب العلم مثل حالهم في حمل التورية بحال
الحمار الحامل لاسفار من الكتب والجامع الحرمان من الانتفاع بابلغ نافع مع
الكد والتعب والجملة في محل النصب على الحال او الصفة اذ لم يرد بالحمار معين
وهذا ابلغ ذما واتصاله بما قبله انهم علموا في التورية نعت المبعوث في الاميين
رسولا وكتموه بئس مثل القوم الذين كذبوا بايات الله اي مثل الذين كذبوا
بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او حذف المخصوص اي هو الضمير
لمثل اليهود او بئس مثلا مثل الذين على حذف المفسر وهذا قليل والله لا يهدي
القوم الظالمين اي اليهود الذين لم يحملوا التورية قل يا ايها الذين هادوا تهودوا
ان زعمتم انكم اولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
في زعمكم لان من علم انه مأواه جنة عدن تمنى الخلاص من دار العناء وانما خوف
الانسان من عدم علمه بحاله وانما اتى بان مع الزعم اشارة الى ان الاولى بحال
من على طريقتهم الشك والدعوى الباطلة ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم من
الكفر وتحريف آيات الله واختصاص آية البقرة بلن لان دعواهم هناك ان
اختصاصهم بها امر مكشوف مبلوغ في الرد عليهم والله عليم بالظالمين ظاهرا
وباطنا قل ان الموت الذي تفرون منه ولا تجترئون على تمنيه فانه ملاقيكم ودخول
الفاء في خبر الموصوف بالموصول للسببية باعتبار الوصف كانه قيل ان الفرار الذي
تظنونه سبب النجاة سبب الملاقاة مبالغة في عدم الفوت ثم تردون الى عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم عليه يا ايها الذين آمنوا اذا
نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع لما نعى على اليهود
ما يمنون به انفسهم من الاماني الباطلة امر المؤمنين بالسعي الى ما فات اليهود من
ادراك فضيلة يوم الجمعة لما روى البخاري ومسلم ان يوم الجمعة هو اليوم الذي فضل
على ساير الايام واختلف فيه اهل الكتابين فلم يهتدوا اليه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فهدانا الله اليه نحن الاخرون السابقون يوم القيمة هو سيد الايام فيها
ساعة يستجاب فيها الدعاء الاصح انها من وقت خروج الامام الى الفراغ من الصلوة

وقيل بعد العصر وكانت العرب تسميه يوم العروبة فسماه الله يوم الجمعة والمراد
النداء بين يدي الخطيب فان الاول شرعه عثمان على الزوراء عند كثرة الناس
والبيع والشرا وساير الاشتغال حرام اتفاقا والمراد بالسعي القصد والاهتمام لا
الاسراع لورود النهي عنه والمراد بذكر الله الخطبة لانها موعظة وتذكير ذلكم خير لكم ان
كنتم تعلمون ايثاره على ادامع علمهم بذلك تعيينا لما بدا منهم من الخروج وتركه
قائما لاشعاره بعدم علمهم فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله
من رزقه جبرا لما فاتكم روى ابن ابي حاتم عن بعض السلف ان من باع او اشترى
بعد الجمعة بارك الله له سبعين مرة وكان عراك بن مالك اذا صلى الجمعة وقف
على باب المسجد وقال اللهم اني اجبت دعوتك وصليت فريضتك وانتشرت
كما امرتني فارزقني وانت خير الرازقين وقيل المراد به الطاعة كعيادة المريض وتشييع
الجنازة وزيارة الاخوان في الله واذكروا الله كثيرا في الاحوال كلها لعلكم تفلحون
تفوزون بمرضاته واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها روى البخاري ومسلم عن
عن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان على المنبر يخطب فقدمت عير من الشام بميرة
فخرجوا الا اثني عشر رجلا قال مقاتل العير كانت لدحية قبل اسلامه وكان معها
طبل وهو الذي اريد باللهو والضمير للتجارة لان الانفضاض اليها اذ كان مذموما
فالى اللهو اولى وتركوك قائما فيه غاية التعيير اذ لو لم يكن الا تركه على هذه الحالة دون
ان يكون خطيبا كان شنيعا قل ما عند الله مدخرا لكم خير من اللهو ومن التجارة لكونه
باقيا صافيا بلا كدر والله خير الرازقين هو الرزاق حقيقة والبواقي وسايل اليه توجهوا
في طلب الرزق تمت السورة وبه لمنه والصلوة على رسوله واله وصحبه السابقين الى الجنة
سورة المنافقين مدنية وهي احدى عشر بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاءك المنافقون
قالوا نشهد انك لرسول الله انشاء جار مجرى القسم ولذلك اكد بان واللام يتضمن ادعاء
المواطاة بين القلب واللسان والله يعلم انك لرسوله وان ما قالوه كلام مطابق
للواقع قطعا والله يشهد ان المنافقين لكاذبون في ادعاء المواطاة لانهم يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم او لكاذبون في انفسهم لاعتقادهم صدق مقالتهم ومطابقتها
للواقع وانما اعترض بقوله والله يعلم انك لرسوله ليميط رجوع التكذيب الى قولهم انك
رسول الله اتخذوا ايمانهم جنة وقاية استيناف لبيان فايدة تلك الشهادة التي
هي بمثابة اليمين وكلام مستقل لعدم قبائحهم وان من دابهم الاتقاء بالايمان الكاذبة
كما استجنوا بالشهادة الكاذبة فصدوا عن سبيل الله اعرضوا او منعوا غيرهم عن سلوكها
انهم ساء ما كانوا يعملون من النفاق انشاء كانه قيل ما اسوا ما ارتكبوه ذلك كله بانهم
امنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم منع دخول نور الحق فيها فهم لا يفقهون شيئا من الحق
فلذلك جرؤا على تلك العظائم وانما قال امنوا ثم كفروا مع انهم لم يؤمنوا طرفة عين لانهم

نطقوا

نطقوا بالشهادة ثم ظهر كفرهم او نطقوا بها عند المؤمنين وكفروا عند شياطينهم والحمل
على اهل الردة بعيد يأباه عنه المقام واذا رايتهم تعجبك اجسامهم لهياكلهم ورواء منظرهم
وجمالهم وان يقولوا تسمع لقولهم لفصاحة كلامهم وحلاوة الفاظهم قيل كان ابن
ابي راس المنافقين وبعض اتباعه جساما وسيما فصحاء بلغاء والخطاب في رايتهم
اما لرسول الله صلى الله عليه وسلم او عام والاول اوجه لتقدم اذا جاءك ولانه اذا اعجبه
فغيره اولى كانهم خشب مسندة الى الحائط لعدم الانتفاع بها بوجه او كالاصنام المسندة
الى الحيطان في حسن الصور وبهجة المنظر قرا ابو عمرو وقنبل والكسائي باسكان الشين
اما مخفف خشب او جمع خشباء وهي الخشبة المجوفة وهذا اخف واقوى شبها وتاكيد
بسفالة النفاق خلة حيث ابله سجاد وهذا شانه وشبه الكفار بالانعام يحسبون كل
صيحة عليهم واقعة عليهم وقيل كانوا خائفين من ان ينزل فيهم ما يهتك استارهم
ويظهر اسرارهم ويبيح دماءهم وديارهم هم العدو لا غير لان اعدى العدو من
يلقاك بوجه الصديق لوقوفه على اسرارك وتمكنه من اشاعة اخبارك وقيل عليهم
صلة وهم العدو المفعول الثاني والتذكير باعتبار الخبر وليس بوجه فاحذرهم فخذ حذرك
منهم ولا تغتر قاتلهم الله لعنهم الله دعاء منه تعالى ناشئ عن فرط السخط او تعليم
للمؤمنين انى يؤفكون يصرفون عن الحق تعجيب عن العدول بعد موجب الاقبال
والقبول واذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رءوسهم اما لوها ولم يلقوا السمع
اليه قرا نافع لووا بالتخفيف وقراءة القوم ابلغ ورايتهم يصدون يعرضون فضلا عن
الاستماع وهم مستكبرون رافعون انفسهم فوق حدها اتفق الثقات على ان
السورة نزلت في ابن سلول كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك
او بني المصطلق فاقتتل على الماء جهجاه بن سعد الغفاري وكان اجير عمر بن الخطاب
وسنان بن يزيد وكان حليفا لابن سلول فبلغ ذلك ابن سلول وكان عنده
جمع من الانصار فقال قد فعلوها والله ما مثلنا ومثلهم الا كما قيل سمن كلبك
ياكلك والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فنقل كلامه زيد
بن ارقم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل رسول الله الى ابن سلول فحلف انه
لم يقل شيئا من ذلك فقال عم زيد له ما اردت الى ان كذبك رسول الله
ومقتك قال فبت في شر ليلة فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيني
في الطريق فضحك في وجهي وفرك اذني فلقيني عمر فقال ماذا قال لك رسول الله
قلت ما زاد على ان ضحك في وجهي وفرك اذني وكذلك سالني ابو بكر فلما نزل
قرا عليهم السورة وقال ان الله قد صدقك يا غلام ثم ارسل اليهم ليستغفر لهم
لووا رءوسهم سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لا يؤمنون بك ولا يعتدون
باستغفارك لن يغفر الله لهم لعلمه بانهم اهل الدرك الاسفل ومن الذين ذراهم

لجهنم ان الله لا يهدي القوم الفاسقين المنهمكين في الكفر والنفاق هم الذين
يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا قاله ابن سلول ذلك اليوم
ولله خزائن السموات والارض قادر على اغناء محمد واصحابه عن انفاق الانصار
وانما وفق الانصار لذلك لينالوا به القربة والزلفى ولكن المنافقين لا يفقهون
ذلك يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل يريد بالاعز نفسه
وبالاذل رسول الله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين مختصة بهم لاحظ لغيرهم فيها
ولا ينافيه ان العزة لله جميعا لان عزة الرسول والمؤمنين عزة الله تعالى
ولكن المنافقين اعاد المظهر لئلا يفارقهم هذا الوصف لا يعلمون ليسوا من
ذوي العلم ليدركوا هذا الامر الجلي ولما كان في امر الرزق نوع خفاء في بادي
الرأي جعل الفاصلة الفقه المنبئ عن نوع تعمل وعن قتادة ان ابنه عبد الله لما بلغه
ذلك جاء الى رسول الله وقال ان كنت قايلا اي تمر في به لاحمل اليك راسه
فوالله لقد علمت الخزرج ان ليس فيهم ابر بوالديه مني واخاف ان تقتله غيري
فلا احتمله فادخل النار فقال لا تقتله بل تحسن صحبته وعن عكرمة وابن زيد انه
وقف بباب المدينة وسل سيفه فلما جاء ابوه قال له وراءك حتى جاء رسول الله وهو
حابسه فشكى اليه فقال له خل سبيله وقيل لم يمكنه حتى اقر انه الاذل ورسول الله هو
الاعز فخلاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم
ولا اولادكم عن ذكر الله لما كان اعتذار المنافقين بالحطام الفاني وانهم اذا لم
ينفقوا على المؤمنين يتلاشى امرهم ورد الله عليهم بانه مالك خزائن السموات
والارض وفيه اشارة الى انه سيغني المؤمنين ويفيض عليهم من خزائنه ما ليس
في حسابهم نهاهم عن الاشتغال بها عن ذكر الله قبل وجودها ليوطنوا انفسهم
على ذلك والمنهي التوجه اليها بحيث يفوت القيام بحق العبادة الا يرى
الى قوله في معرض المدح رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ومن يفعل ذلك
فاولئك هم الخاسرون لاستبدالهم الخسيس بالشريف وانفقوا مما رزقناكم
بعض ما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت اماراته ومخايله فيقول رب
لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين فعلى العاقل المبادرة
الى التصدق اذ كل لحظة بصدد الموت ولا يغتر بالصحة اذ كم صحيح مات وكم سقيم
عاش قال المحققين من سقمي صحتي هي العجب وقرأ ابو عمرو واكون بالنصب عطفا
على لفظ فاصدق وهو الاظهر لاحتياج الجزم الى التقدير اي ان اخرتني اصدق
واكن ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها انتهاء عمرها والله خبير بما تعملون فاختاروا
لنفسكم ما شئتم وقرأ ابو بكر بياء الغيبة نظرا الى اولئك هم والخطاب كقوله
لا تلهكم وهذا اشد تهديدا تمت سورة المنافقين والحمد لله رب العالمين

والصلوة

والصلوة على صفوة المرسلين واله وصحبه اجمعين سورة التغابن قال عطا مكية
الا يا ايها الذين امنوا الى آخر الثلث وهي ثماني عشرة آية
بسم الله الرحمن الرحيم يسبح لله ما في السموات وما في الارض تقدم الكلام
في مثله له الملك وله الحمد قدم الظرف فان لتاكيد الاختصاص وازاحة الشبهة
راسا فان قلت اذا اختصت المحامد به فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم من لم يشكر
الناس لم يشكر الله قلت الكلام في حقيقة الحمد واما حمد غيره فلجريان نعم الله
على يده فهو حمد لله حقيقة وهو على كل شيء قدير كامل القدرة لا يقاومها قدرة ولا يشارك
في التاثير دليل على الاختصاصين هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن باختياركم
لا جبر لمن راى خيرا فليحمد الله ومن راى شرا فليستغفر الله والله بما تعملون بصير
مشاهد فيجازي عليه خلق السموات والارض بالحق بالحكمة البالغة مرتبا اسباب
معايشكم فيهما وصوركم فاحسن صوركم فخصكم باحسن الصور بين المخلوقات
ليس فيها اشاقة قد ولا صباحة خد واقطران شتت العجب في تركيب بنانه
وجواهر اسنانه وقوس حاجبه ومثال امداده بيد ما اودع من القوى المدركة
ولذلك كان نسخة عالم الملك والملكوت واليه المصير فيسالكم عن النقير
والقطمير فاشكروا نعمه واحذروا عذابه ونقمه يعلم ما في السموات والارض
ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور تمييزا لها فضلا عن
السر والعلن فاستعملوا في عبادته ظواهركم وطهروا اسراركم واخلصوا ضمايركم لتحمدوا
عواقبكم الم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل قبلكم اي كفار مكة بل تداركم فذاقوا
وبال امرهم وخامة كفرهم في الدنيا بالاستيصال ولهم عذاب اليم في الاخرة
ذلك المذكور من عذاب الدارين بانه بان الشان كانت تاتيهم رسلهم
بالبينات فقالوا ابشر يهدوننا نكروا كون البشر رسولا مشكم يطلق على الواحد
والجمع فكفروا بالرسل وتولوا اعرضوا واستغنى الله بليغ الغنا عن كل شيء
فضلا عن طاعتهم والله غني في ذاته وصفاته وافعاله حميد ذاتا وصفة
وفعلا دلت على ذلك ذرات الكون زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا اي
كفار مكة اوهم ومن حملوا على الاعتبار بهم الزعم بمعنى العلم وان مع ما في حيزها
قايم مقام المفعولين قل بلى تبعثون وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم بالمحاسبة
والمجازاة وذلك على الله يسير لغنائه عن الالات ودورانه بين الكاف
والنون فامنوا بالله ورسوله الكريم والنور الذي انزلنا القران والله بما
تعملون خبير لا يخفى عليه منه شيء يوم يجمعكم متعلق بخبير او بلتنبؤن او ذلك
على الله يسير او قوله فامنوا اعتراض الاول يؤكد القدرة والثاني ماسبق الكلام
من الحث على الايمان به وبالقران وعن جابه وبما تعملون خبير من تتمة الثاني

او نصب باذكر ليوم الجمع ليوم خاص بالجمع يجمعكم فيه والاولين اللام للتعليل
كقوله اعددته لهذا اليوم ذلك يوم التغابن هو ان يغبن التاجر شاريه بالعكس
استعارة لنزل السعداء او بدل الاشقياء وكان لا تغابن الا ذلك فلذلك عرف
والحق لكونه علما له ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يكفر عنه سيئاته ويدخله جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم قرا نافع وابن عامر
الفعلين بالنون التفاتا وهو ابلغ في الترغيب والذين كفروا وكذبوا باياتنا اولئك
اصحاب النار خالدين فيها غير الاسلوب اشارة الى سبق رحمته وبئس المصير
مصيرهم الاتيان بيان لوجه التغابن ما اصاب من مصيبة الا باذن الله بتقديره
كقوله الا في كتاب من قبل ان نبراها ويدخل فيها كفر الكافر اولا اذ لا مصيبة اعظم
منها ومن يؤمن بالله يهد قلبه يثبته ان ابتلاه صبر وان اعطاه شكر وان ظلمه
احد غفر او من كان قابلا مستعدا للايمان يوفقه له يؤيده والله بكل شيء عليم يعلم
من هو اهل للهداية واطيعوا الله واطيعوا الرسول لان عصيانهما اعظم المصائب
فان توليتم اعرضتم فانما على رسولنا البلاغ المبين الواضح وقد وفى به الله لا اله
الا هو فليتوكل المؤمنون لعلمهم ان لا مؤثر في الكون غيره وفيه حث لرسول الله
والمؤمنين على الصبر لما يصيبهم من اذى الكفار يا ايها الذين امنوا ان من ازواجكم
واولادكم عدوا لكم لانه يتلهى به عن امر الدين كقوله لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم وفي
الحديث الولد محزنة مبخلة فاحذروهم احذروا حذركم ولا تغفلوا عن العدو وعن ابن عباس
رضي الله عنه نزلت في اناس ارادوا الهجرة فمنعهم نساؤهم واولادهم فلما هاجروا
بعد برهة وجدوا الناس قد فقهوا في الدين تعاقبوا وهموا بالانتقام منهم فنزلت
وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا العفو محو الجريمة عن الخاطر والصفح الاعراض والغفران
الستر كان لم يكن ولما كان الصبر على اذى من احسنت اليه اشق وابعث على
الانتقام جمع بين الثلثة فان الله غفور رحيم انما اموالكم واولادكم فتنة ابتلاء لينظر
هل تؤثرون محبتهم على طاعة الله والله عنده اجر عظيم حث على ايثار طاعته فاتقوا الله
ما استطعتم ما بلغه جهدكم اذ لا تكليف فوق ذلك فسرت قوله اتقوا الله حق تقاته
واسمعوا لاولي الامر واطيعوا اوامرهم ما لم يكن معصية اذ لا طاعة لمخلوق في معصية
الخالق وانفقوا خيرا لانفسكم نصب خبرا ليكن اي ان تنفقوا يكن خيرا لكم او صفة مصدر
او لفعل مقدر اي ائتوا والقرينة كون السوابق كلها من اتيان الخير ومن يوق
شح نفسه فاولئك هم المفلحون الفائزون ان تقرضوا الله قرضا حسنا عن طيب
نفس خالصا لوجه الله والتعبير عن الصدقة بلفظ القرض تلطف في الطلب يضاعفه لكم
بالواحد عشرة الى سبعمائة الى ما لا يعلمه غيره ويغفر لكم ما فرط لان الحسنات يذهبن
السيئات والله شكور يقابل القليل بالكثير حليم لا يعاجل بالعقاب عالم الغيب والشهادة

وفي نسخ

عمل سواء حث على الاخلاص وهو العزيز الغالب لا مانع لعطائه الحكيم في كل
ما دبرته والحمد لمن اعطى وشكر والصلوة على المبعوث من مضر واله وصحبه
سورة الطلاق مدنية وذي العليا والحظ وايها اثنتا عشرة اية
بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن نادى
اولا لانه سيد القوم وامامهم وفيه اجلال له واشارة الى انهم لا يصدرون
الا عن رايه والمعنى اذا اردتم الطلاق كقوله اذا قمتم الى الصلوة وله نظائر تنزيلا
للمشرف على الشيء منزلة المباشر والطلاق المامور به ان يكون في طهر لم يجامع
فيه او حامل استبان حملها واللام للتوقيت فالذي يقول ان الاقراء بالاطهار
فلا اشكال عنده والذي يقول بالحيض يقدر مستقبلات كقولك جئتك لليلة
بقيت في الشهر روى البخاري عن ابن عمر انه طلق امراته وهي حائض فسال عمر
رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فتغيظ منه وقال مره فليراجعها ثم ليطهر
ثم حاضت ثم طهرت فليطلقها ان شاء فان قلت اذا كان الغرض ايقاع
الطلاق في الطهر فما معنى تكرار الطهر في الحديث قلت ان لا يكون الرجوع للطلاق
ولان طول المدة عسى يؤثر في تبدل الحال والطلاق ابغض المباحات فاحتيط لذلك
وقوله مره فليراجعها دل على وقوع الطلاق في الحيض واطلاقه دل على ان الثلث
دفعة لا بدعة فيها وما روى ان رجلا طلق امراته ثلثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتلعبون بكتاب الله لا اصل له ولا ذكر الثلث في كتاب الله في معرض الذم
واحصوا العدة واحفظوها واتقوا الله ربكم في التطويل في العدة والاضرار بالنساء لا تخرجوهن
من بيوتهن مساكنهن الى انقضاء العدة ولا يخرجن ايضا استقلالا وان اذن الازواج
لان ذلك حق الشارع ليس لاحد اسقاطه الا ان ياتين بفاحشة مبينة هي الزنا او النشوز
بان طلقت وهي ناشزة لان النشوز يسقط الحق حال الوفاق فاولى ان يسقطه حال
الفراق فالاستثناء راجع الى الامرين او البذاء وايذاء الزوج فيرجع الى الاول وتلك
حدود الله الاحكام ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه عرضها لسخط الله لا تدري لعل الله
يحدث بعد ذلك امرا الرغبة في المطلقة والندم على فراقها واستدل الامام احمد
على ان المبتوتة والمتوفى عنها زوجها لا سكنى لها فاذا بلغن اجلهن شارفن اخر العدة
فامسكوهن راجعوهن ان شئتم بمعروف بحسن عشرة لئلا يؤدي الى فراق اخر
او فارقوهن بمعروف بايفاء حق واتقاء ضرار بان يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة
واشهدوا ذوي عدل منكم عند الفراق والرجعة لانه ابعد عن الريبة واقطع للنزاع
امر ندب وعن الشافعي رحمه الله قول بالوجوب في الرجعة واقيموا الشهادة لله ادوها
من غير ميل ولا غرض ايها الشهود ذلكم المذكور من ايقاع الطلاق على وجه السنة واحصاء
العدة والكف عن الاخراج واقامة الشهادة وقيل اشارة الى الاخير والاول اوجه

لقوله يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر سيما اذ جعل ومن يتق الله يجعل له
مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب اعتراضا مؤكدا لتلك الامور وان كان الاوجه
ان يكون استطرادا والآ على ان التقوى ملاك الامر به نيط سعادة الدارين ويتناول
امر الزوجين اول تناول عن ابن اسحاق ان عوف بن مالك الاشجعي اسر ابنه
فشكى الى رسول الله الفاقة فامره بالصبر وكثرة قول لا حول ولا قوة الا بالله فلم يفجأ
ابويه الا وهو بالباب ياويهما ومعه سرح القوم قد استاقها فنزلت ومن يتوكل
على الله في اموره فهو حسبه كافيه ان الله بالغ امره الذي يريده ولا يفوته وقرأ
حفص بالاضافة قد جعل الله لكل شيء قدرا تقديرا او توقيتا لا يتقدمه ولا يتجاوزه وفي
الحديث يستجاب لاحدكم ما لم يتعجل ويقول دعوت فلم يستجب لي واللائي يئسن من المحيض
من نسائكم روى ابن جرير عن ابي بن كعب انه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عدد النساء لم تذكر في الكتاب فنزلت والآية سن التي انقطع دمها لكبر السن
واختلاف القراء في اللائي تقدم في الاحزاب ان ارتبتم جهلتم وشككتم في عدتهن
واللائي لم يحضن من الصغر فعدتهن ثلاثة اشهر واولات الاحمال طلقت او توفي عنها
زوجها اجلهن ان يضعن حملهن وذهب علي وابن عباس رضي الله عنهما الى ان عدة
المتوفى زوجها ابعد الاجلين من اربعة اشهر وعشر ومدة الحمل للتعارض من غير علم بتأخر
احدهما وذهب ابن مسعود رضي الله عنه الى ان هذه الآية ناسخة لآية البقرة في قدر ما
تناولته من الحوامل وقال من شاء باهلته ان سورة النساء القصرى بعد التي في البقرة
والعام المتأخر ناسخ للخاص المتقدم فالاولى اذ كان العموم من وجه ويؤيد قول
ابن مسعود رضي الله عنه ما روى البخاري ان سبيعة الاسلمية كانت تحت سعد بن خولة
توفي زوجها وهي حامل فوضعت بعده باربعين يوما فانكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم
واما كون العموم هنا بالذات وهناك بالعرض وكون الحكم معللا ها هنا لا يعدم ترجيحا ومن
يتق الله يجعل له من امره يسرا يسهل عليه امره ذلك امر الله انزله اليكم لتعلموا الموجبة
ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له اجرا في يوم الجزاء ولقد بالغ في امر التقوى بالحث
على التقوى مرارا وذلك لضعفهن ونقصان عقلهن ودينهن ونهي عما يوجب النفرة
والغضب في آخر خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن خلقن
من ضلع اعوج ان ذهبت تقيمه كسرته اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم مما تقدرون
عليه الوجد الوسع ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن فتلجئوهن الى الخروج وان كن اولات
حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن تعميم الاسكان وتخصيص الانفاق باولات
الاحمال دليل ظاهر للشافعي رحمه الله على ان البائن لا نفقة لها ولحنيفة ان هذا مفهوم
لا يعارض ما روي عن عثمان وعمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها السكنى والنفقة
وفائدة التقييد دفع وهم من ذهب الى ان المدة اذا زادت على اربعة اشهر وعشر لا يستحق

الزيادة

الزيادة فان ارضعن لكم بعد انقطاع النكاح فآتوهن اجورهن على الارضاع ومقدم غير
الثياب الذي به البقاء غالبا واتمروا بينكم بمعروف ليتفقوا على امر الولد بلا مشاقة والانفاق
والدة بولدها ولا مولود له بولده وان تعاسرتم تضايقتم فسترضع له اخرى امرأة وفيه
معاتبة للام وحث على المساهلة لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله
كل من الموسر والمعسر على قدر حاله لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها من المال سيجعل الله بعد
عسر يسرا بعد الفقر الا بان الحال تتبدل كقوله ان مع العسر يسرا وحث على الانفاق
لقدر الطاقة وكأين من قرية عتت عن امر ربها ورسله فحل بهم باس الله تعالى فحذروا
حذركم بعد بيان جمل من الاحكام اشارة الى ان اهل قرى كثيرة عاندوا واشتغلوا عن
امتثال اوامره قرأ ابن كثير وكائن على وزن فاعل فحاسبناها حسابا شديدا بالمناقشة لقوله صلى الله
عليه وسلم من نوقش في الحساب هلك وعذبناها عذابا نكرا كالخسف والغرق فذاقت
وبال امرها وخامة الامر الذي خالفته وكان عاقبة امرها خسرا لا ربح فيه اعد الله لهم
عذابا شديدا يوم القيامة وقيل الحساب والعذاب يوم القيامة والتعبير بالماضي كقوله ونادى
اصحاب الجنة لان المترقب من وعده ووعيده كالكائن وقوله اعد الله لهم عذابا شديدا
تكرير للوعيد فاتقوا الله بعد هذا البيان يا اولي الالباب العقول الخالصة الذين آمنوا
قد انزل الله اليكم ذكرا رسولا الذكر القرآن ورسولا بدل منه بدل الاشتمال والمراد به جبرائيل
او الشرف فبدل كل ويجوز ان يراد محمد عليه السلام او نصبه بارسل مقدرا دل عليه الانزال
وهذا اسم المتبادر ويدل عليه قوله يتلو عليكم آيات الله مبينات لان تلاوة جبرائيل عليهم
تجوز وجعل الخطاب شاملا له وللمؤمنين تكلف ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات
الى الحكم والاتيان بالظاهر للاشارة الى فائدة الارسال من الظلمات الى النور من الضلالة
الى الهدى ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا قرأ نافع وابن عامر بالنون وهو ابلغ في الوعد قد احسن الله له رزقا اي رزقا
فيه تعجيب الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن سبع ارضين ايضا روى
البخاري عن سعيد بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من غصب شبرا من الارض
طوقه من سبع ارضين وفي الحديث ما السموات السبع والارضون السبع عند الكرسي الا
كحلقة في فلاة وحملها على الاقاليم باطل يتنزل الامر بينهن اي قضاء الله بالاماتة والاحياء
وساير احكامه لتعلموا ان الله على كل شيء قدير وان الله قد احاط بكل شيء علما علة لخلق
او يتنزل او لمقدر يعمهما فان كل واحد يدل على كمال القدرة تمت سورة الطلاق والحمد لله
الملك الخلاق والصلوة على الكامل بالاتفاق وآله وصحبه الى يوم التلاق سورة التحريم
مدنية اثنتا عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك
اضطربت الرواية في سبب نزولها وما الذي اوجب تحريم ما احل وما المحرم روى البخاري
عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على زينب فشرب عندها

عسلا فتواطئت انا وحفصة على ان ايتنا دخل عليها فلتقل نجد منك ريح مغافير وكان
يكره الرايحة الكريهة فدخل على حفصة فقالت له ذلك فقال شربت عسلا عند زينب
وقد حلفت لا اعود اليها فلا تخبري احدا وفي رواية عن عايشة رضي الله عنها ايضا ان
التي سقته هي حفصة وعايشة وسودة رضي الله عنهما هما اللتان تواطاتا وروى النسائي
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اصاب مارية في يوم حفصة في بيتها فقالت
اي رسول الله في يومي وفي بيتي فقال قد حرمتها فلا تقولي لاحد فذكرته لعايشة تبتغي
مرضات ازواجك حال او تفسير بيفيد زيادة تهجين او استيناف كانه قيل ما وجه العتاب
وقد تقدمه في ذلك الانبياء كقوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه فقيل تحل مثله عن طلب
مرضات النساء في ترك ما اباحه الله فالمنكر هو الباعث للتحريم والله غفور غفر لك
ما تقدم وما تاخر رحيم اعطاك ما لم يعط احدا من العالمين قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم
بينها لكم بشرعية الكفارة فاذا حلف احدكم على فعل وراى غيره خيرا فلياته وليكفر
او شرع استثناء اليمين بان يقول في حلفه ان شاء الله واستدل به الامام احمد على
ان من حرم شيئا ثم فعله يلزمه الكفارة وليس فيه دليل لما في رواية البخاري حلفت
والله مولاكم متولي اموركم وهو العليم باحوالكم الحكيم المتقن في احكامه فبادروا الى
ما امرتم به واذ اسر النبي الى بعض ازواجه هي حفصة او سودة حديثا تحريم العسل
او مارية وما قيل من ان الخلافة بعده لابي بكر وعمر منكر فلما نبأت به واظهره الله عليه
اطلعه على افشائه عرف بعضه واعرض عن بعض عرف مقدار ما علمت اطلاعه
واعرض عن الاستقصاء على ما هو داب الكرام وقرا الكسائي عرف مخففا اي جازاها
على البعض اطلاقا للمسبب على السبب كقوله وما تفعلوا من خير يعلمه الله فلما نباها به قالت
من انباك هذا تعجبا لنبائه الامر على الكتمان بينهما قال نباني العليم بالاشياء الخبير
ببواطنها ان تتوبا الى الله عائشة وحفصة او سودة فقد صغت قلوبكما اي حق
لكما التوبة لوجود موجبه وهو ميل قلوبكما الى مخالفة الرسول والتفت اليهما مكافحة زيادة
توبيخ وان تظاهرا عليه مرة اخرى وقرا الكوفيون بالتخفيف بحذف احدى التائين
فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين اي فلن يعدم من يظاهره من هذا نعته وهو الله
ورئيس الكروبيين الذي يباشر عقاب المخالف وصالح المؤمنين الذين هم اعوانه
واتباعه والملائكة بعد ذلك ظهير عطف على قوله ان الله مولاه وما عطف عليه وفي
بعد ذلك دلالة على ان وجود نصرة الله له وان تنوعت اقواها نصرة الملائكة وفيهم
جبرائيل لان افراده بالذكر لعلو شانه عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا
خيرا منكن عن انس رضي الله عنه ان عمر رضي الله عنه قال اجتمعت نساء النبي في
الغيرة فقلت عسى ربه ان طلقكن ان يبدله ازواجا خيرا منكن فنزلت وقرا نافع
وابو عمرو ان يبدله بالتخفيف والتشديد ابلغ مسلمات مقرات مؤمنات

بان

بان مخالفة عصيان قانتات طايعات تايبات عن الذنوب عابدات
متذللات الاخلاق سايحات صايمات لما في الحديث سياحة امتي الصيام
وقيل مهاجرات ثيبات وابكارا ادخل الواو بينهما دون ساير الصفات لانهما
متنافيان فلا بد من العاطف يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم بترك المعاصي واهليكم
ايضا بان يامروهم بالطاعات وتنهوهم عن المعاصي وفي الحديث كلكم راع
وكلكم مسئول عن رعيته نارا وقودها الناس والحجارة اي حجارة الكبريت تتقد بهما كما تتقد
غيرها بالحطب عليها ملائكة الزبانية تسعة عشر غلاظ الاخلاق شداد القوى
لا ياخذهم في تعذيب اعداء الله رافة لا يعصون الله ما امرهم فيما مضى ويفعلون
ما يؤمرون في المستقبل او يقبلون الاوامر وياتون بموجبها يا ايها الذين كفروا
لا تعتذروا اليوم يقال لهم حين يساقون الى النار اذ لا عذر لهم او لانه لا يقبل
الاعتذار انما تجزون ما كنتم تعملون جزاؤه يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله
بالاقلاع عن الذنب والندم على الماضي توبة نصوحا النصح لغة خلوص كل شيء
يقال عسل ناصح صاف والنصوح صيغة مبالغة منه اي بالغة في الصفاء عن
شوب الذنوب ويجوز ان يكون من النصح بفتح النون اصلاح الثوب بعد الحرق
وفي الحديث من اغتاب خرق ومن استغفر رفا فهي نصح صاحبها او تدعو غيره
الى التوبة لظهور آثارها على الاسناد المجازي وفسرها خير الامة بالندم بالقلب والاستغفار
باللسان والاقلاع بالجوارح والاستمرار على الترك وقرا ابو بكر بضم النون مصدرا
بمعنى ذات خلوص عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها
الانهار ورود التوبة النصوح بعسى على داب الملوك واشعارا بان لا وجوب
بل تفضل منه يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا معه ظرف ليدخلكم ومعنى معه
الاجتماع في الايمان لا في الزمان نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم استيناف
للتعريض بمن ناواهم وقيل خبر للذين امنوا وليس بوجه يقولون ربنا اتمم لنا نورنا
اذا راوا نور المنافقين قد انطفى يعتريهم الخوف على ما هو مقتضى البشرية وان كانوا
جازمين بالاتمام والنجاة او هو قول من يكون نوره ضعيفا فان الانوار على قدر
الاعمال فيسالون اتمامه تفضلا او يقولون ذلك على وجه التقرب والتلذذ
كساير الاذكار في الجنة يؤيده قوله واغفر لنا انك على كل شيء قدير او اعطاء النور
انما هو بعد الغفران يا ايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم بالحجة والسيف
لان الرفق قد بلغ مداه وماواهم جهنم وبئس المصير مصيرهم ضرب الله مثلا للذين
كفروا امراة نوح وامراة لوط مثل الله حال الكفار في عدم الانتفاع بالهم مع الانبياء
والمؤمنين من العلايق صهرا ونسبا بحال المراتين كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين ممتازين عن ساير العباد بالصلاح والزلفى فخانتاهما في الدين لا في الفجور

لانها فراش النبي ولا اجار عليه في كفرها فلم يغنيا عنهما من الله شيئا يسيرا من الاغناء
وقيل ادخلا النار مع الداخلين الذين لا علاقة بينهم وبين الانبياء وفيه تهديد للمتين
تظاهرا على رسول الله لاسيما التي افشت سره كامراة لوط حين دلت على اضيافه واشاره
الى ان شرف صحبة انما تفيد زيادة الكرامة اذا نصحت لله ولرسوله ضرب الله مثلا للذين
امنوا امراة فرعون احدى عدو الله موسى اسية بنت مزاحم اذ قالت رب ابن لي
عندك بيتا في الجنة ومعنى عندك مرتفع الدرجة كقوله عند مليك مقتدر ونجني من فرعون
وعمله من عذابه والابتلاء بعمله قيل لما علم بايمانها عذبها لترجع فابت وتدلها اوتادا
فربطها وارسل عليها الحيات ونجني من القوم الظالمين هم القبط اتباع فرعون
ومريم ابنة عمران التي احصنت فرجها عطف على امراة فرعون جمع في التمثيل بين ذات
الزوج والتي لا زوج لها تسلية للارامل وحثا لهن على المحافظة وتحصين الفروج فنفخنا فيه
في الفرج من روحنا نفخ جبرائيل والاسناد اليه للتشريف من روحنا مخلوق بلا واسطة اصل وصدقت
بكلمات ربها باحكامه او الصحف المنزلة عبر بها عنها لقصرها وكتبه وقرأ غير ابي عمرو
وحفص كتابه مفردا على ارادة الجنس او الانجيل والمؤمن به حقا مؤمن بسائر الكتب
وكانت من القانتين من جملة العابدين غلب التذكير اشارة الى ان طاعتها لم تقصر
عن طاعة الرجال الكمل ويجوز ان يكون من ابتدائية لانها كانت من اعقاب هرون
فيكون مدحا لها بشرف النسب بعد مدحها بكرم الحسب روى مسلم والبخاري رحمهما الله
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا اسية امراة
فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفضل عايشة على النساء كفضل الثريد
على ساير الطعام وفيه دليل ظاهر على ان عايشة افضل النساء على الاطلاق ولان ارفعية
وعلو الشان انما هو بالعلم ولم يدانيها كثير من الرجال فضلا عن النساء تمت سورة
التحريم والحمد لله فضله عميم والصلوة على النبي الكريم واله وصحبه ذوي الفضل الجسيم

سورة الملك وهي ثلثون آية وتسمى الواقية والمنجية بسم الله الرحمن الرحيم تبارك الذي بيده
الملك تعالى وكثر خيره ودام من في قبضته الملك المطلق ذكر اليد معه مثل لاستغنائه
عن الكل وافتقار الكل اليه وهو على كل شيء قدير ما يصح ان يكون كان او لم يكن مما يطلق
عليه اسم الشيء كالدليل على تلك الاحاطة والاستغناء والافتقار الذي خلق الموت والحيوة
قدرهما او اوجد الحيوة واعدمها وقدم الموت لانه ادعى الى حسن العمل وفي الحديث
كفى بالموت واعظا وفيه اكبروا ذكرها لذم اللذات ليبلوكم ايكم احسن عملا ليعاملكم
معاملة من يبلو ويختبره ايكم احسن عملا الجملة في محل النصب مفعول ثان ليبلو المتضمن معنى
العلم وليس من باب التعليق لانه مشروط بايقاع الجملة موقع المفعولين وقد تقدم
المفعول الاول لا الاستفهام فاسمى الشرط روي مرفوعا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
احسن عملا اتم عقلا عن الله واورع عن محارمه واسرع في طاعته وهو العزيز الغالب الغفور

للذنوب

للذنوب ترهيب وترغيب للعاصي في التوبة الذي خلق سبع سموات طباقا بعضها
فوق بعض مصدر طابق النعل او وصف بعضها فوق بعض ما ترى في خلق الرحمن
من تفاوت اي في خلقهن صفة مقوية لطباقا واقام الظاهر مقام الضمير تعظيما
ودلالة على ان سبب سلامتها صدورها من الموصوف بنهاية الرحمة واشارة الى ان
كونها مبدعة على تلك الصفة كما دل على كمال الاقتدار تحته من جلايل النعم ما لا يحصى
وقرأ حمزة والكسائي من تفوت وعن سيبويه وابي زيد انهما بمعنى كتعاهد وتعهد فارجع
البصر ثانيا لان النظرة الاولى جمعا هل ترى من فطور من شقوق جمع فطر كعبد وعبود
ثم ارجع البصر كرتين ثم بعد النظرة الثانية وادم على النظر متفحصا احوالها ملتمسا خللا
التثنية للتكرير مثل لبيك ينقلب اليك البصر خاسئا وهو حسير بعيدا كالمطرود
عن وجدان الخلل كليلا اذ تعب في الطلب ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح هذا
ادل على كمال الاقتدار من كونها ملساء مستوية والمصابيح النجوم المضيئة في السقف المرفوع
كالسرج في سقوف البيت والدنيا بالنسبة الى من في الارض وكونها زينة لها لا يقتضي
ان يكون مركوزة فيها وجعلناها رجوما للشياطين بانقضاض الشهب منها كما ان ر
المقتبسة وعليه يحمل انقضاض الكوكب في الحديث واشعار العرب لان كونها زينة
السماء يقتضي استمرارها وقيل جعلناها رجوما اي ظنونا لشياطين الانس اي سبب ظنونهم
التي يرمون بها الغيب جمع رجم بالفتح مصدر سمي به ما يرجم به واعتدنا لهم عذاب السعير
في الاخرة بسطو لذكر الشياطين وللذين كفروا بربهم بعد هذه الدلايل النيرة عذاب
جهنم وبئس المصير جهنم او عذابه اذا القوا فيها سمعوا لها شهيقا صوتا كصوت الحمار اما
منها او ممن تقدمهم وهي تفور فوران المرجل تكاد تميز من الغيظ تمثيل لشدة اشتعالها
واشتغالها بالنار ويجعل الله فيها ادراكا كما يدل عليه ظواهر النصوص كلما القي فيها
فوج سألهم خزنتها الم ياتكم نذير ينذركم عذاب اليوم سؤال توبيخ قالوا بلى قد جاءنا
نذير فكذبنا النذير وقلنا ما نزل الله من شيء قط ان انتم الا في ضلال كبير كلام الكفار
للنذير لانه مصدر وصف به الجمع مبالغة في انذارهم كرجل عدل او تقدير مضاف اي
اهل انذار او من كلام الخزنة على طريق حكاية ما كانوا عليه او الضلال الهلاك او سمي
عقابه باسمه وقالوا لو كنا نسمع كلام الرسل سماع تفهم وتدبر او نعقل تأمل ايات
الافاق والانفس ونستدل بها على ان الانسان لم يخلق سدى ما كنا في اصحاب السعير
في جملتهم فاعترفوا بذنبهم حين لا ينفع الاعتراف فسحقا لاصحاب السعير بعدا لهم اي
اسحقهم الله اسحاقا فحذف منه الزايد كانبت نباتا وقرأ الكسائي بضم الحاء على انها لغة
ان الذين يخشون ربهم ذكر الكفار كان بالعرض لان الذي سيق له الكلام بيان
حال من هو احسن عملا كانه قيل ما وما حال من سيق له الكلام فاثبت لهم كمال العلم الذي
اشير اليه بقوله انما يخشى الله من عباده العلماء وكمال التقوى بقوله بالغيب بالغائب

عنهم او غائبين عنه او بالغائب المخفي وهو القلب لهم مغفرة لما فرط منهم واجر كبير
لا يسعه تصورهم واسروا قولكم او اجهروا به خطاب عام كما في يبلوكم اي اتقوا في السر
والعلن لاستوائهما في علمه حث للخاشي على الاستدامة والترقي الى حق الخشية وللغافل
المغير على الانابة ويجوز ان يكون التفاتا الى اصحاب السعير لما روي ان المشركين كانوا
يقولون اسروا قولكم لئلا يسمع اله محمد فيخبره انه عليم بذات الصدور بضمائرها فضلا
عن الصادر عنها سرا او جهرا الا يعلم من خلق الا يعلم السر والجهر من خلق الاشياء كلها
وهو اللطيف الدقيق في صنعه وقت حكمه في كل شيء الخبير ببواطن الاشياء وحذف
المفعول من خلق للتعميم ولا يجوز ان يكون من قبيل يعطي ويمنع لارتباطه بما تقدم من
حديث السر فلا بد من ملاحظة المفعول ويجوز ان يكون من مفعولا في يعلم ضمير الرب
اي الا يعلم الله مخلوقه وهذا شانه والاول اوجه لاقامة الظاهر مقام المضمر وكونه ادل
على المحذوف والعموم المقدر لتناوله له ثانيا ولا اوليا هو الذي جعل لكم الارض ذلولا
لينة يسهل عليكم سلوكها فامشوا في مناكبها في جوانبها مثل في فرط التذلل لان منكب
البعير ارق شيء فيه وانباه عن وطئ الراكب بقدمه فاذا ذلل ذلك فقد بلغ التذليل
غايته وقيل مناكبها جبالها فالاستعارة في لفظ المنكب وكلوا من رزقه ما اخرج منها
اقواتا وثمارا واليه النشور فاجتهدوا في الشكر فانه يسالكم عنها ءامنتم من في السماء
ملكوته وسلطانه او تقدسه على زعم جهلة العرب وقيل الملك الموكل للعذاب وليس برهين
ان يخسف بكم الارض كما خسف بقارون مقابل لقوله فامشوا بدل اشتمال من من
فاذا هي تمور تضطرب في ذهابه ومجيئه من هيبة الله وشدة غضبه ام امنتم من في السماء
ان يرسل عليكم حاصبا ريحا فيها الحصباء والاحجار كقوم لوط مقابل لقوله وكلوا من
رزقه وبقوله وفي السماء رزقكم فستعلمون كيف نذير اذا شاهدتم المنذر به ولقد
كذب الذين من قبلهم مثل قريش فكيف كان نكير انكاري بالانتقام وقد شاهدوا
اثاره وتواتر عندهم خبره مالم يشاهدوه اولم يروا الى الطير فوقهم صافات باسطات
اجنحتهن في الجو فانها اذا بسطت الاجنحة صفت القوادم ويقبضن لم يقل قابضات
لان الطيران كالسباحة الاصل فيه المد والقبض تارة وتارة والفعل دال على التجدد
والحدوث ما يمسكهن الا الرحمن بليغ الرحمة بان خلقهن على وضع وهيئة تمكن بها
من الطيران بان جعل لها القوادم تشق بها الريح والخوافي تشد بها والاذناب يقيمها
كما في السفن انه بكل شيء بصير عليم عيانا لا يخفى عليه شيء مما يدبر القطع في ذكره
عقيب الخسف وارسال الحاصب اشارة الى ان من هذا شانه ذلك اهون شيء عنده
وبيانا اي ان دافع العذاب عن هؤلاء مع موجباته وتكامل اسبابه منهم انما هو
تلك الرحمة البالغة التي امسكت الطير في الهواء امن هذا الذي هو جند لكم ينصركم
من دون الرحمن متعلق بحديث الخسف لان قوله ولقد كذب اعتراض بسند من

عضد

عضد التحذير وكذا قوله اولم يروا تصوير لقدرته الباهرة والمعنى ام الذي يقال
فيه هذا الذي هو جند لكم امنكم من عذاب الله على ان ام منقطعة والاستفهام
تهكم والمشار اليه اما نوع مقدر او منها مبهم من مبتدا وهذا خبره والموصول صفة
هذا او ينصركم وصف لجند محمول على اللفظ ان الكافرون الا في غرور مغرورون
في الغفلة امن هذا الذي يرزقكم اي ام الذي يقال فيه هذا الذي يرزقكم ان
امسك رزقه اي الله تعالى بامساكه اسبابه من المطر والانبات متعلق
بارسال الحاصب بل لجوا في عتو تمادوا في العناد ونفور واعراض وهذا ادل
على اغراقهم في الكفر من قوله الا في غرور كما ان توهم الرزق من الاصنام او من
نوع مقدر ابعد من تخيل النصر منها افمن يمشي مكبا على وجهه اهدى يقال كببته
فاكب وهو من النوادر لان القياس كون المجرد لازما وما لمزيد متعديا وقيل ليس
من ذلك بل المعنى صار ذا كب كاغد البعير ومعنى مكبا انه يعثر على وجهه تارة
ويقوم اخرى لكونه ماشيا في غير الطريق او لكونه اعمى لا يبصر امن يمشي سويا على صراط
مستقيم هذا مثل ضربه للكافر والمؤمن فان الكافر في ظلمات الشبه والشكوك
كمن لا يرى جهة قصده او يسلك مكانا وعرا فهو بين قيام وسقوط والمؤمن في
نور ايمانه كمن يرى مواطئ قدميه او كمن سلك طريقا جادة سهلة السلوك وان
شئت شبهت الدينين بالمسلكين قل هو الذي انشاكم من تراب وجعل لكم
السمع والابصار والافئدة الالات الادراك واي بعد ابعد ما بين التراب
وهذه الامور قليلا ما تشكرون باستعمالها فيما خلقت له فلا تسمعون سماع تفهم
ولا تنظرون نظر اعتبار ولا تدبرتم في دلائل الانفس والافاق قل هو الذي ذراكم
في الارض بثكم فيها متمكنين من اي تصرف شئتم واليه تحشرون للجزاء فاشكروا الله
ويقولون متى هذا الوعد اي الحشر او العذاب كالخسف وارسال الحاصب ان
كنتم صادقين الخطاب له عليه السلام ولمن امن به قل انما العلم عند الله لا يعلم ذلك غيره
وانما انا نذير مبين فلما راوه زلفة الضمير للموعود وعبر عنه بالماضي لتحقق وقوعه
سيئت وجوه الذين كفروا ساءها رؤية العذاب وغشيها القترة وقيل هذا
الذي كنتم به تدعون تستعجلون من الدعاء الباء صلة او تدعون ان لا بعث
من الدعوى فالباء السببية قل ارايتم ان اهلكني الله ومن معي من المؤمنين
او رحمنا بتاخير الاجال فمن يجير الكافرين من عذاب اليم كانوا يتمنون هلاكه
كما قال الله تعالى نتربص به ريب المنون اي ان اهلكنا الله كما تتمنون انتم او رحمنا
بالنصر عليكم كما نرجو نحن لا مجير لكم من عذاب الله او نحن هداكم وعادكم الى النجاة
فان اهلك الله هداكم كما تتمنون او رحمهم عكس ما تتمنون فمن يجيركم او نحن نؤمنون
وحالنا دائرة بين الاهلاك بالذنب والرحمة بالايمان فماذا حالكم مع كفركم وعلى الوجوه

من ايقاع المظهر موضع المضمر قل هو الرحمن امنا به مجيرنا من عذابه ولم نكفر مثلكم
وعليه توكلنا لا على العدد والعُدد ومثلكم فستعلمون من هو في ضلال مبين منا ومنكم
من كلام التعسف وقرا الكسائي بيا الغيبة قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا غائرا في
الارض فمن ياتيكم بماء معين جار او سهل الماخذ فان لم تعبدوه والحيوة الباقية
فاعبدوه وللفانية فالكل منه واليه يرجع الامر كله فاعبده وتوكل عليه تمت سورة
الملك والحمد لمن بيده البقاء والهلك والصلوة والسلام على خير الانام واله وصحبه

سورة نون مكية الى يوم القيام وايها اثنتان وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم ن اسم السورة او من حروف الهجاء كما تقدم في نظايره
وقيل اسم الحوت الذي عليه الارض المسمى بالبهموت وقيل اسم اللوح الذي كتب فيه
القلم ما هو كاين وقيل اسم الدواة في الكل بعد اذ لا وجه لاعرابه على ان ذكر الحوت
مع القلم كذكر الضب مع النون فان قلت اذا كان اسم السورة فلا يتكرر بسكون اخره
فليكن كذلك اذا جعل اسم الدواة او اللوح قلت قد سبق ان الحكايات في هذه
الحروف انما يصح اذا كانت اسماء للسور لمح معانيها الاصلية الفاظا لمن يتحدى بها
واقرب الوجوه ان يكون اسما للدواة التي كتب منها القلم الكاينات وسكونه اجراء
للوصل مجرى الوقف والقلم هو الذي خلقه الله اول او جنسه اقسم به لشرفه لانه آلة
الكتابة وحيه وحكمه وما يسطرون ما يكتبه من كتب من المعارف او الحفظة من الاعمال ويجوز
ان يكون ما مصدرية وان يراد بالقلم اصحابه وبهم كتاب وحيه وحملة شرايعه فيقسم بهم
وبسطوراتهم او بسطرهم وكتبتهم ما انت بنعمة ربك بمجنون جواب القسم والمعنى ما انت
بمجنون منعما عليك بما انعم من رزانة الراي وحصانة العقل على ان الجار والمجرور حال من
المستكن في بمجنون وهو العامل فيه والباء فيه زايدة فلا يمنع العمل فيما قبله وان
لك لاجرا غير ممنون غير مقطوع كقوله عطاء غير مجذوذ او خاليا من المنة والمعنى
ان لك عندنا من الزلفى والمكانة زيادة على اجر صبرك على اذاهم ما لا يستحق
الاجر ان يمن به عليك وقيل ممنون من الناس لانه من عطاء ربك وانك لعلى
خلق عظيم وبه استوجبت تلك الرتبة العظمى وعن قتادة رحمه الله قلت لعائشة رضي الله
عنها اخبريني عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت كان خلقه القران
وكذا عن سعيد بن هشام رحمه الله تعالى اشارت الى قوله خذ العفو وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وروى البخاري عن عبد الله بن عمرو ان نعته في التورية
محمد عبدي سميته المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا يجازي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر وعن
علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان رسول الله اجود الناس صدرا واصدقهم لهجة
والينهم عريكة واكرمهم عشرة من راه بديهة هابه ومن خالطه احبه فستبصر ويبصرون
بايكم المفتون اي ايكم الذي فتن بالجنون والباء زايدة او المفتون مصدر كالمعقول

او

او الباء بمعنى في اي في اي فريق منكم يوجد من يستحق هذا الاسم والخطاب وان كان
معه الا ان امته داخلة تبعا وهذا اوجه الاوجه لاشتماله على التعريض مع سلامته عن
استعمال النادر ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله اي بالمجانين وهو اعلم
بالمهتدين العقلاء اشار الى ان الجنون والعقل بهذا الاعتبار لا بما توهموه في هذا
الزعم مجانين ويجوز ان يكون وعيدا ووعدا اي اعلم بجزاء الفريقين فلا تطع المكذبين
كانوا يدعونه الى عبادة الاصنام وتقاليدهم ومن غوايلهم او يعبد ما يعبدوه وتبع
ودوا لو تدهن تلين لهم فيدهنون فيلينون لك الفاء للعطف اي ودوا ادهانك
فيدهنوا بعد ادهانك او السببية اي ودوا لو تدهن فهم يدهنون حينئذ او ودوا
ادهانك فهم الان يدهنون طمعا فيه ولا تطع كل حلاف كثير الحلف وفي جعله
فاتحة المثالب وامام القبايح دلالة على انه شر الخصال وذلك لانه يدل على عدم
استشعار عظمته تعالى مهين حقير هماز عياب من الهمز وهو الكسر مشاء بنميم النميم
والنميمة نقل الحديث لايقاع الفتنة وافساد ذات البين مناع للخير شديد البخل
والخير المال او ابا من الخير وهو الايمان ذكر الممنوع منه دون الممنوع بعكس الوجه
الاول لان عدم ذكر الممنوع منه هناك اوقع معتد ظالم متجاوز الحد اثيم كثير الاثم
عتل جاف غليظ من عتله اذا قاده بعنف بعد ذلك زنيم بعد ما ذكر من المثالب
دعي لا نسب له وهذا كما اذا عددت مثالب انسان ثم تقول وبعد ذلك
لا يحب ابا بكر وعمر رضي الله عنهما والزنيم شاة له زنمة وهي ما يقطع من اذنها من غير
فصل فيتدلى قيل هو الوليد بن المغيرة استلحقه ابوه بعد ثماني عشرة من مولده وقيل
بغت امه فولدته من الزنا وقيل هو الاخنس بن شريق كان من ثقيف وعداده
في زهرة وليس بصواب لانه اسلم بعده وفي الصحابة ان كان ذا مال وبنين اذا
تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين متعلق بقوله ولا تطع اي لا تطعه بعد هذه
المثالب لكونه ذا يسار وحظ من الدنيا او بما دل عليه ما بعده من معنى التكذيب
لا بقال لان ما بعد الشرط لا يعمل فيما قبله اي كذب باياتنا لان كان متظاهرا
بالمال والبنين مغرورا بها قيل كان له عشرة من البنين وله مال وافر ويقول
من امن بمحمد منعت رفدي وقرا حمزة وابو بكر بالاستفهام انكار الطاعة له لكونه
ذا مال وكذا ابن عامر الا انه سهل الثانية بزيادة الالف بينهما لهشام لابن
ذكوان بين بين سنسمه على الخرطوم الوجه اشرف الاعضاء واشرف
اجزائه الانف والعرب على ان الشرف يظهر في الانف يقولون فلان
شمم والقوم شم العرانين وفي وصفه صلى الله عليه وسلم اشم العرنين فالكي على
على الانف اهانة واذلال ويجوز ان يكون حقيقة او كناية عن الاذلال والتعبير عنه
بالخرطوم زيادة تشويه لانه لا يستعمل الا في الفيل والخنزير وما قيل انه خطم يوم بدر

فبقي سمة على خرطومه سهو لان الوليد مات قبل بدر وابعد منه ما نقل عن النضر بن
شميل ان الخرطوم هو الخمر ومعناه سنحده على شربها انا بلوناهم كما بلونا اصحاب الجنة
اي انا اختبرنا اهل مكة بارسال محمد رحمة عليهم فلما كفروا به سلطنا عليهم القحط كما
اختبرنا اصحاب الجنة عن سعيد بن جبير ان هؤلاء كانوا من قرية يقال لها صروان
من قرى صنعاء وكان ابوهم ذا بر واحسان على الفقراء وكان ياخذ من غلة بستانه
مقدار قوت سنته ويصرف الباقي على الفقراء والمحاويج فقال بنوه ان فعلنا ما كان
يفعل ابونا ضاق علينا الامر ونحن ذوو عيال اذ اقسموا ليصرمنها مصبحين ليقطعنها
في الصباح قبل ان يعلم بذلك الفقراء ولا يستثنون في ايمانهم لم يقولوا ان شاء الله
بل سموا القول وجزموا به وانما سمي الشرط استثناء لانه يؤدي مؤداه في الاخراج
فطاف عليها على الجنة طائف بلاء من الطوفان من ربك مرسل من عند الله
وهم نائمون لا علم لهم بذلك فاصبحت كالصريم كالمجدودة ثماره من الصرم وهو القطع
او كالليل المظلم محترقة او الليل الابيض القفر فان الصريم من الاضداد او كالزرع المصروم
او كالتي اصابها الصرام وهي الداهية فتنادوا نادى بعضهم بعضا مصبحين ان
اغدوا على حرثكم ان مفسرة واستعمال الغدو بعلى لتضمنه معنى الاقبال او لان الغدو
للصرام استيلاء وهو والاستعلاء من واد واحد ان كنتم صارمين على الوجه الذي
عزمتم عليه فانطلقوا وهم يتخافتون يتكالمون الحديث ان لا يدخلنها اليوم عليكم
مسكين ان مفسرة والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه كقولك
لا اريتك هنا وغدوا على حرد قادرين الحرد والمنع يقال حاردت السنة اذا منعت
المطر والابل اذا بخلت باللبن اي غدوا حازمين على المنع حال كونهم قادرين على الجني
او غدوا على محاردة جنتهم ومنع خيرها بدل كونهم قادرين على اصابة خيرها وقيل الحرد
السرعة يقال قطا حارد اي سريع اي ذهبوا على وجه السرعة كيلا يدركهم المساكين
وقيل الحرد القصد اي غدوا قاصدين الصرام قادرين على ذلك من عند انفسهم حال
مقدرة وقيل الحرد اسم بستانهم فلما راوها على تلك الحالة قالوا انا لضالون طريق
جنتنا قالوه قبل ان يتيقنوا الامر قالوا بل نحن محرومون حرمنا خير جنتنا لجنايتنا على
انفسنا قال اوسطهم اي خيرهم رايا الم اقل لكم لولا تسبحون اي يستثنون لتلاقي
الاستثناء والتسبيح في التعظيم فاستعمل مكانه وعن الحسن لولا تصلون فان الصلوة تنهى
عن الفحشاء او لولا تذكرون الله وتتوبون اليه كانه نصحهم على خبث نيتهم فلم يطيعوه
قالوا سبحان ربنا انا كنا ظالمين في القصد الى حرمان المساكين قالوه بعد خراب
البصرة واتساع الخرق على الراقع فاقبل بعضهم على بعض يتلاومون فكل منهم يقول
لا خرابك السبب او لان بعضهم قاله وبعضهم رضي به وبعضهم كف فلم يطيعوه قالوا
يا ويلنا انا كنا طاغين فلذلك اصابنا البلاء عسى ربنا ان يبدلنا خيرا منها كما هو شانه

مع

مع التائبين انا الى ربنا راغبون في العفو ومحو الجريمة وافاضة الخير والظاهر
ان الله تعالى قبل توبتهم لوقوعها في اوانها كذلك العذاب اي مثل ما بلوناه
اهل مكة واصحاب الجنة العذاب الواقع في الدنيا وقد ادمج في التمثيل باصحاب
الجنة ان اهل مكة اولى بالبوار والنكال لان القصد الى حرمان المساكين اذا افضى
بهم الى ما ذكر فكيف بمن عاند الحق وكذب اشرف الرسل وقطع الرحم التي
اوصى الله تعالى بصلتها ولعذاب الاخرة اكبر من عذاب الدنيا لو كانوا يعلمون
لو كانوا من اهل العلم لعلموا ذلك ولاخذوا حذرهم ان للمتقين عند ربهم في
جوار قدسه جنات النعيم جنات ليس فيها الا التنعيم الخالص تعريض بجنات الدنيا
فان الغالب فيها التعب والنكد وحسن موقعه بعد ذكر اصحاب الجنة المذكورة
وذكر حالها افنجعل المسلمين كالمجرمين قال مقاتل كانوا يقولون ان لم يكن
في الاخرة احسن حالا من المسلمين فلا اقل من المساواة قياسا على حظوظ الدنيا ما لكم
ما حصل لكم من الخلل كيف تحكمون هذا الحكم الذي لا يصدر عن ذي مسكة وفي الاستفهام
مبالغة في التعجب من سفاهتهم ام لكم كتاب فيه تدرسون لكم بما فيه علم تام ان
لكم فيه لما تخيرون تختارونه وتشتهونه وكان الظاهر فتح ان لانه مدروس وانما
كسر لوجود اللام او هو على الحكاية كقوله وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح
ولا يقدح في هذا تكرار فيه لكونه على منوال قرات الكشاف ان في الكشاف لفوايد
وتخير الشيء واختاره اخذ خيره ام لكم ايمان علينا يقال لفلان على يمين اذا
حلفت له على امر تضمنه له بالغة متناهية في التغليظ جمع اليمين واكد ولفظ اعتمادهم
الى يوم القيمة غاية للثبوت المقدر في الظرف اي ثابتة الى ذلك اليوم كالاجل
للدين فاذا وفينا بالمقسم عليه خرجنا عن عهدتنا او مبالغة على معنى انها مستمرة
الى ذلك اليوم لا تنحل منها يمين ولم تبطل حتى يحصل المقسم عليه ان لكم لما تحكمون
جواب القسم لان معنى ام لكم ايمان علينا ام اقسمنا لكم سلهم ايهم بذلك زعيم
كافل باثبات ما ذكر ام لهم شركاء في هذه العقيدة فليأتوا بشركائهم ان
كانوا صادقين في دعواهم ومعلوم انه لا يوافقهم عاقل فقد انحسم مادة الشبه
عقلا ونقلا يوم يكشف عن ساق منصوب بفليأتوا او باذكر او بمقدر اي يكون
كيت وكيت الكشف عن الساق والتشمير عنها جرى مجرى المثل عن شدة الامر
واستعمله البلغاء حيث لا يتصور ساق قال جرير الا رب سامي الطرف من آل
مازن اذا شمرت عن ساقها الحرب شمرا واصل هذا ان الرجل اذا وقع في امر
عظيم شمر عن ساقه ولا ينافي هذا ما رواه البخاري عن ابي سعيد انه سمع رسول الله
صلى الله تعالى عليه وسلم يقول يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة
ويبقى من كان في الدنيا يسجد رياء فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا

والفزع الاكبر يتجلى للمؤمنين بصفة الجمال وهذا انما يكون بعد ذهاب اهل النار ولم يبق الا المؤمنون ومنهم المنافقون فارادوا النفاق كما في الدنيا فافتضحوا وهذا معنى قوله ويدعون الى السجود فلا يستطيعون لان [illegible] صريحا وتكليفا خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة تغشاهم وقد كانوا يدعون الى السجود وهم سالمون من العوائق فذرني ومن يكذب بهذا الحديث اي كله الي فاني اكفيكه سنستدرجهم من حيث لا يعلمون انه استدراج بان نفيض عليهم الرزق والعافية فيحسبوه ايثارا لهم وتفضيلا على المؤمنين فيتمادون في الضلال والاستدراج استنزال الشخص درجة بعد درجة حتى يتورط في الهلاك واملي لهم اي اطيل لهم المدة ليزدادوا اثما ان كيدي متين قوي وانما سمى احسانه استدراجا وكيدا لانه في صورته ام تسألهم اجرا متصل بقوله ام لهم شركاء وما في البين اعتراض ترغيبا للسامعين في البدار قبل فوت الوقت فهم من مغرم مثقلون فلذلك يعرضون ام عندهم الغيب اللوح الذي هو خزانة المغيبات فهم يكتبون منه فهم يستغنون به عنك وعما جئت به فاصبر لحكم ربك وهو امهالهم الى وقت معلوم ولا تكن كصاحب الحوت هو يونس بن متى اذ نادى وهو مكظوم في بطن الحوت ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين والمعنى لا تكن مكظوما اي مملوا غيظا على عدم ايمان قومك مثله فالنهي عنه مشابهته اياه في الكظم ولما كان هو مما يوهم انحطاطه قال لا تفضلوني على يونس بن متى اذ كان غضبه لله وان لم يكن من عزم الامور لولا ان تداركه نعمة من ربه رحمة منه او توفيقه اياه للتوبة لنبذ بالعراء وهو مذموم اي امتنع نبذه بالعراء مذموما لوجود التدارك فالمعتمد في جواب لولا هو الحال لا النبذ لوجوده والعراء القفار الذي لا ساتر له فاجتباه ربه بعد الانابة فجعله من الصالحين من عداد الانبياء وقيل استنباه وهو خطأ فاحش وكذا القول بنزول الآية حين اراد ان يدعو على المؤمنين الذين انهزموا يوم احد لان السورة من اوايل ما نزل بمكة وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم زلقه وازلقه بمعنى ازاله عن مكانه وصفهم بالمبالغة في العداوة كانها سرت من القلب والجوارح الى النظر فصار يعمل عملها واليه اشار من قال يتقارضون اذا التقوا في موطن نظرا يزيل مواطي الاقدام وقيل العين كان في بني اسد وكان يتجوع منهم رجل ثلثة ايام فلا يمر به شيء يقول لم ار كاليوم مثله الا عانه فارادوا فعله برسول الله فوقاه الله بعنايته وعن الحسن ان هذه الآية رقية العين من خاف من اصابة العين فليقرأها وروى الامام احمد بن حنبل عن ابن عباس رضي الله عنهم لو كان شيء سابق القدر لسبقته العين والاخبار في حقية العين متواترة المعنى ومن شاهد تاثير المقناطيس في جذب الحديد لم يستبعد تاثير العين وقرأ نافع يزلقونك بفتح الياء وهي لغة والختم

الشهر لما سمعوا الذكر القرآن الذي هو شرف لهم ويقولون انه لمجنون ولذلك خالف كلامه اساليب كلام العرب وما هو الا ذكر للعالمين عظة لكل ذي عقل من الملائكة والثقلين او شرف لمن حفظه وعمل بما فيه كائنا من كان وهذا ابلغ من قوله وانه لذكر لك ولقومك تمت سورة نون والحمد لمن اجره غير ممنون والصلوة على خيرة الخلق الى يوم يبعثون

سورة الحاقة مكية وآيها احدى وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحاقة من اسماء يوم القيمة اي الساعة الثابتة التي لا ريب في ثبوتها او التي فيها ثوابت الامور من الحساب والجزاء على الاسناد المجازي وكذا ان فسرت بالحق فيها الامور وتعرف على الحقيقة ما الحاقة ما حقيقتها الجملة خبر الاول والاصل ما هي تعظيم وتهويل لها او في وضع المظهر مقام المضمر زيادة ومبالغة واكد ذلك بقوله وما ادريك ما الحاقة اي لم تحط علما بكنهها وكل شيء قدرته في نفسك فهي افظع من ذلك وما الاستفهامية علق عنها الفعل ولما هول امرها بالا مزيد عليه اردفه بذكر المكذبين بها وما حل بهم وادخر لهم في الآخرة تحذيرا لاهل مكة كذبت ثمود وعاد بالقارعة من اسمائها لانها تقرع الناس بالافزاع والاهوال والجبال بالدك والسماء بالانفطار والارض بالزلزال وهذا تهويل اخر حيث لم يعبر عنها بالضمير ولا بالمظهر المذكور فاما ثمود فاهلكوا بالطاغية بالواقعة المتجاوزة عن الحد في الفظاعة وهي الصاعقة لقوله فاخذتهم صاعقة العذاب ويجوز ان يكون معها الصيحة والرجفة كالسحاب مع الخسف في قوم لوط وقيل مصدر كالعاقبة ولا يلائم قوله واما عاد فاهلكوا بريح لان الآية من قبيل الجمع والتفريق والحدث لا يناسب العين صرصر شديدة الصوت لها صرة في هبوبها او من الصر وهو البرد كانها التي كرر فيها البرد عاتية على قوم عاد فلم يقدروا على دفعها وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه عتت على خزانها فخرجت بغير حساب سخرها عليهم سلطها سبع ليال وثمانية ايام استئناف لبيان الكمية بعد الكيف ليتكامل الهول حسوما متتابعات كل خير جمع حاسم كشهود جمع شاهد والحسم ازالة اثر الشيء ومنه الحسم للكي المتاصل للداء او متابعة هبوب الريح حتى استاصلتهم كان كل سبعة كية ويجوز ان يكون مصدر الفعل مقدرا اي تحسم حسوما اي يفرق بينهم تفريقا سديدا لا اجتماع بعده ولكمال النحوسة فترى القوم فيها في مهابها صرعى ملقى على الارض كالاخشاب اليابسة قيل كانت من صبيحة الاربعاء الى غروب الاربعاء وسميت ايام العجوز لان عجوزا توارت في سرب فوجدها الريح في اليوم الثامن وقيل ايام العجز وهي آخر الشتاء واسماؤها الصن والصنبر والآمر والمؤتمر والمعلل ومطفئ الجمر كانهم اعجاز نخل خاوية اصول نخل متآكلة الاجواف فهل ترى لهم من باقية بقية او نفس باقية او بقاء

وجاء فرعون ومن قبله قيل فرعون وقرأ ابو عمرو والكسائي قبله بكسر القاف اي
اتباعه والاول ابلغ واشمل اذ ذكر فرعون دل على اتباعه والمؤتفكات قرى قوم
لوط والاسناد مجاز بالخاطئة بالخطاء او بالفعلة ذات الخطاء او بالافعال الخاطئة
مجاز في الحكم فعصوا رسول ربهم كل منهم رسولهم فاخذهم اخذة رابية شديدة العظم
جرمهم من ربا الشيء اذا زاد انا لما طغى الماء على الخزان يوم الطوفان او جاوز الحد
حملناكم في الجارية في السفينة وذكرها باسم الجارية تصويرا لاظهار القدرة اذ لم يكن
لها مجر ولا نوتي بل كان باسم الله مجريها ومرسيها لنجعلها لكم تذكرة تلك الفعلة
موعظة وتعيها اذن واعية من شانها الوعي يقال وعيته اذا حفظته في نفسك
واوعيته اذا حفظته في وعاء اخر والتنكير للدلالة على قلة الاذن الموصوفة وان واحدة
منها اذا وجدت كانت بمثابة السواد الاعظم وقرا نافع بسكون الذال وعن
علي رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سالت الله ان يجعل اذنك
واعية قال فما نسيت بعد ذلك شيئا وما كان لي ان انسى فاذا نفخ في الصور
نفخة واحدة هي النفخة الاولى نفخة الفزع ويعقبها نفخة الصعق وبعدها نفخة القيام
وابتداء خراب العالم وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة ضربت
احديهما على الاخرى بالقدرة الكاملة فصارتا كثيبا مهيلا كما تضرب احدى الصفيحتين
على الاخرى فيومئذ وقعت الواقعة قامت القيامة وانشقت السماء فهي يومئذ
واهية مسترخية والملك على ارجائها جنس الملك على اطرافها جمع رجا مقصور
ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فان الحملة اليوم اربعة فاذا كان ذلك
اليوم ايدوا باربعة اخرى وقيل ثمانية صفوف لا يعلم عددهم الا الله وروى
ابو داود في سننه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذن لي ان احدثكم عن
ملك من حملة العرش ما بين شحمة اذنه الى عاتقه سبعمائة عام واذا نطق القران
بامر محكي ووافقه الاحاديث فلا وجه للتاويل والعدول عن الظاهر يومئذ
تعرضون العرض انما يكون بعد النفخة الاخيرة والكلام في النفخة الاولى لان
اليوم اريد به زمان متسع روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
يعرض الناس يوم القيمة ثلث عرضات عرضتان جدال ومعاذير والثالثة
تطير فيها الصحف لا تخفى منكم خافية سريرة والمراد من العرض اظهار المعدلة
واخزاء الجاحدين على رؤس الاشهاد وقرا حمزة والكسائي بالياء وحسن لوجود
الفصل فاما من اوتي كتابه بيمينه تفصيل للعرض روى البخاري عن ابن عمر رضي الله
عنه ان رسول الله قال يدني الله المؤمن يوم القيمة فيقرره بذنوبه حتى اذا راى
انه قد هلك يقول الله قد سترتها عليك في الدنيا وانا اغفرها لك اليوم فيعطى كتاب
حسناته بيمينه واما الكافر فيقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله

على الظالمين فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه يقوله لكل من راه فرحا وهاؤم جمع هاء بالف
بعده همزة تصرف تصريف الكاف ومعناه خذ اسم فعل تنازع هاؤم واقرؤا
فاعمل الثاني لقربه على ما اختاره البصريون والا لقيل اقرؤه اني ظننت اني
ملاق حسابيه ايقنت وانما عبر عنه بالظن للدلالة على ان هواجس النفس وخطراتها
مما لا ينفك عنه العلوم النظرية لا يقدح في الاعتقاد فهو في عيشة راضية ذات رضا
كلابن وتامر فان النسبة كما تكون بالحروف تكون بالصيغة او راض صاحبها على المجاز
في الاسناد في جنة عالية فوق السماء السابع سقفها عرش الرحمن او عالية قصورها
واشجارها بدل من عيشة او خبر بعد خبر قطوفها جمع قطف بالكسر من القطاف
وهو تقارب الخطى في سرعة فانها تجتنى من غير تعب دانية يتناولها القاعد
والمضطجع كلوا واشربوا على تقدير القول هنيئا اكلا وشربا هنيئا او هنئتم هنيئا بما
اسلفتم من الاعمال في الايام الخالية الماضية في الدنيا واما من اوتي كتابه بشماله
فيقول يا ليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه لما يرى من سوء العاقبة يا ليتها
الموتة الاولى كانت القاضية القاطعة فلم ابعث بعدها او يا ليتها دامت يرى من
الشدة ما بعد مرارة الموت حلاوة عندها ما اغنى عني ماليه شيئا من الاشياء او اي
شيء اغنى على ان ما استفهامية انكارا هلك عني سلطانيه ملكي وتسلطي على الاموال
والحشم وقرا حمزة في الوصل بدون الهاء في الموضعين وهذا هو الاصل لانها للسكت
ولا سكت في الوصل ومن اثبتها اجرى الوصل مجرى الوقف اتباعا للرسم خذوه
امر من الله للخزنة فغلوه اجمعوه في الغل ثم الجحيم وهي النار العظمى صلوه لا غيرها
يقال صليته النار ادخلته اياها في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا المراد منه الكثرة كقوله
ان تستغفر لهم سبعين مرة فاسلكوه اي لا تسلكوه الا في السلسلة الموصوفة ومعنى
سلكه فيها ان تلف عليه مع ذلك الطول المفرط مبالغة في التضييق عليه وثم في
الموضعين للتفاوت بين ما وقع وما تقدمه انه كان لا يؤمن بالله تعليل على
طريقة الاستئناف العظيم اي ذلك العظيم من العذاب لكفره بالعظيم ولا يحض
على طعام المسكين فيه مبالغتان ذكره قرين الكفر وترك الحض دون منع الطعام
ليعلم من باب الاولى وفيه اشارة الى ان شر الخصال بعد الكفر البخل وقسوة
القلب فليس له اليوم ههنا حميم قريب يحميه وقد فر كل امرئ من اخيه وابيه
ولا طعام الا من غسلين غسالة اهل النار من دم وصديد فعلين من الغسل
لا ياكله الا الخاطئون العامدون للاثم من الخطء بكسر الخاء ومن الخطاء بفتحها ضد
العمد الذي ذكره الفقهاء فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون اي بجميع الكائنات
التي هي اثار الصنع ولا مزيدة او لا اقسم بهذه الاشياء لظهور الامر انه ان القران
لقول رسول كريم مبلغ عن الله وما هو بقول شاعر كما تزعمون قليلا ما تؤمنون

افرط عنادكم ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون القلة في الموضعين بمعنى العدم
ولما كان عدم التباس القرآن بالشعر بينا جعل الفاصلة عدم الايمان عنادا بخلاف
الكهانة فانها تتوقف على سبر احوال القايل من الصدق والصلاح فذكر معها
التذكر وقرا ابن كثير وهشام يؤمنون ويذكرون بالياء الغيبة مسندا الى
ضمير الخاطئون ولابن ذكوان وجهان تنزيل من رب العالمين رفع لتوهم
ان يكون كلام الرسول حقيقة لاسناد القول اليه والمراد بالرسول محمد لا جبرئيل
عليهما السلام اذ لم ينسبوا اليه شعرا ولا كهانة ويجوز ان يكون جبرئيل عليه السلام
كانه قيل انه لقول جبرئيل الرسول الكريم وليس من تلقاء محمد كما يزعمون انه شاعر
او كاهن والاول اوجه ولو تقول علينا بعض الاقاويل اي لو نسب الينا قولا
لم نقله من التقول وهو نسبة القول الى من لم يقله تكلفا وسمى الاقوال المتقولة
اقاويل تحقيرا كالاعاجيب والاضاحيك كانها جمع افعولة لاخذنا منه باليمين
اي بيمينه ثم لقطعنا منه الوتين كما يفعل الملوك بمن يكذب عليهم وصور القتل
في اشنع صورة وهو ان ياخذ الجلاد بيمين المصبور ليرى السيف في يده بخلاف
ما اذا اخذ بيساره والوتين نياط القلب في ذكره اشارة الى محل الجناية كاليد
للسارق فان اللسان ترجمان لا مواخذة عليه فما منكم من احد حاجزين
عن القتل او المقتول احد استعمل جمعا والخطاب للناس كلهم وانه لتذكرة للمتقين
لانهم المنتفعون به وانا لنعلم ان منكم مكذبين لما نقوله من تزكية الرسول وكون
القرآن ليس بشعر ولا كهانة وانه اي التكذيب او القرآن لحسرة على الكافرين
اذا راوا ثواب المومنين وانه لحق اليقين اي انه اليقين حق اليقين وحاصله
عين اليقين كقولك عين الشئ ونفسه فسبح باسم ربك العظيم اي نزهه بذكر
اسمه العظيم الدال على تقدسه عن امكان التقول عليه وشكرا لما اولاك واوحى
اليك تمت والحمد لمن آلاؤه جلت والصلوة على من به الرسالة تمت

سورة المعارج مكية وهي اربع واربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم سأل سائل بعذاب
واقع السائل هو النضر بن الحارث الذي قال ان كان هذا هو الحق من
عندك فامطر علينا حجارة من السماء وقيل رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال اللهم
عليك بقريش ويويد الاول قوله انهم يرونه بعيدا وقرا نافع وابن عامر سال
بالالف اما مبدلة من الهمزة تخفيفا او اجوف واوي كخاف يخاف قال ابو زيد
سمعت من يقول هما يتساولان ولان همزة سائل بدل عن الواو كهمزة كاين وعلى
الوجهين يتعدى الى المفعولين بنفسه وتعديته بالباء لتضمين معنى الاستعجال
او من سال السيل اجوف يائي كباع يبيع والمعنى سال سائل اي جرى واد
او سيل بعذاب واقع ويويده قراءة ابن عباس رضي الله عنه سال سيل للكافرين

صفة

صفة لعذاب واقع اي كاين او متعلق بالفعل اي سال للكافرين او بواقع
اي نازل لاجلهم وعن قتادة سال سائل عمن ينزل عذاب الله وعلى من فقوله
للكافرين جواب لذلك السائل والباء لتضمن سال معنى اهتم ليس له دافع
من الله جملة موكدة على قول قتادة وصفة اخرى لعذاب على الاول وعلى الوجهين
من الله اما متعلق بواقع اي من جهته او بدافع اي لا منه ولا من غيره ذي
المعارج ذي المصاعد جمع معرج او معرج يصعد فيها الاعمال الصالحة والمومنون
في سلوكهم او دار ثوابهم تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين
الف سنة بيان وتفصيل لتلك المعارج اظهارا لعز شانه وملكوته والروح جبرئيل
وافراده لفضله وقيل خلق اخر موكلون بالملائكة كالملائكة بنا واليوم يوم القيمة
وصف بغاية الطول اما كناية عن شدته او حقيقة على ما قيل ان فيه خمسين
موطنا تقف الخلق في كل موطن الف سنة ويويد الاول ما رواه الامام احمد
بن حنبل عن ابي سعيد انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اطول هذا اليوم
قال والذي نفسي بيده انه ليخف على المومن حتى يكون اخف عليه من صلوة مكتوبة
وقيل من اسفل الارض الى عرش الرحمن مسافة خمسين الف سنة لو قطعها
الانسان وهذا ان صح لا تعلق له بتفسير الاية لان الغرض تهويل يوم القيمة
وقرا الكسائي يعرج بالياء الغيبة فاصبر صبرا جميلا لا قلق معه ولا شكوى بعد علمك
بوقوع العذاب على اعدائك انهم يرونه بعيدا عن الامكان او الوقوع ونراه قريبا
منه لكمال قدرتنا والضمير للعذاب او لليوم فان قلت السائل سواء كان رسول الله
او غيره لم يسال الا عذاب الدنيا كما نزل بساير الامم والسياق يدل على وقوع
العذاب يوم القيمة فكيف طابق السوال قلت هو من قبيل قوله حسبهم جهنم
كانه قيل العذاب المستعجل به ليس بعذاب حقيقة بل العذاب هو المعد لهم
وهم ينكرونه ويدعون احالته ثم هول شانه بالفصل يوم تكون السماء كالمهل
منصوب بقريبا او بيقع مقدرا لدلالة واقع عليه او بدل عن محل في يوم ان علق
بواقع او يوم تكون السماء كالمهل يكون كبيت والمهل دردي الزيت
وعن ابن مسعود رضي الله عنه الفضة المذابة وتكون الجبال كالعهن كالصوف
الملون لاختلاف الوان الجبال بيض وحمر وغرابيب سود فاذا طارت في الهواء
اختلطت الوانها ولا يسال حميم حميما كيف حالك لكل شان يغنيه ويشغله عن
غيره يبصرونهم استيناف جواب لم لا يسال كانه لا يراه او حال وجمع الضمير
لان المعنى على العموم والاصل يبصرون بهم يقال بصرته بالشئ اذا اوضحته له
وكانه ضمن معنى التعريف او حذفت الصلة واوصل الفعل يود المجرم يفتدي
من عذاب يومئذ حال من احد الضميرين او استيناف يدل على ان الامر اعظم من

الاشتغال بالسؤال عن حاله اذ بينه الذين هم اعز من الروح وصاحبته
التي يختار ذهاب مهجته دونها غيرة واخيه الذي هو شقيقه وفصيلته وعشيرته
الذين فصل منهم التي تؤويه تضمه في النسب وعند الشدائد ومن في الارض جميعا
كائنا من كان ثم ينجيه عطف على يفتدي استبعادا لما يتمناه وهيهات كلا ردع
عن ارتكاب ما لا ينفع فيه انها لظى الضمير للنار ودل عليه ذكر العذاب او
مبهم فسره الخبر وهو لظى او ضمير القصة ولظى علم النار منقول من اللظى وهو اللهب
ويجوز ان يراد بها نفس اللهب مبالغة كأن كلها لهب خالص نزاعة للشوى
خبر بعد خبر لان او خبر لظى ان كان الضمير للقصة ويجوز ان يكون صفة ان اريد
باللظى اللهب لان علم الجنس كالمعرف باللام في اجرائه مجرى النكرة وان لم
يجعل علم الجنس فحذف التنوين لاجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ حفص نزاعة
بالنصب على الاختصاص كأنه قيل تتلظى نزاعة والشوى جمع شواة جلدة الرأس
او اطراف الانسان وكل ما ليس بمقتل يقال للرامي اذا لم يصب المقتل
اشوى تدعوا من ادبر وتولى تجاذبه عن جذبها واحضارها من ادبر عن الحق
وتولى عن الطاعة او تدعوهم بلسان المقال يا كافر يا منافق ومنه ابلغ وجمع
فاوعى بخله وحرصه وحفظه في الوعاء ولم يؤد حق الله منه ان الانسان خلق
هلوعا الهلع شدة الجزع عند مس المكروه وسرعة المنع عند مس الخير وقد فسره
بقوله اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا فان جزوعا ومنوعا وصف
كاشف لهلوعا الا المصلين استثناء منقطع لما وصف من ادبر وتولى بالهلع
قال لكن المصلين في مقابلة اولئك او متصل اي ان الانسان خلق هلوعا
واستمر ذلك عليه ولم يفارقه الا المصلين الموصوفين بالصفات الآتية فانهم خلعوا
ربقة الهلع عن اعناقهم روى الامام احمد عن ابي هريرة رضي الله عنهما عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع الذين هم على
صلاتهم دائمون لا يتركونها في اوقات الاعذار والضرورات والذين في
اموالهم حق معلوم مقدار معلوم هو الزكوة لان وجوبه كان بمكة والتقدير نصبه
مفصلا بالمدينة للسائل الذي يسأل والمحروم الذي لا يسأل فيظنون بحاله
فيشقون عليه والذين يصدقون بيوم الدين اخره اهتماما بالصلوة والزكوة
وقيل يصدقونه بالاعمال بالابدان والاموال ولذلك ذكره بيوم الدين
والذين هم من عذاب ربهم مشفقون خائفون ان عذاب ربهم غير مأمون
اعتراض دل على انه لا ينبغي لاحد ان يأمن وان كان على قدم راسخ في الطاعة
والذين هم لفروجهم حافظون الا على ازواجهم او ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين
دل على ان المباح لا يلوح عليه فمن ابتغى وراء ذلك فاولئك هم العادون

المتجاوزون والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون حافظون وقرأ ابن كثير
لامانتهم على التوحيد لارادة الجنس والذين هم بشهاداتهم قائمون احياء الحقوق
وهي من الامانة افردها لدلالة على زيادة فضلها وقرأ حفص بالجمع مناسبة
للمضاف اليه او لاختلاف انواعها والذين هم على صلاتهم يحافظون على
شرائطها واركانها وواجباتها وسننها وآدابها وكررها تشريفا وثنية ابتداء
بها في هذا المحاسن وختم بها اولئك الموصوفون بتلك الصفات في جنات
مكرمون بانواع الاكرام فما للذين كفروا قبلك حولك مهطعين مسرعين
مادي اعناقهم عن اليمين وعن الشمال عزين فرقا شتى جمع عزة اصلها عزوة
قلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها ثم حذفت الياء وعوض عنها التاء كانوا
حلقا ارسطا كل واحدة تعتزي الى غير من تعتزي اليه الاخرى ايطمع كل امرئ
منهم ان يدخل جنة نعيم كانوا يقولون استهزاء عن اولى بالجنة من محمد
واتباعه كلا ردع لهم عن هذا الاعتقاد انا خلقناهم مما يعلمون استدل على
امكان البعث بخلقهم اولا وبالقدرة على خلق مثلهم ثانيا واشار الى ان
استحقاق دخول الجنة انما هو بالاعمال الزاكية والا فاصل نشأتهم من ماء مهين
بين البيان يستحيى من ذكره صريحا ولذلك ابهم بقوله يعلمون فلا اقسم برب
المشارق والمغارب انا لقادرون على ان نبدل خيرا منهم بان نهلكهم
ونأتي بقوم اخرين او نوفق لمحمد طائفة خيرا من اهل مكة وهم الاوس والخزرج
وفي المقسم به دلالة ظاهرة على القدرة على تحقيق المقسم عليه وما نحن بمسبوقين
بمغلوبين على ذلك فذرهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا كالصبيان حتى يلاقوا يومهم
الذي يوعدون اضافة اليوم اليهم لمزيد الاختصاص يوم يخرجون من
الاجداث سراعا كأنهم الى نصب يوفضون اي مسرعين اسراعا شبيه
الاسراع الذي كانوا يسرعون الى الحجر الذي كان علما للذبح النسائك وعن
الحسن كانوا يبتدرون عند طلوع الشمس الى اصنامهم لا يلوي احدهم على الآخر
وقرأ ابن عامر وحفص نصب بضم النون والصاد جمع نصب كسقف
او مفرد الانصاب وقرأوا بفتح النون واسكان الصاد وسراعا وكأنهم
حالان من فاعل يخرجون خاشعة ابصارهم ترهقهم ذلة ويجوز ان يكون
احوالا متداخلة ذلك اليوم الموصوف الذي كانوا يوعدون في الدنيا
على السنة الرسل تمت سورة المعارج والحمد لله مرسل سهم فارج والصلوة على المختار

سورة نوح مكية وثمان عدد ورد عالج تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم انا ارسلنا نوحا الى قومه ان انذر بان انذر فحذف
الجار واوصل الفعل او ان مفسرة لاشتماله معنى الارسال على القول قومك

من قبل ان ياتيهم عذاب اليم الطوفان او عذاب يوم القيمة والاول
اوجه قال يا قوم اني لكم نذير مبين لا تتراءن قولي بالمعجزة ان اعبدوا الله
بان اعبدوا الله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ما كان لكم من الذنو
ب او بعضها وهي التي تقدمت الايمان فان الاسلام يجب ما قبله ويؤخركم
الى اجل مسمى هو اخر الآجال ان اجل الله اذا جاء لا يؤخر والتوفيق بينه
وبين تاخير الاجل ان القضاء معلق ومبرم فالتاخير بالنظر الى الاول
والتحديد بالنظر الى الثاني اي لو آمنوا عاشوا كذا وان لم يؤمنوا وكذا او هذا
معنى زيادة الصدقة والصلة في العمر وما في علمه تعالى لا يبدل لو كنتم تعلمون
جعلهم جاهلين بذلك لعدم جريهم على موجب العلم قال رب اني دعوت
قومي ليلا ونهارا اي دائما فلم يزدهم دعائي الا فرارا عن الايمان واسناد
الزيادة الى الدعاء اسناد الى السبب واني كلما دعوتهم لتغفر لهم اي ليتوبوا
فتغفر لهم فذكر المسبب الذي هو حظهم ليكون ادل على قبح اعراضهم جعلوا اصابعهم
في آذانهم لئلا يسمعوا كلامي المجعول في الآذان رؤوس الانامل واطلاق
الاصابع للمجاز مبالغة واستغشوا ثيابهم تغطوا بها لئلا يروني كراهة
منهم رؤيتي او لئلا اعرفهم فادعوهم الى الايمان والاتيان بصيغة الطلب
للمبالغة كانهم طلبوا من الثياب ان تغشاهم واصروا على الكفر من اصر
الحمار على العانة اذا صر اذنيه وكفى بهذا التشبيه مزجرة واستكبروا عن
اتباع الحق استكبارا مفرطا ثم اني دعوتهم جهارا ثم اني اعلنت لهم واسررت
لهم اسرارا هذا داب الناصح المشفق ينصح سرا وان لم ينجع يعلن بنصحه
لكن ليبدا بعده من له ثم بالغ بالجمع بين السر والجهر ونصب جهارا على المصدر
من غير فعله او على الحال فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا لتفسير لدعائه
وكانهم كانوا يتعللون بما اسلفوا من الذنوب فوعدهم المغفرة ان اتوا
بما يجبها من الايمان يرسل السماء عليكم مدرارا قيل حبس الله عنهم المطر اربعين
سنة واعقم ارحام نسائهم فوعدهم بمادة الخصب ان تابوا والسماء
المظلة او السحاب وارسالها ارسال المطر منها ودلالته على كثرة او المطر كقوله
اذا نزل السماء بارض قوم والمدرار اسم فاعل كثير الدرور كالمضراب يستوى
فيه المذكر والمؤنث ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا
جمع لهم في الوعد بين منافع الدارين روى ان رجلا اشتكى الى الحسن
الجدب فامره بالاستغفار والآخر الفقر فامره به والآخر قلة ريع ارضه فقال
استغفر فقال الربيع بن صبيح شكوا اليك ابوابا وسالوك والجواب واحد
فتلا عليه الاية ولما استسقى عمر في خلافته لم يزد على الاستغفار فقيل له في ذلك

فقال

فقال لقد استسقيت بمجاديح السماء التي يستنزل بها المطر ما لكم لا ترجون لله
وقارا اي ما حصل لكم من الصارف حتى لا تكونوا على حالة ترجون من الله تعظيما
ولله بيان كانه قيل لمن التعظيم ايانا فقيل لله ولو اخر لكان صلة الوقار ولا يتوهم
ذلك مع التقديم لان معمول المصدر لا يتقدم عليه في الاكثر والحث على الرجاء
كناية عن الحث على الايمان لانعقاد اسبابه او لا تخافون لله عظمة او على ان
الوقور معظم في النفوس والحلم لا يفارقه وتفسيره بالعاقبة كما نقل عن ابن
عباس رضي الله عنه ماخوذ من الوقار بمعنى الثبات لان العاقبة حال استقرار
الثواب والعقاب ثم نبههم على النظر في انفسهم لانها اقرب منظور بقوله
وقد خلقكم اطوارا على طريقة الحال اي خلقكم ترابا ثم نطفا ثم علقا ثم مضغا ثم لحما
ثم عظاما ثم خلقا آخر ثم على النظر في الآفاق على وجه التعجب من تغافلهم بقوله
الم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا فانهم علموا ذلك باخبار القرآن المعجز او
بالارصاد والطباق وهو كون بعضها فوق بعض لا يقتضي المماسة وجعل القمر
فيهن نورا اي في السماء الدنيا ونسب الى الكل لملابسته بينها وجعل الشمس سراجا
كالسراج في ازاحة ظلمة الليل كقوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا والله
انبتكم من الارض نباتا انشاكم استعار الانبات له لانه ادل على الحدوث والتكون
من الارض والاصل انبتكم فنبتم نباتا كقولك كسرته فانكسر او نصب بانبتكم لان
الفعل والانفعال واحد حقيقة والاختلاف بالنسبة الى القابل والفاعل ثم
يعيدكم فيها بعد الموت ويخرجكم اخراجا لا محالة ولذلك اكده بالمصدر كالاول
اشارة الى اتحاد الرتبة وكونهما في قرن والله جعل لكم الارض بساطا مبسوطة
تتقلبون عليها تقلب الرجل على فراشه لتسلكوا منها سبلا فجاجا طرقا واسعة
ومن لتضمن الفعل معنى الاتخاذ قال نوح رب انهم عصوني في الامر بعبادة الله
واتقائه بعد ما تلوت عليهم آيات الآفاق والانفس وصرح باسم نوح لطول
الفصل ولم يعطفه لانه يفصل لقوله فلم يزدهم دعائي الا فرارا واتبعوا من لم يزده
ماله وولده الا خسارا اي رؤساءهم المتقدمين بالاموال والاولاد واشار الى ان
ذلك وان كان في الظاهر سببا في التقدم في الحقيقة ليس سببا للبوار وقرا ابن
كثير وابو عمرو وحمزة والكسائي ولده جمع ولد كاسد واسد ومكروا عطف على من لم يزده
والجمع باعتبار معنى من مكرا كبارا غاية في الكبر بانواع الاذى وتسليط السفهاء
عليه ابلغ من الكبار مخففا وهو من الكبير ابلغ وقالوا لا تذرن آلهتكم عبادتها ولا تذرن
ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا افردها بالذكر كانها كانت اكبر آلهتهم
واشرفها اسماء رجال صالحين فلما هلكوا وسوس الشيطان الى قومهم ان صوروا صورهم
حتى يتبركوا بها ويبقى تذكره فلما انقرضوا اولئك وسوس الى اولادهم ان اباكم كانوا

يعبد ونها فعبدوها من دون الله روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما
ان هذه الاوثان التي كانت في قوم نوح عليه السلام انتقلت الى العرب اما ود
كانت بدومة الجندل لكلب وسواع كانت لهذيل ويغوث لمراد ثم لبني
غطيف بالجرف ويعوق لهمدان ونسر لحمير لآل ذي الكلاع وقد اضلوا كثيرا الضمير
للرؤساء او للاصنام كقوله رب انهن اضللن كثيرا ولا تزد الظالمين الا ضلالا
اللام للعهد وهم اولئك الذين ايس من ايمانهم والرضا بكفر العدو مع استقباحه
قصدا اي زيادة عذابه لا غير وفيه الا ترى الى قول موسى ربنا اطمس على اموالهم
واشدد على قلوبهم وقيل اراد في ترويج مكرهم او الضياع والهلاك كقوله ان
المجرمين في ضلال وسعر مما خطيئاتهم اي لاجل خطيئاتهم وما مزيدة للتأكيد اغرقوا
بالطوفان وقرأ ابو عمرو خطاياهم وهذا احسن لانه جمع الكثرة والاول يحتاج
الى التأويل فادخلوا نارا اي تعقب الغرق دخول النار من غير تراخ والمراد
عذاب القبر لا النار وقبره من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران والتنكير
للتعظيم او النوع فلم يجدوا لهم من دون الله دون عذابه انصارا لما كانوا يزعمون
النصرة من الالهة وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا وديار
من الالفاظ المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار اي احد من الدور او من
الدار فيعال قلبت واوه ياء وادغمت الاولى ولو كان فعالا لكان دوارا
انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا قال ذلك بعد ما اوحى الله
تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن وايضا جربهم الف سنة
الا خمسين عاما وكانوا يتواصون بعدم الايمان ويقولون لذريتهم اياكم وهذا
الشيخ ومضى على هذا جيل بعد جيل والفاجر الكفار للمولود باعتبار المآل كقوله
من قتل قتيلا رب اغفر لي ولوالدي كان ابوه لمك بن متوشلخ وامه
شمخا بنت انوش ولمن دخل بيتي مؤمنا او مسجدي او سفينتي وللمؤمنين
والمؤمنات من مضى منهم ومن هو آت ولا تزد الظالمين الا تبارا هلاكا
وبه تمت سورة نوح والحمد لمن بدء الخيرات والفتوح والصلوة على السيد النصوح وآله
وصحبه كل مساء وصبوح

سورة الجن مكية وثمان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم قل اوحي الي انه استمع نفر من الجن النفر ما بين الثلاثة
الى العشرة والجن احد الثقلين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بعث
الى الانس فدعاهم الى الله فمنهم من آمن ومنهم من كفر وهؤلاء النفر هم الذين
سمعوا القرآن من رسول الله وهو يصلي الصبح ببطن نخلة كما تقدم في اخر الاحقاف
ولا دلالة فيه على انه لم ير الجن وليلة الجن رواها ابن مسعود رضي الله عنه وروى
جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قرأت عليهم سورة الرحمن فكانوا احسن

مردودا

مردودا منكرا والقول بانها ارواح مجردة او نفوس بشرية مفارقة عن ابدانها
لا يجوز تفسير كلام الله بها ولم يذهب اليه احد من اهل الحق مخالف للنصوص
فقالوا بعد ما انصرفوا الى قومهم انا سمعنا قرآنا عجبا في اسلوبه ومعناه وصفه
بالمصدر مبالغة يهدي الى الرشد الى الحق فآمنا به بما فيه من التوحيد ولن نشرك
بربنا احدا ولا دلالة فيه على انهم كانوا مشركين بل كانوا يهودا لقولهم انا سمعنا
كتابا انزل من بعد موسى وانه تعالى جد ربنا عظمته من جد فلان عظم وغناه
مستعار من الجد بمعنى البخت والغرض وصفه بالتعالي عن الصاحبة والولد وقوله
ما اتخذ صاحبة ولا ولدا بيان لذلك وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وحفص
ان المسبوق بالواو بفتح الهمزة في اثني عشر موضعا متوالية والباقون بكسرها
ووافقهم على في وانه لما قام عبد الله ابن كثير وابو عمرو واتفق الكل على فتح
وان المساجد لله والوجه في الفتح العطف على الهاء في آمنا به من غير اعادة
الجار على المذهب الكوفي او على محل الجار والمجرور والايصال بعد الحذف واضمار
الجار وانه كان يقول سفيهنا ابليس او مردة الجن على الله شططا قولا ذا شطط
وصف بالمصدر مبالغة والشطط مجاوزة الحد وانا ظننا ان لن تقول الانس والجن
على الله كذبا نصب على المصدر لان الكذب نوع من القول ولا دلالة فيه على
انهم الى حين سماع القرآن كانوا مشركين وانه كان رجال من الانس يعوذون
برجال من الجن كان الرجل من العرب اذا نزل بارض نازحة يقول اعوذ
بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه فزادوهم رهقا فزاد الانس الجن
كبرا وعتوا باستعاذتهم بهم او بالعكس لزيادة اغوائهم الانس بالاستعاذة
والرهق غشيان المحارم واطلاق الرجل على ذكر الجن لمشاكلة وانهم ظنوا
كما ظننتم القائل الجن بعضهم لبعض والضمير في انهم للانس والعكس لا معنى له
لان السياق في حكاية كلام الجن وقيل الآية والتي قبلها من كلام الله جار مجرى
الاعتراض يؤكد ما حدث منهم من تماديهم في الكفر وقراءة الفتح يؤيد الاول
ان لن يبعث الله احدا ساد مسد مفعولي ظنوا وانا لمسنا السماء اللمس
مجاز عن الطلب لان اللامس طالب متعرف والمعنى طلبنا خبر السماء
على ما كنا نفعله قديما فوجدناها ملئت حرسا حراسا اسم جمع كخدم في خادم
شديدا اقوياء وافرده باعتبار اللفظ وشهبا جمع شهاب وهو الشعلة من النار
وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع مقاعد خالية عن الحرس للسمع للاستماع فمن
يستمع الآن يجد له شهابا رصدا هو كالحرس اسم جمع اي ذوي شهاب
راصدين للرجم وهم الملائكة ويجوز ان يكون بمعنى الراصد صفة للشهاب كانت
الشياطين تسترق السمع قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم فترجم بالشهب

لقوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين وما روي
ابن عباس رضي الله عنه كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرمي بنجم
فاستنار فقال ما كنتم تقولون في هذا في الجاهلية قلنا كنا نقول يولد عظيم او
يموت عظيم وفي لفظ ملئت ومقاعد اشارة الى ان ذلك قبل البعثة كان
قليلا واما الان فلا مجال وانا لا ندري اشر اريد بمن في الارض بحراسة السماء
ام اراد بهم ربهم رشدا خيرا وانا منا الصالحون الابرار المتقون
ومنا دون ذلك وهم المقتصدون كنا طرائق قددا ذوي مذاهب متفرقة
جمع قدة كقطع وقطعة وعن ابي معوية قال سمعت الاعمش يقول قلت لجني
فيكم الاهواء التي فينا قال نعم قلت كيف حال الرافضة قال هم شرنا وانا ظننا
ان لن نعجز الله في الارض كائنين في الارض اينما كنا ولن نعجزه هربا هاربين
منها الى السماء او ان طلبنا في الارض لم نفته وان هربنا منه لم نتخلص والظن بمعنى
اليقين لكونه كلام الموقنين وانا لما سمعنا الهدى القران كانوا اهل المعرفة
حيث جعلوا القران نفس الهدى آمنا به من غير توقف فمن يؤمن بربه فلا يخاف
اي فهو لا يخاف اثره على لا يخف لافادة التقوى والاختصاص كانه قيل فهو ناج
لامحالة ومختص بذلك بخسا ولا رهقا البخس النقص والرهق القرب من الشيء ومنه
الصبي المراهق والمعنى ان المؤمن لاجتنابه البخس وظلم الناس لا يخاف جزاءهما
وكان اصل الكلام ومن لا يبخس احدا ولا يرهق ظلمه فوضع قوله ومن يؤمن
موضعه اشارة الى ان حق المؤمن وشأنه ان يكون كذلك او المعنى ان المؤمن
لا يخاف نقصان جزائه ولا ان ترهقه ذلة وغير المؤمن كل ما فيه عين البخس
لا بخس حق وانا منا المسلمون ومنا القاسطون الجائرون عن طريق الحق
فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا اي رشد واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا
توقد بهم كما توقد بكفار الانس وان لو استقاموا على الطريقة عطف على انه استمع
من كلام الله الموحى اليه وان مخففة حذف منها ضمير الشان والضمير للانس
او للجن او لهما والطريقة التوحيد والاسلام لاسقيناهم ماء غدقا لوسعنا عليهم
الرزق وتخصيص الماء لعزة وجوده في ارض العرب ولانه اصل سائر الاقوات
والثمار والغدق الكثير لنفتنهم فيه لنختبرهم في ذلك التوسيع ايشكرون ام يكفرون
وقيل لو استقاموا على ما كانوا عليه ولم يؤمنوا لوسعنا عليهم الرزق استدراجا ومن
يعرض عن ذكر ربه عن عبادته لان الغرض منها ذكر المعبود يسلكه عذابا صعدا
اي في عذاب كقوله واختار موسى قومه او ضمن معنى يدخله والصعد مصدر
صعد وصف به مبالغة في علوه على المعذب كقوله تطلع على الافئدة وقرأ غير الكوفيين
بالنون موافقة لاسقيناهم وان المساجد لله من الموحى اليه ليس من كلام

الجن فلا تدعوا مع الله احدا خطاب للجن كانه قيل قل لمشركي مكة او وحي الي
كذا وان اقول للجن كذا وفي ضمن الحكاية اثبات الحكم للمشركين ايضا ويجوز
ان يكون الخطاب للمشركين او عاما للانس والجن وعن سيبويه والخليل
ولان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والوجه فيه ان يكون كلاما مستطردا
عقيب وعند المعرض وعن الحسن المساجد الارض كلها لقوله عليه السلام
جعلت لي الارض مسجدا وقيل المسجد الحرام لانه قبلة المساجد فالجمع للتعظيم
وقيل اعضاء السجود وهي سبعة الرجلان والركبتان واليدان والجبهة
والانف وهذا اوجه لان فيه تذكيرا لكونه المنعم بها وان الحكمة في خلقها
خدمة المعبود والتعبير بالمساجد لله اشارة الى ما خلقت له وانه لما قام عبد الله
يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا اي لما سمع الجن تلاوة رسول الله بنخلة كادوا
يدخل بعضهم في بعض من الازدحام عليه حرصا على السماع منه كل شيء الملتصقة
الى اخر فقد لبدة او قال الجن لقومهم لما قام عبد الله لاصحابه يكونوا
عليه لبدا من شدة طواعيتهم وعن الحسن كادت العرب تلبد عليه لما قال
لا اله الا الله وعن قتادة كادت الانس والجن تلبد عليه وعلى اطفاء نوره
ثم الوجه على قراءة الكسر ان يكون استئنافا فابتدأ قصة لبيان حال الرسول
مع المشركين كانه قال له قل اوحي الي من حال الجن وايمان بعضهم وكفر
اخرين وفي ذلك حث للسامعين على الايمان ولطف بهم ثم ابتدأ بقوله
انه لما قام عبد الله يدعوه ويوحده كاد الفريقان يكونون عليه لبدا اعتداء
وردا لاطفاء نوره مع ما تلا عليهم من الايات الباهرة والدلائل النيرة
والظاهر لما قام يدعوه فالعدول الى المظهر وايثار عبد الله على الرسول
والنبي لانه واقع في كلامه فيورد به على ما يقتضيه التواضع او اشار تعالى الى
ان العبادة من العبد لا يستبعد فما لهم ينكرون ذلك فيقال كلامه تعالى
اخفاء لنفسه عن البين اذ لا اعتداد بالاثر بعد العين وقرا هشام في وجه
لبدا بضم اللام جمع لبدة كقربة وقرب والكسر جمع لبدة اخف قل انما ادعوا
ربي ولا اشرك به احدا فما للانكار وجه على من يعبد ربه وقرا عاصم وحمزة
قل على منوال قام وعليه رسم الامام وهذا ابلغ في مدحه لقيامه بالجواب
من غير تعلم قل اني لا املك لكم ضرا ولا رشدا اي نفعا او غيا ولا رشدا عبر عن
احدهما باسمه وعن الاخر باسم سببه او مسببه اشعارا بالمعنيين قل اني لن يجيرني من الله
احد جملة معترضة لبيان عجزه وتاكيد نفي الاستطاعة فكيف يقدر من هذا
شانه على نفع احد او ضره ولن اجد من دونه ملتحدا ملاذا او ملتجأ من اللحد
وهو الميل الا بلاغا من الله كائنا منه استثناء متصل في قل لا املك شيئا الا بلاغا

وان فسر بالملك ان اضركم على الغي والرشد كان منقطعا او من باب
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ورسالاته عطف على بلاغا خاصة بتقدير مضاف اي بلاغ
رسالاته والاصل الا بلاغ رسالات الله والعدول الى المنزل بذكر البلاغ
مرتين مبالغة لان كونه من الله وكونه بلاغ رسالاته مما يقتضي التشمر له ومن
يعص الله ورسوله ولم يطع امرهما بالتوحيد فان له نار جهنم لا محالة خالدين
فيها ابدا جمعه على اعتبار الجمع في من حتى اذا راوا ما يوعدون غاية لقوله
يكونون عليه لبدا ان فسر بالتشبيه على العداوة والا فمقدر اي لا يزالون يستضعفون
حاله ويستقلون عدده حتى اذا راوا يوم بدر او يوم القيمة تبين لهم من المستضعف
ودل عليه جواب اذا وما قبله لان السورة من فاتحتها تعريض لمشركي مكة وتعييرهم
بقصور نظرهم عن الجن وفرط تمردهم حيث بادروا بالتكذيب بدل مبادرة الجن
بالتصديق فسيعلمون من اضعف ناصرا واقل عددا هو ام هم قل ان ادري
اقريب ما توعدون جواب قولهم متى يكون هذا الوعد ام يجعل له ربي امدا
اي هو كائن لا محالة ولا علم لي بوقته والامد يطلق على القريب والبعيد واريد
الثاني لقرينة المقام كانه قال لا ادري ايقع في الحال وعن قريب او ضرب له
امد بعيد عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا اي هو عالم الغيوب كلها ولا يطلع على
غيبه المختص به وهو ما يتعلق بذاته وصفاته وافعاله الا من ارتضى من رسول ملكي او بشري
فانه يطلعه على ما يشاء من ذلك ولا دلالة في هذا على ان غير ذلك المختص لا يطلع عليه
غير الرسول ولا يجوز حمله على العموم لاستلزامه ان يكون رسول مطلعا على جميع المغيبات
ولا دلالة في الاية على بطلان الكهانة والتنجيم ولا على ان كرامات الاولياء يكون تلقيا
من الملائكة ولا تخصيص الرسول بالملك على ان قوله فانه يسلك من بين يديه ومن
خلفه رصدا اي ملائكة يحفظونه من تخاليط الشياطين ظاهر في ان المراد بالغيب ما هو
بطريق الوحي ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم علة لقوله يسلك من بين يديه
ومن خلفه رصدا اي ليتعلق علمه تعالى بابلاغ الرسل ما اوحي اليهم صيانة عن تخاليط الشياطين
او ليعلم الرسول ان قد ابلغ جبرائيل والملائكة النازلون واحاط بما لديهم لدى
الرسل من الشرايع والاحكام واحصى كل شيء عددا كل ما دخل في الوجود في اي
عالم كان ومن هذا شانه كيف يخفى عليه خافية وكيف لا يحيط بما لدى الرسل
تمت سورة الجان والحمد لمنزل القرآن والصلوة على خلاصة الانسان وآله وصحبه الى انتهاء الزمان
سورة المزمل مكية وهي عشر آيات بسم الله الرحمن الرحيم يا ايها المزمل اي
المتزمل وهو المتلفف في ثيابه وادغمت التاء في الزاء روى ابو بكر البزاز عن جابر
ان مشركي مكة لما اختلفوا شاعرا او ساحرا او كاهنا او مجنونا تزمل في ثيابه في بيته
حزينا فاتاه جبرائيل وقال يا ايها المزمل امر له بان ينهض الى القيام في عبادة ربه

في اشرف

في اشرف الاوقات وهو الليل الخالي عن الشواغل وفيه من لطيف العتاب
الممزوج بالرافة لينشط ويستعد لتلقي ما ياتي من قوله انا سنلقي عليك قولا ثقيلا
وما قيل انه كان متزملا في مرط لعايشة نصفه عليه ونصف اخر على عايشة رضي الله
عنها لا وجه اذ السورة من اوايل القرآن نزولا وعايشة لم تكن موجودة فضلا
عن كونها عنده وكذا القول بانه اول ما اتاه جبرائيل اتى خديجة وقال زملوني
فبينا هو كذلك اذ ناداه جبرائيل فناداه يا ايها المزمل بل كان هذا بعد فترة
الوحي لما راى جبرائيل قاعدا على كرسي بين السماء والارض فرجع الى خديجة
فنزل يا ايها المدثر قم الليل الا قليلا نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء
منه اي قم اقل من النصف على البت وانقص منه او زد عليه انقص النصف
او زد على التخيير ولما كان الاقل هو الاصل كرر كقولك اكرم زيدا او اما زيدا
واما عمرا فان قلت اذا كان التخيير بين الاقل من النصف على البت وبين
احد الامرين النقصان عن النصف والزيادة عليه فقد خرج النصف عن
الاقسام وقراءة الكوفيين وابن كثير ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من
ثلثي الليل ونصفه بنصبه تدل على انه كان يقوم تارة نصف الليل قلت الضمير في منه
وعليه للنصف واذا جاز له الزيادة على النصف فقد جاز له النصف لانه اذا
جاز له الاقل جاز له النصف فيلزم استدراك ذكر الزيادة او نصفه بدل من قليلا
فالتخيير بين امور ثلثة قيام النصف بتمامه وقيام الناقص منه وقيام الزايد
عليه وعلى هذا وصف النصف بالقلة بالنظر الى الكل وفيه اشارة الى ان النصف
المعمور بالعبادة وذكر الله تعالى جل الليل والنصف الخالي عنه نزر قليل وان
ساواه كما ويجوز ان يكون الضمير في منه وعليه للاقل من النصف كالثلث
والتخيير بينه وبين الاقل منه كالربع والزايد عليه كالنصف وعن الاخفش
نصفه عطف على الليل بمقدر اي قم الليل الا قليلا او قم نصفه او ثلثه او ثلثيه
فالتخيير بين اربعة امور روى مسلم عن عايشة رضي الله عنها ان قيام الليل
كان فرضا باول هذه السورة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله
عنهم حولا حتى انتفخت اقدامهم واصفرت وجوههم فنسخه اخر السورة فصار تطوعا
وعن ابن جبير نسخ بعد عشر سنين وقيل نسخ عن الامة فقط ورتل القرآن ترتيلا
اقراه على مهل وتؤدة وتمكن من التامل والتدبر في دقايقه وحكمه فيكون قيامك
في الليل الذي اشرف الاوقات على احسن الاحوال شبه القراءة المتمهلة بالثغر
الرتل وهو المفلج الشبيه بالاقحوان انا سنلقي عليك قولا ثقيلا اعتراض
دل به على ان قيام الليل من التكاليف الشاقة التي ورد بها القرآن لان
الليل محل الراحة فاحياؤه بالعبادة مضاد للطبع وفيه ايقاظ على التشمر للتحلية والتوطين

النفس على المكابدة في تبليغه وتحميله روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها انه في اليوم الشديد البرد ينزل عليه الوحي وان جبينه ليتفصد عرقا وقيل ثقيل في الميزان او على الكفار او على المتامل لافتقاره الى اتعاب القريحة في استنباط معانيه او ثقيل تلاوته على الوجه المنزل ولذلك خفف عن هذه الامة بالقراءة على سبعة احرف او على الراسخين لاشتماله على المحكم والمتشابه والناسخ والمنسوخ وعلى الاوجه الجملة تعليل للامر بقيام الليل لانه يعد للنفس ما به يعالج ذلك الثقل ان ناشئة الليل قيامه مصدر نشا اذا قام بالحبشية وقيل ساعاته لانها تحدث واحدة اثر اخرى وقيل النفس التي تنشا عن المضجع وترتفع من نشات السحابة ارتفعت عن ابن عباس رضي الله عنه اول الليل وعن ابن عمر من العشاء الى الصبح اي وقت كان وعن علي والحسن رضي الله عنهما بين العشائين وعن عائشة ومجاهد رضي الله عنهما الصلوة بعد النوم وهو الاصوب لذاومه رسول الله صلى الله عليه وسلم على القيام بعد النوم والقول هي اشد وطا اي مواطاة للحواس مع القلب على التوجه لعدم التشاغل وعن الفراء اشق واكثر علاجا لتركه الراحة وعن الاخفش اثبت قياما وقرا الكوفيون ونافع وابن كثير وطا بفتح الواو وسكون الطاء من وطاهم وطا ثقل عليهم ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم اشدد وطاتك على مضر والله احسن واوفق للقوله واقوم قيلا اي اصح قراءة لهدو الاصوات وعدم الخواطر والالتفات ان لك في النهار سبحا طويلا فراغا ومتقلبا في مهامك تتوفر بالليل من عبادة واذكر ربك مستعار من سبح الفرس وهو مد اليدين في الجري والطول ترشيح واذكر اسم ربك دم على ذكره في كل الاوقات واستغرق في ملاحظة المذكور تتخطى بالزيغ والعرب عنده وتبتل اليه تبتيلا وانفصل بالكلية عن الدنيا او عن وجودك لتبقى بوجوده الباقي ولما كان التطاوع والمطاوع واحدا في الخارج ذكر التبتيل موضع التبتل مراعاة للفاصلة وقيل لان معنى تبتل بتل نفسك رب المشرق والمغرب لا اله الا هو مبتدا وخبر او خبر مبتدا محذوف ولا اله الا هو خبر آخر وقرا ابن عامر وحمزة والكسائي وشعبة رب بالجر بدلا من ربك وعن ابن عباس رضي الله عنه جر باضمار حرف القسم جوابه لا اله الا هو فاتخذه وكيلا متفرع على التوحيد اي اذا تفرد بالالوهية فاجعل امورك موكولة اليه او اجعله كفيلا بنصرك واصبر على ما يقولون فيك وفيما انزل اليك واهجرهم هجرا جميلا اعرض عنهم وجانب من غير مقاولة ولا مقاتلة نسخت باية السيف وذرني والمكذبين فانا كافيك امرهم كلام من كون والتقابلة فانا متمكن منه اقصى التمكن ولذلك ابرزه في صورة المنع عن الاستكفاء اولي النعمة التنعم وبالكسر الانعام وبالضم المسرة يريد المترفين من صناديد قريش المغترين بالحطام الشاغلين اتباعهم عن الدخول

في الاسلام ومهلهم قليلا امهالا قليلا او زمانا قليلا ان لدينا انكالا جمع نكل القيد الثقيل وجحيما نارا شديدة الحر والاتقاد وطعاما ذا غصة ينشب في الحلق لا يسوغ وعذابا اليما نوعا آخر لا يعرف كنهه الا الله يوم ترجف الارض والجبال يضطرب وتتزلزل منصوب بما في لدينا من معنى الفعل وكانت الجبال كثيبا مهيلا رملا مجتمعا من غير مقدار ومقاس من هلت الدقيق اذا ارسلته من غير كيل انا ارسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم الخطاب للمكذبين التفات حسن الموقع كما ارسلنا الى فرعون رسولا اي عصيتموه كما عصاه فرعون ولم يسمه لان الغرض عصيان الرسول كائنا من كان فعصى فرعون الرسول اعاده معرفة لتقدم ذكره ولا يخفى ان تشبيه عصيانهم بعصيان فرعون ينبئ عن فرط عتوه وزاد لهذا الرسول كونه شاهدا عليهم ليكون عصيانه ابلغ في الذم واشارة الى انهم لو آمنوا به كان شاهدا لهم لا عليهم فاخذناه في الدنيا اخذا وبيلا ثقيلا ومنه الوابل للمطر العظيم القطر اصله الوخامة يقال مرعى وبيل فكيف تتقون ان كفرتم يوما مفعول به اي بسبب انكم لا تؤاخذون في الدنيا اخذة فرعون فكيف تتقون انفسكم هول يوم يجعل الولدان شيبا كناية عن شدته او عند تفاقم المصائب يسرع الشيب قال ابو الطيب والهم يخترم الجسيم نحافة ويشيب ناصية الصبي ويهرم او عن طوله وفي ايثار ان مع القطع بوجود الكفر والاستمرار منهم اشارة الى ان وجود الكفر مع هذا الرسول الذي هو النور المبين ينبغي ان يكون على الفرض والتقدير والمعنى فكيف تتقون الله في ذلك اليوم بعد فوات الوقت فيه حث على الاقلاع قبل ان لا ينفع الندم وكيف ترجى منكم التقوى وانتم جاحدون ذلك اليوم والمجازاة فيه السماء منفطر منشق والتذكير باعتبار السقف به اي بذلك اليوم لشدته وهوله كان وعده مفعولا لا محالة الضمير لله او لليوم على اضافة المصدر الى المفعول ان هذه الآيات تذكرة موعظة لجلاها فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا موصلا اليه ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه لما نزل اول السورة كان الرجل يحتاط في تقدير الاوقات ولا يدري متى الثلث والنصف والثلثان فشق ذلك عليهم فنزلت واستعار الادنى وهو الاقرب للاقل لان المسافة بين الشيئين اذا قربت قلت الاحياز وقرا الكوفيون نصفه وثلثه بالنصب عطفا على ادنى وهو المختار لدلالته على انهم قاموا بالفعل ما وقع فيه التخيير وهو الاجدر بجلالة منصبه على ذاته افضل الصلوة وقرا هشام باسكان لام ثلثه تخفيفا وطائفة من الذين معك من اصحابك والله يقدر الليل والنهار لا يعلم تقدير ساعاتهما وضبط مقدارها غيره علم ان لن تحصوه اي تقدير الاوقات

لاختصاص ذلك به تعالى فتاب عليكم رفع عنكم ما كان تركه معصية
فاقرؤا ما تيسر من القرآن في صلوة الليل او اي وقت كان امر ندب علم ان
سيكون منكم مرضى استيناف لبيان حكمة اخرى اقوى من الاولى يقتضي
الترخيص ولذلك كرر الحكم مرتبا عليه واخرون يضربون في الارض يبتغون
من فضل الله الضرب في الارض لابتغاء فضل الله المسافرة للتجارة واخرون
يقاتلون في سبيل الله اخبار عما يكون مستقبلا بالاعجاز لان الاية مكية والتسوية بين
الضارب في الارض للتجارة والمجاهد في سبيل الله دلت على ان طلب الرزق
اذا قرن بالنية الصالحة له مكان عند الله كيف وقد قدمه على المجاهدة ولذلك
روي عن عبد الله بن عمر ما خلق الله موتة اموتها بعد القتل في سبيل الله احب الي
من ان اموت بين شعبتي رحل اضرب في الارض ابتغاء فضل الله فاقرؤا ما تيسر
منه واقيموا الصلوة المفروضة فرضت ليلة الاسراء بمكة بعد خمس من البعثة على الاصح
واتوا الزكوة قدرا من المال كان فرضا بمكة وتقرر المقادير بالمدينة واقرضوا الله
قرضا حسنا انفقوا في سبيله على وجه الاخلاص يتناول المفروض والمسنون بل
ساير اعمال البر بدنية ومالية وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم
اجرا من تاخيره الى حين الموت والوصية به لقوله الصدقة ان تتصدق وانت
صحيح شحيح ترجوا الغنا وتخشى الفقر ولا تدع ان يبلغ الحلقوم ثم تقول لفلان
كذا ولفلان كذا وعن الزجاج خيرا من متاع الدنيا ويرده اعظم اجرا واستغفروا الله
لما فرط منكم لان الاستقامة متعذرة او متعسرة ان الله غفور للذنوب رحيم
يجعل مكانها الحسنات تمت سورة المزمل والحمد لله الرحيم المتفضل والصلوة على
الكامل المكمل سورة المدثر مكية وست وخمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
يا ايها المدثر ما يلي الجسد من الثياب يسمى شعارا وما فوقه دثارا ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم الناس دثار والانصار شعار واول هذه السورة اول ما نزل بعد فترة
الوحي لما روى مسلم والبخاري عن جابر انه سمع رسول الله يحدث عن فترة الوحي
فبينا انا امشي سمعت صوتا فرفعت بصري قبل السماء فاذا الملك الذي جاءني
بحراء قاعد على كرسي بين السماء والارض فجثثت منه حتى هويت الى الارض
فجئت اهلي فقلت زملوني فانزل الله يا ايها المدثر قم فانذر اي فاهجر ولم يقع
ذكر حراء في بعض الروايا فظن انها اول سورة نزلت وفي رواية عن ابن عباس
رضي الله عنه ان قريشا لما قالت في رسول الله صلى الله عليه وسلم شاعر وقال
بعضهم ساحر تدثر في ثيابه حزينا فانزل الله يا ايها المدثر ولا منافاة بينهما لامكان
وقوع الامرين معا فاول اقرأ كان نبوة واول هذه كان ارسالا قم فانذر
اي قومك لقوله وانذر عشيرتك الاقربين او افعل الانذار وهذا ابلغ وربك فكبر

صفة

صفه بالكبرياء وحده وقيل لما نزل كبر رسول الله وكبرت خديجة وايقنت
انه الوحي اذ الشيطان لا يأمر بالتكبير وحمله على تكبير الصلوة بعيد وثيابك فطهر
فقصرها وهذا اول ما امر به من مخالفة قومه فانهم كانوا يجرون الثياب
على الارض خيلاء وطهرها من النجاسة لانه الواجب في الصلوة والاحب في
غيرها او اخلاقك عما يدنسها من الرذايل والرجز فاهجر هو العذاب
لقوله لئن كشفت عنا الرجز اريد به ما يؤدي اليه اي دم على ترك الاوثان
وهجران الاثام والقاذورات اجوبة للشرط كانه قيل ومهما يكن فكذا وقرا
حفص بضم الراء وهما لغتان والكسر اشهر ولا تمنن تستكثر لا تعط شيئا
حال كونك تعده كثيرا لاحتقار متاع الدنيا وان جل وقيل لا تعط مستكثرا
اي طامعا ان تعوض اكثر مما بذلت وهو من خواصه لقوله عليه السلام
المستغزر يثاب من هبته او نهي تنزيه ولربك فاصبر لوجهه واعتبارا
لامره استعمل الصبر في مشاق التبليغ واذاء الكفار فاذا نقر في الناقور نفخ
في الصور سمي ناقورا لما روي ان فيه ثقبا بعدد كل روح نقره بناء مبالغة كالجاسوس
والفاء للسببية اي اصبر على اذاهم الى زمان تلقى فيه عاقبة صبرك ويلقون
فيه عاقبة ضرهم والعامل في اذا ما دل عليه قوله فذلك يومئذ يوم عسير
على الكافرين ذلك مبتدا ويوم عسير خبره ويومئذ ظرف اي فذلك
الوقوع وقوع يوم فالزمان ليس مظروف الزمان ويجوز ان يكون يومئذ
مرفوع المحل من ذلك غير يسير فايدته التعريض بحال المؤمنين وانها تضاد
حال الكفرة كما في قوله لا بارد ولا كريم وفي ذلك زيادة غيظ لهم او غير حالا
وما لا يتخلف عن الدنيا فانه سريع التبدل ذرني ومن خلقت وحيدا اتفقوا
على انه الوليد بن المغيرة المخزومي حال من الفاعل اي وعني وحدي معه في الانتقام
نفي كفاية او خلقته وحدي لم يشاركني احد في خلقه والاحسن جعله حالا من المفعول
اي خلقته منفردا عن المال لقوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة وقوله
وجعلت له مالا ممدودا مبسوطا من كل نوع كان صاحب الضرع والزرع والدر
قيل كان له بستان في الطايف لا ينقطع ثماره صيفا وشتاء وكان يملك الف الف
وبنين شهودا معه المجالس والمحافل وله بهم بهجة ورونق او شهودا عنده لعدم
ترددهم في اسباب المعاش استغناء بالخدم فهو متمتع بهم ليلا ونهارا قيل
كانوا عشرة وقيل ثلثة عشر وقيل سبعة ومهدت له تمهيدا من ساير اسباب الرياسة
والجاه العريض ثم يطمع ان ازيد له كان يقول ان كان محمد صادقا فالجنة لي
او يطلب ان ازيد له في الدنيا فوق ما هو فيه كلا ردع له وعلله بقوله انه كان
لاياتنا عنيدا كافرا مكابرا من غير شبهة وذلك موجب لزوال النعمة فكيف يجعله

سبب ازدياده وقيل بعد نزول هذه الآية لم يزل في نقصان حتى ذهب الى سقر قيل
اسلم من اولاده خالد وعمارة والوليد ولم يصح الا اسلام خالد اما عمارة فقتل يوم
بدر او قتله النجاشي لما ارسله قريش مع عمرو بن العاص بعد بدر لجناية نسبت
اليه والوليد مختلف فيه سارهقه صعودا اكلفه مشقا عليه طلوعه في جبل من النار
طوله سبعون خريفا اذا وضع يده ذابت واذا رفعها عادت وعن ابن
عباس رضي الله عنه هو صخرة في جهنم وقيل هو مثل لما يلقى في الشدة انه فكر وقدر
بدل او بيان لقوله انه كان لآياتنا عنيدا او تعليل لارهاقه صعودا والمعاودة
في التفكير وغوصه على نيل ما يقدح به في كلام رب العزة فقتل كيف قدر
تعجب من فساد تقديره كقوله قاتلهم الله انى يؤفكون او ثناء عليه تهكما نحو قاتله
الله ما اشجعه او حكاية لما قالوه لما سمعوا كلمة الحمقاء ثم قتل كيف قدر تعجيب ابلغ
من الاول لانه صدر عن روية بخلاف الاول فانه نشأ عن النظرة الاولى
وسمي حمقا وفي هذا الترقي غاية تهكم به وبمن اغتر بالقوة به ثم نظر في امر
القرآن او في وجوه الناس ثم عبس قطب وجهه لما لم يجد طعنا شافيا وبسر
وكلح من البسور وهو الكلوح من توابع عبس ومن بسر الرجل طلب الحاجة في
غير موضعها حيرة ثم ادبر عن الحق واستكبر عن اتباعه فقال ان هذا الا سحر
يؤثر يروى ويتعلم والفاء للدلالة على انه لما ظفر بها لم يتمالك ان هذا
الا قول البشر من اساطير الاولين لم يدخل العاطف لانه توكيد للاول وبيان
عن ابن عباس رضي الله عنه لما سمع الوليد القرآن قيل سمع حم السجدة
يتلوه رسول الله قال ان له حلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق
وان اعلاه لمثمر وانه ليعلو ولا يعلى فلما سمعوه قالوا لابن اخيه ابي جهل صبا
الوليد فجاء وجلس اليه ولامه على ما بدا منه فقال فماذا اقول والله ما منكم اعلم
بالاشعار مني اعلم رجزه وقصيده واعلم اشعار الجن ولا يشبه شيئا من ذلك
فقال لا يرضى قومك حتى تقول فيه ففكر وقدر فقال ان هذا الا سحر يؤثر
ساصليه سقر بدل من سارهقه صعودا وما ادراك ما سقر لا تبقي شيئا ولا تذر
ولا تدعه بعد احراقه واعدامه او لا تبقي شيئا من الاشياء ولا تذره كهذه النيران
بل تهلك كل رطب ويابس هذا اوجه والصق بقوله وما ادراك ما سقر المسوق
للتهويل لواحة للبشر مسودة لاعالي الجلد كالليل البهيم من لوحته الشمس غيرته
وشققته وعن الحسن لواحة للبشر شديدة الظهور كقوله لترونها عين اليقين عليها
تسعة عشر اي امرها تسعة عشر ملكا وقيل صنفا او صفا او نقيبا وما جعلنا اصحاب
النار الا ملائكة لانهم خلاف جنس المعذب من الجن والانس فلا تاخذهم
رأفة لعدم رقة الجنسية ولانهم اطوع خلق الله لتنفيذ اوامره واشد غضبا له

واقواهم

واقواهم عن عمرو بن دينار رضي الله عنه ان واحدا منهم يدفع بالدفعة
الواحدة في جهنم اكثر من ربيعة ومضر وروي مرفوعا ان لاحدهم قوة الثقلين
يسوق احدهم الامة الى النار على عاتقه جبل فاذا القاهم في النار القى الجبل وراءهم
وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا لما سمع ابو جهل تسعة عشر قال ثكلتكم
امهاتكم ايعجز كل عشرة منكم ان يبطش بواحد منهم فقال ابو الاشد كلدة بن
اسيد بن خلف انا اكفيكم سبعة عشر فاكفوني انتم اثنين وكان بلغ من
قوته انه يقف على جلد البقر ويجاذبه عشرة فيتمزق الجلد تحت رجليه ولا يقدرون
على اخراجه قال السهيلي ودعا رسول الله الى المصارعة وقال ان صرعتني آمنت
بك فصرعه مرارا فلم يؤمن والمعنى ما جعلنا عدتهم الا العدد المخصوص الذي اقتضى
فتنتهم واستهزاءهم ليستيقن الذين اوتوا الكتاب لتوافق الكتابين في هذا
العدد وهو على حذف العاطف اي وليستيقن او عبر عن المؤثر وهو تسعة عشر بالاثر
وهو فتنة للذين كفروا اشارة الى ان هذا الاثر من لوازم ذلك المؤثر ويزداد
الذين آمنوا ايمانا اذا صدقوا بذلك واذا رأوا تسليم اهل الكتاب لهذا العدد
ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون تصريح بالعلم ضمنا توكيدا
وليقول الذين في قلوبهم مرض نفاق اخبار بالغيب عما يكون لان السورة
مكية والنفاق انما نجم بالمدينة او الشك والارتياب وكان اكثر المشركين
كذلك والكافرون غير المنافقين او الشاكين وانما عطف قول المنافقين
والكافرين على الاستيقان مع كون المعطوف عليه دون المعطوف لان اللام
للعلة والعلة لا يلزم ان يكون غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر
ماذا اراد الله بهذا مثلا تمييز او حال استعاروا للعدد المجرد لفظ المثل من المثل
المضروب لكونه غريبا عندهم بديعا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من
يشاء الكاف في محل النصب اي مثل ذلك الاضلال المذكور والهدي يضل
الكافرين ويهدي المؤمنين وما يعلم جنود ربك الا هو لفرط الكثرة فليس
تخصيص الخزنة بهذا العدد الا لحكمة اقتضته كعدد السموات والارضين وحملة العرش
وما هي الا ذكرى للبشر متصل بوصف سقر وقوله وما جعلنا اصحاب النار الى
وما هي اعتراض يؤكد بعضه بعضا زيادة في تهويل جهنم اي وما سقر او وما
صفتها او وما الآيات المذكورة فيها الا تذكرة لهم كلا ردع لمن ذكرهم اي
وان جعلت تذكرة فهم لا يتذكرون او ردع لمن ينكر ان يكون احدى الكبر
والقمر والليل اذا ادبر تولى قال الزجاج يقول قريش قبل الشيء ودبر جاء
وذهب ومنه امس الدابر وغيرهم اقبل ودبر وعن يونس ادبر تولى ودبر
انقضى وقرأ نافع وحمزة وحفص اذ بسكون الذال وادبر بهمز القطع والرسم

لا تختلف لوجود صورة الالف في القرائتين والمختار اذ اللغة قريش ولقوله
والصبح اذا اسفر اضاء انها لاحدى الكبر جواب القسم او تعليل لكلا والقسم
معترض للتقرير والكبر جمع كبرى والفعل ليس من ابنية جمع فعلى بل فعلة كغرفة
وغرف لان الالف الحقت بالتاء كالقواصع في جمع قاصعاء الحاقا لها
بالقاصعة والمعنى ان سقر من احدى البلايا التي لا توجد لها نظيرة كقولك
هند احدى النساء في العفاف وعلى احد الرجال في العلم نذيرا للبشر تمييز
من احدى اي احدى الكبر انذارا او حال مما دلت عليه الجملة اي كبرت منذرة
لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر بدل من للبشر وان يتقدم او يتأخر مفعول
شاء او مبتدأ خبره لمن شاء اي التقدم والتأخر ممكنان لمن شاء كقوله فمن شاء
فليؤمن ومن شاء فليكفر كل نفس بما كسبت رهينة مصدر كالشتيمة والشريطة ولو كان
وصفا لجرد عن التاء الا اصحاب اليمين فانهم فكوا رقابهم بالاعمال الصالحة
وقيل هم الملائكة او الاطفال في جنات حال من اصحاب اليمين والتنكير
للتعظيم يتساءلون عن المجرمين يسأل بعضهم بعضا او يسألون غيرهم ما سلككم
في سقر مع جوابه حكاية لما جرى بين المسؤول عنهم وبين المجرمين فاختصر الكلام
لعدم اللبس السؤال عن حالهم ما سلككم في سقر مع كونه معلوما لقصد التوبيخ
وليحكى في الكتاب لطفا بالسامعين ومن فسر اصحاب اليمين بالاطفال
ايده بهذا السؤال لان الاطفال لا يعلمون موجب ذلك قالوا لم نك من
المصلين الواجبين في عهدا وسعهم ولم نك نطعم المسكين المحتاج اي لم نطعمهم
ولم نشفق على خلق الله وفيه دليل على ان الكفار مخاطبون بالفروع وكنا
نخوض مع الخائضين نشرع في الباطل مع كل مبطل ونغوي مع كل غاو
وكنا نكذب بيوم الدين وبعد ذلك كله كنا نكذب بيوم الجزاء كقوله ثم كان
من الذين امنوا حتى اتانا اليقين الموت لقوله واعبد ربك حتى
يأتيك اليقين فما تنفعهم شفاعة الشافعين لو فرض شفعاؤهم او لا يشفعون
الا لمن ارتضى فما لهم عن التذكرة معرضين حال من المجرور كقولك ما لك
قائما والتذكرة القران او هو وساير المواعظ كانهم حمر مستنفرة فرت من
قسورة حمر الوحش شبه في النفار من ادنى شيء والقسورة الاسد وعن ابن عباس
الصائد وابن جبير الرامي فوعلة من القسر كالحيدرة فيعلة من الحذر وكلاهما
ملحق بالفعللة وقرأ ابن كثير وابو عمرو والكوفيون مستنفرة بكسر الفاء يقال نفر واستنفر
مثل عجب واستعجب بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة تنشر وتقرأ وقالوا
لن نؤمن حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه كلا بل لا يخافون الاخرة ولذلك يعرضون
ويعاندون ولم يريدوا انه قولهم حتى تنزل علينا كتابا بالاعتداد او لو نزلنا عليك كتابا

في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين كلا حقا انه
تذكرة وان اعرضوا والاول ردع عن اقتراحهم الآيات وهذا عن الاعراض
فمن شاء ذكره من التذكر بضم الذال فعل القلب وما يذكرون الا ان يشاء الله
مشيتهم لقوله وما تشاؤون الا ان يشاء الله او ذكرهم وقرأ نافع تذكرون بالخطاب
على الالتفات او قيل لهم هو اهل التقوى واهل المغفرة حقيق بان يتقى لعلو
شانه وجدير بالمغفرة لسعة مغفرته روى الترمذي وابن ماجه والامام احمد
عن انس بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تلاها قال اي انا اهل
ان اتقى فمن اتقاني ولم يجعل معي الها فانا اهل لان اغفر له تمت بحمد الله
والصلوة على افضل خلق الله سورة القيمة مكية وهي تسع وثلثون اية
بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بيوم القيمة لا صلة زائدة لتاكيد القسم مثلها في لئلا
يعلم لتاكيد الفعل وقيل هذا انما يكون اذا وقعت في خلال الكلام كقوله فلا وربك
واما اذا وقعت في صدر الكلام كما في هذه السورة وسورة البلد فهي للنفي والمعنى
نفي ان يقسم بيوم القيمة لان الاقسام بالشيء اعظام له فهو شبه بدل تاكيد
المقسم عليه وحاصله ان يوم القيمة في نفسه اعظم من ان يعظم بالقسم ويجوز ان
يكون لا ردا لقولهم انك انت مفتر والمعنى اقسم باليوم لا النفس اللوامة وقرأ
ابن كثير لاقسم على ان اللام جواب القسم ولا اقسم بالنفس اللوامة هي المتقية
التي تلوم النفوس المقصرة يوم القيمة على التقصير او نفس السالك التي تلوم
نفسها اذا ترقت الى مقام اعلى فهي ابدا في اللوم او نفس آدم لانها بعد
الجناية دامت على اللوم والحمل على الجنس استدلالا بقوله صلى الله عليه وسلم
ما من نفس برة وفاجرة الا تلوم نفسها يوم القيمة لا يلايم الاعظام بالقسم
وقيل النفس المطمئنة لانها تلوم الامارة اي في حال الاطمئنان تلوم نفسها على ما
فرط منها وجواب القسم محذوف اي لتبعثن دل عليه قوله ايحسب الانسان
ان لن نجمع عظامه بعد تفرقها قيل نزلت في عدي بن ربيعة ختن الاخنس بن
شريق سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امر الساعة فاخبره فقال والله
لو عاينت ذلك لم او من بك بلى قادرين على ان نسوي بنانه مع صغر العظام
فكيف بكبارها واذا قدرنا على الالطف الابعد عن العادة فعلى الغير اقدر وماله
الى عدم التفاوت بين الاعادة والبدء وقيل معنى نسوي بنانه نجعلها كخف البعير
دلالة على كمال القدرة والظاهر ان تخصيص البنان بالذكر لانه اعجب شيء
في الانسان واخص به من بين الحيوانات ثم في تقدير الكلام بالقسم بيوم
البعث والمبعوث فيه على تحقق البعث على اسلوب وثناياك انها اغريض ثم
ايثار الحسبان وهمزة الانكار مسندا الى الجنس والاتيان بحرف الايجاب والايقاع

فادرین حالا بعد من المبالغات فی تحقیق المطلوب وتهجین حال المعرض
عن الاستعداد له بابهم عجایبه وزاده رونقا وحسنا بقوله بل یرید الانسان
لیفجر امامه عطفا علی ایحسب ترق فی الانکار له لانه علی ان ذلک الحسبان
لمجرد ارادة الفجور او اضراب عن الانکار عن حاله بما هو ادخل فی اللوم کانه
قیل دع الانکار علیه فی یرتدع بالانکار وهو یرید الدوام علی الفجور وعلی الوجهین
فیه ایما الی انه عالم بوقوع البعث الا انه یتغافل یسئل ایان یوم القیمة
سوال تعنت لما تقدم من انکاره فاذا برق البصر تحیر فزعا کانه نظر البرق
فدهش بصره وقرا نافع برق بفتح الراء ای لمع من البریق وعن الفراء هما
لغتان والکسر افصح وخسف القمر بذهاب ضوئه وجمع الشمس والقمر فی الطلوع
من المغرب او فی النار یعذب بهما من عبدهما وتذکیر الفعل لانه احد الجارین
وللموافقة خسف ومقارنة القمر حین یقول الانسان یومئذ این المفر ای الفرار
والکسر لغة اسم مکان کلا زجر عن طلب المفر لا وزر لا ملجأ واصله الجبل لانه ملجأ
الیه فی الغارات الی ربک خاصة یومئذ المستقر لا ملجأ غیره او الی حکمه ترجع
امور العباد او الی مشیته استقرار فریق فی الجنة وفریق فی السعیر ینبؤا الانسان
یومئذ بما قدم واخر بما قدم من ماله فتصدق وبما خلفه او بما قدم من الاعمال
وما اخر لم یعمل او بما اخر من سنة حسنة وسیئة او باول عمله وآخره بل الانسان
علی نفسه بصیرة حجة واضحة فلا یحتاج معها الی ان ینبأ بما قدم واخر حین تنطق
جوارحه ولو القی معاذیره ای ولو اتی بکل معذرة لا تقبل لان الشاهد من
نفسه لا تقبل الجرح وعن مجاهد المعاذیر الستور والمعنی ولو القی الستور علیه
حین عصیانه لا یغنی عنه شیئا لان علیه من نفسه بصیرة لاحظ قوله وما کنتم تستترون
ان یشهد علیکم سمعکم ولا ابصارکم والمعاذیر اسم جمع کالمناکیر لان قیاس
جمع المعذرة بدون التاء وجمع معذار علی تفسیر مجاهد لا تحرک به لسانک ای
بالقرآن عند اخذه من جبرائیل لتعجل به تحفظه مخافة ان یشذ عنک شئ ان
علینا جمعه فی صدرک وقرآنه وقراءته علی لسانک فاذا قرأناه بقراءة جبرائیل
والاسناد الیه لانه سفیر فاتبع قرآنه قراءته ای اقرأ بعد ذلک ثم ان
علینا بیانه بیان ما اشکل علیک من معانیه وعن ابن عباس فاتبع قرآنه فاستمع
لقراءته ثم ان علینا بیانه قراءته علی لسانک کان یستعجل لاخذه من جبرائیل مخافة
ان یفوته شئ منهی عنه کلا ردع له عما کان علیه واستطراد وبین حب العاجلة
المدلول علیه بقوله بل یرید الانسان لیفجر امامه وقوله بل تحبون العاجلة لدلالته
علی ان العجلة اذا کانت مذمومة فیما هو رحمة وشفاء فکیف بما هو محنة وشقاء
وفی تحبون العاجلة تغلیب للمخاطب کانه قال وانتم یا بنی آدم عادتکم العجلة

لانه الذی ینبأ

فی کل

فی کل شیء ولذلک قیل خلق الانسان من عجل فان قلت اذا کانت العجلة
جبلة فی الانسان فما معنی الردع فی کلا قلت وان کانت من مقتضی الطبع الا
انها قابلة للعلاج کسائر الملکات الردیة ومن کان فی اعلی منصب الرسالة ینبغی
له الاستئصال شأفة تلک الملکات وقرأ ابو عمرو وابن کثیر وابن عامر یحبون
ویذرون الآخرة بالیاء وهو ابلغ لان فیه التفاتا واخراجا له عن صریح الخطاب
بحب العاجلة مع الرمز اللطیف اللائق بشأنه صلی الله علیه وسلم وجوه یومئذ
ناضرة بهیة علیها اثر السرور الی ربها ناظرة تقصد الا الی غیره کالطالب رؤیة
الهلال او ان النظر الی غیره تعالی کلا نظر کما تقدم فی ذلک الکتاب او التقدیم
للاهتمام ورعایة الفاصلة والحمل علی الانتظار موت احمر کنایة عن الرجاء لا یلائم
روی الترمذی والامام ابن حنبل ان رسول الله صلی الله علیه وسلم قال اکرم الخلق
علی الله تعالی من ینظر الی وجهه غدوة وعشیة ثم قرأ الایة ووجوه یومئذ باسرة
عابسة شدیدة الکلوح تظن ان یفعل بها فاقرة داهیة شدیدة کانها تکسر
فقار الظهر وایثار الظن لانها اذا تاملت تتوقع ویترقب اشد ما هی فیه کلا ردع
عن حب العاجلة وایثار الدنیا علی الآخرة بذکر ما هو اعظ شئ للانسان وهو
الموت واهواله اذا بلغت التراقی الضمیر للنفس وان لم تتقدم لان قرینتها تظهر
من نار حتی علم الا تری ان حاتما من بلغاء العرب وهو الذی لا یشق غباره
فی قوی الارواح بحکمه کما جاز نصب السبق فی مضمار قوی الاستباح بنعمة سلک
هذه الطریقة اماوی ما یغنی الثراء من الفتی اذا حشرجت یوما وضاق بها الصدر
ویخاطب ماویة بنت عفزر وکانت ملکة تحت حاتم والتراقی العظام المتداخلة
عن یمین النحر وشماله وقیل من راق القائل الاحباب والخلان بعضهم لبعض
من یرقیه منکم لعل ان یکون ببرکة رقیته نجاة وهذا انما یقال عند الیاس
وعجز الاطباء وقرأ حفص بسکتة لطیفة علی من للدلالة علی ان الادغام فیه غیر
لازم وخلاصا من ثقل التقارب وظن انه الفراق ای ظن المحتضر انه الفراق
الحقیقی والتفت الساق بالساق من شدة الالم وسقوط القوی مع خوف
المآل لبعض المشایخ جزع جزعا شدیدا عند الموت قال بعض اصحابه علی ما هذا
الجزع قال یا بنی ادقه سبعین سنة الآن یفتح ولا ادری ما وراءه الی ربک
یومئذ المساق لا الی غیره وهو علیم بذات الصدور وقد علمتم ان حب الدنیا
رأس کل خطیئة فکیف تؤثرون الحیوة الدنیا علی الآخرة فلا صدق ولا صلی
ای الانسان الحاسب ان لن نجمع عظامه لا صدق بقلبه ولا اتی بالاعمال المصدقة
لعقد القلب وعبر عنها بالصلوة لانها رئیسة العبادات او لا یصدق بانه تعالی
صدق او اعطی الصدقة ولکن کذب وتولی عن الطاعة ثم ذهب الی اهله یتمطی

يتبختر ذاهبا الى اهله مفتخرا بما فعل من التكذيب والتولي من غاية جهله يعتقد
ان التشبع التشالب ارفع المناقب اولى لك فاولى اي اولاك ما يكره صهه
فاولاك مرة بعد اخرى واللام مثل اللام في ردف لكم وقيل افعل من الويل
بعد القلب ثم اولى لك فاولى ابلغ فابلغ ايحسب الانسان ان يترك سدى
مهملا لا جزاء ولا حساب اي لا يكون ما حسب لان فيه بطلان الحكمة الم يك
نطفة من مني يمنى قرأ حفص بالتذكير والضمير للمني ثم كان علقة فخلق فسوى
فقدره وعدله فجعل منه الزوجين الصنفين الذكر والانثى اليس ذلك بقادر
الصانع على ان يحيي الموتى روى ابو داود عن موسى بن ابي عائشة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا قرأها قال سبحانك بلى تمت والحمد لله على التمام
سورة الانسان مكية والصلوة على محمد واله وصحبه وهي احدى وثلثون آية
بسم الله الرحمن الرحيم هل اتى على الانسان هل بمعنى قد مع الاستفهام اي
اقد كقوله اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم والمعنى على التقرير والتقريب
حين من الدهر طائفة من الزمن الممتد غير المحدود لم يكن شيئا مذكورا شيئا يعتد به
ويذكر بل منقلبا في الاطوار نطفة وعلقة ومضغة والمراد به بنو آدم لقوله تعالى
انا خلقنا الانسان من نطفة فالمعرفة عين الاول وفي ايثار المظهر فضل تقرير
وقيل الاول آدم والثاني بنوه امشاج جمع مشيج كايتام في يتيم لان ماء الرجل
والمرأة كل منهما مختلف الاجزاء رقة وقواما وخواص وما يصلح مادة جزء منه
لا يصلح لاخر وعن ابن مسعود عروق النطفة وعن قتادة امشاج الوان واطوار
وقيل لفظ جمع ومعناه مفرد كبرمة اعشار وبردة اكياش نبتليه حال مقدرة
اي مقدرين ومريدين ابتلاءه او ناقلين له من حال الى حال فالابتلاء استعارة
لان في كل طور يظهر ظهورا آخر كظهور الممتحن وقيل على التقديم والتأخير اي
فجعلناه سميعا بصيرا نبتليه وفيه تكلف لوجود الفاء وتخصيص السمع والبصر لانهما
اعظم الحواس وبهما يتعلق الاوامر وبث بهما المعجزات انا هديناه السبيل
بانزال الايات ونصب الادلة اما شاكرا واما كفورا حال من الهاء اي هديناه
في حالتيه لئلا يكون للكفور حجة ومقابلة الشاكر بالكفور اشارة الى غلبة الكفران
على الانسان انا اعتدنا للكافرين سلاسل واغلالا وسعيرا ذكر الوعد والوعيد
بعد ذكر الشاكر والكفور وقدم الوعيد مع تأخر الكفور لان الانذار اهم وليكون
فتح الكلام وختمه مع المؤمنين قرأ نافع والكسائي وابو بكر وهشام سلاسلا
منونا ليناسب اغلالا وحمزة وقنبل باسكان اللام في الوقف وكذا حفص وابن
ذكوان والبزي في وجه لمنعهما من الصرف ان الابرار جمع بر كارباب جمع
رب يشربون من كاس هو الزجاج ما دام فيه الخمر ويطلق على الخمر وهو المراد

لقوله

لقوله كان مزاجها كافورا اي ماء كافور وهو عين في الجنة وقيل تخلق فيه
رائحة الكافور وبرده وقيل يمزج خمرهم بالكافور عينا بدل من كافورا على
الاول وعلى الاخيرين من محل من كاس على تقدير مضاف كانه قيل يشربون
خمرا خمر عين او نصب على الاختصاص يشرب بها عباد الله المقربون
اي يمزجون الخمر بها كقوله ومزاجه من تسنيم هذا ان جعل كافورا اسم عين
والا فالباء مزيدة يفجرونها حيث شاؤا من منازلهم تفجيرا كثيرا سهلا بلا تعب
يوفون بالنذر استئناف لما عسى ان يسأل لماذا كان ذلك الاكرام
ونبه بذكر النذر على انهم في واجبات الله اسعى واوفى ويخافون يوما كان
شره مستطيرا منتشرا اقصى ما يمكن من الانتشار من استطار الفجر ويطعمون
الطعام على حبه اي حب الطعام والاحتياج لقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون وقيل على حب الله وفي قوله لوجه الله غنية عنه مسكينا ويتيما واسيرا
مدح لهم على اختيار موضع الصدقة فانها كالبذر لا تنبت الا في ارض طيبة
ويدخل في الاسير المسلم والكافر والغريم والمملوك وفي الحديث غريمك اسيرك
فاحسن الى اسيرك وكان يؤتى بالاسير الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدفعه
الى بعض المسلمين ويقول احسن اليه انما نطعمكم لوجه الله يقولونه بلسان الحال
او بلسان المقال منعا لمن احسنوا اليه عن المكافاة والثناء لا نريد منكم
جزاء ولا شكورا التوكيد للاولى انا نخاف من ربنا يوما عذاب يوم اي
انا اردنا بالاطعام وجه الله لانا نخاف جزاء ذلك اليوم ومن خاف
ذلك لازم الاخلاص او لم نرد منكم على الصدقة مكافاة خوفا من عقاب الله
على طلب المكافاة عبوسا قمطريرا شديد العبوس من القطر والميم مزيدة ويقال
جمع فلان قطرته اذا اشتد تغيره مقبضا اما مجاز حكمي وصف يوصف اهله
لما في الحديث ان الكافر يعبس حتى يسيل من بين عينيه مثل القطران او استعارة
بالكناية يشبه بالاسد العبوس في ضراوته فوقاهم الله شر ذلك اليوم لما قدموه له
من البر ولقاهم نضرة بهجة في وجوههم وسرورا في قلوبهم وجزاهم بما صبروا
جنة وحريرا لباسا يلبسون به ويلبسه البهي وما نقلوه عن علي لا يصح لان
السورة مكية متكئين فيها على الارائك على هيئة المترفين نصب على الحال
لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا اي لا حر ولا برد لاعتدال الهواء وعن
ثعلب الزمهرير القمر بلغة طي وانشد وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهري
ما زهر والمعنى لا احتياج الى الشمس والقمر لضياء الهواء ودانية عليهم ظلالها
عطف على الجملة الحالية لانها في تأويل المفرد والواو للدلالة على اجتماع الامرين
لهم كانه قيل جامعين في الجنة بين البعد عن الحر ودنو الظلال عليهم ويجوز ان يجعل

متكئين وما بعده صفات لجنة على مذهب من لا يوجب ابراز الضمير في صفة
جرت على غير من هي له لكون متكئين كذلك او عطفه على جنة على انهم وعدوا
جنتين كقوله ولمن خاف مقام ربه جنتان وذللت قطوفها تذليلا اي لا تمنع
على قطافها بل لا تقطفون كما شاؤا او عطف على دانية وايثار الفعلية للقصد
التجدد ولان العطوف تحسب الحاجة او صفة مثلها او حال من ضميرها ويطاف
عليهم بانية من فضة واكواب اباريق بلا عرى كانت قواريرا قوارير من
فضة القارورة ما يكون من الزجاج استعيرت لما كانت من فضة تجامع
الصفاء والشفيف فجاءت حسنة بديعة وقرأ ابو عمرو وابن عامر وحمزة وحفص
قواريرا الاول غير منون ووقف عليه حمزة بدون الف وهم مع ابن كثير
الثاني ايضا ووقفوا بلا الف سوى هشام قدروها تقديرا صفة قوارير
اي جاءت على مقدار ما صوروها في انفسهم او قدروها باعمالهم الصالحة او
الضمير للطائفين والمعنى قدروا الشراب الذي فيها على قدر الري وهو الذ
للشارب ويسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا لان العرب تستلذ طعمه
قال الاعشى كان القرنفل والزنجبيل باتا بفيها وارئا مشورا وعن قتادة
يمزج لهم تارة بالكافور البارد واخرى بالزنجبيل الحار ليعتدل الامر عينا فيها
تسمى سلسبيلا بدل من زنجبيلا وقيل تخلق الله تعالى طعمه فيها وقيل يمزج بالزنجبيل
وعلى الوجهين عينا بدل من كاسا والسلسبيل كالسلسل والسلسال سهل الانحدار
اي وان كان فيها طعم الزنجبيل فليس فيه لذعه ولارادة المبالغة جيء به
خماسيا وقيل اصله سل سبيلا سمي به لانه لا يشرب منها الا من سال سبيل
اليها بالعمل الصالح وفيه تكلف وفوات المبالغة بالوصف ويطوف
عليهم ولدان مخلدون اذا رايتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا في الحسن وصفاء اللون
والتفرق في المجالس وانعكاس شعاع بعضهم الى بعض او كانهم لؤلؤ
نثر من صدفه طريا من تشبيه المفرد واذا رايت ثم لم يقدر له مفعول والمعنى
اوذكت ذا البصر هناك رأيت نعيما وملكا كبيرا واسعا حيث وقع بصرك
عن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ادنى اهل الجنة لمن
ينظر في ملكه الفي سنة ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه وروى البخاري عن
ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان آخر اهل الجنة
وخولا له مثل الدنيا عشر مرات عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق عاليهم
نصب على الحال اما من المجرور في عليهم او المنصوب في حسبتهم ولقاهم او جزاهم
وقرأ نافع وحمزة بسكون الياء على انه مبتدأ مفرد في معنى الجمع كدابر القوم
وسامرا يهجرون وثياب سندس خبر وخضر بالجر صفة سندس وقرأ نافع وابو عمرو

وابن

وابن عامر وحفص بالرفع صفة ثياب واستبرق بالجر عطف سندس ورفعه
نافع وابن كثير وعاصم عطفا على ثياب والسندس مارق من الحرير والاستبرق
ما غلظ معرب استبرك عن ابن عباس رضي الله عنه كما ترى الرجل يكون
عليه الثياب يعلوها الافضل ويجوز ان يكون الاستبرق بطانة لقوله بطائنها
من استبرق وحلوا اساور من فضة ولا ينافيه قوله اساور من ذهب لامكان
الجمع والمعاقبة وقيل الفضة للابرار والذهب للمقربين وسقاهم ربهم شرابا طهورا
يطهر باطنهم عن الغل والحسد كما زين ظاهرهم بالثياب والحلي وقيل هذا نوع
آخر فوق الاول ولذلك اسنده الى ذاته ووصفه بالطهور فانه يذهب عن خاطرهم
سوى الاستغراق بمطالعة جماله وهذا نهاية درجاتهم ولذلك ختم به حديث
السؤال ان هذا كان لكم جزاء على اعمالكم والمشار اليه الثواب المذكور
وكان سعيكم مشكورا مجازا عن الاعتداد به وفائدة هذا القول ابراز الفضل
في صورة الاجر المستحق اخراجا له عن صورة الممنون به انا نحن نزلنا عليك
القرآن تنزيلا كرر الضمير واكده بان مع ايثار التنزيل الدال على التفريق
الذي هو مقتضى الحكمة ليدل على ان قوله فاصبر لحكم ربك صادر عن حكمة بالغة
وان تاخير نصره لما فيه من الحكم الخفية ولا تطع منهم آثما او كفورا اي كل
واحد منهما ولذلك اثر او لئلا يتوهم الجمع وهم وان كانوا كلهم كفرة الا
ان منهم من كان يدعوه الى الاثم ومنهم من يدعوه الى الكفر وقيل الآثم
عتبة والكفور الوليد لان ذلك كان غالبا في الفسوق وهذا في الكفر واذكر
اسم ربك بكرة واصيلا طرفي النهار فيناله بحلاوة تذهب عنك مرارة
الصبر ونقص طرفي النهار لشرفهما وقيل دوام على صلوة الفجر والظهر والعصر
فان الاصيل يتناولهما ومن الليل بعض الليل فاسجد له فانه وقت الاقتراب
اليه لنزول رحمته وخلو الوقت للمناجاة وقيل صلاة المغرب والعشاء ويؤيده
وسبحه ليلا طويلا اي نزهه او صل له تطوعا ان هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون
وراءهم يوما ثقيلا استعارة الثقل من الجملة والمراد شدته نحن خلقناهم وشددنا
اسرهم الاسر الربط الوثيق بالاسار والمراد توصيل عظامهم بعضها مع بعض
وتوثيق مفاصلهم بالاعصاب واذا شئنا بدلنا امثالهم تبديلا اي اهلكناهم
وانشأناهم نشأة اخرى فالتبديل في الصفات لان المعاد هو المبتدأ او بدلنا
مكانهم قوما آخرين كقوله ان يشأ يذهبكم ايها الناس ويأت بآخرين واذا
مع ان ذلك امر فرضي للدلالة على تمام الاقتدار ان هذه تذكرة السورة
او الآيات القريبة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا موصلا اليه بالتقرب بالطاعة
وما تشاؤن الا ان يشاء الله مشيتكم لان المفعول المحذوف هو ما دل عليه المذكور

كقولك لو شئت لقمت زيدا اى لو شئت قيامه وفى اثبات المشيئتين ابطال
الجبر والاعتزال والله يقول الحق وهو يهدى السبيل وقرا نافع والكوفيون تشاون
بالخطاب ان الله كان عليما بكنه الاشياء حكيما لا يشاء الا ما اقتضته الحكمة
يدخل من يشاء فى رحمته بالهداية والتوفيق والظالمين اعد لهم عذابا اليما
نصب الظالمين على شريطة التفسير بما يلايم المفسر نحو اوعد وكافا ختمت سورة
الانسان والحمد للواحد المنان والصلوة على صفوة الانسان واله وصحبه الى
اخر الزمان سورة المرسلات مكية وهى خمسون آية بسم الله الرحمن الرحيم
والمرسلات عرفا اقسم بطوايف من الملائكة ارسلهن لامضاء اوامره حال
كونها كعرف الفرس فى الاجتماع والتتابع فالعاصفات عصفا يعصفن
عصف الرياح مبادرة الى امتثال امره او العرف ضد النكر مفعول له اى المرسلة
لانفاذ الانبياء واهلاك الكفار رغبة لادراك نعمة لهولاء والناشرات نشرا
نشرن اجنحتهن فى الجو نازلين بالوحى او ناشرين الشرايع او النفوس الموتى
بالجهل فالفارقات فرقا بين الحق والباطل فالملقيات ذكرا وحيا الى
الانبياء فان قلت الالقاء مقدم على الفرق فما وجه العطف بالفاء قلت
الالقاء مقدم على العلم بالفرق لا عليه وقيل على تقدير الارادة او اقسم برياح
ارسلت للعذاب متتابعة عاصفات وباخرى نشرن السحاب فى الجو ففرقن
بينه كقوله ويجعله كسفا او نشرن الموتى ففرقن بين المؤمن القابل مطرها
بفضل الله تعالى والكافر القابل بالانواء والقاء الذكر منها لكونها سببا له اذا
شكرت النعمة عذرا مصدر عذر محى الاساءة او نذرا اسم مصدر هو الانذار او مصدر
نذر بمعنى انذر او جمع عذير بمعنى المعذرة وجمع نذير وانتصابهما على العلة اى
عذرا للمحقين ونذرا للمبطلين واو للتنويع لا للترديد او البدل من ذكرا ويجوز ان
يكونا بمعنى العاذر والمنذر فانتصب على الحال وقرا ابو عمرو وحمزة والكسائى وحفص
نذرا بالتخفيف انما توعدون لواقع لا محالة وهو قيام الساعة فاذا النجوم
طمست محقت واعدمت او اذهب نورها واذا السماء فرجت فتحت فكانت
ابوابا واذا الجبال نسفت نسف الحب بالرمل فكانت كثيبا مهيلا اصله القلع
بسرعة واذا الرسل اقتت بلغت وقتها الموعود وهو وقت الحضور للشهادة
على الامم وقرا ابو عمرو بالواو وهو الاصل لانه من الوقت الا ان الرسم على
الهمز لانه وان كان اثقل من الواو الا ان الضم عليه اخف منه على الواو لاى
يوم اجلت الرسل ليوم الفصل بيان ليوم التاجيل وما ادريك ما يوم
الفصل تابع فى تهويله بابهامه اولا ثم بيانه بانه يوم الحكم والقضاء ثم هول شانه
بانك لم تحط علما بكنهه ذلك ويل يومئذ للمكذبين بالويل الهلاك اصله النصب

على

على المصدر بغير فعله لعدم استعماله والعدول الى الرفع لكونه ابلغ فى الدعاء لدلالته
على الدوام الم نهلك الاولين من تقدم كفار مكة من الامم المكذبة ثم نتبعهم
الاخرين نحن نتبع ولذلك فى الاهلاك امثال كفار مكة كذلك نفعل بالمجرمين بكل
مجرم فى كل عصر ويل يومئذ للمكذبين اى يوم اهلاكهم فليس فيه تكرير لان الاول
لعذاب الاخرة وهذا العذاب الدنيا مع ان التكرير للتهويل له موقع حسن
الم نخلقكم من ماء مهين هى النطفة المقدرة فجعلناه فى قرار مكين هو الرحم
تفصل لكيفية الخلق الى قدر معلوم له تعالى وهو وقت الولادة فقدرنا على ذلك
فنعم القادرون نحن على الاعادة وقرا نافع والكسائى فقدرنا بالتشديد اى
ذلك المولود شقيا او سعيدا الى غير ذلك من حال النطفة علقة ومضغة وعظاما
والقادرون بمعنى مقدرون من قدرت الشئ اقدره قال الشاعر وقد قدر
الرحمن ما هو قادر وهذا اوفق لقوله من نطفة خلقه فقدره ولان حديث القدرة
قد تم فى قوله الم نخلقكم لكون الاستفهام للتقرير ويل يومئذ للمكذبين الم نجعل
الارض كفاتا اسم لما يكفت اى يجمع كالضمام اسم لما يضم او مصدر نعت
لا جمع كافت كصيام فى صايم لاستناده الى ضمير الارض احياء وامواتا نكرهما
لان احياء الانس وامواتهم بعض الاحياء والاموات ولا ينافيه التفخيم لدلالته
على كثرة لا تحصى وانتصابهما على المفعولية او الحالية من مفعوله المحذوف وجعلنا
فيها رواسى شامخات جبالا ثوابت طوالا والتنكير للتعظيم او التبعيض لكون
بعض الجبال فى السماء لقوله من جبال فيها واسقيناكم ماء فراتا عذبا واى
عذب ويل يومئذ للمكذبين بامثال هذه النعم انطلقوا على تقدير القول
الى ما كنتم به تكذبون من العذاب انطلقوا الى ظل من حر الشمس ذى ثلث
شعب يحيط بهم من فوقهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم لا ظليل تهكم بهم ورد
لما وهم نقيضا لظل ولا يغنى من اللهب وغير مغن من الحر كقوله لا بارد
ولا كريم وهذا الظل وهو الدخان الذى هو سرادق النار احاط بهم سرادقها
يقعدون فيه الى الفراغ من الحساب بدل وقوف المؤمنين فى ظل عرش الله
انها ترمى بشرر كالقصر فى العظم كانه جمالة صفر جمع جمال او جمالة جمع جمل
شبهت اولا بالقصور ثم بالجمال فان العرب تشبه الابل بالقصور قال كما
طينت بالفدن السياع شبه الشرر حين ينفصل من النار بالقصر فى العظم وحين
ياخذ فى الارتفاع والانشقاق عن اعداد غير محصورات فى الحركات السريعة
فى الجهات بالجمال وعن ابن عباس رضى الله عنه كنا نرفع خشبة ثلث اطولها
ثلثة اذرع او اقل نسميه القصر وعنه الجمالات حبال السفن تجمع حتى يكون
كاوساط الرجال والاول هو الوجه وقد روى عنه ايضا وقرا حمزة والكسائى وحفص

جمالة وجمالات ابلغ وادق بالمقام ويل يومئذ للمكذبين بذلك اليوم هذا
اي الذي قص عليكم يوم لا ينطقون يوم القيمة وذو مواطن ينطقون في موطن
دون اخر او لا ينطقون بما يحق ان يسمى نطقا لعرائه عن الفائدة ولا يؤذن
لهم فيعتذرون عطف على يؤذن اي لا اذن ولا اعتذار مطلقا ولو جعل جوابا
لدل على ان عدم الاعتذار لعدم الاذن واوهم ان لهم عذرا يعتد به لكن لم
يؤذن لهم فيه ويل يومئذ للمكذبين هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين للحكم
بين المحق والمبطل فان كان لكم كيد فكيدون توبيخ لهم على ما كانوا يكيدون
به المؤمنين وتسجيل عليهم بالاستكانة ويل يومئذ للمكذبين ان المتقين من
الشرك لانه في مقابلة المكذبين في ظلال متراكمة وعيون جارية وفواكه مما
يشتهون كثيرة الانواع كلوا واشربوا هنيئا على تقدير القول بما كنتم تعملون في
الدنيا من الصالحات انا كذلك نجزي المحسنين المخلصين ويل يومئذ للمكذبين
كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون تذكير لما كان يقال لهم في الدنيا وتحسير لهم بايثار
الحقير على الخطير ويل يومئذ للمكذبين به واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون متصل
بقوله للمكذبين كانه قيل ويل يومئذ للذين كذبوا والذين اذا قيل لهم اركعوا لا يركعون
ويجوز اتصاله بالمجرمين كانه قيل هم احقاء بان يقال لهم كلوا وتمتعوا لكونهم
مجرمين ولكونهم اذا قيل اركعوا لا يركعون ويل يومئذ للمكذبين به فباي حديث
بعده يؤمنون اي بعد القران فانه لا حديث يدانيه فضلا ان يساويه وعن
ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرا فباي حديث بعده يؤمنون
فليقل امنت بالله وبما انزل تمت المرسلات والحمد لواهب البركات وعلى
المختار افضل الصلوات سورة النبا مكية واياتها اربعون بسم الله الرحمن الرحيم
عم يتساءلون اصله عما فادغمت في الخط وحذف الالف فرقا بينها وبين
الخبرية وانها بشدة الاتصال وكثرة الدوران وقرا ابن كثير في رواية البزي
عنه بهاء السكت في الوقف ليكون جبرا عن الذاهب وهو احد حرفي التسائل
كان مشركوا مكة يسال بعضهم بعضا عن امر القيامة او رسول الله والمؤمنين استهزاء
على ان التساؤل بمعنى السؤال كالتداعي والترائي بمعنى الدعوة والرؤية والمراد
تفخيم شان المسؤل عنه مجردا عن الاستفهام لوقوعه في كلام من لا يخفى عليه خافية
عن النبا العظيم بيان لشان المفخم او متعلق بيتساءلون وعم بما فسره الذي
هم فيه مختلفون منهم المنكر ومنهم الشاك او الضمير للفريقين المؤمنون يسالون
لزيادة الاستفهام والاستعداد له والكفار استهزاء وعنادا كلا سيعلمون ردع
للمتسائلين هزوا ووعيد ثم كلا سيعلمون كرره مبالغة وثم للدلالة على ان
الثاني اشد من الاول وكما فخم شان البعث فخم ما يقع بعده وقيل الاول عند النزع

والثاني في القيمة او الاول للبعث والثاني للجزاء الم نجعل الارض مهادا والجبال
اوتادا وانهم لا ينكرون شيئا من ذلك فانكار البعث لماذا وهل ذلك الا لاجل
سؤال هذا او من ابدع هذه الاشياء انما ابدعها الحكمة لا عبثا فلا بد من البعث
والجزاء وخلقناكم ازواجا ذكرا وانثى وجعلنا نومكم سباتا موتا من السبت
وهو القطع والنوم احد التوفيين وجعلنا الليل لباسا ساترا عن العيون لكن
اخفاء ما لا يريد اظهاره من بيات العدو او الفرار منه الى امور شتى وجعلنا النهار
معاشا وقت معاشكم تتقلبون فيه لحوائجكم استدل بخلقهم ذكرا وانثى وسوى
احوالهم معترقين ومفترقين وبنينا فوقكم سبعا شدادا محكمة لا يؤثر فيها مرور
الدهور وجعلنا سراجا وهاجا اي الشمس النير الاعظم من وهجت النار اذا
اضاءت وانزلنا من المعصرات من السحاب التي شارفت ان
يعصرها الرياح فتمطر من اعصرت الجارية قاربت ان تحيض ومن الرياح
التي حان لها ان تعصر السحاب وعن الحسن وقتادة رضي الله عنهما من السموات
وان الماء تنزل من السماء الى السحاب فكان السموات يعصرن اي يكن
من العصر ماء ثجاجا منصبا بكثرة يقال ثجه وثج بنفسه وفي الحديث افضل الحج العج والثج
اي رفع الصوت بالتلبية والذكر واكثار دماء القرابين لنخرج به حبا للانسان
ونباتا للدواب وجنات الفافا ملتفة جمع لف كجلف واجلاف او جمع لفيف
كشريف واشراف او لفاء كخضراء او ملتفة بحذف الزوائد وفيه ان هذا لا نظير له لان
تصغير الترخيم ثابت دون تكسيره ان يوم الفصل كان ميقاتا في علم الله
والميقات ما يوقت به الشيء والمراد حد الدنيا ونهايتها او حد الخلائق وما
ينتهون اليه يوم ينفخ في الصور بدل او بيان ليوم الفصل فتاتون افواجا
جماعات يوم ندعو كل اناس بامامهم والحديث المروي ان امته عليه السلام
تحشر عشرة اصناف موضوع مختلق وفتحت السماء فكانت ابوابا عطف على
فتاتون وايثار الماضي لكونه محقق الوقوع او حال اي فتاتون والحال انها
قد فتحت والمراد كثرة الطرق والشقوق كقوله وفجرنا الارض عيونا وقرا
الكوفيون مخففا وسيرت الجبال في الهواء كمر السحاب فكانت سرابا
اي كالسراب يحسب ماء ولا ماء لان شان الجبل الثبات والقرار جهنم
كانت مرصادا موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار او خزنة الجنة المؤمنين
ليحرسوهم اذا مروا عليها للطاغين مابا مرجعا وماوى لابثين فيها احقابا
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميما وغساقا الاحقاب جمع حقب وهي
ثمانون سنة وقيل دهر طويل كقوله او امضي حقبا والمعنى يلبثون احقابا
كثيرة لا يذوقون فيها الا الماء الحار وغساقا اهل النار صديدهم ثم ينقلون

اي نوع آخر من العذاب وان جعل لا يذوقون استئنافا فالمراد باحقابا دهور
غير متناهية كلما مضى حقب تبعه آخر الا يرى كيف رفع وهم الانقطاع بقوله
فلن نزيدكم الا عذابا وقرأ حمزة لبثين مقصورا وهو اقوى وعليه الرسم وحمزة
والكسائي وحفص غساقا مشددا جزاء وفاقا اي جوزوا جزاء ذا وفاق لاعمالهم
او وصف بالمصدر انهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا باياتنا كذابا يقال كذب
تكذيبا وكذابا قال سيبويه الاصل كذابا والباء عوض عن التضعيف والياء عن
الالف وكل شئ احصيناه كتابا نصب على المصدر اي احصاء او احصيناه بمعنى
كتبناه لتلاقي الاحصاء والكتبة في الضبط او على الحال اي مكتوبا في اللوح او في
صحف الحفظة فذوقوا اي العذاب التفت اليهم في مقام السخط زيادة في العذاب
فلن نزيدكم الا عذابا استثناء من الاعم اي شيئا من الاشياء وعن ابي برزة
الاسلمي سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشد آية في كتاب الله على الكفار
فتلاها ان للمتقين مفازا مكان فوز وهي الجنة كما ان جهنم للطاغين مآبا ثم فسره
بقوله حدائق جمع حديقة وهي روضة ذات اشجار وقيل روضة احاط بها
حائط واعنابا افردها لتعدد جودها في ارض العرب وكواعب جمع كاعب
ناهدة الثدي اترابا لذات وكاسا دهاقا مترعة من ادهقت الحوض
ملأته لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا اي لا تأذون من سماع اللغو وتكذيب
بعضهم بعضا وقرأ الكسائي كذابا مخففا مصدر كاذب او كذب تحرك كتابا
كقول الاعشى فصدقتها وكذبتها والمرء ينفعه كذابه اي لا يصدر منهم كذب حتى
يسمعهم السامع جزاء من ربك نصب على المصدر عطاء بدل من جزاء او مفعول
له او لناصبه المحذوف حسابا صفة بمعنى كافيا من احسبه الشئ اذا كفاه حتى
قال حسبي وقيل على حسب اعمالهم رب السموات والارض وما بينهما بدل من
ربك ورفعه نافع وابن كثير وابو عمرو على انه مبتدأ خبره الرحمن او هو بدل
خبره لا يملكون وقرأ الرحمن بالجر ابن عامر وعاصم على البدل ومن جر الاول
ورفع الثاني ابدل الاول وجعل الثاني مبتدأ خبره لا يملكون او خبر محذوف
منه خطابا اي من الله والمعنى لا يملكون من جهته شيئا من الخطاب لان المملوك
لا يملك شيئا على مالكه وهذا لا ينافي الشفاعة بعد الاذن يوم يقوم الروح
والملائكة صفا ظرف لا يملكون او لما بعده والروح جبرئيل وافراده لشرفه وقيل
نوع آخر من المخلوقات وقيل ملك لم يخلق الله بعد العرش اعظم منه لا يتكلمون
الا من اذن له الرحمن وقال صوابا اي من تكلم من هؤلاء الاشراف فانما يتكلم
بشرط الاذن وقيل الصواب ففيه تقرير وتوكيد لقوله لا يملكون منه خطابا ذلك
اليوم الحق الكائن لا محالة فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا منزلا ومأوى بالايمان

والعمل الصالح انا انذرناكم عذابا قريبا اذ كل آت قريب ولان مبدأه
الموت يوم ينظر المرء ما قدمت يداه اي كل امرئ ينظر عمله خيرا كان او شرا
لقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا وقيل المرء هو الكافر لقوله انا انذرناكم فوضع
المظهر موضع المضمر وعن قتادة هو المؤمن لقوله ويقول الكافر والاول
هو الاوجه لقوله ان يوم الفصل ولقوله فمن شاء اتخذ الى ربه مآبا ويقول
الكافر يا ليتني كنت ترابا في الدنيا لم اخلق او في هذا اليوم لما يرى سائر
الحيوانات والوحوش تصير ترابا بعد جريان القصاص بينها تمت والحمد لله
على الدوام والصلوة على خير الانام وآله وصحبه الى يوم القيام سورة
النازعات مكية وهي خمس وست اربعون آية بسم الله الرحمن الرحيم والنازعات
غرقا والناشطات نشطا والسابحات سبحا فالسابقات سبقا فالمدبرات
امرا اقسم بالملائكة الموصوفة بصفات تدل على كمال قدرته ونفاذ امره
فالنازعات هم ملك الموت واعوانه الذين ينزعون ارواح الكفار
من اعماق ابدانهم والغرق اسم الاغراق كالسلام اسم التسليم او مصدر
بحذف الزوائد والناشطات الذين ينشطون ارواح المؤمنين برفق
من نشط الدلو اخرجها من البئر ونشط الحبل حله برفق والسابحون اي يسرعون
فيما امروا به فيسبقون بارواح الكفار الى النار وبارواح المؤمنين الى
الجنة فيدبرون امر ثوابها وعقابها او النجوم تنزع من المشرق الى المغرب
واغراقها قطع الفلك بتمامه الى ان تغرب وان تنشط من برج الى آخر
من نشط الثور اذا خرج من بلد الى آخر فتسرع في السير فيسبق بعضها بعضا
فتدبر ما نيط بها من الفوائد او خيول الغزاة تنزع في اعنتها اغراقا لطول
اعناقها لانها عراب وتخرج من دار الاسلام الى دار الكفر فتسبح في جريها
فيسبق بعضها بعضا فتدبر امر الظفر على المجاز او نفوس السالكين تنزع
عن الشهوات رأسا وتنشط الى عالم الملكوت فتسبح في بحر المعارف
فيسبق بعضها بعضا بقدر القابليات فتدبر سائر النفوس بالارشاد والتكميل
والمقسم عليه محذوف دل عليه ذكر القيمة بعده اي لتبعثن يوم ترجف
الراجفة نصب بذلك المحذوف والراجفة الواقعة وصفت بالحدث
بحدوثها من رجف الارض والجبال مبالغة وهي النفخة الاولى والاصح
ان يكون ونصبها ظرفا للبعث مع انه لا يكون الا بعد الثانية لاتساع الوقت
على ان تتبعها الرادفة وهي النفخة الثانية حال منها فلابد من الامتداد
الى وجودها وقيل الراجفة الارض والجبال والرادفة السماء والكواكب
قلوب يومئذ واجفة شديدة الاضطراب الوجيف والوجيب اخوان ابصارها

خاشعة خبر قلوب لانها نكرة موصوفة كقوله وجوه يومئذ ناظرة الى ربها ناظرة
او خبر بعد خبر لان تنكير التنويع قائم مقام الوصف يقولون ائنا لمردودون
في الحافرة يريدون الحيوة الدنيا بعد الموت والحالة التي كانوا عليها
في الدنيا انكار المعاد والحافرة الطريقة التي حفرها واثر فيها بمشيه والقياس
محفورة فانها على تقدير ذات حفر او على الاسناد مجازا نحو عيشة راضية وعن
ابن السكيت حافرة الشيء اوله واستشهد بما انشده ابن الاعرابي احافرة
على صلع وشيب معاذ الله من سفه وعار اذا كنا عظاما نخرة اي نكون
ذلك والنخرة البالية من النخير وهو صوت الريح والعظم اذا بلي نخرت فيه الريح
لصيرورته اجوف وقرا حمزة والكسائي وابو بكر ناخرة بالمد والقصر ابلغ
واذا منصوب بمقدر اي نرد ونبعث قالوا تلك اذا كرة خاسرة اي
رجعة ذات خسران او خاسر صاحبها ان صح ما يقوله محمد قالوه استهزاء
فانما هي زجرة واحدة لا استبعاد ولا استصعاب بل هي في غاية السهولة
على الله لا يتوقف لها الا على صيحة واحدة وهي النفخة الثانية فاذا هم
بالساهرة احياء كقوله فاذا هم قيام ينظرون والساهرة الارض البيضاء
المستوية لان السراب تجري فيها من قولهم عين ساهرة اي جارية او على
المجاز لان سالكها لا ينام خوفا وعن قتادة اسم جهنم ولما كان الكلام
من مفتتح السورة الى هنا مسوقا للتهديد بد مجاديه تسلية رسوله عقبه بقصة
موسى وفرعون لعراقتها في هذا الباب هل اتيك حديث موسى اي
اليس قد اتاك حديثه المشتمل على نصره وقهر عدوه ففيه ما يسليك ثم فصله
بقوله اذ ناداه ربه بالواد المقدس الذي قدس لانه مهبط الوحي طوى
عطف بيان او بدل ونونه الكوفيون وابن عامر بتأويل المكان اذهب
الى فرعون انه طغى على ارادة القول فقل هل لك الى ان تزكى اي هل
لك رغبة في ان تتطهر من رجس الكفر والطغيان ارشده الى طريق الدعوة
بالطف طريق وذلك ان يعرض عليه امر نفسه ويرى رايه كما يقول
للضيف الا تنزل بنا وهذا نحو قوله فقولا له قولا لينا وقرا نافع وابن كثير
تزكى بتشديد الزاء على ادغام احدى التائين في الزاء وحذفها الاخرون
تخفيفا واهديك الى ربك الى معرفته فتخشى لان الخشية على قدر المعرفة
قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء وروى الترمذي عن ابي
هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من خاف ادلج ومن
ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية فاراه الاية الكبرى اي فذهب
اليه فدعاه فادى فاراه المعجزة العظمى من معجزاته وهي قلب العصا ثعبانا او كل

معجزاته لانها كالواحدة في الدلالة فكذب موسى وعصى ربه ثم ادبر يسعى
اي اقبل يسعى في دفع موسى بالكيد من قولهم اقبل يفعل كذا او عبر عنه بالادبار
اشارة الى ان ذلك الاقبال كان ادبارا وعليه ادبارا او ادبر هاربا لما
انقلب العصا ثعبانا فحشر فنادى اي جمع السحرة او جنوده فنادى في مجمعه
او من امره به على انه اسناد الى السبب فقال انا ربكم الاعلى اي اعلى من
كل رب لما تقدم في الاعراف انه كان امر قومه باتخاذ الاصنام يتقربون
بها اليه فاخذه الله نكال الاخرة والاولى النكال كالسلام اسم للتنكيل اي
نكل الله به في الدنيا بالاغراق وفي الاخرة بالاحراق وعن ابن عباس رضي
عنه نكال كلمته الاولى وهي قوله ما علمت لكم من اله غيري والاخرى قوله انا
ربكم الاعلى ان في ذلك اي فيما حكى عنه وعن ماله لعبرة لمن يخشى لمن
كان من شانه الخشية ءانتم اشد خلقا الخطاب لمنكري البعث ام السماء بناها
ان الله في الصعب ثم شرع يبين كيفية ايجادها من غير اله ومعين ليدل به على
ان انكار البعث اما عناد او تعام او تقاصر ثم بناها علقها على صورة القبة
رفع سمكها اي جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مقدار خمسمائة
عام فسويها فعدلها مستوية الاجزاء مرتبة بالكواكب على ما اقتضته الحكمة واغطش
ليلها اظلمه يقال غطش الليل واغطشه الله كظلم واظلم ويقال اغطش الليل
ايضا كاظلم لازما واخرج ضحيها وابرز ضوء شمسها واضاف الليل والشمس
الى السماء لان الليل ظل السماء في الراي وان كان ظل الارض حقيقة ولانهما
يحصلان بغروب الشمس وطلوعها والارض بعد ذلك دحيها بسطها وقد سبق
الكلام في سبق خلق الارض في اوايل البقرة في قوله ثم استوى الى السماء [illegible]
عليه اخرج منها ماءها ومرعيها اي رعيها بتفجير العيون بالانبات ثم الى السكنى
منه من الاكل والمشرب او حال باضمار قد وقال بالماء والمرعى على كل ما يتعيش
به من امر المعاش والجبال ارسيها اثبتها كالاوتاد لتستقر الارض متاعا لكم
ولانعامكم لساير الحيوانات ففيه تغليب فاذا جاءت الطامة الكبرى الداهية
العظمى التي تطم على ساير الدواهي من طم الشيء علاه وعليه فالوصف للتاكيد
ولها النفخة الثانية او الساعة التي يساق الفريقان الى داري الخلود يوم
يتذكر الانسان ما سعى بدل من اذا جاءت اي يتذكر اعماله المسيئة اذا راى
الكتاب منشورا او له الذكرى وما موصولة او مصدرية وبرزت الجحيم
لمن يرى لكل راء لا يخفى على احد فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم
هي الماوى اما مع جوابه جواب اذا جاءت اي اذا جاءت الطامة فاما الطاغي
ماواه الجحيم او جواب اذا محذوف وكان كيت وكيت والمذكور بعد اما تفصيل له

واما من خاف مقام ربه اي بين يديه للحساب ونهى النفس عن الهوى
لعلمه بانه يجانب الهدى فان الجنة هي المأوى ليس له مأوى غيرها يسألونك
عن الساعة ايان مرسيها اي اقامتها من ارسى الشيء اثبته او متى
استقرارها كان مرسى السفينة استقرارها وانتهاؤها فيم انت من ذكريها
اي في اي شيء انت من ذكر الساعة لهم فان علمها من امهات الغيوب
لا يعلمه الا الله تعالى او فيم انكار لسؤالهم وانت من ذكريها ابتداء كلام
والمعنى في اي شيء هم من سؤال الساعة انت من علاماتها فانك بعثت في
نسيم الساعة والسكت في آخر الزمان فقد دنت الساعة الى ربك منتهاها
منتهى علمها انما انت منذر انما انت الا منذر من يخشيها من يخاف هولها
ولست مبعوثا لتعليمهم بوقت الساعة وعن ابن عمرو منذر بالتنوين كانهم يوم
يرونها لم يلبثوا في الدنيا او في القبور الا عشية او ضحيها عشية يوم او ضحاه كقوله
لم يلبثوا الا ساعة من نهار ولذلك اضاف الضحى اذ لو قطع لاحتمل عشية يوم
وضحى آخر فتوهم الاستمرار في ذلك الزمان الى مثله من اليوم الآخر واحتمل ايضا
ان يراد بالعشية

سورة عبس مكية وهي احدى واربعون آية

والضحى كل اليوم تجوزا
بسم الله الرحمن الرحيم عبس وتولى ان جاءه الاعمى اتفقوا على انها نزلت في ابن
ام مكتوم مؤذن رسول الله واسمه عمرو بن قيس او عبد الله بن عمرو واسم امه عاتكة
بنت عبد الله المخزومية جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده صناديد قريش
يدعوهم الى الله باستتمام فقطع عليه كلامه وكرر عليه يقول يا رسول الله علمني مما علمك الله
ولم يعلم تشاغله فعبس في وجهه واعرض عنه والمعنى عبس لان جاءه واعرض
لذلك على تنازع الفعلين وفي الوصف بالاعمى دون اسمه او وصف آخر تأكيد
للعتاب فان ذلك يناسب الاقبال والتعطف دون العبوس والاعراض وايماء
الى ان محل ضعيف في معناه كقوله لا يقضي القاضي وهو غضبان فكان بعد ذلك
يكرمه ويقول مرحبا بمن عاتبني فيه ربي وما يدريك لعله يزكى بما يسمعه منك من
اوضار الآثام والرادوني ورائه بما هو مترقب له والترجي اما راجع الى الاعمى
او الى الرسول وايثاره للدلالة على ان رجاء التزكي كاف في منع العبوس
والاعراض كيف وهو في نفسه زكي حقيقة وقيل الضمير للكافر اي وما يدريك ان ما
طمعت فيه من تزكيه كائن حتى تتشمر به والترجي لرسول الله او يذكر فتنفعه الذكرى
او يتعظ فتنفعه موعظتك وقرأ عاصم بالنصب جواب لعل المحمول على التمني وهذا يؤيد
رجوع الضمير الى الكافر الا ان يحمل في الوجه الاول على المبالغة اي كان الاعمى جديرا
بالاقبال لضعفه وان كان بعيدا حصول تزكيته اما من استغنى فانت له تصدى
تتعرض بالاقبال اليه وما عليك الا يزكى اي وليس عليك عتب في ان لا تزكى

بالاسلام

بالاسلام ان عليك الا البلاغ هذا وان كان عتابا في الظاهر لكن
فيه كمال مدح له لاهتمامه بشأن ما ارسل به وبذل جهده واما من جاءك يسعى
يسرع الى تعلم شرائع الاسلام وهو يخشى يخاف الله بقلبه فانت عنه تلهى
وهو التشاغل من لهى يلهى وتقدم الضمير في الموضعين للتقوى وجوز التخصيص
على معنى ان التصدي والتلهي انما يكون منه دون غيره لعلو مقامه كلا ردع
عن المعاتب عليه والعود الى مثله انها تذكرة فمن شاء ذكره الضمير للقرآن
والتأنيث باعتبار الخبر ولذا ذكره ثانيا والمعنى ان القرآن موعظة فمن
شاء حفظها فلا حاجة في الموعظة الى المبالغة وفيه تأكيد لما تقدم في صحف
مكتوبة فيها خبر ثان او خبر محذوف او صفة لتذكرة مكرمة عند الله لانها
كلامه مرفوعة في السماء او مرفوعة المقدار مطهرة عن ايدي الشياطين
بايدي سفرة كتبة ينسخونها من اللوح المحفوظ جمع سافر وهو الكاتب او من
السفر وهو الكشف لاظهاره المكتوب ومنه السفر لانه يكشف عن الاخلاق كرام
عند الله بررة اتقياء روى البخاري عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة قتل الانسان ما اكفره القتل
اعظم ما يخافه الانسان من الشدائد ودعاء على الانسان لارتكاب اعظم القبائح
والتعجب منه تعالى لاظهار غاية السخط من اي شيء خلقه تحقيرا له ولذلك فسره
بقوله من نطفة خلقه ولا اقذر منه فقدره فسواه وهيأه معدا بالقوى والآلات
لمصالح التكليف ثم السبيل يسره اي طريق خروجه من بطن امه بان فتح له
فم الرحم والهمه بان ينتكس فانه في البطن جالس وجهه الى ظهر امه فاذا جاء
وقت خروجه قدم رأسه واخر رجليه على صفة الغائص او ذلل له سبيل الخير ولم يكلفه
ما لا طاقة له به وفي هذا اشارة الى ان الدنيا طريق الآخرة كسبيل المارة واغتصاب
السبيل بالتيسير النظر ثم اماته فاقبره عد الموت من النعم لانه وسيلة الى النعيم
في الجنة والاخبار تشريف له لئلا يلقى كسائر الجيف يقال قبر الرجل اذا دفنه
واقبره اذا امكنه من ان يقبره ثم اذا شاء انشره للجزاء كلا ردع للانسان عما
عليه لما يقض ما امره الله به من الايمان به بعد هذه النعم وعن مجاهد لم
يقض احد من لدن آدم الى هذا الآن ما امره الله به اذ لم يخل احد من
نوع تفريط ووجه ذلك ان الضمير عائد الى مطلق الانسان المذكور في ضمن
المقيد ولذلك اعاد ذكر الانسان في قوله فلينظر الانسان الى طعامه
لان المذكور بعد يعم الكل انا صببنا الماء صبا استئناف لبيان كيفية احداث
الطعام وقرأ الكوفيون انا بفتح الالف بدل اشتمال ثم شققنا الارض شقا
بالنبات او بالحرث واسنده الى ذاته لانه السبب فانبتنا فيها حبا جنس الحبوب

وعنبا وقضبا مصدر قضبه قطع سمي به الرطبة وسمي المستمى بالقت لانها
تقطع في عام مرارا وعن الحسن كل علف يقطع وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا
متكاثفة الاوراق والعروق مستعار من وصف الرقاب بغلظ الاوداج
وانتفاخ الاعصاب مع تداخل بعضها في بعض وفاكهة وابا مرعى للدواب
كالفاكهة للانسان وعن ابن عباس رضي الله عنه كل مرعى الدواب
اب وروى ابو عبيد القاسم بن سلام ان الصديق رضي الله عنه سئل
عن الاب فقال لا اقول في كتاب الله ما لا اعلم وعن انس ان عمر
بن الخطاب تلا هذه الآية فلما وصل الى قوله وابا قال ما الاب ثم
حار وقال لعمرك يا عمر ان هذا لهو التكلف وهذا يدل على انهم كانوا طالبين
لمقاصد كلام الله تعالى والعمل بمقتضى ما علموا ولهم عن طلب اللغات شغل
شاغل وقد علموا ان الآية مسوقة للامتنان على الانسان فهم كانوا ساعين
في القيام بشكر تلك النعم متاعا لكم ولانعامكم اي المذكورات فاذا جاءت
الصاخة اي النفخة الثانية يقال صخ لحديثه واصاخ اذا استمع له وصف
النفخة به مجاز لان الناس يصيخون عندها يوم يفر المرء من اخيه وامه
وابيه وصاحبته وبنيه لاشتغاله بحاله او خوفا من مطالبتهم اياه بما قصر فيه
من حقوقهم ويؤيد الاول قوله لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه وقول
الرسل نفسي نفسي وتاخير الاحب فالاحب للترقي كانه قيل يفر من اخيه
من ابويه من صاحبته من بنيه وجوه يومئذ مسفرة مضيئة من اسفر الصبح اضاء
لسرور القلوب وقيل من الصلوة بالليل فان من تهجد استنار وجهه وقيل
من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله ضاحكة بما نالت
من الربح والفوز مستبشرة برحمة الله ورضوانه ووجوه يومئذ عليها غبرة
غبار وكدورة ترهقها قترة يعلوها سواد كالدخان ولا ترى اقبح من
سواد الوجه اذا علاه الغبار اولئك هم الكفرة الفجرة اي الموصوفون
باغبرار الوجوه واسودادها هم الذين جمعوا الى الكفر الفجور فالجزاء على وفق
العمل تمت سورة عبس والحمد لله عن كل مكروب نفس والصلوة على رسوله
بالليل عسعس وآله وصحبه سورة التكوير مكية وهي سبع وعشرون آية ما الصبح تنفس
بسم الله الرحمن الرحيم اذا الشمس كورت روى الامام ابن حنبل عن ابن
عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سره ان ينظر الى
القيمة راي عين فليقرأ اذا الشمس كورت واذا السماء انفطرت واذا السماء
انشقت والتكوير من كورت العمامة اذا لففتها والمراد اذهاب ضوئها او عينها
لان الثوب اذا اريد رفعه لف وطوي او من طعنه فكوره اي القاه لما روي ان الشمس

والقمر

والقمر يكوران في جهنم في جهنم لقوله انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم
واذا النجوم انكدرت انتثرت لقوله واذا الكواكب انتثرت وقيل اظلمت من
كدرت الماء فانكدر وهو تفسير باللازم واذا الجبال سيرت عن وجه الارض
تمر مر السحاب واذا العشار عطلت اهملت جمع عشراء وهي الناقة التي اتى
على حملها عشرة اشهر وبقي هذا الاسم بعد حملها ايضا وذلك تفسير تعطيلها بعدم
الحلب وقيل هي السحاب عطلت عن المطر واذا الوحوش حشرت من كل
اوب كما يحشر الانس والجن واذا البحار سجرت ملئت بان يفجر بعضها الى بعض
حتى تصير بحرا واحدا او احميت من سجرت التنور عن ابن عباس رضي الله عنه
اوقدت فصارت نارا وقرا ابن كثير وابو عمرو سجرت مخففا والتشديد ابلغ
واوفق بقوله زدناهم سعيرا واذا النفوس زوجت كل نفس بشكلها في الموقف
الانبياء ثم الصديقون ثم الشهداء ثم الامثل فالامثل او زوجت باعمالها وقيل
نفوس المؤمنين بالحور والكفار بالشياطين واذا الموؤدة سئلت باي ذنب قتلت
الوأد دفن الحي في القبر والغرض من سؤالها تبكيت الوائد على فعله وليس في
الآية دليل على انها في الجنة ولكن دلت الاحاديث على ان اطفال المشركين
في الجنة فهي من باب الاولى فان قلت روى سلمة بن يزيد انه سال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان امه قد وأدت اختا له في الجاهلية فقال الوائدة والموؤدة
في النار قلت معارض بما روت خنساء بنت معاوية ان عمها اخبرها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال المولود في الجنة ويحمل قوله الموؤدة في النار على ان تلك
الصبية كانت بالغة فانهم كانوا يئدون اذا صارقا منها سنة الشباب واذا
الصحف نشرت عند الحساب فانها تطوى بعد الموت وقيل هي غير صحف
الاعمال بل صحف تطير من تحت العرش فيقع صحيفة المؤمن في يده في الجنة
وصحيفة الكافر في يده في النار وقرا ابو عمرو وابن كثير وحمزة والكسائي نشرت
شددا لكثرة الصحف او لشدة التطاير واذا السماء كشطت كما يكشط الجلد من
المسلوخ واذا الجحيم سعرت اوقدت ايقادا شديدا وقرا نافع وابن ذكوان
وحفص بتشديد العين والمبالغة فيه كما في سجرت واذا الجنة ازلفت قربت
من المؤمنين كقوله وازلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذه اثنا عشرة خصلة ست منها
في الدنيا وست في الآخرة علمت نفس ما احضرت جواب اذا الشمس كورت
وما عطف عليه وهو العامل فيها والمعنى علمت كل نفس لقوله يوم تجد كل
نفس ما عملت وانما نكر لان الكلام صادر عن مقام الكبرياء اشارة الى ان
من يكون يعتبر هذه الاجرام العظام فعله يستقل النفوس الانسانية في جنب قدرته
فهي كنفس واحدة فلا اقسم بالخنس هي الكواكب لانها تخنس اي تتاخر لمغب

أو تختفي ومنه سمي الشيطان خناسا لأنه يتأخر إذا ذكر الله وقيل هي السيارة
دون الثوابت قال الفراء هي الخمسة زحل والمشتري والمريخ والزهرة وعطارد
الجوار الكنس التي تكنس أي تستتر من كنس الظبي دخل في كناسه وقيل تظهر بالليل
بعد انخناسها بالنهار والليل إذا عسعس أدبر لقول العجاج حتى إذا الصبح لها
تنفسا وانجاب عنها ليلها وعسعسا وقيل أقبل وهو من الأضداد وكلا المعنيين
حسن والصبح إذا تنفس النهار يعني أن الليل يصير كالمكروب فجعل تخلصه منه
بانكشاف الليل عنه كتنفس المكروب بعد زوال الكرب وجعل نسيم الصباح
لاشتماله على الروح كالتنفس المفرج عن القلب إنه أي القرآن لقول رسول كريم
عند الله وهو جبرائيل وكون القرآن قوله لأنه المبلغ ذي قوة أي قوة كقوله
شديد القوى عند ذي العرش مكين ذي مكانة وعز مطاع بين الملأ الأعلى
والكروبيين ثم أمين أي عند الله موصوف بالأمانة على وحي الله وتقييدا وامره
وما صاحبكم أي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجنون كما تزعمون وليس الكلام مسوقا
للموازنة والمفاضلة بين جبرئيل ورسول الله عليهما السلام حتى يستدل بتلك
الأوصاف الفاضلة على أفضليته على المرسل إليه بل مسوق لبيان حقية المنزل
ولا شك أن وصف الآتي به بتلك الصفات الكوامل يشد من أعضاده ويبلغ
شده ألا ترى في مقام الحث على اتباعه كيف جعله سراجا منيرا ورحمة للعالمين
ولقد رآه بالأفق المبين بمطلع الشمس الأعلى وما هو على الغيب أي محمد في إخباره
عن المغيبات بضنين بمتهم ولذلك تعدى إلى مفعول واحد أي لا يتهم فيما يوحى
إليه بنقص أو زيادة وقرأ نافع وابن عامر وعاصم وحمزة بالضاد وعليه الرسم
أي ليس ببخيل في تبليغ ما أوحي إليه والأول أوفق بقوله وما صاحبكم بمجنون وقوله
افترى على الله كذبا أم به جنة ونظائرها وما هو أي القرآن بقول شيطان رجيم
[illegible] وتصريح بالعلم ضمنا ونفي للكهانة والتنجيم ويقابل به رسول كريم فأين تذهبون
تشبيه عدولهم عن الحق واتباعه بالعدول عن الجادة والذهاب عنها إلى المهالك
من الفيافي والمفاوز إن هو إلا ذكر موعظة للعالمين من الثقلين لمن شاء منكم
أن يستقيم بدل من العالمين لأنهم المنتفعون بالتذكير وما تشاؤون إلا أن يشاء الله
مشيئتكم حذف لدلالة الفعل عليه رب العالمين مالكهم والمتصرف فيه فلا يكون
شيء إلا بإرادته ومقتضى مشيئته تمت سورة التكوير والحمد للواحد الخبير والصلوة على
البشير النذير وآله وصحبه سورة الانفطار مكية آيها تسع عشرة كل صغير وكبير
بسم الله الرحمن الرحيم إذا السماء انفطرت انشقت وإذا الكواكب انتثرت
تساقطت وإذا البحار فجرت فتح بعضها إلى بعض بإزالة البرزخ فصار بحرا واحدا
ثم تشقق الأرض فتبقى مستوية لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وإذا القبور بعثرت بعثت

موتاها والراء زائدة للإلحاق مبالغة مثله بحثر لفظا ومعنى علمت نفس ما قدمت
وأخرت ما قدمت من الأعمال الصالحة وما ضيعت أو ما أخرت من سنة حسنة
أو سيئة أو ما قدمت في أول عمرها وما أخرت في آخره يا أيها الإنسان ما غرك
بربك الكريم أي شيء جرأك على عصيانه وذكر الكريم للمبالغة في المنع عن الاغترار
والإشارة إلى أن الباعث على ذلك إنما كان تسويل الشيطان بأن ربك
كريم يعفو ويغفر وقيل إنما ذكر وصف الكريم من كرمه تلقينا له ليقول غرني كرمك
وهذا باطل لأن الإنسان المذكور خاص بالكافر لقوله كلا بل تكذبون وعام له
وللمؤمن لقوله إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم ولا وجه لتلقين الكافر حجة
الذي خلقك فسواك فعدلك الذي أوجدك سويا تام الخلق معتدل الأعضاء
فلا يد أطول من أختها ولا عين أوسع من نظيرتها وكذا ما يماثل من سائر الأطراف
وقرأ الكوفيون عدلك مخففا من العدل وهو الميل فكالمشدد إلا ما فيه من المبالغة
أو الصرف أي يجاوزك عن خلق سائر الحيوانات أو إلى شبه الأبوين أو إلى الطول
والقصر أو الذكورة والأنوثة في أي صورة ما شاء ركبك أي ركبك في أي صورة
اقتضتها مشيئته فما زائدة وأي للصفة فلما أريد التعميم حذف موصوفها ويجوز تعلقه
بعدلك أي عدلك في صورة وأي صورة كقولك مررت برجل أي رجل وحذف
الموصوف لزيادة التفخيم والتعجب ثم قال ما شاء ركبك أي ركبك ما شاء أي تركيبا
بديعا كلا ردع عن الاغترار بكرمه بل تكذبون بالدين إضراب إلى ما هو السبب
الأصلي في الاغترار وهو تكذيب القرآن والرسل أو وقوع الجزاء فإن قلت هذا
إنما يستقيم إذا أريد بالإنسان الكافر أما إذا كان عاما فلا قلت إذا كان
عاما يكون خطابا للكل باعتبار وجد بينهم وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون
ما تفعلون جملة حالية أي إنكم تكذبون بالجزاء والحال أن شأنه أمر خطير مع
عمله الشامل قد وكل بكم من يحفظ عليكم النقير والقطمير وأثنى على الكتبة إشارة إلى
عظم أمر الجزاء إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم اللام للعهد وهم الذين
يكذبون بيوم الدين لقوله هذا الذي كنتم به تكذبون يصلونها يوم الدين
وما هم عنها بغائبين كقوله وما هم بخارجين منها صريح في سرمدية العذاب
ثم فخم شأن الجزاء وتفخيم يومه بقوله وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك
ما يوم الدين أبهم أمره وخاطب أعلم الخلق بأنه لم يحط بكنه ذلك اليوم وكرر
ذلك وأتى بثم التراخي رتبته إشارة به إلى أنه مهما ترقى في العلم لم يبلغ ذلك ثم أجمل
بقوله يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله تقرير لشدة هوله وفخامة
أمره وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويوم بالرفع خبر مبتدأ أي يوم الدين يوم
لا يملك أو بدل كل منه ومن قرأ بالفتح بناه لإضافته إلى غير المتمكن كقول على

رضي الله عنه من اذى يومي زمن الموت اقرا يوم لمن يقدر ام يوم قدرت
سورة انفطرت والحمد لمن الاؤه تواترت والصلوة على من اياته بهرت وآله
وآله وصحبه ما غابت النجوم

سورة المطففين ايها ست وثلثون او لعت

بسم الله الرحمن الرحيم ويل للمطففين التطفيف نقص الكيل والوزن من الطفف
وهو القليل لان الذي يسرق من كيل او وزن واحد لا يكون الا قليلا وعن
الزجاج مأخوذ من طف الشيء جانبه روى النسائي وابن ماجه عن ابن
عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وهم اخبث
الناس كيلا فنزلت فاحسنوا الكيل وروى انه لما قرا الاية عليهم قال خمس
بخمس ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما انزل الله
الا سلط عليهم الفقر وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت ولا طففوا الكيل
الا اخذوا بالسنين ولا منعوا الزكوة الا حبس عنهم القطر والذين اذا اكتالوا
على الناس يستوفون اي اذا اكتالوا لانفسهم ما لهم على الناس يأخذونه كملا
واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون اي كالوا لهم فحذف الجار واوصل الفعل
او كيلهم فحذف المضاف وقيل الضمير للفصل راجع الى المطففين وليس كذلك
لان الغرض بيان اختلاف حالهم في الاخذ والاعطاء لا بيان المباشرة وعدمها
ولاستدعائه اثبات الالف بعد الواو كما في نظائره ولم يذكر الاتزان مع
الاكتيال اكتفاء به وقيل كانهم كانوا يأخذون الموزون بالمكيال ليتمكنوا من
الاستيفاء والسرقة لاحتمال ان يزعزع الكيل ويحتال في الملء بخلاف الميزان
لانه لا يفعل ذلك الا يظن اولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم صدر الكلام
بحرف التنبيه ايقاظا وذكر الظن دلالة على ان الظن كاف في الكف عن
التطفيف كيف والفاعل قاطع متيقن ووصف اليوم بالعظم لعظم ما يقع
فيه واسم الاشارة للتشنيع نحو ذلك اللعين وكل هذه التشديدات ليس
من حيث التطفيف بل لان الميزان قانون العدل الذي به قامت السموات
والارض يوم يقوم الناس لرب العالمين نصب بمبعوثون او بدل من
الجار والمجرور روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال يوم يقوم الناس لرب العالمين يغيب احدهم في رشحه الى
انصاف اذنيه كلا ردع عن التطفيف ان كتاب الفجار لفي سجين عقب ذكر
التطفيف حديث الفجار زيادة تنفير عنه والسجين فعيل من السجن وهو الضيق
سمي به الكتاب الجامع لاعمال الشياطين والكفرة لانه سبب للتضيق ولانه مطروح
في مكان مظلم تحت الارض السابعة فيقدر مضاف اي ان موضع كتاب الفجار
ونقل الواحدي باسناده ان السجين بئر مفتوح في جهنم والغرض من وصف كتابهم

بالوصف

بالوصف الشنيع تقبيح حالهم وسفالة محلهم وما ادراك ما سجين كتاب مرقوم
معلوم يعلم من رآه انه لا خير فيه او مسطور بين الكتابة وان كان اسم موضع
فالتقدير ما كتاب السجين او محل كتاب مرقوم فحذف منه المضاف ويل
يومئذ للمكذبين الذين يكذبون بيوم الدين وصف مؤكدا وذام لان اللام في
المكذبين للعهد وما يكذب به الا كل معتد متجاوز عن الحد حيث تقلد فيما لا يصح فيه
وقطع النظر عن الايات والنذر اثيم كثير الاثم منهمك في الشهوات حيث
شغله ذلك عن التفكر اذا تتلى عليه اياتنا قال اساطير الاولين من فرط جهله
وعدم تأمله لا ينفعه شواهد النقل كما لا ينفعه دلائل العقل كلا ليس الامر كما قالوا
من انه اساطير بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون الرين صدأ يعتري القلب
من تكاثر الذنوب عن الحسن هو الذنب على الذنب حتى يعمي القلب روى النسائي
عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا اذنب العبد ذنبا كانت
نكتة في قلبه فان هو نزع واستغفر صقل قلبه وان عاد ازدادت حتى يعلو
القلب فهو الرين الذي قال الله تعالى بل ران على قلوبهم كلا ردع عن الكسب
الرائن انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون تمثيل لحالهم في الاهانة بحال من استأذن
على ملك فلم يؤذن له ثم انهم لصالوا الجحيم لداخلون النار لا محالة ثم يقال
هذا الذي كنتم به تكذبون تقريعا لهم وزيادة في العذاب كلا تكرير للاول
ليعقب به وعد الابرار كما عقب به وعيد الفجار او ردع عن التكذيب ان
كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم علم كتاب
الابرار او موضع يكون فيه الكتاب جمع علي في الاصل من العلو سمي به لانه سبب
العلو والارتفاع في الجنة او لانه مرفوع الى السماء السابعة يشهده المقربون الكروبيون
يحفظونه من المعارف او يشهدوا على ما فيه يوم القيمة ان الابرار لفي نعيم على
الارائك ينظرون على الاسرة في الحجال ينظرون الى ما شاؤوا مد ابصارهم مما تستلذه
الاعين تعرف في وجوههم نضرة النعيم بهجة التنعم ورونقه كما ترى في وجوه اهل الثروة
والملوك في الدنيا يسقون من رحيق من شراب الخمر مختوم لئلا يبتذل لاياديهم ختامه
مسك مكان الطينة في اباريق الملوك وهذا غاية الاكرام وقرأ الكسائي وخاتمه
بفتح التاء وهو ما يختم به كالاول وقيل معنى الاول ان المسك يسري الى آخره
وفي ذلك فليتنافس المتنافسون فليرتغب المرتغبون ومزاجه من تسنيم اسم عين
في الاصل مصدر سنمه اذا رفعه اما لانها ارفع شراب في الجنة او لانها تجري في الهواء
متسنمة فتنصب في اوانيهم عينا يشرب بها المقربون صرفا لانهم لم يشتغلوا الى غير
طاعة الله تعالى ولم يشتغلوا بسمهم بغيره وانتصاب عينا على المدح او الحال من
تسنيم والباء في بها مزيدة او بمعنى من ان الذين اجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون

هم ابو جهل واضرابه كانوا اذا راوا صهيبا وبلالا وعمارا وسائر الفقراء يضحكون
استهزاء بهم واذا مروا بهم يتغامزون يشير بعضهم الى بعض بالعين والحاجب
استحقارا واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين مستلذين اشرا وبطرا بما هم فيه
من الحطام وبما فيه من فقراء الصحابة رضي الله عنهم من التفكه والاذى وقرا
حفص فكهين مقصورا او التذاذا لوجود ذلك وقت الانقلاب والرسم على القصر
واذا راوهم قالوا ان هؤلاء لضالون طريق الرشاد في اتباع محمد وترك دين
الاشياخ وما ارسلوا عليهم حافظين موكلين بهم حتى يقولوا فيهم بالضلال والرشد
رد منه تعالى عليهم او هو كلام الكفار لهم اذا دعوهم الى الايمان وكان الظاهر
وما ارسلوا علينا حافظين الا انه سلك طريقة الغيبة كقولك قال زيد ليفعلن كذا
فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون بدل ما كانوا يضحكون منهم في الدنيا على
الارائك ينظرون حال من يضحكون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون المخاطب
هم المؤمنون على الارائك اذا نظروا الى الكفار في جهنم زيادة في سرورهم وانه
تعالى قد كافاهم والتثويب الاثابة استعمل في العذاب تهكما والاستفهام للتقرير
تمت سورة التطفيف والحمد للكريم اللطيف والصلوة على الرسول الشريف وآله وصحبه

سورة الانشقاق مكية وهي الفصل المنيف وآيها خمس وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم اذا السماء انشقت اي بالغمام وتنزل فيه ملائكة العذاب
كقوله يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا وعن علي رضي الله عنه تنشق
من المجرة واذنت لربها واستمعت له من الاذن وهو الاستماع والمعنى انها اطاعت
لما اريد منها من الانشقاق اطاعة المأمور اذا ورد عليه امر من الآمر المطاع وحقت
وكانت محقوقة جديرة بالاطاعة لورود امر القادر المقتدر الذي لا يتأبى عليه مراد
والجواب محذوف ليذهب المقدر كل مذهب او اكتفاء بما علم في سورتي التكوير
والانفطار وقيل الجواب ما دل عليه فملاقيه اي اذا وقع ذلك لاقى الانسان كدحه
او فملاقيه على ان يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا اعتراض واذا
الارض مدت عن ابن عباس مد الاديم العكاظي لا ترى فيها عوجا ولا امتا او
هو من المد وهو الزيادة اي زيدت سعة وبسطا والاول اظهر اذ ايجاد اجزاء اخر مضافة لم يشهد له
خبر ولا اثر والقت ما فيها من الاموات والكنوز وتخلت غاية التخلي لدلالة
التفعل على التكلف كانها كلفت ان تبلغ في ذلك غاية الجهد واذنت لربها
وحقت في القائها ما في بطنها وتخليها والتكرار لان الاول في السماء وهذا في
الارض يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه الكدح الجد
والجهد في العمل والضمير في ملاقيه للرب اي لا مفر لك منه او للكدح اي ملاق
جزاءه كما في الحديث ايها الناس اعمالكم ترد اليكم ثم فصل ذلك بقوله فاما من

اوتي

اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا سهلا من غير مناقشة تشق عليه
روى الشيخان وابو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ليس احد يحاسب الا عذب قلت اوليس الله يقول
فاما من اوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا قال ذلك العرض ومن
نوقش في الحساب هلك وعنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم حاسبني حسابا يسيرا قلت يا رسول الله ما الحساب اليسير قال ان ينظر
في كتابه فيتجاوز له عنه وينقلب الى اهله الى عشيرته او الى فريق المؤمنين او
الى اهله في الجنة من الحور والولدان مسرورا فرحا واما من اوتي كتابه وراء
ظهره تغل يمناه الى عنقه وتثنى شماله الى وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا اي
يدعو بالويل والهلاك ويصلى سعيرا وقرا نافع وابن كثير وابن عامر والكسائي
بضم الياء وفتح الصاد وتشديد اللام من التصلية كقوله وتصلية جحيم معدى الى
مفعولين انه كان في اهله مسرورا اشرا وبطرا بالمال والجاه لا يخطر باله امر
الآخرة انه ظن ان لن يحور تعليل لذلك السرور بلى ايجاب بعد النفي لن
اي ليحورن لا محالة والحور هو الرجوع وفي الحديث نعوذ بالله من الحور
بعد الكور اي الرجوع عن الدين بعد الدخول فيه ان ربه كان به بصيرا مجازيا
على اعماله فلا اقسم بالشفق وهي الحمرة بعد مغيب الشمس وعن ابي حنيفة هي البياض
وروى اسد بن عمرو انه رجع عن ذلك مأخوذ من الشفقة لرقته والليل وما
وسق وما احاط به الليل من الكائنات من الوسق وهو الجمع والقمر اذا
اتسق انتظم واجتمع نوره اذا كان بدرا لتركبن طبقا عن طبق اي حالا
متجاوزا عن الاخرى في الشدة وهي الموت وما بعده من الاهوال والطبق
ما طابق غيره اي وافقه ومنه اطباق الثرى والطبق الغطاء وقرا ابن كثير
وحمزة والكسائي بفتح الباء على انه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعده
بالاسراء اي لتسلكن اطباق السموات في المعراج او لكل احد من افراد
الانسان نظرا الى لفظه اي لفظ الانسان فانه مفرد فما لهم لا يؤمنون بالبعث
بعد ظهور دلائله واذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون لا يخضعون اكرامه
لدلالة اعجازه على انه كلام الله واستدل به ابو حنيفة رحمه الله على وجوب
السجود لان الذم لا يكون الا على ترك الواجب روى مسلم والبخاري عن
ابي هريرة رضي الله عنه انه سجد فيها وقال سجدت خلف ابي القاسم فلا ازال
اسجد بها حتى القاه وقيل قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم واسجد
واقترب فسجد وسجد معه المؤمنون فصفق المشركون وتغامزوا فنزلت
بل الذين كفروا يكذبون بالقرآن والدليل انما ينفع المسترشد والله اعلم بما يوعون

بالنقيض وهو مثل الكفر والرذائل او بما يجمعونه في صحائف اعمالهم فبشرهم بعذاب
اليم تهكم بهم الا الذين امنوا وعملوا الصالحات استثناء منقطع او متصل
بتقدير المضاف اي منهم لهم اجر غير ممنون مقطوع او مشوب بالمنة تمت سورة
الانشقاق والحمد لله الواحد الخلاق والصلوة على الكامل بالاتفاق واله وصحبه

سورة البروج مكية وايها الى يوم التلاق ثنتان وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم والسماء ذات البروج هي البروج الاثني عشر المشهورة
الاقسام بها لان سير الشمس فيها وبه نيط نظام العالم السفلي او منازل القمر
لان تلك البروج منقسمة الى ثمانية وعشرين منزلا او الكواكب العظام او
ابواب السماء فان النوازل تظهر منها واصل التركيب للظهور ومنه تبرج
المرأة واليوم الموعود يوم القيمة وشاهد ومشهود وعن ابي هريرة وابي
مالك الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الشاهد يوم الجمعة والمشهود
يوم عرفة وكذا عن سعيد بن المسيب وعن ابن عباس رضي الله عنه الشاهد
محمد والمشهود يوم القيمة وعن سعيد بن جبير الشاهد هو الله والمشهود يوم القيمة
قتل اصحاب الاخدود قيل جواب القسم اي اقسم ان قريشا لملعونون
احقاء بان يقال فيهم قتلوا كما قتل اصحاب الاخدود وقيل المذكور هو الجواب
والاول هو الوجه لان الكلام مسوق لتصبير المؤمنين وتهديد المشركين كما دل
عليه اخر السورة والاخدود جمع خد وهو الشق وفي الحديث انهار الجنة تجري
في غير اخدود والقصة على ما رواها مسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر انه
كان فيمن كان قبلكم ملك كان له ساحر فلما كبر سأل الملك ان يدفع اليه
غلاما ليعلمه السحر فدفع اليه غلاما وكان في طريق الغلام راهب على ملة عيسى
فسمع الراهب واعجبه كلامه فانقطع من الساحر الى الراهب فكان يضربه
الساحر لانقطاعه فقال له الراهب اذا قال لك الساحر ما حبسك عني
قل حبسني اهلي واذا سألك اهلك قل حبسني الساحر ثم يوما على دابة عظيمة
في الطريق قد حبست الناس فاخذ حجرا فقال اللهم ان كان امر الراهب
احب اليك من الساحر فاقتل هذه الدابة فرماها فقتلها فاخبر الراهب
فقال انك افضل مني وستبتلى فلا تدل علي فشرع الغلام يبرئ الاكمه والابرص
وكان جليس الملك قد عمي فاتى الغلام باموال وقال اشفني قال الشافي
هو الله فان امنت به دعوت الله فشفاك فامن فدعا الغلام فشفاه الله
فلما حضر الملك قال من رد عليك بصرك قال ربي قال انا قال لا ربي وربك الله
فاخذه ويعذبه حتى دل على الغلام فلما اتي به قال بلغ من سحرك انك تبرئ
الاكمه والابرص قال الشافي هو الله قال اولك رب غيري قال ربي وربك الله

فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب فقال للراهب ارجع عن دينك فلم يرجع
فوضع المنشار على راسه فشقه ودفع الغلام الى جماعة فقال اصعدوا به الى ذروة
شاهق فالقوه فلما علوا به الجبل فقال اللهم اكفنيهم فرجف بهم الجبل فهلكوا الا
اخر منهم فرجع الغلام سالما فسأله الملك عن القوم فقال هلكوا فدفعه الى نفر
وقال اجعلوه في قرقور فاذا توسطتم البحر فالقوه في البحر فلما توسطوا البحر قال
اللهم اكفنيهم فغرقوا ورجع الغلام الى الملك فقال ما فعل اصحابك قال غرقوا
ثم قال للملك انك لا تقدر على قتلي الا اذا فعلت ما امرك به اجمع الناس في
صعيد واحد واصلبني وخذ سهما من كنانتي وقل بسم الله رب الغلام فانك اذا
فعلت ذلك قدرت على قتلي ففعل ذلك فقتل الغلام فقال الناس امنا برب
الغلام فامر بافواه السكك فخدت اخاديد واضرمت فيها النيران وقال
من رجع عن دينه فدعوه فكانوا يتعادون ويتدافعون الى النار رغبة في الموت
على الدين فجاءت امراة تحمل رضيعا فتقاعست فقال لها الرضيع يا اماه اصبري
فانك على الحق فالقت نفسها مع الصبي وعن علي انهم حين اختلفوا في احكام
المجوس قال هم اهل كتاب وكانوا متمسكين به فشرب بعض ملوكهم الخمر ووقع
على اخته فلما صحا ندم وطلب المخرج فقالت اخته المخرج ان تخطب وتقول في الخطبة
ايها الناس ان الله قد احل نكاح الاخوات ثم بعد ذلك تخطب وتقول ان الله
قد حرم ذلك فخطب فلم يقبلوا منه فبسط فيهم السوط فلم يقبلوا فقالت ابسط فيهم
السيف ففعل فلم يقبلوا فامرته بالاخدود وايقاد النار والقاء من ابى فيها
وروى ابن اسحاق ان رجلا عالما من عالم النصارى وقع بنجران فدعاهم الى
دين عيسى فامنوا به فسار اليهم ذو نواس اليهودي من بلاد اليمن فخيرهم بين
النار واليهودية فابوا فاحرق منهم اثني عشر الفا وقيل سبعين ونجا منهم رجل
فلحق بقيصر فكتب قيصر الى ملك الحبشة بنجدة على قتال ذي نواس ونصر دين عيسى
فارسل النجاشي جيشا اميرهم ارباط فهزم ذا نواس اليهودي حتى دخل البحر في
سفينة وغرق فيها واستمر ملك اليمن في يد الحبشة سبعين سنة حتى استنقذه سيف
بن ذي يزن من ابناء تبع وهو الذي اخبر عبد المطلب بشان رسول الله وصفاته
النار ذات الوقود النار بدل اشتمال وذات الوقود صفة لها بالعظمة وكثرة
الوقود من الحطب والناس قيل كان طول الاخدود اربعين ذراعا في عرض
اثني عشر اذ هم عليها قعود ظرف لقتل اي لعنوا حين احدقوا بالنار قاعدين
حولها وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود يشهد بعضهم لبعض عند الملك بانه
سعى في احراقهم ولم يقصروا ويشهدون يوم القيمة على انفسهم يوم يشهد عليهم السنتهم
وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد اي وما عابوا منهم الا افضل

المناقب واحسن الخصال وهو الايمان بمن هذا صفاته من كونه غالبا على كل شيء
منعما محمودا على نعمه كقوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب
الذي له ملك السموات والارض والله على كل شيء شهيد اتماما للمطلب للدلالة
على ان شمول العلم شان الالوهية ومن لوازمها ان الذين فتنوا المؤمنين
والمؤمنات ثم لم يتوبوا يشمل اصحاب الاخدود وغيرهم فلهم عذاب جهنم
بكفرهم ولهم عذاب الحريق نار اخرى عظيمة تتسع بهم كما تتسع الحريق بفتنتهم
وقيل هم اصحاب الاخدود ولما روى ان النار انقلبت عليهم فاحرقتهم ان
الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات تجري من تحتها الانهار ذلك الفوز
الكبير الذي يستحقر ملك الدنيا ودونه ان بطش ربك لشديد البطش هو الاخذ
بالشدة والعنف فاذا وصف بالشدة زاد زيادة مبالغة ثم قرر ذلك بقوله انه هو
يبدئ ويعيد ومن هذا شانه يكون بطشه وانتقامه من اعدائه في نهاية الشدة
وقيل يبدئ البطش في الدنيا ويعيده في الآخرة وهذا يلايم ما قيل ان النار
انقلبت على اصحاب الاخدود وهو الغفور للذنوب الودود لمن تاب ذو العرش
خالق العرش وكني به عن الملك المجيد خبر رابع لهو ومجد الله عظمته وكبريائه
وقرا حمزة والكسائي بالجر صفة العرش والمراد به عظمة جرمه او اتساع الملك
دلالة على كمال الاقتدار والرفع اولى لكونه غالبا في صفاته تعالى فعال لما يريد
لا يتابى عليه مراد خبر مبتدا محذوف للدلالة على تحقق الوصفين البطش بالاعداء
والمغفرة والوده للاولياء ولو جعل خبر هو المذكور فاتت ولا يخفى ما في التنكير
وزيادة اللام من الفخامة هل اتيك حديث الجنود فرعون وثمود ابدلهما
عن الجنود لان المراد فرعون وملاؤه وضم ثمود اليه دون غيرهم لقرب بلادهم
ورعاية للفاصلة والمعنى قد احطت على تكذيبهم وما حاق بهم فتسلية له وتهديد
لقومه بل الذين كفروا في تكذيب في الاضراب دلالة على ان حال هولاء
اعجب من اولئك فانهم سمعوا باخبارهم وشهدوا آثارهم وهم مستغرقون
في التكذيب والله من ورائهم محيط علما وقدرة لا يفوته احد جملة معترضة بل هو
قرآن مجيد اي ما كذبوا به قرآن شريف معجز في الاضراب ترق واشارة
الى ان تكذيبه خارج عن ساير انواع التكذيب في لوح محفوظ عن جمهور الملائكة
لا يطلع عليه الا بعض المقربين فكيف يكون كذبا سورة الطارق مكية
وآيها سبع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم والسماء والطارق
وما ادريك ما الطارق من الطرق وهو القرع والدق اطلق على الآتي بالليل
لانه يحتاج الى دق الباب والمراد به الكوكب لظهوره بالليل النجم الثاقب
ابهمه اولا ثم فسره واظهار الفخامة شان المقسم به والثاقب المضيء كانه يثقب

الظلام

الظلام بنوره ان كل نفس لما عليها حافظ ان هي المخففة واللام الفارقة
وما مزيدة اي ان الشان كل نفس عليها حافظ وقرا ابن عامر وعاصم
وحمزة لما بتشديد الميم بمعنى الا على ان ان نافية والجملة جواب القسم فلينظر
الانسان مم خلق اي لما ثبت ان عليه حافظا فلينظر في نفسه فانها اقرب
الاشياء اليه وكيفية تكونها فان ذلك النظر يوصله الى الحافظ التحقيق
ويعرفه انه لم يخلق سدى خلق من ماء دافق ذي دفق ونسبه كلابن
وتامر او اسناد مجازي وصف بوصف صاحبه يخرج من بين الصلب
والترائب اي صلب الرجل وترائب المراة موضع القلادة او ما بين ثدييها
كذا عن ابن عباس رضي الله عنه جمع تريبة ولا ينافي قول الاطباء انه يتولد من
جميع اجزاء البدن بعد الهضم الرابع فياخذ من كل عضو ما يستعد لان يكون
عضوا مثله لانه مع الاقتصار على الاعضاء التي هي اصول للتولد وذلك
ان الترائب يشمل القلب والكبد والكل والصلب الدماغ لاتصال النخاع
بالدماغ وينزل من الدماغ شعب الى مقدم البدن وهي الترائب على ان
كلامهم مبناه على الاوهام والظنون وكلام الله تعالى لما لا ياتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه انه اي الله تعالى فخيم او لا يترك الفاعل في مم خلق ثانيا
بالاضمار لعدم ذهاب الوهم الى الغير على رجعه لقادر اي على اعادة الانسان
وقيل الضمير للماء اي يقدر على رجعه الى مخرجه يوم تبلى السرائر منصوب
برجعه والفاصل ليس باجنبي لانه متعلق المجاز اي يكشف ويظهر جمع سريرة
وهي ما اخفي من العقائد والاعمال فما له من قوة ولا ناصر من منعة في
نفسه ولا من غيره والسماء ذات الرجع ذات المطر سمي رجعا تفالا او
لان الله يرجعه وقتا وقتا او لان العرب تزعم ان السحاب يحمل من
بحار الارض ثم ترجعه الى الارض والارض ذات الصدع النبات والشق
بالنبات والعيون انه اي القرآن او ما اخبر به من الاقتدار على الاحياء
والاول اولى لتناوله هذا وغيره لقول فصل حد فاصل بين الحق والباطل
وما هو بالهزل في شيء بل جد كله انهم اي اهل مكة يكيدون كيدا يجتهدون
في نصب المكايد واطفاء نوره ويسمونه شعرا وسحرا وكهانة واكيد كيدا باقامة
النعم عليهم والعاقبة في مقابلة ذلك استدراجا ليزدادوا فمهل الكافرين
اي الوقت المضروب لهم في علمه تعالى امهلهم رويدا امهالا يسيرا كرر مبالغة
في التسكين والتصبير وخالف لانه اوكد من مجرد التكرار تمت سورة الطارق
والحمد للخالق والصلوة على الكامل الصادق وآله وصحبه ما بلغ شارق
سورة الاعلى مكية وهي تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم سبح اسم ربك

الخطاب عام او له وامته تبع وكما يجب ان ينزه ذاته عما لا يليق به من
الاوصاف فكذا الاسماء الدالة عليه تحمل على معاني الكمال والجلال ويصانها
عن التاويلات الزائغة وان لا تذكر الا على وجه التعظيم تادبا بادب الله
الا ترى الى قوله ولله الاسماء الحسنى كيف يرشد الى ذلك الاعلى الاولى
جعله صفة للاسم ويجوز ان يكون وصفا للرب عن عقبة بن عامر لما نزل فسبح
باسم ربك العظيم قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم اجعلوه في ركوعكم
فلما نزل سبح اسم ربك الاعلى قال اجعلوه في سجودكم الذي خلق فسوى خلق
كل شيء فسواه بان جعل له ما يتاتى كماله ويتم معاشه والذي قدر الاشياء
اجناسا وانواعا واشخاصا فهدى بنصب الدلائل والارسال الرسل وانزال
الايات قرأ الكسائي قدر مخففا من القدرة والتشديد ابلغ واوفق بسائر الايات
والذي اخرج المرعى النبات الذي ترعاه الدواب فجعله غثاء احوى حطاما
اسود بعد خضرته ورقته والاولى احوى حالا من المرعى اي اخرجه اسود من شدة
الخضرة والفاصل بين الحال وصاحبها ليس اجنبيا وفي تقدمه اشارة الى سرعة
طريان الجفاف كانه قبل ان يتم رقيه يصير غثاء سنقرئك فلا تنسى كانه
لما امر بتنزيه اسمه خالج قلبه خوف النسيان فبشره تعالى بالكمال قوة الحافظة
بان لا ينسى شيئا الا ما شاء الله نسيانه ولا باس عليه في ذلك وفي الحديث
انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت فذكروني او الا ما شاء الله نسيانه برفع
تلاوته وحكمه وقيل نفي النسيان راسا وقيل نهي والالف للفاصلة انه يعلم
الجهر وما يخفى وقد علم خوفك من النسيان ولذلك ازاله عنك او عالم بالاحوال
ولذلك تنسى ما فيه حكمة ومصلحة ويعلم جهرك في القراءة مع جبرئيل مخافة
فوت شيء منه فلذلك ضمن لك حفظه ونيسرك لليسرى نوفقك للطريقة
التي هي ايسر الطرق وهي الشريعة التي لا اصر فيها ولا اغلال كما قال عليه السلام
جئتكم بالحنيفية السمحة لو كان ابن عمران حيا لما وسعه الا اتباعي عطف على
سنقرئك وقوله انه يعلم الجهر وما يخفى اعتراض فذكر اشتغل بالتذكير
بعد امنك من النسيان ان نفعت الذكرى كان مامورا بالتبليغ والدعوة
نفعت الذكرى او لم تنفع فلما دعاهم وبلغ في ذلك اقصى جهده حتى قال له
لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين اشار الى استبعاد النفع فيهم كانه قال
افعل ما امرت به لتوجر وان كانوا اهل الطبع او المعنى ذكر المؤمنين واعرض
عن سواهم فان الذكرى تنفع المؤمنين يؤيده قوله سيذكر من يخشى يخشى الله
فانه يتفكر في الايات ويتعظ بالمواعظ ويتجنبها الاشقى اي الكامل في الشقاوة
وهو الكافر وافعل للزيادة المطلقة لدخول الفاسق في السعداء في قوله فمنهم شقي

والسعيد

والسعيد الذي يصلى النار الكبرى نار جهنم في مقابلة النار الصغرى وهي نار
الدنيا او الدرك الاسفل ثم لا يموت فيها فيستريح ولا يحيى حيوة طيبة ثم
للدلالة على ان كونه لا ميتا ولا حيا افظع من صلي النار روى مسلم عن
ابي سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل النار الذين لا يريد الله
اخراجهم لا يموتون فيها ولا يحيون والذين يريد اخراجهم يميتهم فيها اماتة
ثم يخرجون فيلقون في انهار الجنة قد افلح من تزكى تطهر من اوضار الشرك
والمعاصي او تكثر من صفات التقوى او تطهر للصلوة او ادى الزكوة
والرواية تحث على ان المراد زكوة الفطر لا تصح لان السورة مكية ولا عيد بها
ولا فطر والاوجه حمله على التزكي في الاعمال والاخلاص فيها لقوله ومن
تزكى فانما يتزكى لنفسه وذكر اسم ربه فصلى والدلالة فيه على تكبيرة الافتتاح
ليستدل به على خروجها عن الصلوة وجواز قيام سائر الاذكار مقام التكبير
بل تؤثرون الحيوة الدنيا الخطاب عام او خاص باهل مكة والمضرب عنه
قد افلح او ذكر اي تؤثرون الحيوة الدنيا على الفلاح او التذكر وقرأ ابو عمرو
بالغيبة باعتبار الاشقى اذ لم يرد به معين والخطاب اولى لقول ابن مسعود
رضي الله عنه عجلت لنا الدنيا فآثرناها ولقرآءة ابي بل انتم تؤثرون الحيوة
الدنيا وفيه اشارة الى قلة النفوس الكمل على الاسلوب وقليل من عبادي الشكور
والاخرة خير وابقى اذ نعم الدنيا لا تتدارك نعم الاخرة الا في الاسم مع سرعة
زوالها ان هذا لفي الصحف الاولى المشار اليه جميع ما في السورة او قد
افلح من تزكى او خير وابقى والاول اعم والاصح لما روى النسائي عن ابن
عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كلها صحف ابراهيم
وموسى وروي عن ابي ذر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انزل الله
تعالى مائة واربعة كتب على آدم عشر صحايف وعلى شيث خمسين وعلى
ادريس ثلثين وعلى ابراهيم عشرا والتورية والزبور والانجيل والفرقان
تمت سورة الاعلى والحمد لمن له الاسماء الحسنى والصلوة على صاحب المعراج والآل
وآله وصحبه اولي الفضايل والتقى

سورة الغاشية مكية وهي ست وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم هل اتيك حديث الغاشية اي القيمة لانها تغشى
الناس باهوالها او فزاعها وجوه يومئذ خاشعة ذليلة عاملة ناصبة عملت
في الدنيا وتعبت بلا نفع وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا او عاملة
في النار بجر السلاسل والاغلال ناصبة في الصعود والهبوط في جبال النار ووديانها
وقيل هؤلاء نساك اليهود والنصارى اصحاب الصوامع كانوا يحسبون انهم
يحسنون صنعا تصلى نارا حامية تدخلها وقرأ ابو عمرو وابو بكر بضم التاء على بناء المفعول

من اصليه او خلقة النار وهو ابلغ واوفق بقوله تسقى حامية في غاية الحرارة
لان النار لا يكون الا حارة تسقى من عين آنية متناهية ليس لهم طعام
الا من ضريع جنس من الشوك ترعاه الابل مادام رطبا فاذا يبس تحامته
وهو سم قاتل ولا ينافيه الا غسلين لاختلاف طبقات الاكلة فبعضهم الغسلين
وبعضهم الضريع وبعضهم الزقوم او بحسب الاوقات كالماكولات الدنيا في
كل فصل يوكل ما يلائمه جزاء على ما كانوا فيه من التنقل في اللذات لا يسمن
ولا يغني من جوع مرفوع المحل او مجروره على وصف طعام او ضريع اي
مع ما تقاسون منه في التناول لم تترتب فايدة الاكل لان الغرض منه
احد الامرين وجوه يومئذ ناعمة ذات بهجة ورونق كقوله تعرف في
وجوههم نضرة النعيم ولم يعطف الوجوه على الوجوه عطف احد الضدين
على الآخر كان الاتيان بها على وجه الاعتراض استطرادا لسعيها راضية
لما رأت من ثوابها في جنة عالية علو المكان او المقدار لا تسمع فيها
في المخاطبة او الوجوه لاغية كلمة ذات لغو او لغوا او نفسا تلغو فان
كلام اهل الجنة ذكر وحكم فيها عين جارية اي عيون كثيرة كقوله علمت
نفس وقيل التنكير للتعظيم فيها سرر مرفوعة سمكا او قدرا واكواب اباريق
لا عرى لها موضوعة عن حد الكبر اي اوساط معتدلة او موضوعة بين
ايديهم لا يحتاجون الى الطلب او على حافات العيون لانها الذ منظرا كي يتعاطاها
اهل الشرب في مجالسهم ونمارق جمع نمرقة بضم النون والراء وكسرهما وهي
الوسادة مصفوفة بعضها الى بعض ليجلس حيث اختار كما يفعله الملوك في قصورهم
ليلا يحتاجوا الى النقل وزرابي بسط عراض فاخرة وقيل ما فيه خمل رقيق
جمع زربية مبثوثة مبسوطة او مفرقة في المجالس افلا ينظرون الى الابل كيف
خلقت عادوا الى ما افتتح به السورة من ذكر القيامة واهوالها ولما كان الكلام
مع العرب وجل مالهم من الابل ولم يزل مخيلتهم مشحونة بتخيل الماء والمرعى
فلما انتظم فيها لهم الابل والمطر النازل من السماء المنبت في الجبال والارض
الكلاء انتظم الذكر على نحو ما انتظمه ذلك الخيال وفي خلق الابل واعطائها
واخلاقها من التحمل على المشاق وسرعة الانقياد مع عظم الجثة ما يقضي
منه العجب حكى بعض الثقات ان قطارا منها انقدت فوجدوها قد اخذ
فارة بحبل خطامها فدخلت به بيتها فتبعتها قال بعض الادباء اروت ان
الف كتابا في شرح حلقها فتصورت ان لو نعت جاء مجلدا والى السماء كيف
رفعت بلا عمد والى الجبال كيف نصبت نصبا راسخا لا تميل ولا تزول في تلك
المدة المتطاولة والى الارض كيف سطحت حتى صارت مهادا واسهل التقلب

عليها

عليها فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمسيطر بمتسلط كقوله وما انت عليهم بجبار
روى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوا عصموا دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى ثم قرا انما انت مذكر لست عليهم
بمسيطر قرا خلف عن حمزة باشمام الصاد زايا وخلاد وجهان الصاد الخالصة
والاشمام وهشام بالسين وهو الاصل والباقون بالصاد وعليه الرسم
الا من تولى وكفر استثناء منقطع اي لكن من اعرض وكفر فيعذبه الله العذاب
الاكبر عذاب الحريق في جهنم وقيل متصل فان الجهاد مع الكفار تسلط عليهم
وقيل استثناء من فذكر اي فذكر الا المعرض الكافر وما بينهما اعتراض ان
الينا ايابهم رجوعهم ثم ان علينا حسابهم لا محالة سبق به الوعد وفيه تسلية
له وتهديد لهم تمت سورة الغاشية والحمد على نعمه الوافرة الوافية والصلوة على
من شفاعته كافية وعلى آله وصحبه حياة وزاكية

سورة الفجر مكية وآيها تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم والفجر هو الصبح اقسم به كما اقسم به في قوله والصبح اذا تنفس
وعن عكرمة ومحمد بن كعب هو فجر يوم النحر وقيل بتقدير المضاف اي وصلوة
الفجر وليال عشر عشر ذي الحجة قاله ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما روى
البخاري عن ابن عباس مرفوعا ما من ايام العمل الصالح احب الى الله فيهن
من عشر ذي الحجة قالوا ولا الجهاد يا رسول الله قال ولا الجهاد الا رجل خرج
بماله ونفسه ثم لم يرجع بشيء منهما وانما لم يعرف الليالي العشر لانها ليال
مخصوصة فلو عرفت كانت اللام للعهد فلم يجانس السابقة واللاحقة والشفع والوتر
الاشياء كلها او الخلق لقوله ومن كل شيء خلقنا زوجين وقد اكثروا القول
في المحتملات ولا طايل تحته وقرا حمزة والكسائي الوتر بكسر الواو وهما لغتان
والفتح اخف وهو مصدر وترحقه بالكسر لا غير والليل اذا يسر اذا انقضى ومضى
كقوله والليل اذ ادبر اثبت ياءه ابن كثير في الحالين ونافع وابو عمرو في
الوصل وحذفه الباقون اكتفاء بالكسرة هل في ذلك قسم لذي حجر اي هل في
الاشياء المذكورة ما يحق عنده ان يكون مقسما به او هل في الاقسام بها اقسام
له وعلى الوجهين اريد تعظيم المقسم به ويلزم منه توكيد المقسم عليه والاستفهام
للتقرير والحجر العقل لانه يمنع صاحبه عن ارتكاب ما لا ينبغي كما سمي عقلا ونهية
لذلك وجواب القسم محذوف اي ليعذبن دل عليه قوله فصب عليهم ربك
سوط عذاب الم تر كيف فعل ربك بعاد الم تعلم والخطاب عام وكان سندا
متواترا عند العرب وعاد هو ابن عوص بن ارم بن سام بن نوح سمت اولاده
عادا كما يقال لبني هاشم هاشم ارم ذات العماد ارم عطف بيان لعاد وذلك

إن أولاد إرم سموا عاداً الأولى وقيل إرم بلدتهم وعلى الوجهين منع الصرف
للعلمية والتأنيث وإنما وصفوا بذات العماد لكونهم أهل خيام يسكنون البوادي
أو لطول قامتهم روي أن الرجل منهم كان أربعمائة ذراع فشبهت قدودهم
بالأعمدة والظاهر أن إرم اسم بلدة وذات العماد صفتها لما تواتر وكثر
في الأشعار ذكرها وقصتها أن عاداً كان له ابنان شداد وشديد فملكا الأرض
وقهرا الملوك ثم مات شديد واستقل شداد بالملك ملك الدنيا بأسرها
بلا منازع فسمع بذكر الجنة وكان عمره ذاك ستمائة سنة فبنى مدينة عظيمة
قصورها من الذهب والفضة وأساطينها من اليواقيت والزبرجد في مدة
ثلثمائة سنة وفيها الأشجار والأنهار المطردة وكان بأرض عدن فلما تم
بناؤها سار إليها بعسكره ليتمتع بتلك القصور والأنهار فلما كان بينه وبين
المدينة مسيرة يوم وليلة صاح بهم ملك صيحة فهلكوا عن آخرهم وحكي أن عبد الله
بن قلابة خرج في طلب إبل له فاتفق دخوله فيها فحمل ما قدر عليه وأتى به معاوية
وأخبر الخبر والله أعلم التي لم يخلق مثلها في البلاد صفة أخرى لإرم وهذا أيضاً
يؤيد أنها اسم البلدة إذ لو كان اسم القبيلة لكان المناسب لم يخلق مثلهم في
العباد وثمود الذين جابوا الصخر بالواد أي قطعوا الصخور واتخذوا منها بيوتاً
كقوله وتنحتون من الجبال بيوتاً قيل نحتوا من الجبال ألفاً وسبعمائة مدينة بالوادي
وادي القرى أثبت البزي وقنبل في أحد وجهيه الياء في الحالين وورش وقنبل في
الوجه الآخر في الوصل وحذفها الآخرون وفرعون ذي الأوتاد وسمي به لكثرة
جنوده إما لأن الجنود كالأوتاد والأمير على التشبيه أو لكثرة خيامهم أو لأنه كان
يعذب بالأوتاد وهذا أشهر الذين طغوا في البلاد صفة المذكورين من عاد
وثمود وفرعون مرفوع أو منصوب فأكثروا فيها الفساد تفسير لطغيانهم
فصب عليهم ربك سوط عذاب الإضافة بمعنى من أي سوطاً منه والمراد تعليل
ما أصابهم في جنب عذاب الآخرة ولذلك روي عن الحسن أنه لما تلاها قال
إن عند الله أسواطاً كثيرة وقيل ما خلط منه وذكر السوط كناية عنه والأول أوفق
بسائر الآيات والشد تهويلاً إن ربك لبالمرصاد مفعال من رصده إذا ترقبه
كناية عن عدم الفوت فأما الإنسان متعلق بقوله إن ربك لبالمرصاد وكأنه
قيل إن الله تعالى يرصد العصاة بالعقوبة والإنسان لا يهمه إلا العاجلة إذا
ما ابتليه ربه اختبره بالغنى فأكرمه ونعمه بالمال والجاه فيقول ربي أكرمن فضلني
بذلك مدعياً استحقاقه ولم يتلقه بالشكر وأما إذا ما ابتليه فقدر عليه رزقه ضيق
عليه وقرأ ابن عامر قدر بالتشديد والمخفف أخف وأوفق بقوله ومن قدر عليه رزقه
فيقول ربي أهانن لقصور نظره إلى الحطام ولم يدر أن الدنيا لا تساوي عند الله

جناح

جناح بعوضة وأن التقتير قد يؤدي إلى كرامة الدارين ولذلك ردعه عن
الكثرة مضيفاً له أثبت نافع في الوصل والبزي في الحالين ياء أكرمن وأهانن
ولأبي عمرو وجهان الحذف والإثبات وحذفها الباقون اكتفاء بالكسر
كلا ردع للإنسان عن هذا القول ثم أشار إلى أنه مرتكب ما هو شر من
هذا القول بل لا تكرمون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين لا تتفقدون
اليتيم بالإحسان ولا تحثون أنفسكم ولا غيركم على طعام المسكين من غاية
الشح وقلة الشفقة وقرأ الكوفيون بفتح التاء والحاء والألف بعده من
التفاعل حذف منه إحدى التاءين أي لا يحث بعضهم بعضاً وهذا أبلغ لدلالته
على أنهم لا يفعلون المعروف ولا يأمرون به وتأكلون التراث الميراث
أصله وراث قلبت الواو تاء كما في تجاه أكلاً لماً ذا لم أي جمع بين الحلال والحرام
لأنهم كانوا لا يورثون النساء ويقولون المال لمن يحمي الحريم أو يأكلون
ما جمعه المورث من الحلال والحرام لا يميزون بينها أو يسرفون في أنواع
المآكل والفواكه كما يفعله الآن الوارث لأنه لم يتعب في تحصيله وتحبون
المال حباً جماً شديداً مع الشره والحرص ومنع الحقوق وقرأ أبو عمرو الأفعال
الأربعة بالياء عنه والخطاب أبلغ تقريعاً كلا ردع لهم وإنكار لفعلهم
إذا دكت الأرض دكاً دكاً دكاً بعد دك حتى يصير هباء منبثاً وعيد لهم على
تلك الأفعال التي يجترئون على تركها حين لا ينفع وجاء ربك مثل حاله في ظهور
آثار قدرته وسلطانه وتوجه إرادته إلى الانتقام من المجرمين بحال ملك أعنى
بهيبة عدله فلم يكتف بالجنود والعساكر بل باشر بنفسه والملك صفاً صفاً أي
الملائكة كلهم صفاً بعد صف على قدر مراتبهم محدقين بالإنس والجن وجيء يومئذ
بجهنم روى مسلم والترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون
ألف ملك يومئذ بدل من إذا دكت والعامل فيهما يتذكر الإنسان ما فرط
منه أو يتعظ وأنى له الذكرى استبعاد لها من حيث النفع لئلا يناقض ما تقدمه
ومن استدل به على عدم وجوب قبول التوبة فقد أبعد عن الصواب لأن عدم
قبولها ليس بناء على عدم وجوب القبول بل لفوات الوقت بانقطاع التكليف
يقول يا ليتني قدمت لحياتي هذه أي حياة الآخرة أو وقت حياتي في الدنيا
كقولك جئت لعشر خلون من رجب وهذا من تمني المحال وفيه دلالة على أن
للإنسان اختياراً في أفعاله فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد
الضمير لله أي لا يتولى عذاب الكافر ولا وثاقه أحد غيره تعالى وفيه تهويل نعوذ
بالله من غضب الحليم أو للإنسان إضافة إلى المصدر إلى المفعول أي لا يعذب الزبانية

احد من خلق الله مثل تعذيب هذا الانسان وقرأ الكسائي بفتح الذال والعذاب
بمعنى التعذيب والوثاق بمعنى الايثاق كالسلام بمعنى التسليم والعطا بمعنى الاعطا
والضمير للانسان والمعنى كالوجه الثاني في قراءة الكسر يا ايتها النفس المطمئنة الموقنة
التي اطمأنت في الدنيا الى ذكر الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب والآمنة
من الخوف والحزن القائلة يا ليتني قدمت لحيوتي تحزنا وتحسرا وهذا اما
عند الموت او البعث او دخول الجنة ارجعي الى ربك راضية بما اوتيت
ما لا عين رأت مرضية عند الله فادخلي في عبادي في زمرة عبادي الصالحين
وادخلي جنتي دار كرامتي ومقر اوليائي تمت والحمد لمن نعمه عمت والصلوة

سورة البلد مكية على من به الرسل تمت وآيها عشرون

بسم الله الرحمن الرحيم لا اقسم بهذا البلد اقسم تعالى بالبلد الحرام الذي هو
اشرف الاماكن حرمه يوم خلق السموات والارض على ان الانسان مخلوق
في كبد مستغرق في الشدايد واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله وانت حل
بهذا البلد دلالة على ان من المكابد كون مثلك حلا اي مستحلا حرمته في
مثل هذه البلدة التي لا يجوز التعرض لسكانها فضلا عن صيدها وفيه تسلية له
واشارة الى ان سوء صنيع المشركين قد بلغ الغاية القصوى فيقع الذم لائق
بهم في حاق موقعه او وعد له بفتح مكة تسلية له بان ما يقاسيه من الاذى
والمكايد عاقبته الظفر وحل البلد الذي لم يحل لاحد قبله ولا لاحد بعده ليفعل فيه
ما يشاء قتلا ونهبا وفيه من اجلال قدره ما ترى ونظيره في الاستقبال انك ميت
وقولك لمن تعده انت مكرم ووالد وما ولد آدم وذريته او ابراهيم مؤسس
البلد واسمعيل او محمد وذريته الطاهرة والعدول الى ما للدلالة على الوصف فيفيد
فخامة كقوله والله اعلم بما وضعت لقد خلقنا الانسان في كبد اي في شدة
ومشقة لان اول احواله ضيق الرحم واخره الموت وضيق القبر وما بعده من كبد
الرجل اذا وجع كبده ثم اتسع فيه فاطلق على كل مشقة ايحسب ان لن يقدر عليه
احد ايظن هذا الصنديد القوي ان لن يقوم القيمة ولا يقدر احد على الانتقام
منه ثم ذكر ما يقوله في ذلك اليوم يقول اهلكت مالا لبدا كثيرا من تلبد الشي
اذا اجتمع يريد ما كان ينفقه رياء وسمعة مما كانوا في الجاهلية ينفقونه مفاخرة
والمعنى على العموم وان نزلت في ابي الاسد بن كلدة فانه كان قويا يبسط
الاديم العكاظي تحت قدميه ويقوم عليه ثم يقول من ازالني عنه كذا فيقطع
ويبقى ما تحت قدميه وقيل نزلت في الوليد ايحسب ان لم يره احد حين ينفق
ما ينفق رياء وفخرا اي ان الله كان رقيبا عليه الم نجعل له عينين يبصر بهما ولسانا يترجم به عن
مقاصده وشفتين يستره ويستعين بهما على النطق والاكل والشرب وهديناه النجدين طريقي

الخير والشر كقوله انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا والنجد ما ارتفع فيه اشارة
الى غاية الايضاح والبيان وقيل الثديان فان العرب يقسم بهما ونحوه
ونجد بهما فالبطن كالغور وهما نجدان فلا اقتحم العقبة بعد هذه النعم وما ادريك
ما العقبة ابهمه على وجه الاعتراض ثم فسره بقوله فك رقبة او اطعام في يوم
ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة العقبة ما صعب من طرق
الجبال كنى به عن صعوبة هذه الاعمال على النفس ولذلك عبر عن الاتيان
بها بالاقتحام الذي هو الدخول في الشي عنفا من القحمة وهي الشدة والمسغبة
والمقربة والمتربة مفعلات من سغب اذا جاع وقرب في النسب والقرابة
وترب اذا افتقر كانه التصق بالتراب والمعنى ان الانفاق عند الله هو هذا
لا ما افتخر به ذلك المرائي وقدم فك الرقبة لانه اقرب القربات روى
مسلم والبخاري عن عمر بن عبسة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من
اعتق رقبة مسلمة كانت له فكاكا من النار عضوا بعضو وقرأ نافع وابن عامر
وعاصم وحمزة فك واطعام مصدرين مضافين الى المفعول بالرفع على الخبرية
والباقون بالفعل بدلا من اقتحم ولا لكثرة تقديرا اي لا فك ولا اطعم على ان
تكررها غير لازم ونحو فلا صدق ولا صلى انما يدل على الوقوع دون اللزوم
ثم كان من الذين آمنوا عطف على اقتحم اي لا اقتحم ولا آمن ولا يلزم كونه
خارجا منه بل لكونه اشرف الاجزاء واساس سايرها فخص بالذكر مع ثم دلالة
على انافته وتواصوا بالصبر عن المعاصي وعلى مشاق الطاعات وتواصوا
بالمرحمة الشفقة على خلق الله تعالى اولئك اصحاب الميمنة اليمين او اليمن
والذين كفروا باياتنا هم اصحاب المشأمة الشوم او الشمال عليهم نار مؤصدة
مطبقة وقرأ ابو عمرو وحمزة وحفص بالهمزة يقال اوصدت الباب واصدته اذا
اطبقته والاول افصح لاتفاقهم في الوصيد تمت سورة البلد والحمد لمن وفق وسدد
والصلوة على السيد الامجد وآله وصحبه الى آخر الابد سورة الشمس
مكية وآيها خمس عشرة بسم الله الرحمن الرحيم والشمس وضحيها
اقسم بالشمس وضوئها لان كلا منهما من بدايع صنعه الضحوة وقت ارتفاع النهار
والضحى فوق ذلك والضحاء بالفتح والمد قرب نصف النهار والقمر اذا تلاها
تلا الشمس في النور والكمال ليلة البدر فانه يظهر سلطانه كوقت الضحى للشمس او تلا
الشمس اخذا من نورها وذلك في النصف الاول من الشهر واما في النصف الثاني
فلانه مفارق او تلا طلوعه طلوعها والنهار اذا جليها اي الشمس على تقابل
كما جعل الليل غاشيا الشمس جعل النهار مجليا لها فانها تظهر غاية الظهور اذا انبسط
النهار وقيل الضمير للظلمة او الليل او الارض والليل اذا يغشيها يغشى الشمس فيستر ضوءها

بظلامه ولما كانت واوات العطف نوائب للواو الأولى القسمية الجارة بنفسها القائمة
مقام الفعل سادة مسده بحيث طرح ذكره رأساً بخلاف الباء جاز أن تكون
عوامل على الفعل والجار معاً كقولك ضرب زيد عمراً وبكر خالداً من غير
عطف على عاملين مختلفين وهذا ورد عليه والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس
فإنه عطف على المجرور بالباء والحق أن الظرف ليس متعلقاً بفعل القسم لأن
التقييد بالزمان غير مراد لا حالاً ولا استقبالاً بل المعنى وعظمة الليل وقت
غشيانه لأن الإقسام بالشيء إعظام له والسماء وما بناها ما ليست مصدرية
لقوله فألهمها لأن إلهام الفجور لا يليق أن يكون مقسماً به ولذلك عبر الأسلوب
بدخول الفاء بل موصولة وإيثارها على من لإرادة الوصف فتقيد فخامة كأنه
قال والسماء والقادر العظيم الذي بناها وكذا نقدر ما يأتي في غيرها والقول
بإضمار العائد إليه تعالى للعلم به مفوت لتلك الفخامة والأرض وما طحاها
دحاها وبسطها ونفس وما سواها بني نفس آدم والتنكير للتكثير أي كل نفس
وتسويتها خلقها في أحسن تقويم فألهمها فجورها وتقواها أرشدها إلى طريق الخير
والشر وتقديم الفجور للدلالة على أنه بقدره وإرادته أيضاً ولا يأتي في خلية قدرة
العبد كسباً فإن قلت التسوية خلق الأعضاء وتعديلها وإفاضة الروح والقوى
وإلهام الفجور والتقوى إنما يكون بعد البلوغ وتوجه التكليف والفاء تقتضي
التعقيب من غير تراخ قلت التعقيب أمر عرفي ولما كان تكامل القوى وقت
البلوغ فكأن التسوية قبله قد أفلح من زكاها طهرها من درن الأخلاق الذميمة
ونماها بالأعمال الحسنة جواب القسم حذف منه اللام لطول الفصل وقيل استطراد
لذكر بعض أحوال النفس والجواب محذوف أي ليدمدمن الله على كفار مكة كما
دمدم على ثمود وقد خاب من دساها أخفاها وأطفأ نور الفطرة بمباشرة
المعاصي أصله دسس قلبت الثانية ياء كما في أمليت وتقضي البازي وإسناد التزكية
والتدسية إلى العبد إنما يقتضي القيام به لا الاستقلال ولا الإيجاد فلا دليل فيه
للمعتزلة على أن الأرجح عود المستتر إليه تعالى والبارز المنصوب إلى من بتأويل النفس
لما روى زيد بن أرقم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اللهم آت نفسي
تقواها وزكها أنت خير من زكاها كذبت ثمود بطغواها اسم بمعنى الطغيان ولذلك
قلبت ياؤه واواً فرقاً بينه وبين الصفة أي كذبت بسبب طغيانها أو بعذابها
الموعود ذي الطغوى كقوله فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية فالباء صلة إذ انبعث
أشقاها أشقى ثمود وهو قدار بن سالف أو هو ومن وافقه لأن اسم التفضيل إذا
أضيف صلح لما فوق الواحد فقال لهم رسول الله ناقة الله نصب على التحذير
ولما أضاف الناقة إليه تشريفاً ذكر صالحاً باسم الرسول وإضافة أيضاً لأنه أولى

بالإجلال

بالإجلال وسقياها لا تذودوها عنه فكذبوه فيما حذرهم به من نزول العذاب
فعقروها فدمدم عليهم ربهم أطبق عليهم العذاب وعمهم به تكرير دم الشيء كبه
نحو كبكب في كب وقيل غضب من الدمدمة وهو الكلام المزعج وقيل رجف
الأرض بهم بذنبهم بسبب ذنبهم فسواها أي العقوبة بينهم عموماً أو سوى ثمود
بالأرض ولا يخاف عقباها عقبى الدمدمة أو التسوية الواو للحال أي فعل
ذلك والحال أنه غير خائف من عاقبة فعله كبعض الملوك وقرأ نافع وابن
عامر بالفاء والواو أبلغ روى البخاري ومسلم عن عمار بن ياسر أن رسول
صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه ألا أخبرك بأشقى الناس قال بلى
قال أحمر ثمود عاقر الناقة والذي يضربك على هذا وأشار إلى قرن رأسه
حتى يبتل منه هذه ويريد لحيته تمت والحمد لمن ألاؤه عمت سورة والليل مكية
وآيها إحدى وعشرون بسم الله الرحمن الرحيم والليل إذا يغشى بظلامه
كل ما يواريه أو النهار أو الشمس والنهار إذا تجلى تبين وتكشف بانسلاخ
الليل عنه وما خلق الذكر والأنثى والقادر الذي خلق الزوجين من كل نوع
أو آدم وحواء ويجوز أن يكون ما مصدرية وقرأ ابن مسعود وأبو الدرداء رضي الله
عنهما والذكر والأنثى إن سعيكم لشتى جمع شتيت جواب القسم أي إن مساعيكم
مختلفة الأغراض متباينة الجزاء ثم فصل ما على أثره فأما من أعطى واتقى وصدق
بالحسنى أعطى الطاعة في حقوق الله تعالى واتقى المعصية وصدق بالتوحيد
أو الجنة فسنيسره لليسرى فسنوفقه للخلة التي تؤدي إلى اليسر والراحة وأما من
بخل بحقوق الله واستغنى بالحطام الفاني وكذب بالحسنى بالنعيم الباقي
أو التوحيد فسنيسره للعسرى فسنخذله وندله على الطريقة التي اختارها وإطلاق
التيسير للمشاكلة وما يغني عنه ماله إذا تردى سقط في حفرة القبر أو في قعر جهنم
أو مات من التردي وهو الموت نفي أو استفهام إنكار إن علينا للهدى
الدلالة والإرشاد إلى طريق الصواب بشرع الأحكام وبيان الحلال والحرام
وإن لنا للآخرة والأولى يعطي ما نشاء لمن نشاء أو لنا الغني المطلق لا ينفعنا
طاعة ولا يضرنا معصية فأنذرتكم ناراً تلظى تتلهب لا يصلاها لا يدخلها
إلا الأشقى الذي كذب بالحق وتولى وأعرض عنه وسيجنبها الأتقى الحصر فيه
إضافي كأن غير هذا الأشقى لا يصلاها وغير هذا الأتقى لا يجنب لا يتناول
الكل على أنها نزلت في أبي بكر وأمية بن خلف حين اشترى منه بلالاً ببردة
وعشر أواق وقيل في أبي جهل وأبي بكر فالأشقى لم يرد به واحد وأما تفسير الصلي
باللزوم فلا يدل عليه اللفظ ويلزم منه أن الشقي لا يلزمها وينافيه وأما الذين
شقوا ففي النار خالدين فيها الذي يؤتي ماله في مصارف الخير يتزكى من الزكاة

أي يطلب أن يكون عند الله زكيا لا رياء أو من الزكاة بدل من يؤتي داخل
في حكم الصلة أو حال من فاعله وما لأحد عنده من نعمة تجزى قيل لما اشترى بلالا
قالوا ما اشتراه إلا ليد له عليه وعن ابن الزبير أن أبا بكر رضي الله عنه كان يشتري
الضعفة فيعتقهم فقال له أبوه لو اشتريت الأقوياء إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى منقطع
أي لكن ابتغاء وجه ربه أو متصل مفعول له عن محذوف أي لا يؤتي ماله إلا ابتغاء
وجه ربه ولسوف يرضى بما يعطيه الله جميل وفي إبهامه ما لا يخفى سورة
الضحى مكية وهي إحدى عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم والضحى أي ووقت
الضحى وهو حين ارتفاع الشمس وظهور سلطانه وقيل أقسم به لأنه وقت غلبة موسى
فرعون لقوله وأن يحشر الناس ضحى وقيل جميع النهار لقوله تعالى أن يأتيهم
بأسنا ضحى في مقابلة بياتا والليل إذا سجى ستر متعد من سجيته أو سكن من فيه أو
سكن ظلامه واستقر قدم الليل تارة باعتبار الأصل فإن الليالي غرر الأيام
والنهار أخرى باعتبار الشرف ما ودعك ربك جواب القسم أي ما تركك منذ
التوديع وما قلى وما أبغضك من القلى بكسر القاف مقصورا روى البخاري عن
جندب البجلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فجاءت
امرأة فقالت يا محمد إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك فأنزل الله تعالى
والضحى وللآخرة خير لك من الأولى أي الأوقات المستقبلة خير لك من الأيام
الماضية فإنه يعلو شأنك فيها ويظهر دينك على سائر الأديان وترى الناس
يدخلون في دين الله أفواجا ولسوف يعطيك ربك في الدارين فترضى بحيث
لا يبقى لك طلب بعد تلك العطية وإنما حذف المفعول لغرض العموم فيشمل مقام
الشفاعة وسائر المزايا التي تخصه واللام للابتداء دخل الخبر بعد حذف المبتدأ و
التقدير لأنت سوف يعطيك لا للقسم فإنها لا تدخل على المضارع إلا مع النون
وجمع مع سوف للدلالة على أن العطاء كائن لا محالة وإن تأخر لحكمة ألم يجدك
يتيما فآوى من الوجود بمعنى العلم والاستفهام للتقرير أي قد كنت يتيما وذلك
مات أبوه وهو جنين أتت عليه ستة أشهر فلما ولد كان في حجر أمه وحياطة عبد
المطلب جده إلى أن بلغ عمره ثمان سنين مات عبد المطلب وأمه فعطف الله
تعالى عليه عمه أبا طالب ووجدك ضالا فهدى قيل أضلته ظئره حليمة عند باب
مكة وقيل ضل في بعض شعاب مكة فرده أبو جهل إلى عمه أبي طالب وقيل
ضل في طريق الشام أضله إبليس على راحلته فرده جبرائيل إلى الركب وكنت
ضالا عن علم الشرائع والأحكام وما طريقه السمع ما كنت تدري ما الكتاب
ولا الإيمان ووجدك عائلا فأغنى كنت عديم المال فأغناك بمال خديجة
رضي الله عنها أو أحل لك الغنائم ولم يحلها لأحد قبلك أو كنت مبعوثا إلى الأحمر

والأسود

والأسود فأغناك بكنز المعارف وهو القرآن يستخرج أمتك من فرائد درره
إلى آخر الدهر عدد عليه بعض نعمه السابقة تقريرا لقوله وللآخرة خير لك من الأولى
لأنه إذا كانت عنده وعنايته معه ولم يكن لابسا خلعة رسالته فكيف وقد أرسله
للناس كافة بشيرا ونذيرا فأما اليتيم فلا تقهر لا تغلبه في حقه وتعطف عليه واذكر
حالك في اليتم وأما السائل فلا تنهر لا تزجر يشمل الفقير والمسترشد في دينه
وأما بنعمة ربك فحدث فإن التحدث بها شكر لها روى أبو داود عن جابر
رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أعطي عطاء فوجد فليكافئ
فإن لم يجد فليثن به فمن أثنى فقد شكر ومن كتم فقد كفر ولما من الله عليه
بثلاث خلال أرشده وحثه على ثلاث في مقابلتها ليكون متخلقا بأخلاق الله
ويقتدي به في ذلك أمته تمت سورة الضحى والحمد لمن له العطاء والصلوة على
المجتبى وآله سورة ألم نشرح مكية وهي ثمان آيات وصحبه الأتقياء
بسم الله الرحمن الرحيم ألم نشرح لك صدرك أي شرحناه ولأن إنكار النفي
إثبات والمعنى نورنا صدرك بنور النبوة حتى وسع علم الأولين والآخرين
روى البخاري عن مالك بن صعصعة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أخبر عن ليلة أسري به قال فجاء جبرائيل بطست من ذهب ملئ حكمة وإيمانا
فشق من ثغره نحري إلى مراق بطني فأخرج قلبي وشقه ثم غسله بماء زمزم ثم حشاه
حكمة وإيمانا وأثر فيه الإجمال والتفصيل مبالغة في الإيضاح ووضعنا عنك
وزرك ما كان يثقل عليك من عدم العلم بالحكم والأحكام أو ما كنت ترى
من ضلال قومك مع عدم الاستداد إلى ما ترشدهم إليه أو ما كنت تلقى من
الشدة عند تلقي الوحي خوفا من فوت شيء منه فضمنا لك حتى سكن روعك
الذي أنقض ظهرك من النقيض وهو صوت الرحل من ثقل الحمل مثل حاله به
كناية عن غاية الشدة ورفعنا لك ذكرك في الدارين بأنك سيد المرسلين
وخاتم النبيين ونعتك في زبر الأولين واسمك مقرون باسم رب العالمين
براءة من الله ورسوله أطيعوا الله ورسوله ومن يطع الله ورسوله عدد عليه بعض
جلائل نعمه ثم قال فإن مع العسر يسرا كأنه قال إذا كنت بهذه الرتبة عندنا
فلا تبال بقول من قصر نظره على حطام الدنيا معيرا لك ولأصحابك بضيق ذات
اليد فإنكم ستروون عن قريب يسرا أو أتى يسر ودل على القرب بلفظ مع الدال
على المقارنة والمصاحبة إن مع العسر يسرا استئناف واليسر الثاني غير الأول
على قانون النكرة المعادة وترجيحا للتأسيس على التأكيد وحملا لكلام الله تعالى
على أبلغ الاحتمالين مع اقتضاء المقام زيادة التسلية والتنفيس ولما روي مرفوعا
أنه قال لن يغلب عسر يسرين فإن قلت فما تقول في معنى الحديث من حمل الثاني

على التأكيد وجعله مثل قولك ان زيدا قائم ان زيدا قائم قلت يحمل اليسرين
على يسر الدنيا والآخرة فان قلت كان الواجب تعريفه لانه الاول كالعسر
قلت ذلك ليس بواجب بل اكثري عدل عنه للتفخيم فاذا فرغت فانصب
فاذا فرغت من عبادة فاتبعها باخرى ليكون شكرك على وفق النعم واشار
بلفظ النصب وهو التعب الى الترقي كما في جانب النعم بقوله وللآخرة خير لك
من الاولى وعن ابن عباس رضي الله عنه اذا فرغت من الصلوة فاجتهد في
الدعاء وذلك لان الصلوة عماد الدين والدعاء مخ العبادة وعن الحسن
اذا فرغت من الغزو فاجتهد في العبادة وكانه لاحظ قوله رجعنا من الجهاد
الاصغر الى الجهاد الاكبر والى ربك فارغب في مطالبك لا الى غيره لعلمك
بتفرده بالتأثير لا يشاركه احد الكل منه وبه واليه فتوكل عليه تمت بحمد الله
سورة والتين مكية والصلوة على افضل خلق الله وهي ثمان آيات
بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سينين اقسم بجبال الارض المقدسة
والاولان سميا باسم الشجرتين النابتتين بهما والطور هو الجبل الذي كلم الله
تعالى عليه موسى وسينين وسيناء اسم البقعة التي بها الجبل قال ابن زيد التين
مسجد دمشق والزيتون مسجد بيت المقدس وقيل اراد الشجرتين لكثرة منافعهما
وليس بقوي لان النخلة اشرف الاشجار حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
في مدحها مثلها مثل المسلم والعدم الملائمة بين المعطوف والمعطوف عليه وهذا
البلد الامين الحافظ داخله هي مكة شرفها الله كانه قال والارض المباركة دينا
ودنيا والبلد الذي من دخله كان آمنا في الدارين وفيه نهج الترقي اولا مطمح
ورادا من الدارين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم تعديل شكلا وصورة لا ترى
في الكائنات احسن منه حتى تبلغ منه سر الملاحة حد العجز او الوصف عن ابرازه
نطقا ثم رددناه اسفل سافلين وهو الكافر في النار سفله مثل احد وبحر شفته
على الارض والوجه اسود مظلم وما بين كتفيه ما بين مكة والمدينة عافانا الله او
رددناه في الدنيا بعد ذلك الحسن والجمال اسفل من تسفل تقوس ظهره بعد
اعتداله وابيض شعره بعد اسوداده وكل سمعه وبصره وتناقصت قواه وعقله
وانفه من كان يحبه الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات استثناء متصل على
الاول ظاهر الاتصال منقطع على الثاني اي لكن الذين آمنوا وكانوا صالحين
من الهرم فلهم اجر غير ممنون غير مقطوع بل يجري عليهم ثواب الاعمال التي كانوا
يعملونها وهم اقوياء فما يكذبك بعد بالدين الخطاب للانسان اي بعد هذه الدلائل
المشاهدة اي شيء يجعلك كاذبا بالاعادة فان مكذب الحق كاذب والباء للسببية
او لرسول الله صلى الله عليه وسلم الهابا له وتعريضا بالمكذبين اي بعد هذا البيان لا تكذيب

شيء كهولا الذين لا يبالون بآيات الله تعالى وعلى الاول استفهام توبيخ أليس الله
باحكم الحاكمين اي ليس ذلك الموصوف اقدر من كل قادر فما وجه انكار الاعادة
بعد اعتباره وواثر الاسم الاعظم ولالة على ان ذلك من خواص الالوهية تمت سورة
التين والحمد لله رب العالمين والصلوة على سيد المرسلين وآله وصحبه اجمعين
سورة اقرأ مكية وهي تسع عشرة آية بسم الله الرحمن الرحيم اقرأ باسم ربك
الجار في محل النصب على الحال اي اقرأ حال كونك مفتتحا قراءتك باسم الله الذي
خلق خلق الانسان اي خلق كل شيء ثم خص الانسان لانه اشرف البرية والمقصود
بالانزال او المراد خلق الانسان اوثر فيه الابهام والتفسير وفيه اشارة الى المخلوق
القراءة والدراية من علق جمع باعتبار الافراد اقرأ تكرير للاول وهو مجزوم لانه اول
امر ورد بالقراءة والانكار القراءة بقوله ما انا بقارئ وقيل الاول لنفسه والثاني
للتبليغ او الاول خارج الصلوة والثاني فيها وربك الاكرم على الاطلاق وكرم
غيره متكلف في جزائه الغرض الذي علم بالقلم دليل على اكرميته لان كل عطية دون
العلم والمعرفة كنقطة من المحيط وقل رب زدني علما ورمز في ضمن ذلك الى فضل
الكتابة لانها آلة التعليم وضابطة الحكم وفي المثل العلم صيد والكتابة قيد علم الانسان
ما لم يعلم بالالهام علمه الا بالتعليم كلا ردع للانسان الذي قابل هذه النعم بالكفر
والطغيان ان الانسان ليطغى ليتجاوز عن حده ان رآه استغنى لان رأى
نفسه غنيا اي علم ولذلك جاز ان يكون الفاعل والمفعول ضميرين لشيء واحد وذلك
من بعض خصائص فعل القلب ان الى ربك الرجعى خطاب لذلك الانسان
الطاغي التفاتا لكونه ابلغ تحذيرا والرجعى مصدر كالبشرى ارأيت الذي ينهى
عبدا اذا صلى روى الترمذي والنسائي عن ابن عباس رضي الله عنه ان ابا جهل
قال هل يعفر محمد وجهه بين اظهركم قالوا نعم قال والذي يحلف به لئن رأيته لاطأن
عنقه ثم جاء وهو يصلي عند المقام فتوجه اليه والمشركون ينظرون اليه فاراد ولا
وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه فقيل له ما بك فقال رأيت بيني وبينه خندقا
من نار وهولا واجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا مني لاختطفته
الملائكة عضوا عضوا ارأيت ان كان على الهدى او امر بالتقوى ارأيت تكرير
للاول والشرط مفعول ثان حذف منه الجواب لدلالة قوله الم يعلم عليه وحذف
المفعول الاول لظهوره ارأيت ان كذب وتولى مقابل للاول ليقابل الشرطين
والمعنى اخبرني يا من له ادنى تمييز عن حال من ينهى عبدا اصلي ان كان ذلك الناهي
على طريق الرشاد او امر بالتقوى في امره بعبادة الاوثان اخبرني ان كان مكذبا
معرضا الم يعلم بان الله يرى ويشاهد وسوق الكلام على طريقة المنصف والتهكم
لان الناهي عن الصلوة ليس على الهدى قطعا وكذا كونه مكذبا معرضا مجزوم به كلا

ردع للناهي لئن لم ينته لنسفعا بالناصية لنأخذن بناصيته ولنجرنه الى النار والسفع
القبض على الشيء وجذبه بعنف قال عمرو بن معدي كرب قوم اذا يقع الصريخ رأيتهم
ما بين ملجم مهره او سافع ناصية كاذبة خاطئة بدل من الاول وحسنه الوصف
وكان اوفى بالمقصود الدلالة على علة السفع واسناد الكذب والخطا الى الناصية
مجاز حكمي وتخصيصها لانها اشرف الاعضاء فليدع نادية عن ابن عباس رضي الله
عنه ان ابا جهل لما لم يقدر ان يقرب رسول الله صلى الله عليه وسلم توعده بالكلام
فاغلظ له رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تهددني يا محمد وانا اكثر اهل الوادي
ناديا اي عشيرته فسماهم باسم مجلسهم ومجتمعهم سندع الزبانية عن قريب ليجروه
الى النار جمع زابن او زباني او زبنية كعفرية قال الاخفش العرب لا تكاد تعرف
هذا بل يجعله من الجمع الذي لا واحد له مثل ابابيل واصل الزبن الدفع كلا
ردع للناهي ايضا لا تطعه الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي دم على
عصيانه واسجد ودم على الصلوة ولا تبال بالناهي واقترب بها فانها المعراج
اليه او بالسجود لما روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد تمت سورة العلق والحمد لمن
خلق والصلوة على من في مضمار السعادة سبق واله وصحبه ما الليل وسق
سورة القدر مدنية واياتها خمس بسم الله الرحمن الرحيم انا انزلناه في ليلة
القدر فخم شأن القرآن بان خص انزاله به وبالاضمار لانه العلم الذي لا يذهب
الوهم الى غيره وبزمان نزوله اتفقوا على ان القرآن نزل به جبرئيل في ليلة القدر
الى بيت العزة في السماء الدنيا فكتبه السفرة ثم نزل منجما في ثلث وعشرين سنة
وسميت ليلة القدر لان الامور المتعلقة بذلك العام وتقديرها تكتب من اللوح
فيها وتدفع الى الملائكة وما ادريك ما ليلة القدر لم تبلغ درايتك كنه فضلها ثم بينه
بقوله ليلة القدر خير من الف شهر اي القيام بالعبادة فيها خير من القيام بالعبادة
في الف شهر خالية عنها عن مجاهد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا في بني
اسرائيل لبس السلاح في سبيل الله الف شهر فتعجب المسلمون فنزلت وروى البخاري
ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قام
ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له من ذنبه ما تقدم والاكثر على انها اوتار العشر
الاخير من رمضان ومن علاماتها ان ليلتها ساكنة لا حر ولا برد ولا يرمى فيها
بكوكب وليس ما فيه كانها قمراء وتطلع الشمس في صبيحتها ليس لها شعاع وروى
الترمذي عن حسن بن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى بني امية على
منبره فنزلت فعدوا ايام بني امية فوجدوها الف شهر واهل الحديث ينكرونه
تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم بيان لما فضلت به والروح جبرئيل وقيل

خلق لا تراهم الملائكة الا تلك الليلة من كل امر اي تتنزل لاجل كل امر قضاه
قدره في تلك السنة وانما تتنزل تعظيما لها ونشرا للخير بها وبركتها سلام هي [illegible]
اي ما هي الا سلامة اي لا تقضي فيها الا السلامة والخير وعن مجاهد لا يستطيع
الشيطان في تلك الليلة عملا بسوء وقيل سميت سلاما لكثرة سلام الملائكة
على المؤمنين والمؤمنات حتى مطلع الفجر غاية للسلامة او السلام والمطلع مصدر
او زمان وقرأ الكسائي بكسر اللام والفتح اخف وهو القياس تمت سورة القدر
والحمد لله سورة القيمة مكية وقيل مدنية وهي ثمان ايات بسم الله الرحمن الرحيم
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة حكاية
مقالة اهل الكتاب والمشركين كانوا قبل البعثة يقولون لا ننفك عما نحن فيه حتى
يأتينا النبي الموعود رسول من الله بدل من البينة يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة
الصحف صحايف المصاحف والكتب القيمة القضايا والاحكام القوية المسطورة
فيها وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة توبيخ لهم والزام
بان ما كانوا يعدونه سبب الوفاق والوئام جعلوه سبب الافتراق والاختلاف
ونظيره قوله وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به
وانما افرد اهل الكتاب بعد جمعهم مع المشركين ولانهم اذا تفرقوا مع علمهم كان المشركون
اولى بذلك وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين استدل به على وجوب النية
في العبادات حنفاء مائلين عن الباطل والعقائد الزايغة ويقيموا الصلوة ويؤتوا
الزكوة وذلك دين القيمة ان الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين في نار
جهنم خالدين فيها يوم القيمة او بعد موتهم لان قبورهم حفر النيران والاشتراك
في مطلق الدخول لا في مقدار العذاب والدركات اولئك هم شر البرية الخليقة
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات
عدن تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا اطنب في اوصاف الجنة وقيد
الجزاء بانه عنده واكد الخلود بالتأبيد اشارة الى السبق رحمته رضي الله عنهم فوق
ذلك الجزاء ورضوان من الله اكبر ورضوا عنه بما منحهم مما لا مزيد عليه ذلك لمن
خشي ربه ذلك المذكور لكل من خشي ربه وقرأ نافع وابن ذكوان البريئة بالهمز
وهو الاصل من برأ خلق قال يونس خالف مكة العرب فهمزوا البرية والنبي وكذا
عن سيبويه تمت والحمد سورة الزلزلة مختلف فيها وهي تسع ايات على نعم عمت
بسم الله الرحمن الرحيم اذا زلزلت الارض زلزالها الزلزلة تحريك بعنف ومنه
الزلزال المشدد ايده واضافته الى الارض لما لغه اي ما يمكن لها من الزلزال والمراد
النفخة الثانية لقوله واخرجت الارض اثقالها ما في بطنها من الاموات والكنوز
روى مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه تقيء الارض افلاذ كبدها كالاسطوان من الذهب

دين الملة القيمة

والفضة فيقول القاتل في هذا قتلت ويقول القاطع في هذا قطعت ويقول السارق
في هذا قطعت ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئا وقال الانسان ما لها حتى اخرجت
هذه الاثقال يقولون تعجبا وقيل القائل الكافر لانه كان لا يؤمن بالبعث
واما المؤمن فيقول هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون يومئذ بدل من اذا
وناصبهما تحدث او انتصب باذكر ويومئذ بحدث تحدث اخبارها اي تحدث
كل عبد وامة بما عمل على ظهرها رواه الترمذي والنسائي واحمد وقيل بلسان الحال
بما هي الاحوال التي احدثها الله تعالى فيها من الزلزلة ولفظ الاموات والدفاين
بان ربك اوحى لها الباء السببية اي بسبب ايحاء ربك اليها بالتحديث ويجوز
ان يكون بان ربك اوحى لها بدلا من اخبارها يقال اوحى له واليه كذا وكذا يومئذ
يصدر الناس اشتاتا متفرقين كل شيعة مع امامها كما كانوا في الدنيا يوم ندعو
كل اناس بامامهم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي يوما بين ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما اخذا بيد كل منهما فقال هكذا نبعث ان شاء الله تعالى ليروا اعمالهم
ويخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره اي يرى جزاءه تفصيل لقوله اشتاتا وحسنات الكافر لها مدخل في التخفيف
كما ان زيادة سيئاته توجب ضعف العذاب ولا ينافي حبوط عمله لان ذلك معنى آخر
وروى البخاري بسنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس في القرآن اية اشمل
منها واعم لكل عمل تمت السورة والحمد لله على آلائه الموفورة سورة العاديات
احد عشر آية بسم الله الرحمن الرحيم والعاديات ضبحا اقسم بخيل الغزاة
العاديات في الكر والفر والضبح صوت انفاسها حين العدو وعن ابي عبيدة
هو السير نصبه على المصدر اما من فعله المحذوف او بالعاديات لانه يلازم العدو او
الحال وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انها الابل اذ لم يكن مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم بدر سوى فرسين فرس المقداد وفرس ابي قتادة ولا اظن
صحته لان الخيل آلة الجهاد ولقوله من ربط فرسا في سبيل الله فله اجر ابوالها وارواثها
رواه البخاري وناهيك قوله من رباط الخيل وعدم وجدان الخيل في غزوة بدر
لا تمنع الاقسام بها واول من ذلك قوله فالموريات قدحا فالمغيرات ناراس الحجارة
بسنابك حوافرها قادحات فالمغيرات صبحا وقت الصباح كان رسول الله ينزل العرب
العدو حتى يصبح فان سمع الاذان كف والا اغار وقال انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء
صباح المنذرين فاثرن به نقعا بذلك الوقت او المكان غبارا كما ترى في مواقع
الحروب كان مثار النقع فوق رؤسنا واسيافنا ليل تهاوى كواكبه وقيل اصوات
الذين اغير عليهم فوسطن به جمعا من جموع الاعداء او اقسم بالنفوس العادية في طلب الكمال
المتاوسة على الفرطات المورية باقدام الافكار من صحو زناد المعارف المغيرات

على جيش الهوى بالاستغفار في الاسحار فاثرن به غبار الشوق فوسطن به جمعا من
جموع الملأ الاعلى ان الانسان لربه لكنود لكفور وجحود وعن الحسن هو الذي يعد المصائب
وينسى النعم وعن ابي امامة سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه قال من ياكل وحده
ويضرب عبده ويمنع رفده وانه على ذلك لشهيد يدل على كونه كنودا حاله وعمن
الشوري الضمير لله وانه لحب الخير لشديد شديد الحب للمال الكثير لو كان له واديان
من ذهب لابتغى ثالثا ولا يملأ عين ابن آدم الا التراب افلا يعلم اذا بعثر ما في القبور
من الموتى اي بعث وفي زيادة الراء مبالغة كبحث مع بحثر وحصل ما في الصدور ابرز
ما فيها من السراير والضماير ان ربهم بهم يومئذ لخبير باعمالهم والاخلاص فيها واثر
ما اولا ثم قال بهم لانهم حال البعث تراب ورفات تمت ولله الحمد والصلوة على رسوله
واله وصحبه سورة القارعة مكية عشر آيات بسم الله الرحمن الرحيم القارعة
ما القارعة وما ادريك ما القارعة القرع الضرب بشدة والقارعة من اسماء الساعة
لانها تقرع الناس بالاهوال والافزاع او تقرع اعداء الله بالعذاب والاصطكاك
الاجرام العلوية والسفلية فيها وقد بالغ في التهويل بابهام امرها مرتين ولفظ
القارعة ابلغ من الحاقة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث يوم نصب بما دل
عليه القارعة شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار مثله قوله كانهم جراد منتشر وهذه
ابلغ لما في المثل اضعف من فراشة واذل واجهل وتكون الجبال كالعهن المنفوش
الصوف الملون المندوف لان الجبال بيض وحمر وغرابيب سود فاما من ثقلت
موازينه ترجحت مقادير حسناته روى البخاري بسنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ينشر للمؤمن صحايف سيئاته تسعة وتسعون صحيفة كل منها مد بصره ثم يخرج له بطاقة فيها
كلمة لا اله الا الله ويقال احضر وزنك فيقول ما عسى يفعل هذه البطاقة مع تلك
الصحايف فتوضع البطاقة في كفة والصحايف في اخرى فطاشت صحايف السيئات
ولا يوازن اسم الله تعالى شيء فهو في عيشة راضية مرضية الاسناد مجازي او ذات
رضي واما من خفت موازينه وهو الكافر الذي ليست معه كلمة الاخلاص فامه هاوية
من اسماء النار لانها تهوي بالداخل فيها سبعين خريفا وسميت اما على التشبيه لان
الام تاوي الولد وعن قتادة ام رأسه هاوية لانه يسقط فيها منكوسا ويرد قوله
وما ادريك ماهيه نار حامية لانه شرح لهاوية فان قلت كل نار حامية قلت معناه حامية
واي حامية كان ساير النيران بالنسبة اليها ليست حامية روى البخاري ومسلم عن ابي
هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ناركم هذه جزء من سبعين جزءا
من نار جهنم وروى الترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اوقد على النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت
ثم اوقد عليها حتى اسودت فهي الان سوداء مظلمة نجانا الله منها تمت والحمد لله

على الدوام وعلى رسوله افضل الصلوة والسلام سورة التكاثر مختلف فيها
وهي ثمان آيات بسم الله الرحمن الرحيم الهاكم التكاثر شغلكم التبارى والتباهي
بالكثرة عن طاعة الله لهى عن الشيء غفل عنه حتى زرتم المقابر اى حين الموت
لم ترجعوا عنه وقيل تفاخر بنو عبد مناف وبنو سهم بكثرة القبيلة فنزلت عن قتادة
نزلت في طائفتين من الانصار تكاثروا حتى عدوا الاموات كلا ردع لهم عن مثله
سوف تعلمون خطاءكم في ذلك ما لابن آدم والتفخر واوله نطفة مذرة واخره جيفة
قذرة بين الحجر والتراب ثم كلا سوف تعلمون كرره تاكيدا او الاول عند الموت
او في القبر والثاني عند النشور وفي ثم دلالة على ان الثاني ابلغ كلا لو تعلمون علم
اليقين تكرير للتنبيه والجواب محذوف اى لو علمتم با قدامكم من العقبة الكؤود لما
تستقون من سائر الامور بعده ثم غاية الجهد وفي الحديث لو علمتم ما اعلم لضحكتم قليلا
ولبكيتم كثيرا لترون الجحيم جواب قسم محذوف ولا يصلح ان يكون جواب لو لانه
محقق الوقوع وقرأ ابن عامر والكسائي لترون الجحيم بضم التاء ثم لترونها عين اليقين
مشاهدة والاعلم فوقه ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم الذى كنتم فيه هل شكرتم ام لا
روى البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وابا بكر وعمر رضى الله عنهما دخلوا حديقة
ابى الهيثم ايام الرطب فذبح شاة واطعمهم من الرطب والبسر وسقى ماء باردا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من النعيم الذى تسألون عنه يوم القيمة وقيل الخطاب
خاص بمن الهاه النعمة والتكاثر بالاسباب عما يعنيه من الشكر لموليها تمت والحمد
لله وحده سورة العصر مكية ثلث آيات بسم الله الرحمن الرحيم والعصر وصلوة
العصر فانها افضل الصلوات لانها الصلوة الوسطى او بالليل والنهار وهو الدهر عطفه
لانهم كانوا ينسبون الدهر او بوقت العصر لانه وقت شريف كما اقسم بالضحى او بعصر
النبى انت فيه فانه اشرف الاعصار بوجودك ان الانسان لفي خسر لان رأس ماله
عمره وهو شئ لا عوض له يشترى به النعيم المقيم فاذا ضيعه لا يكون اخسر منه الا الذين
آمنوا وعملوا الصالحات فانهم ربحوا ما لا عين رأت ولا خطر على قلب في جوار رب
العالمين وتواصوا بالحق وصى بعضهم بعضا بالدين الثابت مرشدا له تكميلا لكماله في
نفسه وتواصوا بالصبر على اقامة الحق لكثرة المبطلين اعداء الدين او بالصبر عن اتباع
الشهوات سورة الهمزة مكية تسع آيات بسم الله الرحمن الرحيم ويل لكل
همزة لمزة الهمز الكسر واللمز الاشارة بالعين قال ومنهم من يلمزك في الصدقات والمراد
الطعن في الاعراض قولا وفعلا صريحا واشارة وبناء فعلة يفيد الاعتياد والاستمرار
كالضحكة واللعنة نزلت في امية او في الوليد كان هذا شانهما مع رسول الله وفقراء الصحابة
والحكم عام ولذلك صح بلفظ الكل الذى جمع مالا اى كثيرا او هو ما يعذب به يوم
القيمة بدل كل او رفع او نصب على الذم وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي بالتشديد

وعده

وهو ابلغ ذما وعدده واحصاه وضبطه كما هو شأن البخلاء ليلا ونهارا تراهم في الحساب
او جعله عدة وذخيرة يقال اعده وعدده بمعنى روى ان الاخنس قال لو امر بالعقول
في العاقبة لم افتد بها من لئيم الا افتقدت على كريم قال وكم لما واذا قال نحوه السلطان
ونوائب الزمان قال اذ انه عدلهن لا يحدك وتردعلى من لا يعدك يحسب ان ماله
اخلده وجهله وغروره واشتغاله عما امامه من توابع الاخرة او يعمل اعمال من يظن
انه مخلد من تشييد الاركان وتشييد البنيان وفيه تعريض بالعمل الصالح
بانه المخلد كلا ردع له عن حسبانه لينبذن في الحطمة من اسماء النار لانها تحطم اى
تكسر ما يلقى فيها قابل كسر الاعراض بحطم الاعضاء والاستحقار بالنبذ الدال على غاية
الحقارة وما ادريك ما الحطمة لم تحط به علما نار الله الموقدة التي اوقدها للانتقام
والاضافة فيه كما في ناقة الله التي تطلع على الافئدة تستولى عليها بالاحراق بعد
احراق الاعضاء والفؤاد الطف الاجزاء يتأذى بادنى شئ فكيف بنار جهنم او تطلع
على الافئدة اى تنظر فيها وتطالعها لانها معادن الذنوب ومصادرها فيكون
العذاب على قدر ما تولد منها انها عليهم مؤصدة مطبقة واختلاف القراء كما في سورة البلد
في عمد ممددة حال من ضمير مؤصدة والمعنى تغلق عليهم ابواب النار وتوثق بالاعمدة تاكيدا
لياسهم من الخروج او من المجرور في عليهم اى تغلق عليهم الابواب حال كونهم مستلبين
في العمد كاللصوص في المقاطر لانهم سراق الاعراض وقرأ حمزة والكسائي وابو بكر عمد
بضمتين والباقون بالفتح وكلاهما جمع عمود تمت لله الحمد والصلوة على رسوله محمد
سورة الفيل مكية وآيها خمس بسم الله الرحمن الرحيم الم تر كيف فعل ربك
باصحاب الفيل هم ابرهة الاشرم والى اليمن من قبل النجاشى ملك الحبشة وليس باصحمة
الذى صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصته انه قتل ارباطا من امراء النجاشى
فغضب عليه فتدارك ابرهة ذلك بان بنى له كنيسة بصنعاء اليمن لم ير مثلها واراد
ان يصرف حج العرب اليها وارسل بخبر ذلك النجاشى فاعجبه ذلك ورضى عنه فشق
ذلك على العرب فاختال رجل من كندة فدخلها ليلا واحدث فيها فاخبر بذلك
ابرهة فاشتد غضبه وعزم على تخريب الكعبة الشريفة زادها الله شرفا واصطحب فيلة
ليهدم البيت فلما توجه عارضه ذو نفر من قومه من بنى قحطان فلم يقدر عليه فاسره
فلما بلغ ارض خثعم قاتله نفيل بن حبيب الخثعمى فاسره ايضا ولم يقتله ليدله على الطريق
ولما بلغ المغمس وهو موضع بقرب مكة فارس حناطة الحميرى ليخبرهم بان الملك لم يأت
لحربهم وانما قصده تخريب البيت ويأتيه باشرف البلد فجاء عبد المطلب فخرج معه
الى ابرهة فلما راه اكرمه وكان عبد المطلب وسيما حسن المنظر فقام له ابرهة واجلسه على
سريره وسأله عن حاجته فقال ان جيشك قد اغار على سرح مكة واخذوا ابلا
كانوا اخذوا له مائتى بعير فقال للترجمان قل له انى جئت في تخريب بيت هو شرفك

وشرف اباءك فلم تذكره وتطلب الابل فقال عبد المطلب انا رجل مضياف ولا
اقدر على قيام الضيافة الا بالابل والبيت له صاحب يحميه فرد ابله ونهضوا للقتال
اصبحوا عبأوا الفيلة وكان اكبرها اسمه محمود فقدموه فبرك فضربوه ضربا شديدا فلم يتحرك
فوجهوه نحو اليمن فهرول ثم نحو الشام فهرول ثم نحو مكة فبرك هذا وعبد المطلب اخذ
بحلقة الكعبة وهو يقول لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم
عدوا محالك ان تتركهم وكعبتنا فامر ما بدا لك جروا جموع بلادهم والفيل كي يسبوا
عيالك عمدوا حماك بكيدهم جهلا وما رقبوا جلالك فلم يتم كلامه الا والطير اقبلت
الم يجعل كيدهم في تضليل في تضييع وارسل عليهم طيرا ابابيل جماعات متفرقة كبراويل
لا واحد له وقيل جمع ابالة وهي الجماعة وقيل ابول كعجول وقيل ابيل كقنديل كانت
في جثة الخطاطيف ترميهم بحجارة من سجيل معرب من سنك وكل وقيل من
السجل وهو الدلو الكبير وقيل من الاسجال وهو الارسال وقيل من السجل فانه كان مكتوبا
على كل حجارة اسم من قتل بها فجعلهم كعصف ماكول كورق زرع اكله الدود او اكرث
الدواب وانما عدل الى المنزل على نمط آداب القرآن قيل كان كل طير يحمل احجارا ثلثة
يرمي بكل واحد انسانا لا يرده شيء من الحديد وفر ابو يكسوم وزيره حتى بلغ النجاشي
فاخبره فلما اتم حديثه كان فوق راسه طير فرماه بحجر فقتله واما ابرهة فتساقطت اعضاؤه
وتصدع صدره وقلبه ورجع عبد المطلب واهل الحرم اموالهم وما نقل عن عايشة رضي الله
عنها انها قالت رايت قائد الفيل وسائسه مقعدين ظاهر القرآن يخالفه واتفق الثقات
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد في ذلك العام بعد وقعة الفيل وذلك بيمن مقدمه
لله دره ومن صارم قبل ما سل يقطع تمت ولله الحمد والمنة والصلوة على كاشف الغمة
سورة قريش مكية واياها اربع بسم الله الرحمن الرحيم لايلاف قريش يتعلق
باخر الاولى كانه قيل فجعلهم كعصف ماكول لايلاف قريش او باعجبوا او بقوله فليعبدوا
والفاء جواب شرط اي ان لم يعبدوا الله بنعم الدارين فليعبدوا ولايلافهم ايلافهم رحلة
الشتاء الى اليمن والصيف الى الشام نصبه على مفعولية لايلاف يقال الف الشيء والفه
بمعنى وقرا ابن عامر الاول بحذف الياء جمعا بين اللغتين وهو ايضا مصدر الف روي
ان قريشا هم اولاد النضر بن كنانة والقرش دابة عظيمة في البحر يلعب في السفن ولا يقهرها
غير النار والتصغير للتعظيم كانوا سكان الحرم وكان اذا اصابهم مجاعة خرجوا الى البر
وضربوا الاخبية متفرقين ربما مات طائفة جوعا فقام هاشم يوما خطيبا وحثهم على الرحلتين
فاثروا بعد ذلك وحسن حالهم ولما اهلك الله اصحاب الفيل امنوا من تعرض الناس
فمن الله عليهم بذلك اولم نمكن لهم حرما امنا فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من
جوع وامنهم من خوف تمت والحمد لمن آلاؤه عمت والصلوة على المختار من هاشم سورة
الماعون مكية واياها سبع بسم الله الرحمن الرحيم ارايت الذي يكذب بالدين

اي بالجزاء لاعتقاده عدم البعث والاستفهام للتعجب وقرا الكسائي بحذف الهمزة الحاقا له
بالمضارع ولما كان في التعجب تشويق الى تعرف حال المكذب رتب عليه قوله فذلك
الذي يدع اليتيم اي يدفعه عنيفا هو ابو جهل كان وصيا على يتيم فجاءه عريانا يساله
عن مال نفسه فدفعه وقيل الوليد وقيل ابو سفيان ساله يتيم وكان نحر جزورا فقرعه
بالعصا واسم الاشارة للتحقير وفي الصلة اشارة الى ان المكذب بالجزاء لا ينفك
عن هذه الرذائل ولا يحض على طعام المسكين غيره فهو مخل بكلا الواجبين لا يفعل
الخير ولا يامر به فويل للمصلين الذين هم عن صلوتهم ساهون تاركون لها غير مبالين
الذين هم يراءون باعمالهم ويمنعون الماعون الزكوة فاعول من العون لكونه
معونة للفقراء والمحاويج وفي الكلام ترق وفي ذلك رد ولفظ الويل اي اذا كان
دع اليتيم وترك الحض على الاطعام من سمات التكذيب ومعرفاته فالويل لمن
ترك عماد الدين قلة مبالاة والزكوة الذي هو قنطرة الاسلام وتلبس بالرياء الذي
هو الشرك الخفي فاشار الى العقيدة بالتكذيب والى الافعال بهذه الخصال والذاكان
دليلا على كونه مخاطبا بالفروع فعل المؤمن بالدين البعد عنها بمراحل فان قلت
عن ابن مسعود ان الماعون محقرات المتاع كالفاس والنار والملح فاوجه ذلك
قلت المراد تجريد المكذب عن الخير راسا والوصف بكمال الخسة وعدم المروة تمت ولله الحمد
على نعم عمت والصلوة على محمد وآله وصحبه سورة الكوثر مكية واياها ثلث
بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر فوعل من الكثرة وهو الافراط في الخير من
العلم والعمل وشرف الدارين روى البخاري ومسلم عن انس ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ليلة اسري بي اتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ فقلت ما هذا يا جبرائيل قال
هذا الكوثر وفي رواية ترابه المسك وحصباؤه اللؤلؤ ماؤه احلى من العسل وابيض من اللبن
وابرد من الثلج آنيته اكثر من نجوم السماء من شرب منه شربة لا يظما بعده ابدا اول
من يرده على فقراء المهاجرين فصل لربك اي اذا فضلك الله بذلك فخصه بالصلوة
والسجود وانحر له القرابين والبدن مراغما للمشركين الذين يسجدون للاوثان وينحرون
لها وقيل ضع يدك على النحر في الصلوة وفيه بعد ويؤيد الاول قوله ان صلوتي ونسكي
ان شانئك عائبك ومبغضك هو الابتر الذي لا عقب له مات له ابن فعابه بذلك
العاص بن وائل قال محمد ابتر اذا مات انقطع ذكره وقيل القائل ابو لهب وقيل كعب
بن الاشرف والمعنى ان الابتر من انقطع ذكره بموته والنسل يكون سببا للذكر وانت
مرفوع الذكر على المنابر الى آخر الدهر بيد ما احق لك من الشرف والمقام المحمود و
شانئك عليه اللعن من كل مؤمن ومأواه جهنم مقره مع الشيطان فلينظر من الابتر
تمت سورة الكوثر ولله الحمد على الخطا الوافر والصلوة على خير البشر سورة الكافرون
مكية واياها ست بسم الله الرحمن الرحيم قل يا ايها الكافرون الخطاب لرهط من قريش

وهم الذين ماتوا على الكفر دعوه الى عبادة آلهتهم ليعبدوا آلهته لا اعبد ما تعبدون
في المستقبل لان لا لنفيه كما ان ما لنفي الحال ولا انتم عابدون ما اعبد ايضا ولا انا
عابد ما عبدتم في الماضي اذ لم اكن مرسلا فكيف وانا رسول من رب العالمين ولا انتم
عابدون ما اعبد اي ما عبدت وانا مستمر على عبادته ولذلك لم يقابل الماضي بمثله
وقيل انما عدل عنه لانه لم يكن موسوما بعبادته قبل البعثة والاعبادته على نمط التكليف
وما طولب وتحنثه كان على مجرى العادة دون التعبد وهذا الكلام باطل بل كان متعبدا
قطعا بما شرع من شرايع من قبله او اجتهادا وكيف وقد صح في البخاري تعبده بحراء
وكان قريش في موسم الحج يقفون بمزدلفة وهو بعرفات فاين اقتضاء العادة لكم
دينكم ولي دين كل منا لا يتجاوز دينه الى ان يموت وليس فيه نسخ كما ظن ولا منع
عن القتال معهم بعد الاذن والله اعلم تمت سورة الكافرين والحمد لله رب العالمين
والصلوة على سيد المرسلين وعلى اله وصحبه الكرام الغر المحجلين **سورة النصر مدنية**
وايها ثلث بسم الله الرحمن الرحيم اذا جاء نصر الله دينه والفتح فتح مكة نزلت في
حجة الوداع فعلم رسول الله تمام الامر فركب ناقته القصوا الى المسجد الحرام وخطب
الناس الخطبة المشهورة وودع فيها وقال ليبلغ الشاهد الغايب فلذلك سميت
حجة الوداع وكان بين حجته ووفاته واصل الحق ثلثة اشهر ونيف فان قلت فتح مكة
كان سنة ثمان من الهجرة وحجة الوداع سنة عشر فكيف يصح نزولها في حجة الوداع فاذا
يدل على الاستقبال قلت قد روي انها نزلت قبل سنتين وعلى تلك الرواية يحمل اذا
ولما كان فتح مكة ام الفتوح جعله مترتبا باعتبار ما ردفه من الفتوح وان كان متحققا
في نفسه يدل عليه قوله ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا جماعات كثيرة فوجا
بعد فوج كانت العرب والاعراب ينتظرون فتح مكة ويظنون ان من قصد مكة يصيبه
مثل ما اصاب اصحاب الفيل فلما فتحها قهرا وتمكن من رقابهم ثم اعتقهم وسموا الطلقة
الفتح طلقا لذلك فبادروا الى الاسلام قبيلة قبيلة فسبح بحمد ربك نزهه عن خلف الوعد
الذي سبق منك بالنصر وفتح مكة بقوله لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين واستغفره
لما عسى فرط منك من خلاف الاولى الذي لا يليق بجلاله تداركا او لامتك لما روت
عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام كان عندي في ليلة فلما ظن اني نايمة قام الى الباب
ففتحه خفية وذهب فتلففت بخماري وذهبت وراءه فجاء الى البقيع فوقف ودعا دعاء
طويلا ثم انصرف فاسرعت واسرع وراي حتى دخلت البيت فدخل فوجدني انهت
فقال ما لك قلت لا شيء قال اخبريني او ليخبرني العليم الخبير قلت خرجت فظننت انك
ذهبت الى بعض ازواجك فقال لي انت ذلك السواد الذي رايته قلت بلى قال جاءني
جبرئيل وناداني من وراء الباب ولم يدخل لانك وضعت الخمار وقال لي تعالى استغفر
لاهل البقيع فذهبت ثم قال وراساه فكان ذلك ابتداء مرضه صلوات الله عليه انه كان توابا

لمن

لمن استغفر تمت سورة النصر ونسأل الله النصر على الاعادي بحق افضل العباد
سورة مكية وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم تبت يدا ابي لهب التباب
الهلاك والمراد جملته لان اليدين للانسان كالجناحين للطاير فمن عدمت يداه
فهو والهالك سواء وقيل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر بيديه روى البخاري
عن ابن عباس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صعد الجبل ثم نادى واصباحاه
فاجتمعت اليه قريش فقال ارايتم ان حدثتكم ان العدو مصبحكم هل انتم مصدقي قالوا
نعم ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب
تبا لك الهذا جمعتنا فنزلت واسمه عبد العزى وانما سمي ابا لهب لاشراق وجهه
وكان احول العين وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرا ابن كثير ابي لهب بسكون
الهاء وتب اي كان ذلك وحصل فالاول دعاء والثاني اخبار كما في قوله جزاه
الكلاب العاويات وقد فعل ما اغنى عنه ماله وما كسب استيناف ردا لما كان
يقول انا افتدي بمالي ان صدق محمد والمراد من الكسب الربح او ما حصله من مال ورثه
او ما عمله من اعمال البر او الاولاد وفي الحديث ولد العبد من كسبه سيصلى نارا
ذات لهب تصوير للهلاك بما يظهر معه عدم اغناء المال والولد وجمع بين طريقي
التاكيد بقوله وتب اولا ماضيا للتحقيق والسين ثانيا لتاكيد الوعيد وامراته حمالة الحطب
اسمها اروى بنت حرب بن امية اخت ابي سفيان كانت مع زوجها في الكفر شانا
وطبقة عدل عن كنيتها لاتصافها بالفقد عن ابن عباس رضي الله عنه كانت تحمل الشوك
على ظهرها فيضعه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج للصلوة وقيل مجاز عن المشي
بالنميمة وحمل الخطايا وقرا عاصم حمالة بالنصب على الذم والشتم وقد طبق فيه المفصل
في جيدها حبل من مسد المسد الليف وشجر باليمن وعن ابي عبيدة حبل مفتل من اخلاط
حقر شانها بان صورها بصورة بعض الحطابات اللاتي لا تجد حموله فتجعل الحبل في العنق
الذي هو اشرف الاعضاء هذا وهي من الثروة وشرف النسب بمكان او هذا حالها
في جهنم صورها الله لاهل النار بما كانت متصفة به في الدنيا جعل الغل في عنقها وعلى
ظهرها حزمة من حطب الزقوم والضريع وكذا كل مجرم يعذب بما يناسب عمله تمت سورة تبت
والحمد على نعم عمت والصلوة على سيد الرسل وموضح السبل **سورة الاخلاص**
مكية وهي اربع آيات بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله احد روى الترمذي
والامام احمد ان المشركين سالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يصف لهم الاله
الذي يدعوا الى عبادته فنزلت فضمير هو لما سالوه مبتدا والجملة خبر ولا حاجة الى
العايد لان الجملة هو كان احد جزئيها عين المبتدا كقوله ولباس التقوى ذلك خير
لا يحتاج الى رابط وكذا ان جعل ضمير الشان لان الشان ان الله احد نفسه وعلى الاول
يجوز ان يكون الله بدلا ولذلك قرئ الله احد بدون هو وانما جعل احد بدلا فلا لان

الكثرة لا تبدل من المعرفة والاحدية توحيد الذات بانتفاء انحاء جهات التركيب عقلا
وخارجا والموصوف بها هو الواحد الحقيقي والواحدية عدم المماثلة في الصفات وكل منهما
يجوز انفكاكه عن الآخر وفي ذاته تعالى متلازمان ولذلك وصف بالواحد الاحد وقدم وصف
الواحدية لانه محل الاشتباه في الجملة واما كونه احدي الذات جلي لا يخفى الله الصمد
الصمد فعل بمعنى المصمود وهو السيد الذي يقصد في الحوائج من الصمد وهو المكان المرتفع
اخلاه عن العاطف لانه نتيجة الاول اذ من كان احدي الذات واحدي الصفات
لا يكون الا غنيا مطلقا ودليل لها لان من كان مقصودا للكل في الاحتياج ولا يحتاج
الى شي فهو المتوحد ذاتا وصفة لم يلد ولم يولد لاقتضائهما التجانس والتماثل وقد دل
المتوحد على انتفائهما اي يكون له ولد ولم يكن له صاحبة ولانه لو ولد او ولد لم يكن غنيا
مطلقا ولم يكن له كفوا احد كفو الشي ما يماثله ذاتا او صفة فالمتوحد المطلق الغني عن كل
شي لا يماثله احد في شي والاشتراك في الشيئية ليس الا في الاسم ولذا بعد بكونه شيئا
لا كالاشياء وقرا حمزة كفؤا باسكان الفاء وبالواو وقفا وكذا حفص وقفا ووصلا بالابدال
لاستثقال الهمزة بعد الضمتين روى البخاري عن ابي سعيد رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال ايعجز احدكم ان يقرا ثلث القرآن في ليلة فشق ذلك عليهم فقال قل هو الله
احد ثلث القرآن وذلك لاشتماله على التوحيد ومباحث المبدا والمعاد ومقاصد القرآن
ثلث عقايد واحكام وقصص وروى مالك واحمد والترمذي والنسائي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقرا قل هو الله احد فقال وجبت قيل يا رسول الله ما وجبت
قال وجبت له الجنة وروى الامام احمد عن تميم الداري عن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله واحدا احدا صمدا لم يلد ولم يولد ولم يكن له
كفوا احد عشر مرات كتب له اربعون الف الف حسنة وعن بريدة ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم دخل المسجد فسمع رجلا يقول اللهم اني اشهد ان لا اله الا انت الاحد الصمد الذي
لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد فقال والذي نفسي بيده لقد ساله باسمه الاعظم الذي اذا
سئل به اعطى واذا دعي به اجاب تمت وغنا لها الاتم والحمد للواحد الاحد والصلوة على الاوحدي
في جميع الرسل وآله وصحبه اجمعين

سورة الفلق مدنية وهي خمس آيات بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الفلق فلق الشي شقه قال تعالى فالق الحب والنوى والمراد به الصباح
فعل بمعنى المفعول لان الليل يفلق عنه او لان الله تعالى اخرجه من جيب الليل لقوله فالق
الاصباح وفي المثل فلق الصبح فالقه وعن الضحاك هو الخلق كله لانه فلق من ظلمة العدم
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه جب في جهنم اذا فتح صاح اهل النار من شدة حره
واصل الفلق المطمئن من الارض من شر ما خلق من شر مخلوقاته كلها ذوي العقول وغيرهم
يعم شر الدارين في العالم السفلي والعلوي ومن شر غاسق اذا وقب من شر الليل اذا
دخل ظلامه من الغسق وهو الظلام لقوله الى غسق الليل يقال غسقت العين اذا امتلات

ومعنا

ومعناه وغسق ما يذكر لان انبثاث الشر فيه اكثر والتحرز منه اشق روى البخاري ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل الظلام اجيفوا الابواب اكفوا الصبيان حتى تذهب فحمة العشاء
لان الشياطين تنتشر بعد المغرب وقيل هو القمر اذا خسف لقول عائشة رضي الله عنها اخذ
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي ونظر الى القمر وقال تعوذي من شر هذا فانه الغاسق اذا
وقب والمعنى انه يغسق الليل هو وقوبه فالاسناد مجازي واضافة الشر اليه لملابسة لانه
يحدث بسببه والوقوب الدخول من وقب العين وهو النقرة والتي يكون فيها العين
ومن شر النفاثات في العقد من شر النفوس الساحرة التي تعقد الخيوط وتنفث فيها على
السحر ولعل ذلك اكثري اذ قد يكون بدونه والنفث فوق النفخ يجوز ان يكون معه
ريق والتفل لا يكون الا مع ريق والتعوذ من اثم ذلك العمل والاتصاف به او من
الانخداع لسالك الا باطيل او مما يصيب الله به المسحور فانه صلى الله عليه وسلم سحر حتى كان
يخيل اليه انه فعل شيئا لم يكن فعله سحره لبيد بن الاعصم اليهودي فان قلت واذا صح
انه سحر فكيف كذبهم في قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا قلت مقالة المشركين يكون
ذا ما سحر بالمدينة وعائشة رضي الله عنها عنده وايضا لم يكن مقصدهم في تسميته مسحورا
ذلك المعنى بل الجنون بواسطة السحر ومن شر حاسد اذا حسد اذا اظهر حسده وعمل بمقتضاه
من الفعل والحسد تمني زوال نعمة الغير وحصولها للحاسد والاغتباط هو تمني حصول مثله من
غير طلب زوال عنه وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنين العلم الذي يعمل
والمال الذي ينفق في سبيل الخير وانما عبر عنهما بالحسد مبالغة في الحرص عليهما وانما عرف
النفاثات دون غاسق وحاسد لوصفهما بالظرف بعدهما وقيل لان كل النفاثات
شر بخلاف الغاسق والحاسد الحسد الا بالحديث وليس غامض لما اشير اليه من الفرق
بين الحسد والاغتباط ولقوله عليه السلام اذا دخل الظلام اجيفوا الابواب واكفوا الصبيان
من غير تفرقة بين غاسق وحاسد وفي دعائه صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من شر كل حاسد
تمت والحمد لله وحده

سورة الناس مدنية ست آيات بسم الله الرحمن الرحيم

قل اعوذ برب الناس سيدهم المتولي امورهم المتصرف فيهم ملك الناس اله الناس عطفا بيان
على طريقة الترقي لان الرب قد لا يكون سلطانا وهو اعم من ان يكون الها يستحق العبادة
وتكرير الناس مظهرا لانه المحل في البيان من شر الوسواس الوسواس اسم المصدر اطلق
على الفاعل مبالغة والوسوسة حديث النفس بالشر اصله صوت الحلي قال الاعشى تسمع
للحلي وسواسا اذا انصرفت روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال ان للشيطان بابن آدم لمة وعد بالشر وتكذيب بالحق الخناس منسوب
الخنوس وهو التاخر لانه كلما سمع ذكر الله تاخر الذي يوسوس في صدور الناس روى
البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تجاوز الله
عن امتي ما وسوست به صدورها ما لم تتكلم او تعمل ويجوز في محل الموصول الحركات الثلث الجر على الصفة

والرفع والنصب على الشتم من الجنة والناس بيان للذي يوسوس على ان الشيطان
يعم القبيلين لقوله شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض ويجوز ان يكون
من ابتدائية اي من جهة هذين النوعين فان قلت الوسوسة حديث النفس
وذلك مختص بشيطان الجن فكيف اسند الى الانس قلت المراد بالوسوسة الدالة
على الشر والقاؤه في النفس فهي تتحدث به سواء كان بطريق ظاهر او خفي ولذلك
قيل شيطان الانس اشد اغواء من شيطان الجن لانه يخنس عند ذكر الله تعالى
دون شيطان الانس ولما كان شان الهداية اهم واولى افرد الاستعاذة له بعد ما
كان داخلا في عموم شر ما خلق روى مسلم عن عقبة بن عامر ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال الم تر ايات انزلت الليلة لم ير مثلهن قط قل اعوذ برب الفلق
وقل اعوذ برب الناس وروى البخاري ومسلم عن عايشة رضي الله عنها
كان اذا اوى الى فراشه كل ليلة جمع كفيه وقرا قل هو الله احد والمعوذتين ونفث
فيهما ثم مسح بهما ما استطاع من جسده هذا وانا اعوذ بهما من شر نفسي وشر كل ما
ذرا وبرا واستغفر الله من خطرات الاوهام وعثرات الاقلام واساله العفو
والمغفرة لي ولوالدي ولمشايخي الكرام ولكافة المسلمين هذا اخر ما اوردته
من تفسير كلام الملك العلام مع انحطاط رتبتي عن هذا المقام ولكن للمجتهد
الاجر وان حرم اصابة المرام وقصر عن شأو الكرام والحمد لله المفضل المنعم
اولا واخرا والصلوة على اكمل خلقه ترغيما للشيطان واخزاء وعلى اخوانه من المرسلين
وساير الانبياء والصالحين مع آله وصحبه ومن تبعهم الى يوم الدين
فرغ مؤلفه من تاليفه يوم الخميس الثالث من رجب الفرد الواقع في سنة سبع
وستين وثمانماية وكان الابتداء به في اواخر سنة ستين وثمانماية في المسجد الاقصى
تجاه باب الجنة تفاؤلا والله خير مأمول ومسؤول

قد وقع الفراغ من تحرير هذا التفسير الشريف
مستغنيا من كلام الله المفسر اللطيف
على يد العبد الضعيف السيد علي غفر الله له
ولوالديه ولاستاديه تمم في ربيع الاخر
يوم الخميس سنة اربع وستين
وماية والف
م